الهلال

يناير ١٩٨٢م
مجلة الفكر العربي
AL HILAL January 1982

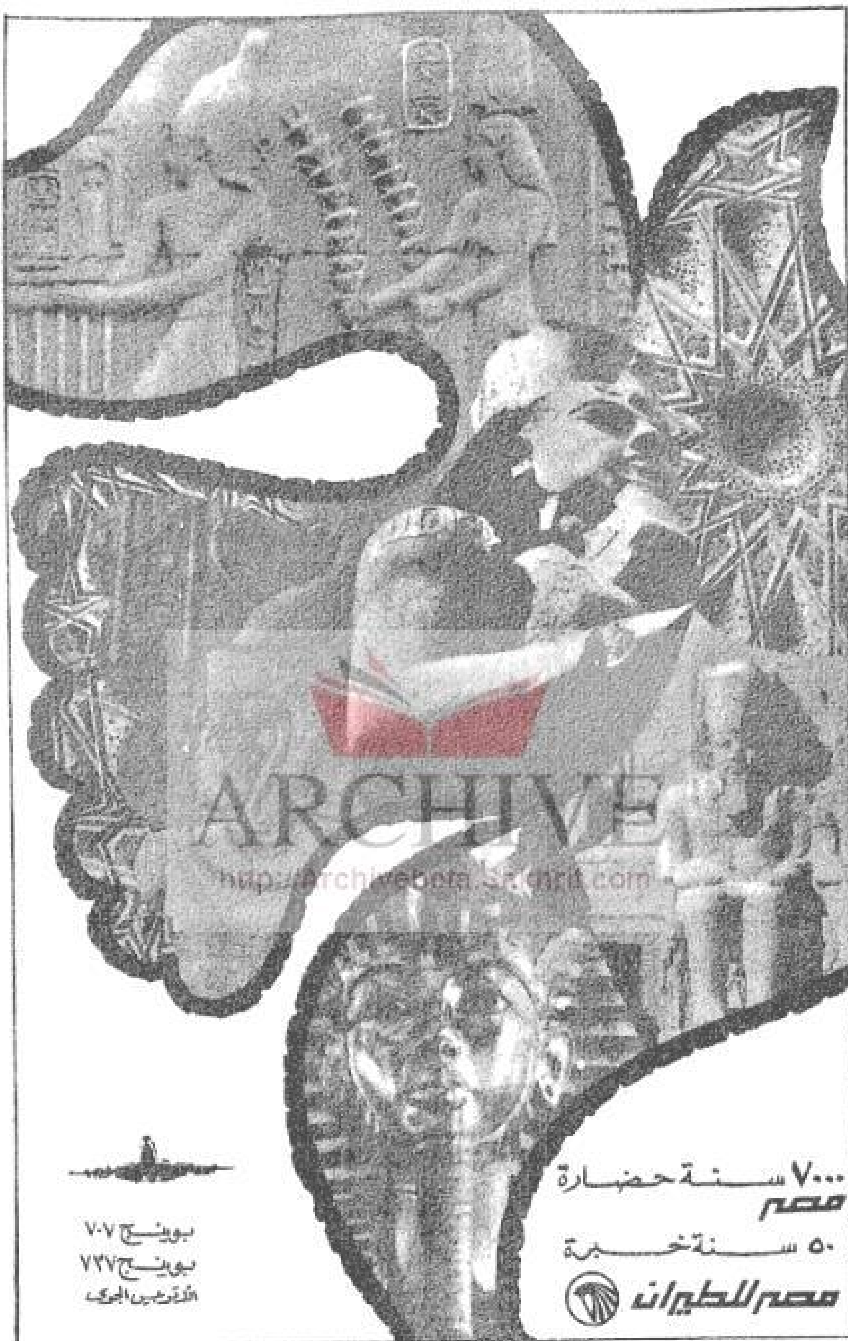
القرآن.. والشعر

● معرفة النفس واجب عربي

● زينب... وثورة الأدب

الجريمة... في الرواية المصرية الحديثة

الإسكيمو
شعب الشتاء الدائم
[استطلاع بالألوان]


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال

حصيلة قليلة لعام طويل

ودعنا بالامس شهر ديسمبر ١٩٨١ ، نهاية عام طويل ، ومع ذلك فان حصيلتنا من الكتب الجيدة التى صدرت خلال ذلك العام قليلة ، وبعد شهرين سيتبين الناس هذه الحقيقة فى معرض القاهرة للكتاب . سيجدون ان الكتب الجديدة قليلة جدا ، والكتب الجيدة نادرة .

وقبل ان اكتب هذه السطور اطلعت على دليل معرض الكتاب العربى الذى أقيم فى الكويت فى شهر نوفمبر ، فلم أجد الا الكتب القديمة التى اعرفها ، ومعظم الكتب التى عرضت اما نصوص من كتب التراث أو اعادات لطبع كتب الفت فى الاربعينات والخمسينات والستينات ..

وكانت هذه هى نفس الملاحظة التى ابديناها عندما كتبنا فى هذا الموضع عن معرض القاهرة الدولى للكتاب فى العام الماضى ..

ومعنى ذلك ان هناك انحسارا واضحا فى الانتاج الفكرى بخلاف ما نرى فى الغرب من التدفق فى التاليف فى كل ميدان .

والسبب فى ذلك الجزر الفكرى هو ان الغذاء الفكرى الذى يقدم للناس قليل جدا ، فمن الطبيعى والحالة هذه ان تكون الثمرات هزيلة ، حتى قنوات العلم المتنقلة وهى الجامعات اصبحت هى الاخرى مسايل ضئيلة لا تقدم للطلاب علما جديدا ، وقصر الاساتذة فى التاليف والانتاج كانما عقمت الملكات ولم نعد نرى الا الكتب الجامعية ، وهى فى ايامنا هذه كتب مدرسية توصف بانها جامعية وما هى بجامعية بحال .

وهذا الزاد الفكرى الناضب هو فى الحقيقة ناقوس خطر ، لانه ينبهنا الى ركود الفكر العربى بصفة عامة ، فان تلك الحالة لا تقتصر على بلد عربى دون بلد ، بل هى ظاهرة غالبة على الفكر العربى كله ..

وفى هذه الحالة لا يجوز لنا الوقوف عند حد تسجيل الظاهرة ، بل يجب التفكير فى العلاج ، لان الفكر هو عصب الحياة فى عصر العلم الذى نعيش فيه ، فاذا مات ذلك العصب فلا يدرى احد ماذا يمكن أن يحدث لعالمنا العربى ..

الهلال

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

يناير ١٩٨٢م
ربيع الأول ١٤٠٢هـ

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة التسعون .. أول يناير سنة ١٩٨٢ – ٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠٢

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفني : موسى عبد

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر .. ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

الإشراف الفني
أحمد الورداني

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية ، في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ج.ا. تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط

معرفة النفس واجب عربي

بقلم : رئيس التحرير

السبب هو أن الكثير من البلاد العربية لا يعرف نفسه حق المعرفة ، وهي بالتالي لا تعرف ماذا تريد وما لا تريد ٠
وهذا الجهل بالنفس وقدراتها هو الذي يجعل هذه البلاد قليلة الفعالية فرادى وأقل فعالية جماعات ٠
وهذا الجهل بالنفس هو الذي جعل كل محاولات الاتفاق بين بلد عربي وآخر مهزلة بل مأساة ٠
وهذا أيضا هو الذي جعل الجامعة العربية منذ ميلادها الى اليوم مؤسسة شكل لا عمل ، منظر ولا مخبر ، جعجعة بلا طحن ٠٠
وقديما قال سقراط ان أول قاعدة من قواعد العلم والفهم والتعرف هي ان يعرف الانسان نفسه أولا ٠٠

لست كاتبا سياسيا بحيث أنظر الى ما وقع في المؤتمر العربي في فاس في شهر نوفمبر الماضي (١٩٨١) نظرة المفكر أو الكاتب السياسي ، ولست بالذي يزعم ان له القدرة على عمل التحليل السياسي للاحداث ، ولكني أحب أن أنظر الى ما يجرى للعرب وعلى العرب من المنظور التاريخي ٠

فانه ليبدو لي ــ ولأى متأمل للاحداث انه من غرائب الامور ان يمهد العرب لمؤتمر كبير كهذا اتفقت على الاشتراك فيه ست عشرة دولة عربية ، توافق كلها مقدما على برنامج عمل المؤتمر وكل ما أدرج على قائمة أعماله من وثائق وخاصة المبادرة السعودية التي اعتبرتها كل هذه الدول بداية سليمة ومعقولة لاسلوب جديد لحل مشاكل العرب ، ثم يجتمع وزراء الخارجية ويقرون جدول أعمال المؤتمر ، ويسود الناس جميعا جو من التفاؤل والاستبشار ، ثم يجتمع المؤتمر وبعد بضع ساعات فحسب يقرر المجتمعون تأجيل المؤتمر الى أجل غير مسمى

وتسحب المملكة السعودية مشروعها ، وينتهي الامر عند ذلك .

ما الدلالة التاريخية أو الحضارية لمثل هذا الحادث ؟

دلالته أن معظم الدول العربية التي وافقت على الاشتراك في المؤتمر لم تعرف ولا هي تعرف ماذا تريد ، وهي لم تعرف ماذا تريد وماذا لا تريد ، لانها لم تعرف نفسها حق المعرفة ، ولهذا فهي قد وافقت يوما ثم لم توافق اليوم التالي أو وافقت وفي نيتها شيء آخر ، أو أظهرت الموافقة على المشروع السعودي وهي تضمر في نفسها شيئا آخر غير الصالح العربي العام الذي هو لباب هذا المؤتمر أو هي لا تريد حل القضية الفلسطينية وهي الغاية الاخيرة التي قصدت اليها المملكة السعودية عندما طلبت عقد ذلك المؤتمر بعد درس وتفكير طويلين ..
ونفهم من هذا أن عددا من الدول العربية من التي وافقت على الاشتراك في هذه القمة هي التي كانت تعرف ماذا تريد وماذا لا تريد أو تفهم نفسها حق الفهم ، وهي المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج .
وهذا بدوره أمر يدعو الى التأمل الاسيف ، وهو ان بلادا عربية لها كيانها ونظامها ومركزها لم تعرف الى الآن نفسها حق المعرفة ، وما دامت لا تعرف نفسها فهي لا تعرف غيرها ، وما دام أمرها كذلك فمن اليسير جدا على دولة تعالت مثل اسرائيل تعرف ما تريد وتفهم نفسها حق الفهم تستطيع الثبات وسط العرب والصمود لهم بهذا التبجح الوقح الذي تبدو به .

وهذا بدوره يدلك على ان الجامعة العربية كلها ــ سواء أكانت جامعة القاهرة التي انشئت سنة ١٩٤٥ او الجامعة الجديدة التي انشئت في تونس لن تستطيع عمل شيء على الاطلاق ، لانها اذا كانت جامعة بلاد لا يفهم معظمها نفسه فهي نفسها لا تفهم نفسها ولا تعرف ماذا تفعل ، ولا وظيفة حقيقية لها في هذه الحالة .
وهذا يجعلنا نطرح سؤالا اساسيا وهو ، اليس اجدى على العرب الآن ، وبعد هذه التجارب الاليمة التي مرت بها أن تفهم نفسها اولا لكي تعرف ماذا تريد وكيف تتصرف في هذا الوجود ؟



ذلك ان معرفة النفس هي أساس كل تعرف سليم في الحياة ، ومن أربعة قرون قبل الميلاد قال سقراط للانسان : اعرف نفسك ، واعتبر معرفة النفس أساسا لكل معرفة أخرى ، لان الانسان اذا لم يعرف نفسه لم يستطع معرفة غيره ، ولم يعرف أي وجهة يتخذ في هذه الحياة .
ومن هنا نستطيع أن نفهم السر في ذلك الضياع الذي تشعر به الدول العربية في ذلك العالم وعدم قدرتها على مواجهة خطر صغير فعلا مثل الخطر الصهيوني .
ودول عربية قليلة جدا عرفت نفسها حق المعرفة ولهذا فهي تسير في طريقها على وعي وادراك وثبات منها مصر والسودان والمملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج ، أما البقية فلا زالت اما في غيبوبة تامة عن نفسها وغيرها أو لا زالت تتحسس طريقها الى هذه المعرفة أو لم تفكر بعد في معرفة نفسها ، فهي تضرب في بيداء الحياة على غير هدى ولا تعرف قط ماذا تريد وماذا لا تريد .
وهذا كلام اقوله من وجهة نظر العربي الصادق الذي يريد فعلا أن يخدم أمته العربية ، وليس في ذهني أي خاطر غير صادق عن أي بلد عربي ، فكل

معرفة النفس واجب عربي

بلاد العرب أوطاني ، وأنا – كاتب عربي – لا أتوخى غير ما فيه صالح العرب ولا أتمنى على الله شيئا أكثر من ان يوفق الله العرب الى أن يكونوا حقا أمة قوية عندها احساس سليم بنفسها وقدرها فى الحياة ، ولها القدرة الكافية على أن توجه نفسها التوجيه السليم فى الحياة ، لاننا فى حقيقة الامر نعيش فى زمن شديد الخطورة ، واذا نحن لم نفهم انفسنا حق الفهم ، فاننا سنتعرض لاخطار اشد واقسى مما تعرضنا له فيما مضى من السنين ، وفى الانجليزية عبارة تقول « الآن او لن يحدث هذا ابدا Now or never وهو يصدق علينا تماما ، فالآن علينا ان نفهم انفسنا حق المعرفة فان الاخطار التى سنتعرض لها فى المستقبل ستكون اخطارا بالغة العنف والقسوة ، وربما اصابنا منها بلاء اشد من اى بلاء نعانيه او عانيناه •

وقد كان الزعيم الصينى ماو تسى تونج يتعجب أشد العجب من عجز العرب عن القضاء على اسرائيل ، وظل طول حياته لا يعترف بها ولا يعترف بأنها دولة، وقد كان من أعظم ما أثر فى نفس وزير الخارجية الصينية شواين لاى عندما التقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى باندونج هو انه وجده رجلا يفهم نفسه ويعرف ما يريد ، فقد كان جمال عبد الناصر فى باندونج يتكلم ويتصرف على انه رجل عربى واع مفتوح العينين يدرك تماما ان العرب أمة عظيمة مجيدة وانها لابد ان تمسك بزمام نفسها ويكون لها صوت مسموع فى عالم الامم •

ونتيجة لذلك ارتفع جمال عبد الناصر فى باندونج بنفسه وبالعرب الى شأو بعيد ، ورغم الظروف العسيرة التى احاطت به فقد عرف كيف يخيف انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وهذا هو الذى جعل هذه الاخيرة تجمع أمرها على أن تقضى عليه ، وما زالت تدبر وتتآمر وتخطط حتى انزلت به هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وهى هزيمة دبرت باحكام على مدى سنين طويلة كما بين ذلك مايلز كوبلاند فى كتابه المسمى « لعبة الامم » وهو كتاب ملىء بالتدليس ، ولكنك تشعر وأنت تقرؤه ان تلك الامم الكبرى التى توجه سياسة الدنيا هى تلك التى تعرف نفسها وما تريد ، وتدبر أمورها وترسم سياساتها على اساس من فهمها لنفسها •

وحتى اذا لم تكن الدولة الناجحة دولة كبرى ولا تعد نفسها فى مصاف الدول العظمى فهى تسير فى طريقها قوية محافظة على كيانها ، واضرب المثل فى ذلك بسويسرا ، فهذه دولة صغيرة فى الحجم والسكان ، ولكنها منذ أن تكونت سنة ١٢٩١م تعرف بالضبط ماذا تريد وماذا لا تريد ، ولقد ولدت سويسرا قبل أن تولد ايطاليا •

وفى أواخر القرن الماضى ، عندما كانت ايطاليا تصنع وحدتها عرض الايطاليون على السويسريين أن تكون ميناء جنوه ميناء مشتركا بين ايطاليا وسويسرا ، لان سويسرا دولة صناعية تجارية وليس لها مخرج قريب على البحر الا ميناء جنوا ، فأراد الايطاليون أن يرضوا سويسرا بهذا التنازل ، ولكن سويسرا – التى تعرف ماذا تريد وماذا لا تريد – عرفت انها لا تريد ميناء مشتركا بينها وبين دولة أخرى أهله كلهم ايطاليون وليسوا سويسريين ، ومن ثم فانهم سيسببون لسويسرا مشاكل كبرى ، فتنازلت سويسرا عن ذلك العرض وقالت انها تكتفى بأن تكون لها تسهيلات فى المواصلات من سويسرا الى جنيف ، فاشترت الحق فى أن تسير قطاراتها الى جنوة ، واكترت جزءا من ارصفة جنوة تدفع كراءة كل عام ، ونفضت يدها من الباقى •

ولو بلد آخر غير سويسرا لسارع واستولى على جنوا ولظن انها طريق للدخول الى البحر المتوسط ولفرح بهذا الكسب العظيم ، ولخدعته هذه الفرحة عن

الاخطار التي يمكن أن تتعرض لها بسبب اشتراكها مع ايطاليا في ميناء يجعل سويسرا طرفا في كل نزاع تدخل فيه ايطاليا ٠



ومن مدة قريبة وقع بلد عربي عزيز علينا في خطأ من اخطاء هذا الخداع التوسعي ، وأنا أتكلم هنا من منطق ذلك البلد لا من منطقي ٠ فقد سارعت المملكة المغربية الى الدخول في الصحراء الغربية عقب انسحاب أسبانيا منها ، وقالت أن ذلك استكمال للارض المغربية التاريخية ، ونحن من جانبنا لا موقف لنا من هذه الدعوى ، فان المغرب يعرف أرضه وأهل مكة أدرى بشعابها ، ولكن المغرب ما كاد يقوم بهذه الحركة حتى قامت جارته الجزائر ، وهي جارة توسعية لا تزال تقتطع القطعة بعد القطعة من أرض المغرب ، قامت تحتج على ذلك ، وزعمت ان لها هي الاخرى حقا في تلك الصحراء ، ومدت يد المساعدة لجماعة زعمت انها تطالب باستقلال الاقليم وهي جماعة البوليساريو ، ودخل البلدان في حرب شرسة قاسية مليئة بالمخاطر ، وأخيرا رأت المملكة المغربية انها تخسر من هذه المحاولة ولا تكسب ، وانه خير لها ان تسلم بمبدأ تقرير المصير لاهل هذه الصحراء ، وسوف يقرر أهل الصحراء ان يكونوا دولة مستقلة دون أن يعرفوا تكاليف الدولة المستقلة ، وسوف يرون انه كان افضل لهم ألف مرة لو انهم دخلوا في غمار المملكة المغربية ، وهي مملكة أصيلة عريقة ، ولكنهم كغيرهم من العرب لا يعرفون انفسهم ولا ما يريدون ، ومن ثم فهم يلقون أنفسهم في المصاعب والاخطار دون أن يشعروا ، وهذا مثل واحد من أمثلة جهل الانسان العربي لنفسه وما يمكن أن يؤدي اليه هذا الجهل والامثلة على ذلك كثيرة جدا ، وسيرد بعضها في سياق ما بقي من هذا المقال ٠



ومن الامثلة الناطقة على دولة لم تعرف نفسها ولا ماذا تريد فكادت تضيع دولة معروفة لنا هي المانيا قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية ، فان الالمان شعب موهوب ، ومواهبه لا تقف على قدرة اهله على استيعاب العلم والتجديد فيه والزيادة عليه ، ولا تقتصر كذلك على صبره الدؤوب على العمل وقدرته على مواصلته في عمق واتقان الى درجة تعجز عنها شعوب أخرى كثيرة ، بل هو يمتاز كذلك ببسالة في الحرب وصمود فيها وقدرة على اقتحام العقبات والتضحية بالنفس دون مبالاة ، وقد سجلت جيوش الالمان في ميادين القتال من اعمال البسالة والبطولة على طول التاريخ الالماني ما جعل الالمان في مقدمة شعوب الدنيا في ذلك المجال أيضا ٠

ورغما عن هذه المواهب كلها لم يكن الشعب الالماني يعرف نفسه أو ما يريد فتصور رجاله منذ ايام بسمارك انهم يستطيعون سيادة الدنيا بالتفوق العلمي والصناعي من ناحية ، وبالامتياز العسكري من ناحية اخرى ، فركبتهم نتيجة لذلك روح من الكبرياء والجاهلية جعلتهم أيام القيصر فلهلم الثاني ثم في أيام ادولف هتلر يرتكبون من الاخطاء ما يدهش له الانسان ، وبينما كان الانجليز والفرنسيون يتقاسمون الارض فيما بينهم مستعمرات ومناطق نفوذ ، وينهبون أسواق الدنيا نهبا كان الالمان يكدسون السلاح وينشئون الجيوش الجرارة ،

معرفة النفس
واجب عربي

وقد خطر ببالهم انهم يستطيعون بهذه الجيوش تحطيم قوى العالم اجمع وسيادة الدنيا واملاء ارادتهم عليها .

هذا كان حلم فلهلم الثاني وقواده ، ولهذا أثاروا الحرب العالمية الاولى وهم واثقون انهم يستطيعون تحطيم قوى الدنيا جميعا ، وقد حطموا الكثير وكسبوا انتصارات كبرى ، ولكنهم في النهاية خسروا الحرب العالمية الاولى لانهم لم يكونوا يعرفون أنفسهم أو ماذا يريدون ، فاذا تصورنا مثلا ان المانيا خرجت من الحرب العالمية الاولى منتصرة فماذا كانت ستصنع بالدنيا ؟ هل كانت ستحتل الكرة الارضية كلها ؟ وهل هناك قوة على الارض تستطيع ذلك أبد الدهر ؟

ولكن المانيا خسرت الحرب العالمية الاولى ، وكسبتها شعوب كانت تعرف نفسها وتعرف ماذا تريد . كسبتها انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة لانها كانت تعرف ما تريد ، وهو المحافظة على ما بيدها والحفاظ على نسبة عالية من الحرية في بلادها ونسبة شبه معدومة من الحرية في المستعمرات وبقية الدنيا ، ولم تكن تلك الاهداف رفيعة ولا انسانية ، ولكنها كانت مفهومة بالنسبة لاهلها ، ولهذا عرفوا كيف يصلون اليها .

وظن الالمان ان الدنيا خانتهم ، ونبغ فيهم أدولف هتلر ينادى بالانتقام ، فصنع جيشا لم تعرف الدنيا مثله ، وبهذا الجيش أراد أن يحطم الدنيا جميعا، فكانت النتيجة أن خسر الحرب العالمية الثانية ، وخرجت ألمانيا من الحرب مهدمة محطومة مفلسة رغم ملكات أهلها التى لا تحصى .

هنا فقط فهمت المانيا نفسها وعرفت ما تريد . عرفت انها ليست أعظم شعوب الارض ، وان غيرها من الشعوب له الحق في الحياة أيضا ويستطيع اذا أراد ان يهزم جيوش المانيا التى لا تجارى .

وهنا ، وبمعرفة النفس ، وبمعرفة ماتستطيع ومالا تستطيع ، تمكنت المانيا من الحياة فى سلام ورخاء ، وهذه هي المانيا كما تراها اليوم : دولة مقسومة شطرين وقد ضاع منها جزء كبير من أرضها ، ولكنها عندما استخدمت ملكات شعبها استخداما صحيحا بما فيه خير شعبها وخير الآخرين عرفت كيف تعيش وعرفت كيف تضع نفسها فى مكان الصدارة من الامم .

وعندنا فى عالم العرب شعب لم يفهم بعض رجاله أنفسهم أو شعبهم قط فاضاعوا ـ وما زالوا يضيعون ـ على هذا الشعب فرصة الحياة فى رخاء . استخدمها قادة هذا الشعب أسوأ استخدام ، هذا البلد هو ليبيا الذى عاش شعبه طوال تاريخه كله فى فقر وحرمان وتشتت سياسى بلا حدود ، فاما طرابلس فكانت اما جزءا من تونس أو من الدولة العثمانية ، واما برقة أو بنغازى فكانت معظم تاريخها جزءا من مصر ، أما فزان فكانت تائهة فى صحارى افريقية .

ثم جاء الاستقلال وتكونت ليبيا وظهرت بشخصية دولية مستقلة وأكرمها الله بالبترول فى مقادير تجاوز الخيال ، وكان الذى وضع أساس ذلك كله هو محمد بن على السنوسى الذى يرجع اليه الفضل فى جمع شمل الشعب الليبى وتكوين دولته على النحو الذى تراها عليه اليوم ، ثم وقع الانقلاب العسكرى فى أول سبتمبر ١٩٦٩ وظهرت الفئة التى تحكم ليبيا اليوم ، فماذا فعلت بليبيا المستقلة الشاسعة الارجاء وأموالها التى لا تكاد تحصى ؟ .. هل فعلت ما فعلته الكويت والمملكة السعودية وبقية دول الخليج من استخدام المال للنهوض

بشعوبها ووضع أسس الرخاء ومعاونة المحتاجين من أفراد الاسرة العـربية ؟ لا والله ، انهم قرروا انشاء امبراطورية ٠

أجل ، امبراطورية ولا أقل من ذلك ، وفي كل حركة تحركوها داخل الاطار العربي كانت فكرة الامبراطورية هي المسيرة ، ففي محـاولة الاتحـاد مع مصر كانت الفكرة اقامة امبراطورية على رأسها امبراطور من ليبيا ، وعنـدما تكـون اتحاد مصر وليبيا وسوريا توقف في الحال لان الامبراطور الذى لا يعرف بلده ولا نفسه ولا ما يريد وجد انه لن يكون امبراطورا بل مجرد رئيس لليبيـا في اتحاد يضمها مع بلدين عربيين آخرين ٠

واتجه الامر بعد ذلك الى اسـتعمال الارهاب ، وفتحت الابواب للارهابيين وارسلت البعوث لاغتيال الخصوم أو لوضع قنـابل موقوتة في مراكز تجمـع الناس ، ودفعت أموال لكل جمعية ارهابية في الدنيا ، حتى الجيش الايرلندى، وفي وقت من الاوقات تواضعت أحلام الامبراطور الى الاكتفـاء بمالطة ، ولكن الدون منتوف بعد أن قبض مال الامبراطور رفض الولاء له ٠

وأخيرا اتجهت الفكرة الى انشاء امبراطورية تضم ليبيا وتشاد والسـودان النيلي يكون على رأسها الامبراطور الذى لا يعرف ما يريد ، وأرسـل الليبيين المساكين ليحاربوا في رمال تشاد وليهددوا السودان ، وتم حلف مع الحبشـة واليمن الجنوبية لتهديد السودان وارغامه على قبول تاج الامبراطور ٠

ولكن افريقية كلها لم تطمئن الى ذلك التوسع الخطر ، واستعان الامبراطور بالروس والالمان الشرقيين واشترى منهم سـلاحا واشترى منهم مستشارين ببلايين كان يستطيع ان يسعد بها شعبه ، وحاول في مرة أن يخيف مصر فحطمت مصر اسنانه واكتفت بذلك ٠

وبعد هذه الجهود كلها امرته روسيا بأن ينسحب من تشاد وأن ينفض يده من حلف الحبشة ويمن الجنوب وصدع للامر ، وسحب جنوده وانطوى في كسر بيته وانطوى على نفسه حتى تسنح الفرصة لتدبير جديد ٠

وشعب ليبيا ؟ لاأحدثك عن هذا الشعب الذى حكم عليه امبراطوره بالتعاسة مرتين ، فانه من الممكن أن يكون الانسان تعيسا محروما لانه فقير لا مال عنده ، أما أن يكون تعيسا ومحروما وعنده المال فهذا هو سوء الحظ الذي لا يوصف ولا يمكن قبوله ، فان البترول الذى أعطاه الله لليبيا كان كفيلا بأن يجعـل الليبيين أسعد أهل الارض ، ثم ان موقع بلادهم الجغرافي على البحر المتوسـط كان كفيلا ــ بمعاونة المال ــ بتحويل ليبيا الى جنة الدنيـا لو أن رجال ليبيـا يفكرون في شعبهم ومستقبله على النحو الذى يفكر به اولو الامر في دول الخليج والسعودية ومصر ٠

ولكن الليبي المسكين الذى فتح الله سبحانه له الابواب ليكون ذا مال مرة في التاريخ زاد مع المال فقرا ، لان حكامه فرضوا عليه نظاما اشتراكيا مع ان المال الذى لديه يجعل كل ليبي رجلا موسرا صاحب تجارة واموال وأعمال أو ذا رخاء وهدوء بال ، ولكنهم حكموا عليه بأن يكون اشتراكيا ، وجندوا أولاده وبناته من سن السادسة عشرة وأرسلوهم يقاتلون في رمال الصحراوات القـاتلة ، ولم يعجبهم اسم الجمهورية فسموا بلادهم الجماهيرية ــ بالجمع ــ يدفعهم الى ذلك مركب نقص عجيب ، وكيف يكون رئيسهم حاكما لجمهورية واحـدة ؟ لا والله هذا لايكفي ، ولا تكون الا جماهيرية ٠

معرفة النفس
واجب عسكري

سببه عدم معرفة النفس ..

ولو ان أصحابنا هناك عرفوا أنفسهم وبلدهم لكانوا اليوم أسعد اهل الارض ولكن الجهل بالنفس غلب ، وحكم على الذين جاءتهم السعادة بان يكونوا أشقياء .

وما السبب في أزمة لبنان الكبرى ؟

سببها أن أهل لبنان لم يفهموا أنفسهم ولا بلدهم ، ولا هم فكروا يوما في حقيقة أمرهم وما ينبغي لهم وما لا ينبغي .

فقد قالوا : نحن سويسرا العالم العربي ..

ونسوا أن سويسرا وصلت الى ما هي فيه من الاستقرار والتقدم لانها أدركت أول ما أدركت ان القانون واحترام القانون هما أساس ثبات الدول ورخائها .

وعندما تأسس الاتحاد السويسري قام على اتحاد سمي اتحاد أصحاب القسم (آيد جنو سنشافت) ووضعوا قوانين محكمة احترموها أشد الاحترام . واشتهروا بين الامم بأنهم أمة احترام القوانين والمواثيق ، حتى ان أي انسان من اهل الارض اراد أن يامن على ماله أودعه بنوك سويسرا ، واشتهرت صناعاتهم بالدقة والامانة حتى ائتمنتهم الدنيا كلها على صحتها ، وأصبحت سويسرا تنتج أحسن أدوية الدنيا .

ولزموا مع ذلك حيادا مطلقا لم يفرطوا فيه مهما كانت المكاسب التي يمكن ان تعود عليهم لو فرطوا فيه ، فهم مثلا ليسوا اعضاء في هيئة الامم وان كانوا أعضاء في مؤسساتها ومنظماتها ، وذلك لان هيئة الامم هيئة سياسية ، وهي قد تتخذ قرارات ومواقف تتعارض مع الحياد السويسري .

اما لبنان فقد تناسى القانون تماما داخل بلاده .

كان هناك قانون لبناني قديم عظيم ، وضع على أسلم أسس القوانين ، ولكن احدا في لبنان لم يكن يحترم القانون . والديموقراطية اللبنانية قامت على نظام غير ديموقراطي بل على أساس قبائل عشائري ، وظهرت في لبنان طائفة رؤساء العشائر التي جعلت لبنان كله اقطاعيات . هذه للزعيم الماروني الفلاني وتلك للزعيم الماروني العلاني وهذه للمسيحيين غير المارونيين وتلك لزعيم من زعماء السنة او الدروز او الشيعة وما الى ذلك .

وانتهكت كل الحقوق والاصول ، فقد يؤلف انسان كتابا يشقى فيه السنوات ويروج الكتاب بعض الشيء ، فينقض عليه الناشرون اللبنانيون ويطبعونه بالاوفست ، ويبيعونه دون علم المؤلف المسكين ، وفي يوم من الايام زارني في مدريد سفير دولة عربية وابلغني ان الموارنة خطفوا سائقه الشيعي وقتلوه لانه تزوج من فتاة مارونية اسلمت ، وانه كسفير لا يستطيع عمل شيء لانه لا وجود في لبنان لشيء اسمه القانون ويومها لم اصدق ذلك .

ولكني أصدقه اليوم ..

وها أنا أرى بعيني كيف ان لبنان كله يأكل بعضه بعضا بسبب هذا الخروج على القانون وعدم احترام القانون .

وهؤلاء اللبنانيون ينكرون على الفلسطينيين حق الاقامة في لبنان لا من ناحية الحق أو القانون بل لان وجود الفلسطينيين يخل بالوضع العشائرى فى لبنان ويجعل السنة معادلين من حيث القوة للشيعيين ٠

فهل هناك جهل بالنفس وبعد عن ادراك حقائق الامور أكثر من ذلك ؟

أليس أفضل للبنانيين ان يفهموا أنفسهم أولا قبل ان يدخلوا في الجامعة العربية ولا يعرفون كيف يفيدون منها أو كيف تفيد منهم ، لان الجامعة نفسها — بسبب تكوينها — لا تعرف نفسها ولا ماذا تريد ٠
اذن فمعظم البلاد العربية لا تعرف نفسها حق المعرفة ، ولهذا فان تصرفها غير سليم وغير منطقى وغير مفهوم فى معظم الاحيان ٠
ونتيجة ذلك ان هذه البلاد اذا اجتمع بعضها الى بعض لم تستطع الاتفاق على رأى ، بل هي تخرج من الاجتماع أشد اختلافا فيما بين بعضها وبعض مما كانت قبل الاجتماع ٠
فهل تعرف سوريا مثلا لماذا تعادى العراق ؟
وهل يعرف العراق لماذا يعادى سوريا ؟
وهل يعرف العراق حقيقة لماذا وكيف دخل في مشكلة الحرب مع ايران ؟
وهل فكر قبل دخول هذه المشكلة كيف يخرج منها ؟
وهل تعرف الجزائر لماذا تنظر بعين الريبة دائما الى المغرب ؟
ولماذا تحاول دائما أن تقتطع من أرضه قطعا ؟
وهل تعرف الجزائر حقيقة — مكانها فى عالم العرب ، ماذا تريد منهم وماذا تستطيع أن تعطيهم ؟
وهل يفهم انسان في الدنيا لماذا يوجد هناك يمن شمالى ويمن جنوبى ؟
وهل يعرف اليمن الجنوبى حقيقة نفسه وماذا يريد ؟
وهل تعرف ليبيا حقيقة نفسها وماذا تريد وماذا تستطيع وماذا لا تستطيع؟

أسئلة لا نهاية لها ٠٠

والجواب عليها واحد ٠

وهو ان الكثير من البلاد العربية لا تعرف حقيقة نفسها ولهذا فهى لا تعرف ماذا تريد وماذا لا تريد ، وهى لا تعرف بالتالى كيف تتصرف مع اخواتها العربيات ٠
الا يصلح ما حدث فى فاس لأن يكون مناسبة — صالحة ليعكف كل بلد عربى على نفسه فيدرسها ويعرف حقيقتها وماذا يريد وماذا لا يريد ؟

فاذا هو عرف نفسه جيدا وعرف ما يريد ومالا يريد ، استطاع ان يدخل مع غيره من بلاد العروبة فى اتحادات أو اتفاقات او جامعة عربية او ما يتيسر له ان يدخل فيه ٠

هنا فقط تستطيع البلاد العربية فرادى ان تصنع شيئا ٠
وهنا فقط تستطيع ان تعمل شيئا جماعات ٠

د ٠ حسين مؤنس

الوفاء

د. أحمد الحوفي

● فضيلة عظيمة نابعة من عدة فضائل ، وجامعة لعدة فضائل ، حتى ليصعب فصلها من ينابيعها ، ويتعذر عزلها من اقانيمها ..

اذا شئت جعلت الامانة من مصادرها او جعلتها من مظاهرها .

واذا أردت كان الصدق من روافدها ، او كان من آثارها .

وتستطيع أن تعد البر والعفة والكرم وطيب العشرة ، والغيرة ، من اصولها ، او تعتبرها من ثمراتها .

ذلك أن الوفاء بالعهد ، والوفاء لصاحب الجميل ، والوفاء بالحق لذى الحق ، خلق رفيع ينبع من طهارة النفس وسموها ، ويكفل للفرد وللمجتمع الذى يتحلى به وسائل السلام والامان والثقة والمحبة والتعاون والاخاء ، اذ يسارع كل فرد الى النهوض بواجبه ، وفاء لاهليه ، وللذين انتفع بجهودهم من مواطنيه ، وللدولة التى ينضوى تحت لوائها ، ولاصدقائه وجيرانه ، فى غير ما حاجة الى حافز من قانون ، أو رهبة من سلطان ، أو خشية من الناس .

وحسبنا أن نمثل ببعض مظاهر الوفاء وببعض مظاهر الغدر فى علاقات الناس الخاصة ، لتتجلى عظمة الوفاء ، وحاجة الناس اليه ، وسعادتهم به ، ولتتكشف خسة الغدر ، وما يحيق بالناس من شروره .

فهذا الاب الذى جاهد ليربى ابناءه التربية المثلى التى يستطيعها ، فشقى ليستريحوا ، وسهر ليناموا ، وارق اذا مرضوا ، ومنحهم حياته سخيا راضيا ، يسعد اعظم سعادة اذا ما كبروا فوفوا له وحاولوا أن يشعروه ببرهم به ، وانهم يجهدون ليردوا عليه بعض ما قدم لهم من خير وحب وحنان ، فان تنكروا له ، وتناسوا فضله ، وعقوه كانت الفاجعة التى لا يطيقها ، والكارثة التى يؤثر عليها أن يودع الحياة .

وهذا الاستاذ المخلص الذى بذل من روحه ونور بصره ليربى طلابه ويعلمهم ويهديهم سواء السبيل

ولقد يصطفى الاستاذ طالبا من طلابه يؤثره بالحب والرعاية ، ويوليه ثقته الكاملة ، ولا يزال يدفعه أو يرفعه ثم تنكشف الحقيقة الكريهة عن عقوق الطالب وغدره ، بغير سبب أو مسوغ ، الا خسة الطبع ، وفسولة الهمة ، ونضوب الوفاء

وهكذا تتعدد الامثال ، وتتشابه الاحوال ، لتصور الوفاء نعمة ، والغدر نقمة .



واذا كان الوفاء فضيلة تلزم بها الفطرة السليمة والوجدان الحى والعقل الرشيد ، شرفه الله تعالى بنسبته اليه فى قوله « ومن اوفى بعهده من الله » وحض على الوفاء مبينا انه ضرب من تقوى الله « فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى » .

وقد فسر الحسن كلمة التقوى بالوفاء بالعهد ، واضيفت الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها .

وقال تعالى « الذين عاهدت منهم ، ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ، وهم لا يتقون » .

***

وحسب الوفاء تشريفا ان الله عز وجل جعله من صفات العقلاء المبرئين من الاهواء، « انما يتذكر أولو الالباب الذين يوفون بعهد الله ، ولا ينقضون الميثاق » وجعل نكث العهد وبالا على ناكثه ، فقال « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أوفى الناس عهدا وذمة ، وكان وفيا لنعم الله تعالى يقدرها حق قدرها ، ويجتهد في القيام بشكرها ، قالت له السيدة عائشة رضى الله عنها وقد رأته يقوم الليل حتى تتشقق قدماه : لماذا تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال لها : افلا احب أن أكون عبدا شكورا .

وكان وفيا للعهد لا ينكثه مهما يكن في نكثه من نفع ، وكان وفيا لاهله ، ولقرابته من الرضاع ، جيء اليه باخته من الرضاع فى سبايا هوازن ، فتعرفت له فبسط لها رداءه ، وقال : ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة ، أو متعتك ورجعت الى قومك ، فاختارت قومها ، فمتعها .

وأقبل عليه أبوه من الرضاع ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه .

وكان عليه الصلاة والسلام وفيا بموعده لا يخلفه .

وكان يمد وفاءه الى الحيوان ، لقاء ما عمل وما خدم ، فقد افلتت امرأة ابى ذر على ناقة من ابل رسول الله بعد غزوة ذى قرد ، فقالت : يا رسول الله ، انى قد نذرت لله ان انحرها ان نجانى الله عليها ، فآكل من كبدها وسنامها ، فتبسم وقال لها : بئس ما جزيتها ان حملك الله عليها ، ونجاك بها ، ثم تنحرينها ، انه لا نذر في معصية لله ، ولا فيما لا تملكين ، انما هي ناقة من ابل فارجعى الى اهلك على بركة الله .

وطالما حض على الوفاء ، ونهى عن الغدر ، كقوله : ذمة المسلمين واحدة ، فان اجارت عليهم امة منهم فلا تخفروا جوارها ، فان لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة .

***

كثيرا ما استقى من ينبوع الوفاء رجال من المسلمين ، فاعتصموا بالوفاء ، وحثوا عليه ، وبرئوا من الغدر ، وحذروا منه .

وقال الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أيها الناس ، ان الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنة أوقى منه .

وقال : لقد أصبحنا فى زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ، ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة . ما لهم قاتلهم الله ؟ .. قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه ، فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة - تقوى - له فى الدين .

وقال ابو بكر : ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر .

وقال مالك بن دينار : لا يغدر غادر الا لصغر همته عن الوفاء ، واتضاع قدره على احتمال المكاره فى جنب نيل المكارم .

***

يحفل التاريخ الاسلامى بأمثلة رائعة من الوفاء ، منها ان مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية كان قد استكتب عبد الحميد بن يحيى ، فلما قامت ثورة بنى العباس ، وأيقن مروان أن نجمه الى أفول قال لعبد الحميد :أرى أن تصير الى هؤلاء فلعلك أن تنفعنى . فقال عبد الحميد : وكيف لى بعلم الناس جميعا ان هذا عن رأيك ومشورتك ، انهم سيقولون انى غدرت بك .

فلما ظفر عبد الله بن على العباسى بعبد الحميد قتله .

وكتب على بن عيسى بن ماهان الى الرشيد كتابا فيه وشاية بالبرامكة ، فدفعه الرشيد الى جعفر البرمكى ،وقال: أجب عنه ، فكتب عليه جعفر : حبب الله اليك الوفاء يا أخى فقد أبغضته ، وبغض اليك الغدر ، فقد أحببته ، انى نظرت الى الاشياء حتى أجد لك فيها مشبها ، فلم أجد ، فرجعت اليك ، فشبهتك بك . ولقد بلغ من حسن ظنك بالايام انك أملت السلامة مع البغى ، وليس هذا من عاداتها ، والسلام .

القرآن والشعر

د. عبد الرشيد مصطفاى

● للشعر على العرب سلطان عظيم ، فلا عجب ان تنزل فيه آيات فى القرآن الكريم . وقد كان خصوم النبى صلى الله عليه وسلم يبثون دعاياتهم الباطلة حوله ليصدوا الناس عنه ، ومن هذه الدعايات التى يريدون بها مهاجمة النبى صلى الله عليه وسلم والتهوين من شأنه ــ انهم زعموا ان القرآن شعر ، وان النبى صلى الله عليه وسلم شاعر ، فلا ينبغى ان يهتم به الناس اكثر من اهتمامهم باخواته من الشعراء الذين خفت دويهم بعد موتهم ! ..

وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى فى سورة الطور بقوله : « ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » .

افترون ان القرآن يسكت عن افتراءاتهم ولا يرد مزاعمهم المغرضة ؟ كلا ... لقد ورد فى سورة يس قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

ثم ورد فى سورة الشعراء قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا » . وهذه الآية الكريمة تبين لنا بوضوح موقف القرآن من الشعر والشعراء ، وهذا الموقف عندنا حاسم ، فلو يسر للمسلمين ان يقفوه ، لكان للشعر عندنا شأن آخر ــ كما سنبينه فيما بعد ...

اما ان يكون العرب يعرفون حق المعرفة ان القرآن ليس بشعر ، وان النبى ليس بشاعر ، فهذا أمر لا يحتاج الى بيان .. انما هى الدعايات الكاذبة يستعملها الخصم المغرض عسى أن تروج عند بسطاء العقول من الناس .

ولكن المهم فى هذه الآية الكريمة ان نرى القرآن يجعل الشعراء كسائر الناس مسئولين عما يقولونه ويفعلونه ، وان شعرهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم كلام « فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح » فحسنه ما كان محافظا على مكارم الاخلاق داعيا اليها ، ساعيا فى غرسها فى نفوس البشر ، فيكون

الشاعر قد قام بوظيفة في المجتمع قياما يعــود على البشرية بالخير العميم ...

واما قبيحه ما كان هادما للفضائل داعيا للرذائل بتحسينها واستهواء الناس اليها حتى يعم الشر والفساد .

فنحن اذن امام نظرية الفن للاخلاق لا الفن للفن ... والآية الكريمة قد وصفت لنا اصحاب النظرتين بقوله : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » ، ان اكثر الداعين ان يكون الفن للفن يصدق عليهم وعلى اتباعهم وصف الغواية ، اذ فصلوا الفن عن الاخلاق ، فالشاعر او الفنان لا يعنى الا بفنه ، فالاخلاق الفاضلة لا تهمه ، ولا يرى لها دخلا فى اتجاهاته الفنية اذ ليس لنا فى نظره ان نهتم بسيرة الشاعر واخلاقه وانما اهتمامنا ينبغى ان يوجه الى شعره كانه ليس مسئولا عما يعمل ويقول ، انما هو مسئول من فنه هل اجاد فيه او لا .. فكانما ارباب الفن طبقة ممتازة فوق البشر لا تسأل عما يسأل عنه سائر الناس من الاعمال الصالحات ، وقد وجدوا عندنا مبررا لهم فى قوله تعالى : « .. وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

ومما يوضح لنا هذا ما حكى عن سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموى لما سمع الفرزدق ينشد :

فبتن بجانبى مصرعات
وبت افض اغلاق الختام

فقال له : قد وجب عليك الحد ـ لانه اعترف بمعصية واقر بها ـ

فقال يا امير المؤمنين قد درا الله تعالى عنى الحد بقوله سبحانه : « وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

واما اصحاب نظرية الفن للاخلاق فنستجليهم من قوله تعالى : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » هذه الجماعة بفضل ايمانها واعمالها الصالحات لا تعادى مكارم الاخلاق بل تسعى فى تدعيمها فى المجتمع ورعايتها بالذود عنها ، فهم يعتقدون انهم مسئولون عما يقولونه ويفعلونه .

وهذا ما نبه اليه الشعراء ، عمر بن عبد العزيز لما وقفوا ببابه فلا يأذن لاحدهم بالانشاد عنده حتى يقول له : قل ولا تقل الا الحق ، انك مسئول عنه .

والنبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وكل اتقياء المسلمين كانوا يودون أن يوجه الشعر هذا التوجيه الجديد الذى يريده الله تعالى له ، وقد اسلفنا حكم النبى فى الشعر فى قوله صلى الله عليه وسلم : « الشعر كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح » .

ولزيادة الايضاح نقول أن النبى صلى الله عليه وسلم يشير الى قوة تأثير الشعر فى النفوس ولا سيما نفوس العرب ، ولذلك لما اشتد هجاء قريش له ، انتدب حسان بن ثابت للدفاع ، وقال له : « اهجهم فوالله لشعرك اشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام » .

انظروا الى قوله « اشد عليهم » كيف يصور لنا تأثر العرب العظيم بالشعر حتى كان يرفع الخامل ويضع الرفيع ! ..

فقصة البسوس فى اثارة الحرب بين بكر وتغلب ، وقصة بنى انف الناقة مع الحطيئة ، وبنى النمير مع جرير ـ لادلة قاطعة على ما للشعر من تأثير شديد ...

فلا عجب اذن ان يقف المسلمون بعد نزول تلك الآيات فى الشعر والشعراء ، موقفين ... فمنهم من اعتدل ، ومنهم المتورعون الذين شددوا النكير عليهم حتى صاروا يسألون العلماء كابن عباس وابن سيرين عن الغزل الرقيق : ما حكم انشاده فى المسجد .

القرآن والشعر

نعم ان في موقفهم لقلوا بينا ، اذ النبي صلى الله عليه وسلم أنشده في المسجد كعب بن زهير قصيدته المشهورة التي افتتحها بالغزل والتي يقول في مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم أثرها لم يفد مكبول

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم، بل أثابه بالقاء بردته عليه ..

***

ولكن اعترى الشعر في صدر الاسلام فتور وضعف بسبب اشتغال المسلمين بالفتوحات ، وكثرة التورع الذي يجعل الشعر أشبه شيء باللغو الحديث .. ولا ننسى كذلك مقدار تأثر العرب بالقرآن وكيف بهرهم بفصاحته وبلاغته حتى استصغروا شأن الشعر ، كما وقع للبيد لما سأله عمر بن الخطاب ان يرسل اليه ما قاله في الاسلام ، فأرسل اليه بالفاتحة ، وكتب له ان الله تعالى اغناه عن قول الشعر بمدارسة القرآن ...

ثم كان القريض يتوجه هذه الوجهة الجديدة وجهة الاخلاق وصيانتها ، فكف الشعراء عن ذكر الخمر والسباب والشتم . وكان عمر بن الخطاب يعاقب على الهجو . وقد سجن الحطيئة حتى تاب .

ولكن لم تدم هذه الفترة الا قليلا ..
فلما كانت دولة الامويين عاد الشعر الى سيرته الاولى التي عرفناها له في الجاهلية مع تحفظ قليل ، ولا سيما ذكر الخمر ووصفها ، اذ لم يشتهر ذكرها الا عند الاخطل الشاعر النصراني الذي جرأته السياسة على هجو الانصار بايعاز من يزيد بن معاوية ، فقال فيهم ذلك البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم كلها
واللؤم تحت عمائم الانصار

فجاء معاوية النعمان بن بشير الانصاري فقال وحسر عن جبهته عمامته: اترى لؤما ، قال معاوية : لا بل خيرا وكرما .. قال : الاخطل يزعم ذلك ! قال : ان نعلها فلك لسانه !

فلما بلغ الخبر الاخطل التجأ الى يزيد ،وشفع له عند النعمان بن بشير ، واستوهبه فوهبه له ...

وهكذا اخذت السياسة تفعل افاعيلها فنرى الاخطل مدافعا عن خلافة الامويين ، يجرؤ على هجو الانصار وتعيير المسلمين بتمسكهم بقواعد دينهم .

ويتسع الخرق ويستفحل الشر ، فتنقسم الوحدة الاسلامية الى عدنانية وقحطانية بسبب السياسة ، وتنقسم العدنانية الى ربيعية ومضرية ، ثم المضرية الى قيسية وتميمية . وتعصب بنو أمية في أول امرهم الى اليمانية ، لأن القيسية كانت شيعة عبد الله بن الزبير ، ثم تعصبوا لمضر بعد عصيان أولاد المهلب لهم بخراسان لانهم هم وأنصارهم من اليمانية . ولكل حزب من هذه الاحزاب شعراء معدودون وكان بعض امرائهم وولاتهم يغري بعض الشعراء ببعض فيقع بينهم التهاجي والتناقض ، كالذي وقع بين جرير والفرزدق والاخطل . حتى صار العرب في الهجاء الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية ...

وحتى أحيوا تلك الحمية الجاهلية والتعصب القبلي ، وقد جاء الاسلام بمحوهما وجمع كلمة المسلمين .

ثم جاءت الدولة العباسية فزاد الخرق اتساعا والشر استفحالا لتأثرها بالمدنية الفارسية ، اذ كان تأسيس هذه الدولة على يد الفرس ، فكان لزاما ان يشاركوا العباسيين في الحكم ، فكان منهم الوزراء كالبرامكة ، حتى ابعدهم الرشيد بقتلهم وذلك لاستبدادهم بالملك دون الخليفة ، فلا



المصحف الشريف مخطوط من مكتبة المصحف الشريف في المدينة المنورة

عجب اذن ان يتـأثر بهم كل من يتقرب اليهم من الشعراء والكتاب ، بل تجاوز ذلك الى جل الحضريين فصارت الاطعمة والملابس والابنية وحتى الاحتفال بالاعياد صار كل ذلك فارسى الصبغة، ونقلت الدولة كذلك النظام الكسروى فى تنسيق دواوين الدولة واساليب الحرب .

وانتشرت الآداب الفـارسية فى الناس فاتجه الشعر وجهتين وجهة رسمية ووجهة غير رسمية فاما الوجهة الرسمية كانت تظهر فيها المحافظة على الاوضاع القديمة التى ورثها من شعراء الجاهلية من استهلال بالوقوف بالاطلال فذكر الحبائب فوصف الناقة وذكر الصحراء وان لم يركب الشاعر ناقة ولا اخترق صحراء ...

وكان الخلفاء جد حريصين على هذه المحافظة التى تربط حاضرهم بماضيهم ...

واما اذا خلا الشاعر بنفسه نزع عن هذه الاوضاع واستهجنها واندفع فى تقليد الفرس فى آدابهم ..

ويمثل لنا هاتين الوجهتين أبو نواس احسن تمثيل ، فنراه اذا وقف امام الخليفة انشد شعرا لا يخالف فى أوضاعه ومتانته وجزالة لفظه شعر من تقدمه من شعراء بنى امية وشعراء الجاهلية . ولكن عندما يحظى بمنادمة الاصحاب والخلان ، يعدل من هذه الاوضاع ويستهجنها وينعى على من يحاكيها الوقوف بالاطلال ووصف الناقة ، ويحرض معاصريه أن يثوروا معه ضد هذه الرسوم ليعدلوا عنها الى وصف البساتين والقصور وذكر الخمر وركوب السفن ! ..

وتعدت هذه الثورة على الاوضاع الشعرية القديمة الى الاخلاق والعقائد الاسلامية ، وقد كانت جماعات من الفرس اللذين لم يسلموا الا رئاء الناس وهم باقون على عقائدهم الفارسية القديمة بفضل الحرية التى شملتهم ، يجاهرون بالزندقة والالحاد والفجور ، ويرون من تمام اللذة ان يجهر المرء بعصيانه وفسوقه كما فعل أبو نواس فى قوله :

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا امكن الجهر

وقد صدقت فيهم هذه الآية الكريمة: « بل يريد الانسان ليفجر امامه » .

أجل ، وما هذه الدعوة الشنعاء الى التحرر من الواجبات الدينية والخلقية الا ليتسنى للانسان ان يفجر امامه ، وان ياتى من المنكر ما ياتيه ، لا وازع يردعه ولا قانون يزجره ، فيندفع فى شهواته ، وهذا ما جعل ابن عبد ربه يحكى فى العقد الفريد عن بعضهم وهو ينظر فيما ورد فى شعر عنترة من

القرآن والشعر

التباهي بمكارم الاخلاق كالذي جاء في هذا البيت :

واغمض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي ماواها

وفيما ورد في شعر ابي نواس من التحرر من كل واجب ديني او خلقي كما في قوله :

كان الشباب مطية الجهل
ومحسن الضحكات والهزل

قال عندما نظر في ذلك : وددت لو ان مع اسلافنا كرم اخلاق آبائنا في الجاهلية ... الا ترى عنترة الفوارس جاهلي لا دين له ، والحسن بن هانيء اسلامي له دين ... فمنع عنترة كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانيء دينه ...

وهكذا كلما تقدمت الايام زاد الشعر عند فاسدي الاخلاق من الشعراء امعانا في الشر والفساد ، حتى اداهم ذلك الى فساد الذوق وسماجته ، وفي كتاب اليتيمة للثعالبي نماذج تبين الى اي حد تسقط النفوس وتنفسد اذواقهما عندما تذوب الواجبات الدينية والخلقية .

***

يجدر بنا الآن بعد استعراضنا الوجيز لهذه الوجهة السيئة التي اتجهها الشعر العربي من جراء السياسة والمحاولة للتحرر من الدين والاخلاق . ان نعرف موقف المسلمين من الشعر ، فلا نبعد من الحقيقة اذا قلنا انهم افترقوا فرقتين احداهما مؤلفة من الفقهاء والوارعين منهم ، فما زالت منذ صدر الاسلام ولا تزال الى يومنا هذا تعد الشعر كلاما حسنه حسن وقبيحه قبيح ، كما اسلفنا ذلك . فهي تشدد النكير على هذا الشعر السيء الفاسد الذوق المفسد للاخلاق . ولكن يا للاسف لم تكن هذه الجماعة الاثرية حتى تفرض نظريتها على الشعراء والكتاب ، ولم تكن كذلك في غالب الاحيان من ارباب الفن . فنظرها وان كان من حيث الاستقامة الخلقية ذا قيمة عظيمة ، لم يكن من حيث الشعر والفن شيئا مذكورا ! ..

واما الفرقة الثانية المؤلفة من ارباب اللغة والادب والشعراء والكتاب ، فقد وقفت موقفا يكاد يكون خاليا من التأثر بالآية الكريمة التي وردت في سورة الشعراء والتي تحدد لنا كما رأيناه موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء .

فاخذ الناس ينسجون على منوال الشعر الجاهلي ويحاكونه بما فيه من خير وشر ، وصار النقاد لا ينظرون اليه الا من الوجهة الفنية واللغوية والتاريخية كذكر وقائع العرب ... واما اخلاق الشاعر فلا تعنيهم . وصاروا يفرضون محاكاة الشعر القديم على الشعراء حتى صار احدهم اذا قال شعرا او الف كتابا نسبه الى شاعر او كاتب قديم ليحظى باستحسان .

وقد يحكى عن الاصمعي في هذا شيء طريف جاء عن اسحاق الموصلي انه انشد الاصمعي هذين البيتين :

هل الى نظرة اليك سبيل
فيبل الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي
وكثيرا ممن تحب القليل

فقال الاصمعي هذا والله الديباج الخسرواني ... ولمن تنشدني ؟ فقال اسحاق الموصلي انهما لليلتهما . فقال لا جرم ان اثر التكلف فيهما ظاهر ...

فهذا الموقف من علماء اللغة ضيق المجال على الشعراء بفرض اوضاع الشعر الجاهلي عليهم فلم يتحرروا منها بعض التحرر الا في القرن الرابع مع المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤) .

لم ان تطور تقدمهم على الفن ، جعلهم يلتمسون الاعذار للشعراء فيما يرد في كلامهم من السخافات والحماقات ، وهذا ما جعل القاضي

على بن عبد العزيز الجرجاني فى كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ينتصب مدافعا عن المتنبى لما نعى عليه خصومه سخافاته التى تنم عن فساد العقيدة الدينية والاستخفاف بها .

فهذه الامثلة تدلنا دلالة واضحة قاطعة على ان اكثر الشعراء والادباء والنقاد وقفوا موقفا مناصرا لنظرية الفن للفن ، وصرحوا تصريحا لا يحتمل التأويل أن لا دخل للدين والاخلاق في الشعر خاصة وفى الفن عامة ...

فنحن الآن واجدون أنفسنا امام مشكلة عظيمة تجعلنا نتساءل عما اذا كانت البشرية بعد هذه التجارب المديدة وهذه القرون الطوال التى مارست فيها الفن والادب ، لا تستطيع أن تنتج فنا أو أدبا الا اذا تحررت من الدين والاخلاق ، فنحكم كما حكم الاصمعى عندما نظر فى شعر حسان بن ثابت فقال الشعر نكد يقوى فى الشر ، ويضعف فى الخير ، قوى فى شر الجاهلية ، وضعيف فى خير صدر الاسلام ...

ولكن نقول انه من سوء حظ البشرية ان لا يكون لها فى سبيل الفن الا وجهة الفن للفن مع ما فيها من نبذ الدين والاخلاق ، اذ لابد لها من الدين والاخلاق لتتم سعادتها ...

فما العمل يا ترى ؟ ان الفصل في هذه المسألة لعسير جدا ، ولكن ليس بالمستحيل ، فنحن نعتقد ان وجهة الفن الاخلاقى هي التى تكفل للبشر سعادتهم مع ارضاء رغبتهم فى الانتاج الفنى انتاجا ساميا ...

ولكن للقائل ان يقول ما نصنع بالشعر الذى قيل فى الغزل العفيف والزهد والتصوف ، فهو لا محالة ينم عن اخلاق فاضلة ...

اجل ، غير انه فى جملته لم يرق أربابه الى درجة الفحول على ما فى الزهديات من قصور فى ارضاء كل رغبات الناس المختلفة ، اذ توجههم الى الآخرة وتصرفهم عن الدنيا وما فيها من الطيبات التى اخرجها الله لعباده وجعلها حلالا لهم وما فيها كذلك من المحاسن التى تبتهج بها النفوس .

واما الصوفيات فعيبها جاءها من تمسك اصحابها بالاوضاع المعروفة فى الشعر العادى وتأويلها تأويلا باطنيا يجعلها غامضة لا تعنى الا طبقة خاصة من الناس . فهى بعيدة عن متناول كل احد .

ولكن هذا لا يمنعنا ان نقدر لهذا النوع من الشعر قدره فى محافظته على الدين والاخلاق ولا سيما الغزل العفيف والزهد ، بل يجعلنا نعتقد انه متى تظافر على الشاعر وسط مستقيم وتنشئة قويمة ومزاج سليم استطاع أن يأتينا بروائع فنية .

وهذا ما فطن له الشاعر الروسى الكبير نيكولا كوكول صاحب الارواح الميتة ، اذ نظر فى ادبه الرائع فوجد نفسه بارعا فى وصف النفوس الشريرة وتحليلها ، فحكم أن ذلك اتاه من قبل نفسه التى لم تهذب تهذيبا يوجهها الى الخير وتمكنها من وصف نفوس الابرار لتكون قدوة صالحة للناس ، فانبعثت فيه رغبة الى التقوى والاصلاح فتنسك وانعزل فى دير حتى مات ...

وفى الختام ، نرى لو ان جمهرة الادباء تمسكوا فى أدبهم بروح الآية الواردة فى سورة الشعراء وبروح القرآن عامة ، لخلفوا لنا تراثا نقيا ساميا انسانيا تنم منه الفضائل التى بدونها لا تستطيع البشرية ان تاخذ حظها من السعادة التى تنشدها فى هذه الدنيا ...

د . عبد الرشيد مصطفاى
كلية الآداب ــ جامعة الجزائر



قصة حياة الكتابة والكتاب

مصطفى الشهابى

ليس من السهل تحديد التاريخ الذى ظهر فيه « الكتاب » لاول مرة ، فقد بدأت الكتابة كنقوش ورسوم منذ بدء التاريخ .

والمقصود بكلمة « الكتاب » هنا هو الكتاب بمدلوله الحالى ، اى مجموعة الصفحات المخطوطة او المطبوعة التى تكون وحدة قائمة بذاتها ، سواء وصلت او ثبتت او خيط بعضها ببعض .

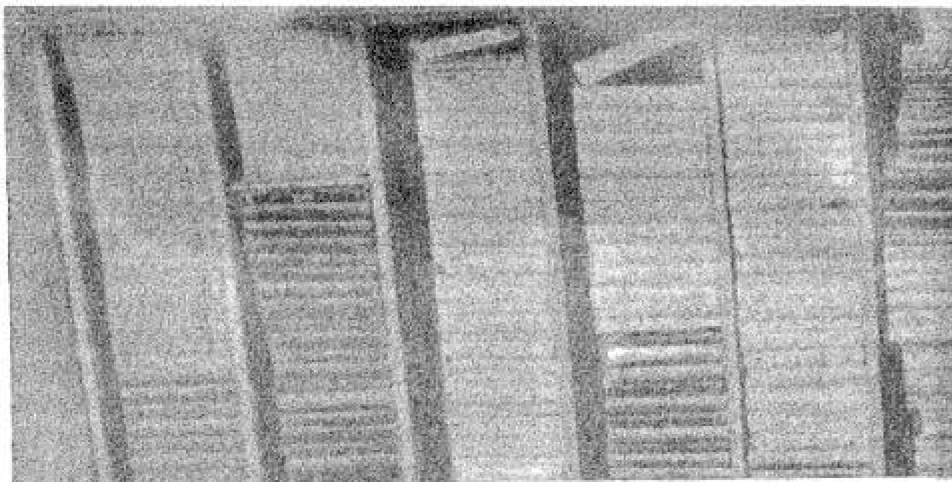
ومن الطبيعى أن الكتاب على تلك الصورة لم يظهر الى الوجود الا بعد ان عرف الانسان نوعا من الكتابة،وبعد ان عرف بعض المواد اللازمة للكتابة ، وحين ادرك أن لديه ما يجب عليه تدوينه ، أو ما يريد نقله الى من يهمه أمرهم ، او الى ابنائه واحفاده بطريقة اضمن مما يحققه النقل عن طريق المشافهة او النقش على الحجر او الفخار او الطين المجفف او الصلصال او العظام او الخشب او سعف النخل او لحاء الشجر ، او غير ذلك من المواد التى استعملها القدماء للكتابة عليها ومنهم العرب بطبيعة الحال .

وقد تطورت الكتابة بفضل السكان القدماء فى مواطن الحضارة بالشرق القديم وهى وادى النيل ، ووادى دجلة والفرات ، ووادى اليانج تسى كيانج بالصين ،فعرف المصريون القدماء الكتابة الهيروغليفية ثم الهيراطيقية ثم الديموتيقية وعرف البابليون الخط المسمارى الذى انتشر فى انحاء الشرق الادنى ، وعرف الصينيون ضربا من النقوش الكتابية انتشر فى الشرق الاقصى ولا يزال سائدا حتى اليوم .

كان الانسان الاول يعبر عما يخالجه بنقش الرسوم ثم تطورت هذه الطريقة الى التعبير عن المقاطع والكلمات بنقوش اصطلاحية . وكان للمصريين الفضل الاكبر فى الوصول الى القواعد الاساسية للكتابة حين ابتكروا الحروف الهجائية

والحروف التى تستعملها الآن معظم دول العالم ، كلها من مصدر واحد ، الا وهو الكتابة المصرية القديمة او الهيروغليفية ، أى النقوش المقدسة ..

وقد نقل الفينيقيون ـ لبنان ـ عن



المصريين هـذه الكتـابة وتفرعت عن الفينيقية سائر الحـروف الهجائية في أوروبا والشرق الادنى ، مما لا يتسـع المقام لنا لتناوله بالشرح والتفصيل ..

● **اوراق البردى :**

ولم تكن المواد التى استعملها القدماء فى البداية كالنقش على الحجر وغيره مما سبقت الاشارة اليه ، لم تكن تلك المواد سهلة فى الكتابة عليها ، او لها اثر فى نشر الافكار وتحقيق المطلوب من التدوين فكان لابد من البحث عن مادة خفيفـة ومتينة ، تجمـع بين المرونة والرخص والسهولة فى الكتابة عليها ..

وفطن المصريون الى مزايا نبـات البردى فاستعملوه فى الكتابة ، والبردى نبات كان يكثر بالوجه البحرى فى عهد الفراعنة ، على حافة الترع والمستنقعات وكان العامة يأكلون جذوره وقلب سيقانه لوجود مادة سكرية به تجعله لذيذ الطعم نوعا .

وقد اختفى نبات البردى من مصر ، غير انه يستنبت الآن على ضفاف النيـل بفضل جهود المهندس والسفير السابق الدكتور حسن رجب ، الذى استطاع ـ بعد بحوث مجهدة وطويلة ـ أن يحقـق عملية الاسـتنبات ، اذ طار الى أعـالى السودان لجلب بذور البردى واكتشف بنفسه دورته الزراعية وكمية المياه التى يحتاجها ومرحلة النمو التى يصلح فيها لعمل الورق . ثم اهتم بعدئذ بمعـرفة كيفية صـنع الورق من شرائح نبـات البردى ، ونجح فى هذا الميدان واخـرج لنا ورقا برديا ، أقبل عليه السـائحون وقد استعمل فى كتابة شهادات التقدير التى منحت للنابغين فى أعياد الفن خلال السنوات الاخيرة ..

وكانت طـريقة قـدماء المصريين فى صـناعة ورق البردى هى ازالة طرفى ساق النبات ثم تجفيف السـيقان فى الشمس ، وبعدئذ تشق الى شرائح ؛ توضع جنبا الى جنب وتدهن بالصمغ ثم توضع طبقة اخرى وضعا عكسيا وتصمغ الطبقتان وتكبسان فيتم التئامهما وتتكون ورقة رفيعة نوعا . وأخيرا يصـقلونها لتصبح ناعمة الملمس صـالحة للكتابة ، ثم تضم الاوراق المنفصـلة بعضـها الى بعض وتلصق فتتكون منها لفـائف أو ادراج قد يزيد طولها احيانا على عشرين مترا .

أما الصكوك والاتفاقات أو ما شـابه ذلك فكانت أوراقها صـغيرة المسـاحة « كالفولسكاب » المعروف اليوم .

وكانت اللفائف تربط غالبا بخيط ، اما اللوائح والاوامر الصادرة من فرعون فكانت تربط وتعقد بالخيط ثم توضـع على العقدة قطعة من الشـمع او مزيج خاص من الطين وتختم بخاتم فرعون أو برمز خاص ، وتصبح اضابير تحفظ فى حجـر خاصـة على أرفف ، فاذا لزمت الحاجة اليها ، فض عنها الختم ثم اعيد بصمها مرة اخرى .

وكثيرا ما كانت تغسل الكتابة وتجفف

الكتابة والكتاب

الورقة ويكتب عليها من جديد . ورغبة في الاقتصاد كان الكاتب يستعمل وجهي الورقة البردية .



واستعمل الفراعنة نوعين من المداد : الاسود ثم الاحمر للتصحيح وكان المداد الاسود يصنع من هباب المصابيح والصمغ العربي أما الاحمر فمن المغرة الحمراء مع الصمغ ، وتجهز على شكل اقراص يابسة ، تذاب عند استخدامها للكتابة .

أما الاقلام فكانت من البوص أو القصب تبرى أطرافها أو من ريش الطير بقيت الدواة وكانت عادة مقلمة بها فراغ لوضع اقلام البوص وتجويفان لاقراص المداد ومحبرة . وكانت الكتابة تجفف غالبا باستعمال الرمل الناعم ، وظلت طريقة التجفيف هذه مستعملة حتى اخترع ورق النشاف في أواخر القرن التاسع عشر .

وكانت لفافة البردي تطوى بحيث يكون وجهها المكتوب الى الداخل ، كما كانت تثبت عصا صغيرة في نهاية اللفافة لتطوى حولها ، كما هو الحال في الخرائط الجغرافية والمصورات المدرسية للحيوان والنبات وغيرها . واضيفت الى اللفافة احيانا قطعة صغيرة مدلاة فيها عليها عنوان المخطوط أو محتوياته .

وليس من السهل تحديد التاريخ الذي بدا فيه استعمال أوراق البردي ، ولكن أقدم الوثائق البردية المعروفة ترجع الى عهد الاسرة الخامسة اي منذ نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

وقد اشتهرت في علم الآثار عدة برديات بسبب ما كتب عليها من موضوعات لها أهمية خاصة كبرديات اخبار الملوك وبرديات العلوم والطب والحكم والمواعظ والقصص .

وكانت هناك برديات جنائزية تدفن في القبر مع المتوفى من الاغنياء ، والغرض منها اعطاء المتوفى ارشادات يستطيع بها أن يجتاز الرحلة الخطيرة الى العالم الثاني (الآخرة) — حسب عقيدتهم ..

وكان ورق البردي يصدر من مصر الى بلاد الشام والى اليونان ، ولما فتح الرومان مصر اقبلوا على استعمال البردي

واستعمل العرب البردي في الكتابة وكانوا يسمونه « ورق القصب » .

● **الالواح الخشبية :** —

وعرف العبرانيون والاغريق الكتابة على ألواح صغيرة ورقيقة من الخشب وانتشر استعمالها عند الرومان وكانت تدهن بالشمع ليسهل محو مداد الكتابة واستعمالها مرات أخرى ، وهذه استعملها التلاميذ في كتابة دروسهم ، كما استعملت في المراسلات وما شابهها وظلت مستعملة حتى القرن الثالث عشر بل وما بعده .

والى عهد قريب عندما كانت الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن ، استعمل صبيتها ألواحا من الخشب كانت تطلى بطلاء ابيض او اصفر وفي اعلى كل منها قطعة خشبية من اللوح ليمسك بها الصبي ، وبها ثقب فيه قطعة دوبارة لتعليقه . وقد يضع بعض الصبية في العلاقة « شرابة » أو قطعة صوف أو قطن لمحو اللوح بدلا من تلويث اليد والاصابع والثياب عند المحو باليد .

وكانت الكتابة بالحبر ذي اللون البنفسجي ، وفي نفس الوقت كانت الالواح الصفيح مستعملة ، وأخيرا استعملت الالواح « الاردواز » .

● **الجلود :**

واستعمل المصريون القدماء جلود الحيوان للكتابة . وكانت اكثر كتابة العرب وملوكهم في الجاهلية وبدء الاسلام على الجلود ، ويقال للمدبوغة منها « الادم » ومنها كانت صحيفة « المتلمس » التي يضرب بها المثل .

وكانت غالبا من جلود الابل لوفرة ما كان ينحر منها للطعام وقرى الاضياف ومنها كان معظم اتجارهم في الاسواق وفي ما جاور من البلاد واشتهر بها في الجاهلية أبو سفيان ، والد معاوية ، وعمرو بن العاص الذي كان يختلف بتجارته الى مصر وهي الادم والعطور.

وكانوا يكتبون أيضا في جلود الغنم

والمعز وسائر الدواب الوحشية والاهلية وفضلوا الجلود البيض للكتابة لظهور سواد الحبر عليها .

وبديهى أن الكتابة على الجلود قبل الدباغة كانت صعبة ، ولا شك أنها كانت تصقل ليسهل مر القلم عليها ويسرع الخط فيها . وكانت تباع فى حوانيت الجزارين مصقولة . ثم عرفت الدباغة فلانت الجلود ورقت وهانت الكتابة عليها .

وكانت الفرس تتخذ الجلود فى الدواوين لطول بقائها ، وروى ابن المقفع أن الاكاسرة كرهوا رائحة دباغة الجلود حين كانت ترفع اليهم ، فامروا بدهنها بالزعفران وتطييبها بماء الورد .

واكثر ما كان يكتب فى الجلود صكوك العقارات والضياع لقوتها على البقاء .

● **الرقوق :**

وهى جمع رق (بفتح الراء وتشديدها) ويستدل من لفظها أنها كانت جلودا رقاقا ، وكانت منها انواع فى غاية الرقة والنعومة ، تكاد تماثل الورقة ، وقد شاع استعمال الرق فى الشرق فى أواسط القرن الخامس قبل الميلاد حسبما روى هيرودوتس ، أبو التاريخ .

وكان الرق يصنع من جلود الحملان والغزلان والنعاج .

وقد ظل استعمال الرقوق سائدا فى اوروبا حتى أوائل القرن الحادى عشر وهو بدء ظهور الورق المصنوع من القطن وخرق الاقمشة وغيرها .

● **الورق :**

الورق بمفهومه الحالى عرفه الصينيون وقد انتقلت صناعته الى العرب عن طريق صناع الورق الصينيين الذين أسرهم حاكم سمرقند (بلدة بجمهورية أوزبكستان الروسية ووسط آسيا) فى قتال له مع الصين . وقد استقدم الرشيد هؤلاء الاسرى وأسس مصانع للورق ١٧٦ هـ (٧٩٢م) ثم انتشرت صناعة الورق فى دمشق والقاهرة والاندلس .

وقد تعلم صنع الورق فى دمشق أسيران فرنسيان خلال الحروب الصليبية وهما اللذان نشرا هذه الصناعة فى فرنسا ومنها انتقلت الى بقية أوروبا ، بعد أن كان الاوروبيون يستوردون الورق من الاندلس ، اذ كانت طليطلة اشهر المدن فى صناعة الورق يومئذ .

● **الخط العربى :**

كان الخط العربى وتطوره موضع دراسات متعددة فهناك الخط الحيرى والانبارى والمكى والمدنى والكوفى والبصرى وقد عرف العرب بعضها قبل الاسلام وبعضها عرفوه بعده .. وكان اول انتشار للكتابة العربية من مكة الى المدينة ثم ذاعت وانتشرت مع غزوات العرب خارج الجزيرة العربية .

والخط العربى عدة أنواع منها الخط الكوفى والثلث والرقعة والريحانى والديوانى وغيرها .

وقد استعمل الخط العربى استعمالا زخرفيا وانتشر استعماله فى جميع الاعمال الفنية الاسلامية ، وبمعرفة اسلوب الخط وزخارفه يمكن معرفة تاريخ الاثر الفنى .

● **الطباعة :**

قد لا يهمنا من تاريخ الطباعة الا الطباعة بحروف عربية . وأول كتاب عربى طبع فى ايطاليا سنة ١٥١٤ وهو كتاب « صلاة السواعى » وهو كتاب دينى مسيحى ، ثم كتاب « مزامير داود » سنة ١٥١٦ بايطاليا ايضا .

وكانت حلب المدينة السورية الاولى التى استخدمت المطبعة وذلك عام ١٧٠٦ وطبع فيها كتاب « المزامير » ولكنها لم تعش الا سبع سنوات وتلتها لبنان اذ انشأ الشماس عبد الله الزاخر مطبعة كاملة بالشوير وذلك عام ١٧٣٣ .

وعندما احتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ جلبوا معهم مطابع وحروفا عربية وفرنسية ، وقامت هذه المطابع بطبع الاوامر واللوائح والقوانين والصحف . وجدير بالذكر أن الفرنسيين فى سنة ١٨٠١ ، لما جلوا عن مصر ، حملوا معهم

الكتابة والكتاب

مطابعهم . وبذلك لا يصح القول بأن الفرنسيين أدخلوا الطباعة في مصر .

وظلت مصر دون مطابع حتى عام ١٨١٩ عندما وضع محمد علي باشا حجر اساس مطبعة بولاق (المطبعة الاميرية) وخرج اول كتاب منها سنة ١٨٢٢ ، وكان ((قاموس ايتلياني وعربي)) .

وعرف العراق المطبعة عام ١٨٣٠ كما عرفتها فلسطين في نفس العام على ايدي اليهود .

ودخلت الطباعة اليمن سنة ١٨٧٧ بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني ، ودخلت الحجاز عام ١٨٨٢ .

وقد انتشرت المطابع في مصر منذ عهد سعيد باشا ومنها مطبعة احمد البابي الحلبي التي انشئت سنة ١٨٥٦، ومنها المطبعة الاهلية القبطية التي انشاها الانبا كيرلس الرابع سنة ١٨٦٠ .

ومن الطريف أن البطريرك لما علم بوصول المطبعة الى الاسكندرية أمر باستقبالها باحتفال رسمي يسير فيه الكهنة والشمامسة بملابسهم الكنائسية الخاصة . وعندما سئل عن السبب الذي دعاه الى الاحتفاء بتلك المطبعة أجاب : « انما أحيي النهضة العلمية ، لان هذه الآلات الحديدية هي الواسطة الوحيدة للرقي .. واني لو كنت حاضرا لهتفت أمامها طربا كما فعل داود النبي أمام تابوت العهد » .

وأقدم المطابع (ودور النشر) في مصر حاليا هما دار الهلال ودار المعارف الاولى أسسها جرجي زيدان والثانية نجيب متري . وقد اصدر جرجي زيدان مجلة الهلال عام ١٨٩٢ ، وكان يلحق بكل عدد عدة صفحات مما ألفه من روايات ، كما أصدر كتبا لاتزال من أهم المراجع في الادب والتاريخ ثم توالى نشاط دار الهلال خلال العشرينات وما بعدها اذ أصدرت عددا كبيرا من الكتب والمجلات .

● الوراقون :

أما الوراقون فهم الذين صنعتهم الوراقة (بكسر الواو) ومفردها وراق (بفتح الراء وتشديدها) . وهي حرفة احترفها كثير من العلماء الذين كانوا ينسخون الكتب ويصححونها ويجلدونها **ثم يتاجرون فيها ، بل كان عملهم أكثر من ذلك اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب ـ أو ينسخ تحت اشرافه ـ ثم يصحح هذا الكتاب حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه .**

وكان ابن النديم صاحب كتاب الفهرست وراقا ، وكذلك ياقوت صاحب معجم الادباء ، لذلك كانت دكاكين الوراقين ملتقى الادباء والعلماء والشعراء

وكان الكتاب يقدر بعدد الاوراق وكان عدد مافي الصفحة عادة نحو عشرين سطرا .

● اول تجارة للكتب :

وقد نشأت أول تجارة للكتب في مصر وأول التجار هم الذين كانوا يبيعون « كتاب الموتى » الذي كان يوضع مع الميت في قبره .

وكان كتاب الموتى يتضمن ارشادات للميت للاجابة عن الاسئلة التي توجه اليه بعد موته .

وقد انتشرت تجارة الكتب اليوم وخاصة الكتب المستعملة ولعل أشهر دار لبيعها هي مكتبة « فويلز » بلندن وعلى ضفاف السين بباريس تباع الكتب الثمينة النادرة ولدينا في القاهرة الاكشاك المقامة حول حديقة الازبكية .

● نشر الكتب في مصر :

وقد تكونت لنشر الكتب جمعيات وهيئات في مختلف البلاد ومنها مصر التي تكونت أول جمعية فيها سنة ١٨٦٨ وكانت تسمى « جمعية المعارف » لنشر الكتب النافعة ، وقد أسسها المغفور له ابراهيم المويلحي والد الكاتب محمد المويلحي مؤلف « حديث عيسى بن هشام » ـ وكان لهذه الجمعية شأن كبير في تاريخ النهضة الادبية لانها نشرت كثيرا من أمهات الكتب كتاج العروس ، وأسد الغابة ،ورسائل بديع الزمان ، وغيرها من أمهات كتب التاريخ والادب والفقه .

ثم ظهرت بعدئذ بعدةسنوات جمعيات ولجان للتاليف والترجمة والنشر في طليعتها « لجنة التاليف والترجمة والنشر » التى تأسست سنة ١٩١٤ وكان من أعضائها المغفور لهم الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة الهلال ثم مجلة العربي بالكويت وفريد أبو حديد وأحمد أمين ٠

وقد قامت تلك اللجنة بترجمة وتاليف ونشر عدد كبير من أمهات الكتب والمراجع - ثم « لجنة الجامعيين لنشر العلم » التى انشئت سنة ١٩٣٤ وقد ظهرت بعدئذ جمعيات ولجان ، كما ساهمت بعض الهيئات الحكومية في نشر بعض الكتب كالمطبعة الاميرية ودار الكتب المصرية التى نشرت أغلب اجزاء بعض أمهات الكتب - محققة ومفهرسة - كالاغاني ، ونهاية الارب ، وصبح الاعشى ، وتفسير القرطبي ، وكثير غيرها

وفى السنوات الاخيرة ساهمت دور الصحف والمجلات في نشر عدد كبير من الكتب ، وكان فى طليعتها دار الهلال التى قدمت للقراء فى الوطن العربي مجموعة كبيرة من المؤلفات والمترجمات لاشهر الكتاب العرب وكتاب الغرب ، كما انها تصدر بصفة دورية كتاب الهلال وروايات الهلال ٠

● **تجليد الكتب :**

وكان لتجليد الكتب شأن كبير منذ اتخذ الكتاب شكله الحالى ، فقد كانت اوراق المخطوط تجمع فى البداية بين لوحين من الخشب بينهما كعب ،واضيف الى هذا التجليد البدائى كساء من الرق أو الجلد أو القماش أو غطاء معدنى ، ثم اضيف الى ذلك كله قفل أو « ابزيم » واحد أو أكثر لقفل المجلد قفلا محكما ٠

وكانت بعض الكتب ولا سيما الدينية ترصع بالذهب أو الفضة أو بالاحجار النفيسة ولذلك كانت مطمعا للسرقة أو النهب من الكنائس ، كما كانت من التحف التى تحتفظ بها الاسر الغنية ٠

وقد تطورت صناعة التجليد فى الغرب بفضل ما جلبه الاوروبيون من الشرق الاسلامى من نماذج راقية من جلود الكتب الاسلامية ، ولذلك انتشر التجليد بالجلد المزخرف ٠

وبعد اختراع الطباعة وانتشارالكتب استعمل الورق المقوى للتجليد على النحو الذى نراه اليوم ٠

● **بيع الكتب آليا :**

ولتسهيل شراء بعض الكتب فى أى وقت ، صنعت « مكتبات آلية » ، ظهرت أولاها فى يوليو سنة ١٩٦٠ بمدينة « ليفربول » وبدأ القراء يشترون الكتب منها كما يشترون السجائر والحلوى وغيرها من السلع التى تباع بالطريقة ذاتها ، وتبلغ طاقة المكتبة ٢٠٠ كتاب ، موزعة على أربعة رفوف ، وبذلك تباع أربعة كتب من مكتبة واحدة بسعر موحد

● **تفوق صناعة الكتب على صناعة السيارات فى انجلترا**

ثبت من احصاءات « مجلس تطوير الكتاب »فى لندن أن الكتب ليست مجرد وسائل لترقية الفكر ونقل المعرفة واشاعة البهجة ، بل هى أيضا عمل تجارى كبير ٠ وقد أصبحت الكتب الانجليزية عنصرا أساسيا فى الصادرات الانجليزية ٠

ولا تزال انجلترا تحقق أعلى معدل فى العالم بالنسبة للكتب الجديدة التى تنشر فيها أو التى يعاد طبعها ولذلك تفوقت صناعة الكتاب الانجليزى على صناعة السيارات هناك ٠٠

● **الاعلان عن الكتب :**

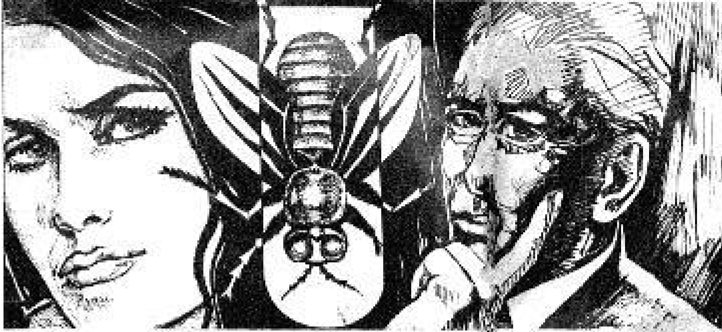
ومن الطبيعي أن يعلن عن الكتب الجديدة او المعاد طبعها بمختلف الوسائل الاعلامية ومنها الاعلان بالصحف ٠

ولعل اطرف اعلان عن قصة هو ماظهر باحدى الصحف الامريكية فى الخمسينات نصه : « شاب مليونير يريد الزواج من فتاة تتصف بالصفات التى تتصف بها بطلة قصة « ٠٠٠ » التى صدرت أخيرا » ٠

ولم يمض أسبوع حتى كانت القصة المشار اليها قد نفدت من جميع المكتبات٠

الذبابة والسيد!

د. كامل سعفان



● اشتهر بين أسرته والأدنين من أقاربه وجيرانه بأنه (عدو الذباب) ، وكان حقا عدوا له بعقله وبشره ؛ لأنه ليس هناك من يحب الذباب ، حتى يكون هناك من يعاديه !

وشتان بين أن يقال عدو المرأة ، وعدو الذباب .. لأن عداء المرأة يقوم على بغض باطل ، أو تجربة مريرة ، أو ضعف جسمي ، أو ارادة الاشتهار .. لكن معاداة الذباب منصرفة الى الوقاية من الامراض التي يتلقاها الناس جميعا في هذا سواء ...

فما مرد هذا (اللقب) السخيف!!

يقول هو : السبب يرجع الى أني لا أستخدم الوسائل الكيميائية للخلاص منه ؛ لأني لا أقر الابادة الجماعية عامة ثم ان هذه المواد الكيميائية كثيرا ما تتسلل الى أجسامنا ، لتفسد الكثير من خلاياها بصورة أو بأخرى ، ومادام وسعنا أن نتخلص منه بطرق أقل ايذاء فاللجوء الى الوسائل الكيميائية فيه تجاوز وعنف وتنمية للسعار الاجرامي في النفوس .

كنت أكتفي بالآلة اللاقف الخشبي (الشيش) التواند ، ثم أعمل ليخرج من الحجرات الصغيرة ، مهتديا بالضوء المطل منها ، وكانت هذه بداية طيبة تصر على البقاء ، ولا أكتفي بأن تجد مأوى بعيدا ، كالتي الى ركن منه ، وتدلم أو تلب ؛ بل ألجأ الى الاشارة وأفعل حركات عنيفة ، حينا كان يضطرني الى استعمال الذبابة لا بقصد القتل أو الانتقام ، ولكن تأديبا لها أولا ، ودفاعا عن النفس ثانيا ....

ولا أنكر أني كنت موفقا في استخدام الذبابة اذ لم أكن ماهرا لدرجة الحمد عليها .. ولا أدعي بطلا اذا قلت : ان هذا (اللقب) كان من بواعث السعادة والرغبة في الانتقاص من قيمة الدور الأولية خلال الفترة الماضية من حياتي ، قبل أن يصبح الذباب موضوع دراسة أكرس لها - والحمد لله - كل ما أملك من امكانيات ..

وما وجه الغرابة في هذا ؟!

سيصبح الى مجرد كاتب في الحد الدواوين ، وليس علم الحشرات سببا يشغل بال أمثالي ! لكن من قال : ان طلب العلم مقصور على أحد ؛ أو أنه مرتبط بفوائد مادية أو أدبية ! .. انه العلم لذات العلم ، ومن يدري ؛ لعل ما أقدمه من ثمرات هذه الدراسة يعود على المجتمع ؛ بل على العالم بفوائد لا تقدر بمال !

حدث ذلك منذ عام ...

كنت أطارد الذباب الذي رفض الخروج من النافذة ... ووجهت للذبابة الى واحدة فأخطأتها ، كانت الضربة مسددة ، بنفس الطريقة العربية العادية البارعة ؛ لكن الذبابة كانت من المهارة بحيث تلافت الضربة في اللحظة الحاسمة ، ولم تكتف بنجاتها ؛ بل سارعت الى عيني كالسهم ، متحدية النظار ، حتى أربكتني ، فأسقطت النظار بحركة طائشة ، وكسرت احدى عدستيه ! ..

آلمتني هذه الحادثة ، وأثارتني ، وبعثت الفضول الساخر الزرى في السادة الكبرى ، وكان أشد غيظي من زوجتي ، وقد أزاح شحمها بحركة عشوائية ، معلنا عن شماتة ورغبة دفينة في أن تراني على هذا الحال من الهزيمة والانكسار ، وما هو أبعد وأنكى ، ذلك الولد الصغير (أسامة) الذي كاد يختنق من تتابع ضحكاته حتى احتقن وجهه ، وظل كلما نظر في عيني ، وأنا لا أكاد أرى بغير النظار ، يستلقي ويتلوى ضاحكا ، مرتميا على صدر أمه أو على أحد المقاعد ... بينما ابنتي (سعاد) - رعاها الله وصانها - واجمة حزينة ، تود لو تدافع عني لولا الخوف من أمها التي سرعان ما تمتد يدها الى أي شيء قريب منها في حركة عشوائية ، مصحوبا بالسيل من القذائف اللسانية !

كانت هذه الحادثة بداية التغير في في سلوكي مع الذباب ..

عرفت أخطائي ، وصار يشغل فكري وأصبحت آيته الكريمة : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » - شغلي الشاغل !



الذبابة والسيد!

نوصف الجماعات غير الانسانية بالامم بمعنى أنها تستمد في تجمعها معنى الأمة، من لغة وتقاليد وعادات وتاريخ مشترك

وهي بدون شك تدين بوحدانية الخالق: «وان من شيء الا يسبح بحمده»، كما أنها تتكلم بلغتها الخاصة، رمزية واشارية، وقد حدثنا الله سبحانه بحديث النملة والهدهد.

واذا كانت تتمتع بهذه المشاركات الانسانية فمن الغباء أن تقول انها لا تعقل، وان الانسان وحده هو الحيوان العاقل..

ان الحركة التي صنعتها هذه الذبابة من حركات (الكاراتيه) المشهورة، وهي تعتمد على المراقبة الدقيقة، والحذر المرهف الحواس، والسرعة الخارقة، والتصويب البارع، ولا يتوافر هذا كله الا بالذكاء الحاد، والمرونة العالية، والتدريب الشاق، والجرأة البالغة.

الآن، فالامر هو الجد..

رجل واحد هو الجاحظ استطاع ان يضع اصبعه عند بداية الخيط، وهو يحدث عن (عبد الله بن سوار)، قاضي البصرة، الزميت، الركيت، الوقور، الحليم)، الذي كان (يأتي مجلسه، فيحتبي، ولا يتكيء، ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت ولا يحل حبوته، ولا يحول رجلا من رجل، ولا يعتمد على احد شقيه، حتى كأنه بناء مبني) ... (فبينما هو كذلك ذات يوم، واصحابه حواليه، وفي السماطين بين يديه، اذ سقط على انفه ذباب، فأطال المكث ثم تحول الى موق عينيه، فرام الصبر في سقوطه على الموق، وعلى عضه، ونفاذ خرطومه ... فمازال يلح عليه، حتى استفرغ صبره، وبلغ مجهوده، فلم يجد بداً من ان يذب عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم اليه ترمقه فتنحى عنه بقدر ما رد يده، وسكنت حركته، ثم عاد الى موضعه، ثم الجاه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه، ثم الجاه الى ان تابع بين ذلك.

كان على الجاحظ، كما كان على القاضي، ان يتابع هذا (الموقف الذبابي) بعين بصيرة.. لماذا اختار الذباب هذا القاضي الزميت؟ ولماذا كان وقوعه على الأنف. موضع الانفة والاستبراء؟ ولماذا تحول الى العينين والح في نفاذ خرطومه اليهما؟ أليس من وراء هذا قصد وسبق اصرار، ليجعل من القاضي المهيب اضحوكة؟ أحسب ان الجاحظ الذكي الأريب كان أجدر بالاستفادة من هذا الموقف في صورة جادة هادفة.. لكن هذا قدره، وقدري الآن ان آتي بما لم يستطعه الاوائل!

— ٢ —

سرعان ما أصلحت المنظار، وصرت اقضي وقت الظهيرة كله — وهو الوقت الذي اشبع فيه نوما — لا لاضرب بالمذبة، ولكن لاناور واداور، والتعرف على ردود الفعل عند هذه (الامة) التي تتكاثر بسرعة رهيبة، حتى تحتفظ لنفسها بالصمود والتفوق في مواجهة اعتى وسائل الابادة الحديثة.

قلت لنفسي: قبل أن تتعرف الى صفات الذباب عليك أن تميز بين الذكر والانثى..

ولم يكن الامر سهلا، لاني لا املك من الوسائل العلمية الحديثة ما يمكن به التعرف على الجنسين، ثم انه لا

عهد لى بالتشريح ، فكيف بالتشريح الدقيق لحشرة صغيرة ؟ !
لكن المثل يقول : أول الطريق خطوة، وأول الغيث قطرة .
لهذا لم أيأس ..
ومادامت الحشرات (أمة) من الامم فلابد من المشاركة بين جنس الذكور في الامم وبين جنس الاناث . وبالمراقبة الدقيقة عرفت أن الذباب يباشر نشاطه الاخصابي حيث يشاء ، ومتى يشاء ، اي أنه لا يستحي ، والذى لا يستحى لا مروءة له ، ولا أمانة !
ولقد تأكدت من ذلك ، حين كنت اتغافل عنه ، واكظم غيظي ، فكان يعمد الى الوقوع فى القاذورات ، ويسارع مصوبا الى عيني او الى انفي وفمي ، فاذا اضطررت الى هشه سقط فى كوب الشاي او فى الوعاء الذى آكل منه !
اعمال انتحارية تخريبية تذكر بماكان يقوم به اليابانيون فى الحرب العالمية الثانية !
وكثيرا ما قمعت له طبقا من العسل ، اقول : لعله اذا شبع قنع وارتدع ، لكنه لم يكن يكف عن عناده واصراره ولم يكن يهدا له بال الا اذا اثارني واخذت فى مطاردته ، حتى لقد سبق الى ذهني انه وضعني — انا الآخر — فى موضع الاختبار !
حاولت ان اتخذ من (الحجم) وسيلة لمعرفة الذكر من الانثى ، لكنها لم تكن مقنعة ، لان صغر الحجم قد يرجع الى صغر السن ، او الى كثرة الحركة ، او الى احساس بالقهر والاضطهاد .. من يدرى ؟!
وكان أن قررت شراء مخابير ، ووضعت أكثر من زوج تحت الاختبار .
اظهر اليوم الأول نتائج مدهشة .
ميزت الانثى من الذكر ... عرفت أن الانثى قوية الشخصية ، شديدة العناية بنفسها ، ذات كبرياء تصل الى حد الغرور ، لا تكاد تسعى الى الذكر خطوة ... وكان الذكر يمثل الكادح المالي ، يظل يحوم حولها ، ويأتيها بالطعام ، ويضعه فى فمها ، أو كان يقبلها ، لا أدرى .. وحين تستنفد قواه ، تصد عنه أو تزدريه ، بل انها كانت تقف على ظهره ، وكأنها تريد ان تكتم انفاسه ، او ان تفترسه ، كما يفعل كثير من الحشرات ، لولا انها محبوسة فى المخبار ، وتخشى الا تجد ذكرا سواه ؛ وهذا — دون شك — من مظاهر ذكائها ...

— ٣ —

جاءنا ضيوف ، فاضطررت الى الخروج من (المختبر) ... .
كنت قلقا اشد القلق ، اتوجس خيفة من الاقدام التى قد تدب الى هناك ...
وطالت جلسة الضيوف ، طاب لهم المقام، ظلوا يتحدثون فى مجالات شتى، وانا شارد الذهن ، لا أملك أن اشارك فيما يدور ..
— مالك يا استاذ محمود ؟ لست كعادتك .
قال الضيف .
— ما جرى له لم يكن على بال !
قالت زوجتي .
— خيرا ان شاء الله ؟!
— ومن اين يأتي الخير أهل سمعتم ان الذباب يأتي بالخير ؟
— وما دخل الذباب يا أم أسامة ؟
— اسألوا الاستاذ ؟!
وضعتني المجنونة فى موقف مزر ، فانصبت النظرات على تلتهمني ، وخيل الى انه لا سبيل الا ان اقوم واحطم راسها ، بل رؤوسهم جميعا .
اهــذا جزاء الاخلاص فى طلب الحقيقة ؟! لله درك يا «ديوجينيس» .. لكن ، لا ، لن اكون الذكر الذى تاكله الانثى ..
— من لا يعرف يقول : عدس !!
قلتها بحمية ساخرة ...
استثيرت زوجتي ... اصفرلونها، وارتعشت شفتاها ، وتحركت حركة (ذبابية) ناقمة ، دقت بقدميها ، وضربت بكفيها على ركبتيها ، ونهضت مهددة متوعدة . .
— عدس يا محمود ؟ ! طيب ، سترون وتحكمون !
حاولت ان الثيها، وحاول الضيوف، لكن من يستطيع أن يوقف العاصفة ؟!
الحقيقة ، هرب دمي ، توقف قلبى من النبض ، تجمدت أطرافي ..
وبعد ان غابت قليلا فى الحجرة ،

الذبابة والسيد !

عادت كاسفة ، مستخزية .

– اين ذهبت بالاعيبك ؟ !

ادركت على الفور أن الولد الشقى استطاع الوصول الى (المختبر) على غفلة منا ، وصممت ان القنه درسا لا ينساه .. ومع هذا حمدت له هذا الفعل الذى رد كيد امه الى نحرها الذى يكاد يلتهب غيظا .

– ماذا وجدت يا ام اسامة ؟ اهنئى يا عزيزتى ، هل من العيب ان امارس نشاطا علميا فى اوقات فراغى ياسيد حسنين ؟ اليس افضل من الجلوس على المقهى ، والحديث فى حق فلان او فلانة ؟

اصطنعت هذا الاسلوب الهادىء الرزين ، لافثا حدة زوجتى ، ولابدد الدخان المتراكم فى صدر حسنين وزوجته التى تستحق قطع لسانها .

واضطرت زوجتى الى ان تبتلع الاحماض التى كانت تتصاعد من احشائها ، فتلهب لسانها .

وانتصرت فى هذه الجولة ..

– ٤ –

ما كدت اصفق الباب فى ادبار حضرات المحترمين ، حتى سارعت الى هذا الصغير اللعين .

كان يغط فى نوم عميق ، وتبدو على وجهه ملامح البراءة والطهر .

اطفات المصباح بعد أن فتشت كل ما يخطر وما لا يخطر ببال .

وما ان وصلت الى (المختبر) ابحث من عزاء ، حتى سمعته يتحدث الى امه ، ويضحك ضحكات خبيثة مكتومة ! ....

تسللت على اطراف اصابعى ، واصخت السمع ..

ولما انكشف المستور كبست عليهما ، فتظاهرا بالارتياع ، واحتجت زوجتى ماوسعها ، لكن شيئا من ذلك لم ينج الصبى من يدى ..

حاولت ان تستنقذه عبثا .

وتحت ستار الشد والجذب ، تطاولت يدى ، فاصابتها اصابات اليمة ، دون أن تفطن انى قصدت ذلك !

– ٥ –

بت هذه الليلة فى (المختبر) ... كانت اول ليلة – منذ عهدى بالزواج – اتخذ مبيتا منفردا .

بصراحة ، سعدت بنوم هانىء ولذيذ ، شعرت بحرية الحركة منذ خمسة عشر عاما ، وتقلبت على الجنبين ، ورفست بقدمى ما طاب لى ..

وبمجرد ان تسللت خيوط الصباح ، اخذت مقعدى الى المخابر ، وكنت قد اهتديت بها الى سر هذا التطور السريع الذى جعل الانثى – وقد كانت مغلوبة على امرها – تصبح هى الغالبة .

عزلت الذكر عن الانثى ، واطعمته عسل النحل ، واطعمتها فتيت الخبز ..

كانت النتيجة باهرة ! ..

نشط الذكر نشاطا مدهشا ، صار كالاسد الجائع فى قفص الحديد ، يدور هاهنا وهاهنا ، يختبر جدار المخبار ، لعله يجد منفذا ...

ولما ايقنت بقدرته على المهام الجسام ، نقلتها اليه ، ووقفت اسجل كل حركة ما كاد يلتقى بها ، حتى اخذ يتحرك حركات بهلوانية ، ويضرب بقرونه كالثور الذى ربى للضراب ، ولم تكن تعيره التفاتا ، وماهى الا لحظات حتى ارخى جناحيه ، واسبل قرنيه ، ودلى خرطومه ، وبدا عليه الاكتئاب والخمول ، على حين اخذت هى فى حركة راقصة نشوى ، اشبه بالراقصة الاولى فى اوبرا بحيرة البجع ..

ومن هنا تبينت المصير الاليم الذى لا مفر منه !

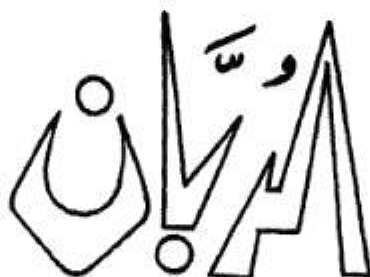
– ٦ –

قال الراوى : ومن هنا كانت عقدة الاستاذ محمود ....

ماكان يرى امراة جميلة الا استوقفته يتامل عوامل الاغراء فيها ، ثم يهز راسه يضرب كفا بكف ، ثم يردد قوله تعالى : « وعصى ادم ربه فغوى »

ثم يعقب فى انفعال :

« وتحسبونه هينا » !



سليم الرافعي - لبنان

يا بحرُ ! هل بلغْتَ من (خوفو) مَواطِيءَ القَــدمْ ؟
أيتهــا العواصفُ الهوج اصمتى عنــدَ الهَــرَمْ
تطلّع الربّــان من عليــائِه فوقَ القِمـمِ
يُرسلها إلى الخلود مَوجــةً على عَـلَمْ
سفينة إلى السماء أبحرت مُنـذ القِــدَمْ
يستكشف المجهــول أو ترتاد مابعد العَــدَمْ

***

يا قاهرَ المــوج .. على رغم الرياحِ الأربــع
زوبعــة في قلبك الخافقِ مِــلءَ الأضلُع
تأجّجت في (رعمْسيس) أوْ حَنايا (خَفْـرع)
وهَدرت ملحمــة في الشرق منـذ المطلَعِ
وخَطَرت في « عين جالوت » بشكل أروَع
توقظ في الظلام أحلامَ الشعوب الهجَّعِ
رُؤيا .. تهزّ الكونَ في الدهور مِنْ فَيْض السَّنَى
سَقَى بها (النيــل) الديانات الكبار مُحسِنــا
واستنبت الوحْدة في الأجيــال خضراءَ المُنَى
عيسى وموسى نَهِـلا منه وعَمْــرو أذّنــا
وتوّج النصرُ صَــلاح الدين مِنــه مؤمنــا
ما أكرمَ النيل إذا ســالَ دما أو سَوْسَنــا !
يا أيها الربــان دين المجــد في المغــامرة
لا يصنعُ التــاريخَ مَنْ يُحــاذر المؤامَــرة
أيجهلون مصرَ في أسوانَ أو في القــاهرة ؟
أم الحضــارات إذا ما جَــدّت المفــاخرة
بنتُ النبوّات ، وأختُ الأمَم المعــاصرة

ناس وصور وحكايات

اليزابيث تايلور

تنشر مذكراتها



انها الآن في السادسة والاربعين من عمرها وما زالت جميلة جذابة لقد تزوجت ست مرات ولكنها لا تزال تبدو وكأنها عروس ، وهي تزن ٨٠ كيلو جراما ولكنها لا تزال رشيقة .. تلك هي اليزابيث تايلور ممثلة السينما المشهورة ، التي يقال انها اجمل امراة عرفتها الشاشة ، وهي بالفعل تقاضت اكبر راتب عرفته السينما في تاريخها . وقد املت مذكراتها اخيرا على صحفية مشهورة تسمى كيتي كيل ، ونشر الكتاب في نيويورك ولقى نجاحا عظيما لان حياة اليزابيث تايلور حافلة بالمغامرات الى جانب زيجاتها الست ، وهي تتحدث عن كل واحد منهم بصراحة تامة . واهم ما تقوله عن هؤلاء الرجال ان اغرب من تزوجته كان ريتشارد بيرتون اما احبهم الى قلبها فزوجها الحالي .





ناس وصور وحكايات

الإمبراطورة تفكر في الحياة في باريس



سافرت الامبراطورة فرح ديبا الى باريس ، وعندما التقت بالصحفيين قالت انها تفكر في الانتقال الى باريس لانها تريد ان تعيش في مدينة ضخمة جدا حيث تختفي في زحمة الناس ولا تعود تخشى من يتعقبونها واولادها من اعداء زوجها . وقد استقر رأيها على السكنى في عمارة ضخمة يسكنها مئات الناس فيكون ذلك اضمن لامنها وامن اولادها الذين سيذهبون الى المدارس هناك . هذه الصورة اخذت لها في مطار اورلي .

حفيدة موسيليني

تعمل مذيعة



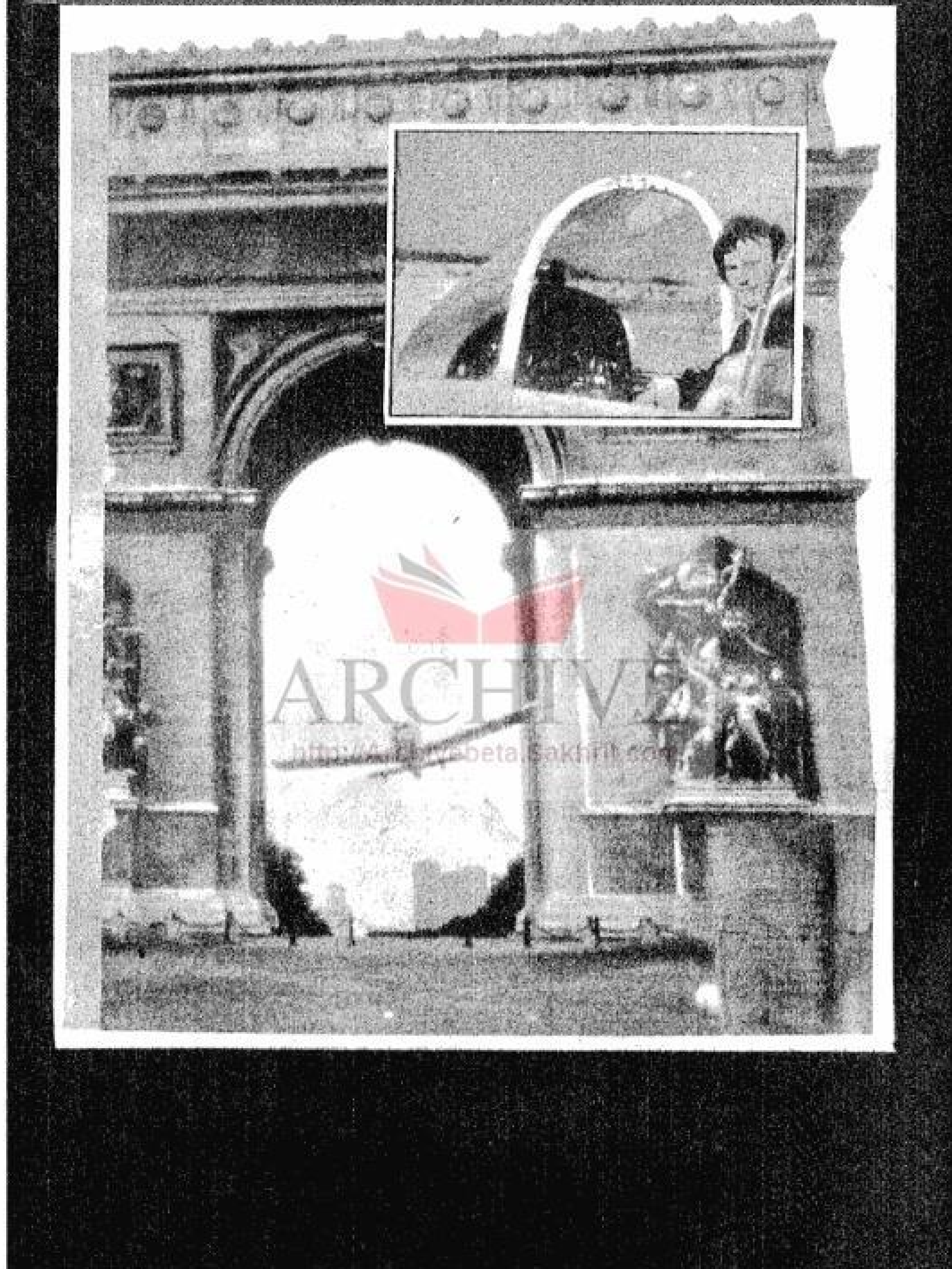
كان المفروض ان تكون هذه الشابة الجميلة سيدة من سيدات ايطاليا اليوم • فهى حفيدة دكتاتور ايطاليا الدوتشى بنيتوموسوليني ، ولكن الايام تتغير والدهر له صروف •• وقد جربت حفيدة موسوليني حظها في ميادين شتى وانتهت أخيرا الى ان اختارها مخرج التليفزيون الايطالى بيبو باودو مذيعة في برامجه ، وهى سعيدة بهذا العمل لانها على الاقل تخلصت من الكراهية التى كان الشعب الايطالى ينظر بها الى الدوتشى وكل عائلته •

ناس وصور
وحكايات

أسرع قطار في الدنيا



السكك الحديدية الفرنسية من اشهر طرق المواصلات فى الدنيا واكثرها تقدما ونظاما ، ورجالها دائما يبتكرون قطارات جديدة ، وآخر هذه المبتكرات القطار المسمى TGR وهى اختصار لاسمه بالفرنسية ، وهو يسير بسرعة تصل الى ٣٨٠ كيلو مترا فى الساعة · انه يجر ٨ عربات ويسير حاليا بين باريس وليون بسرعة مبدئية قدرها ٢٦٠ كيلو مترا فى الساعة ستزداد تدريجيا الى ٣٠٠ ك م · وستظل هذه سرعة ذلك القطار · انه يقطع المسافة بين باريس وليون فى ساعتين وسيعم استعماله فيما بعد على خط باريس ـ مرسيليا ·



يمر تحت قوس النصر بطائرته

آلان مرشان شاب فرنسي مغامر • وقد قدر فى نفسه ان يمر بطائرته تحت قوس النصر فى باريس دون اذن السلطات طبعا ،لان السلطات الفرنسية ما كانت لتسمح له قط بان يقوم بهذه المغامرة التى كان من الممكن ان تؤدى الى الحاق الضرر بقوس النصر • وقد نجح فى محاولته ومر تحت قوس النصر واذهل الناس واخافهم • وقد قبضت عليه السلطات بعد ذلك وحكمت عليه بغرامة كبيرة وسحبت منه رخصة الطيران •



الفضائل الباهرة
فى
محاسن مصر والقاهرة

رحلة فى كتاب من خمسة قرون لابن ظهيرة

● د. عبد العزيز شرف ●

● قال سعيد بن ابى هلال مولى ابو العلاء المصرى المتوفى سنة ١٣٠ هـ : اسم مصر فى الكتب السالفة « ام البلاد » .. وقال عبد الله بن عمرو : أهل مصر أكرم الاعاجم كلها ، واسمحهم يدا ، وافضلهم عنصرا ، واقربهم بالعرب عامة ، وبقريش خاصة .

أما « كعب الاحبار » المتوفى سنة ٣٢ هـ ، وهو تابعى كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، واسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم المدينة فى أيام عمر ، فاخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة ، واخذ من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وله كتاب « سيرة الاسكندر » مخطوط فى مجلدين ، فقد قال : « لولا رغبتي في بيت المقدس ، ما سكنت الا مصر .. فقيل له : ولم ؟ قال : لانها معافاة من الفتن ، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه . وهو بلد مبارك لاهله » .

وقال أبو رهم السماعي : « لا تزال مصر معافاة من الفتن ، مدفوعا عن أهلها الاذى ، ما لم يغلب عليها غيرهم ، فاذا كان ذلك ، لعبت بهم الفتن يمينا وشمالا »

هذا قليل مما جاء في كتاب ابن ظهيرة عن مصر ووصف العلماء لها ، اعدت قراءته فى اعقاب الحادث الاليم الذى راح ضحيته الزعيم القائد والرئيس المصرى فكرا وضميرا : محمد أنور السادات ، وكانه فى خطواته الثورية يستلهم روح مصر ورسالتها ، الامر الذى جعلنى انتقل من كتاب ابن ظهيرة الى معاودة قراءة كتاب استاذنا الدكتور حسين مؤنس : « مصر ورسالتها » ، فازداد عندى اليقين ان مصر التى تجسدت شخصيتها فى فكر الزعيم والقائد أنور السادات ، هى مصر التى قيل عنها قديما : « مصر خزائن الارض كلها ، فمن ارادها بسوء قصمه

الله » . وكان ابن عباس رضي الله عنهما يثني على مصر ، ويقول : من استطاع أن يسكنها فليفعل .

وقال بعض العلماء في القديم : سـقيا لاهل مصر ! قيـل : ولم ؟ قال : لا يريدهم أحد بسـوء الا أهلكه الله ، ولا يريد أحد اهلاكهم الا كبه الله على وجهه .

وفي فصل من ولد بمصر ومن كان بها من الانبياء والحكماء ، والملوك والعلماء يقول ابن ظهيرة :

« كان بمصر ابراهيم الخليل ، واسماعيل ، ويعقوب ، ويوسف ، واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب عليهم السلام .

وولد بها موسى وهارون ، ويوشع بن نون ، ودانيال ، وارميا ، ولقمان وعيسى بن مريم ، ولدته امه باهناس ، المدينة المعروفة ، وبها النخلة المذكورة في كتاب الله تعالى . ونشا بها ، ولما سار عيسى عليه الصلاة والسـلام ، أخذ على سفح الجبل المقطم ماشيا بجبة صوف ، مربوطا وسـطه بشريط ، وامه تمشي خلفه ، فالتفت اليها وقال : يا اماه ، هذه مقبرة امة محمد ، وفي رواية أمة الغار فليط « أي الرسول المبشر به » .

ومدينة اهناس أو اهناس المدينة ـ كما يقول محققا كتاب ابن ظهيرة العالمان الفاضلان : مصطفى السقا ، وكامل المهندس : قرية كبيرة بكورة البهنسي بمصر، وعرفت بالمدينة لتمييزها من اهناس الصغرى ، التي تعرف الآن باهناسـية الخضرة . ولا تزال أطلال مدينة اهناس القديمة ظاهرة بالقرب من مسـاكن القرية الحالية بمركز بني سويف . ويقال : ان عيسى بن مريم عليه السـلام ولد بها .. والذي عليه الاجماع انه ولد ببيت لحم من مدينة بيت المقدس .

المؤلف والكتاب

وابن ظهيرة ـ كما يقول الاستاذ كامل المهندس في المقـدمة ـ علم على أسرة مكية من بني مخزوم ، عرف منها غير واحد من الحفاظ والفقهـاء والقضـاة والمحدثين في القرنين التاسع والعاشر للهجرة . وقد ترجم لهم السـخاوي في « الضوء اللامع » والسيوطي في « نظم العقيان » والمحبي في « خلاصة الأثر » غير أن ابن ظهيرة يذكر في مقدمته للفضائل الباهرة أن مولده ومنشاه قريب من أرض مصر والشام وان كانت الى الشام أقرب .

ويقول ابن ظهيرة في ذلك : « واني وان كنت الى الاخيرة اقرب فالرجوع الى الحق أوجب ، وذكر الفضائل للنفوس السليمة أطلب » .

وهو لذلك يسمي كتابه « الفضـائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة » ويحصره في مقدمة وفصول . فالمقدمة في الحث على سكنى الامصار العظـام ، والترغيب فيها وحب الوطن .

ثم يكتب فصـلا في ذكر مبدأ مصر وأول امرها ويذكر حكاية القضاعي عن ابن لهيعة (٩٧ ـ ١٧٤ هـ) الذي قال فيه الامام أحمد بن حنبـل : ما كان محدث مصر الا ابن لهيعة ، وقال سفيان الثوري : عند ابن لهيعة الاصـول ، وعندنا الفروع .

« ان أول من سكن مصر « بيصر » بن حام بن نوح عليه السـلام بعد أن أغرق الله قومه . وأول مدينة عمرت بمصر « منف » فسكنها بيصر بولده ، وهم ثلاثون نفسا ، منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم « مصر » و « فارق» و « ماح » و « ياح » . وكان « مصر » أكبرهم ، وهو من جملـة من كان مـع نوح عليه السلام في السفينة ، فدعا له .

وأصل منف بالقبطية مافه وتفسيرها : ثلاثون ، وكانت اقامتهم قبل ذلـك بسفح الجبل « المقطم » ، ونقروا هناك منازل كثيرة .. وكان نوح عليه السلام

رحلة في كتاب من خمسة قرون
لابن ظهيرة

قد دعا لمصر هذا أن يسكنه الله الارض المقدسة الطيبة المباركة ، التي هي أم البلاد ، وغوث العباد ، ونهرها أفضل الانهار ، فسأله عنها ، فوصفها له .
وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف ، فساقه ولده مصر وجميع أخوته الى مصر فنزلوها ، وبذلك سميت « مصر » ،وهو اسم لا ينصرف ، لانه مذكر سميت به هذه المدينة ، فاجتمع فيه التانيث والتعريف ، فمنعاه الصرف ، ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر ، فاذا أريد مصر من الامصار صرف ، لزوال احدى العلتين ، وهي التعريف .
والمصر في كلام العرب : الحد الفاصل بين الارضين ، وأهل « هجر » يقولون : اشتريت الدار بمصورها ، أي بحدودها .
وقال الجاحظ في كتاب « مدح مصر » :
« انما سميت مصر بمصر ، لمصير الناس اليها واجتماعهم بها ، كما سمى مصير الجوف مصيرا ومصرانا ، لمصير الطعام اليه » .
قال ابن لهيعة : « فحاز مصر بن بيصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش الى أسوان طولا ، ومن برقة الى أيلة عرضا » .
وأيلة ــ كما يقول المحققان ــ بلدة في أول حدود الحجاز من جهة مصر ،وقد خربت سنة ٤٥٩ هـ في زلزلة . وهي الآن في شمال خليج العقبة في الحدود بين مصر وشرق الاردن ، ويقال لها عقبة أيلة ، كما يطلق عليها الآن اسم ايلات .
وحاز « فارق » لنفسه ما بين برقة الى « افريقية » فكان ولده الافارقة ، وبه سميت افريقية ، وذلك مسيرة شهر . وحاز « ماح » ما بين الشجرتين من منتهى حد « مصر » الى الجزيرة ، مسيرة شهر ، وهو ابو نبط الشام .
وحاز « ياح » ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق ، مسيرة شهر فهو ابو نبط العراق ، ثم توفي « بيصر بن حام » ، ودفن في موضع دير ابي هرمس ، غربي الاهرام ، يقال انها اول مقبرة دفن بها بارض مصر .
ثم كثرت اولاد بيصر ، فكانت الاكابر منهم : قفط ، وأتريب ، واشمن ، وصا والقبط : من ولد مصر هذا . ويقال أن قبطا اخو قفط ، وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصريم » .

● ما ورد في فضل مصر ●

ويخصص ابن ظهيرة فصلا في ذكر ما ورد في فضل مصر ، يقول فيه « أول ما أبدأ به أن أقول : ان الله تعالى جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، ذكر مصر في كتابه العزيز في ثمانية وعشرين موضعا من القرآن ، قلت : منها ما هو صريح اللفظ ، ومنها ما دل عليه القرآن وكتب التفسير .
قال الله تعالى في كتابه العزيز مخبرا عن فرعون : « **أليس لي ملك مصر** » ــ الآية سورة الزخرف : ٥١ .
وقال تعالى : « **وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين** » ــ المؤمنون : ٥٠ .
قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ، ووهب بن منبه ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : هي مصر ، والربوة لا تكون الا بمصر .
وقال تعالى : « **كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم** » ــ الدخان : ٢٥ ــ ٢٨ ــ الى أن قال : « **كذلك واورثناها قوما آخرين** » .
وقال تعالى : « **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها** » ــ الاعراف : ١٣٧ .

فهذه الارض هي ارض مصر جزما ، وقال بعض المفسرين : ان المقام الكريم : الفيوم • وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس الحسنة •

وقال تعالى : « اهبطوا مصرا ، فان لكم ما سألتم » ـ سورة البقرة : ٦١ فسرها سليمان بن مهران « الاعمش (ت ١٤٨ هـ أحد الاعلام والقراء) وقال : هي مصر التي عليها صالح بن علي (بن العباس بدأت ولايته الاولى ١٣٣ هـ) •

وقال الله سبحانه وتعالى : « ونمكن لهم في الارض » ـ سورة القصص : ٦

وقال تعالى : « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » ـ سورة يوسف : ٩٩ •

وقال تعالى : « ادخلوا الارض المقدسة » ـ الآية : سورة المائدة : ٢١ •

وقال تعالى : « لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض » ـ سورة غافر : ٢٩ •

وقال تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » ـ سورة القصص : ٢٠ يعني ارض منف ••

ويذكر ابن ظهيرة من السنة ايضا عشرة احاديث في حق مصر : منها ما صح من حديث مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكم ستفتحون أرضا يصح فيها القيراط » ، وفي رواية : « ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » ، او قال « ذمة وصهرا » •

وزاد مالك والليث : « فاستوصوا بالقبط خيرا » •

قال العلماء : الرحم التي لهم كون « هاجر » أم اسماعيل ، عليه السلام،منهم والصهر كون « مارية » أم ابراهيم عليه السلام منهم •

وعن عمرو بن العاص ، رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فتنة يقول : « تكون فتنة اسلم الناس فيها او خير الناس فيها الجند الغربي » ، يعني جند مصر •

روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال : حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ستفتح عليكم مصر بعدي ، فاتخذوا بها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير اجناد الارض » ، فقال له ابو بكر : لم يا رسول الله ؟ فقال : « لانهم هم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة » •

وقوله عليه الصلاة والسلام ، وقد اوصى بقبط مصر ، « انكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة » وقوله : « مصر أطيب الارضين ترابا ، وعجمها أكرم العجم » • وقوله عليه الصلاة والسلام : « قسمت البركة عشرة اجزاء : تسعة في مصر ، وجزء في الامصار كلها ، ولا يزال في مصر بركة اضعاف مافي الارضين كلها » •

وقوله عليه الصلاة والسلام : « اسكندرية احدى العروسين » •

ويقال أن « هاجر » أم اسماعيل ، من قرية يقال لها « أم دينار » •

وان مارية أم ابراهيم ، من قرية يقال لها « حفن » بصعيد مصر •

وام دينار من الغربية ومحلها الآن ـ كما يقول المحققان عزبة الاوقاف باراضي ناحية كفر المنشى البحرى بمركز كفر الشيخ ، ويدل عليها حوض أم دينار الواقع على جانبي ترعة الشاكرية • أما « حفن » فهي قرية من كورة أنصنا بصعيد مصر ، منها مارية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال توجد آثارها بحوض الكوم الاحمر ، باراضي ناحية المطاهرة البحرية بمركز المنيا •

وقال عبد الله بن عمر : قبط مصر اخوال قريش مرتين وقال عليه الصلاة والسلام : « مصر خزائن الارض ، والجيزة غيضة من غياض الجنة » •

والقبط : ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام • وقد أوصى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وبمصر ، كسائر وصاياه ، وقال : « قبط مصر قريش العجم » .

● وصف العلماء لمصر ●

ويخصص ابن ظهيرة فصلا فى وصف العلماء لمصر ، ودعائهم لها ، واختيارها للصحابة والملوك من بعدهم ، والى عصر ابن ظهيرة . فيذكر قول عبد الله بن عمر : مثلث الدنيا على صورة طائر ، فرأسه « **مكة والمدينة واليمن** » والصدر « **مصر والشام** » والجناح الايمن « **العراق** » وخلف العراق أمة يقال لها « أراق » ، وخلف أراق أمة يقال لها واق ، وخلف واق من الامم ما لا يعلمه الا الله ، والجناح الايسر الغرب ، وبلاد الرومانية .

ويذكر قول ابن المدبر : مصر اختيار نوح لولده ، واختيار الحكماء لانفسهم واختيار أمير المؤمنين على بن ابى طالب ، كرم الله وجهه ، لانفس الصحابة وهم قيس بن سعد ، والاشتر ، ومحمد بن أبى بكر .

واختيار عمرو بن العاص لنفسه ، واختيار مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز ، واختيار السفاح لعمه صالح بن على ، ولاكثر اهله ، ووليها من بنى هاشم اربعة عشر ملكا .. واختيار المأمون لاخيه المعتصم ، واختيارها لعبد الله طاهر ، وهو من انفس أصحابه ، واختيار الخلفاء لمن يقوم منهم (أى لمن سيقوم بالخلافة بعده) وقد صارت دار الملك وبيضة الاسلام .

وقال الكندى ، قال كعب الاحبار : من اراد أن ينظر الى شبه الجنة ، فلينظر الى أرض مصر حين يخضر زرعها ، ويزهو ربيعها ، وتكسى بالنوار أشجارها .

● مصر المحاسن والفضائل ●

ثم يخصص ابن ظهيرة فصلا فى « ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة وأهلها من محاسن وفضائل ، وما شاركها فيه غيرها وهو قليل بالنسبة اليها ، وعلى سبيل التفصيل » كما يقول ، ويستحسن ما أنشده العلامة زين الدين عمر بن الوردى (ت ٧٤٩ هـ) أحد فضلاء عصره وفقهائه وأدبائه وشعرائه :

ديار مصر هى الدنيا وساكنها
هم الأنام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها
مصر مقدمة والشرح للنيل

معارضا لقول ابن زريق الكاتب حيث قال فى بغداد :

سافرت أبغى لبغداد وساكنها
مثلا وذلك شئ دونه اليأس
هيهات بغداد هى الدنيا باجمعها
عندى وسكان بغداد هم الناس .

ومن محاسن مصر التى رآها ابن ظهيرة : جوامعها ومدارسها وربطها وبيوت أمرائها ، وجامعها : (الازهر بالخصوص ، فليس فى الدنيا الآن ، فيما أعلم ، له نظير ولا ينقطع ذكر الله تعالى عنه طرفه فى ليل ولا نهار ، وفيه أروقة لاصناف من الخلق منقطعين لعبادة الله تعالى . والاشتغال بالعلوم وتلاوة القرآن ، لا يفترون ساعة) .

ويرى ابن ظهيرة أيضا أن من محاسن أهل مصر (اختصاصهم بقبر الامام الاعظم الشافعى القرشى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفنه بأرضهم فقد روى أن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى ينشد :

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر
ومن دونها أرض المهامه والقفر
فو الله ما أدري الفوز والغنى
أساق اليها أم أساق الى قبر ؟

قال : فوالله لقد سيق اليهما جميعا ..

كما رأى ابن ظهيرة أن من محاسن أهل مصر (حسن فهمهم في العلوم الشرعية وغيرها من سائر العلوم ، وسرعة تصورهم واقتدارهم على الفصاحة بطباعهم وعذوبة ألفاظهم ولطافة شمائلهم وحسن وسائلهم ، أمر محسوس ، غير منكور ، تشهد لهم بذلك الناس حتى ان كل من عرفهم وخالطهم اكتسب من فصاحتهم، واختلس من لطافتهم ، وان كان أعجميا قحفا أو فلاحا جلفا) .

ومما استحسنه ابن ظهيرة من منظوم ومنثور في وصف مصر ونيلها ومحاسنها ومنتزهاتها ، قول الاقدمين فيها :

احن الى الفسطاط شوقا وانني
لادعو لها اذ ما يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة بجنانها
وفي كل قطر من جوانبها نهر ؟
تبدت عروسا والمقطم تاجها
ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقول ابن نباته (ت ٧٦٨ هـ) :

يا سارى البرق من آفاق مصر لقد
اذكرتني من زمان النيل ما عذبا
حدث عن البحر أو دمعي ولا حرج
وانقل عن النار أو قلبي ولا كذبا
واندب على الهرم الغربي لى عمرا
قضيته هرم فارقته وصبا

وقول القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) :

لعمرك ما مصر بمصر وانما
هي الجنة العليا لمن يتفكر
فأولادها الولدان من نسل آدم
وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وقول الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) :

سقى سفح المقطم صوب مزن
وان يبخل فيكفي دمع جفني
وحيا مصر عني كل غاد
وهل تغني بذلك مصر عني
قرعت السن حين رحلت عنها
وليت لو انتفعت بقرع سني
واخرجني القضا عنها فقل لي
شربت جهنما بجنان عدن
فيا قبح الذي اصبحت فيه
ويا حسن الذي قد راح عني !

مصر الدين والفن



هل تعرفها..

د. نعمات أحمد فؤاد

● كلامنا عن مصر ما أكثره، وما أقله..

نتشدق كثيرا باسم مصر، وننفذ قليلا الى ما وراء الحروف.

والوطنية الرفيعة أكبر كثيرا من مجرد الكلام، ومن الأغاني، والشعارات.

انها علم بالوطن..

وعطاء..

وانتماء ليس منه سجلات المواليد، ولكنه أسلوب، وادراك، وايمان، وفداء بالنفس والمال والمنافع الزائلة مهما بلغ اغراؤها..

ان الهتاف وطنية البسطاء. والشعارات املاء على ارادة الانسان والغاء لشخصيته..

ولكن الوطنية علم بالوطن.. اتحدث عن البعد الاول للوطن، فالتعصب للمكان يستشعره الطائر مع عشه، والفار مع جحره، والارنب مع وجاره، والاسد مع عرينه – ولكن العلم بالمكان هو الرباط الحقيقي..

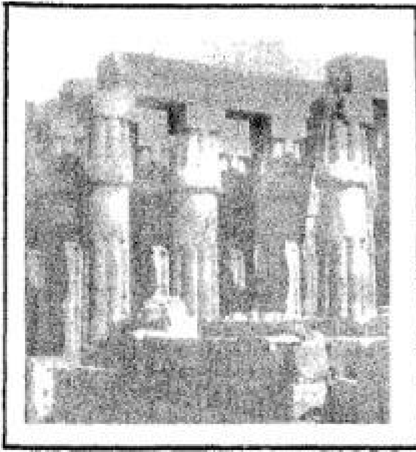
وقد ارتبط المصريون فى عصور زهو الحضارة المصرية بأرضهم ارتباطا ظهر فى فنونهم ومأثورهم.. ظهر فى صناعاتهم، ارتباطا طبع حضارتهم كلها. فلم تكن هجينا أو خلطا او تخليطا، بل كانت من عز التأصيل، علامة فى تاريخ الانسان فى كل مكان.

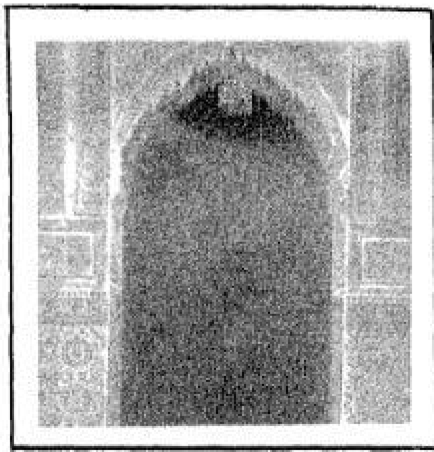
ومن الاصالة، الطابع والروح وهما اسلوب شخصية.. تتعدد الطرز من عصر الى عصر وتظل الروح واحدة..

فمصر قبل الاديان، ومن قديم الازمان، كانت مؤمنة. وغدا الايمان لها طابعا.

الوجدان الديني من مقومات الشخصية المصرية، حتى حين كان الانسان المصرى القديم، ملكا عظيما، فله اله يترضاه بالقرابين والمعابد والعبادة، بل كان الملوك يستمدون عظمتهم بنسبة انفسهم الى الالهة وانهم من نسلها.

وليس اعتباطا أو مصادفة، وقوف مصر وراء الاديان.. احتضنت العذراء





مصر الحضارة : بلد المساجد والمعابد الضخمة

المسيح ، واحتضنت مصر المسيحية نفسها .

ومكث الاسلام فى الاندلس تسعة قرون ما بين أوج القوة ووهاد الضعف ، ثم خرج ـ حكما لا حضارة ـ ولكنه فى مصر وقف على أرض صلبة بما فيه ، متها ، أرض قوية عز فيها بناؤه وبقاؤه بما أمدته بيئتها الحضارية من مقومات الازدهار بسابقة الحضارة والتاريخ .

الطابع هو عز الشخصية ، لانه التفرد والامتياز . وبدونه تغدو وحدة عددية فى جمع متكرر متشابه .

حين بنت مصر المعبد والمسلة والهرم، غدا الشموخ ، والارتفاع ، وأحلام الصعود ، والتوق الى فوق ، لها طابعا وأسلوب بناء وأسلوب شخصية .

فلما اعتنقت مصر المسيحية ، وآمنت بالاسلام كان تأكيد الاسلام للمساواة وراء الخط الافقى فى العمارة الاسلامية بما فى الافقية من تواضع وقبول .. ومضت المساجد الاسلامية فى البلاد الاسلامية تقلد مسجد المدينة بافقيته وبساطته ، ولكن مصر ما لبثت أن أعملت شخصيتها فارتفعت الاعمدة والايوانات فى مسجد السلطان حسن ،رائعة العمارة الاسلامية وقمتها ، حتى عده أساتذة العمارة فى الغرب ، هرما اسلاميا .

يحلو لى الوقوف طويلا عند مسجد السلطان حسن فى مقارنة بينه وبين المعبد المصرى دون أن يحاكى .

فالمدخل الضيق فى المعبد فى عملية تحضير للنفس تنفتح بعده على بهو الاعمدة . يقابله المدخل الضيق فى المسجد الذى ينتهى بالصحن حيث تتصل الارض بالسماء . وينشرح الصدر وينفتح القلب ..

وقدس الاقداس فى المعبد ، يقابله القبلة والمحراب فى المسجد ، غير أن قدس المعبد لا يدخله الا الملك والكهنة ، حين يؤم القبلة الناس ، كل الناس .

تساووا فلا الانساب فيها تفاوت
لديك ولا الاقدار مختلفات

وبحيرة الاغتسال فى المعبد ، تقابلها الميضة فى المسجد ، وضاءة نفس فى الحالين قبل غسل الجسم أو الوجه والكفين .

وهكذا تتعدد الطرز فى مصر والروح واحدة .

فالعمل الفني لا يحدث في لحظة زمنية محددة بل ينشأ ويتكـــون ويتجمع من عوامل عدة سابقة عليه ووراثات كثيرة .

ان المئذنة هي الترجمة الاســلامية للمسلة : فالمساجد في عهد الخلفاء بغير مآذن ، ولكن مصر تفننت وطورت فيها من احساس قديم بالمسلة .

والمسجد المصرى فيه روح مصر التى برعت فى البناء والانشاء منذ القــدم . فضخامة البناء ، وحجم الاحجار ، والاتساع المعمارى ، والاعمدة الكثيرة فى المســجد كالمعبد وخاصة العمود المربع بلا قاعدة ولا تاج (وهو العمود السائد فى «معبد الوادى ») كما انتقلت الى المســاجد ، أعمدة البردى (وعمود البردى سائد فى معبد آمون بالكرنك ومعبد الاقصر) .

وانتقلت الى المســاجد ، الاعمــدة النخيلية (العمود النخيل سائد فى معبد ساهو رع بأبي صير ومعبد أدفو) حتى الخط العربى أعملت فيه مصر ، وجدانها المولع بالنبات فاصبح الخط الكوفى فيها ، أيام الفاطميين مشــجرا ، وهو نوع تنتهى حروفه بتفريعات من المراوح النخيلية .

ان القبة هى الترجمة الاسلامية للهرم بعد أن تشرب الفنان المسلم ، ســماحة الدين الجـديد فترفق الخط فى يده ، واستدار بعد صلابة وثبات .

على ان مصر عرفت التسـقيف بالقبو والقباب منذ القـدم أثبتت حفـريات Garstang بالمنيا فى (بيت خلاف) وجودها فى الاسرة الثـالثة بل نستطيع أن نمضى أبعد من هذا فقد عثر فى عصر بداية الاسرات اى العصر العتيق (يشــمل العصر العتيق الاسرة الاولى والثانية)ـ عثر على قبو خشبى ، وطبق هذا الطـراز بالطـوب اللبن فى بعض المصاطب .

وقد وجد القبو المدرج أو الثلاثى فى هرم خوفو فوق حجـرة الدفن العليـا . كما أثبتت الكشوف وجود القبو المزدوج فى دير سمعان فى العهد المسـيحى فى القرن العاشر الميلادى .

أما القائلون بأن القبة طراز بيزنطى فان حفريات Ryzinar فندت وتفت هذا اذ اكتشف رايزنر أول قبـة مصرية على هذا الطراز قريبا من الهـرم من الاسرة الحادية عشرة .

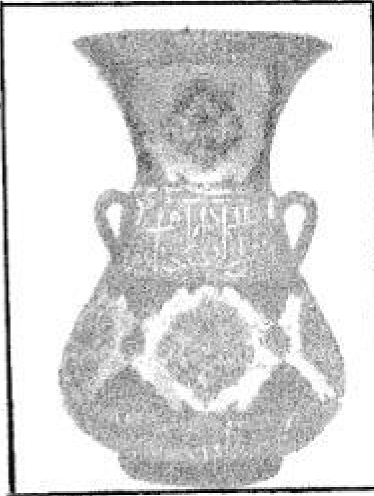
ان الاكتشافات حول هرم « من كاو رع » تكشف عن علمهم بنظرية العقـد وانهم طبقوها فى مدينة العمـال . كما أثبتت حفريات Garstang العقود بالمنيا فى « بيت خلاف » أيضـا من الاسرة الثالثة .. وقد كتب عن هذا علم العمارة الاســلامية المهندس حسن فتحى فى مجلة القاهرة التى تصــدر بالفرنسية .

لقد كان مسجد عمرو بن العاص فى البداية ،بناء بسيطا لا يزيد طول قاعدته على خمسين ذراعا ولا يزيد عرضها على ثلاثين ذراعا .. وكان سقفه منخفضـا ولم يكن له صحن ولا محراب مجوف .. فاذا بمصر تعليه وتتوسع فيه وتخلــع عليه بصمتها ، كفيره ..

ولم يحدث هذا فى البلاد الاسلامية الاخرى اى بنفس القدر والمقدار .

انه طاقة مصر وتاريخها الطويل فى الحضارة .

وحين اراد صلاح الدين بناء قلعة ، جاءت ((قلعة الجبل)) نموذجا وحده .. وكم بين قلعة الجبل فىضخامتها وتفردها فى الموقع ،وبين (قلعة حلب) بتواضعها النسبى ، ووجودها فى وسط المدينة . وليس هذا المثال بأوحد .



ويقول برستيد في كتابه «انتصار الحضارة» :

(.. وكان لاختراع الكتابة واختراع استعمال البردى أثر عظيم فى رفع مستوى الجنس الانسانى أكثر من أى شيء آخر .. لانه أهم من جميع الحروب التى خاض الانسان غمارها .. وأهم من جميع النظم أو الدساتير التى وضعت منذ خلق الله هذا الكون) .

وغير « برستيد » كتب عن مصر « بترى » و « د . هول » و « اميلينو » و « كابارت » من الغرب ومثلهم من الشرق .

ماذا نقول نحن عن مصر .

ولا أقصد بالقول الكلام والاصوات العالية ، ولكن القول المترجم الى عمل أو دراسة .. الى اضافات تحسب لمصر لا سلبيات تحسب عليها .

لقد تطورنا الى أسفل والامثلة كثيرة اليوم يذبحون الاشجار .

وكانت الشجرة عند مصر ، مقدسة .

فشجر الجميز تحل فيها الالهة وتعطى الميت الذى لا أهل له القرابين والطعام .

وتأخذ أوروبا ، الفكرة وتترجمها الى شجرة عيد الميلاد ، وبابا نويل .

كانت مصر تعطى الفن وتدل به حتى فى عصور ضعفها السياسى ، فيفرح الغزاة بكسب معركة فيحمل الفرح دلالة احساسهم الكبير وان النصر فى حضرة الكبير ، ظفر ثمين بثمن غال .

وتستعلى مصر بالفن والعلم بعد الدين فاذا باليونان يتعلمون عليها ، وعندما .. واذا بالرومان يعبدون « ايزيس » لا فى مصر وحدها بل فى روما نفسها .. واذا بالعرب يدخلون مصر فى حرب ضـد الرومان لا ضدها هى ، فلم يغيروا بعد الدخول شيئا فى فنها ، فمضت فيه غير عابئة بالمعركة الدائرة ، فى احتدامها ، أو بعد النتيجة .

كل ما فعله العرب أن أضافوا الكتابة العربية كعنصر زخرفى فى الزخرفة المصرية السائدة ، ولا بأس بها عند مصر فقد احاطت الكتابة العربية بفروع نباتية كما أشرت تأكيدا لشخصيتها الزارعة والزراعية ، كما احاطتها بالاسماك ولمصر قدرة فى رسم السمك منذ بنت معبد « ميراروكا » وبه من رسوم الاسماك عجب عجاب .

وشاعت الحمامة فى الزخرفة الاسلامية فى العصر الفاطمى تأكيدا لوجدان مصر الدينى سواء من ظل من المصريين مسيحيا أو من دخل فى الاسلام .

فالمصرى ختم الحمامة فى زخرفته .

قبطيا : اشارة الى روح القدس ، والحمامة رمز اليها .

ومسلما ــ احياء لذكرى عزيزة هى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام واحتمائه بالغار الذى عششت عليه يمامتان أو حمامتان .

وحبا فى حمام الحمى .

كم اعطت مصر على غير مثال .. ان مصر من كثرة معجزاتها غدت المعجزة فيها

بلا علامة ، وعطاؤها مؤشر الى قيمتين كبيرتين : « الوقت .. والعمل » .

ملأت مصر الوقت ، عملا

وملأت مصر العمل ، قيمة

والمعروف فقط من تراثها الباقي ، شاهد على الاثنين معا .

ملأت مصر القديمة الوقت ، اعجازا لا يحتاج الى الدليل ..

وملأت مصر المسيحية ، الوقت ،جهادا واستشهادا في معركتها ضد الرومان ، والاستشهاد هنا ليس عدما بل حياة وملأته كتابة وحكمة بعد أن انتصر رأيها واعتنق قسطنطين امبراطور الرومان ، المسيحية ، حتى قيل ان كتب الاب اثناسيوس بلغت ستة آلاف كتاب .

وهب أن هذا الرقم ، مبالغة ، تلجأ اليها الشعوب المعتدة بنفسها ،في ابان محنتها تأكيدا لذاتيتها . فدلالته الباقية ، الكثرة الايجابية لانها مشغولة بحساب دقيق .. لهذا بقيت حين يضيع لغو الكلام ..

ان مصر المسيحية هي المصدر الاول لعلم اللاهوت بما خطه فيه اثناسيوس الذي تألق في مجامع نيقية سنة ٣٢٥م .

واننا لنعجب كيف كانت مصر في القرون الاولى للمسيحية تابعة للرومان ثم تستطيع أن تتبع الآخرين لها ومن بينهم روما . فمصر لا روما ولا اثينا هي التي كانت مصدر التشريع الكنسي للعالم المسيحي .

وحين تضاربت أقوال علماء المسيحية في تاريخ عيد القيامة سنة ٣٢٥ م اشرأب مجمع نيقية الى مصر فحسمت الموقف وحددت التاريخ ، بل حددت مصر الاعياد وأوقات الصيام للعالم المسيحي كله .

وقدمت مصر اقدم ترجمة قبطية للكتاب المقدس . وموسيقى مصر الكنسية (اقدم مدرسة موسيقية معروفة في العالم) بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت عنه من موسيقى مصر القديمة التي تحمل اسماءها الى اليوم ، الحانا .

هذا في الدين أما في الفن فحسبي أن اذكر أن القباطي أو الزخرفة القبطية للمنسوجات هي أصل « الجوبلان » الفرنسي بعد ان احيت فرنسا في القرن السابع عشر ، هذه الصناعة المصرية القديمة . كذلك النسيج الذي عرف بـ « الابيسون » نسبة الى مدينة اوبيسون بفرنسا وزخارفه منسوجة بطريقة القباطي .

واعتنقت مصر الاسلام ، فغلبت شخصية مصر في العصر الاسلامي على الصناعة والفن فسادت في الزخرفة استعمال الحفر والتلوين والتطعيم وهي مهارات مصرية قديمة . ومهرت مصر بفنها وزخارفها الهندسية والنجمية اشهر الآثار الاسلامية في العالم مما يشهد به تابوت الامام الشافعي بقبته وتابوت الامام الحسين وقبة مسجد ابن طولون .

ومصر هي التي استعملت لاول مرة الفسيفساء المذهبة . حين زين بها البناء المصري محراب قبة الملك نجم الدين ايوب . ويطول بي الحديث لو تحدثت عن الجامع الاقمر والآثار الاسلامية الاخرى .

لقد سارعت مصر على اثر دخولها في

الاسلام الى جمع الحديث وتسجيله على ورق البردى الذى عرفت به . وعن مصر نقل البخارى فى تفسيره كثيرا ، وعلى الصحيفة المصرية فى التفسير ، ارتكزت التفسيرات فى سائر البلاد الاسلامية .

وفرضت مصر شخصيتها فى الفقه حيث كيفت آراء الشافعى وحورت وبدلت فيها حتى أضطر أن يكتب رسالته من جديد فيها ، عدولا منه عن رسالته القديمة التى كتبها بالعراق متأثرا بالبيئة المصرية وآراء امام مصر الليث بن سعد .

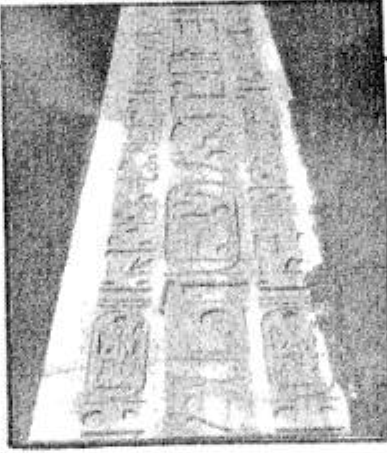
واتخذت مصر دورا ذائعا فى علم القراءات .

وكما ابتدعت مصر الرهبانية فى المسيحية ، وضعت أسس التصوف فى الاسلام على يد ذى النون المصرى الذى تقول عنه المصادر الاسلامية ومن بينها الرسالة للقشيرى ، والطبقات للشعرانى والكواكب الدرية للمناوى وحلية الاولياء لابى نعيم الاصبهانى ، واللمع للسراج الطوسى ، وكشف الحجب للهجويرى وكذلك الرازى والترمذى .. انه وحيد دهره علما وعبادة وحالا ، ومعرفة وادبا وقد كان المشايخ قبله ، ولكنه أول من فسر اشارات الصوفية وتكلم فى هذا الطريق .

وقامت مساجد مصر بدور كبير فى الثقافة الاسلامية وخاصة الأزهر الذى حفظ علوم اللغة والدين فى الهزات السياسية .

وبعد غارات المغول والتتار فى الشرق وحركات الافرنج فى الغرب (اسبانيا) تجمعت الحركة الفكرية فى القاهرة .

والى اليوم مصر قبلة العرب فى اللغة بعلومها وفنونها ، وقبلة المسلمين فى علوم الدين .



واذا اعتبرنا المسلمين اليوم عربا وعجما الف مليون نسمة فان هذا الالف قبلته مصر اليوم وليس هذا بالهين او القليل الشأن .

ان أضبط مصحف كتابة ورسما وشكلا من عمل مصر .

والمصحف المرتل من عمل مصر .

والمصحف المجود صوت مصر .

وفى العصر الحديث اقالت مصر الادب من عثرته وشرعت فى الترجمة والاقتباس وكتبت القصة والمسرحية والشعر التمثيل وكانت فى كل هذا رائدة ومنارة اشعاع حتى فى العلوم الحديثة كالطب والذرة والهندسة ، تتألق فى سماء مصر الاسماء الكبيرة والكثيرة على المستوى العالمى مما شهد لهم به ، الغرب نفسه .

ان تاريخ مصر الدينى والعلمى والفنى ابقى واعظم من تاريخها السياسى لانه حافل بالريادات وعطاء الخلود .

ان قمة التاريخ السياسى فى امة من الامم ، هو عصر الامبراطورية فيها .. ولكن العالم على مسار العصور به امبراطوريات عديدة تتابع موجات موجات .. ولكن الذى لم يتكرر او يشاليه ، احد ، ريادات مصر الحضارية .

ليتنا نعرفها .

لمسات الأدب وسبحات الخيال

في مصر الخالدة

لما كان الخلود من صفة «الله» المتفرد بالدوام ، فانه تعالى يضفي من الخلود على بعض خلقه ما يجعلها « خالدة » .. في معاييرنا التي تتناهى وتقف عند بعض الحدود .

ومن هنا جاز لنا — في غير اجتراء على الله — ان نصف (مصر) بالخلود وان لا نعدو الحق اذا قلنا في زهو المختال انها (خالدة) على مر الزمان

ولقد كان المصريون القدماء ينفرون من فكرة (الموت) لانهم كانوا يحبون الحياة ، وكانوا صناع الحياة .

والاثاريون الذين نفضوا الغبار عن كل ذرة معروفة في تاريخ مصر ، والذين فكوا رموز المصرية القديمة ، وحلوا طلاسمها ، ولا يزالون يحاولون المزيد في كل كشف جديد — يؤكدون ان كلمة (الموت) لم تذكر في « متون الاهرام » مرة واحدة ، وانها لم تستعمل في صدد مصري واحد الا بصيغة النفي » وانها لم تذكر صراحة في تلك المتون الدينية — التي تصور العقائد والحالة العقلية والاجتماعية عند قدماء المصريين — الا حين كانت تستعمل مع الاعداء . .. فللمصريين الحياة وما وراءها من خلود ، ولاعدائهم الموت والفناء ..

الم يجيء من الملك « بيبى » في احد هذه المتون : (هيا ايها الملك ! انك لم تسافر ميتا ، بل سافرت حيا .. لقد سافرت لكي يمكنك أن تعيش .. انك لن تموت ! .. هذا الملك « بيبى » لن يموت ! .. انه يعيش ابدا ! .. نعم وارفع نفسك ايها الملك السامي بين النجوم التي لا تفنى ..)

وقد بقيت مصر « خالدة » في كثير من مظاهر حياتها التي لا نتعرض لها هنا الا بمقدار ما يعنينا في هذا المجال من لمسات الادب وسبحات الخيال ..

وعلى الرغم من تقلب التاريخ على مصر منذ العصر المسمى « بالعصر الباكر »،مرورا بعصر الدولة القديمة، فالوسطى فالحديثة ، فالعصر الصاوي حيث الاسرة السادسة والعشرون التي نهضت في عهدها البلاد بعد كبوة طويلة، فعصر الغزو الفارسي ، فعصر الاسكندر والبطالمة ، فعصر الرومان الذي اصبحت فيه البلاد ولاية رومانية ، فالعصر المسيحي ، فالعصر الاسلامي العربي الذي تقلبت فيه دول اسلامية على مصر بعضها عربي ، وبعضها غير عربي حتى يومنا الحاضر ، وعلى الرغم من الحضور اللغوي للغة طارئة مع الفتح العربي الاسلامي غير لغة الفراعين واللغة القبطية في العصر القبطي ، وعلى الرغم من الاختلاف والفروق بين الحاضر والماضي في العقيدة والفكر والاجتماع ، وعلى الرغم من تباين طرق التفكير والتعبير بين الامس واليوم .. على الرغم من ذلك كله — وهو كثير — نحس أن الادب المصري على طول عهده، وعلى اختلاف لغاته بين قديم وحديث هو ادب أصيل صميم ...

وهنا ، وبعد اربعة عشر قرنا من الزمان مضت على الفتح العربي لمصر، وبعد ان اتخذت لغة « الضاد » لها مكانا راسخا ، وقدما ثابتة في وادي النيل ، وفي بلاد اخرى كثيرة اظلتها راية العروبة والاسلام — يخطر على البال سؤال : هل لمصر ادب قومي قديم ؟ .. كمثل ذلك الادب الاغريقي،

● محمد عبد الغني حسن ●

والروماني ، والالماني ؟

وقد اثار هذا السؤال عالم المصريات المشهور : « ماكس بيبر » ، ورد هو عليه عمليا بكتابه الجليل الموجز في الادب المصري القديم .

والحق اننا مدينون للعلامة «ماكس بيبر » ، وللاستاذين « أدولف ارمان» و «رنكة» في تناولهم البديع لموضوع الادب في مصر الفرعونية ، كما اننا مدينون لعالمنا المصري المرحوم « سليم حسن» بدخوله ذلك الميدان مستأنسا بآراء هؤلاء العلماء الاجانب ، ومعتمدا على بحوثه ودراساته الشخصية التي كانت جزءا من برنامجه العظيم في التاريخ لمصر القديمة .

ويؤكد عالمنا المصري سليم حسن ان مصر (أول بلد ربي في نفوس ابنائه روحا ادبية خالصة للادب مجردة عن اي غرض آخر . لقد وضع المصري المؤلفات الادبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، لا يريد بها شهرة سياسية ، او تأييدا دينيا ، او نفعا تجاريا ، وانما يريد الادب لذاته الصافية بسمو التعبير ، وعلو المعنى)

ولا شك ان مصر كانت سابقة في ميدان الادب الخالص ، فان الادب العبري جاء متأخرا بعد ذلك بحوالي مائتين وألف عام ، أما الادب البابلي فلم يكن أدبا خالصا ، ولا قصد به خدمة العاطفة والوجدان والشعور والخيال ، ولكنه كان أدبا يتسم بالنظرة المادية العملية للحياة ..

على انه بالرغم من النظرة العملية المادية في الادب البابلي، فان ما انتجته بابل من قصص وشعر كان اكثر خصبا من الادب الفرعوني ، الا انما كانت هناك كنوز ادبية مصرية في الشعر والقصة لم يكشف عنها النقاب بعد .

ولقد اشتهرت في التاريخ الادبي بعض القصص المصرية القديمة ، كقصة سنوهيت ، وقصة الفلاح الفصيح، وقصة الملك خوفو والسحرة ، وهي من نتاج عصر الدولة الوسطى ، كما اشتهرت قصة الاخوين ، وقصة المخاصمة بين حور ، وست ، وقصة سياحة « وناموق » ، وقصة الاستيلاء على يافا ، وهي من نتاج عصر الدولة الحديثة .

***

اما ادب الحكم والتاملات والادب التعليمي فقد كانت مصر مبدعة له ، وسابقة فيه ، وكان الناس يقبلون عليه ويتذوقونه ، كما كان الكتاب يتنافسون فيه ، ويبذلون الجهد في تحسينه بما يدل على مهارتهم واتساع افقهم الاجتماعي . ومن هنا يصح ما يقال من ان الحكم والامثال والتاملات المصرية القديمة كانت بداية موفقة لظهور امثال « سليمان الحكيم » .

ويبدو أن أنغام النهر الخالد منذ القدم قد اوحت الى المصريين ان ينظموا الشعر ويجودوا فيه ... ووجد الشعر سبيله الى الاغاني الشعبية واغنيات الحب ، واغنيات الشراب ، والاناشيد للالهة ، وقصائد البطولات والمعارك التي لم تقف رحاها يوما واحدا .

وقد كان للشعر الديني سوق رائجة وخاصة في المعابد، وان كان هذا اللون من الشعر ربما جافا كان ينابيع الشعر والخيال البديع قد نضبت فيه، على حين كانت الاغاني الشعبية التي

تنشد في المناسبات الاجتماعية تفيض بالعذوبة والحلاوة والعواطف الرقيقة على الرغم من بساطتها وسهولة نظمها، كأغنية « تباشير الفيضان » التي كان يترنم بها الفلاحون في ذلك الموسم الواعد بالخصب والخير والنماء ..

ويشيد الاستاذ « ادولف ارمان » بنشيد « الشمس الكبير » للملك اخناتون ، ويصفه بانه نشيد بسيط يفيض حرارة وحمية ، حتى ليمكن - بدون تردد - أن يوضع جنبا الى جنب مع الاناشيد الكبرى لاية امة اخرى .

والذي لاشك فيه عند اكثر المؤرخين والباحثين وعلماء المصريات أن الادب المصري القديم هو ادب اصيل مبتكر غير مقلد، وانه سبق في بعض المجالات الادبية آداب امم اخرى قديمة ، وانه كان مصدر الهام لاداب قديمة اخرى جاءت بعده ، وانه ادب صادق التعبير عن ملامح مصر وافكار اهلها ، وأن فيه من حلاوة الاسلوب وعذوبته ما جعله ادبا سائرا متداولا غير راكد .

***

واذا كانت « اللغة القبطية » هي الصورة الاخيرة من تطور اللغة المصرية القديمة ، وكانت اللغة اليونانية هي المنافسة لها حينما استولى الاسكندر الاكبر على مصر ، فان آثارا كتابية قد بقيت لنا من تلك اللغة ، كسير القديسين، واعمال الشهداء ، وتراجم الرهبان الاوائل . وكذلك كتب المعتقدات المذهبية المختلفة ، وآثار مكتوبة تتصل بالعقود والمواريث والضرائب ، واخرى تتصل بالتاريخ ومواقع البلدان والفلك والسحر والطب .

وقد اتجه الاقباط منذ الفتح العربي الاسلامي الى الادب الخالص بجانب الادب الديني الذي كان سائدا . وبذا ظهرت في القرن الثامن الميلادي قصص واشعار مطبوعة بطابع الحكمة ، منها قصة ثيودوسيوس ، وديونسيوس ، وقصة ملكة سبا ، وقصة الاسكندر المقدوني ، وقصة قمبيز التي تناولت بلغة قبطية اصيلة قصة الغزو الفارسي لمصر . .

وبدخول مصر في الاسلام منذ الفتح العربي صبغت صبغة عربية ، واصبح للغة العربية فيها شأن ، ولبس الادب والفكر فيها ثوبا جديدا لم يكن لها به عهد من قبل وقامت العربية والعروبة في مصر وقام معهما فكر جديد وادب جديد واصبحت مصر تنافس الجزيرة العربية ودمشق وبغداد في النهوض باللغة العربية ، وظلت مصر ممسكة بزمام القيادة او الريادة للعروبة والادب العربي منذ الفتح العربي حتى يومنا هذا ، الا ما مر بها من فترات الضعف التي لم يكن مفر منها ، كفترة الحكم العثماني التي امتدت الى ثلاثة قرون تخلفت فيها اللغة العربية واصابها الوهن والكساد في الانتاج الفكري والادبي .

واذا نحن قسمنا النتاج الادبي الى شطريه الكبيرين : الشعر والنثر، رأينا الشعر في مصر الاسلامية حتى عصرنا هذا مر بمراحل وتطورات لم يكن منها بد . لقد استطاع الشعراء الوافدون على مصر من امثال : جميل ، وكثير ، ونصيب ، وابن حزيم ، وعبدالله ابن الحجاج أن يقولوا شعرا جيدا ،وان يجمعوا بين مدح الولاة والكبراء وبين الغزل الرقيق الذي اشتهروا به .

وبالطبع لم ينسوا « نيل مصر » الذي كان مصدر الهامهم ، والذي لم يكن له نظير في بلاد العرب او الشام . ولم ينس الشعراء الوافدون في العصر العباسي نيل مصر ، ولا خصبها ، ولا جنانها الخضر من امثال ربيعة الرقي، وعوف بن محلم ، وابي نواس الذي جاء الى مصر ومدح واليها « الخصيب» بقوله :

انت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
« النيل » ينعش ماؤه مصرا
ونداك ينعش اهله الغمر

ولن ننسى من كبار الشعراء الوافدين

على مصر «ابا تمام» ولا أحمد بن اسحاق الذى رثى الدولة الطولونية ، ورثى الميدان الطولونى الذى هدم فى اول عهد الاخشيديين ولا الشاعر الفحل ابا الطيب المتنبى .. الذى لم يكتف بهجاء «كافور» فى سورة غضب ، بل هجا مصر والمصريين معه !

وجاءت الدولة الفاطمية فاغدقت الاموال على الشعراء ، وفتحت لهم ابواب القصور ، واهتمت بالمهرجانات الشعرية التى كانت تقام فى المناسبات والمواسم المختلفة ، كموسم فتح الخليج ، ورأس السنة الهجرية ، ومولد النبى ويوم عرفة ، وكانت أسواقا ادبية عظيمة يدلى فيها الشعراء بغوالى دررهم ولعلنا لا ننسى «ابن وكيع التنيسى» شاعر الخمر والزهر والطبيعة المصرية وظافرا الحداد ، وعمارة اليمنى وتميم ابن المعز الذى جمع بين امارة الملك وامارة الشعر ، فكان المقدم فى العصر كله .

وابتدات الروح المصرية الحلوة المتميزة تظهر فى الشعر المصرى فى العصر الفاطمى ، فعرف بخفة الروح ، وحلو الدعابة ، والرقة ، وسرعة اللمح .. واتسعت اغراضه لوصف الطبيعة المصرية ، وعلى راسها النيل . ولاحظ ذلك الرحالة الاندلسى « ابن سعيد المغربى » حين زار مصر فى العصر الايوبى فقال :

اسكان مصر جاور النيل ارضكم
فاكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر
وكان بتلك الارض سحر .. ومابقى
سوى اثر يبدو على النظم والنثر !

وما نضب الخيال والشعر ، ولا توقف الادب فى العصر الايوبى ، فكان ملوك هذه الدولة حفيين بالادب والعلم ، بل كان بعضهم شعراء كالملك الكامل ، فلا عجب ان راجت سوق الشعر فى عهدهم .. وجاءت الحروب الصليبية ولقاء المسلمين مع الفرنجة ، فظهر الشعراء يهنئون بالنصر ، ويحرضون على القتال ويبكون ويرثون الشهداء ، ويصورون المعارك والبطولات الاسلامية العربية .. ومن هؤلاء الشعراء : ابن الساعاتى وابن النبيه ، وابن الفارض ، وابن مطروح ، والبهاء زهير ، وابن سناء الملك **والقاضى الفاضل ، وعلم الدين ايدمر ، وابو الحسين الجزار شاعر الفكاهة الحلوة والنكتة الحاضرة .**

وعلى الرغم من الضعف الذى تسلل الى الادب والشعر فى العصر المملوكى ، وعلى الرغم من ظهور الطبقة التى سماها «ابن خلدون» «بالطبقة المستعجمة عن لغة مضر » وعلى الرغم من شيوع اللحن والضعف اللغوى والشعر العامى نجد جماعة من الشعراء تميز شعرهم بالسهولة مع البعد عن الجزالة القديمة من امثال : التلمسانى ، وولده الشاب الظريف ، والوراق ، وابن دانيال ، وابن نباتة ، وابن حجة الحموى صاحب « خزانة الادب » والامام البوصيرى صاحب البردة المشهورة

***

واذا كان العصر العثمانى فى مصر قد هبطت فيه اللغة والادب والشعر الى مستوى الركود ، فان عصر النهضة الاخيرة ــ الذى ظهر فيه عبدالله فكرى ومحمود سامى البارودى مجدد اساليب الشعر ورونقه ، ومعيد اشراقه ونصوع ديباجته ــ قد قاد الى ظهور اسماعيل صبرى ، وحفنى ناصف اللذين لا يجوز لمؤرخ ادب اغفالهما . وهذان الشاعران اسلما قياد الشعر الحديث الى الشعراء الثلاثة الكبار : احمد شوقى ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وخليل مطران .

وقد احتل شوقى مكان الامارة ــ او الامامة ــ فى الشعر الحديث بما **رزق من ديباجة وبناء متميز لم يرزقه زميلاه وامتاز بشعره الاسلامى والعربى والقومى الذى كانت تنصت له اذان العرب والمسلمين فى كل مكان ، كما امتاز بمراثيه التى كانت مثلا اعلى للوفاء وتقدير الرجال واستيعاب حكمة الحياة والموت .**


محمد عبد الحليم عبد الله


توفيق الحكيم


محمود تيمور

وكما امتاز البارودي بشعر الحنين والشوق الى الوطن بمناسبة منفاه الى جزيرة سرنديب « سيلان »، امتاز « شوقي » بشعر الحنين كذلك حين نفي الى اسبانيا – وهي ارض الاندلس القديمة بذكرياتها وامجادها – واتخذ من تلك الارض التي سعدت بالحكم العربي بضعة قرون ركيزة في شعره لتمجيد مآثر العرب ، وتعظيم مفاخر المسلمين، بالاضافة الى اشواقه الخاصة الى ثرى وطنه مصر ، وتمثل لنا نونيته التي اولها: «ياناثح الطلح اشباه عوادينا» وسينيته التي عارض بها البحتري في وقفته على ايوان كسرى أروع شعر الحنين الى الوطن .

ولعل اجل يد اسداها « شوقي » الى الشعر العربي هي دوره العظيم في تقديم الشعر المسرحي – او الشعر التمثيلي – الى الادب العربي الذي لم يعرف هذا الفن من قبل ، والفضل من بعده لخلفائه في هذا الميدان وعلى راسهم : عزيز اباظة ، ومحمود غنيم ، وعلي عبد العظيم ، وعلي أحمد باكثير

***

ولم تقف حركة الشعر الحديث عند هذا الحد ، فقد حاول ثلاثة من المتعمقين لثقافة الجليزية – وهم ابراهيم المازني، وعباس محمود العقاد ، وعبد الرحمن شكري ان يدفعوا بالشعر العربي الى حركة تجديدية لم تقف عند التجديد في المعاني ، بل تعدتها الى التجديد في الاوزان .. وظهرت ابولو ثمرة لهذه الحركة عام ١٩٣٢ وظاهرتها مجلة ابولو التي انشئت لتنطق باسم هذه الجماعة

واذا كان اصحاب الشعر الحر او الجديد قد شاءوا ان يقطعوا وشائجهم بالتراث العربي والاصالة العربية حتى بات شعر الفحول في الجاهلية والاسلام غريبا على هذا المتجه الجديد ، فان المحافظين والمعتدلين والمتأنين في التطور لايزالون على يقينهم من ان البقاء للاصلح ومن الحق ان نقول ان شعراء الديباجة والمحافظة في مصرنا هذا بمصر قد حافظوا على الاغراض القديمة للشعر العربي ، ولكنهم توسعوا في الشعر السياسي والاجتماعي الى حد كان استجابة طبيعية لمقتضيات العصر . ولقد كان لمكافحة الاحتلال الاجنبي اثر قوي في قيام الشعر الوطني والسياسي : وهل ننسى مانظمه شوقي، وحافظ، واحمد محرم ، واحمد الكاشف ، واحمد نسيم في هذا الميدان ؟

ولقد تطور الشطر الثاني من الادب وهو النثر خلال العصور التالية للفتح العربي لمصر ، فوجدنا الخطابة تتطور وتقوى وتنتقل مجالاتها من خطب الوفود والفتوح والدين والوعظ الى


عبد الحميد جودة السحار


يحيى حقي


نجيب محفوظ

خطب المرافعات والتقاضي والاتهام تبعا لتطور نظام القضاء والمحاكمات .

وقد نبغ في هذا المجال خطباء من امثال : احمد لطفي ، وعبد العزيز فهمي وابراهيم الهلباوي ، ومكرم عبيد . كما انتج لناالعصر الحديث بنظامه السياسي والدستوري خطباء من امثال سعد زغلول ، وامين الرافعي .

ويلفت النظر في تطور النثر العربي في مصر ظهور « المقالة » وشيوعها . والمقالة ـ بمفهومها الحديث ـ مأخوذة من الاداب الاجنبية ، وان كان قدامى العرب قد عرفوا « الرسائل » ، وان كانت تتميز بالطول ، دون المقالة التي تتميز بالايجاز ..

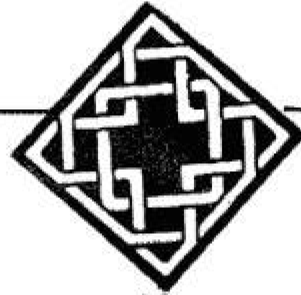
واختلف المقال الحديث بين المقال السياسي ، والمقال الادبي ، والمقال العلمي ، واشتهر بالمقال الادبي كتاب متأنقون محتفلون بالاسلوب ، من امثال مصطفى صادق الرافعي ، واحمد حسن الزيات ، ود. محمد عوض محمد واحمد امين ، و د. محمد حسين هيكل ، وعباس العقاد ، والمازني .

كما برع في المقال العلمي علماء من امثال : اسماعيل مظهر ، وعاطف البرقوقي ، والدكتور احمد زكى الذى مال في مقالاته الى الاسلوب الادبي المتأنق المحتفل بالبيان ونصوع العبارة والتأنق في اختيار اللفظة العلمية المترجمة او العربية ..

اما « القصة » فقد ظهرت ظهورا بينا في ادبنا المصرى الحديث ، وقد كان اتصالنا باوروبا وتأثرنا بافكارها ومناهجها باعثا لتقدير « القصة » والاعجاب بها لونا من الوان التعبير . ولم يكتف روادنا الاوائل بترجمة القصص الاجنبية ، ولكنهم حاولوا التأليف ..

ومن حسن الحظ ان مصر الخالدة كانت من اسبق البلاد العربية واكثرها نشاطا في هذا الميدان الجديد .. ولعلها ارادت ان تعود من جديد الى دورها القديم العظيم في مجال القصة ، التي ابدعت فيها قصصا من امثال قصة سنوهيت ، وقصة الفلاح الفصيح ، وقصة المخاصمة بين حور وست ، وقصة الاخوين وغيرها من القصص الممتع الجميل ..

ولن ننسى فضل الدكتور محمد حسين هيكل بروايته المصرية الاصيلة : « زينب » ولا فضل عيسى عبيد ، وطاهر لاشين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد عبد الحليم عبدالله ، وعبد الحميد جودة السحار ، ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ ، ومحمود البدوى ، وغيرهم من عشرات القصاص الروائيين الذين الجأنا المجال المحدود هنا عن ذكر اسمائهم ، ولكنهم خالدون مع مصر الخالدة ..



الأزهر

أبو الجامعات فى الشرق والغرب

قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية

د . محمد عبد المنعم خفاجى

● هذا البناء الشامخ ، والمسجد العريق القائم فى نهاية شارع الأزهر بالقاهرة ، والمجاور لميدان الحسين ، والذى رفع قبابه جوهر الصقلى ، قائد جيش فتح مصر فى عهد المعز الفاطمى ـ هو جامعة الجامعات ، ومعهد العلم فى عاصمة مصر قاهرة المعز الخالدة ، وهو حقا قلعة حضارية فى تاريخ مصر الاسلامية طوال الف عام أو يزيد .. انه الازهر أبو الجامعات فى الشرق والغرب .

وشيخ معاهد العلم فى مختلف أرجاء العالم . واذا كان مسجد القرويين قد أنشىء فى فاس عام ٢٤٥ هـ ٨٥٩ م ، فانه لم يتحول الى جامعة الا فى زمن متأخر جدا ، بينما صار الجامع الازهر جامعة اسلامية بعد انشائه بسنوات ، وصار مقصد الطلاب والاساتذة من انحاء الدنيا ، وقام برسالة ثقافية كبيرة طيلة الف عام ، مما لم يحدث فى تاريخ أية جامعة من الجامعات فى الشرق ولا فى الغرب .

وكان انشاء الازهر وقيام الحلقات العلمية الجامعية فيه بعد انشائه مباشرة وحتى اليوم ، معجزة المعجزات فى تاريخ الثقافة الاسلامية ..

والازهر هو أبو الجامعات الدينية ، فى عالم الاسلام ، وهو الذى يمدها بالتوجيه والخبرة ، وبالخطط العلمية المدروسة ، وبالمناهج والاساتذة، وعلى نمطه قامت مختلف الجامعات الاسلامية الحديثة فى انحاء العالم الاسلامى ، وصار هو الصورة المشرقة لكل الجامعات وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الاسلامية كلها طوال ألف عام ..

انه روح هذه الحضارة ، والمعبر عنها والمترجم لثقافاتها . وهو موئل العربية



الازهر قلعة العلم والايمان

وملاذها الامين . منذ قيامه الى اليوم
وقد سمى الازهر لانه كان محاطا بقصور زاهرة في رأى ، أو لانه كان أكبر الجوامع على الاطلاق رواء وجلالا وفخامة في رأى ، أو لانه ينتسب الى الفاطمية والى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رأى آخر ، او للتفاؤل بما سيكون له من المكانة والجلال والازدهار العلمي في تاريخ الثقافة الاسلامية .

وقد شرع المعز الفاطمي منذ تولى الحكم في دولة الفاطميين في المغرب في بناء دولة واسعة ، وامبراطورية ضخمة لآل البيت في وسط العالم الاسلامى ، ومن ثم امتد بصره الى مصر ، وشرع في التمهيد لفتحها ، ونشط الدعاة الفاطميون في الدعوة لآل البيت في أنحاء مصر كلها ، ثم عين قائده جوهرا قائدا لجيش الفتح ، فخرج من القيروان بجيش ضخم في ١٤ من ربيع الاول عام ٣٥٨ هـ فبراير ٩٦٩ م ، فاستولى على الاسكندرية ، ثم واصل زحفه الى الجيزة ، فدخلها في ١١ من شعبان عام ٣٥٨ هـ - يوليو ٩٦٩ م ، وفي اليوم التالى دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الاسلامية الاولى آنذاك .

ومكث جوهر في شمال الفسطاط ثمانية أيام استراحت فيها جنوده بعد عبورهم النيل من الجيزة الى الفسطاط وأخذ جوهر في وضع أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية ، فوضع أساسها في يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨ هـ ٧ يوليو ٩٦٩ م كما ورد في خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٠٤) ، ووضع اساس القصر الفاطمي الكبير - الشرقي في اليوم التالى ليكون مقر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله .

وفي يوم السبت ٢٤ من جمادى الاولى عام ٣٥٩ هـ - ١٢ من ابريل ٩٧٠ م شرع القائد جوهر في بناء الجامع الازهر الى جانب القصر الكبير - الخطط ج ٢ ص

الأزهر

أبو الجامعات في الشرق والغرب

٢٧٣ ـ وظل البناء عامين (٩٧٠ ـ ٩٧٢ م) ، وتم البناء واقيمت الصلاة فيه لاول مرة فى السابع من رمضان عام ٣٦١ هـ ـ ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢ م ولم يلبث ان صار هذا المسجد هو المسجد الرسمى للدولة الفاطميين ، وبعد تسعة اشهر من افتتاحه اخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب الفاطمى .

وكانوا يجتمعون كل يوم جمعة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر ، وعلى راسهم الوزير ابو يعقوب قاضى الخندق (خطط المقريزى جـ ٥ ص ٤٩) ومنذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى بنيت الاروقة حول الازهر ، وصارت جزءا منه ، وفرشت بما يلزم لها من الفرش ، وصارت مساكن يقيم بها الطلاب ، وفى مقدمتهم الطلاب الوافدون على الأزهر من انحاء العالم الاسلامى ومن شتى مدن مصر الفاطمية .

وكان نظام الحلقات الذى كان متبعا فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة فى الجامع الأزهر ، وهو اساس الحياة العلمية والثقافية فى مصر . وكان لكل مذهب من المذاهب الاربعة عمود معين من عمد الجامع لا يجلس فيه الا اهل هذا المذهب ، وكان شيخ المذهب حريصا على ان تكون حلقته العلمية بجوار هذا العمود . وكان من عادته فى اثناء القاء الدروس ان يجلس على الارض بجوار العمود مستقبلا القبلة، ثم صار أخيرا يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد ، وصارت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه ، ومن ذلك أخذت الجامعات نظام الاساتذة ذوى الكراسى . وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة ولكل طالب مكان فى الحلقة لا يتعداه .

وكان فى الحلقة طالب من انبه طلابها يكلفه الاستاذ باعادة درسه على زملائه وبقراءة الموضوع العلمى للدرس فى مختلف مصادره ، وسمى هذا الطالب معيدا ، وعن الازهر اخذت الجامعات نظام المعيدين ايضا . وكانت طريقة التعليم اذ ذاك هى ان يبدا الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلخص موضوع درسه ، ثم يقرا النصوص التى كتبت حوله فى مختلف المصادر ، ويقوم الطلاب بسؤال استاذهم فى كل ماغمض عليهم ، ويستمر الحوار والمناقشة والاسئلة والاجابة عنها طول الدرس بين الاستاذ وطلبته .

***

ولا ننسى انه بعد انتهاء الدولة الفاطمية ، وتولى صلاح الدين الايوبى حكم مصر عام ٥٦٧ هـ . أفتاه قاضيه صدر الدين ابن عبد الملك بن درباس الشافعى بامتناع اقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعى ، فأبطل صلاح الدين الخطبة والتدريس فى الجامع الازهر ، واقر الخطبة فى الجامع الحاكمى بحجة انه اوسع ، ثم اعيدت الى الازهر الدراسة ، وكان أول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ،ثم درست المذاهب الاخرى على التتابع ، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس حكم مصر عام ٦٥٨هـ لم يلبث ان أعاد الخطبة الى الجامع الازهر عام ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٦ ـ ١٢٦٧ م .

وزاد بيبرس فى بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه ،واقام الامير عز الدين ايدمر الحلى احتفالا رسميا عظيما فى الجامع الازهر ، ابتهاجا بعودة الخطبة اليه ، كما اقام احتفالا عظيما آخر فى داره حضرهما رجال الدولة وقادتها ،وكان هذا الامير يجاور الازهر بسكناه ، وتبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص ، وجمع له الكثير من التبرعات من الدولة ومن الامراء ، واخذ فى ترميم مبانيه ، وفى عمارته .

ولقى الأزهر من عناية الشعب الشيء

الكثير فعاد الى حلقاته العلمية الازدهار والجلال ، وبخاصة بعد ان دمر المغول في غزواتهم كل معاهد العلم في العالم الاسلامي ، وبعد ان قضى الاسبانيون على المدارس الاسلامية في الاندلس ، ولم يبق في العالم الاسلامي على رسالة العلم والثقافة وبناء الحضارة غير الازهر الشريف .

ولما فتح سليم الاول العثماني مصر ، اخذ يظهر التودد الى العلماء ، والرعاية للازهر ، ويكثر من زيارته والصلاة فيه، وأمر بتلاوة القرآن به ، وتصدق على فقراء طلابه .

وفي عام ١٠٠٤ هـ ـ ١٥٩٥ م جدد الازهر والى مصر العثماني الشريف محمد باشا في عهد السلطان العثماني محمد الثالث ، ورتب لطلبته الفقراء طعاما يجهز لهم كل يوم ، فكان ذلك حافزا كبيرا على زيادة الاقبال عليه .

ولم يكن للازهر قانون معين ، حتى عام ١٢٨٨ هـ ـ ١٨٧٢ م ، ففي هذا العام ، وفي عهد شيخه الشيخ محمد العباسي وضع قانون للتدريس في الازهر صدر به مرسوم خديوى بتاريخ ٢٢ من ذى القعدة عام ١٢٨٧ هـ ـ ٣ فبراير ١٨٧٢ م ـ نص فيه على ما يلى :

١ ـ ان يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان يجرى على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع .

٢ ـ ان يقسم العلماء الى درجات ثلاث : اول وثانية وثالثة .

٣ ـ ان تكون العلوم التي يمتحن فيها الطلاب هي : الفقه ـ الاصول ـ التوحيد ـ الحديث ـ التفسير ـ النحو ـ الصرف ـ البلاغة ـ المنطق .

ولم يكن يسمح بدخول الامتحان الا لستة من الطلاب ، فاذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة او بكبر السن .

وفي عام ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٥ م في عهد الخديو عباس الثاني وضع قانون جديد للازهر ، الف بمقتضاه مجلس لادارة الازهر من أكابر شيوخه الممثلين للمذاهب الاربعة ، ومن ممثل للحكومة ،

ولا ننسى أن أقدم أساتذة الازهر كان هو القاضي أبو الحسن على بن النعمان (ـ ٣٧٤ هـ) فهو أول أستاذ ألقى درسا في الازهر ـ ثم تلاه أخوه القاضي محمد ابن النعمان (ـ ٣٨٩ هـ ـ ٩٩٩م) ـ ثم ابنه الحسين بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله الفاطمى .

ومن اساتذته أبو عبد الله القضاعي الفقيه والمؤرخ (ـ ٤٥٤ هـ ـ ١٠٦٢ م) وكان هو سفير المستنصر بالله الفاطمى الى قيصرة القسطنطينية « تيودورا » لعقد صلح بين مصر والامبراطورية الرومانية الشرقية ، ومن كتبه « المختار في ذكر الخطط والآثار » .

ومن الاساتذة كذلك الامير المختار عز الملك محمد المشهور بالمسبحي (ـ ٤٢٠هـ ـ١٠٢٩م) وهو من الكتاب العلماء ومشهوريهم وله كتاب بعنوان « اخبار مصر وفضائلها » .

ومنهم كذلك الشاطبي(٥٣٨ ـ ٥٩٠هـ ـ ١١٩٤ م) امام القراءات في عصره .

وممن قام بالتدريس في الازهر المؤرخ عبد اللطيف البغدادي(ـ ٦٢٩ هـ) ،وقد قدم على مصر عام ٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م ، وتولى التدريس بالازهر أعواما عدة، في مواد الكلام والبيان والمنطق ، كما ألقى بعض دروسه الطبية في حلقات خاصة .

وكذلك الشاعر الشيخ الصوفي الكبير شرف الدين عمر بن الفارض (ـ ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٤ م) ، وابن خلكان شمس الدين (ـ ٦٨٠ هـ ـ ١٢٨١ م) الذى وفد على القاهرة عام ٦٣٧ هـ ـ ١٢٣٩ م

وكذلك ابن هشام امام العربية في مصر (ـ ٦٤٦ هـ) ، وشيخ المؤرخين ابن خلدون (ـ ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ هـ) . ولما قدم ابن بطوطة الى مصر عام ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٥ م زار الازهر ، وتعرف بعلمائه وذكر بعضهم ، ومنهم : قوام الدين الكرماني ـ شرف الدين الزواوى المالكي ـ شمس الدين الاصبهاني (راجع الرحلة لابن بطوطة ص ٣٥) .

وكذلك ممن درسوا في الازهر ابن حيان الغرناطي العالم اللغوى المشهور ،

الأزهر
أبو الجامعات في الشرق والغرب

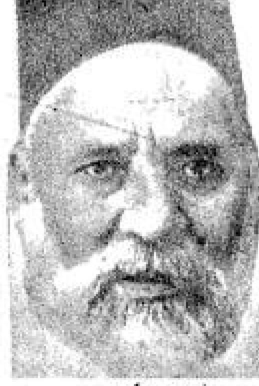
حيث كان يلقى دروسه فيه .
وكذلك المؤرخ المشهور تقي الدين المقريزي .
ومنذ اواخر القرن الثامن قلما نجد شيخا مشهورا او أستاذا كبيرا ، لم يأخذ مجلسه في الأزهر ، وبحسبنا أن ابن خلدون شيخ المؤرخين اتخذ حلقة علمية له فيه ، وكان تدريسه في الأزهر وجلوسه في حلقاته العلمية ، حدثا علميا كبيرا .
وممن درسوا فيه كذلك : تلميذ ابن خلدون المؤرخ المشهور العلامة المغربي محمد تقي الدين الفاسي (ـ ٨٤٢ هـ) .
ومن شيوخه كذلك : الامام شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي (ـ ٩٥٠هـ ـ ١٥٤٣ م) ، والشيخ الخرشي المالكي شيخ الجامع الأزهر (ـ ١١٠١ هـ ـ ١٦٨٩ م) ، والشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى (ـ ١١٠٦ هـ ـ ١٦٩٥م) وكان من شيوخ الأزهر الشريف ، والشيخ حسن بن علي الجبرتي (ـ ١١١٦ هـ ـ ١٧٠٤ م) وهو جد المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .
ومنهم كذلك العلامة المغربي شهاب الدين المقرى (ـ ١٠٤١ هـ ـ ١٦٣٣ م) وقد وفد على مصر عام ١٠٢٧ هـ ـ ١٦١٨م ومنذ ذلك التاريخ لازم التدريس في الجامع الأزهر ، وأقبل على حلقته العلمية الاساتذة والطلاب .
ومنهم كذلك الشيخ الامام الصوفي عبد الغني النابلسي الذى زار مصر عام ١١٠٥ هـ ، والذى تصدر حلقة علمية من حلقاته ، وكذلك مرتضى الزبيدى اليمنى صاحب شرح القاموس ، وكان من كبار العلماء في الحديث واللغة والادب ، وكتابه « تاج العروس من جواهر القاموس » مشهور ، وقد ترجم له



تلميذه الجبرتي في تاريخه (٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٢٠ عجائب الآثار للجبرتي) .
ومن أعلام شيوخه ومدرسيه الامام محمد عبده (ـ ١٩٠٥ م) مفتي مصر ، ومصلح الأزهر ،ومنشىء مكتبته ،وواضع أهم قوانينه . وكان يلقي دروسه في التفسير فيه في الرواق العباسي .
وممن تخرجوا فيه أو درسوا فيه طائفة كبيرة من أعلام نهضة مصر ، ومنهم الزعيم أحمد عرابي ، وسعد زغلول ، وعبد الله فكرى باشا (ـ ١٨٨٩ م) ، والمنفلوطي (ـ ١٩٢٤ م) ، والشيخ محمد شاكر (ـ ١٩٣٩) ، والشيخ عبد العزيز البشرى (ـ ١٩٤٣ م) ، والشيخ أحمد الزين ، و د . زكي مبارك (ـ ١٩٥٢) ،وطه حسين، واحمد حسن الزيات ، وغيرهم .
ومن أعلام المتخرجين فيه كذلك : الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى (ـ ١٨٨٨ م) ـ والشيخ حسين المرصفي (ـ ١٨٨٩ م) ، والشيخ حمزة فتح الله (ـ ١٩١٨ م) والشيخ سيد المرصفي (ـ ١٩٣١) ، وغيرهم .

***

وقد تولى مشيخة الجامع الأزهر منذ العصر العثماني الى اليوم ثمانية واربعون



احمد عرابى



سعد زغلول



علي مبارك

شيخا ، أولهم الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى المالكى المتوفى فى ١٧ من ذى الحجة عام ١١٠١ هـ .

ومنهم :الشيخ البرماوى(ــ ١١٠٦هـ) والنشرتى (ــ ١١٢٠ هـ) ، والشيخ عبد الله الشبراوى امام الصوفية فى عصره (١٠٩٢ ــ ١١٧١هـ) ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى (١١٥٠ ــ ١٢٢٧ هـ : ١٧٣٧ ــ ١٨١٢ م) والشيخ حسن العطار (ــ ١٢٥٠ هـ) ، والشيخ مصطفى العروسى ، والشيخ محمد العباسى المهدى ، والشيخ محمد الانبابى ، والشيخ حسونه النواوى ، والشيخ عبد الرحمن النواوى ،والشيخ سليم البشرى المتوفى فى ١٧ من اكتوبر عام ١٩١٧م ، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى ثم الشيخ المراغى ، والشيخ الاحمدى الظواهرى ، والشيخ المراغى للمرة الثانية حتى توفى عام ١٩٤٥ ، ثم الشيخ مصطفى عبد الرازق (ــ ١٩٤٨) ، فالشيخ مأمون الشناوى ، فالشيخ ابراهيم حمروش ، فالشيخ عبد المجيد سليم ، فالشيخ محمد الخضر حسين ، فالشيخ عبد الرحمن تاج ، فالشيخ محمود شلتوت ، فالشيخ حسن مأمون ، فالشيخ محمد الفحام ، فالشيخ عبد الحليم محمود ، فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخه الحالى .

ولا ننسى ثورات الازهر الوطنية ، ثورة الشيخ الدردير التى وضعت اول ميثاق لحقوق الانسان ، وثورة الشيخ عبد الله الشرقاوى التى الزمت الحكام المماليك بالعدالة فى معاملة الشعب ، ثم ثورة عرابى ، وثورة عام ١٩١٩ ، وهما اللتان ايدهما الازهر وشارك فيهما مشاركة فعالة .. ولا ننسى كذلك ثورة القاهرة الاولى والثانية التى قام بها الازهر من أجل تحرير مصر من الاحتلال الفرنسى .

وبعد ، فهذا هو الازهر ، وهذا هو تاريخه الحافل ، فى بناء الثقافة والفكر والحضارة فى مصر الاسلامية ، بل فى العالم الاسلامى كافة . ولا يزال الازهر يتصدر حتى اليوم الجامعات الاسلامية فى العالم الاسلامى .

وسوف تحتفل مصر الخالدة بالعيد الالفى للازهر بعد شهور قليلة ، لتقدم باسمها وباسم العالم الاسلامى لهذه الجامعة العريقة كل عرفان بالفضل ، وتقدير للصنيع ، على ما قام به طوال الف عام من بناء للفكر وللوطن وللانسان

حضارة

مصر الخالدة

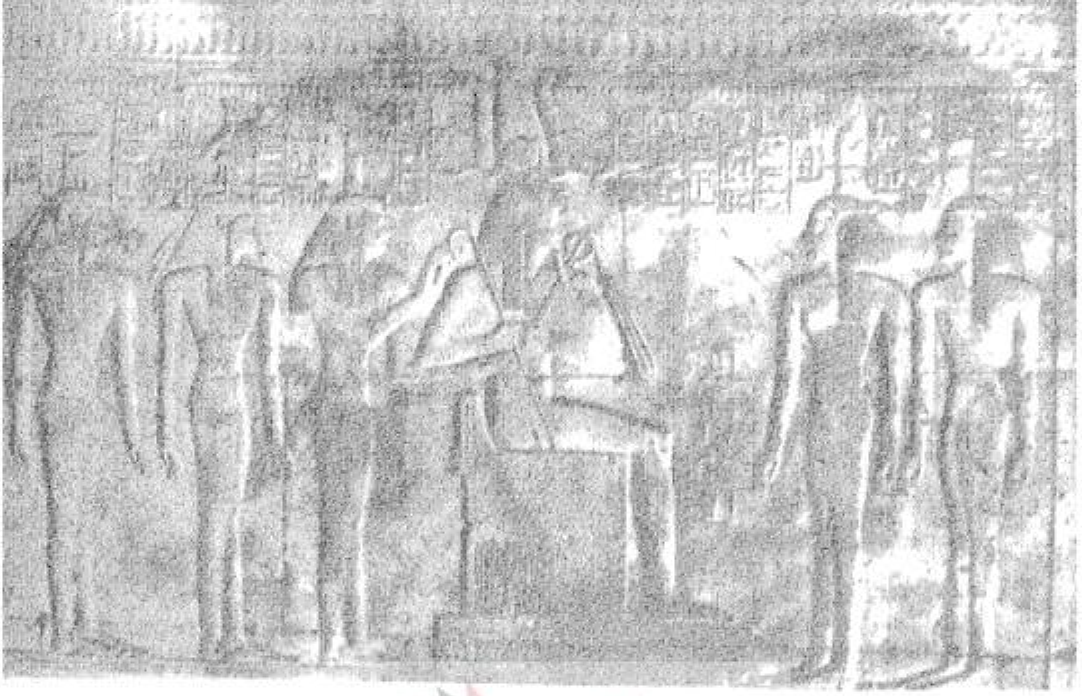
منير بسطا

ان حضارة مصر تدل عليها آثارنا الشامخة التي قاومت عبر العصور والازمان ايدي العابثين والطغاة فوصلت الينا بعد حقبة من النسيان ، معلنة أنها هنا رغم كل ما كان ، وستظل هكذا ابد الدهر ، علامة من علامات حضارة الانسان الذي عاش في وادي النيل منذ ازمان وازمان ، وقدم للبشرية حضارات لا ينكرها العالم في عصره وما بعد عصره ...

حقا ، ان ما اردت ان اعبر به عن عن حضارة مصرنا العظيمة من كلمات قد تبدو شعرا منثورا وما هي الا حقيقة لا ينكرها علماء الشرق والغرب الذين دهشوا واعجبوا بها الى الحد الذي جعلهم يعكفون على دراستها دراسة علمية دقيقة لكي يتمكنوا من معايشة ذلك المصري الذي انتج هذه الحضارة العظيمة في عصور كان ظلام الجهل والجمود يعم عقول الشعوب المجاورة لمصر مما حدا بهم الى ارسال البعثات لمصر لينهلوا من علمها ويتعلموا فنونها ويتفهموا عناصر حضارتها ولنا فيما رواه المؤرخ اليوناني « هيرودوت » الذي زار مصر في اوائل القرن الخامس قبل الميلاد في كتبه التي وصف فيها ما رآه في مصر من عادات وتقاليد ومعابد شاهقة وقصور شامخة ان كهنة مصر في ذلك الوقت رفضوا ان يشرحوا له اسرار المعرفة والعلوم التي كانوا يشرفون عليها ، كما جرت التقاليد في تلك العصور وعاد الى بلاده بخفي حنين دون ان يصل الى ما كان يصبو اليه من التعرف على العلوم واسرار الكون التي كان المصريون يعرفونهـا آنذاك معرفة اكثر تقدما من غيرهم من الشعوب القديمة التي كانت تعيش في منطقة الشرق الاوسط قريبا من وادي النيل.

اننا نقول بحق وبكل فخر كمصريين ان اجدادنا قد وصلوا الى درجة كبيرة من المعرفة بين دول العالم القديم فقد اتفق المؤرخون جميعا على ان جيران مصر الاسيويين قد اخذوا من حضارتها كما اخذ الافريق من حضارتها ما شاءوا ولكنهم اخذوا ما استطاعوا رؤيته دون ان يكبدوا انفسهم مشقة فهمه .

ولقد قامت في مصر منذ فجر



حضارة مصر الفرعونية : اثر خالد على مر الزمان

التاريخ الحكومات التى استطاعت تنظيم العمل الجماعى اللازم لحفر القنوات وبناء السدود .

من المعروف تاريخيا أن الملك «مينا» وهو من الوجه القبلى قد قام بتوحيد الوجهين القبلى والبحرى واصبحت مصر دولة واحدة بعد أن كانت دولتين وكان ذلك حوالى سنة ٣٢٠٠ ق . م .

وتميزت الفترة التى اعقبت توحيد شطرى الوادى بالتقدم الحضارى السريع اذ ان مصر كانت ما بين عام ٣٢٠٠ق.م وعام ٢٥٦٠ ق . م (عصر بناة الاهرام) مركزا لاحدى القفزات الحضارية التى مازالت معرفة اسبابها من المشاكل الرئيسية التى تواجه الباحثين فى تطور الحضارات .

لقد بلغت الحضارة المصرية خلال الخمسمائة عام الاولى من هذا العصر شكلها النهائى فى كل الميادين ما عدا العمارة .

كان الصناع المتخصصون الذين كانوا يتمتعون بمساعدة الطبقة الحاكمة ينتجون الاوانى الجميلة الشكل المصنوعة من أكثر الاحجار صلابة فضلا عن العدد الكبير من الاوانى النحاسية الجميلة الصنع والحلى المصنوعة من الذهب أو من حجر اللازورد أو حجر الفيروز .

وأهم من هذا فقد ظهر المحراث فى أول عصر الاسرات الذى خفف كثيرا من مشاق الزراعة واطلق القوى البشرية التى كانت تستنفد فى الحقول حتى ذلك الوقت من عقالها . ودفع بها الى ميدان المشروعات الوطنية الأخرى .

كما اخذت الكتابة الهيروغليفية صورها

النهائية واصبحت جزءا متمما للشعائر الدينية والاعمال الحكومية .

وتمكنت الطبقة الحاكمة من الوصول الى نظام من اكثر النظم السياسية التى ظهرت فى العالم حتى يومنا هذا تركيزا وتنسيقا .

وما اهرامات الجيزة الا انتصارا للمثابرة والقدرة البشرية الخارقة كما ان عملية تنظيم وتموين هذه القوة الهائلة المستخدمة فى البناء عاما بعد عام كان عملا اداريا من الطراز الاول .

لقد قيل ان عامة الشعب من المصريين كانوا متحمسين لهذا النوع من البناء لانهم كانوا يعتقدون انهم يبنون بيت الاله الذى يعتمد عليه مستقبل رخاء الامة . وظل الحال على ذلك طوال ما يعرف بالدولة القديمة ولكن يبدو ان مثل هذه الاهرامات واقامتها قد استنفد صبر المصريين كما استنفد موارد البلاد وادى الى انهيار الدولة القديمة حوالى عام ٢٢٨٠ ق . م .

وتلا ذلك انهيار سياسى وفوضى ، وقسمت البلاد الى مقاطعات يحكم كلا منها حاكم مستقل وبذلك انهارت الحكومة المركزية .

ولكن هذا الحال المضطرب لم يدم طويلا اذ قامت فى مصر مرة اخرى حكومة مركزية قوية عام ٢٠٥٢ ق . م . ولكن فى ذلك الوقت كان العامة قد نالوا حريتهم ولم يظلوا عبيدا للارض واصبح فى استطاعة الافراد العاديين ان يرتفعوا فى هذه الحياة وكم من موظف كبير افتخر فى النقوش التى خلفها على جدران مقبرته . بانه كان رجلا عصاميا ابن رجل من الطبقة المتوسطة او من ابناء الفلاحين .

وكان المصريون بحق امهر الصناع فى العالم القديم ولم يحل عام ١٥٠٠ ق . م حتى كانوا يعرفون مزج النحاس بالقصدير لينتجوا البرونز كما عرفوا استخدام المنفاخ لتسهيل عملية الصهر وكانوا يعرفون اكثر المعادن العادية التى نعرفها الان الا الحديد الذى كان نادرا قبل عام ١٠٠٠ ق . م .

وقد تفوقوا فى صناعة المينا كما عرفوا صنع الزجاج الملون ذى الالوان المختلفة وعرفوا ايضا صناعة تطعيم الخشب بالصدف وكذلك الابنوس وكانوا اول من دبغ الجلود واخترعوا الطريقة التى مازالت مستخدمة فى معظم ارجاء العالم حتى الآن .

اما المنسوجات فقد نسجوا الملابس الكتانية بفن ومهارة لا تقل فى روعتها من تلك التى تنتجها المغازل الحديثة كما عرفوا الصوف وان كانوا لم يستخدموه الا نادرا .

وكان المصريون ينزعون الى استخدام الوسائل الصناعية للتجميل كما يفعل الامريكيون الآن . وتحتوى البرديات الطبية على وصفات لازالة التجعيدات وصبغ الشعر الابيض وكان الكحل يستخدم فى اطالة الحواجب وفى رسم خطوط على الجوانب الخارجية من العين .

وكان المصريون اول من فكر فى عمل الروائح العطرية الزيتية . اما عن عقائد المصريين القدماء فاننا نعرف انهم عبدوا الكثير من الالهة وكانت الاقاليم المختلفة تتعبد لآلهة مختلفة .

وكان المصرى القديم يعتقد اعتقادا راسخا فى حساب الآخرة حتى انه كان يتصور ان محكمة برئاسة الاله اوزوريس قوامها ٤٢ قاضيا كانت تحاكم الميت على اعماله فى الحياة الدنيا وكان اذا ثبت انه يستحق دخول جنات اوزوريس اتاده نفس الاله الى جناته لينعم فيها خالدا واذا ثبت عكس ذلك فان وحشا رهيبا ينتظر بجوار المحكمة لكى يفترسه .

اما الحياة الاجتماعية فاننا نعتقد ان الاسرة كانت الوحدة الاساسية فى المجتمع المصرى القديم وكانت الزيجات تبنى على الحب المتبادل وهناك نساء فضلن عدم الزواج وكان يسمح لهن بادارة املاكهن وكانت المرأة تحتل مكانة رفيعة وكانت المتزوجات يتصرفن فى

ثرواتهن الخاصة وبشرفن على ادارة اعمال ازواجهن اثناء غيابهم .

***

ومن المعروف أن تاريخ حضارة مصر ينقسم الى أربعة عصور :

١ ــ حضارة مصر فى العصر الفرعونى .

٢ ــ حضارة مصر فى العصر اليونانى الرومانى .

٣ ــ حضارة مصر فى العصر المسيحى (القبطى) .

٤ ــ حضارة مصر فى العصر الاسلامى .

ولا يغيب عن اذهاننا ان هذا التقسيم ما هو الا الطريق الامثل لمعرفة سمات الحضارة المصرية فى عصورها المختلفة عندما تحولت من الوثنية الى المسيحية ثم الى الاسلام .

لقد كان الطابع الدينى هو الغالب على فروع الحضارة المصرية فعندما كانت مصر تدين بالوثنية انتجت نوعا معينا من الحضارة اهم ملامحه تلك المعابد الضخمة والاهرامات الشامخة والمقابر التى تحوى مناظر متعددة تمثل الحياة المصرية بدقائقها وتفاصيلها .

***

وعندما اعتنق المصريون المسيحية تغيرت معالم الحياة الفنية والمعمارية طبقا لتغير الديانة واصبحت الكنيسة والدير مركز الحياة بدلا من المعبد المصرى وجميع ما انتجه المصرى فى ذلك العصر يمت بقريب او بعيد بدينه الجديد (المسيحية) وبدلا من بناء المعابد بنيت الكنائس وبدلا من بناء المقابر الضخمة او غيرها ذات المناظر العديدة لحياة المصرى الدنيوية توقف ذلك واكتفى المصرى ببناء مقابر صغيرة لا اثر للعمارة فيها .

وجدير بالذكر ان جدران الكنائس والاديرة قد غطيت بالمناظر التى تحكى القصص المسيحى المأخوذ من الكتاب المقدس مثل قصة سيدنا ابراهيم واسحق وداود او قصة العائلة المقدسة او قصص القديسين الشهداء ولقد انجزت بعض هذه الرسوم بطريقة فنية رائعة .

لقد اثبتت الدراسات ان مصر فى العصر القبطى قد برت بلاد العالم جميعا فى صناعة النسيج الملون الذى يحمل زخارف نباتية وهندسية ورسوما لاشخاص وحيوانات كانت جميعها تنسج على النول وكانت مصر تصدر للعالم القديم شرقا وغربا هذه المنسوجات ذات المستوى الرفيع من الصناعة الفنية .

***

وفتح العرب مصر فى سنة ٢٠ هـ (٦٤١م) بقيادة القائد العربى المظفر عمرو بن العاص وتم طرد الرومان امام جامعه المسمى باسمه حتى الآن على اطراف حصن بابليون الشمالية وكان بالطبع صغير الحجم بسيطا . ثم ادخل عليه تعديلات كثيرة فيما بعد .

ولما اعتنق الكثير من المصريين الدين الاسلامى الحنيف كثر تشييد المساجد الشاهقة طبقا لعقيدتهم الجديدة ويمكن القول ان طراز العمارات الاسلامية بمصر يفوق من بعض الوجوه امثاله فى الاقطار الاخرى شرقا وغربا كما ان بنايات القاهرة ــ خصوصا المساجد ــ تمدنا بمستندات قيمة متواصلة عن الصناعات التى استخدمت فى بنائها وزخرفتها كما ان الزخارف المبسطة البديعة التى اخرجتها يد الصانع المصرى تظهر جلالة قدر هذا الطراز المعمارى العجيب وتثبت انه انقى شكلا من كل ما عداه .

ومع أن بداية تاريخ العمارة الاسلامية يجب أن تكون عقب الهجرة النبوية مباشرة فان الزمان لم يحفظ لمصر شيئا من آثارها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى حيث بنى مقياس النيل بجزيرة الروضة سنة ٢٤٧هـ (٨٦١ م) بأمر الخليفة المتوكل على الله العباسى وحيث شيد احمد بن طولون جامعه المعروف .

اما بعد ذلك فاختفت تلك الروح وطغت عليها المدنية العصرية وجرفها طرازها الاسلامي المحصن .

وها هي صناعة الجص في الجامع الطولوني ماثلة أمام الأعين تشهد للمصريين بالنبوغ والابداع .

وقد استمرت الصناعات زاهية مزدهرة حتى دالت الدولة الطولونية التي حكمت مصر من ٢٥٧ – ٢٩٢ هـ (٨٧٠ – ٩٠٥ م) حيث عادت الى حظيرة العباسيين الذين حكموها من ٢٩٢ – ٣٢٢ هـ (٩٠٥ – ٩٣٤ م) وفيما بعد دخلت مصر في حيازة الفاطميين الذين حكموها من سنة ٣٥٨ الى ٥٦٧ هـ (٩٦٩ – ١١٧١ م) فدخلت تحت حكمهم في دور جديد حيث اسس القائد جوهر الصقلي عاصمة جديدة هي القاهرة وبنى القصور الفخمة التي اندثرت حاليا فلم تترك وراءها الا قطعا من ابواب واخشاب منقوشا عليها صور تمثل حياتهم العامة .

اما غير القصور فقد خلف لنا الفاطميون الجامع الازهر الشريف وجامع الحاكم وجامع الجيوشي، وجامع الاقمر وجامع الصالح وابواب القاهرة الثلاثة .

واجمل ما في هذه المساجد من زخارف تلك الزخارف الجصية والخشبية واستخدام الكتابة الكوفية بنوعيها البسيط والمزخرف

وهناك ظاهرة رابعة وهي استخدام الحجر في واجهات الجوامع بدلا من الاجر الذي كان مستعملا في العصر الفاطمي .

وفي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) انتقلت مصر الى أيدي الايوبيين الذين كانوا منشغلين بالحروب مع الصليبيين، لذلك لم يتمكنوا الا من انشاء المدرسة الكاملية والمدرسة الصالحية الى جانب اقامة القلعة على جبل المقطم والسور الذي حولها . وبئر يوسف الحلزوني بداخلها وضريح الامام الشافعي .

وفي سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) بدأ حكم دولة المماليك البحرية الذين انشأوا جامع الظاهر بيبرس ومدرسة وقبة وبيمارستان قلاوون والمدرسة الناصرية بالنحاسين وجامع الناصر محمد بن قلاوون وشيد ابنه الناصر حسن مدرسته وجامعه الشهير تحت القلعة المعروف باسم مدرسة « السلطان حسن » الذي يعتبر تحفة فنية رائعة .

وجدير بالذكر ان صناعة الجص والرخام ازدهرت ازدهارا ملحوظا اذ صنعت المحاريب من الرخام بدلا من الجص وقد تغير شكل القباب واطلق على الشكل الجديد اسم « القبة القاهرية » .

وفي سنة ٧٨٤ انتقلت مصر الى أيدي المماليك الجراكسة الذين دام حكمهم الى سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م).

وقد ظهر من بينهم ملوك عظام شيدوا بنايات جليلة لاغراض شتى فقد انشأ السلطان برقوق مدرسته الجميلة بشارع بين القصرين وانشأ ابنه السلطان الناصر فرج خانقاه فسيحه وانشأ السلطان المؤيد جامعه العظيم داخل باب زويلة وحماما بجوار جامعه اما السلطان قايتباي فقد انشأ الاسبلة والاحواض والمكاتب والربوع والوكالات .

ويمكن ان نقول ان التقدم قد اطرد في مختلف الصناعات والفنون .

العمارة في العصر الفرعوني

ان تاريخ العمارة في مصر يشهد بعظمته جميع المؤرخين والاثريين الذين تخصصوا في دراسته وامعنوا البحث والتنقيب فيه فكتبوا عنه الكثير ووصفوا جزئياته وتفاصيله فاصبح هناك اثريون متخصصون في العمارة الفرعونية وآخرون في العمارة المسيحية والاسلامية .

واثبتت الدراسة التي قام بها هؤلاء الاثريون أجانب ومصريين مدى عظمة مصر الخالدة في عمارتها منذ عصر الاهرامات في الدولة القديمة والمتوسطة

والتي تدل عليها بقايا ثمانين هرما في ابو رواش والجيزة وسقارة ودهشور وميدوم واللاهون وهوارة .

ثم تمثلت عظمة هذه العمارة في معابد الدولة الحديثة منها معبد الكرنك العظيم الذي يشغل ما يقرب من ستين فدانا من المباني والمسلات استخدم في انشائه الحجر الجيري والجرانيت والمرمر والرخام والديوريت وغطيت جدران المعابد بالنقوش والزخارف التي تدل على عظمة هذا الشعب الذي اقامها في تلك العصور التي كانت فيها الوسائل البدائية في التشييد هي المعروفة فاذا بهم يقيمون مثل هذه الشوامخ من المباني وهناك معبد الاقصر والمعابد الكثيرة المتناثرة في البر الغربي مثل معبد الرمسيوم ومعبد مدينة هابو ومعبد حتشبسوت ومعبد سيتي انكلا منها يشهد بعظمة الاجداد حقا . وليس ذلك فقط فهناك معابد تكاد تكون متكاملة مثل معبد دندرة قرب قنا ومعبد ادفو ومعبد اسنا ومعبد كوم امبو ومعبد فيلة ومعبد أبو سمبل ومعابد النوبة الكثيرة .

ان آلاف الكتب التي قام بتاليفها علماء أوروبا وامريكا واليابان لتقوم دليلا على أمجاد هذه الحضارة المصرية التي نشأت على ضفاف النيل غالبت الايام والعصور ضخامتها وصلابتها

مكانة مصر العسكرية في العالم القديم

والى جانب كل ما تقدم فلابد ان نذكر مكانة مصر العسكرية في العصر الفرعوني فلقد تمكن المصريون من الصمود للغزاة الذين هاجموهم من الغرب والشرق وطردوا المستعمر تلو المستعمر كالهكسوس والفرس بل واسسوا في مصر تحتمس الثالث والدولة الحديثة امبروطورية متسعة الاطراف امتدت من النوبة جنوبا الى بلاد الشام شمالا ودانت لها جميع الشعوب القديمة وكسبت ودها وقدمت لها الولا والخضوع .

ولم يكن المصرى في تلك العصور راغبا في الحرب للحرب نفسها لانه كان مثالا للرجل المتحضر بين شعوب اقل منه حضارة كانت ترسل شبابها ليتعلم منه الحكمة والعلم والثقافة . انما قام بالحروب ليؤمن حدوده ويرد كيد الاعداء الطامعين في ارضه الخصبة .

وليس ادل على ذلك مما قام به رمسيس الثاني اذ وهو في أوج مجده العسكري وخضوع الحيثيين والآشوريين لسيادته فكر تفكيرا حضاريا ونادى بالسلام فكان أول من عقد معاهدة سلام مع الحيثيين رغم انه كان منتصرا عليهم .

ويحكي لنا التاريخ ان فكرة السلام التي نادى بها رمسيس الثاني بين شعوب هذا العالم القديم كانت جديدة على آذانهم فلم يفكر فيها احد قبله لانهم حقا كانوا على مستوى حضارى اقل بكثير من المصريين فلم يكونوا يعرفون سوى القتال والحرب طريقا للتفاهم بين الشعوب فجاء رمسيس الثاني ونادى بامكان اقامة سلام عادل بين الشعوب فكان نداؤه صرخة مدوية بين ربوع العالم القديم وصورة حية لحضارة اجدادنا والمستوى الفكرى الذي تمتعوا به بالمقارنة بالشعوب التي كانت تعيش حولهم ولقد كان لذلك السلوك نتيجة هامة الا وهي زيادة النشاط الحضاري متمثلا في الانشاء والتعمير وازدهار الفنون ذات المستوى الرفيع وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

هذه هي قصة مصر الخالدة اوردتها موجزة لتبين للمواطنين حضارتنا التليدة التي عاشها المصرى في عصوره المختلفة فرعونية او مسيحية او اسلامية .

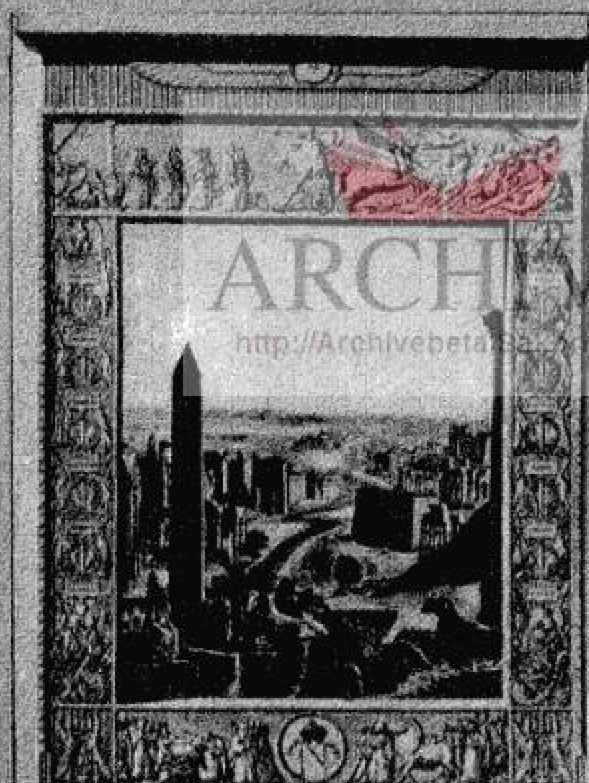
منير بسطا
مدير المتحف القبطي

حضارة مصر..

ومهندسو الفراعنة

د. سيد كريم

بقية ما نشر في العدد الماضي

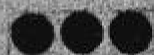


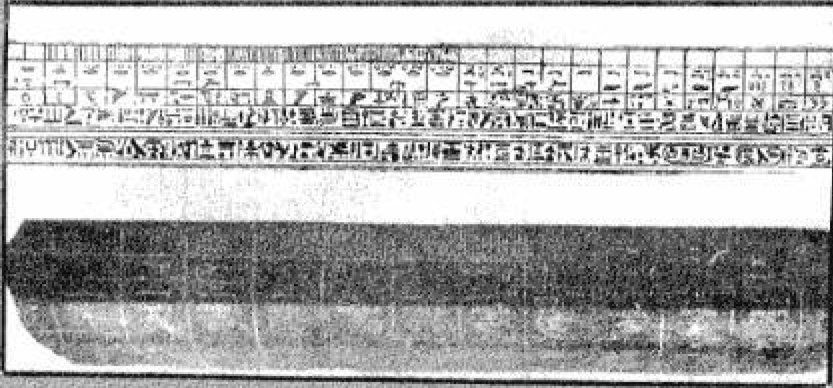


المهندس خا ؟! حامل قلادة الوزير

ايمحوتب : المهندس الاله







المسطرة الحاسبة (عصر الاهرامات) القسم
مسطرة حاسبة اخترعها المهندس المصرى القديم

١٢ ـ انينى ـ ١٥٢٥ ق٠م

اشهر مهندسى الدولة الحديثة ـ ذكر عن نفسه « ان جلالة الملك تحتمس الاول قد اختاره مهندسا للبيت الملكى وقربه الى نفسه لانه رجل مستقيم ذو قلب راض وفم رصين ينطق بالحق وبالحكمة » وانه يجمع بين فن البناء والعلوم المقدسة وكان كاتبا واديبا وخبيرا فى الفلك والرياضيات ٠

ومن اعظم اعماله واولها اكتشافه لمكان « وادى الملوك » الذى وصفه بانه أصلح الاماكن الرحبة الغامضة او الارض المقدسة التى ستضم فى جوفها الصخرى مقابر فراعنة مصر فى عصرها الامبراطورى وخطط وسائل اخفاء المقابر وحمايتها من العابثين بمختلف وسائل التمويه ونظريات الانشاء التى تختلف من مقبرة الى اخرى والتى اتبعها خلفاؤه فى توزيع مقابر الملوك والامراء فى مختلف العصور كما حدد موقع المعابد الجنائزية المرتبطة بالمقابر وصمم أول مقبرة للملك تحتمس نفسه محفورة فى جبل القرنة ٠ واقام له الصرح الرابع بمعبد الكرنك وقاعة اعمدته الخشبية الجميلة ٠

وكان لانينى دورهام فى حملة التعمير التى قام بها تحتمس الاول فى أوائل حكمه لاصلاح ما خربه الهكسوس من المعابد والمنشآت الرئيسية بالبلاد ٠

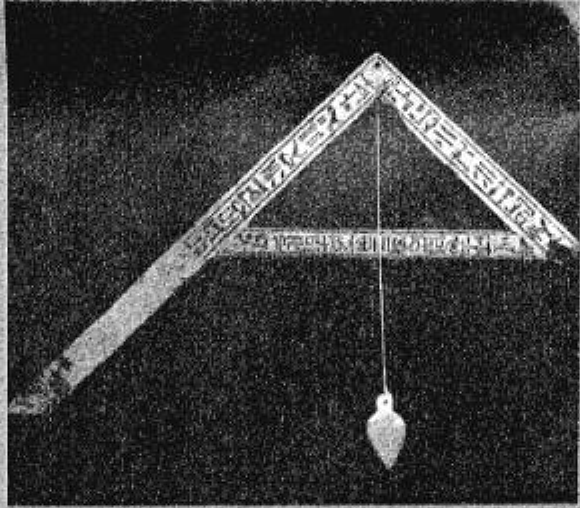
١٣ ـ سنموت ١٤٩٠ ق٠م

من اشهر مهندسى الدولة الحديثة ـ استمد شهرته من قيامه ببناء معبد الدير البحرى الذى يعتبر من حيث اختيار موقعه او جمال تصميمه من روائع الفن المصرى القديم ٠ وهو مهندس الملكة حتشبسوت وكان مقربا لديها بل ويشير بعض المؤرخين الى انه كان يحبها ٠

وقد وصف نفسه بانه « اعظم العظماء فى كافة البلاد وانه ما من شىء منذ بدء الزمن لا يعرفه » لذا فقد كانت الملكة تستشيره فى امور الدولة وجعلته مربيا لابنتها ووريثتها على العرش ٠ فادار لحتشبسوت شئون الدولة الهندسية والفنية وكان مستشارها فى الشئون السياسية والدينية ٠

اما معبد الدير البحرى الذى يعتبره الكثير انه من اعظم الاعمال المعمارية التى قام بها سنموت للملكة حتشبسوت فقد انكر كثير من المؤرخين عليه اى ابتكار فى اقامة هذا المعبد ٠ ويقول الدكتور هول ان معبد حتشبسوت كان تقليدا محضا لمعبد منتوحوتب الذى شيده المهندس « أرتى سن » قبله بستمائة عام ، كما ان

موازين الخيط التى استعملها الفراعنة فى العمارة ■





موقع المعبد نفسه قام باكتشافه واختياره نفس المهندس .

أما أهم الأعمال التى قام بها سنموت فتشمل الجزء الذى أضافه فى معبد آمون رع فى الكرنك ، كما اشتهر على حد قوله باقامة أعظم المسلات ومنها مسلتى معبد الكرنك التى يفخر بأنه اقتطع كتلتيهما من جرانيت محاجر أسوان ونقلهما على أطواف المراكب حتى مدينة الأقصر ومنها الى ساحة معبد الكرنك حيث أقامهما . ويبلغ ارتفاع كل منهما ٣٢ مترا من قطعة واحدة من الجرانيت الوردى ووزنها ٣٣٠ طنا . ثم أقام عدة مسلات أخرى فى الدير البحرى وهيليوبوليس . وأقام سنموت خارج طيبة مجموعة من المعابد الصغيرة لمختلف الالهة الاقليمية لتحل محل المعابد التى هدمها الهكسوس . فابتكر طريقة جديدة لانشائها بواسطة حفرها فى الصخر على شكل كهوف حتى يصعب هدمها أو تخريبها . ومن بين المعابد التى أقامها بتلك الطريقة كهف ارتميدس للمعبود خنوم (الشيخ عبادة) ومعابد (بحت من) التى حفرت فى صخور جبل بنى حسن للمعبودة بخت التى تمثل صورة لبؤة . ومعبد القوصية الذى هدمه الهكسوس فنحت سنموت « معبدا للتاسوع المقدس يقاوم الدهر ويغالبه »

حضـــارة مصـــر
ومهندسو الفراعنة

كما نحت معبدا مماثلا للمعبودة حتحور في سينا .

وحفر سنموت لنفسه قبرا تحت معبد الدير البحـــري يعد من التحف الفنيـة النادرة المثال ، أعظم من قبر الملكة نفسها وتدل شواهد الحال انه لم يدفن فيه بعد وفاته حيث لقي نهايته الغامضة اسـوة بمصير الملكة حتشبسوت نفسها .

مما هو جدير بالذكر ـ اهتمامه الزائد برسم صوره وبعضها رسمها أو حفرها بيده على معظم المباني التي قام بانشائها اسوة بالملوك ، كما نقش صـــوره خلف أبواب جميع مقصورات الدير البحري . وصنع لنفسه مجموعة من التمـــاثيل المختلفة الاحجام والاشكال من البـازلت والجرانيت والبرونز تزيد عما صـــنعه للملكة حتشبسوت أو لجميع أفراد الاسرة المالكة ـ ولا يخلـــو متحف من متـــاحف العالم من أحد تماثيله .

١٤ ـ امنحتب بن حابو ـ ١٣٦٠ ق٠م

مهندس الملك امنحتب الثالث ـ كانت اعماله ولمساته في البناء عظيمـة الحجم وتعتبر من مميزات عصر الامبراطورية . عاش ابن حابو ثمانين عاما فظهرت أول اعماله في عهد تحتمس الثالث وامتدت الى أوائل حكم اخناتون ، وكان محبوبا لدى الملك امنحتب الثالث الذي قربه اليه وكرمه بمنحه مجمـــوعة من الالقـــاب ، وقلده عدة مناصب وعينه مشرفا على جميع الاعمال في اقليمي الوادي . وكافاه الملك فسمح له باقامة معبد لنفسه على غـــرار المعابد الملكية بالقرب من معبـــد الملك الجنائزي بالقرنة .

وكانت تؤدي لهذا المهنـــدس العظيم الطقوس الدينية كما تؤدى للملوك تماما، وهو ما لم يحظ به مهندس قبله ســـوى ايمحوتب في الدولة القـــديمة . وكان يحمل لقب ((الكاتب الاول ومصـــدر الحكمة)) ومن اقواله ((تعمقت في الاقوال القدسية وتزودت بكل اسرارها وكشفت عن كل فصولها . واعتاد الناس على ان يستشيروني في كل امـــورهم الدينيـة والدنيوية)) .

وفي احد النقـــوش على تمثـال من تماثيله ((ان أعماله المعمـــارية والفنية الخالدة لم يقلد فيها احدا ممن ســـبقوه ولم يقلد نفسه في كل عمل جديد يقـوم بتشييده)) .

قام بعدة منشـــآت في كل من منف وطيبة والنوبة وسينا والسودان . ومن أعماله العظيمة المعبد الجنائزي لامنحتب الثالث بالقرب من طيبـــة واقام أمامه تمثالين ضخمين وهما المعـــروفان باسم ((تمثالي ممنون))واقام عدة تماثيل أخرى للملك بمعبد الكرنك نفسه . أما تمثالا ممنـــون اللذي يبلغ ارتفـــاع كل منهما ٢١ مترا فقد تم نحتهما في محاجر الجبل الاحمـــر بهيليوبوليس لاقامتهمـــا في عين شمس . وتقربا لكهنة امون في طيبة فقد كلف الملك امنحتب مهندســـه ابن حابو باقامة معبده الجنـــائزي في طيبة ونقـــل التمثالين الضخمين لوضـــعهما أمام صرح المعبد وقد نقش ابن حابو على التمثـــالين بعد نقلهما الى طيبـــة ((صـــاحب الاثار العظيمة التي نقلها بقوته من عين شمس الشمالية الى عين شمس الجنـــوبية)) .

وكان أول ما وضع فيه امنحتب بن حابو همه بناء على رغبة الملك ((تجميل مدينة طيبة مهد أعظم آلهة الدولة واعلاها كعبا)) مما جعل طيبة تأخذ بنصيب الاســـد من الثروة التي تدفقت على مصر من ســـوريا والنـــوبة ومختلف ارجاء الامبراطـــورية فاقام بها مجموعة من المعـــابد الفاخرة والقصور الشامخة التي لعب فيها فن ابن حابو دورا حيويا ، كما أقام عدة معابد للآلهة المحلية في كل من النوبة والسودان كما وصف ضمن أعـــماله انه أقام عـــدة مسلات للملك في هيليوبوليس وطيبة .

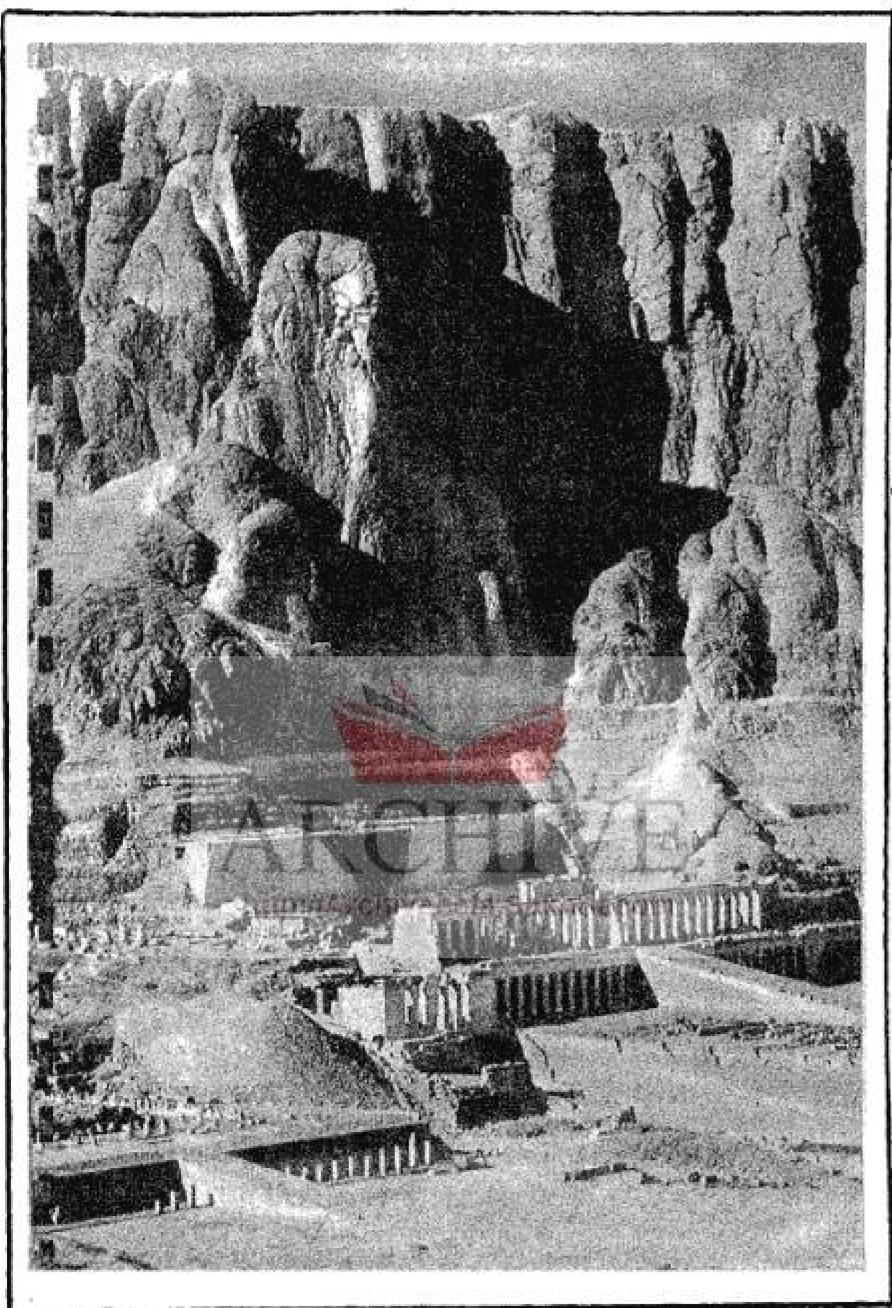
١٥ ـ من ـ ١٣٨٠ ق٠م

ورد ذكره ضمن مهنـــدسي امنحتب الثالث وامتد عمله الى عهـــد اخنـــاتون ضمن مهندسي العمارة . لم يستدل على

الحى الملكى بمدينة العمارنة والمعبر
الموصل بين قصر الحكم والسكن ..







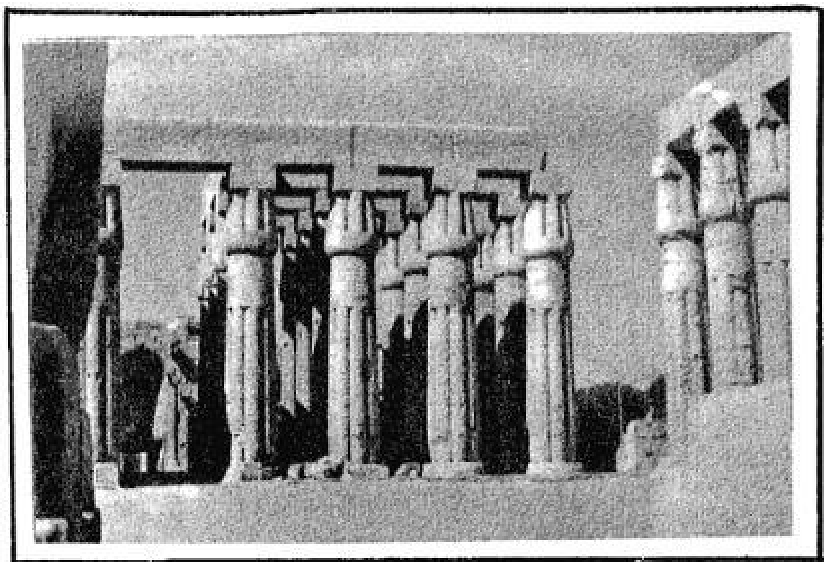


حم ايون : مهندس
الهـرم الاكبر ..



سنموت : مهندس
الدير البحرى

الدير البحرى : معبداً منتوحتبوحتشبسوت



معبد الكرنك : ألفا سنة من فن العمارة الفرعونية في مختلف عصورها . اشترك في بنائه عشر أسرات وأربعون مهندسا.





أعماله الا ما ورد فى بعض برديات طيبة ونقوش العمارنة • من القابه الرئيسية « المهندس الاول المشرف على أعمال الجبل الاحمر » الذى كان له الفضل فى اكتشاف محاجره وقطع الاحجار • لمعابد طيبة وتماثيلها • ومن بين القابه التى

نقشت على احدى لوحات المعبد « رئيس النحاتين للاثار الملكية العظيمة » وانه قام بنحت التماثيل التى نقلها من الجبل الاحمر الى طيبة وهو ما يشير صراحه الى تمثال ممنون اللذين اقامهما ابن حابو أمام صرح المعبد الجنائزى • كذلك فى



الدقة والجمال فى التماثيل الفرعونية ..

اقامة بعض المنشآت فى معبد طيبة وفى مدينة العمارنة ، والتى استعمل فيها حجر الجبل الاحمر بدلا من الاحجار المحلية بالمنطقة ليعطيها طابعا معماريا وزخرفيا مميزا فريدا فى نوعه .

١٦ - بك - ١٣٦٠ ق.م

مهندس الملك اخناتون - اطلق عليه اسم « مهندس العمارنة » قام بثورة وانقلاب فى العمارة والفنون لازمت ثورة التوحيد التى قام بها اخناتون .

وصف بك ثورته بانها تنبع من المبدا الذى املاه عليه اخناتون نفسه ، الذى ينادى « بالعيش فى الصدق والحقيقة » (عنخ ان ماعت) ذلك المبدا الذى نادى

حضارة مصر
ومهندسو الفراعنة

بتحرير فن العمارة والبناء وما ارتبط به من مختلف الفنون الجميلة كالنحت والرسم والتصوير بل وامتدت لتشمل جميع فنون الحياة من موسيقى وادب وشعر وعادات وتقاليد لتحررها من قيود الطرز والتقاليد التى تتقيد الى حد كبير بالقيود الكهنوتية والطقوس التى تبعدها عن الحياة والواقع •

وقد ظهر اثر تلك الثورة فى الصور والتماثيل التى عملت للعائلة المالكة نفسها والتى صورت طبيعية وبدون تكلف او تقيد • من أشهر الاعمال التى قام بها المهندس بك لتحقيق تلك الثورة التى بداها بتخطيط مدينة أخت أتون • وتعتبر أول محاولة فى تخطيط المدن وتاريخها لما أطلق عليه التخطيط الحر والخروج بالمدينة من اطار التخطيط الهندسى الزخرفى الجامد الى التخطيط الحر المرن للمدينة واحيائها وخدماتها ومرافقها لتفى بمطالب « مجتمع الاحياء » كما وصفها • وقام « بك » فى نفس الوقت بتصميم احياء المدينة ومساكنها وقصورها ومعبد اله التوحيد ومختلف الاسواق والمبانى الادارية • وقد تم تخطيط المدينة وتنفيذها فى سنتين واقام الملك حول المدينة مجموعة من المصانع لاعداد وتحضير مواد البناء ومهمات الانشاء ومختلف أنواع التجارة والتركيبات والتأثيث والزخرفة • يساهم فى ادارتها عمال المدينة كما ساهم السكان فى أعمال البناء نفسها سواء فى بناء المساكن او التجار فى بناء الاسواق • او الموظفين فى بناء المكاتب تحت اشراف « بك » ومساعديه الذين يدربون المواطنين والعمال على أعمال البناء •

وظهر بفضل تلك التجارب أول النظام للاسكان الجاهز والوحدات الجاهزة المتماثلة • وتعد تجربة مدينة العمارنة أول مدينة فى العالم يتحقق تنفيذها بنظام اشتراكى بمجهود سكانها •

وقد ساهم فى تلك الثورة الفنية المهندس « من » مهندس الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون • نحت عددا كبيرا من التماثيل للملك اخناتون ونفرتيتى والملكه الام « تى » كما زين قصور اخناتون ومعبد الاله الواحد بالعديد التى اللوحات الفنية والنقوش والزخارف التى تمثل انقلابا فى الفنون التشكيلية بانواعها حاكت فيها الطبيعة الحية بحركتها والوانها وسحرها •

١٧ ـ باكن خونسو ـ ١٣٠٠ ق•م

مهندس الملك سيتى الاول • كان له طابعه الخاص والمميز وخاصة فى تشييد المعابد • فشيد معبد ابيدوس للمعبود أوزير والذى يعتبر درة من درر المعابد المصرية بالعرابة المدفونة •

والمعبد الجنائزى بالقرنة فى طيبة الغربية • واقام بها مقبرة سيتى الاول التى تعد من أروع مقابر وادى الملوك •

ومن أعظم اعماله فى معبد الكرنك قاعة العمد العظمى • ومن بين اعماله التى قام بها الملك سيتى تنظيم دير المدينة ومقابرها وكان له بها مكتب فنى به مجموعة من الفنانين والمثالين يشرف على أعمالهم أحد مهندسيه المدعو « لب زما » •

١٨ ـ المهندس «اخا» ـ ١٣٢٠ ق•م

أحد مهندسى طيبة العظام • باشر اعماله فى عهد الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة • اكتشفت مقبرته فى طيبة وبها تمثاله الخشبى فى زيه الرسمى وهو يحمل وسام الدولة ويزين صوره بقلادة اللوتس ـ ويعتبر ذلك التمثال المحفوظ بمتحف تورين من القطع الفنية النادرة ••

وتشير اللوحة التى وجدت بمقبرته انه كان كبير مهندسى طيبة والمشرف على تنسيق عمارة معبد أمون بالكرنك • ولم



مدينة هابو رمز للفن العمارة الفرعونية ..

تنسب أعماله لأى من ملوك الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة • وتشير القابه الى انه كان يحمل درجات كهنوتية رفيعة بجانب القابه الهندسية • كما يؤكد بعض المؤرخين من طريقة صنع تمثاله وما وجد فى مقبرته من مخلفات فنية انه كان من بين مهندسى العمارنة ، او بدات دراسته وخبرته الفنية بها •

١٩ ـ ماعى بن باكن امون ـ ١٢٨٠ ق•م

لقد فاقت انشاءات رعمسيس الثانى ـ خلال حكمه الذى استمر ما يقرب من السبعين سنة ـ ما شيده أى ملك آخر من حيث العدد والحجم سواء ما شيده على طول الوادى أو خارج حدود مصر •

وفى مقدمة تلك الاعمال انشاء مدينة « بررعمسو » بشمال الدلتا لتصبح عاصمة للبلاد بدلا من طيبة •

وقد سجل التاريخ اسم اكثر من مهندس ممن اسندت اليهم تلك الاعمال العظيمة المختلفة الموقع والطابع فى مقدمتهم المهندس « ماعى بن باكن أمون » وينسب اليه تخطيط وتعمير « مدينة بر رعمسو » العاصمة الجديدة ، فى الموقع الذى اختاره لها الملك بنفسه واقام فى وسطها معبدا للاله رع وصف بانه كان من أضخم المعابد المصرية وأصبحت مدينة « بررعمسو » بعد فترة وجيزة مركزا للحضارة والفنون تعادل فى ذلك أكبر مراكز مصر العليا العريقة •

وقام المهندس ماعى بالمنشآت العظيمة التى كلفه رعمسيس الثانى باقامتها فى هيليوبوليس (أون) تقربا لكهنتها بعد نقل عاصمته من طيبه الى القرب من أون وشيد بها معابد لكل من رع وبتاح • كما اقام الحائط العظيم حول المدينة لحماية معابدها من قوات الغزو التى تأتى من الصحراء الشرقية •

وقد وصف ماعى نفسه فى احدى اللوحات بانه اشهر من بنى بالجرانيت حيث كان يقوم بقطعه من اسوان وينقله الى مختلف المنشآت التى يقوم بتشييدها

٢٠ ـ رعمسيس عشاحب ـ ١٢٥٠ ق•م

مهندس معبد أبو سمبل أعظم بناء ضخم فى زمانه • نحت بأكلمه فى صخر

الجبل ليحوله الى صرح معمارى منقطع النظير يضع مهندسه « عشا حب » على راس قائمة مهندسي الدولة الحديثة العظام ، ويضع مبناه بين عجائب الدنيا في تاريخ العمارة القديم .

يمتاز أكبر المعبدين بواجهته التي يجلس أمامها أربعة تماثيل لرعمسيس الثاني منحوته في صخر الجبل ارتفاع كل منها عشرون مترا . شيد رعمسيس الثاني معبده الكبير لالهي الوادى امون رع رب طيبة . وحور اختى رب أون .

أما المعبد الثاني فللمعبودة « حتحور » ربة الجمال ، والملكة نفرتارى زوجة رعمسيس .

وقد سمح رعمسيس الثاني لمهندسه ان يحفر لنفسه لوحة ونقشا على جدران المعبد تخليدا لعمله ـ ويظهرفيها المهندس « عشاحب» منحنيا امام الملك وهو يتلقى منه التعليمات « ان ياتي بما لم يأت أحد من قبل بمثله ، وان يصنع الاعمال المتازة كشيد معبدا وصرحا لالهي طيبة وهيليوبوليس . بيتا يعيش الف الف سنة يحتفل به جبل « حا » في قلبه . ويستقبل نور الاله في كل شروق » .

وفي لوحة اخرى يذكر المهندس « انه احفر لعمله جمعا غفيرا من العمال ممن استولى عليهم جلالته بسيفه » وهو ما يشير الى تسخير اسرى الحرب في مشروعات التعمير .

٢١ ـ بارامسو ـ ١٢٦٠ ق٠م

اشترك مع « تونورى » المشرف على كل الاثار الملكية فى مشروعاتمدينة طيبة التي قام بهـا رعمسيس الثـاني وفي مقدمتها تكملة بهو الاعمدة الضخم بمعبد الكرنك والتى بدأها الملك سيتى الاول . ثم تشييد معبد الرماسيوم الجنائزى غرب طيبة .

واشترك معهما مهندس آخر لقب « بمدير أعمال البرجين » اسمه امنمايت يرجح انه اشترك في الاعمال العسكرية الخاصة بالقلاع والحصون التي اقامها رعمسيس الثاني اثناء معاركه داخل حدود البلاد وخارجها .

٢٢ ـ خنوم ايب رع ٤٩٥ ق٠م

لقد ورد فى وثائق مؤرخي العصر المتاخر اسماء عدد من المهندسين لم يذكر شيء عما قاموا به من أعمال معمارية عظيمة أو محددة . ومن اشهرها اسم المهندس « خنوم ايب رع » الذى لم يرد في الوثائق شيء خاص به وباعماله سوى القابه الملكية والكهنوتية وانه من اسرة جميعها من المهندسين . ويمتد نسبه الى كانوفر ـ أب المهندسين وابنه ايمحوتب .

وقد اكتشف العلامة بروجش اسرة تعاقبتها اثنان وعشرون سلالة كلها من المهندسين بدايتها في عهد سيتي ونهايتها في عهد دارا الفارسى .

٢٣ ـ تانهرى

ان كنا قد ذكرنا اسماء المهندسين المعماريين الذين قاموا بتخطيط المدن ـ الذى عرفته مصر من قبل الاسرات وصدرت نظرياته للعالم أجمع كما هو الحال في العمارة ونظرياتها وقواعدها ـ فلا يجب ان نتجاهل اسم المهندس تانهرى مهندس الملك سنوسرت الاول الذى ارسلته مصر عام ١٩٨٠ق٠م لاعادة تخطيط مدينة بيبلوس بعد ان هدمها الزلزال لتكون هدية مصر أم الحضارة الى اهل فينيقيا .

فتخطيط المدن ٠٠ فى بناء الحضارة لا يقل أهمية عن العمارة نفسها . وهو ما سيكون موضوع بحث خاص بمقال حول مهندسى الفراعنة ودورهم في بناء الحضارة العالمية .

الشباك الموصد

د. محمد رجب البيومي

يسائلني الشبـــاك عنك ... وإنني
بأسئـــلة الشباك .. لا أتذمـــر ..
أليس شريكي في هــــواك ... وإنه
يحس بإحساس اللهيف ويشعـــر
ولو غيره أبدى الســـؤال ... لراعني
وأدركت شرا في طـــواياه يضمر
عهدتك منـــه تشرقين ... كأنمـــا
أطل على الآفـــاق ... بدر منـــور
تزيدينـــه قـــدرا فتسمو رؤوسنا
إليه ، ويدري ما نحس ... فيفخـــر !
يحبـــك حب الغصـــن وردته التي
سمت فوق زهر الروض ، والروض مزهر
وهاهو ذا ... منـــذ اغترابك نـــاقم
كأني به ذو جـــوعة ـ يتضـــور
وما الجـــوع جوع الخبز واللحم ، إنـــه
تضـــور أشواق ـ تصوم فتقهـــر !
يـــكاد لظـــاه يســـتطير بمهجـــتي
ويسقط فـــوقي دمعـــه المتحـــدر
يقول بمســـمار تســـمرت موصدا
وأوشـــك من هول النوى .. أتحجـــر !



تصرّم أســبوع على .... كـــأنه
لبرح الذى أصلى من الشوق أشــمرُ
سَعدت زمَــانا حينَ كنتِ لوجْهِهــا
إطارا يرج النــاس سَــاعة تنظــر ..!
يطــل على العــابرون لأجلهــا
فيســو مكانى عندهم وأقــدرُ
وإنى جمــاد ، غــير أن لواعجى
تــكاد بمشبوب الهوى .. تتسعرُ !
أخا الخَشبِ المنجور ... إنكَ جــارها
ستقم برحُ الصَّدر ساعــة تحضرُ
ولكننى عنهـا غـريب ... فــان أجى.
لهيفـا فـكم من ســاخر يتنــدرُ
حسبتُ عيـون الناس تسأل : ما الــذى
يجرجــرُه عندَ الأصيل .. فيحضر ؟ !
... يقيم بحىٍّ نازح عــن ربوعنــا
ففيم مشى فى حيّنــا يتبختــر ؟ !
كفى حــزنا أنى أروح وأغتــدى
ومالى عنهــا فى العوالم ــ مخــبرُ
أخا الخشب المنجـور لا تفش سِــرّنا
فأنتَ على كتمــان أمرك ــ أقــدر !

الدكتور محمد حسين هيكل

ماذا بقي من : "زينب" وثورة الأدب

● سعد عبد العزيز ●

● هو رائد من رواد الحركة الادبية والفكرية والصحفية ، والسياسية . .. قام بدور بارز في الحيـاة المصرية العـامة خلال نصف قرن من الزمان .. ولكن آثاره الثقافية هي التي ستبقى ... وستظل رواية « زينب » ، وكتـاب « حياة محمد » ، و « مذكرات في السياسة المصرية » ــ من معـالم الطريق الذي رسمه لنفسه خـلال النصف الاول من القرن العشرين ..

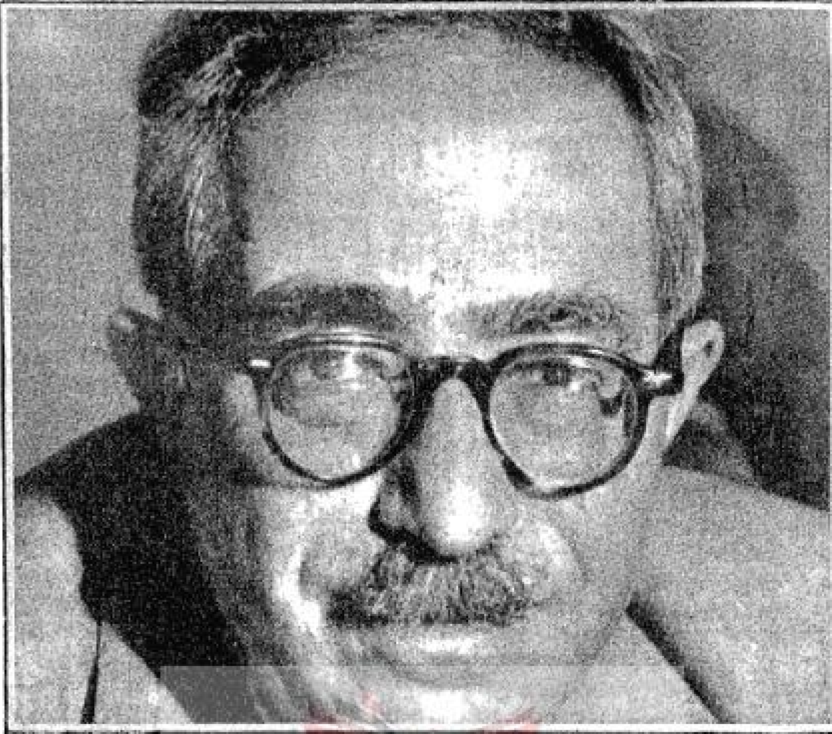
كان الدكتور محمد حسين هيكل في شبابه من هواة المعارك الصـحفية والادبية والسياسية . ولكنه لم يكن من هواة السب ، أو القذف او تناول الامراض . كان رجلا عف اللسان ، متسامحا ، كريما في خصوماته ، وكثيرا ما قال كلمة الحق في أحرج المواقف ، يتصف بـها الخصوم والانصـار على السواء .

كانت له موهبة استشعار بالحيـاة الصحفية ، لقد كان يعـرف كيف يفتق ذهنه من أجل خلق أفكار جديدة تفيد الصحافة وتثريها ، وتجعلـها صحافة حية ، ديناميكيـة . والتي بدأت بظهور جريدة « السياسة » .. لقد كان الدكتور هيكل : ــ

أول من جعل المقال الصحفي صغيرا مركزا دون تطويل ممل واعادة وتكرار وأول صحفي اقترح التخصص والتوسع في عملية التخصص ، وما زال ذلـك متبعا في جميع الصحف الكبرى وأول من أوجد « الريبورتاج » أ التحقيق الصحفي في الصـحافة المصرية ، اذ أوفد الى أوروبا والى جميع الجهات داخل وخارج مصر ، مندوبين بحثـا من الاخبار التي تهم الرأي العـام في جميع انحاء العالم ــ كما كان أول من أدخل النقد المسرحي والفني والقصصي ، وكان أول من خصص صفحات للادب والعلوم والفنون في الصحف ــ كذلك هو أول من نشر « حديثا صحفيا » للنا[ش]ئة المصرية في عام ١٩٢٣ وأفسح صفحات الجريدة للمنافسـة بين دعـاة النهضة النسائية وأعدائها . وتذكـر السيدة هدى شعراوي وندوتها الادبية على سبيل المثال ، لكان يشجعهم في هذا الشأن ــ وأخيرا فهو أول مـن فصل الخبر على المقال ...

ويهمنا أن نذكر ما كانت تعاني منـه جريدة السيـاسة ، من الـلاس مادي رغم تضحيات الدكتور هيكل الذي كان يرأس تحريرها ، ورغم ما أنفقه عليها المغفور له محمد محمود باشا ، وهو يتجاوز ثلاثين ألفا من الجنيهات !

كان مرتب « الدكتور هيـكل » ، المربوط في حسابات الجريدة يعـد « حبرا على ورق » وهو يـبلغ ألفا ومائتي جنيه سنويا ... لكنه لـم يقبض منه شهريا الا جنيهات معدودة لم تتعـد مصاريف المواصـلات والسجائر !



د. محمد حسين هيكل من ابرز رواد الحركة الادبية والفكرية والصحفية والسياسية

فمعروف أنه كان يساهم في التضحية ويتحمل من مرتبه جزءا من الخسارة الدائمة المستمرة ، الامر الذى جعله يعتمد على مؤلفاته وابحاثه ومقالاته ليعيش ويواصل حياته .

ومما يذكر أنه قد وضع كتبا قيمة متعددة في القصة والرواية والتراجم .. نذكر منها كتابه الرائع الخالد : « حياة محمد » وروايته الرائدة : « زينب » وكتابه الأصيل : « ثورة الادب » الذى اصدره عام ١٩٣٣ والذى اراد به ان يستعيد مجد مصر وتأكيد شخصيتها وعودة روحها الجديدة ... اما مذكراته فهي صفحة ناطقة من تاريخ مصر السياسي .

ولما مات ولده الاول وهو ولده البكر جزع عليه وأصدر كتابه المعروف : « ولدى » ...

لكن الله عوضه عن ذلك فيما بعد ، بولدين هما : حسين واحمد ،وخمس بنات هن : عطية الله ، وتحية ، وهدية ، وبهيجة ، وفائزة ... وقد احسن تربية أولاده وتهذيبهم واعطاهم جميعا ثقافة عالية .

كان الدكتور محمد حسين هيكل ، محاميا واستاذا جامعيا، وكان سياسيا وزعيما لحزب ، وخليفة لعبد العزيز فهمى باشا ، ومحمد محمود باشا في رئاسة حزب الاحرار الدستوريين ...

وكان وزيرا ثم رئيسا لمجلس الشيوخ ، ولا ننسى موقفه من استجواب الاسلحة الفاسدة في جلسة مجلس الشيوخ التى كان يراسها ، الامر الذى اغضب الملك فاروق الى درجة انه اصدر مرسوما باخراجه ..

كان الدكتور هيكل انسانا وديعا وكان

ماذا ... من زينب وثورة الأدب

عليها لا يطمع فى جمع المال ، وابى الاثراء عن طريق السياسة والزعامة.. كما رفض ان يعيش على المحاماة التى كانت فى عهده تدر ثروات طائلة ... وهجر وظيفة الاستاذية فى الجامعة وآثر ان يعيش على قلمه ، ومن صناعة الادب والصحافة والفكر المصرى والاسلامى ...

لم يلعن الدنيا ، كان يضحك ابدا دائما ... ولما احس بضعف بصره استعاض باولاده من قوة ابصاره فكانوا يقرأون له الكتب والصحف .. بل ويقودونه فى الشارع من يده .

كان يضحك من الدنيا ، ومن ثم فلا نعجب اذا رأيناه يموت والابتسامة على شفتيه .

كان ذلك فى ٨ ديسمبر عام ١٩٥٦ .

● نظرة تقييم ●

رومانسية «الريف». حاول استاذنا الرائد ان يقنعنا بأنه يهدف من روايته الى تصوير واقع الريف المصرى ، ويهدى الرواية صراحة الى مصر التى يمثل الريف أصالتها ووجهها الحقيقى ، هذه الطبيعة المتشابهة اللذيذة ... يقول عن « حامد » بطل روايته انه كان معجبا بقاسم امين ومدين لاستاذيته ... ويقول : « اللذة التى تجعل للحياة قيمة هى ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد فى العالم » ...

ومعروف ان الدكتور هيكل هو المعجب بقاسم امين وآرائه ... اما الطبيعة فى روايته فهى قصيدة غنائية ، تعرض صوراً بالغة الروعة ، ويسكب فيها كل حبة وحنينة لمصر ... وفى كل موقع فى الرواية تلتقى فيه بالطبيعة فان المؤلف ينشد لها نشيدا من التشيد الحب والتقديس ...

قرية الدكتور هيكل ، قرية بلا مشاكل ، هادئة صبور وادعة ، الفلاح فيها يعيش حياة العبيد التى اعتادها منذ الازل ، لا يشكو ولا يتذمر ولا يقلق ، لا شوق له ، ولا حلم ، كتلة جامدة متشابهة من الكدح والصبر فى نفس الوقت ، لا حقد فيها ولا تطلع ، ولا تستطيع هذه الكتلة من البشر ان تقوم بشىء لنفسها ، انها قابعة فى السكون ...

وصاحب الارض فى الرواية راض عن هذه الحالة ، يقدس القديم والماضى وعادات السلف ، ويأسف لكل اتجاه للتغيير ... ولا يمل الدكتور هيكل من ترديد هذه النغمات فى روايته كلما اراد ان يتحدث عن فلاح قريته..

ويبدو ان الدكتور هيكل لم يكن يشعر باى اسى لحال الفلاح وواقعه ، ـ فى الرواية ـ بل انه يكاد يحسده على طراز حياته لانه يعيش فى احضان الطبيعة ، طبيعة مصر الام الحنون « فى هاته الليالى الساهرة ، هاته الليالى البديعة ، يموج فى جوها نسيم الصيف العليل وتتلألأ فى سمائها الكواكب اللامعة ، وفى جوف الظلمة الصامت الامين يرسلون بآمالهم وامانيهم ، ويحمل هواؤها الحلو اغانيهم على جناحه ويملأ بها بين السموات والارض ... » (١)

واضح ان « زينب » ليست ابنة القرية التى نشأت فيها ماديا ومعنويا انها ابنة « شرعية » للطبيعة الجميلة التى عرضها الدكتور هيكل فى المناظر الريفية ، وليست ابنة للاخلاق الريفية ، واذا كانت « زينب » «الابنة للطبيعة » فيمكنها ان تكون قمة الجمال والروعة !

وان كانت زينب « تخطر بحصوة ملح »(٢)وتعمل عاملة زراعية تكدح فى الشمس الحارقة طيلة يومها فانها لا تبدو الا كملكة متوجة أو كالعروس.

«١» فجر القصة المصرية : يحيى حقى
«٢» الرواية ص ١٤
«٣» الرواية ص ٢٠



عبد العزيز فهمي



محمد محمود

« وقد ابدعت الطبيعة في « زينب » واعطتها بذلك تاجا معترفا به من كل صويحباتها » و « زينب » فتاة عفيفة .. وتراها تصاب من جو الحب بالسل وتموت كغادة الكاميليا والدماء تنزف من فمها ...

ويبقى لرواية الدكتور هيكل بعد ذلك انها العمل الفني الرائد الذي شق الطريق ومهده ..

ويبقى له انه من ابناء جيله بين من شقوا الطريق لجعل الواقع مجالا للادب بدلا من عالم البطولات الاسطورية ، وانه فتح الطريق امام ابطال من البشر العاديين بدلا من الملوك والابطال الاسطوريين ، وانه نبه الى ان للاديب ذاتا ينبغي له ان يعبر عنها ، وان للذات مشكلة مع المجتمع ... وانه فتح الطريق في ادبنا العربي الحديث للتأثر بالاداب الاخرى ...

كذلك كان للدكتور هيكل فضل نقل الرواية من « فكاهة » لا يقصد بها الا التسلية الى مرحلة العمل الفني الهادف الجاد ...

● كتابه : ثورة الادب ●

حين استبد حكم وزارة اسماعيل صدقي في مصر ، لم يجد الدكتور هيكل بدا ان يصدر كتاب ثورة الادب وذلك عام ١٩٣٣ ، كرد فعل للاحداث السياسية والخارجية ، وحالات القهر التي فرضتها تلك الوزارة على الشعب آنذاك ، وايضا لان الادب العربي كان يضطرب بعوامل الثورة منذ الثورة العرابية في مصر ...

ويهمنا ان نؤكد ان الثورة السياسية تسير جنبا الى جنب مع الثورة الادبية ...

والدكتور هيكل يؤكد ضرورة ان يكون الادب قوميا يستخدم الفصحى التي يفهمها كل عربي ويؤدي لجميع الاقطار العربية حاجتها كما يؤكد ضرورة العناية بدعامة الايمان في بناء الادب فيقول :

الادب بوصفه مظهرا للحضارة ـ لاغنى له عن تجلية جانب الايمان في النفس ، كما يجلو جانب العواطف المختلفة ، ولا غنى له ان يحلل هذا الجانب ويصف اثره في الحياة ، ومعروف ان جانب الايمان في الشرق العربي قوي ايا كان الدين الذي يدين به هؤلاء الشرقيون .

فلا يمكن ان يؤدي الادب رسالته اذا اهمل هذا الجانب القوي من جوانب حياة الشرق العربي ، واذا لم يحاول ان يصل ماضي هذا الشرق بمستقبله الصلة التي تستقيم مع التفكير الحديث ...

ويختتم حديثه عن « ثورة الادب » وضخامة مسئوليتها فيقول :

واكبر اعتقادي ان هذه الثورة ستظل متصلة زمنا طويلا ... فنحن لا نزال بعد في بدايتها ، وحسن توجيهها ، وفي حاجة الى جهود

ماذا بقى من زينب وثورة الأدب

شاقة جبارة ، والى ان تجود الطبيعة بالموهوبين الذين يستطيعون أن يطبعوا الادب بصورة تدعو الى استقراره... وهؤلاء الموهوبون واولئك الذين يقومون بالجهود الشاقة لم يوجد منهم في الشرق العربى الا عدد قليل ...

وبناء صرح الادب على الصورة التى تدور فى نفوسنا - وترجو ان تراها اعيننا - فى حاجة الى كثيرين من هؤلاء المجاهدين والموهوبين...والقوى التى تعمل لتحول دون نجاح هؤلاء واولئك ضخمة جبارة ..

ثم يقول فى الختام فى حماس صادق :

ليقتحم ادبنا الان ماضينا ، وليقتحم هذا الماضى بأدوات البحث الادبى باساليب الكتابة الحاضرة ...وليقتحم هذه الميادين حرا طليقا غير هياب ولا متردد ... وليقتحمها بروح الثورة التى اقتحم بها الادب الغربى تراث اليونان وروما وتراث الكنيسة من بعدهما ، وبروح الثورة التى اقتحم بها الادب العربى تراث فارس ومصر واليونان وليقلب فى هذا الماضى ماشاء له التقليب والتنقيب وبروح النقد والتمحيص والحرص على الحق لوجه الحق وحده ...

وفى حديث الدكتور هيكل من ثورة الادب المأمولة نجد نضاله المتصل الدائب ، وما تعرض له من هجمات واتهامات باطلة ، لكنه تحمل كل هذه الهجمات فى صبر ومثابرة ، ومع ذلك فقد ظل يدافع عن « الجديد » مستندا الى « القديم » ... يقول فى هذا الشأن :

« فاذا اتصل القديم والحديث وتفاعلا . نشأت من ذلك حيوية قوية وروح معنوية نشيطة هى التى تقوم اساسا لكل حضارة من الحضارات، وبدونها تتداعى الحضارة وتنهار ويضطر اهلها الى استعارة حضارة غيرهم والعيش فى كنفها ... »

ثم يواصل حديثه قائلا : « لهذا الروح حاولت منذ سنين عدة ان اكشف عن بعض جوانب مصر القديمة ، وان اسلكها سبيل الادب القومى ، وان احقق بذلك بعض ما اقترحت ... وقد بدا لى فى وقت ما ان اجعل من بعض عصور مصر الاسلامية موضع هذه الدراسة ، وكانت الحروب الصليبية اشد ما استهوانى من هذه الصور ..لكنى


محمود عزمى


المازنى


طه حسين


احمد شوقي


حافظ ابراهيم


خليل مطران

وقفت يومئذ مترددا ... فاقدم للجمهور ثمرة بحثي في صورة من صور الادب القومي ، فاذا حركة مهاجمة عنيفة تفاجئني من غير أن تزن بالقسط ما اليه قصدت ، متأثرة في ذلك ... بخصومة سياسية او غير سياسية من الخير اذن ان ابحث عن ميدان لا يعنى بمهاجمة الباحث فيه أحد ... وهو بعد ميدان طريف بلذ بحثه ويلذ اتخاذه مادة لادب قومي شهي الثمرة خصب غاية الخصب ... وليكن هذا الميدان ميدان الفراعنة والهتهم ، ولنطلق لحرية الادب غاية مداها في تصوير حديث هؤلاء الآلهة مستمدين اخبارهم من مختلف مصادرها ، موازنين بينهم وبين الآلهة الاغريق الذين الهموا من فوق الاوليمب حضارة اوربا الحاضرة ...

وقد بدأت مباحثي عن أبيس العجل الإله ونشرتها ، فلم اجد من احد نفورا منها او ازورارا عنها ، مما اثبت لي ان في النفوس الى هذا الأدب القومي ظمأ ، وانها شغوفة لورده اذا هي وجدت من يقدمه اليها ... »

ويواصل حديثه في هذا الشأن قائلا :

واعتقد ان الذين يعنون بمطالعة الادب المصري القديم ، سيقدرون ما كان للفراعنة الاقدمين من حكمة وفلسفة تربتين عميقتين محيطتين بالحياة . ولعل منهم من يتابع هذا البحث ، ولعله يشعر حين يدون اثاره بما شعرت به ، وهو أن تغيير طرائق البحث ليس معناه اهدار تراثنا بوصفنا مصريين وشرقيين ومسلمين ...

ثم يقول : « ان ابتكار طرائق جديدة في الزراعة ليس معناه ان اترك الارض المملوكة لي لاذهب اجيرا عند الذي ابتكر هذه الطرق الحديثة ، ولكن معناه ان اقف انا على هذه الطرائق واعمل على مقتضاها ... كذلك يجب ان نستعين بطرائق الغرب في بحث تاريخنا واقامة ادبنا ، وفي ابتكار علم يتصل بعلمنا ، وصناعة وتجارة تتصل بطبيعة بلادنا ... عند ذلك تبقى لنا شخصيتنا ولا نصبح عيالا على غيرنا ... »

هكذا كان الدكتور محمد حسين هيكل ...

هكذا تحدث عن البطولات العربية وخاصة في فجر الإسلام وضحاه ، وفي الحروب الصليبية ، فهذه ومضات تكشف عن بعض الملامح والقسمات لادبه القومي الثوري الكبير ...

فلم يكن عجبا ان يراس تحرير السياسة التي عرف من خلالها وعلى صفحاتها طه حسين ، وعبد القادر المازني ، ومصطفى عبد الرازق ، ومنصور فهمي ، ومحمود عزمي - كما عرف شوقي وحافظ وخليل مطران ...

الخيال

سيد الفن والأدب

« فى خيال الناس فحسب يجد الصدق كيانا فعالا لايجحد .. فالخيال وليس الابداع ، هو سيد الفن كما هو سيد الحياة » ـ جوزيف كونراد .

للكاتبة الأمريكية : كاتجى هيرلبوت
ترجمة : د . سليم الأسيوطى

انه حقا لرائع وعظيم ان يكون المرء كاتبا مبتدئا .. ولكن لماذا ؟ ان ذلك مرجعه ان قصة الكون تقع فيما بين « البداية والخيال » وفى ذلك يكمن السحر المطلق الذى لا يقاومه قوة ، والاتحاد بين البداية والخيال يعلن مولد الحدث الخلاق ..

ففى البدء يعلم الخيال المرء ، انه لا يوجد شىء يستحيل تحقيقه ، وحتى الحصافة ، وهى سمة العقل المتأنى ، من الممكن تحقيقها . فان العقل وهو ضنين يعترف بذلك ويقول به ويعلنه ، فان مستقبل الكاتب المتفتح عقله للحجة والجدل ، المتهيىء لتقبل الافكار الجديدة والآراء الطريفة ـ يعيش مترقبا متأملا، فى حماسة وحمية .. ان كل شىء ممكن، محتمل وجائز : المهارة ، البراعة الفائقة التفوق والعبقرية . فان الخيال وهو سيد الحياة قد ميز الكاتب الذى لن يسعد سعادة مطلقة حتى يضع نفسه بكل امكاناته فى خدمة الخيال ـ سيد الفن والادب ..

فاذا ماخطط الاديب او الكاتب او الفنان لنفسه اسلوب عمله وزمانه ، . فى كل يوم ، فى صبر ومثابرة واستمرار ، فانه سرف يحقق اهدافه بعد أن يكتسب الادراك الكافى ، القوى الشامل الذى يبلغ به النتائج المرجوة .

لنضرب مثلا بالمطرقة ، الآلة الشائعة يستخدمها المتوحش فى تحطيم الرؤوس بينما الحرفى الصناع يجعل منها وسيلة لابداع وصياغة عمل جميل .. وهى المطرقة كما هى . فان الخيال وهو يتحلل ، كما يتحلل الضوء النافذ من المنشور ، ولكن من خلال الآلاف المؤلفة من الاشكال والصور ، من الخوف مثلا ، يصبح قوام الجريمة والارهاب والتحيز .. الخ .

والخيال أيضا الوسيلة التى نستطيع بها أن نتقمص أشخاص الآخرين حتى نشعر بشعورهم ونحس باحساسهم ونفكر بعقولهم . ونعمل لصالحهم أيضا فان ما نفعله بوصفنا بشرا نشعر ونفكر لقليل القدر ، اذا ما نأى بنا بعيدا عن



الكاتبة الامريكية كاتجى هرليوت

الخيال الذى هو فى الحقيقة والواقع العامل الخلاق لكل دنيا الناس .

ان الكاتب الخلاق يكتسب ملكة استخدام الخيال بعد أن يتعلمها ، كما يتعلم الحرفي الماهر استخدام الآلة الشائعة العامة ، لهدف ذكى ، والكتاب – كمبتدئين عليهم أن يتصرفوا على الخيال ويجددوا وظيفته فى عملهم ، وأن يفحصوا امكاناته ، وأن يراقبوه فى نشاطه ، فى عمله وأسلوب أداء هذا العمل . كما يجب عليهم أن يلمسوا فاعليته وتأثيره . وقبل كل هذا ، يجب عليهم أن يتأملوا مادة الدراسة وأن يتدبروها – ليس مادة الخيال فحسب ، بل مادة نفوسهم ..

ان الخيال يؤدي وظيفته من الكتابة الخلاقة بواسطة نزوع العقل الدقيق المحكم الذى يدرك الحقيقة ويراها ويتأكد من وجود هذه الحقيقة ويجهد للحفاظ عليها .

ان شيرلوك هولمز (١) لم يوجد قط فى الحياة الواقعية ، ومع ذلك فهو يعيش دائما .. وعلى طول السنين وامتدادها ظل القراء يحجون الى بيته فى « بيكر ستريت » فى لندن . ولقد عجب كثيرون لانهم حينما زاروا بيته لم يجدوه هناك .. ان « أوهارا » ذات العينين الخضراوين حقيقة قائمة مثل ومثلك بل ربما تكون أكثر واقعية . وهكذا ايضا تكون شخصية « ولترميتى » وعلى غرار هذه وذاك تعيش شخصيات اجاثا كريستى : « هيركيول بوارت » . الرقيقة المعصومة من الخطأ .

هل يوجد شيء أصدق من شخصية تجسد صفة انسانية اساسية ؟ ان فى صميم أعماقنا تكمن حقيقة سكروج ، وروبن هوود ، والانسان المعذب الذى كان الدكتور جيكل ومستر هايد ، كليهما .

اننا نستطيع أن نقنع أنفسنا بأن هذه الشخصيات قد نسجت من الخيال كله ، حتى انها عطلت من الجوهر ، ولكن هل بمقدورنا ان ننكرها أو نرفضها كشخصيات ؟ حقا ، ان هذا لفى حكم المستحيل لانها موجودة فعلا ! فما هى القوة التى تمنحهم القدرة على الوجود ؟ انها قوة « الحقيقى الواقعى الصادق »

انها القوة التى أطلق عليها كيتس « صدق الخيال » أو حقيقة الخيال . فان الذين خلقوا هذه الشخصيات كانوا دائما يؤمنون بما آتاهم الخيال من قوة واقتدار على الخلق والابداع : كتبوا بصدق فجاءت شخصياتهم متطابقة مع أنفسهم وتصدق عليها ، كما هى تتطابق أيضا مع ما نعرف انه متطابق مع الناس جميعا ويصدق عليهم ، ومع ما نرجوه ونتطلع اليه ، مع ما نشك فيه ونستريب ومع ما يبعث الرجفة فى أوصالنا لاعتقادنا انه حقيقى ، وهذا هو السبب الذى من أجله تتقبل هذه الشخصيات ونؤمن بها ونصدقها وهذا هو السبب ذاته الذى من أجله تعيش وتخلد .

ان قيمة معرفتنا العظمى التى نحصلها بخيالنا تنحصر فى كونها متفردة فلذة لا شبيه لها ولا نظير . انها الصدق الذى يتحلل من خلال شخصيتنا وفرديتنا ، كما يتحلل الضوء من خلال منشور البللور . انها متاعنا الذى لا يشاركنا فيه أحد غيرنا . وهذه هى الاصالة وصلب العبقرية وقوام النبوغ .

ان كل أوجه حياتنا قد عايشت

(١) شيرلوك هولمز هو رجل البوليس ، بطل جميع روايات الكاتب ارثر كونان دويل الذى كان يكشف دائما عن الجرائم الغامضة

الخيال سيد الفن والأدب

الخيال فى كل الوان نشاطه ، فعاشت معه كما يعيش العالم الفيزيائى مع قانون الجاذبية والعالم النباتى مع شتى انواع النبات ومختلف صنوفها . ولكن كاخصائيين فى استخدام هذا العنصر الخلاق ، يجب علينا أن نكون أيضا مراقبين ناقدين ، وأن نلاحظ ملاحظة موضوعية كيفية استخدام الخيال على الوجه الصحيح ، كما يجب الحذر من سوء استخدامه . فاذا ما كان الكاتب يكتب بانتظام وعلى أحسن صورة من الصور فسوف يتبين ان هذه الملاحظة الناقدة هى مران ديناميكى ، وممارسة فعالة تجيش بالقوة والنشاط وسبيل تحقيق هذه الغاية هو « الصدق » .

ضع نصب عينيك وتذكر أن صدق كل شخص وأى شخص هو ما يصدقه هذا الشخص ويؤمن به ، ان صوابا او خطأ جادا أو مستخفا ، لانه اذا ما صدق شيئا فانه يسلك حسبه واذا لم يصدقه فانه يرفضه أو يقاومه . ان هذا الصدق هو الذى يحدد أهمية هذا الشخص وحياته ، ويعيش بداخله الى أن يحل محله صدق أكبر أو صدق أقوى .

حينما يكون الصدق قد منحنا الصدق الذاتى ـ أعنى قصتنا بما فيها من أناس وازمنة واماكن واحداث تجرى فى أثنائها وارجائها ـ وحينما نكتب بهذه البداهة وهذه الثقة السامية ، فسوف تجىء كتابتنا كما كنا نقصد أن تكون ، ومن ثم تكون الكتاب السحرة ، والشعراء المذهلين وأنبياء الجيل .

ايها الكاتب ، افحص كل سوقى ومبتذل والعاطفى المغرق فى العاطفية كى تحقق الصدق المبدع القادر على توليد المعانى الجديدة . وامتحن بدقة الخوف الذى يذكى نار التحيز العرقى وكذلك مركب النقص الذى يورث القلق الكامن خلف الرمز ، وسلط نظرتك القوية على الوضع القائم ، والخطة والطريقة المتبعة ثم انظر بصرامة الى النزوات الطارئة بمفاتنها واغرائها واكشف عن الحياة الخاصة التى نسجها خيال كل فرد على حدة ، ولسوف ترى صدق هذا الفرد فى تاثيره وفاعليته فيما يستحوذ عليه من شعور وما يعتنقه من افكار وآراء كما انك ستسمع ما يرسله من ملاحظات مرتجلة ، وتشهد اسلوبه المميز فى الحديث والسلوك . وعلى الجانب الآخر فحينما لا تكون على ثقة من صدق شىء ما ، او تكون عاجزا عن رؤية ما أثار قضية من القضايا ، فكن صبورا ، وكن على استعداد لتقبل مالا تتوقع أو مالا سابقة له ، او مالا يمكن التفكير فيه ، كما يجب أن تعد نفسك لادراك وحى الخيال المتمهل والهامه المفاجىء . ولتفتح قلبك لكل ما هو تلقائى وذاتى وهيىء نفسك لتذوق كل ما هو جميل فى أى مكان غريب ، وأى طرف مهما كان غير موائم أو ملائم ، فهنا يكون الصدق حقا .

ومن خلال هذا الاهتمام المحكم بالحياة وبما يجرى حولك من احداث ، تكتسب ما هو أكثر من الغريزة او الموهبة الفطرية للحكم على صدق الاشياء ، تكتسب الحاجة الشديدة الى هذا الصدق . انها الحاجة لا تشبع أبدا ، بل تشبع دوما . وكلما دخلت قوة الصدق أكثر وأكثر فى عملك ، فان فعالا للصدق يصبح علة حياتك كما يصبح علة الكتابة عندك .

وهذا هو ما يطلبه منك سيد الفن ـ الخيال ـ فاتجه الى هذا الخيال بما يعتمل بين جوانحك من ظما ، ولسوف ترى مالابد أن تراه .

الكاتبة كاتجى هيرلبوت : تكتب منذ الاربعين عاما القصص القصيرة لكثير من المجلات والدوريات الشهيرة فى الولايات المتحدة الامريكية كما ظهرت قصصها فى كثير من المختارات التى تصدر هناك مثل مجموعة « احسن القصص القصيرة الامريكية » ، « القصص العاطفية الحديثة » ، « عشرون قصة عظيمة » كما صدر لها كتابان : القراءة والتامل » ، « الاسطورة والعقل والزمن »



النجم والملحمة ☆☆

محمود العتريس

لا تسألوا النجم كيف مرقدُهُ — لذلك النجمُ أمسُهُ غدُهُ

لو غيَّب اليوم عن مجرتكم — ففي سماء الخلود مولده

وفي ديار أنار ليلتها — مدائن كالنهار تشهده

لما تزل في رحاب موعده — كأنّ كل الزمان موعده !!

***

الحزنُ يا « مصر » لا يروعنا — لكنما الروع لو تبدّده

وليسَ من شيمة الكرام أسى — يقيم صبح الحجا ويقعده

أنا لقوم إذا ألم بنا — خطب وأدمت جراحنا يده

تقول : جاءت مشيئة سبقت — وجل رب الورى وموجده

ويعجز الليلُ أن يفرقنا — فالليل عبد ، ونحن سيّده

لا تسألوه بل اسألوا دمكم — هل غابَ — رغم الرحيل — موقدُهُ

لا تسألوه ، سلوا قلوبكمو — حديث من ذا الذي تردده

بل اسألوا الدهر أي ملحمة — كفاحه ، صبره ، تهجده

بل اسألوا شامخا أقيم لكم — من فوق صدر المدى مشيده

واستشهدوا العدل كيف هامَ به — وكادَ — بعد الإله — يعبده

النجم يا « مصر » لن يفارقنا — ما راحَ من في القلوب مرقده

فما برحنا — المدى — وما برحت — أيامنا حرة ، تخلده

وسوف نمضي بركب وحدتنا — نسعى إلى أفقه ونصعده

نستلهم العزمَ من شهادته — ونأخذ العهدَ أو نجددهُ

ونسألَ العفوَ والسلام له — من كان كل السلام مقصده

ولن يضيع الزمان موعدُهُ — فإن حلمَ الزمان موعدُهُ !

الاسكيمو

شعب الشتاء الدائم

" الاسكيمو شعب واحد يعيش فى المنطقة القطبية حيث لا نبات ولا شجر ، فبلادهم فوق نطاق الاشجار ، وقد عاشوا من آلاف السنين مع الموت ، لان السنة عندهم كلها شتاء ، وفى الصيف تطلع الشمس باهتة باردة ساعة فى النهار ، اما فى الشــــتاء فهى لا تطلع ابدا ، وكان الصيد عماد حياتهم ، وكانوا يعيشون على صيد الاسماك وصيد الحيوانات القطبية وخاصة كلب البحر القطبى ذى الانياب الطويلة ثم الدب القطبى ، وكانــوا يتعرضون للموت ليل نهار . وفى الســنوات الاخيرة تعنى بأمرهم الحكومات فى كندا والســويد والنرويج وترسل لهم الاطعمة وتنشىء لهم القرى ليتخلصــوا من حياة البداوة الخطرة ويستقروا ويتعلم اولادهم دون أن يغادروا المناطق القطبية ، لانهم يقومون هناك بخدمات كبرى أهمها تعمير مناطق شاسعة وتزويد الدنيا بالفراء "



رجل من رجال الاسكيمو وقد صاد سمكتين كبيرتين وامسك بهما . هذه الاسماك تقطع شرائح وتقدد ويحتفظ بها للغذاء فيما بعد .

الإسكيمو
شعب الشتاء الدائم

الدنيا برد !

كلمة تسمعها من كل من تلقاه ، مع ان درجة الحرارة عندنا فى النهار حوالى ١٥ او ١٩ فى الليل .

فماذا كان هؤلاء الناس يقولون ، لو انهم عاشوا فى بلاد يصل فيها مستوى « البرودة » فى الشتاء الى ٤٠ او ٥٠ تحت الصفر بالنهار والليل على السواء ، لان الشمس لا تطلع هناك فى الشتاء الا نحو ساعة حوالى الفجر ، تطلع باهتة صفراء غائمة ثم تختفى .

وفى الصيف عندما تكون الدنيا حر لا تزيد درجة الحرارة على ١٥ فوق الصفر بالنهار وفى الليل تهبط الى ١٠ تحت الصفر ..

هذا هو الجو فى بلاد الاسكيمو

هذا الى جانب عواصف الثلج التى تغطى قافلة بأسرها فى ساعات وتحكم عليها بالموت الرهيب تحت الثلوج ..

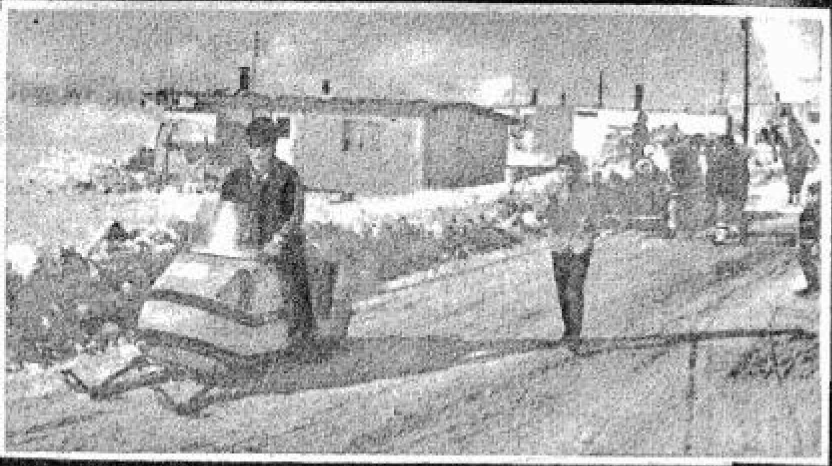
هذا لان الاسكيمو يعيشون فوق خط الاشجار يعيشون فى بلاد لا تنمو فيها أشجار ولا حشائش ، وانما هى الثلوج الجامدة كالاحجار وكثبان الثلوج التى لا يستطيع السير فيها أحد ولا بزحافات الجليد .

انها حياة شقاء متصل . صراع لا يهدأ مع الموت ، لان أولئك الناس يتعرضون دائما للموت جوعا ، لانهم يعيشون على الصيد ، صيد الاسماك وصيد الحيوانات القطبية ، وأحيانا لا يحصلون على هذا أو ذاك ولا يعود أمامهم الا مواجهة الموت ، ولهذا فان الموت جوعا حقيقة يواجهها الناس هناك كل يوم خاصة وان البرد الشديد يحتاج الى الطعام الوفير ، ومن أين للناس هذا الطعام الوفير اذا كان الصيد أحيانا يعز أسابيع متوالية ؟

وهم يعيشون فى أكواخ من الخشب تسمى الايجلو يجعلون سقوفها منحنية حتى ينحدر عليها الثلج ولا يتراكم ، ومع ذلك فان الايجلو يبدو دائما مغطى بالثلوج ، لان استمرار البرد يجعل الثلج يتصلب ويصبح مثل الزجاج ، والباب دائما صغير والنوافذ فتحات صغيرة لابد من ازالة الثلج عنها كل يوم والا تغطت به تماما . ولكى يحتفظ الاسكيمو بالحرارة اللازمة داخل الايجلو فهم يبطنونه بالفرو على الجدران والسقف والارضية ، وهم لا يوقدون نارا داخل الايجلو الذى يسكنون فيه ، وانما يطهون طعامهم فى ملحق للايجلو غير محكم الاغلاق حتى لا يتراكم فيه الدخان . وعلى أى حال فهم نادرا ما يطهون طعامهم الا من أسبوع لاسبوع ، ويحتفظون به مطهوا فى الثلج فى مخزن خاص .

وطعام الاسكيمو من لحوم الاسماك والحيوانات القطبية ، وأهمها كلب البحر القطبى ويسمى الوالروس ، وهم يصطادونه للحمه وفرائه ، واذا تمكن رجل الاسكيمو من صيد كلب بحر كبير عاش هو وأولاده عليه أسابيع متوالية ، لانه يبدأ بسلخه ويضع الجلد مملحا فى الثلج فلا يلبث أن يتحول الى فراء ثمين . أما اللحم فهم يقطعونه شرائح يستخدمونها شيئا فشيئا ، ولا خوف من الفساد ، لان الثلج يحفظ كل شىء . ولحم الوالروس قاس يحتاج الى أسنان قوية ، ولكنه يلين مع الزمن .

وشحم كلب البحر هذا عظيم القيمة



الاسكيمو فى قريتهم يوند اينليت . مساكنهم بسيطة ومتواضعة ، واحد منهم يركب فى سيارة ثلوج ، وهى سيارة خاصة بتلك المناطق ، انها لا تسير على عجل بل تنزلق على الثلج .



زحافتان على شكل قوس ، صنعهما الاسكيمو من عظام العنبر وهو الحوت الضخم . يرى فى الصورة جماعة من صبيان الاسكيمو ينزلقون على صخود راكبين الزحافات ، عظام العنبر كانت مطلوبة جدا فى سوق التجارة فقد كانت المصانع تعمل منها أشياء كثيرة أهمها « توكات » الاحزمة . الآن تصنع هذه الاشياء من البلاستيك .



رجل من رجال الإسكيمو في ملابسه وعدته التقليدية انه ينقل القاطع اول الشتاء بسبب الطعام ، وهو يجد

يقرأ الدببة وكلاب البحر ويعيش من الصيد ، وترانا الصورة يصيد صنارة خاصة يصيد الاسماك الكبيرة التي تعيش في الماء تحت طبقة الثلوج .

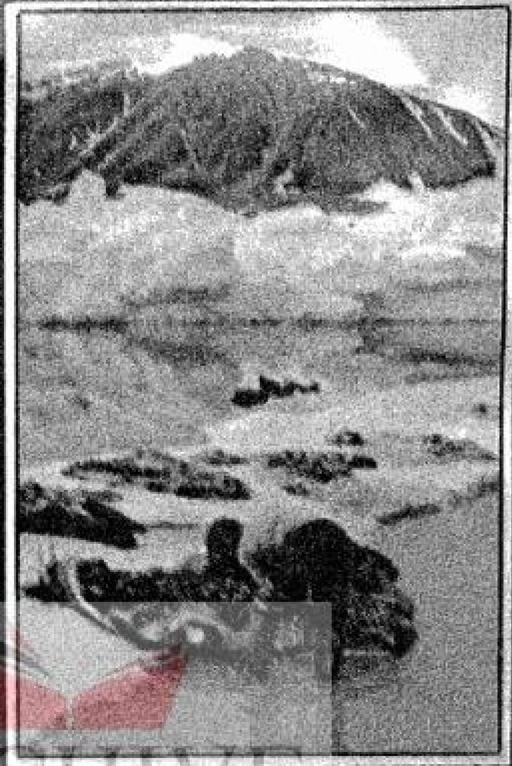


امراة اسكيمو تعد الطعام فى الصباح الباكر ، وهى تضىء كوخها بقنديل يعمل بشحم كلاب البحر ، ووراءها يظهر فى الصورة زوجها وابنها . تحت دثار ثقيل من الفراء ، لقد استيقظ الوالد ، اما الولد فلا يزال نائما



هذا الطراز من الحياة هو الذى عاش عليه الاسكيمو من آلاف السنين • وقد بدات حياتهم الآن تتبدل لان الحكومات فى كندا والسويد والنرويج تجتهد فى الزادهم فى قرى لانقاذهم من حياة البداوة فى الثلوج•





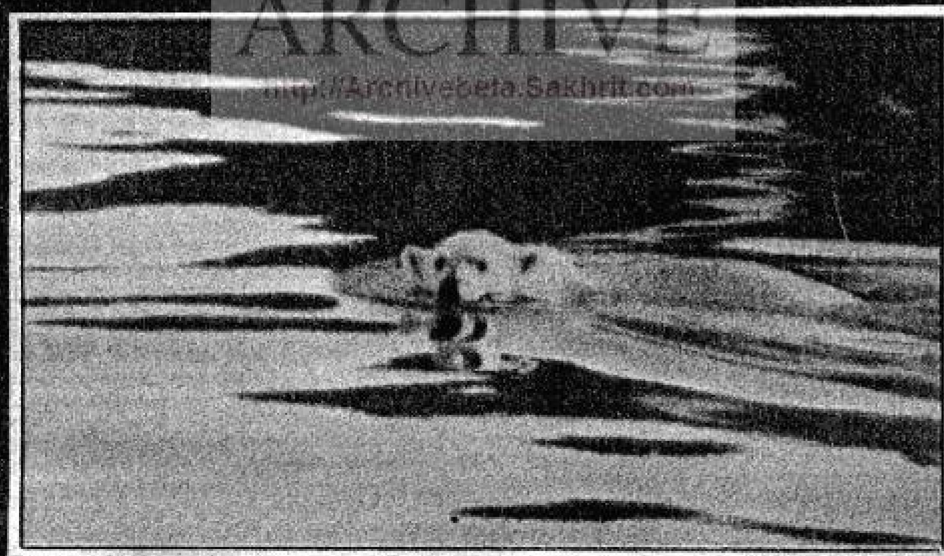


فى الصورة الاولى الى اليسار ترى كلب البحر القطبى بأنيابه التى تشبه سن الفيل وفرائه الثقيل ، والى جانبه ابن من ابنائه . لاحظ فراءه السميك . انه الثمن ما فيه .

والصورة تحتها لدب قطبى يسبح فى المياه المثلجة ،انه حيوان قوى خطر ، ولكن الاسكيمو يصيدونه لفرائه الثمين ، وهم لا يصيدونه الا اذا كان نائما نوم الشتاء ، والويل لهم اذا وجدوه مستيقظا .

الصورة الثالثة الى اليمين ترى فيها المنظر العادى فى بلاد الاسكيمو وهى المنطقة القطبية في الصيف ،ترى فيها رجلا من رجال الاسكيمو وقد صاد حيوانا ويعمل فى سلخه وقد نشر جلود حيوانات اخرى عل الثلوج لتجف .





الإسكيمو
شعب الشتاء الدائم

بالنسبة للاسكيمو ، فانهم لا يحتاجون الشحم للطعام فقط ، بل يستخدمونه فى كل شىء ، فهم يضعون شرائح منه فى أعالى السقوف ويطلون به الابواب ويطعمون منه كلابهم .



ولا يستغنى الاسكيمو عن الكلاب قط فالكلب هناك ثروة ، لانه يجر الزحافة ويساعد فى الصيد ، ولا يقل عدد الكلاب التى تملكها عائلة الاسكيمو عن ١٠ كلاب ، وهذه تحتاج لطعام كثير . حقيقة ان الكلاب تعرف كيف تدبر طعام نفسها ، ولكن صاحبها لابد أن يعنى بطعامها والا ماتت منه ، فان الكلب لا يستطيع الصيد قبل أن يبلغ عمر العام ، والكلاب الصغيرة فى حاجة الى عناية متواصلة .

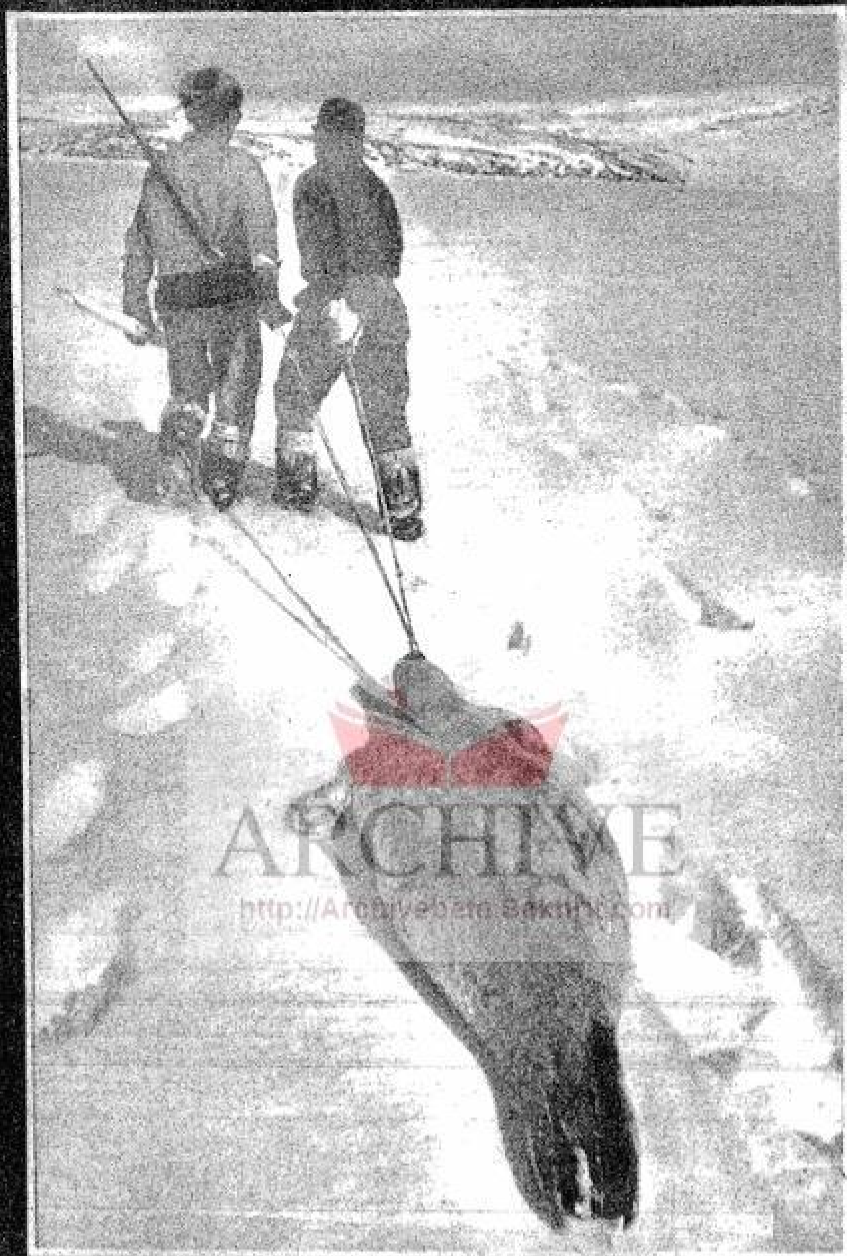
ومن ميزات هذه الكلاب انها تكتشف الحيوانات القطبية النائمة تحت الثلوج، وخاصة الدب القطبى ، فان الدببة تنام فى الشتاء شهورا متوالية ، وهى تنام فى جحور تحفرها وتستقر فيها وتستسلم لنوم الشتاء الطويل ، وتلك هى الفرصة الوحيدة التى يستطيع فيها الاسكيمو أن يصيد الدب ، فان الكلاب تتشمم وتعرف مكانه ، فيحفر الاسكيمو حتى يجد الحيوان النائم ويقتله وهو نائم ، ثم يستخرجه ويجره الى كوخه وهناك يقوم بسلخه وتجفيف فرائه ثم عمل الشرائح من لحمه وتثليجها . ولابد أن يعطى للكلاب نصيبها من ذلك اللحم ، فهى الاخرى جوعى وتحتاج الى الطعام الكثير .

وفى بعض الاحيان يحفر الاسكيمو على الدب النائم فيجده قد استيقظ ، وهنا تكون كارثة ، لان الدب يعصف فى هذه الحالة بالاسكيمو ويفترسه ، ولاتستطيع الكلاب الدفاع عنه ، لانها لا تجرؤ على الدب ، واذا نجح الاسكيمو فى صيد دبين أو ثلاثة استطاع أن يبيع فراءها بالثمن الغالى لشركات متخصصة فى شراء ذلك الفراء ومعالجتهوصنع الملابس والاغطية منه .



والاسكيمو كلهم جنس واحد . وهم يعيشون شمال القارات كلها فى المنطقة القطبية فوق نطاق الاشجار ، واسماؤهم واحدة سواء أكانوا فى روسيا او سيبريا او كندا او شمال السويد والنرويج مثل اوتاك وسانجوساك ، وملامحهم تدل على ان اصولهم من الجنس الاصفر ، وهم يتنقلون دون حرج فى المناطق القطبية ، والدول تتساهل معهم ولا تمانع فى أن يعبروا الحدود السياسية طلبا للصيد والعيش .

ولغتهم التى يتكلمون بها واحدة ، وهم فى صحراء الثلوج أشبه بسكان صحارى الرمال الذين لا يعرفون حدودا أو قيودا . ومعظمهم مسيحيون ، ولكنهم لا يعرفون من المسيحية الا ظاهرها ، ولهذا ترسل اليهم البعوث التبشيرية ما بين كاثوليك وبروتستانت ، وفى ظروف الحياة القاسية التى يعيشون فيها تجد ايمانهم قليلا ، لانهم يواجهون الموت باستمرار ، ولا ينفعهم فى هذه الحياة القاسية شىء ، وفيهم صلابة تستوقف النظر ، وتحملهم للبرد لا يوصف ،ولكن أعمارهم نادرا ما تطول بسبب قسوة الحياة عليهم .



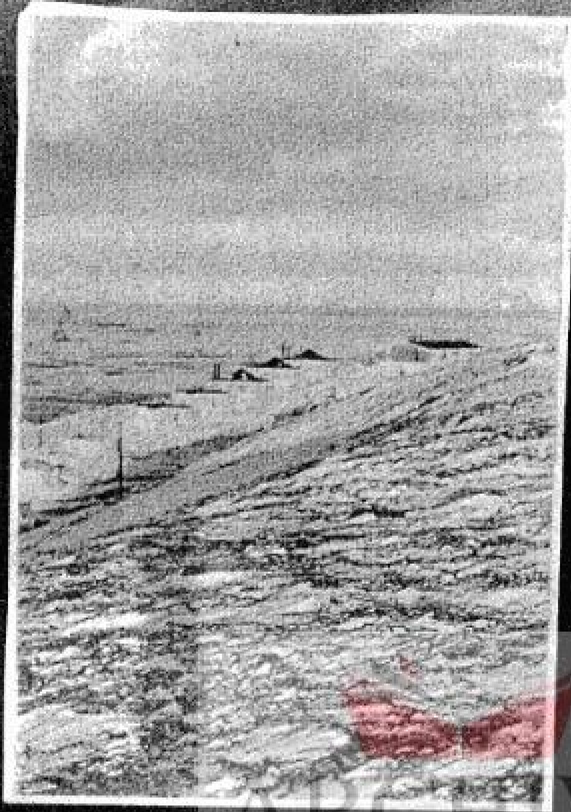
اثنان من رجال الاسكيمو عائدان من رحلة صيد اصطادا فيها كلب بحر ضخم يزن ٧٥ كيلو من اللحم والعظم والفراء وكلها اشياء يستفيد منها الاسكيمو اما للطعام او لعمل الادوات · لاحظ ان رجل الاسكيمو يحمل بندقية ·



جماعة من الاسكيمو ما بين نساء واطفال وشبان يتفرجون على فيلم سينمائي التقط لهم . انهم مندهشون من أمر هذا الاختراع العجيب ، ويبدو أن هذه أول مرة يرون فيها فيلما يصور حياتهم .



الإسكيمو
شعب الشتاء الدائم









قرية من قرى الاسكيمو التى تنشئها حكومة كندا فى مواطن الاسكيمو الكنديين فى المنطقة القطبية ، القرية يعيش فيها اليوم ٣٩٠ عائلة وفيها متاجر ومخازن ومحال لبيع الاطعمة المعلبة والمثلجة ، وفيها مدرسة للاولاد والبنات ، القرية تسمى بوند اينليت (أى مدخل الغدير) .

فى الصورة الثانية ترى صبيا وطفلا فى فصل من فصول المدرسة ، الصبى يحاول وزن اخيه الصغير .

وفى الصورة الثالثة ترى غلاما من الاسكيمو يقوم بواجبه المدرسى اليومى .





طائفة من الاسكيمو فى قرية يوند اينليت يلعبون لعبة شد الحبل فى الصيف ، فى كلا الجانبين ترى رجالا ونساء ، لانه لا فرق فى حياة الرجل والمرأة فالاثنان يقتسمان قسوة الحياة •



الإسكيمو
شعب الشتاء الدائم

وهم ينتقلون عادة بالزحافات التي تجرها الكلاب ، وهم من الصباح الى المساء في حركة دائمة في طلب الصيد ، وفي الصيف تتحسن احوالهم بعض الشيء لان الحيوانات تخرج من جحورها ، ويمكن صيدها ، وتذوب بعض طبقات الثلوج فيمكن تحطيم الغطاء الثلجي الذي يغطي المياه وصيد السمك . والاسماك هناك كثيرة ولكن الثلوج التي تغطي المياه او تطفو فوقها تجعل عملية الصيد صعبة ، فان الاسماك التي يمكن صيدها كبيرة الحجم ، فالاسماك الصغيرة تسبح دائما في الاعماق ، واهم ثروة سمكية بالنسبة للاسكيمو هو سمك السالمون الذي يعود بعد رحلات طويلة الى الانهار التي ولد فيها على حدود المنطقة القطبية ، والاسكيمو يصيدون مقادير عظيمة منه ويقددونها او يدخنونها ويحتفظون بها .

ولكن السدود التي تقيمها الشركات اليوم على الانهار للاحتفاظ بمياهها من الانصباب في البحار اصبحت اليوم خطرا على مستقبل السالمون ، لان الجماعات الكثيرة من هذه الاسماك اذا عادت من رحلاتها الطويلة عبر المحيطات وارادت دخول الانهار الضحلة لتبيض فيها وجدت السدود امامها فلا تستطيع الدخول ويموت معظمها . ومن الغريب ان هذه الاسماك التي تعيش في البحار لا تبيض الا في مياه الانهار . وقد تنبهت الحكومات الى هذا الخطر ، وتركت الكثير من الانهار بدون سدود حتى لا تنقرض اسماك السالمون ، وهي ثروة هائلة ، لان الناس يصيدون منها الملايين في فترة عودتها الى الانهار لتبيض فيها ، ولو استمرت الدول في اقامة السدود لانقرض هذا النوع العظيم القيمة من الاسماك .

***

وقد لاحظت الدول ان الاسكيمو ينقرضون شيئا فشيئا لان الاجيال الجديدة منهم وخاصة في كندا والسويد والنرويج تغادر مواطنها في المناطق القطبية لتعيش في ظروف اقل قسوة . وفي كندا خاصة ترسل الى مناطق الاسكيمو الاطعمة المعلبة وتنشأ اسواق الغذاء لكي يستطيع الاسكيمو الاستمرار في حياتهم في مناطقهم ، لانهم في الحقيقة يؤدون خدمات عظيمة لا يقوم بها غيرهم ، فهم الذين يقدمون للناس فراء الدببة ، وهم يعمرون هذه الاقاليم القاحلة ، وقد وضعت حكومة كندا خطة بعيدة المدى ترمي الى اقرار اولئك الناس في قرى صغيرة بدلا من الحياة في الفراغ الخطر في صحراء الثلوج .

وقد بدأ الاسكيمو بالفعل يغيرون اسلوب حياتهم ، فقد تغير طعامهم ولم يعد معتمدا على السمك ولحوم الصيد فقط ، وتغيرت ملابسهم ، فاصبحوا يلبسون الملابس العادية ويتدثرون فوقها بالمعاطف الثقيلة ، وانتشرت في قراهم المدارس والمعاهد ، وعلى الجملة فقد تغير اطار حياتهم كله ، وسيجيء وقت يصبح الاسكيمو فيه مدنيين كغيرهم ويتخلصون من تلك الحياة القاسية التي كانوا يعيشون فيها الى اليوم .

د . ح . م

ظاهرة من أعماق الريف تطل برأسها بين حين وآخر

الجريمة..

في الرواية المصرية والتركية الحديثة

● د. محمد الجوهري ●

● استطاعت الرواية ، رغم حداثة عهدها سواء فى الادب العربى او الادب التركى ، ان تصل الى اعماق القرية ، وان تصور حياة الريف وتتناول قضاياه (١) .

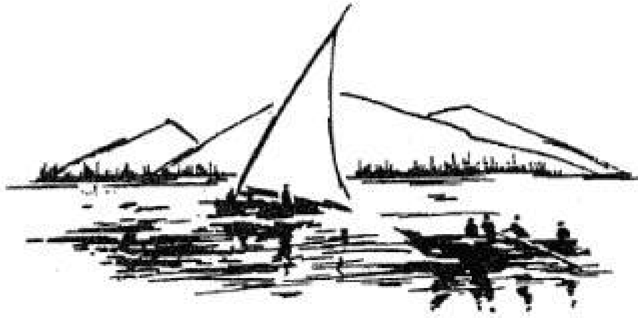
وظاهرة الجنوح الاجرامى من الظواهر التى شغلت ريفنا فترة طويلة ترجع الى اوائل القرن الماضى ولا تزال تطل براسها من حين لآخر .

وفى استعراضنا لكتاب « الاجرام فى مصر » نجد ان هذه الظاهرة بدات تشغل اذهان رجال الامن منذ عام ١٨٠٤ حين هددت العصابات اطراف القاهرة وانتشرت عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، وكانت تعرف بالمنسر ويطلق على زعيمها شيخ المنسر (٢) .

وقد اختلف علماء الاجتماع وعلماء النفس ورجال القانون حول تعريف « الجنوح الاجرامى » ويرجع عدم اتفاقهم عند تعريف معين الى نسبية « الجريمة » نفسها فهى تختلف من مجتمع لآخر ، بل ومن وقت لآخر فى مجتمع واحد، ونحن بصدد دراسة هذه الظاهرة من خلال الرواية لا يهمنا الا تعريف واحد للمجرم وهو « من ارتكب سلوكا مخالفا للقانون ».

(١) نشأة الرواية التركية الحديثة وتطورها ، مقال للكاتب ، فى مجلة القصة ، العدد السابع عشر ، سبتمبر ١٩٧٨ .

(٢) محمد البابلى ، الاجرام فى مصر ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ١١ .



وقد اخترنا من الأدب العربى روايتى «هارب من الايام» و «شىء من الخوف» للكاتب المصرى ثروت اباظة ، وقد فاز بجائزة الدولة التشجيعية عن الاولى فى الستينات ورواية « اينجه محمد» (٣) للكاتب التركى ياشار كمال (٤) وقد ترجمت الى عدة لغات ورشح لجائزة نوبل عن هذه الرواية التى تقع فى جزءين ... ورواية « الرحمة قطعت السبل » للكاتب التركى ايضا كمال طاهر (٥) ولا شك ان كتاب هذه الروايات جميعا، فضلا عن اتفاقهم عند تصوير هذه الظاهرة فى رواياتهم ، فهم متفقون ايضا فى التصاقهم بحياة القرية نتيجة لنشـــــأتهم الريفية وفى معايشتهم للقرويين ، ومن ثم معرفتهم لطبائعهم .

ويمكن أن نجد فى تراثنا الشـعبى سببا لاختيار الكتاب لهذه الشخصية ، اى شخصية « المجرم البطل » او المجرم الذى يظن نفسه بطلا ، فتراثنا الشعبى يزخر بسير الابطال الذين هم فى نظـر القانون والسلطة الزمنية « مجرمون » أمثال : ابوزيد الهلالى وعلى الزيبق ، وادهم الشرقاوى عند الشعب المصرى .... « وكوراوغلو » (٦) عند الشعب

(٣) ينطق الاتراك اسم « محمد » اذا ما أطلق على شخص غير الرسـول «صلعم» ـ مهمد تحاشيا للتشبيه بالذات النبوية ، وتسقط الهاء على السنة القرويين فيصبح الاسم «ممد»ولذا سميت الرواية Ince Memed ومع ذلك نقلنا الى العـــربية (اينجه محمد » .

(٤) ولد ياشار كمال فى قرية من قرى اطنه الواقعة جنوب تركيا سنة ١٩٢٢ ونشأ يتيما فقيرا فاضـــطر لمزاولة كثير من المهن حتى عمل كمراسل لاحدى الصحف المحلية ونال شهرته كصحفى ، ثم دخل ميدان القصـة القصيرة والرواية . اعتنق الاشتراكية كمذهب اقتصادى وجاءت معظـم رواياته تعبيرا عن هذا المبدأ ورشح لجائزة نوبل فى السبعينات .

(٥) كمال طاهر هو ايضا من رواد الواقعيـــــة الاشتراكية فى الرواية التركية، ولد سنة ١٩١٠ فى استانبول .بعد دراسته الثانوية عمل فى وظائف متعددة ثم بدأ الكتابة فى الصـــحف ايضا ، ولنشاطه السياسى مع الاحزاب اليسارية قبض عليه ١٩٣٨ وقضى فى السجن خمسة عشر عاما ، كتب خلالها معظم رواياته ، وكانت وفاته سـنة ١٩٧٣ .

(٦) كوراوغلو هو احـد ابطال السير الشعبية التركية ، كان يعمل سايسا لخيول أحد الاقطاعيين وهرب من ظلم هذا الاقطاعى ، وكان يقطع الطريق على القوافل ويفرض الاتاوات ويوزع الاموال على الفقراء .

التركى ، حتى نجد ان الاخير اثر فى الكاتب التركى ياشار كمال لدرجة أن بطل الرواية يشبهه الى حد كبير ! ..

وربما يكون هناك سبب آخر وهو القرية ذاتها ، باعتبارها موطنا لصراعات مختلفة متعددة الاسباب ، « فمن الثابت من الاحصاءات ان المجرم القروى ما زال الى اليوم صاحب النصيب الاكبر فى الاجرام الخطير فى مصر (٧) » وحين نذكر الصراع فلابد ان نذكر الانتقام ، وهو ما يتميز به اجرام القروى ايضا .

اما اهم الاسباب جميعا ، فهى الفكرة الاساسية التى اراد كل كاتب ان يوضحها من خلال روايته ، والفكرة الرئيسية عند الكاتب المصرى ثروت اباظة « هى ان العدالة الاجتماعية لا تحقق بالقوة الغاشمة » وعلى العكس عند ياشار كمال الذى يؤيد استخدام القوة ضد اصحاب المصالح الراسمالية فى القرية لتحقيق هذه العدالة ، ولما كان المجتمع الريفى يمثل غالبية السكان سواء فى مصر او تركيا ، ولما كان الاقطاع فى الريف احد مميزات الحياة الريفية الى عهد قريب ، كان من الطبيعى ان يتخذ الادباء من الريف مسرحا لرواياتهم .

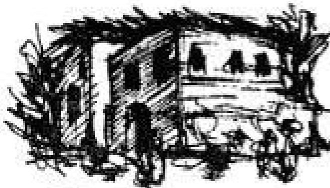
ورغم اختلاف الرؤية الاجتماعية عند كل أديب ممن ذكرناهم ، فهناك اوجه تشابه كثيرة فى التصوير ، لما يوجد من تشابه فى الحياة الاجتماعية فى ريف مصر وتركيا . وسنتناول اوجه التشابه أولا ثم نعرض لمواطن الخلاف .

١ ــ الدوافع :

لابد لكل فعل اجرامى من دافع قوى يدفع الانسان الى خرق القوانين والاعراف . والدافع هنا ينبع من احساس قوى بالظلم الاجتماعى ، فالبطل يتمرد على المجتمع وما وضع من فوارق اجتماعية واقتصادية . ويبدو هذا الدافع واضحا عند اينجه محمد « الذى نشا يتيما » فى قرية من قرى جبال طوروس جنوب تركيا ، يزرع جزءا صغيرا من أرض (آغا عبدى) نظير ثلث المحصول الذى لا يكفى لسد رمقه هو وامه ، فضلا عن ذلك يسومه الآغا الوان العذاب لدرجة انه « يربطه فى شجرة بالحقل ويتركه لمدة يومين دون طعام أو شراب » والفتى على جانب كبير من الذكاء فلا يخضع لهذا الاذلال فيعاند ، وكلما بالغ فى عناده بالغ الآغا فى تعذيبه ، ويكبر الفتى ويصبح رجلا، فيكبر الحقد فى قلبه تجاه الآغا خاصة بعد ان اراد هذا الآغا ان يحرمه حتى من الفتاة التى احبها منذ الطفولة وعاهدها على الزواج . وهنا يجعلنا الكاتب نتنبأ بما سيحدث ، فقد بيت اينجه محمد امرا فى نفسه ، فهو فى صمت مطبق منذ أيام ، اصبح كالميت، الا من وميض رهيب يلمع فى عينيه من حين لآخر كالذى يظهر فى عينى الضبع حينما يتأهب لتمزيق فريسته .

خطف اينجه محمد فتاته ليلا وهرب بها من القرية الى ظلمات الغابة حتى لا يزوجها الآغا الى ابن اخيه . ومن الطبيعى الا يقبل الآغا تمرد هذا الاجير

(٧) محمد البابلى ، الاجرام فى مصر ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٧٦ .



عليه فيجمع رجاله وفى مقدمتهم مقتفى الأثر ، حتى يجد ابنجه محمد الذى أراد الدفاع عن نفسه فاطلق النار وأصيب الاغا وقتل ابن أخيه ... وبينما الجميع فى ذهول يهرب ابنجه محمد الى الجبل ، ومنذ هذه اللحظة ، أصبح المتمرد بطلا فى نظر اهالى القرية وما حولهـا من قرى ، مدافعا عن المظلومين أمثاله ، مطالبا بحقوق الاجراء ضد الاقطاعيين اصحاب الارض .



ويطالعنا « كمال » فى « هارب من الايام » وهو يحمل بين ضلوعه قلبا مفعما بالحقد تجاه المجتمع ، فهنـاك فرق هائل بين ما هو كائنه وما يريد ان يكونه » ، فهو مجرد « شيء فى قرية السلام احدى قرى الفيوم فى صعيد مصر ، كم مهمل ، يعمل طبالا ، متسولا كثير الدعاء وكثير الحقد » . « ولماذا لا يحقـد وهو لا يرى بينه وبين أولاد الأغنياء فرقا خاصة وانه قرأ معهم فى الكتب ، بل هو اعلم منهم . وما ذنبه هو اذا لم يجد وراءه اصلا يفخر به أو مالا ينفق منه » (٨) .

ولم يكن احساس كمال بالظـلم اجتماعيا فقط بل ماديا ايضا ، فهـو « ينظر الى الخير الذى يرتع فيـه العمدة » ويخاطب نفسه قائلا :

« ويل للأيام .. أكل هذا الخير فى بيت واحد ، تنعم به أسرة واحدة ! .. ويا ليته جمع ما جمع عن طريق الحلال، بل هو النصب والسرقة والرشـوة ، عدلك يارب » .

ولكن كمال لا ينتظر حتى يحقق ربه هذا العدل ، بل يريد أن يحققه بنفسه، وهنا يتجلى الصراع بينه وبين المجتمع الذى لا يعترف به الا كشيء مجهول حتى بعد ان بدأ يمارس الجريمة ، لم يصدق احد ان مرتكب الجرائم هو كمـال ، ومن ذلك الذى يظن ان كمال يستطيع ان يعتدي وهو قد عاش عمره مرعى للاعتداء وموطنا للهوان .

وتشتعل الثورة فى نفس كمـال ، كلما رأى هذا الاهمال وخاصة من درية ابنة العمدة التى كان يفتعل الاسباب للذهاب الى منزل ابيهـا لمجرد ان يحظى برؤيتها ويحلم بحبهـا . انه « لا يملك الا هذه الاحلام وهو لا يطمع فى غير تلك النظرة » .

ويتخذ كمال اولى خطواته الايجابية حين يصرخ « غدا تعرفنى البلدة وتعرف قيمتى ... غدا حين ترين المـال فى يدى تعرفين قيمتى ! » .

ونعرف الطريق الذى اختاره لنفسـه حين يدعو قائلا : « يارب .. اهو كتير ما اطلب ... مجرد مسدس يارب أو ثمنه .. أى مسدس يارب » .

ولا يختلف ميزرا على بطـل رواية « الرحمة قطعت السبل » كثيرا فى نشأته عن ابنجه محمد أو كمال ، فهو يعمل راعيا لأغنام احد الأغوات فى قرية

(٨) ثروت اباظة ، هارب من الايام، مؤلفات ثروت اباظة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ١٢٧ .

من قرى شرق الاناضول ، يبدو الفقر واضحا من ثيابه ، والمعاناة جلية من وجهه الكالح « تخاله قد تخطى الخمسين فى حين انه لم يتجاوز السادسة عشرة » .

سمع الكثير عن اهل الجبل وما يحققونه من شهرة وامجاد وما يشيعونه من رهبة فى قلوب من يراهم ، فاراد ان يصبح هو الآخر « شيئا » مثلهم ... وواتته الفرصة حينما طلب من سيده الآغا الذى كان فى يوم من الايام أحد الاشقياء ، ان يسطو على بيت من بيوتات القرية ويخطف ابنة صاحب البيت بدعوى الانتقام ... وهنا يبدو لنا الدافع متمثلا فى شريط من الاخيلة يمر فى ذهن الفتى .

« كان يفكر فى المجد الذى سيناله بعد ان يخطف الفتاة ... وكانت الصورة فى مخيلته ... يجتمع كل الفلاحين امامه متضرعين ان يسلمهم الفتاة ، فيرفض وقد استل سلاحه ووقف امامهم كالمارد » .

اما عتريس فى « شىء من الخوف » فهو مجرم بالوراثة ، اهله جده حتى يرث مكانته فى القرية ويصبح مرهوب الجانب .

٢ – العوامل :

واذا وجد الدافع القوى فى نفس المجرم ، فلابد من عوامل خارجية تساعد على ظهور السلوك الاجرامى ، وقد تميزت الروايات موضوع الدراسة ، بالواقعية الشديدة من حيث الربط بين الواقع المعاش والواقع النفسى للابطال ، ومن ثم ارتبطت الاسباب بالنتائج ،

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه علينا ، ايهما أسبق . أتلك الظروف والملابسات الاجتماعية ؟ أم الدافع الفردى ؟ وللرد على هذا السؤال نتساءل بدورنا هل شمل التمرد كل فقراء القرية وهم يعيشون نفس الظروف التى يعيشها الابطال ؟! ومن هنا ندرك ان الدافع الفردى ما هو الا الشرارة التى لابد منها لتفجير شحنات الحقد وتحويله الى تمرد وثورة على الاوضاع .

وكما ذكرنا فى مقدمة الحديث ، فان أوجه التقارب فى الحياة الاجتماعية فى كل من الريف المصرى او الريف التركى اوجدت تشابها فى هذه العوامل مثل الامراض الاجتماعية التى يجب علينا علاجها او مشاكل حضارية يجب ان نحلها حتى لا يخرج من بين القرويين اينجه محمد ، او كمال الطبال ، او عتريس ... الخ .

ومن اهم هذه العوامل :

١ – المكان :

وأهم ما كان يميز قرانا من حيث الموقع ، هو بعدها عن المراكز الحضارية وصعوبة الوصول اليها ، ومن ثم يصعب وصول الاجهزة الادارية الى القرية عند وقوع الحادث ، كما حدث فى رواية « اينجه محمد » فقد وصل رجال الشرطة بعد وقوع الجريمة بثلاثة أيام .

ولذلك نجد « هارب من الايام » تدور حوادثها فى قرية من قرى الفيوم فى صعيد مصر ، وتدور حوادث « اينجه محمد فى قرية على جبال طوروس ، اكثر مناطق تركيا خصوبة ، وتبلغ فيها



الطبيعة مبلغا كبيرا من القســـوة » فالصخور حادة شامخة ، والارض مثل المعدن المصقول ... أعواد الغـــاب شامخة ، والاحراش تغطى الفجــوات بين الصخور وكأنهـا غابات وصخور.، بعد ذلك تقف باستقامة تبعث الرهبة فى النفوس .

ولا شك ان بيئة بهذه القسوة يمكنها ان تلد مجرما مثل « اينجـه محمد » ولا سيما ان علماء الاجتماع كثـــيرا ما يربطون بين البيئة الطبيعية والسلوك الاجرامى .

ب ـ العلاقات الاقتصادية :

تدور العلاقات الاقتصادية فى القرية حول محور واحد هو الارض ، أمل كل قروى ... من لا يملكها يعيش طـوال حياته على حلم امتلاكها ، ومن امتلكها يجعل المحافظة عليها وزيادة رقعتها هما الهدف الاسمى ... وعلى الرغـم من تنوع أوجه النشاط الاقتصادى فى القرية مؤخرا فما زال للارض بريقهـا فى اعين الفلاح .

ولذلك فالنزاع عليها اشد ضراوة من اى نزاع آخر ، فالعم لم يتورع عن قتل ابن اخيه فى رواية «اينجه محمد» ليستولى على ارضه . والحاج ابراهيم فى «هارب من الايام» جعل هدفه شراء كل فدان يقع قريبا من ارضه ولا يسمح لغيره بشرائه . فحينما يحتاج احمـــد نقودا ويعرض بيع « ارضه يساوم الحاج ابراهيم قائلا : « الفدان فى ارضى ، ان لم اشتره فلن يشتريه احد » .

ولابد للارض من مياه ترويها ، وهنـا تاتى مشكلة تنظيم الرى ، وتوزيعه ، فقد حـدث نزاع على الرى فى رواية « شىء من الخوف » كاد ان يؤدى الى جريمة قتل .

ونتيجة لعوامل اقتصادية وتاريخية، لا يتسع المجال لذكـرها ، بات معظم الاراضى فى القرية فى ايدى قلة من سكان القرية ، ومن ثم نتج ما يسمى بسوء توزيع الثروة ، وظهر ما نسميه بالاقطاع .

ويتفق راى كاتبنا مع راى علمـاء الاجتماع الذين ذهبوا الى ان « النظام الاقتصادى الراسـمالى يضعف من الروابط الاجتماعية حيث يهتم اصحاب الثروات بمصالحهم الخاصة ويسعون الى تكديس اكبر قسط من الثروة دون مراعاة مصالح الآخرين » .

وتؤكد الدراسات التى اجراها دكتور Cyril Burt والتى نشرت عام ١٩٣٨ ان اكثر من نصف الجانحين الى الاجرام هم من الفقراء (٩) .

ومن ثم ظهر الاقطاع من بين ثنايا رواية « اينجه محمد » بوجهه البغيض وبشراسته الكريهة ، واذا عرفنـــا ان الكاتب ذا نزعة اشتراكية فلا غرابة ان يصور شخصيات الاقطاع وكأنه يهاجمها، فهذه الشـــخصيات تمثل الشر بكل انواعه تبعث القارىء على النفـــور منها ، فقد اتصف عبدى اغا عدو اينجه محمد ، بالخسة والجبن والطمع ... وعلى صفا بك اقطاعى اخر لا يفارقه

(٩) الدكتور سمير نعيم ، الدراسة العلمية للسلوك الأجرامى ، القاهرة، ١٩٦٩ ، ص ١٨٩ .

« كرباج في يده يضرب به طرف حذائه من حين لآخر » ويستخدم رجال العصابات ضد من يعارضه من الفلاحين، فتحرق المنازل وتسمم الماشية والشرطة تعلم ان القاتل الحقيقي هو علي صفابك، ولكنها تبحث عن قاتل آخر .

ويكاد لطيف بك الاقطاعي المصري في « هارب من الايام » ان يكون صورة اخرى للاقطاعي التركي فهو « جامد الوجه » ، غليظ الجسم. لم يكن البك لبقا في الحديث ولا بذي علم ، وانما هو غني فاجر جعل في العصابة التي انشأها غناه عن كل ما عداها ، فهو باجرامها قوى وباسلحة فتيانها عالم (١٠) .

ولكن صاحب « هارب من الايام » ، بواقعية متميزة ، يريد ان يقول ليس كل الاقطاعيين اشرارا « فهناك انور بك صدقي طيب القلب » .

والاقطاع بصورته هذه وباعتباره احد اطراف الصراع في الرواية يجعلنا نتعاطف مع الجانحين للاجرام ، فان ما نراه اجراما يتضاءل امام جرائم الاقطاع .

جـ ـ الفساد الاداري :

وقد استشرى هذا الفساد بين كثير من رجال الامن في رواية « هارب من الايام » بحيث نجد الخفراء لا يقومون بعملهم كحراس للامن ، وانما يعملون بالزراعة ، ويجمعهم العمدة عند زيارة المأمور فقط ، والمشايخ ايضا والعمدة نفسه « ماكر » يحصل من الفلاحين على اتاوات مقابل اطلاق المياه وحل مشاكلهم ويسخرهم في ارضه .

وكلما تدرجنا مع الهرم الامني تصاعدت الرشوة فالمأمور ، حينما يعين حديثا يقولون عنه انه شديد . ثم يأتي، وما ان تصل اليه الفراخ والسمن والديوك حتى يصبح لينا لطيفا كالخراف التي تذهب اليه تماما .

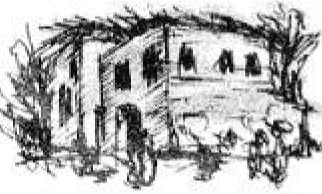
فضلا عن ذلك هناك اوجه قصور في القانون نفسه ، تجعل المجرم بريئا فيكفي أن يثبت القاتل انه لم يكن في مكان الحادث مثلا كما حدث في رواية « ابنجه محمد » ، كما ان الاهالي في كثير من الاحيان يخافون الادلاء بالشهادة خشية أن ينالهم انتقام المجرمين بعد ثبوت براءتهم .

د ـ تراث من الاساطير :

تتميز حياة القروي بفترات طويلة من البطالة وخاصة بعد ان ينمو النبات انتظارا لموسم الحصاد ، وتعقب الحصاد ايضا فترة من الانتظار لغرس نبات جديد ، ومن ثم نجد القرويون متسعا من الوقت للمسامرة التي تتخللها أقاصيص وروايات عما حدث في القرية سواء في الماضي او الحاضر ، واكثر هذه الروايات ما يروى عن المجرمين ، وهم ، في نظر البعض ، ابطال تحاك من حولهم الاساطير وتنسب اليهم المعجزات ... فيضيف الراوي من عندياته الى شخصية المجرم ما يحيطه بهالة من البطولة ، وهذه الروايات والاحاجي تمثل تراثا ثقافيا في القرية له دور كبير في بناء شخصية القروي . وله تأثير كبير في اتجاه الجانحين الى الاجرام .

---

(١٠) هارب من الايام ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .



ونجد هذا التأثير واضحا فى شخصية « اينجه محمد » ، ففى طريقه الى (المدينة) لأول مرة يلتقى بشيخ مسن يروى له تاريخ « قوجه احمد » احد عتاة المجرمين الذى « كان اسطورة هذا الجبل وكانت الامهات تسكتن اطفالهن حينما يبكون بقولهن (صه ! .. قوجه أحمد قادم !) .

ولا يكتفي الراوية بذكر هذاالجانب الارهابي فقط وانما يصور له الجانب الخير فىشخصية المجرم فقد كان « قوجه احمد يفرض الاتاوة على الاغنياء ليوزعها على الفقراء ... انه ابو الفقراء ! » . « لقد كان حبا بقدر ما هو رعب ، لقد مزج بينهما ، ولو لم يفعل ذلك ما عاش فى قلوب الناس لسنوات طويلة .. فالحب وحده ضعف والخوف وحده حقد » (١١) ...

ومبرزا على فى رواية « الرحمة قطعت السبل » يخلو فى الجبل وهو يرعى الاغنام الى شيخ من شيوخ القرية ليسمع منه ، على مدى ساعات طوال ، ماحققه هؤلاء من معجزات ، وما تميزوا به من صفات ، فيعود الفتى وقد تقمص شخصية احد هؤلاء الاشقياء ويطلق الاعيرة النارية فى الهواء .

و « الهارب من الايام » ايضا معجب بشخصية منصور الدفراوى أيما اعجاب ، فيحاور نفسه « الم تر منصور الدفراوى كيف ينظر الناس اليه نظرة احترام وتوقير وهو القاتل السفاك ، الا ترى انهم يمتدحونه ويصفونه بالرجولة والكرم (١٢) .

ويصبح الاجرام فى نظر البعض امنية يتمناها الاب لابنائه ، فحينما اراد فايز « فى شيء من الخوف » ان يتزوج من نبوية بنت حسنين العسكر وجد من يعارضه قائلا :

ــ وابوها ؟

ــ ماله ابوها ؟

ــ مجرم .

ــ تخافه الجهة كلها .

ــ الاجرام ليس رجولة .

ــ ما الرجولة ؟

ــ الا تخاف ان يصير اولادك مجرمين؟

ــ يا ليت ؟ (١٣) .

ولا شك ان هؤلاء المجرمين استمالوا قلوب طائفة من فقراء القرية بكرمهم وسخائهم بدافع من الخوف حتى لا تؤدى الشهادة ضدهم امام المحكمة ، كما فعل منصور الدفراوى وكمال فى هارب من الايام . كما ادخلوا الرعب فى قلوب الاغنياء وبذلك ملكوا زمام القرية .

٢ ــ الرؤية الاجتماعية :

لا شك ان التوفيق حالف كتابنا ــ سواء فى الرواية المصرية او الرواية التركية فى رسم صورة صادقة لحياة القرية وما تعانيه القرية من امراض مزمنة ما زالت ترزح تحت نيرها حتى الآن . وفى رسم العلاقات الاجتماعية بها وفى تحديد معالم الشخصيات الرئيسية بها ، وضع الكتاب ايضا اصابعهم على العوامل التى تشابكت وتضافرت لتخلق فى القرية صراعا بين

---

(١١) اينجه محمد ص ٧٩ .
(١٢) هارب من الايام ص ١٤١ .
(١٣) شيء من الخوف ص ١٢ .

الفرد ومجتمعه حتى يصبح الفرد فى النهاية مجرما .

ولئن اتفق كل من المؤلفين الثلاثة: ثروت اباظة وياشار كمال، وكمال طاهر فى تصوير ظاهرة الجنوح الاجرامى فى الريف ، فقد اختلفت مواقفهم حيال ابطالهم ، ومن ثم حيال الظاهرة نفسها وكان هذا الاختلاف نتيجة طبيعية لتباين الرؤى الاجتماعية لكل منهم .

«الهارب من الايام» كما اراد المؤلف يدعو الى اشتراكية فاشلة وهى السلب من الاغنياء والتوزيع على الفقراء ، واسباب فشلها كما هى واضحة فى الرواية :

اولا : ، ان الفوارق فى القرية لم تكن تستوجب مثل هذه النظرية ، انما هى وطنية الفلاحة تحاول ان تنقذ كمال من نفسه وتعيده الى جادة الصواب وهى فى نفس الوقت تقرر الحقيقة . من قال ان كل من يملك بهجة او قطنا او ارضا غنى ... ومن قال ان هؤلاء كثرة ! ليس فى قريتنا الا قلة نادرة لا تملك شيئا .

ثانيا : ان الفلاحين يستفيدون من عملهم فى ارض الأغنياء أكثر مما يحصلون عليه من نفحات كمال لهم ، فقد فرحوا حين وافتهم الدفعات الاولى ثم حزنوا بعد حين . حينما لم يجدوا عملا فى أراضى الملاك الذين لم يعد فى استطاعتهم استزراع الأرض .

وهكذا فشل كمال فى اسعاد أهل القرية بل جعلهم يعيشون فى رعب وجعل قرية « السلام » (١٤) تعيش فى حرب مستمرة اعقبها صمت حزين ، فان مررت ثمة بالقرية فلا نيران ولا سمر ولا جماعات تتحلق .. حتى الضفادع والصراصير حتى الكلاب النابحة احست بما اصاب الناس فهى فى صمت مطبق ، ليس فى القرية صوت، وليس فى القرية نار وليس فى القرية نور (١٥) .

هذا فضلا عن ان اشتراكية كمال لم تكن مخلصة للمجموع تماما فهو يأخذ لنفسه وللعصابة اكثر مما يعطى المجموع ، كما ان القليل الذى اعطاه للفقراء ، كان ينتظر مقابله : صمتهم وتغاضيهم عن جرائمه .

وفشل كمال ، لم يكن على المستوى الاجتماعى فقط ، بل على المستوى الذاتى ايضا ، فقد فشل فى ان يحقق ذاته ويصل الى ما كان يصبو اليه مع درية التى اعلنته بفشله وجردت نفسه امامه :

- صرت سيدا ...
- على عصابة !
- اصبحت آمر فيؤتمر بامرى .
- لان بيدك سلاحا .
- اصبحت غنيا .
- لانك لص! - (هارب من الايام).

(١٤) ربما اراد الكاتب من اطلاق هذا الاسم على القرية ان يشير الى حال القرية قبل ظهور كمال وجماعته .
(١٥) هارب من الايام ص ٢٧٦ .

وهكذا نطقت درية بمـــــا حرص الكاتب على قوله بان الاشـتراكية على هذا النحـــو ما هي الا « لصوصية »

ولا نبالغ اذا قلنا ان ثروت اباظة قـد اجاد التعبير عن فكرته بقدر ما أجاد فى تصوير طبائع القروى وحيـاته وحالفه التوفيق أيضا فى التنبؤ بمصير نظـرية خاطئة الاختيار والتطبيق .

واذا كان ثروت اباظة يرى ان العدالة لن تتحقق الا بالشرعية ، يؤكد ياشـار كمال ان هذه العـدالة لن تتحقق الا بالحرب ضد قوى الاستغلال والاقطاع فى القـــرية ومن يقف فى صفهم من رجال القانون ايضا . وكانت شخصية « اينجه محمد » أصدق تعبير من هذه الرؤية ، فكل افعاله تدل على الخير ومنذ الصغر ، فهو محبوب من الناس طبعا ما عدا الأغا : وهو مثال الشر فى القرية ، وهنـــا نلمس بوضوح هجوم الكاتب على طبقة الاقطاعيين ، كما تنبأ بنجاح « اينجه محمد » فى الوصول الى هدفه فى تحقيق العدالة الاجتماعية ، فبعد ان اصبح مرهوب الجانب ويخشاه اغوات القرى المجـاورة ، ارسل الى الفلاحين من يقول لهم :

« لم يعد هناك عبـدى اغا ، ما فى حوزتكم من ابقار هى ملك لكم ، لم يعد هناك من يقاسمكم ارزاقـكم ما دمت انا فوق هذا الجبل » .

نعم شملت الجمــــوع موجـة من السرور ، وتغنت الامهات باسم «اينجه محمد » ولكن الكاتب ، وهـــو يصور الحقيقة ، لم يستطع ان يخفى ما أصاب القرية بعد ذلك من الـذعر والخـوف والدمار عندما اصبحت ميدانا لمعـركة بين قوات الامن وعصابة اينجه محمـد وما اصابها من سلب ونهب بعد ان اقامت فيها قوات الامن واضطر الاهالى لتدبير غذائهم .

ولم يبق « اينجه محمد » طويلا فوق الجبل ، فقد هوى وسط طلقات اميرة رجال البوليس ، وانتهى الى ما انتهى اليه كمال .

ومع اختلاف وجهـــات نظر الكتاب فهناك اتفاق على النهاية المتفــــائلة ، ويتمثل تفـــاؤل صاحب « هارب من الايام » فى « تنازل العمدة العجـــوز الجاهل المتحلل من العمودية « لفخرى » ابن صديقه الحاج حسن ... وهكذا انتصر الكاتب فى خاتمته للجيل الجديد من الشـــباب المثقف ووضع فيه امله وامل بلاده فى اصلاح احوال الريف الفاسدة (١٦) .

ومبعث التفاؤل عنـد ياشار كمـال هو عودة الحياة فى القرية الى سيرتها الاولى من جديد حين انطلق الفـلاحون بين منازلهم بعد طول احتجاب واحتفلوا لاول مرة بعد فترة حداد طـويلة بعيد من اعيادهم المحلية .

(١٦) فؤاد دوارة ، فى الـــرواية المصرية ، دار الكاتب العـــربى ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .





لقطة من الفيلم السينمائي



ماذا بعد فصل رأسك عن جسدك

سؤال يحاول فيلم سينمائي الإجابة عنه

ماري غضبان

في عصر مكوك الفضاء ، والسفن الدائرة حول الأرض والكواكب الاخرى تحمل معامل كاملة واجهزة معقدة يحاول الانسان ان يكتشف بها المزيد من العلم ـ بعد هذا كله ما زال العلماء ، وحشد عشرات السنين ، في حيرة من امرهم امام كل الابحاث التي اجري على الانسان نفسه ! .. فيما قال الكثير ـ رغم تقدم علوم الطب والنفس ـ ما تزال هناك في الانسان وعن الانسان اسرار غامضة لم يكتشف العلماء اسرارها بعد ، ولم يصلوا فيها الى جديد ..

ومن الاشياء التي يحاول ان يصل العلماء الى اسرارها «جهاز الكمبيوتر» البشري داخل رأس الانسان الذي يعي ويختزن المعلومات ويتذكرها مهما تقدم بها السن ، الا في حالات خاصة ..

كما يحاول العلماء ان يصلوا الى علم مؤكد في ان الانسان كعقل ورأس شيء ، وكجسد شيء آخر .. وانه من الممكن ان يفصلوا بين جسد الانسان وكل ما في رأسه من اجهزة ووسائل اتصال ووسائل واحساس وروح .. وقد جرت بالفعل تجارب كثيرة وأبحاث علمية في محاولة اثبات ان الفصل بين عقل الانسان ، وجسده ممكن .. ولكن السؤال الذي ما زال قائما ، هو : ما هي النتيجة وما هي التغييرات التي يمكن ان يتأثر بها الرأس ، والعقل ، والجسد ؟!

ومن اول علماء النفس الذين تصدوا للاجابة عن هذا السؤال العالم البريطاني وليم جيمس عام ١٩٠٩ ، وقد بدأ محاولة يتعاطى بعض العقاقير التي يمكن ان « تحلق بروحه » بعيدا عن جسده .. وحاول ان يسجل وان يرصد ما يطرأ عليه من تغييرات في الاحساس والشعور .. ولكنه لم يصل الى شيء ..

بعده ، جاء العالم والكاتب الفرنسي هكسلي ، وأصدر تجربته الشخصية في كتاب عام ١٩٥٤ ، قال انه تعاطى حبوبا معينة ووصل بها الى كتابه الذي اسماه « أبواب الاحساس » وأثبت فيه ان الاحساس يتأثر بحالات مختلفة يمر بها الانسان ، تؤثر في حالته النفسية ولكن جسمه لا يتأثر بها . واتجه الى البحث ذلك الى نماذج من الاسيويين في اليابان والهند وغيرها ، ومنها الذين يمشون على المسامير او يبتلعونها ، ومنها الذين يظلون ساعات على رؤوسهم ، ومنها ما يلجأ اليه بعض الهنود في حركات يتوقف خلالها القلب عن النبض لثوان او دقائق دون ان تتأثر ارواحهم اجسادهم ..

وحاول ان يؤكد بذلك نظريته في انه من الممكن الفصل بين رأس وعقل الانسان وبين جسده .. وان التغييرات التي تطرأ على العقل والاجهزة الاخرى داخل الرأس ، يمكن الا يتأثر بها الجسد .. كما ان الالم من النوم على المسامير لا يحس به الجسد لانه قد تم قبلها الفصل بين اجهزة الاحساس والشعور في الرأس ، وبين الجسد ..

وكان آخر البحوث حول هذا الموضوع كتاب « الحالات المختلفة » للكاتب السينمائي بادي شايفسكي .. والكتاب حول حياة وتجارب عالم الفيزياء وعلوم النفس والاعصاب ـ الامريكي جون ليلي والذي بدأ تجربته بأن حبس نفسه بعد تعاطي حبوب معينة ، داخل برميل مملوء بماء مالح وبدقة في درجة حرارة الدم داخل جسم الانسان وفي ظلام تام ويبقى به عدة ايام .. وحوله عدد من العلماء والباحثين يراقبون حالته وعلى اتصال بأجهزة اليكترونية تحسب ما يطرأ من التغييرات وقوة الاحساس وغيرها ، ذلك مما كان يبحث العالم عن اجابات لها في بحثه حول رأس وعقل الانسان والعلاقة بينهما وبين الجسد ..


وبقى الانسان وتكوينه سرا من اسرار الخالق الاعظم ..

وقد استمرت التجارب وكانت النتيجة التى وصلوا اليها دائما ، ان الجسم والراس والعقل الذى تجرى عليه التجربة – للعالم جون ليل – تصل فى النهاية الى نقطة الصفر فى الاحساس . وعندما ادرك العالم هذه النتائج فى كل تجاربه التى استمرت اياما طويلة ، طرد كل المراقبين والمساعدين ، وفصل نفسه عن كل أجهزة الاتصال والمتابعة ، وبقى داخل « برميله » الى ان عاد منه وقد تحول الى انسان بداية الحياة ، انسان اقرب الشبه بالقرود ! ..وخرج ينطلق الى الشوارع يصارع الكلاب والقطط ليحصل على الطعام .. الى ان انتهى الى حديقة الحيوانات واقتحم قفص الغزال ، وبدأ يلتهم واحدا من الغزلان الحية ..

وبقى الانسان وتكوينه سرا من أسرار الخالق ..

هذه التجربة للعالم جون ليل ،تحولت الى فيلم سينمائى تم انتاجه أخيرا ، والمخرجه البريطانى كين راسل – وقال عنه – انه يبحث حول أصل الانسان !

ولكى يفسر المخرج رؤيته لهذه التجربة استعمل الالوان والحيل التصويرية ومؤثرات صوت واضاءة وصورة لم تحدث من قبل فى السينما . ولم يهتم المخرج باختيار ممثلين من المشاهير لهذا الفيلم ، لان الفيلم أساسا يعتمد على موضوعه العلمى ..

وقال عنه النقاد انه يشبه الى حد ما ما انتج من افلام عن دكتور جيكل ومستر هايد .. ولان الفيلم يدور فى مثل هذا المناخ المثير للخوف ، اختارت الشركة المنتجة مخرجا بريطانيا لان الفنان البريطانى ما زال الاكثر براعة فى نوعية افلام الرعب .. ومن اشهرها .. الاخوات برونتى .. ومرتفعات وذرنج وغيرهما .. لان هذا اللون من الافلام هو المفضل لدى مشاهدى السينما فى بريطانيا ..

لقاء الخريف

سالم حقي



وا أسفا ... تأخر اللقاء !
تأخر الربيع والرحيق والغناء ..
حبيبتي ! .. تأخرت أيامنا الخضراء ...
وطال فوق أرضنا الصقيع ،
والجفاف .. والشتاء !
وحين أقبل الهوى ، معطر الخطى ..
يضمنا في حضنه الدفيء ،
في ظلاله الوريفة
يبذر في صدورنا الرجاء ...
يزفنا ، ككوكبين .. تائهين في الفضاء ..
التقيا ، فأحسنا اللقاء !
... كنا على شفا الخريف !
نحصد الضياع !
يغتالنا العناء ..
يمشي المغيب فوق أرضنا .. ويزحف المساء !
وا أسفا .. تأخر اللقاء ..
وحينما ترفقت بنا السماء ..
كنا أضعنا عمرنا .. هباء !!
رثاه ...
حتى إن سخت أقدارنا ..
لم يجدنا السخاء !!

صورة

في مكان مهجور

● عزت محمد ابراهيم ●

● كان يجاهد جهادا شديدا لينأى بنفسه عن الضجة التى اعتاد أبناؤه ان يشعلوا بها البيت عصر كل يوم ، وفى يده كتاب يبذل فى قراءته قصارى جهده لا للصعوبة فيه ، ولا لغموض فى معانيه ، ولكن لهذه الضجة العنيفة التى تثور من حوله فتتمزق بها نفسه تمزيقا ، وهو يحاول التركيز والانتباه فلا يظفر منهما بشىء ! ..

وهو لا يتحرك لاسكات الضجة ، او كف الصغار عن صخبهم وهياجهم ، فهو يعلم العاقبة علم اليقين ، تهب الزوجة ثائرة حانقة متنمرة فى دفاع باسل عن صغارها وما يريده لهم من تضييق وحرمان ، ثم لا تنسى ان تصب عليه جام غضبها ، وان تستمطر على كتبه التى يقرؤها كل لعنات الدنيا ، وكل ما حفل به قاموس شتائمها من طريف وتليد !

ـ طول عمرك تقرأ ، ماذا جنيت من القراءة ، أضعت مالك ، وأفنيت صحتك وذهب منك نور عينيك ، ولم يبق منك غير الحثالة والنفاية ، يا حسرتى عليك !

ومضى فى القراءة صفحات قليلات ، ثم ضاع فى متاهات عديدات : متاهة الزوجة بتكبرها وسلاطة لسانها .. ومتاهة الحياة بتكاليفها وأثقالها .. ومتاهة الاحلام والامانى التى تبددت كما يتبدد السراب حين يقترب منه ضائع فى صحراء قاحلة ! .

وانصرف عن القراءة ليسبح فى بحر من أفكار لا حصر لها ، اعتاد أن تنبعث من صفحات كل كتاب يقرؤه كما تنبعث الاشعاعات غير المرئية فى كل اتجاه ..

.. ها أنت ذا قد جاوزت الاربعين ، وضاع كل شىء ، تبددت الآمال ، وانهارت الاحلام ، وبلغت السياج المرتفع للواقع القاتم الحزين .. فلتخبط رأسك فى صخره وجلموده حتى يسيل على جوانبه الدم ، وها هو ذا كتابه الذى لم ير النور ، قابعا لا يزال تحت الحشايا والتكايا ، قد تآكلت أوراقه حتى كادت أن تضيع معالمه : « مقصد الانام فى كشف الغموض والابهام » ، متى أراه فيما هو خليق به من مكانة واعتبار : خريدة العصر ، وفريدة الزمان ، وزينة الراحهات والمكتبات !

سحقا لها ، وسحقا ليوم جمعني بها ! ما وقع بصرها على كتاب فى يدى الا وانطلق لسانها قارصا لاسعا له فى النفس وخزات وايلام .

* [illegible] ما تنفق على هذا العبث من مالك

* ما أحق أولادك بما يضيع فيما لا يجدى ولا ينفع !

* أما كانت سهرة نروح بها عن أنفسنا أحلى وامتع من هذا الذى لا نفع فيه ، ولا طائل من ورائه ؟!

* أما .. أما .. أما ..

ولا تنفد عندها وجوه المقارنات الا ان انفد انا بجلدى فاولى من امامها مدبرا التمس فى الفرار نجاة ، وفى الانزواء والاختباء ملاذا .

من يدرى ؟

ربما استطعت ان احقق شيئا من احلامى لو لم تعترض طريقى يوما كأنها القدر المعاند . اين انا اليوم منذ عشرين او ثلاثين عاما مضت : احلام عريضة ، وامانى رحبة الجنبات تتراءى نفسى فى مراياها كاتبا شهيرا جهيرا ، تحفل

الصحف باسمي ، وتزدان بثمرات قريحتي واجهات المكتبات ..

وتتابعت الايام كما تتتابع الوعود الخلابة من فم مماطل قد ألف المماطلة والتسويف . ضاع كل شيء ، وغدا تموت كما تموت السوائم والانعام ، لا تمتاز عنها بشيء الا أن يكون شهادة ميلاد وشهادة وفاة ، وبين الشهادتين عدد من السنين ، تمر كما تمر على الاشجار والاحجار ..

.. التخرج في معهد المعلمين ، ثم التدريس ، ثم الاولاد في كل مكان ، في الفصل وفي البيت .. رأسي ينفجر ، أين أنا ؟ الاصوات في كل ركن والضجة تأتي من كل ناحية ، من الفصل الذي أغادره ، وفي البيت الذي آوي اليه ، ولا مهرب ولا خلاص ..

سبعة من الاولاد .. اربعةعشر قدما تطوف أرجاء المسكن ، تشيل وتحط وتصعد وتهبط ،حتى تهتز منه الجدران، ويصرخ من هوله الجيران وجيران الجيران !

سبعة من الافواه تنطلق في صراخ وعويل يصم الآذان ويفري الابدان . سحقا لها وسحقا ليوم جمعني بها ، وغدا تمضي كما تمضي السوائم والانعام . انتفض مذعورا على صوتها كأنه الماء البارد ينسكب على الرأس بغتة

— تكلم نفسك يا مجنون ، هذه آخرتها ..

.. خداع في خداع ، كانت كأنها وردة قد تفتحت عن أكمامها ، فكانت خليقة بالاقدام التي تخطو سعيا وراءها، وكشفت الايام عن خبيئتها فأظهرتها على حقيقتها : انها من حشرة دنيئة !

.. خداع في خداع، ما كانت في تلك الايام رقيقة باسمة وهي ترنو بعينين تأخذان بالالباب وتسحران العقول ، وما كان أعذبها حين كانت تطوح بالرأس فتزيح عن عينيها خصلة الشعر تيها ودلالا ..

أكانت اللعينة الملعونة تتقن التمثيل وتصطنع المكر والاحتيال ، حتى تقع الفريسة في أحابيلها ، فتمعن فيها تقطيعا وتمزيقا ! .

.. خداع في خداع ، أماطت الايام عنه اللثام ، فأظهرت واقعا كريها كأنه عجوز شوهاء شمطاء !

أين المفر ؟ أين النجاة ؟

قال لي أبي : لا تتزوج يا بني ، فالزواج مقبرة الآمال والاحلام !

ليت ان كلماته قد وجدت مني آذانا صاغية ، ونفسا واعية .

ولكن مشيتها في الشارع كانت تسلب الالباب وتسحب العقول .

.. خداع في خداع !

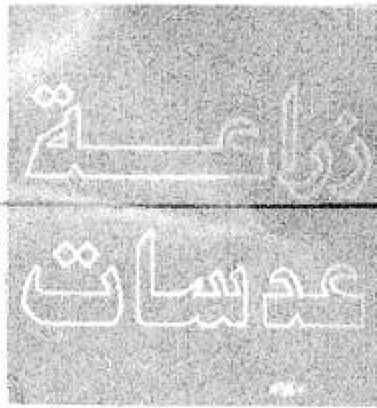
أراد أن ينهي حوار الداخل والخارج معا ، فأمسك بكتابه يريد أن يعود اليه، ولكن صوتها ارتفع بغتة ،كأنه نفخ نفير، أو صوت نذير .

— ماذا كنت تود من حياتك ، بيتك مستور ، وأولادك في نعيم ، وزوج كالخادم بغير أجر ، آتية ذاهبة ، صاعدة هابطة ، لا تكف لها حركة ، ولا تستكين الى راحة أو هدوء .. ذوى مني الكيان ، وانهار البنيان ، ولكنك منكر للجميل ، جاحد ، لا تعرف حمدا ولا شكرا ، احمد الله يوما لعل هذا الكابوس الجاثم على أنفاسك ان يتزاح عن كاهلك فتريح وتستريح .

ليس غير هذه الكتب التي أفسدت عقلك وأورثتك الجنون والخبال ، قراءة قراءة .. ثم أوهام تتخذ لها في رأسك أعشاشا كأنها العناكب في المكان المهجور !

●●●

وحان موعد القطار فأقبل مندفعا كوحش ثائر قد حطم قيده وانفلت من عقاله ، واهتزت جدران البيت — من وطأته — اهتزازا ، لا تكاد — الا بعسر ومشقة — ان تمسك نفسها عن السقوط والتداعي ،وانطلق صوته زاعقا مدويا قد أصاب معه الاذنين وقر ، فلم يعد يسمع معه ما عداه ، لا صوت الزوجة الثائرة ، ولا صوت الاولاد — القطار الآدمي في نغمه المتتابع الرتيب — ولا صوت الاحلام التي اتخذت لها في الراس أعشاشا كأنها العناكب في المكان المهجور !



زراعة عدسات العيون ...

ميشيل تشكلا

● اوجدت تعقيدات العين البشرية تحديا عظيما لعبقرية اولئك الذين يعملون في مجال التكنولوجية الطبية .. فالبحث والعلاج اللازمان لامراض العين يتطلبان استخدام اجهزة ذات حساسية عالية وتعقيد بالغ . وحتى بعد الجراحة ، فان المريض قد يحتاج الى معاونة من عدسات صنعها الانسان . وقد تكون العدسة العادية او العدسة اللاصقة عند بعض الناس غير عملية . ولكن التقدم الحديث في تصميم اى العدسات الصناعية التي تزرع بصفة دائمة في العين ـ قد اصبحت على درجة عظيمة من الاهمية .

هناك مشاكل بصرية عديدة ، وعلى الاخص بالنسبة للمتقدمين في السن ، سببها اضطرابات الاوعية الدموية خلف العين .. فقد تحققت ـ بعد صعوبات بالغة ـ امكانية التوصل الى هذه الاوعية الدموية للبحث في طبيعة الاضطراب . فطريقة استشعاع « الفلوريسين » التي تجعل المتخصص قادرا على فحص العين بسهولة ، جعلته يستفيد من الخاصية الفيزيقية للاستشعاع في امتصاص الضوء لموجة طولية وبثها عند موجة طولية أخرى . فالضوء الازرق يسطع في الاوعية الدموية حاملا الاشعاع ، وبمباشرة البث الناتج عن الضوء الاخضر ومرور « الفلوريسين » خلال الاوعية ، يمكن متابعته كوسيلة فعالة في العلاج .

يتسع انسان عين المريض اولا بالنقط وهو جالس امام كاميرا خاصة حيث يحقن بخمسة سنتيمترات مكعبة من محلول « صوديوم الفلوريسين » بنسبة ٢٠٪ ككتلة واحدة في احد اوردة الذراع ، ويستغرق سريان المحلول من الذراع الى اثنى عشر ثوان فقط ، وبعد ذلك يمكن رؤية صبغة « الفلوريسين » بوضوح وهي تتخلل شرايين وشعيرات واوردة شبكية العين . وعلى الاثر تلتقط مجموعة من الصور على فترات ، وعن طريقها يستطيع جراح العين ان يكون صورة كاملة لحالة الاوعية الدموية خلف العين ..

ان الاوعية الدموية للعين السليمة غير منفذة « للفلوريسين » وعلى ذلك تظل الصبغة في داخل جدران الاوعية . وقد يحدث المرض بسبب تسرب محتويات الاوعية ويحدث ضررا لشبكية العين . وهذا واضح تماما في صور الشبكية عندما تتسرب الصبغة مع محتويات الاوعية .. وبطريقة اختيارية قد يسد المرض الممر خلال اوعية الشبكية ويمكن



يستخدم جراح العين أشعة الليزر ليعالج انسانا مصابا بمرض الشبكية وتحرق أشعة الليزر ثقوبا صغيرة في المنطقة المصابة ..

اكتشاف هذه الحالة بسرعة ما دامت الصبغة لا تستطيع اختراق الاوعية المسدودة . وتحدث حالة أخرى بسبب الاصابة بمرض السكر ، فاوعية دموية جديدة تتكون فقط لكي تتحطم وتنزف مسببة فقدان البصر .. وقد تكون الاوعية النازفة ندبات النسيجة عندما تشفى وتصبح شبكية العين منفصلة . وتؤثر هاتان الحالتان تأثيرا مباشرا على النظر ..

● العلاج باشعة الليزر ●

بمجرد أن يعثر على موقع المشكلة التى

زراعـــة عدسات العيـــون

أثرت على شبكية العين ، يواجه جراح العين الامر لمعالجته • ومن الواضح ان الوصول مباشرة الى تلك الانسجة الدقيقة من الامور الصعبة وربما يمكن علاجها باستخدام أشعة الليزر ••

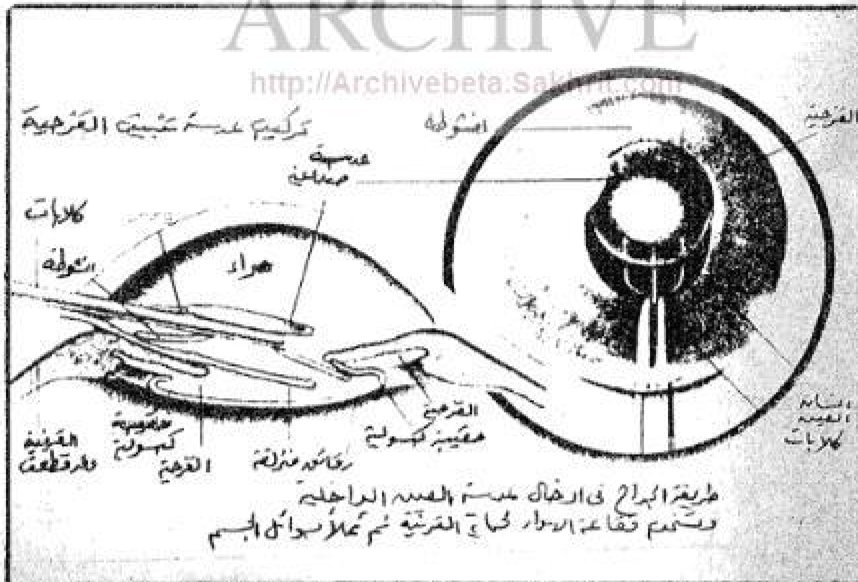
وكلمة « ليزر » مركبة من الحروف الاولى لكلمات أخرى بمعنى تكبير الضوء بالبث الحافز للاشعاع : (Laser)

Light amplification by the stionulated emission of radiation

وحزمة الضوء التى تنتجها اشـعة « الليزر » ذات كثافة أعظم من أي مصدر ضوء ، وعندما تسـلط على اى منطقة صغيرة جدا تنتج حزمة «الليزر» تكثيفات عالية من الاشعاع بدرجة قصوى •

ان تطبيق تكنولوجية « الليزر » لعلاج مرض الشبكية امر سهل • ففى بادىء الامر يوسع انسان العين ثم يخدر السطح الخارجي لها بالنقط • بعد ذلك يلصق الجراح عدسة بالعين مجهـزة بثلاث مرايا ذات زوايا مختلفة بمستويات مائلة • وهذه تجعل الجراح قادرا على ان يركز على اى جزء من اجزاء الشبكية وبجلوس المريض بطـريقة مريحة امام ميكروسكوب موصل بجهاز « الليزر » يستطيع الجراح ان يطلـق « الليزر » على المنطقة المريضة فى الشـبكية مسببا حرقا دقيقا محليا بها • ولعدد يقترب من ٥٠٠ حرق ضئيل قد يجرى فى معالجة واحدة • وقد يعاد العلاج مرة أخرى اذا لزم الامر ••

من الطبيعى ان حرق « الليزر » هذا يسبب ابادة كل من انسجة الشـبكية العادية وغير العادية • وهذا معنـاه ان الضرر الباثولوجى الذى يؤثر على العصب البصرى أو الماكولا أو البقعة (اى جـزء الشبكية على المحور البصرى) لا يمكن علاجه مباشرة ،ومن ثم يستبعد استخدام



« الليزر » لعلاج الكثير من امراض العين عند المرضى المتقدمين في السن . كما ان هذه الوسيلة غير مفيدة للمصابين بمرض السكر .

● الكتراكت أو المياه البيضاء ●

ان مرض الكتراكت ـ المياه البيضاء ـ هو المرض الذي تصبح فيه عدسة العين مظلمة . ويلاحظ ذلك عادة في المتقدمين في السن . ويزال « الكتراكت » بعملية عادية معروفة يجريها جراح العين . وهناك العديد من الوسائل التكنولوجية التي يمكن للجراح استخدامها لازالة « الكتراكت » . وقبل ظهور الخياطة الدقيقة المناسبة لاستخدامها في عمليات العين ، كان على المريض أن يبقى في المستشفى لعدة أسابيع .. وحتى الآن ومع الجراحة التقليدية فان المريض يذهب للمستشفى لمدة خمسة أيام . والسبب الرئيس في ذلك هو أن قدرا كبيرا من الشق الذي يحدثه الجراح لاستخراج « الكتراكت » يحتاج اليه ، وتنشأ عن ذلك خطورة ازاحة محتويات العين وقد تصاب بالالتهاب والنزيف . وبتحطيم « الكتراكت » داخل العين وازالتها بالامتصاص عن طريق شق صغير يستطيع الجراح ان يتم جراحة « الكتراكت » بأمان مع وجود المريض لمدة أربع وعشرين ساعة فقط في المستشفى . وهو تقدم عظيم ..

● تفتيت الكتراكت ●

ان جهاز تفتيت « الكتراكت » عبارة عن جهاز صوتي يحدث اهتزازا ، مركب بطرف جهاز فوق صوتي يتذبذب الى الامام والخلف بنحو ٤٠٠٠٠ مرة في الثانية ويسبب تفتيت عدسة العين الطبيعية . وبما أن العملية تولد حرارة لذلك يوصل الجهاز بنظام تبريد . ويعمل الجهاز فوق الصوتي على تفتيت « الكتراكت » ولكنه لا يزيلها من العين لذلك لابد أن يستعمل بالاتصال مع جهاز آخر يمتص فتات « الكتراكت » وجهاز غسل يمنع تحطيم أو تحليل اجزاء العين أثناء الجراحة ..

وهذه الانظمة أو الاجهزة الثلاثة يمكن ضمها في مسبر صغير يتم ادخاله في العين عن طريق شق عرضه ٢٫٥ ملليمتر فقط . ويجرى الشق الاول بمشرط ماسي عند وصلة القرنية الشفافة بغشاء العين الخارجي الصلب الابيض (الصلبة) ثم يدخل الجراح خطافا حادا متصلا بجهاز غسل الى الغرفة الامامية للعين ويستخدمه لتمزيق هوة كبيرة في الكيس الامامي « للكتراكت » ويزال بعد ذلك الخطاف ويحل محله قطعة يدوية صوفية تفتت « الكتراكت » وتسحب الاجزاء المتفتتة في الوقت ذاته .

وتزيل هذه الوسيلة « الكتراكت » وتترك كيسه الخلفي سليما . وتعرف باسم الازالة الزائدة للكيس كتمييز من الازالة الداخلية للكيس حيث يزال فيه الغشاء الخلفي .

وفائدة الوسيلة الاخيرة هي ان الغشاء الخلفي الباقي يؤدي مساندة ميكانيكية كمادة العين الزجاجية ويخفف من الخطر طويل المدى لانفصال الشبكية ومن مضاعفات قد تؤدي الى اضطرابات خطيرة ..

فشلت جميع الوسائل القديمة الخاصة باستخراج الغشاء الزائد في ازالة جميع مادة « الكتراكت » التي نتجت عن التهاب العين وزيادة حدوث مضاعفات . وباستخدام جهاز الغسل والسحب تحت مباشرة ميكروسكوبية دقيقة فان مادة « الكتراكت » جميعها يمكن ازالتها تاركة العين بدون التهاب . والغشاء الخلفي يكون عادة شفافا ولكنه يحتوى أحيانا على نهايات خلايا دقيقة . وقد تنمو هذه الخلايا على هيئة خلايا ليفية وتكون انسجة ذات علامات مظلمة وبذلك تفسد ما فعلته العملية الجراحية

زراعة عدسات العيون

ولازالة هذه الخلايا فان مسبرا مطليا بالماس يستخدم لمعان الغشاء او الكيس ومن ثم يؤكد شفافيته . وفي نحو ١٥٪ من الحالات فان الغشاء الخلفي يصبح مظلما بعد مرور وقت ولابد أن يثقب بثقب صغير. وهذه عملية جراحية بسيطة ويخيط الجرح بمادة ميكروسكوبية أرفع من الشعرة حيث لا تسبب أي اثارة ويمكن تركها في العين بامان .

● استعادة البصر ●

ان ازالة « الكتراكت » لا تعيد البصر من ذاتها لان العدسة كانت في أيام شباب المريض تؤدي عملها الرئيسي بانتظام ، ولاستعادة النظر بعد العملية لابد من استخدام جهاز بصري ..

وهناك ثلاثة انواع من هذه الاجهزة : نظارة « كتراكت » وعدسة لاصقة تركب في داخل العين (اي لادخال عدسات بلاستك في العين) . وضرر نظارة « الكتراكت » انها تكبر الاشياء بنسبة ٢٥٪ فقط وتحدد مجال النظر . وبالرغم من ان العدسات اللاصقة تعطي رؤية افضل الا ان استعمالها لاول مرة والمريض في سن الثمانين من الامور التي تثبط الهمة ، وحلا لهذه المشكلة كان لابد من ادخال عدسة في العين عند ازالة « الكتراكت » وبذلك تعطي المريض رؤية جيدة .

لقد صمم الكثير من عدسات العين الداخلية منذ العدسة الاولى التي استخدمها جراح العيون البريطاني « هارولد ريدلى » في لندن عام ١٩٤٩ وتطور التصميم حديثا الى صناعة هذه العدسات حتى اصبحت ذات درجة عالية من الكفاءة بحيث يستخدمها الجراحون اليوم بكل ثقة وجدارة .

وتحتوي جميع هذه العدسات على جهاز مركزي بصري عبارة عن عدسة محدبه بانواع متعددة تثبت على الجوانب وفي مكانها بداخل العين ، والعدسة مصنوعة من مادة تعرف باسم (ب مما) وبعض العدسات لها انشوطات للتثبيت مصنوعة من النايلون وقد حدث في احوال كثيرة ان كسرت هذه الانشوطات او انفسخت في داخل العين ومع ذلك لم يلاحظ حدوث مضاعفات خطيرة .

هناك ثلاثة انواع من العدسات تزرع الاول في الغرفة الامامية وتوضع امام قزحية العين وتثبت في مكان باسفل الزاوية بين القزحية والقرنية . والتصميم الشائع الاستعمال لهذا النوع هو الذي طوره الجراح الانجليزي بيترتشويس . ومن اهم مميزاته امكان وضعه بامان في داخل عين المريض الذي لا يستطيع استعمال نظارة او عدسة لاصقة .

والنوع الثاني عبارة عن عدسة تثبيت القزحية في مكان ما ـ بانشوطات توضع امام وخلف القزحية . وهذه العدسة ليست ثابتة مثل النوع الاول وقد تحتك الانشوطات بالقزحية وتسبب التهابا حادا في داخل العين. وتستخدم في حالة استخراج الغشاء الداخلي « للكتراكت » الذي يتضمن حالة عالية من مضاعفات الشبكية . فانسان العين لا يمكن توسيعه لان القزحية التي تحيط بانسان العين تثبت العدسة في مكانها ، فاذا فتحت

بدرجة كبيرة سقطت العدسة في الكتلة الزجاجية التي تملأ كـرة العين خلف العدسة ، وعلى ذلك فان فحص وعلاج هذه المضاعفات من الامور الصعبة ٠

يوضع النوع الثالث من العدسات في الغرفة الخلفية في الفراغ الصغير الموجود خلف القزحية أمام الكيس الزجاجي وتثبت في مكان عن طريق دعامة تمتد الى الحقيبة القشائية التي تترك بعد استخراج الغشاء الزائد ، وميزة هذا النوع من العدسات انه يعطى افضل نتائج الرؤية ويترك الغشاء الخلفي على حاله ، وتثبت العدسة في التليفات التي تحدث خلال شهرين وعلى ذلك وبعد هذا الوقتخربما يمكن توسيع انسان العين عند الضرورة ٠ وعدسة الغرفة الخلفية ربما تكـون افضل نوع في الوقت الحاضر ، ولكن استخدامها يتطلب الازالة التامة لمادة الكتراكت ٠

من الطبيعي ان وجود عدسة صناعية في داخل العين تشكل خطورة الاصابة بالتهاب او اى مضاعفات اخـرى ، بالرغم من ان هذا الاحتمـال ضئيل في حين ان استعمال نظارات « الكتراكت» لايتضمن هذه المشاكل ، ومقابل هذا الخطر الضئيل وطريقة التغلب عليه توجد حقيقة أن مريضـا متقدما في السن قد يجد صعوبة في استعمال نظارات « الكتراكت » . ومن المحتمل ان تصادفه متاعب في التوازن والحكم على المسافات وتقديرها التقدير الصحيح ، ومن المحتمل أيضا أن ينتهي به الامـر في أحـد المستشفيات لتجبير كسر في عظمة فخذه اذا سقط أو ارتطم بشيء حاد ٠

● التعامل مع المشاكل ●

تحدث مشكلة عدسات داخل العين عند وقت ادخالها حيث يكون هنـاك خطر اصابة القرنية الشـفافة بضرر بالغ ، وتعتمد شفافية القـرنية على تكامل طبقة مفردة من الخلايا الدقيقة على جانبها الدخلى ٠ ومن سوء الحظ فان عدسات « ب مم ا » تلتصـق بهذه الخلايا اذا لامستها ٠ فاذا حدث ذلك اثناء الجراحة تنزع في الحـال وتصبح القـرنية مظلمـة وتؤدى الى فقدان البصر ٠

ويتحاشى الجراح المشـكلة اولا باسـتخدام وسـيلة تخدير خاصـة ليقلل من قابلية الطبقة الزجاجيـة في دفعها للعدسـة الى الامام ٠٠ وثانيـا بادخال فقاعة هواء في الغرفة الامامية قبل تثبيت العدسة ٠ وتعمل فقـاعة الهواء كوسادة لتحمى القـرنية عنـد ادخال العدسة ٠ وتزال فقاعة الهـواء بعد ذلك ، ويعاد ملء الغـرفة الامامية بسـوائل الجسم ٠ والشيء المعـوق الناتج من استخدام فقاعة الهواء هـو انها تجعل من الصعب على الجـراح أن يرى ما بخلفها ، ولكن التنميـة الجديدة لمادة الشفافة غير السـامة « هيلون » قد جعلت مهمتـه سـهلة بدرجة عظيمة ٠

ان فوائد عدسـات العين الداخلية تفوق في اهميتها المشكلة الناشئة عن استخدامها ٠ وعلى ذلك يبقى العـلاج اختيارياللمتقدمين فيالسن ممن يعانون من مرض المياه البيضاء ٠٠ ويسـتمر جراحو العيون في استخدام الوسـائل المتقدمة التكنولوجية ليحسنوا من الحياة لاولئك الذين لازمهم سوء الحظ ويعانون من ضعف البصر ٠٠

في مفتــرق الطــرق

● عاطف فــرج ●

... كان عقله يهدر من كثرة تلاطم الافكار ، والهواجس . انه يكاد يجن .. كور قبضة يده في عصبية شديدة . دق بها فوق المنضـــدة . احدث شرخا في الزجاج . اصاب يده في الدقة الثانية . سالت منها الدماء . احالت اللون الابيض للمفرش الموضوع عليها الى احمر قان .

سمعت زوجته وقع الطرق فوق المنضدة دخلت عليه . فزعت لمرأى الدم يسيل من يده . لم تتكلم . ارتدت عائدة الى حجرة النوم المجاورة . سحبت من الصـيدلية رباطا أبيض ، ومطهـــرا . تعثرت في خطواتها وهي تهرول عائدة ، اصـطدمت بارجل المقاعد ، واحدة منها أدمت أصبع قدمها . لم تتوقف تركت جرحها ينزف. تقدمت من زوجها . سحبت يده المصابة . حاولت أن تطهرها وأن تلف حولهـــا الرباط . انتزع يده من بين يديها وهو في فزع مذعور ..

انحنت تجمع قطع الزجاج. تصور انها تصرخ في وجهه . قال وهو يلوح بقبضة يده في وجهها « هل تعودين الى الشجار ؟»

انتصبت قامتها . استجمعت قواها . استعادت رباطة جاشها قالت في ثقة .. « أنت الذي بدأت وعليك تحمل تبعـة افعالك .. »

صاح محتدا وقد غلا الدم في عروقه : ماذا تقصدين ؟! ردت عليه ببرود مصطنع « ما قلته لك قبلا .. »

صفقت الباب خلفها بشدة . أحـدث الصوت قشـعريرة في بدنه . انتفض . هم أن يلحق بها . لكنه تهالك فوق المقعد المجاور . عاد الى جلســته الاولى غطى الحزن كل جزء في كيانه . عادت الهواجس السوداء تهدر من جديد وتنقر في رأسـه « هذه المجنونة تقول لي سأفعل مثلما تفعل بالضبط . كما أن من حقك اختيار أفعالك من حقي أنا أيضا اختيار أفعالي ... »

قام من مكانه يهده الاعياء . شــابت وجهه صفرة الموت . ذرع الغرفة جيئة وذهابا . اقتـرب من نافذة مغلقة فيها . أسند رأسه عليها . استدار وظهره الى الحائط . وقف كالمصلوب . عينــاه الزائغتان تدوران في سـقف الحجرة . لم تستقر على شيء بذاته .

« هي فعـلت فعـلا ماهددتني به . ما تقوله الآن مجرد محاولة لانتزاع صك اعتراف مني .

تريد مني ان اوافق . ثم اســامح ، واغفر ، من ادراني ؟! كم عبثت لابد أنه كثير ؟!

« ــ مع من ؟ ! ربما أصدقائي .. زملائها في العمل . لم أراقبها . كنت زوجا أحمق تحـول غبـائي المطلق الى ثقة مطلقة بها .

وكيف كنت احاسبها ؟ ! أنا أعود عند منتصف الليل . لم أطلب منهـا ان تقص علي ما تفعله في يومها . لم تسـنح لي فرصـــة . كان يجب أن تسنح . كثيرا ما كنت اعـود وهي نائمة واتسلل الى فراشي . وفي الصـباح تتركني اغط في نوم عميق وتذهب الى عملها . يالي من غبي .!؟ آمن لامرأة. نسيت ان كيدهن عظيم . »

توقف عن الهذيان . اصابته حالة جفاف في الحلق اخرج علبة سجائره سحب واحدة منهــا . ظل يفرك السيجارة بعقبيه . نظــر الى يده فوجدها تنزف . حـركة عفـوية دفعته الى أن يمزق قطعة من القميص الابيض الذي يغطي جسده . حاول أن يجعل منها رباطا ليده . فشلت يده الاخرى

ان تحكم الرباط حول يده المصابة .
هم أن يستدعى زوجته كي تساعده.
كاد ينطق اسمها . توقف لسانه
عن الهتاف وتراجع . كور الرباط فوق
الجرح . توقف النزيف او قد بدا له
ذلك . بدأ الرباط يتشرب الدماء .
استجمع صور اصدقائه في ذهنه .

تداخلت الصور في مخيلته. لم يستقر
على واحدة منها . اراد ان يتذكر كل
همسة قيلت منهم لزوجته . من منهم
اطرى جمالها ؟! من الذي اعجب بذوقها
في الضيافة ؟! من الذي امتدح اناقتها
وحسن اختيار ملابسها ؟ ! فشلت كل
محاولاته .

حاجته الى برهان يدينها به ، ورغبته
الجارفة في الحصول على دليل يؤكد
زعمه . اراد ان يعقد لها محكمة ،
وينصب من نفسه قاضيا . ليصدر
حكما في مواجهتها . حتى تتساوى
الرءوس .. فليست هي افضل منه
.. استدرجته افكاره الى الغيرة ..
جعلت من نفسها سلطانا عليه . الهبته
بالسياط .. بدا يئن ويتوجع لا يعرف
كيف يهرب ولا في أي الطرق يسير
اصبح سجين تفكيره المضطرب ، واسير
عقله المشوش . عاد يبحث في اعماقه
عن برهان ، تجلت له سواقط فعله .
شعر بالندم يغمره ، والاسى يسيطر
عليه . فتح باب الحجرة . اطل برأسه
من نصف الفتحة التي احدثها . ظل
ممسكا بقوة على مقبض الباب . لم
يتقدم خطوة اكثر مما استقرت عليه
قدماه .
تذكر ما فعل ..
كان يفعل مايريد خارج المنزل . اما
داخل المنزل .. لقد كانت حماقة
يدفع ثمنها الآن . لم تكن زوجته
تسأله ، وحتى لو سألت فلن تصل
الى ما تريد . انه ممثل يقدر على
انتحال الاعذار . مهنته فرضت عليه
هذا ، وشهرته في التمثيل جمعت
حوله المعجبات . ومن السهل
عليه تقمص الشخصية التي يريدها في
الموقف الذي يعالجه وهي لن تفرق بين
التمثيل والصدق . وهو عندما اختار
زوجته من خارج الوسط الذي ينتمي
اليه . كان يعتقد انه اختيار في موضعه
.. وافق ان تستمر في عملها ، وقد
اصرت هي على عدم تركه . ولقد
ادركت هي طبيعة عمله . لم تشأ ان
تزعجه بأسئلة متكررة لحوح
فضلت ان يعلو اعتزازها بنفسها ،
وسموها بكرامتها . شهرته وتكالب
المعجبات عليه .

لكنه تجاوز كل ماهو مقدر . حطم
كل ما هو مقدس عندما اتى بواحدة
الى منزله .. ظن انه في مأمن فزوجته
لا تعود مبكرة الى البيت .. لكنها
عادت في هذا اليوم . وجدتها معه في
حجرة نومهما .. تفصد العرق من
جبينه . شعر بالخزي يجلله اراد ان
يحتمي فيمن تحتمي به . كلاهما اراد
ان يذوب ويبقى الاخر يواجه الحقيقة
جمعت الزوجة كل غضبها . صبته في
بئر عميقة داخل نفسها . طردت
الاخرى . كادت تحطم الباب
خلفها . عادت اليه . جلس في انتظار
الحاكمة . ماذا سيفعل ؟! ماذا
سيقول ؟! هل يقبل الارض تحت
قدميها . انه عاجز عن ان ينطق
ان يتحرك . ان يبدى الندم . ان
يبدى الاسف . توقع ان تطلب طلاقها.
كان على استعداد ان يمنحها حريتها.
ان يلبى لها كل ما تريد .

لكن المفاجأة ، اذهلته . قالت انها
ستنتقم منه . ستفعل مثلما فعل وهنا
في بيتها .

كاد يهوى على وجهها بكل قوته .
اراد ان يخرس لسانها . لكن شعورا
قويا بالعجز شل حركته . تهاوت يده
الى جانبه . شعر انها اقوى منه ...
خرج يجر اقدامه جرا . القى بنفسه
فوق اقرب مقعد . دفن راسه الملتهب
بين كفيه .. ليرى لحظة توقف فيها
الزمان عن الدوران . ●●

كلمات للجمال

● فتحية النميرى ●

يا زهرة بين الغصون تألقت
ويا شعاعا فى دجى أياميه !
صوفية فى سمتها وجلالها
كالنور فى قلبى وفى أعماقيه !
قيثارة تشدو أغاريد الهوى
فعشقتها عبر الليالى أغنيه ...
ووصالها طيف يطوف بمعبدى
حلم يؤجج ناره بفؤاديه
وحشية الاغراء فى لفتاتها
تختال فى خطواتها متهاديه
واخالها فى الروض تحت خميلة
بين الأزاهر نفرة مستلقيه
والشمس فى اشراقها وغروبها
والموجة العذراء تضحكها لاهيه !
ووشاحها الذهبى يعبث ثائرا
ومسافرا عبر البلاد النائيه !
يا كوكبا طاف الوجود مفجرا
عطر الصباح على الغصون الحانيه!
فحبا ضياؤك فى الوهاد وفى الربا
واضاء نورك مشرقا فى ذاتيه !

المنتظار

محمد برهام

مالى برمت من الدنيـــا فلا اثق
وما ســوى الغيم يرمينى به الافق
ما شع من حجر المنتظار حرضنى
فرحت اجرى الى سيفى وامتشــق
به فتلت اويقــات السرور ، ولم
يعد بصــدرى الا الغيظ والحنق
اشيح عن كل اسباب الجمال بها
وانها للجمـال الحـر منطلـق
حتى الربيــع باثواب معطـرة
لم يغرنى ثوبه او عطـره العبق
ارجو النسيم ولم تغلق نوافذه
اقول لا تحبســوه كدت اختنق
الماء ما ضن يوما ما بنجـدته ،
لولا مـروءته الظمـآن يحترق
لم يزج شــكرا له خلق يلذ به
وراح يجحــده خلق بـه شرق
واللوح فى مهرجان من صـوادحه
ونحن للفن والايقاع نســـتبق
وان سمعنا نعيبـــا مرة جفلت
آذاننا ، واحتوانا الفال والفـــرق
دنيا صبيحتها شمس ، ومغربها ،
بدر ، فغيم اللجـاج المر والارق
تعطى وتاخذ محســـوبا توازنها
فكان هذا النظام البكر والنسق
لا تظلم العين ان العين اذ نظـرت
لم تخطىء الفهم اوضلت بها الطرق
الكون ان يفســد المنظار رؤيته
منظارك الاسود المسئول لا الحدق

بقعة في وجه الصباح

محمد كمال محمد

كنت اركض خلف الاوتوبيس لالحق به ، عندما ومضت ملامحه بجانب عيني ... لويت عنقي صوب مكتب التليفون وتوقفت.

بلهفة الوجه الشاحب نهض من على الدكة المستطيلة الداكنة ، عانقني ... قبل وجنتي مرات ، وابتسامة واهنة تزحف على زاوية فمه ...

ـ منذ متى ؟

ـ اليوم !

ذكرت خبر الامس بالجريدة ...

ـ قضيت الآن نصف المدة ؟

ـ تجاوزتها بشهرين ...

ابتسمت معزيا ـ باركت له :

ـ ليت عيد الثورة جاء قبل الشهرين !

استطالت ابتسامته ... أفسح مكانا لاقعد في جواره ، بينما أطلت في عينيه نظرة وحيدة ، وبعيدة ...

ـ ستسافر بالطبع ؟

انهمرت الاشياء في داخله ... عبثت أصابعه بالورقة المربعة في يده. تحولت عيناه بنظرة تلقائية الى الكابينة الخشبية .

ـ اريد أن أعرف مكانهم هناك ، قبل ان اسافر ...

كان يغالب حنين الكلمات ، محدقا في الارض التي تتناثر عليها عيدان الثقاب المحترقة ، والوريقات الممزقة ..

ـ البيت كان آيلا للسقوط قبل ان ادخل السجن ... ولا أحب ان ادور في المدينة الصغيرة باحثا عنهم ، ليتفرج على الناس ...

اطرقت : ربما كان يمكن ان يبقى البيت لفترة اطول ، لولا الحريق !

حول عينيه بنظرة منطفئة ... استدركت :

ـ آسف .. لم أقصد ! ..

قال بمرارة :

ـ ولماذا الأسف ، اتظنني نسيت جريمتي ... انا لا اقدر على تصور تلك اللحظة المجنونة ، طفل يموت حرقا ، و ..

ابتلع الكلمات وسكت .. كان المكان يموج بخليط متنافر من الناس وثمة آلة لاستقبال البرقيات ، مزعجة بتشيشها ودقاتها الجوفاء .. وكانت الكبائن تنفتح ابوابها المفصلية. فتصطك مقابضها السائبة ، لتلفظ احدهم ، وتنغلق على اخر .. وكان بعضها مكسور الزجاج يتطاير منه الصياح والصراخ ليسمع من هناك ..

كان يرمقهم بنظرة مشغوفة ، ثم يتجه بذات النظرة نحو الموظف المشغول بعيدا :

ـ يقول ان هناك تاخيرا بالخط .. اشترط ليطلب المكالمة الا انعجله !

بدا كما لو كان يمضغ شيئا :

ـ استصغرتني يومها ، أعرف...

بين فردتيه المتعاكستين كطرفى مقص ... واخرى افترشت زاوية عتبة المكان ، وطفلها يحبو حولها ملتقطا أعقاب السجائر الغائصة فى مجرى الباب الحديدى ...

انقذف من جانبى بخطوات واسعة متوترة :

ــ سالغى الكاملة ...

***

كانت الشمس بقيظها جاثمة فى الشارع العريض ، والارض الاسفلتية تتنفس اللهب ... وثمة عربة يد محملة بالتين الشوكى تقف فى رقعة الظل الضيقة ...

ــ لم اذق طعاما منذ سمعت خبر الافراج ! ..

تطلع نحو عربة التين وأسرع اليها قبلى .. مضى يلتهم معى الثمار من يد الصبى الذى كان نائما بجوار عربته ... وكان يحثه كلما فرغ من واحدة ، لانتقاء واحدة أكبر ...

خلفنا كانت المرأتان تعاودان الشجار ، بينما خرجنا الى الطريق ...

علت صيحته للصبى ناهرا :

ــ صغيرة ايضا ؟ لا تعطينى غير الصغير !

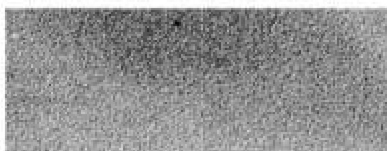
ابتسمت عينا الصبى العسليتين بلون التينة التى يشق قشرتها الشوكية :

ــ هذه واحدة لك بغير فلوس ، ولصاحبك واحدة !..

تجهمت الدهشة فى وجهه ، قلب عينيه فى عينى الصبى المتألقتين .. ترك يد الصبى ممدودة بالتينة ، ادار ظهره مبتعدا ..

كان وجهه بعيدا عنى بنظرة بعدت لعينى كتلة دخان خانق يتصاعد من واجهة بيت قديم .. كان يبحث عن شىء يركبه ليذهب ، وكانت عيناه المحمرتين تتسلقان الطريق الممتد ــ والعربات المارقة من حولنا متدفقة من الميدان القريب بغير توقف وكان ثمة احساس يخامرنى انه لن يصافحنى وهو يغادر ...

انقبضت كفى ، نخزتنى الشوكة المتخلفة فى باطن اصبعى ! ..





ومع ذلك اخفيت نفسك لكى لا تدلى بشهادتك ! ..

عادت يده تعبث بالوريقة وعيناه تحملقان ... تهشمت الحروف فى فمه :

ــ لم اكن ساخسر كثيرا ، لو انى تساهلت مع اخى ...

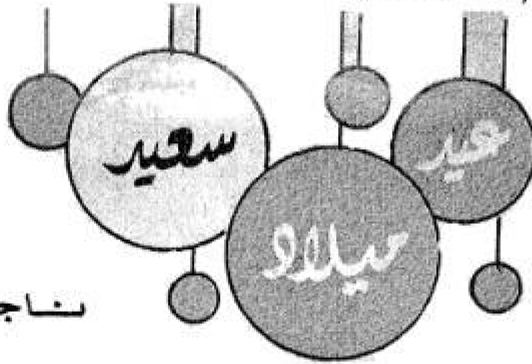
اخفضت وجهى ، وراحت قدمى تعبث بساق نباتية ذابلة .. وكان ثمة امرأتين تتراشقان بالشتائم ... ظل ينظر نحوهما فى شرود ... نهض فجاة واقفا :

ــ لم اعد اطيق الانتظار !

موجت طفلة نمها وجرت تكشط الارض بحذائها مطاردة رفيقتها ...

وعلى الدكة المقابلة كانت امرأة ملتفة بملاءتها فى هيئة انتظار طال ، متربعة بقدمين عاريتين ، تاركة شبشبها المتسخ على الارض ، تتباعد المسافة

قصـــــة



ناجيه جبر

● استلقيت وحدي في حجــرة الاستقبال ولست ادري لماذا حجرة الاستقبال بالـذات ، ولكنـــه شـعور غـريب دفعني للذهاب اليها والمكوث بها فتـــرة من الوقت ! ...

وقمت اقـــذف جوربي وحقيبتي وحذائي كلا في اتجاه باهمال عجيب ، كنت قد تعودت عليه منذ زمن بعيد! ..

لم اكن افكر بأن ذلك شيء محـرج بالنسبة لي ، فقد كنت اجد من يـلم اشيائي ويضع كل شيء في مكانـه المعهود ... كان زوجي يقوم بعمل ذلك دون حاجة لتذكيره بـذلك ... فقد كان يعتقد انه مكلف برعايتي ، لفارق السن بيننا ، بينما انا لم اكن اهتم في قـليل او كثير بهذه الرعـاية المفروضة ، بل كنت اشعر بها عبئـا كبيرا يجثم على انفاسي فيكاد يزهـق روحي !

بقيت على اريكة حجرة الصالون ، نواجهت غرفتي الاسـتقبال الاخريين وحجرة المائدة وقد اتسعت عدة مرات اكثر من حقيقتها بفعل استغراقها في ظلام الليل ... ولكنني لم ار ظـلاما بل شاهدت ضوءا الوانه مختلفـــة « وبالونات » وورقا مما يوضــع في مناسبات اعياد الميلاد ... ، والمدعوون يملأون المكان صخبا وضجيجا هــم واطفالهم ، وانا اتحــرك سريعا بين المدعوين البى الطلبات واحتفى بـكل قادم جديد ، ونظراتي لا تبتعـد عن فلذة كبدي ، هذا من ذبت فيه حبا وروجدا ، وعوضني عن زواجي بهـذا الشيخ الذي فرض علي وصايتـــه واعتبرني طفلة تحت رعايته وليست امرأة في حاجة الى رفقته وحبـــه وحنانه وفهمه ، فاكتفى بما أسـماه حبا وترك ما عداه ، فسـور حولي سورا منيعا من الغيرة . لا أسـتطيع ان اتعداه ... ولم أجد داخل السور سوى هذا الطفل الجميل ، الــذي عوضني عن كل ما حرمت منه، فوهبت له نفسي ، ولم اوان عن التفـاني في خدمته وحده ، وهكذا صار الحـال بين ثلاثتنا ... : هو يتفـــاني في تكبيلي بالممنوعات ، وانا اتفـاني في خدمة صغيري ناسية او متناســية وجود ابيه ! ..

وتمضي الايام واعياد الميلاد بما فيها من بهجة وسرور وحبور ، والوليـــد ينمو وياخذ شكلا جميلا ، واقـوم انا في كل اعياد الميلاد بعمل مسابقـــات لمداعبة الصغار والكبار واضفاء جـــو جميل على الحفل ، فاكتب كلمات في وريقات صغيرة واغلقها غلقا محكمـــا على حده، من هذه الكلمات ماهو على سبيل الفكاهة ومنها ما يشـير الى ان صاحبها قد كسب هدية جميلة . فكان ابني دائما وابدا ياخذ كلمة انت حمار كبير ... وكان ذلك مثـــار دعابتهم لي فكنت اجاريهم ولكنني كنت في داخلي احزن ... انني رغـم ما فعلته لاسعده لم استطع ان أمنــع حظه من ان يكون حمارا كبيرا !



ومرت الايام وكبر فلذة كبدى واصبحت اعياد الميلاد تقتصر على شىء شبه رسمى فقد أصبح يرفض هذه الهالة التى أضعها من حوله ويرفض تركيز الاهتمام على شخصه ولو مدة الحفل فهو شخص عادى لا يستحق كل هذه الجلبة ...

كنت أحزن لهذه التصرفات ، ولكننى أبدا لم أظهر له حزنى .

مرت الايام ..

وبعد مضى عدة أشهر من آخر عيد ميلاد، وجدته قد جاءنى يستشيرنى فى أمر زواجه . فوجئت ... فما كنت أتصور أننى سأفقده فى يوم ما، وزادت دهشتى حين أخبرنى أنه سيأخذ عروسه ويسافر الى الخارج لتعاونه فى تحضير رسالة الدكتوراه.

هزنى هذا الخبر فلم أكن أتصور ان هناك من سيحصد زرعى . ولكن ها هو ذا اليوم الذى أتت فيه أخرى لتحصد ما قمت بزرعه ، وتحملت وعانيت الى أن نضج .

أهذا هو السر الذى كان يجمع بين الوالد وولده وكانا يصمتان حين يريانى قادمة ؟!

قلت له : «مبروك» من وراء قلبى فلقد شعرت أننى سلبت أغلى شىء امتلكه على مر الايام ...

وجاءت العروس كانت جميلة بحق وكذلك رقيقة ولكن لا جمالها ولا رقتها أثرتا فى فلقد كنت قد آليت على نفسى الا الين امام هذه الانثى فطارق ابنى لى وحدى ولا شريك لى فيه ولن أقبل فيه بمنازع .

ومع ذلك فقد ضعفت مقاومتى وذاب الجليد بيننا ، لانها استطاعت ان تثبت لى أننى قد حصلت على ابنة واننى لم أفقد ابنى ... أردت ان أقوم بالتجهيز للفرح ولكنه أبى . وقال انه سيقيمه فى فندق كبير، فلما رأت ترقرق الدمع فى عينى فى صمت أخذته الى الشرفة ووجدتهما عائدين وهو يقول لى انهم سيقيمون فرحا صغيرا هنا خاصا لنا نحن الاربعة والفرح الكبير بالخارج لكيلا يرهقونى فى ازالة آثار المدعوين ... فوافقت على مضض لأننى أعلم مدى تشبثه برأيه . وهكذا تم له ما أراد ...

وسافر الى الخارج هو وعروسه ، وهذه هى سنة الحياة يوم لك ويوم للآخرين ...

الآخرون ، تذكرت فى هذه اللحظة زوجى ، ولا أدرى لماذا ! أنه الآن يقوم بوضع العربة فى «الجراج» ، والتأكد أن جميع أبواب المنزل مغلقة ... تذكرته لأن جميع أيامه كانت للآخرين لم يكن هناك يوم له أبدا ، ومع ذلك لم يعترض ولم يظهر ألمه قط... لقد كنت أعتقد بأنانيتى أن من واجبه أن يعطى ، وأنه ليس من حقه أن يأخذ أبدا ... لقد جاء اليوم الذى يفرض على أن أعطيه ما حرمته من حقوق أولها حقه فى الحياة فى أسرة، وليس أبا بصفة مستمرة ...

سمعت الباب يفتح فعدوت أستقبل زوجى حبيبى ...

فوجىء زوجى بما فعلت .. فلم يسعه الا أن يحتوينى ويقبلنى فى جبينى .

إليك أعود

فوزي فؤاد صالح

خبرت الوجد ألوانا
وهمت ..
في بلاد الثلج والتغريب ظمآنا
أغازل صورة مثل لعشق في مخيلتي
يهدهد شوقي المكبوت بين كواسر الرغبه
وكنت أعود من نزحي
كسيف القلب مكدودا
تجرجرني عذاباتي
وشعري ، لم يعد شعري يحركني
خيالات المنى البيضاء ضاعت ،
في شتاء النحر ! ..
حطاما حانقا عدت
نوارس بهجتي غيبت
وكل موانيء الاشراق في عيني قد غامت
وراح البشر بين دوائر التقطيب والغربة
وفي دوراني المحموم أبصرت الرؤى تنساب في قلبي
نصوىء فكرى المنهوك ، تسكرني
تهلل بين شرياني ، واوردتي :
« رواء العشق قد عاد ! »
اليك أعود يا أملا ، تورد رغم اجدابي
فهل تروين ظمآنا ؟!



الهلال في منذ خمسين عاما

ازهار وأخبار

* عرف أناتول فرانس البلاغة بقوله « يصير الانسان كاتبا بارعا كما يصير نجارا حاذقا وذلك بالصقل ، هذا يصقل العبارة وذاك يصقل الخشب » .

* يعد المرحوم الاستاذ أحمد فارس الشدياق أول من عني من الرحالة العرب المحدثين بتدوين وصف مشاهداته في أوروبا ، ففي مؤلف له اسمه « كشف المخبا عن فنون أوروبا » المطبوع في تونس سنة ١٢٨٢ هـ ، تحدث عن أوروبا وتاريخها وفنونها وآدابها ومتاحفها ودساتيرها ونظم الحكم فيها ووصف عواصمها .

* لم تستعمل كلمة شارع في مصر الا في العصر الحديث ، وكان اهل القاهرة قبل ذلك يستعملون في موضعها كلمة (درب) ، وكان لكل درب بابان في طرفيه يغلقان بالليل على العمارات الكبيرة التي تتألف من طابقين اولهما مخازن وحوانيت للتجارة والثاني للمساكن ومن ذلك خان الخليلي نسبة الى الخليل أحد المشرفين على جياد السلطان برقوق .

* عرفت أوروبا رباعيات عمر الخيام عن طريق الترجمة التي قام بها الشاعر فيتز جيرالد ومن الغريب ان هذا المترجم لم يكن يحذق اللغة الفارسية ، ولم يزر بلاد الشرق مطلقا ، وانما عرف الخيام ولغته عن طريق صداقته لاحد المستشرقين بجامعة اكسفورد وقد طبعت هذه الترجمة الى اليوم اكثر من مائة مرة في احجام وألوان مختلفة .

* تعد جريدة (التيمس) أقدم صحف انجلترا وقد أسسها جون وولتز في سنة ١٧٨٨ ، وكانت الانباء الداخلية ترد اليها على متون السفن والخيل والجمال ومع ذلك سبقت الصحف ووكالات الانباء بنشر الانباء الأخيرة عن معركة (واترلو) بل انها نشرت ذلك قبل أن تعلم به دوائر الحكومة البريطانية

* كان القرآن الكريم أول كتاب طبع بالحروف العربية ، وقد ظهرت الطبعة الاولى منه في مدينة البندقية في نهاية القرن الهجرى التاسع ، ولا يوجد من نسخها شيء الآن ، واقدم نسخة موجودة من الكتب العربية المطبوعة نسخة من كتاب « صلاة السواعي » وهو يشتمل على أدعية لليعقوبيين المسيحيين ، وقد طبع في فانو بايطاليا الشمالية سنة ١٥١٤ .

* احتفلت لبنان بذكرى مرور مائتي عام على وفاة العلامة عبد الله الزاخر الذي يرجع اليه الفضل في ادخال فن الطباعة العربية الى الشرق وكانت مطبعته في احد الاديرة بحلب ولم تكن تطبع سوى الكتب الدينية ، وما زالت مخلفات هذه المطبعة باقية الى اليوم في « دير الصائغ » يشاهدها الزوار والسياح .

الهلال

فبراير
عام ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشا



قصة مارستان السلطان قلاوون

قدماء المصريين وبناء الكعبة

الطاعة والمعارضة فى السياسة وغيرها

يحيى حقى .. ينتقد انتاجه الأول

المخدرات فى رسالة جامعية

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال . أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ — السنة التسعون — أول فبراير سنة ١٩٨٢ — السابع من ربيع الثاني سنة ١٤٠٢

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
كمال النجمي

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير
موسى عبد

ثمن النسخة

سوريا	٢٥٠	ق . س
لبنان	٢٠٠	ق . ل
الأردن	٣٠٠	فلس
الكويت	١٥٠	فلسا
العراق	٢٥٠	فلسا
السعودية	٥ر٥	ريال
السودان	٣٥٠	مليما
تونس	٥٥٠	مليما
المغرب	٥٥٠	فرنكا
الجزائر	٥٥٠	سنتيما
الخليج	٥٠٠	فلس
غزة	٦٠	لبيرة
الصومال	٥٥	بنى
داكار	١٠٠	فرنك
لاجوس	٧٠	بنى
أسمرة	١٥٠	سنتا
اديس ابابا	١٥٠	سنتا
باريس	٨	فرنكات
لندن	٨٠	بنى
ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
أثينا	٥٠	دراخمة
[illegible]	٢٥	شلنا
[illegible]	٤	مارك
[illegible]	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونه
[illegible]	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٢٤٠	كروزيرو
نيويورك	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
أستراليا	٢٥٠	سنتا



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى — ١٢ عددا — فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان اربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى او عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة — تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هذا العدد

اشترك في رسوم العدد:
محمد حماد
تماضر تركى
رضا عبد السلام
خطوط ،
محمد العيسوى
تنفيذ :
درية عبد الله

عزيزي القارئ

الهلال يلتقى بك منذ اليوم ، متطلعا الى ان يعود من جديد مجلة الفكر والثقافة والادب الاولى فى مصر والعالم العربى ، بعد أن خاطب العقل العربى والوجدان العربى تسعين عاما متواصلة منذ انشائه سنة ١٨٩٢ حتى اليوم ، وهى حقبة مديدة لبث الهلال خلالها فى حوار لا ينقطع مع عقل الشعوب العربية ووجدانها ، وعاصر كبريات الحوادث التاريخية والتحولات الفكرية فى حياة مصر والأمة العربية ، فكان لسانا من ابلغ الألسنة الصحفية الرصينة الأمينة تعبيرا عن كل هذه التطورات العاصفة فى حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية •

والهلال فى عدده هذا الذى بين يديك ، يبدأ مرحلة جديدة فى التطور شكلا وموضوعا ، ماضيا على نهجه العريق بروح فتية ، يربط حاضرنا ومستقبلنا بماضينا ، ويصل الشرق العربى بالاتجاهات المتنوعة فى عالمنا المعاصر ، ويأخذ بكل جديد مفيد فى عالم يتغير ويتطور بلا انقطاع ••

ان الهلال يرتبط بتراثنا ارتباطا خاصا يجمع بين العاطفة العميقة والوعى الوثيق ، وهو يحنى راسه للاسلاف الكرام ، لكنه ينظر الى تراثهم نظر الناقد المتقدم الى الامام ، لا نظر العائد الناكص على عقبيه ! •• واساس نظرته اليهم دائما ، حب الأبناء للآباء ، والولاء للأرض العظيمة الخالدة التى انجبت هؤلاء وهؤلاء ! ••



والهلال هو المجلة الفكرية الوحيدة في مصر والوطن العربي التي صمدت قرنا من الزمان ـ تقريبا ـ لم تنقطع عن قارئها قط ، على ما صادفها من جزر ومد في مراحل حياتها المتصلة الحافلة ، منذ اسسها الاديب العالم الصحفي النابغة المرحوم جرجي زيدان ..

وفي تطوره الجديد ، يعتزم الهلال أن يمد مده الكبير ـ ان شاء الله ـ ليبقى جديرا بدوره الثابت النابض بالحيوية في الفكر العربي الذى تحاصره الآن تحديات عصرنا من كل جانب ..

عزيزى القارىء

ان الجزر والمد في الصحيفة ، يشبه الجزر والمد في البحر ، لابد منهما ، يتواليان ، لكن المهم ان يكون جوهر الرسالة التى تؤديها الصحيفة قادرا في الوقت المناسب ، وتحت الظروف الضاغطة المتغيرة على ان يجلو نفسه للقارىء في تألق يتجدد منطلقا الى هدفه الذى كلما بلغه وجد نفسه منطلقا من جديد ، لان الحياة لاتنتهي ، والناس احياء لانهم يقرءون ويفكرون ، ويحررون انفسهم بالقراءة والتفكير .. ويتحركون .. !

كمال النجمي

ماذا يعني الاستقلال

د. محمد عمارة

منذ بدء الهجمة الاستعمارية الحديثة على ديار العروبة وعالم الاسلام وضحت نوايا واهداف هذه الموجة من موجات التحدي، وتميزت عن غيرها من الموجات التي ابتليت بها امتنا عبر تاريخها الطويل ..

فهي لاتبغي، فقط، السيطرة على طرق التجارة الدولية ... ولاتقنع بالنهب الاستعماري الاقتصادي ... ولا تكتفي بتفتيت وحدة امتنا لتحول دون وحدتها فقوتها فنهوضها ... ولا تقف اطماعها عند تحويل شرقنا الى « هامش امن » للغرب الاوربي ...

لاتكتفي هذه الهجمة الاستعمارية بكل ذلك .. بل انها، في سبيل تأبيد ذلك وتكريسه، سعت الى سحق شخصيتنا القومية، ومسخ هويتنا الحضارية المتميزة، والحيلولة بين امتنا وبين استعادة قسمات استقلالها الحضاري المفقود ... ورات في تحويلنا الى « هامش حضاري » للغرب، الضمان لبقائنا « هامشا » له في الامن والاقتصاد! ...

ومن هنا، وبسبب هذه الاهداف الاستعمارية تنوعت أسلحة الصراع، وتعددت ميادينه، لتشمل ساحات « الفكر » و « المادة » .. وخاصة « المفكرون » و « العامة » .. واستنفر « العلماء » و « الجند » .. واحتاج الى « القلم » و « السيف » عبر تاريخه الطويل! ..

ولقد استعان الاستعمار، في صراعه مع امتنا، على الجبهة الحضارية، بعوامل كثيرة تدخل في عداد « حيل الخداع والتمويه » النابعة من « غرور المنتصرين واستعلائهم على المهزومين »! .. فهو قد جاء الى بلادنا فعاجل الصحوة التي حاولنا بها الافلات من ظلام العصر « المملوكي ـ العثماني » واليقظة من سباته .. وكانت حركة الاستشراق في مجملها واغلبيتها، طليعة زحفه هذا .. وكانت هذه الحركة أعلم منا، يومئذ، بتراثنا الحضاري، فالحت على عقل امتنا بالمقولة التي تزعم أننا أمة غير متميزة حضاريا، فتراثنا العربي الاسلامي فقير في الخلق والاضافة والابداع، وعقلنا العربي عاجز عن التفلسف والفكر المركب، وليس لاسلافنا الا فضل النقل والحفظ لتراث اليونان! ..

ولم يكن هدف هذه المقولة هو، فقط، تثبيط الهمة، وخفض الهامة، وكسر العود، واذلال النفس العربية الاسلامية .. وانما كان الهدف أبعد من ذلك واكثر ... كان الهدف استخدام كل ذلك للوصول

الحضارى لأمتنا العربية ؟

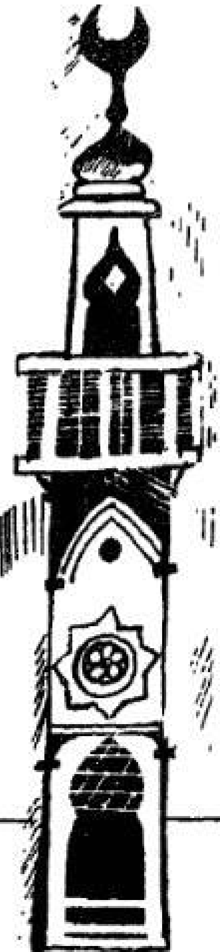
مقولة ثالية تزعم ان التمايز الحضارى ، ومن ثم الاستقلال الحضارى ، مجرد اكذوبة ، لم يعرفها التراث ولا التاريخ ، ومن ثم الاستقلال الحضارى ، مجرد أكذوبة ، لم يعرفها التراث ولا التاريخ ، ومن ثم فلا جدوى من جعلها هدفا لنضالات الحاضر والمستقبل .. فالحضارة واحدة .. وهذه الحضارة الواحدة هى الحضارة « الانسانية » .. كانت قديما يونانية .. ثم « نقلها » العرب والمسلمون الى الأوربيين الذين اسسوا عليها حضارتهم الحديثة ، التى هى حضارة العصر « الانسانية » ! ..

وما على الذين يريدون أن « يتحضروا » الا السعى الى اللحاق بهذه الحضـــارة الاوربية الغربية ، بجعل « عقلهم » و « واقعهم » امتدادا « لعقل » اوربا « وواقعها » .. وباختصار : جعل بلادهم قطعة من اوربا — كما قال الخديو اسماعيل !؟ ..

فالقضية فى نظر اصحاب هذه المقولة هى : « التخلف » فى جانبنا .. يقابله « التقدم » فى جانبهم ... وليست « التبعية » التى تفرضـــها علينا « سيطرتهم » الاستعمارية ! ..

ولما كانت حضارة هؤلاء الغزاة هى حضارة الغازى المنتصر ، فلقد وجدت مقولاتهم هذه فى صفوفنا من يزين صـــورتها ويبيض وجهها ويفتح لها فى عقل الامة النوافذ والابواب والثغرات ! .. فكان أن تبلور فى حركتنا الفكرية تيار « التغـــريب » ، الذى تقدم اعلامه الى الامة بوصفهم فرسان الانقاذ والتحرر من اصفاد عصر المماليك والعثمانيين ... وخيل للناس ، حينا من الدهر ، أنه لا بديل عن جمود العصور المظلمة الا الانخراط فى موكب الساعين الى أن نكون « غربا » فى الحضارة .. وأن التجديد واليقظة والاحياء ، عن غير هذا الطريق ، مستحيل ! ..

ولقد ساعد على ازدهار هذا التصور والتصوير ماكانت عليه المؤسسات والتيارات التى احتكرت لنفسها حق الحديث عن التراث وباسم السلف الصالح ! .. فلقد كان تراث هذه المؤسسات مثقلا بالخرافة والشعوذة ، قد تجمد فتحلل ، وتجاوزته الظروف وتخطته الملابسات ، وأضحى باليا كأنه أكفان موتى .. لانه لم يكن ابداع الامة ولا عبقرية الاسلاف ، وانما كان « حكاكات » عصر الانحطاط ، وتطبيقات السلف غير الصالح !؟



ماذا يعنى الاستقلال الحضارى لأمتنا العربية ؟

فكان جمود هذه المؤسسات ، ونوعية « تراثها » مما يغرى بسلوك طريق « التغريب » ! ..

لكن اصالة هذه الامة الحضارية ، وعوامل « الصحة » فى كيانها الحضارى قد استفزها هذا المأزق الذى وضعت فيه شعوبها عندما هجم عليها الاستعمار ، فكان ان برز الموقف الثالث . والتيار الثالث .. تيار « التجدد الذاتى » ، الذى يمد جسور التواصل الحضارى مع كل حضارات الامم الاخرى ، ليؤثر ويتأثر ، وليتفاعل ، وليأخذ ويعطى ، من موقع الراشد المتميز ، الذى لايفقده التواصل الحضارى ما له من تميز واستقلال .. كما لايدخله هذا « التميز والاستقلال » فى « عالم الجمود » و « مقبرة المتجمدين » ! ..

ومنذ نشأة تيار « التجدد والتجديد » هذا ، تصارعت على الساحة الفكرية لامتنا هذه التيارات الثلاثة :

١ ـ تيار « التغريب » .. المدعوم من الاستعمار واجهزته الفكرية والسياسية .. والذى استطاع ان يفرض سلطانه على مؤسسات الدولة وأجهزتها الفكرية والتعليمية والسياسية فى طول عالمنا العربى والاسلامى وعرضه ..

٢ ـ وتيار « الجمود » .. الذى مثل التواصل والاستمرارية لفكر العصر « المملوكى ـ العثمانى » وقيمه .. والذى احكم قبضته على عقل العامة ووجدان الجماهير ..

٣ ـ وتيار « التجديد والتجدد الذاتى » .. الذى رام جعل الحاضر والمستقبل الامتداد المتطور لعصر حضارتنا الذهبى ، والصفحات المشرقة والعقلانية والمتقدمة فى تراثنا الفكرى والحضارى ... ولقد ظل هذا التيار حبيس « الصفوة » ، التى امتلكت زمام « الاصالة » و « المعاصرة » معا ، ووازنت بينهما توازنا عادلا وخلاقا .. وساعد على حبسه فى هذا الاطار أنه قد حوصر وتلقى الطعن من تيارى « التغريب » و « الجمود » كليهما ، لما مثله من خطر حقيقى على غاياتهما ووسائلهما جميعا ! ..

لكن تيار « التجديد والتجدد الذاتى » هذا لم يكن « فصيلة » واحدة متحدة فى طول بلادنا العربية وعالمنا الاسلامى ، بل لقد تميزت فيه « الفصائل » ، وتعددت « الحركات » وتنوعت « النبرات » ، بسبب مابين اقاليم عالمنا العربى وأمتنا الاسلامية من تفاوت فى مراتب التحضر ، وتنوع فى مستوى التحديات التى تواجه هذه الاقاليم ..

لكن الحديث عن « فصائل » هذا التيار يستدعى أن نقدم بين يديه « مقدمات تمهيدية » لا غنى عنها لوعى كنه هذا التيار ، وما يمثله لامتنا من طوق نجاة مما يواجهها من تحديات ! ..

● وأول هذه المقدمات يتطلبها العنوان !! ذلك اننا ممن يؤمنون أن حضارتنا هى « عربية ـ اسلامية » .. فهى حضارة أمتنا ، التى هى عربية قوميا .. وهى اسلامية ، لان « الاسلام الحضارى » يمثل « أيديولوجيتها » المتميزة .. فالاسلام الحضارى هو الرسالة الخالدة لامتنا العربية الواحدة ، يستوى فى ذلك ابناؤها الذين يتدينون « بالاسلام الدين » ، واولئك الذين يتدينون « بدين التوحيد » ،

سالكين الى هذا التدين شرائع اخرى لرسل آخرين سبقوا محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، على درب علاقة السماء بالانسان ! ..

ثم .. انها « عربية ـ اسلامية » ، لما لامتنا العربية من دور قائد فى نشر « الاسلام الدين » ، والقيام على تجديده ، وفى قيادة الامم الاسلامية لمواجهة مايفرضـــه عليها الاعداء من تحـديات .. تلك كانت مهمتها تاريخيا ، ولاتزال قائمة ، بل وقدرا من اقدارها ، فى عصرنا الحديث !

● وثانى هذه المقدمات ، يتطلبها العنوان ، أيضا ! .. فهو يعنى أنه قد كانت لامتنا حضارة متميزة ومستقلة عن حضارات متميزة لأمم أخرى ، ثم فقدت أمتنا هذا الاستقلال الحضارى ، وغابت عن ساحتها ، وغامت فى أعين فريق من أبنائها تلك القسمات الحضارية الخاصة التى اكسبت حضارتها ذلك التميز وهذا الاستقلال ... ثم جاءت هـــذه الحركات الاصلاحية والتيارات التجديدية ـ التى نتحدث عنها ـ فى العصر الحديث لتحاول استعادة هذا الاستقلال الحضـــارى لأمتنا ، بالكشف عن قسمات تمايزها الحضارى ، وبلورة هذه القســمات أو تطويرها ..

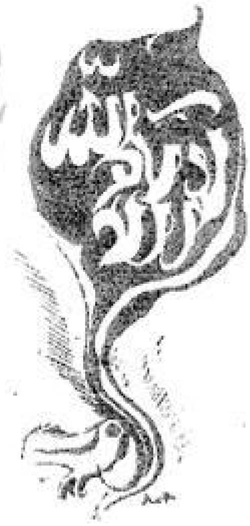
● أما المقدمة الثالثة فانها تجيب عن سؤال تطرحه ليقول : هذه الحضارة المتميزة ، ماهى قسماتها الرئيسية ، التى تميزها ، فتجعلها مستقلة ، أو متميزة ، عن غيرها من الحضارات ؟ ... والتى كانت عين هذه الحركات التجديدية عليها وهى تسعى نحو هذا الاستقلال الحضارى فى عصرنا الحديث ؟؟ ..

ونحن اذا شئنا « تكثيف » الاجابة عن هذا السؤال ، أمكن لنا ذلك اذا نحن قلنا : ان حضارتنا هى حضارة « التوحيد » ! ...

فلو تخيل المرء أن كل أمة من الامم العريقة ، ذات الحضـــارات المتميزة ، قد « سكت » لحضارتها « عملة » تميزها .. وصنعت ذلك أمتنا ، لكانت عملتها التى تميز حضارتها مزدانة برمز « التوحيد » على وجهيها ! .. « التوحيد الدينى » على احـــد وجهى « العملة » .. و « التوحيد القومى » على وجهها الآخر ... والصلات بينهما ، والتفاعل جاعلاهما وجهين لعملة واحدة ترمز لحضارتنا العربية الاســلامية .. حضارة التوحيد ! ..

ففى « التوحيد الدينى » : فلسفة هذه الامة ، بمعنى « تصـــورها للكون » .. وهى بهذا التصور التوحيدى للكون قد افصحت عن أهم ما يميز حضارتها من قسمات ، الا وهى « قسمة التوازن والموازنة » بين المتقابلات والمتناقضات ، واتخاذ الموقف الوسطى ، العادل ، الذى يؤلف بين مايحسبه آخرون ، فى حضارات اخرى ، غير قابل للتاليف ، بل والمؤاخاة بين هذه المتقابلات ، بنظرة شمولية تثمر « الموقف الثالث » ، « الوسطى » ـ بمعنى العادل ـ والرافض لكلا الموقفين المتطرفين الباطلين لأن كلا منهما قد جاء ثمرة للنظرة الوحيدة الجانب ، التى لم تبصر سوى قطب واحد من القطاب ظاهر هذا الكون ! ..

« فالنظرة التوحيـــدية للكون » هى التى وازنت وألفت وآخت بين « التوحيد الدينى » .. الذى يعنى وجود الفاعل الاول والسبب الاول



ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية؟

في هذا الكون ، سبحانه وتعالى •• وبين مالي « الطبيعة والطبائع » من خصائص ذاتية تجعلها فاعلة لافعال ومسببة لمسببات ! •••

وهي التي وازنت بين « التوحيد الديني » •• الذي يقطع بأن العالم مخلوق الله •• وبين تصور هذا العالم قديما ، وفق مقولة فلاسفة الاسلام وأغلب متكلميه : ان فعل القديم قديم ! •• فلم تشهد حضارتنا ذلك الانقسام الذي جعل القائلين بقدم العالم ماديين ، والقائلين بالخلق الالهي مثاليين ، بل لقد بلورت : « المادية ـ المؤمنة » ، وكان فلاسفتها واغلب متكلميها « ماديين ـ مؤمنين » ! ••

وهذا « التوحيد الديني » •• هو الذي طبع حضارتنا بطابع الموازنة والتوازن بين « الفرد » وبين « المجتمع والمجموع » ••• بين « الدين » وبين « الدولة » ، فبرئت من القائلين « بالمقدس » ، فالكهانة والسلطة الدينية ••• ومن القائلين « بالطبيعي » ، فالعلمانية ••• واتخذت لنفسها مكانا وسطا يستلهم من « الدين » فلسفة تظم « الدولة » ، على حين يصبح العقل الانساني والتجربة الانسانية ومصلحة الامة هي المبدعة والحاكمة في هذه النظم المتطورة أبدا •• فكان « التمييز » بين الدين والدولة ، لا « الوحدة » ولا « الانفصام » هو موقفها الذي تميزت به عن حضارات الاخرين ! ••

وهذا « التوحيد الديني » •• قد وازن ، أيضا بين « الثوابت الدينية » ، التي اكتمل بها أمر « العقائد الدينية والعبادات » •• والتي مثلت في شئون الدنيا وأطرا •• وغايات ومقاصد •• ومثلا عليا ، تميزت عن « المتغيرات الدنيوية » التي اختص بها العقل الانساني ، يبدع فيها ، خلقا وتطويرا ، وفق المصلحة ، وفي ضوء ثوابت الدين وأطره وكلياته ••

هكذا •• وعلى هذا النحو كان أثر « التوحيد الديني » ، كجماع لفلسفة الانسان ، و « كعدسة » يرى منها الكون ، ويتصور على هديها الوجود •••

وهكذا •• كان هذا الوجه من وجهي عملة حضارتنا العربية الاسلامية ! ••

اما الوجه الاخر لهذه « العملة الحضارية » ، فهو « التوحيد القومي » ! ••• ذلك أن وثنية العرب في الجاهلية ، بما كانت تعني من تعدد الالهة في القبائل ، كانت تغذي ، وتجسد غياب « وحدة الهوية » لهذه القبائل العربية •• فجاء « التوحيد الديني » ، ليوحد هويتها في « الدين » ، وليسهم في وحدة الهوية في « القومية والدولة » ، ومن هنا كانت العروة الوثقى بين « التوحيد الديني » و « التوحيد القومي » وكان مكان أحدهما من الاخر مكان وجه العملة الاول من وجهها الثاني !

ولقد سارت الجماعة العربية على هذا الدرب •• فتوحدت القبائل في « كل قومي واحد » ، أصبحت الدولة العربية الاسلامية اطاره ، وبلغ من ارتباط « التوحيد القومي » « بالتوحيد الديني » الى الحد الذي اعتبرت فيه وحدة « الدولة » حقا تقتضيه فريضة « الزكاة الدينية » ،

فكان قتال خلافة أبي بكر الصديق لمن ارتدوا عن وحدة الدولة القومية ، رغم ايمانهم بأصول الدين ! ··· وبعد عصر الفتوحات كان «الاستعراب» القومي السبيل لاتساع دائرة الامة القومية ، فامتزجت « القبائل » « بالشعوب » ، واحتضن « الاسلام » المواريث الحضارية لهذه الشعوب فكانت الامة الواحدة ، والحضارة الجديدة ··

ولقد تميزت هذه العملية التوحيدية القومية بما تميزت به حضارتنا من « الموازنة والتوازن » بين المتقابلات والمتناقضات ، فاتخذت الموقف « الوسطى والعادل » ، عندما وازنت بين « المواريث الحضارية غير العربية » وبين « كليات الاسلام » المتعلقة « بالدنيا » ، فبلورت منهما « الاسلام الحضاري » ··· وعندما وازنت بين « فضائل » مختلف الجماعات والشعوب والامم التي ادخلها الفتح في اطار الدولة الجديدة ، فصنعت من كل هذه الفضائل قسمة في الحضارة الشابة ، تتميز بها الامة الوليدة ، رافضة قطبي التطرف والصراع : عصبية العرب الجاهلية العرقية ·· وتعصب الشعوبية ضد كل ماهو عربي ··· وهي ، أيضا ، قد وازنت بين « مركزية » « دولة الخلافة » وبين ازدهار « الولايات » وتنوع المحليات والاقاليم ، فكان الاسهام المتعدد والمتنوع في البناء الحضاري العام والعظيم ! ··

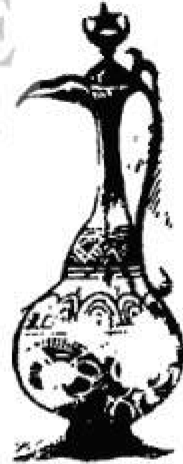
لقد تبلور « المنهج الاستقرائي » فلم يعد « العالم المادي » ظلا «لعالم المثال» ، كما لم يصبح الفكر مجرد انعكاس للمادة كما هو الحال في « المادية الفجة » ! ·· وانما كانت العلاقة الجدلية بين « الفكر » و « المادة » ، على النحو الذي يشير اليه فيلسوف الاسلام جمال الدين الافغاني « ١٢٥٤ ــ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ــ ١٨٩٧ م » عندما يقول : ان « كل » « شهود » يحدث « فكرا » ، وكل « فكر » يكون له اثر في « داعية » يدعو اليه، وعن كل « داعية » ينشا « عمل » ، ثم يعود من « العمل » الى « الفكر » دور يتسلسل ، ولا ينقطع الانفعال بين « الاعمال » و « الافكار » مادامت الارواح في الاجساد ، وكل قبيل هو للاخر عماد ، آخر « الفكر » اول « العمل » ، واول « العمل » آخر « الفكر » ! ··

هكذا تميزت حضارتنا ·· عندما أصبح « التوحيد » هو روحها العظيم ، أن في النظر الى الكون وتصوره ـ « التوحيد الديني » ـ ·· وان في الصياغة للمجتمع والدولة ، وتصور الانسان لهما ، وعلاقتهما بهذا الانسان ·· وان في الاداة ـ المنهج ـ الذي استعان به الانسان العربي على بلورة هذا الانجاز ··· فالتوحيد « يعني « التوازن » ·· و « الموازنة » و « التاليف » و « التوفيق » ، و « الوسطية » تعني ، في الجوهر ، الانحياز الى « التوحيد » ! ···

● ورابعة هذه المقدمات التمهيدية ـ وخاتمتها ـ تبدأ بالسؤال : متى فقدت حضارتنا هذه استقلالها ؟ ·· ولماذا ؟؟ ···

أما : لماذا ؟ ·· فلأنها فقدت خاصيتها ، اى طابعها الوسطى المتوازن ·· اى أصيب « توحيدها » بالتمزق والانفصام ! ···

وأما متى ؟ ·· وكيف حدث ذلك ؟ ··· فالى مقال آخر ·



الطاعة والمعارضة

فى السياسة وغيرها

● يحظى الانسان بالاعجاب اذا وقف امام الحاكم وقال رايه بصدق دون خوف . لكن الناس لاتعجب بمن ينتظر موت الحاكم ليقول رايه .

لا شك ان نقد الماضي وتقييمه امرضروري لكن الناس لا تعجب بمن لا يرى الاخطاء الا بعد ان تصبح ماضيا .

ويعجب الناس بالكلمات الانسانية الجميلة مثل العدالة الاجتماعية والحرية والانتاج وطهارة اليد واللسان . لكن الناس لا تعجب بمن يحول هذه الكلمات الى اسطوانات تدور ليل نهار او ندوات لا تكف وحوار لا يجف .

الحوار كثير والعمل قليل .

ما اسهل الحوار اذا لم يؤد الى فصل او نقل او سجن . وما اسهل الصمت اذا كان فى الكلام ضرر . الا ان الكلمة المنطوقة او المطبوعة اصبحت وكانما هى الوسيلة الوحيدة لاثبات الوجود . حتى فى الاحزاب السياسية تحتل الجريدة او الكتابة فى الجريدة اهمية اكبر من العمل مع الناس او ما نطلق عليهم الجماهير .

لا يمكن ان ننكر ما للصحافة او الكتابة او الحوار من تاثير ولكن هل تصبح الكلمة هى الفارس الوحيد .

لا شك ان الاضواء تسلط على الكلمة اكثر مما تسلط على العمل . الذين امتهنوا الكلمة عرفهم الناس واشتهروا ، اما الذين يعملون ويكدون فى العمل فلا احد يعرفهم . من يستغرق فى عمل عميق جاد لا يجد الوقت للكلام ، ومن يتكلم كثيرا لا يجد الوقت للعمل او التفكير المتعمق .

هناك دائما علاقة عكسية بين العمق والانتشار الواسع ، وهناك علاقة طردية دائمة بين كثرة الكلام وقلة العمل . وقد اصبحت العادة ان ينتظر الناس ما يقوله رئيس الدولة ليرددوه ، ما اسهل الترديد .

فى الماضي القريب ترددت كلمات مثل الامن الغذائي ، والثورة الخضراء ، والحضارة ، والرخاء . وهذه الايام اصبحنا نسمع كثيرا عن الجدية والعمل والندوة والانفتاح الانتاجي والنفاق . واخشى ان نسمع قريبا عن ندوة جديدة بعنوان « طهارة اليد واللسان » .

لا يمكن ان ننكر ان المشاكل كثيرة ، مشكلة الشباب ، مشكلة العنف والارهاب ، المشكلة الاقتصادية ، الفساد ، الرشوة ، السلبية التسيب ، التسمم بالاطعمة الفاسدة ، والهواء الفاسد وتلوث البيئة .. الخ

هذه المشاكل كلها موجودة ، لكن المشكلة ليست فى وجود المشاكل ، ولكن فى نظرتنا الى هذه المشاكل ، كيف نشخصها وتكتشف

د. نوال
السعداوى



اسبابها الحقيقية وكيف نعالجها . ولايشير اى واحد منا الى نفسه وتتجه اصبعه دائما متهما الاخرين وينسى نفسه ، او يتكلم كلاما جميلا فاذا شهدنا ما يفعل وجدنا فعله مناقضا لكلامه .

راينا مفكرا كبيرا يراس ندوة عن مشكلة الديمقراطية ، وسمعناه يقول ان المشكلة الاساسية هى مصادرة الراى الاخر ، ومع ذلك لاحظنا ان المفكر الكبير كان اكثر اعضاء الندوة مصادرة للراى الاخر اثناء المناقشة .

مثال اخر ذلك المفكر الكبير الذى يغرقنا بكلمات عن المساواة والحرية فاذا رايناه فى بيته نرى الاب المستبد برايه والزوج المسيطر الذى لا يقبل المناقشة . ثم هذا الكاتب الكبير الذى ينقد سلبية الشعب المصرى لكنه ينتهى بان يدعونا الى انتظار ما سوف يفعله رئيس الدولة . اى يدعونا الى السلبية .

لا شك ان رئيس الدولة فى مصر له من السلطات ما ليس لغيره ، وفى يده تغيير القوانين والسياسات والاشخاص ، لكن المشاكل التى نعانى منها ضاربة بجذورها فى مجتمعنا وفى تاريخنا وفى بيوتنا وفى انفسنا مما لا يكفى معه تغيير السياسات او الاشخاص او القوانين .

ان هذا الانتظار لما سوف يفعله او يقوله الحاكم نوع من السلبية الجماعية التى تعودنا عليها فى حياتنا العامة والخاصة . والحياة الخاصة ليست الا نموذجا مصغرا من الحياة العامة .

فى حياتنا الخاصة يعتمد الاطفال والشباب والنساء على فرد واحد هو الاب . او الجد فى الريف . . قد يشتغل الطفل او الشاب او المراة فى الحقل لكن العمل هنا لا يكسبهم الاعتماد على النفس او حق اصدار الراى او القرار . فالراى والقرار لصاحب السلطة الاوحد ، الاب او الجد .

ان حياتنا الخاصة ليست ديمقراطية ، فكيف يمكن ان تكون حياتنا العامة ديمقراطية ؟ الطفل او الشاب الذى لا يتعود مناقشة ابيه والاختلاف معه لا يمكن ان يناقش رئيسه او يختلف معه . والمراة التى تفرض عليها الطاعة منذ الولادة حتى الموت لا يمكن ان يكون لها راى مستقل عن ابيها او زوجها او رئيسها فى العمل

يقول الاب ان طاعة الله واجبة وطاعة الاب واجبة . وفى عصور قديمة تنكر الاب فى زى الاله . وفى عصور حديثة ارتدى الحاكم رداء الاب . واصبحت الطاعة هى الفضيلة الاولى فى حياتنا .

العقل ينفى الطاعة ويوجب الجدل والمناقشة ، والطاعة تنفى العقل وتوجب الموافقة على آراء الاخرين .

الطاعة والمعارضة

والانسان عقل . قوة الانسان وطاقته هى العقل . اذا لم يجد العقل الطريق امامه مفتوحا خرجت قوة الانسان وطاقته بغير عقل ، خرجت قوة مدمرة عدوانية ارهابية تضرب وتقتل .

دلت الابحاث النفسية ان اكثر الاطفال عدوانية كان لهم آباء شديدو السيطرة والاستبداد بالرأى . ما معنى الاستبداد بالرأى ؟ معناه ان تلغى عقول الاخرين وتفرض رأيك .

الطفل انسان له عقل كامل وليس ناقصا كما يتصور البعض والمرأة ايضا ليست ناقصة العقل . الانسان فى طفولته او شبابه له عقل يختلف عن عقل ابيه لانه يعيش ظروفا لم يعشها ابوه . وبقدر ما يحتاج الطفل او الشاب لتجربة ابيه يحتاج الاب ايضا لتجربة ابنه ورايه واحساسه .

كثير من الناس لا يتصورون امكانية مناقشة فكرية عميقة بين اب وطفله . اذكر انى ناقشت ابى حين كنت فى العاشرة من عمرى حول فكرة وجود الله ، وعدالته ، ولماذا يخاطب بلغة التذكير دائما ، ولم يفزع ابى من اسئلتى ، ولم ينهرنى او خوفنى من التفكير فى اى شئ . لم يضع سقفا لتفكيرى لا اتجاوزه ، ولهذا تعودت ان اناقش كل شئ ، ولا اوافق على رأى ما الا باقتناع . اذا اقتنعت وافقت واذا لم اقتنع عارضت .

الاقتناع يعنى التفكير وتشغيل العقل ، اى الجدل والمناقشة ثم الموافقة او المعارضة .

كثير من الناس يتصورون ان «المعارضة» شئ يتعلق بالسياسة او الاحزاب السياسية فقط . ولكن المعارضة او القدرة على المعارضة اسلوب فى حياة الانسان ، وقدرة عقلية ونفسية يكتسبها الانسان فى الطفولة وتنمو معه كلما كبر ، او تنكمش وتذبل .

المعارضة ليست عضوا ينبت فجأة للانسان بدخوله حزب المعارضة ، او بصدور قرار يدعو الى الديمقراطية . ولا يمكن ان تخلو بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومكاتبنا واعمالنا وحقولنا ومصانعنا من الديمقراطية ثم تظهر فقط تحت قبة البرلمان .

وقد طالب الكثيرون بالقضاء على النفاق . لكن ما هو النفاق ؟ اليس هو المحصلة الطبيعية لفضيلة الطاعة ؟ الطفل الذى يطيع بغير اقتناع يتعلم ان ينافق اباه . والمرأة المطيعة منافقة . والمرؤوس المطيع منافق . الطاعة هى الوجه الاخر للخوف . والخوف يؤدى الى النفاق . لكننا لا نصل الى جذور الاشياء ، والسبب هو الخوف ، الخوف من ان نصل الى التناقض الصارخ او الازدواجية المريضة فى القيم والتقاليد التى درجنا عليها . سنصل حتما الى اكتشاف ان النفاق والطاعة وجهان لعملة واحدة . الا اننا نعتبر الطاعة فضيلة والنفاق رذيلة .



● السلبية هى الوجه الآخر لليأس . واليأس هو النهاية الطبيعية للخوف ..!

واخطر الرذائل هو ما يرتدى ثوب الفضائل . واخطر الفضائل ما يرتدى ثوب الرذائل . اذا اردنا علاج النفاق فلا بد ان نعيد النظر فيما نسميه فضائل او رذائل . علينا ان نقول ان الطفل الفاضل هو الطفل الذى يناقش ويجادل وليس الطفل المطيع . علينا ان نقول ان الزوجة الفاضلة هى التى تناقش وتجادل وليست هى الزوجة المطيعة .

لكننا ما زلنا نقول عن الطفل المجادل انه مشاغب او المراة المجادلة تعتبر شاذة او غير طبيعية او مشاكسة . اما المرؤوس المجادل فهو شخص حقود وغير اهل للثقة .

اى رئيس عادل لا يخشى الجدل . والاب او الزوج العادل لا يخاف النقاش . والاله العادل يدعو الى الحوار وتشغيل العقل .

ان غياب العدالة والمساواة بين البشر على اختلافهم هو الذى يحرم الجدل او الحوار او المعارضة . وهو الذى يحول الطاقة العقلية الانسانية من البناء والخلق والتقدم الى الهرب والعدوان والتاخر .

العدوان نوع من المقاومة الانسانية الطبيعية ضد سد المنافذ امام العقل . وقد يتجه العدوان الى الانسان نفسه ، فيقتل نفسه بنفسه . ان هذه السلبية الفردية والجماعية التى نتصف بها كافراد وشعب ليست الا نوعا من المقاومة البطيئة ، او الاضراب الدائم الخفى الخائف من ان يظهر ، اضراب عن بذل الجهد فى عمل او لهو او فرح او حتى حزن .

السلبية هى الوجه الاخر من الياس ، والياس هو النهاية الطبيعية للخوف .

حيثما يعيش الخوف يعيش النفاق . وحيثما تفرض الطاعة يفرض الخوف . وامام الموظف المصرى تقرا رقعة نحاسية حفرت عليها ، الطاعة ... الصبر .. فى الطاعة السلامة وفى التفكير الندامة . الحكمة الخالدة المحفورة فى ذهن الموظف المصرى منذ عهد الفراعنة . وكل الناس فى مصر موظفون . الوزير موظف ، والاديب موظف ، وصاحب الفكر موظف .

سالت مرة احد الادباء لماذا يكتب ما لا يقتنع به فقال ببساطة : اذا فعملت او نقلت من الجورنال فهل تتولين انت الانفاق على اولادى فى المدارس ؟ وسالت مرة احد الوزراء السابقين لماذا لا تقول رايك الا فى الجلسات الضيقة فقال : لاضمن انه لن يصل .. قلت : واذا وصل فماذا تخاف ؟ ونظر الى بدهشة ونظر الحاضرون جميعا الى بدهشة وكاننى كائن عجيب هبط من المريخ .

الغريب ما فى الامر ان احدا لا ينظر الى نفسه ، لا الكبير ولا الصغير ، والعيون كلها تتجه الى رئيس الدولة فى انتظار ما يفعله ليصلح الكون . هل يمكن لفرد واحد ان يصلح الكون ؟!

العقاد

د. راسم
محمد الجمال

ومحمد حسين هيكل
في تاريخ الصحافة المصرية


عباس محمود العقاد

يمثل كل من عباس محمود العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل ظاهرتين فريدتين ومتميزتين في تاريخ الصحافة المصرية في النصف الاول من القرن العشرين ... وعلى الرغم من الاختلاف الجوهري والواضح بين الظاهرتين من حيث تكوينهما والعوامل المؤثرة فيهما وتطورهما ومواقفهما من تطور الحركة الوطنية والصحافة ، والآثار التي احدثتها في تاريخ الصحافة المصرية - فانه ينبغي القول بان للظاهرتين سمات وخصائص مشتركة ، بعضها ثابت ، وبعضها الاخر طارىء ، وان الظاهرتين قد تفاعلتا على طول تطور الصحافة المصرية بين الدفع والجذب . وبين المودة والخصومة على نحو جعل من دراسة هاتين الظاهرتين امرا جديرا بالاهتمام ، لما احدثتاه من آثار بالغة على تطور الحركة الوطنية والصحافة المصرية .

فاذا كنا ندرس تطور العلاقة : من الناحيتين الايجابية والسلبية بين العقاد وهيكل كظاهرتين في تاريخ الصحافة المصرية في النصف الاول من قرننا الحالي ، فنحن ندرس في الواقع شكلا من اشكال تطور الحركة الوطنية ، وندرس الحركة الدينامية بين مكونات الصحافة في تطورها على مدى نصف قرن . ونحاول في هذه الدراسة أن نستكشف اوجه التشابه والاختلاف ومواطن التداخل والتباعد في صحافتي العقاد وهيكل .

اولا : مدرسة فكرية واحدة

بدأ العقاد وهيكل حياتهما الفكرية والصحفية بداية واحدة من حيث الانتماء الى مدرسة فكرية واحدة ، هي مدرسة احمد لطفي السيد ، ومشايعة افكار الامام محمد عبده . فعلى صفحات « الجريدة » كان الميلاد والبروز الفكري لكل منهما . وعلى الرغم من أن مرحلة « الجريدة » كانت مرحلة الهواية في حياتهما الفكرية والصحفية ، فاننا نلمس من كتاباتهما مدى غلبة





د. محمد حسين هيكل

الطابع الفكرى لاحمد لطفى السيد عليهمـــا . وقد ظل الدكتور هيكل محافظا على انتمائه الى هــذه المدرسة الفكـرية حتى فى حياته السياسية والصحفية طوال حياته ، فقد كان حزب الاحرار الدستوريين الذى كان هيكل كاتبه واحمد لطفى السيد فيلسوفه امتدادا طبيعيا لحزب الامة . اما العقاد فقد تبرا من استـــاذه وخاصمه وتطاول عليه وطعن فيه وفى افكاره وفلسفته فى غمار الصراع الحزبى ، وخصومة لطفى السيد للوفد والوفديين ، ومن طعنه فى احمد لطفى السيد ما كتبه فى سبتمبر ١٩٢٢ : « وليفتن الاغرار بالاستاطيقا والبوليطيقا ثم الديمكراطيقا والديمكوجية وبكل ما يحلو له مما يعرفه صبية الافرنج ويبيعه هو علينا فى سوق الفلسفة » .

على ان العقاد عاد الى احترامه وتقديره لاحمد لطفى السيد بعد انشقاقه عن الوفد عام ١٩٣٥ وانضمامه الى الاحرار الدستوريين فى معارضة الوفد منذ مـايو ١٩٣٧ ، وخاصة بعد قيام وزارة محمد محمود فى يناير ١٩٣٨ واشـتراك احمد لطفى السيد فيها .

ثانيا : رجل الموقف .. ورجل المبدا

كيف كان يعالج كل من العقاد وهيكل تطورات القضية الوطنية والصراع الحزبى ؟ ينفرد الدكتور محمد حسين هيكل بأنه الوحيد بين كبـار كتـاب الصحافة المصرية فى القرن العشرين الذى لم يغير اتجاهه السياسى ولا ولاءه الحزبى منذ قام حزب الاحـرار الدستوريين عام ١٩٢٢ حتى قامت ثورة ١٩٥٢ ، فقد بدا حياته السياسية والصحفية حرا دستوريا ، واختتمها حرا دستوريا . فى حين غير كل من العقاد ، وطه حسين والمازنى ، وعبد القادر حمزة ، وتوفيق دياب ـ اتجاهاتهم السياسية وولاءهم الحزبى .

ولهذا كان هيـكل يعالج تطورات القضـية الوطنية والصراع الحزبى من منطلق موقف حزبه ومبادئه التى يقررها تجاه الموقف



العقاد وهيكل

او الحدث السياسي ••

اما العقاد فقد كان رجل موقف يعالج تطورات القضية الوطنية والصراع الحزبي في ضوء الملابسات الموضوعية والاعتبارات الذاتية التي تكتنف الحدث او تؤثر فيه بغض النظر عن الموقف الذي اتخذه من ذات الحدث السياسي من قبل ، ولا رايه الذي ابداه واستمسك به قبل ذلك • ولاشك ان تغير الاتجاه السياسي للعقاد ككاتب وفدي ثم كاتب مستقل ، فكاتب معارض للوفد ، الى جانب ذاتيته المفرطة قد كشف لنا هذه الظاهرة •

ولهذا اتسمت كتابات هيكل بالثبات وبالالتزام بمبادىء حزبيه

اما العقاد فجاءت كتاباته وافكاره متناقضة ، ومتعارضة مع بعضها البعض ، ولهذا يمكن القول بان العقاد تراجع في العشر من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٥٢ • عن كل المواقف والاراء التي دافع عنها في الفترة من ١٩٢٢ الى ١٩٣٥ • بل انه كثيرا ما يرجع عن الاراء التي ابداها خلال الفترة من ١٩٣٧ الى عام ١٩٥٢ بعد ان ابداها بسنوات او باشهر اذا تغيرت الاوضاع الموضوعية والذاتية المحيطة بالحدث • ويكفي هنا ان نضرب مثلا من عشرات الامثله المتوافرة في صحافة العقاد •

***

وبخروج العقاد عن الوفد ، نشبت معركة صحفية عنيفة بينه وبين الصحف الوفدية التي قادها مكرم عبيد ، وتبادل الرجلان الطعن والسب والاتهامات ، وتبادل كل منهما امور الاخر الشخصية • وكان اول ما كتبه العقاد بعد صدور قرار الوفد بفصله ، ان اعلن سرا طال احتجابه في رأيه ، وهو ان مكرم عبيد يسوق البلاد بسياسته الى هاوية الخراب ، فهو يحاول اقناع الانجليز باقواله وافعاله بانه المسيطر على الوفد وعلى النحاس« فلا ضير عليهم ان يهملوا من سواه ••• » وصدق من صدق ان الوفد قد اجتمع وبحث وقرر ••• وعلم من علم ان مكرما قد اجتمع وحده وبحث وحده ، وقرر وحده منذ سبعة شهور ••• وما على الجماعة الا التنفيذ !••• وهاأنذا ايها الانجليز ، فهل في الوفد ••• هل في مصر احد سواي يحسب له حساب » •

ويعد هذا الموقف من العقاد نكوصا وتراجعا عن موقف مضاد اتخذه من قبل تسفيها لمن يتهم مكرم بالسيطرة على الوفد وزعيمه ، مؤكدا انهم « يحقدون والحقد يملي عليهم ما يزعمون » وانهم ليريدون التفريق ، وهذه الارادة هي التي تسول لهم الوقيعة والوشاية والاختلاق • فاذا قالوا ان النحاس باشا يصغي الى الاستاذ مكرم وينقاد له في ارائه فالعارفون بالنحاس باشا وبالاستاذ مكرم عبيد يضحكون ويسخرون ، وهاأنذا وفدي من اعرف الناس برئيس الوفد لا اعلم فيه صفة اوضح ولا ارسخ من صعوبة الانقياد بغير ما يراه ، ومن احب ان يجرب ذلك فليتفضل وليحاول التجربة او فليتفضل وليذكر حادثا واحدا كان النحاس باشا على رأى ثم تحول عنه الى اخر منقادا لغير

عبد القادر حمزة





روز اليوسف

الدليل والاقناع » .

ولما انتقل العقاد الى الصحافة المعارضة للوفد منذ منتصف عام ١٩٢٧ ، كان مكرم عبيد بندا ثابتا في مقالات العقاد الهجومية على الوزارة الوفدية وركز العقاد هجومه على كفاءة مكرم عبيد الاقتصادية ولاقتصاديات البلاد : « فلو كان عندنا وزير للمالية يفهم فى شئون الاقتصاد باكثر مما يفهمه الرجل الذى يتنبأ عن اسعار القطن فلا تنقضى أشهر محدودات حتى تنقلب النبوءة ويحيق الدمار العاجل بمن صدقوه » .

ثم نكص العقاد عن موقفه من كفاءة مكرم الاقتصادية بعد أن خرج مكرم عن الوفد وتصالح الرجلان ، وأخذ العقاد يكتب فى « الكتلة » صحيفة حزب الكتلة الوفدية الذى أسسه مكرم عبيد ، وتركزت كتاباته على الثناء والاشادة بانجازات مكرم الاقتصادية فى وزارة أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى .


محمود فهمى النقراشى


احمد ماهر

ثالثا : كاتب الحــزب وكاتب للحزب

ويختلف هيكل عن العقاد ايضا فى انه كان كاتب حزبه والمعبر عن سياســاته ومواقفــه ، او على الاقل كان الكاتب الاول أو الرسمى لحزب الاحرار الدستوريين منذ انشائه والى ان تولى الوزارة فى يناير ١٩٣٨ ، فى حين لم يكن العقاد كاتب الوفد او المعبر عنه .

فقد كان للوفد كتاب كبار يدافعون عن الوفــد ومواقفه فى صحفهم ، على رأسهم عبد القادر حمزة ، الذى كان أسبق كتاب الوفد الى التعرف بسعد زغلول والارتباط به صحفيا ، وأسبقهم أيضا الى اصدار صحف اتخذها الوفد لسانا له ، فضــلا عن كونه الكاتب الوحيد الذى كان يقابل سعد زغلول يوميا ليستقى منه موضوع مقاله . وكان سعد زغلول يحرص على لقائه حتى ولو كان مريضا او معتكفا . ولهذا كله ، كاد محمــد ابراهيم الجزيرى ـ سكرتير سعد زغلول ـ أن يجزم بأن عبد القــادر حمزة لم يكتب فى عهد سعد مقالا قبل أن يتحدث اليه فى شأنه . وقد ظل عبد القادر حمزة يتبوأ هذه المكانة فى صحــافة الوفــد الى أن انشق مع الثمانية الذين انشقوا عام ١٩٣٢ .

أما العقاد ، فلم يكن مالكا لصحيفة ، بل كان محررا براتب شهرى فى الصحف الوفدية ولم تكن ثمة علاقة رسمية او شبه رسمية تربطه بالوفد ، الا بعد أن أصبح عضوا بالهيئة الوفدية البرلمانية بعد أن نجح فى انتخابات عام ١٩٢٩ ، فى حين كــان عبد القادر حمزة وأحمد حافظ عوض عضوين فى هذه الهيئــة منذ عام ١٩٢٦ . وحتى بعد أن صار عضوا فى هــذه الهيئة ، وحدث الانقلاب الدستورى الثالث الذى أحدثه اسماعيل صدقى ، وسجن العقاد عام ١٩٣٠ بتهمة العيب فى الذات الملكية ، صار

العقـــاد أكثر ميلا الى الاستقلال في آرائه ومواقفه الصحفية ٠ وأخيرا كان العقاد أصغر كتاب الوفد سنا وأقلهم مساهمة في الحياة السياسية والصحافة السياسية قبل التحاقه بالصحافة الوفدية ٠

ولذلك يلاحظ أن سعد زغلول كان يوحي الى عبد القادر حمزة بأفكار مقالاته ، أو يوجهه صحفيا نحو الوجهة التي يريدها ، ولكنه لم يطلب من العقاد أو من غيره أمامه أن يكتب رأيا معينا أو محددا ٠

وفي ذلك يقول العقاد : « وقد لازمت سعدا سنوات ووافقته كثيرا وخالفته كثيرا كما يعلم القراء فلا أذكر انه طلب مني او من غيري أمامي أن نكتب في رأى بغير ما نراه ، وانمـــا كان أسلوبه في هذه الحالة أن يفتح باب المناقشة فيما يريد الكتابة فيه ، فان خالفناه واقنعناه لم يطلب منا كتـــابة ولم يلمح الى طلبها أقل تلميح ٠٠٠ وان وافقناه ورأينا رأيه قال « حبذا لو وقف القراء على جلية هذا الموضوع » ٠٠٠ وهذا غاية ما كنا نسمع من طلب الكتابة في موضوع من الموضوعات » ٠ وهذا دليل على أن سعد زغلول لم يكن يعتبر العقـــاد معبرا أدق تعبير عن آرائه واتجاهاته ، ولذا سمح له في بعض الأحيان أن يختلفمعه في الرأى ٠

العقـــاد وهيـــكل

رابعا : معارك الرجلين

على الرغم من أن العقاد دخل معارك فكرية مع بعض كتـــاب الأحرار الدستوريين وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، فانه لم يتجاوز فكريا مطلقا طوال حياته مع الصحافة المصرية (من عام ١٩٠٧ الى عام ١٩٦٤) مع الدكتور هيكل ٠ ويعد الدكتور هيكل واحدا من ثلاثة كتاب سياسيين اشتبك معهم العقاد في معـــارك صحفية عنيفة ، أما الآخران فهما محمود عزمي وعبـــد القـــادر حمزة ٠

وقد تعارك هيكل والعقاد مرتين ، كانت المرة الأولى مقدمة لهدم الائتلاف الأول بين الوفد وبين الأحرار الدستوريين عـــام ١٩٢٨ وبدأها هيكل ٠ وكادت المعركة الثانية أن تودي بالائتلاف الثاني بين الوفد والأحرار عام ١٩٢١ ، وبدأها العقاد ٠

المعركة الأولى :

بدأت هذه المعركة الصحفية العنيفة التي كانت بمثابةالشرارة الأولى لهدم مظاهر ائتلاف الوفـــد والأحرار على صـــفحات الصحف الحزبية ، عندما زعمت « السياسة » أن ثمـــة وثيقة أرسلها مصطفى النحاس الى السير أوستن تشمبرلن يشـــكره فيهـــا على روح التفـــاهم التي أبداها في حل أزمة قانون الاجتماعات ، وطالبت النحاس بنشر هذه الوثيقـــة ، « ليطمئن

أحمد لطفي السيد

الجمهور الى ان الحكومة لا تزال متمسكة بوجهة نظرها التى اعلنتها فى اثناء الازمة » • وقد تكاتفت صحف الوفد فى تفنيد زعم « السياسة » وشارك العقاد فى هذا الموقف •



مكرم عبيد

ثم ما لبث الخلاف بين « السياسة » وصحف الوفد ان تحول الى معركة صحفية عنيفة ثم تحولت الى مهاترات شخصية غير مهذبة بين هيكل والعقاد ، وبدا فيها واضحا سعى هيكل لتعكير جو الائتلاف ، وحرص العقاد من الناحية الاخرى على عدم المساس وصيانة الائتلاف القائم ، وحصر الشقاق فيما بينه وبين هيكل •

وبدأت المعركة عندما كذبت « السياسة » البلاغ الرسمى الذى اصدرته الوزارة النحاسية ونفت فيه وجود الوثيقة التى طالبت « السياسة » بنشرها • واعتبر العقاد هذا التكذيب من جانب « السياسة » هذيانا • وقابلت « السياسة » هجوم صحف الوفد على هذا التكذيب باقحام الاحزاب المؤتلفة فى خلافها مع صحف الوفد ، فكتبت تقول :

« هؤلاء هم الاحرار الدستوريون ، وذلك تاريخهم ان كنتم نسيتموه ، فاذكروا موقفكم فى ايام ماضية حين كان السباب كل ما تملكون ••• واذكروا نعمة الاحرار الدستوريين عليكم » • وقد رفض العقاد منطق « السياسة » فى اقحام الاحزاب فى هذا الخلاف الصحفى ، وقابل تحدى « السياسة » بتحد مماثل ، وغمز الاحرار الدستوريين فتوعدهم بالطعن اذا برزوا فى المعركة الصحفية ، وكتب يقول :

« فحبا وكرامة ، نحن نذكر بحمد الله نعم الاحرار الدستوريين علينا ، ولا نسال الله الا ان يذكرنا بها ، ويزيدنا منها ••• وللدستوريين المكشوفين بعد هذا أن يموتوا بغيظهم وان يتطاولوا بوجوههم الى صفعة واحدة تنزل عليهم بردا وسلاما ، فلن يظفروا بتلك الصفعة الموموقة الا يوم يبرزون » •

واراد هيكل ان يقحم الائتلاف فى معركته مع العقاد ، فطالب بان يظهر حرصه على الائتلاف بكف عباس العقاد عن هجو زعماء الاحرار الدستوريين ، ولكن العقاد فوت عليه هذه النية ، فاستبعد الاحزاب المؤتلفة من المعركة الصحفية ، وحولها الى معركة شخصية بينه وبين هيكل ورد العقاد على طلب هيكل بقوله :

« هذا كلام اطفال يا ولد ••• فتكلم كلام الرجال ، والا فاسكت ، تكلم واعرف عاقبة كلامك ولا تستصرخ بالوفد ولا بالاحرار الدستوريين ، فقد تركناك تلغو بما تشاء فيما تستجره من شان هؤلاء وهؤلاء ، ولكننا لن نتركك حتى تعلم ان هذا النزق الذى تتماجن به على الناس شىء يسقط على ام راسك ولو اعتصمت باسباب السموات ، وانك ان لم تزن كلامك ، وزناك انت وكلامك معك ، واريناك وارينا كل من له عينان انك كاتب

بلا كتابة ومحام بلا محاماة ، وانك سمج ثقيل لا يحمد منه التجنى على الصديق والقريب فضلا عن الغريب » .

وعلى الرغم من هذا الحرص على عدم اقحام الائتلاف فى المعركة ، فقد أكد العقاد ان الوفد قوى لا تهزه « صغائر محرر السياسة .. ولا المستورين وراءه » .

ولكن الدكتور هيكل أبى الا أن يعكر صفو الائتلاف ، ويهدم اركانه ، فهاجم الوفد مباشرة متهما اياه بالجبن والعجز عن الدفاع عن مسلكه فيما نسبته اليه « السياسة » والاحتماء وراء العقاد ، وكتب يقول :

« هربوا من الميدان هروب الجبان (يقصد زعماء الوفد) ، وصدروا سفيههم ينضح من وعائه القذر من نتن واوساخ ... وما كانت « السياسة » لتنازل السفهاء الادنياء فقد كانت تناقش تصرفا عجز اصحابه عن الدفاع عنه بعد ان اجمع الناس على خطئه وبعده البعد كله عن ان يكون فيه مصلحة البلاد ، ودفعهم ذلك العجز الى الاحتماء وراء السفيه الذى نصبوه فى صحيفتهم كالعمود القذر يمسح به كل ماش ما علق بيده او رجله من اقذار »

على ان هذا الطعن لم يغير من موقف العقاد ، وحرصه على ابعاد الائتلاف عن معركته مع هيكل ، وحصرها فى النطاق الشخصى بينهما ، فرد عليه بقوله :

« اما نحن فكل ما نجيب به هذا الولد المسطول على هذه « التحفة » هو أن نقول له : غير الصنف أو غير الجرعة ... زدها شمة او انقصها شمة فمن المؤكد ان الجرعة المعلومة من هذا الصنف وبهذا المقدار لا تسعفك ولا تصلح « للتجلى » فى الرقاعة ... والا فاى خير على الانسان ان يكون عمودا يعلو على الحضيض ؟ وأى خير على العمود ان يحتك به الماشون امثالك ليمسحوا القاذورات وهو بريء من الاقذار ؟ وأى قذى على الانسان ان يكون من منبت غير منبتك الذى تدل عليه ايها الولد المسكين ؟

« غير الصنف » او غير الجرعة ؟ او تغير انت ان كان فى وسعك ان تكون من بنى الانسان » .

ويمكن القول بأن حرص العقاد على عدم المساس بالائتلاف القائم ، أو الطعن فى الاحرار الدستوريين ، كان مرجعه الى حرص الوفد على الائتلاف ، فقد ذكر العقاد انه كان يتعرض لبعض اللوم من جانب زعامات الوفد كلما عنى بالرد على تحرش « محرر السياسة » به وبالوفد .

على ان هذه المعركة سرعان ما توقفت ، بعد ان جدت الازمة الوزارية باستقالة وزراء الاحرار من الوزارة النحاسية ، ثم اقالة الوزارة النحاسية وتولى الاحرار الحكم .

المعركة الثانية

وبدأها العقاد فى نوفمبر ١٩٣١ بعد خروجه من سجنه

بالطعن فى هيكل وابراهيم الهلباوى لان الاول تجـــاهل نشر تفاصيل الاستقبال الذى قوبل به العقاد فى احتفـــال الاحرار الدستوريين بذكرى سعد زغلول عام ١٩٣١ ، ولان الثانى وقف يخطب فى احتفال الاحرار الدستوريين فى ٣٠ اكتوبر من العام نفسه واستعرض اضطهاد وزارة صدقى للصحفيين فذكر هيكل وعبد القادر حمزة وتجاهل العقاد الذى كان حاضرا • وقابل العقـــاد موقف هيكل والهلباوى بحساسية شديدة واعتـزاز بكرامته ، فاتهم هيكل بالحقد عليه وبكراهيته ••• وكتب يقول •

« ليس الوفد يا صاح بالذى يكلمك هنا وانما اكلمك انا لانك تكلمنى انا ، فاسمع ما اقول لك ولا تعتب الا على انـــا ان كان بينى وبينك عتاب ، ولك على ان لا احدثك عن سياسة ولا مواقف سياسية ولا اتجاوز بك خير نفسك الصغير •

« تذكر الوطن والمصالح الشخصية فلا اشرفك بالمقارنة بينى وبينك فى هذا المقام ، ولا التفت الى هذا اللغو الذى لا تصل الى منه ذرة غبار ، ولكنى اقول لك لو ان العقاد كما تزعم لما امتلأت نفسك هذا الامتلاء حتى لتسمع صـوت الموت ولا تســمع اسم العقاد، ولما اذهلك الحسد له عن كل صواب حتى لتحسده ان يقابل فى مقار عملك مقابلة الحفاوة والاكرام • وسيضحك النـــاس اذ يعلمون الى اى صغار تهبط حفيظتك حين يكون فى الامـر شىء يتعلق بالعقاد • فقد علم ذلك مئات من الذين حضروا احتفال الاحرار الدستوريين بذكرى سعد ، وبقى ان يعلمه جميع القراء لما سرك ان يكون الناس كراما فى دار « السياسة » فيتلقوا هذا الكاتب بما هو اهله ويحيوه تحيتهم المشكورة بعد طول غيابه ، فظهرت « السياسة » فى اليوم التالى وقد حذفت منها كل ذكر لحفاوة وتحية كانها منكر تداريه وسر تحرص عليه ، ولم تنس ان تغير على الواقع فتصف عواصف التهليل التى احاطت بك فى قيامك وقعودك ولا عواصف ولا نسمات ولو كنت صادقا لما حسن بك هذا الصدق فى صحيفتك ، ولا حسن بك ان تعكسه وانت انتمى الى المروءة والحياء » •

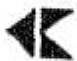
كما طعن العقاد ايضا فى ابراهيم الهلباوى مما احرج زعامة الوفد واضطرهم الى اصدار بيان يعتذرون فيه عما كتبه العقاد •



عبد القادر المازنى

خامسا : هـــل حاولوا استقطاب العقاد عن طريق هيكل

تبدو اهمية معركة العقاد وهيكل الاخيرة فى انها تنفى نفيـــا مؤكدا ما رواه العقاد لاصدقائه فى ندوته ، من ان القصر اوفد اليه الدكتور هيكل عقب خروجه من السجن يعرض عليه تاليف كتاب عن الملك فؤاد مقابل اربعة آلاف جنيه ، وان العقاد رفض



العقاد وهيكل

ورد على هيكل بقوله : « اذا الفت كتابا عن الملك فؤاد فلابد ان اقول فيه انه كان عدوا للدستور » ، فصمت هيكل وعاد يبلغ الملك رد العقاد .

فالرواية مختلقة من اساسها للاسباب التالية :

١ ـ خلاف العقاد وهيكل الذى وصل الى حد الطعن فى أعقاب خروج العقاد من السجن .

٢ ـ ان الاحرار الدستوريين كانوا فى عداء لنظام الحكم الذى اقامه الملك فى ذلك الوقت .

٣ ـ لا توجد اية معلومات تشير الى انه كان ثمة علاقة بين هيكل والقصر فى ذلك الوقت .

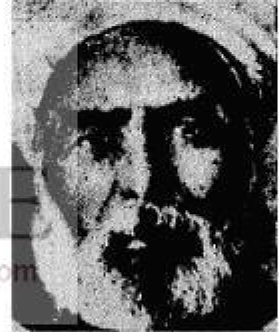
سادسا : من الكتابة السياسية الى الزعامة السياسية

يشترك العقاد وهيكل فى ان كلا منهما تحول من كاتب سياسى وقد اختلف الاثنان فى طريقة اكتسابهما هذه الزعامة ، وفى الاسلوب الذى انتهت به زعامته السياسية . فقد اصبح هيكل زعيما للاحرار الدستوريين ثم رئيسا لمجلس الشيوخ .. وانهى زعامته السياسية باتخاذ موقف مشرف عندما اشترك مع بقية زعماء الاقليات فى تقديم مذكرة الى الملك فى اكتوبر ١٩٥١ يحذرونه فيها من خطورة استسلام الوزارة الوفدية الاخيرة واذعانها للقصر على حساب الدستور ، وتحذيره من مغبة فساد حاشيته ، ومن غضب الشعب عليه ، وهى المذكرة التى جلبت سخط الملك على زعماء احزاب الاقليات وعلى هيكل .

وهكذا يمكن القول بان الدكتور هيكل قد تحول الى زعيم سياسى بصورة رسمية ، وانتهت زعامته السياسية بصورة رسمية ايضا عندما الغت ثورة ٢٣ يوليو الاحزاب .

أما العقاد فقد تحول هو الاخر الى زعيم سياسى بصورة مختلفة تماما عن هيكل ، وانهى زعامته السياسية بصورة مختلفة تماما عنه ... لقد اكتسب العقاد زعامته السياسية على المستوى الشعبى ... وانتهت ايضا على المستوى الشعبى .

فقد خرج العقاد من السجن رافضا لاسلوب الوفد والسياسة المصرية فى مجملها فى معالجة القضية الوطنية ، حيث رفض اسلوب المفاوضات والمناورات السياسية فى معالجة القضية ، ورأى ان معارضة نظام حكم اسماعيل صدقى عديمة القيمة لان الملك هو الذى اقامه ، وان الملك ليس العدو الحقيقى للحركة الوطنية لان العدو الحقيقى هو الاحتلال الذى يساند الملك ويسمح له بالعبث بالحركة الوطنية والحياة الدستورية . وعلى هذا رأى العقاد ضرورة انهاء مشكلة الاحتلال



الشيخ محمد عبده

في المقام الاول ، على اساس ان ذلك شرط اولي لوضع الملك في حجمه ، وحماية الحياة الدستورية ·

ورأى العقاد بناء على ذلك انه لا جدوى مطلقا من المفاوضات مع الانجليز ، وانه لا مفر من اعلان الثورة ومحاربة الاحتلال · وظل العقاد يدعو ويلح في مقالاته الى ان تبني الوفد وجهة نظره واعلن العداء للانجليز ، وطالب الامة بمقاومة الاحتلال ·

سعد زغلول



وبقي العقاد على موقفه على الرغم من تراجع الوفد امام السياسة الانجليزية التي بادرت بتغيير المندوب السامي حيث اعتبر الوفد هذا التغيير تحولا في السياسة الانجليزية تجاه مصر ·

على انه اذا كان العقاد قد اكتسب زعامته بقلمه ودفاعه عن الحركة الوطنية ، فقد فقدها ايضا بقلمه بتسليمه في الحقوق الوطنية والدستورية ووضعها تحت اقدام الملك فاروق وهو في هذا الموقف على النقيض تماما من هيكل ·

فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وازدياد مفاسد فاروق السياسية والاخلاقية ، لم يترك العقاد فرصة الا واغتنمها لتملق فاروق والتفريط في حقوق الامة لارضائه ، ففي عيد ميلاد الملك عام ١٩٤٨ ، اشاد العقاد بالتقدم الباهر الذي احرزه فاروق لمصر · وفي عيد ارتقاء الملك العرش ، مجد فيه لطرده الوزارة الوفدية ، فكتب بعد ان طعن في الحكم الوفدي : « فيعود بها الفاروق الى سوائها ويجعل من حق الملك ضمانا لحقوق الامة وفي يمن الفاروق بعون الله كفيل ان نبلغ منها في عهده الزاهر غاية ما رجوناه وغاية ما نرجوه » ·



مصطفى النحاس

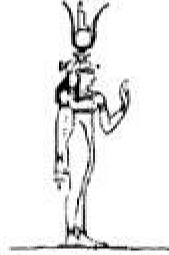
وفي ذكرى تولي فاروق سلطاته الدستورية عام ١٩٤٨ اشاد العقاد بفاروق المطبوع على الديمقراطية ، التي هي « حياة يحياها ، هي حريته التي يغار عليها ومن اجلها على حرية رعاياه » ، واكد انه يبدو لنا ان الشعب المصري الكريم لو نسى ديمقراطيته في لحظة من اللحظات لذكره بها مليكه المحبوب » ، « وما نحسب ان في عالم الحضارة ملكا رأى منه خاصة رعاياه وعامتهم ما رأى المصريون خاصتهم وعامتهم من مليكهم المحبوب » ·

وفي عيد ميلاد الملك سنة ١٩٤٩ ، اثنى العقاد على فضل فاروق فيما اسماه انتصارات الجيش المصري الباهرة في فلسطين · وفي عيد جلوسه على العرش عام ١٩٤٩ ، اشاد العقاد بعهد فاروق الذي صان حرية البلاد ودستورها وجعل استقلال مصر اوفى من استقلال بريطانيا العظمى ·

وظل العقاد على هذا الموقف من الملك لدرجة انه اعتبر زواجه من ناريمان قاضيا على الحواجز الطبقية وعلى الدعوة الشيوعية في مصر ·

قدماء




ثالوث معبودات منف ، اله الخلود والخصب والتناسل .....



كعبة منف (هرم ميدوم الكاذب) بناه الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة ، بنى قبل الهرم الاكبر كرمز لاله التوحيد رع (لاه) ، كان ثالوث معبوداته «اليت وعيزت ومنى »

● قالوا ان آدم بنى الكعبة بعد هبوطه
● تاريخ الكعبة المنسوب للجاهلية حافل بالخوارق
● المصريون القدماء آمنوا بالروح والعالم الآخر

المصريين وبناء

الكعبة

د. سيد كريم

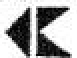
في مطلع كل موسم جديد للحج ومع طواف حجاج شعوب العالم الاسلامي حول الكعبة الشريفة أو البيت العتيق بعلو اسمها مع ارتفاع أصوات الحجيج ليتصدر ما يقرأ ويسمع ويشاهد من خلال الصحافة والاذاعات المسموعة والمرئية. وبتصدى الكتاب والمحدثون للحديث عن «الكعبة» وتاريخ بنائها بمعلومات متضاربة لا يستند معظمها الى مراجع تاريخية موثوق بها ، اعتمد اكثرها على اقوال الرواة ، ولكن الصحيح المؤكد فقط هو ان الكعبة بناها ابراهيم عليه السلام..

ومن اقدم الاساطير ان الكعبة بناها آدم عليه السلام عند نزوله الى الارض على جبل عرفات الذى اتخذ اسمه من تعارف آدم على حواء عند لقائهما على الارض ، وقد امرته الملائكة ان يبنى الكعبة او بيت الاله ليدعو ربه ويكفر عن خطيئته وليبقى البيت قائما ليذكر ذريته من البشر الى يوم القيامة .

ويذكر التاريخ ان ابا حذيفة المخزومي وبعض شباب قريش الاقوياء حاولوا تحريك حجرين من احجارها فانطلق منهما بريق يخطف الابصار وارتجفت الارض بزلزال قوى رج مكة كلها رجا عنيفا قاسيا تساقطت معه معظم بيوت مكة والصخور في قمم الجبال .

يجمع تاريخ الكعبة المنسوب لاقوال رواة الجاهلية الكثير من اساطير الخوارق والمعجزات التى لم تلق اى ضوء على تاريخ الكعبة نفسها بل اسدلت عليه ستارا من الغموض ترك تفسيره للاجتهاد .

كما أجمعت كثير من المراجع القديمة انه وردت آثار تدل على ان بناء الكعبة الشريفة تم عشر مرات فى أزمنة مختلفة وظروف متباينة . بنته الملائكة قبل سيدنا آدم عليه السلام ، وبعد ان بنته الملائكة بناه سيدنا آدم ، ومن



بعده ولده شيث بمساعدة ابنائه ، ثم رفع قواعده الخليل كما ورد في القرآن الكريم وبنته من بعده العماليق او العمالقة ، وبناه من بعدهم جرهم ، فقصى ابن كلاب ، فقريش فعبد الله بن الزبير فالحجاج الثقفي » .

لم يرد في القرآن الكريم ما يشير الى تاريخ الكعبة وبنائها باكثر مما ورد في قصة سيدنا ابراهيم وزيارته للكعبة التي كانت قائمة في قوله تعالى :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام . رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

يفهم من تلك الآيات الكريمة ان البيت الحرام كان معروفا قبل سيدنا ابراهيم ، ومعروف كذلك ان سيدنا اسماعيل كان في هذه الفترة طفلا . ثم تأتي آيات اخرى من القرآن الكريم عن رفع سيدنا ابراهيم لقواعد البيت الحرام الذي كان موجودا قبله . يقول الله سبحانه « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » وذلك بعد ان اصبح سيدنا اسماعيل في مرحلة الشباب ليستطيع معاونة ابيه .

تأتي بعد ذلك قصة تحطيم سيدنا ابراهيم لأصنام الكعبة والاوثان التي كانت تعبد بها .

« واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »(٢) (سورة الحج)

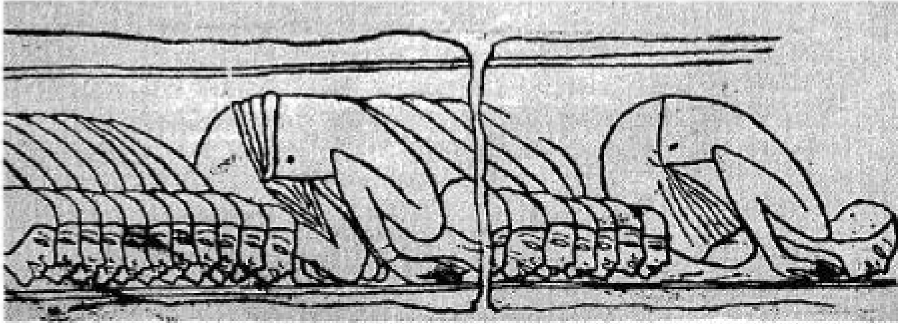
وهو ما يؤكد ان طقوس العقائد من سجود وركوع وطواف وتقديم الذبائح والقرابين والنذور كانت جميعها قد وصلت الى الكعبة قبل زيارة الخليل ابي الانبياء لها .

هكذا نرى ان القرآن الكريم قد اكد ان الكعبة او البيت الحرام كان قائما وان جميع طقوس العقيدة التي انتقلت الى الاديان السماوية الاخرى التي نزلت من وقت سيدنا ابراهيم حتى نزول القرآن كانت قائمة بالكعبة وتقابلت عندها قبل ظهور الرسل ونزول الاديان .

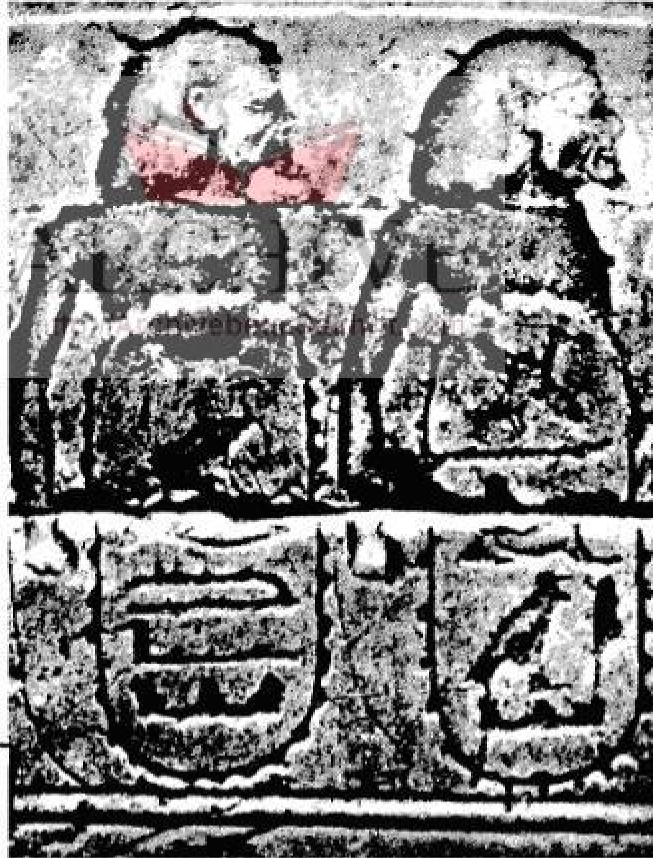
اما تاريخ الكعبة قبل دعوة سيدنا ابراهيم لزيارتها فلم يرد لها ذكر في جميع الكتب السماوية مما كان سببا في محاولة تفسيرها بالرجوع الى اساطير المعتقدات واحاديث الرواة وتراث القصص الشعبي التي لعب الاجتهاد والخيال الدور الاساسي في سرد وقائعها حتى جانب تفاريها الصواب .

وهكذا نعود مرة اخرى الى التساؤل والبحث عن الغرض من بناء الكعبة ؟ متى بنيت ؟ ومن بناها ؟

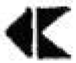
● رسالة التوحيد وصلت إلى قدماء المصريين
● بدأ انتشار العقيدة من مصر عام ٢٢٨٠ قبل الميلاد



صلاة الجماعة وصفوف المصلين خلف الامام ـ نقوش على احجار معبد اخناتون



« سيدنا ابراهيم عليه السلام » ـ لوحة الكشف في حفريات مدينة منف حيث زار معابدها وتزوج الأميرة هاجر المصرية ، عام ١٨٩٠ ق . م .



اول سجود وركوع فى تاريخ الاديان ▼



فمما لا شك فيه ان الغرض من بناء الكعبة هو ارساء قواعد بيت للعبادة لإقامة شعائر العقيدة به · عقيدة نزلت على رسل وانبياء قبل عهد ابراهيم عليه السلام ·

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما · رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ·

(سورة النساء)

فاذا حاولنا البحث عن جذور رسالة التوحيد ونزولها على البشرية نجد ان اول رسالة للتوحيد نزلت في ارض مصر كنانة الله في ارضه · يقول المؤرخ بترى في كتابه « ضمير الحضارة » ·

فشعب مصر كان اول شعب آمن بالله · اول من آمن بان هناك الها واحدا للجميع · آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الزمان وقبل ارسال الرسل والانبياء فكان اول من نادى بالتوحيد · فذلك التوحيد والايمان بالخالق هو الذى بنى حضارة مصر التى خلدت بخلود العقيدة ·

عبروا عن الاله الواحد « باتوم » القوة الخفية الكاملة التى تهب الحياة وتسير الكون عرفوا من الوجود فآمنوا بالحياة والروح والبعث والحساب والعالم الآخر ·

● لقد شد ذلك اللغز انتباه الباحثين وعلماء الاديان واللاهوت من قديم الزمن فتقابلت بحوثهم ونتائجها حول مدينة « اون » (هيليوبوليس - عين شمس) التى اقاموا بها اول مرصد لقبة السماء ، ومنها خرجت اول رسالات الخلق والتوحيد التى عرفتها البشرية وكانت منارا لجميع الاديان ·

لقد اجمع كثير من كبار علماء اللاهوت على ان تلك الرسالة بما حوته من تعاليم وتشاريع وتفاصيل لبناء المجتمع الانسانى لابد وان تكون رسالة سماوية سبقت العقل البشرى ·

وقد خرجت رسالة تلك العقيدة كما وصفها المؤرخ المصرى القديم «مانيتون» الكاهن الاكبر لمعبد اون وكان اول من سجل تاريخ مصر وقسمه الى عهود وعصور واسرات ووضع قوائم الملوك واسمائهم والتاريخ الزمنى لحكم كل منهم من عهد « الخلق » الذى اعتبر خلق مصر بنزول العقيدة الى نهاية الاسرات · وقد خرجت رسالة العقيدة كما ورد فى قوائمه عام ٩٥٠٠ من التقويم المصرى الكهنوتى اى من ١٢٥٠٠ سنة ووصف حاملى تلك الرسالة « بانصاف الالهة من الكهنة المبجلين » ·

لقد حمل رسالة التوحيد خلال عصور مصر القديمة والفرعونية اكثر من رسول ، بعد طغيان كل فترة من فترات انحلال العقيدة وتعدد الالهة فبعد رسالة التوحيد الاولى التى خرجت من « اون » واستمرت ما يقرب من

الفي سنة كما ورد في وثائق المؤرخ شنسللو (تاريخ العالم من ادم الى دقلديانوس) ثم خضعت بعد ذلك لمختلف المذاهب الدينية فتعددت الهة العبادة ومعبوداتها حتي قامت ثورة التوحيد الثانية التي جمعت بين توحيد العقيدة وتوحيد الوادى في عهد ما قبل الاسرات · كما كان الفضل للملك مينا (نعرمر) موحد القطرين ومؤسس الاسرة الاولى الذى قام بحربه المقدسة لتوحيد البلاد بتوحيد الاله الواحد الذى رمز له بصقر السماء ، وقام بزحفه الديني لدعوة البلاد لنبذ الهتهم المحلية ومعبوداتهم المتعددة والدخول فى عقيدة الاله الواحد اله السماء ورب الارباب ·

وعادت الدعوة لرسالة التوحيد مرة اخرى فيعصر الاهرامات ورمز للاله الاوحد بقرص الشمس « رع » · وكانت اخر رسالات التوحيد هي التي نادى بها اخناتون في الاسرة الثامنة عشرة ثم خرج بها موسى عليه السلام من مصر حاملا رسالة التوراة ·

● اما خروج رسالات العقيدة من مصر فقد بدات لاول مرة عند قيام ثورة عام ٢٢٨٠ ق·م فى اعقاب الاسرة السادسة ، وقد اطلق عليها المؤرخون اسم ثورة الرعاع وعصر الاضمحلال · وقد بدات الثورة كما وصفتها برديات « الحكيم ايبيور » كاى ثورة شيوعية بالثورة على الدين واغلاق المعابد ومنع الشعائر الدينية وحرق المقدسات وتشريد الكهنة والعلماء ومطاردة رجال الدين واتباعهم ·

ويصف ايبيور كيف هرب اهل منف الى الصحراء الشرقية وجنوب الوادى وعبروا البحر الى الجزيرة العربية حيث اطلق عليهم اسم بنى مناف أو اهل منف كما أطلق عليهم الفراعنة اسم جرهم وهو الاسم الذى عرفوا به فيما بعد ومعناه باللغة المصرية القديمة مهاجرو مصر وهم القبائل الذين تنسب اليهم بناء الكعبة ·

كما لجات اليهم هاجر المصرية ام اسماعيل عندما تركها سيدنا ابراهيم عند الكعبة لانها لم تكن على علم بلغة العرب فبحثت عن قبائل جرهم المصريين الذين قاموا بايوائها وامكنها التفاهم معهم وعندما وصل بنو مناف وجرهم الى أرض مكة اقاموا « بيت الرب » مماثلا لمعبدهم الجنائزى بمنف الذى يطلق عليه حاليا هرم اللاهون الذى بناه الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة ليكون كعبة لمعبده الجنائزى وليس مقبرة له كبقية الاهرامات وقد بنى قبل الهرم الاكبر كرمز او كعبة للتوحيد كما حملوا معهم عند خروجهم ثالوث منف المقدس المكون من الالهة الت (اخر اسماء رع) وايزيس ومنى ·

أو (الت وعزت ومنى) كما يطلق عليها بالفرعونية وهى الهه الخلق والخير والتناسل وقاموا بوضعها فى الكعبة التى قاموا ببنائها فى مكة وهى التى ورد ذكرها فىالقران الكريم فيسورة النجم « افرايتم اللات والعزى · ومناة

الثالثة الاخرى · الكم الذكر وله الانثى · تلك اذن قسمة ضيزى · ان هى الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » ·

فتاريخ بناء الكعبة فى اول مراحلها كان عام ٢٢٨٠ ق · م وان الذين قاموا ببنائها وارساء قواعدها قبائل جرهم من اهل منف او بني مناف ·

● الهجرة الثانية المشهورة للمصريين الى ارض الجزيرة العربية كانت تتمثل فى هجرة اتباع اخناتون الذى كان آخر من نادى برسالة التوحيد التى بداها بقوله « الله وحده لا شريك له · هو الواحد الاحد الفرد الصمد خلق السموات والارض ولا شان بجواره لاحد · هو الاب وهو الام وليس له ولد » وهى اقرب الرسالات الى الاسلام ·

كانت هجرة اتباع اخناتون عام ١٣٥٨ عند اندلاع ثورة كهنة امون المشهورة التى قتلوا فيها اخناتون وهدموا معابده وحطموا كعبته وطاردوا اتباع عقيدته الذين هاجروا الى مكة للحاق ببنى مناف وعشائر جرهم حول الكعبة ·

ويطلق على اتباع اخناتون اسم الصابى او اهل الساب ومعناها اهل الحق والعدالة ووصفوا بانهم يعبدون الخالق ويقدسون عظمته وينادون بوحدانيته كما انهم نقلوا شعائر الركوع والسجود والطواف او الدوار سبع مرات حول الكعبة وجميعها من تعاليم رسالة اخناتون الخاصة بالتوحيد وقد ذكرهم الله فى كتابه العزيز بقوله :

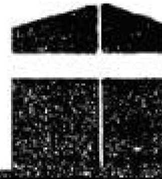
« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ·
(سورة البقرة)

ولايزال الصابئة الى الآن يقومون بالحج وزيارة الكعبة ·

فبنو مناف وجرهم هم اهل الكنانة الذين بنوا الكعبة او كما يقول زهير ابن ابى سلمى فى معلقته المشهورة :

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

● اما قصة الحجر الاسود فيقال ان سيدنا ابراهيم اثناء بناء الكعبة طلب من ولده اسماعيل أن ياتيه بحجر مميز يضعه فى جدار الكعبة ليكون علامة يبدأ منها الناس الطواف فذهب اسماعيل الى بطن الوادى وتاخر فى البحث فجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود وسلمه لابراهيم الذى وضعه فى مكانه ـ وكان الله سبحانه وتعالى قد أودع هذا الحجر جبل بنى قبيس فى مكة حيث غمرته مياه الطوفان أيام نوح عليه السلام واستدل عليه اسماعيل بعد انحسار مياه الطوفان عندما اخذته الدهشة من شدة ضوئه فقد كان يتلألأ بنور وهاج يضيء المكان من حوله · وقد ورد ذكر الحجر الاسود فى



أحاديث الرسول في قوله : « كان أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطـايا بني آدم » ·

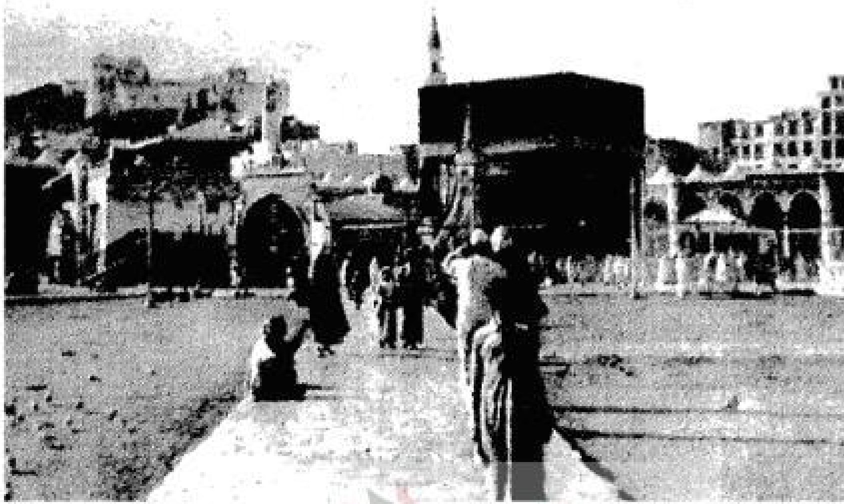
كما يرد ذكر الحجر الاسود عند زيارة الرسول للكعبة فقد حدث بعد ان تم البناء في ترميم الكعبة أن اختلفت قريش فيمن ينال الفضل ويضع الحجـر الاسود في مكانه وكادت تكون فتنـة ويحدث قتال بينهم وهـداهم التفكير ان يحكموا اول داخل عليهم في ذلك فكان الامين صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أول داخل · وقد تصرف في هذا المقام تصرفا يدل على رجاحة عقل وبلوغ حكمة فقد وضع الحجر الاسود في ردائه وامر كل فريق أن يحمل من طرف ، ثم لما صاروا الى مكانه وضعه بيده الكريمة وانتهى بذلك الخلاف ·

● اذا عدنا الى تاريخ مصر القديم والفراعنة من اهل كنانة بني مناف وقبائل جرهم الذين ورد ذكرهم في النصوص العربية القديمة ضمن بنـاة الكعبة واختيار موقعها وطريقة بنائها · كذلك ما ورد ذكره بخصوص الحجر الاسود وما ارتبط بكل منها من اساطير الرواة نجد تشابها وتوافقا عجيبـا بين قصة بناء البيت العتيق بمكة وبناء كعبة التوحيد التي اقامها اخناتون التي سجلتها وثائق ولوحات العمارنة المشهورة ·

يبدأ تاريخ بناء كعبة اخناتون واختيار موقعها برحلة الهجرة التي قام بها اخناتون من طيبة الى تل العمارنة في سفينته المقدسة التي اطلق عليهـا اسم (شعلة الآلة التي لا تنطفىء) وسار بها في مجرى نهـر النيل يقودها تياره « بأمر الاله الواحد معطي الحياة الى ابد الابدين » ·

وسارت السفينة تتبعها قافلة من السفن حاملة اتباع الدين الجديد الذين امنوا بدين التوحيد ، استمرت الرحلة ستة ايام عرجت بعدها سفينته تجـاه الشاطىء الشرقي لترسو عند المكان الذي حدده له الاله بوصفه « أرض مقدسة لم يدنسها بشر » وهي الارض التي شيد عليها مدينته المقدسة التي يبلغ طولها ستة اميال وعرضها ثلاثة ، واطلق عليها اسم « آخت اتون » اى افق الاله · وذكر في برديات انشاء المدينة « لا يدخل المدينة او يعيش بين ارجائها الا كل مؤمن بالاله الواحد ويهدر دم كل كافر يتخطى حدود ارضها الطاهرة » ·

اما موقع المحراب المقدس او كعبة العقيدة فقد ذكرت أساطير العمارنة بان الاله حدد موقع الكعبة بان اسقط من السماء حجرا مقدسا على شكل نجم مضيء (نيزك) وامر اخناتون بان يبني المحراب حوله وهو المعبد الذي ارسى اخناتون اركانه في مطلع العام السادس من حكمه اى ١٣٧٠ ق·م وتم انشاء المعبد في عام كامل ، وعند افتتاحه اقام اخناتون صلاته الاولى التي أم فيهـا المصلين فكان اول سجود واول ركوع في تاريخ الاديان جميعها كما اشتملت طقوس العقيدة على الوضوء والصلاة وصلاة الجماعة خلف الامام والدعاء



صورة حديثة للكعبة المشرفة فى مكة المكرمة

والطواف حول الكعبة والتى نقلها المهاجرون (جرهم) والصابئة (الصاب) الى البيت العتيق بمكة واعترف القرآن باسلامهم .

اما زيارة المصريين القدماء للكعبة بعد عهد اخناتون فقد ورد ذكرها فى اكثر من مرجع من المراجع التاريخية للمؤرخ الكبير الدكتور سليم حسن (ديانة التوحيد وعصر اخناتون) كذلك فى ابحاث الأستاذ عبد الحميد جودة السحار والتى تحولت الى المسلسل الدينى « محمد رسول الله » كذلك ابحاث المؤرخ بترى (تاريخ مصر والضمير الانسانى) واشارت ابحاثهم الى زيارة المصريين القدماء للبيت العتيق بمكة وخاصة فى مواسم الحج فى اعياد منف واعياد اخناتون ، ومن بين الزيارات المشهورة التى امكن تسجيلها زيارة موسى عليه السلام بمرافقة النبى شعيب ، وكان موسى عليه السلام قبل نزول رسالة التوراة من اتباع عقيدة أخناتون التوحيدية التى كان ينادى بها سرا .

كما قام بالحج الى الكعبة قائد حملة رمسيس الثانى الذى كان ينتمى الى طوائف التوحيد والذى حملته زوجة فرعون كسوة للكعبة صنعتها فى مصر وقام برفعها على حوائطها قربانا للاله . وهى التى قامت بتربية موسى الذى التقطته من النهر وقامت على رعايته ونشاته وذكر فى القرآن أنها كانت من المؤمنين . كما آمن بعدها فرعون عندما راى معجزة ربه فنجاه من الغرق .



قدماء المصريين وبناء الكعبة


أحد جوانب سطح المحراب القرابين بمعبد العمارنة ·
اخناتون يحمل رسالة التوحيد ويقيم شعائر الصلاة والدعاء ·

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين · االآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين · فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون » ·   (سورة يونس)

لقد ظلت قبائل جرهم المصرية واتباع مختلف عقائد التوحيد الفرعونية على اتصال دائم بالكعبة والقيام بمناسك الحج · وليس هناك من شك فى أن زيارة جميع الانبياء الى الكعبة ابتداء من سيدنا ابراهيم الى اسماعيل وشعيب وموسى بدأت جميعها بعد زيارتهم لمصر وتفهمهم لعقيدة التوحيد وايمان المصريين بالبعث والحساب والاخرة وخلود الروح · وهو ما نادت به جميع الكتب السماوية التى قاموا بحمل رسالتها ·

● أما علاقة العرب بأرض الكنانة فهى قديمة قدم علاقة الكعبة بأرض مصر · وقد ذكر القرآن الكريم اسم مصر فى خمس سور كريمة وهى سور البقرة ويوسف ويونس والزخرف وابراهيم · يؤكد سيد المرسلين تلك العلاقة بقوله : « ستفتحون بعدى أرضا يذكر فيها القيراط فاذا افتتحتموها فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » يقصد بالنسب هاجر أم سيدنا اسماعيل وزوجة سيدنا ابراهيم وهى أميرة مصرية من أميرات الاسرة الثانية عشرة ١٨٩٠ ق · م وهى جدة النبى عليه الصلاة والسلام وجدة العرب ـ ويقصد بالصهر مارية القبطية المصرية التى انجب منها الرسول ابنه ابراهيم ·

واشار عليه الصلاة والسلام الى مصر فى حديث شريف آخر يقول فيه : « مصر كنانة الله فى أرضه ما كاد اهلها احد الا كفاهم الله تعالى مؤونته » · اى أن الله يكفى اهلها مؤونة اعدائها ويساعدها عليهم وينصرها » ·

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا . فذلك الجند خير اجناد الارض .. وانهم فى رباط الى يوم القيامة » ..

لقد حقق الواقع ما انبأ به النبى صلى الله عليه وسلم ففتحت بعده مصر واحتملت فى دفاعها عن العروبة والاسلام ما لم يحتمله شعب اخر وكان منها خير اجناد الارض الذين قاموا على حراسة كرامة العروبة وعزة الاسلام وظلوا وسيظلون الى يوم القيامة مرابطين يسهرون على حماية حرمات ارضهم وشرف دينهم وقوميتهم .

ويؤكد سيدنا محمد سيد المرسلين علاقته بمصر كنانة الله فى ارضه بالرحم والصهر والنسب لا من ناحية هاجر المصرية أم اسماعيل وجدة النبى أو مارية القبطية ام ابراهيم فحسب بل بانتسابه من ناحية اخرى الى بنى مناف وارض الكنانة .

يتأكد ذلك من حديث المجادلة بينه عليه السلام وبين يهود مكة عندما سألوه عن سبب اختيار الله عز وجل لشخصه عليه الصلاة والسلام فاختصه بحمل الرسالة او اختيار العرب لنزولها عليهم .

ويقول الحديث الشريف :

« ان الله اختار العرب واختار كنانة من العرب واختار قريشا من الكنانة واختار من قريش بنى مناف واختار من بنى مناف بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم » .

اى ان اصل النبى من بنى هاشم الذين ينتمون الى اهل منف الذين ينتمون الى الكنانة اى ارض مصر .

وفى رسالة عمرو بن العاص عند وصوله الى ارض الكنانة قوله : « اهل مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدا واقربهم رحما بالعرب وبقريش خاصة » .

● لقد نقل المصريون القدماء الى قريش ومكة الاسماء الفرعونية والقابها التى كانت سائدة فى العصر الجاهلى وحاربها الاسلام لانها اسماء وثنية . من بينها على سبيل المثال :

عبد مناف (منف) عبد شمس (اتون) عبد العزى (عيزت) عبد اللات (اليت) عبد الناس وعبد أتم (اتوم) كما انتقلت كثير من الاسماء والكلمات الفرعونية القديمة الى لغة قريش نفسها التى نزل بها القران الكريم وقد امكن حصر ثمان وعشرين كلمة واصطلاحا مصريا قديما فى القرآن الكريم بجانب الكلمات العبرية والكلدانية امثال جرهم واليم والزلزال والزيتون .

فعلاقة العرب والكعبة بمصر أرض الكنانة قديمة قدم الزمان ..

وبعد فهذه مجرد آراء تاريخية قد يصح بعضها ويخطىء بعضها الآخر ، ولكن فى قراءتها فائدة ، والدين يأمرنا بالتعمق فى المعرفة بقدر ما نستطيع . ●



من الواضح أن الرئيس حسنى مبارك اختار ـ ابتداء ـ عقل المدينة وليس عضلاتها ، أو المناطق الاخرى فيها (احياءها التجارية مثلا ـ راجع تقسيم افلاطون للمدينة الفاضلة) وذلك عندما مد يديه الى المثقفين طالبا منهم أن يعملوا وان ينطلقوا لان مصر فى حاجة اليهم ... ولسبب آخر بسيط غاب عن اذهان الكثيرين زمنا طويلا : هو انهم : عقل المدينة . بعد أن تأكد للجميع بالادلة الواضحة القاطعة المفزعة التى كنا فى غنى عنها ، انه عندما يغيب العقل ، تحضر الرشاشات .

فى ايام قليلة قال يوسف ادريس : افدى هذا الرجل بروحى . وقال محمد حسنين هيكل : أؤيد هذا الرجل بقوة .. واطلب من كل العناصر الوطنية أن تؤيده وان تساعده ...

وفى نفس الوقت عادت الدماء تجرى فى عروق الكلمات فى عمود مصطفى امين ، ولا داعى لان استشهد بعشرات ، بل مئات المثقفين الذين قابلتهم وأبدوا تفاؤلهم الشديد بالمرحلة القادمة. وقد يقول قائل : وما الجديد فى ذلك ؟ من السهل دائما العثور على رجال يؤيدون بقوة اى رئيس . وانا ارد : انني اتكلم عن الرجال الحقيقيين الفعليين الذين من دم ولحم ولا اتكلم عن الرجال الاستنسل ... قيل ، ومن هم الرجال الاستنسل ؟

الرجل الاستنسل هو نوع من المخلوقات تصنعه ضغطة خفيفة او ثقيلة من سن القلم الصلب على ورقة الاستنسل وتسمى قرارا بالتعيين ، ثم تقضى عليه ضغطة اخرى على ورقة استنسل اخرى تسمى قرارا بالاستبعاد ...


الرئيس محمد حسنى مبارك



للكاتب المسرحي : علي سالم


مصطفى أمين


محمد حسنين هيكل

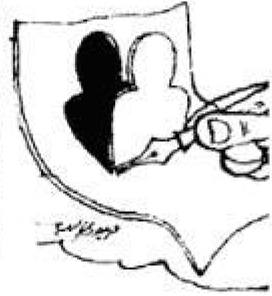

د. يوسف ادريس

ورقة استنسل تنفخ فيه الحياة ، تفرضه على الصفحات وعلى الكاميرات وعلى المايكروفونات وعلى المؤسسات وعلى الاحزاب ومجلس الشعب والوزارات والهيئات والاتحادات ... وعلى ... وعلى ... و ... و ... الخ . ثم يصبح هو مصدرا لرجال استنسل اخرين اى ان هذا النوع يتكاثر ويتوالد بالاستنسل !

هؤلاء الرجال لا اهمية لتاييدهم (يضر احيانا) ولا اهمية لكلماتهم مهما كانت تحمل من معان شريرة او طيبة ، لانهم لا يعنون ما يقولون . هم مثل الدمى التى تضغط عليها او تهزها فتقول ماما ... ثم تقول بابا ... تقوله لكل الاباء وكل الامهات ... تقوله لكل من يهزها او يضغط عليها ، لا تعرف لها ابا او اما واحدة . هم باختصار غير مسئولين .

اما الرجال الحقيقيون (على فكرة هم كثيرون جدا فى مصر) فهم رجال من دم ولحم . لا تستطيع أوراق الاستنسل الموجودة في مخازن العالم كله أن تضيف اليهم او ان تنقص منهم شيئا . ولذلك ، فكلماتهم تعنى اشياء حقيقية جديدة على الحكم فى مصر ونبيلة ايضا وسوف يكون لها آثار طيبة .

والرجل الاستنسل يكره بشدة الرجل الحقيقي . ليس لاسباب عقلية حيث انه لا عقل له ولكن لاسباب غريزية بحتة ، تماما كما تخشى الخفافيش الضوء ، وكما تخشى الذئاب النار . وهذا الكلام ليس من عندى . فقد قاله برنارد شو فى مقدمة القديسة جان « من الصعب على ذوى العقول الكبيرة أن يدركوا مدى ما



يثيرونه من فزع في قلوب غير الموهوبين • وغير الموهوبين بالطبع هم ، الرجال الاستنسل • اللهم اجعل كلامنا خفيفا عليهم ، واللهم افزعهم اكثر واكثر الى ان تصدر قرارات الاستنسل الاخرى التي ينتظرونها وننتظرها معهم •

وبالتاكيد هم سيدافعون عن كيانهم ومصالحهم حتى آخر ورقة استنسل • ولكنهم في النهاية - واطمئن الجميع - مثل الافلام الحساسة عندما تتعرض للضوء ، والضوء قادم • ضوء الديمقراطية • وبما انني انتمي لعقل المدينة ، بالتحديد انتمي للجزء المرح في عقل المدينة فانني اعطي لنفسي الحق في ان اطرح ما يلي من تصورات لتدرسها الجهات المعنية :

١ - من اجل الحصول على المزيد من تاييد العقول والقلوب ، الا يكون من الافضل أن نعلن ان كل الصحفيين العرب والاجانب الذين كتبوا عن مصر بالسلب والايجاب ليسوا ممنوعين من زيارة مصر •

٢ - كل الصحف العربية والاجنبية لا يجب ان تمر على اية اجهزة لفحصها • يجب ان تدخل من المطار الى الاسواق مباشرة ، على ان يتم تنفيذ ذلك على مراحل ، مبتدئين باخفها عداوة ، فمن المؤكد انه عندما يعلم الصحفي المفترى او الكاذب او القابض ان كلماته ستصل الى مصر فانه سيفكر مرتين قبل ان يكتب ضدنا ، وحتى لو كتب احد ضدنا لماذا نحرم الناس من فرصة معرفة اعدائهم ؟ لماذا نحرم الناس من معرفة اعداء النظام ؟ يجب ان يعرف الناس في مصر طبيعة الاخطار التي يواجهها حسني مبارك لكي يلتفوا حوله اكثر واكثر • لقد كان يجب على الصحافة في مصر ان تنشر بوضوح حديث سعد الشاذلي الذي قال فيه ان هدفه هو اسقاط حسني مبارك وان العنف سيكون وسيلته لذلك يجب ان نصدق اخيرا اننا نملك نظاما نؤيده واننا على استعداد للدفاع عنه ضد اعدائه ليس لاسباب عاطفية ولكن لان مستقبل اولادنا يتوقف على سلامته ونجاته من كل الاخطار التي تحيط به ••• اعطونا الفرصة لنكره اعداءنا •


برنارد شو

ومن ناحية اخرى فان هذا سوف يزيل الترهل عن صحافتنا وصحفيينا ، وذلك عندما يواجهون بالتحدى الدائم من الصحافة العربية والغربية • أما المنار تفتيش الصحف والمجلات فانني اسالهم ، هل لديكم طريقة لتفتيش

محطة اذاعة مونت كارلو ولندن واسرائيل وصوت امريكا وبقية محطات الاذاعة ؟

٣ ـ محطات الاذاعة التي تشتمنا (اذا كانت لاتزال موجودة) ·· يجب ان يتم الغاء التشويش عليها فورا · فلسنا نخشى الشتيمة · كما انه ليس لدى احد الوقت لسماعها · هذه هي الطريقة الوحيـدة لاسكاتها · ان يشعر اصحابها بالخجل ·

٤ ـ اليست المرحلة مناسبة لتشكيل وفد من الفنانين والمثقفين الحقيقيين (وليس مثقفي الاستنسل) لزيارة سوريا وليبيا · ليس وفدا حكوميا ، وليس موفدا من قبل الحكومة ، وفد يرسله المثقفون انفسهم · وليس مزودا باية تعليمات ·· ليس مطلوبا منه اكثر من تناول الشاي مع الاصدقاء المثقفين في مقاهي دمشق وطرابلس والمشي في شوارعها والجلوس على مقاهيها ·· لكي تصلهم رسالتنا بوضوح·· ايها السادة لا تنسوا اننا عرب · وانتم عرب · ثم تتكرر الزيارات لبقية العواصم العربية ·

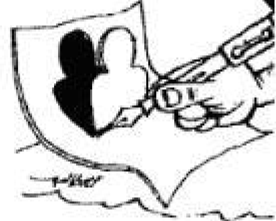
٥ ـ لقد قامت الصحافة بفتح الحوار مع المعارضة الشرعية في مصر (في مجلة المصور على الاقل) ·· لماذا لا نكمل المشوار ونقوم صحافتنا بتغطية شاملة لموضوع المعارضة غير الشرعية خارج مصر · نريد ان نعرف طبيعة الارض السياسية التي تقف عليهـا · ما هي هـذه الجهات او الاحزاب او الجماعات ؟ ما هي هذه الجبهات او الاحزاب او الجماعات ؟ ما هي مبـادئها ؟ من هم ؟ من هي اهم الشخصيات المنضمة لهـا ؟ ما هو تاريخهـا السياسي والوطني ؟ ماذا يريدون ؟ هل يريدون القفز على النظام والحكم ؟ ام ان لديهم شيئا نبيلا يريدون تقديمه ؟ او انها مسـألة ارتزاق ·· او هي مسألة عقـد نفسية لمقامرين سياسيين !

وفي هذا المجال سوف يكون من المفيد عقد مؤتمر في باريس او في اي مكان في العالم تحضره عناصر هذه المعارضة ويحضره وفد من الاحزاب المصرية فيما عدا الحزب الوطني (لانه يشكل الحكومة الحالية · وبديهي انه لا يعترف بهذه الجماعات) على ان تنقل وقائع هذا المؤتمر وبكل وسائل الاعلام للناس في مصر· عند ذلك سوف تتضح وتحـدد كل الامور · هؤلاء الـذين يعملون لوجه الله والوطن سوف يأتون لممارسة دورهم هنا · او ليمارسوه هناك لصالح مصر · اما هؤلاء الذين يعملون لوجه الفلوس التي يقبضونها من الانظمة الفاشية لعمل ديمقراطية في مصر عن طريق العنف ، فليعرفهم الناس على حقيقتهم ولياخـذ القانون مجراه معهم ·

● يزول الترهل عن صحافتنا بمواجهتها الصحافة العالمية!

● هل لديهم شيء نبيل أو أنها مسألة ارتزاق؟





● والآن ... هل نحن مستعدون لاستخدام التكتيك الصحيح؟

ـ ما كان يقال فى الكواليس ، اصبح يقال الان على خشبة المسرح ، وما كان يهمس به الناس اصبحوا يقولونه علنا . يقال ان بعض اجهزة الدولة هي التي انشات هذه الجماعات المتطرفة لمحاربة الشيوعيين . هذا الكلام منشور في مجلة صباح الخير في عددين متتاليين . انني اقترح تشكيل لجنة على اعلى درجات المسئولية والفكر للتحقيق في هذا الموضوع وأن يتم تشكيل هذه اللجنة بقرار جمهورى ينص على ان المعلومات التى تحصل عليها اللجنة لن تتخذ دليلا ضد اى شخص ، وانه لن يضار اى شخص من ادلائه باقواله امامها . وان يكون من حقها الاطلاع على اية وثائق فى اى مكان او سؤال اى شخص مهما كان منصبه . وذلك لكي يعرف هؤلاء الذين يعملون معنا الان والذين سوف يأتون من بعدنا ان هناك العابا شديدة الخطر لا يجب ان يقترب منها احد . ولتعمل هذه اللجنة فى هدوء وعلى مهل . لتاخذ وقتها فى هذا البحث الهام . ثم تقدم تقريرها دون ذكر الاسماء .

هذه هى بعض تصوراتى . اما كلماتي الاخيرة فانني اوجهها للذين قراوا « كلاوزفتز » جيدا . لقد قال « من الممكن ان تضع استراتيجية سليمة ثم تحاول الوصول اليها بتكتيك خاطىء . عند ذلك سوف تصل الى عكس الهدف تماما » معنى ذلك ان تنتوى الوصول الى اسوان ثم تاخذ الطريق الخطا ، عند ذلك تجد انفسنا فى دمياط ... او قبرص .

وهذا هو ما حدث فى الماضى القريب . اردنا ان نصل الى اقناع الاخرين باننا مؤمنون جدا واستخدمنا فى ذلك طرقا خاطئة ، بل وخطرة ، فوصلنا فى النهاية الى المحطة التى اتهمنا فيها الاخرون اننا ملحدون كفرة ... اردنا اغناء الجميع ، فاغنينا البعض وسحقناهم لحد التوحش وافقرنا الاكثرية .. اردنا الوصول للحب والسلام الاجتماعي فوصلنا الى محطة الحقد والرشاشات الاجتماعية ، تابعنا بشدة الالسنة فغفلنا عن هؤلاء الذين لا يتكلمون ، فقط يفكرون فى الشر . تابعنا حملة الاقلام ، فلم نجد لدينا الوقت الكافى لمراقبة حملة الرشاشات .

والان ... لدينا استراتيجية قومية ونبيلة وجميلة . فهل نحن على استعداد لاستخدام التكتيك الصحيح للوصول اليها ؟ ●



عبد الوارث عسر

موقف وداع

السر الأدبي الكبير في حياة أستاذ الإلقاء والممثل الفنان عبد الوارث عسر، أنه ـ أيضا ـ شاعر بيه .. وأول مفاجآت هذا السر الذي يبوح به لك الهلال، هذه القصيدة العصماء والحسناء .. التي نظمها في الغزل في شبابه

كتمتُ مابيَ إلا رجفةً عرضَتْ
لا بأسَ بالجبل الراسي إذا رَجَفا
الماءُ والنارُ في عيني وفي كبدي
تصالحا .. في هلاكي .. بعدما اختلفا .
وما بخيرٍ سوى الزفرات ترسلها
ونكتم النارَ في أحشائنا صَلفا
إنّا وقفنا .. وقفْنا للنوى ... وأنا
أخفي عن الناس وجداً ليس فيه خفا
أرنو وقدْ زفرَ « الوابور » زفرتَه
ودقَّ قلبي ما أدريه .. أم .. وقفا !
وجلجلَ البيَن في (الناقوس) يخبرني
أن النوى والردى .. من قبلي ائتلفا .
.. وبالنظرة توديع ظفرت بها
قرأتُ فيها أحاديث الهوى صُحُفاً !
إن كانت العين مرآة الفؤاد فما
أظن قلبكَ إلا والهاً شَغِفا ...
وإنْ يكن « ماردٌ » التمثيل علمها
هذي الفنون .. فيا قلبُ انتبه وكفَى !



حوار الهلال مع

يحيى حقي

ينتقد ويحلل قصة كتبها منذ ربع قرن

- هل من الفن أن يتحدث الكاتب عما يكتب ؟
- ما أصعب أن تجد الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة

مجيد طوبيا

في حي السيدة زينب العريق ، وفي عطفة الثاني ولد ابراهيمي عيد الميلاد في ٧ يناير ١٩٠٥ أطلق صراخ وليد أسعد والداه « يحيى » .. عاش سنوات حياته الأولى مع أسرته في رحاب السيدة وحماها ، وكان لم يتجاوز الرابعة عشرة بقليل عندما قامت ثورة ١٩١٩ النتاج الطبيعي لثورة عرابي.. وعاصر نشأة المدرسة الحديثة في الأدب ، وصار واحدا من روادها نعرفه فيها باسم يحيى حقي ..

في عيد ميلاده السابع والسبعين ، الذي يوافق عيد الميلاد عند الغربيين ويوافق هذا العام أيضا المولد النبوي ... في هذا اليوم شاء أن يقدم لنا سابقة أدبية ، وهي أن يقوم هو بنفسه بتحليل ونقد أحد أقاصيصه .. ولعلها المرة الأولى التي يقدم فيها أديب مبدع على شرح وتفسير عناصر إحدى قصصه ، كل عبارة وكل كلمة ، وبشكل قد لا نجده عند النقاد المتخصصين

في البداية تردد وقال :

— يا أخ مجيد ، لي تحفظ ، وهو : هل من الأخلاق أو من الفن أن يتحدث الكاتب عما يكتب ؟ .. هذا أشبه بالخروج عن المألوف والطبع لشرح لفظة كتبتها للقصص ولم أقرأها ، التي لا زمتها في الكتابة .. لماذا أفعل هذا ؟! .. هل لأنني القصة في السن ظللت النص الوقت ؟! .. أم لأنني شعرت في الآخر بأنني مطالب بأن أبرر كيف الشخصيات ؟ .. وهل في هذا الشيء بعض النفع ؟! .. الأقصوصة هي : « الشاعر بصير » من مجموعة « أم العواجز » المنشورة عام ١٩٥٤

● **نص الأقصوصة :**

« الشاعر بصير »

انتهى الشاعر الهائم إلى حافة الغدير ، واستقر على حجر يلتمع كظهر الضب باحثا من معنى ضائع إلى قاعدة مطمئنة الخيال لم يتبع ، تركه الشاعر لنفسه عن سجيتها ، فاعانته على نفي ثقل الزمن ، وعلى الفناء في الوجود ، انسحبت الآلة الموسيقية الصاخبة وانطوت في معجن، ملء الأذان ، وجثا عليه الإلهام فسما إليه ، وكانت ينهضهما شهقة الأحبة بعد فراق .

طلعت اليمامة ترابية من غصن شجرة قريبة بالبيض واليسرة ، وكانت قد انطلقت من تنوعها حلو الأشعار المشروع ، فلما أحست أنه الشاعر الموهوب ، زفت إليه أجمل التغاريد ..

انسابت إليه المعاني والأنغام والأصداف فيايعها ، بريئة من الزيف والخداع ، ومن التلبس والغموض ، ولكن أين القلم ، حتى



● القصيدة اليتيمة ، أي التي ليس لها مثيل .. اليتم يعطيك انطباعا بالانفراد والتوحد ... !

بسطر ما يختلج فى طوايا نفسه ؟

جال شعاع طلته فى الفضاء فلما مر بالشجرة ، هبطت اليمامة من غصن الى غصن وهتفت به :

ـ سلمت ، ماذا تريد ؟

اتجه الى الصوت ، وابتسم وقال :

ـ هل لك يا اختاه ان تعطينى بريشة من جناحك اسطر بها الوحى الجميل ؟

قالت اليمامة :

ـ اليوم يومى ، وليس عند غيرى طلبتك وهات ريشة من جناح ، مثلها عنـدى كثير .

وهبطت اليه الريشة مع النسيم ..

لم يكد الشاعر يكتب بالريشة كلمتين او ثلاثا حتى ضاق ذرعا ببطئها فاستعجلها ، فانقصفت بين اصابعه .

ـ ايتها الاخت الحنون ! .. هلا اسعفتنى بريشة اخرى .



نزعت اليمامة ريشة بعثت بها اليـــه كانها قبلة .

وكان مصيرها مصير الريشة الاولى ..

وتتابع عطايا اليمامة للشاعر ، لم تمهلك بين يديه ، واحدة بعد اخرى ، حتى قال لها وهو ضجر يعلو صدره ويهبط :

ـ ريشة اخرى ، عجل ، عجل ..

لم يبق فى جناحها سوى ريشة واحدة صغيرة رقيقة ، كادت ان تختفى بين الزغب وخشيت ان يستخفها النسيم ويبتعد بها ، فهبطت اليمامة الى الارض ، كانها تهـوى من شاهق ، وسعت اليه متهالكة تحمـل عكازها بمنقارها ، وارتمت عند اقدامه تلهث بجراحها ، كسيحة اسيرة فى قبضـة الثرى .

وافتر الشاعر عن ابتسامة الفرح ، اعاد للكون ربيعه بعد ان صبغها بالوان نفسه الفتية .

وطاطات اليمامة راسها ، وقد غمرتهـا سعادة لا حد لها ، وضمت اليها بقـايا جناحيها العاجزين ، وجمعت شجاعتهـا ، ومدت له طوقها ، وسالته بعيون تفيض محبة وحنانا :

ـ ماذا كتبت ؟

ـ قصيدة .

ـ فيم ؟

فمنحها وجها تفيض عيناه بهجة وبشاشة وهو يقول :

ـ فى التغنى بجمال الطير وهو يسبـح بجناحيه فى جو السماء !..

● التحليل الفنى :

اعتدل يحيى حقى متاهبا لتحليل الصورة .. قال :

ـ نبدا بالعنوان : « الشاعر بصير » : وهذه الكلمة سنشرح فيها بعد حيث سيتضح منها ان الشاعر اعمى وليس بصيرا ... وستلاحظ حينما ياتى الكلام اننى لم استعمل الفاظا مثل « راى » او « نظر » وانمـا

ادار رأسه » او « التفت » الى اخره ، لانني اريد ان الغي عنه حاسة الرؤية .. وهنا نجد ان اللغة العربية لها هذا الجمال لانها تتيح لك ان تتلاعب ، فعندما تقـول بصير فانت تقصد اعمى .. نبـدا قراءة القصة .

ـ اول كلمة : « انتهى ... » .

ـ انتهى ... ما اصعب وما اشق ان نجد الكلمة الاولى وكذلك الكلمة الاخيرة ، البداية والنهايه .. واسارع واقول ان فى قصتى التى اسمها « احتجاج » وفيهـا عالم المرأة المسالمة التى اهينت وصبرت، فى آخر هذه القصة اقول : « وجلست تأكل وتبلع » .. تنتهى القصة عند كلمـة « تبلع » .. تعبيرا عن احساس الشخصية وانعكاسا لازمتها ، تشطب كلمة « تبلع » سقط القصة ، الى هذه الدرجة تحتـوى الكلمة اسرارا كثيرة ..

نعود الى « انتهى » فى قصة « الشاعر بصير » : كأنني اردت ان اداعب نفسى واداعب القارىء بان البداية كلمة انتهى ، وبهـذا المعنى تكتسب القطعة نوعا من الاستدارة ، لان اولها ينتهى فى اخرها ، وهذا الشكل المستدير او الكرة او اللفة او العجينة هو شرط اساسى فى كل عمل فنى .. يمكنك ان تشبهه بأن تضع الدقيق والماء والملح فى الماجور ثم تخبط وتخبط وتعجن وتعجن الى ان تلتف العجينة كلها ويصبح لها قوام واحد ، فهذه اللفة يمكن ان تسـميها استدارة ، الى ان تحس كأن المؤلف قد قطع كلمة وسواها ثم وضعها فى مكانها دون ان يكون بها انبعاجات او بروز او خلل .

كذلك توجد فى هذه الكلمة فعل حركة : انتهى .. واعترف اننى تنبهت لنصيحـة « سومرست موم » فى كتابة القصة القصيرة تقول : كلما بدأت القصة القصيرة بفعل دال على الحركة بدأت تعطى لقصتك نوعـا من الحركة .. لذلك كنت دائما الفت نظر الشبان الى ذلك فى قصصهم ، فبدلا من ان يقول الكاتب « كان محمد افندى عائدا الى داره » يقول « وعاد محمد افندى الى داره.. » وكلن يدخل « تصبح « ودخل » .. فكلما بدأت القصة القصيرة بفعل دال على الحركة كان هذا ادعى لان يبث فيهـا نوعا من النشاط ومن الحركة ..

ـ الا اذا استعملت « كان » بقصـد اضفاء جو من الذكرى والشجن على احداث تجترها الشخصية ، احيانا يكون بداية عدة جمل متتالية : « كان » امرا صائبا .

ـ طبعا ، ليس فى الفن قواعد ، لن ننسى هـذا .. وحتى لو كتبت عن الذكريات الماضية فانك ما تكاد تبدأ بكان حتى تتحول الجملة الى المضارع .

وهذا يدفع بصورة الماضى الى ان تتجسد فى مخيلة القارىء بشكل حاضر فى الآن .

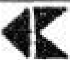
ـ ليس من الضرورى ان تظل تبدأ كل جملة بكان كان كان ، غير مستـاغ ... « كان يعيش فى بيت فقير ، اذا دخل المطبخ، واذا واذا .. الخ » وليس « كان اذا دخل المطبخ » ..

فى قصتى « البوسطجى » مثلا تجدنى اقول « دخل فلان الفلانى مكتبه » اى كنت ملتزما بهذا الاسلوب ..

ـ وطبعا نعود ونكرر بانه ليس فى الفن قواعد .. لكن لماذا هذه القصـة بالذات يا استاذ يحيى ؟

● استعباد الكلمة :

ـ لانها قصيرة جدا ولانك تجد فيها كل المبادىء التى التزمها نموذج يحتى ، وانا اتكلم فى هذه القطعة عن اخلاقيات الفن ، والقضية الشهيرة الفن للفن او الفن للحياة ومسئولية الفنان واخلاقياته واخلاقيـات الفن ، وهذه القطعة اخترتها لكل هذا ... ولحسن الحظ وجدت اننى اتكلم عن الشاعر وانا اعتبر بان الشاعر هو قمة الفن .. قد يجىء فى رأسى اعتراض خفى باننى كان يجب ان اقدمه موسيقيا لان الموسيقى هى



يحيى حقي



التجريد المطلق ، ولكن انت تعلم ان القيود هي التي تظهر الكفاءة وتظهر الموهبة ..

ـ احب ان نوضح المقصود بكلمة « القيود » منعا لاى لبس .

ـ قارن ما بين الموسيقى الذى لم يرث نسقا امامه وغير خاضع لنحو مطلق ، وبين الشاعر الذى ورث لغة ثبتت وقواعد ركزت وجميع الاجيال السابقة ضاغطة عليه ، دع عنك قواعد البحر والقافية . ورغم كل هذه القيود يستطيع ان يصل الى قمة التعبير الفنى ويهز وجدان القارئ هزا شديدا مثل الموسيقى ، ولكن الموسيقى متحرر جدا بينما الشاعر غير ذلك ، فهو غير متحرر من سلطان اللغة لانه يكتب بها فهو مضطر لان يخضع لها ، لذلك اقول ان فى الكتابة الادبية قيدا فان كل لفظ نكتبه هو مستعبد، لانك قسرته قسرا على ان يدخل فى هذا النسق او السياق ولكن بشرط ان يبدو انه حر ، ومع ذلك فهو مستعبد ..ولحسن الحظ جاء الكلام عن الشعر ..

ونقرا الكلمة الثالثة فى القصة :

ـ « انتهى الشاعر الهائم .. »

ـ هنا تتجلى عبقرية اللغة العربية كما حدثتك عنها ، فكلمة « الهائم » تعطينى معنيين انا اقصدهما : فهو هائم وجدا وغراما وهو هائم على وجهه اى شارد .. فهذه كلمة واحدة تعطيك معنيين وانا اقصدهما ولا افصح عنهما ، يكفى ان اقول هائم ... لنكمل ...

ـ « انتهى الشاعر الهائم الى ضفة الغدير »

ـ هنا كلمة غدير اتعبتنى تعبا شديدا وربما تكون هذه الكلمة هى المشكلة الوحيدة لى فى هذه القطعة ، لانك ان سالتنى ان كنت قد رايت غديرا اقول لك لا اعرف هل لدينا غدير ؟ .. قد نقول الترعة ولكن الترعة تعطينى معنى اخر لان الغدير هو مجرى صغير ، احيانا نقول عليه جدول .. ولكن فى ذهننا هنا فى مصر ترعة واحيانا بركة . وان كانت كلمة « بركة » سيئة السمعة ..

ـ جدا . ومنذ ان كانت كتب الابتدائى تطالبنا بردم البرك والمستنقعات لمحاربة الناموس والذباب والبلهارسيا .

ـ انا لم ار غديرا او احسست به ،ولكن من قراءاتى اخذت فكرة ان المياه بمتسابة رقيقة عذبة صافية ، ثم ان جرس الكلمة ذاته جميل جدا .. انا خضعت فى هذه

الكلمة ـ وانا اسف ـ الى موسيقيتها ، وانها على كل حال تؤدى المعنى الذى قصدته
.. ماذا بعد ذلك ؟

« واستقر على حجر يتيم مخضر المشيب »

ـ بعد الهيام يأتى الاستقرار ، كل هيام يأتى بعده استقرار .. ثم « حجر يتيم » ما معنى كلمة « يتيم » فى اللغة العربية ؟

ـ من ليس له اب او ام ، او النادر الفريد ..

ـ القصيدة اليتيمة اى القصيدة العصماء ليس لها مثيل .. الحجر اليتيم ، الحجر النادر .. ايضا اليتيم يا مجيد يعطيك انطباعا بالانفراد وبالتوحد .. ثم لا تنس انه ليس تحت ايدينا كتاب يحث على الانتباه لليتيم والعطف عليه والرفق به مثل القرآن وهذا بسبب ان الرسول كان يتيما ، تربى اولا فى بيت حليمة ثم فى بيت جده ثم فى بيت عمه ، لهذا نجد القرآن الكريم حقيقة يحث على الرفق باليتيم .. وعلى هذا فاليتيم يعنى منفردا فى حالة انعزال ثم نادرا ثم ليس له مثيل .. الآن نكمل الجملة :

« واستقر على حجر يتيم مخضر المشيب » :
يقولون عندنا فى اللغة العامية : « طلعت له اسنانه الخضر » دليل على القدم ، والاحجار القديمة ينبت عليها شىء من العشب المخضر هذا ما قصدته ، لون الحجر وقدمه .. فالكاتب يجب ان تكون له شوارب تلمس القارىء من كل مكان وتوقظ فيه احاسيس كثيرة ، وليس مجرد معان مسطحة ، بل تحركه بعض الشىء .. نكمل القراءة :

ـ « .. احاله من معنى ضائع الى قاعدة مطمئنة لتمثال بديع »

ـ حينما يحل الفنان بمكان تتغير معانى الاشياء ، لان له حضورا تنعكس فيه الطبيعة وتنطلق وتتحرك .. وعلى هذا فبمجرد ان جلس على هذا الحجر لم يعد حجرا ، اصبح قاعدة مطمئنة لتمثال فذ بديع ، لانه هو



يحيى حقى وصديقه زكى طليمات فى صورة تذكارية خلال رحلة الى الصين ..

شخصيا فنان .. لماذا مطمئنة ؟ : لانها وجدت قضاءها ووجدت قسمتها ، ولانها كانت موجودة فى مكانها ضائعة او ناقصة فى انتظار مجىء فنان يقعد عليها ، كانها كانت تبحث عن شىء ضائع .. ثم ؟

ـ « ترك الشاعر نفسه على سجيتها » .

ـ هذا قول شرط فى الابداع الفنى ، ان يترك الفنان نفسه على سجيتها

ـ « فاعانته على فض اغلال الزمن ...

ـ اعانته اى نفسه ..

ـ « وعلى الفناء فى الوجود »

ـ هنا ايضا التلاعب بالالفاظ .. فى دعوانى الاول : « اللهم افننى فى ملكوتك » .. نحن جزء من كل ، مثل « الصمولة » لا نجد الراحة الا اذا وضعنا فى مكاننا الصحيح من هذه الالة الضخمة التى هى الكون ، واكبر تعاسة ان تحس بانك لست فى مكانك .. « الفناء فى الوجود » لانه وجد حين فنى ، وهذا احساس صوفى هنا ..

ـ « فسمعت الاذن الموسيقى الصامتة » .

ـ عندما تتامل السماء والافلاك فى حركتها



يحيى حقي

غير مستساغ أن تظل تبدأ كل جملة بكان، كان، كان..... !

الدائبة تكاد تتصور ان هناك موسيقى ، وهذا احساس يلحق بالتصوف ، وفي القرآن « وان من شيء الا يسبح » ، وحتى الحجر يكاد يسبح .

– « وانطوى في محجره مدار الافلاك»

– محجره : العيون ليست مستديرة بل هي بيضاوية ، ومجاري الافلاك بيضاوية.. محجر العيون معمول كأنه نجم أو فلك ..

– « وحنا عليه الالهام فسعى اليه »

– الالهام لا يهبط على رجل بليد قعيد ساكن غير متحرك ، فهناك حركة متبادلة : الالهام يحنو ، فيسمو هو اليه .. لابد أن تكون هناك حركتان متلازمتان ، نزول من فوق وطلوع من تحت .

– « وكانت بينهما ضمة الاحبة بعد فراق .

– وهذا يذكرك ايضا بحال الرسول سيدنا محمد حين انقطع عنه الوحي في وقت من الاوقات ، اضطرب اضطرابا شديدا فلما جاءه الوحي كان فرحا .. فنجد ان هذه الضمة كانت بعد فراق ، وهذا يدل على ان الشاعر ليس مفروضا فيه ان يكتب كل يوم قصيدة .

– « طفقت اليمامة تراقبه من غصن شجرة قريبة ، باليمنى واليسرى »

– اي بالعين اليمنى مرة ثم اليسرى ، وحذفت كلمة العين هنا منعا للثرثرة

– « وكانت قد انقطعت عن شدوها حذر الانسان المشؤوم فلما احست انه الشاعر الموهوب زفت اليه اجمل التغاريد .

– بدأت تتعاون معه لانها مغردة مثله ..

– « اسلمت اليه المعاني والانغام والالفاظ ليأدها ، بريئة من الزيف والخداع ، ومن اللبس والغموض ، ولكن اين القلم حتى يسطر ما يختلج في طوايا نفسه ؟ .. جال شعاع مقلتيه في الفضاء »

– هنا ايضا « شعاع مقلتيه » : لم اقل نظر او رأى ، كأنه ليس بصيرا .. انه شعاع خارج من نفس الجسم .

– « فلما مر بالشجرة ، هبطت اليمامة من غصن الى فنن وهتفت به : سلمت ، ماذا تريد ؟ »

– انظر كم هي جميلة هذه التحية

– « اتجه الى الصوت .. »

– حركة اعمى ، لان الشاعر بصير !

– « وابتسم وقال : هل لك يا اختاه ان تسعفيني بريشة من جناحك اسطر به الوحي الجميل ؟ .. قالت اليمامة : اليوم يومي ، وليس عند غيري طلبتك ، وهاتت ريشة من جناح ، مثلها عندي كثير .. وهبطت اليه الريشة مع النسيم .. ولم يكد يكتب بالريشة كلمتين او ثلاثا حتى ضاق ذرعا ببطئها فاستعجلها ، فانقصفت بين اصابعه »

– انظر تلبي نفحته في طلبه العاجم ثم الذي يليه مع تصاعد انفعاله ..

– « ايتها الاخت الحنون ! هلا اسعفتني بريشة اخرى .. نزعت اليمامة ريشة بعثت بها اليه كأنها قبلة ، وكان مصيرها مصير الريشة الاولى .. وتتابع عطايا اليمامة للشاعر ، ثم تهلك بين يديه ، واحدة بعد الاخرى حتى قال لها وهو ضجر يعلو صدره ويهبط : ريشة اخرى ، عجل ، عجل .. لم يبق في جناحيها سوى ريشة واحدة صغيرة رقيقة ، كادت ان تختفي بين الزغب وخشيت ان يستغلها النسيم ويبتعد بها ، فهبطت اليمامة الى الارض ، كأنها تهوى من شاهق .. »

– لانها بلا ريش ..

– « وسعت اليه متهالكة تحمل عكازها بمنقارها .. »

– اى ريشتها الاخيرة !

– « وارتمت عند اقدامه تلهث بجراحها ، كسبيحة اسيرة فى قبضة الثرى »

– غير قادرة على الطيران !

– « واقتر الشاعر عن ابتسامة الفرح اعاد للكون وديعته بعد ان صبغها بالوان نفسه الفنية »

– هذا هو الفن كما تقول عنه ، انت لا تنقل كالكاميرا ، انت تاخذ من الكون ثم من نفسك ثم تمزج وترج وتصفى ثم تعيد .. فما معنى هذا يا مجيد ؟

– ان الفنان ياخذ مفرداته من الكون ويعيدها من داخل نفسه مصبوغة باحاسيسه

– هنا ايضا تشخيصكم لنظرية الفن والابداع .. اكمل من فضلك .

– « وطاطات اليمامة راسها ، وقد غمرتها سعادة لا حد لها وضمت اليها بقايا جناحيها العاجزين ، وجمعت شجاعتها ومدت له طوقها »

– هنا « طوق الحمامة » : كتاب مشهور لابن حزم عن الحب والمحبين .

– « وسالته بعيون تفيض محبة وحنانا : ماذا كتبت ؟؟ .. قصيدة .. فيم ؟ ... لمنحها وجها تفيض عيناه بهجة وبشاشة وهو يقول : فى التغنى بجمال الطير وهو يسبح بجناحيه فى جو السماء ! »

– لاحظ هنا : ثلاث جمل حوارية متتالية دون فاصل .. اما الرد على سؤال : فيم ؟ .. منذ قطعته بجملة وصفية تجهيزا للجواب الذى اريد ان اركز عليه كى ينزل كطعنة سكين .. والجملة الوصفية وجوابه يجسدان القسوة الشديدة وتناقض الموقف ما بين الفن والحياة .. فانا اريد ان اقول من هذه القطعة ان الشاعر اعمى ، هو يريد ان يتغنى بجمال الطائر ولم يتنبه لما فعله فيه !! .. وهذا معنى ان الشاعر اعمى وليس يبصر !

● وماذا عن القارىء ؟ :

– طبعا لاحظت يا مجيد ان القطعة كلها فيها قسوة شديدة ، ولكن القصد منها هو البحث فى اخلاقيات الفن .. هل يجوز للشاعر ان يفعل هذا ؟ .. هل يجوز ان يطا بقدمه على مخلوق من اجل كتابة قصيدة؟ .. هل له ان يضحى بهذه اليمامة فى سبيل ان يكتب قصيدة ؟ .. فى نظرية الفن للفن يقولون ان الشاعر ليس له اخلاقيات البشر هو يتعدى هذه الاخلاقية وان الفن له اخلاقية جمالية اخرى لا علاقة لها بهذا ! .. هذه القطعة تحارب الى حد ما هذا الاتجاه وتبين ان الفنان فيه يكون لا علاقة له بهذه القضايا الاخلاقية لان اخلاقياته هى اخلاقيات الفن .

– ولكن يا استاذ يحيى ، بعد هذا الشرح الدقيق الممتع هناك سؤال وارد : هل مفروض ان يتنبه القارىء الى كل هذا ؟

– هذا سؤال ينبغى الا يخطر على خاطر الكاتب ، لانه لا يكتب لقارىء معين ، هو يكتب ليقترب من صورة مثالية فى ذهنه يحاول ان يصل اليها جائز انه لا يصل اليها مائة فى المائة ولكنه على اية حال يحاول .. اى انه يختم فى شىء لا دخل له بالقارىء وهو مثله فى ذهنه .. ولكن هذا الشغل يضفى على القطعة تركيباتها وتعقيداتها وغزلها الدقيق والنسج مثل سجادة عجمى وليست حصيرة صلاة من عرقين ، فالقطعة الفنية يجب ان تكون مجدولة وكلماتها فى موضوعها ، بالشغل وليس بمجرد الوحى والالهام كما يظن البعض ، وبشرط ان يبدو كل هذا الشغل وكانه مرتديا ثوب الحرية والانطلاق .. هذه هى المسالة!! لا يجب ان يسال الكاتب ان كان القارىء سيتنبه لكل هذه التفاصيل يكفى انها تعطى العملية شكلها وحياتها .

●

وكانوا



المثل الاعلى للصوفية هو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يتخلقون باخلاقه، ويحاكون ما أثر عنه من افعاله .. ولما كان المزاح ـ البرىء من شوائب السخرية او الاهانة ـ عامل ترويح للقلوب ، وتجديد للنشاط ، فقد أثر جانب منه عن رسول الله وكبار الصحابة والتابعين ، ومن استنوا بسنتهم ..

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « اما انى لامزح ، ولا اقول الا حقا » ..

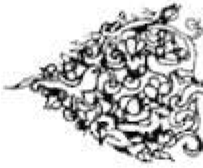
عن انس ، قال : جاء رجل الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ، احملنى على جمل ، فقال : « احملك على ابن ناقة » ، فقال : اقول لك احملنى على جمل ، وتقول احملك على ابن الناقة ؟ فقال عليه السلام : « فالجمل ابن الناقة » ..

وروى عن صهيب : اتينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين يديه تمر يأكل ، فقال : « اصب من الطعام » ، فجعلت آكل من التمر ، فقال : « اتأكل وانت ارمد ؟ » . فقلت : انى امضغ من الجانب الاخر ، فضحك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وعن يحيى بن ابى بلتعة قال : ان عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : اتيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحريرة طبختها له ، وقلت لسودة ـ والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها ؟ كلى ، فابت ، فقلت : لتأكلن او لالطخن بها وجهك ، فابت ، فوضعت يدى فى الحريرة .. فلطخت بها وجهها ، فضحك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضع فخذه ، وقال لسودة : الطخى وجهها ، فلطخت وجهى ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، فمر عمر ـ رضى الله عنه ـ على الباب ، فنادى ، يا عبد الله ، ياعبدالله .. فظن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيدخل ، فقال : قوما فاغسلا وجهيكما ، فقالت عائشة ـ رضى الله عنها : فمازلت اهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه .. اى لعمر ..

وروى ان عجوزا من الانصار اتت الرسول ، فقالت : يا رسول الله ، ادع لى بالمغفرة ، فقال : « اما علمت ان الجنة لا يدخلها العجائز ؟ » فصرخت ، فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : « اما قرأت من القرآن قول الله عز وجل : « انا انشأناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا ، عربا اترابا » ؟





يمـزحون

د. كامل سعفان

وأتته اخرى في حاجة لزوجها ، فقال لها : ومن زوجك ؟ فقالت : فلان ، فقال لها : الذي في عينه بياض ؟ فقالت : لا ، فقال : بلى .. فانصرفت عجلى الى زوجها ، وجعلت تتأمل عينيه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : اخبرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ان في عينيك بياضا ، فقال : اما ترين بياض عيني اكثر من سوادهما ؟

***

وكان نعيمان الانصاري لا يدخل المدينة باعة طرف الا اشترى منها ، ثم اتى بها النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : يا رسول الله ، هذا قد اشتريته لك ، واهديته لك ، فاذا جاء صاحبها يتقاضاه الثمن ، جاء به الى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : يا رسول الله .. اعطه ثمن متاعه ، فيقول له – صلى الله عليه وسلم – : أو لم تهده لنا ؟ فيقول : يا رسول الله ، انه لم يكن عندي ثمنه ، واحببت ان تأكل منه ، فيضحك النبي – صلى الله عليه وسلم – ويأمر لصاحبه بثمنه ..

وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا ، فلما بايعه النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء ، وذلك قبل ان تنزل آية الحجاب ، افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها ؟ وعائشة جالسة تسمع ، فقالت : أهي احسن ام أنت ؟ فقال : بل انا احسن منها واكرم، فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من سؤالها اياه ..



..هكذا كان مزاح الرسول مع اصحابه .. ومزاح اصحابه معه ، لا يخدش حياء .. ولا يسقط مروءة ، ولا يميت قلبا .. وكثيرا ما يعتمد على سرعة البديهة، كأنما اريد به ان يكون المؤمن كيسا فطنا ، وقد يراد به تقريب ما بين النفوس لمزيد من الالفة والمؤانسة ..

تقول السيدة عائشة – رضي الله عنها – وقد سئلت : كيف كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اذا خلا في البيت : كان الين الناس ، بساما ، ضحاكا ..

وروت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم – سابقها فسبقته ، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها ، فقال : « هذه بتلك » ..

بساطة ، وسهولة ، ويسر ومعاشرة رفيقة ، واخلاقية مودة ومحبة ، وسيرة كريمة نبيلة مضى عليها كرام المسلمين من بعد ..

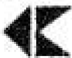
وقال رجل لغلام : بكم تعمل معي ؟ قال : بطعامي ، فقال له : احسن قليلا ، قال : فاصوم الاثنين والخميس ..

وقيل : ان بعض الصوفية قرض الفار خفه ، فلما رآه تألم ، وقال :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقيل لابي يزيد البسطامي : ما نراك تشتغل بكسب ، فمن اين معاشك ؟ فقال: مولاي يرزق الكلب والخنزير ، تراه لا يرزق ابا يزيد ؟

تبدو السخرية هامسة ، واعية ، واعظة ، صادرة عن قلوب قانعة ، خاشعة ، ذابلة ..



وكانوا يمزحون



روى أن القشيري وقف عليه شيخ من الاعراب ، فقال : يا اعرابي ، من انت ؟ فقال : من بني عقيل ، قال : من اي عقيل ؟ قال : من بني خفاجة ، فقال القشيري : رايت شيخا من بني خفاجة ، فقال الاعرابي : ما شانه ؟ قال : له اذا جن الظلام حاجة ، فقال الاعرابي : ماهي ؟ قال : كحاجة الديك الى الدجاجة . فاستغرب الاعرابي ، وقال : قاتلك الله ، ما اعرفك بسرائر القوم ..

منبسطة ، ومؤانسة ، ودعابة ادبية ناعمة الملمس ..

.. ومع ذلك ، فهناك من يضيق بـ زاح .. كل المزاح ..

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن اكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه .

لكن قول عمر لا يصلح دليلا ، لانه قيد قوله بالكثرة ، وربط الكثرة بموقف الاخرين منه ، فاذا خلا عمر بنفسه وباولاده كان من هيبته ، وانبطح ليركب الاولاد ظهره ، فاذا رآه احد عماله على هذا الحال ، وانكر منه ، عزله ، لان « من لايرحم لايرحم » ، فاذا كان لايلين لاولاده ، فكيف يلين لرعيته ؟ !

والمداعبة لين .. لكن ، مع الاقتصاد ، فالاسراف في كل شيء ينتقل بالمحمود الى المذموم ..

قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مزاحك ، فالافراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرئ عليك السفهاء ، وتركه يغيظ المؤانسين ، ويوحش المخالطين ..

وله ايضا : يا بني ، لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدني فيجترئ عليك

وقد يتخذ هؤلاء المودعون من الفكاهة وسيلة كيد ، عساهم يصلون الى قلوب الاخرين ، فيغيرون من سلوكهم الذي ينكرونه عليهم ..

● علاج ناجع !

شكا مريض الى احد الاطباء من انه حين يستيقظ من النوم كل صباح يحس « بدوخة » تدوم لمدة نصف ساعة ، وبعدئذ يفيق ويصبح على ما يرام .

فقال له الطبيب مازحا :

ـــ المسالة في غاية البساطة .. لا تستيقظ الا بعد ان يمضي نصف الساعة !!

مع
هذا
الكتاب

الرواية السياسية

تأليف: أرفنج هاو
تقديم وترجمة
د. طه وادى

تقديم :

تعد « السياسة » محورا فكريا من اهم العناصر التى تعتمد عليها الرواية المعاصرة ، وايا ماكان نوع الاطار الاجتماعى الذى يكشف عنه عالم رواية اليوم ، فان الذى لا مراء فيه ، هو هذه الظاهرة الادبية اللافتة - الا وهى ، التحام السياسة البارز ، وتمكنها من ان تشغل حيزا واضحا داخل بنية الرواية ...

ولكن السياسة فى الروايةعمل شائك بقدر ما هو شائق ... ومميزة بقدر ما هى صعبة . وكما ان انسان اليوم - خالقاو متلوقا - يمكن ان يعرف بانه كائن سياسى ، له أيديولوجيته الخاصة ، او على الاقل - موقفه - الواعى او اللاواعى - الذى يعبر عن انتمائه الفكرى وبالتالى عن رؤيته السياسية ، فكذلك الحال بالنسبة للرواية المعاصرة ، فقد اصبحت - فى الغالب الاعم - تجعل من الموقف السياسى او من الافكار السياسية المطروحة - على الاقل - احدى اهتماماتها الاصيلة او البارزة .

بل ان الامر كذلك بالنسبة للقارىء المعاصر ، الذى اصبحت الرواية - بله ان يكون الفن كله - تجيب له ، او تناقش معه - على الاقل - قضية سياسية أو حدثا سياسيا . على الجملة ، فقد اصبحت « الرؤية السياسية » احدى سمات الانسان والفن المعاصرين ، بل لقد اصبح التعامل بها - معيارا كافيا لتقدير الره وتقييم الفن .

وعلى هذا فان الرؤية السياسية - سواء تبدت بشكل مباشر او رمزى او ضمنى ، أم من قريب او بعيد - قد اصبحت امرا لا محيص منه اليوم ...

وهذا الفصل - الذى نقدم لترجمته - يشكل الباب الاول من كتاب بعنوان « الرواية السياسية » للكاتب الامريكى«ارفنج هاو » وهذا الباب - وحده - هو الذى يتناول بشكل نظرى فكرة الرواية

الرواية السياسية



السياسية ، التي حرصنا على تقديمه – لاهميته من ناحية ، ولان ارفف النقد العربي تكاد تخلو منه تماما من ناحية اخرى .

والكاتب يبين فيه خطورة استخدام السياسة « كموضوع » في الرواية . كما يبين – بشكل ذكي – ان ليس المهم بالنسبة للناقد هو تحديد نوع الرواية ، وانما – كيف يحسن الناقد التحليل الفني ، ويقنع به قراءه . كما يناقش قضية الرواية السياسية كعمل ادبي .. فهل هي توصف كذلك بحكم المضمون أم برغبة الناقد ؟ ويبين انها – في الحق – نوع من الرواية تكون فيه العلاقة بين الرواية والسياسة مثيرة الاهتمام – حيث تلعب فيها الافكار السياسية الدور الغالب – بما يكفي لتحليلها من هذه الزاوية .

كما يوضح الكاتب دور الروائي السياسي .. وكيف يكون قادرا على تناول الافكار السياسية بشكل مغاير لما توجد عليه في برنامج سياسي . وان المهمة السامية أمام الروائي السياسي هي أن يجعل الافكار والايديولوجيات حية ومقنعة في اطار حركة الشخصيات الروائية .

كذلك يناقش الكاتب في النهاية الامتحان العسير الذي يقف امامه كاتب الرواية السياسية وقارئها على السواء ، حيث يلتقيان لقاء غير سهل ليكشفا عن معتقداتهما في لقاء صاخب .. وكيف يمكن أن يتجاوزا ماقد لا يتفقان فيه – وهو الرأى السياسي – الى مايجب ان يتحدا فيه – من حيث المعرفة العامة والرابطة الانسانية .

هذه – باختصار شديد – بعض ماحدا بي الى ترجمة المقال – وذلك بعض عناصر الموضوع المترجم . وغاية ما أرجو من التقديم المكتوب والمقال المترجم ان يثيرا من نقاط المناقشة وان يحركا من قضايا البحث اكثر مما يجيبا .. الا انني – أعتقد بحق – ان الطرح الجيد للقضية ، يقود – بالضرورة – الى سبيل السير الصحيح نحو حلها .

وعنوان هذا الفصل هو : The idea of the Political novel

واما الكتاب المترجم عنه فقد نشر في الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة منذ ١٩٥٧ – والطبعة المستخدمة منه هي طبعة سنة ١٩٦٠ . وهو : Politics and the novel. By Irving Howe

« السياسة في عمل ادبي مثل طلقة مسدس وسط حفل موسيقي ، عالية الصوت وسوقية الى حد ما ، ولكنها شيء غير ممكن رفضه لجلب الانتباه » .

هذه الملاحظة – التي ذكرها الروائي ستندال Stendhal بعيدة الغور لان من يعنيه ستندال في كل الحفل هو الذي يقاطع بطلق ناري ، ويضطرب لدرجة انه لا يستطيع مواصلة الاداء . فما الذي يحدث للموسيقى عندما يطلق المسدس ؟ وهل يمكن أن يصبح صوت الطلقة جزءا من العزف الموسيقي ؟ ومتى يكون هذا القطع مرحبا به ، ومتى يستاء منه ؟

وحين نحاول الاجابة على مثل هذه الاسئلة ، فاننا نعود مباشرة الى الحفل متخيلين اثر ذلك النشوز المتنافر – الذي سوف يشكل موضوعا – والذي فطن اليه ستندال ، ولكنه لم يصفه . انه ينبغي علينا للحظة واحدة ان نختبر عددا من الروايات التي يغلب عليها استعمال السياسة ، وقد تشكل كل منها وتلون

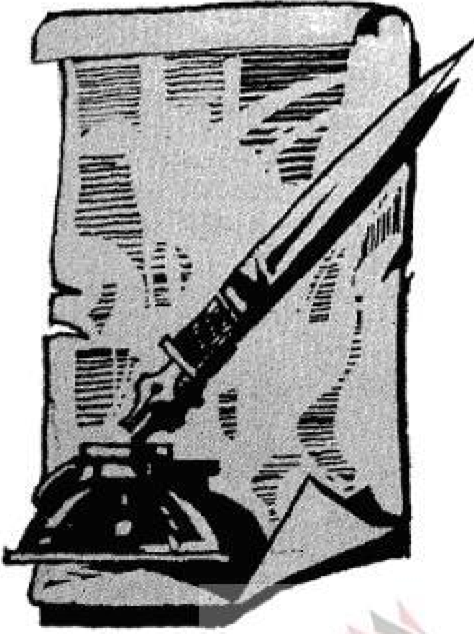
باختلاف واضح من الفكر الحديث Modern thought لنرى التحدي القوى الذى تفعله السياسة فى الرواية ، وربما فى الخيال الادبى .

ولكن علينا ان نتأمل قليلا فى بداية الامر .

ان التسميات والتقسيمات والتعريفات ـ التى يجب ان تراعى بدقة فى الرواية ـ لا تهمنى هنا كثيرا ، وسواء وصفت الرواية بأنها سياسية او نفسية « سيكلوجية » ـ وهذا الوصف غالبا ليس سوى وسيلة اقناع ـ فانه يبدو ايضا تافها بجوار التساؤل عم يخطر ناقد خاص الى ان يحشد خبرته المتراكمة ، ويقترح استعمال واحد أو آخر من هذه التسميات ؟

وما وجهة نظره التى تجعلنا نرى العمل بشكل اوضح .. وما اتجاه التحليل الذى يستعمله الناقد ، أو ما هو حجم الرؤية التى يسيطر عليها ، لكى يقنعنا حتى « نوافق » على تصنيفه ، او ربما « نوافق » على تبنى وجهة نظره ؟

وعندما اتحدث فى الصفحات التالية عن الرواية السياسية ، فليس لى طموح الى ان انتهى الى تقسيم صارم الحر ، اذ اننى لست مهتما بالتقسيم المذهبى وانما بالانطباعات التى توحى بها الملاحظة وللتأكد من ان تقسيمات النوع يمكن ان تكون مجدية فى التحليل الادبى ، فالنقاد يرون انه يجب أن ندرب لتجنب التوقعات الزائفة او غير المتعلقة بالموضوع ، وان نستعد للتحدد المرن ، لنصل الى التوقعات المضبوطة ، كما يلفت النقاد انظارنا ايضا الى انه عندما نأخذ شاهدا مالوفا فينبغى ان يظل مثالا صالحا ، كما يجب الا نتوقع فى السرد والقص الطويل حول ما لم يظل رواية ما نجسده عندما نقرأ شعرا غنائيا ولكننا حين نتحدث بدقة عن الانواع الادبية ككل ونستخدم هذه التعريفات المألوفة مثل الرواية السياسية أو النفسية فان ذلك لا يوضح اى تقسيمات اساسية للشكل . ومن الضرورى أن تشير الى الوضوع السائد او الاتجاه المؤكد عند



الكاتب فى صياغة الموضوع . وربما كانت هذه طريقة ملائمة Convenient للتحدث عن مجموعة خاصة وقليلة من الروايات .

وانا اؤكد على هذا النقد التطبيقى ـ والتسليم بالنقد العملى ـ لانها خبرتى التى تصدر عن نوع خاص من العقل ، والذى يمكن تسميته ببساطة واختصار ـ العقل الجامعى Academic mind الذى يعتمد على تمييز دقيق للمذاهب .

واذكر انى سئلت بعد محاضرة عما اذا كانت « قصة مدينتين » « رواية تشارلز ديكنز » يمكن أن تعد رواية سياسية ؟ وقد تحيرت لحظة ، حيث لم تكن

الرواية السياسية



« الرواية السياسية » تمثل اهتماما حقيقيا بالنسبة لي : انها – كما انا متأكد الان – نوع من القضايا التي ينبغي على المرء ان يبحثها وقد اجبت في النهاية ان المرء يمكن ان يفكر فيها اذا اهتم بها . ولكن هذه الفائدة المتواضعة كان يجب ان تستمر ، وان قصة « سدني كارتون » لم تكن مادة ذات جدوى مثيرة بالنسبة لهذا التساؤل . ثم اضفت بعد ذلك ان المقصود بالرواية السياسية – هو الرواية التي يجب تحليلها من حيث هي رواية سياسية ، لانه من الواضح ان المرء لا يريد معالجة معظم الروايات من هذه الناحية ، كما انه ليس هناك مبرر لذلك

وربما كان من الافضل القول بأن هذا الموضوع يبحث العلاقة بين السياسة والادب ، وان مصطلح « الرواية السياسية » يستخدم كمجرد اختصار للحديث عن ذلك النوع من الرواية التي تكون فيها العلاقة بين الرواية والسياسة مثيرة للاهتمام بما يكفي للبحث . ولكن العلاقة بين الادب والسياسة ليست دائما واحدة ، وهذا ايضا جزء من موضوعي لتوضيح الطريقة التي تتحكم بها السياسة دائما في نوع من الروايات ، ولتحليل الاسباب التي تؤدي هذا التغيير .

ولكن ما الذي اقصده بمصطلح « الروايه السياسيه » المستخدم هنا ؟ انني اعني به الرواية التي تلعب فيها الافكار السياسية الدور الغالب او التحكمي ، بيد ان توضيح كيفية « التحكم » ضرورية ، لان كلمة تحكمي تحتاج الى تحديد . وربما كان من الافضل القول بانها الرواية التي نتحدث عنها لتظهر غلبة افكار سياسية Political Ideas او محيط Milieu سياسي انها رواية تظهر هذا الافتراض بدون وسيلة صعبة لاى تحريف نقدي ، ويتبع ذلك امكانية كسب بعض تحليل منطقي .

ولنعرف للحظة مشروعا مبسطا لنمو الرواية . ان هناك انواعا مختلفة من الكتابات النثرية تقترب من شكل الرواية كما نعرفه ، منها : « البكارسك Picaresque ومعناها : حكايات الشطار ، ويمكن ان يقابلها في الادب العربي « المقامات » والقصص الرعوية Pastoral idyll والرومانس « ومعناها الحكايات الخيالية اوالقصص الشعبية » ، ثم هناك الحوليات التاريخية والتحقيقات الصحفية المبكرة .

واهم الانواع التي ذكرت هو « البكارسك » وقد ازدهرت خلال فترة كانت البرجوازية قد اثبتت فيها لنفسها امكانية أن تكون طبقة ضرورية ، غير انها لم تكن قادرة على الاستيلاء كلية على القوة السياسية . وكانت حكايات « البكارسك » علامة على حيوية وصحة الحياة الاجتماعية التي قدمتها بشكل واسع وجيد في صورتها اللا اخلاقية . وقد اقترحت احتمالات جديدة للتحول الاجتماعي من خلال نموذج « البطل المحتال » الذي استطاع أن يحطم الحواجز الطبقية مشيرا الى حماقتها غير الخالدة ، وكانت شجاعته هذه تجعله يبدو ساخرا متوقعا سيطرة المجموعات الاجتماعية التي سوف تحتل مكانا سريعا في القرن التاسع عشر . ومهما يكن من شيء فقد عكست حكايات « البكارسك » قدرة المجتمع على احتواء

الصدمة من الثورة البرجوازية ، وكان الاطار الذى يتحرك فيه البطل المحتال مسرفا ومحتالا ، حيث عبر بطريقة عجيبة وخفية وجديدة عن التجربة كنموذج حياة .

وحين ننتقل من « البكارسك » الى الرواية الاجتماعية Social novel فى القرن التاسع عشر ، نجد ان هناك تغيرا اساسيا فيما تؤكده ، وبينما عكست « البكارسك » الانفتاح التدريجى للمجتمع نتيجة الحركة الفردية فان الرواية الاجتماعية قد أوضحت نجاح هذه الحركة فى الانتصار السياسى لطبقة التجار وفى حين فجر البطل المحتال الفوارق الطبقية المختلفة للمجتمع بروح حب استطلاع « فهو لم يكن يخضع بعد لفكرة الحياة داخل المجتمع » ، فان البطل الحقيقى لروايات القرن التاسع عشر كان لابد ان يختبر نفسه ، ويمتحن فيه فى مواجهة مخلفات الطبقة الارستقراطية والتضخم الرمزى للعالم التجارى الحديث الذى انكر مفاهيمه .

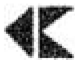
وعندما بدا المجتمع البرجوازى يفقد تماسكه وحيويته ، بدأت الرواية الاجتماعية تنحدر مترسبة فى نماذج ملائمة او تأخذ اتجاهات مختلفة ، واكثر هذه الاتجاهات بعدا وقيمة الرواية ذات الحساسية الخاصة Privat sensibility التى احتلت مركزا عاليا من النجاح وبلغت قمة من التقدير لم تسبق اليها ، وكذلك بدائيها الرواية ذات الاهتمامات الشعبية والسياسية ، التى يمكن تبرير الشعور بمنافستها الغريبة الخاصة .

وقد حققت الرواية الاجتماعية دائما قدرا من المكانة الاجتماعية ، لان الروائى كان يحرص دائما على تقديم السلوك الواقعى « بقطع شريحة من الحياة »حيث كان على المجتمع ايضا الا يفر من «سكين» الروائى ، وهذه الطريقة كانت لا تزال موجودة ومعتبرة فى انجلترا خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .

وقد كتبت افضل الروايات الاجتماعية بواسطة « جين اوستن » الفنانة العظيمة التى كانت تملك قدرة فائقة على ان تمنح المجتمع الحياة القائمة ـ التى هو عليها ـ كما ظهر امام عينيها ، سواءاكان هناك نابليون او لم يكن . وبعد قليل لم يكن من الممكن ان يظل المجتمع ثابتا امام نظر اى شخص ، واصبح اهتمام الروائى ـ ليس بعوامل المجتمع وظروفه وانما بقدر المجتمع ومصيره .

انه عند تلك النقطة بدا يظهر ذلك النوع من الكتب الذى اسميته الرواية السياسية ، التى بدىء فى كتابتها ـ ذلك النوع « من الرواية » الذى تنفصل فيه « فكرة المجتمع » عن مجرد اعمال المجتمع التى لا يسأل عنها ، والتىوصلت الى لا شعور الشخصيات بكل مظاهرها العميقة المثيرة للمشاكل ، لدرجة انها تلاحظ فى تصرفاتهم ، وهذه الشخصيات نفسها دائما واعية بانتماء او تماثل ايديولوجى سياسى متناغم ، وهى الان تفكر على اساس تاييد او مجابهة المجتمع حيث تركن ـ على سبيل المثال ـ الى وحدة ثابتة من المجتمع ، وتفصل ذلك بلسم ـ وتحت الحاح الايديولوجية .

ومن اجل رؤية ذلك بدرجة واضحة علينا ان نتجه الى فرنسا ، حيث الروائى ستندال الذى كان مؤذنا بموت مرحلة ، برغم انه كتب بعد الاثنة الروائية جين



● عندما تكون العلاقة بين الرواية والسياسة مثيرة للاهتمام

الرواية السياسية

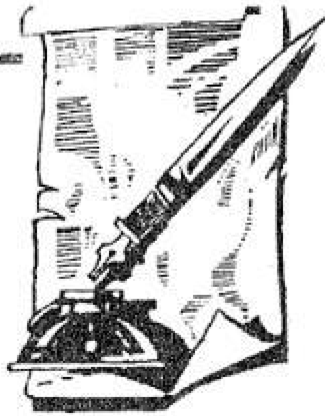


اوستن الى فترات قليلة وقد عرفت فرنسا ثورة برجوازية كانت مفاجئة وشديدة ، فكل التناقضات الاجتماعية كانت عادة كما ان لاشعورهم كان اكثر انضباطا مما فى انجلترا . ومن خلال رواياته أعلن ستندال تكرارا أن البطل بعد حرمانه من مجال لمواهبه وقدراته لابد أن يشق طريقه فى المجتمع – وعندئذ من خلاله – وذلك بمجرد قوة عزيمته . وقد أعلنت روايات ستندال ، قبل أن يدرك العالم بمراحل – ان عصر البطولة الفردية individual heroism يموت وان عصر ايديولوجية الجماعة mass ideology بادىء فى الظهور

الرواية السياسية – فى شكلها «المثالى» ميل خاص للمشاعر الداخلية . ومن أجل أن تكون الرواية رواية على اى حال – لابد أن تحتوى على التمثيل المعتاد للسلوك والشعور البشرى ، وبالرغم من ذلك لابد أن تشمل فى تيار حركتها العناصر القاسية والتى ربما يكون لهما حل فى الايديولوجية الحديثة . والرواية تتعامل مع المشاعر الاخلاقية والعواطف والاحاسيس وتحاول فوق كل شيء أن تمسك بميزة التجربة المحسوسة . والايديولوجية – على اى الحالات – مجردة كما يجب أن تكون ، لهذا فمن المحتمل أن تكون متمردة عند أى محاولة لادخالها فى مجرى الانطباع الحسى للرواية . والصراع لامهرب منه : فالرواية تحاول ان تقدم التجربة فى كمالها وفى درجة قربها الشديدة ، بينما الايديولوجية بطبيعتها عامة وشاملة ورغم ذلك فان الرواية تكتسب اهمية بالتأكيد من ذلك الصراع « بين التجربة والايديولوجية ، وتأخذ « الرواية – حينئذ » شكل الدراما العالية . ولمجرد أن نقول ان الايديولوجية بمعنى ما ، هى صب او قسر او فرض فى الرواية لا يعنى تحديد فوائدها – ولابد لنا أن نعترف بأن هذا القسر « للايديولوجية » قد يكون له قيمة فى فرض تركيز على تلك المصاعب التى يجب على الروائى تخطيها .

وهنا من السهل الانزلاق الى خطأ ، هذا الخطأ بمعنى محدد يفعله الروائيون الامريكيون ، وهو ان الافكار المجردة تقسر العمل الفنى الى حد كبير ، ولابد ان يحتفظ بهذه الافكار المجردة فى مكان بعيدا عنه . وبلاشك فانه عندما تتدخل اعمدة الايديولوجية القوية ، تتجمع « فى تكتل » وتقضى على حياة الرواية وحيويتها . ولكن الافكار عندما تكون فى انفعال حر ، أو فى اشكال تقليدية يصبح « لا غنى » عنها للرواية الجادة ، ذلك أن الافكار فى المجتمع الحديث تعطى حمولات من العاطفة لا حصر لها ، وتشملنا فى أشد علاقاتنا حرارة وتقودنا الى معظم ضعفنا المخيف . والروائى السياسى قد يكون عليه لذلك ، أن يجتاز مخاطر أصعب من الآخرين ، وذلك كما يجب على أى فنان يستخدم كميات كبيرة من موضوع « غير نقى » بيد أن المكافأة المؤكدة بناء على ذلك تعظم . والرواية – بشكل مؤكد – تكون غير مفهومة بدون مجهود لتقديم واختراق حجب العاطفة الانسانية فى ان الاتجاه الذى تتحرك فيه العاطفة والثقل الذى تمارسه والعناصر التى ترتبط بها ، كلها محكومة – مالم يتحكم فيها – بكل ضغوط الفكر المجرد .

والروائى السياسى – مثل الجاد



المرس – لابد أن يكون قادرا على تناول الأفكار المختلفة مباشرة ليراها فى علاقاتها البعيدة وأيضا المتداخلة ، من أجل الامساك بالسبيل الذى تتحول فيه أفكار الرواية الى شىء مغاير عما توجد عليه « هذه الأفكار » فى برنامج سياسى .

ان أفكار الحياة العملية التى قد توحى للكاتب أن يؤلف روايته لابد ان تترك متناثرة ، فالروائى ليست مهمته التعامل مع الافكار فى نطاقها المجرد ، او ان يمتلك عامة القدرة على فعل ذلك ، وبمجرد أن توضع هذه الافكار للعمل داخل الرواية ، فانها لاتبقى طويلا مجرد تجريد او شطرات للتجريد . والرواية السياسية فى أحسن حالاتها – توجد مثل هذه الحرارة الشديدة حتى ان الافكار التى تقدمها تصهر فى حركتها ، وتتخلل عواطف شخصياتها .

وفى خطاب للروائية جورج اليوت تتحدث عن « المجهود الشاق لمحاولة جعل بعض الأفكار الخاصة تتعانق ، كما لو كانت لحما مكشوفة اولا لى » . وهذه احدى الصعوبات الشاقة ، بيد انها أيضا احدى التحديات السامية للروائى السياسى : ان يجعل الافكار او الايديولوجيات تصبح حية بامدادها بالقدرة على تحريك الشخصيات فى افعال وتضحيات مشبوبة ، أكثر من ذلك فان عليه « الروائى السياسى » ان يخلق مايوحى بان للشخصيات نوعا من الحركة المستقلة ، حتى انهم الفهم يرون – تلك الأثقال المجردة للفكرة او الايديولوجية ، وكأنها تصبح شخصيات حية فى الرواية السياسية .

ولا يعنينا الى اى حد ينتوى الكاتب ان يحتفل او سلايديولوجيته السياسية كما لا يعنينا هدفه التعليمى او الجدلى لان روايته لا تستطيع فى النهاية ان تعتمد على الفكرة « فى حد ذاتها » وبحكم كونه روائيا ، فهو رجل محكوم بالعاطفة التى يمثلها ، ولكى ينظم تجربته – عليه ان يبعد السياسة او يواريها خلف روايته فى علاقة معقدة مع أنواع الخبرة التى

تؤكد شحوب التكوين « السياسى » ، وبمجرد تحقق ذلك فان الصعوبة الكبرى تزول امامه حين يترجم هذه الافكار بطريقة مدهشة.

ان وظيفة « الروائى السياسى » دائما هى ان يظهر العلاقة بين النظرية والتجربة بين الايديولوجية – التى سبق ان فهمها من قبل – وبين العواطف والعلاقات التى يحاول ان يقدمها . وهو يفعل ذلك بطرق عدة :

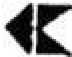
فيقدم عاطفة مريضة وعميقة مزاوجا بين الايديولوجية والاحلام المسيطرة ، كما هو الحال فى رواية ديستوفسكى « الممسوس » The Possessed

او يقدم الايديولوجية مؤيدة بعاطفة من اجل استشهاد بطولى ، كما هو الحال فى رواية « مارلوز » – قدر الانسان Man's Fate

او أن يقدم ايديولوجية خالصة وعواطف مسيطرة صاخبة بحتة ، بصورة موضوعية كما هو الحال فى رواية « كواستلرز » – ظلام فى الظهيرة Darkness at noon

او ان يقدم عاطفة تدمر بحماقة نتيجة لارتباط ايديولوجى كما فى رواية « الاميرة كاساما سيما »

وتعد « الممسوس » أعظم الروايات السياسية التى كتبت من اجل غرض واضح ، هو عزل كل الافكار التى لاتجد



الرواية السياسية



خلاصها الا في المسيحيه ، فقد كتب ديستوفسكي يقول « أود ان اقول بعض الافكار ، سواء ذهب الجانب اللذى لها أو للكلاب ، أو لم يذهب ... وحتى اذا تحولت الى مجرد كتيب صغير ، فلن اكف حتى اقول كل ما يمليه على قلبي» ولحسن الحظ لم يستطع ديستوفسكي أن يدون « جانبه الادبي » سريعا ، ولم يصل كتابه الي نهايته الا بعد أن سجل رحلته التي راد فيها اماكن لم يحلم بها العقل او القلب في حالته الطبيعية .

ومهما يكن الامر ، فانروايةالممسوس» لا تثبت شيئا من ذلكالنوع اللذى قد يكون قابلا للاثبات في « مجرد كتيب » . لذلك فبينما الرواية السياسية تستطيع أن تخصب احساسنا بالتجربة الانسانية فانها ايضا قادرة على ان تقوى ارتباطاتنا وأن تؤنسنها .

وان كان من النادر جدا أن تغير هذه الارتباطات نفسها . والرواية السياسية عندما تفعل ذلك ، تقوم بمهمة الاقناع ، التي ليست حقيقة هدفها الاصيل أو المميز . وقد ادركت بعد قراءة رواية « الممسوس » انه من الصعوبة تخيل كائن اجتماعي جاد منفصلا عن معتقده ، لذلك ارى أن هذا الراى لم يكن متساويا لدى في الدقة والوضوح قبل قراءة«الممسوس» ولان الرواية التاريخية تستكشف المطالب غير الشخصية للايديولوجية وتتعرض لضغوط العواطف الخاصة ،فهى دائما في حالة حرب داخلية وعلى حافة ان تصبح شيئا غير الرواية نفسها . والروائي السياسي ـ ودرجة وعيه بهذا مشكلة اخرى ـ يؤسس نظاما معقدا لاراء فكرية يكون رأيه فيهما أكثر الاراء حيوية ، ان لم يكن اكثر الاراء المسيطرة على الاطلاق . ولكن الآ نصل هنا الى واحد من « اسرار » الرواية عامة ؟ ـ اقصد الحجم المتبس الذى يكون الروائي العظيم على استعداد لان يمنحه لافكارالمعارضة العامة ، تلك المعارضة التي يحتاجها ليتيح لكتابه القدرة على معارضة ميوله الخاصة واشواقه وخيالاته . وهو يعلم ان قواه الدافعة ونواياه يمكن أن تضيع بسهولة ، ولكنه يحس بقدر كاف ان ما يعنيه في كل الاحوال هو ان يتفادى الصخور التي قد تتحطم امامها مقاصده واذا كان سعيد الحظ فانها قد تحدث مجرد خدش . وحتى اذا ماقرر الكاتب العظيم مزهوا باستقلال خياله ، وحتى اذا وظف أقصى امكانيات قوته لفرض ارادته على العناصر المبعثرة التيأحضرها خياله ، رغم ذلك فهو يعلم أنه يجب أن يضع نفسه ضد الوجود المستبدللضرورة ان السياسة ـ في الرواية السياسية ـ تعد اغراء وعبثا يمثلان الضرورة ..

ويواجه التجريد ـ عندئذ ـ بتفسير التجربة واعادة البرنامج بثراء وخصوبة الدافع ونقاوة المثال من تلوثات الفعل . وقد تتحول الرواية السياسية على وجه الخصوص الى اغراء سياسى ، ففيرواية « الممسوس » اشارة الى ان الاصلاحممكن للمذنبين الذين عانوا بدرجة شديدة ،وفي روايات « كونراد » نسترومو nostromo Central's تحت عيون غربية ..

نجد أنواعا من العاطفة الخاصة والرقة ، اما في رواية « قدر الانسان » فهنـــاك اشارة الى الاغراءات الميتافيزيقية للبطولة كما تكشف عن نفسها في « موت مارلن »

وفي رواية سيلون Silone

« الخبز والخمر » هنـــاك اشارة الى اكتشاف البساطة الريفية كمقابل للفساد المدنى ، اما في رواية «الظلام في الظهيرة» فتوجد اشارة الى الاستخدامات المهملة للادارة الشخصية و « الانا » المرتبطة بتقسيم « الرواية » ويمكن القول بأن هذا العنصر « الرعوى » لا غنى عنه بالنسبة للرواية السياسية ، ليمدها بالتنافس البين والتركيز الحاد ، ولـــكنها تهتم فقط اذا كان هناك عنصر شعبي واحساس بصعوبات وضروريات واغراءات الحيـــاة السياسية .

ان الشروط التى نقيم بهـــا رواية سياسية في النهاية مماثلة لتلــك التى نقيم بها أي رواية اخرى : باى قـــدر تثير هذه الرواية حياتنا ، وماهى الرؤية الاخلاقية الثرية ، التى تقدمها ، ولــكن هذه الاسئلة تأتي الينا من سياق خاص ،



في ذلك الجو من الصراع السياسى الذى يسيطر على الحياة الحديثة .

وتمدنا الرواية السياسية على وجــه الخصوص باختبار قاس للكاتب والقارىء كليهما ، ذلك ان السياسة تلهب عواطفنا مثلما لا يفعل ذلك اى شيء ســـواها ، ومهما قد نتفق على تجاهلها « السياسة » اثناء قراءة رواية ما ، فاننا ننفعل تقريبا بسرعة لراى سياسى نمقته .

اما بالنسبة للكاتب فالاختبار العظيم هو : ماقدر الحقيقة التى يستطيـــع ان يفرضها خلال عرض ارائه ؟ اما بالنسبة للقارىء فالاختبار العظيم هو : ما قـــدر الحقيقة التى يوافق عليها رغم أنهـــا قد تتنافى مع معتقداته !

وفي الرواية السياسية ـ بسبب ذلك ـ فان الكاتب والقارىء يلتقيان في اتصال غير سهل ؛ ليكشفا معتقداتهما في لقـــاء صاخب ، فكيف يذوب كل ذلك في حـــركة الرواية ، لنجد بعض المعرفة العـــامة والرابطة الانسانية التى هى أبعـــد من الانكار ولوتها . ولا يدهشنا ان الروائى السياسى : حتى اذا بقى مبهورا بالسياسة فانه يحس بحاجته تجاه نظام اخـــلاقى ابعد من الايديولوجى ، وكذلك الحـــال بالنسبة للقارىء لاندهش اذا احتفـــظ بارتباطاته الخاصة عندما يلتقى بعـــالم اخر للروائى .

مارستان السلطان

مختار القاوقجي

قصة هذا المستشفى وردت في مقدمة كتاب كنوز الصحة ويواقيت المنحة لحضرة رئيس الاطباء كشاف عموم الصحة البرية والبحرية امير اللواء كلوت بك : اوردها مترجم هذا الكتاب محمد افندى الحكيم الاول المعروف بالشافعى عام ١٢٨٠ هـ . وحقق ما جاء به الحكيم الكيماوى الطبيب ناظر مدرسة الطب الانسانى بيوث المتمكن من العربية والفنون الادبية

شمس الربيع في دمشق تسطع متلألئة على الغوطة ، ولكنها لا تستطيع النفاذ الى ارض هذه المنطقة الا بالكاد حيث تحول بينهما الاغصان الملتفة والاوراق الكثيفة .

في ظلال هذه الاشجار ، عام خمس وسبعين وستمائة هجرية . وقف الامير قلاوون الصالحى على جواده الابيض المرصع بالذهب والفضة والمحلى بالجواهر الكريمة ، مدججا بالسلاح ، لابسا على راسه بيضة من الصلب اللامع ، ومرتديا درعه من الزرد القوى المتين . يقود جيشا مصريا ذا عدد وعدة يقصد بلاد الروم حيث الغزو والذود عن بلاد الاسلام .

وقف القائد يحيط به كوكبة من الامراء يلبسون كما يلبس ويرتدون مثله ، وعلى راسهم مملوك الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر المماليك ، ومستشار الامير قلاوون الصالحى في كل الامور .

قال الامير قلاوون : ما احلى هذه البقعة ، وما اطيب هواءها ان عطر الزهور جميل ، يبعث على انشراح الصدر ، وراحة البال .

فاجابه الامير الشجاعى : اصلح الله حال الامير لو سمح بنزول الجيش ، فقد قطع طريقا شاقا في وقت قصير ، ويحتاج لبعض الراحة .

فامر الامير قلاوون بذلك ، فنزلت الاحمال

وسرحت الخيول ، ونصبت الخيام بين البساتين والحدائق ، واجتمع حول الجنود الباعة واصحاب الحرف ، والمهرجون ، وصار الكل في هرج ومرج ، حتى زالت الشمس ، واقبل الليل بالظلام .

وعند منتصف الليل سكنت الاصوات ، ولم يتبق الا صوت العسس يجوب المعسكر ليمنع اللصوص ، ويقبض على المتلصصين .

في هذا الوقت دخل حاجب الامير قلاوون على المملوك الشجاعي مسرعا وقال له :

يا سيدي : أسرع ، الامير قلاوون يصرخ متألما ...

وينهض الشجاعي من فراشه : قائلا : ويحك يا محسن : ماذا دهاه !

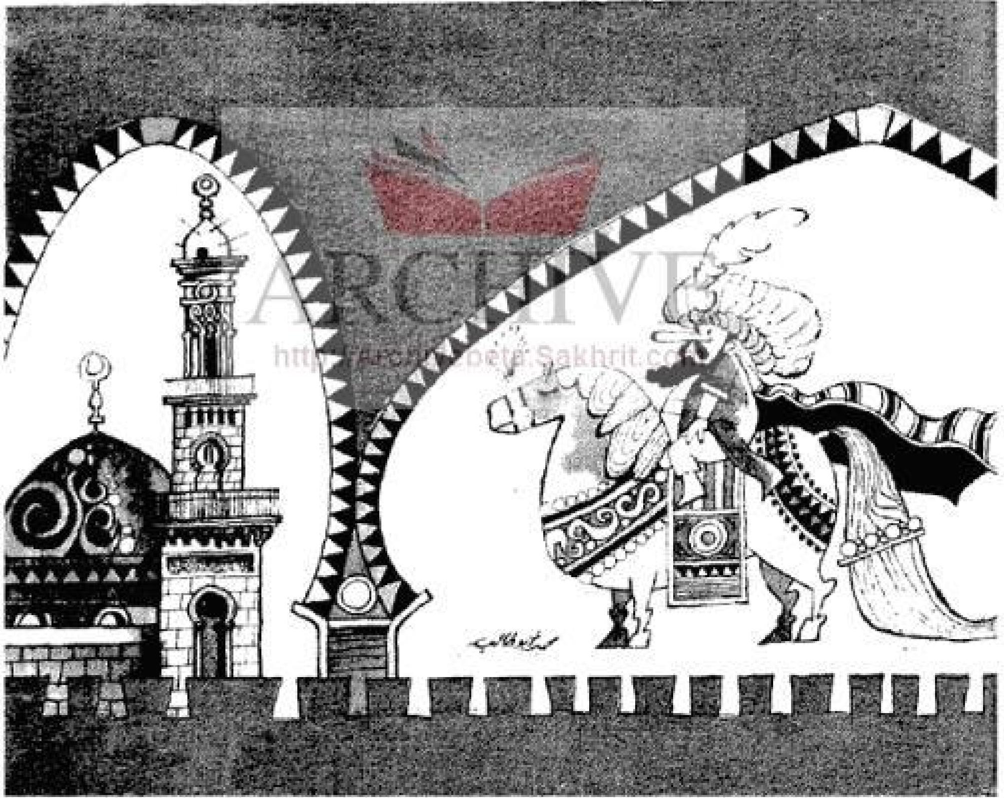
قال محسن : لا ادري يا سيدي : لا ادري : فقد طلب مني قبل النوم شرابا مهدئا ، فقدمته له ، وآويت الى فراشي . فناداني مرات حتى استيقظت ، فوجدته متألما ، وطلب مني دعوتك .

وذهب الشجاعي ومعه محسن ، حيث خيمة الامير فوجداه على هذه الصورة .

فقال له الشجاعي : سلمت يا مولاي : ماذا بك ؟

فاجابه الامير ووجهه ينطق بتعبيرات الالم انه المرض الذي لا ادريه لقد حل بي منذ ساعة من حيث لا ادري .

فقال له الشجاعي : عوفيت يا مولاي ،



مارستان السلطان

لحظة واحدة ، سيكون الطبيب العلوى معك
واحضر محسن طبيب الجيش العلوى بن الكمال ومعه حقيبة مملوءة بالادوية والعقاقير .

وجس الطبيب موضع الالم ، وتعرف على الداء ، وقدم للامير شرابا ساخنا فشربه ، والكل من حوله يدعو له بالشفاء . ولكن الالم لم يزايله ، والمرض لم يبارحه ، وزادت الحال سوءا ، فانزعج الحاضرون ، وبدا استيقاظ العسكر ، وشاع الهرج والمرج ، واخذ الكل يتساءل : اى شيء حل بالامير ، وبدات الاصبع تتجه ناحية العبد محسن الذى سقى الامير شرابا مهدئا قبل النوم .

وانزعج محسن يسأل كل من حضر ، هل يوجد هنا اطباء من اهل دمشق ؟ انني واثق ان الطبيب العلوى اخطأ تشخيص المرض . ولو عثرت على طبيب غيره فسوف يعالج سيدى ويشفى ، فانا من مرضه براء .

واجاب احد الناس : ان بدمشق مارستان الشهيد محمود نور الدين ، وفيه نطاسى الاطباء وابرعهم فى كل الامراض وعندهم دواء لكل داء .

فامتطى محسن فرسه ، وذهب مع طلعة الشمس فى الصباح الى دمشق حيث المارستان ، وتقابل مع كبير اطبائه ، ورجع به الى خيمة الامير ، وعرف الطبيب الداء ، ووصف الدواء ، وكان الشفاء .

ومع اذان الظهر ، من نفس اليوم ، كان الالم قد زال ، والامير فى اتم صحة واحسن حال ، والكل اطمأن عليه .

وسأل الامير قلاوون كبير اطباء مارستان الشهيد محمود عن هذا المارستان وعن خدماته وعن نفقاته .

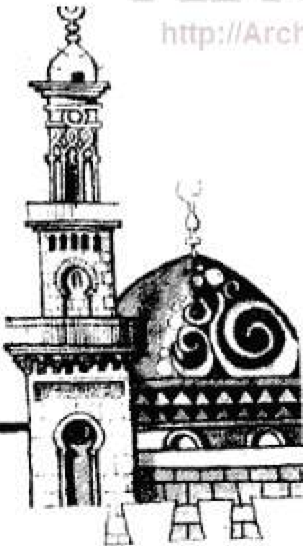
ومن الم بما يريد ، وجه الحديث لمملوكه الشجاعى ، نذر على ان اتانى الله الملك أن أبنى مارستانا عظيما لخدمة المرضى وأزيد عليه مقرا لحفظ القرآن وايواء اليتامى وتعليمهم وكسوتهم ، ومدارس لتدريس الفقه فى المذاهب الاربعة « الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى » .

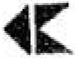
فرد عليه الشجاعى : أصلح الله حال الامير ، وابلغه مأربه ، واجرى الخير على يديه للناس .

ومرت الايام وولى الامير قلاوون سلطنة مصر واطلق عليه اسم الملك المنصور قلاوون الصالحى الالفى .

وفى يوم كان بعض الفعلة يحفر فى اساس المدرسة المنصورية بالقاهرة ، فوجد حق أسنان نحاسا ، ووجد رفيقه قمقما نحاسا مختوما برصاص ، فاحضرا ذلك الى الامير علم الدين سنجر الشجاعى ، مدير الممالك ، فاذا فى الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الابصار ووجد فى القمقم ذهب ، فحمله سعد العزيز الناصرى العدل ، فرفعه الى السلطان فتذكر نذره بانشاء المارستان بالقاهرة وامر فورا بصرف ثمن هذا كله على عمار المارستان .

وموقع هذا المارستان بخط بين القصرين





رسالة من المارستان الى القصر العيني

من القاهرة ، وفي الأصل كان قاعة ست الملك إبنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد ، ثم عرفت بدار الامير فخر الدين جهاركس ، بعد زوال الدولة الفاطمية ، وبدار موسك ، ثم عرفت بالملك المفضل قطب الدين احمد بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب ، وصار يقال لهـا الدار القطبية ولم تزل بيد ذريته الى ان اخذها الملك المنصور قلاوون من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية، وعوضت عن ذلك قصر الزمرد برحبة باب العيد .

وكانت مساحة هـذه الدار عشرة الاف وستمائة ذراع ، وقد خلفت ست الملك بها ثمانية الاف جارية ، وذخائر جليلة ، منها قطعة ياقوت أحمر ، زنتها عشرة مثاقيل .

وقد امر السلطان الامير الشجاعي ان يقيم مكان الدار مارستانا ، وقبة ، ومدرسة فاظهر من الاهتمام والاحتفال ما لم يسمع بمثله ، وبدأ بالعمارة في أول ربيع الاخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة هجـرية ، وانتهى منها في أسرع مدة وهي عشرة أشهر وعدة أيام .

والدار القطبية كانت اربعة اواوين، بكل ايوان شاذروان ، وبدور قاعتها فسقية يصعد اليها الماء من الشاذروانات ، فابقى الامير الشجاعي كل شيء على حاله بعد أن صيرت بستانا .

ولما نجزت العمارة ، وقف عليها الملك المنصور من الاملاك بديار مصر ، وغيرها . ما يقارب الف درهم في كل سنة ، ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ،ومكتب الايتام ، ثم استدعى قدحا من شراب المارستان وشربه ، وقال قد وقفت هـذا على مثلي ، فمن دوني ، جعلته وقفـا على الملك والمملوك ، والجندي والامير ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكور والاناث ورتب فيه العقاقير ، والاطباء ، وسائر ما يحتاج اليـه من به مرض من الامراض وجعل فيه فراشين من الرجال والنسـاء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم .

ونصب الاسرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج اليها في المرض ، وافرد لكل طائفة من المرضى موضعا ـ فجعل أواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميـات ونحوها ، وافرد قاعة للرمدى ، وقاعـة للجرحى ، وقاعة لمن به اسهال ، وقاعـة للنساء ، ومكانا للممرورين ، ينقسـم بقسمين ، قسم للرجال ، وقسم للنساء .

وجعل الماء يجري في هذه الاماكن ،وافرد مكانا لطبخ الطعام ، والادوية ، والاشربة، ومكانا لتركيب المعاجين ، والاكحـال والشيافات ، لعلاج العيـون ، ونحوها ومواضع للتخزين ، وجعل مكانا تفـرق فيه الاشربة والادوية ، ومكانا يجلس فيه رئيس الاطباء ، ولم يحص عدد المرضى ، بل جعله سبيلا لكل من يرد عليه من غني وفقير ، ولا حد مدة اقامة المريض ، بل يرتب منه لمن هو مريض في داره سـائر ما يحتاج اليه .

ووكل الامير عز الدين ايبك الافـرم الصالحي امير جندار رئيس الجند ، في وقف ما عينه من المواضع ، وترتيب ارباب الوظائف وغيرهم ، وجعل النظر لنفسه ايام حياته ثم من بعده لاولاده ، ومن بعدهم لحـاكم المسلمين الشافعي ، وضمن وقفه كتابا تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشرين صفر سنة خمس وثمانين وستمائة .

ولما قرئ عليه كتاب الوقف ، قـال الشجاعي : ما رأيت خط الاسعد كاتبي مع خطوط القضاة ، فقيل له : ان هذا مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام .

مارستان السلطان

المدائح

وبلغ مصروف الشراب فى كل يوم ٥٠٠ رطل سوى السكر ، ورتب فيه ما بين امين ومباشر ، وجعل مباشرين للادارة ، وهم الذين يضبطون ما يشترى من الاصناف ، وما يحضر منها الى المارستان . ومباشرين لاستخراج مال الوقف ، ومباشرين لعمارة الاثاث .

وقرر بالقبة خمسين مقرئا يتناوبون قراءة القرآن ليلا ونهارا ، ورتب بها اماما راتبا ، وجعل بها راتبا للمؤذنين ، ومنارته ليس فى اقليم مصر اجل منها ، ورتب بالقبة درسا لتفسير القرآن ، فيه مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا . ودرس حديث نبوى ، وجعل فيها خزانة كتب ، وستة خدام طواشية لا يزالون بها ، ورتب بالمدرسة اماما راتبا ومتصدرا لقراءة القرآن ، ودروسا اربعة للفقه على المذاهب الاربعة ، ورتب بمكتب السبيل معلمين يقرئان الايتام ، ورتب لكل يتيم رطلين من الخبز فى كل يوم وكسوة الشتاء والصيف .

فلما ولى الامير جمال الدين اقوش نائب الكرك نظر المارستان ، انشا به قاعات للمرضى ، ونحت الحجارة المبنى بها الجدار كلها ، حتى صارت كأنها جديدة ، وجدد تذهيب الطراز ، بظاهر المدرسة والقبة ، وعمل خيمة تظل النوافذ طولها مائة ذراع . وقام بذلك من ماله دون مال الوقف ونقل ايضا حوضا ، كان برسم شرب البهائم من جانب باب المارستان ، وابطل لتاذى الناس بنتن رائحة ما يجتمع قدامه من الاوساخ ، وانشا سبيل ماء يشرب منه الناس ، جعله عرض الحوض المذكور .

وقد حدث بعد انشاء المارستان ان تورع طائفة من اهل الديانة عن الصلاة بالمدرسة المنصورية ، والقبة ، وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس فى عمله ، وذلك انه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستانا . ندب الطواشى حسام الدين بلال المغيثى للكلام فى شرائها فساس الامر فى ذلك ، حتى انعمت مؤنسة خاتون ببيعها على ان تعوض عنها بدار تلمها وعيالها ، فعوضها السلطان قصر الزمرد برحبة باب العيد ، مع مبلغ مال حمل اليها .

ووقع البيع على هذا ، فندب السلطان الامير سنجر الشجاعى للعمارة ، فاخرج النساء عن القطبية من غير مهلة . واخذ ثلاثمائة اسير وجمع صناع القاهرة ، ومصر وتقدم اليهم بان يعملوا باجمعهم ، ومنعهم ان يعملوا لاحد فى المدينتين شغلا ، وشدد فى ذلك وكان مهابا . فلازمه العملة ونقل من قلعة الروضة ، ما يحتاج اليه من العمد الصوان ، والرخام والقواعد والاعتاب ، والرخام البديع وغير ذلك ، وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ، ويعود الى المارستان فيقف مع الصناع على الاسقائل ، حتى لا يتوانوا فى عملهم ، واوقف مماليكه بين القصرين ، فكان اذا مر احد ولو جليلا الزموه ان يرفع حجرا ، ويلقيه فى موضع العمارة ، فينزل الجندى والرئيس عن فرسه حتى ينقل ذلك ، فترك اكثر الناس المرور من هناك .

وقد رفع بعض الناس الى ائمة الدين فتيا صورتها :



● المارستان ورعايته المرضى والأيتام

« ما تقول ائمة الدين فى موضع اخرج اهله منه كرها وعمر بمستحثين يحملون الصناع ، واخرب ما عمره غيره ، ونقل اليه ما كان فيه فعمر به ، هل تجوز الصلاة فيه ام لا ؟ » .

فكتب عليها جماعة من الفقهاء : لا تجوز فيه الصلاة ، فما زال المجد بن الخشاب حتى اوقف الشجاعى على ذلك ، فشق عليه ، وجمع القضاة ، ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية ، واعلمهم بالفتيا ، فلم يجبه احد منهم بشىء سوى الشيخ محمد المرجانى ، فانه قال : انا افتيت بمنع الصلاة فيها . واقول الان : انه يكره الدخول من بابها ونهض ، فانفض الناس .

واتفق ان الشجاعى ما زال بالشيخ محمد المرجانى ، يلح عليه ، ويسأله ان يعمل ميعاد وعظ فى المدرسة المنصورية ، حتى اجاب بعد تمنع شديد لحضر الشجاعى والقضاة ، واخذ المرجانى فى ذكر ولاة الامور من الملوك والامراء ، والقضاة ، وذم من يأخذ الاراضى غصبا ، ويستحث العمال فى عمائره ، وينقص من اجورهم .

ولما ختم الموعظة قام الشجاعى وسأله الدعاء له ، فقال :

يا علم الدين ان ادع لك ، فقد دعا عليك من هو خير منى ، وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم من ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم ، فارفق به ، ومن شق عليهم فشق عليه » وانصرف فصار الشجاعى من ذلك فى قلق عظيم .

وذهب الشجاعى الى الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، وكان له فيه اعتقاد حسن ، وفاوضه فى حديث الناس ، فى منع الصلاة فى المدرسة ، وذكر له ان السلطان انما اراد محاكاة نور الدين الشهيد والاقتداء به لرغبته فى عمل الخير ، فوقع الناس فى القدح فى السلطان ولم يقدحوا فى نور الدين ، فقال له :

ان نور الدين اسر بعض ملوك الفرنج ، وقصد قتله ، ففدى نفسه بتسليم خمس قلاع ، وخمسمائة الف دينار ، حتى اطلقه فمات فى طريقه قبل وصوله الى مملكته ، وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث . فمن اين يا علم الدين نجد مالا مثل هذا المال ، وسلطانا مثل نور الدين ، غير ان السلطان له نيته ، وارجو له الخير بعمارة هذا الموضع ، وانت وان كان وقوفك فى عمله بنية نفع الناس فلك الاجر ، وان كان ليعلم استاذك علو همتك فما حصلت على شىء .

فقال الشجاعى :

« الله المطلع على النيات » وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة ، فعمر المارستان والمسجد والمدارس ودار الايتام .

وهكذا ظل ذلك المارستان يعطى فى كافة نواحى المعرفة ويرعى المرضى والايتام ويتولى علاج اهل مصر المحروسة ويرعاهم ومن يفد من بقاع الارض الاسلامية حتى اوائل العصر الحديث ايام محمد على الكبير حتى اسلم رسالته لما بعده من المستشفيات امثال قصر العينى الذى انشىء عام ١٨٣٧ فى مكانه الحالى .

قصة لم تنشر للكاتب الكبير الراحل محمد عبد الحليم عبد الله

يريد أن ينساها





● مضى سواد ليله وهو يعد خفقات قلبه . فمساء يعدها ويتدبر معناها تدبر شاب يدرس مهنة الطب ويقف الى مائدة التشريح ليعمل مشرطه في جوارح وأعضاء كان يخاف عليها أصحابها حبه النسيم .

وانفك أفكاره تتضح كلما خطا الليل نحو الامام خطوة وخطت الحركة في المدينة نحو الوراء خطوة عكسية حتى لم يعد يسمع جعجعة عربة ولا حفيف سيارة وكلها تمر من فوق رأسه فتدخل اليه الضوضاء من خلال النوافذ لانه يساكن في « بدروم » . وحتى الحركة في الحجرتين الاخريين الكيلتين للشقة سكنت ونامت . وأمسى جو « البدروم » مشبعا بالرطوبة أكثر من قبل ، وذلك لان الليل خطا خطوة جديدة نحو الصباح .

وخفتت الاصوات في الحجرة اللاصقة التي يسكنها طالبان من طلبة الازهر ، وحتى بينهما وطيس الجدل قبل ان يناما حول مسألة لا يلغى طالب الطب القلبية هي أم لحوية ؟

وانفض افكاره تتضح تحت رواق الليل حتى لكأنه يلمسها لمسا . واستمع من جديد الى خفقات قلبه فاسترسل معها وعاش كما تسترسل مع النغم حتى تخال انك صانع فيه . ثم جعل يسأل نفسه عن عدد خفقاته منذ دبت فيه الحياة حتى جاوز اليوم سن العشرين ، والى أى مدى سيدوم هذه الخفقات ؟ وكم من ملايين الملايين سيبلغ عددها يوم الممات ؟!

يا له من عضو نشط يسهر حتى ونحن نيام ؟

ثم أمسك لانه انتبه الى دقات ساعته من تحت المخدة وابتسم حين رأى بين الجهازين تشابها عجيبا .. كلاهما يدق !! هذا يدق ليجعلنا نحصى الوقت لاننا نعيش ، وذاك يدق ليجعلنا نحصى الوقت لنعرف كم نعيش !!



يريد أن ينساها

وتخلصت أفكاره من استطرادها الطارىء فعادت الى ما كانت فيه من قبل . ذكر القلب وخفقات القلب ، فاستحضر صورته كما رآها فى حجرة التشريح ، أذينان وبطينان ، وأوردة وشرايين ، وأشـياء أخـرى .. ولكنه وثب وثبة كبرى فخرج من دنيا العلوم الى دنيا العواطف ، وذكر اليوم الحاسم الفاصل فى علاقته معها ثم بدأ يستعرض القصة .

كان يريد أن ينساها ولو أن كل شىء يذكره بها . وهذا هو الاسبوع وقد دارت دورته وجاء صباح الخميس .

اذن فهو لم يرها منذ أسـبوع . منذ الخميس الماضى بعـد أن أمسى المساء فنفيها فى مسـكنها . وبعد أن قضى معها فترة من الوقت هبـط درجات السلم المظلم الدائر وقد صمم عزمه على ألا تطالع عينـاه معـالم وجهها الحلو مرة أخرى ولو أحرقت أوصاله النار . ولم تكن هى تعلم بأنه اتخذ هذا القرار والا كان من الجائز جدا أن تلقى بنفسها من النافذة على مرأى منه حتى تضمن أن يسجى جسدها بيمينه .

ومر الاسبوع كالحا ثقيلا كان فيه أشبه بمن يعيش فى دوامة ، لكنه كان مصرا على ألا يرجع خطوة واحدة الى الوراء لاعتبارات شتى أهم ما فيها انه يريد أن يضع نهاية لهذا اللون من الحب ، وانه جعل رجـولته فى كفة وجعل السلوان فى كفة أخرى ، وانه أراد أن يضع رجولته كذلك فى بوتقة تجربة عالية الحرارة ليستيقن من انها ستثبت على الصهر .

وهكذا مر الاسبوع . وخرج فى صباح يوم الخميس آخذا سمته الى الكلية ، وكان منشرح الصدر نوعا ما لانه لم يحس ضعفا خلال المدة التى انقضت وان قاست نفسه ضروبا من الحنين وألوانا من الافكار .

والتف الطلبة حول منضدة التشريح فى الغـرفة وبدأوا يسـتلون أسلحتهم ليعملوها فى جوارح خاف عليها أصحابها هبة النسيم وكان بين أيديهم فى هذه الحصة .. قلب !

وقلما يسأل الطبيب وهو يعمل المبضع فى هذا العضو العظيم ، وعاء العواطف ، قلما يتساءل : ترى قلب من هذا ؟ وان تساءل مرة أو مرتين فغالبا ما تتخلف الثالثة . واذا اقتنعت بمنطقى فانك ستسلم باستحالة أن يسأل الطبيب نفسه قائلا : أقلب امرأة هذا ، أم قلب رجل ؟ وبعد



يريد أن ينساها



محمد عبد الحليم عبدالله عام ١٩٤٠

ذلك يغمد في القلب السلاح بنفسية من يغمد المدية في جلدة البطيخ . وهذا هو ما يجرى فى حجرات التشريح .

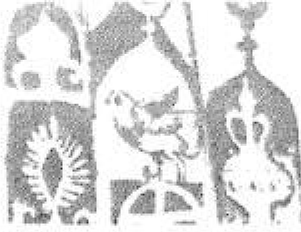
لكن الذى حدث صباح يوم الخميس كان غير ذلك، لان أحد الطلبة ممن التفوا حول المنضدة تساءل بعد أن علت شفتيه ابتسامة خبيثة : ترى قلب من هذا ؟! فهمس فى اذنه جاره الايمن وكان كثير المرح يقول له : « ولا القلب الا انه يتقلب ». هذا هو كل ماتخلف فى ذهني من رواسب المدرسة الثانوية .. هل تعرف صدر هذا البيت ؟ .. ما لنا ولصاحب هذا القلب أيها الزميل ؟ فقال الاول : حسبتك تعرف صاحبه فابتسم الجار الايسر ، وهو صاحب القصة ، ثم مال اليهما مستغربا موضوع الحديث ،فما كان من الطالب الاوسط الا أن همس : انني أعرف صاحب هذا القلب !!

ثم انقطع الحديث بعد ذلك .. وبدأ الطب يسيطر على الحقوق التى فرضتها الحياة للجسم ، والقدسية التى فرضها الموت للاعضاء فأعملت فى القلب المشارط وحمى وطيس الدرس فنسى المتسائلون ما كانوا بصدده من قول لعل بعضه كان نفحة شاعرية وبعضه الآخر كان دعابة من دعابات الشباب .

لكن الطالب الاوسط ما لبث أن أعلن بعد انتهاء الدرس على مسمع من المجموع انه يعرف صاحب هذا القلب . فأقبلوا عليه يستفسرون في فضول مختلف الدرجات ، فقال وهو يضحك ملء شدقيه : انه قلبها .. قلب تلكم الحسناء .. حسناء حارة البغايا .. فى درب خوخة نمرة ٥ هل فيكم من يعرف اسمها ؟ .. كان اسمها جمالات !

فضحك بعضهم ضحكة ماجنة منغمة : « هىء ... هىء ... ليرحمها الله ! »

كان يجاهد نفسه لينساها ولكن الاقدار أراحته من هذا العناء .



لقيها يوم الخميس وودعها دون أن تشعر بوداعه ، ثم حمد لنفسه فى الخميس التالى انه ثبت على التجربة وهو لا يدرى أن يدا أقوى من كل شىء

ستحول بينه وبينها الى مدى لا يعلم غايته الا الله !!

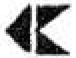
وقضى سواد ليله وهو يحصى خفقات قلبه فى ظلال السكون ويسترجع صورة قلبها تحت وميض النصال ، فخيل اليه انه كان يخفق بحبه حتى وهو فى هذه الحالة ، فاستفظع الامر وكاد يصرخ فى ظلام الغـــرفة ثم امسك ليسأل نفسه : أين موضع الحب من قلوب الناس ؟ وهل تعثر فيه أطراف المباضع على موائد التشريح ؟ ألا ليتنى أعلم ؟

وهم بأن يصرخ مرة أخرى ولكن شخير الشـــيخ « أبو المعـاطى » فى الحجرة الملاصقة انتهى الى سمعه فنحاه عن تيار أفكاره شيئا ما ، حين قلب حياة جاره فى نواحى فكره وتمنى أن تتاح له مثل هذه الحياة ... الحياة الباردة التى لا يصرخ فى نواحيها شىء .

لكن جمالات ، حسناء درب خوخة ولجت أبواب فكره مـرة أخـرى : انهم لا يعلمون انه الشخص الوحيد الذى وفق فالتقى بالشخصية الشريفة فى جسدها المبتذل حتى أصبح هو فى حياتها أشبه بالواحة الوحيدة فى صحراء دنياها الواسعة الجديبة .

دخل حجرتها أول مرة وهو متأبط ذراع الشيطان ، فدخلا يقهقهان ثم خرجا يقهقهان . وتكررت التجربة لكن طالب الطب خرج فى المرة الثالثة وهو حزين شارد حين اكتشف بين أنقاض الجســم وخرائبه المادية روحا جميلا شفافا اندفن تحت هذا الركام .

وأخذت العلاقة بينهما تجنح نحو الصـــداقة رويدا رويدا . واختلط الزيت بالزئبق على الرغم من كل شىء ، لان طالب الطب كان يعتذر لنفسه



كلما دفعه اليها قلبه متعللا بأن الزيت والزئبق من المحال أن يمتزجا ، وسيبقى كل منهما منفصلا عن صاحبه وان طالت مدة التجاوز .

وكان يلقى من أمره عسرا عند كل افتراق لانها كانت تتشبث به تشبث الغريق بالفلين وتكاد تتعلق بأذياله كما تتعلق الهرة الانيسة . لكنه قرر فجأة ألا يلقاها ..

وكان ذلك عقب تقديم هدية اليها . ولم يكن هو من اليسار بحيث يستطيع أن يقدم اليها كثيرا ولم تكن هي من الاستغلال بحيث تطلب منه أي شيء . فأحس خجلا وحسرة حين تخيل انه يقتضيها ثمن حنانه القلبي بطريقة « المقاصة » فكأنه يدفع ثمن العطف متعة . ومن أجل ذلك قدم اليها هدية !!

كان خاتما جميلا فيه ثلاث حبات من الماس ألبسها اياه وهما مستغرقان في الحديث فلما انتبهت الى ما فعل شهقت سائلة مبهوتة وان أشرق وجهها النحيف بنور فرح ضئيل قالت « أهو لي ؟ .. هل أستطيع ان أرفضه ؟! .. أخشى أن أغضبك ... أو أن ارهقك » .

ثم تبين له بعدذلك انه فعل أمرا منكرا لان البون شاسع بين كف أمه والكف التي تختمت به الآن. وقامت في ذهنه قضية معقدة لان الموازنة بين المرأتين في هذه اللحظة جعلته يضع جمالات في نفس المكان الذي يضعها فيه كل الرجال . وكاد ينكر نفسها العظيمة التي طمرت تحت أنقاض الجسد بفعل أيدي الناس !!

ثم لج به الفكر حتى وضع المرأتين متجاورتين فرأى أمه الريفية وعلى راسها طرحة سوداء تستدير مع استدارة الوجه وهي راكعة عند المخل



محمد عبد الحليم عبد الله في صورة تذكاريه بين مشاهد الطبيعه الجميلة في الريف

على سجادة من الحصير ، ثم رأى جمالات وقد تناثر شـــعرها فى فوضى مثيرة وقد تكون مريبة ، فهى امرأة تتــزين فى كل يوم عشرين أو ثلاثين مرة ، وتعرف دخلها بعد احصاء عدد مرات الزينة !!

وبعد · فهذا الخاتم يحمل ذكريات عزيزة · حملته أمه اياه ليصـــلح بعض فصوصه التى انخلعت من مكانها ثم يعيده مع من يراه أهلا لحمـــل الامانة ··· لكنه خان الامانة وسيقف بعد ذلك موقف الكاذبين حين يخبر أمه فى رسالة ان الخاتم قد فقد وانه حزين يشعر بالاثم ويطلب المغفرة ·

وانقضى أسبوع على هذا الحادث ولعلها كانت تنتظره فى كل مســـاء لكنه تخلف ثم وقعت الكارثة وشربت حسناء درب الخوخة السم فى كأس من الشراب دسه لها خليل ربما كانت أقضـــته بضـــغطها على قلبه أو ضغطها على جيبه أو ضغطها عليهما معا ، ونقلت الى المستشفى وغسلت معدتها للتخلص من السم ولكن الماء تسرب الى صدر شقى فأشقى وخدع فخدع فالتهبت رئتاها كأنما شب فيهما حريق ·· وركبها الهذيان وهو واثق انه كان موضوع هذيانها ··

وها هو ذا الليلـة يحصى دقات قلبه ويتحسس فى ظلمـة الزمن يوما سيكف فيه عن الخفقان لان موتها ذكره بالموت ·

ثم مال ميزان المعركة أخيرا وانتصرت الحيـــاة فبدأ يفكر فى طريقة السلوان ونزل من فراشه وتحسس زر النور فأضاء الغرفة ··

وجلس على مكتبه وأمسك القلم كأنما أمسكه ليكتب شيئا ··

لكن التفاتة حانت منه الى خزانة الكتب فرأى على حافتها العليا شيئا تعلق به بصره ··

ارتاح قليلا وأحس انه ان قلق يستطيع أن يجد هنا قولا للهدوء !!

كانت عيناه عالقتين بجمجمة وضعت على أعلى الخـزانة فرأى عظمهـا الخاوى نهاية لكل رأس والعينين بركتين والفم تجويفا قبيحا والانف مدخلا يوحى بالفناء فقال فى نفسه : هيه ·· انها هى الاخرى جمجمة امرأة ·· لانها صغيرة الحجم ··

وابتسم فى حسرة وهز كتفه برفق ثم قال : جائز ·· جائز انها كانت مثل جمالات ·· من يدرى ·· ؟

ثم أطفأ النور وتحسس طريقه الى الفراش مرة أخرى ·

● محمد عبد الحليم عبد الله ●

المدن السماوية واستعمار الفضاء

ميشيل ستكلا

بالرغم من ان فكرة « الهجرة الى الفضاء » قديمة قدم الخيال العلمي ، فان الاساس التكنولوجي لحساب ذلك وتحقيقه يعد من النواحي الرياضية البحتة التى لم تر النور الا بحلول السبعينات من هذا القرن الذى نعيش فيه ... فمنذ سنوات قليلة مضت ، كانت الاجابة على السؤال : هل يستطيع العلماء ارسال انسان الى القمر او تاسيس مستعمرات دائمة بعيدة عن الكرة الارضية تدور حولها كما تدور الاقمار الطبيعية والصناعية ؟ - كانت الاجابة مجرد ضرب من المحال لا يمكن ان يتحقق فى القرن العشرين بل وربما بعده بقرون عديدة ... اما اليوم فمن السهل الاجابة على السؤال لان المدن السماوية يمكن اقامتها فى الفضاء كحل جذرى لمشكلة الانفجار السكانى فى العالم .

يشعر العلماء ان الانسان فى مقدرته استعمار الفضاء ، ويمكنه تحقيق ذلك دون ان يلوث او يبيد شيئا فى الفضاء العريض . فاذا بدا العمل قريبا فى هذا المجال ، فمما لا شك فيه ان النشاط الصناعى سوف ينتقل من جو الارض الهش خلال خمس وسبعين سنه قادمة ، وان الاهتمامات التكنولوجيه لهجرة الانسان والصناعة الى ارجاء الكون الفسيح سوف تكون ذات اكتفاء ذاتى تتحكم فيهما وحدات حكومية صغيرة وتنوعات ثقافية ودرجة عاليه من الاستقلال والتركيز ...

● مستعمرات الفضاء ●

يتركز الاهتمام الرئيسى بمستعمرة الفضاء على البيئة التى سيعمل فيها نحو عشرة الاف شخص يكونون عائلات ويعيشون حياتهم الانسانية العادية التى الفوها على الارض .

ومثل هذه المستعمرة قد تبدو على هيئه عجلة ضخمة تدور حول الارض فى نفس مدار القمر ، وفى مركز ثابت متساوى البعد من كل من الكرة الارضية والقمر . ويسمى العلماء هذه النقطة « نقطة تحرير لاجرانجيان » . وقد تحتوى المستعمرة على انبوبة قطرها ٤٢٧ قدما منثنية على هيئة عجلة قطرها اكثر من ميل . ويعيش السكان فى الانبوبة المستديرة التى تتصل بستة طرق ضخمة

يسهل الوصول اليها ، تتجه الى « صرة » حيث تلتحم فيها سفن الفضاء .

وقطر هذه الطرق او « البرامق » ٤٨ قدما وتعمل كمداخل ومخارج لسكان المستعمرة والمناطق الزراعية فى الاقليم الانبوبى الخـــــارجى . وتحتوى هذه « البرامق » ايضا على (كابلات) القوى ومبدلات الحرارة التى تربط داخـــل المستعمرة بمحركات القوى الخـــارجية والشعاع الذى يتخلص من الحــرارة . وتعمل ايضا كاعمدة مصاعد تنقل يوميا عدة الوف من سكان المستعمرة الى عملهم فى الكرة الصـــــناعية او الى خارج المستوطنة الفضائية .

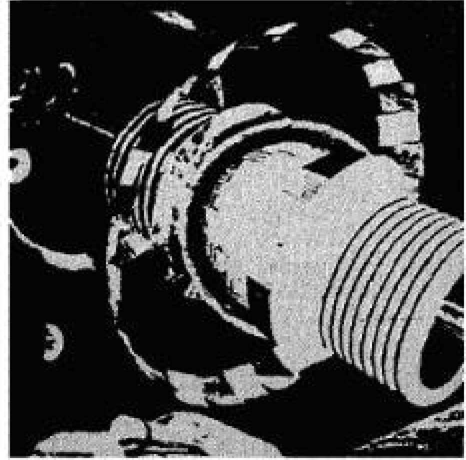


رسم تخطيطي لمستعمرة برنال الفضائية

تضاء المســـــتعمرة بضوء الشمس الطبيعى وذلك لان اشـــعة الشمس فى الفضاء قد تنكسر عن طريق مرآة ضخمة مركبة فوق صرة العجلة مباشرة . وتميل المرآة بدرجة ٤٥ على محور الدوران ثم تتحكم فى عكس اشــــعة الشمس الى مجموعة اخرى من المرايا المنخفضة صممت لكى تســـــمح بالضوء للوصول الى المستعمرة . وفى نفس الوقت تعمـــــل كحاجز لمنع الاشعاعات الـــــكونية من التسرب الى الداخل ..

ودورة النهـــــار والليل ضروريه فى المستوطنة وفى بعض المناطق الزراعية ، فى حين ان بعض الاقـــــاليم الزراعية الاخرى تحتـــــاج الى ضوء الشمس باستمرار . ويتم انجاز ذلك بابعاد الضوء من بعض النوافذ للحصول على ظـــلام

عصر الفضاء



مستعمرة الفضاء التي صممها العالم برنال واحداث ليل صناعي . وبمعاونة ضوء الشمس المتوفر والتحكم في الزراعة يستطيع السكان انتاج غذاء كاف لهم على مساحة من الارض لا تزيد عن مائة وستين فدانا .

ويقول المهندسون ان الطاقة الشمسية والكميات الضخمة من المواد الخام التي تجلب من القمر هي المصادر الاساسية لتأسيس مجتمع ناجح في الفضاء .

وضوء الشمس لا يأتي بالمحاصيل الزراعية الوفيرة فحسب بل يمد المستعمرة بالطاقة للصناعات اللازمة وفي توليد الكهرباء ولادارة الافران الشمسية وتهذيب الالومنيوم والتيتانيوم والسيلكون من الخامات القمرية التي تنقل بارخص التكاليف الى الفضاء . ومن هذه المعادن يمكن صناعة محطات قوى شمسية ومستعمرات اخرى جديدة ، وعلى ان ترسى المحطات المنخفضة في المدار حول الارض لتوليد الطاقة الكهربائية . والقيمة الاقتصادية لمحطات القوى هذه قد تبرر وجود المستعمرة وانشاء غيرها باعداد كبيرة .

فلعل الهدف الرئيسي هو تصميم مجتمع دائم في الفضاء يكون منتجا بما فيه الكفاية ويستخدم طريقة مبتكرة في استحداث بيئة الفضاء للمدى الذي يسمح بالنمو والازدهار لانشاء مجتمعات اكبر . وهذا المجتمع الاول هو النواة الحقيقية لاستعمار متواصل للفضاء وقد حددت اهداف هذا المشروع باستخدام التكنولوجيا الراهنة وباقل التكاليف على النحو التالي :

١ ــ مستعمرة لاجراء التجارب السيكلوجية على سكان دائمين ولخلق مجتمع يقبل على الحياة .

٢ ــ الحصول على امداد مناسب من المواد الخام وتصنيعها .

٣ ــ اعداد نظام نقل مناسب للسكان والمواد الخام .

٤ ــ تنمية النشاط الصناعي لجلب رءوس الاموال ولانتاج السلع للتجارة مع سكان الارض .

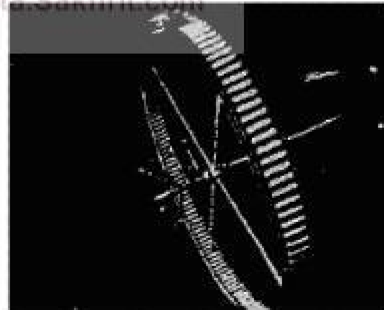
● فكرة المدن السماوية ●

بدا الاهتمام الرئيسي باستعمار الفضاء في عام ١٩٦٩ عندما شرع عالم الطبيعة المعروف البروفسور جيرارد اونيل هو ومجموعة من طلبة جامعة برنستون التفكير جديا في تصميم نموذج لاثبات الطريقة المثلى لانشاء مستعمرة فضائية. واستمر عملهم لمدة عام كامل خرجوا بعده بتصميم لمستوطنة دائرية في مدار قمري حول الارض على مسافة من القمر

واستخدموا الطاقة الشمسية للحفاظ على نظام اكلوجى مغلق . وتصوروا بيئة انشئت من خامات القمر جاءت عن طريق معاجل كهرومغناطيس . وظهرت المستوطنة كاسطوانة طولها كيلو متر واحد ذات قمم نصف دائرية وبداخلها بيئة تشبه بيئة الارض على السطح الداخلى وتدفئها اشعة الشمس التى تعكسها المرايا .

وبعد مرور وقت قصير اكد فريق جامعة برنستون ان المستعمرة يمكنها انشاء محطات قوى شمسية من المادة القمرية التى جاءت فكرتها اصلا من العالم بيتر جليسر فى عام ١٩٦٨ ، ولكن تفاصيل برنامج استعمار الفضاء يرجع الفضل فيه الى العالم اونيل فقد تصور الفضاء كارض خصبة غنية بالمادة والطاقة تستطيع ان تمد الانسان بالمواد الخام . فالقمر وحده به كميات هائلة من الالومنيوم والتيتانيوم مما يبشر بانبلاج فجر صناعى جديد . ولفكرة مستعمرة اونيل تبدا من نقطتين : ان يكون الانسان عوالم جديدة بدلا من استعماره العوالم القديمة ، وان يبنى هذه العوالم بالمواد التى يتم تعدينها فى الفضاء ذاته .

ان هذه التصورات لعوالم خالدة فى الفضاء لم تات من تخيلات كتاب الخيال العلمى ولكن من تصورات العالم اونيل الاصلية التى ادخل عليها تعديلات جوهرية اثناء مؤتمر عقد فى مايو ١٩٧٥ بجامعة برنستون بموجب بحث بعنوان « مرافق الفضاء الصناعية » وقدمت تصميمات عديدة ولكن الابصار تركزت على نموذج اونيل وكيف ان الاجزاء العديدة للمستعمرة منسجمة مع بعضها البعض ، ودونت خواصها بالكمال وتضمنت الحاجات البشرية التى سيواجهها السكان الذين سيشغلون هذه البيئة والمواصفات المعينه لبدائل مركبات التصميم .


مدينة سماوية كما ستبدو فى عام ١٩٩٠

نبذة تاريخية عن استعمار الفضاء

يمتد تاريخ فكرة استعمار الفضاء الى ما وراء افكار عالم الطبيعة اونيل حتى يصل الى اساطير وخرافات العصور القديمة . ولعل اول مناقشة جادة عن بيئة الفضاء حدثت فى عام ١٨٧٠ عندما ظهرت رواية الكاتب الامريكى ادوارد افريت هيل بعنوان « قمر القرميد » يصف فيها كيف ان مدينة سماوية تكونت بطريق الصدفه عندما حاولت كرة من القرميد الدوران فى المدار لترشد بعض البحارة لكنها اندفعت بطريق الصدفة ايضا نحو منجنيق وبداخلها عمال ومهندسون .

وطبقا لمؤرخ الفضاء روبرت سولكلد فان سكان العوالم الصغيرة المحدودة فى

عصـــر الفضـــاء

الفضاء ظهروا فى روايات جول فيرن عام ١٨٧٨ وكيرت لاسوتز فى ١٨٩٧ . وظهرت فكرة محطات الفضاء لاول مرة عام ١٨٩٥ فى رواية تسيولكوفسكى ثم طورها فى ١٩٠٣ عند وصفه لمحطة فضاء يديرها عدد من الرجال وذات حركة دائرية لاحداث جاذبية صناعية ولاستقلال وتوزيع الطاقة الشمسية واوجد فيها منبتا ذا نظام مغلق . وفى اوائل القـــرن العشرين انحصرت فكرة استعمار الفضاء فى حدود بعض المواد ثم تقدمت ببطء عبر خمس سنوات ونشطت نشاطا غريبا . ففى عام ١٩٢٣ طور العالم هرمان اوبرث من فكرة استخدام محطات الفضاء قائلا انها يمكن ان تعمل كارصفة لاجراء البحوث العلمية والرصد الفـــلكى ومراقبة ما يجرى فى الكرة الارضية من احداث واستعدادات حربية .

وفى ١٩٢٨ فـكر العـــالم جيدو فـون بيركوت فى نظام يتكون من ثلاث محطات : واحدة فى المدار القريب والثـــانية فى المدار البعيد والثالثة محطة « ترانزيت » فى مدار اهليلجى وسط ترتبط بالمحطتين الاخريين . وقال ان هذه المحطات قـــد تعمل كمخزانات للوقود لاعادة تموين مركبات الفضاء التى تتوغل فى اعماق الفراغ فى اتجاهها نحو الكواكب والنجوم والاقمار . اما فكرة المحطة التى تبدو على هيئة عجلة فقد قدمها لاول مرة فى عام ١٩٢٩ العالم بولونيك واطلق على عجلته التى يبلغ قطرها ٣٠ ميلا « العجلة الحيه » واوصى ان توضـــع فى مدار متزامن . وخلال الحرب العـــالمية الثانية حصلت محطات الفضاء على دراسة عسكرية فى المانيا وطفت الفـــكرة على السطح بعد الحرب فى الدوائر التـــكنولوجية . وابرزها فى الولايات المتحدة العالم فون براون وطور عجلتها فى عام ١٩٥٢ ودفع قطرها الى ٧٦ ميلا بحيث ترسى الى مدار على ارتفاع ١٧٣٠ كيلو مترا .

وفى نفس الوقت تقريبا ظهر كتاب لارثر كلارك بعنوان « جزر فى السماء » . وهى رواية تضمنت محطات اكبر . وفى عام ١٩٦١ استبدل كلارك فى رواية اخرى المحطات الكبيرة باخرى ذات مركز ثابت بالنسبة لـــكل من الارض والقمر . وفى ١٩٥٦ طور العالم دارل روميك المحطة وجعلها على هيئة اسطوانة طولها كيلو متر واحد وقطرها ٣٠٠ ميل مع نهايات نصف دائرية بها قرص قطره ٥٠٠ ميل فى نهاية واحدة يقطنه نحو عشرين الف نسمة .

● فلك نوح ●

فى ١٩١٨ تصور العالم المعروف روبرت جودآرد فلكا يدور بالقوة النووية ينقل الحضارة من نظام شمسى يخبو الى نجم آخر ، ولكنه خاف من النقاد فاودع فكرته مظروفا واحكم اغلاقه . ولم تر فكرته



المدينة السماوية التى صممها عالم الطبيعة آونيل

● عجلة ضخمة تدور حول الأرض فى مدار القمر

● الاكتفاء الذاتى هو هدف الهجرة إلى الفضاء

النور الا بعد مضي خمسين عاما . وفي عام ١٩٢٩ برزت فكرة الكواكب الصناعية والعوالم ذات الاكتفاء الذاتي في اعمال العالمين ج. د. برنال واولاف ستابلدون . وفي ١٩٤١ وسعت فكرة فلك يطير بين الكواكب والنجوم للعالم روبرت هيمتلين. وفي ١٩٥٢ حللت الفكرة الى تفاصيل تكنولوجية قام بها العالم ل . ر . شيرد الذي تخيل مستعمرة تدور بالقوة النووية وزنها مليون طن على هيئة كرة مفلطحة اطلق عليها : « فلك نوح »

● مصادر ما بين النجوم

في عام ١٩٢٠ اقترح العالم جودارد استخدام مصادر ما بين النجوم لصناعة المركبات الفضائية والانشاءات السماوية . واصبحت الفكرة نظرية عامة في العلوم وظهرت في النشرات العلمية بعد الحرب الثانية . وفي ١٩٥٠ ابرز كلارك امكانية تعدين القمر ونقل الخامات القمرية الى الفضاء عن طريق مساحل كهرومغناطيسي على طول ممر فوق سطحه . وفي ١٩٢٨ اقترح فريتز زويكي استخدام مصادر ما بين النجوم لاعادة بناء الكون باسره ، ابتداء من صناعة الكواكب والاقمار والكويكبات التي يمكن سكناها وذلك بعد تغييرها جوهريا وتغيير مراكزها بالنسبة للشمس . وتضمنت خطة سكنى كوكب الزهرة ضرورة حقن جوها بمستعمرات من الطحالب لتخفيف ثاني اكسيد الكربون الموجود بكثرة في جوها ، وقد اقترح ذلك في عام ١٩٦١ العالم كارل ساجان . وبعد عامين اقترح العالم راندر بيرج كول تحويل كويكب على هيئة مجسم ناقص طوله نحو ٣٠ كيلومترا بحيث يدور حول المحور الاساسي للكرة الجليدية ويعكس ضوء الشمس الى الداخل عن طريق مرايا وخلق قشرة رغوية تصلح لسكنى مستوطنة دائمة في الفضاء .

في يوم ٢٠ يولية ١٩٦٩ سار رائدا الفضاء نيل آرمسترونج وادوين الدرين على القمر . وكانت هذه مجرد خطوة صغيرة للانسان وقفزة رائعة للبشرية .. سوف تتبعها خطوات اخرى .. وفي ابريل ١٩٨١ نجحت رحلة مكوك الفضاء وعاد الى الارض سليما معافى . وفي شهر نوفمبر من العام ذاته قام المكوك بمحاولته الثانية ليجرب ذراعا ميكانيكية ذات عضلات معدنية للقبض او اصطياد الاقمار الصناعية لاعادتها الى الارض لترميمها واضافة اجهزة دقيقة اليها ثم العودة بها الى مراكزها في مدارات حول الارض . واذا استمر نجاح رحلات مكوك الفضاء فمما لا شك فيه انه سيرسي قواعد محطات الفضاء كنواة لانشاء المدن السماوية ليسكنها انسان الارض في يوم من الايام بعد ان ضاقت به الكرة الارضية ولم يعد له فوقها مكان .

● ايمان !

كان ابو الاسود الدؤلي شيعيا ، وكان خصومه يرمونه بالليل ، فاذا اصبح شكا ذلك منهم .. فشكاهم مرة فقالوا :

— ما نحن نرميك .. ولكن الله يرميك !

فقال : كذبتم ... لو كان الله يرميني ما اخطاني !

من قصص الخيال العلمي



جلس دهان راى وحيد فى حجرته ، غارقا فى تفكيره سادرا فى تاملاته .. من خارج باب الحجرة تناهت الى سمعه « موجة »فكرية تتساوى مع الطرقة على الباب ، واذا هو ينظر الى الباب ، اراده على الانفتاح على مصراعيه !

انفتح الباب .. فقال : « ادخل ياصديقى ! » كان باستطاعته أن يعتبر الفكرة حقيقة موضوعية وينقلها بصورة تلبثائية .. ولكن عند وجود شخصين فحسب ، كان الحديث اكثر لطفا وكياسة .

دخل ايجون خى ،وقال « انك ، يافندى قد سهرت حتى وقت متاخرمن الليل . »

نعم ، ياخى ، فقى غضون

الكاتب الأمريكي فردريك براون

ترجمة د. سليم الأشيوطي

سكان الأرض يحملون الهدايا

ساعة من الزمان سيهبط الصاروخ الارضي ، واني لشديد التوق لمشاهدته عند هبوطه ، نعم ، اني اعلم انه سيهبط على بعد فيما وراء الافق . ولكنه اذا ماكان سيهبط حتى على هذا البعد ، فان وميض الانفجار الذري لابد وان يكون باديا للعيان . ولقد انتظرت طويلا واني لشوق للتعرف على الاتصال الاول .. فحتى لو كان هذا الصاروخ القادم لا يحمل مخلوقا من الارض فانه سوف يكون الاتصال الاول . ومن الطبيعي أن فريقنا التلبثاتي كان يقرأ افكارهم لقرون كثيرة . ولكن هذا سوف يكون الاتصال الاول المادي بين المريخ والارض ؟

تطامن خي ل مقعده ، واستراح جسمه على احد المقاعد الخفيفة ، ثم قال: « انه لحق ، اني لم اتابع التقارير الاخيرة باهتمام شديد . لماذا هم يستخدمون راس الطوربيد النووي؟اني اعلم انهم يفترضون ان كوكبنا غير ماهول بالسكان ولكن .. »

« انهم يشاهدون الوميض من خلال التليسكوبات القمرية ويحصلون على .. على ... ماذا يطلقون عليه تحليل طيفي ــ وهذا سوف يعرفهم اكثر مما يعرفون الان « او يظنون انهم يعرفون ، والكثير منه خاطيء » من جو كوكبنا وتكوين سطحه .. لتطلق عليه مدى مسار مشاهدة الصاروخ ، ياخي . انهم يكونون هنا شخصيا بعد مقابلات قليلة . فحينئذ

ان كوكب المريخ ينتظر وصول كوكب الارض . إن مابقى منه كان ذلك ، هذه المدينة الصغيرة الوحيدة التى يبلغ تعداد سكانها ما يناهز تسعمائة نسمة . ان مدنية المريخ كانت اقدم مهدا من مدنية الارض ، ولكنها كانت مدنية ميتة . كان هذا هو كل ما تبقى منها : مدينة واحدة .

ان مدنية المريخ قد تطورت في اتجاه مضاد لمدنية الارض . ان سكانه لم يكتسبوا معرفة هامة بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا . ولكنها امتى مدنية المريخ ؟ اكتسبت العلوم الاجتماعية

من قصص الخيال العلمي

بقدر عظيم حتى اختلست الجريمة ، ناهيك بالحرب من على سطح كوكب المريخ على امتداد خمسين عاماً. لقد اكتسب المريخ ، الى اعلى درجة ، العلوم التى تدرس خوارق الشعور والغيبيات العقلية ، التى كانت الارض قد بدات اكتشافها للتو فحسب.

ان كوكب المريخ يستطيع ان يعلم كوكب الارض الكثير بدءا من تحاشى الجريمة والحرب . فخلف هذه الاشياء تكمن التلباثية والتلسكانياسيسية لم الاميالية .

كان المريخ يامل فى ان الارض سوف تعلمهم شيئا ما الثمن معا لديهم : بمساعدة العلوم التكنولوجيا التى كان الوقت قد تاخر جدا بكوكب المريخ لتحصيلها حتى الان ، حتى لو كانوا يتمتعون بنوعية العقل الذى يمكنهم من اكتساب هذه الاشياء ، لتجديد كوكب عفا عليه الدهر ، وليعيد اليه النشاط النافع البناء ، حتى يستطيع جنس اخر العودة الى الحياة والتكاثر من جديد .

سوف يكسب كل كوكب من الكوكبين كسبا عظيما ، ولن يفقد اى منهما شيئا والليلة كانت هى الليلة التى يتلقى فيها كوكب الارض جهاز الاستطلاع الاولى ، ومحاولة اطلاق جهاز الاستطلاع التالى ، وهو صاروخ يقل رجالا من الارض ، او على الاقل يقل رجلا واحدا فى زمن الطلوع التالى الارض والمريخ ، ويستغرق هذا عامين بمقياس الزمن الارضى او اربعة اعوام تقريبا بمقياس زمن المريخ من الان . ان سكان المريخ يعرفون ذلك ، لان فرق التلباثية منهم كانوا قادرين ، على الاقل ، على التقاط بعض افكار اهل كوكب الارض بقدر يكفى لمعرفة خططهم .. ولسوء الحظ ، فان على هذا البعد كان الاتصال فى اتجاه واحد . ولم يستطع كوكب المريخ ان يطلب من كوكب الارض الاسراع فى تنفيذ برنامجه ، الامر الذى كان يجعل هذه الرحلة البدئية غير ضرورية .

والليلة يازاى ، فان الزعيم « وهذا اقرب مايمكن ان تعنيه ترجمة الكلمة من اللغة المريخية» ـ وخى مساعده الادارى والصق اصدقائه المقربين، جلسا معا وجعلا يتدبران الامر مليا الى ان حان الوعد . فشربا نخب المستقبل من شراب قوامه « المنتول » ، وتاثيره على اهل المريخ كتاثير الكحول على اهل الارض ـ ثم صعدا الى سطح العمارة التى كانا يجلسان فى احدى حجراتها . راحا يراقبان الافق تجاه الشمال حيث يجب ان يهبط الصاروخ. واضاءت النجوم متلالئة فى السماء وهى لاتطرف .

وفى المرصدرقم واحدعلى سطح قمر كوكب الارض ، ركز روج ايفرت عينه على عينية جهاز الاستطلاع ، ثم قال بنشوة المنتصر : « ان الصاروخ هناك ، ياو يللى . والان فبمجرد ان نحمض الافلام ونظهرها سوف نعرف عدد الاخاديد الكائنة على سطح هذا الكوكب العجوز ، المريخ »

واعتدل فى جلسته ، فلم يعد هناك مزيد نراه الان وصافح ويللى سانجر بحرارة ، فلقد كانت هذه اللحظة مناسبة تاريخية .

انى لارجو الا يكون الصاروخ قد قتل احدا من اهل كوكب المريخ . اذلك كل مافى الامر ، ياروج ، ترى هل اصطدم بالمنطقة القائمة فى سبارتس الكبرى ؟

« ان قرب الصاروخ من هذه المنطقة هو المهم فى الموضوع . وفى اعتقادى وتقديرى انه كان على بعد الف ميل تقريبا الى الجنوب وهذه مسافة قريبة جدا من مسار خمسين مليون ميل فى رحلة الصاروخ ، فهل تعتقد حقا ياويللى ان هناك احياء على سطح كوكب المريخ ؟ »

فكر ويللى مليا فى الامر ، فترة ثانية ثم قال : « لا : لقد كان على صواب ..

يوم من أيامى.. كيف أقضيه؟

بقلم: فكرى أباظه

على امتداد الشهور والاعوام فى ماضى الهلال، قدم للاجيال زادا من روائع الفن والفكر والمعرفة... وفى هذا الباب نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من اجمل ما قدم الهلال..



١ ـ اذا اعتبرت ان " يوم الاثنين " يبدأ بعد منتصف ليل الاحد ، في الساعة الثانية او الثالثة صباحا ، اعتاد احد اصدقائي ـ او اقاربي ـ ان يدق لي تليفونا « سكران » مخمورا فاستيقظ « مفزوعا » اتوقع اخطارا بحسادث مفاجيء فاذا بالمتكلم او المتكلمة هازل او هازلة .. الفاظ وعبارات من مختارات جون هيــــــبي ، والخواجة ماكنيش . والسيد المحترم الفاضل « فات تمرة ٦٩ . »

فاذا ما صرخت صائحا : حــــرام ياناس . انا مخلوق اكد في سبيل رزقي من الساعة السابعة صباحا ، كان الرد الخشن او الرقيق هو ما يأتي : انت " وحداني " وتريد الاطمئنان عليك ..

وقد تتكرر هذه المخابرات المخمورة مثنى وثلاث وسـائلني : « لماذا تبقى التليفون بجانبك ؟ فاجيبك : هــو حارسي في الليل وانيسي في النهار .. لا اطيق البعد عنه لانني "وحداني" »..

٢ ـ واستيقظ مصدعا مكروبا في الساعة السابعة صباحا مهما شـحت ساعات نومي وقلت .. استيقظ مصدعا على خمس مخابرات تليفونية في المتوسط لابد ان احداها من الخارج ،من الزقازيق او منيا القمح او الاسكندرية او الفيوم وكلها من تكليفات دواوينية من ترقية او نقل او تعيين او قضاء مصلحة وبعضها حاب مهذب والبعض توبيخ مر والبعض سباب لانني اهملت او نسيت.

٣ ـ فاذا ما انتصفت الســاعة الثامنة اكون قد انتهيت من اربعة او خمسة علاجات طبية، فهذا دواء الاسنان وهذا دواء الكحة وهــذا دواء الكاللو وهذا دواء الاذن ومتى خلصت من مهام صحتي لجأت الى قلمي وحبري وورقي اشربت « شفطة » من فنجان الشـاي وكتبت عدة سطور للمصور ، ثم التهمت شاورمة وكتبت عدة سطور . ثم التهمت فطوري التهاما بغير مضغ والقلم في يدى اكتب واكتب واكتب

٤ ـ ويطلب ان يدق جرس البـاب مثنى وثلاث ورباع فهذا " المكوجي "يطلب توصية وهذا « الاسانسيرجي » يطلب كرتا ـ وهذا السباك ، يشرح مظلمته..

٥ ـ فاذا ما اتاح الله لي النزول اصدرت اوامري العالية بالوان الطعام التليفونية للطباخ « العزيز » وتدحرجت على السلم الطويل الذى يبلغ ١٥٠درجة اذا كانت الاسانسير معطلة . وما اكاد اطل على فناء العمارة حتى اصطدم في « الثلاث » وفي " الكوريدورات "بخمسة او ستة من طلاب الحاجات من جميع القطر . لانني اخطب في الراديو واكتب في المصور فتتم خطبي وكتاباتي عن اني " رجل انساني " لا ارفض رجاء..

٦ ـ واذهب « للمصور » صــباح الاثنين في الساعة الثامنة فاجد اكداسا من "البروفات" من الموضوعات الثابتة تمهيدا للعمل لا يقل ارهاقا يوم الثلاثاء صباحا ومساء ...

٧ ـ وبين كل دقيقة واخرى يقتحم



جابرة الساعي الباب حاملا خمسة او ستة الخطارات ملأبلات فارقف العمل والقابل الوفود وقد بلغ عدد بعضها الاثنين نادرا والتليفون او التليفونان العزيزان بجانبي دائما الصراخ والعويل والمخابرات منها المبكي والمضحك والمؤلم والموجع ، والخشن والناعم .

٨ — فاذا ما انتهيت حوالي الساعة الحادية عشرة فهناك « لجنة » ادارية واخرى مالية ، وثالثة فنية ، ولابدان اجتمع فيها مع رؤساء الاقسام واتداول وابدى الرأى وغالبا لا افهم فيه شيئا .

٩ — ولا تنس انني « محام » ومن واجبي أن اخطف مهماتي وواجباتي خطفا في المحكمة او في النيابة حسب الاحوال

١٠ — وفيما بين الثانية عشرة والثانية بعد الظهر ، اساهم في اعمال فريق المجلس اى مجلس النواب وهي اعمال في الصميم لكل نائب يحس انه يؤدى واجبا القسم عليه يمين الطاعة والاخلاص والصدق والاتقان ..

١١ — واعود الى مسكني محطما متهدما فما اكاد انزع بعض ملابسي حتى يستدعيني مكتبي لمقابلة بعض الزبائن او حتى تستدعيني رياسة الوزراء اوالوزارة الخارجية او الداخلية لمقابلة الوزير . ويكون سوالي قد انصرف فاجرى وراء التاكسيات لاصدع بامر الحكومة ..

١٢ — واعود ثانية لاتناول طعامي فاجد اكداسا من بوستة الصباح فالقفها واقراها على لقمة « العصة » وتفعيسة الوبكة وتنهال المخابرات التليفونية فلا اذكر مرة انني اكلت ويداى الاثنتان متفرغتان للطعام .. بل لابد دائما من ان تكون احداهما مشغولة بالتليفون ..

١٣ — ويدق الجرس ويمتلىء الصالون بالذين انتظروني في مكتبي وزفت منهم «فاقابلهم» وانا ارتع من التعب واشرب القهوة معهم ويطول الحديث وكله ذو شجون .. فاذا ما فرغت من واجب الضيافة وبحث المستندات والوثائق لجات الى فراشي لارمي جثتي الهامدة ولانام ولكن ...

١٤ — ..ولكن جلسة مجلس النواب تنعقد في الساعة الخامسة وعندى ابحاث فقهية ومالية وتشريعية لابد من مراجعتها ودراستها والان فليسقط النوم، ولتحى اليقظة فاكب على ملفاتي وكتبي وموسوعاتي ومراجعي واستخلص ، وانقل ، واكتب حتى تحين الساعة الرابعة ...

١٥ — يجب أن اذهب للمصور « لاراجع » بعض البروفات ولكن قبل ذلك يجب أن احلق ذقني واراجع مصروف المطبخ والمنزل واحاسب وادفع وقد يطب زائر او زائران او ثلاثة زوار فالطبوجي واكر على اسناني واستقبل الضيوف بالاحضان .

١٦ — واذهب للمصور فاراجع واصحح ثم اهرول هرولة الى غرفة المعارضة قبل افتتاح الجلسة للتداول والتامر ورسم الخطط .

١٧ — وادخل الجلسة وانا من المربصين في مدى الربع قرن المماضي على الحضور والبقاء والنجاح حتى الساعة التاسعة تقريبا .

١٨ — واذهب الى « النادى الاهلي» لاستريح ولكن لا : هنالك لجنة اللائحة تنتظرني — ولجنة العمال — ولجنة الميزانية ولابد من ان اعمل فيها ساعة او ساعتين ..

١٩ — ويكون الجوع قد فعل فعله في معدتي وذهني ، واعصابي فاتناول طعامي بسرعة البرق ، وتدق الساعة الحادية عشرة .. ثم تدق الساعة الثانية عشرة .. وينتهي اليوم ..

ويبدا اليوم الجديد بعد منتصف الليل ■

وليس من حقك ان تسالنى بعد ذلك ملاذا اعمل ؟

هنا يتجلى « فكرى الحقيقى » بعد رحيل المشاء ، بحقيقته وجوهره وطبعه، وهنا بشعر بسعادة الفراغ من الواجب ولا يعلم الا الله وحده اية « مغارة » تحتويه .

وقد يعتاز « يوم الاثنين » باننى اجرد نفسى فيه من كل مشاغلى الاخرى لانه من المستحيل عمليا ان اضيف عملا الى هذه الاعمال فى الخمسة عشر ساعة التى اعاسيتها فى هذا اليوم .

ولكن لا تنس ان المجاملات تقتطع منا وقتا وجهدا ، فالجنازات والمآتم اليومية عمل وزيارة المرضى فى المستشفيات عمل وتلبية دعوات الغداء والشاى والعشاء عمل وتحرير المقالات لمختلف المجلات عمل وواجبات المهنة الصحفية وخدماتها عمل والواجبات المالية ومقتضياتها عمل ومقابلة الوزراء والوكلاء ومديرى المصالح فى شمال القاهرة وجنوبها وشرقها وغربها عمل والسفر للارياف عند الضرورات عمل والاختلاط بالناس لالتقاط الاخبار عمل ..

والمجرب الناظم هو الذى يجهز على كل مادونه فى اجندته فلا يؤجل ويكدس لانه يجد نفسه فجاة امام استحالة بشرية لاقبل له بها، وقد يوافيك مزاجك وتتفتح شهيتك للعمل وانت نائم فيجب ان تهب وتجهز وقد يوافيك الوحى وانت وسط اخواتك فتنسحب بسرعة البرق وتجهز وانصح كل الرهقين مثلى بان يحملوا معهم فى سياراتهم او فى جيوبهم اوراقهم واقلامهم فانت لا تقدر متى يحين حين « الفراغ » و « الاستعداد » وكلاهما مفاجىء ..

ولا تهمل ان تدون فى مذكراتك كل ما يعرض لك مما يدخل فى واجبك وسجله بغير ترتيب ولا تعقيب لانك غالبا ستلتمس التدوين اخلاصا وقد تخطر عليك الفكرة فى ظرف لايمكنك فيه ان تسجل فرسخها فى الذاكرة مرة ومرتين وثلاثا حتى تنتهز الفرصة وتخط هيكلها ، وبروازها ..

والعجيب انى فى تجاربى واختباراتى لم احفل بقيمة الاشخاص ولا مكاناتهم ولا علمهم فقد تستفيد من « الجاهل » و « نصف المتعلم » والموهوب بحكم الفطرة والغريزة اكثر مما تستفيد من الفطاحل والنوابغ والعلماء والمسئولين ..

بقى عندى شىء واحد وهو الخيال الخصب الذى يبتكر ويولد ويفرخ فى الاوقات التى تخلو فيها لنفسك سواء اكنت فى سيارة او فى عزلة او فى سفر تسابق مواكب الافكار متلاحقة فاصقلها وهذبها ولبتها فهى موردك الصلب الفياض .

والويل كل الويل للكاتب او الخطيب او المحامى الذى يعتمد على البديهة مادامت الفكرة فى ذهنك بخطوطها الرئيسية ونقطها الجوهرية فان الصياغة بالقلم او باللسان سهلة ميسورة سريعة قوية اخاذة .. وحذار حذار ان تعمل وانت كاره . انك لن تنتج الا الرخيص . لا تكتب الا اذا كنت تحس الرغبة ولا تخطب الا اذا كنت تحس التهيؤ ، وفرق شاسع بين كتابة وخطابة اضطرارية وكتابه وخطابه روحية وجدانية

والصحة .. الصحة ..

الصحة هى دعامة العمل ..

وبغيرها لاعمل ..

او عمل كأنه لا عمل ..



مذكرة طبية

د. سيد الجميلي

احترس من البرد

نزلات البرد هي أهم سمات فصل الشتاء، ولابد من الحذر منها وتوقي شرورها ، اذ انها تنزل بالبدن نزولا صعبا قاسيا يضطرب له الجسم وتتوتر منه الاعصاب وقد تهشم منه نفس المريض .

وللوقاية من نزلات البرد يحذر الخروج من الغرف الدافئة الى تيارات الهواء ، او القعود في المكان البارد بعد حمام دافيء ، لان ذلك يقلل لحظيا من مقاومة الجسم ومناعته فيصبح اقل كفاءة واقتدارا في الدفاع عن نفسه من الميكروبات السبحية أو العنقودية الغازية التى تنقض على دفاعاته ، فيتفاقم الاذى ويتشعب المرض .

النزلات الشعبية والالتهاب الرئوى

من ظواهر الشتاء أيضا زيادة النزلات الشعبية والالتهابات الرئوية للاطفال الصغار في سنى حياتهم الاولى وفى الاشهر الاولى من اعمارهم ، حيث تزداد المضايقات التنفسية من صعوبة التنفس ، الى « كرشة النفس » المتصلة وارتفاع شديد في درجة الحرارة التى يستمر اياما مما يستوجب معه وضع الطفل ـ مهما كان صغيرا ـ في حوض من الثلج .

ولابد من اقتلاع عادة قديمة ضارة مؤذية متمكنة من نفوس الناس ولعلها السبب المباشر في موت الاطفال بايدى اهليهم ، وتقصد الاباء والامهات ، وهى انه لا يمكن وضع الطفل او استحمامه بماء بارد عند ارتفاع حرارة جسمه ، اذ ان العكس هو الصحيح او المفروض ان الماء البارد او الثلج اساس علاج الحرارة المرتفعة . وقد سبق في ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء » فلابد الان من الاستحمام بالماء البارد كعلاج ضرورى اوكشق هام في علاج مثل هذه الحالات .

اعوجاج الحاجز الانفى

يشكو البعض من الناس من الزكام المستمر والحساسية الشديدة في الانف ، وتزداد ضراوة هذه الشكوى مع فصل الشتاء .

ويعزى هذا الى سببين اساسيين الاول وهى الزوائد الانفية الناتجة عن الحساسية وفيها يشعر المريض ان انفه مغلق تماما ولا يستطيع اخذ النفس منه الا بصعوبة بالغة مما يجعله يتنفس بالفم بدلا من الانف، وهذا يجعل الهواء البارد غير الدافيء يسبب له احتقانا بالشعب الهوائية ، ودائما يعانى لذلك من الالتهابات الشعبية الحادة والمزمنة .

نفس المسالة مع اعوجاج حاجز الانف فانه لا يعالج أو لا تنفع الجراحة في استئصال الحساسية انما قد تزداد الحساسية بعد الجراحة على النقيض من المطلوب .

وفى هاتين الحالتين لابد من الاستمرار في تعاطى مضادات الهستامين ومضادات الحساسية بانتظام ومركبات الكورتيزون بالجرعة السليمة التى يقررها الطبيب المعالج.



حيرة

شعر
د. محمد
الصياد

وقفت على شط الخضم مفكرا
أقلب طرفي في السماء وفي البحر
وقلت لموج البحر : مالك صاخبا
أدأبك لا تنفك تعوى مدى الدهر ؟
بجوفك آلاف اللآلى فريدة
فأنت غنى أيها البحر بالدر ...
تضن بها بخلا .. فهل فيك جوهر
من القلب ؟ مثل القلب ينبض فى صدرى ؟

وكان سـؤالا ، حار فيه فـلم يجـب
وعادَ من المد القوى إلى الجـزر ...
وأبصرت بدرا لاحَ فى الأفـق ساطعـا
ينير ظـلام الليـل منه بـبـرق .
فقلت له : يا بدر ... نـورك غـامر
وصـدرك صخرٌ فى الظـلام غريق .
يناجيك عشـاق . فتبسـم سـاخر
وإنك ــ فيما يزعمون ــ صـديق .
يبثـونك الشـكوى فهل أنت مسـعد
وهل لك قلب بالحنـان دفـوق ؟
ففر وراء السـحب ، يستر خـزيه
وخيم صـمت مطبـق ، وعميـق
تخطيت شط البحـر والبـدر عارجـا
إلى حضرة الخلاق فى المـلأ الأعلى
وقلـت له : يـا رب لم أر ذرة
بعالمـك المأهـول تفهمنى أصـلا
أمامى المـروج الخضر تبـدو جميـلة
ولكنها ليسـت لأنغامنـا أهـلا
أرى عـالما خلـوا من القلب ، بينمـا
أنا الطين .. لى قلب ينـير لى السـبلا
وأصغيت ، لم أسـمع جوابا سوى الصدى
وعدت كسيف البـال ، أفتقد الحـلا



عندما يعود

محمد سعيد
يكتب من
اثينا



المسرح إلى سنوات ميلاده

● الجيل الحالي من نجوم المسرح
ومعادلة تمزج بين أصالة الماضي
وضموح نظرة الحاضر في المستقبل

●● كان تعبير الشارع اليوناني عن رأيه في الانتخابات التي اجريت هناك اخيرا اشبه بالتراجيديات الاغريقيه الشهيره .. وفي اشهر ميادين اثينا (ميدان سنتيجما) اي الدستور كانت الاعلام ترفرف والموسيقى الصاخبه والاضواء المبهره تغرق الجميع في بحر من النور، وهم يرقصون على اغانيهم القومية

ووسط هذا المشهد الحافل الذي ضم ربع مليون نسمه، قال لي زميل صحفي من التليفزيون البريطاني: ان مايحدث في ميدان الدستور في احتفالات الانتخابات النهائيه لايختلف عن العروض المسرحيه الاغريقيه التي كانت تقام في الاصل للتعبير عن معتقدات دينيه ولايختلف عن مفهوم الدراما اليونانيه التي بدات مع المسرح الاغريقي عند مقتل ديونيسوس

● نصحني الناقد البريطاني بان انتهز فرصة الايام الاخيرة لمهرجان اثينا المسرحي لاشاهد بعض عروضه التي يوضح التجاوب الجماهيري فيها اهمية عقد المقارنات بين ارهاصات المسرح الاغريقي وواقع الانسان اليوناني في الحاضر والماضي والمستقبل .

يقع المسرح الذي تقام عليه عروض مهرجان اثينا للمسرح والموسيقى تحت مرتفعات معبد الاكروبوليس الذي يرتفع في سماء العاصمة اثينا ويطلق على المسرح اسم « هيروديس اتيكوس » وهو ينتمي في بنائه للمسارح اليونانية ذات الطراز الروماني الدائري الذي يشبه حدوة الحصان . والمسرح يتسع لخمسة الاف متفرج تقدم عليه العروض منذ بداية فصل الصيف وحتى نهايته ، محتويا جزءا من ايام الخريف وهي اجمل ايام العام في اليونان اذا قدر للامطار ان تتأخر في هطولها .

وعندما بحثت عن شخص اعرف منه على قيمة النجاح والاستمرار في مهرجان اثينا المسرحي ، لم اجد شخصا بعينه يحيط نفسه بالاضواء ويستغل المهرجان العالمي في تفخيم ذاته وتكران جهود الاخرين كما يحدث للاسف في محاولات اقامة المهرجانات الفنية في عالمنا الثالث وعثرت على مدير المهرجان الدكتور قسطنطين سيرو ووجدته شخصا بسيطا يتوارى في الظل لكي يتلقى اضواءالمهرجان وحدها .

عندما يعود المسرح إلى سنوات ميلاده



واحدة من المسرحيات الاغريقية القديمة يعاد عرضها في كل عام في مهرجان اثينا المسرحي

حدثني مدير مهرجان اثينا عن اللقاء السنوى الذى يقدم امهات الاعمال الكلاسيكية في التراث المسرحي اليوناني من بين مختارات اعمال اسيخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس واريستوفانيس التى كانت تقدم على نفس المسرح القديم « هيروديس أتيكوس » الذى بنى في القرن الرابع قبل الميلاد والذى صاحب البدايات الاولى لقيام المسرح الاغريقي الذى نشأ قبل القرن الخامس قبل الميلاد ، عندما بدأ الفن الدرامي اليوناني في نشيد « ديثورامبي » ونشيد ديثورامبي هذا يحكي قصة مقتل ديونيسوس على يد أبناء التيتانيس ... وتقام احتفالات الذكرى التى تشهد البكاء والغناء والرقص والخمر وكان أسلوب الاحتفال يتم من خلال شكل دائرى يلتف فيه المحتفلون في حلقات الرقص والغناء والبكاء وتطور اداء المجاميع لكى يظهر أداء الممثل الفردى ، وكان الممثل الاول بمثابة الراوى وكان التفكير فيه من خلال « تسبيس » ، ثم جاء الحوار الثنائي بين الممثل الاول والممثل الثاني من خلال « ابسخوليس » وهو واحد من اشهر كتاب المسرح اليوناني القديم ثم تعدد الممثلون على يد « سوفوكليس » واخذت المسرحية الاغريقية شكلها الذى تعرف به الآن .

ويواكب تطور الدراما اليونانية وشكلها المسرحي اكتمال التطور البنائي للمسرح بأجزائه الثلاثة وهى أرضية المسرح والمقاعد الدائرية وغرف الممثلين وهو الشكل المستمر للآن في هذه المسارح التاريخية .

قال لى الدكتور قسطنطين سبيرو ان هذا المهرجان بدأ في عام ١٩٥٥ يحمل اسم مهرجان اثينا ولان بعض المسرحيات التى تقدم تتحدث بنفس اللغة الاغريقية القديمة وهى من اللغات الميتة الآن التى يصعب على اليوناني المعاصر فهمها فهما كاملا فان كل الفرق المسرحية اليونانية تشارك في تقديم هذه المسرحيات ومنها فرقة المسرح القومى اليوناني ، وفرقة الاوبرا القومية ، بجانب اشهر الفرق العالمية المهتمة بالتراجيديات الاغريقية مثل فرقة مسرح نيويورك التى قدمت مؤخرا اعمال سوفوكليس ويوربيدس ، كما شاركت في المهرجان اوبرا لاسكالا الايطالية ، والفرقة الموسيقية الكلاسيكية في موسكو وحضر عزف الفرقة الامريكية الموسيقار اليوناني الاصل ديمترى متروبولوس الذى قام بقيادة الاوركسترا السيمفونية .

وشاركت في العروض ايضا فرقة مسرح الباليه ومسرح الدولة اليوناني

وغيرها من الفرق القومية والزائرة .

ويرى المشتغلون بالمسرح فى اليونان ان فكرة احياء التراث المسرحي اليوناني لم تبدأ من خلال الجهود اليونانية لكنها بدأت فى الخارج من خلال المحاولات الاوربية فى القرن ١٦ لاحياء المسرح الاغريقى وكان ذلك فى روما وباريس ولندن الا ان اليونانيين لم يلتفتوا الى قيمة تراثهم المسرحى الاغريقى الا فى القرن التاسع عشر بعد أن ترجم رنجافيس تراجيديا « الفينيقيات » من أعمال يوريبدس من لغة اليونان القديمة الى اللغة اليونانية الحديثة .

● المسرح القديم واللغة الجديدة ●

ومسرح هيروديس اتيكوس الذى تقام عليه عروض مهرجان اثينا بدأ اعداده للعروض المصرية فى عام ١٨٦٧ وكانت اول مسرحية تعرض عليه هى «انتيجونا» رائعة سوفوكليس التى قدمها المسرح القومى المصرى منذ عامين ، لكنها لم تقدم فى مهرجان اثينا باللغة القديمة التى انقرضت بل قدمت بلغة حديثة صاغها رنجافيس .

ومنذ ذلك الوقت بدأت محاولات تطوير المسرح الاغريقى القديم واستمرت العروض بصفة غير منتظمة حتى يتبنى الشاعر اليونانى ايفانجلوس حركة احياء التراث المسرحى اليونانى فى أواخر العشرينات وكانت آراؤه فى ضرورة صياغة الفكر المسرحى الاغريقى من جديد معتمدة على ضرورة تقديم العروض المسرحية بالنهار مثلما كان يحدث فى الماضى والاهتمام بالملابس التاريخية والوقار القديم وبعث دور الاوركسترا فى الشكل المسرحى اليونانى .

وتبنى المسرح القومى اليونانى هذه الافكار عند انشائه فى عام ١٩٣٢ وكانت من ابرز الاعمال التى احياها هذا المسرح مسرحية « اليكترا » تأليف سوفوكليس .. « جمهورية النساء » تأليف اريستوفانيس .. « الفرس » تأليف اسخوليس .. « ابناء هيراكليس » تأليف يوربيدس .. « أوديب » تأليف سوفوكليس .. « الضفادع » تأليف اريستوفانيس .

وتنتقل محاولات احياء المسرح الاغريقى من جهود المسرح القومى الى نشاطات مهرجان اثينا المسرحى والموسيقى التى بدأت فى عام ١٩٥٥ ولكى تستمر حتى الان لاينافسها فى مضمون عروضها واماكن تقديمها الا العروض المسرحية فى جزر رودس ، وكريت ، وفى مدينة سالونيك وأيضا فى مهرجانات « دلفى » المسرحية ، وهى نشاطات داخل ارض التراجيديا اليونانية ، وهى غير النشاطات الكبيرة التى ينشغل بها المسرح فى معظم بلاد العالم والتى تعبر عن اهتمام العالم بالتراث المسرحى الذى خرج من اليونان القديمة .

● التراجيديا القديمة والمسرح المعاصر ●

غير ان المسرح اليونانى الحديث يقوم على اعمال جديدة لجيل معاصر من الكتاب تزدهر خشبات المسارح اليونانية باعمالهم الان ومن هؤلاء ما يعتبرهم الحقل الثقافى اهم كتاب المسرح اليونانى اليوم وهم :

● ا . ماتسيس .
● د . فيزيتوس .
● د . هور موزيس .
● جورجيوس اكسفوبولس .
● د . كوروميلاس .
● سيروس ميلاس .

عندما يعود المسرح إلى سنوات ميلاده



وفي خلال العشرين عاما الاخيرة ظهرت اجيال جديدة من كتاب المسرح اليوناني قدموا مع ابناء جيلهم من المخرجين والفنانين خلقا جديدا للواقع المسرحي اليوناني في المضمون المطروح وفي تكنيك الحركة المسرحية ووضح ان هناك ميلا للمزج بين التجارب المسرحية الحديثة والاعمال الملحمية القديمة في اعمال موسيقية درامية تميل الى استخدام الفن التشكيلي في تحليل الفنون الذي يتابعه المشاهد على خشبة المسرح.

وعلى نفس المستوى من الاهتمام بالمسرح الملحمي ، تبدو المسرحيات التي تعالج الواقع اليوناني المعاصر وتتناول حياة الناس في مجتمع الملايين العشرة داخل الجزر اليونانية والملايين الاكثر من عشرة في كل ارجاء المهجر في شتى بقاع العالم

وفي اليونان فرقتان للمسرح القومي الاولى في اثينا ، والثانية في العاصمة الثانية سالونيك في شمال اليونان وكلا الفرقتين تمزجان في خطتهما المسرحية بين تقديم التراث المسرحي القديم وتقديم المسرحيات الحديثة ذات الاصول اليونانية او العالمية .

هناك ايضا عشرات الفرق المسرحية الخاصة التي تقدم عروضا مختلفة ، اكثرمن يميل الى الكوميديا والاستعراضات الغنائية الموسيقية والمسرحيات الاجتماعية والدينية والسياسية .

ومن نجوم المسرح اليوناني اسماء كبيرة لها قيمتها التي لا تقل عن قيمة ممثلة من طراز ايرين باباس او نجمة في قدرة ميلينا ميركوري او مغنية ممثلة لها روعة عطاء النجمة الراحلة ماريا كالاس .

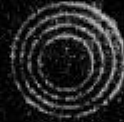
وعلى خشبة المسرح اليوناني تلمع الان اسماء ماريكا كوتوبولي - كيسللي سابلني باباداكي .. اميليوس فاكيس وكاتينا باكسينو .

والتابع للمسرح اليوناني الحديث في اهتماماته المتعددة لا يمكنه ان يغفل اثر المواريث المسرحية القديمة في وجوده المعاصر ، حيث ساهمت حركة احياء الدراما الاغريقية في خصوبة مصادر الفكر المسرحي اليوناني ، التي عادت بالفكر الحديث الى الاصول الاولى حيث نزل الآلهة والابطال الملحميون الى مستوى الانسان العصري وصراعاته الحديثة التي تؤكد قيمة الصلة بين الدراما الاغريقية والدراما الاجتماعية التي افرزت العديد من الجماعات ومدارس التفكير المسئولة عن ظهور العديد من مدارس الاخراج المسرحي التي تزدهر الان في الحركة المسرحية اليونانية مابين اساليب التناول الحديث واساليب التعامل الرمزية ومدارس الاخراج المسرحي التعبيرية .

وهذا الرواج في الوجود المسرحي اليوناني وهذا التنوع في المدارس والاتجاهات جزء من مناخ ثقافي حيوي نرى ان اليونان مقبلة عليه في عصر اختيارها الجديد الذي ينعكس على كل مجالات الابداع فيها ●

السينما

عبد النور خليل



عالم من الأساطير

● الأسطورة تتيح للمخرج السينمائى جواً من الغموض والفخامة والإثارة

● الساحر مارلين: هو الشخصية الرئيسية فى أسطورة الملك آرثر وسيفه

● سكان جبل الأولمب كانت لهم خطايا البشر من الأنانية والقسوة والظلم

خرافات الإغريق كانت موضوعا مفضلا للسينما منذ بداياتها الأولى



أسفت كثيرا وأنا أجد فيلما عظيما رائعا للمخرج الكبير العالمي الشهير الياباني كيرا سوا يتهاوى ويسقط تحت أنظار جماهيرنا هكذا فلا يستمر عرضه غير أسبوع واحد .. حقيقة ان كيرا ساوا في فيلمه هذا « ظل المحارب» ـ الاسم الاصلي كيجاموشا ـ يتعلب اسطورة يابانية قديمة ، تقع أحداثها المفترضة في الربع الاخير من القرن السادس عشر الميلادي ، ويصبغها بجو غريب نابع من بلاد الشمس المشرقة وتقاليدها وعاداتها وطبيعتها .. تقاليد القبائل القديمة التي كانت تكون مجموع هذا الشعب، وتقاليد المحاربين الشجعان وولائهم المطلق لرأس القبيلة ، وسلوكهم في الحرب والحب والموت .. وكان هذا وحده .. ذلك الجو الاسطوري المثير ، وعلى امتداد ما يقرب من ثلاث ساعات من الفن السينمائي المبهر الضخم هو سر نجاح الفيلم في كل ركن من العالم ، الا مصر مع الاسف الشديد .. على الرغم من ان كيراساوا بين جماهير السينما المصرية

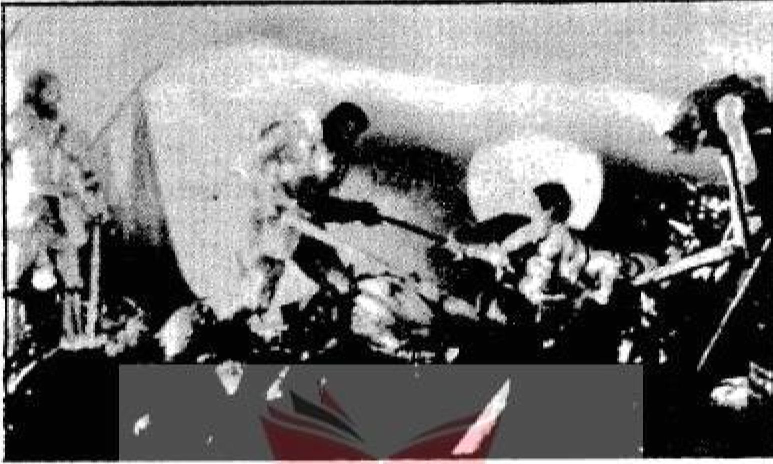


الساحر مارلين اقنع الملك ارثر بحب اخته

أرضية ضخمة بافلام مثل « الحراس السبعة » . و « راشامون » و « عرش الدم » وغيرها . فقد يكون السبب في أعراض جماهيرنا عن « ظل المحارب » هو ان لغته يابانية، وقد عرض بترجمة انجليزية على مشاهده ، وقد يكون السبب هو اتجاه الشركة الامريكية التي وزعت الفلم عالميا ، وهي شركة فوكس، الى حذف بعض مشاهده عند تقديمه في مصر لطول مدة العرض فافسدت سياقه الروائي الذي أتصور أنه كان مترابطا ومتماسكا ولا بد ان يعرض كما رأيته في الخارج .

وأعود الى أصل الموضوع المطروح الان وهو « الاسطورة وعلاقتها بالسينما » .. ان الاسطورة عادة ما تتيح المخرج المتمكن الخصب الخيال مجال الابداع والتفوق، وكلما زاد غموض الاسطورة وامتداد جذورها وشيوعها على النطاق الانساني ورسوخها في

السيف السحري « اكسكاليبور » امتلكه الملك آرثر وحارب به لكي يوحد بلاده وخاض به معارك منتصرة ضد اللوردات الانجلوساكسون.. وكان رمزا لكل الفرسان النبلاء .



اللحن البشري ، انبهر بها رواد دور العرض وتركوا انفسهم لها في استمتاع ساحر بجنونها وظروفها .. ويجمع المخرجون الذين اشتهروا بعلاج الاساطير على انها تتيح للسينما وللمخرج جوا من « الاثارة والابهة وممارسة الفن السينمائي » .. يتفق في هذا جون بورمان - الذي سانتاوله هنا بالحديث عن فيلمه « اكسكاليبور » وكيرا ساوا مخرج « الحراس السبعة» « وعودة الساموراي » و« ظل المحارب » والجمال بيرجمان الذي دأب على تناول اساطير قديمة ذات طابع خاص كما فعل في فيلم « الختم السابع ».

• كيجاموشا •

بدأ كيرا ساوا فيلمه الاسطوري « ظل المحارب » « كيجاموشا » هكذا :

في الربع الاخير من القرن السادس عشر ، واليابان في زمن الحرب ، والعديد من القبائل القوية مشتركة في صراع دموي لتحقق لها السيطرة على العاصمة : كيوتو . وكان شينجن تاكيدا واحدا من اقوى زعماء القبائل وكان زعيما لقبيلة كاي .. لقد اعاد تشكيل فرسانه ومحاربيه وامتلأ بالعزم القوي لكي يزرع رايته على قلاع كيوتو . وفي سن الثانية والخمسين ، كان تاكيدا قد اصبح اسطورة، انتشرت وقويت بفضلها مبدؤه في الحرب: «سريع كالريح .. صامت كالغابة

.. لافح مثل النار .. صامد كالتل » .

وكان تاكيدا محاطا بثلاث قبائل أخرى قوية ومحاربة . وفى بداية عام ١٥٧٢ قرر تاكيدا أن يشن الحرب على قبيلة أودا التى تسد عليه طريقه الى العاصمة كيوتو ، وكانت عادة تاكيدا ألا يتزحزح فى الحرب اذا اتخذ موقعا ، وكان يستخدم كيجاموشا « ظل المحارب » أو بديلا له يستخدمه أحيانا فى الحركة التى لا يمارسها لكى يتواجد فى مكانين فى وقت واحد ، وقد كان شقيقه نوبوكادو يلعب دور البدل أو الظل أحيانا ، لكنه لم يكن يشبهه تماما .. ولقد وجد نوبوكادو هذا الشبيه ، الذى يكاد يكون توأما لتاكيدا فى شخص لص بائس محكوم عليه بالموت فانقذه من الاعدام ، وسر تاكيدا بأن يكون شبيهه الحقيقى هو هذا اللص البائس واتخذ منه « ظلا » له .. وجاء وقت العمل .. كان تاكيدا يحاصر قلعة قبيلة نودا ويتوقع ان تستسلم له القلعة المحاصرة ، لكن عندما ذهب لتقبل استسلام القلعة ، ارتفع صوت طلقة أصابته بجرح خطير .. وكان ذلك هو الوقت الذى عرف فيه البارود واستخدم لاول مرة . وتلقى منافسو تاكيدا الخبر بحبور فى الوقت الذى تراجعت فيه قوات تاكيدا بدون نظام ، ولم تنجح محاولات أخيه الذى حاول أن يكون ظلا له . واحضر البدل اللص وتولى الاخ تدريبه على الدور ، وأجاد وتصرف بشموخ وعلو الى



أساطير « ألف ليلة وليلة » وسحر الشرق

برسيوس – بن زيوس – في صراعه لكي يفوز بيد الجميلة اندروميدا .. كان عليه ان يواجه غضب سكان الاولمب مثل هيرا واثينا وافروديت .



الدرجة التي جعلت ضباط الجيش الكبار ينحنـــون تحية له . ومات تاكيدا وهو في طريقه الى طبيب في كيوتو ليعالجه ودفن في بحيرة : لكنــه جعــل من شهدوا موته من القـــادة يقسمون على كتمـــان سر موته ورحيـــله لمدة ثلاث سنوات ووضـــع البديل اللص عـــلى العـــرش..

كانت القبيلة في مجموعها تؤمن بان تاكيدا قد انقــذ بمعجـــزة وان جروحه قد التامت.. لكن الجواسيس حملوا خبـــر موته الى منافســه القوى توكيجـــاوا زعيم القبيلة المجـــاورة، فهـــاجم بعـــض ممتلكـــات تاكيدا واستولى عليها .

وتجيء سنة ١٥٧٤ وبقرر

ابن تاكيدا الحقيقى ان يخرج على اوامر البديل ويحارب ، وكانت معركته خاسرة الى اللحظة التى يظهر فيها اللص « كيجا موشا .. ظل المحارب » ليتخذ مكانا على راس التل وظل صامدا فى مكانه ، وراياته مرفوعه حوله والرجال يموتون دفاعا عنه الى ان انتصرت القبيلة

ومضى عام ونصف عام الان على موت تاكيدا الحقيقى ، واطاع الجميع اللص البديل وسلموا اليه قيادهم على اعتبار انه تاكيدا الحقيقى ، وذات يوم حاول اللص ان يمتطى حصان تاكيدا « السحاب الاسود » فالقاه من ظهره وحمله رجاله لكى يعالجوه واكتشفوا انه لا يحمل آثار الجروح التى يعرفون ان تاكيدا الحقيقى قد اصيب بها . وكان عليه ان يهرب من القلعة طريدا بعد اكتشاف سره وذيوع نبا موت تاكيدا .

وعندما قرر ابن تاكيدا الذى اصبح زعيما للقبيلة ان يهاجم جيرانه من جديد كان هؤلاء الجيران قد امتلكوا البنادق والبارود والقوا بها القبيلة موجة بعد موجة .. وكان اللص البديل «كيجاموشا» يراقب المعركة . واذا به يمتشق حربة ويقفز فوق جواد ويجرى بطول ساحة المعركة فقط لتصيبه طلقة بندقية وترديه قتيلا وتطفو جثته فوق مياه النهر المخضب بالدم ..

ولقد استغل اكيرا كيراساوا كل هذه التفصيلات الاسطورية لكى ينقل المتفرج الى جو باهر من الالوان البدائية البراقة للاعلام التى يحملها المحاربون وملابس وجو المعارك الذى يثير واقعا شاحبا يساعد على تأكيد الجو الاسطورى ، وكان مشهد دفن جثة تاكيدا فى البحيرة فى جو اللجين الرمادى من اروع المشاهد التى شهدتها الشاشة فى تاريخها ، الى جانب المشهد الختامى الاسوى للمعركة الاخيرة التى تساقطت فيها اجساد المحاربين لتختلط على الارض باجساد الجياد فى بحر من الدم ، لقد رسم من الاسطورة لوحة تموج بالقوة والدنف والغموض لليابان القديمة

● اكسكالبور ●

جون بورمان الفائز بجائزة « احسن مستوى فنى للفيلم « اكسكالبور » فى مهرجان كان السينمائى الدولى ١٩٨١ يقول :

● اننى دائما متهم باننى اضع فى افلامى الكثير من الاثارة والابهة واللف السينمائى .. ولكن هذا مبدئى .. هذا طبيعى ، ان السينما السهلة البسيطة لاتهمنى .. يهمنى فى المقام الاول السينما العظيمة المليئة بالفن والفخامة

ومن تابع عمل بورمان فى افلامه « بوينت بلانك » و «اليو الاخير» و «التسليم» و «زاردوز» وفيلمه الاخير « اكسكالبور » يستطيع ان يفهم تماما ما يعنيه بقوله السينما المليئة بالفن والفخامة »

ان كل فيلم من هذه الافلام يضم عددا غير عادى من الافكار المصحوبة بنهر من الصور التى تحمل ايحاء ما ـ مما دفع



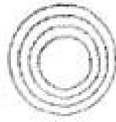
« أرشيف حياة المخرجين السينمائيين » الى القول ان بورمان اكثر المخرجين الانجليز الان اهميـــة

يقول جـون بورمان ان اسطورة الملك ارثر وسيفه المسحور « اكسكالبـور » وفرسان مائدته المستديرة مثل « سير لا نسلوت »، تلك الاسطورة التى عرفها رواد السينما منذ سنوات فى فيلمين هما « فرسـان المائدة المســتديرة » و« وكاميلوت » تــلك الاسطورة كانت تستثيره دائما ، وكانت تكون عنده حلمــا مؤرقا يريد ان يعيشه .

وقد قام جون بورمان ببناء « كاميلوت » القلعة التاريخية فى الفنــاء الخارجى فى الاستـوديو وتركها بحجمها الضخم ومناظرها الفخمة بحيث يمكن استغلالها فى افلام تاريخية أخرى .. ومن ابدع اللقطات السينمائية التى قدمها بورمان فى هذا الفيلم اللقطة التى يبدو فيها مارلين « نيكـول ليامسون » وهـو يرتدى زيا اسود ــ يغطى رأسه غطاء من الفضة وهو راح يهدىء من خوف الملـك ارثر الشاب « نيجيـل ليرى » فى اعقــاب الرعد الصاعقة التى انقضت



اندرومادا .. كان جمالها سببا فى غيرة ساكنات الاولمب



شهريات السينما



على الصخرة التي يجلسان تحتها .

وعلى الرغم من الحقيقة التاريخية الثابتة المعروفة من ان الملك ارثر لم يكن اكثر من رئيس قبيلة من الجرمان الذين سكنوا بريطانيا في العصور الوسطى الا ان الملابس التي استخدمها جون بورمان في فيلمه لاتمثل حقبة تاريخية محددة ، بل تعبر عن رؤياه فقط كمخرج يقول :

تعمدت ان ابتعد من تحديد زمن محدد للفيلم لانه ليس فيلما تاريخيا .. انه فيلم اسطورى .. لقد حاولت ان اخلق عالما من خيال محض ، عالما مثاليا له ملامح عالم ليس مثل عالمنا .. عالم وسط بين واقعنا وخيالنا اذا شئت الحقيقة .

تقول الاسطورة .. انه منذ خمسة عشر قرنا ، كان الملك ارثر يحتضر ، بعد ان اصيب في معركة مع ابنه المنشق عليه .. واقسم انه سوف يعود في وقت المحنة التي يحتاجه فيها ابناء وطنه .

وفي الاغاني والكتب وقصائد الشعر ولوحات الفنانين .. في قصائد ت. س . اليوت والمسرحية الاستعراضية التي قدمتها مسارح برودواى من اعداد لانير ولووى ، ظل الملك ارثر وفرسان مائدته

برسيبوس .. قبل ان يواجه الميدوز والذئب ذو الراسين ووحش البحار



المستديرة يطاردون خيالنا ويمتزجون به .. ويقول جون بورمان :

● ان قصة الملك ارثر قصة بطولة وفروسية وحب ، وايمان ديني ، واثارة وتقديم اعمال بطولية رائعة خلال المعارك .. الا ان الصراع في قلب هذه القصة ، لم يكن النزال بحد السيف .. لقد كان الصراع هو المعركة الاخيرة المثيرة بين السحر والحقيقة عندما ترك الالهة القدامى ينسحبون ليتركوا اماكنهم لاله واحد . وكان جون بورمان يرى الساحر مارلين هو الشخصية المحورية المؤثرة في الاسطورة

لكن هل عاشت هذه الشخصية ، شخصية الساحر مارلين ، فعلا او هل كان هناك في الحقيقة ملك اسمه ارثر .. وزمالة نبيله لمجموعة من الفرسان حول مائدة مستديرة . وقلعة منيعة بعشرات الابراج تدعى كاميلوت ؟! .. الباحثون المعاصرون يعتقدون بالفعل ان الملك ارثر كان له وجود .. خلال القرن الخامس الميلادي، وان كان من الصعب اعتباره ملكا بالصورة التي نعرفها من الملوك .. ففي هذا القرن ، وكمعظم قارة اوربا ، كانت بريطانيا مقسمة الى مدن لها كيان مستقل كدويلات ، وكان ارثر ، وموطنه غرب بريطانيا قد خرج لتوحيد بريطانيا بتحمه وهزيمة مجموعة من اللوردات الانجلوساكسون .

وعلى امتداد القرون ، اصبحت اسطورة ارثر وشجاعته ونبله والهامه التفوق ، من خلال نصائح ساحره مارلين ، حدثا يتغنى به التراث الشعبي ، الانجليزي في اعمال متعددة وانتقلت الى الادب منها قصة سير توماس مالوري « موت آرثر » الذي اخذ عنها فيلم « اكسكالبور » وقصة تينسون « مثاليات الملك آرثر » وقصة ت ـ هـ ـ وايت « ملك اليوم والغد » ورائعة ت.س. اليوت «الارض الضائعة » والاف من القصص الادبية الاخرى .. وهي كلها تمجد شجاعته وحكمته واقدامه وبطولته وتخلط هذا كله بمعجزات السحر وتجمع على ان آرثر لم يكن داريا بقدرته الا عندما اكمل مهمته النبيلة في توحيد البلاد وامتلك السيف الاسطوري «اكسكالبور ».

لقد قاد آرثر رفاقه في المعارك الى يبني مملكة موحدة ، والترم بالجميلة جينفير وجعل منها زوجته وملكته ، ووضع تقاليد فرسان المائدة المستديرة النبلاء وبينهم صديقه المقرب لانسلوت ، وبنى قلعة كاميلوت الحصينة وجعل منها مدينة تعتمد على نفسها ومستقلة استقلالا ذاتيا .. ودائما كان هناك ساحره مارلين.

على ان اسطورة السلام والعدل والنبل بدأت تتآكل من الداخل .. لقد تحول حب لانسلوت الروحي المثالي لجينفير الى شهوة عارمة .. وتمكنت مورجانا شقيقة الملك آرثر من ان



تخدع الساحر مارلين ودفعته الى ممارسة طقوس سحره الاسود لكي تضاجع اخيها الملك آرثر وتنجب منه ابنا هو موردرد الذى ربى وانشىء لهدف واحد وهو آن يقتل اباه الملك ارثر ويسلب عرشه .

وبهذا الفساد الذى ساد كاميلوت ، سقطت مملكة آرثر بين انياب الفقر واليأس واصبح الايمان المخلص وحده هو الطريق الوحيد الى اعادة السلام والعدل وتقاليد ارثر الى ارضه .

خرافات الاغريق

كانت اساطير الاغريق وخرافاتهم التى ابدعها هوميروس فى « الالياذة » و « الاوديسا » ملتصقة حتى ليظنها البشر على امتداد العصور تاريخا او جزءا من تاريخ الاغريق القدامى .. كانت هذه الاساطير مجال ابداع سينمائى رائع مثير ..فمن منا يستطيع ان ينسى « اوليس » الذى اصابته اللعنة بعد حرب طروادة فتاه فى البحار المظلمة او هيلين التى عشقت امير طرواده الجميل باريس ..لقد شاهدت اخرا فيلم صراع الجبابرة « التسمية العربية » الذى يجسد اسطورة سكان جبل الاولمب .. ليسوا بشرا ، وان كانوا احيانا يتصرفون كبشر ان سكان الاولمب الذين يعيشون فى امبروسيا ونيكتار ويتمتعون بقوى خارقة ، ليسوا اخيارا طول الوقت ، وليسوا منزهين من الهوى ، يتشاجرون ويتناحرون من اجل السلطان واستعراض القوة الالهية الطاغية وربما يكون من حق بيرسيوس ان يتيه فخرا بانه المولود من صلب زيوس القابع فوق الاولمب ، لكن زيوس كان يعادى عددا من انصاف الالهة الاقوياء المتجبرين مثل هيرا واثينا وثيتيس وافروديت وكان على بيرسيوس ان يعانى من اضطهادهم .

وابرز ما يمتاز به « صراع الجبابرة » هذا هو مجموعة الخدع السينمائية التى استخدمت فى تصويره ، وقد كان مخرج الفيلم مضطرا الى هذا حتى يحقق جو الاسطورة فى الفيلم وهى تحكى عن معارك بيرسيوس « هارى هاملين » لكى يفوز بيد الجميلة اندروميدا « جودى بووكر » وسكان الاولمب يراقبون معاركه ، وبعضهم يتدخل ليساعده او يعاكسه ، تبعا لمزاجهم الخاص ، كان بيرسيوس يمتلك البيجاسوس « الحصان الطائر » وكان عليه ان يتغلب على الساحرات الثلاث الشريرات والكلب الذئب ذى الراسين والميدوزا صاحبة الراس التنينى والكراكين المخيف الذى اطلق من محبسه فى قاع البحار ليدمر كل شىء فى طريقه .

وهكذا نرى « عالم الاساطير » المثير يعود لكى يفتن المتفرجين مرة اخرى كظاهرة سينمائية تواجه بها السينما العالمية طغيان التليفزيون وهو يرتاد الفضاء ويكتشفه ويصور حروب الكواكب وغيرها فى لجهله فى الفضاء الخارجى





« السيف والترس » نظرية عسكرية تاريخية قديمة ... هل تعود اليوم لتفرض قيامها من جديد وسيطرتها على شبح التهديد بقيام حرب عالمية ثالثة ، تهدد العالم .

●● تعال نستعرض ما ابتكروه من اسلحة جديدة نتوقف عندها

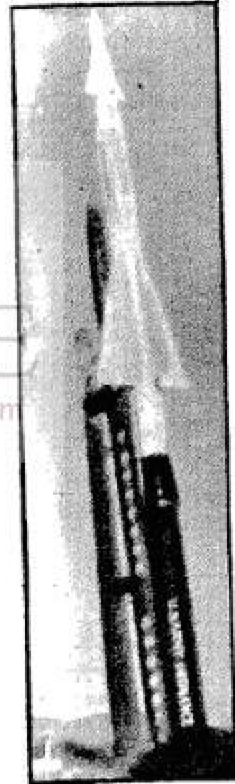


المرء بالوجوم، وهم يلجأون الى اساليب منتجي السـينما، فيطلقون على صاروخهم الجديد جو - جو « الساحر ٥٥٠ - من فضلك اطلقني سريعا ! »

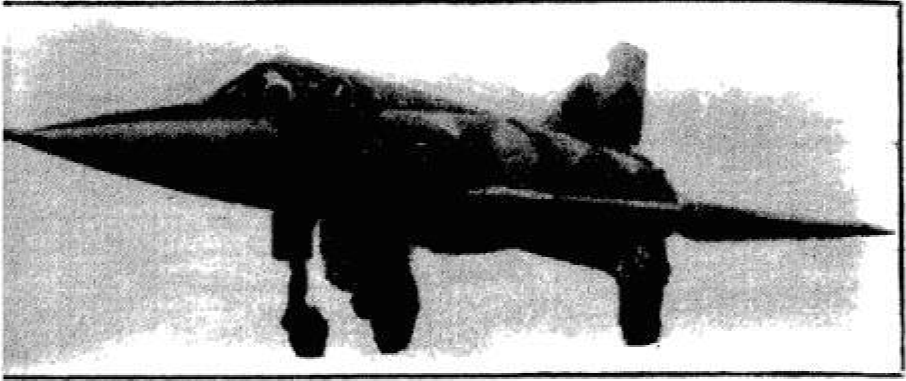


● اصبح السباق العالمي الرهيب في انتاج السلاح الصاروخي الحديث ـ خلال السنوات الست الاخيرة يمثل قضية هامة وخطيرة، تتصل بمستقبل البشر في الكرة الارضية ـ يناقشها بين حين واخر، عدد ليس بقليل من المفكرين العسكريين الاوروبيين القدامى، استنادا الى أن نمو حجم السلاح المنتج في الشرق والغرب، سيدفع بالضرورة الى حرب عالمية ثالثةاستخداما حتميا لهذا السلاح الرهيب بحجمه وكمياته الكبيرة داخل مخازن الترسانات الحربية فوق وتحت الارض !

● ثمة وجهة نظر اخرى تقول بان نمو انتاج السلاح بالصورة المتزايدة والمعلنة على العالم الى جانب « جانب » اخر من الصورة يحاط بالكتمان والسرية ـ انما سيؤدى الى توازن دقيق لميزان القوى العالمية بحيث تتجنب الزعامات السياسية في غرب وشرق العالم بعض العوامل « الديناميه » فتحول بذلك بين العصر الحديث وحرب عالمية ثالثة، ولكنها ستسمح بقيام بعض الحروب التقليدية الصغيرة على المستويات المحلية، تقليدية فعلا، ولكنهم سيستخدمون الاسلحة الصاروخية الحديثة، اختبارا لنجاحهم في مستوى انتاجهم لهذه الاشكال من السلاح المتقدم دون اللجوء الى أسلحة التدمير الشامل الذى يقول به بعض المتشائمين .



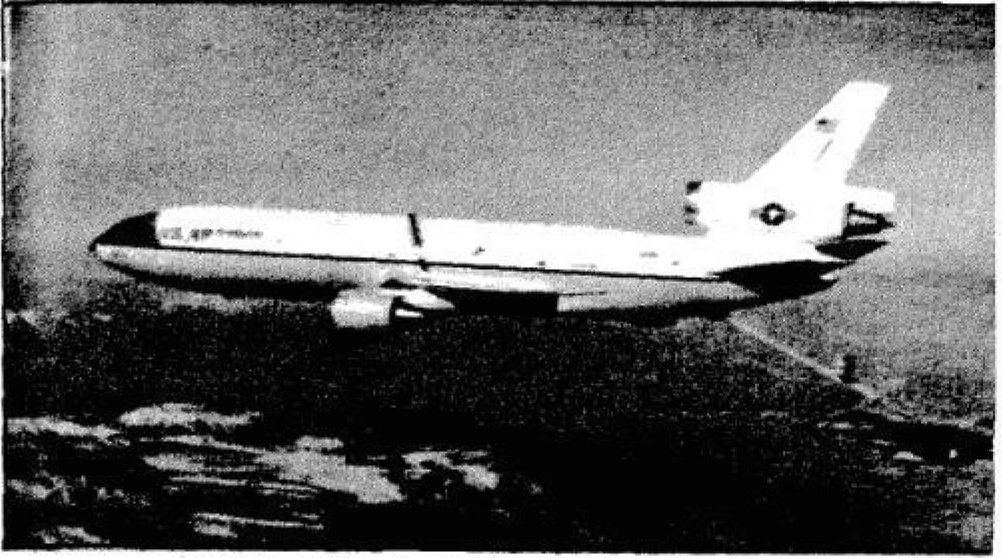
● أحد هؤلاء الكتاب استشهد بما كانت تقوم به امريكا مع اسرائيل خلال حرب الاستنزاف المصرية ـ الاسرائيلية ٦٩ـ١٩٧٠، حيث قدمت الولايات المتحدة الامريكية بعض صواريخها الحديثة ارض ـ ارض، وجو ـ ارض، الى القوات الاسرائيلية لتستخدمها ضد القوات المسلحة المصرية في غرب القناة وعمق البلاد المصرية، وهى صواريخ لم تكن امريكا قد استخدمتها بعد، فجعلت من مسرح القتال فوق سيناء ـ القناه غرب، حقلا للتجارب واختبارا لكفاءة هذه الاسلحة .. التى لم تتوقف على الاطلاق عمليات تطويرها في دول المعسكرين الشرقى والغربى حيث أصبحنا نشهد منذ عام ١٩٧٥ ـ دفعات هائلة من الثورة التكنولوجية العالمية يقودها علماء وخبراء وفنيونوعمالة ماهرة جدا، ويقدمون كل عام وربما أكثر من مرة في العام الواحد ابتكاراتهم واضافاتهم الباهرة والرهيبة في الوقت نفسه « لاسر » او « عائلات » السلاح والالكترون عبر الصناعات الحربية القتالية وذخيرتها البشريةالعاملة وبطبيعة الحال لم تكن مصر او اسرائيل بعيدتين عن هذا السباق الحتمى المفروض على العالم .



اصبحت الاسلحة الصاروخية تحمل أسماء عائلاتها مثل عائلة سام فى الاتحاد السوفيتى ، وعائلة الهوك فى امريكا ، وعائلة ميلان فى فرنسا ، وعائلة ساموراى فى ايطاليا ، وعائلة راتل بوكس فى سويسرا ، وعائلة رابير فى بريطانيا ، وعائلة صقر فى مصر .

● طبعا هناك أسماء عائلات فى شهرة أخرى للسلاح الحديث فى أمريكا وروسيا ودول أوروبا الغربية ، ورغم عدم شهرتها نتيجة السرية الشديدة التى تحاط بها ، الا انها تمثل قدرا كبيرا من الخطورة والاهمية ، وبالتالى تمثل عبئا ضخما لدى رجال المخابرات الحربية وعيونهم المنتشرة فى أنحاء العالم بحثا عن اسرار هذه الصناعات الحربية السرية .

●● لقد اصبحت القوة الاساسية لدى الجيوش الكبرى فى شرق أو غرب العالم تتمثل فى الطائرات فالصواريخ .. حتى انهم صنعوا من بعض الطائرات منصات اطلاق محمولة جوا للصواريخ جو ـ أرض ، أى التى تطلق ضد أهداف أرضية ، فضلا عما تحمله هذه الطائرات من صواريخ جو ـ جو ، أى مضادة للطائرات بل اقاموا نظما مسلحة من الطائرات كسلاح للدفاع الجوى بدلا من المدفعيات الارضية والصواريخ أرض ـ جو ، التى تقوم عليها تشكيلات اسقاط الطائرات المهاجمة ، والتى لعبت دورا بارزا فى الحرب العالمية الثانية وحرب الهند الصينية فى الخمسينات ، والحرب الفيتنامية ـ الامريكية فى الستينات ، وحرب الاستنزاف بين اسرائيل ومصر ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، وحرب أكتوبر الرمضانية عام



● سباق يومي عالمي في تكنولوجيا امداد الطائرات بالوقودة اثناء طيرانها ●



مصانع الطائرات الحديثة في اوربا اصبحت تمثل قاعدة صناعية لمجموعة من الدول الكبرى تشترك في انتاج الطائرة الواحدة



١٩٧٣ ـ والحرب العراقية الايرانية في بداية الثمانينات ، تلحق بها بعد ذلك على مستوى القوتين العظميين ومن تشترك معهما من الدول الاوربية اسهاما في رءوس الاموال الضخمة التي تتطلبها مثل هذه الصناعة ـ دفعات هائلة من ثورة التكنولوجيا ، ويخلي الفكر العسكري الحديث واصحاب البحوث العلمية العسكرية الجديدة عن « الارض » كمسرح للحروب والمعارك ، انتقالا الى طبقات الجو العالية والمنخفضة ، يديرون منها نيرانهم الصاروخية ضد الخصم المحلق في السماء ، والتمركز انتشارا فوق الارض .

● لقد كتبت بعض المجلات العالمية المتخصصة في علوم الفضاء والطيران بامريكا والمانيا الغربية وفرنسا وسويسرا تقول ان الطائرات المقاتلة التي تعد حاليا في خطوط انتاج متشابكة داخل المصانع الكبرى المنتشرة في امريكا وانجلترا والمانيا وايطاليا وفرنسا حيث تعمل باسلوب الانتاج المشترك توزيعا للاعباء المالية الضخمة التي تتطلبها الان صناعة طائرة حديثة ـ الطائرات المقاتلة القادمة الينا قبل بداية التسعينات ستلغي كل الطائرات الموجودة حاليا لدى الدول الكبرى ، حتى نهاية القرن العشرين ، وذكروا بعض النماذج لهذه الطائرات الجديدة فتحدثوا عن الطائرة البريطانية « ا ـ س ـ ت ـ ٢٠٢ » ، ثم الطائرة الامريكية الالمانية « ت ـ ك ـ ف ـ ٩٠ » والطائرة الروسية الميج ٢٩ ـ والطائرة الفرنسية سوبر ميراج ٤٠٠٠ ، واكدوا ان مثل هذه الاشكال من طائرات الغد ستقضي حتما على الفانتوم والجاجوار والتورنادو والهاربار والميراج ٢٠٠٠ والميج ٢٥ وكلها طائرات تعد من احدث انتاج خطوط الطيران مابين السبعينات والثمانينات !

● أسلحة
هوارد هيوز
تمد ١٩ دولة
بأسلحة
الدفاع
الجوي

● وفي نهاية أكتوبر من العام الماضي ١٩٨١ ـ شهدت القاهرة حدثا عالميا لاول مرة في الشرق الاوسط اذ اقيم بدار المدفعية المصرية اول معرض عالمي للسلاح الصاروخي والطائرات والمدرعات والقطع البحرية الحديثة ونظم التشغيل الآلية والالكترونية التي تدير هذه الاسلحة الى جانب اجهزة الليزر ومحطات الانذار المبكر ، واشتركت ١٤ دولة كبرى في هذا المعرض من بينها امريكا التي جاءتنا منها اخر فنون وعلوم اسلحة الدمار والبناء في وقت واحد متمثلا في انتاج مؤسسات عديدة من بينها هيوز ايركرافت ، احدى مؤسسات رجل البليونات الامريكي الراحل « هوارد هيوز » الذي مات عام ١٩٧٦ ، واحدث في سنواته الاخيرة ضجة صحفية كبيرة باعتزاله العالم تقريبا ، بعد ان استطاع ان يجعل ١٩ دولة كبرى تعتمد في شبكات دفاعها الجوي على معداته التي يصنعها ، وقد عرضت مؤسسته بالقاهرة رادارا له مقدرة فائقة في التعامل مع





● طائرات تتجمد فى الجو وتتحرك خلفا كالسيارة

اكثر من هدف فى مختلف الاتجاهات وفى وقت واحد ، كما انه مضاد ايضا لاساليب التشويش والاعاقة التى توجه ضده ، كما عرضت بين مجموعة انظمة الكهروبصرية جهاز « ٨ أى ـ تى » الذى يعمل باشعة الليزر فيحدد مواقع الاهداف الارضية لضربها بعد ذلك بواسطة طائرات الهليكوبتر أو الاسلحة الموجهة بالليزر ايضا ، وجهازا اخر يعمل بالليزر فى توجيه الطائرات او المقذوفات الصاروخية نحو اهداف العدو ومراكز تجمع قواته ، الى جانب الصاروخ « تاو » المضاد للمدرعات والتى تستخدمه القوات المسلحة المصرية وتستخدمه معنا مايقرب من « ٣٠ » دولة اخرى .

● صنعت ايضا الصاروخ « مافريك » ـ جو ـ ارض ويعمل بالاشعة تحت الحمراء ـ كما قامت بصناعة اول قمر صناعى للاتصالات عبر العالم ، واول رادار ثلاثى الابعاد يعمل بالليزر ، واحدث انتاج للنظم الالكترونية المستخدمة فى الطائرات رغم انها اى هذه المؤسسة العالمية التى بدات عام ١٩٢٢ فى انتاج حفارات البترول والطائرات .

●● تحدثت المجلات المتخصصة فى علوم الحرب الحديثة والطيران والفضاء عام ١٩٨١ بعد معرض فانبرا الدولى للطيران من الزواج غير الكاثوليكى الذى اقامته بريطانيا بين الطيران والبحرية وذلك حين ربطت بين الطائرة المقاتلة الحديثة « سى ـ هاربير » والاسطول البحرى ـ لان « سى هاربير » تقلع وتهبط عموديا وتستطيع ان تتجمد واقفة فى الجو ، ثم تتحرك الى الخلف متجاوزة بهدف





الامكانات مختلف العقبات والمشاكل المرتبطة بالمطارات والقواعـــد الجوية ذات المساحات الكبيرة ، وموفرة فى الوقت نفسه لنفقات باهظة تتصل بالانشاءات وتجهيز اساليب ونظام الدفاع الجوى عنها ليل نهار ، « والـي هاربير » تهبط في اى مـكان خلف خطـوط القتال مما يوفر لها المدى الطويل المطلوب للعمليات الحربيـة ، ومما يسهل لها ايضا عملية الانتشار والهرب من ضرب المطارات . والقواعد الجوية ، كما انها تهبط وتقلع عموديا مثل الهليكوبتر وقد زودت بريطانيا طراداتها بهذه الطائرة دون حاجة لاستخدام حاملات الطائرات وقال الخبراء انه زواج ناجح بين الطيران والبحـرية ، ولكنه زواج غير كاثوليكى بمعنى انه يمكن الغاؤه اذا تطلب الامـر عدم اللجوء اليه ، حين يثبت هذا الزواج عدم فعاليته الايجابية .

● هناك « الطائرة المختفية » التى ابتكر لها الخبراء طـلاء خاصا يضلل الرادار الموجه اليها ولا تظهر فوق شاشاته ، والحديث عن هذه الطائرة يذكرنا « بطاقية الاخفاء » غير أن الطائرة المختفية تمثل حقيقة واقعة وليس اسطورة تروى للصغار !

● ظهر المونوكل الالكترونى الذى يرتديه الطيار فتتحرك اجهزة الاستشعار الالكترونية فى الطائرة الى هدفها كلما اتجه الطيـار بعينه نحو الهدف امامه وبمجرد أن يقرر فى ذهنه اطلاق صواريخه تنطلق الصـــواريخ من طائرته لتصيب الهدف اصابة مبـاشرة ناجحة !!

● والى جانب الطائرات الحديثة طوروا فى العدات ايضا ، فالعقول الالكترونية داخل كابينة الطائرة اصبحت لا تزيد فى الحجم على ١٠ سم مربع ، بدلا من اوزان تزيد على ١٠٠ كجم ، ومساحتها تصل الى ٥٠ سم مربع فى بعض الاحيان .

● مـونـوكـل يتحـرك فـوق العـين فـتـنطـلق الصـواريـخ

● صنعوا الطائرة « ميمات » التى تتميز بسبع مميزات جديدة هائلة ابرزها وجود ذيل أمامى لتحسين مرور الهواء فوق الاجنحة وذيل ثانى ورأسى لتوفير الاتزان السليم فى القيادة ذات الاتجاهات كما أن هذه الطائرة فى مقدورها ابطاء سرعتها فى اللحظة والتو ، وقد صنعت من مادة جرانيتية جديدة يصل وزنها الى نصف وزن مادة الالومنيوم الذى تصنع منه الطائرات عادة .

●● ان الحديث عن الطائرات الجديدة الى عام ٢٠٠٠ ، يطول





حتى يمكن ان يستوعب مئات الصفحات ، ولذلك نتحول الى الصواريخ ـ وهى كما قلت تمثل جانبا من القوة الاساسية في تسليح الجيوش الكبرى مع الطيران ...

● لقد اصبح العسكريون يطلقون على اسر الصواريخ اوعائلاتها كما ذكرت فى البداية اوصاف الجيل الاول من سام او غيره والجيل الثانى والثالث والرابع وهكذا ... والجيل الرابع من الصواريخ يدور حتى اليوم فى دوائر السرية والتكتم الشديد .

● من العائلات الصاروخية المستخدمة كمدفعية ، عائلة الصاروخ مالوتكا ـ وهو صاروخ روسى شهير لكفاءته ، وقد تزودت به القوات المسلحة المصرية ، ومالوتكا حسب التصميم السوفييتى يعمل منفردا وفرديا اى انه يركب فوق قاذف ويطلق من الأرض ضد الدبابات والمدرعات ،فجاء المصريون وجعلوه يركب فوق عربة جيب او عربة مدرعة ،- واصبح القاذف اربع مواسير اى ان القاذف يضم ٤ صواريخ يسيطر عليها المقاتل داخل كابينة العربة مما حقق سرعة فى التصويب وخفة حركة فى الانتقال من مسرح قتال الى مسرح اخر كما اختصر الخبراء المصريون زمن استخدام الصاروخ من ٣ دقائق الى نصف دقيقة واحيانا ٢٠ ثانية فقط !



● المدفعيات الصاروخية فوق أكتاف المقاتلين لاسقاط الطائرات على مختلف الارتفاعات العالية والمنخفضة

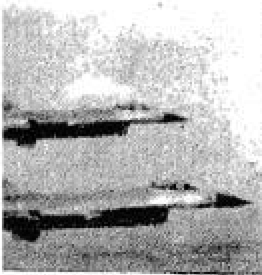
ولقد لعب الصاروخ « مالوتكا » دورا بارزا فى حرب اكتوبر الى جانب زميله الار ـ بى ـ جى .

● الجيل الرابع من الصواريخ لم يخرج بعد من مرحلة السرية

هناك الصواريخ الاستراتيجية والتكتيكية وقد برز الشرق فى صناعتها ، ولدى قواتنا المسلحة منها « لونا » ، والفروج » وقد استخدمنا الاول فى معارك « الثغرة » عام ١٩٧٣ .







● وفى السنوات الاخيرة ابتداء من منتصف السبعينات تصدرت فرنسا صناعة الصواريخ أرض ـ أرض ، وارض جو ، وجو ـ ارض واستطاعت ان تزود جيوشا عديدة بصواريخها ، ومن بينها بعض دول الشرق الاوسط واشهرها الصواريخ ميلان ، والماترا ، والكروتال ، والاخيرة مضادة للطائرات .

وتكاد صواريخ فرنسا لا تجد منافسا لها غير صواريخ امريكا حيث يدور الصراع العلمى والتكنولوجى ضاريا بين ترسانات كل من الدولتين .

●● وتدخل مصر دائرة هذه الصناعة المتقدمة ، وقد اعتمدت على الخبراء المصريين فى بعض خطوط انتاج صواريخها ، كما اجرت اتصالات مشتركة مع علماء الصواريخ فى امريكا وفرنسا لانتاج صواريخ مضادة للدبابات ، واخرى مضادة للطائرات .

● وليس سرا اننا نملك مجموعة من الرجال تتميز بالخبرة وارقى العلوم تعمل فى بناء عائلة الصواريخ المصرية « صقر ٣٠ » وقد انتجت الصاروخ « القاب » المطور ثم الصاروخ متعدد المهام ١٢٢ مم ، ومن المثير أن نعرف ان احدى الشركات الامريكية وهى « شركة فوت » تقوم الان بتطوير صاروخ مماثل للصاروخ المصرى « صقر ٣٠ » لحساب الجيش الامريكى ويتراوح حجم انتاجه ماليا بين ثلاثة واربعة مليارات من الدولارات !

● ويشرف على صناعة الصواريخ المصرية واسرتها « صقر ٣٠ » عالم مصرى شاب لم يبلغ بعد الحلقة الخامسة من العمر ، وهو الدكتور مهندس احمد فؤاد اسماعيل يعاونه عالم شاب اخر هو الدكتور مهندس نبيل سلامة ، وفى كل اسبوع تقريبا يستقبلون علماء صناعة الصواريخ من امريكا وانجلترا وغرب أوروبا ، فى محاولة للاحتكاك بالفكر المصرى الصاروخى اللى برع فى ايجاد نوعيات متقدمة من القصف المساحى بالصواريخ بغرض التقليل من استخدام الذخيرة مع تحقيق عنصر المباغتة ، وبذلك تنخفض نفقات التكلفة ، وهو غرض رئيسى تلهث خلفه ترسانات السلاح فى الغرب والشرق معا ، وقد تفوق المصريون فى تطويره ، عندما وضعوا امامهم احتمال تغير الخطة الدفاعية للدولة مما يتحتم معها تطوير نظام الصواريخ المستخدمة فى هذه الدولة .

● انه عالم يعدو بسرعة تفوق سرعة الصوت عدة مرات .. لانه عالم صاروخى فعلا !

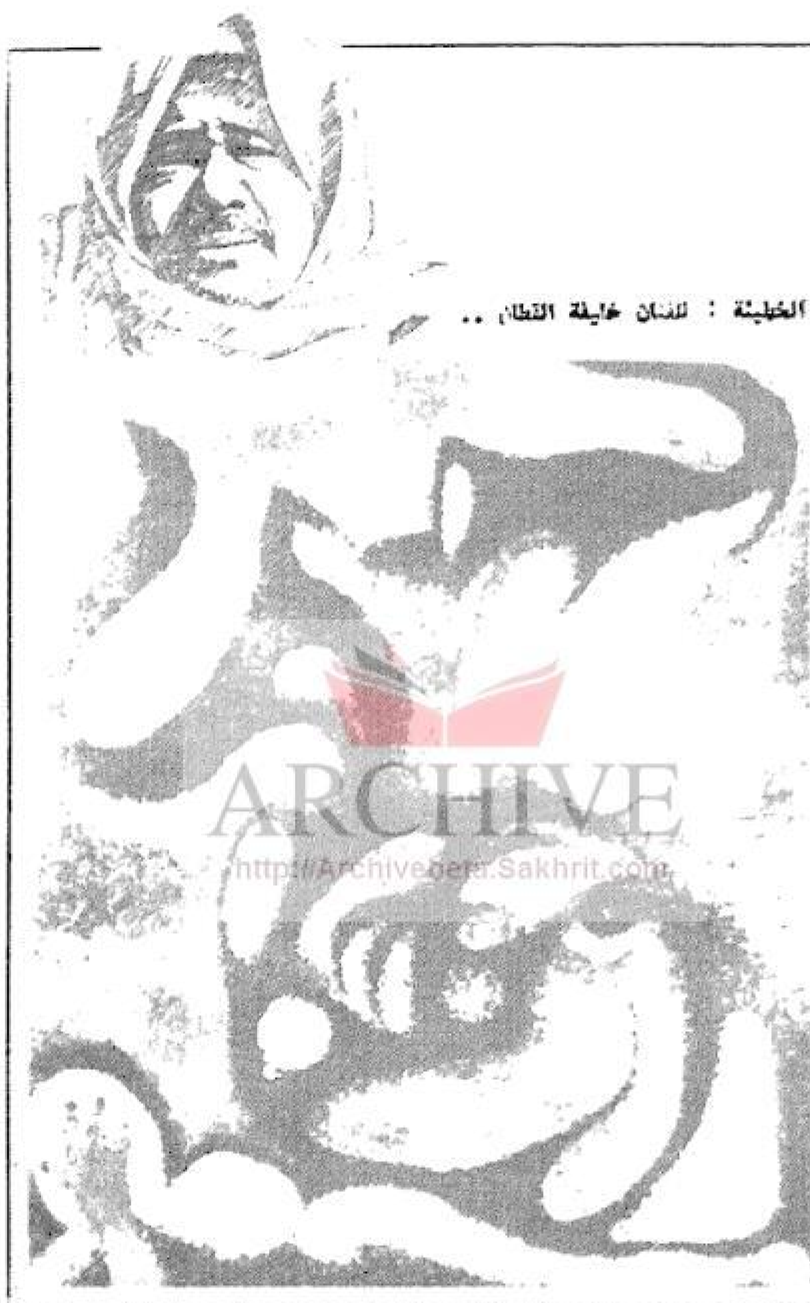
نافذة على الفنون التشكيلية في الكويت

مختار العطار

وربما لا يعلم الكثيرون ان الكويت بلد صغير جدا يقع على الخليج العربي ، ولا يكاد يزيد تعداده على مليون نسمة ١٠اكثر من نصف هذا العدد مغتربون ومهاجرون ووافدون . فحين نتحدث عن الحركة التشكيلية الكويتية ، انما نتحدث عنها في مجتمع محدود ، لا يتعدى اعضاؤه الـ ٤٠٠,٠٠٠ نسمة . وهؤلاء لا يختلطون بغير الكويتيين الا في اماكن العمل فقط ، ولهم احياء خاصة بهم لا يسكنها غيرهم .

وربما لا يستطيع كاتب ان يذكر الكويت دون ان يشير الى انها من اكثر مناطق العالم ارتفاعا في مستوى المعيشة ، ومن اوفرها ثراء وبترولا ، حتى ولو كان يتحدث عن الفن .. فلا شك ان الفن والفنان ، على علاقة اكيدة بطبيعة الفرد والمجتمع الذى يعيشان فيه ، من حيث الرخاء والسعة والفرص المتاحة للرحلة والطواف بالدنيا . فالرحلة ومشاهدة المتاحف العالمية هى المراجع والكتب بالنسبة للفنان الكويتي الذى لا يتسع وقته للقراءة ، بالرغم من ان معظمهم يتقنون الانجليزية بجوار العربية ، فقلما تقابل فنانا كويتيا لم يسافر الى انجلترا وفرنسا وايطاليا والهند وايران ، فضلا عن مصر والعراق وباقى الدول العربية .. كما ان معظم الفنانين الكويتيين المعروفين تخرجوا فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، اما فى القسم النظامى واما فى القسم الحر ـ الذى اغلق منذ بضع سنوات ..

حين نتحدث عن الفن الكويتي الآن ، انما نتحدث عن فن من نوع خاص . له ظروف تؤثر على ابداع الفنان من ناحية ، وتؤثر على تقدير الذواقة الكويتي من ناحية اخرى . كما ان الدولة الكويتية تعمل جاهدة على رعاية فنانيها . ففضلا عن الاقتناء الرسمى الموسمى ، خصصت قاعة فاخرة فى اجمل مناطق الكويت لعرض الاعمال الفنية . وهى قاعة مصممة خصيصا لهذا الغرض ، مكيفة الهواء ، فى مدخلها مكان خاص لاقامة حفلات الاستقبال قبل افتتاح المعارض . كما ان الدولة تدعم « الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية » بسخاء ،



يد الخطيئة : للفنان خليفة القطان ..

وشيدت لاعضائها مقرا جميلا به حديقة ومراسم . كما خصصت بيتا عربيا عتيقا للفنانين المتفرغين الذين تجرى عليهم المرتبات العالية ، ولا تدخر وسعا في تزويدهم بمختلف الخامات الفنية ، بما فيها خشب الساج الثمين المستورد من الهند على شكل مكعبات ضخمة ينحت فيها الفنانون تماثيلهم ، بالاضافة الى اسياخ الحديد والجبس ، وادوات التصوير والالوان بانواعها

ويطلق على هذا المبنى اسم « المرسم الحر » ، وهو مزود بمكتبة لا باس بها وستوديوهات مناسبة . وتتكفل الدولة بتحويل تماثيل الجبس الى برونز ، اما في افران العراق واما في افران انجلترا ..

ان المجلس الوطني للثقافة والعلوم من ناحية ، ووزارة الاعلام من ناحية اخرى ، يتبنيان الحركة التشكيلية الكويتية .ويجد الفنانون فرصا ذهبية في اعياد الاستقلال التي تقع في ٢٥ فبراير من كل عام لاستعراض مواهبهم باقامة النصب التذكارية في الميادين والشوارع وتسيير عربات الزهور ، مما يدر عليهم دخلا سنويا له قيمته .

لذلك ، فبالرغم من قلة تعداد السكان الاصليين في الكويت ، شارك في المعرض العام السنوي الاخير خمسون فنانا وفنانة ، في مجالات الابداع التشكيلي من تصوير ونحت وحفر . وتنظم هذا المعرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية التي يراسها فنانهم المعروف : امير عبد الرضا ، وهو مصور درس في كلية التربية الفنية بالقاهرة . ويعتبر ناقدا ايضا ، اذ انه يقدم برنامجا تليفزيونيا اسبوعيا ويكتب في الصحف بين حين واخر .

كما ان « المرسم الحر » يقيم معرضا سنويا للفنانين المتفرغين الذين يزيدون على العشرة بينهم شيخ فناني الكويت ، خليفة

● قاعات المعارض التشكيلية الكويتية ...ظاهرة نادرة في البلاد العربية

قطان « ٤٧ سنة » وهو فطري الطابع وصاحب اول معرض فني في الكويت ، قبل ان يتفجر بترولها سنة ١٩٤٦ وتتبوأ مكانتها الاقتصادية المرموقة .

وجدير بالذكر ان قلة نادرة من هؤلاء الفنانين جميعا يمكن وصفها بالاحتراف بمعنى التفرغ الكامل للابداع الفني دون الانشغال باعمال اخرى كالتجارة بنوع خاص . وهم في ذلك لا يختلفون عن فناني المجتمعات النامية التي لم يصل فيها التقسيم الحضاري الى درجة تسمح للفنان بالحياة معتمدا على تسويق ابداعه .

.. بعد هذه الجولة حول المناخ الاجتماعي الذي يحيط بالحركة التشكيلية الكويتية ، ينبغي ان نشير الى بعض ملامح فنون الحفر والنحت والرسم التصويري هناك . وهي المجالات الوحيدة التي ينشط فيها الفنان الكويتي .

.. لا يوجد سوى حفار واحد . بمعنى ادق حفارة هي : سعاد العيسى « ٣٧ سنة » وهي فنانة موهوبة . درست في الهند وانجلترا ومنحتها الدولة التفرغ منذ سبع سنوات . وهي تمتلك اجهزة الابداع الجرافيكي في بيتها وتنفذ بعض اعمالها في الاستوديو الخاص بها في المرسم الحر . ويتميز ابداعها بمستوى رفيع في كل من التكنيك والقيم الجمالية التي تنحو الى



تجريد : جرافيك
للفنانة سعاد
العيس ...



نافذة على الفنون التشكيلية في الكويت

التجريد المؤسس على وجهة نظر فلسفية وخيال رحب ، نستطيع ان نتتبع في حناياه خيوطا تربطها بالزخارف الفولكلورية المحلية

وفي النحت ، يبرز اسم : سامي محمد ٢٨ سنة ، من بين النحاتين القلائل الذين لا يتعدون اصابع اليد الواحدة . درس النحت في القاهرة ثم في الولايات المتحدة . وهو صاحب فلسفة خاصة تنتمي الى السريالية ، ويعبر في ابداعه الاخير المصبوب بالبرونز ، عن ازمة انسان العصر الحديث . وهو فنان متمكن من الاصول الاكاديمية بما يتيح له ابداعا متميزا مثيرا ، جديرا بالعرض في المحافل الدولية مثل بينالي فينيسيا ، لولا ان الكويت لا تشترك في هذا المعرض الدولي العريق .

والنحاتون الكويتيون في قلة عددهم بالنسبة للمصورين ، لا يختلفون عن غيرهم في انحاء . لما يتطلبه فن النحت من جهد كبير و ... باهظة ، خاصة لو كان مصبوبا بالبرونز . اما في ميدان الرسم التصويري ، فالالوان الزيتية تسيطر على الابداع الكويتي بوجه عام . كما تسيطر الاتجاهات التجريدية والرمزية . بينما لا يحتل الابداع الواقعي والاكاديمي سوى مكانة ضئيلة ولا نشاهد بعد ذلك تنويعات من الاتجاهات الفنية الاخرى كالبوب والاوب وما الى ذلك .

اما التجريد الممزوج بتحويرات الخط العربي والكلمات الصوفية فيبرز فيه : عبد الرسول سلمان . وهو مؤرخ ايضا ، اصدر كتابا عن نشأة الحركة التشكيلية في الكويت ومحرر دائم في احدى المجلات الفنية هناك

ومما يساعد على تنشيط الحركة التشكيلية الكويتية ، انه بالاضافة الى قاعات العرض العامة الرسمية ، توجد قاعات عرض اخرى يملكها تجار الفن وهي ظاهرة نادرة في البلاد العربية . الا انها ذات دلالة على ان في الكويت جمهور اقتناء على مستوى عال نسبيا ، يتصدره الامراء ، الشيوخ ، وكبار التجار .

اما بالنسبة للحركة النقدية ، فتنحصر في بعض الكتابات الاجتهادية المتواضعة التي تظهر في الصحف اليومية احيانا . ولا يوجد سوى ناقد واحد عراقي الاصل غير متفرغ هو : اياد موسوى . وتتسم كتاباته بالانطباعية البعيدة عن التحليل والتاصيل الذي يساعد على اداء رسالة التوصيل بين الفنان وجمهوره .

كما ان هناك حركة نشطة لاحياء التراث القديم المتمثل في زخارف السفن والملابس وهذا ليس بمستغرب في الكويت التي تتمتع بتاريخ له قيمته . ففي جزيرة فيلكا وهي جزء من الكويت ، توجد آثار تشير الى ان الاسكندر المقدوني قد مر من هناك واقام لبعض الوقت . وهذه الجزيرة على صغرها تقع في وسط الخليج العربي معترضة الطريق البحري من مضيق هرمز الى العراق . وكان هذا الطريق نشطا منذ سبعة الاف عام حين كانت البحرين ـ وهي احدى دول المنطقة ـ تتمتع بحضارة ثقافية عريضة ، عرفت في ذلك الزمان باسم « مملكة دلمون » . كانت تلك المملكة تهيمن بثقافتها على طول الساحل الخليجي ، وتعتبر همزة الوصل بين عالم الخليج والعالم الخارجي . كما كانت الكويت من اشهر مناطق العالم في صيد اللؤلؤ وتصديره ، قبل ان يتفجر بترولها وتبحر اول ناقلة سنة ١٩٤٦ . كانت تستخدم في ذلك انماطا عديدة من السفن الشراعية الخشبية المزخرفة بالوحدات والالوان الفلكلورية ، التي تلعب دور الملهم لكثيرين من المصورين المحدثين هناك

هذه عجالة حول الحركة التشكيلية الكويتية ، التي تبدو نشطة مزدهرة بالنسبة لدول الخليج جميعا باستثناء العراق ..

أين تذهبين

حسين على محمد

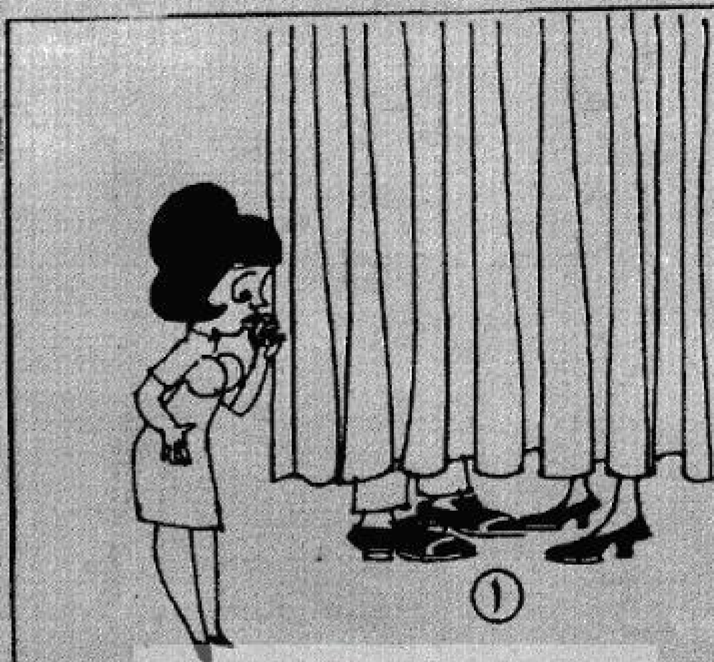
.. وتطلعين فالصباح
معطر الجناح
وانت ترفلين فى ثيابك البيضاء
كفلة تحوطها الانداء .
والعاشق الذى القته فى الطريق ...
عواصف الحنين والاشواق ..
اراك ساعة الظهيرة
غمامة تحوطنى بالظل والامان .
وترتوى احلامنا .
وانت يا اميره .
اراك ترابين صدع ذلك الجنان..
من حبه القديم من احلامه السراب
وتزرعين فى ربيعه اليباب ..
الف قله ..
اراك فى المساء تخرجين من يدى ..
وتفلتين من اصابعى ..
يافلتى البيضاء اين تذهبين ؟
والخاطفون ..
اموالهم كثيرة ..
عيونهم ضريرة ..
لايبصرون العاشق المسكين فى الظلام..
احلامه كثيرة ..
كانها التلال ..
ايديهمو خبيرة ..
وانت يا أميرة ..
وانت يا اميرتى الغريره ..
لم تصمدى للسيل ..
اراك تسقطين ..
فراشة محروقة فى الليل ..
والليل يستمر ..
اراك تسقطين ..
والليل مستمر ..
والصباح لا يبين



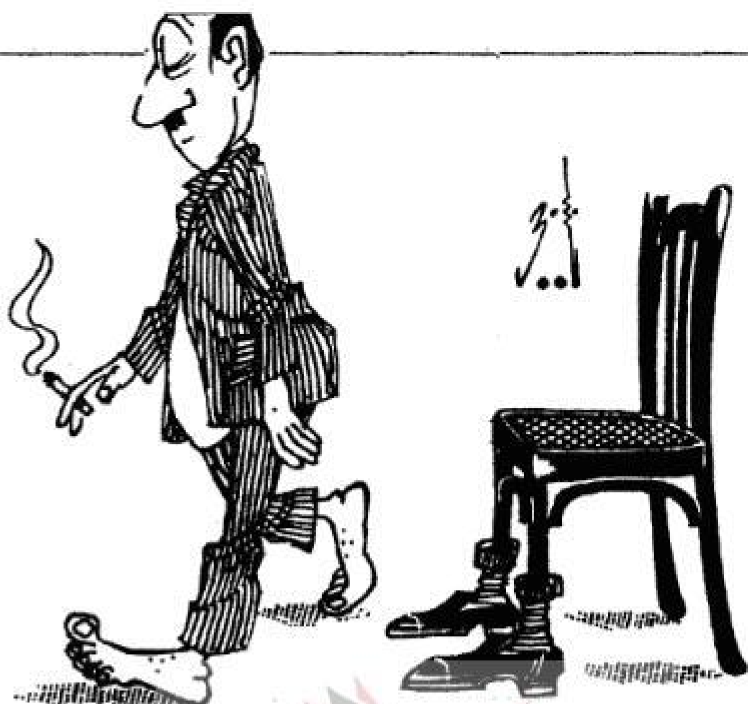
ضحكات



بدون تعليق


١

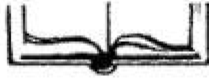

٢







بدون تعليق



من امهات
الكتب العربية

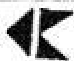
ثمار القلوب

فى المضاف والمنسوب

كمال النجمى

يعتز « الهلال » بان يقدم اليك امهات كتب التراث العربى ابتداء من هذا العدد .. وهى كتب لا يمكن تلخيصها لضخامتها الموسوعية ، ولكن يمكن اجتزاء صفحات منها تدل عليها كما يدل الجزء على الكل من سلسلة جبال شامخة لا تحيط بها العين مهما اتسع مجال رؤيتها ..

وكتاب التراث فى هذا الشهر هو كتاب : « ثمار القلوب ، فى المضاف والمنسوب » .. لابى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى الكاتب العالم الشاعر صاحب المؤلفات القيمة الشهيرة مثل « يتيمة الدهر فى شعراء العصر » و « فقه اللغة وسر العربية » و « التمثيل والمحاضرة » .. وقد عظم فضله فى العلم والادب حتى وصفه معاصروه بانه .. « فريد دهره ، ونسيج وحده ، ومصنفاته تشهد له باعلى الرتب » .. عاش ثمانين عاما من منتصف القرن الرابع الهجرى الى نهاية الثلث الاول من القرن الخامس تقريبا .. كان فى شبابه خياطا لفراء الثعالب يصنعه ملابس للاثرياء ، وكانت اقامته بنيسابور من بلاد العجم .. ويسافر الى السلاطين والامراء ، يجالسهم ويهدى اليهم كتبه ويتلقى جوائزهم وقد اهدى كتابه « ثمرات القلوب » لاحد هؤلاء الامراء مع كتب كثيرة اخرى من تاليفه .. وصنف اكثر من ثمانين كتابا ضخما ، وافرد كتابه « ثمار القلوب » للكلام عن الاشياء مضافة ومنسوبة الى اصحابها الذين اشتهروا بها واشتهرت بهم ، او الى اشياء اخرى تتعلق بها



فتشيع بين الناس شيوع الامثال السـائرة والقصص المتداولة والطرائف الجميلة ..

فمثلا .. يذكر المـؤلف ((عصا موسى))و ((ذئب يوسف)) .. و ((تفاح الشـام))

و ((جواري النبي)) و ((اهـل الله)) ثم يشرح قصـة كـل مضاف ومضاف اليه في نسـق بديع من الكلام ..

والكتاب واحد وسـتون بابا ، اولها فيما يضاف الى اسـم الله تعالى .. واخرها فيمـا يضاف الى اسم ((الجنة)) .. وبين هذين البابين بحر زاخر من الابواب، يسبح فيه القارىء بلا انتهاء ! ..

وقد طبع هذا الكتـاب في مصر مرتين ، اولاهما منذ ثمانين عاما تقريبا وكانت كثيرة الاغلاط .. ناقصة ! ..

والطبعة الاخرى نشرت منـذ سبعة عشر عاما، حققها الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم وبذل جهده في خدمة الكتاب .

ونقدم اليك هنا بابين من هذا الكتاب الحافل بالفـوائد والطرائف ..

يقال اهل الله ، بيت الله ، رسول الله ، كتاب الله ،خليل الله ، روح الله ، ارض الله، اسد الله ، سيف الله ، قوس الله ، رمح الله ، كلب اللـه ، نار الله ، شمس الله ، ظل الله سعد الله ، ناقة الله ، نهـر الله ، خاتم الله ، رحمة الله، ستر الله ، يد الله ، عمال الله سبيل الله ، باب الله ، نور الله حراس الله ، امان الله ،ميزان الله ، خالصة الله ، مـوائد الله ، عين الله ، أمـر الله ، طراز الله ، خلافة الله ، لعنة الله ، سجن الله ، بنيان الله، صبغة الله ، وفد الله ..



(1)

ــ « اهل الله » .. كان يقـال لقبيلة قريش في الجاهلية : اهل الله ، لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم ، فمنها مجاورتهم بيت الله تعالى ، ومنهـا ما تفردوا به من الايلاف والوفادة واطعام الحجاج والسقاية والرياسـة واللواء والندوة ..

وهم اعقل الناس ، واحسنهم بيانا ، وان احدهم ليوزن بامة من الامم .. ومنهم رسول الله وخلفاؤه .

وكانوا اكرم الناس ، لا تنتهي عطاياهم لمن يفد اليهم ،مع ان صناعتهمالتجارة.. ومعلوم ان البخل والنظر في الطفيف مقرون بالتجارة ، لان التجار هم اصحاب التربيح والتكسب والتدقيق في النفقة ، فكانتقريش على نقيض ذلك وهم قوم لا كسب لهم الا من التجارة ، فلم يكن بين تجار الدنيا من كريم الا هؤلاء القوم .. وكان ذلك في جاهليتهم .

فلما جاء الاسلام ، كان رسول اللهمنهم دون غيرهم من سائر الناس ، فزاد شرفهم وكرمهم حتى صاروا اهلا لان يسموا : « اهل الله » ! ..

وقال النبي لما ارسل الى مكة احد ولاته بعد دخولها في الاسلام : « هل تدري على من استعملتك ؟! .. استعملتك على اهل الله » ! ..

ولم يسم الله تعالى في القرآن قبيلة باسمها غير « قريش » .. وصارت فيهم الخصال الاربع التي هي اشرف خصال الاسلام : النبوة ، والخلافة ، والشورى ، والفتوح .

٢

- « بيت الله » .. كما ان اهل مكة اهل الله . والحجاج زوار الله ، فالكعبة بيت الله الذي جعله مثابة للناس .. وكانت العرب في الجاهلية لا تبني بنيانا مربعا تعظيما للكعبة المربعة البنيان ، وكانوا في الجاهلية يحلفون ببيت الله كما قال زهير بن ابي سلمى :

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

ومن خصائصه ان المطر اذا اصاب الباب الذي الى جهة العراق كان الخصب في تلك السنة بالعراق ، واذا اصاب الباب الذي الى



جهة الشام كان الخصب بالشام ، واذا عم جوانب البيت كان الخصب عاما في البلدان

ومن سنتهم ان من صعد فوق الكعبة من عبيدهم أعتقوه ، لانهم لا يجمعون بين عز علوها وذل الرق .. وفي مكة رجال من الصلحاء ، لم يدخلوا الكعبة قط اعظاما لامرها وان كثرت صلاتهم في المسجد الحرام ..

٣

- « رسول الله » .. قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » ..

ومن تمثل به فاحسن جدا الشاعر ابن الرومي حيث قال في التمثيل لتفضيل الولد على الوالد احيانا :

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم اب قد علا بابن ذرى شرف
كما علا برسول الله عدنان

وابو الصقر هذا الذي يمدحه ابن الرومي بهذا الشعر البليغ كان وزيرا في وقته ، وكان ابن الرومي يلتمس عطاءه ..

وقيل ابن الرومى ، قال ابو تمام :
هذا رسول الله صفوة ربه
من بين باد فى الانام وقار
قد خص من اهل النفاق عصابة
وهم اشد اذى من الكفار
واختار من سعد لعين بني أبي
سرح لوحى الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التى
رفعت له سجفا عن الاسرار

وهى ابيات من قصيدة مدح بها المعتصم بعد ان قتل قائد عسكره « حيدر الافشين » عندما ثبت له انه يدين بالمجوسية ويتظاهر بالاسلام .



٤

ـ « سيف الله » .. خالد بن الوليد سماه النبى « سيف الله » لحسن بلائه فى الاسلام ، وصدقه فى قتال المشركين .

روى ابو هريرة أن النبى عليه السلام نظر الى خالد لابسا درعه فقال : « نعم المرء خالد » .. وهو الذى تولى تحطيم أكثر الاصنام التى كانت قريش تعبدها وتسمع من أجوافها همهمة تشبه أصوات البقر ! .. ولما هدم خالد صنم العزى خرج منها شرر فاحرق شيئا من جلد فخذه ! ..

وقال الجاحظ انه كانت لسدنة العزى والاصنام الاخرى حيل يحتالون بها على الناس .. وقد رموا خالدا بالشرر ليفتنوا ضعفاء الايمان ويوهموهم بان العزى تحرق من ينالها بسوء !

ولما اهوى خالد بسيفه الى « العزى » ليهدمها انشد قائلا :

يا عز كفرانك لا غفرانك
انى رأيت الله قد اهانك

ثم ضربها ضربة فلق رأسها .. وكانت العزى شجرات متعانقة ، ولها شكل خاص .

وقد ولاه ابو بكر على « حمص » فى بلاد الشام ، حتى عزله عمر عنها ، فلما كان عهد عثمان صار عبد الله بن خالد بن الوليد واليا على حمص وكان يقول : « انا ابن فاقىء الردة » ! .. لان أباه ـ رضى الله عنه ـ هو الذى فقأ ردة العرب بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ..فاتحد العرب جميعا وفتحوا امبراطوريتى الفرس والروم ! ..

٥

ـ « قوس الله » .. هى قوس قزح ، وبها يشبه الشعراء الاشياء التى تزول ولا تدوم ، كما قال الشاعر :

اشبهت سرعة ايامهم
بسرعة قوس يسمى قزح
تلون معترضا فى السماء
فما تم ذلك حتى نزح

وفى الخبر : « لا تقولوا : قوس قزح ، ولكن قولوا : قوس الله ، فان قزح من اسماء الشياطين » .

ويجوز أن تكون هذه القسوس الملونة سميت بهذا الاسم واضيفت الى الله تعالى لانها من فعل الله ، لا يقدر البشر ان يصنعوا مثلها ، ولكنهم يصنعون القسى التى يحاربون بها ويقذفون السهام فى صدور الاعداء .. وقد سمى الواواء الدمشقى



الشاعر قوس قزح ، قوس السماء .. فى قوله :

احسن بيوم ترى قوس السماء به
والشمس مسفرة والبرق خلاس
كانها قوس رام والبروق لها
رشق السهام وعين الشمس برجاس

والمقصود بالبرجاس هنا الهدف الذى تتجه اليه السهام .

واما الامير المجاهد سيف الدولة الحمدانى فسماها قوس السحاب فى قوله :

وساق صبيح للصبوح دعوته
فقام وفى اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم
فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا
على الجو دكنا والحواشى على الارض
تطرزها قوس السحاب بأحمر
على أصفر فى اخضر الى مبيض
كاذيال خود اقبلت فى غلائل
مصبغة والبعض اقصر من بعض

وهذا من أحسن ما قيل فى وصف قوس قزح .. ويروى بعضهم هذه الابيات لغير سيف الدولة ، كانهم يستكثرون عليه ان يقولها ، مع انه كان من البصراء بقول الشعر ، وهو ممدوح الشاعر الاشهر أبى الطيب المتنبى الذى خلده فى قصائده

٦

ـ « رمح الله » .. كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا ذكر مدينة الكوفة التى انشاها العرب فى العراق ، قال : هى رمح الله ، وفيها جمجمة العرب ، وكنز الايمان كانه اراد أن اهلها سلاح على أعداء الله فى المحاربة .. وقد اقام بها كثير من صحابة رسول الله ..

٧



ـ « كلب الله » .. قال الجاحظ : يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعتبة بن ابى لهب ـ وكان يضطهد المسلمين فى مكة ـ « اكلك كلب الله » ! .. فلما كان عتبة فى بعض اسفاره هجم عليه الاسد فاكله .. فثبت بذلك ان الاسد كلب الله ! ..

والله تعالى لا يضاف اليه الا العظيم من جميع الاشياء من الخير والشر .. اما الخير فقولهم : بيت الله ، واهل الله ، وزوار الله ، وكتاب الله . وارض الله ، وخليل الله ، وروح الله ، واشباه ذلك ! .. وأما

الشر فكقولهم : دعه في لعنة الله تعالى وسخطه واليم عذابه ! ..

٨

— « نار الله » .. كل شيء اضافه الله تعالى الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد امره، وقد فعل ذلك بالنار ، فقال : « نار الله الموقدة » ..

وحكى ابو منصور العبدوني قال : اردت أن امل رسالة الى صديق لي اوصيه خيرا برجل قبيح الخلقة ، رديء الصورة ، لغاية في الدماثة والسماجة ، فلم يسمع الكاتب كلامي ، وكتب الى صديقي يقول : « ياتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله ونذره فدعه يذهب الى نار الله وسقره » ! ..

وفي اخبار أبي دلامه الشاعر القبيح الخلقة ، ان الشرطة اخذته ليلة وهو سكران ، فمزقوا طيلسانه وحبسوه ،فكتب ابياتا ودسها مع رسول الى بعض خدم الخليفة أبي جعفر المنصور ، وفيها يقول :

امن صهباء صافية المزاج
كأن شعاعها ضوء السراج
وقد طبخت بنار الله حتى
لقد صارت من النطف النضاج
اقاد الى السجون بغير جرم
كأني بعض سراق الخراج
امير المؤمنين فداك نفسي
علام حبستني وخرقت ساجي
الا اني وأن لاقيت شرا
لخيرك بعد هذا الشر راج

فاستدعاه المنصور واستنشده الابيات فانشدها اياها ، فامر له بالف درهم ، فلما هم بالخروج مال « الربيع » حاجب الخليفة على اذنه يقول له :

— هل فهمت يا امير المؤمنين معنى قول أبي دلامة : « وقد طبخت بنار الله » ؟!.. قال الخليفة : قد فهمت ، فماذا تظن انت انه يعني بها ؟!.. قال الحاجب: يعني بها الشمس ! .. فقال الخليفة لابي دلامة :

— يا عدو الله ، ما عنيت بنار الله ؟!..

قال أبو دلامة :

— « نار الله الموقدة .. التي تطلع على الافئدة » .. وعلى فؤاد هذا الحاجب خاصة ! ..

فضحك المنصور وامره بالانصراف وفي جيبه الالف درهم ، وهي جائزة عظيمة نظرا لما كان عليه المنصور من التشدد في البخل، حتى دار بخله على السنة الخاصة والعامة، يتندرون بحكايات كثيرة عنه



٩

— « سعد الله » .. سعد من قبائل العرب مخصوصة بالفصاحة وحسن البيان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ، ومرضعته حليمة السعدية هي التي تسلمته من جده عبد المطلب فحملته الى يثرب فكانت ترضعه وتحسن تربيته . ولما ردته الى مكة نظر اليه جده وقد نما كما ينمو الهلال في السماء فيصير قمرا ، وهو يتكلم بفصاحة ، فامتلأ سرورا بحفيده الصغيروقال يصفه : جمال قريش ، وفصاحة سعد ، وحلاوة يثرب ! ..

وكان النبي عليه السلام يقول : « انا افصح العرب ، بيد اني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر ! ..

١٠

ـ « ناقة الله » .. النوق وغيرها من المخلوقات كلها لله .. ولكن هذه الناقة كانت آية من آياته ، ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام ، خصت بالاضافة الى الله تعالى كما قال : « ناقة الله وسقياها » ..وذلك ان ثمود قالوا لصالح : ان اردت ان نؤمن بدينك ، فاخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء تبرك بين ايدينا ، وتمخض كما تمخض النوق الحوامل ، وتنتج سقبا ـ وهو ولد الناقة ساعة يولد ـ نراه بعيوننا ..

فيقال ان النبى صالحا دعا الله فانشقت الصخرة عن ناقة ضخمة فبركت بين ايديهم وتمخضت وخرج من بطنها ولدها الصغير.. فقال لهم : « هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » .. فاقتسموا الماء ، فكان لهم يوم وللناقة يوم ، فاذا كان يوم الناقة توسعوا فى اللبن ما شاءوا ، واذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء ، ثم تآمروا فى عقرها ، فلما عقروها اخذتهم الرجفة ، فاصبحوا فى دارهم جاثمين هالكين .. وصارت ثمود مثلا فى الفناء والهلاك .

والرمز هنا لطيف دقيق ، لان هؤلاء راوا المعجزة التى طلبوها بعيونهم ،فجحدوها وتمسكوا بما هم فيه من الفساد ، ثم قتلوا المعجزة بايديهم ! ..

ومن ظريف التمثيل بهذه القصة قول والى « اليمامة » فى خطبته : « ايها الناس لا تجترئوا على الله ، فانه لا يقر على المعاصى عباده .. ولقد اهلك امة عظيمة من اجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم ! .. »

فاستحمق الناس هذا الوالى الذى جعل قيمة الناقة المعجزة ثلاثمائة درهم ، واسموه « مقوم الناقة » ! ..

ولقد اكثر الشعراء من ضرب المثل بهذه الناقة .. ومن ذلك قول احدهم فى العتاب واقتضاء الحاجة المتاخرة :



حوائج الناس كلها قضيت
وحاجتى لا اراك تقضيها
اناقة الله حاجتى عقرت
ام نبت الحرف فى حواشيها

و « الحرف » ـ بضم الحاء ـ نقصان الحظ .. ومن ذلك قولهم : « لحقته حرفة ـ بضم الحاء ـ الادب » .. اى اشتغل بالادب لنقص حظه من الدنيا التى يشتغل اهلها بجمع المال ، ويشتغل هو بجمع العلم والادب فى غير طائل !..

وقال ابن الرومى يصف انسانا بشدة الاكل وهو نحيف كالعصا :

شبه عصا موسى ولكنه
لم يخلق الله لها فاها
رفقا يزاد القوم لا تفنه
يا ناقة الله وسقياها

١١

ـ « رحمة الله » .. كان الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك يميل الى التقوى على شدة اشتغاله بامور الدنيا ، وبخاصة الطعام .. وهو الذى استخلف من بعده عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى الذى منع المظالم وتشبه فى سيرته بالخليفة العظيم عمر بن الخطاب ـ جده من جهة امه

ـ فدخل الفقيه ابو حازم الاعرج يوما على الخليفة سليمان فقال له :

ـ عظني يا ابا حازم ، وذكرني امر الاخرة ، فقد ترى انى اتمرغ فى الدنيا ظهرا لبطن ! ..

فوعظه ابو حازم واشتد عليه فى الوعظ واخافه من عذاب الله ، فبكى سليمان أحر بكاء وقال لابى حازم :

ـ فاين رحمة الله ؟! ..

قال ابو حازم :

ـ قريب من المحسنين ..

وكانت بالبصرة جارية تسمى « رحمة الله » يتغزل فيها بشار بن برد الشاعر الكبير الضرير .. فلما التقى بها ابو نواس بعد وفاة بشار بمدة ، ذكرها ببشار وقال فيها بيتا الحق به بيتا لبشار كان يجرى بين الناس مجرى المثل :

احببت من شعر بشار لحبكم
بيتا لهجت به من شعر بشار :
يا رحمة الله حل فى منازلنا
وجاورينا فدتك النفس من جار

البيت الاول لابي نواس ، والثاني لبشار وفيه صناعة شعرية جميلة ، الى كونه مليئا بالعاطفة ..

(١٢)

ـ « يد الله » .. قال تعالى : « يد الله فوق ايديهم » ..

ومن أبيات التمثيل والمحاضرة قول من اقتبس من قوله تعالى فقال :

وما من يد الا يد الله فوقها
ولا ظالم الا سيبلى بأظلم

وقال بعض أهل بغداد حين كان أحمد بن ابى دؤاد قاضى القضاة فيها على عهد المعتصم : كان لى خصوم ظلمة جبابرة ، فشكوتهم الى احمد بن ابى دؤاد وقلت له : ان القوم قد تضافروا وصاروا يدا واحدة على ، فقال : « يد الله فوق ايديهم » .. فقلت : ان لهم مكرا ، فقال : « ولا يحيق المكر السيء الا باهله » .. فقلت : انهم كثيرون وانا واحد .. قال : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .. فكنت اشكو اليه ولا يجيبني الا بقرآن ! ..

(١)

ـ « سيرة العمرين » : هما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ، تضرب بسيرتهما الامثال فى الحكم الصالح الذى يكون الغنم فيه للرعية والغرم على الحاكم ..

وكان عبد الملك بن مروان اعظم خلفاء بنى مروان الامويين يقول : انصفونا يامعشر الرعية ! .. تريدون منا سيرة ابى بكر وعمر ، ولا تسيرون فينا ولا فى انفسكم بسيرة رعية ابى بكر وعمر ! .. نسأل الله ان يعين كلا على كل ! ..

وقال البحترى يمدح الخليفة العباسى المتوكل :

ان الرعية لم تزل فى سيرة
عمرية مذ ساسها المتوكل

وقد كذب البحترى فيما قال ، ولكنه انما قال هذا المديح طلبا للجائزة ! ..

ولو كان البحترى فى عهد عمر ومدحه بشعر لما اعطاه شيئا لانه لم يكن يعطى الشعراء من بيت المال ، فلم يمدحه شاعر الا لوجه الله ! .. ولم يكن يستطيع اعطاءهم شيئا من ماله الخاص ، لانه كان بلا مال ، الا الدراهم التي يأكل بها أولاده ويعيشون على الكفاف ! ..

وكان الشعراء يهابون درة عمر ، وهى سوط صغير متواضع يخفق به من لا يستقيم على الجادة .. قال الفقيه العلامة « الشعبى » : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج ..

وانما يقصد الشعبي الحجاج بن يوسف الثقفى ، الطاغية الذى وطد دعائم السلطة الاموية بالسيف ، فقتل الناس بلا حساب،

بذنب وبلا ذنب .. وقال مرة وقد غضب من خالد بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان :

ـ لقد قتلت بسيفى هذا مائة الف ، كلهم يشهد انك وأباك فى النار ! ..

فاعترف بقتل مائة الف فقط ، وقتلاه اكثر من ذلك ، واعترف بانه قتلهم لحساب سلطة غاصبة فاسدة ، لا يدخلون الا النار يوم القيامة ! ..

(٢)

ـ « قميص عثمان » .. هو قميصه المضرج بالدم الذى قتل فيه ، يضرب به المثل للشىء يكون سببا لاثارة النعرات والتحرش بالخصوم ، مع تغطية الهدف الحقيقى لهذا التحرش ..

ولما احس عمرو بن العاص فى معركة « صفين » التى كانت بين عسكر على بن ابى طالب وعسكر معاوية بن ابى سفيان ، ان جند معاوية قد فتروا واوشكوا ان ينهزموا اشار عليه بان يبرز لهم قميص عثمان ليتحمسوا ففعل ذلك معاوية ، فلما وقعت اعين جنده على قميص عثمان ارتفعت ضجتهم بالبكاء وجاشت حميتهم ، وثار حقدهم .. فعندها قال عمرو متمثلا : « حرك لهـا حوارها تحن » ! .. اى ابرز للناقة ولدها الصغير ويسمونه الحوار ـ بضم الحاء ـ ليسيل ضرعها لبنا ، فتحتلبه منها ، وانما حنت الناقة به لحوارها وليس لمن يحلبها ..

وعلى ذكر قميص عثمان ، فان الخليفة العباسى المتوكل لما قتلـه قواده الاتراك بمواطأة ولده المسمى « المنتصر » .. ثم افضى الامر بعد ذلك الى المعتز وهو ايضـا ابن المتوكل ، فجعلت امه تحرضه على قتـل القواد الاتراك الذين قتلوا اباه ، وهو يعلم انه لا يقوى عليهم لكثرة جندهم وشـدة شوكتهم وغلبتهم على امور الخلافة .. فلما وجدته امه لا يطلب ثار ابيه من القتلة ، ابرزت له يوما قميص المتوكل الذى قتل



فيه وقد جف عليـه الدم ، وجعلت تبكى وتبالغ فى تحريض ولدها على قتل الاتراك .. فلما طال منها الالحاح قال لها المعتـز وقد نفد صبره :

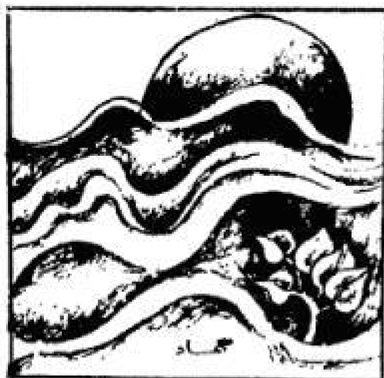
ـ يا امى .. خبئى هذا القميص ، والا صار قميصين ! ..

يقصد المعتز انه لو اقدم على منازلة القواد الاتراك ومحاسبتهم على قتل ابيه ، فسوف يقتلونه مثله ويصبغ دمه قميصه ، ولا يبقى لامه من بعده الا قميصه وقميص ابيه ! ..

وقد صدقت قولة المعتز ، فقتله الاتراك مع انه كان طوع بنان القادة الترك ، ولم يشر من قريب ولا بعيد الى قتلهم لابيه ! ..

(٣)

ـ « صدق أبى ذر » .. هو ابو ذر الغفارى الصحابى الجليـل الذى حارب اكتناز الاموال ، وطالب بنصيـب الفقراء منها ، وقد عاش أبو ذر الغفارى حتى مات ، يرفض التنازل عن مبادئه ويقول : سابقى كذلك حتى القى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اى بعد ان يموت ابو ذر ويلحق برسول الله .. وقد نفاه الخليفة عثمان بن عفان الى مكان منقطع فى الصحراء ، بعد أن



ضاق به معاوية بن ابي سفيان في الشام، وكان ابو ذر يقيم في دمشق ويلتف حوله الفقراء فينزعج لذلك معاوية .

وفي حق ابي ذر قال النبي عليه السلام : « ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء ، بعد النبيين اصدق لهجة من ابي ذر » ..

لهذا عاش ابو ذر عادلا في عهد ابي بكر وعمر ، ثم رفع راية المطالبة بالعدل بين الناس في عهد عثمان ، ومات في الصحراء وحيدا ولولا مرور الصحابي عبد الله بن مسعود وبعض الناس بتلك الجهة لما عرفت زوجة ابي ذر كيف تغسله وتكفنه وتدفنه ! ..

وابو ذر يضرب به المثل في الصدق فيقال : « صدق ابي ذر » .. اي صدقه في مبادئه وعضه عليها بالنواجذ ، لا يخاف في الحق لومة لائم ! ..

٤

ـ « سجع المختار » .. كان المختار بن ابي عبيد الثقفي لا يوقف له على مذهب .. كان خارجيا ، ثم صار زبيريا ـ اي مؤيدا لعبد الله بن الزبير في طلب الخلافة ـ ثم صار رافضيا يطالب بدم الحسين ، ولما تغلب على الكوفة واخذها من الامويين فعل باهلها الافاعيل ..

وقيل له مرة كيف خرجت على الدولة الاموية تدعو الى اولاد علي بن ابي طالب ؟!

فاعترف بصراحة قائلا : اني رايت مروان قد وثب على الشام ، وابن الزبير على مكة .. ونجدة بن عامر الحنفي على اليمامة ـ في نجد ـ وابن خازم على خراسان ! .. ووالله ما انا اقل شانا من هؤلاء .. فلهذا خرجت اطلب ما طلبوا من السلطان ! ..

وكان المختار كذابا يؤلف الاسجاع ويقولها لجهلاء العامة من حوله : هذا من عند الله ! ..

ولما قيل لعبد الله بن عباس : ان المختار يزعم انه يوحى اليه ، قال : صدق المختار ، فالله تعالى يقول : « وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم »

فمن اسجاعه انه قال ذات يوم : لتنزلن من السماء ، نار دهماء ، ولتحرقن دار اسماء ..

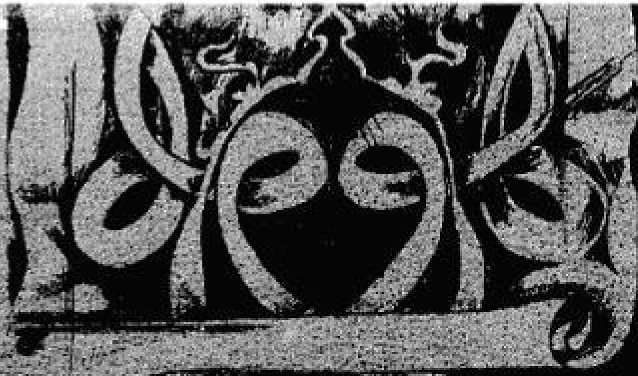
واسماء الذي يقصده هو اسماء بن خارجة .. الذي قال عندما سمع هذه الاسجاع : اوقد سجع بي المختار ؟! .. هو والله ينتوي احراق داري ! ..

وترك اسماء داره وهرب من الكوفة .. وجاء المختار فاحرق داره تصديقا لاسجاعه ! ..

ويروى ان النبي عليه السلام قال : « ان لثقيف كذابا ومبيرا » ..

فجاء المختار الثقفي كذابا .. ثم جاء الحجاج بن يوسف الثقفي فكان مبيرا .. اي مهلكا للناس ! ..

ومن ظريف ما يحكى من حيل المختار انه كان عنده كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال لاتباعه : هذا الكرسي من ذخائر امير المؤمنين علي بن ابي طالب فضعوه في حومة القتال ، وقاتلوا عنه ، وكان قد اشتراه من تجار بدرهمين !





تيارات أدبية

●● في زمننا تتراجع فرص الفرح الإنساني وتقل. من مهنته أن يفرح الناس ويسعدهم ، وينتزع الضحكات من أفواههم . كان الله .. في عونه . وفي جولة طويلة . حول الأدب والثقافة في شهر. يحار الإنسان بأي الأمور يبدأ . الاختيار هذه المرة ليس بين ما يسعد الإنسان وما يحزنه ، فكل الظواهر الثقافية تقريبا لها أسهم تشير الى أسفل ، وما يسعد الإنسان قليل . يصل في بعض الأحيان لحد الندرة ..

عيد بأية حال عدت يا عيد

فى الفترة الاخيرة . اكمل نجيب محفوظ عامه السبعين . وقد تصادف هذا اليوم مع يوم جمعة . وهو اليوم الذى يخصصه نجيب محفوظ للالتقاء باصدقائه من الادباء . فى احد المقاهى القريبة من بيته . لانه لا يستخدم السيارة ويفضل المشى على قدميه . ذهبت الى هناك . تصورت قبل الذهاب - بعين الخيال - اننى قد اجد هناك احتفالا ما . بهذه المناسبة الادبية الهامة . ولكن الذى حدث اننى وجدت اللقاء الاسبوعى كما هو . كل الجديد . ان البعض جاء . لكى يقدم له التهنئة. من قبل . عندما بلغ نجيب محفوظ سن الخمسين . ديسمبر سنة ١٩٦١ . اصدرت مجلة الكاتب عددا خاصا عن نجيب محفوظ ، وعندما بلغ سن الستين. اصدرت مجلة الهلال عددا خاصا عن نجيب محفوظ فيه الجديد عنه . وفيه حوار بينه وبين اسماء جيله فى كل المجالات . ولكن ماذا جرى عندما بلغ الرجل سن السبعين . سألته عن هذه الظاهرة . فقال لى اننى عزوف بطبعى عن مثل هذه الاحتفالات . وان عرفت بامرها فاننى اول من يهرب منها . لكن الرجل لم يقل ان القضية ليست قضيته بالمرة . وانها قضية الواقع الثقافى فى مصر اولا واخيرا . لم يحتفل احد . ولم تفكر مجلة ثقافية واحدة . او هيئة ثقافية واحدة ، وما اكثر هذه الهيئات. ان تفعل شيئا لهذا الرجل .



نجيب محفوظ

قلق المثقفين : الى متى ؟

لا يعتقد احد . ان قطاعا من قطاعات الدولة قد تعرض لكل التغييرات التى جرت فى ميدان الثقافة . فمنذ انشاء وزارة للثقافة فى مصر . فى اواخر الخمسينات . وحتى الان تعرضت هذه الوزارة لعدد لا نهائى من التعديلات والتغييرات لا تحصى ابدا . فمن انشاء للوزارة . الى ادماج فى وزارة اخرى . هى الاعلام مرة والتربية والتعليم مرة اخرى . الى الغاء نهائى فى بعض الحالات. ومنذ حوالى عام مضى . الغيت تجربة المجلس الاعلى للثقافة فى مصر ، وهى التجربة التى تفاءل بها الكل . وكتبت العديد من الاقلام . تقول ان هذه التجربة تعنى نقل امور الثقافة الى المثقفين لاول مرة فى تاريخ مصر . وهللت الكتابات لهذه التجربة . وكان من المفروض بعد انتهاء العام الاول من عمر التجربة . ان يعقد مؤتمر للمثقفين المصريين لكى يقيم التجربة

قبل اعادة النظر في التجربة كلها .

المفروض ان يبقى اى نظام ، بصرف النظر . عن بقاء المسئول الذى وقف وراء هذا النظام من عدمه . فالقاعدة ان النظام ابقى من الفرد الذى وضعه . وان تغير هذا الفرد او ذاك . لا يعنى هدم النظام الذى جاء به . المحزن ان كافة الاقلام التى هللت للمجلس الاعلى للثقافة . هى نفس الاقلام . التى مهدت لمثل هذه الاجراءات . وفضلت كافة هذه الاقلام الصمت الجميل . على الموقف الجاد . الذى يتصدى لما يؤمن به . ويبدو ان المثقف المصرى . فى قضية .. التعرض للمتغيرات التى تحدث كل يوم . ما زال يفضل دور المبرر .. بدلا من دور الناقد . ومن دور من يفضل أن يقول ما يؤمن به .. مهما كانت تبعات هذا الموقف .

اتحـــاد الـكتاب : هل هى مشكلة المقر ؟

اخيرا .. حصل اتحاد الكتاب على مقر خاص به . هو المقر عائلة لهم فى اول حى الزمالك . ومنذ سنوات مضت والاتحاد يتحدث عن مشكلة المقر ، وكأنها المشكلة الرئيسية أمامه وكأنه يعلق كافة نواحى التقصير فى عمله على قضية المقر والسؤال الان بعد أن حلت مشكلة المقر . هل يقوم الاتحاد بدوره ؟!

ان الاتحاد قام من أجل أن يرعى مصالح اعضائه المهنية . ويساعد العضو على ان يلعب دوره ، ولكن الذى حدث ، ان الاتحاد ركز على العديد من الخدمات الانسانية لاعضائه . والتى من المفروض ان تأتى فى المرحلة الثانية بعد الخدمات التى تمكن الكاتب من ان يلعب دوره ككاتب . أولا : قدم اتحاد الكتاب مشروعا للعلاج . للاعضاء وعائلاتهم كشكل من اشكال التامين الصحى . ومن قبل حصل الاتحاد على اولوية فى الحصول على سيارات نصر . وحصل على مساحات من الارض فى العريش ومشروع لاقامة عمارتين سكنيتين فى الهرم . وهذه الخدمات الانسانية . تقدم لبعض الاعضاء فقط وليس للكل . ومن المفروض ان تأتى فى الدرجة الثانية . بعد موقف الاتحاد مع الاعضاء . يحدث هذا فى الوقت الذى يلقى القبض على عدد كبير من اعضاء الاتحاد فلايقف بجوارهم . بل انه قد يدين هؤلاء الاعضاء . وقد حدث فى الفترة الاخيرة . انصودرت بعض الكتب الصادرة ولم يقف اتحاد الكتاب اى موقف دفاعى عن حرية الراى . كان من المفروض ان يكون للاتحاد موقف بصرف النظر انكانت هذه الكتب من تاليف اعضاء فيه أم لا . فاتحاد الكتاب نقابة مهنية الهدف منها تمكين من يكتب . من أن يلعب دوره بصورة كاملة . وقضية الأديب الاولى هى احدىقضايا الحريات أساسا . والمفروض أن تكون هذه هى قضيته الاولى .

الجانب الآخر ..

على الجانب الاخر . توجد العديد من القضايا . هيئة الكتاب والتى ظلت منذ اغسطس الماضى بدون رئيس مجلسادارة بعد وفاة صلاح عبد الصبور . عين لها مؤخرا الدكتور عز الدين اسماعيلرئيسا لمجلس ادارتها . والكل يتوقع ان تستمر سياسة صلاح عبد الصبور فى الهيئة . وان يعطى كافة الاتجاهات فرصة متوازنة



صلاح عبد الصبور



عز الدين اسماعيل

في النشر بعرف التعبير عن المواقف السياسية . وعزالدين اسماعيل عميد كلية الاداب في جامعة عين شمس حاليا . وهو رئيس تحرير مجلة «فصول» التي تصدر عن الهيئة .

حمل هذا الشهر خبرا . قادما من بيروت . يقول الخبر ان الاعمال الكاملة لجرجي زيدان ستصدر قريبا كلها . من لبنان . وهذه الاعمال كلها . صدرت الطبعة الاولى منها . في دار الهلال . وكان من المفروض ان تصدر اى طبعات اخرى منها . من دار الهلال . فهذه المؤلفات ليست مجرد كتب صادرة هنا في دار الهلال . ولكنها جزء من الدار . ومن تاريخها .

ويشهد هذا الشهر افتتاح معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وهذا المعرض من المشروعات الثقافية القليلة التي استمرت ونجت من محاولات تحويله الى صورة اخرى . وقد استمر هذا المعرض وازدهر بصورة اساسية في السنوات الاخيرة من الستينيات . حيث ازدادت رقعة الدول المشاركة فيه . وكانت هناك محاولة لتحويله من مجرد سوق لبيع الكتب . الى ظاهرة ثقافية تناقش هموم الكتاب العرب في هذه الظروف . خصوصا وان الكتاب العربي يعاني من عصر التليفزيون الذي يطل علينا الان . ويعاني من ارتفاع أسعار الكتاب . ومن تحديد رقعة المتعاملين مع الكتاب . والذين يتحولون الى عصر الاعلام السريع ، حيث تبدو مشاهدة السينما أو التليفزيون او المسرح . كنوع من التلقي السلبي . التي لا يتطلب من المشاهد القيام بأى جهد . في حين ان عملية القراءة تتطلب من القارىء ان يقوم بعملية اعادة خلق لما يقراه . لدرجة أن القراءة أصبحت في هذه الايام . نوعا من الاختيار الخاص والصعب . والذي يعاني منه من يقدم عليه . كان الامل ان يتحول هذا المعرض الى منتدى وظاهرة ثقافية . وفي العامين الاخيرين . اقيمت ندوة حول قضايا الكتاب وهي كثيرة . ابتداء من قضايا سعر الكتاب . وحتى معاملة الكتاب كسلعة . في انتقاله من دولة عربية الى اخرى . الى ازمة نشره . الامل هذا العام . أن تفك حالة المقاطعة للمعرض من جانب الدول العربية بعد ان اصبحت مصر في ارهاصات وضع جديد يبشر بحالة من الامل .

خارج حدود مصر . يعيش العالم الادبي . في كل ارجاء الدنيا . حالة من الاهتمام بكاتب روائي جديد . هو جارثيا ماركيز . كاتب روائي من كولومبيا اساسا .. وماركيز الان هو اشهر روائي في عالم



جرجي زيدان

اليوم . وان كان قد ترك بلده الاساسى . وهو يعيش حاليا فى باريس مغتربا منذ سنوات . ورواية « مائة عام من العزلة » هى الرواية التى نشرها عام ١٩٦٧ ، وجلبت له الشهرة الكاملة ، وحولته الى كاتب كبير من اهم الاسماء التى تحتل مكان الصدارة على مستوى العالم . وكان قد سبق صدور بعض أعماله من قبل مائة عام من العزلة . ولكن بعد انحولته هذه الرواية الى كاتب عالمى من الطراز الاول . صدرت له .. روايات اخرى . جديدة واعيد طبع اعماله الاولى . له الان فى المكتبات ، ليس لدى الكولونيل من يكاتبه . وصدرت له روايته الاخيرة : خريف البطريك . وصدرت دراسة عنه عنوانها : عزلة ماركيز . هى عبارة عن مقابلة طويلة معه . يقول الانسان هذا كله . وهو حزين لانه لم يترجم عمل ادبى واحد لماركيز وينشر فى مصر . ولا امل لكل المثقفين . سوى انتظار انتصل هذه الترجمات الى مصر فى وقت قريب .

[illegible] وحكايتها

شهدت هذه الايام . مصادرة كتابين هامين . الكتاب الاول . للمؤرخ الجاد طارق البشرى . الكتاب اسمه : المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية . والكتاب الثانى هو مقدمة فى فقه اللغة . للدكتور لويس عوض . وخطورة مصادرة كتاب فى هذه الايام . ان الرقابة على الكتب المفروض انها غير موجودة رسميا . منذ اعلن رسميا فى مارس سنة ١٩٧٧ . عن الغاء هذه الرقابة . وهى غير موجودة رسميا . ولكنها رغم عدم الوجود الرسمى . الا انها موجودة بصورة اخرى غير رسمية . ولكن عند مصادرة كتاب . لا يكون هنالك قرار رسمى بالمصادرة . وبالتالى يكون من المستحيل اللجوء الى القضاء .

وارد الكتب :
١ ـ ليالى الف ليلة
المؤلف : نجيب محفوظ
الناشر : دار مصر للطباعة
٢٦٨ صفحة ـ ١٠٠ قرش

●● هذا العمل الادبى يحمل رقم التاسع والثلاثين فى انتاج نجيب محفوظ ، وبين انتاجه الروائى يحمل رقم السادس والعشرين . وبعد ان نشرها .. انتهى من كتابة ثلاثة اعمال روائية جديدة . بعضها لا يزال ينتظر النشر ، وهى غزارة فى الانتاج يحسد عليها نجيب محفوظ فى هذه السن بالذات .

ليالى الف ليلة عمل غريب على عالم نجيب محفوظ . يترك فيه الواقع الراهن بكل ما فيه . ليعود الى الف ليلة وليلة . يحاول أن يصبح شهرزاد عصرنا . ويبدو انه يعود الى الماضى . لكى يتكلم بقدر اكبر من الحرية عن الحاضر . عندما حدثته عن بعض الرموز والاسقاطات فيها . قال لى ضاحكا : احمد الله ان نشرها جاء فى مايو . صحيفة الحزب الحاكم . والا كانت قد تعرضت للعديد من محاولات التفسير والاسقاط السياسى عليها . فى هذه الرواية محاولة لتقطير عالم الف ليلة وليلة . وفيها تلتقى بشهرزاد . وشهريار والسندباد . ولكن نشعر أنهم منا نحن .



وانهم يتكلمون عن حياتنا . وان همومهم هى فى النهاية هموم ابناء هذه اللحظة من الزمان . فى هذه الرواية السلسة والسهلة والناعمة محاولة للعودة الى العالم الذى سبق وان قدمه نجيب محفوظ فى رائعته المعروفة الحرافيش . ولكنه ان كان قد جرى فى الزمان فى رواية الحرافيش . بصورة طولية . فقد جرى الزمن هذه المرة بصورة عرضية رغم ان الرواية تحمل فى عنوانها رقم الالف ليلة .

٢ ــ الموالد

دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر .

المؤلف : الدكتور فاروق احمد مصطفى

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية

٣٦٥ صفحة : ٣ جنيهات

لهيئة الكتاب فرع فى الاسكندرية .. انشىء مؤخرا . وهو الاساس فى نشر بعض الاعمال المقررة على طلبة الجامعة هناك . ولكن هذا الفرع نشر العديد من الاعمال الفكرية الجيدة . واغلبها لاساتذة من جامعة الاسكندرية . نقرأ اسماءهم للمرة الاولى جميعا . ومن هذه الدراسات التى صدرت هناك . دراسة للدكتور فاروق احمد مصطفى عن الموالد الشعبية فى مصر . والكتاب فى الاصل . كان رسالة من اجل الحصول على درجة الدكتوراه . فى قسم علم الاجتماع من جامعة الاسكندرية ورغم ان هذه الموالد من الظواهر العادية واليومية . التى نمر بها فى الحياة . الا ان احدا لا يتصور ان لها هذه الاهمية الشديدة . بالنسبة لحياة الناس . فى هذه الدراسة يعرف الباحث المولد . ويقدم اساسه النظرى لدراسته ثم يدرس المولد من ناحية الشعائر والاساطير والعادات والتقاليد . ثم الظاهرة الفولكلورية فى المولد . ثم يتوقف امام تاريخ الموالد فى مصر ، كل العناوين السابقة يفرد لها الباحث فصولا باكملها من اجل دراستها . ويختم كتابه الهام والفريد بدراسة مقارنة لحالة الموالد فى حوض البحر الابيض المتوسط ، ويقدم نصوص الاغانى الشعبية التى تقال فى الموالد عادة ، والحكايات الشعبية التى تروى فيها . ويقدم تعريفا بالاولياء والقديسين فى مصر بصورة عامه .

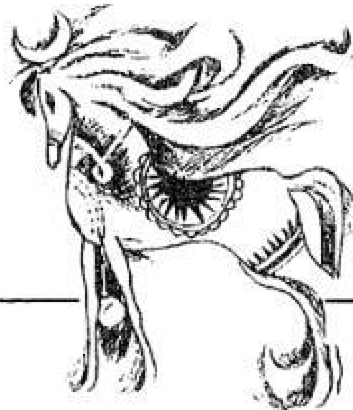
٣ ــ ادب البحر

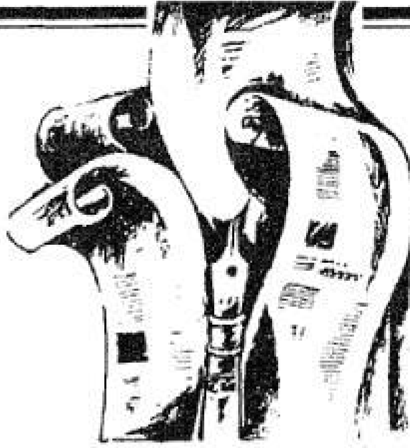
المؤلف : احمد محمد عطية

الناشر : دار المعارف

٣٠٠ صفحة : ٢٩٥ قرشا

صاحب هذا الكتاب الناقد الادبى احمد محمد عطية . وهو كاتب مجتهد صدر كتابه الاول سنة ١٩٥٧ . وصدر كتابه الاخير فى الايام الاولى من العام الجديد . سنة ١٩٨٢ . وما بين الكتاب الاول . والكتاب الاخير . ثلاثة عشر عملا نقديا ما بين مؤلف ومترجم . آخر عملين صدرا له : ادب اكتوبر . واضواء جديدة





على الثقافة العربية . وهو يعمل حاليا في ثلاثة كتب جديدة : الاول : ترجمة رواية ريتشارد رايت الجديدة ابناء العم توم . والثاني : دراسة عن الرواية السياسية . والثالث : دراسة عنوانها: نحو ثقافة عربية جديدة .

أما دراسته الحالية : ادب البحر . فهو يتكلم عن الادب الذي يستهدف التعبير عن البحر . الادب الذي يكون البحر هو موضوعه الرئيس . وادب البحر يتصل بالحضارة العربية بصورة اساسية . يدرس أحمد محمد عطية في هذا الكتاب . العرب والبحر . ثم يدرس ادب البحر في الشعر الجاهلي . ثم قصص الرحلات البحرية والتي مهدت للظهور قصص ألف ليلة وليلة . ثم يدرس ادب الرحلات البحرية ابتداء من المسعودي وابن بطوطة قديما ورحلات حسين فوزي وفتحي غانم وصالح مرسي حديثا .

هناك فصل حول الرواية العربية والبحر . فيدرس روايات جبرا ابراهيم جبرا .

ولا يفوته عمل دراسة حول البحر في الادب العالمي .

فيدرس موبي ديك . لهرمين ملفيل . والعجوز والبحر لارنست هيمنجواي . وديوان اوراق العشب لوالت ويتمان . والكتاب يعكس القدرة على الدأب والمثابرة . نجدها في العديد من اعمال احمد محمد عطية . منذ بدأ الكتابة . منذ سنوات طويلة مضت .

خسوف

حينما رسا كريستوفر كولمبس بسفنه فى مينا، جامايكا خلال رحلته الرابعة رفض الهنود الحمر هناك أن يطعموا رجاله . وكان يعلم ان خسوفا كليا للقمر سوف يحدث الليلة التى رسا فيها ، فانذرهم اذا اصروا على موقفهم بغضب الاله وحجب نور القمر عنهم . وماكادوا يشاهدون الخسوف حتى خافوا وهرعوا الى كولمبس ضارعين اليه أن يتوسط لدى الالهة كى تغفر لهم واعدين بتقديم الطعام المطلوب اضعافا مضاعفة !

حسابى فى المصرف

يعتريني الخوف كلما دخلت مصرفا .. فالموظفون يخيفونني ، والمكاتب تخيفني ، ومنظر النقود يخيفني ، وكل شيء في المصرف يخيفني ...

ففي اللحظة التي امر فيها من باب مصرف ، وأحاول القيام بعملية مصرفية ، اغدو معتوها غير مسئول ...

عرفت هذا من قبل . ولكن مرتبي رفع الى خمسين دولارا في الشهر ، فشعرت بان المصرف هو المكان الوحيد لذلك المرتب .

ولذا دخلت مصرفا ، وانا احس بعدم الثبات ... وتطلعت حولي الى الموظفين والخوف يهز كياني . كانت لدي فكرة عن ان الشخص الذي يريد ان يفتح حسابا في مصرف ، لابد ان يستشير المدير .

ذهبت الى مكان كتب فوقه « محاسب » . كان ذلك المحاسب شيطانا طويلا وباردا خوفني مجرد منظره ، وبدا صوتي كأنه صادر من داخل قبر ...

قلت لذلك المحاسب : «أيمكنني أن اقابل المدير؟» وأردفت ، في جدية «وحده» . ولست ادري لماذا قلت كلمة « وحده » .

فقال المحاسب : « بكل تأكيد » . واحضره .

كان المدير رجلا هادئا يتحلى بالجديه . فامسكت بالستة والخمسين دولارا مضغوطة معا في صورة كرة ، في جيبي .

قلت : «هل انت المدير؟» .. ويعلم الله انني لم اشك في أنه المدير .

قال : « نعم » .

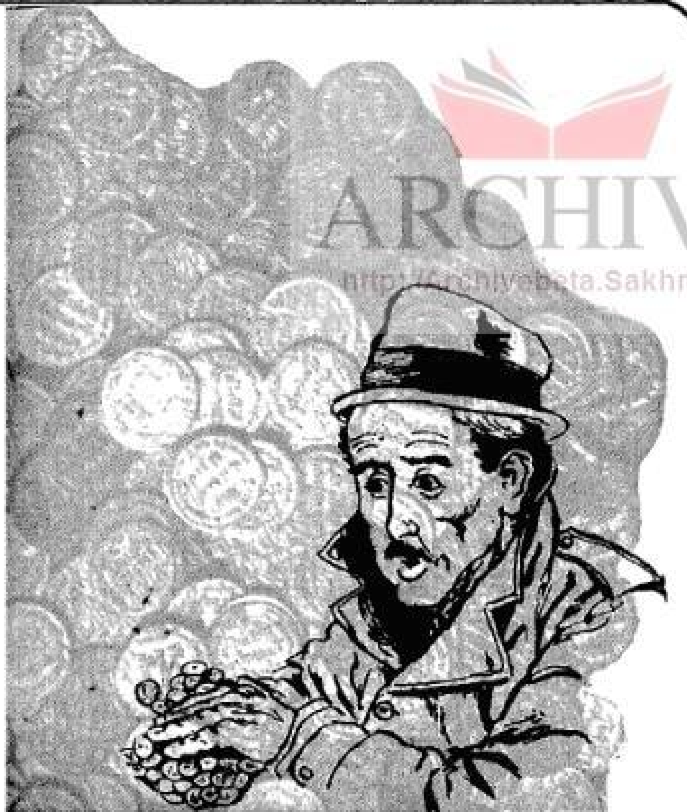
قلت : « أيمكنني ان اقابلك وحدك ؟ » . لم ارغب في ان اقول «وحدك» مرة ثانية . ولكن يبدو ان السؤال بغير هذه الكلمة يبدو عديم الفائدة .

نظر الى المدير في شيء من القلق ، واحس بان لدي سرا خطيرا اريد ان افضي به اليه ...

قال : « تعال هنا » وسار امامي الى حجرة خاصة واقفل الباب بالمفتاح .

قال المدير : « نحن هنا في مأمن من تدخل اى فرد ... اجلس » .

جلسنا كلانا ، ونظر كل منا الى الاخر . لم اجد



صوتا اتكلم به .

قال المدير : « أعتقد انك احد مخبرى مكتب بنكرتون» وجعلته حالتى الغريبة يظنني مخبرا . وعرفت ما كان يفكر فيه . وهذا هو ما زاد حالتى سوءا .

قلت : « لا ، لست من مكتب بنكرتون » .

وبدا معنى هذا انني من مكتب منافس لبنكرتون .

ولكى اقول الصدق ، تكلمت كما لو كان هناك من يحثنى على الكلام ، فقلت : « لست مخبرا على الاطلاق . وانما جئت لافتح حسابا . اريد ان احفظ كل نقودى فى هذا المصرف » .

ظهر لى ان المدير قد اطمأن ، ولكنه ما زال ملتزما الجدية . تأكد الآن من اننى رجل واسع الثراء . ربما كنت واحدا من ابناء البارون روتشيلد

قال : اعتقد انه حساب ضخم .

فهمست قائلا : « ضخم جدا . اعتزم ان اضع فى هذا المصرف مبلغ ستة وخمسين دولارا الان ، ثم خمسين دولارا فى كل شهر بانتظام » .

نهض المدير وفتح الباب ونادى المحاسب .

قال بصوت فظ مرتفع : « يا مستر مونتجومرى ، هذا السيد يريد ان يفتح حسابا . سيضع فيه ستة وخمسين دولارا ... عم صباحا ! »

وقفت ...

هناك باب حديدى كبير مفتوح على جانب الحجرة .

قلت : « عم صباحا ! »

وسرت الى داخل الخزانة .

قال المدير ببرود : « اخرج » ثم اشار الى الطريق الاخر .

ذهبت الى مكتب المحاسب ودفعت اليه كرة النقود بحركة سريعة مفاجئة ، كما لو كنت اقوم بنوع من الحيل السحرية ...

امتقع وجهى بصورة فظيعة .

قلت : هاك . ضع هذه فى حسابى . » وبدا صوتى كأنه يعنى « دعنا ننتهى من هذا العالم المؤلم ، طالما تشعر باننا نريد عملة » .

اخذ المحاسب النقود وسلمها الى موظف اخر .

طلب منى ذلك الموظف ان اكتب المبلغ على قطعة من الورق واوقع باسمى فى



حسابي في المصرف

دفتر . لم اعرف بعد ذلك ماذا كنت افعل . لاح لي ان المصرف يسبح امام عيني .
سالت الموظف بصوت اجش مضطرب : . اهي في الحساب ؟ .
قال المحاسب : نعم هي في الحساب
قلت : . اذن ، اريد ان اسحب شيكا . .
كانت فكرتي ان اسحب ستة دولارات للاستعمال العادي . فاعطاني شخص ما دفتر شيكات، واخذ شخص اخر يبين لي كيف اكتب الشيك . فبدا الناس الموجودون بالمصرف يظنونني املك ملايين الدولارات . غير ان حالتي لم تكن على ما يرام . فكتبت شيئا في الشيك ودفعته الى الموظف، فنظر اليه نظرة تنم عن الدهشة .
قال الموظف مبهوتا : . ماذا ! . هل ستسحب مبلغك كله ثانية . ؟ .
فادركت انني كتبت ستة وخمسين دولارا بدلا من ستة دولارات . كنت مرتبكا غاية الارتباك فلم استطع



التفكير وقتذاك . شعرت بانه يستحيل علي تفسير اي شيء . توقف جميع الموظفين عن اعمالهم لينظروا الي .
وبكل جراة وعدم مبالاة بمحنتي ، صممت على قرار لن اتراجع عنه .
قلت : . نعم ، المبلغ كله ! .
. اتريد ان تسحب نقودك من المصرف ؟ .
. كل سنت منها . .
فقال الموظف مدهوشا :
. الن تضع اي مبلغ اخر في الحساب ؟ .
ـ . ابدا ! .
حداني امل سخيف . انهم قد يظنون ان شيئا اهانني

وانا اكتب الشيك ، لهذا غيرت رايي ... قمت بالمحاولة السخيفة بدلا من ان ابدو رجلا متقلب الراي ..
استعد الصراف لدفع النقود .
قال : . كيف تريد المبلغ ؟ .
. ماذا ؟ .
.كيف تريد ان تاخذه؟.
فهمت قصده اخيرا ، فاجبت دون محاولة للتفكير . اوراقا من فئة الخمسين دولارا . .
ثم سالني ببرود : . والستة ؟ .
قلت : . من اوراق فئة ستة دولارات .
اعطاني ستة دولارات ، فاندفعت منطلقا الى الخارج.
وعندما انقفل الباب الكبير خلفي ، سمعت عاصفة من الضحك ارتفعت الى سقف المصرف . ومنذ ذلك التاريخ لا استخدم المصرف اطلاقا . بل احتفظ بنقودي في جيبي وبمدخراتي قطعا فضية في جورب !

ترجمة : أمين سلامة

قال رجل لسهل بن هرون :
ـ هبني درهما فانه لاينقص من مالك
فاجاب سهل قائلا :
ـ يا أخي .. لقد هونت الدرهم . الا تدري ان الدرهم عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الالف ، والالف دية المسلم .. وهل بيوت المال الا درهم على درهم ؟!

رسائل  جامعية

المخدرات

د. محمد فتحي عيد
إشراف:
د. فتحي سرور
د. مأمون سلامه
د. رؤوف عبيد



لانه يعمل في مجال مكافحة المخدرات منذ اكثر من عشرين عاما ، فقد شغلته طويلا قضية تعاطي المخدرات في مصر ، فاختارها موضوعا لرسالته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ، والرسالة كلها بحث في سؤال واحد هام .. هل تعاطي المخدرات جريمة تستاهل العقاب ، ام هي مرض يحتاج الى العلاج ؟

وطبقا للاحصائيات التى اوردتها الرسالة ، فان تعاطي المخدرات ينتشر عالميا بين عدد كبير من الناس ، باختلاف الطبقات ، ومن هنا اتت اهمية عرض الرسالة في محاولة جادة ، ولكن في ايجاز يتناسب مع امكانية النشر ..

ونرجو الا نظلم صاحب الرسالة حقه ، ولا الرسالة اهميتها ..

وصاحب الرسالة هو العميد محمد فتحي محمد عيد ، وناقشتها لجنة منحتها درجة جيد جدا ، مكونة من الاستاذ الدكتور فتحي سرور استاذ ورئيس القسم الجنائي بكلية الحقوق بجامعة القاهرة رئيسا ، والاستاذ الدكتور مامون محمد سلامة استاذ القانون الجنائي بجامعة القاهرة ، عضوا ومشرفا على الرسالة ..

وعضوية الاستاذ الدكتور رؤوف عبيد ، استاذ متفرغ القانون الجنائي بكلية حقوق جامعة عين شمس .

● تبدا الرسالة باستعراض تاريخ المخدرات في مصر ، ويؤيد صاحب الرسالة الراى القائل بان الخشخاش قد عرفه الفراعنة ويدلل على ذلك بما ذكره المؤرخون من العثور على مرهم زيتي يحتوى على المورفين في مقبرة الاسرة الثامنة عشرة وما بعد ذلك وايضا الحلى المصنوعة على شكل كبسولة الخشخاش . وكان الفراعنة يطلقون عليه اسم « شبن » وكانوا يستعملونه لتهدئة صراخ الاطفال .

كما عرف الفراعنة القدامى الافيون ايضا ، وكانوا يحفظونه مع

الماء أو الخمر فى اوانى بورسلين تشبه فى الشكل كبسولة الخشخاش .

وفى عصر السيادة العثمانية « ١٥١٧م - ١٨٠٥ م » الذى يعد أكثر سوءا ، وصل التدهور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الى قمته فى هذا العصر ، واستمر المصريون فى تعاطى الحشيش حتى يعوضهم بالحلم عن مرارة الواقع ، وكان يستعمل فى هذه الفترة لجلب السعادة وطرد الهموم ، كما كان يستعمل فى تسكين الالم والقضاء عليه .. وقد فوجىء اعضاء اللجنة العلمية التى كانت مصاحبة للحملة الفرنسية بالشهرة المحلية التى حققها القنب فى علاج بعض الامراض ، فاجروا الدراسة عليه ، ويقال ان تاريخ تقديم القنب وادخاله فى الدواء الغربى الحديث يرجع الى هذا التاريخ ..

وجاء محمد على باشا الكبير ليتوسع فى زراعة القنب .. واقام المصانع لصناعة حبال السفن وقلوعها من اليافه ، وانتشر تعاطى الحشيش بين العامة فى هذا العصر ، ياكلونه ويدخنونه فى المقاهى العامة وفى حوانيت خاصة يطلق عليها اسم « المحاشش » اما الافيون فقد كان نادر الاستعمال بين المصريين ، شائعا بين الاتراك الذين يميلون الى التخدر به ..

كما توسع محمد على فى زراعة الخشخاش ، وذلك عندما علم من مستشاريه مقدار الشهرة الذائعة التى حققها افيون طيبة فى قديم الزمان ، فاستقدم خبراء لزراعة الخشخاش من آزمير تركيا وصار يصدره الى الولايات المتحدة والصين . وقد اشارت تقارير مبعوثى الدول الاجنبية الى ان الافيون المصرى كان يعتبر من اهم صادرات مصر ..

وبالرغم من انتاج الافيون الوفير ، ورخص سعره .. فان ذلك لم يشجع المصريين على تعاطيه .



من هو المدمن ؟

منذ البداية يؤكد الباحث أن متعاطى المخدرات هو مجرم ، وأن جريمة التعاطى شأنها شأن اى جريمة اخرى وليدة خليط من العوامل الشخصية والبيئية ..

من العوامل الشخصية عامل الوراثة .. ويعترف بانه لم تجر فى مصر اية دراسات حول تأثير الوراثة على ظاهرة تعاطى المخدرات ، ربما لان ذلك يتطلب جهودا مفرطة فى مشقتها ، اما على المستوى الدولى فقد قامت هيئة الامم بدراسة حول الاطفال والمخدرات بمناسبة العام الدولى للطفولة أوضحت فيها ان الاف الاطفال فى العالم يولدون مدمنين للهيروين ، وذلك بسبب ادمان امهاتهم لهذا المخدر ، واوضحت الدراسة بان الاحصائيات مخيفة وضربت مثلا بولاية فيلادلفيا ، التى يصل عدد النساء المدمنات فيها الى ٢٠ ٪ من عدد المدمنين ، وأن من كل ١٤ طفلا يولدون فى

مستشفى فيلادلفيا ، يوجد طفل تعاني امه من الادمـــان على الهيروين .

التكوين العضوى : يؤكد الباحث أن التكوين العضوى لمتعاطى المخدرات قد لا يمكنه من الاستمرار فى عمله فترة طويلة تمكنه من الحصول على عائد مادى يحتاجه ، الامر الذى يدفعه الى تعاطى المخدرات ، ويضرب مثلا لذلك بسائقى الشاحنات الضخمة الذين يضطرون لعدم النوم لفترات طويلة تصل الى عدة ايام حتى يستطيعوا الوصول بشحنتهم الى مقصدها فى اقل وقت ممكن ، وكذلك طلبة الجامعات والدراسات العليا الذين يستعدون للامتحانات ، وبعض لاعبى كرة القدم المحترفين الذين يتعاطون جرعـــات كبيرة من الامفيتامينات بواسطة الفم قبل المباريات الهامة . .

التكوين العقلى : اثبتت دراسة اجريت فى الهند على متعاطى الحشيش ان نسبة كبيرة منهم يتسمون بالغباء ، ولا يستطيعون مواجهة ضغط الحياة فيضطرون الى تعاطى الحشيش حتى يتخلصوا من الاحساس بالكآبة الناتج عن اخفاقهم فى حل مايعترضهم من المشاكل . وان صفة الغباء تنطبق على متعاطى كل أنـــواع المخدرات ..

التكوين الغريزى : تثبت الدراسات أن عامل مقـاومة الجوع من العوامل الرئيسية التى تدفع بالانسان الى تعاطى المخدرات واثبتت دراسة من العالم العربى أن احد الاسباب الرئيسية لتعاطى القات فى اليمن والصومال هو عامل مقاومة الجوع ، اما فى البلاد التى ترتفع فيها اسعار المخدرات ارتفاعا فاحشا عن اثمان السلع الغذائية ، فلا يحتل هذا العامل مكانه بين العوامل الدافعة الى ارتكاب جريمة التعاطى .

الغريزة الجنسية : يثبت الباحث أنها وراء اغلبية المتعاطين فى شتى انحاء العالم من الدراسات العديدة التى أجريت على المدمنين ، سواء فى امريكا او الهند او مصر .. وبين الاغنياء والفقراء والشباب وابطال الرياضة .. وفى دراسة اجريت بالقاهرة على عينة من بين المترددين على احدى جمعيات العلاج ان الغريزة الجنسية كانت وراء ٦٦٪ من افراد العينة ..

التكوين النفسى : ينظر علماء النفس الى التكوين النفسى بوصفه العامل الحاسم فى تعاطى المخدرات ، وان ثمة دوافع نفسية سواء شعر بها الشخص وفطن اليها او لم يشعر بها هى التى تدفعه الى التعاطى الذى يحقق له توازنا نفسيا ، وان اسباب التعاطى ولو تنوعت لا تعدو ان تكون دلالة على ان المتعاطين يعانون من قدر كبير من القلق والتوتر يعبرون عنه بالهم ويتخلصون منه عن طريق المخدر .

ويرفض الباحث ان يكون هذا السبب هو السبب الوحيد للتعاطى ، ويؤكد رايه بنتائج المسح الاستطلاعى للقاهرة تعاطى الحشيش فى مدينة القاهرة ، والذى اثبت ان السعى وراء المرح

● لعل الدول الرأسمالية أكثر تأثراً بالمخدرات من غيرها!

د . محمد فتحى عيد



والابتهاج كان أحد الاسباب الرئيسية التى دفعت ٨٩٪ من افراد العينة الى تعاطى الحشيش .

السن : تشير نتائج البحث الاستطلاعى لظاهرة تعاطى الحشيش بمدينة القاهرة الى أن أكثر فئات الناس اقبالا على تعاطى الحشيش هى الفئة التى يمتد بها العمر من العشرين الى ماقبل الاربعين ..

وبالرغم من أن الاحصائيات عن انتشار تعاطى المخدرات بين فئات العمر غير كاملة بالنظر الى الطبيعة المستترة لجريمة التعاطى الا انها تعطى دلالة مفزعة من انتشار التعاطى بين صغار السن ..

فى بحث بين القوات المسلحة النرويجية : ٥٠٪ من متعاطى المخدرات بداوا التعاطى قبل سن الخامسة عشرة .

فى مدارس استوكهولم : تلميذ من بين كل ٣ تلاميذ قد جرب المخدرات .

فى الولايات المتحدة ٢٥٪ من التلاميذ الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والسابعة عشرة يتعاطون المخدرات .

فى الفليبين ١٢٪ من المعتنين من الاطفال تتراوح اعمارهم بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة .

استراليا : مايزيد على ٢٠٪ من التلاميذ يتعاطون المخدرات .

والواقع المصرى يشير الى انتشار المخدرات بين الفقراء والاغنياء على السواء ، والاختلاف الوحيد هو فى نوع المخدر وجودة مادته .

كما ان التغير الاقتصادى السريع يؤدى الى زياده حجم ظاهرة التعاطى ، وتعليل ذلك ان الرخاء المفاجىء يؤدى الى وفرة المال التى قد تؤدى الى الاقبال على تعاطى المخدرات .. كما تجتلب عمليات التنمية التى تصاحب الرخاء ، الايدى العاملة المحملة بخبراتها وسيئاتها . وقد عرفت دول الخليج تعاطى المخدرات على أيدى العمال الذين هاجروا اليها .

ولكن الطامة الكبرى تكمن فى التوزيع غير العادل للثروات ، والذى استفحل أمره فى مصر عقب الانفتاح الاقتصادى ، فالبعض يكد ويكدح ولا ينال ما يكفيه لمواجهة التصاعد المستمر فى الأسعار ، والبعض لا يكاد يعمل شيئا ويحصل على الكثير مثل السماسرة وقابضى العمولات والحرفيين وبعض المهنيين الذين يبيعون خدماتهم بأعلى الاسعار ، وتكون النتيجة عائدا قليلا واحباطا لدى الاغلبية ، وعائدا ضخما لدى القلة غير مهياة أصلا لانفاقه ، ومن ثم تجد نفسها مندفعة لاستخدامه فى تعاطى المخدرات والانحلال والفساد .

ويزيد حجم ظاهرة التعاطى فى المجتمعات الصناعية ، نظرا لما يحدث بها من تفكك اسرى ، وشعور الفرد باستقلاله عن عائلته وانتعاش حالته المادية ، وعلى عكس ذلك فى المجتمعات الزراعية التى مازالت بها روابط الاسرة وتقاليدها .

اما من ناحية البيئة السياسية فان وثائق الامم المتحدة تشير الى ان الدول الرأسمالية أكثر تاثرا بمشكلة المخدرات من الدول

● بعض الأساتذة والأطباء يطالبون بإباحة تعاطى المخدرات

الشيوعية ، والواقع ان ذلك يرجع الى ماتؤدى اليه المنافسة في النظام الراسمالي من نجاح وفشل وضياع للمبادىء في سبيل الجرى وراء المال ، مما يترتب عليه الاقبال على تعاطي المخدرات لاعادة الاتزان الى النفوس . اما الدول الشيوعية فهى تحكم بالحديد والنار الذى يسد منافذ التهريب كما أن عدم وفرة النقود مع الافراد لا يشجع المهربين على المخاطرة بتهريب مخدرات قد لا يحققوا من ورائها ارباحا تعوض المخاطر المنتظرة .

اما العوامل الثقافية فاهمها قيم الجماعة .

اتضح من البحوث التى اجريت ان البيئة التى ينتشر فيها تعاطي المخدرات ينتشر فيها جو من التسامح تجاه تعاطيها .

وبالنسبة للتعليم ، فان النتائج التى توصلت اليها البحوث تشير الى ان تعاطي المخدرات يزداد مع انخفاض مستوى التعليم ويقل مع ارتفاع المستوى ، وقد ظهر ذلك في نتائج البحث الاستطلاعى لظاهرة تعاطي الحشيش بمدينة القاهرة .. وبحث ظاهرة تعاطي الافيون والذى تبين منه ان نسبة الاميين تصل الى ٨٦٪ والحاصلين على مؤهل متوسط تبلغ ١١٪ ونسبة الجامعيين ٢٪ فقط .

وتلعب التقاليد والعادات دورا كبيرا في زيادة حجم الظاهرة .. ويتمثل ذلك في دول اسيا حيث يتم التعاطي في المناسبات والاعياد .. كما انه من الامور الشائعة اعطاء الافيون الى الاطفال لتسكين آلامهم أو جلب النوم الى عيونهم ..

ومن العادات غير السوية التى كانت منتشرة في مصر ، جلسات تعاطي الحشيش الجماعية اثناء الاستماع للغناء..وفي تونس ايضا يجتمع الرجال في المناسبات وأيام الاعياد في شقق خاصة يتعاطون المخدرات وهم يستمعون للغناء ، وفي القرى الجبلية بالجزائر ، تقوم النسوة المتزوجات في مناسبات معينة باعداد فطائر لازواجهن مخلوطة بالحشيش .

ومن اهم عوامل البيئة الخاصة بالفرد .. التفكك الاسرى ، وقد اثبت ذلك الدراسات الدولية ، كما اثبتته ايضا نتائج المسح الاستطلاعى بمدينة القاهرة ...

كما أن تعاطي رب الاسرة للمخدرات بين اطفاله وهو القدوة لهم ـ يعد عاملا مشجعا لتعاطي المخدرات ، وقد اثبتت الابحاث في القاهرة ان ٥٨٪ من المتعاطين قد اقروا بوجود شخص في الاسرة يتعاطى المخدرات .

اتجاه اباحة المخدرات

هناك اتجاه لا يمكن تجاهله في مصر أو العالم يطالب باخراج التعاطي من دائرة التجريم ويدعم هذا الاتجاه ان التشريعات لا تجرم الانتحار أو اصابة الشخص نفسه . في الولايات المتحدة الامريكية والتى يقوم دستورها على نظرية الحقوق والواجبات ، كان من الطبيعي ان يعتبر المواطن الامريكي أن أقدس واجباته هو الدفاع بشراسة عما يعتقد انه حق كفل الدستور حمايته .. ومن



هنا فهو يعتبر تجريم تعاطى المخدرات هو اعتداء على حريته فى استخدام جسمه ، كما أنه يدخل فى حقه فى الحرية الشخصية وقد حكمت المحكمة العليا فى ماتشيجان بالغاء الحكم الصادر فى جريمة حيازة سيجارتين من الماريهوانا على أساس أن التعاطى يدخل فى نطاق الحرية الذى كفل الدستور للمواطن حمايته ضد أى تدخل من جانب الدولة .

ويؤسس الفقهاء فى امريكا مطالبتهم باباحة التعاطى على أن تجريمه قد اثبت فشله فالاحصائيات تؤكد تفاقم المشكله .. وتشير الى التصاعد المستمر فى عدد جرائم تعاطى المخدرات .

التجريم يلحق ضررا بالمتعاطى يفوق الضرر الناجم عن التعاطى .. حيث يجعله يشعر ويتصرف كمجرم .

اباحة التعاطى سوف تخفف العبء على عاتق هيئات مكافحة الجريمة ، ويجعلها تركز جهودها لحماية نفس ومال المواطن الامريكى كما تخفف عن كاهله الضرائب التى تنفق على القبض ومحاكمة وحراسة المتعاطى ، ونفقات ايداعه السجون .

فى الدول الاوروبية : يقوم اتجاه اباحة تعاطى المخدرات فى بعض دول أوروبا على أساس أنه لا يوجد مجنى عليهم ، ولذلك يمكن الاستعاضة عن العقوبة الجنائية بتدابير اجتماعية أقل تكلفة واكثر تحقيقا للهدف .

وينتشر هذا الاتجاه فى هولندا وايطاليا والمانيا الغربية وان كان طلب الاباحة فيها يقتصر على الحشيش فقط ...

ويؤكد الفقه الايطالى أن تجريم تعاطى المخدرات قد أدى الى ارتفاع اسعارها وتحقيق ثروات ضخمة للمتاجرين فيها استخدموها فى تعزيز تنظيماتهم بالامكانيات الضخمة التى تصعب مهمة أجهزة المكافحة فى احباط عملياتهم ، وبذلك امكنهم فتح أسواق جديدة وبالتالى تفشى تعاطى المخدرات فى المجتمع ، فتزداد هذه المشكلة سوءا .

وفى المانيا الغربية قضت المحكمة الدستورية الالمانية بان عدم دستورية تجريم تعاطى المخدر لا يكون الا اذا ثبت بوضوح ان العقار المخدر لا يسبب خطرا على الصحة والمجتمع أكثر مما يسببه تعاطى الكحول .

المطالبة باباحة التعاطى فى مصر

الذين يطالبون باباحة تعاطى المخدرات فى مصر هم من أساتذة علم الاجتماع والطب النفسى ، ولكن بالرغم من كثرتهم لم يسجل رأيه فيهم الا القليلون .. ومنهم الدكتور محمد شعلان رئيس قسم الامراض النفسية بكلية الطب ـ جامعة الازهر .. وقد طالب أولا باباحة تعاطى الحشيش ، ثم عاد وطالب باباحة تعاطى كل انواع المخدرات مستندا الى عديد من الحجج ..



● نسبة كبيرة من متعاطى الحشيش يتسمون بالغباء!

● تعاطى الحشيش لا يؤدى الى الادمان مثلما الحال فى الخمر والافيون والتبغ ، ولكنه يؤدى فقط الى التعود عليه ...

● تعاطى الحشيش لا تنجم عنه اضرار بدنية مثل التدهور في خلايا المخ كما هو الحال في الخمر ، او في الجهاز التنفسى كما هو الحال فى التبغ .

● تعاطى الحشيش لا يؤدى الى تعاطى الانواع الاخرى .

● تعاطى الحشيش لا يؤدى الى ارتكاب الجرائم .

● جريمة تعاطى الحشيش تستخدم لتجريم الخصوم السياسيين

● تجريم تعاطى الحشيش قد اضاع على الدولة اموالا طائلة يمكن أن تحققها من فرض الضرائب الباهظة على تجارة الحشيش..

الرد

يرفض الباحث كل هذه الحجج مؤيدا قوله بالاحصائيات والدراسات العالمية ، التى اثبتت أن ٥٪ من محتسى الخمور يصبحون مدمنين ، بينما ٢٠٪ من متعاطى الحشيش يعتادون عليه يوميا .

كما أن تعاطى الحشيش لمدد طويلة يسبب خللا مخيا عضويا دائما . كما أن احتمالات الاصابة بسرطان الرئة لدى مدخن الحشيش اكثر من مدخنى التبغ .

وتبين الدراسات ان اكثر من ١٦٪ من حوادث القتل الخطأ ارتكبها سائقون كانوا تحت تأثير الحشيش وقت وقوع الحادث .

اما تجريم الخصوم السياسيين ، فان أية سلطة لا يحكمها مبدأ سيادة القانون ، يمكنها تلفيق جميع انواع القضايا .

اما ارباح الدولة من اباحة الحشيش ، فقد كانت لهـا تجربة سابقة فى العصر المملوكى ، فبالرغم من الارباح التى حققتها الدولة فانها سرعان ما اكتشفت ان الخسائر تفوقها بكثير فقد تحول قطاع كبير من الشعب الى كسالى ، معتلى الصحة ، مسلوبى الارادة لا خير فيهم ، ولا جدوى من اصلاحهم ..

تحريم تعاطى المخدرات فى الشريعة الاسلامية

تعتقد فئة عريضة من المسلمين ـ سواء كانوا من العامة أو المثقفين ـ ان الشريعة الاسلامية لا تحرم تعاطى المخدرات . وحجتهم فى ذلك انه لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة ، ولا فى اقوال الائمة المتقدمين شىء خاص فيحلها ولا فى حرمتها ، والاصل فى الاشياء الاباحة .. ومنشأ هذا الاعتقاد الجهل بالشريعة الاسلامية ، وعدم الوقوف على أصولها وقواعدها وكلياتها ..

ولكن اتفق فقهاء المسلمين على ان الشريعة الاسلامية تحرم تعاطى المخدرات ، وان اختلفوا فى وسيلة استنباط

الحكم الشرعي . فريق ذهب الى ان المخدرات محرمة لدخولها فى مدلول لفظ الخمر .
وفريق اخر حرمها قياسا على الخمر .

عقوبة التعاطى فى التشريعات الوضعية

يقسم الباحث التشريعات الوضعية الى ثلاثة اقسام ...
الاول ويضم أغلب تشريعات الدول التى تجرم تعاطى المخدرات
والثانى يجرم بعض صور التعاطى ، والثالث يستبعد تعاطى المخدرات من نطاق التجريم ويؤيد الباحث القسم الاول مؤكدا انه أكثر أنواع التشريعات قدرة على تحقيق دور القانون الجنائى للحد من استفحال خطر تعاطى المخدرات ، وان اختلفت طرق العقوبة بها . فبعضها يعتمد على العقوبات التقليدية وتدابير الايداع فى مصحة للعلاج مثل التشريع المصرى والفرنسى والامريكى والبعض يعتمد على العقوبات التقليدية فقط مثل التشريع العراقى والكويتى . وبعضها يعتمد على الايداع فقط فى مصحة مثل التشريع اللبنانى والنمساوى .

اما العقوبات التقليدية فهى تتفاوت ايضا من بلد الى اخر ، فتصل فى بعض البلاد الى الاعدام مثل العراق .. بينما تصل فى دول اخرى مثل النرويج الى الحبس الذى لا تزيد مدته على ثلاثة اشهر او الغرامة أو الاثنين معا ..

وبالرغم من اختلاف السياسة العقابية التى تنتهجها هذه التشريعات ، الا ان التطبيق العملى يكاد يجمع بينها ، فنظام العدالة الجنائية فى كثير من هذه الدول متسامح الى اقصى حد مع المتعاطين ، وهذه هى الطامة الكبرى .

الوقاية

يختتم الباحث رسالته مقدما رأيه فى الطرق التى تساعد على القضاء على ظاهرة تعاطى المخدرات .. مبينا ان هذه الظاهرة تتطلب منع الاسباب والعوامل التى تؤدى الى ارتكابها ، ومطالبا برسم سياسة أجتماعية تكفل القضاء على هذه العوامل وان يتم التنسيق بين هذه السياسة والسياسة الجنائية التى تتخذها الدولة لتحديد المصالح الجديرة بالحماية الجنائية واختيار العقوبات والتدابير الكفيلة بحمايتها ..

ويطالب بتنسيق الجهود التى تبذل فى مجال الحد من الاتجار غير المشروع فى المخدرات ومجال السيطرة على التجارة المشروعة للمخدرات من ناحية ، وتوعية الجماهير بمشكلة المخدرات وعلاج المدمنين واعادة تأهيلهم من ناحية أخرى .. حتى يمكن أن يقوم التشريع العقابى بدوره كاملا ..



● نطالب لهذه الرسالة بمكان تحت أنظار المسئولين

ويضرب مثلا على أهمية توعية الجماهير ثم الجزاء العقابي بتجربة الصين والتي بدأت عام ١٩٣٥ ، عندما قامت الحكومة الصينية بحملة اعلامية شاملة . شرحت فيها أخطار المخدرات ، وطالبت المدمنين بالتقدم الى مراكز العلاج التي وفرت فيها الاقامة المريحة ، وأعلنت أنها ستطبق العقاب بصرامة لمن لا يتقدم من تلقاء نفسه خلال ثلاثة أشهر .. وبعد هذه المدة قامت فرق البحث بالتعاون مع العائلات وأصحاب الاعمال بجمع المدمنين واكتفت بنشر أسمائهم علنا .. ثم بدأت خطة العلاج التي حددت ست سنوات للعلاج من ادمان الافيون وسنتين لغيره من المخدرات ، وسارت الاجراءات العلاجية جنبا الى جنب مع اجراءات ضبط جرائم الاتجار ..

وبعدها بدأ دور العقاب ، الذي كان يتراوح للمتعاطي مابين ثلاث وسبع سنوات للعودة الى المخدرات ، وحتى السجن المؤبد .. وبعدها انعدمت أو كادت حالات تعاطي المخدرات .

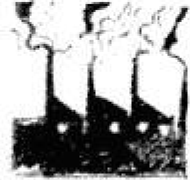
والى جانب ذلك يطالب الباحث بقانون جديد للمتعاطي ، يفرق فيه بين تعاطي المخدرات لمرة واحدة وبين المدمن .. ويفرض عقوبة تبدأ بالسجن خمس سنوات وتتصاعد الى عشر سنوات في حالة العودة ..

كما يطالب الباحث أن تتسع برامج الدراسة في كليات الحقوق وأكاديمية الشرطة مكانا لبرنامج موحد متكامل عن المخدرات لتوحيد المفاهيم لدى المشرعين والمنفذين وكلهم من خريجي الحقوق والشرطة وانشاء قسم يختص بالتخطيط لمكافحة جرائم تعاطي المخدرات بالادارة العامة لمكافحة المخدرات على أن تتبعها للتنفيذ وحدات مخصصة لمكافحة جرائم التعاطي في أقسام مكافحة المخدرات بالمحافظات والموانى .

● الهلال : يتحيز صاحب الرسالة وبشدة ـ ومنذ البداية ـ الى الرأى الذى يؤكد أن تعاطي المخدرات جريمة تستحق العقاب ، بل العقاب المشدد ، ولعل طبيعة عمله لسنوات طويلة في مجال مكافحة جريمة الاتجار في المخدرات وما رآه من مآس تسببها هذه السموم ، هو الذى جعله في هذا الموقع المعادي تماما ، حتى إنه واجه جانبا قانونيا هاما يستلزم وجوب وجود جان ومجني عليه لوقوع الجريمة ، بافتراض أن المجتمع كله هو الطرف الثاني الذى يصيبه الضرر .

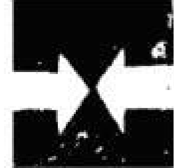
ونحن نؤيد هذا الرأى ، خاصة بعد هذه الأرقام الرهيبة التي أوردها في رسالته حول الاعداد الهولة والخطيرة في العالم .. وفي مصر ، من ضحايا المخدرات .

ونرجو أن تنجو هذه الرسالة التي تضع المجتمع المصري نصب عينيها من الاهمال الذى يلاحق رسائلنا الجامعية ، وأن تجد لها مكانا تحت أنظار المسئولين .



« التصنيع والتبعية التكنولوجية فى الدول العربية ، مع التركيز على حالة جمهورية مصر العربية » .. رسالة دكتوراه حصلت بها الاستاذة نادية مصطفى الشيشينى على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى
نوقشت الرسالة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية . وناقشتها لجنة مكونة من
الاستاذ الدكتور محمد زكى شافعى مشرفا .
الاستاذ الدكتور رفعت المحجوب رئيسا
الاستاذ الدكتور اسماعيل هاشم نائب رئيس جامعة الزقازيق





تناقش رسالة دكتوراه بعنوان الصراع الصينى الامريكى فى منطقة جنوب شرق اسيا فى الفترة ١٩٥٤ - ١٩٧٢
وتتكون لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / سمعان بطرس فرج الله
الاستاذ الدكتور / محمود اسماعيل
الاستاذ الدكتور / عبد العزيز نوار رئيس قسم التاريخ باداب عين شمس .
الطالب / يوسف ميخائيل يوسف





نوقشت رسالة ماجستير محاسبة بتجارة القاهرة بعنوان دورالتكاليف فى تسعير الائتمان المصرفى
قدمها الطالب حافظ كامل الغندور .
وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / ابراهيم السباعى
الاستاذ الدكتور / حلمى سلام
الاستاذ / عبد الغنى جامع عضو مجلس ادارة البنك الاهلى المصرى



« الحوافز واثرها على الكفاية الانتاجية لسائقى هيئة النقل العام بالقاهرة »
رسالة ماجستير قدمها الطالب احمد سيد عثمان بكلية التجارة جامعة القاهرة
وتتكون لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / عاطف عبيد
الاستاذ الدكتور / منصور فهمى
الاستاذ / عبد العال السلماوى وكيل وزارة النقل



نوقشت بكلية تجارة عين شمس رسالة ماجستير مقدمة من الطالب عبد المنعم محمد العبد شهدان بعنوان « دور الموازنة التخطيطية فى تحقيق توازن الاجور الانتاجية مع التطبيق فى قطاع الصناعات الغذائية »
وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / محمد محمد السيد الجزار - رئيس قسم المحاسبة والمراجعة
الاستاذ الدكتور / على محروس شادى استاذ المحاسبة والمراجعة
الاستاذ الدكتور / احمد محمد موسى بكلية تجارة الزقازيق



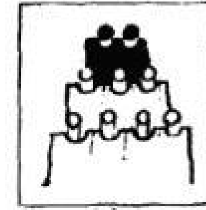
« نظام توزيع الخريجين في مصر »
رسالة ماجستير قدمها الطالب احمد ابو اليزيد محمد شادي الباحث بالجهاز المركزي للتنظيم والادارة الى كلية التجارة ـ جامعة القاهرة وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / عاطف عبيد
الاستاذ الدكتور / حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة
الاستاذ الدكتور / احمد سرور محمد عميد تجارة حلوان

***



« اثر الحوافز المادية على انتاجية العمال في الاقسام الانتاجية في قطاع الصناعات المعدنية »
قدمها الطالب / عقاد احمد جاويش للحصول على درجة الماجستير في ادارة الاعمال وقد تكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / منصور فهمي مشرفا
الاستاذ الدكتور / عاطف عبيد
الاستاذ الدكتور / حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة

***



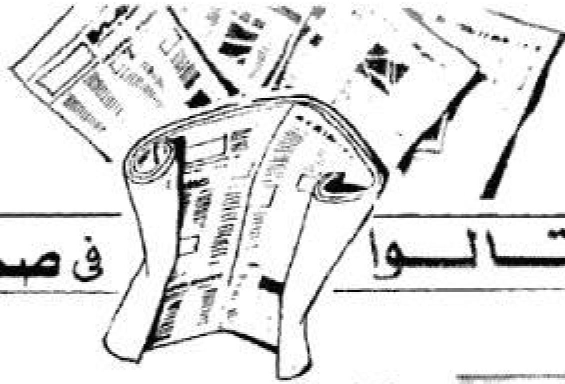
« التفاعل الاجتماعي بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة في الريف المصري ـ تحليل تاريخي ودراسة ميدانية »
رسالة دكتوراه قدمها الطالب / احمد عبد اللهزايد الى قسم الاجتماع بجامعة القاهرة وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / محمد الجوهري
الاستاذ الدكتور / عبد الباسط محمد حسن
الاستاذ الدكتور / السيد محمد الحسيني

***

« تغير الوضع الاجتماعي واثره في تغير دور الزوجة داخل الاسرة السعودية ـ دراسة ميدانية على عينة من الاسرة الحضرية بمدينة جدة »
رسالة ماجستير قدمتها الطالبة / فاطمة عبد الله الخطيب الى قسم الاجتماع بجامعة القاهرة وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / محمد الجوهري
الاستاذ الدكتور / عبد المنعم شوقي
الاستاذه الدكتوره / سامية حسن الساعاتي

***

« الصراع السياسي في العراق في الفترة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨ »
رسالة ماجستير قدمها الطالب / عبد الوهاب عطا الله سلمان الى قسم التاريخ ـ بآداب القاهرة وتكونت لجنة المناقشة من
الاستاذ الدكتور / محمد جمال الدين المسري
الاستاذ الدكتور / صلاح العقاد
الاستاذ الدكتور / رجب حراز



قالوا في صحفنا


احسان عبد القدوس


كامل زهيري


مصطفى امين


انيس منصور

● أن حوتنا كلنا هي فسوء الأمن ! ..

احسان عبد القدوس

***

● كان قلبي سجينافاستعدته .. واود ان تكون اول كلمةاكتبها هي « مصر » .. فاسلمي يامصر !

كامل زهيري

***

● الفارس يتواضع وهو فوق الحصان ، والفار يستاسد اذا خلا له الميدان .. الفارس يواجهك ، والرجل الفار لايضربك الا من الخلف !

مصطفى امين

***

● لقد احتفظت باسطوانة لسيدة امريكية تطن عن كتاب جديد لانني لم أسمع حتى اليوم صوتا في جمال نطقها ، ونبرة ادائها ، ودفء انفاسها،والبطانة الحريرية لكل ذلك !

انيس منصور

***

● عاد الى مصر اسوا الكتاب حظا في مصر .. رفض ان يتنكر لها ، ورفض ان يبيعها ... عاد الكاتب الشاعر المناضل الاديب لتحي خليل .. عاد على متن طائرة ولكن المسافرين لم يروه ، لانه كان في بطن الطائرة مشحونا في صندوق ! ..

صلاح حافظ

***

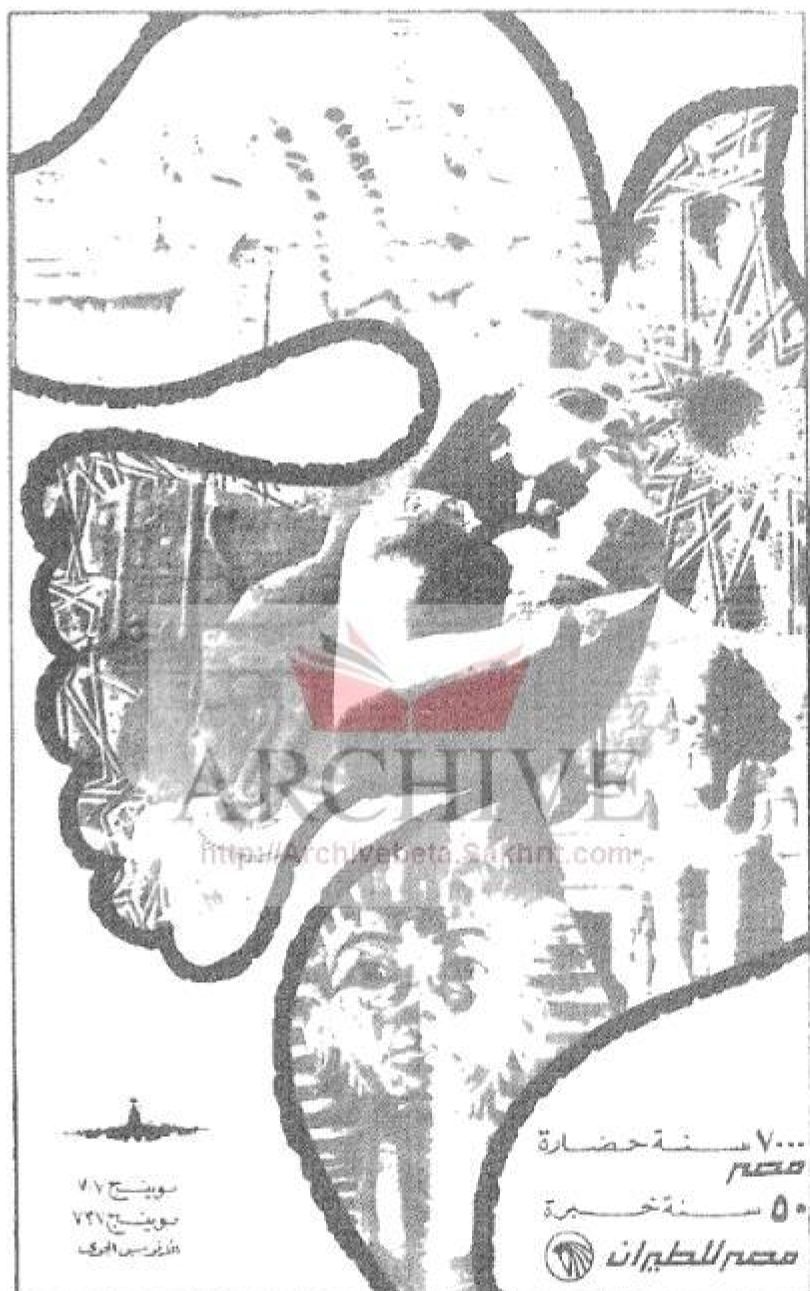
● يقع الوزير الجديد في براثن كبار الموظفين من خلال ما يحذرونه منه او يدللونه من عقبات روتينية وهمية او حقيقية

محسن محمد

***

● ينبغي الا يطلق على المتهم وصف المجرم ، او يناله التحقير والاهانة ، مادامت المحاكمة لم تبلغ غايتها ويصدر فيها حكم نهائي .

محمد زكي عبد القادر



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تدعوكم لزيارة

معرض القاهرة الدولى الرابع عشر للكتاب

٢٨ يناير
٨ فبراير
١٩٨٢

بأرض المعارض الدولية بالجزيرة

يوميًا من ١٠ صباحًا حتى ٧ مساءً

الهلال

مارس
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشاً

- جذور مشكلة التطرف والشباب
- ضوابط علمية لألفاظ القرآن
- جمال الدين الأفغاني في السينما المصرية

سعد زغلول

لم يكن يتوقع ثورة ١٩١٩



الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التسعون - أول مارس سنة ١٩٨٢ الخامس من جمادى الأولى ١٤٠٢

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصري بالبريد العادي وفي بلاد اتحاد البريد العربي والأفريقي وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوي وفي سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادي أو عشرون دولارا بالبريد الجوي .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع بحوالة بريدية أو حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هذا العدد

اشترك فى رسوم العدد
محمد حماد
تماضر تركى
رضا عبد السلام
خطوط :
محمد العيسوى
تنفيذ :
درية عبد الله
محسن فهمى
سناء عبد العزيز

عزيزي القارئ

انت تعرف ما سنقوله لك ! ..

فان اقبالك على عدد الشهر الماضى من ((الهلال)) فاق كل التوقعات .. وأنت ـ وقد صنعت ذلك الاقبال بنفسك ـ لا تحتاج أن نحدثك عنه ، ولكن أسرة ((الهلال)) مدينة لك بالامتنان العميق ، لانها حين اقبلت عليك بجهدها المتواضع ، أقبلت أنت عليها بتشجيعك الكبير ..

فكان لقاء ((الهلال)) بك وبكل أصدقائه أشبه بمهرجان كبير لكنه سريع الايقاع جدا .. لم يكد الهلال يصافح عيونهم حتى ((نفد عن آخره)) .. كما يقول ((الاصطلاح)) الدارج الموجز الذى تفوق بلاغة ايجازه كل بيان مستفيض ! ..

ويحاول ((الهلال)) فى عدده الذى بين يديك أن يمضى معك خطوة أخرى الى الهدف الذى تحدث اليك عنه فى العدد الماضى ، فان تسعين عاما تطل من قمة هذا الصرح الصحفى الثقافى ، تفرض عليه أن يتجدد بلا انقطاع ، وأن يولد من جديد فى كل مرحلة من حياته ، ويعيش مع الاجيال المتعاقبة ، فى صميم ما يعيش فيه كل جيل ..

ومهمته الآن أن يعود مجلة كبرى للفكر والادب ، فى مصر والوطن العربى كله ، وهى مهمة صعبة فى عصرنا هذا الذى تعددت فيه مراكز الاشعاع الفكرى والصحفى فى عالمنا العربى ، فضلا عن العالم المتقدم من حولنا ، ولسنا نحاول أن نقفز فوق هذه المراكز العظيمة ، بل نحاول أن نمضى معها ، فان النهضة الفكرية العربية ، وان تعددت مناراتها المضيئة ، تتجمع أهدافها ، وتتعانق أضواؤها فى الطريق العربى الواحد الذى مهدته عوامل التاريخ العميقة لهذه الامة الناطقة بلسان واحد ، المجتمعة على قلب واحد ،



وان تعددت النزعات واختلفت الامور هنا أو هنـاك .. ولشـد ما يفتقر طريقنا هذا الى الاضواء تغمره كله فلا يبقى فيه ركن مظلم ولو كان أقصى الاركان وأشدها خفاء ! ..

عزيزى القارىء

سوف نطمئن الى صحة الطريق الذى يمضى فيه ((الهلال)) .. حين نجد كل قارىء كأنه يكتب معنا ، أو يكتب لنا ويملينا ويفكر فيما نفكر فيه ، أو يسبقنا الى التفكير لنا فيه ، فذلك هو الارتباط الحق بين الصحيفة وقارئها ! .. تقول له ، ويقـول لها .. تجىء اليه في موعدها الذى ينتظرها فيه ، ويجىء اليها .. ويلتقى فكر بفكر ، لقاء حميما متجددا ..

وفى العدد الذى تراه ، حاولنا أن نقدم اليك أحسن ما يصـلح لموعدنا فى هذا الشهر معك ..

شهر مارس هو شهر الربيع ، وشهر الذكريات ايضـا .. فيه اندلعت ثورة ١٩١٩ وسترى صورة من هذه الثورة الشعبية الكبيرة بعد مرور ثلاثة وستين عاما أثقلتها الاحداث الجسام ، ونقلت مصر والبلاد العربية والعالم كله من أواخر عصر البخـار الى أوائل عصر الفضاء .. ومن عصر الاستعمار العالمى الظافر الى عصر الشـعوب المتحررة أو التى تتحرر فى كل مكان ..

وفى مارس سنة ١٨٩٧ انتهت حياة الثائر جمال الدين الافغانى كبير دعاة النهضة فى مصر والبلاد العربية والاسلامية . ولم يكن يخطر بباله انه سوف سيظهر بعد خمسة وثمانين عاما ((بطـلا)) فى فيلم سينمائى ، كأنه ما زال حيا ، بغض النظـر عما اعتـادت السينما أن تقحمه على حياة الابطال ، وتفتريه عليهم بعد رحيلهم ! ستري جمال الدين الافغاني في ((الهـلال)) قبـل أن تراه في

السينما ، وقد كان ((الهلال)) في الخامسة من عمره حين توفى الافغاني ، ولكن لم يفته حينذاك أن يقلم بقلم منشئه جرجى زيدان حياة الافغاني وجهاده وينشر الصورة الوحيدة التى التقطت له وهو مريض فى أيامه الاخيرة ! ..

وتمر بنا فى عامنا ، خمسون سنة على انشاء مجمع اللغة العربية، وهو مؤسسة علمية عظيمة ذات تاريخ فى خدمة اللغة والادب .. تجد فى هذا العدد شذرات جميلة من تاريخها الحافل المديد ..

وتشغل شعبنا الآن مشكلة التطرف الذى وقع فيه بعض الشباب وان كانت أسباب هذه المشكلة أصبحت واضحة ، وجذورها عارية أمام الانظار ! .. ولكن كيف ينبغى أن تكون ملامسة هذه الجذور والتعامل معها ؟! .. تلك هى القضية ! .. ويحاول المقال الذى تطالعه فى الصفحات التالية أن يقترب بلمساته من هذه الجذور الحساسة التى تنتظر العلاج الصحيح ..

تقرأ أيضا عن مخطوط اكتشفوه فى اليمن يتعلق بحملة نابليون بونابرت على مصر فى آخر القرن الثامن عشر .. فالمعروف تاريخيا ان مجاهدين كثيرين من الحجاز اشتركوا فى مقاتلة الغزوة البونابرتية حين توغلت جنوبا فى صعيد مصر المطل على البحر الاحمر ومن ورائه الحجاز وما فيه ! ..

وفى كتاب ((بونابرت فى مصر)) يقول مؤلفه ((هيرولد)) ان الالوف من هؤلاء المقاتلين الشجعان عبروا البحر الاحمر واشتركوا بأسلحة بدائية فى مقاومة الغزوة الشرسة ، واستشهد اكثرهم !.

اما المخطوط اليماني فيتحدث عن اشتراك مقاتلين من اليمن كذلك فى مقاتلة عسكر بونابرت الذين قادهم الجنرال ديزيه من

القاهرة حتى جنوب أسوان ..

هذه الحقيقة التاريخية كانت مجهولة . وقد استشهد المقاتلون اليمانيون كاخوانهم الحجازيين برصاص الحملة الاستعمارية ، فكان اجتماع هؤلاء الاخوة مع المصريين ، دفاعا عربيا تلقائيا لم يستطع السلطان العثمانى سليم الثالث ان ينظم دفاعا مثله حينذاك مع انه كان حامى الحمى ، وسلطان البر والبحر ! ..

وتلتقى ـ عزيزى القارىء ـ معنا بالكاتب الكبير الاستاذ فتحى رضوان الذى صدف عن الكتابة وقتا ، فلما عاد اليه قلمه ، اختص ((الهلال)) بهذا المقال الادبى الممتع ، وهو أول مقال يكتبه بعد انقطاعه عن قلمه البليغ ! .. ونرجو ألا يفارق قلمه أصابعه الخمس بعد الآن .. تلك ((الخمس اللطاف)) كما سماها الشاعر العظيم ابو تمام وهو يصف القلم البليغ واصابع من يمسك به من بلغاء الكتاب فى عصره قبل الف سنة ! ..

هذه ـ عزيزى القارىء ـ ليست كلمات ((سياحية)) نقدمها اليك قبل أن تبدأ جولتك فى صفحات مجلتك ، وترى رأيك ، وتحكم بنفسك ، وتفكر لنا كما نفكر من أجلك ..

ويسعدنا أن نتلقى منك ما ترى أن تقترحه لمجلتك ، مما يطيب لك أن تجده فيها ، راجين أن نحقق لك من عدد الى عدد مزيدا من التجدد والتطور والتعمق شكلا وموضوعا ..

ويا عزيزى القارىء : لقد تعارفنا جيدا فى العدد الماضى ، ثم فى هذا العدد ، ونحن على موعد فى العدد القادم .. الى اللقاء ! ..

كمال النجمى

التفكير في التاريخ



فتحى رضوان

ان التامل فى فلسفة التاريخ ، وفى اسلوب اعداده ، تقدم رائع للانسان ، لانه باختصار ، هو تفكير الانسان فى تفكيره ..!

(.. ديكارت)



● مؤرخ بريطاني كبير..
هوامشه تخرج من الحبة قبة!

● نبش مايتركه العظماء.. من أوراق ومذكرات وكتب.

● متى يكون كلام المؤرخ
تزيدا.. قد يضر ولا ينفع..؟

الحق انني رحبت كل الترحيب ، حينما وقع في يدي كتاب كامل عنونه مؤلفه « ما هو التاريخ » وقد حسبت ان مادة المؤلف لن تلبث حتى تنفد فتصبح الفصول الستة التي احتواها الكتاب ، ثرثرة ، يملأ بها الصفحات منتحلا لنفسه صفة الاستاذ المعلم ، والامر كله ليس الا ازجاء للبدهيات المعلومة ، والبسائط الذائعة يديرها الكاتب ، يمينا ويسارا ثم لا يقول اكثر مما قاله الشاعر الذي قال:

كاننا والماء من حولنا
قوم جلوس حولهم ماء !

ولكن العناوين الستة ، للفصول الستة بدت وقورا جادة ، حتى استبعدت ان يكون المؤلف ، وهو مؤرخ بريطاني كبير، وهوامشه العديدة ، وتضميناته المتدفقة ، وتحقيقاته التي تخرج من الحبة قبة ، وتشقيقاته وتفريعاته لما يبدو ، بسيطا لا يحتمل التحليل ، ولا يقبل التجزئة ، كلها تزكيه ، وتطلب من القاريء ان يطيل عليه صبره ... وقد قام بترجمته الاستاذ احمد حمدي محمود .

الفصل الاول يحمل عنوانا من لفظين « المؤرخ ووقائعه » .. وهو فصل شائق لانه يفعل شيئا اشبه بدغدغة الفكر ، وهو يسالك في بساطة ، ولكنها بساطة تغيض «الفكر» ، اذ يقول لك هل التاريخ هو الوقائع .. وان مهمة المؤرخ هي جمع الوقائع ، وتمحيصها ، ثم توثيقها ثم تقديمها للقاريء او الباحث ، فاذا التاريخ قد اكتمل بين يديه .. فالوقائع تتحدث عن نفسها . والوقائع الكثيرة المتعددة ، المستقاة من مصادر مختلفة ، ونبش مايتركه العظماء ، من مذكرات ، وكتب ، وما تحتوى عليه دواوين الحكومات ، وادارات محفوظاتها ، ومجلدات قوانينها ، ومجموعات قراراتها ومراسيمها ، هي التاريخ .. فهذه الوقائع هي التي تتكلم عن نفسها ، ولنفسها ، والمطلوب من المؤرخ ، حينما تكثر وتتعدد ، وتتنوع وتثبت صحتها ، أن يصمت ، فان كلامه ليس الا تزيدا قد يضر ولا ينفع ..

ولكي نحكم على هذا الرأى ، دون ان نخطيء ، ساق لنا المؤلف عبارتين كتبهما مؤرخان عظيمان ، في حين يفصل بين العبارة الاولى والثانية اكثر من ستين سنة ، ولكن العبارتين صدرتا في مناسبتين تكادان تكونان مناسبة واحدة ، فالاولى كتبها « اكتون » رئيس قسم التاريخ بجامعة كمبردج ، كمقدمة لمجلدات تاريخ كمبردج الحديث وقد قال « اكتون » في هذه العبارة ، انه اصبح من الممكن تسجيل كل المعرفة التي خلفها القرن التاسع عشر ، بالفضل طريقة تفيد العدد الاكبر من الناس ، وانه سيكون ممكنا عن طريق تقسيم العمل بحكمة ، أن تقوم بهذا التسجيل ، وأن تثبت آخر الوثائق وانفع نتائج البحث الدولي ، اثباتا قاطعا . ثم أضاف :

ان الحصول على تاريخ نهائي في هذا

التفكير في التاريخ

الجيل ، ان يكون ممكنا ، ولكن بعد ان اصبحت المعلومات كافة فى متناول ايدينا، واصبح بالامكان حل كل مشكلة .. اصبحنا قادرين على الاستغناء عن التاريخ التقليدى وان نوضح النقطة التي اهتدينا اليها في الطريق من احدى النقط الى اخرى » .

الثقة فى العصر الفيكتورى

ومعنى هذا ان هذا المؤرخ ، وهو يقدم مجلدات تاريخ ولور شامل توفرت على اعداده وتوثيقه وتنظيمه واخراجه لجنة تضم عددا ضخما من علماء التاريخ والاثار والحفريات ، خيل اليه ان التقدم العظيم في حقول تحصيل المعرفة وتسجيلها ، ستمكننا فى اول القرن العشرين ، من اعداد تاريخ للعالم ثابت وكامل ، ولن يتغير ... واساس هذا القول ، هو اقتناع المؤرخ العظيم ان التاريخ هو الحقائق والوثائق والمعلومات ، وحينما يتوافر كل هذا فالتاريخ سيكتمل بدوره ، حتى لايبقى مبرر للاضافة اليه ، او تعديل النتائج التي وصل اليها ، او حذف بعض ما جاء فيه .

وتلت مجلدات تاريخ كمبردج التي طبعت واعدت فى سنة ١٨٩٦ ، ثم أعيد طبعها من جديد ، بعد اضافات عديدة ، وتعديلات كثيرة . وكان لا بد من مقدمة يضعها رئيس قسم التاريخ فى الجامعة سنة ١٩٥٧ ، فكتب السير جورج كلارك رئيس هذا القسم معقبا على قول زميله « اكتون » الذى سلف فقال :

« ان مؤرخى الجيل الذى جاء بعد ذلك، يتطلعون الى تحقيق مثل هذا المطمع ويتوقعون ان يحل شيء آخر محل مؤلفهم مرة بعد اخرى ، وهم يرون ان معرفة الماضى قد جاءت عن طريق عقل انسانى او اكثر ، وانهم يتابعون هذه المعرفة . ولذا فانها لا يمكن ان تتكون من ذرات اولية غير شخصية ، لا يستطيع اى شيء ان يغيرها .. ويبدو الاستقصاء وكانه بغير نهاية ، ويلجا بعض الباحثين القليل الصبر الى الشك او الفكرة القائلة : انه بالنظر الى ان جميع الاحكام التاريخية هى اشخاص ووجهات نظر . فان كل حكم تاريخي لا يختلف من حيث قيمته عن الاخر، وانه لا وجود لحقيقة تاريخية موضوعية »

وواضح ان هذين رايان جد مختلفين ، وهما صادران من عالمين من علماء التاريخ، ينتميان الى جامعة واحدة ، ويتخذان من عمل واحد هو تاريخ كمبردج الحديث ، اساسا لرايهما ، فضلا عن انهما من شعب واحد هو الشعب البريطانى .

وقد فسر الاستاذ « ادوارد كار » فى كتابه « ماهو التاريخ » سر الخلاف بين هذين العالمين ، تفسيرا طريفا الى اقصى الحد ، فقال : ان التناقض بين « اكتون » و « سير جورج كلارك » ، يرجع الى طبيعة



● التاريخ فى الواقع يمثل: المؤرخ.. والمؤرخ لا يمثل نفسه!

الزمن الذى عاش كل منهما فيه ، وكون رأيه خلاله ، فالمؤرخ « اكتون » كان يتكلم بوحى الثقة الخالصة فى العصر الفيكتورى اى عصر الملكة فيكتوريا الاخير . وهو عصر الطمانينة البريطانية ، وشعور الشعب البريطانى ، بانه حقق كل أمانيه ، فسيادته فى العالم ، لا يتحداها احد وأملاكه لا تغيب عنها الشمس ، والديمقراطية قد أستقرت فاصبح الحكم للشعب ، ولم يعد للطبقات العاملة ، ولا للمبادىء المنادية بالتغيير ، التاثير الذى يخشى منه على امتيازات المحافظين ، واصحاب رءوس الاموال ، والمشروعات الخاصة ، ولم يكن العمال ، يشعكون بمرارة ، ولا ينذرون باندلاع ثورة .

بين الوقائع والراى

اما السير جورج كلارك فيمثل حيرة الجيل المقهور ، وشكه المذهل ، ثم ينتهى الى نتيجة اساسية فيقول : عندما نحاول ان نجيب عن السؤال : ما هو التاريخ ، فان اجابتنا تعكس شعوريا او لاشعوريا ، موقفنا من الزمن وتؤلف جانبا من اجابتنا عن السؤال الكبير الخاص بما هى النظرة التى ننظر بها الى المجتمع الذى نعيش فيه .

وفى هذه السطور ، يجيب السيد ادوارد كار عن السؤال الذى وضع الكتاب للرد عليه ، فالتاريخ يمثل فى الواقع ، المؤرخ ، والمؤرخ ليس فردا يمثل نفسه ، انما هو ثمرة العهد الذى يعيش فيه ، وبواعث الرضا ، وبواعث القلق ، وما حققه ، وما عجز عن تحقيقه .

ولذلك كان القرن التاسع عشر ، وهو قرن فى راى كار ، عصرا عظيما ، وقد قامت فلسفة هذا العصر العظيم التاريخية ، على ان مادة التاريخ الاساسية هى البحث عن الوقائع ، واثباتها كما هى ، وبعبارة اخرى أن مهمة المؤرخ ببساطة هى ان يبين كيف كانت الحال فعلا فى الفترة التى يؤرخ لها المؤرخ ،وقد كانت هذه الفلسفة تتفق مع الفلسفة التى اعتنقها الشعب البريطانى فى ذلك ، وهى الفلسفة التجريبية منذ عهد « لوك » الى عهد برتراند راسل ، وتفترض النظرية التجريبية افتراضا سابقا الفصل التام بين الذات والموضوع ، فالوقائع تصدم الشاهد من الخارج مثل التاثيرات الحسية من نظر وسماع وتذوق . وان هذه الوقائع مستقلة عن وعيه . وعملية الاستقبال عند الانسان سلبية ، فعندما يتلقى الشاهد ، المادة الاولية ، اى الواقعة يتفاعل معها .

واريد ان ادع قليلا الناقد كار ، لابين بالضبط ، ماذا يريد ان يقول . يريد أن يقول ان التاريخ يتكون من مجموعة من الوقائع المحققة يجدها المؤرخ فى وثائق ومخطوطات . وانها كالسمك فى اناء الماء ، تختار من هذا السمك ، ما تشاء ، ثم تتولى طهوه . ولكن قبل الطهو ، تاخذ اسماكا ، مستقلة بذاتها ، لا يخالطها لا سمن ولا زيت ، ولا بصل ولا ثوم ، ولم توضع على نار ، فاذا وجد اكثر من طاه ، وكان لكل طاه اسلوبه فى انضاج السمك ، وتتبيله اى معالجته بالتوابل ، وعرضه ، وتزيين الصحن الذى سيعرض فيه ، فان الاصل دائما هو السمك الذى اخذ من الاناء ، وهو ما سيصل اليه الدارس ، بعد ان يفطن الى هذه الحقيقة ، ويزيح بسهولة الاضافات التى قام بها هذا الطاهى . فالمذهب التجريبى فى التاريخ

التفكير في التاريخ

يأمرك اولا بتحصيل الوقائع ، ثم خاطر بالغوص في الرمال المتنقلة للتفسيرات وبعبارة ان الاساس الصلب الذي لا يتغير هو بمثابة اساس المنزل فهو الذي يرفع البناء الذي يعلوه ، مهما كان شكله ، وما دام هذا الاساس ثابتا ، فان مايعلوه، يتاثر به ، ويدوم بدوامه ، ويزول بزواله. وقد عبر عن هذا المذهب صحفي بريطاني كبير هو السيرسكوت :وكان زعيما من حزب الاحرار ، فقال : « الوقائع مقدسة والرأي حر » .

ويدخلنا « ادوارد كار » في مجازفة عميقة اذ يقول : « ان التاريخ لا يذكر مجرد وقائع ، انما يذكر بين دفتيه . « وقائع تاريخية » . فما هي الواقعة التاريخية . هل كل ما حدث في عهد ملك من الملوك ، ام خلال ثورة من الثورات ، او عند وقوع انقلاب من الانقلابات يمكن ان يكون واقعة تاريخية ، تستوقف المؤرخ ، ويدخلها في سياق الاحداث التي يعرضها ويعلق عليها ويستنتج منها ما يشاء » .

ان كل عهد يموج بالحركة او يسوده السكون يشهد الالفا من الاحداث التي قد تتساوى في القيمة . فقد يقتل في اي من هذين العهدين انسان او افراد عديدون ، فقد تقع فضيحة كبيرة ، او تختفي سلعة ، ولكن المؤرخ يمر عليها ، ولا يلتفت لها . وعندها تسقط من حساب التاريخ ، ولا يسمع بها احد .

فالواقعة التاريخية لا ترتفع الى هذا المستوى ، الا عندما تعجب المؤرخ ، ويرى فيها ما يستحق الذكر . وبعبارة اخرى ان الوقائع لا تتحدث عن نفسها ، بل تتحدث عندما يدعوها المؤرخ لذلك . ومن ثم فان ماقاله المؤلف المسرحي الايطالي «بيراندللو» في احدى مسرحياته ، من ان الوقائع كالزكائب الفارغة ، لا تقوم وحدها ، بل يلقى بها في الارض ، فتتهاوت عليها ، فلا تقوم وتنهض ، الا ان يوضع شيء بداخلها وهذا الشيء هو المعنى الذي يستنبطه المؤرخ للواقعة ، هو المعنى الذي يغرى المؤرخ على اختيارها ونظمها في سلك الوقائع الاخرى ، فتبدو في هذا السلك ، مع سابقاتها ولاحقاتها ، في مقام خاص ، يفهم منه راى المؤرخ ، ويتضح اسلوبه في الاقناع والتاثير والتحليل

ويضرب مثلا لهذا الاختيار فيساق حادثة واقعة اعتداء على بائع فطير سنة ١٨٥٠ ، تمت في اعقاب مشاجرة بسيطة ، وقد استمر ضرب هذا البائع حتى مات . ثم تساءل اتعتبر هذه الواقعة تاريخية ؟ .. لقد ذكرها المؤرخ « كيتسون كلارك » في احدى محاضراته فهل رفعها هذا الذكر الى واقعة تاريخية . الراجح انها لم ترتفع الى هذا المقام ، ولذلك فقد بقيت تذكر في الهوامش ، وهذا يرشحها لعضوية نادي الوقائع التاريخية المنتقاة ، وهي الان بحاجة الى من يزكيها . وقد بدأت تذكر في الكتب وبعض المحاضرات ، ومع ذلك لا تزال ملقاة في مستودع الوقائع غير التاريخية ...

ظاهرة سيادة الدين

ويمكننا ان نذكر نحن واقعتين ،واقعة من التاريخ الاوروبي ، وهي واقعة اختطاف امراة ، رغيف عيش من مخبز ، ومحاولة صاحب المخبز القبض عليها .

وتجمع عدد من النساء الجائعات حولها.

فهذه واقعة ، لوضاعة شان الذين اشتركوا فيها ، وهو ان موضوعها ، باعتباره خطفا لرغيف عيش ، كان يمكن ان تترك ، ولا تستوقف احدا ، لا مؤرخا يكتب ، ولا دارسا يقرا ، ولكن المؤرخ الذى اختارها منذ البداية ، ووضعها فى سلك وقائع اكبر ، تسبقها ، ووقائع اكبر تلحقها ، اكتسبت من السياق الذى انتظمها ، اهمية خاصة ، فقد سادت واقعة انتقال الملك لويس السادس عشر من فرساى الى باريس تحف به جموع النساء وفى حراستهن

وفى تاريخ مصر الحديث قتل مالطى خادم بالسفارة البريطانية « مكاريا » اى صاحب حمار مصرى بسكين فى ١١ يونيو سنة ١٨٨١ فى مدينة الاسكندرية ، وهذه واقعة ، تقع كثيرا فى القصود ، ولا تشغل بال مؤرخ ، ولكن لان المؤرخ جعل هذه الحادثة مقدمة لمذبحة الاسكندرية ، ووصلها بها ، لكان من الممكن اسقاطها تماما ، دون ان يشعر احد بنقص ما فى سياق الوقائع ، ولو حذفت الان بعد ان عرفت لاستقام التاريخ دون اى فراغ ، اذ من الممكن التحدث عن تحضير الانجليز لاسباب مذبحة ١١ يونية التى سقط فيها عشرات من الاجانب وعشرات من المصريين .

والتاريخ القديم كله سواء كان اغريقيا او فرعونيا او رومانيا ، انما هو مجموعة من الوقائع اختارها عدد من الاخباريين ، واصبح التاريخ الرسمى الذى نعرفه هو ثمرة هذا الاختيار ، ولم يعد فى وسع اى مؤرخ ان يخرج عن نطاق هذه الاخبار ، التى توقف اختيارها وتنسيقها على عرض جامعى الاخبار ، ومدى نشاطهم اى قدرتهم على الانتقال ، ومقدار فضولهم الذى يدفعهم الى الاتصال بالصغار والكبار ، يسردوا لهم



حوادث ، ووقائع وفضائح ايام هؤلاء الرواة .

وقد نجم عن ذلك ان المؤرخين يجمعون على ان الناس فى القرون الوسطى كانوا شديدى التدين ، وقد لا يكون هذا صحيحا تماما ، ولكن الثابت ان الذين جمعوا وقائع ذلك العهد ، كانوا هم متدينين بل كان اكثرهم ممن يمتهنون الدين كقساوسة ورهبان وربما اساقفة فسجلوا لذلك ظاهرة سيادة الدين ، ولم يحفلوا بغيرها من ظواهر المجتمع التى ربما كانت اكثر ظهورا ، واعظم تاثيرا .

وقد لخص الاستاذ براكلاو فى كتابه « التاريخ فى عالم متغير » وهو من المتخصصين فى تاريخ العصور الوسطى ، « ان تاريخ العصور الوسطى الذى نقرؤه - وان كان يعتمد على حقائق - اذا تكلمنا بدقة ليس حقيقيا على الاطلاق ، بل هو

التفكير في التاريخ

سلسلة من الاحكام المقبولة » .

وافسر انا عبارة « الاحكام المقبولة » ، بان وقائع هذا التاريخ التى الفناها فى الكتب ، لاننا لم نجد سواها ، ولانوسائل تمحيص هذه الوقائع تعوزنا – قد اصبحت هى فى نظرنا الوقائع الوحيدة ، لذلك فقد قبلناها ، واطمأننا اليها ، ولم يعد يساورنا اى شك فيها .

التاريخ تاريخ معاصر

ويأسى الاستاذ ادوارد كار ، للمؤرخين المحدثين ، لان المؤرخين فى العصور القديمة والمتوسطة كانوا يتمتعون بنعمة الجهل ، وقد استشهد بالمؤرخ ليون ستراتشى « ان الجهل هو اول مطلب للمؤرخ انه الجهل الذى يبسط ويوضح ، الذى ينتقى ويحذف » .

والذى افهمه من هذا الكلام ان المؤرخ القديم ، ولم يكن لديه هذا الفيض المتدفق من الوقائع الثابت فى المذكرات ، والوثائق ، والقوانين ، والمراسيم ، والجرائد والصحف . انه يعيش فى العصر ، ويعرف كثيرا من شخصياته ، ويتأثر بهم ، حبا وكرها ، قربا وبعدا ، مما يجعل مهمة اختيار الواقعة التاريخية بين مئات الالوف من الوقائع العادية ، امرا عسيرا . ويقول « كار » أن مهمته تتكون من عدة عناصر « اولا » اكتشاف الوقائع القليلة الهامة ،« ثانيا » تحويلها الى وقائع تاريخية ، « ثالثا » استبعاد الوقائع الكثيرة غير الهامة بوصفها غير تاريخية . ويضيف أن هذا يعكس فكرة القرن التاسع عشر التى كانت تفرح وترحب بجمع اكبر عدد من الوقائع الموضوعية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها او من خلفها كان هذا التجميع في ذاته هو الهدف ، ويقول « كار » اننا لو بقينا نؤمن بهذه الفكرة الضالة لوجب على المؤرخين هجر عمل التاريخ ، او الاتجاه الى جمع الطوابع او الاثار ، فان ذلك يكون انفع وامتع .

كان القرن التاسع عشر يعبد الوثائق ، وانه لا يمكن لاحد ان يحصل على وثائق عن حقبة معينة من الزمن تزيد عن حاجته ، فالمؤرخ نهم لا يشبع من الوثائق ، مهما كثرت ، ومهما بدا ان الاحاطة بها ضرب من المستحيل . فوثائق اكثر مما تتصور لزومه ، خير من وثائق ناقصة ، فرب وثيقة واحدة لا تأبه بها هى جوهر ما يريده التاريخ . ولكن القرن التاسع عشر ، لم يدرك قط ان ما تقوله الوثيقة لا تزيد عما اراده منها واضعها سواء كانت مذكرة لوزير او سياسي كبير ، او قانون ، او قرار جمهورى ، او مراسلات رسمية . فما اعتقده صاحب الوثيقة او واضعها ليس كل شئ ، فالى جانبه ، مالم يفكر فيه صاحب الوثيقة ، او ما لم يدركه من حقائق عصره ، وهو بعدها ، واثرها على الغير ، وقيمتها عند الناس ، وما حفز على وضعها ، ومتى تعدلت ، وكيف تعدلت . وكل هذا هو التاريخ الحى ، الذى ينطق الاحداث ، ويخرج العهد المؤرخ له من الصمت الى القول البليغ .

وذكر « كار » ان وزير خارجية المانيا فى الفترة من ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣١ ، ترك ثلاثمائة صندوق مليئة بالوثائق الرسمية سميت تركة « شترسمان » ، ولما كان الاطلاع على محتويات هذه الصناديق المكتظة بالاوراق والوثائق ، امرا مستحيلا فقد توفر برنهارت امين سر شترسمان على قراءة وتصنيف هذه الوثائق ، واخرج خلاصتها فى

● التاريخ مجموعة من الوقائع..
وهي كالسمك في إناء الماء!

٦٠٠ صفحة ، واعتبر ذلك عملا رائعـا ، ولكن لم ينقض وقت على خروج مجلد «برنهارت» حتى آل الحكم الى هتلر ، وكان « شترسمان » الد اعداء النازية ، فاختفت في الحال الصناديق الثلاثمائة ومجلد « برنهارت » ذو الستمائة صفحة ، واسم « شترسمان » ، ولم يعد الحديث عنه يبعث عند الالمان سوى السخرية والهزء ، ولما كان الغرب اي بريطانيا وفرنسا شديدي الاعجاب « بشترسمان » فقد اخرجوا كتابا يحوى مختارات من مجلد « برنهارت » ، وهكذا تنقلت تركة «شترسمان» من اختيار لاختيار حتى ضاعت تماما ، ولم يعد احد يحزن على ما اعتبر وثائق ثمينة ونادرة وعرف تاريخ اوروبا في هذه الحقبة بغير الرجوع الى هذه التركة السحرية .

وتطورت الفكرة عن التاريخ حتى جاء الفيلسوف « كروتشه » الايطالي الذي كشف عن حقيقة التاريخ اذ قال : «ان كل تاريخ هو تاريخ معاصر» بمعنى ان التاريخ القديم ، والمتوسط ، والحديث ، يتاثر بالمؤرخ المعاصر ، الذي يدرسه ويتامل فيه ، ويصنف وقائعه وينسقها ويعرضها . وقد وصل المؤرخ الامريكي كارل بيكر الى اقصى المدى اذ قال : ان وقائع التاريخ ليست امام المؤرخ حتى يخلقها . فالوقائع التي نعبدها ونقدسها ، ونعتبرها آية النزاهة والصدق ، هي في الواقع من صنع ايدينا ولو لم نحس بذلك ، فهي اشبه ماتكون بالهه الوثني القديم ، هو الذي يصنع « الاله » ويقدسه ، ويقيم له المعبد ، ويصنع له الطقوس ، ثم يخشاه ويطيعه ، ويظنه فوق الضعف .

فالتاريخ القديم ، يحيا في ذهن المؤرخ المعاصر ، ويتاثر بعقله ، وعلمه ، وآماله واوهامه ولذلك كان قول المؤرخ كولنجود



تشرشل — هتلر



ديكارت

« ان فلسفة التاريخ لا تعنى الماضي في ذاته ، او فكر المؤرخ عنه في ذاته ، وانما مزيجا من الامرين » ومن ثم فان الذي يقولون انه التاريخ ـ كل تاريخ ـ هو تاريخ فكر » .

وفي الوسع ان نسترسل مع هذه الخواطر ، وسنعود الى ذلك ، في مقال تال باذن الله ، ولكن اجمل ما يمكن ان ننهي به القول هو ما قاله الفيلسوف ديكارت من ان التامل في فلسفة التاريخ ، وفي اسلوب اعداده ، تقدم رائع للانسان لانه باختصار ، هو تفكير الانسان في تفكيره .

د. السيد فهمى الشناوى

التطرف والشباب

الان وقد قال الجميع رأيهم فى مشكلة التطرف والشباب هل آن لنا أن نستمع الى رأى اهل الذكر فى الموضوع .. نعم لقد قتل هذا الموضوع بحثا ودراسة اساتذة التاريخ . والف المستشرقون رسالات جامعية اكاديمية عن نفس هذا الموضوع . كتب ميتشل عن الاخوان المسلمين رسالة دكتوراه وكتب هيوارث دون رسالته عن مصر الفتاة ولا يزال يكتب باستمرار فى هذا الموضوع استاذ التاريخ المعاصر مجيد خدورى وجمال احمد بل ان تقارير مندوبى بريطانيا من اول المعتمد البريطانى كرومر الى السفير البريطانى لامبسون كانت تتعرض بكل اهتمام الى نفس الموضوع ، كما سنرى ..



● هل الحضارة اليونانية أقرب إلى مصر من حضارات الشرق ؟

● كانت حركة التغريب تستهدى بباريس وبالإنجليز في بلادهم

● لايجوز صياغة دعاء خاص للملك يدعو به شيخ الأزهر

● يرد المؤرخ البريطاني توينبي – فمن بعده تلامذة هذه المدرسة امثال غربال وعبد الرحيم مصطفى الامر كله الى ان هناك تناقضا ابتداء من اوائل القرن التاسع عشر في مصر – تناقضا ما بين السلطة السياسية وما بين الايديولوجيا او العقيدة المصرية .

ففى الوقت الذى ظلت العقيدة الشائعة دينية منذ ايام الفراعنة وكهنتهم ثم المسيحية ورهبانها واديرتها ثم الاسلام بخلافته وشريعته اتجهت السلطة السياسية الى الاوروبية والى التغريب والى جعل مصر قطعة من اوروبا كما قال الخديو اسماعيل . او ان الحضارة اليونانية اقرب الى مصر من حضارات الشرق كما قال طه حسين ، ثم جاءت موجة العلمانية بعد سقوط الخلافة وبعد الانقلاب الكمالى فى تركيا لتنتشر بعد ذلك فى مصر بل وفى كل بلدان الشرق الاوسط فكانت ليبرالية الاضراب تستهدى «المدينة النور» باريس او « بالانجليز فى بلادهم » . ثم لما تغلبت وقتيا الهتلرية والفاشستية تمادى صداها فى ثورة رشيد عالى وفى تكوين مصر الفتاة والقمصان الخضر الخ . كل هذا بينما العقيدة نفسها وبين نفس زعماء السلطة السياسيه ورؤساء الاحزاب بل وملوك المنطقة لاتزال دينية خالصة .

○ مجيد خدورى يقول ان الحركة العلمانية برزت فقط فى الفترة بين الحربين عندما كان هناك تدخل استعمارى واضح فى السلطة السياسية لكل منطقة الشرق الاوسط . هذه الحركة العلمانية قضت عليها – فى راى خدورى – ردة فعل دينية .. ظهرت جمعيات الشبان المسلمين «ومن قبلها المسيحيين ايضا » . ولكن ظل اثر هذه الجمعية محصورا داخل طبقة المثقفين .. ثم ظهرت جمعية الاخوان المسلمين وتغلغل اثرها خارج المثقفين الى الجماهير والشارع والقرية . وفى راى خدورى ان هذا التغلغل كان هادئا وحثيثا فى الدين والاجتماع بينما كان سريعا وصاخبا وعنيفا فى السياسة . وانه لو ان الاخوان تغلغلوا فى السياسة بالهدوء والصمت الذى تغلغلوا به فى الاجتماع والدين لما امكن بعد ذلك محاصرتهم او مجابهتم ويعلل خدورى هذه العلانية والعنف السياسى بسبب حرب فلسطين واشتراكهم فيها علنيا . مما جعلهم بعد ذلك يقتحمون السياسة علنا واحيانا بالارهاب . ويفسر منع حسن البنا من الترشيح عام ٤١ للبرلمان بانه كان بسبب تخوف النحاس من ان يتم بينهم وبين الالمان وهم على ابواب الاسكندرية تفاهم لم ترابط .



التطرف والشباب

وقد ظل تأثير الاخوان — حتى بعد حلهم وحلهم موجودا ومؤثرا لدرجة ان كان لهم اثر لا ينكر في قيام ثورة ٢٣ يوليو وفي التميز الذي عوملت به دون الاحزاب السياسية الاخرى والخلاصة انه في رأى خلدوري لا يوجد تطرف ولا ارهاب وانما ردة فعل اسقطت العلمانية او تسقطها .

● اما هيوارث الذي جعل رسالته عن مصر الفتاة وتحولها الى حزب وطني اسلامي والذي كان قد قابل احمد حسين وكافة الاطراف وحصل على معلومات انفرد بها فانه يرى ان ادخال الدين في السياسة ليس الا مناورة سياسية كأنما معاويه يبعث من جديد ! !! .

يذكر هذا الباحث ان احمد حسين قابل حسن البنا . وطلب منه ان يندمج فيه احمد حسين بحزبه دون اية شروط وعلى الوجه الذي يراه حسن البنا تماما ولما اعتذر الناهد احمد حسين في نفس الجلسة . باشعال حرب لن تنتهى .

وفي مقابلة لاحمد حسين مع مصطفى النحاس عرض احمد حسين مذهبه ، فقال النحاس ان وضع شعار الله على رأس حزب سياسي هو شعوذة . وقد سبق للنحاس عام ٣٦ ان عارض تماما ان ينصب الملك في القلعة وان يمنحه شيخ الازهر سيف جده محمد علي قائلا ان هذه « بدعة بابوية » لا يجوز ان يمارسها شيخ الازهر . وصمم على أن ينصب داخل مجلس الشيوخ والنواب فقط . فلما قيل له أن يتبع هذا التنصيب داخل مجلس الشيوخ والنواب صلاة في الازهر ويدعو فيه شيخ الازهر دعاء خاصا بالملك قال انه لا يجوز صياغة دعاء خاص للملك . وقام شيخ الازهر بهذا العمل السياسي هو الهبوط بمكانة الازهر وشيخه الى جعله ذيلا للسلطان .



مصطفى النحاس

● اذا كانت النتيجة التي توصل اليها هيوارث دون هو ان ادخال الدين في السياسة هي اسلوب مناورة فان غيره من البحاث يرون ان هذه مجرد نظرة سطحية لان المناورة مسموح بها للسياسي ولايمكن التغلب او التخلص منها . ولابد للسماح للسياسي بقدر ما من المناورة . وانما يردون هم الموضوع الى احد امرين .

يرى بعضهم انه ردة فعل اقتصادية .. فالازمة العالمية الطاحنة في العشرينات ادت الى ظهور جمعيات الاخوان والشبان المسلمين . ثم لما جاءت الحرب العالمية الثانية بموجة الغلاء واغنياء الحرب وبطاقات التموين لم يكن امام الموظف الصغير او الحرفي المحدود الموارد الا ان يتدرع بالدين . وكلما اشتدت الضائقة الاقتصادية بعد ازدياد السكان الرهيب في الرقعة المحدودة ووجود بذخ استفزازي لم يكن امام الشباب المعاصر الا التدرع والتحصن بالدين .

اذن هو تفسير مادي للتاريخ بالاسلوب الماركسي !

بينما فريق آخر من نفس هؤلاء الباحثين

● هل اختار "كرومر" سعد زغلول للسياسة قبل ثورة ١٩١٩ ؟



حسن البنا



طه حسين

يرد الامر الى انه ردة فعل سياسية وليست ردة فعل اقتصادية نتيجة فشل اللبرالية في الحكم :

اجل الكفاح ضد المستعمر اي مطالبة لانصار الدين بحقوق سياسية . وظلت الحركة الوطنية تؤجل هذه المطالبات الدينية حتى تتم ثورة ١٩ ثم حتى تلغى الامتيازات الاجنبية ثم حتى يتم الجلاء البريطاني ثم حتى تتم المعركة مع اسرائيل .. فاذا تم كل هذا . ماذا ينتظرون .

ثم ان الفشل في الاسلوب الديموقراطي كان واضحا وجاء وقت المطالبة بتطبيق الاسلوب الاسلامي : عندما طالبوا بدستور للشعب عام ٢٣ جاء دستور ينص على انه منحة من الملك . ورغم هذه الصدمة ورغم تسمية اللجنة التي وضعته لجنة الاشقياء الا ان هذا الدستور نفسه لم يتمتع به الشعب . وما لبث ان الغي ثم قامت بعد ذلك سلسلة طويلة من تعطيل الدستور او الغائه او تبديله او .. او .. او مما جعل التعلق بالاسلوب الغربي في الحكم شيئا مستبعدا . وفي نظر هؤلاء البحاث لو ان دستورا للشعب وضع محققا لآمال الشعب عام ٢٣ وظل ثابتا الى اليوم لاستحال قيام كل هذه الحركات التي يمكن ان نسميها بالحركات الدينسياسية

ان تطعيم السياسة بالدين هو في نظر اصحاب هذا المذهب نقل دم جديد لمريض يرونه محتضرا .

● واخيرا لابد من القاء نظرة على وجهة نظر معتمد بريطانيا وسفير بريطانيا اللذين كانا يراقبان هذا الموضوع ويدرسانه بكل اهتمام ويعتبرانه اهم مهمه في عملهما السياسي ويخابران به دوائرهما الحاكمة في لندن . بل انه فضلا عن هذه التقارير السرية كتب كرومر وعلانيه في كتابه مصر الحديثة ان الشيء الوحيد الذي يعوض عن الرابطه الاسلاميه لدى المصريين هو قيام حكومه صالحة تلتزم العدل المطلق والنزاهة المطلقة وايضا الوطنية الخالصة . وكان هو يشجع التيار الوطني ليحل محل التيار الاسلامي .

التطرف والشباب

وهو الذي اختار سعد زغلول وزيرا للمعارف ليدخله ميدان السياسة قبل قيام ثورة ١٩ بحوالي عشر سنوات .

وهو الذي اختار احمد غلوشواوجي اليه بانشاء جمعية منع المسكرات . ولم يجد غضاضة في هذه التنازلات .

وهو الدكتاتور الذي حكم مصر ٢٨ عاما دون معقب حتى من ملوك بريطانيا .ولكنه وجد في ذلك تثبيتا لحكمه وسياسته .

اما لامبسون فيكتب الى حكومته في ٦ مايو ٣٨ . فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فان المسالة الدينية هي اهم موضوع . وكما ورد في تقاريري السابقة ان القصر يبذل جهدا لاحاطة الملك بهالة اسلامية . انني شخصيا اشك في تمسك علي ماهر بالدين بينما هو يساند تلك الجهود » . ثم يكتب في ٧ نوفمبر ٣٨ . لا يزال فاروق بارشاد علي ماهر يواصل السياسة الاسلامية التي كان والده يسير عليها دون ان يكون لفاروق بصيرة ابيه .. « هذه المرة الملوك وليس الشباب هم الذين يدخلون الدين في السياسة ! » .

علي ماهر في هذه الفترة كان يتصل بالاخوان المسلمين وكان يساند جهازا مصر الفتاة ويمولها . لم يكن الدين بعيدا عن السياسة لا عند علي ماهر ولا القصر ولا السفارة البريطانية .

وقد كثر الكلام حاليا على الشباب وكأنه قطاع محدود من الشعب يحتاج لعلاج أو وصاية او تقويم . وهذه نظرة محدودة وخطيرة في رايي . لان الشباب سياسيا أوسع بكثير من هذه الحدود وفاعليا يكاد الشباب هو الذي يحتكر القدرة على الفعل .



احمد حسين

ثورة ٢٣ يوليو كانت كلها شبان مابين العشرين والثلاثين سنة فقط . مصطفى كامل كان زعيما للشعب كله في مثل هذه السن . مصطفى النحاس انتخب زعيما للوفد وخليفة لسعد وهو في الثلاثينات .

بل ان كل اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا شبانا وفتيانا : علي كان في التاسعة وعمر وعثمان كانوا في سن ابنائه ، خالد ابن الوليد كان في العشرينات واسامة بن زيد لم يبلغ العشرينات وهو على راس الجيش لفتح الشام . ونابليون فتح أوروبا كلها وهو لم يتجاوز الثلاثين . وقبله الاسكندر الاكبر وغيره وغيره .

هذا الشباب عندما قوبل فريق منه بعنف شديد في الخمسينات والستينات داخل سجون ومعتقلات وهو عنف سجلته احكام القضاء . ثم خلدته ادبيات نجيب محفوظ كاثر وحيد عن تاريخ هذه الفترة،

مشكلة الشباب .. ليست مشكلة شبابية وإنما مشكلة قومية


الخديو اسماعيل

عنف كان طبيعيا او متوقعا ان يرد بعنف مثله · على ان العنف طبعا لايمكن ان يحل خلافا مذهبيا ولا ان يمحو الافكار .

***

اذن فمشكلة الشباب ليست مشكلة فئة محدودة ولكنها مشكلة قومية وشاملة . وسواء رددناها الى انها رد فعل للفاقة الاقتصادية او رد فعل للفشل الديموقراطي او رد فعل للاوربية والتغريب فانها اصلا تناقض بين الخط السياسي والخط العقائدي .. او دعونا نعالجها من هذا المنبع معالجة فكرية عادلة نتفادى بها مواجهات المستقبل

وهي مشكلة سياسية وليست مشكلة شبابية ومشكلة قومية وليست مشكلة فئوية وهي مشكلة فكرية وليست موضوعا عقابيا .

والبحث في هذه المشكلة هو بحث في المعضلة الاقتصادية والمعادلة الديموقراطية وعملية تحديث الفكر العربي عامة . وهي بناء لتوعية حضارية تواجه حضارة الغرب وتواجه أطماعا عالمية واعتقد انها سوف تكون الموضوع الاول بعد الجلاء الاسرائيلي

ونفس المشكلة التي تعاني منها مصر في هذا الصدد هي نفس مشكلة كل بلدان الشرق الاوسط والشمال الافريقي والحل الذي سوف تضعه مصر هو الحل الذي سوف تنقله عنها شعوب المنطقة . وهي اذن مهمة الانتلجنسيا المصرية المعاصرة وامتحانها العسير .

واخيرا وليس آخرا فهناك اتجاه لدنيا سياسة بدلا من دين فقط وسياسة فقط ! وهو اتجاه فكري مصري حديث ووليد جديد !

العدالة العمياء :

عين القاضي د. جيمس هوكنز بيك من ولاية ميسوري الامريكية ، قاضيا في مقاطعة سنت لويس بالولاية نفسها عام ١٨٢٢ . ومارس عمله في هذا المنصب طوال ١٤ سنة وطوال هذه المدة كان يضع عصابة بيضاء على عينيه من الصباح حتى المساء لكي يتسنى له الحكم بعدالة ، دون ان يرى ايا من الطرفين المتخاصمين الماثلين امامه . وكانت كل الوثائق التي تقدم يقرؤها كاتب في المحكمة وكان يعصب عينيه هكذا دائما ، وهو في المنزل ، وقبل ان يتوجه الى قاعة المحكمة . وكان احد الخدم يقوده باستمرار وهو معصوب العينين !



الضوابط العلمية لبيان معانى ألفاظ

القرآن الكريم

د. محمد سعاد جلال

● ان مناط حجة القرآن على العرب كونه عربيا من جنس كلامهم

الواقع ان الضوابط العلمية التي سنتقدم بذكرها في هذا البحث ليست خاصة بالقرآن خصوصية ذاتية كالعلم بالناسخ والمنسوخ، والعلم بأسباب النزول، والعلم بالقراءات واختلافها وغير ذلك مما يعد في بيان القرآن مطلبا خاصا به - ولكنها ضوابط عامة في القرآن واللغة العربية كلها، لانها تمثل التعبير عن جانب ذاتي من طريقة وضع اللغة العربية في الدلالة، والمنهج الذى انبنت عليه في تكوين المادة وصفة الخطاب •

وانما خصصنا ذكرها بالاضافة الى القرآن الكريم لان القرآن اصل اللغة، فهو احق بنسبة هذه الضوابط اليه، واحق بالتنبيه على تقرير هذه الضوابط للحفاظ على صحة معناه، وهداية المعرفة الى المقصود بخطابه ••

وأيضا لشدة حاجة الناظرين في القرآن الى الاحاطة بهذه الضوابط فقد ترتب على الغفلة عن ملاحظتها، والوقوف عند حدودها أن اقتحم على تفسير القرآن في القديم كالباطنية، والصوفية من اصحاب ابن عربي القائلين بوحدة الوجود، وفي العصر الحديث - كاصحاب ما يسمى بـ « التفسير العلمي » للقرآن - نقول : اقتحمت هذه الطوائف على تفسير القرآن بآراء خاطئة بل شاذة بالقياس الى اصوله المعتمدة وقوانينه اللغوية، والشرعية المقررة، فرأينا ان نكشف الغطاء عن غور هذا المقتحم برسم جملة مسائل في بيان حقيقته دفعا للغارة على القرآن وبيانا للحدود التي يجب أن يقف عندها الهاجمون على تفسيره بغير أصالة ووقار •

● المسألة الأولى :

في انقسام اللفظ من حيث وضعه لمعناه

الوضع كون اللفظ بازاء المعنى بحيث يفهم من المعنى عند الاطلاق بغير قرينه .

وينقسم اللفظ من حيث وضعه لمعناه الى ثلاثة اقسام : « العام » و « الخاص » و « المشترك » : فالمشترك هو اللفظ الموضوع لمعناه بوضع متعدد . ومثاله لفظ « العين » ، فانه وضع للدلالة على العين الباصرة بوضع ، وعلى « عين الماء » بوضع مستانف مرة ثانية ، وعلى الجاسوس بوضع مستانف مرة ثالثة ... وكلفظ « القرء » فانه موضوع للدلالة على الطهر بوضع ، وللدلالة على الحيض بوضع . وهكذا نجد امثاله في اللغة ..

وحكمه انه من قبيل المتشابه الذي لا يترجح احد معانيه على الاخر الا بدليل يرجح هذا المعنى على غيره - وقبل وجود هذا الدليل المرجح لواحد من معانيه على الاخر ، يتوقف عن العمل به .

والخاص هو اللفظ الموضوع بوضع واحد لمعنى واحد : وذلك كزيد ، وانسان وحيوان وكعشرة ، ومائة ، والف . فان هذا كله من قبيل « الخاص » لان مناط اعتباره وضع خصوص اللفظ لخصوص « المعنى » وحكم الخاص انه قطعي الدلالة على معناه بغير خلاف عند العلماء .

فاما العام : فهو « اللفظ الموضوع بوضع واحد الدال على كثير غير محصور المستغرق لجميع ما يصلح له » ، مثل « العلماء » و « طلبة الجامعة » و « من في الدار » .

اما دلالته على افراد كثيرين فمظاهره من الامثلة .

واما كون دلالته على الكثير ثابتة بوضع واحد فلبيان خلافه مع طبيعة اللفظ « المشترك » الذي علمت انه يدل على كثير ولكن مع تعدد اوضاعه .

واما معنى قولهم : « غير محصور » ، فذلك ان الكثير المدلول عليه بلفظ «العام» غير منضبط بقدر معين من الافراد الداخلة تحت دلالته : فان مدلول عشرة ، ومائة مثلا قدر معين من الافراد وضع لها هذا الاسم الدال على حصرها . ولذلك جعلنا اسماء الاعداد هذه من قبيل الموضوع « الخاص » ، اما مداول لفظ « العلماء » ، أو « طلبة الجامعة » فانه عدد كثير غير منضبط قد يكون عشرة فقط ، وقد يكون الفا ، لان مناط دخوله تحت اللفظ دخوله في الوصف الذي يدل عليه لفظ « العام » .

ثم ان هذا اللفظ العام يكون مستغرقا وشاملا في دلالته جميع مسمياته .

قال الحنفية : ودلالة لفظ «العام» على ما مثلنا - على استغراق جميع افراده، دلالة قطعية

قالوا : لان هذا اللفظ موضوع للدلالة على هذا المعنى - وهو استغراق الكثرة غير المحصورة ، فلزم ان يدل عليها على جهة القطع والا يخرج عن حكم هذه الدلالة فرد واحد ، مما يصلح للدخول تحتها - لان هذه قضية الوضع - فلو افترضنا قصور دلالة « العام » عند الاطلاق عن بعض مسمياته بغير دليل - لزم من ذلك ذهاب الامان من اللغة حيث تنتفي دلالة الالفاظ الموضوعة على معانيها ، وذلك باطل .

وقال الشافعية : ان دلالة العام على « استغراق » افراده ظنية ، وليست قطعية لانهم نظروا في مسار اللغة فلاحظوا أن

العمومات «المخصصة» في اللغة غالبة حتى شاع القول عند العلماء بانه «ما من عام الا وخصص» ـ حتى هذا العام المستشهد به فانه دخله التخصيص بقوله تعالى : «ان الله بكل شيء عليم» ـ فانه «عام» يمتنع تخصيصه فان علم الله عام في جميع الجائزات ، والواجبات ، والمستحيلات .

وبناء على ذلك فقد افترضوا ان يكون الاصل في دلالة العام على مسمياته احتمال التخصيص وعدم القطع وهو محض التراضي والراجح عندنا مذهب الحنفية .

وقد تلخص من ذكر هذه المسالة اثبات ان اللفظ الحقيقي اذا وضع على المعنى فهو لازم الدلالة على تمام هذا المعنى قطعا سواء كان من قبيل «العام» ام من قبيل «الخاص» ام من قبيل «المشترك» ـ لكن ظنا ـ بعد قيام الدليل على ترجيح العمل باحد معانيه ـ وان عدم دلالة اللفظ على تمام معناه بصورة لا ينقص فيها من شيء ولا يزيد شيء ـ تجهيل بمعنى الالفاظ يؤدي الى رفع الامان عن اللغة والثقة بدلالاتها . وهو الممتنع المصروف عنه النظر .

ونبني على ذلك البحث في كيفية دلالة الالفاظ لمعانيها بعد ثبوت لزومها للدلالة على معانيها وهي :

● المسألة الثانية

● في كيفية دلالة الالفاظ على معانيها ●

اللفظ اما ان يدل على كل المعنى، واما على بعض المعنى ، واما يدل على لازم المعنى ـ ومثاله «الشمس» فانه موضوع على الكوكب المضيء الملزوم للحرارة ، فدلالته على



العرض مع الضوء دلالة على كل المعنى ، وعلى الضوء فقط دلالة على جزء المعنى ، وعلى الحرارة فقط دلالة لازم المعنى ، وبالجسم» ـ فانه «الطويل العريض العميق» الملزوم للتحيز ـ فان الجسم لايتصور الا وهو آخذ حيزا من الفراغ ، فدلالة لفظ «الجسم» على الطول ، او العرض ، او العمق دلالة جزئية ، ودلالته على «التحيز» دلالة التزامية ، ودلالته على الكل كلية او مطابقية .

ثم ان المعنى الثابت بالنظم ـ اي باللفظ ـ ينقسم الى ما يقال له «عبارة» اذا كان الكلام مسوقا له ، وما يقال له «اشارة» اذا لم يكن الكلام مسوقا له .

ومثاله : قوله تعالى : «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع»

اشتملت هذه الجملة على امرين : احدهما اباحة اصل النكاح في قوله «فانكحوا»

وثانيهما : اباحة التعدد من المثنى ، والثلاث ، والاربع

فاما الامر الاول ، فقد كان معلوما لهم من قبل فكان ذكره تمهيدا لغيره، ولم يسق من اجله الكلام ، فهذا ما يقال له « اشارة النص » .

واما الامر الثاني ـ وهو التعدد فقد كان المقصود بالبيان ، واليه كان سوق الكلام . فهذا ما يقال له « عبارة النص » .

ثم ان « عبارة النص » تارة تكون بدلالة اللفظ على كل معناه : ومثاله ما ذكرنا من قوله تعالى : « مثنى وثلاث ورباع » فانها من قبيل « عبارة النص » والفاظها ـ كما ترى دالة على كل معانيها .

وتارة تكون بدلالة اللفظ على « لازم معناه » ومثاله : قوله تعالى « واحل الله البيع وحرم الربا » ردا على قول المشركين « انما البيع مثل الربا » فان احلال البيع وتحريم الربا هما امران لم يسق اليهما الكلام لكونهما معلومين قبل الخطاب بهذا النص : فهما اذن من قبيل « اشارة النص» وبما ان الاية جاءت ردا على المشركين في حكمهم بالتسوية بين البيع والربا ، باثبات المخالفة بينهما في الحكم . فيكون مناط اثبات المخالفة بينهما وهو لازم المعنى هو المقصود بالبيان الذي سيق له الكلام ـ ويكون حينئذ من قبيل « عبارة النص » .

وتارة يكون بدلالة اللفظ على جزء معناه ومثاله : اذا كان للرجل اربع نساء فقالت له احداهن طلق ضراتي ـ فقال « كلكن طوالق » ـ طلقن جميعا .

اما النساء الثلاث فقد طلقن « بعبارة النص » ـ لانهن كن المقصودات بالتطليق والى طلاقهن سيق الكلام ـ لكن بلاحظ ان طلاقهن جزء من معنى الكلام لانه يمثل ثلاثة اجزاء من اربعة اجزاء من معنى الكلام ـ وهو طلاق الاربع ـ الذي وقع عليهن ـ واما الجزء الرابع فانه اصاب المراة التي كانت طلبت الطلاق لضراتها ووقوع الطلاق عليها في هذه الصورة يعد من « اشارة النص » ـ لانه لم يكن مقصودا بسوق الكلام ـ اعني الطلاق ـ وانما جاء تبعا في غمار طلاق الاخريات .

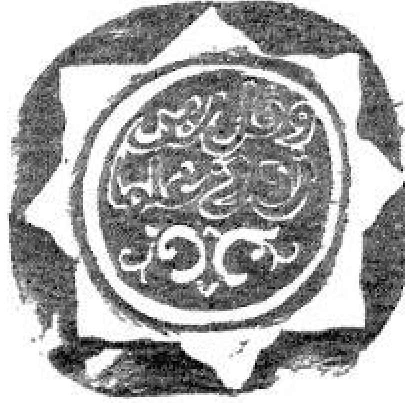
و « اشارة النص » ـ ايضا ـ تارة تكون بدلالة النظم على كل المعنى ، وتارة تكون بدلالة النظم على جزء المعنى ، وتارة تكون بدلالة النظم على لازم المعنى الخارج عنه .

فمثال الاول : فقد بينا في تفسيره ان قوله « فانكحوا » من قبيل « اشارة النص » وهو لفظ دال على كل المعنى .

ومثال الثاني : قوله ـ تعالى ـ « وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لاتظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله » : والشاهد في الاية منصب على قوله «للفقراء الذين احصروا » فان المراد بهم المهاجرون من مكة وانه يدل على استحقاق الخير المنفق في سبيل الله للفقراء المذكورين ثم ان تسميتهم بالفقراء في الاية يقتضي انهم لايملكون شيئا، ومن اجزاء هذا المعنى الكلي انهم لا يملكون بيوتهم التي هاجروا عنها من مكة لزوال ملكهم عنها بسبب الهجرة وهو استنباط فقهي عمل به .

ثم ان هذا المعنى الخاص الجزئي الداخل تحت اسم « الفقراء » هو غير مقصود بسوق الكلام له ـ لان الكلام مسوق لاثبات استحقاقهم للصدقة فقط وليس لاثبات زوال ملكهم عن ابياتهم بمكة فيكون من قبيل « اشارة النص » .

ومثال الثالث : قوله ـ تعالى ـ « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » فان المعنى المسوق له الكلام انما هو اثبات



نفقة الزوجات على الزوج الذي ولدن له ـ وهو المعنى الموضوع له اللفظ : وفيه اشارة الى ان الاب هو الذي ينفرد بالانفاق على الابن من حيث انفراده بنسبته اليه ، وانفراد الاب بهذه النسبة يقتضي انفراده بحكمها وهو النفقة على الولد فثبوت النفقة على الاب للولد هو المعنى اللازم للموضوع له ـ وهو « اشارة النص » .

وينقسم ـ ثانيا ـ اعني المعنى الثابت بالنظم ـ الى قسمين الاول ما يسمى « المقتضى » ، والدلالة عليه يسمى دلالة « الاقتضاء » ـ وهو اللازم المتقدم في الكلام المحتاج اليه في ثبوت صحة الكلام ،

ومثاله : ان يقول رجل لاخر « تصدق عني بدارك » . فظاهر هذا الكلام عدم صحته لانه لا تجوز الصدقة من مال الغير ـ لكنهم عمدوا لتصحيحه لان كلام العقلاء يصان عن العبث فحكموا بوجود معنى مقدر متقدم في الكلام ، تقديره : يعني دارك وتصدق عني بثمنها ـ فالعبارة بعد تقدير هذا المقتضى الدالة بيع الدار من صاحبها للطالب وتوكيله بائعها في التصدق بثمنها عنه .

ومثاله ـ ايضا ـ قوله تعالى ـ « حرمت عليكم امهاتكم » ، فان تحريم الذات غير متعقل ، فنفترض لصحة الكلام وجود معنى سابق عليه مصححا له ـ هو « المقتضى » ـ تقديره حرم عليكم « نكاح » امهاتكم الا ان يقول قائل : ان عرف اللغة في مثل هذه العبارات قاض بان التحريم لا ينصب على الذات ، وانما ينصب على الجهة التي جرت العادات الزمنية بتوجه حكم التحريم اليها وهو « النكاح » وهو كلام لبعض العلماء .

واما القسم الثاني : فهو ما يسمى « دلالة النص » : وهو الحكم في شيء يتضمن معنى يفهم لغة ان الحكم في المنطوق كان لاجله : والتمثيل له يوضحه : فمثاله قوله تعالى « ولاتقل لهما اف » فقد تضمن هذا النص عدة معان :

الاول : الحكم بتحريم قول « اف » للوالدين .

الثاني : ان كلمة « اف » شيء تضمن معنى هو « الاذى » النفسي الذي يصيب الوالدين من سماع الكلمة .

الثالث : ان كل من يفهم اللغة العربية يفهم ان النهي عن قول كلمة «اف» انما كان لتضمنها « معنى » هو اذية الوالدين ـ فيفهم من هذه العبارة ان النهي الوارد فيها ليس مقصودا على كلمة « اف » بخصوصها لكنه يشمل كل ما فيه اذية الوالدين من نحو الضرب ، والحبس ، والتجويع وغيرها فيحكم بتحريم ذلك كله .

فاذا طابقت بين الشرح والتعريف وضح لك التعريف تماما .



وقد تلخص لكم مما ذكرنا ان اقسام كيفيات دلالة الالفاظ على معانيها سبعة اقسام :

دلالة اللفظ على كل المعنى ، او جزء من المعنى ، او لازم المعنى المتأخر .

ودلالته بالعبارة او الاشارة .

ودلالته بالاقتضاء ، او دلالة النص

فاعلم — اصلحك الله — ان هذه قسمة عقلية وانه قد اجمع علماء الاصول واللغة قاطبة على انحصار كيفية دلالات الفاظ اللغة فى هذه الاقسام السبعة لا تخرج عنها اصلا ، وما خرج عنها يعتبر تمسكات فاسدة كما قالوا .

واليك نص صاحب « التوضيح » قال — رضى الله عنه — « ووجه الحصر فى هذه الاربع ان المعنى ان كان عين الموضوع له ، او جزءه او لازمه غير المتقدم عليه « فعبارة » بان سيق الكلام له ، و « اشارة » ان لم يسق الكلام له ، وان كان لازمه المتقدم « فاقتضاء » ، وان لم يكن شيء من ذلك فان وجد فى هذا المعنى علة يفهم كل من يعرف اللغة ان الحكم فى المنطوق لاجلها فدلالة نص — وان لم يوجد فلا دلالة اصلا » .

ولا اختلاف بيننا وبين شيخنا « صدر الشريعة » فى عدد الاقسام غير انا اردنا من التوضيح ما استدعى كثرة التفصيل — كما يمكن فهمه بقليل النظر .

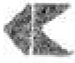
لكن قد يرى بعض الاذكياء ان ماتسميه « دلالة النص » قسم خامس فى كلام صاحب « التوضيح » الذى حصر الدلالات فى اربع — فنقول : نعم لان مدلول « دلالة النص » ليس ناشئا من عين اللفظ او لازمه الذى هو وصف ذاتى له كالتحيز للجسم ، وانما نشأ من علة تضمنها معناه لا يتم دلالتها الا بعرف اللغة — فلم يثبت المعنى بعين اللفظ ولا بوصفه الذاتى الذى لا ينفصل عنه .

المسألة الثالثة :

في انقسام اللفظ الى الحقيقة والمجاز

تنقسم الالفاظ من حيث دلالتها على معانيها الى ما هو حقيقة والى ما هو « مجاز » ، فالحقيقة و « المجاز » من اوصاف الالفاظ ، لا من اوصاف المعانى — كما هو التحقيق .

فاللفظ الحقيقى هو اللفظ المستعمل فيما وضع له — وقد وضحنا ذلك فى المسائل السابقة ، فان كلامنا فى المسائل السابقة انما كان ينصب على توضيح مسالك جريان اللفظ الحقيقى فى معانيه التى وضع لها وعلى كيفية جريانه فى هذه المسالك .



وفي هذا الفصل نشرع في بيان حقيقة « المجاز » وانواع « المجاز » وهو الشق الثاني من اداة اللغة المتخذة في التعبير عن المعاني التي يجد الانسان فيها سداد حاجته في الاعراب عن خوالجه النفسية ومثيراته الحسية ، وذلك لان معاني نفس الانسان المختلفة وتصويرها للغير بالقدر الذي يشبع ارادته يتم باستعمال الحقيقة وحدها ، فان نشاط الخيال في استعماق المدركات المعنوية والحسية والانبساط على اطرافها البعيدة وخيوطها الرفيعة ابعد مرمى من دلالات اللفظ الحقيقي - فكان « المجاز » بما يتضمن من التصاريف اللغوية المختلفة ، هو الجهاز اللغوي المرن الذي يستطيع أن يحمل طاقة الخيال ويساوقه في الأداء عن النفس

« المجاز » هو اللفظ المستعمل في غيرما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلي .

تقول : « رايت اسدا يرمى » فلفظ « اسد » لفظ « مجازي » مراد به الرجل الشجاع لعلاقة مصححة لهذا الاستعمال - وهي وصف الشجاعة المشترك بين المعنى الموضوع له والمعنى المتجوز عنه ، وقرينة مانعة من ارادة المعنى الاصل ، اعني الحيوان المفترس ، وهي قول القائل « يرمى » فان الحيوان المفترس ليس من شانه أن يرمي السهم عن القوس وهو المراد بالرمي في المثال .

ثم ان المجاز ينقسم الى انواع :

مجاز علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي - وهو كما مثلنا - ويعبر عنه بانواع الاستعارة .

ومجاز عقلي - والتجوز فيه واقع في « الاسناد » - اى اسناد الفعل بغير من هو له لا في اللفظ ، ومثاله قولهم : « انبت الربيع البقل » فان المنبت على الحقيقةانما هو الله - تعالى - لا زمن الربيع .

ومجاز مرسل : وهو اطلاق اللفظ على معناه والمراد به لازمه - كاطلاق اسم المسبب وارادة السبب فيقولهم :«امطرت السماء نباتا » والمعنى امطرت السماء مطرا يسبب النبات ، فاطلقنا اسم النبات - وهو المسبب نريد به المطر والمصحح لهذا التصرف كون المسبب لازما للسبب ،وكذلك تقول في قوله - تعالى - « ففى رحمة الله هم فيها خالدون » والمراد خلودهم في محل الرحمة -وهي الجنة -لكنا اطلقنا الحال- وهوالرحمة - واردنا محلها ، لتقرر التلازم بين الحال والمحل .

ويلحق بالمجاز ما يعرف بالكناية - وهي : « استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة غير مانعة من ارادة المعنى الاصل » وذلك كقولك في رجل تصفه بالطويل - هو طويل « العطف » من حيث يفهم من طول معطفه طول قامته - وان لم يكن ذلك لازما - لامكان ان يكون طويل العطف مع كونه قصير القامة .

ومن هنا يفهم قولهم في التعريف ان قرينة الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي وذلك بعكس المجاز وهو الذي تمنع قرينته المعنى الاصل جزما - والكناية - وأن انفردت باسم يخصها - الا انها داخلة تحت قسم « المجاز » - لان الكلام اما حقيقة ، واما غير حقيقة ، والثاني هو المجاز بانواعه .

لعلك تذكر اننا حصرنا مجارى التعبير عن معاني النفس في سبعة اقسام من كيفيات دلالات الالفاظ على المعاني - وذلك ما كان من الكلام جاريا على جهة الحقيقة ، والان - وفي باب المجاز الذي هو القسم الثاني من طريقي الاعراب عما في النفس -

القرآن الكريم

يتقرر عندك انحصار هذا المجاز فى هذه الاقسام الاربعة التى المعنا الى بيانها ، فقد وضح لك اذن ان كل انواع الكلام فى اللغة - اى ان كل انواع الصور الصوتية التى وضعتها اللغة العربية كلاما لا تخرج فى دلالاتها عن المعانى المقصودة منها عن احكام الاقسام المبينة - اما من طريق الحقيقة واما من طريق « المجاز »

وقد لاحظت ان القوم - رضى الله عنهم - وضعوا ضوابط محكمة لما ينبغى ان يفهم بطريق الحقيقة بحيث لا يمكن المجازفة بادخال معنى تحت لفظ حقيقى لا يحتمله اللفظ سدا لباب الفوضى فى سوء استعمال اللغة .

وكذلك فعلوا فى قسم المجاز ، بل ان قسم المجاز هو اشد حاجة لوضع هذه الضوابط ، نظرا لشدة قابليته للمعانى التخيلة التى تستشفع بالقصد الى البلاغة فى الكلام ، وان لم تدخل تحت دلالة مجاز صحيح ، وقد نفذ من هذا الباب الواسع - اعنى باب المجاز - كل الطوائف التى اخطأت فى تفسير القرآن وتلاعبت بمعانيه .

اما هذه الضوابط فهى ثلاثة أمور :

الاول : أن يكون اللفظ المجازى مستعملا فى لازم المعنى الحقيقى فاذا لم يكن اللفظ المجازى مستعملا فى المعنى اللازم للمعنى الحقيقى لم يكن « المجاز » صحيحا .

توضيحه : ان تقول : « رايت اسدا يمزق الاعداء » فان كلمة « اسد » الحقيقية واقعة على الحيوان المعروف بالشجاعة - فالشجاعة معنى لازم للمعنى الاصلى للكلمة فاذا اردت ان تستعمل لفظ « اسد » مجازا تعين عليك لصحة الاستعمال ان تستعمله فى المعنى اللازم للمعنى الاصلى للكلمة - وهو كما قلنا - « الشجاع » فاذا سميت الرجل الشجاع اسدا مجازا صحت هذه التسمية من حيث ان « الشجاع » معنى لازم لمدلول الاسم الحقيقى ، وقد اطلقت اللفظ المجازى على هذا المعنى اللازم فصح

توضيح هذا المعنى اكثر ان تقول : « رايت بحرا يمزق الاعداء » تريد رجلا شجاعا ، فان هذا مجاز خطأ ، لان مسمى البحر ليس من لوازم « الشجاع » : فاذا اطلقت لفظ البحر على الرجل الشجاع لم يكن هناك وصف مشترك بين البحر والرجل الشجاع - اى لم يكن من لوازم مسمى البحر معنى « الشجاع » ، فخلا لفظ المجاز حينئذ من الاصل الذى يعتمد عليه فى صحة استعماله فبطل المجاز .

لكن اذا قلت : « رايت بحرا يتكلم » تريد رجلا فصيحا متدفقا ، صح المجاز ، لان من لوازم مسمى البحر « المتسع المتدفق » فهنا وجد لفظ البحر المجازى اصلا يعتمد



عليه فيصح استعماله حينئذ .

الامر الثاني : ان انواع علاقات المجاز المرسل ـ محصورة في المقدار المسموع من العرب ، لا يصح الزيادة عليهـــا ـ « كالسببية » و « المسببية » ، و «الحالية» و « المحلية » ، و « الكلية » ، و «البعضية» ـ كما مثلنا ، وكما هو معروف عند علماء البيان .

. توضيحه : نعود لما مثلنا به سـابقا ـ وهو امطرت السماء نباتا فانه « مجـاز مرسل » علاقته السببية والمسببية ـ اى ان النبات مسبب عن الماء الحـاصل من المطر ، فقد اطلقنا المسبب وهو النبات ، واردنا به السبب وهو الماء .

هذا ـ وقد عرف عن العـرب انهم حين يطلقون المسبب ويريدون به السبب ـ انما يريدون السبب الملتصق بالسبب من غير واسطة ، فلا يجوز لغيرهم في استعمال هذا « المجاز » أن يكون المسبب مفصولا عن السبب الاول بواسطة ـ وان كانت من جنس الاسباب ـ فلا يصح ان تقول مثلا بالقياس المذكور ـ امطرت السماء حيوانا ـ نقصد امطرت السماء ماء يكون سببا للنبات الذى يكون سببا للحيوان ، من طريق اطعامه وتغذيته ، فهذا يمكن ان يقـال في شانه ـ لو كانت لنا حرية التصرف في اختراع علاقات « المجاز » ـ انه من باب اطلاق المسبب وارادة السبب ، لكنـه لا يصح اصلا اذ لا يعرفه العرب فلا يصح ان يحمل عليه اسم المجاز .

الامر الثالث : اذا كان اللفظ مستعملا في حقيقته فلا يجوز استعماله على جهـة المجاز في معنى الا بشرط ان يكون سبق للعرب استعمالهم لهذا اللفظ في هـذا المعنى مجازا ـ والا فلا يصح اسـتعمال هذا المجاز هكذا يقرر الامام الشـاطبي هذه القاعدة الجليلة في كتاب « الموافقات » .

وتوضيح ذلك بذكر مثالين : مثـــال صحيح تحقق فيه الشرط ومثال غيرصحيح فقد فيه الشرط :

المثال الاول : الذى تحقق فيه الشرط قوله تعالى : « يخـرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحى » ـ لقد حمـل بعض المفسرين لفظ الحيـاة والموت على معناهما الحقيقي : فقالوا : يخرج الانسان الحي من النطفة الميتة ، وبالعكس ، وفسر بعض المفسرين الحياة والموت بمعنى مجازى ذلك ان يراد بالحياة الايمـان ، وبالحى الانسان المؤمن ، وان يراد بالموت الكفر وبالميت الانسان الكافر ، فالله يخـرج من ظهر الانسان الكافر الانســـان المؤمن وبالعكس ـ لكن كما تقول القـاعدة شرط صحة ذلك ان يكون سبق استعماله في لغة العرب ، فاين هذا الشرط ، نقول : وقد وجدنا هذا الشرط موجودا في القرآن ، في قوله تعالى « او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس » : فان المراد بالميت هنا الكافر ، والمراد بالحيـاة التي ينقلب اليها هي الايمان ـ وبوجود هذا الشرط في القرآن تعين صحة هـذا المجاز انتقالا عن الحقيقة التي بنى عليها ظاهر الكلام الى المجاز .

المثال الفاقد للشرط وهو الثـاني قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا » : فالمفسرون هنا على أن المراد بالسكر ما هو حقيقة او سكر النوم ـ وهو مجاز مستعمل فيه وعلى المراد بالجنابة ، والغسل ما هو حقيقتهما المعروفة .

فاذا قال قائل : ان المراد بالسكر هو سكر الغفلة والشهوة ، وحب الدنيا المانع من قبول العبادة في حكم التقوى على طريق المجاز ، وان الجنابة والغسل ـ مجازان عن التضمخ بدنس الشهوات والتطهر منها ، لكان هذا القول مردودا لفقدانه الشرط وهو سبق استعمال العرب لهذا المجاز لأن العرب لم تستعمل مثله في مثل هذا الموضع ولا عهد لها به ـ لأنها لاتفهم من الجنابة ولا الغسل ، الا الحقيقة ولا تفهم من السكر سكر الغفلة والشهوة ـ لا حقيقة ولا مجازا

المسالة الرابعة

في بيان الجهة التي يفهم معاني القرآن من النظر اليها

اتفق الناس قاطبة من اهل الاسلام وغيرهم على أن هذا القرآن كتاب عربي ، وبلغة العرب نزل . قال تعالى ـ « انا انزلناه قرآنا عربيا » وقال « قرآنا عربيا غير ذي عوج » ولما زعم المشركون ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انما يعلمه بشر ، رد الله عليهم زعمهم هذا ، بقوله ـ تعالى ـ « لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » ـ الى آخر ذلك من النصوص الكثيرة التي تدور حول هذه القضية التي اصبحت قضية بديهية .

واذا كان القرآن عربيا وبلغة العرب نزل فلا سبيل الى فهمه ـ لمن اراد تفهمه ـ الا من طريق الاساليب والمواصفات التي كانت تفهم عنها العرب كلامها من حيث كان القرآن كلاما من جنس كلام العرب ، والا لحق لهم ان يردوا قيام حجته عليهم بدعوى انه جنس من القول ولا يعرفونه ، ولا عهد لهم به ـ كما يحق للعربي الآن ان يردعنه حجة كتاب بلغة اعجمية لاعهد له بها

وقد اشار القرآن لذلك بقوله ـ تعالى ـ « ولو جعلناه قرآنا عجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » فان مناط قيام حجة القرآن على العرب كونه عربيا من جنس كلامهم .

نقول : واذا ثبت ذلك فلا يجوز ان يفهم من لفظ قرآني معنى غير المعنى الذي كان معروفا للعرب في لسانها لانها خوطبت من القرآن بلغتها التي كانت معهودة لها في الدلالة بالفاظها على المعاني التي كانت معروفة لها ، أليست هي التي استقلت بوضع هذه الالفاظ المعلومة لهذه المعاني المعلومة ، فيستحيل اذن ان تكون قد وضعت لفظا تعلمه لمعنى تجهله ، ويستحيل اثبات معنى نجهله تحت لفظ نعلمه . سواء أكان ذلك حقيقة او كان مجازا .

والآن ـ وبعد تقرير تلك المسائل تكون قد بينا لكم بمنتهى الدقة والحصر الضوابط المحكمة عن طريق الحقيقة والمجاز لبيان ما يصح أن يدخل من المعاني تحت الفاظ القرآن وما لا يمكن ادخاله تحت الفاظ القرآن مهما اتسعت الحيلة وتعاظم التلبيس والتمويه من المقتحمين على تفسير القرآن بغير علم ـ وهو قانون جامع ومقياس محكم اشتغلنا بالتفكير في استخراجه من كلام الاصوليين والبلاغيين عدة سنوات ، ولا نعتقد ان احدا من علماء الاسلام سبقنا اليه واليكم بعد الجهد الذي عانيناه معا ـ اتماما للمقصود ذكر طائفة من التطبيقات لمزيد من ايضاح القواعد السابقة عنينا بذكرها باعتبارها صورا من اخطاء التفسير لوقوعها منافية لاحكام هذا القانون ونابية على رعايته لتزداد ـ ان شاء الله ـ استبصارا بهذه القواعد وركونا الى صحتها وانضباطها فيما وضعت له ، وانبعاثا الى استعمالها .



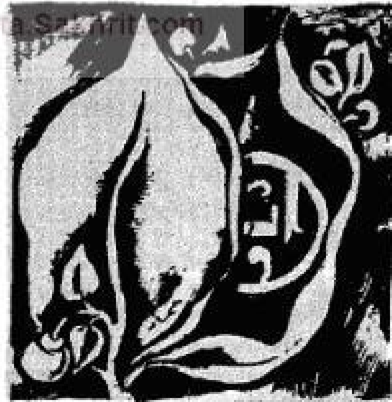
خاتمة

في ذكر تطبيقات موضوعية لمزيد من ايضاح القواعد السابقة

ذكرنا في صدر هذا البحث أن المتحمين على تفسير القرآن بغير علم ورسوم وضوابط معينة ثلاث طوائف : الباطنية القدماء ، والمتصوفة من اتباع مذهب ابن عربي ، ومن حام حولهم ، ثم في عصرنا هذا طائفة القائلين بما يسمى التفسير العلمي للقرآن .

ما يتعلق بالباطنية :

اما فيما يتعلق بالباطنية وهم بعض طوائف الشيعة الغالية فلهم في تاويل الفاظ القرآن على وفق خدمة مذهبهم غرائب لا يستسيغها عقل ، ولا تتسع لاحتمالها لغة ، واليكم من ذلك بعض الأمثلة : فقد قالوا في تفسير قوله تعالى : وورث سليمان داود « انه الامام ورث عن النبي علمه ،



وما أبعد المسافة بين الاصل وبين هذا التاويل ! وجهة الخطأ فيه برده الى القواعد السابقة هو ان « سليمان » اسم من قبيل اللفظ الخاص الموضوع لمعنى واحد لا يحتمل غيره كما بينا - لا حقيقة ، ولا مجازا ، لان المجاز لا يكون في الاعلام بوجه عام .

وقالوا في « الجنابة » ، انها مبادرة المستجيب بافشاء السر اليه قبل ان ينال رتبة الاستحقاق ، وقد علمت مما سبق ان هذا مجاز غير صحيح لانه لم يشهد له من استعمال العرب شاهد - كما قالوا : ان معنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك وفيه من الخطأ ما في سابقه - كما قالوا : ان ذبح اسماعيل اخذ العهد عليه، وان عصا موسى حجته على المعاندين له ، وانفلاق البحر افتراق علم موسى في بني اسرائيل - وان المراد بتسبيح الجبال تسبيح رجال اشداء في الدين ، وأن المراد بالكعبة النبي ، والباب هو علي ، والصفا والمروة النبي ، وعلي ... الكثير من الامثلة التي يطول سردها ، وكلها من التاويلات التي - اذا عرضتها - على المقاييس التي ابتناها ظهر خطؤها ، وجهل المتكلمين بها .

ما يتعلق بمذهب ابن عربي والصوفية :

يذهب ابن عربي - الى القول ب « وحدة الوجود » - وذلك اصل مذهبه وهو مذهب شديد الغموض في نفسه وشديد الغموض على اذهان كثير من الناس حتى ان بعض الذين يلهجون به لا يفهمونه بمعناه الصحيح - وحاصل معناه كما يتبين من كتابه « فصوص الحكم » وغيره - هو القول ب « ان وجود الحق عين وجود الخلق » - وهذا معناه ان جميع الكائنات من الانسان، والنبات ، والجماد هي مظاهر لوجود الله - فلو استطعنا ان نتخيل استقلال الموجودات

القرآن الكريم

عن وجودها لقلنا ان الله هو وجودها القائم بها ، وليس له وجود مستقل عنها وان جميع الكائنات مظاهر له وهي بمنزلة الصور الحاصلة في المرآة وان الله بمنزلة المرآة التي لا يمكن ان توجد هذه الصور الا في وجودها . وأن حقيقة المرآة معدومة بغير قبولها لظهور هذه الصورة فالمرآة بالصور والصور بالمرآة .

هذه النظرية الاجنبية عن فكر الاسلام المضادة لدلائل الكتاب والسنة هي التي يتخذها ابن عربي أساسا لتفسيره القرآن فيأتي بأسوأ ضروب التاويل وابعدها عن مقتضيات اللغة والعقل معا - انظر الى تفسيره في قوله - تعالى - « الا تعبدوا الا الله » - قال في تفسيره « حكم بالعلم الازلي ان العبادة في اي معبود كانت - لا تكون الا اياه - لا الى غيره في الحقيقة ، وان كان الى غيره صورة ، فكانت العبادة في صورة الاصنام الى الله - تعالى - حقيقة ، والى الاصنام صورة بالنص الالهي - ولعلك تلاحظ انه ليس في سوء التاويل ما هو اشد من هذا التاويل .

وانظر ثانيا الى تفسيره لقوله - تعالى - « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات » : انه يفسر المغفرة بستر وجود العبد ، بوجود الرب ويفسر الوالدين بمن كان نتيجة بينهما - وهما العقل ، والطبيعة ، ويفسر المؤمنين بالعقول ، والمؤمنات بالنفوس : و « لمن دخل بيتي » - يفسر البيت بالقلب ، ومن دخله بالاخبارات الالهية ، وهي ما حدثت انفسها .

وفي تفسيره لقوله : « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » : يقول : فوجودنا وجوده ، ونحن مفتقرون اليه من حيث وجوده ، وهو مفتقر



الينا من حيث ظهوره لنفسه ، فانت غذاؤه بالاحكام . وهو غذاؤك بالوجود فتعين عليه ما تعين عليك ، والامر منه اليك ومنك اليه غير انك تسمى مكلفا ، وما كلفك الا بما نظرت اليه » - ومن هذا القبيل من فساد التاويل للقرآن الخارج عن قوانين العربية تفاريق كثيرة يفيض بها كتابه « فصوص الحكم » الذي نقلنا عنه الامثلة السابقة .

ما يتعلق بمذهب اصحاب التفسير العلمي للقرآن :

اما فيما يتعلق باتجاه اصحاب هذا المذهب - فانهم قوم يظنون او يجدون في العمل على هذا الظن ما يكسبهم مكانة علمية - انهم اذا فسروا من آيات القرآن ما يعرض لوصف مظاهر الطبيعة في سياق ضرب المثل وتعداد النعم بالنظريات العلمية الحديثة المشوقة لتطلعات العامة فان ذلك يزيد جهة من اعجاز القرآن ، وانضواء العقول تحت لوائه ، ولهم في ذلك تاويلات

ولسنا نكتفي بذكر مثلين منها .

احدهما : ما قاله لي احدهم في تأويل قوله - تعالى - « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون » : ان المراد ب « الدابة » آلة التلغراف - فهذه هي الدابة التي توجد آخر الزمان لتكلم الناس - وهذا التأويل في زعم هذا القائل كاشف عن وجه من وجوه اعجاز القرآن .

وبالرجوع الى تحكيم القواعد التي اثبتناها تتبين ان صاحب هذا التأويل اعتبر اللفظ المؤول - وهو لفظ الدابة مجازا عن آلة « التلغراف » - وهو مجاز خطأ - لما تقرر :

اولا : ان اللفظ - اذا كان حقيقة فلا يصح حمله على جهة المجاز - الا اذا وجد له شاهد من كلام العرب مستعملا مجازا - وفيما يتعلق بهذا المجاز المذكور فمن المستحيل ان نجد له من كلام العرب شاهدا من المجاز .

وثانيا : ان هذا مجاز علاقته المشابهة - كقولهم : « رايت اسدا يرمي » - وشرط صحة هذا المجاز - كما قلنا - ان يكون اللفظ المجازي مستعملا في لازم المعنى المدلول للفظ الحقيقي - والدابة ليس من لوازم مسماها الحقيقي « المتكلم » على قياس « الشجاع » اللازم لمسمى « اسد » - فلا يصح اذن أن يطلق لفظ الدابة على شيء متكلم - وهو « التلغراف » بل أن هذا المجاز المدعى - وهو استعمال « الدابة » في « التلغراف » المتكلم مضاد لاصل هذا المجاز لاستعمال هذا اللفظ بعينه مجازا في الانسان العاجز عن البيان والفصاحة عند العرب اذ يقولون عن الانسان الفدم الغبي مجازا انه دابة من حيث كان من لوازم مسمى الدابة العجمة والعجز عن النطق ،

فانظر كيف جاء هؤلاء بنقيض ماكانت تتجوز فيه العرب .

وثانيهما : ما جاء على لسان احدهم من ان المراد بالسماء المذكورة في القرآن هو « الغلاف الجوي » المحيط بالارض .

وجهة الخطأ في هذا التاويل بالرجوع الى الضوابط السابقة المذكورة في قسم « الحقيقة » ان نقول : ان لفظ السماء هو من باب « الخاص » - أي اللفظ الموضوع بوضع خاص فيلزم مسماه على جهة القطع - كما قلنا ولا يحتمل دلالته على غيره ، ومن الثابت المقطوع به في استعمال القرآن وشعر العرب ونثرها في جاهليتها واسلامها ومن نصوص جميع كتب اللغة ، أن السماء لفظ وضعته العرب لهذه القبة الزرقاء المزينة بالشمس والكواكب والنجوم - فتعين الا تخرج دلالة اللفظ عنها الى معنى غيرها كالغلاف الجوي المدعى - لانها اذا دلت على الغلاف الجوي وهي من قبيل الموضوع الخاص - امتنع ان تدل على القبة الزرقاء المزينة بالكواكب . فيلزم من ذلك بطلان استعمال القرآن والعرب لهذا اللفظ « السماء » - في القبة الزرقاء المزينة بالكواكب - وهو - كما ترى - من ابطل الباطل ، فتعين امتناع اطلاق لفظ السماء على « الغلاف الجوي » ولزم اختصاص اطلاقها بالمعنى الذي اطبقت عليه استعمالات اللغة قاطبة - وهو القبة الزرقاء المزينة بالكواكب والنجوم .

ثم نقول : ان اطلاق لفظ « السماء » على « الغلاف الجوي » - لم يكن من معهود العرب في استعمالاتهم للفظ السماء ولم يكن يخطر ببالهم قط ان يكون معنى « السماء » هو شيء يقال له الغلاف الجوي وقد قررنا في القواعد السابقة - ان ما لم يكن معهودا للعرب من المعاني التي

القرآن الكريم



يستعملون ألفاظهم في الدلالة عليها فلا يجوز أن يحمل عليها كلامهم ولا الكلام المستعمل في خطابهم - لأن وظيفة التخاطب هي الفهم والإفهام ، فاذا خوطب العرب من جهة القرآن بمعان يجهلونها فقد بطلت وظيفة الخطاب اليهم من الفهم والإفهام - وهو ممتنع .

ان كل المعارف ، والنظريات العلمية التي يضيفها أصحاب هذا المذهب الى القرآن مردودة ما لم يكن استخراجها من ألفاظ القرآن خاضعا للضوابط التي قررناها

وفي ذلك يقول الامام « الشاطبي » : كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به ، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل » .

اما بعد ، لقد وضعنا في ايديكم لاول مرة - باستخراج هذه الضوابط - أمضى الأسلحة لحماية القرآن من الهاجمين على تفسيره بغير علم وتوقير ، وأصبح في امكانكم بتحكيمها في مادة التفسير ان تعرفوا بالضبط المعاني التي تتسع لها ألفاظ القرآن والمعاني المعتزاة التي ينبذها نبذا .

والله ولي التوفيق ..

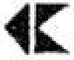
● أم في التسعين من عمرها :

جاء في نشرة التاريخ العمومي الفرنسية التي صدرت في سنة ١٧٤٢ - ١٧٤٣ على عهد الملك لويس الخامس عشر ان بولاخيشي التي كانت تقطن في شارع اللؤلؤ في باريس وضعت طفلا ذكرا في اول ديسمبر ١٧٤٢ وهي في التسعين من عمرها !

... واخرى تلد في الثانية والثمانين

يروى جان - باتيست تافرنييه الرحالة الفرنسي المعروف ، في القرن التاسع عشر في كتابه « رحلات في الهند » .. انه تعرف الى امرأة في شمال الهند وضعت طفلها الأول وهي في الثانية والثمانين ! ..





في اليمن اكتشفوا هذه الأسرار عن:

حملة نابليون على مصر

مصطفى نبيل

● فجأة .. تعثر على جزء من التاريخ ، فلا تملك سوى ان تحتفي به ، عندما تجد بين صفحاته اجابة عن العديد من القضايا التي تثور بين حين وآخر ، وهذه الأحداث التاريخية توجه لاولئك الذين انتعش لديهم الحس الاقليمي ، والذين يتشدقون ليل نهار بحسابات الربح والخسارة ، وهم - في الواقع - لايرون سوى ما تحت اقدامهم !

يتناول مخطوط قديم مرحلة تاريخية هامة عندما قدم أبناء الأمة العربية كل ما يقدرون في لحظة الخطر حفاظا على القلب العربي ، دفاعاً عن مصر في مواجهة



حملة نابليون على مصر

غزوة بونابرت ـ او (الطامة الكبرى) كما ذكر المخطوط ، فقد قاد نابليون عسكره مع احلام امبراطورية واسعة تبدأ بمصر وتمتد الى الهند ..

وكانت ـ وما زالت ـ مصر هدفا لكل من داعبت احلامه تحقيق (السيطرة العالمية) ، من الاسكندر الاكبر وحتى (السلام البريطاني) ! الذى سعت لتحقيقه الامبراطورية البريطانيه ، وخلال كل هذه المراحل كان يعمل القانون والذى يقول ان الاستيلاء على المنطقة العربية يبدأ بالاستيلاء على مصر ، وقد اعلن ذلك نابليون في كلمات لا تنقصها الصراحة : (ان المجد يصنع بالاستيلاء على الشرق ، ومن يرغب فى الاستيلاء على الشرق لابد له من الاستيلاء على مصر ، فمصر هي مفتاح العالم ..) ، ولم تكن هذه الكلمات اللورد كرومر وقدم بها كتابه عن مصر بعد ان حفظها عن ظهر قلب .. !

***

وزائر اليمن لا يفوته ان يشعر بسطوة التاريخ ، يراه فى ازقتها وفى طراز عمارتها وداخل بيوتها ، فما زالت المدن اليمنية مشاهد تاريخية حية ، ومازالت حافلةبالمخطوطات ، وكان اليمن وخاصة الشمال بعيدا اكثر من غيره عن تناول المستشرقين ، وبقيت فيه اطنان من المخطوطات ما زالت تنتظر الجمع والتصنيف والتحقيق .

هذه الصفحة المطوية من التاريخ قدمها الاستاذ المصرى الدكتور مصطفى سالم الذى يعمل فى مركز الدراسات اليمنى ، بعد ان عثر فى جامع صنعاء الكبير على مخطوط لاحد مؤرخى اليمن وهو لطف الله جحاف ، وعنوان المخطوط : « درر نحور العين فى سيرة الامام المنصور على واعلامه الميامين) ، وعكف الدكتور سالم على تحقيقه وتقديمه ..

وكان هذا المخطوط بمثابة اكتشاف جديد ، فهو يتناول صدى الحملة الفرنسية فى الجزيرة العربيه ، مع تركيز خاص على اليمن والحجاز حيث عاش وتنقل لطف الله جحاف ، ويتناول فى روايته مبادرة ابناء الحجاز بتشكيل قوة مسلحة تقاتل الى جوار شعب مصر ، وينقل صورة فياضة بالمشاعر ، عندما دعا محمد الجيلانى الى الجهاد واخذ يخطب فى الناس مستثيرا هممهم ، وكيف تبرعت النسوة بحليهن بعد ان استمعن الى كلماته الملتهبة ؟ حتى تمكن من جمع قدر كبير من المال والمتطوعين ، ثم يروى لطف الله جحاف كيف اخذ المجاهدون زوارق متهالكة قديمة عبرت بهم البحر الاحمر الى صعيد مصر ، وهناك دارت المعارك بينهم وبين الفرنسيين داعمين المقاومة المصرية ، وتدحر هذه المقاومة امام السلاح الفرنسى المتقدم ، ويقتل قائد الحمله ، وتتفرق فلول قواته فى العديد من القرى المصرية ..

وقد عرفنا جميعا قصة سليمان الحلبى الذى انتقم من الاحتلال بقتله كليبر خليفة نابليون فى قيادة الحملة ، وكيف اظهر الحلبى شجاعة خارقة اثناء محاكمته ، وكيف تقبل الموت برضى المجاهد ، ولكننا لم نعرف بالقدر ذاته الجيلانى قائد متطوعى الحجاز الذى قدم من الاراضى العربية لكى يموت على ارض الكنانة .

وربما يقال ان شيخ المؤرخين

عبد الرحمن الجبرتي (١٧٥٤ - ١٨٢٥) قد ذكر الجيلاني في سفره العظيم (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) فتجد بين صفحاته أخبارا متناثرة عن الجيلاني وفلول قواته التي وصل بعض افرادها الى القاهرة ، ولكنك لن تجد قصة الجيلاني كاملة الا عند لطف الله جحاف ، ولعل ذلك يبين ثغرة في التاريخ العربي تحتاج الى جهود المؤرخين ، فاذا جمعت اقوال المؤرخين العرب المتناثرة في العواصم العربية المختلفة حول الحملة الفرنسية لامكن سد هذه الثغرة .

ان القيام بذلك سيضع امامنا حقائق وابعادا جديدة ..

وبقربنا خطوة نحو وحدة التاريخ العربي ؟ ويعالج قصور بعض فصول التاريخ لان اغلب وقائعه تدور في العواصم العربية ، ويندر ان تتناول ما يقع خارجها !

وأي قصة يمكن كتابتها لو جمعنا أثر الحملة الفرنسية في كافة ارجاء العالم العربي ؟ .

واي قصة سنحصل عليها لو وضع ما كتبه الجبرتي مؤرخ القاهرة الى جانب البديري الحلاق مؤرخ دمشق الى جانب لطف الله جحاف المؤرخ الصنعاني ، وكل منهم قدم سردا تفصيليا للوقائع التي شهدتها مدينته ..

كان الجبرتي رغم اهمية مؤلفه وعمق نظرته ، لا يعدو مؤرخا قاهريا لم يتمكن من متابعة احداث الحملة في صعيد مصر الا من خلال ما تناقله الرواة والوافدون او من خلال المنشورات التي كان الفرنسيون يلصقونها على ابواب الحارات ، وهنا نجد لطف الله جحاف يكمل الصورة ويضيف اليها العديد من التفاصيل .

يضيف لطف الله جحاف الى ما هو معروف عن الحملة الفرنسية ، فيقدم ما هو متداول عن هذه الحملة في اليمن ، وينقل كيف اهتزت الجزيرة العربية بانباء هذا الغزو نتيجة عمق الشعور الديني وعمق الاحساس بالانتماء الى امة

● المخطوطات في اليمن تنتظر الجمع والتصنيف

نابليون بونابرت





• المؤرخون العرب.. ووحدة التاريخ العربي

حملة نابليون على مصر

واحدة ...

وعكس المخطوط هذا الاهتمام باخبار (ديار مصر طهرها الله من الدنس) ، واخذ يبث بين كلماته روح الحماس والدعوة الى الجهاد .

وكان لقرب جحاف من الحكام فى صنعاء ما مكنه من متابعة الاخبار ، وان ينقل تفاصيل الوقائع ما خفى منها وما ظهر ، وان يحصل على نصوص المراسلات المتبادلة بين امام اليمن وباقى حكام العالم العربى والاسلامى حول فاجعة غزو بونابرت لمصر .

ومن ناحية اخرى تنقل لطف الله جحاف بين اليمن والحجاز عقب انتهاء الحملة ، وجمع هناك تفاصيل احداث الحملة من مكة والمدينة ، ودون هذه التفاصيل كما سمعها موزعة على الايام كما درج عليه مؤرخو ذلك الزمان ، بعد ان حقق بعضها وقدم لنا كل ما وقعت عليه يداه ..

هذا رغم ان المؤرخ اليمنى قد كرس مخطوطه لتاريخ اليمن فى عهد الامام المنصور على بن المهدى العباس «١٧٧٥ — ١٨٠٩م » ،وكان الاطار العام لتفكيره تغلب عليه الصبغة الدينية السائدة فى عصره .

وقد كانت الاوضاع فى الجزيرة العربية خلال الحملة الفرنسية على النحو التالى:

اليمن يحكمها الامام المنصور ، والحجاز يحكمها الشريف غالب بن مساعد، وقد تاثر كلا الرجلين باحداث الحملة ، وتقرب الى الامام المنصور شريف مكه ، واتى المنصور رسول انجلترا للتفاوض فيما يتعلق بمصالحها فى اليمن وفى جنوب البحر الاحمر ! .

اما شريف مكة غالب بن مساعد « توفى ١٢٣١ هـ — ١٨١٦ م) فقد كانت اوضاعه تختلف من اوضاع امام اليمن ، فقد كان تابعا للدولة العثمانية ، وعرف عنه حينذاك فقره المادى وضعفه السياسى والعسكرى ، لذلك عاش الحجاز اغلب فترات تاريخه فى العصور الوسطى اوضاعا سياسية خاصة، فقد تداول حكمه جماعة الاشراف ، وكان هؤلاء يربطون انفسهم بالدولة الاقوى فى العالم الاسلامى وخاصة بالقاهرة حتى يوفروا لانفسهم الحماية والعون . لذلك نجد (الشريف غالب) حريصا على تنفيذ مخططات الدوله العثمانية ، ويقوم بدور الوساطة بينها وبين الحكام العرب والمسلمين كما فعل مع امام اليمن .

وفى نفس الوقت كان يلمس مدى ضعف الدولة العثمانية ، ومدى عجزها عن حماية ولاياتها ، ويخشى ان تمتد يد بونابرت الى بلاده ، لذلك سارع بالكتابة اليه ومداهنته حتى يامن جانبه ! ..

اخبار الحملة

وقبل استعراض ما جاء على لسان جحاف ، يجدر بنا ان نتوقف — ولو قليلا — عند احداث الحملة الفرنسية ، التى



وقعت على مصر ما بين ١٧٩٨ – ١٨٠١ م ، والتى وصلت اصداؤها الى كل مكان ، والتى كانت علامة هامة فى تاريخ مصر والشرق العربي ، والتى كانت احدى مراحل التاريخ النـــادرة ، القصيرة والمكثفة .

فقد كانت أولى الصدمات العسكرية والحضارية التى وفدت من اوروبا بعد الثورة الفرنسية ، وبعد أن سبق وصدت مصر الصليبيين ، وكانت فرنسا على راس الحروب الصليبية ، وهى التى وجهت هذه الحرب ضد مصر ، وحاولت غزوها مرتين فاشلتين ، وعادت فى عهد لويس الرابع عشر والخـامس عشر والسادس عشر ! ، ومنذ خضوع الشرق للدولة العثمانية ..

وهذه الحملة لدى الدكتـور لويس عوض هى التى ادت (الى تصدع حضارة العصور الوسطى وتشققت اطرها المتحجرة تشقق البيضة لتخرج من قشرتهاشرنقة العنقاء الجديدة ..) وعند البعض الاخر: هى بداية ازمة ثقافية حادة ما زلنا نعانى من ويلاتها حتى الان ، فقد ارتبطت لديهم عملية التحديث بالغزو الاستعمارى وبناء الامبراطوريات ، مما أضاف مصاعب جمة الى عمليات التحديث ، وارتبطت منذ هذا التاريخ صدمة العصرية بالغـــــزو الاستعمارى .

ولا باس من العودة للجبرتى نسترجع كلماته التى كتبها فى سنة وصول الحملة ١٢١٣ هـ – ١٧٩٨ م ، وتظهرفى كلماتهعمق بصيرته وحيرته بين ما جاء به الفرنسيون من علوم وفنون وبين كونهم غزاة استباحوا وطنه ! يقول عن سنة وصول الحملة الى مصر : (أولى سنى الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمه ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الامور ، وتوالى المحن ، واختلاف الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقـلاب الموضوع ، وتتابع الاهوال ، واختـلاف الاحوال ، وفساد التدبير ، وحصـول التدمير ، وعموم الخـــراب ، وتواتر الاســباب ، وما كان ربك مهلك القرى واهلها مصلحون ..) .

بهذه الـــكلمات بدا سرد احداث الحملة ...

اما بونابرت فيقول فى مذكراته التى كتبها فى ١٦ اغسطس ١٧٩٧ عن دوافع حملته : (ان المواقع التى نحتلها على شواطىء البحر الابيض المتوسط ، تجعل لنا السيادة على هذا البحر ، واذا كانت انجلترا تنازعنا طريق راس الرجاء الصالح فلنتجاوز عنه ، ولنحتل مصر فسيكون لنا فيها الطريق الموصل الى الهند ..) .

ومن يقلب فى صفحات الحملة يتوقف عند خدعة كثيرا ما تكرر ، وهى التزلف لمعتقدات الاهالى ، ويدهشك ان نابليون يبتدا حديثه الى المصريين باسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك ، ويشيدبالاسلام . وتستمر هذه النغمة فى كل بياناته ، ولاول مرة يأتى فاتح اجنبى يحـدث المصريين عن عراقة تاريخهم وعن عظمة بلادهم وعن سماحة دينهم ...

بل واخذ يحضر بنفسه الاحتفـالات الدينية مثل المولد النبوى ويصـبر على حفلات الذكر الطويله حتى نهايتهـا ، كما اعلن انه جاء لتخليص المصريين من ظلم المماليك ، وانه حصل على موافقـة السلطان العثمانى ، وانه رسول الثورة الفرنسية الداعية الى الحرية والاخاء



حملة نابليون على مصر

والمساواة ، وانه جاء لتحريرهم .!

ولكن محاولات التودد هذه ، لم تنفعه كثيرا مع الاهالى . فسلوك رجال الحملة لا يتمشى مع العادات والتقاليد المرعية ، وكانت هذه احدى المرات القليلة التي تقف فيها العادات وانماط حياة الاهالى ، وتساعد على التمييز بين القول والفعل ، ونشبت ثورة القاهرة الاولى والثانية ، وبدات من ساحات الازهر الشريف ، بعد وصول الحملة بوقت قصير .

وانتشرت الدعوة الى الجهاد فى انحاء مختلفة من الوطن العربى ..

وقد راسل بونابرت بعض الحكام العرب ومنهم امام مسقط وكل من حاكم درنة وطرابلس محاولا كسبهم الى صفه وذهبت محاولاته ادراج الرياح ، وقاوم اهل الشام الحملة التى قادها بونابرت فى عام ١٧٩٩ م .

هذه هى وقائع الحملة التى تناولها لطف الله جحاف ..

وكان اهم مانقله الدكتور سالم من كتاب جحاف هو مجموعة الخطابات المتبادلة بين بعض الحكام العرب والمسلمين بشأن الحملة الفرنسية والحاجة الى الدفاع عن البلاد ، فلقد اثاروا روح الاخوة الاسلامية ودعوا الى مواجهة « الفرنسيس » ، فى الوقت الذى اطلق فيه السلطان العثمانى نداء الجهاد ..

ونجد اخبار الحملة متناثرة مع غيرها من الاحداث ، يقول : " ذكرت عدة حوادث من التهايم والجبال والحجاز والحرمين والعراقين ومصر والشام والروم والسند والهند والغرب بعد الفحص والتفتيش »

ويضيف : « هذا مختصر لطيف ، ومؤلف نحيف ، لم يسألنى احد ان اضعه ، ولا عول على فرد من الناس ان اجمعه ، واثبت فيه ما يستحق الاثبات من سطور .. »

واورد لطف الله جحاف خطابات السلطنة العثمانية الى كل من شريف مكة وامام اليمن ، تطالبهما بضرورة التعاون مع قوات روسيا وانجلترا لانهما حليفتان للسلطان »

وكانت هذه مؤشرات الدخول الاستعمارى من خلال الدول العثمانية وضعفها . وبدا الخطأ الفادح الا وهو مقاومة طرف استعمارى عن طريق التحالف او الاستسلام لطرف اخر .!

وبقى ان نثبت صفحات من مخطوط جحاف وما تضمنه من رد الفعل فى الحجاز واليمن :

« ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين والف « ١٧٩٨ م » : وفيها قام فى البلدة الحرام ، بوظيفة الدعاء الى اقامة شعار سنام الاسلام ، محمد المغربى الجيلانى الهاشمى لما وردت الاعلام بما صنعه الكفرة اللئام ، من الهجوم على ساحات مصر ، وتصدر بالحرم الشريف ، فالتف عليه خلائق ، واستمدوا ارشاده الى انهج الطرائق ، وفعل دعاه بالقلوب ما فعل ، وتسامع الناس باخباره فوردوا اليه ، وبذلوا نفوسهم واموالهم بين يديه ، وكانت النساء تاتى فتسمع ما يمليه من احاديث الحض على الجهاد ، فيلقين الى الحلقة فتخاتمهن — خاتم فى اليد او خلخال فى القدم — وعقودهن وملبوسهن ، ويقلن ذلك الذى علينا ، فاجتمعت عنده اموال واسعة ، ووردت اليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار بهم لمناجزة اعداء الله

واسعة .

كان السيد محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين الى فريضة الجهاد فممن اعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي ، فانه تصدق في سبيل الله بخمسمائة بندق صفار مغربية ومائتي حربة من حراب الشام ، ومائتي سيف ، واربعمائة كيس من حبوب الرز والفي نعل ينتعلها فقراء المجاهدين ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن العسيري بمهمات جهز بها ثلاث سواع ـ سفن صغيرة ، يركبها المجاهدون وملأها لهم بمرة ، ومنهم الشيخ احمد فاس جهز دواوين في سبيل الله ، ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواع في سبيل الله ، ومن اهل ينبع محمد أبو العسل جهز داوا من داواته وثلاث سواع أخرى من اهل ينبع فسير السيد محمد الجيلاني جماعة متطوعة من جدة وتلك الداوات فكانوا نحوا من اربعة الاف مقاتل ثم سار نحو المدينة المنورة فمر باهل رابغ والخليص والواديان بين مكة والمدينة » فدعاهم فاجابوا وبذلوا اموالا واسعة . وسار الى بدر فاتالوه وخرج منهم جماعة متطوعة ، وكان له وكلاء يجمعون الاموال معه ، ثم نزل بالصفرا ـ ناحية في المدينة ـ فدرس بها ، ودعا الى الجهاد فجاءوه باموال واسعة ، وسار الى المدينة فتسلم من أهلها اموالا جزيلة وخرج منهم ثلاثمائة متطوعة ، فنزل الجميع الى ينبع ، وجاء الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد سيرت مراكبهم ، فحمد الله ، وسار بمن معه وكان السابقون من مكة قد خرجوا من ريف مصر وعليهم السيد حسن الجيلاني ابن أخت السيد محمد ، والسيد طاهر اخو السيد محمد ، فنزلوا بقنا ، فقيل لهم ان الفرنسيس بمدينة سمهود قريبا منكم فخرجوا نحو الفرنسيس فاقتتلوا فكانت الدائرة ذلك اليوم على المسلمين ، ففروا الى قنا ، فحوصروا بها فخرجوا منها الى الريف ، وسار بعضهم الى القيطة

● الجبرتي لم يتابع أحداث حملة الصعيد

وورد على المسلمين خبر نزول الجيلاني من البحر ، فالتقاه جماعة منهم فطلبهم جميعا وسار بهم حتى حاذى مدينة ابنود . »

ويستمر جحاف ويسرد انباء المعارك التى دارت في صعيد مصر ، والتى لم يكن للمجاهدين معرفة بفنونها الحديثة ولا عتادها العسكرى ، ويصل الى نهاية الفصل التاريخى بقوله .. « انفصم عقد نظام المتطوعة ، وذهب الناس ارسالا لا امير لهم ، منهم الذاهب الى مصر ، والذاهب الى الشام ، والعائد الى الحرمين .. »

واخيرا ..

لا يقلل من اهمية مخطوط لطف الله جحاف تفسيره الساذج للاحداث ، فالاهمية ليست فيما يقيمه من تقديرات بل ما يسرده من احداث ، ومن تصورات اهل زمانه ، فالحملة الفرنسية عنده قد قامت بسبب خلاف احد التجار الفرنسيين مع حاكم مصر حينذاك والذى «اطلق فيه القول مهانا ، فراح عنها ووصل الى سلطان دياره بونابرته » ، وبعد رفض السلطان السماح للفرنسيين « بالخروج الى الاسكندرية ليعبروا منها الى بحر السويس لحاجات لهم بالهند ، فابى ذلك ولم يسعفهم الى ما هنالك .. »

وما كشف عنه هذا المخطوط من وقائع تاريخية ، يرجع الفضل فيه للدكتور مصطفى سالم الذى احب اليمن وعكف على تاريخها ، واخضع كل ما جاء في المخطوط لمعايير البحث العلمي ●●

القطار الذى أحرقه الثوار فى حى امبابة
.. يحرس بقاياه جندى بريطانى ...



٦٣ سنة بعد ثورة ١٩١٩

سعد زغلول لم يكن يتوقع الثورة

أحمد أبو كف

في مثل هذا الشهر - مارس - منذ ٦٣ عاما ، قامت ثورة ١٩١٩ .
الشعب في مصر كلها قام بالثورة ، في المدن والقرى .. داخل اطار سيمفونية متصاعدة ، قلبت كل الموازين ، حتى موازين الذين توقعوا نشوبها ، أو الذين لم يتوقعوها .

ان ثورة ١٩١٩ - كما يجمع المؤرخون - امتداد لتراث طويل من النضال المصري .. ضد التحكم والسيطرة والفساد والاقطاع منذ عهد الخديو توفيق .. هذا التراث يبدأ مع عام ١٨٨١ ، مع ثورة أحمد عرابي المفترى عليه ..

كانت الثورة العرابية ثورة شعب مصري على الفساد والاحتلال . كما كانت ثورة ١٩١٩ تستهدف تحقيق الاستقلال التام ، واقامة الحياة النيابية الدستورية .



٦٣ سنة بعد ثورة ١٩١٩



ثورة ١٩١٩ لم تنشب فى مصر فقط فى تلك الفترة ، وانما امتدت شظاياها الى كثير من البلدان العربية التى كانت واقعة فى ذلك الوقت تحت نير الاحتلال والسيطرة البريطانية . بل ان شظايا ثورة ١٩١٩ امتدت حتى الى الهند ، وفى احدى مراحلها الهمت الزعيم الهندى ، المهاتما غاندى تلك المقاومة السلبية والسلمية الرائعة التى استمرت فى الهند حتى حصلت على استقلالها .

لقد لعبت ثورة ١٩١٩ دورا بارزا فى الاستهانة بقوة الانجليز وجحافل المستعمرين وصلفهم وقسوتهم . وفى ذلك يقول طاهر العمرى فى كتابه « تاريخ مقدرات العراق السياسية » : « ان انباء ثورة ١٩١٩ جعلت عزائم اهل العراق تشتد ، واخذوا يستهينون بالانجليز وبمقدرتهم الحربية »

ان ثورة ١٩١٩ بهذا المنظور كانت اولى الثورات بعد الحرب العالمية الاولى . وهى بذلك اجرا الثورات فى التاريخ الحديث . لقد قامت الثورة ، ولم يكن قد مضى على الهدنة سوى بضعة اشهر . انها ثورة تحدت اعظم قوة عالمية فى ذروة انتصارها .

ايضا فان ثورة ١٩١٩ كانت ثورة كاملة . اشتركت فيها كل طوائف الشعب قامت اولا فى المدينة تقودها الطبقة الواعية من المثقفين والعمال والموظفين والطلبة والتجار ، والازهر ، ورجال الدين المسيحى . ثم انتقلت اخبارها بسرعة الى القرى ، فاستجابت هى الاخرى للثورة . واشتركت فيها وعبرت عنها تعبيرا عمليا ، فقامت بقطع أسلاك البرق ، وقلع قضبان السكك الحديدية .

ونتيجة لذلك .. فلقد حققت ثورة ١٩١٩ بعض اغراضها . فالمكاسب التى نتجت عنها كانت رائعة مثل الدستور والحكم النيابى . ورغم ان ذلك لم يكن مكتملا ، فان العتب لا يأتى من الثورة العارمة .. وانما من المسئولين ، او من بعض قادتها الذين تفرغوا للتناحر الحزبى ، مع ماخلف ذلك من مغريات وجهود القوى المضادة للثورة ، والتى ليس لها مصالح من قيامها .

● حق تقرير المصير ●

اذن فالثورة لم تكن متوقعة .. حتى من زعيمها نفسه الذى كان منفيا الى مالطة .. فما هى الارهاصات ، او الاسباب التى ادت الى قيامها ؟!

يقول عباس العقاد فى كتابه عن سعد زغلول : « كان سعد يرى أن الثورة عمل شاق فى بلد أعزل ، موهن بالاعباء ، مشحون بالجند والسلاح والارصاد ، وأن ما يفجرها هو شعور الناس بالاختناق والتماسهم النفسى للجهر بآرائهم »

لكن السؤال يظل مطروحا : ما هى



الطلبة والطالبات .. في جميع المدارس .. يطالبون بجلاء الانجليز من مصر

العوامل التي تجمعت وادت الى قيام ثورة ١٩١٩ ؟

كانت صورة مصر قبيل قيام الثورة ، تنذر بهبوب عاصفة ..

فهناك كانت محاولات فصل السودان وسلخه ، واستئثار انجلترا بحكمه . كذلك كانت تلك الاجراءات التي اتخذتها بريطانيا لالغاء الجيش المصري ، والبحرية المصرية ، وتجريد البلاد من كل قوة حربية . ايضا فان اعلان الحماية البريطانية على مصر في ديسمبر ١٩١٤ ، قد جعل من الاحتلال مقرونا بالحماية .. مما جعل عبد الرحمن الرافعي يقول : أن ثورة ١٩١٩ هي ثورة على الاحتلال والحماية ، وهي وثبة على نظام الحكم أنذئ تفرع عنهما ، وعلى النيات العدائية التي كانت تبيتها السياسة الاستعمارية حيال مصر . كما أنها ثورة على المظالم التي عاناها الشعب من السلطة العسكرية البريطانية طيلة سنوات الحرب .

ولا شك أيضا فان تجنيد العمال والفلاحين في فترة الحرب ، أو ما سماه بعض المؤرخين « مظالم التطوع الاجباري » .. نقول ان ما لاقاه الفلاحون والعمال من عسف وجور وسوء معاملة . كان هذا أيضا من مسببات الثورة . فقد عاد العمال والفلاحون بعد الحرب ، وكانت رواياتهم عن القسوة التي عوملوا بها .. من أكبر الدعايات ضد البريطانيين . ويضاف الى ذلك مصادرات الارزاق ، والحاصلات الزراعية والمواشي .. كل ذلك كان من مسببات الثورة .



الصدام بين الوطنيين وبين القـــوات البريطانية بدأ منذ الايام الاولى للثورة .. وسقط فيه الشهداء والشهيدات .



ويقلق ذلك كله تلك الصـدمات التى اصيبت بها الشعوب المستعمرة ، ومنها مصر .. خاصة بعد خطب الرئيس الامريكى ويلسون ، الذى نادى بالعدل ، وحرية الشعوب والاعتراف بحق تقرير مصيرها . كذلك فان وعود البريطانيين انفسهم خلال سنوات الحرب .. كل ذلك كان من اسباب الثورة .

● ربما تكون محسوبة ●

وينبغى هنا أن نلقى بعض الاضواء على حياة زعيم الثورة سعد زغلول ، فان فى هذه الاضواء اقترابا اكبر حول مسببات ثورة ١٩١٩ .

فلا شك أن ثـورة ١٩١٩ كانت ذات هدفين رئيسيين : ضد الانجليز ، ونظام الحكم فى وقت واحد . بمعنى انها كانت ضد السلطة الشرعية ممثلة فى السلطان ، وكان مطلب الدستور والحياة النيـابية موجها لهـذا السـلطان . اما السـلطة الفعلية فكانت ممثلة فى الانجليز . وكان مطلب الاستقلال موجها فى الاساس ضدهم ، ويعبر عن نفسه بشعار « الجلاء » .



من أعظم ما حدث فى الثورة .. قيام السيدات والبنات بمظاهرتين هزتا قلاع البريطانيين

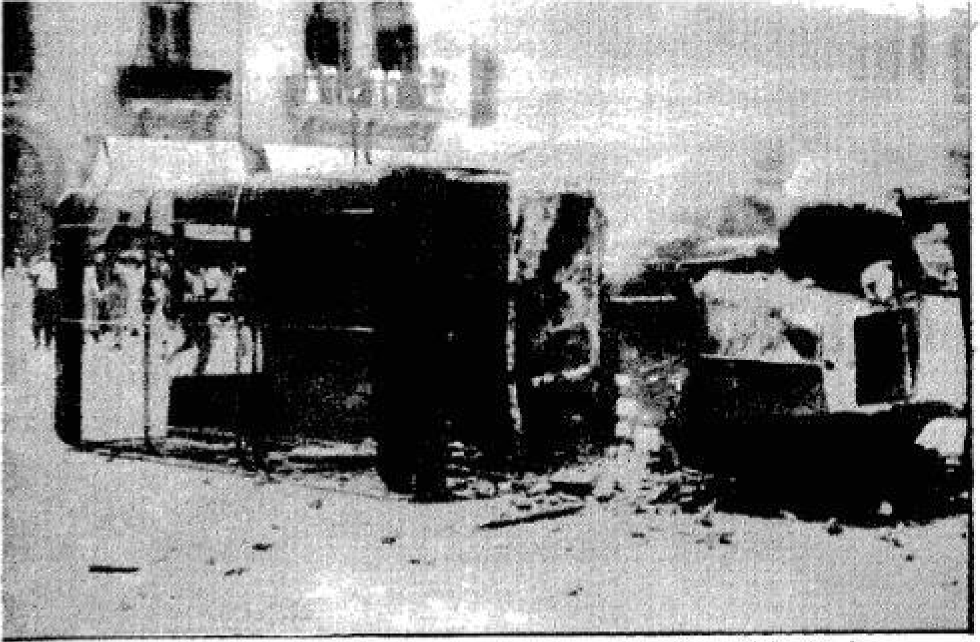
كان سعد زغلول رمزا لثورة ١٩١٩ . وسعد تلميذ للاستاذ الامام محمد عبده .. وقد وصل الى ان اصبح عميدا للحزب المدنى للاستاذ الامام كما يقول الشيخ رشيد رضا فى الجزء الاول من « تاريخ الاستاذ الامام » .

ادرك سعد الثورة العرابية فى بداية حياته وهو شاب فى العشرينات ، ثم امتد ليصبح زعيم الامة فى ثورة ١٩١٩ ، وهو يحمل رسالة عرابى « مصر للمصريين »

وسعد من مواليد ١٨٥٧ فى قرية ابيانه بالغربية . وقريته كما يقول العقاد بعيدة عن العواصم ، حيث تستقر سطوة الحكام وغير بعيدة عن آثار عسفهم وفسادهم وأسرته من طبقة ليست من الثراء بحيث تنعزل عن مطالعة شقاء المجتمع ، ولا من البؤس بحيث تنكسر أمام الظلم .

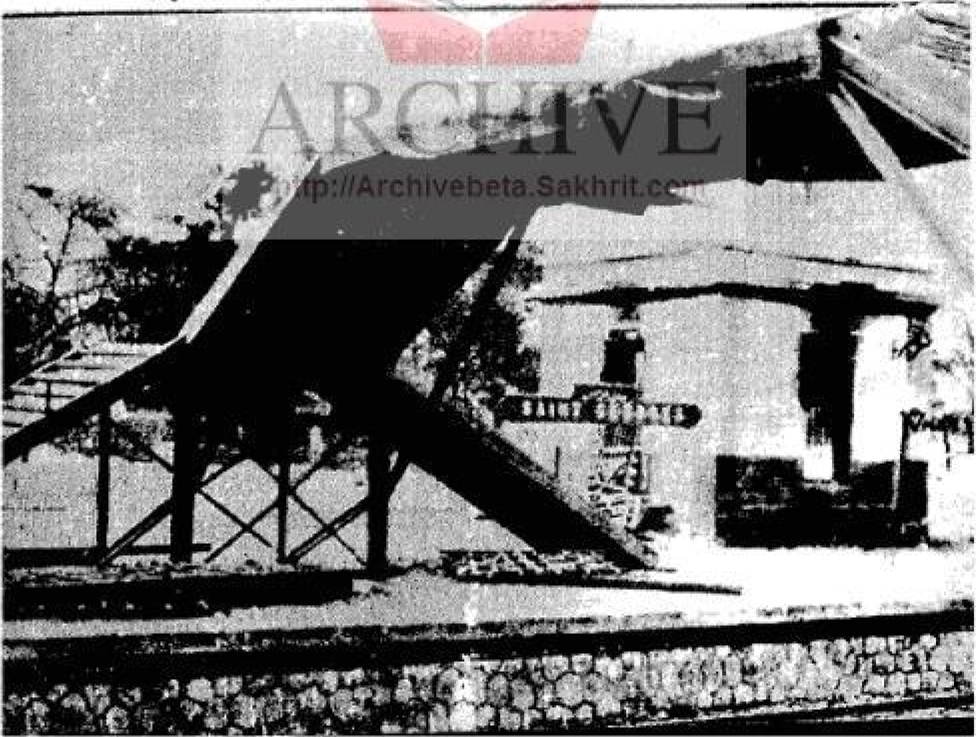
فى عام ١٨٧١ جاء سعد الى القاهرة . ووافق مجيئه وصـــول الافغانى ، وقد تحسس سعد طريقه الى جماعة الافغانى ومحمد عبده .. وتفاءل به جمال الدين الافغانى ، وتنبأ له بمستقبل كبير وعريض

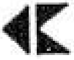
والواقع أن سعدا بدأ نجمه يلمع حتى من قبل عام ١٩٠٦ .. وهو عام حادث دنشواى المشئوم . وهـــو الحادث الذى خفق به قلب مصر ، كما قال قاسم امين. وفى هــذا الحادث ، واجه الاســـتعمار البريطانى اول ريح عاصفة لزعزعة اركانه



▲ في القاهرة اشتدت الصراعات بين الثوار وجنود الاستعمار وهذه بقايا معـــركة في شارع البورصة بالقاهرة . ســـيارتان بريطانيتان احرقهما الثوار

▼ محطة مار جرجس بمصر القديمة .. هجم الثوار عليها ودمروها واحرقوها





٦٣ سنة بعد ثورة ١٩١٩

امتدت شظاياها ثورة ١٩١٩ حتى الى الهند

في مصر . وهنا حاول كرومر ـ بسبب حادث دنشواي ـ أن يميل مع العاصفة قليلا .. فكان اختيار سعد وزيرا للمعارف . والسبب كما يقول « زيتلاند » في ترجمته عن كرومر ، ان سعدا في تلك الفترة ، كان معروفا بنزعته الوطنية . ولهذا كان تعيينه ذرا للرماد في العيون ، وارضاء للوطنيين .. لما عرف عن سعد من معارضته للحكومة وسياسة الانجليز في مصر .. حتى ان احمد شفيق في كتابه « مذكراتي في نصف قرن » يصف تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف ، بانه كان لتقوية مركز كرومر بعد دنشواي .

والحقيقة أن اختيار سعد وزيرا للمعارف كان لتراث طويل بناه سعد حجرا حجرا داخل اطار الحياة المصرية .. ثم استمر فيه بعد ذلك بخطى ثابتة ووئيدة وربما تكون محسوبة .

ان سعدا يذكر له ـ كما يقول احمد شفيق ـ بانه صاحب أول بيان انتخابي في تاريخ الحياة النيابية المصرية ، حين رشح نفسه في انتخابات الجمعية التشريعية .. وقد حورب سعد من كثير من الجهات التي كان يقودها بضراوة اللورد كتشنر .

كان بيان سعد من خمس نقاط ، اثنتان تتعلقان بنشاطه في اصلاح قوانين المحاكم والتعليم، وواحدة تتعلق بحرية الصحافة وضماناتها . كما مس الاوضاع الطبقية مسا خفيفا بالنسبة لتوسيع نطاق التعليم ، « ليتيسر لابناء الفقراء كي ينبغوا كابناء الاغنياء» .. وأيضا بالنسبة لاحتياجات المزارعين فقد مسها مسا خفيفا ، بمطالبته بتسهيل الري والنقل، ودراسة اسعار القطن .

وسعد يذكر له في هذا الاطار مبارزاته مع دنلوب في تمصير التعليم . كما يذكر له ايضا انه كان الاب الروحي لانشاء الجامعة المصرية الاهلية .

ولا شك أن هذا كله كان يؤهله للزعامة. والدليل على ذلك أنه في انتخابات الجمعية الوطنية أيدته الاحزاب الثلاثة الموجودة في ذلك الوقت ، وفاز بثقة الناخبين من الاهالي وأفراد الشعب في دائرتين بالقاهرة . ومن الثابت أن محمد فريد زعيم الحزب الوطني في منفاه أرسل لرجال الحزب يطلب اليهم الاجتهاد في ادخال سعد لجنة الحزب الادارية ، وانتخابه أيضا وكيلا للحزب .



● وبدأ الاحتجاج الصامت ●

ما زال السؤال مطروحا : كيف قامت الثورة ؟

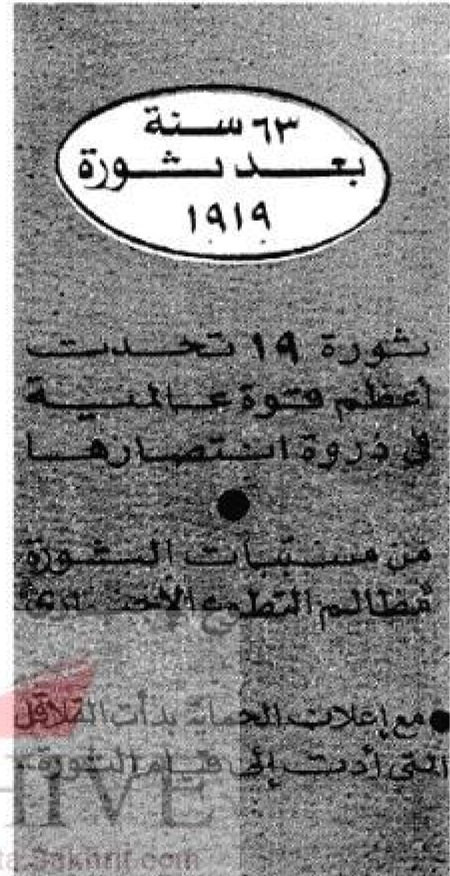
الحقيقة ان سياسة الوفاق ، استطاعت أن تدق اسفين الصراع المكشوف بين سعد وفي جانبه الامة ، وبين الانجليز. وقد جاء اعلان الحماية البريطانية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ليصل بالصراع الى ذروته . فاذا كانت سياسة الوفاق قد قاربت بين هدف الثورة وبين القوى الوطنية ، فقد عجلت الحماية الى التحامهما معا .

لقد حلت الحماية السافرة محل الحماية المقنعة التي فرضتها انجلترا على مصر منذ عام ١٨٨٢ بدعوى أن تركيا انضمت الى أعداء انجلترا في الحرب ..

وفي اليوم التالي لاعلان الحماية ، خلعت بريطانيا الخديو عباس ، وولت مكانه السلطان حسين كامل في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . واصبح هذا مؤشرا على ان الانجليز اعتقدوا ان من حقهم اللعب بمصر كيفما شاءوا ..

ومع مجيء السير هنري مكماهون اول مندوب سامي بريطاني في ظل الحماية على مصر .. بدأ العمل . اعلنت الاحكام العرفية على البلاد ، وجرى تأجيل اجتماعات الجمعية التشريعية .. حتى ان أمين الرافعي أغلق جريدة «الشعب» في ٢٧ نوفمبر حتى لا ينشر اعلان الحماية على مصر ..

والواقع انه منذ اعلان الحماية وقد بدأت القلاقل التي ادت الى قيام الثورة. فقد عملت السلطات البريطانية على تعقب واضطهاد المناضلين السياسيين .. وبدأ الاحتجاج الصامت للمصريين .. كما بدأ العمل ، حيث وقع اعتداء على السلطان حسين كامل مرتين . وحدث اعتداء بخنجر



ان نجاح سعد في انتخابات الجمعية التشريعية والتي عطلتها سلطات الاحتلال في اكتوبر ١٩١٤ ، وان التقاء التيارات السياسية حوله .. جعله قادرا على ضم الصفوف وربط الجماهير به .. مما دفع الى تبلور دوره السياسي المتجه لحركة الجماهير من فوق منبر الجمعية التشريعية والتي استطاع هو ان يكون وكيلها المنتخب



الهلال والصليب تعانقا فى ثورة ١٩١٩ .. والصورة للقمص سرجيوس والشيخ القيانى بعد الافراج عنهما

على وزير الاوقاف ابراهيم فتحى باشا وفى هذه الفترة تغير المندوب السامى البريطانى حيث عين ريجنالد وينجت بدلا من مكماهون فى نوفمبر ١٩١٦ . وارتقى السلطان فؤاد العرش فى ٩ اكتوبر ١٩١٧ .

غداة اعلان انتهاء الحرب فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ .. كان تكوين الوفد المصرى ..

وذهب سعد مع زملائه الى ريجنالد وينجت بايعاز من حسين رشدى باشا رئيس الوزراء وبوساطته ، كما يقول عبد الرحمن الرافعى .

طلب سعد من وينجت التصريح له بالسفر مع عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى الى بريطانيا للمباحثة فى شان استقلال مصر ، باسم المبادىء الحرةالتى نادت بها بريطانيا غداة الحرب . وحين وجد سعد الصد من وينجت قال له قولته المشهورة : « لا نلتجىء هنا لسواك ، ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية » . قال له سعد ذلك ليطمئنه، لان سعدا كان ينوى عرض القضية المصرية على الراى العام البريطانى ، ويامل فى ان حزب العمال البريطانى سيؤيد مطالب مصر ، كما يامل اثارة قضية مصر فى مؤتمر السلام ، لاحراج بريطانيا والضغط عليها للجلاء عن مصر .

وقد رفض وينجت .. وقال لهم انهم ليسوا نوابا عن الشعب .. ومن هنا نشات قضية التوكيلات .. والتى كان لها صدى كبير فى تعريف الشعب بالقضية والحماس لسعد وزملائه . وبدات خطب سعد ضد الاحتلال ، الذى اعلن ان الحماية امر باطل بطلانا اصليا امام

سياسة الوفاق اشعلت الصراع المكشوف بين سعد والانجليز



سعد زغلول فى شبابه

القانون الدولي ، وشــدد حملته على الانجليز .. مما ادى بالجنرال واطسون الى توجيه انذار اليه والى زملائه فى ٦ مارس ١٩١٩ ، وكان هــذا الانذار من الاسباب المباشرة للثورة . فقد نفذ الانذار وتم اعتقال سعد وزملائه وهم : محمــد محمود ، واسماعيل صدقى ، وحمــد الباسل فى ثكنات قصر النيل فى ٧ مارس، ثم رحلوا الى بورسعيد فى اليوم التالي، ومنها نفوا الى جزيرة مالطة .. وقــد كان هذا هو الشرارة المباشرة للثورة التى انفجرت فى ٩ مارس ١٩١٩ .

● الازهر معقل الثورة ●

لم يكد يترامى نبأ القبض على سعد وصحبه ، حتى بدأ الغضب فى القاهرة، وسرى منها الى الاقاليم . وقــد بدأت الثورة بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة يوم الاحد ٩ مارس . وكان طلبة مدرسة الحقوق اول المضربين ، اجتمعوا فى فناء المدرسة بالجـيزة ، ثم توجهـوا الى مدرسـة المهندسخانة ، وبعـدها الى مدرسة الزراعة .

ثم وصل المضربون الى مدرسة الطب بشارع قصر العينى ، فخرج طلبتها معهم، ثم الى مدرسة التجارة بشارع المبتديان، ثم الى ميدان السيدة زينب ، فشارع الخليــج المصرى الى باب الخلق ، وفى طريقهم انضم اليهم طلبة مدرسة التجارة المتوسطة ، ودار العـلوم ، ومدرسـة القضاء الشرعى ، والالهامية الثانوية ..

وفى يوم ١٠ مارس اضربت كل المدارس وبدات المظاهرات الطلابية التى انضـم اليها افراد الشعب ، ومروا بدور المعتمدين السياسيين هاتفين بحياة مصر ، ومنادين بسقوط الحماية .. وقد بدات حوادث الصدام مع الجنود البريطانيين منذ ١٦ مارس ، خاصة فى باب الحديد .

وبجانب الطلبة بدا اضراب الطوائف فاضرب المحامون فى ١١ مارس ، وكان هذا بداية الدعوة للطوائف الى الاضراب العام، فاضرب المحامون الشرعيون ، وعمال عنابر السكك الحديدية فى ١٥ مارس ثم عمال الترام ..

وبعدها انتقلت الثورة الى الاقاليم ، لقد تنـافس الريف والحضر فى رفع لواء الثورة والجهاد . وكان دور الازهر عظيما ، فكان فى مقدمة صفوف المتظاهرين، وكانت الاضرابات تبـدأ من الازهـر . بالاضافة الى ان الاجتماعات العامة كانت تعقد فيه لسماع الخطب الحماسية ضد الاحتلال من المسلمين والمسيحيين .

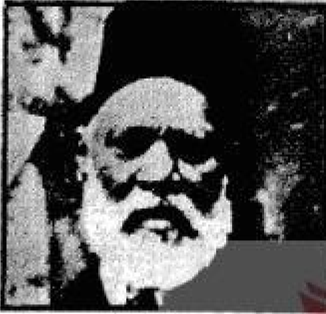
● نشاط الجهاز السرى ●

ظلت الثورة مستشرية فى انحاء مصر وسعد وزملاؤه فى منفاهم ..




سعد زغلول يدافع عن قضية مصر فى بريطانيا


محمد فريد فى شبابه


أحمد عرابى

وقد ارسلت بريطانيا اللورد اللنبى الى مصر ليحل محل سلفه وينجت . وفى اليوم التالى لوصوله فى ٢٥ ابريل ١٩١٩ عقد اجتماعا لبحث اسباب الثورة . والنتيجة هو لتهدئة الحال ، أن يفرج عن سعد وزملائه فى ٧ ابريل ١٩١٩ .

لكن سعدا لم يرجع الى مصر .. فقد كانت القضية فى نظرهم فى بريطانيا .

والحقيقة ان بريطانيا افرجت عن سعد وزملائه .. بعد أن اعدت عدتها فى مؤتمر الصلح رفض مطالب مصر ، بل حتى مجرد رفض سماع هذه المطالب . وكانت بريطانيا متاكدة من ان مؤتمر الصلح ، سيقر الحماية البريطانية على مصر .

ففى ١١ ابريل ١٩١٩ سافر بعض اعضاء الوفد المصرى الى مالطة لينضموا لسعد وزملائه الثلاثة وابحروا الى باريس لعرض القضية . وعندما لمسوا اعراض مؤتمر السلام والرئيس ولسون عن مناصرة مصر ، واعترفوا بالحماية البريطانية عليها ، حدث اول شقاق . فقد ادى ذلك الى جنوح بعض رجال الوفد الذين يمثلون كبار ملاك الاراضى ، الى مهادنة الانجليز ، والتمهيد لتسوية الخلاف معهم ..

لكن سعدا ظل متشددا ، اعتمادا على الجماهير الثائرة فى مصر ، ويدير المعركة من باريس ضد الانجليز ، وضد من تخلوا عن الثورة من زملائه ، حتى أن جورج لويد المندوب السامى البريطانى فى كتابه « مصر بعد كرومر » قال أن اعراض الجماعة الدولية عن مناصرة مصر ، لم ينجح الا فى اقناع سعد ، بان المعركة الحقيقية تجرى فى الارض المصرية لا فى



عباس العقاد .. كتب عن سعد زغلول



عبد الرحمن الرافعى .. ارخ للثورة

غيرها . وقد استغل سعد فرصة وجوده فى الخارج ووجود جماعة المنشقين معه بعيدا عن مصر ، فى أن يحكم اتصالهبمصر الثائرة عن طريق عبد الرحمن الرافعى

ولا شك أن عبد الرحمن فهمى كان من الأسماء التى برزت فى ثورة ١٩١٩ . بل ان البعض يرى أن عبد الرحمن فهمى كان هو منظم الجهاز السرى الذى حرك الجماهير نحو الثورة فى عام ١٩١٩ .

وقد حدث خلاف حول دور عبدالرحمن فهمى ، وحول الجهاز السرى ..

ان د. أنيس فى « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » .. يرى أن ثورة مارس هى التى جعلت من سعد رمزا للثورة ، لانه احس بقوة الشعب ، أو بقدرته على الثورة ، وبمعنى اخر فان ثورة الجماهير فى مارس هى التى خلقت امكانية تشكيل الجهاز السرى ، وأن سعدا التقطه وجعله امتدادا لجمعية الانتقام» التىكان سعد نفسه عضوا فيها فى اوائل عهد الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٣

ونحن نرى انه حتى الان ، لم تكتب الكلمة الاخيرة بالنسبة للجهاز السرى ، الذى ادى دورا فى تحريك الجماهير الثائرة، خاصة وان تيار الاغتيالات الذى برز بعد ذلك ، كما يرى د. أنيس ، هو تيار راديكالى فوضوى ، يرجع اساسا الى الحزب الوطنى الملتحم بالوفد فى ١٩١٩.. بافكاره وحتى باشخاصه مثل : محمود اسماعيل ، وشفيق منصور ، وأولاد عنايت . ان هذا التيار بدا اصلا عام ١٩١٠ حين مقتل بطرس غالى باشا ، وفى عشرات الحوادث قبل قيام الثورة .. وربما ان الجهاز السرى بدا النشاط قبل الثورة ، واستمر فى أثنائها وبعدها .

والحقيقة انه رغم ما قيل عن ثورة ١٩١٩ ، وهى ثورة ثرية باجتهاداتها ، فانها بلا شك قد حققت انجازات كبيرة على المستوى العربى ، وعلى المستوى المصرى . ان أروع انجازاتها بلا شك يتمثل فى وحدة عنصرى الامة بالتفافها وراء الوفد ، ومقاطعة لجنة ملنر .. التى مكثت فى مصر حوالى ثلاثة اشهر وعادت الى البلاد فى ٦ مارس ١٩٢٠ دون ان تحقق شيئا ورفضت مصر مشروعها .

ورغم ما كان من عيوب دستور ١٩٢٣، فقد كان بلا شك مكسبا لمصر لا يصح الاستهانة به. كذلك كان الغاء الحماية على مصر فى ١٩٢٢ رغم التحفظات الاربعة كان مكسبا سياسيا . ثم ان تاسيس بنك مصر كمؤسسة تجمع الراسمالية فى مواجهة الاحتكارات الاجنبية يعتبر مكسبا اقتصاديا .. ولا شك أيضا فان اشتراك المراة بمظاهرتين فى ثورة ١٩١٩ (١٦و٢٠ مارس) كان خطوة كبيرة فى سبيل تحرير المراة فى المجتمع المصرى .

صياغة عصرية لقصة كتبها ابن سينا

سعد رضوان



يقول مثل عربى ـ ((خلاص سلامان ، وهـــلاك ابسال)) ـ والقصة التى اقدمها اليوم مستوحاة من قصة بنفس هذا الاسم لابن سينا الطبيب والفيلسوف والعالم المشهور الذى ولد سنة ٩٨٠ م وتـــوفى سنة ١٠٣٧ ..

ولابن سينا قصتان ، احداهما مشـــهورة وهى قصة ((حى بن يقظان)) التى اعاد كتابتها ((ابن طفيل)) واشتهرت باسمه ، وهى قصة فلسفية تدور حـول الطفل ((حى)) الذى وجد فى جـزيرة ليس بها بشر وأرضعته غزالة ، ولكنه استطاع بعقله ان يصل الى حقائق الحياة وبديهياتها ..

اما القصة الثانية لابن سينا فهى التى كتبت عنها قصتى هذه ...



اغلق ابسال باب الحجرة خلفه ، فوجد نفسه غارقا فى الظلام ، وتوقف قليلا حتى تعتاد عيناه عتمة الحجرة ، فقـد كانت الاضـاءة شديدة بالخارج ، ولا عجب فقد كان القصر موقدا كله ، وامتلأ بالمدعوين لحفل زفافه الكبير ..

وقبل ان تعتاد عينا ابسال على الظـلام فوجىء بعروسه تهجم عليه وتحتضنه وتقبله وتكتم انفاسه .. وبلغ من قوة هجومها عليه ، وعدم استعداده للمفاجأة انه اندفع الى الخلف والتصق ظهره بالباب ! ..

وقالت العروس ، وهى لاتزال تحتضنه ، وقبل ان تعود الى تقبيله :

ـ حبيبى .. أخيرا .. انت لى !

وكانت مفاجاة عجيبة ...

ان ابسال لم يسمع فى حياته بان عروسا بكرا صـغيرة السن ، واميرة ، تربت تربية فاضلة ، تفعل مثل هذا بعريسـها فى ليلتهما الاولى ... بل حتى ولو كانت العروس غير فاضـلة ، او على علاقة سابقة بعريسها ، فانه لايمكن ان يصدر منها هـذا التصرف العجيب بمجرد دخوله الحجرة ! ...



فى اى قرن يعيش ابسال ؟ .. انه يعيش فى القرن العاشر وليس فى القرن العشرين ، الذى من الممكن ان يحصل فيه مثل هذا التصرف !

صياغة عصرية لقصة كتبها



ودفعها ابسال بغضب ، ولكنها لم تتركه ، بل عاودت الهجوم عليه ، تحتضنه وتناجيه : « حبيبى .. انت لى ! »

وكانت المفاجاة الثانية ، حين دفعها من جديد بقسوة لتسقط على الارض .. كانت عارية .. احس ذلك بيديه . وفى سقطتها تلك ، لم تبك او تصرخ ، بل ضحكت بهستيرية وقالت : « حبيبى ... لقد تاكدت الان انك لاتحب عروسك .. لانك لى ! .. » ماذا ؟! .. هذا الصوت ، ليست عروسه .. نعم ، انه قد تكلم مع عروسه من قبل ، وصوت هذه المراة قريب من صوت عروسه ، ولكنه ايضا يشبه صوتا آخر يعرفه جيدا .. غير معقول ! .. غير معقول هذا الذى يدور بعقله .. لايمكن أن تكون الاخرى ! .. المفروض ان عروسه فى هذه الحجرة تنتظره .. والمفروض ان المشاعل المعلقة فى جوانب الحجرة الاربع ، موقدة ... ولكنه لايدرى من الذى اطفاها . و .. ترى هل اخطا المكان ، ودخل حجرة اخرى بالقصر ؟ .. ربما شرب كثيرا ، ولكنه لايحس باختلاط او اهتزاز فى عقله ...

وفى هذه اللحظة ، صدر صوت قوى من السماء . كان صوت الرعد ، لقد ابرقت السماء فجاة ، وسمع صوت سقوط الامطار الشديدة و ...

وعلى ضوء البرق رأى ابسال كل شيء ، كل شيء ... لم تكن المراة العارية الجالسة على الارض والتى تتعلق الان بقدميه ، هى ...

يا للداهية ! .. انها زوجة اخيه ... زوجة اخيه ، وليست عروسه وصرخ :

ـ انت .. ماذا تفعلين هنا ؟!

ـ انت لى .. انا احبك !

ـ اخرجى .. اخرجى !

ـ لن اخرج ... انا اعرف انك تحبنى ، ولكنك تهرب منى لانى زوجة اخيك ..

ـ اخرجى !

ـ لاتخف ، لقد دبرت كل شيء ... لقد زوجتك اختى حتى لايشك احد فى علاقتنا !

ـ اخرجى !

ـ هاها .. تظن انى ساتركك تفلت منى ... ام تعتقد ان اختى لك ... ان اختى لاتحبك . انها تحب سانيم ضابط الحرس ، وهو يحبها ، ولكن اخاك الملك سلامان رفض زواجهما لان الرجل ليس من اصل ملكى مثلنا ، دمه احمر ، وليس دما ملكيا ازرقا . ولكنها تحبه ولن ترضى بغيره ...

ـ قلت اخرجى يامجنونة ، والا قتلتك .

كان يصرخ فيها بغضب ، ولكن بصوت مكتوم وهو يضغط اسنانه بشدة ، ويمسك اعصابه حتى لايسمع صوته خارج الحجرة . وفى نفسه احس انه يريد قتلها ،يريد فضحها ، يريد ان يسمع الجميع زعيقه ، ولكنه يحكم عقله ، وقد تمالك نفسه قليلا وخرج من اللحظة الحرجة لحدة المفاجاة ... كان يعلم ان فضحها او ايذاءها امام الجميع سيكون قتلا وايذاء لاخيه الملك سلامان الذى يحب زوجته . وهو لايريد ان يقتل اخاه .



ولكن هذه المرأة المجنونة التي استمرت في كلامها ، دون ان يؤثر فيها تهديده :

ـ اسمع يا ابسال ... انا احببتك ، وقررت انك لي . ولن اسمح لامرأة اخرى ان تاخذك منك ، اتفهم ...

ـ اخرجي !

ـ لقد اتفقت مع اختي على ان ازوجك منهـا حتى يكون لك حق الدخول عندي والبقاء معي في اي وقت ، دون ان يشك احد في علاقتنا فانت زوج اختي .. اتفقت معها على هذا ، وعلى ان تترك لي الفراش ، وهي الان مع الرجل الذي تحبه . في فراشه ، هاها ... وانا هنا ، انا هنا لك ياحبيبي ...

ولي نفس الصوت المكتوم ، وبقسوة بالغة دفعها بعيـدا عن قدميه اللتين كانت مازالت متشبثة بهما ، ثم صفعها وهو يقول :

ـ البسي ملابسك ، واخرجي حالا !

وقامت المرأة الى ملابسها ، واخذت تلبس بسرعة وهي تصرخ فيه :

ـ ساريك يامجرم ، سانتقم منك ... لن تفلت مني !

ولم يهتم بها ، كان كل همه ان تترك الحجرة وتبتعد عنه ...

وعاد بذاكرته الى ذلك اليوم المشئوم ، اليوم الذي ارادته فيه تلك المرأة لنفسها .

كان ابسال الاخ الاصغر للملك سلامان الذي ورث العرش عن ابيه .. وكان سلامان من الناس الطيبين والملوك العظام فهو لم يفعل باخيه مايفعله ملوك عصره ... ففي ذلك العصر ، القرن التاسع والعاشر ، منذ الف عام ، لم يكن الملوك يسمحون بان يكون لهم اخوة ، صغارا او كبارا ... لان هذا يتنافى مع التقاليد الملكية ، ويغري بالعرش ... فعندما يموت ملك ، ويرث ابنه الاكبر ، او ابنه المختار الملك ، فان اول مايفعله الملك الجديد هو ان يقتل جميع اخوته واولادهم . صغارهم وكبارهم ...

وحين مات الملك الكبير والد ابسال ، كان ابسال في العاشرة من عمره ، وكانت له مربية عجوز احتضنته ، وهو عائد من جنازة والده ، واخذت تربت عليه وتطبطب وهي تقول :

ـ مسكين يا ابني .. مسكين .. انت تبكي والدك ، وانا ابكي عليك ... يارب لاتجعلهم يقتلونه ... انه صغير ، وانا احبه كابني ، ساموت لو قتلوك ، المجرمين ...

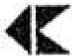
وسالها الطفل ابسال الذي نسي في تلك اللحظة حزنه على ابوه ، ولم يدرك عقله ماترمي اليه مربيته : « من هم المجرمين يا امي ... » كان يناديها بامه لانه لم ير امه الحقيقية التي ماتت بعد مولده بقليل ...

واجابت المربية :

ـ اخوك .. اخوك سلامان لابد سيقتلك !

ـ اخي .. يقتلني .. لماذا ؟!

ـ هذه تقاليد الملوك يابني .. ابوك حين جلس على العرش قتل اخوته الصغار كلهم ... جدك فعل نفس الشيء مع اخوته ... كل الملوك قبلهم وقبلهم ... ان اى ملك يجلس على العرش يقتل كل اخوته واولادهم حتى لايوجد بينهم من يفكر في العرش ويتامر ضده لأي سبب ...



وخاف ابسال وارتمى في حضن مربيته وهو يبكي :

ـ امي ... لا اريد ان اموت .. انا لا اتآمر ضد اخي ؟! اني احبه ، لا اريد أن اموت !

ولم يمت ابسال ، فان اخاه سلامان حين تسلم الملك رفض نصيحة رئيس وزرائه ولم يقتل اخاه الصغير ، بل اعطاه قصرا وعين له حراسا ومدربين ومعلمين .

وكبر ابسال ... وفي يوم زاره اخوه الملك سلامان وزوجته التي ما ان رأت ابسال حتى صرخت : « غير معقول انك ابسال ... لقد كبرت واقتربت من الرجولة ... » .

ثم التفتت الى زوجها مكملة : « لماذا تتركه يعيش وحيدا في هذا القصر بعيدا عن اهله .. انقله ليعيش معنا ... »

ووافق سلامان ، ونقل اخاه ليعيش بالقصر الملكي ...

ولكن ابسال الذي فرح بهذه النقلة لم يلبث ان ادرك السر فيها حين فوجيء يوما بزوجة اخيه تظهر الود والحب ورغبتها فيه .. وصدها بشدة فضحكت :

ـ ستكون لي .. وسترى !

ولم تمض ايام حتى قال له اخوه الملك سلامان انه قرر ان يزوجه باخت زوجته الصغيرة ، ولما لم يكن متعلقا باية فتاة ، كما انه لايستطيع رفض امر لاخيه ، فقد قبل ...

واليوم ، يوم زفافه ، فماذا فعلت زوجة اخيه ... احتلت فراش





العروس .. يا للجريمة البشعة .. ولكنه لايستطيع ان يشى بها لاخيه فان صدمة مثل هذه ليست بالسهلة على رجل مثل سلامان الذى يحب زوجته ...

وفى الصباح التالى ، طلب ابسال من اخيه ان يسمح له بالسفر للتفرج على العالم فهذه امنيته ، ووافق الملك ...

وسافر ابسال ، وتجول فى العالم عدة سنين قبل ان يعود الى وطنه وقد اصابه الحنين اليه ، وظن ان زوجة اخيه قد نسيت نزوتها ...

وفى أول لقاء بينه وبينها ابتسمت المرأة وهى تقول :

ـ هاها ... اظن ان عقلك عاد اليك وعدت الى حبيبتك التى تنتظرك ! ..

ورغم انها قالت ذلك ببساطة تجعل السامع يظن انها تقصد اختها زوجته ، الا انه ادرك مغزى كلامها ، ولكنه لم يستطع الرد امام اخيه ...

ولكنها حين انفردت به وقالت بابتسامة ماكرة مكررة :

ـ اظن ياحبيبى ان عقلك عاد اليك !

فانه رد عليها : « انا لست حبيبك ، ولن اسمح لك ان تنالى غرضا منى » .

ـ ستندم !

ولم يجبها ، بل تركها وانصرف ...

وحقدت المرأة وقررت الانتقام .

وبعد عدة ايام وصل الى قصر سلامان من يخبره بموت اخيه ابسال ..

ـ ابسال مات ! .. كيف ؟!

ـ ان لونه ازرق ياسيدى ، يبدو انه قد شرب سما !

ـ سم ؟ .. عجيب !

وودع الملك سلامان الاخ العزيز الى مقره الاخير ، ثم نادى رئيس شرطته وامره بالتحقيق سرا فى سبب موت اخيه ...

ولم تمض أيام حتى انفرد رئيس الشرطة بسلامان الملك وابلغه باسف ان التحقيق اثبت ان الطاهى وضع السم فى طعام ابسال ، وان ... « وان ذلك كان بامر جلالة الملكة ! » .

ـ ماذا تقول .. بامر من ؟

ـ لقد اعترف الطاهى . وقال ان الملكة الهمته ان هذا امر جلالة الملك لان ابسال يطالب بنصيب فى العرش و ...

ـ انت مجنون ...

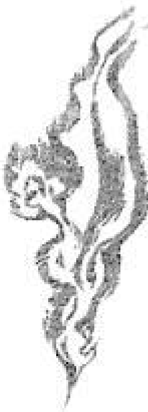
ـ لا يامولاى ، هذه هى الحقيقة ! ..

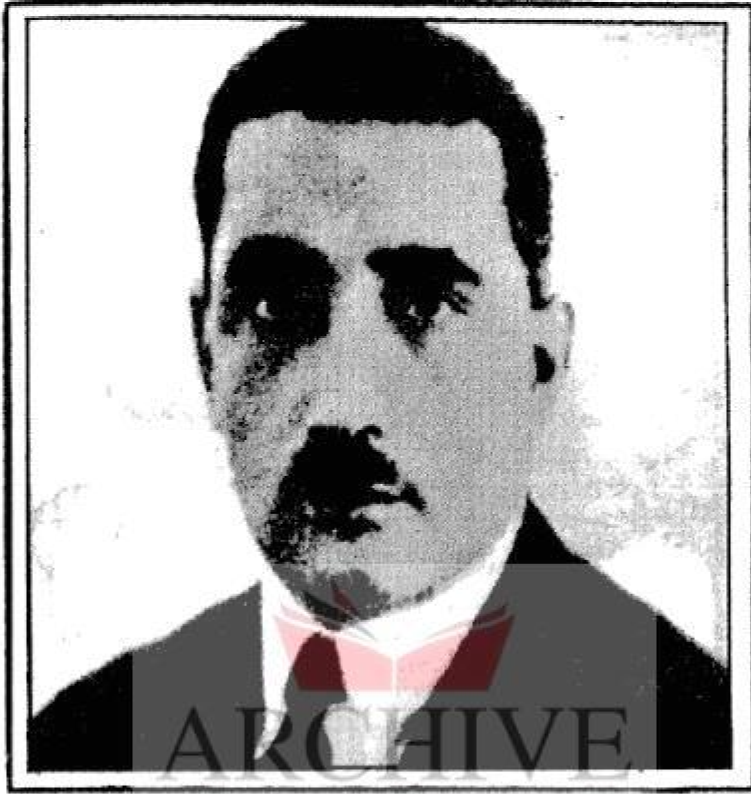
ـ الطابخ يكذب .

ـ لا اظن يامولاى ، لقد اعطته جلالتها هذا السوار الذهبى المرصع مكافأة له ..

وقدم السوار الى الملك ، كان السوار يخص الملكة فعلا ...

وحقق الملك فى الموضوع ، واكتشف حقيقة زوجته ، فامر بقتلها هى والطاهى بنفس السم الذى قتلا به شقيقه ابسال ...





فى صحبة سلامه موسى

نعمان عاشور

● أبرز ما كان يلفتني فيه، تفاؤله بأن كل شيء يسير إلى تحسن

قرات سلامه موسي لاول مرة عام ١٩٤٠ وانا طالب فى كلية الاداب اذ وقعت صدفة على عدد من « المجلة الجديده » التي كان يصدرها ويراس تحريرها .. ولكنى والحق يقال لم أتاثر بهـا لدرجة تدفعني الى متابعة الحرص على قراءتها وذلك لعدة اسباب . اهمها كان الاسلوب نفسه الذى يكتب به سلامه موسى .. لانه اسلوب لم يكن يجتذبنى وانا فى مثل هذه السن .. فقد كان يكتب بطريقة مبسطة ومباشرة ولا يعني كثيرا بما يمكن ان يجتذبنى من محسنات لفظية .. وانطلاقات عاطفية .. أسلوب تقريرى يميل الى المخاطبة المنطقية وليس فيه الا القليل من سبحات الخيال وقد سماه هو فيما بعد بالاسلوب « التلغرافى ».

ومع ذلك فقد بدا اهتمامي بسلامه موسى وشغفي بكتاباته حين اكتشفت بعضا من كتبه المطبوعه .. واذكر منها كتابه « العقل الباطن » ثم « مختارات سلامة موسى » من بعدها رحت اتابع الرجل فى اهتمام وحرص خاصة بعد ان تزايدت قراءاتى عن المذاهب الاشتراكيه واصحابها متاثرا بما كان يحيط الجو السياسى المتفتح فى سنوات بعد الحرب من تيارات فكرية .

وازدادت معرفتي بسلامة موسى بعد ذلك ... ولكن ليس عن طريق الكتب وانما عن طريق الندوات واللقاءات ... فقد تعودت ان احضر له العديد من المحاضرات والمناظرات التى كان يلقيها او يشترك فيها بجمعية « الشبان المسيحين » وهى جمعية ثقافية كان لها نشاطها الثقافى والترويحى وكانت ملتقى لكثير من الشباب المسلمين والمسيحيين على حد سواء . ولعل ابرز ماكان يستلفتنى فيه ، تفاؤله الذى لاحدود له بان كل شيء يسير الى تحسن ... وتواضعه الغريب فى التعامل مع الناس ، وحدبه على الشباب ... ذلك انه كان يعيش دواما بعقلية شاب متاجج الفكر ... وهذه الصفة لمستها اكثر مالمستها عنده فى آخر لقاء لى معه قبل وفاته بعام واحد فى عام ١٩٥٧ .

فى صحبة سلامه موسى

من هو ؟

ولكن من هو سلامة موسى ؟

سؤال لايجب ان يستغربه اغلب المثقفين الذين تاثروا بالرجل وكفاحه وتابعوا نشاطه وجهده على مدار الفترات التي عاشها من بداية القرن حتى وفاته ... فالرجل لم يكن صاحب صيت ذائع وشهرة مدوية ولكنه كان صاحب تاثير نفاذ بحياته وفكره وآرائه الهادئة والمتطرفة جميعا .

انك اذا قلت طه حسين والعقاد لما استعصى عليك ان تجد من محدثك مهما كانت ثقافته ، وحتى ولو كان من اجيالنا الجديدة التي لاتكاد تعرف عمن سبقنا شيئا . وستجد منه او لديه ولو فكرة عن مثل هذين العملاقين ... ولكنه - اذا حدثته عن سلامة موسى - لابد ان يلاحقك بهذا السؤال : من هو سلامة موسى ؟

فاذا انت حاولت الاجابة فلن تجد من واقع الاحداث المتتابعة التي عاشها الرجل مايجعل منه هذه الشخصية البارزة التي تحاول أن تعرفه بها ... لان الرجل عاش فى معظم فترات حياته مناوئا لكافة الاوضاع التي عاشها والشخصيات الذائعة التي عاصر اصحابها ، وكانه كان يحارب نفسه بنفسه ... أضف الى ذلك انه كان اذا قال رايا يظل متمسكا به حتى النهاية مهما كان تطرفه ويتحمل بكل اصرار وصبر مايلاقيه فى سبيله من أعنات وابعاد واستنكار .

وأنا لست مع الذين يقولون ان جانبا من معاناة سلامة موسى كان مصدره انه ينتمي الى الاقلية القبطية ، وانما الصحيح ان اراءه واتجاهاته كانت تجنح فى معظمها للتطرف الجارف والخروج على المألوف . اما من ناحية نزعته الطائفية فاشهد من لقاءاتي به وقراءاتي له وعنه ، بل ان مواقفه كلها من بدايتها ، لتشهد معي ان الرجل لم يكن يداخله اى تعصب بل العكس هو الصحيح تماما ... ومجلته « المستقبل » التي اصدرها فى العشرينات الاولى من القرن تنطق بدعواه الدائمة نحو نبذ التعصب وابعاد الدين عن الخلافات السياسية والمذهبيات الاجتماعية ، ومن باب أولى عن التطلعات الوطنية والقومية .

آراء سلامة موسى التي كان يطلقها ولا يخفيها هى السبب ... وكلها كانت فى المجالات العامة تحمل دعاوى خارجة فى كثير من جوانبها عما يمكن أن نسميه السائد المتعارف عليه . من ذلك مثلا اغراقه فى الدعوة الى « الفرعونية » ، ثم مناداته بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، ونظراته المتحررة فى معالجة الجنس . وأخيرا وليس آخرا تطرفه فى النظرة الاشتراكية ومعاداته لكل أنواع السلطة السياسية خاصة السلطة المتوارثة .

وفى هذا لم يكن سلامة موسى يعتبر نفسه سابقا لزمانه او مناديا بما لايتفق مع القيم والمثل والتقاليد التى يلتزم بها مجتمعه ... فقد كان يؤمن أن لابد من مثل هذه الطفرات فاذا لم يقبلها المجتمع الى نهايتها ، فسيهتز على الاقل بوجودها والدعوة اليها .

● كان يتحمل بصبر مايلاقى فى سبيل رأيه من استنكار

الحلول المبتكرة

لكن قد يكفى فى هذا المجال ان تسجل لسلامة موسى العديد من

الدعوات المقبولة المعقولة التي كان له شرف المبادرة في المناداة بها ... من ذلك مثلا ، مناداته بحتمية نشر الصناعة وتحويل المجتمع من الحياة الزراعية الى مجتمع شبه صناعي ... ثم دعوته الدائمة المستمرة لتحديد النسل وتحريم التدخين ... والاهتمام بالتربية المنزلية والتركيز على الرياضة وسلامة الاجسام ورعاية الطفولة . الى غيره من الدعوات التي اصبحت من أهم وابرز ما تنادي به اليوم ... والمثير حقا في سلامه موسى انه كان يلحق آراءه بحلول ابتكارية ، من ذلك مثلا .. مناداته بان اصلاح حال الفلاح المصري لن يأتي عن طريق تحديد الملكية الزراعية وحدها ، وانما سيتحقق اذا ما استطعنا ان نبني « مرحاضا » في كل بيوت القرية · ومراحيض صحية في الحقول ذاتها ، لان توفير الغذاء بدون توفير الصحة لايجدي ولا ينفع .

الانطوائية

كان الرجل ينادي بمثل هذه الاراء في ضجيج صارخ ... ولكنه لايحدث دويا ... ومرجع ذلك الى طبيعة سلامة موسى نفسه ، فقد كان رغم صراخه الداخلي المتأجج ، وكما وصف نفسه « انطوائيا » ولا يملك موهبة الظهور ، فهو رجل ساكن هادىء قانع ، يتحمل كل مايصيبه بصبر وتفاؤل ، ولكنه من داخليته يغلي حماسا لكل مايؤمن به ...

كان متوسط الحجم ، أقرب أن يكون قصيرا ، وجهه مستدير ، وعيناه تلمعان في بريق نفاذ يدل على الذكاء المتوقد ... بالغ الطيبة يفيض تواضعا ورقة وبساطته من بساطة طفل صغير يبتسم لكل الناس وهم يحملونه على اكتافهم ... قليل الكلف بلذائذ الحيـــاة ومتعها لايعتني كثيرا بمظهره ...

ذات مساء ، وفي الشرفة المطلة على الحديقة الخارجية لنادي الشبان المسيحيين ، جلست اليه مع جمع من الشباب وكان يتحدث عن حياته الخاصة · ورغم انني كنت اعرفه واستمعت اليه في اكثر من ندوة واكثر من محاضرة ، فقد حسبته في اول الامر من موظفي النادي ، لانه كان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة ، اتضح انها ورقة ليكتب فيها كل منهم رده على ماسيوجهه اليهم من اسئلة كشباب ، ليعطوها له في آخر الجلسة ... كان يقوم باجراء دراسة أو حصر ميداني لمشاكل الشباب ... وذلكم كان سلامة موسى في اهتماماته التربوية وحرصه على رعاية الشباب ...

فترات الكبت

في عام ١٩٤٦ وجدتني فجاة أجلس على أريكة في قاعة محـــكمة الاستئناف العليا في باب الخلق ، وبجواري المرحوم عصام حفني ناصف والاستاذ زكي عبد القادر ، وفي مواجهتنا على الاريكة المقابلة كان يجلس سلامة موسى ...

وكانت المناسبة حملة جائرة قام بهاصدقي باشا رئيس الوزراء حينذاك اغلق بمقتضـــاها اكثر من ثلاثين هيئة ونايا ثقافيا ، وعطل كافة الجرائد والمجلات غير الحكومية ، وامر بالقبض على مائتى كاتب وصحفي بتهمة محاولاتهم قلب نظام الحكم ...

كنا في انتظار ان تحقق النيابة معنا ... وكنا جميعا على ثقة باننا


اسماعيل صدقي


نجيب محفوظ

في صحبة سلامه موسى

سيفرج عنا مباشرة ، لان الحملة كان المقصود بها التبرير القانوني لاغلاق الصحف والاندية وارهاب الصحفيين والكتاب ... لكن سلامة موسى كان غاضبا وساخطا ، لان هذه لم تكن المرة الاولى التي يقبض فيها عليه بهذا الشكل . فمن قبلها بأربع سنوات أراد صدقي باشا ايضا ان يغلق له « المجلة الجديدة » ولم يجد في قانون الصحافة مايساعده على ذلك . فقبض عليه بنفس التهمة : محاولة قلب نظام الحكم ... واغلق مجلته الى الابد بعد ان ظلت تصدر اكثر من عشر سنوات ...

وطلب كل منا فنجانا من القهوة ، واختار سلامة موسى أن يشرب كوبا من الليمون الى أن يأتي دورنا في تحقيقات النيابة ... وانطلق الرجل يحدثنا عن بعض ذكرياته ، وهو شديد الحرص على توجيه كلامه كلية الى شخصي الضعيف . فهو يعرف انني اديب أترجم بعض الروايات العالمية وانشرها في صحف الوفد ، ولا أكتب في السياسة ... لقد قرا لي تلخيصا لرواية شتاينبك الامريكي « عناقيد الغضب » وكذلك اعجب بتقديمي لرواية اتيانزيو سيلوني الايطالي « الخبز والنبيذ » ، فلقد كان الرجل قارئا نهما لاتفوته مادة صحفية جديدة ولا كتاب له قيمته ... وجه الغرابة انني صغير السن ، فكيف يزج بي في مثل هذا الوضع ؟

وفجأة خرج من قاعة الجلسة من يعلن ان النيابة قد أمرت بالافراج عنا جميعا وبضمان شخصياتنا . بعدها قابلت سلامة موسى اكثر من مرة ... فقد كان من الكتاب المعدودين في دار اخبار اليوم ، وظل يعمل بها حتى وفاته عام ١٩٥٨ .

والقارىء الذي يريد أن يتعرف على سلامة موسى يستطيع بكل سهولة وبلا حاجة الى لقائه أن يجد المادة التفصيلية الغزيرة لحياته وفكره وكفاحه في كتبه العديدة التي خص معظمها بالحديث عن نفسه ، ومن ابرزها كتابه « تربية سلامة موسى » ...

ولا يجب أن يدهش القارىء لان سلامة موسى تعود أن يلصق اسمه بعناوين كتبه او معظمها . فالواقع انه كان في غاية التواضع ولا يفعل ذلك عن اعتداد بنفسه او ذاتية كامنة تسيطر عليه ... وانما لانه كان صاحب فلسفة خاصة يعيش باسلوب معين وعلى نمط محدد يعتبره المثل الصحيح لسلوك المواطن الحر في مواجهة العصر الذي تعيشه بقضاياه وزواياه ومشاكله ومتاعبه ، وهو يلخصها جميعا في ثلاث كلمات «النظافة والفضيلة والطهر » ومن الغريب انه رغم دعواته العصرية الجارفة فقد كان يلتزم في بيته ومع اولاده وبناته وفي تربيته لهم كل ماتتطلبه ظروف البيئة الشرقية من تقاليد وموجبات ...

صناعتي الحرية

ولعلنا نستطيع بنظرة عابرة ان نضع سلامة موسى في اطار عصره ، اذا احطنا ببعض معالم حياته ... فهو ابن موظف حكومي متوسط الحال كان يعمل في الشرقية ويملك شبه عزبة صغيرة من الارض الزراعية ... لم يستكمل سلامة موسى دراسته العالية ، وانما اكتفى بتربية نفسه تربية ذاتية ، ومنذ عرف القراءة الى نهاية عمره خلال العشر سنوات الاولى من بداية القرن ، اكتشف في نفسه الموهبة الصحفية والقدرة على الكتابة ، فاصدر مجلة «المستقبل» لمحاربة الطائفية ومساندة حركة مصطفى


عباس العقاد


يعقوب صروف

● تشهد مواقفه كلها أنه لم يكن بداخله أي تعصب

كامل والحزب الوطني بزعامة محمد فريد ... سافر الى باريس اكثر من مرة . ثم اقام في لندن اربع سنوات تاثر خلالها بالحركة الاشتراكية الفابية وكان معجبا ببرنارد شو ... فلما عاد بعد ذلك الى مصر، اشتغل لفترة بالتدريس، ثم تتلمذ على اثنين من المفكرين والكتاب البارزين في تلك الفترة وهما يعقوب صروف المفكر الحر . وفرح انطون الصحفي والاديب والكاتب المسرحي ...

وفي تلك الاثناء نادى بدعوته نحو تجديد شباب الادب العربي بادخال المسرح والقصة والرواية، ووقف في وجه طه حسين ثم العقاد، وكان دائما يتهمهما بعدم القدرة على التجديد، وافتقارهما الى الحرية الفكرية . ويقول «» ان «صناعتي الحرية» وليست مجرد الكتابة» ...

بعدها تدهورت احواله المالية فالتحق بالصحافة واصبحت هي مصدر رزقه الوحيد بعد ان باع ارضه على نهاية عام ١٩٣٠ وعاد الى مصر ليشترك في تحرير «الهلال» الى أن قدر له أن يستقيل .

كسب الاعداء

وجميع كتبه هي في اغلبها مجموعات المقالات والابحاث والدراسات التي كان ينشرها في المجلات، وبحكم طبيعته الانطوائية وظروفه المالية القاهرة كان كثيرا ماينزوي بعيدا عن مسار الاحداث ... فاذا قدر له ان يقول رأيا في اي مجال او باي مناسبة فلم يكن يتردد عن الجهر به حتى ولو كان رأيا خارجا على جميع الاراء ... ولذلك كان يقول انني موفق دائما في كسب الاعداء ... ذلك انه في علاقاته على قلتها وندرتها كان لايفصل بين الشخص وما يحمله من فكر ... فاذا كان معاديا لفكره فانه لايطيق الركون اليه او كسب صداقته بل ينفر منه، ويصل به النفور الى حد الاعراض عنه . وقد ساعده على ذلك انه كان يعيش في بساطة ولا يهتم بالمظاهر ولا يسعى الى الشهرة رغم تاثيره البالغ على عديد من الاجيال الشابة التي خرج منها العديد من الافذاذ ومنهم نجيب محفوظ الذى كان من أكثر أدبائنا تاثرا به .

كراهية المظاهر

في عام ١٩٥٧ اتيح لي ان التقى بسلامة موسى في مناسبة مباغتة وهي اقامة حفل تكريم بنادي الجزيرة في الزمالك ... وكان الداعي الى الحفل المرحوم صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة، والمناسبة الاحتفال بتجديد جريدة الجمهورية ... وكان سلامة موسى مدعوا في الحفل . ويبدو انه كانت هناك مفاوضات تجري معه ليترك اخبار اليوم ويكتب في الجمهورية . واسرعت الى الجلوس بجانبه فقبلني واحتضنني باعزاز بالغ لاني كما قال، سرت في الطريق الذى كان ينادى به دواما وهو الاتجاه بالادب وتجديد الوانه بالكتابة للمسرح ... كان الرجل يجلس في شيء من الريبة غير مرتاح لوجوده في ناد يضم صفوة الارستقراطيين الادعياء . واستغربت أن يصدر عنه هذا الاحساس وهو في مثل هذه السن ... لانه لايمكن الا ان يكون احساس شاب متمرد في الثلاثين من عمره على أكثر تقدير ... واخبرني انه كان يفضل لو ان مثل هذا الحفل اقيم في مطعم «كباب وكفتة» بدلا من هذه الفخامة التي يقدم

في صحبة سلامه موسى

الينا بها الطعام بغير موجب . وهمس في اذني : « انا عاوز اعرف هما عازميني ليه » .

فلم استطع ان اجيبه .

شاب في السبعين

بعد الطعام مباشرة ، اخذني من يدي وانزوى بي بعيدا . كان يحس بغربة وهو غير مرتاح ، ورفض ان يشرب القهوة وطلب فنجانا من الشاي ، وراح يحدثني عن ميوله وافكاره واتجاهاته واحاسيسه بالنسبة لكل شيء ... الادب ، والفن ، والصحافة ، والصناعة ، والزراعة ... والعدوان الثلاثي ، والتاميم لقناة السويس ... والصراع الدولي ...

ولما انتهى الحفل صمم على ان يصحبني معه في التاكسي ليوصلني الى ميدان التحرير حيث سينزل ليستقل سيارة « الباص » الى منزله . وفي اثناء الطريق اشتبك في حديث طريف مع سائق التاكسي عن احواله ومعيشته وادائه وفهمه . وكان يضحك ويسخر مع السائق لتعليقاته البارعة . وحين نزلنا من التاكسي ربت على كتفي السائق معجبا واعطاه اكثر من حساب العداد . وطال انتظارنا لوصول « الباص » ...

واستمرت وقفتنا لاكثر من نصف ساعة ، كان يقطعها وهو يهز راسه في اعجاب ... « ياسلام على شعبنا العظيم ... » معلقا على كلام سائق التاكسي وآرائه ونظرته ، ونظر الي في حماس وهو يودعني بعد وصول « الباص » : اسمع يا ابني ... شعبنا حي وعظيم ، شعبنا لن يموت ولن يقهر ابدا ، انا لست ضد الثورة واحبذ منجزاتها ، ولكن صناعتي هي الحرية ، هي مطلبنا الوحيد ومطلبنا على الدوام ، من اجل هذا الشعب القوي المجيد .

واحس بانه يوشك ان يخطب ، فصمت ...

وكان هذا هو سلامة موسى ... شيخ في السبعين ، يتحدث بأحاسيس شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ... بعدها بعام واحد ، مات الرجل ولم يمش في جنازته غير تسعة اشخاص ...

● اقوى ذراع في التاريخ :

غوستاف ديهاره رئيس عصابه من قاطعي الطرق في مدينة لونس بفرنسا ، اضطر لفض نزاع بين اثنين من رجاله كانا يتصارعان بالمدى فوق احدى طاولات البلياردو فرفع الطاولة المغطاه بلوح من الاردواز الثقيل فوق كتفيه وسار بها وفوقها المتصارعان مسافة سبعة امتار . وقد حدث ذلك في سنة ١٧٩٣ .

● مات النحات خلخاس الاغريقي من شدة الضحك ، عندما اقبل اليوم الذي تكهنوا له فيه انه سيكون يوم وفاته ... وبدا ان النبوءة لن تتحقق !

قصة من الخيال العلمى



قلب من الماس

بقلم

رءوف وصفى

● عيادة العلاج الالكتروني ...

اليوم الثالث من شهر يوليو عام ٢١٢٧

استمر الكمبيوتر الطبي في الفحص ، وهو « يتك » كأنه بندول الايقاع الموسيقي .. وكان المريض يرقد عاريا فوق اريكة من الجلد الوثير منتظرا نهاية الفحص .. كانت تمر فوق جسمه مجموعة من الالات الطبية البللورية التي تتحرك الكترونيا ، مسجلة مجموعة من البيانات المختلفة الالوان فوق عدة شاشات منتشرة في انحاء الغرفة ..

أخيرا طرقت اذني المريض تلك الدقات الرتيبة التي تعلن انتهاء الفحص ... صدر من الكومبيوتر صوت أجش ، وبدت على شاشته الملونة مجموعة من المعلومات مع صورة من داخل جسم المريض .

ـ « ارى هنا ان ضغطك اقل من الطبيعي .. وانك تشكو كسلا في القلب .. اضف الى هذا حالتك النفسية . يارقم ل م ع ٢٠١٤٣ ، انت في حاجة الى راحة طويلة .. فاين ستذهب لقضاء اجازتك ؟ »

اجاب المريض في ارهاق:

ـ « لست أدرى .. وبصراحة لقد سئمت كل المصايف !.. ثم انني انجز عملا هاما هذه الايام في محطة المريخ الفضائية »

عاد الكومبيوتر الطبي يتحدث بذلك الصوت العميق الاجش الذى بدا وكأنه يأتي من كل مكانة بالغرفة :

ـ « يجب أن تسافر الى مكان آخر .. فالبقاء في الفضاء مدة طويلة مرهق للاعصاب ، يجب ان تغير البيئة والناس والاماكن .. ان قليلا من الحب يساوى الكثير في حالتك ! »

اجاب المريض في ضعف

قلب من الماس



ـ « سأفكر في نصيحتك هذه .. فأنا أحيا بلا غد ، بلا عمق ، بلا مدى ! »

رد الصوت الآلي العميق في لهجة آمرة :

ـ سأكتبها لك باعتبارها دواء ، وعليك الالتزام بها ـ بوصفها أوامر الطبيب ! »

ـ ١ ـ

كانت المدينة تمتد أمامه بلا نهاية .. يلفها ضباب خفيف ، فتبدو كمدينة تحت الماء ، برغم شلالات الضياء التي تنبعث من مكان مجهول وترسل أشعتها الملونة متوهجة متألقة فتزيد من جمال المباني الدائرية الشفافة التي تنتشر في كل مكان .. حقا لقد كانت المدينة غريبة تماما عليه ، ومع هذا كان الطريق يبدو مألوفا له .. كان يحاول في اجهاد أن يفهم حقيقة ما يدور حوله من أشياء يراها ولا يستطيع تفسيرها .. فقد رأى الحياة من حوله مليئة بالغموض ، والغرابة ، والضجيج ...

فجأة ، سمع صوتا هامسا ينادي اسمه .. فأخذ يتلفت حوله مبهورا من العجب .. من يعرفه في هذه المدينة الغريبة ؟ .. ورآها تختفي وراء احدى الاشجار الضخمة وتشير اليه أن يقترب منها .. كانت فتاة طويلة هيفاء ، شعرها بني ذو لمعان أحمر ، عيناها زرقاوان واسعتان ترتدي ثوبا فضيا قصيرا يبرز جمال ساقيها ..

ـ « اقترب مني أكثر ! »

أخذ يتأمل وجهها الرائع مليا ، وانتابه شعور غامض ، طيف هذا أم يقظة مشوبة بغرابة .. كانت مخلوقة رائعة الجمال .. غارقة في النور ، والبهاء ، والفتنة

سألها هامسا : « من أنت ؟ »

ابتسمت في مرح :

ـ « وهل هذا يهم ؟ .. فقط دعنا نتمتع باللحظة الحاضرة ! »

غادرا المكان متشابكي الايدي ، كان يحدق فيها مشوقا لسماع كلامها العذب بقلب واجف .. أخبرته عن كل ما يراه في هذه المدينة الغريبة .. آلات تنقية الهواء من التلوث ، مصنع الطاقة الشمسية الذي يساهم في امداد كل بيت بالطاقة اللازمة له ، الكومبيوتر المتكلم الذي يمكنه أن يزود أي شخص بالمعلومات في كل فروع المعرفة ، الصواريخ الصغيرة الطائرة بين الكواكب الصناعية التي تدور حول الارض ..

تابعا طريقهما نحو جسر بللوري في أطراف المدينة ، حيث تتمزق الاضواء الباهرة فوق الاشجار العملاقة على ضفاف النهر ..

ما أحلى العزلة وهي بجانبه تتمايل خصلات شعرها الداكن ، وعيناها الزرقاوان تتألقان كفيروزتين شديدتي الصفاء .. تحدق في وجهه وتطيل نظراتها الساحرة ، فقد كانت تناجي نفسه في عذابها وتألمها وتألقها ..

ويترنح الاحساس العذب ، ويتذبذب متحولا الى شعور جارف .. وتنفجر عاطفة الحب في أعماقه بكل عنفها ..

همس لها بصوت متهدج:

ـ « أحبك »

استدارت اليه في فزع :

ـ « اصمت .. ان هذه الكلمة ممنوعة هنا ! »

وعادت تبتسم في اشفاق:

ـ « آسفة .. لقد نسيت انك غريب عن هذه المدينة .. ان الحب ممنوع هنا ! »

أجاب في دهشة :

ـ « كيف يمنعون هذا السحر الأكبر الذي لا يقبل التفسير .. سر الحياة الأخير ! »

قالت في تؤدة :

ـ « هذه المدينة تخضع تماما للآلة .. العواطف البشرية كلها ممنوعة .. فهي دليل الضعف ويجب التغلب عليها لأنها تقرب بين البشر .. ونحن هنا عبيد للآلات ! »

قاطعها : ـ « .. ولكن »

ولم يستطع أن يكمل .. توقف السؤال عند طرف لسانه ...

كانت تتكىء على عمود الجسر البللوري .. وهي تشرح له :

ـ « .. هذه المدينة تحكمها العقالة «كومبيوتر» تمتد فروعه الى كل مكان .. تراقب السكان ليل نهار .. وهناك قانون بمنع العواطف البشرية .. خاصة .. »

ترددت قليلا ونظرت

قلب من الماس

حولها ، ثم اكملت :

ـ « ... خاصة الحب .. والا احيل للشرطة الالية ! » .

سالها فى دهشة :

ـ « ولكن الانسان لا يشعر بكيانه، بوجوده ،الا عندما يتم الاحساس بتبادل الحب ، ذلك الفيض من المشاعر .. هذا التغير الذى تتماوج فيه كل الالوان .. ذلك التوهج الذى يضىء الروح .. انه .. » .

قاطعته فى توسل .. وهى تضع يدها فى رقة على فمه :

ـ « ارجوك .. ان هذا الكلام يعرضنا للعقاب .. تعال نتحدث عند شاطىء النهر القريب .. هناك سر اريد اطلاعك عليه ! » .

ـ ٢ ـ

كان الفجر يبدو كغلالة شفافة تمتد بلا نهاية فوق الموج الشاحب .. كانت تتطلع اليه فى ضوء السحر الخافت بعينيها الزرقاوين الواسعتين .. فيغرق فى المدى الازرق الرائع ويحتضنها ...

كانا يتطلعان معا الى السماء حيث يبرز كل فترة صاروخ يتجه الى احد الكواكب الصناعية القريبة .. كانت تتحدث اليه وفمها يلتصق باذنه اليمنى، وفى صوتها بعض المعاناة ..

ـ « الحب لم يصبح عاطفة .. بل وظيفة عادية .. مفيدة للذهن المتعب .. نافعة للشخصية وتكاملها .. وللتوازن الهرمونى للذكر والانثى » .

قال هامسا .. وهو يوجه وجهه نحو السماء :

ـ « يا الهى ! .. اكاد لا اصدق ! » .

اكملت وكانها لم تسمعه:

ـ « ... وفى المركز الالكترونى للعلاج النفسى ، يستطيعون انتاج اى عاطفة عن طريق التاثير فى احد اجزاء المخ بواسطة اشعاع خاص » ..

اعتدلت فى جلستها ، وقالت فى جدية .. ولكن ما زال صوتها هامسا متهدجا :

ـ « .. وثار البعض ، فلولا الحب ، لما ادركت الانسانية انبل معانيها ، ولما عرفت الروح اعماقها .. فتكونت جمعية سرية تدعو الى الحب ، وتبقى على العواطف النبيلة ، ومن اجل مستقبل البشرية .. » .

اعتدل فى جلسته ، يستحثها على الحديث

ابتسمت وهى تضيف :

ـ « .. واتخذت لها اسما « حتى لا يموت الحب » .. اما شعارها فهذا :

واشارت الى سلسلة فضية حول رقبتها ، تنتهى بقلب من الماس ..

ويمضى الوقت ...

وينطلق صوتها الساحر يهمس له كيف ان البشرية اخذت تعتمد على الالات وتطورها ، حتى اصبحت ضرورة للحياة ، فتحكمت وفكرت لنفسها ، ثم صارت هى التى تحكم الانسان ، فقد كانت تمده بالمعرفة التى تساعده على الحياة .. ونشأت الالة الالكترونية الهائلة «المعرفة» التى كانت تمتد الى كل بيت ، الى كل حجرة ، الى كل مكان .. لا يستطيع الانسان ان يحيا دونها ، دون معلوماتها وتوجيهاتها ..

عادت تنظر اليه .. ثم قالت وهى تخلع السلسلة من فوق صدرها :

ـ خذها منى هدية .. لتذكرنى ، انها .. »

ولم تتم عبارتها .. فقد امتدت يد معدنية عملاقة ، تختطف منها السلسلة بالقلب الماسى وتلقى بها فى عنف فوق الرمال الخضراء !..

نظرا الى الوراء فى رعب، ورايا المارد المعدنى بردائه الاصفر المخطط باللون الاسود ـ احد افراد الشرطة الالية ...

قبل ان يتمكنا من الحركة، جذب الانسان الالى الفتاة الى اعلى .. وصدر منه اشعاع احمر خاطف اصاب رفيقها فاصابه شلل كامل .. ولكنه كان يسمع ويفكر ويرى .. وهو جامد فى مكانه ..

الضباب يتكاثف من حوله .. الكراهية والحب والضعف والغرور والكبرياء والخشوع والالم والامل ـ



كل الدوافع تشابكت بعضها ببعض في تحولات ابدية .. واصبحت نفسه متاعة ، عماء مقلس .

اما هي فكانت تجاهد للخلاص من القبضة الفولاذية ، ولكن دون جدوى .. بدت كغزال رقيق عاجز عن الدفاع عن نفسه ، سقط في شباك صياد لا يرحم . صرخت .. مدت يدها في توسل ، اتسعت عيناها الزرقاوان في فزع :

— « خذني معك .. لا تتركني ، حبيبي ، خذني معك .. انهم لا يرحمون ! »

لم يستطع التحرك .. فقط اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يشاهدها تبتعد مع العملاق المدني الى مصير مجهول .. انه فراق بلا لقاء ، وطريق بلاعودة .. كان الظلام يمتد بامتداد الافق .. يحمل اليأس والحزن . وعلى البعد تبدو المدينة القاسية .. الالية .. المحرومة من انبل ما في الوجود ، غارقة في الظلام ، وكأنها سقطت فجأة في حفرة سوداء .. بلا قرار !.

— ٣ —

استيقظ فجأة .. كان لا يزال في عيادة العلاج الالكتروني ، نظر حوله في ذهول ، حتى اتاه صوت الكومبيوتر الطبي :

— «هل تشعر بتحسن ؟».

كانت معاناته اقوى من قدرته على الكلام ..

اكمل الصوت الالي الاجش :

— « .. لقد ارسلناك الى حلم عاطفي ، بواسطة التاثير باشعة ليزر في الجسم الصنوبري داخل مخك ... لقد استغرق الحلم اربع دقائق وعشرين ثانية ... اعيد السؤال مرة اخرى : هل تشعر بتحسن ؟ » .

تختلج اهدابه ، والدموع لا تزال في عينيه ، وتجوس نظراته المتلهفة باحثة في غرفة العلاج الالكتروني .. عن انسانة حبيبة ، لها عينان زرقاوان .. فلا يجد الا الالات ، الالات الجامدة .. وشعر نحوها بكراهية لا حد لها ..

ويأتي الى ذهنه صدى الصوت الحبيب ، صارخا في فزع :

— « خذني معك ... لا تتركني ! » .

ويتخيل اليدين الممتدين في توسل ، والعينين الرائعتين المحملقتين في هلع .. ويتعذب اكثر .. ان ما حدث له كان حقيقة ، لا يمكن ان يكون مجرد حلم .. من المستحيل ان يكون هذا الحب رؤيا او خيال .. لقد كانت بين احضانه بكل سحرها ، ورقتها ، وكان شعوره صادقا ، حقيقيا ..

اتاه صوت الكومبيوتر الطبي ، يقطع عليه افكاره :

— « .. يمكنك العودة غدا الى عملك » .

— نهض في تؤدة ، تثاقلت خطواته ، وكاد يهوى الى الارض .. طاف خياله في عالم اليأس ، افكاره غريبة لا موطن لها .. والحزن يتخلل كل خلاياه ، ويسدل ستارا على كل المرئيات من حوله ..

— ٤ —

جلس وحيدا في غرفته المظلمة ، يحاول ان يتجاوز الواقع الى الحلم .. الى حبيبته .. همس باسمها في شوق .. بكاها كثيرا حتى هده التعب .. خياله يأبى ان يعترف ان ما عاناه كان حلما .. ويتساءل رغما عنه ، ياترى ماذا فعل بها الشرطي الالي ؟ .. ايمكن ان يلتقي بها مرة اخرى ؟ لا .. لن ينساها ابدا حتى لو كانت مجرد حلم .. مجرد خيال !

نهض في تثاقل ..وقلبه ينوء بالذكرى .. وقف في الشرفة المطلة على المدينة البعيدة ، ونظر الى السماء ، الى النجوم المتالقة التي تبدو كقطع مهشمة من الماس تتناثر فوق مخمل اسود ..

يتاملها طويلا ، ويبدو له بينها عينان زرقاوان رائعتان تتطلعان اليه في حب .. ويتمنى لو تتجمع كل هذه النجوم ، ليتكون منها قلب هائل من الماس .. يملا الكون كله !

شباب القلب

شعر

أحمد عبد الحفيظ سلام

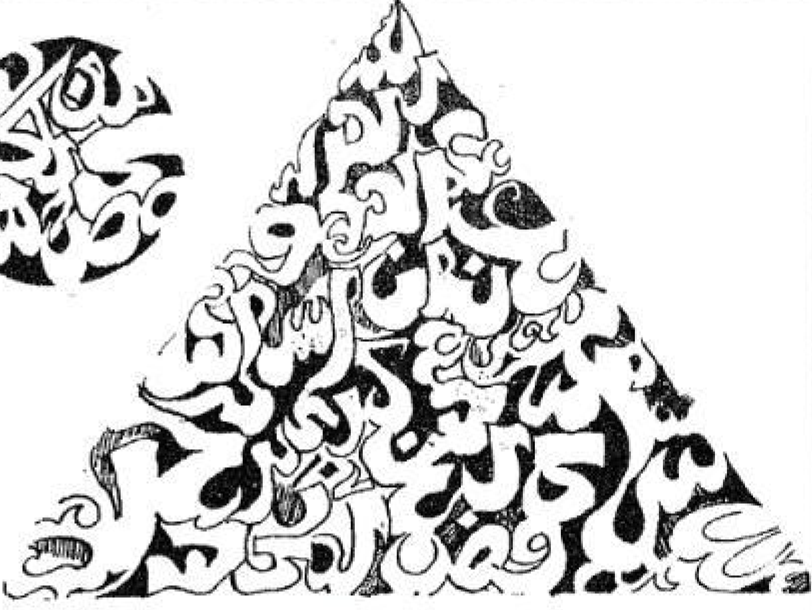
لا تبكها يا قلب قد ذهبت .. ومحت يد الهجران ذكراها !
قد غرها يوم إذا خطرت تشبث العيون لحسن مرآها .
صبغ الشباب بريق وجنتها وتكحلت بالسحر عيناها ..
وتدللت، حينا وقد سمعت قلبي يصيح بحبها واها !
ظنت شباب الخلود دائمة أوصاله تهفو بريشاها
وتلمست أهداب نعمتها .. مفتونة تزهو بنعماها
وتنكرت مني وقد علمت أن السواد بلمتي تساها
لم تدر أن الشمس إن طلعت ران الغروب على مُحياها

***

يا فتنتي في فترة قهرت قلبي وأوهنتي خبايا ها
شأن الزمان تدول دولته لا يبتغي حسنا ولا جاها
والوجه إن تمت محاسنه رسمت عوادي الشيب مسراها
كل يشيب وكان رونقه يوما على الأيام تيهاها
إلا شباب القلب ما نضبت أنهاره أو جفت مجراها
قلبي فتى كلما نظرت عيني وظل الحب يهواها !



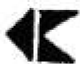




خمسون عاماً على مجمع الخالدين

محمد عبد الغني حسن

● أعضاء المجمع يمثلون أغلب فروع المعرفة والحضارة الحديثة



في هذا العام من دنيا الله ومن دنيا الكون الذى نعيش فيه ، يكون قد مر على انشاء « مجمع اللغة العربية » خمسون عاما ، اي نصف قرن من الزمان ! وقد اصطلح الغربيون على تسمية العيد الخمسين باليوبيل الذهبى . كما أن هناك العيد الفضى ، واليوبيل الماسى ، وما شئت من أعمار الذكريات المقدرة بالمعادن النفيسه ، والأحجار الكريمة ...

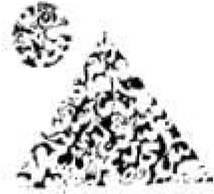
واذكر اننا شهدنا فى عصرنا هذا عيدين ذهبيين : اولهما يوبيل المقتطف الذهبى سنة ١٩٢٦ ، وقد احتوته دار الاوبرا رحم الله أركانها وسقوفها ، واستمعنا فيه الى شعر من شوقى ، وحافظ ، ومطران ، ورأينا فيه بأعيننا تمثالا من البرونز قدمته الجالية العربية فى المهجر ، ونقشت عليه البيتين الآتيين على لوحة من خالص الذهب :

هذا مثال عروس العلم حاملة اكليل غار الى شيخ المجلات
يهدى على ذهب اكرامنا، وعسى يهدى على الماس فى يوبيله الآتى

وثانيهما يوبيل دار العلوم الذهبى ، او عيدها الخمسينى فى سنة ١٩٢٧ ، وقد القى فيه قصيدة « شوقى » النونية الطالب « محمد خلف الله احمد » الوكيل الاسبق لجامعة عين شمس بعد عمادته لكلية الاداب بالاسكندرية ، وزميلنا اليوم فى المجمع منذ سنة ١٩٥٩ ، كما القى الشاعر على الجارم ــ رحمه الله ــ قصيدته البائية الرائعة التى استهلها بأبيات فائتة مرقصة عن الشباب، تعد من أبدع مانظمه شعراء العربية فى سلف المشيب ... ونحن اليوم مقبلون على « يوبيل ذهبى » ثالث أو « عيد خمسينى » هو اليوبيل الذهبى لمجمع الخالدين . واذا كان « مجمع اللغة العربية » من انشاءات الملك احمد فؤاد سنة ١٩٣٢ ، وموضع العناية من الملك فاروق ، فان من الحق أن يقال ان ثورة ٢٣ يوليو قد ساندت المجمع مساندة قوية ، ايمانا منها بأنها تساند اللغة العربية ، وتساند وجها حضاريا وفكريا ناصعا من وجوه مصر الحديثة . وكان المجمعيون واثقين أن الثورة لن تتخلى عن المجمع ، ولن تتنكر له ، لانها لا يمكن ان تتنكر للعروبة ، ولا للغة الضاد ، ولا للفكر العربى الذى تعبر عنه « اللغة » فى سلامة ووضوح ، واشراق ..

ولعل رجال الثورة المباركة قد ادركوا بحسهم العربى المرهف ، واحساسهم القومي الشديد ان مصر ظلت طول عمرها منذ الفتح العربى الاسلامى قلعة للعربية ، وسياجا لها . فقد قطعت مصر العربية الاسلامية كل ماكان بينها وبين عهود ماقبل الفتح ، واتخذت من العربية لسانها ، ومن الجزيرة بيانها ، ومن القرآن تبيانها .. فمز فيها الفكر العربى ، والادب العربى ، والشعر العربى .


لطفى السيد



خمسون عاما على مجمع الخالدين

وقاومت كل غزو لغوى فكرى لها .. فوقفت أمام الترك ولسانهم قرابة ثلاثة قرون ، ولم تمكن للتركية مكانا بين أهلها ، على الرغم من محاولات الحكام ، وصولة السلطان . وكذلك فعلت مع « الفرنسية » أيام حملة نابليون سنة ١٧٩٨ ، ومع الانجليز أيام أن رفع الاحتلال البريطاني أعلامه ، ووطد أركانه ..

ولعل من حسنات الثورة الى المجمع أن قانونه الذى صدر سنة ١٩٥٥ قد زاد عدد الاعضاء « العاملين » من غير المصريين الى ١٢ عضوا ، وابقى عدد الاعضاء كلهم اربعين كما كان فى قانونه المعدل سنة ١٩٤٦ . اما قانون المجمع الجديد سنة ١٩٨٢ فهو فى اخر مراحله التشريعية ، وقد اجتاز كل المراحل مع تقدير مشكور من المشترعين ، أو الشرعين ..

ويبلغ عدد اعضاء المجمع اليوم ثمانية وثلاثين ، أى ينقص عددهم اثنان لاستيفاء عدد الاربعين الذى اشترطه القانون . وقد أجريت الانتخابات منذ شهرين فى موعدها القانونى لاختيار اثنين من المرشحين ، ولكن لم يظفر واحد منهم بالنصاب القانونى من الاصوات الذى نظمه القانون .

واحدث الاعضاء الذين دخلوا المجمع هو الزميل الدكتور توفيق الطويل أستاذ الفلسفة بكلية الاداب بجامعة القاهرة ، فقد ظفر بكرسى المجمع ـ او ظفر المجمع به ـ سنة ١٩٨٠ . اما اقدم الاعضاء الذين دخلوا المجمع فهو رئيسه الدكتور ابراهيم مدكور ، فهو احد « العشرة » الذين اختارتهم الدولة سنة ١٩٤٦ ليزيد بهم عدد الخالدين الى اربعين . وما اظرف الزميل والاستاذ الدكتور مهدى علام الامين العام للمجمع حين اسماهم « العشرة الطيبة » فى الكتاب الذى حرره واصدره المجمع سنة ١٩٦٦ بعنوان « المجمعيون » ...



احمد حافظ عوض

وإذا كان رئيس المجمع اليوم : الدكتور ابراهيم مدكور استاذ الفلسفة الاسلامية ومن جماعة « الفلاسفة » الذين يحتويهم المجمع اليوم ، تناسب ان نذكر أن مجمعنا قد حظى منذ صدور المرسوم بانشائه سنة ١٩٣٢ الى اليوم ببضعة عشر فيلسوفا وأستاذا للفلسفة وعلم النفس منهم احمد لطفى السيد ، ومصطفى عبد الرازق ، ود . منصور فهمى ، وحامد عبد القادر ، وابراهيم عبد المجيد اللبان ، ود . مهدى علام ، ود . عثمان امين ، و د . توفيق الطويل ، و د. عبد العزيز السيد .

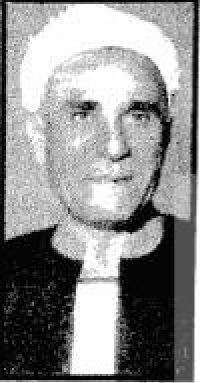
وتتمثل فى أعضاء المجمع اغلب شئون المعرفة والثقافة والفكر التى تمثل الحضارة الحديثة أصدق تمثيل . وما من لون يمثل نوعا من النشاط الفكرى الا وجدته حاضرا فى الاربعين الخالدين أصدق حضور . وليس هناك خط فاصل يخص عضوا بثقافة



احمد الاسكندرانى

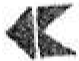
خاصة ويقصره عليها ، فقد يجمع عضو مجمعنا ـ منـذ انشائه حتى اليوم ـ فى شخصه الواحد بين ثقافات متعددة . وقد يجتمع فى العضو الواحد اكثر من رافد واحد للمعرفة . فالعقاد اديب وباحث وشاعر وصحافى ومفكر ، ومصطفى عبد الرازق عالم ازهرى وفيلسوف ، وباحث ادبى ـ كالذى ظهر من كتابه عن « البهاءزهير» ـ واستاذنا المرحوم احمد الاسكندرى لغوى ، ومؤرخ ادب ، ومؤرخ ومعلم تخرج على يديه اجيال من المعلمين . ومصطفى مرعى وزير العدل سابقا تحار فى امره ... فاذا قلت انه قانونى فقيه فمـا عدوت الصواب ، واذا قلت انه قاض يجيد كتابة الاحكام فمـا وصفته باكثر مما وصفه به زميله الاستاذ زكى عريبى المحامى فى بحثه الجيد عن « لغة الاحكام والمرافعات » فى الكتاب الـذهبى للمحاكم الاهلية ، واذا قلت انه خطيب فما كذبته آذاننا وهو يعرض قضايا اصول اللغة فى بيان سوى ، ومنطق جلى ، والدكتـور احمد عمار شيخ الاطباء والعميد سابقا لكلية الطب بجامعة عـين شمس يجمع بين الطب ، ورواية الشعر ، والفقه اللغوى ،والفروق اللغوية بين الالفاظ ، والذوق الادبى جمعا عجيبا ، كانما التقت فيه كلها على سواء ... والدكتور ابراهيم مدكور يتكلم فى الفلسفة فيصيب ، وفى اللغة فيجيد . والدكتور محمد مهدى علام يبدع كاتبا ، وشاعرا ، وباحثا ، ومناقشا ، ومعقبا فى ذهن مسعف. وبديهة حاضرة . وكذلك بقية الزملاء الكرام .


د . ابراهيم مدكور


مصطفى عبد الرازق

على اننا اذا عدونا ناحية الثقافة المتعددة ، والمواهب المتنوعة الى ناحية التخصص البحت ، والتفرد الموضوعى المطلق ، وجدنا ان مجمع الخالدين احتوى منذ انشائه على علماء متخصصين فى كل الوان المعرفة التى يكتمل بها كيان سليم متكامل لمجمع لغوى . ففيه من العلماء الذين يسيرون حاجات العصر فى خدمة اللغـة على اصح وجوه الخدمة رجال متخصصون فى اللغة ، وفى النحو، وفى الادب ، وفى الفقه الاسلامى ، وفى التشريعات المدنية ، وفى الطب ، وفى العلوم الطبيعية والرياضية ، وفى التاريخ والجغرافية وفى الفلسفة والتربية وعلم النفس ، وفى اللغات الشرقيـة ، وفى الصحافة ..

وبمناسبة « الصحافة » لقد استطاع جماعة من الصـحافيين اللامعين فى مصر والعالم العربى أن يحتلوا مقاعدهم بين المجمعيين، بما أهلتهم لها مواهبهم وتبريزهم فى مجالات اللغة والادب والبيان، بل والشعر فى بعض الاحيان .. وهل ننسى أحمد حافظ عـوض وكان رحمه الله من اقدم الداخلين الى مجمع الخالدين سنة ١٩٤٢؟ لقد دخل الى المجمع من اكثر من باب .. فهو صحافى رائد ، وهو صاحب مجلة « الاداب » و « المؤيد » و (كوكب الشرق)، وهو من اول الداعين الى انشاء مجمع لغوى بمصر ، وهو مـؤرخ ظهرت موهبته التاريخية فى كتابه « فتح مصر الحديث ، او نابليون بونابرت فى مصر » ، وهو قصاص قديم ، تجلى فنه القصصى فى





خمسون عاما على مجمع الخالدين

رواية « اليتيم » ، وهو والد ومرب حكيم له كتاب « من والد الى ولده » ، وهو من كتب الابوة الواعية الرحيمة التى لا يغفلها تاريخ الكتاب العربى فى مجال التاليف من الاباء الى الابناء ، وهو اديب يتذوق الشعر ويحبه وينصف أهله .. ولن انسى ـ والله ـ فضله على حين نظمت قصيدة وطنية سنة ١٩٢٨ ـ وانا طـــالب فى دار العلوم ـ استقبل بها ـ على سبيل التهكم المر ـ « البرنس اف ويلز » ولى عهد بريطانيا يومئذ ، وقد بعثت بالقصيدة الى احمد حافظ عوض ـ على غير معرفة منى به ، ولامانة منى اليه ، الا أنه صاحب جريدة « كوكب الشرق » الوطنية الواسعة الانتشار فنشرها برمتها ـ وكانت طويلة ـ فى الصفحة الاولى من «الكوكب» ببنط كبير فيه بعض الشكل فى ذلك الزمان ، وقدم لها هو نفسه بقلمه الوضىء الجرىء بهذه العبارات : « الشاعر المطبوع وحى العاطفة ، ووليد الحادثات . واللسان الجرىء فى قولة الحــق لايخشى لوما ، ولا يرهب عذلا . ولقد انجبت الكوارث التى منيت بها مصر فى نهضتها الوطنية شعراء يلتهبون حبا لبلادهم واخلاصا . هؤلاء الشعراء هم شعراء الشباب الطاهر البرىء . الذين لايصانعون فى الحق ، ولا يسترون الحقيقة بثوب الرياء ، فيطلعون على الناس بما يجول فى ضمائر الناس ، فهم للامة فى مطالبها ترجمان صادق ، وهم لها فى ميولها قلب خافق . بارك الله فيهم ، وادامهم فى سماء الشعر كواكب لامعة ، وبدورا ساطعة .

والى القارىء خريدة « عصماء » هى فى الشعر ملك ، نظمهـا شاعر من شباب اليوم الذين تسطع آراء انوارهم فى دياجير الحلك ، فتنير الطريق للسائرين ، غير راغبين فى ثناء غير ثناء الوطن ، ولا فى رضا غير رضا رب العالمين .

وان لنا بشعر الشباب اليوم الغناء ، الى ان يستيقظ شعـر الكبراء من الشعراء ... »



أحمد حسن الزيات

وهل ننسى فى رجال الصحافة بالمجمع استاذ الجيل أحمد لطفى السيد ؟ الم يحرر فى « الجريدة » ـ التى صارت لسان حــزب الامة ـ سنة ١٩٠٧ ، وكان له فيها مقالات اشتهرت بالايجاز ، والسداد ، والاصلاح ، ورعاية مصلحة البلاد . وقد جمع صهــره وزميلنا فى مجمع الخالدين استاذ المرحوم « اسماعيل مظهر » تلك المقالات فى كتاب يشتمل على جزءين تعتز بهما المكتبة العربيــة الحديثة .

وهل ننسى اســماعيل مظهر نفسه وقد اشتغل بالصـحافة فى سن مبكرة ، فانشا جريدة « الشعب » الاسبوعية سنة ١٩٠٧ ، واصدر مجلة « العصور » سنة ١٩٢٧ بعد عودته من انجلترة ،



د . مهدى علام

وظلت قرابة خمس سنوات ، وسدت فيها فراغا كبيرا فى عالم الصحافة الادبية ، واشتهرت العصور باسماعيل مظهر ، كما اشتهر هو بها ، فكان شانها شان الزيات مع « الرسالة » ، واحمد امين مع « الثقافة » ، وانطون الجميل مع « الزهور » ، وحمد الجاسر مع « اليمامة » ، والدكتور محمد حسين هيكل مع « السياسة »، وعبد القادر حمزة مع « البلاغ » ، وعبد القادر المغربي مع « البرهان » فى طرابلس الشام ، وعبد الله كنون مع مجلة « لسان الدين » بالمغرب ، وعيسى اسكندر المعلوف مع « مجلة الاثار » بزحلة ، ومحمد الخضر حسين مع مجلة « الهداية الاسلامية » ، ومحمد توفيق دياب مع جريدة « الجهاد » ، ومحمد كرد على مع « المقتبس » ، ومحمد زكى عبد القادر مع مجلة « الفصول » . وهؤلاء الاعلام كلهم اعضاء فى مجمعنا اللغوى ، رحم الله موتاهم ، واطال فى عمر احيائهم .

وقد ذكرت هؤلاء الصحافيين المجمعيين على انهم اصحاب صحف ومجلات اشتهرت بهم ، واشتهروا بها ، وغرف التلازم بينهم وبينها .. على انهم ـ فوق هذا التملك والاصرار ـ كان يشتركون باقلامهم فى تحرير صحف ومجلات يملكها غيرهم .

ووجد بعض المشاركين فى مناصب الوزارة فى رحاب مجمع الخالدين استرواحا لهم ، وانسا لانفسهم ، وانفساحا لمجال خدمة اللغة العربية ، وانفتاحا على عالمها ومحرابها الذى يلذ العكوف عليه ، والانضواء اليه . ولا نعدو الحق اذا قلنا أن « لغة الضاد » ومجمعها الرسمى قد جذبت بعض الوزراء ببريقها اللامع، ونورها الساطع .. فجعلوها مرتبة فوق الوزارة ووراء منالها ، يشدون اليها الرحال ، ويتطلعون اليها بالامال ، ومن هؤلاء الوزراء الذين اظلتهم عضوية المجمع : احمد لطفى السيد ، و د . محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، و د . عبد الحميد بدوى ، و د . عبد الرزاق احمد السنهورى ، ود . عبد العزيز السيد ، وعبد العزيز فهمى ، و د . على ابراهيم الجراح ، واسى الجراح ، وعلى بدوى ، وعلى عبد الرازق ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد الناسى المغربى ، ومحمد توفيق رفعت ، ومحمد رضا الشبيبى العراقى ، و د . محمد عوض محمد ، ومحمد كرد على ، ومحمود توفيق الحنناوى ، والمهندس احمد عبده الشرباصى و د . سليمان حزين ، و د . حسين خلاف ، ومصطفى مرعى ، واحمد حسن الباقورى ، وبدر الدين آبو غازى .

ولم تخل حقبة من حقب المجمع منذ انشائه من شاعر يغنى على منابره ، ويصدح على ازاهره ، ويضرب على اعواده ومزاهره .. ولم يكن « الشعر » وحده هو شفيع الشعراء الى الظفر بعضوية


منصور فهمى



خمسون عاماً على مجمع الخالدين

المجمع ، والا لهان المراد ، وجونب السداد ، فان العلم ، والبحث والقدرة اللغوية ، والاطلاع الواسع هي بعض الشفعاء والوسائل الى الحظوة بكراسي الاعضاء . ولقد كان من شعراء المجمع ابراهيم عبد القادر المازني ، ولكنه دخله بعد ان طلق الشعر طلاقا بائنا لا رجعة فيه ، انصرافا عنه ، لا عجزا منه . وكان من شعراء مجمعنا : حسن القاياتي ، وقد كانت مقطوعاته القصيرة انيقة كشكله ، صافية كطبعه . وعلى الجارم وكان صوته الجهير والقاؤه المعبر الجميل يملآن المنابر والمحافل ابداعا واعجابا . ومحمد رضا الشبيبي شاعر العراق المبدع . وعلى الجندي عميد كلية دار العلوم وواحد من سمط شعرائها الكبار ، وعباس محمود العقاد ومكانه في الشعر كمكانه في النثر يلتقيان ولا يختفيان .. وعزيز اباظة الذى اثرى الادب العربى بالشعر المسرحى الرصين المشرق ، واثرى المسرح العربى بالمسرحيات الشعرية التى كان رائدها احمد شوقى ، ومحمد بهجت الاثرى العراقى ، وقد سعدت مصر بطبع ديوانه « ملاحم وازهار » واسعدنى ـ شفاه الله ـ باهدائه الى مع عبارة اهداء كريمة بخطه الرائع الجمال . والدكتور عبد الرزاق محيى الدين النجفى العراقى وابن دار العلوم . ومحمد عبد الغنى حسن الذى ظل يحمل لقب « شاعر الاهرام » زمنا طويلا .. !

هؤلاء هم شعراء « المجمع » الظاهرون الموسومون بسمة الشعر ، والمسومون بآيته المميزة .. ولكن هناك فى المجمع شعراء مستترين لم يودوا ان يوسموا بشعر ، او يعرفوا بقريض ، ومنهم المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر ، وكان ينشر شعره فى مجلة « الهداية الاسلامية » . والدكتور مهدى علام الذى لا يكتفى بنظم الشعر اصالة ، بل يترجم روائع الشعر الانجليزى الى شعر عربى جميل ..

وهناك من اعضاء المجمع المراسلين شعراء لا تخفى اقدارهم ، ومنهم عبد الله بن خميس ، وحسن عبد الله قرشى ، والدكتور ناصر الدين الاسد رئيس الجامعة الاردنية ، وعبد الله الطيب السودانى .

واذا كانت رياض الشعر تستحق الوقوف قليلا تحت ظلالها ، فاننا لا ننسى قصائد العقاد فى رثاء عبد القادر حمزة عضو المجمع ، وفى رثاء مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر وعضو المجمع ، وفى رثاء انطون الجميل رئيس تحرير الاهرام وعضو المجمع ، وفى رثاء الدكتور محمد حسين هيكل عضو المجمع . وقد حظى منبر المجمع بالقاء مراثى العقاد لزملائه الراحلين ، وفاء منه ـ رحمه الله ـ وكان من طبعه الوفاء .

اما الشاعر عزيز اباظة فلن تنسى منابر مجمع الخالدين مرثيته العينية للعلامة التونسى محمد الفاضل بن عاشور ، ولا قصيدته

اسماعيل مظهر





مصطفى مرعى

النونية التائية الرائعة في رثاء المجمعي الدكتور عبد الرزاق السنهوري وفيها يقول :


د . احمد عمار

والردي راصد.. وكل ابن انثى	بين فكيه منتظر لاوانه
يتلقى الصباح فى أردانه	ويراه المساء فى أكفانه
ماالحياة التى نعيش ؟ غرور	نحن نلتذه على بهتانه
ان حب البقاء غشى على الو	ت وحض الورى على نسيانه

بقى أن نقول أن كثيرا من الاربعين الخالدين الذين انتقلوا الى رحاب الله كرمتهم الدولة بمنحهم جوائز الدولة التقديرية فى الاداب والعلوم الاجتماعية ، والعلوم من أمثال الدكاترة والاساتذة : أحمد لطفى السيد ، طه حسين ، عباس محمود العقاد ، وأحمد حسن الزيات ، محمود تيمور ، عزيز اباظة ، محمد عوض محمد ، مصطفى نظيف ، محمد كامل حسين ، كما ظفر بهما من الاحياء ابراهيم بيومى مدكور « رئيس المجمع » ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد مهدى علام ، ومحمد خلف الله أحمد ، وبدر الدين أبو غازى ، وحسين خلاف ، وسليمان حزين ، ومحمد عبد الله عنان ، وشوقى ضيف ، ومحمد محمود الصياد ..

ولا يزال أهل الاستحقاق للجائزة من أعضاء المجمع الحاليين يقفون فى طابور طويل ، ينتظرون أن تكرمهم الدولة بما بذلوا من عمل دائم ، وسهر ساهر ، وصبر جميل ، وسيحقق الله امالهم لان الله لا يضيع اجر العاملين ...

● شذوذ العظماء :

هذه طائفة من العادات التى اشتهر بها بعض العظماء :
- كان الامبراطور اغسطس قيصر لا يبدأ السباحة الا بقدمه اليمنى !
- كان رودجر بايكون الفيلسوف البريطانى يصاب بالاغماء لدى كل خسوف!
- كان صوت تساقط قطرات الماء يصيب الروائى الفرنسى ستاندال بالتشنج !
- كان يوليوس قيصر يخشى البرق ، ولكى يتقيه كان يعصب جبينه بالغار !
- كان دوق ايبرنون يصاب بالاغماء لدى رؤيته ارنبا !
- وكذلك كان الفلكى تيخو براهه يشعر بتخاذل قدميه لدى مشاهدة ارنب او ثعلب!
- لم يكن الملك لويس الرابع يطيق رؤية جرس كنيسة القديس دنيس !
- لم يكن الملك هنرى الثالث يحتمل البقاء فى غرفة توجد فيها قطة !

الزائر الذي لا يغيب

شعر: عبدالمنعم يوسف عواد



(1)

تعجزُني الآنَ لا يمضي يومٌ أو يومانْ
إلا ويهلُّ سناكَ عليَّ، يهلُّ عليَّ كفيضِ حنانْ
فتكونُ الظلةَ للحرّانْ وتكونُ دثاراً للبردانْ
أو جرعةَ ماءٍ للظمآنْ وتكونُ اللقمةَ للجوعانْ
أو مَخدعَ أمنٍ للحيرانْ
أو لمسةَ حبٍّ تحصدُ ما بذرتهُ سنواتُ الحرمانْ

(٢)

يتغلبني يأسي حينَ يمر عليَّ الوقتُ ولا ألقاكْ

فأظل أفتش عنكَ هنا وهناكْ

في همسة طير ، رفة غصن ، بين مدارات الأفلاكْ

حتى ألقاكْ

يتبدَّلُ حالي حينَ أراكْ

تغمرني الفرحة ، من يصنع هذا إلاكْ

من يغرس بذْرَ الفرح سواكْ

مَن يحصد شوكَ الحزْن سواكْ

من تنغمُ نفسي موسيقاه ، كما تسري في الروح ترانيم الأملاكْ

مَن يصنع بي هذا إلاكْ ؟

(٣)

بالله عليك : ألا زُرْني ، لا تخلف يوماً ميعادْ

فحلو لكداري يجعل أيامي أعياداً تتلوها أعيادْ

تترددُ في ردهات البيت أناشيدَ الإنشادْ

يتطرح عني ثوبَ الإجهادْ يغمر روحي نور الإسعادْ

تشرق في وجهي الأضواء ، فيلحقني حسد الحسادْ

ورحيلك عني يتركني جوًّا لا سارٍ بلا أزوادْ

يسلبني أغلى شاراتي ، يحرمني كل الأمجادْ

يا من إشراقك يجعلني ، وشموسَ الفرح على ميعادْ

أقبلْ كي يبقى إيماني بالناس ، بأغنية الحبِّ ،

بالخير ، بإخصاب البشرى ، يا وردًا في تغري أحلى ،

أشهى من كلِّ الأورادْ

قصــة مصــريــة

الجريمة العظمى

بقلم: د. نوال السعداوى

.. وتوقفت حركة الارض تحت قدمى فجـاة ، وتوقف معها الزمن .. كل شىء توقف وتجمد . فتحت عينى فرايت جسد امى فوق الارض !..





اقسم لكم يامن ستقراون قصتى اننى كنت اكثر براءة مما تتصورون ، وربما كنت اكثر براءة من كثيرين منكم ، وقد تاكدت من براءتى بعد ان مت « انا ميت الان وفى امكانى ان اعبر عن نفسى بغير خوف منكم » كنت فى براءة طفل صغير . ومعنى ذلك « لو كانت لكم ذاكرة قوية » اننى لم اكن بريئا على الاطلاق ، على الاقل فى نظركم . ومع ذلك كنت وما زلت اعتبر نفسى فى براءة طفل صغير . ان احدا منكم لا يذكر ما الذى دار فى راسه وهو طفل صغير . وانا ايضا كنت مثلكم حين كنت فوق الارض ، اننا ننسى طفولتنا حين نكبر ، وننسى احلامنا حين نصحو من النوم .. وهذا النسيان دليل قاطع على اننا فعلنا فى طفولتنا ما يخجلنا ونحن كبار ، وفعلنا فى احلامنا ما يخجلنا ونحن يقظون

لكنى لم اعد مثلكم ، وقد اكسبتنى تجربة الموت شجاعة غير ادمية ، فاصبحت فى غير حاجة الى ان افصل بين مراحل عمرى ، واقيم بين كل مرحلة ومرحلة جدارا سميكا . ان هذه الرؤية لمراحل حياتكم الممزقة المنفصلة بعضها عن البعض ، لم اتمكن منها الا بعد ان ارتفعت عن الارض . وقد دهشت لمنظر حياتكم تحت عينى . انه منظر غريب جدا ، يشبه الى حد كبير جسد انسان قطع راسه وبترت ساقاه ، ولم يبق الا البطن والصدر .

انه منظر مخيف ايضا ، ذكرنى بحادث قطار شهدته وانا طفل صغير ، ولا انسى حتى الان منظر الجسد بعد ان اخرجوه من تحت العجلات بغير راس . وبغير ساقين

هذا المنظر لا انساه ابدا . لكنى فى الحقيقه نسيته ، بل انه يكاد يكون المنظر الوحيد فى حياتى الذى نسيته تماما .. من شدة بشاعته نسيته نسيانا كاملا .. ومن شدة بشاعته ظل فى ذاكرتى ولم انسه ابدا . وهذا هو ما يحدث لكم . فانتم تنسون ولا تنسون . وهذا هو سبب شقائكم فوق الارض .

لكنى على اية حال لم اعد اخاف من هذا المنظر ، واصبحت على شجاعة غريبة ، واستطيع ان احملق فيه لمدة دقيقة كاملة بل ان شجاعتى زادت عن الحد واصبحت قادرا على ان احملق فى وجه ابى لمدة دقيقة كاملة . وجه ابى كوجوه كل الاباء .. ووجوه كل الاباء تبدو لى الان كتلك الوجوه الكرتونية التى كنا نشتريها فى يوم العيد .. العينان ليستا عينين ، وانما ثقبان كبيران ، حين انظر داخلهما لا ارى شيئا .. والانف قطعة بارزة من الكرتون ، له ايضا فتحتان ليستا الا ثقبين . وتحت الانف شارب طويل اسود . ان هذا الشارب هو الذى كان يضحكنا بشدة ونحن اطفال ، ويلبس كل منا الوجه الذى اشتراه بقرش ، ونجرى نخيف بعضنا بعضا بذلك الشارب الطويل الاسود .

كنت اظن اننى لا احب ابى بسبب ذلك الشارب الخشن المخيف ، لكنى ادركت الان ، حين حملقت لاول مرة فى وجهه ، اننى لم احبه بسبب عينيه . عيناه حين حملقت فيهما عرفت على الفور انه هو الذى قتل امى . وكنت وانا طفل احب امى . وانتم ايضا لا تعرفون معنى ان يحب طفل امه . لانكم لم تكونوا اطفالا ابدا « النسيان يجعل الشىء الذى حدث كالذى لم يحدث تماما » . كنت احب امى لدرجة اننى عاجز عن وصفها الان ، كما عجزت عن وصفها فى اى وقت مضى .

كنت اتصور اننى ساستطيع ان اصفها الان بعد ان ارتفعت فوق الارض ، واصبحت كل الاشياء الدنيوية منتهية . لكن حبى لامى لم ينته . الاشياء غير الحقيقية هى التى تنتهى ، اما الاشياء الحقيقية فلا تنتهى ابدا . وكان حبى لامى حقيقيا لدرجة اننى كنت اظن ان امى هى انا .

لم يكن ظنا فحسب ، ولكنه كان

الجريمة العظمى

احساسا يبلغ حد اليقين .

كان جسدها وجسدى شيئا واحدا . وان هذه المسافة المعدومة بينى وبين امى لا تزال حتى الآن كما كانت وانا طفل ، فالاشياء الحقيقية تلازمنا فى اى مكان ، ارتفعنا او انخفضنا فهى تلازمنا كاجسامنا .. وحبى لامى كان حقيقيا كجسدى .

كنت طفلا صغيرا ، وكل الاشياء فى عين الطفل الصغير تبدو غير حقيقية ،كل الاشياء تبدو كالحلم ، والناس كالاشباح او كالملائكة . والقطار يجرى فوق قضبان سحرية ، وصفارة القطار لها رنين اجراس مسحورة ، والبحر بغير قرار ، والسماء بلا قاع ، والشـارع بلا نهاية ، والليل المظلم مخيف الى حد الموت .

شيئان كنت اخاف منهما : الظـلام والموت . والترك سريرى الصغير فى منتصف الليل وازحف الى سرير امى ، ادس نفسى فى ثنايا جسدها الدافىء ، والتصق بقدر ما استطيع . اكوم جسدى واجعله اصغر مما هو . احاول ان اجعل حجمى يتناقص ويتناقص ليصبح جنينا صغيرا قادرا على العودة الى رحم الام ، وجسمى كله يهتز بهذه الرغبة كالحمى ، ارتجف كالمحموم ، واظن ان ما من شىء سيقتلنى من ذلك الموت المحدق بى فى الظلام سوى ان اختفى داخل ذلك الرحم الدافىء المغلق على وحدى . من يرانى فى تلك اللحظـة ، وانا متكور على نفسى كالجنين فعلا ،يدرك ان هذه الرغبة كانت حقيقية ، وكانت عنيفة ، وانها لم تكن رغبة فى الابتعاد عن الموت ، ولكنها كانت رغبة فى الاقتراب من امى ، الاقتراب الشديد الى درجـة الالتصاق بها وذوبان جسدى فى جسدها لاصبح انا وهى شيئا واحدا . كنت احبها لدرجة ان فناء جسدى فى جسدها لم يكن فناء ، ولم يكن موتا ، ولم يكن مؤلما ، ولا مخيفا ، بل كان قمة حياتى ، وذروة لذتى ، والطمانينـــة والراحة الكاملة .

ولم اكن فى تلك الحالة ادرك شيئا، كان كل ما حولى قـد اصبح دافئا كثدى الام ، وصامتا صمت الرحم من الداخل ، والعالم بكل ما فيه من بحر وسماء وبيوت واشجار وقطار وقضبان تلاشت ، والاصوات تلاشت ، ولم يعد لى اذنان ولا شفتان وانما هى حواس جنينية خام لا تحس الا الدفء ولا تشم الا اللبن .ولم يكن بوسعى فى تلك الحـالة ان ادرك وجود ابى ، الذى كان راقدا الى جوار امى بجسـده الضخم ، وشاربه الطويل الاسود يهتز مع اهتزازة شفته العليا ، وشفته السفلى تهدلت تحت وطاة الشخير العالى ، وخيط طويل من اللعاب الابيض ينسـاب ببطء من زاوية فمه ، فوق ذقنـــه رغم نومه العميق الذى بدا لى وقتها انه لن يصحو منه ابدا ، فتح عينيه ، ورغم اننى لم اكن اراه ((بسبب تكورى الجنينى » فقد لمحت تلك النظرة التى كســت عينيه بسرعة البرق ، والتى اختفت ايضا بسرعة البرق .. لم اعرف حينئذ هل اختفت وحـدها ام انه هو الذى اخفاها . لكنى ادركت الان انه هو الذى اخفـاها . رغم الظلام الذى كانت تغرق فيه حجرة النوم ، ورغم اننى لم اكن لاستطيع ان ارفع عينى فى عينيه ، فان هذه النظرة كانت قادرة على ان تخترق راسى كالسـهم ، وبرغم الم الاختراق ، وبرغم الخوف منه ، وبرغم الظلام الدامس ، وبرغم انه اخفـاها بسرعة البرق ، وعادت الى عينيه نظرة الاب المحب ، برغم كل ذلك فقد عرفت شكل هذه النظرة . انها عين الانسان حين تعبر عن الكراهية .

كان ابى رجلا متحضرا ، وككل الرجال المتحضرين فى عصرنا الحـديث ، الذين يستطيعون التحكم فى مشاعرهم الحقيقيـة واخفاءها ، والظهور بمشاعر اخرى تنم عن

الرقي ، ككل هؤلاء استطاع ابي ان يخفي رغبته الحقيقية في ان يقبض باصابعه الكبيرة الضخمة على عنقي ، ويقذف بي بعيدا ، وتحركت يده فعلا نحوي ، لكنه قاوم الحركة ، واصبحت حركته بعد المقاومة كحركة يد الاب المتحضر حسين يربت على كتف ابنه ، وبحركة بطيئة هادئة فصل بين جسدي وجسد امي ، واصبحت فوق طرف السرير البارد ، واحتل هو مكاني الدافيء .

كان الوقت شتاء ، والليل باردا ، والغطاء الصوفي لا يصل الى طرف السرير حيث كنت الا بمقدار ما يغطي نصف جسمي ويظل ظهري عاريا . ثم تحرك ابي وهو نائم وشد الغطاء عليه فاصبحت بغير غطاء تماما . ارتجفت من البرد ففتحت امي عينها . والحقيقة انني لم اكن قد ارتجفت بعد ، لكنها كانت تفتح عينيها لاقل حركة . قد لا تكون الا حركة الغطاء وهو ينزلق فوق ظهري ، او عضله صغيرة في جسمي تنقبض بسبب برد بسيط حدث او سوف يحدث ، فاذا بها قبل ان يحدث



وبل قبل ان تنقبض العضلة ذاتها ، اذا بها تفتح عينيها فجاة من عز النوم ، بل وانها قبل ان تفتح عينيها ، وقبل ان تصحو تماما ، تمتد ذارعها وتغطيني .

كنت اندهش ، واتساءل بيني وبين نفسي عن ذلك "السر" ، سر تلك القدرة الرادارية العجيبة لجسدها النائم على الاحساس بجسدي ، رغم تلك المساحة الكبيرة التي تفصل بيننا ، والتي كان يشغلها جسد ابي الضخم . وكانت دهشتي تزيد حين اسمع ابي يتهمها بان نومها ثقيل . وذات مرة سمعته يتشاجر معها لانه اخذ يرن جرس الباب طويلا قبل ان تصحو من نومها وتفتح له الباب . وكان ابي يتهمها ايضا بان سمعها ثقيل .

وذات مرة ضربها ، وانا في حجرها تطعمني ، لانه نادى عليها لتحضر له الغذاء لكنها لم تسمع . وذات مرة من المرات سمعته يقول لها ان قلبها بارد لا يحس . ورايت امي في ذلك اليوم تبكي وحدها في المطبخ ، فاقتربت منها في وجل ، وهمست في اذنها بكلمات متقطعة مكسرة ، ولم اكن اجيد الكلام بعد ، وقلت لها : « انتي بتحسي اكتر من ابي يا امي » . واتسعت عيناها وهي تنظر الي بدهشة ، كانها دهشت كيف يمكن لطفل صغير جدا مثلي ان يدرك حقيقة كبيرة كهذه الحقيقة وحوطتني بذراعيها وهي تهمس : يا حبيبي .

كان ابي واقفا على باب المطبخ ، وراني وانا بين ذراعيها ، فاكتست عيناه بتلك النظرة الخاطفة التي ما ان تظهر حتى تختفي ، والتي تخترق عظام راسي ، وتجعلني ارتعد برعدة عنيفة ، كالرعدة التي تصيب جسد الانسان حين يرى نفسه وجها لوجه امام الموت .

لو انه فعل ما يفعله الانسان الطبيعي

الجريمة العظمى

حين يكره ، لو انه اطبق باصابعه الكبيرة على عنقى لاسترحت . وادركت انه يتصرف على نحو طبيعى ، فالتصرف الطبيعى مهما كان قاسيا فهو مريح ، وهو مطمئن ، لكن ابى لم يكن يطمئنني ابدا . كنت اخاف منه ، واخاف من اية حركة تصدر عنه ، والحركة الهادئة او الحانية تفزعنى اكثر من الحركة العنيفة او القاسية ، وحين اكون قريبا منه وارى يده تتحرك ، ربما هو لن يفعل شيئا سوى ان يربت على كتفى ، او هو يحرك يده يهش ذبابة من فوق عينيه ، او ليهرش اذنه ، لكنى اجدنى قد انتفضت ، وسرت فوق جسدى قشعريرة خفية .

لم اكن اعرف لماذا لااستطيع ان اجلس بجوار ابى بحيث لا تكون هناك مسافة بيننا . كان لابد من هذه المسافة دائما ، ولم استطع بحال من الاحوال الاقتراب من ابى الى حد الالتصاق بجسده . على عكس امى ، كانت حين تجلس الى جوارى التصق بها ، ليس ذلك الالتصاق العادى .. ولكنه تلك الرغبة الملحة العنيفة فى ان تنعدم المسافة بيننا انعداما كاملا واصبح انا وهى جسدا واحدا . ولم يكن احد يعرف هذه الرغبة غيرى . كنت اخفيها كما اخفى مشاعرى الحقيقية ، وحين اجلس فى الفصل فى المدرسة ، ويطلب منى المعلم ان اقول وراءه جملة : احب ابى مثل امى .. اردد وراءه دون ان اعترض : احب ابى مثل امى .

وحينما تعلمت كتابة الحروف طلب منى المعلم ان اكتب اسمى ، فكتبت : سمير .. فقال لى اكتب اسمك بالكامل ، فكتبت سمير عزيزة ، ونظر المعلم فى كراستى غاضبا ثم شطب بقلمه الاحمر اسم عزيزة .. وقال لى : اكتب اسم ابيك . ودهشت ، وفتحت فمى لاعترض ، لكن المعلم كان كبيرا ، وانا صغير ، فكتبت دون ان اعترض سمير آدم . وفى اليوم التالى طلب المعلم من الفصل كله ان يردد وراءه : احب ابى مثل امى ورددت مع الفصل كله : احب ابى مثل امى . وطلب منا المعلم ان نكتبها فى كراسة الواجب خمس مرات . وفى اليوم التالى كتبناها مرة اخرى ، ورددناها وراءه عدة مرات ، وكان الواجب فى البيت ايضا ان نكتبها خمس مرات ، وان نسمعها لانفسنا عشر مرات ، ثم عشرين مرة ، حتى وجدت نفسى اردد وانا نائم : احب ابى مثل امى ... احب ابى مثل امى ..

وسمعنى ابى ذات مرة وانا ارددها ، فابتسم . كانت ابتسامته غريبة . لم يكن تكوين وجهه يصلح للابتسام . كانت الجبهة بارزة عريضة فوقها تكشيرة طبيعية لا تزول حتى وهو نائم . وكانت عظام وجهه غليظة والفكان كبيرين عريضين كفكى الجمل او الحصان ، ولا يمكن لمثل هذين الفكين مهما انفرجت الشفتان ان يعبرا عن الابتسام .

واصابتنى رجفة ، هذه الرجفة كانت تصيبنى دائما حين ارى شيئا غير طبيعى .. ولم اكن رأيت من قبل جملا او حصانا يبتسم . لماذا لا يستطيع الجمل او الحصان ان يبتسم ؟ طرحت هذا السؤال على المعلم فى المدرسة فقال لى : ان الانسان فقط هو الذى يمكن ان يبتسم يا سمير ...

ولم يعرف ابى ما الذى كان يدور فى ذهنى . كنت استطيع بقدرة عجيبة ان اخفى مشاعرى الحقيقية ورفعت صوتى عاليا وانا اقرأ الواجب من الكراسة : احب ابى مثل امى .. احب ابى مثل امى .. كنت اعرف اننى اكذب ، ولاننى كنت اعرف اننى اكذب فقد خفت ان يكتشف



ابى كذبى ، ولكى اخدع ابى اصبحت ارفع صوتى أكثر واكثر ، واردد بصوت عال : احب ابى مثل امى ... ، وكلما ارتفع صوتى زاد خوفى من ان يصبح الكذب فيه واضحا اكثر ، فارفع صوتى اكثر واكثر لاخفى كذبى ، وكلما ارتفع صوتى ظهر فيه الكذب اكثر وزاد خوفى ، وهكذا حتى وجدتنى اصرخ كالمستغيث وانا ابكى : احب ابى مثل امى ! احب ابى مثل امى ! ولم يكتشف ابى حقيقتى ابدا . وحين راى دموعى تجرى فوق خدى اقترب منى ، لكنى كعادتى تراجعت الى الوراء خطوة ، فاقترب منى اكثر ، فتراجعت الى الوراء ، فاقترب ، فتراجعت . وارتفعت يده الى اعلى قليلا ، واظن كان سيربت على كتفى .. لكن خيل الى انها ستهبط على وجهى فى صفعة قوية ، فانتفضت مدفوعا الى الخلف وتوقف ابى لحظة ، وعيناه المتسعتان كانهما فى دهشة ، تنظران الى وتحملقان ، كانهما فى دهشه ، وكانهما ايضا تتساءلان عن ذلك السبب . ليس ذلك التساؤل الطبيعى حين يجهل الانسان السبب ، ولكنه التساؤل غير الطبيعى حين لا يكون السبب مجهولا ، بل يكون معلوما ، ليس معلوما فحسب ، ولكنه محسوس عن يقين بكل احاسيس الجسد واعصاب النفس .

وفى مثل هذه اللحظات يصبح الانسان عصبيا . فالانسان بطبيعته لا يميل الى مثل هذه الاحاسيس اليقينية . الانسان ميال بطبيعته الى الشك ، ومع ذلك فليس هناك ما هو غير محتمل فى حياة الانسان قدر الشك . وهذا هو سبب شقائكم فوق الارض ، فانتم تريدون اليقين وتريدون الشك معا .

لكنى كنت فى ذلك الوقت طفلا صغيرا ، ولم يكن فى امكانى ان أزيل عنه هذا الشك او ذلك اليقين . كنت قد فعلت كل ما فى وسعى لاحفظ واتلو بصوت عال واجب المدرسة ، وكنت قد فعلت كل ما فى وسعى لاجعل صوتى وانا اتلو الواجب كانه صوتى الحقيقى .

وكان صوتى يبدو حقيقيا فعلا ، ولم يكن فى امكانى ان افعل أكثر من ذلك . لكن ابى ظل واقفا امامى ، لم اكن اراه لان راسى كان مطرقا وعينى كانتا فى الارض ، ولم اكن لاجرؤ ابدا على ان ارفع راسى وانظر فى عينيه .

كنت اعرف اننى فى اللحظة التى ستلتقى عيناه بعينى سيكتشف الحقيقة المفزعة . والحقيقة المفزعة هى ان الشك سيصبح يقينا ، او ان اليقين سيصبح شكا .

لكنى رغم اطراقى احسست بتلك النظرة التى اخترقت راسى ، ونفذت منه وجعلت ظهرى يتسمر فى الحائط .

الجريمة العظمى

وهكذا اصبحت واقفا امامه عاجزا عن التراجع الى الخلف . ولم تكن تفصلني عنه الا خطوة واحدة . وكنت اعلم انها ليست الا غمضة عين وتنعدم المسافة بيننا ، واصبح انا والحائط شيئا واحدا .. وضغطت بظهرى على الحائط وبكل قوتى ، ولكن الحائط كان صلبا صلابة الصخر .

فى تلك اللحظة ظهرت امى ، كانما انشقت الارض عنها فجاة .

لم اعرف كيف ظهرت ، ومن اين ، لانها فى ذلك اليوم لم تكن بالبيت ، وكانت ستقضى الليلة عند خالتى .

ولم اعرف تماما ما الذى حدث لى حين رايتها . ان جسدى وحده هو الذى اندفع بلا وعى نحوها بتلك السرعة وبذلك العنف . بسرعة الفرار من الموت وبعنف التشبث بالحياة . وكان جسدى حينئذ يتصرف على نحو طبيعى حين تشبث بها والتصق ، واصبح من شدة الالتصاق والتشبث هو وجسدها شيئا واحدا . حين اذكر ذلك اليوم اقول لنفسى : ليتنى لم افعل ما فعلت وليت ظهرى ظل متسمرا فى الحائط الى الابد ، او ليتنى اصبحت انا والحائط شيئا واحدا . لكننى لم اكن اعرف ما الذى سيحدث . انها المأساة ان يجهل الانسان ماذا سيحدث ، لا اقول غدا ، وانما فى اللحظة القادمة . ان هذا الجهل كالعمى بل انه العمى تماما . وانى اراكم الان تسيرون امامى بغير عيون . ان عيونكم ليست عيونا . ولكنها ثقوب ينفذ منها الهواء ، كثقوب الوجوه الكرتونية التى كنت اشتريها يوم العيد

ما زلت اذكر هذا اليوم . لم يحدث ان نسيته ابدا ، كمنظر ذلك الجسد بغير راس وبغير ساقين الذى ما نسيته قط . ان ذاكرتى تحتفظ بكل ما حدث فى ذلك اليوم ، رغم انه اصبح بعيدا جدا ، ورغم ان سنوات كثيرة مضت ، سنوات كثيرة لا استطيع ان اعدها ، فلم اكن تعلمت من الارقام الا عشرة ، بعدد اصابع اليد .. لم يكن المعلم فى المدرسة قد علمنا اكثر من هذا حتى ذلك الوقت . لكنى رغم السنين الطويلة ما زلت اذكر كل شئ مهما كان هينا ، وكل حركة مهما بدت بسيطة .. ولم تكن ايه حركة من حركات ابى بسيطه مهما بدت بسيطه . واستطعت ان التقط تلك الحركه السريعه الخاطفة فى عينيه ، ورايت سواد عينيه يستقر فوق امى . وكنت لا ازال بين ذراعيها فاخفيت راسى فى صدرها ، ولم اعد ارى وجه ابى ، لكنى احسست ذراعى امى حول ، تضغط بكل قوتها وتحتوينى بجسدها ، وتتكور حول وتحوطنى ، وتخبئنى ، وكانها ارادت لو استطاعت ان تضمنى داخل صدرها او داخل احشائها بل فى رحم الام ذاته .

والى هنا واصبح ابى عاجزا عن الاحتفاظ بالوجه غير الحقيقى ، ترفعه بحركة سريعة بيده ، ورايت وجه ابى بلكيه الكبيرين العريضين كوجه الثعلبى الوحشى .

ولاول مرة يصبح وجه ابى امامى طبيعيا ولم اعد خائفا كما كنت خائفا من قبل . ولا ادرى كيف عادت الى كل شجاعتى ، فقلت له بصوت هامس اول الامر : « لا احبك ! » ، وحينما تجمد امامى لحظة ، تشجعت اكثر ، ورفعت صوتى اكثر ، وقلت له : لا احبك ! وحينما سمعت صوتى واضحا باذنى ، وتاكدت انه صوتى، تشجعت اكثر واكثر .. وقلت له : لا احبك !

وهكذا استمر بى الحال ، حتى وجدت نفسى اصيح بصرخة طويلة متصلة اتصالا لا نهائيا : لا احبك ...

وقفز فوقى كالنمر المفترس ، لكن امى كانت اسرع منه . وفى غمضة عين اصبحت

امي بجسدها الكبير بيني وبينه .لم اكن ارى وجهها لاني كنت أقف خلفها ، لكني ادركت من انقباض عضلات ظهرها وتكورها انهـــا اصبحت كالنمـــرة التي تتاهب للانقضاض .ولم اعرف تماما ماذا حدث، لقد كفت الاصوات عن ان تكون آدمية . وكل شيء تغير في لحظة او في ثانية . والثانية ايضا لم تكن هي الثانيـــــة ، فالزمن تغـــير ولم يعد هـــو الزمن ، واصبحت عاجزا عن التعرف على اى شيء حولي ، بل عجزت عن التعرف على نفسي وحقيقة وجودي حيا او ميتا ، وخيل الى انني اموت واصحو لم اموت واصحو ، عشرات المرات ، مئـــات المرات ، آلاف المرات ، هذا الى ما لانهاية . اموت واصحو ، كأنما سقط جسدي في قاع دوامة تدور بسرعة رهيبـــة ، وأسرع من دوران الارض حول نفسها .

على ان حركة الارض توقفـــت تحت قدمي فجاة ، وتوقف معها الزمن ، وكل شيء توقف وتجمد ، وفتحت عيني ، فرايت جسد امي فوق الارض .

كنت اظن انها نائمة كعادتها حين تنام في الصيف على الارض ، واقتربت منها في وجل وهمست في اذنها : « أمي » . لكنها لم ترد . دهشت ... كانت تصحو لاقل صوت ، بل كانت تصحو قبل ان يصدر الصوت ، وقبل ان تنفرج شفتي عن الكلمة تفتح عينيها وتصحو ، بل قبل ان تفتح عينيها كنت احس جسدها يتحرك قبل ان تتحرك شفتي ، وقبل ان انطـــق الكلمة ،وقبل ان اسمع انه صوتى تكون هي قد سمعته .

ورغم انني ادركت من حيث لا ادري انها لن تسمعني باى شكل ، فقد ظللت اهمس في اذنها بالكلمه . وحينما جاء ابي ومعه عمي وخالي وحملوها بعيدا عني ، واصبح



البيت بغـــيرها دهشت . ليســـت تلك الدهشة العادية التي يندهشها الكبار ، وانمـــا هي دهشـــــة الطفـــل ، تلك الدهشة العجيبة ، حين تبدو له كل الاشياء غير حقيقية ، وان الذى حدث كالذى لم يحدث ، والحلم كالحقيقة ، والحقيقـــة كالحلم .

وانتقل ابي الى بيت آخر واخذني معه، ومضت الايام والسنون ، وكبرت وشخت ومت ، ومع ذلك فلا يزال يخيل الى ان الذى حدث لم يحدث .

وانه لم يكن الا الان فقط ، بعد ان ارتفعت فوق الارض ، واستطعت ان ارى الارض بوضوح ، واراكم بوضوح ، الان فقط ادركت الجريمة العظمى التي ارتكبت في الخفاء ولم يعلم بها احد . ان الجريمة الاولى في حياة البشرية لم تكن ان قابيل قتل هابيل ، ولكن آدم قتـــل امي . قتلها لاني احببتها ولم احبه .

وياليته ادرك انه كان في امكاني ان احبـــه لو انه احبني ، لكن أبي كان عاجزا عن الحب . كنت ادرك رغم انني طفـــل انه لا يحبني ، ولا يحب امي ، وانما يحب فقط ان ياكل وان يشبع .



الوردة الأخيرة

قصة قصيرة بقلم: عزه الدمرداش

عندما يأتى المساء ، يلف القاهرة هدوء منعش لا يخلو من ضجيج ، بدات الحركة تخف قليلا صبى صغير يجرى مسرعا على الرصيف انه سمير بائع الورد ، كل رواد مقاهى وكازينوهات شارع ٢٦ يوليو يعرفونه ، ويعرفون انه لا يظهر الا فى الربيع والصيف مضى الصبى سمير منكمشا داخل قميص « نصف كم كاروهات » .. وبنطلون واسع تاهت ساقاه النحيلتان داخله .

قبل أن يهم بدخول المقهى وقف أمام بائع جرائد ، أخذ

يستعرض الصور على صدور المجلات ، شـد انتباهه صورة فتاة جميلة ، وضع يده على قلبه ، وحرك لسانه ببطء على شفته السفلى ، لمح على الرصيف الآخر مكنة تبيع « الآيس كريم » فى شكل مخروطى جميل فحرك لسانه وتحسس به شفته العليـا ، مر أتوبيس بطىء و « العادم » الاسود يتلوى فأخرج وراءه له لسانه كله ساخرا .
باع سمير كل ما كان معه من ورد . الحصـيلة جنيه ونصف ، سيعطى البائع جنيها وأمه النصف . مات أبوه وترك لامه حزمة من العيال .. سبعة فى عين العدو وبقيت وردة حمراء عزيزة عليه اذا باعها فسوف يأخذ ثمنها له ويشترى سندوتش طعمية وكوب عصير قصب تمنى أن يشترى لامه كيلـو برتقـال ، فقد تعبت من الخدمة فى البيوت . تذكر القطة السوداء التى تبيت كل ليلة أمام باب الحجرة التى يعيشون فيها . تمنى أن يبيع الوردة وأن يأخذها ويضعها فى رقبة القطة . كم ستصبح القطة جميلة ، قطة سـوداء وفى رقبتها وردة حمراء .. قطتى صغيرة واسمها نميرة ! ..
دخل الى المقهى .. وجد رجلا متجهما ينظر اليه من خلف منظار اسود ، أمامه بعض زجاجات من البيرة :
ـ تعال يا ولد ؟ يا ولد هات الوردة ، الورد جميل ، جميل الورد .. يا ولد ! ..
نظر اليه سمير فى اشمئزاز ، واحتضـن الوردة ، كأنما يريد أن يخفيها عنه .
وقعت عين سمير على وجه امرأة بدت مثل تفاحة فى قفص بطاطس التقت العينان فجـأة دون عمد ، أحس أنها تنظر اليه فى لهفة . شىء ما قد يشد البشر بعضهم الى بعض .. اتجه اليها كما يذهب العطشان الى النهر . وقف بجوارها بين الصمت واللهفة . أمامها رجل ضخم الجثة أصلع الرأس . لا يدرى سمير كيف وصـلت الوردة الى يدها ، هـل هى التى أخـذتها أم هو الذى قدمها ؟ المهم ان الوردة الحمراء فى يدها الآن . عينـا



الرجل الاصلع تنظران اليه شزرا وعلامات السخط تبدو وعلى وجهه بينما بسمة عريضة تظهر على شفتى المرأة ·

ذلك الخنزير الضخم ما علاقته بهذه المرأة الحلوة ؟: ·· أبوها ؟! ·· غير معقول ! زوجها ؟! ·· استنكر هذه الفكرة ! ·· تساءل الصبى فى نفسه : هل هناك علاقة بين المرأة والرجل لا يعرفها ؟! ··

أخرج الرجل فى برود ورقة بخمسة وعشرين قرشا، ورماها فى وجه سمير · وقعت على الارض بجوار حذائه الاسود الضخم · عزت عليه نفسه ، تحير هل يأخذ الورقة او يتركها ؟ ربتت المرأة الحلوة على صدره فى حنان قائلة :

ـ خذها يا حبيبى ·· ثمن الوردة !

بينما كانت تحاول أن تساعد الصبى فى التقاط الورقة ، صاح فيها الرجل الضخم قائلا :

ـ تقطعين الحديث الذى أكلمك فيه من أجل هذا الولد الضال ؟!

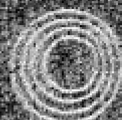
أخذ ينفث دخان السيجارة والدخان يتلوى ، أحس سمير بانقباضة تعتصر قلبه الاخضر · ليته ما باع الوردة وأخذها الى قطته السوداء ·

بدأ يتحرك بين الكراسى والموائد فى انكسار حتى خرج من الباب ، يسير على الرصيف تائها · استقيظ من شروده على شئ يقذف من نافذة المقهى ·· استقرت الوردة الحمراء أمام قدمه اليسرى · انحنى عليها فى ضعف وشفقة ، حملها فى حنو بالغ ، كانت قد سقطت منها بعض أوراق · لم يستطع أن يواصل السير · جلس بجوار الحائط يبكى وأخذ يمزقها قطعة قطعة ويرميها فى الهواء ·

أمسك الوردة · شم رائحتها كأنه يشم رائحة الورد لاول مرة ، أول مرة يدرك أن الورد جميل ، وان الورد ليس لكل الناس ، وتمثلت له صورة أمه :

ـ لا تتأخر يا سمير ، الليل غدار ·

تذكر أن القطة واقفة أمام الباب فى انتظاره ، سوف يعطيها الوردة ، وقف متماسكا وقرر أن يعود ·



شهريات سينمائية

جمال الدين الأفغانى في السينما العربية





عبد النور خليل

شهريات سينمائية



يوسف شعبان يتحدث مع صلاح قابيل ، وايمان الطوخي تتابع الحديث باهتمام . . . .

في التاسع من هذا الشهر : مارس ١٩٨٢ تمر خمسة وثمانون سنة على رحيل الفيلسوف العالم المفكر الاسلامي السيد جمال الدين الافغاني ، فقد مات في ٩ من مارس ١٨٩٧ ، في الاستانةعاصمة الدولة العثمانية ايام السلطان عبد الحميد . وعلى هذه الصفحات .. صفحات مجلة « الهلال » التي كان يصدرها صاحبها جرجي زيدان، وبعد مرور اسابيع على وفاة جمال الدين الافغاني نقرأ هذه الفقرات من نعي نشرة صاحب الهلال :

«لما كان الانسان لا يقدر العمل الا بنسبة ما يترتب عليه من الفائدة ، كان نصيب كثيرين من عظماء الارض جهل الناس حق قدرهم ، واغفال التاريخ ذكرهم كما هو شاننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله . فقد نشأ قطبا من اقطاب الفلاسفة وعاش ركنا من اركان السياسة ، لكنه مات ولم يتم عملا ولا الف كتابا ، على ان ذلك لا يحط من مقامه ـ وقد رأينا اعظم فلاسفة اليونان (سقراط) قد مات ولم يدون شيء من كلامه ، لكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها فتوارثتها الاجيال خلفا عن سلف ، فعسى ان لا نحرم من مريدي الاستاذ ويكون من تلاميذه من يفعل ذلك » .

● جمال الدين الأفغاني أول داع للحرية في تاريخ الشرق الحديث



محمود ياسين وتوفيق الدقن ، في مشهد يتبادلان الحوار ..

ونقرا أيضا :

« كان ذا عارضة وبلاغة ، لا يتكلم الا باللغة الفصحى ، بعبارات واضحة جلية ، واذا آنس من سامعه التباسا بسط مراده بعبارة اوضح ، فاذا كان السامع عاميا تنازل الى مخاطبته بلغة العامة ، وكان خطيبا مصقعا لم يقم في الشرق اخطب منه »

● الأفغاني وعصره ●

على ان التخوف الذي ابداه جرجي زيدان بعد اسابيع قليلة من رحيل جمال الدين الافغاني ، لم يكن له ظل من الواقع لحسن الحظ ، فلم يصبح الافغاني ، ولا فلسفته ولا فكره الديني المستنير ولا دعوته الى الحرية وتحرر الشرق الاسلامي هباء ، مما دفع استاذا ومفكرا هو الشيخ مصطفى عبد الرازق الى ان يقول عنه :

« حسب جمال الدين من عظمة ومجد ، انه في تاريخ الشرق الحديث اول داع الى الحرية ، واول شهيد في سبيل الحرية ».

ولقد كان جمال الدين الافغاني ، نتاج اليقظة الاسلامية الكبرى التي بدات تزدهر وتنمو في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وتقوى ويشتد عودها في القرن التاسع عشر .. يقول الكاتب لوثروب استودادر في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » الذي عني فيه بتعقب حركات الاصلاح الاسلامية التي واكبت القرن الثامن عشر الميلادي :

« كان العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع اعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط اعمق دركه ، فاربد وجهه ، وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ، ورجا من ارجائه ، وانتشر فيه فساد الاخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الامم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة

في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الاسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين والغاشمين كسلطان تركيا وآخر ملوك المغول في الهند » .

على أن هذا الحال ماكان ليدوم ، فقد بدأت اليقظة الاسلامية تنتشر انتشارا متزايدا ، ومبادىء التجدد والاصلاح الحقيقي تنمو نموا مضطردا .. وكان نتيجة هذا هو عودة الحرية العقلية شيئا فشيئا في أوائل القرن التاسع عشر ، ولم ينتصف هذا القرن حتى كان قد قام في كل بلد من بلدان المسلمين في الرقعة الاسلامية عدد من رواد الاصلاح ودعاته ينبهون ويوقظون .. كابن عبد الوهاب في الجزيرة العربية والسر احمد خان في الهند ، ورشيد باشا ومدحت باشا في تركيا .. تبنوا جميعا فكرة قيام « الجامعة الاسلامية » التي يذهب معناها الشامل الى الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها



في المسلسل الجديد عن حياة الافغاني ، يؤدي توفيق الدقن دورا كبيرا ...

● فى القرن التاسع عشر.. قام فى كل بلد إسلامى رواد للإصلاح



جمال الدين الافغانى « محمود ياسين » فى احد المشاهد الحاسمة من المسلسل الجديد

وكان جمال الدين الافغانى نتاج هذا كله ، ووارث هذا كله ، فى اصالة فكرية وعلم ووضوح رؤية وهدف ، وما كان تجواله بين افغانستان والهند والحجاز ومصر وتركيا الا ازكاء للشرارة المقدسة التى تعيد الشعور بالوحدة عند كافة المسلمين .

● صاحب الدعوة الكبرى ●

كانت هناك ضرورة كبرى الآن لمرحلة الاصلاح والدعوة الكبرى ، وقد قام بها جمال الدين الافغانى وعرفت به من بعده . لقد ولد السيد جمال الدين الافغانى فى مطلع القرن التاسع عشر وهو افغانى الأرومة ينحدر نسبا كما يدل لقب سيادته من العترة النبوية الطاهرة ، ويجرى فى عروقه الدم العربى الاصيل .. وخلال تجواله حاملا دعوته الى الاصلاح والجامعة الاسلامية، ما نزل قطرا من اقطار المسلمين الا وتفجرت فيه ثورة فكرية اجتماعية لا تخبو نارها .. وكان الافغانى أول مفكر وعالم مسلم ايقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الاسلامى فهب يضحى نفسه ويفنى حياته فى سبيل ايقاظ العالم الاسلامى وانذاره بسوء العقبى، فلما اشتهر شأنه خشيت الحكومات الاستعمارية امره وحسبت له الف حساب فنفته بحجة

شهريات سينمائية

انه يفجر الثورة بين المسلمين .. وكان المستعمرون البريطانيون يحسبون له الف حساب .. سجنوه فى الهند فترة ولما اطلقوا سراحه جاء الى مصر عام ١٨٨٠ وكانت له يد فى الثورة العرابيسة فلما احتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ نفوه منها ، وتنقل بين كافة البلدان حتى استقر فى الآستانة ليمسكه فيها السلطان عبد الحميد الى ان مات عام ١٨٩٧ .

ان تاريخ جمال الدين الافغانى ، وفكره وفلسفته الاسلامية وتعاليمه التى سار بها تلامذته من بعده مثل الامام محمد عبده ، الذى كان واحداً ممن ترجموا لحياته ، شأنه فى ذلك شان الكثيرين من الكتاب العرب ، امثال الامير شكيب ارسلان وأديب اسحاق والكتاب الاوروبيين امثال لوثروب وجولد سيهر المستشرق المجرى وبلنت الانجليزى .

● حياته على الشاشة ●

بعد هذه المقدمة الطويلة عن جمال الدين الافغانى، ومغزى حياته ، وأثر فلسفته وفكره فى يقظة العالم الاسلامى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اعترف صراحة انه قد انتابنى ذعر حقيقى عندما قال لى الفنان الصديق محمود ياسين انه قد بدأ بالفعل فى تمثيل شخصية الافغانى وحياته فى مسلسل سينمائى تليفزيونى .. وكأنما قد هاله الذعر الذى رآه يكسو وجهى ، فمضى فى اصرار يؤكد لى انه قد حرص على ان تتوافر للشخصية كما يمثلها كل عناصر الصدق والقوة والاصالة التاريخية التى تعطى الرجل الجليل حقه وتجسد حقيقة دوره فى اليقظة الاسلامية الكبرى



صورة من حياة الافغانى ، على فراش المرض ، فى ايامه الاخيرة قبل وفاته باسلامبول ..

● رحلات الأفغاني أعادت
الشعور بالوحدة بين المسلمين



محمود ياسين ويوسف شعبان في احد مواقف المواجهة الحاسمة وسط الاحداث التي حفلت بها حياة الافغاني ....

بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .. ولقد حرص محمود ياسين على ان يدعوني لحضور الايام الاولى التي صور فيها المخرج جلال غنيم اللقطات الفيلمية للمسلسل ، قبل ان ينتقل الى احد ستوديوهات الخليج لكي يكمل تصوير أحداثه هناك .. لكنني آثرت ان اتباعد حتى لا يتحول فزعي وخوفي على مكانة الافغاني الى امر واقع ، تفرضه ضرورات خاصة بالانتاج او العلاج التليفزيوني لحياته وعصره ، فيجيء اصغر كثيرا جدا مما له بالفعل.. على انني تابعت، ويدي على قلبي، مسار التنفيذ.

وفي اطار الاحداث التي يرويها المسلسل ، بعض من ملامح حياة جمال الدين الافغاني ، واغلب الظن ان هذه الاحداث تعتمد على ترجمة حياة الافغاني، التي كتبها في حياته الامام الشيخ محمد عبده ، وهي في نفس الوقت تسجيل

شهريات سينمائية



حفلت حياة الافغانى بمواقف الخطر والتحدى وهنا مشهد من هذه الاحداث الهامة فى حياته ...

لرحلاته وانتقالاته بين الهند والحجاز ومصر وايران وتركيا ، وسفره الى لندن والفترة التى قضاها فى باريس واصدر فيها جريدة «العروة الوثقى» .. لكننى لا اتصور ان مثل هذا المسلسل يمكن ان يستوعب العصر الذى عاش فيه جمال الدين الافغانى ، ولا ان يعرض احوال البلاد الاسلامية التى كانت تتداعى تحت ضربات الاستعمار الغربى المتمثل فى انجلترا وفرنسا على ابشع الصور .. فى الجزائر وشمال افريقيا .. فى مصر والشام والهند وايران وافغانستان.

• مؤامرة بسبب الحب •

يحكى المسلسل فى بعض اجزائه التى تتناول الفترة الاولى من حياة جمال الدين الافغانى ان الاميرة شاه جيهان ـ تمثل الشخصية ايمان الطوخى

● الأفغاني والثورات الاجتماعية في عصره



وسط ديكورات من الماضي القريب في حياة الافغاني ، وقفت الفنانة ايمان الطوخي تؤدي دورها الكبير .....

ـ قد احبته ، حبا ملك عليها قلبها جميعه .. وانها قد راحت تطارده بهذا الحب ، وتحاصره به وهو يحتل مكانة الوزير الاول في بلاط الامير محمد اعظم خان ، لكنه قطع عليها الطريق ، وسد امام اغراضها ونزواتها الباب قائلا ان الحب شيء صغير في حياته ، وانه لا يفكر على الاطلاق ان يجعل اى حب يقعده عن السعي الى هدفه الاكبر وهو الدعوة الى اليقظة الاسلامية .. وحتى يتحقق عنصر الصراع الدرامي ـ كما يقول المخرجون عادة ـ يتحول حب شاه جيهان الجميلة المدللة الى كراهية اشد فتكا ، وتنضم الى المتآمرين على العرش وعلى وزير العرش الاول جمال الدين الافغاني .. وينجح المتآمرون في اسقاط محمد اعظم خان لكي يعتلي العرش مكانه الامير شير على خان



لم يكن للمراة فى حياة الافغانى دور يذكره المؤرخون، ولكن الاحداث فى المسلسل لم تخل من المراة وتأثيرها فى سير الاحداث ..

(يوسف شعبان) ويهرب جمال الدين الافغانى الى الهند ثم الى مصر ..

وفى تصورى ، ان قصة حب شاه جيهان هذه للافغانى ، لا تقوم على سند تاريخى ولا صحة لها فى كل ما سجل من احداث حياته ولا التراجم التى نشرها وحققها علماء افاضل من المستشرقين الغربيين او الذين عاصروه مثل الامام الشيخ محمد عبده واديب اسحاق وجرجى زيدان وشكيب ارسلان .. وان هذه القصة لا تعدو أن تكون اختلاقا روائيا لادخال عنصر المراة فى حياة الافغانى .

الفنان
ثروت البحر
ألوان وأشعار

عادل ثابت

● لكلمتي « الفن » و « الشعر » عند الفيلسوف الفرنسي المعاصر « جاك ماريتان » مدلول يختلف عن مدلولهما الشائع، ويقترب الى حد ما من معناهما القديم عند الاغريق .. الفن عنده هو الناحية الخالقة الصانعة من نشاط الذهن البشري .. اما الشعر فانه لا يعني به ذلك النوع المعين من الفن الذي يختص بنظم القصيدة ، انما هو شيء اعم من ذلك واعمق جذورا ..



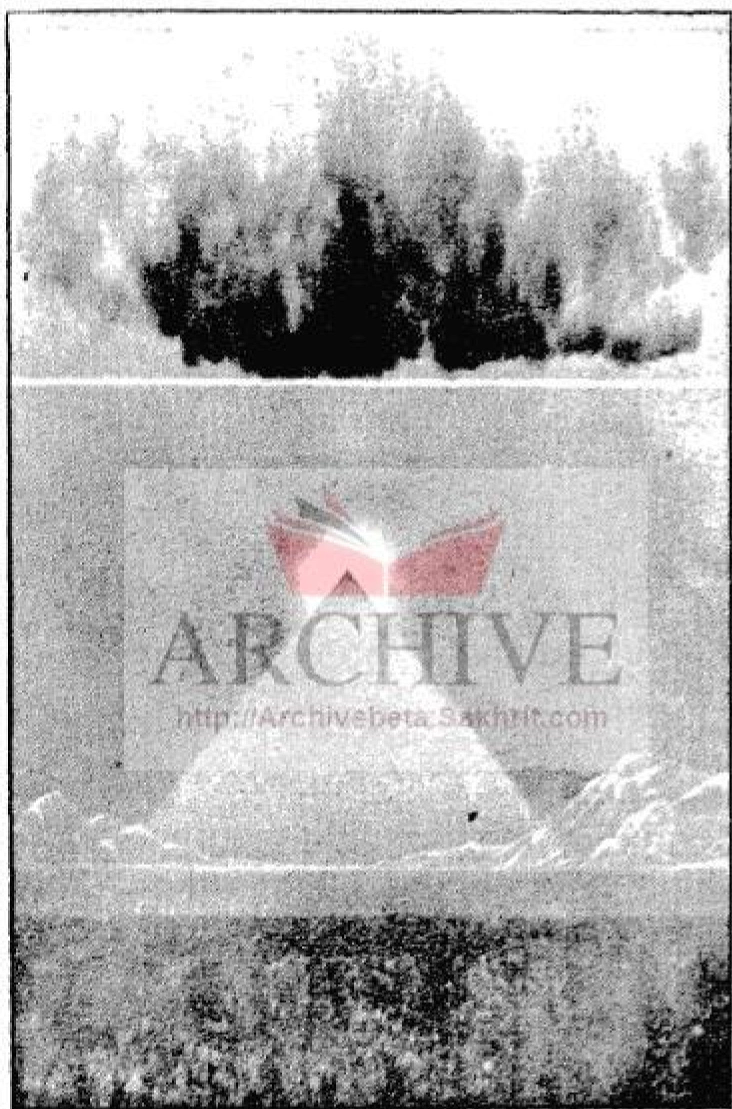
الفنان ثروت البحر امام احدى لوحاته

انه نوع من التفاعل الوجداني بين الذات الباطنة في نفس الانسان وبين الوجود الخارجي ، اي انه نوع من الكهانة. الواقع ان ما يقابل كلمة « شاعر » في اللغة اللاتينية ـ وهي كلمة « فاتيس » ـ تؤدي معنى الشاعر والكاهن في ان واحد ،وللشعر بهذا الوصف خاصية تشترك فيها جميع الفنون ، وهو بمثابة روحها الكامنة وقلبها الخفاق ولا يختلف عما كان يطلق عليه الافلاطون اسم « الموسيقى » .

ولان الفن ـ اي فن ـ يشترك تماما مع الشعر في هذه الخاصية ، فالفن التشكيلي يعقد علاقة وطيدة واكيدة بالشعر .فحينما نجد فنانا تشكيليا متألقا في فنه ، وله تجارب شعرية ، فمن المؤكد انه ينبيء بمولد فنان ذي مواهب فذة ، وعلى شفا شهرة واسعة النطاق .

وعندما يجد الفنان في طفولته مناخا طيبا يبعث على الغوص في دهاليز واعماق الكتب ، مرورا باللوحات الفنية التي تكسو جدران حوائط المنزل، ولمسات الذوق والجمال لا تخلو من اي من اركانه . المجلدات والمخطوطات وكتب التراث والشعر القديم، كل ذلك امام الطفل في مكتبة ضخمة ، يقرأ فيها بنهم شديد ، ويتفرج على رسوم

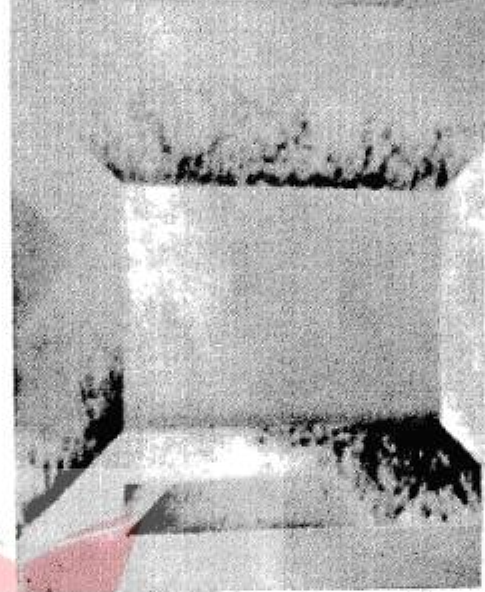
ثروت البحر



● فى الثمانينات دخل عنصر المثلث حياة الفنان



ثروت البحر



الكتب ، فاقرأ قاه من فرط الاعجاب والدهشة .

ان الطفل الذى ينمو فى مثل هذه البيئة ، لابد وان تتكون عنده ملكة التذوق وعادة القراءة ، وقد حدث هذا بالفعل مع الطفل ثروت البحر ، ابن الشاعر السكندرى المعروف « محمد زكى البحر » .

عندما كان هذا الطفل فى سن السابعة من عمره ، قرأ اشعار ابيه ، احبها ، كتب الشعر ، اقام اول معرض لرسومه فى هذه السن المبكرة ، واختار منزله ليكون اول قاعة عرض لاعماله .. وكان رواد هذا المعرض بالطبع هم والديه واخواته ، واصدقاء المدرسة .

وبدا الخيال يتعدى حدود سن الطفل « ثروت البحر » ، يحلق فى اجواء مصرية يخترق العقل الصغير ، ليستقر بداخله ويتكور وينضج ليصبح حقيقة تكبر مع السن وتتلاحق الافكار ، برغم عدم ملاحقة الاوراق والاقلام الملونة لها ، يلتهم الالوان كقطع الشيكولاته ، ينسى معها المدرسة والدروس .. ولا يعنيه النجاح او الرسوب انما ممارسة الرسم والقراءة للشعر والكتب فى المقام الاول والاخير .

ومن سن الثانية عشرة بدا يتردد الفنان « ثروت البحر » على مرسم الاخوين ادهم وسيف وانلى ، وتعلم الكثير على ايديهما ، وتاثر باعمالهما ، وفى سن السابعة عشرة قرأ « لسومرست موم » و « تولستوى » احس بان فكره ينضج ويتقدم .. لم يترك معرضا الا وكان من اوائل الزائرين له.. بعد حصوله على شهادة الاعدادية تمرد على المدرسة ، تركها لمدة عام ، وجلس امام اوراقه والوانه . لم يتحدث معه والده فى هذا الشأن ، فهو شاعر كبير ، والشاعر والفنان التشكيلى ، اخوان من ام واحدة .

كبر الطفل .. ودخل مرحلة الشباب.. وهذه المرحلة لها تفكيرها وخيالها ايضا.. لكنه عمل موظفا لفترة قصيرة ، ولم يقتنع بها ظل حبيس جدران مرسمه بالاسكندرية ، يذهب اليه صباح كل يوم ولا يغادره الا فى حلكة الظلام ، « الاسكتشات » تلعب بمقادير تفكيره .. لم يعد يقوى على شىء.. فقد السيطرة على كل شىء ، الا الالوان . اصبح مرسمه بمثابة المعمل التجريبى للالوان والاشكال . يعتمد فى مفردات اعماله الفنية على الخط العربى والاشكال الهندسية .

يتقن كتابة الخط منذ صباه ، وانتج عديدا من اللوحات التى تتصدرها تشكيلات من الخط العربى يدخل ضمن تكوين اللوحة

● يعتمد إنتاج "ثروت البحر" على الخط العربي بتشكيله الكامل

« كموتيفة » . ولقد اتيحت له فرصة دراسة قواعد الخطوط واشكالها بعد زواجه من بنت الفنان الخطاط محمد ابراهيم ..

فالخط العربي له قواعد واصول ومدارس متعددة ، منها « الترابي » و « الانسيابي » وخلافه ، وعندما قرأ عن الخط واكمل فيه مشواره ، اصبح انتاجه الفني يعتمد كلية على الخط بتشكيله الكامل . وخطوط ثروت البحر تعبر في كثير منها عن الانسانية في انسيابها وتدفقها وحيويتها بالاضافة الى تركيبتها وتكوينها .



●

ولقد كانت مرحلة الخط العربي عند ثروت البحر من اهم مراحله الفنية ، التي فتحت امامه الطريق لاستلهام الخطوط الحادة ، فاقترب اكثر من الرمال والصحراء وامواج البحر ، واستهواه الهرم الاكبر ، لقدمه لنا مضيئا من جميع جوانبه .. كسر به كل قواعد الظل والنور ، لكنك تراه مضيئا من كل جانب ، تماما كما تقف امام لوحة الجيوكنده لتشعر انها تنظر اليك اينما وقفت .

●

في الثمانينات دخل عنصر المثلث الهرمي حياة الفنان ثروت البحر ، استخدم في كثير من هذه اللوحات الوان « الاسبراى » اي « البخ » .. وهي طريقة سهلة يمكن من خلالها رسم اكثر من لوحة في اليوم الواحد فضلا عن ان هذه الالوان يمكن معها معايشة الفكرة قبل هروبها ، واتاحة الفرصة لتسجيل الوحي بشكل واع .

والفنان ثروت البحر « ٣٨ سنة » هو في حد ذاته عبارة عن مجموعة من المعارض ، فالاتيليه ضيق ، ولوحاته وضعت في أركانه على شكل مجموعات ، خاصة وانه اشتهرت اعماله بكبر المساحة . لذلك كان حريصا

على اشتراكه في كل المعارض التي اقيمت في الفترة من عام ١٩٦٤ الى الآن . بالاضافة الى المعارض الخاصة في مصر وخارجها ، كما انه حصل على الجائزة الاولى في التصوير ببينالي الاسكندرية الثاني عشر عام ١٩٧٨ .

لم يكتف هذا الفنان الشاب بما تقدم، لكنه يقتنع تماما بأن الكتابة هي تفريغ للشحنة ، لذلك فقد أصدر ديوانا للشعر بعنوان « أحاديث عائلية » عام ١٩٧٣ قال فيه :

لا شيء سوف يحملنا الى الماء الرائق
غير عطش عميق .. عميق !

عندئذ سيفيق احمس ضاحكا من عجلاته

ثروت البحر

يبحث فى الاقصر عن الدلالين ذوى الاعين الخبيثة

وينقب عن كبريائهم المسلوق بالشمس الجوعى

ليغسل البترول عن سعف النخيل قائلا ان سر التحنيط ان نحفظ الحياة ان يبتسم الانسان فى الصخر الابدى





نظرة طبية

د. السيد الجميلى

الاكتئاب النفسى

فى زحام وصخب الحياة الحاضرة ، ومشكلاتها المعقدة ، ومتطلباتها المادية والفكرية والمعنوية ، التى تلح على الانسان فى تواتر وتتابع ، وتترسب المتاعب النفسية داخل كيان المرء ، فيلهب الى صديق له يشكو اليه فيجده فيما هو فيه من اعراض الاسى والحزن والاكتئاب النفسى ..

ولعل مرض الاكتئاب النفسى من اكثر الامراض النفسية والعقلية انتشارا ،وتبلغ نسبته فى العالم حوالى ٣٪ ولذلك فان مرضى الاكتئاب يشكلون اكثر من ثلث المرضى فى العيادات النفسية .

وتتلخص اعراض هذا المرض العنيد فى هبوط المعنويات والسامة والملل والضجر والشعور بالارهاق الشديد ، وخيبة الامل .

وفى الواقع ان الاكتئاب النفسى يعزى اليه اكثر من ٧٠٪ من حالات الانتحار والتى تحدث عادة فى ظروف غامضة ، نتيجه الاغراق فى ظروف صعبة من خلال معركة الحياة ومشكلاتها المنفصلة ،واحداثها المستمرة . كما تظهر اعراض المرض على هيئة اضطرابات جسمية صرفة مثل الام المعدة ..

وقد يتردد المريض على عشرات الاطباء ، وتجرى له مختلف الفحوص الطبية والتى لم يستنبط منها مرض عضوى يذكر ، تعزى اليه معاناته الجسدية المبرحة .

وكثيرا ما يتوهم الجراحون التهابات فى الزائدة الدودية ويقررون استئصالها جراحيا لان الصورة الاكلينيكية جميعها فى مجملها تشير الى الالتهاب الحاد فى الزائدة الدودية ، ولكن يفاجاون ان هذه الزائدة سليمة تماما من اى مرض بريئة من اى اتهام ، انما حالة المريض هى الاكتئاب النفسى الشديد الذى اوحى اليهم بالتشخيص الخطا وهم فى ذلك معذورون .

وقد يعانى مريض الاكتئاب النفسى من الضعف الجنسى والامساك المزمن وتقبض الامعاء ، وكل هذه العلامات تختفى تماما بالعقاقير المضادة للاكتئاب شريطة ان ينتظم المريض فى تعاطيها والتردد على طبيبه المعالج بين حين وحين .

لعل الوسواس القهرى من اتعب واشق الامراض النفسية واقساها على اعصاب المريض ، اذ انه يصيبه بالارهاق الشديد لما يصاحبه من اعراض القلق والاختلاج وعدم الامل فى الشفاء بالرغم من تاكيد الطبيب المعالج له

ومشكلة هذا المرض انه يصيب المثاليين من الناس والذين عادة ما يتحرون الدقة والامانة والاتقان فى عملهم فيكون مجلب التعب واحساسهم متيقظ ، اقوياء فى الحق حريصين على انجاز اعمالهم فى مواعيدها دون تاخير او تكاسل .

من تراث

الهلال

قدم ((الهلال)) على امتداد تسعين عاما زادا عظيما من روائع الفكر والادب والفن . وفي باب ((من تراث الهلال)) نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث
هذه الرسائل التاريخية التي ننشرها بخطوط اصحابها

آداب المراسلة في الجيل الماضي

- آثار خطية لمصطفى كامل والشيخ محمد عبده ومحمد البسل باشا
- الزعيم مصطفى كامل.. كان ينظم الشعر وهو تلميذ
- نماذج من شعر مصطفى كامل ورئيس وزراء سابق

المشاهير ، هي بعض ما كان يتلقاه الاديب الكبير المرحوم حفني بك ناصف في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .. وسيجد القارىء في هذه الرسائل متعة ، ويضيف الى معرفته بعظماء ذلك الجيل القديم معرفة جديدة ..
ومن بين هؤلاء العظماء الزعيم مصطفى كامل والشيخ محمد عبده والشاعر الكبير اسماعيل صبري باشا

ان أول ما يمتاز به الاسلوب الذى كان يستعمله الادباء فى خاصة رسائلهم فى الجيل الماضى هو النزعة الادبيـــة التى ترى بين سطوره ، والتى تشعرك بتعلق الكاتب او المرسل بالادب وعنايته بتدبيج رسالتـه فى أسلوب نثرى أو شعرى يرضـــــاه الاديب المرسل اليه وينال منه الاعجاب .

ومن ذلك ماكتبه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله الى حفنى بك ناصف وهو فى قنا فى يناير سنة ١٨٩٦ فقال :

« .. قد حظيت برسالتك فى قنا بعدان تجاوزت الحدود او كادت . فراقنى منها ايها الصاحب بعد محاسن لفظها ومعناها، اننى لم أتنسم من الوجه البحرى الى الان سوى نسيم صباها

وان الصبا ريح اذا ماتنسمت على نفس مهموم ازالت همومهـا

« وكان انتشاقى عرفها ليلة يومناهذا، فذكرت قول الشاعر واظنه المعرى :

وعطرت طيلك فى الجفاء لانه يسرى فيصبح دوننا بمراحل

« استغفر الله العظيم ، بل اضـاءت المسالك والدياجى الحوالك ، كانما عناها بن الحسين « المتنبى » حين يقـول ـ وما اعطب وابق :

امن ازديارك فى الدجى الرقبـاء اذ حيث انت من الظلام ضـيـاء

« وبعد ، فانى أحمد اليك الله تعالى اذ تشلتنى من تبعة بيت ابن الشريد الذى جلبه القافية على الوزير الصاحب بالمضمنه الامام العسكرى أثناء اجابته عن بيتى الوزير اللذين اوفدتهما عليك والثمتهما لعرشفتيك بقوله بعد مالا يحصرنى الان ، فانما انشل من جعبة الحافظة التى اثارتها لاجابتك نوابغ رسالتك :

فضمنت بيت ابن الشريد كانما تعمد تشبيهى به وعنـــــانى

(اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان)

فهذا البيت الثانى ايها العيلم، هو المعنى بالاشارة ، وابن الشريد وان كان صخرا فان من الحجارة ...

« ولم تكتف ايها الجهبذ المفضال . بهذا الافضال، حتى جعلت لى دائرة سوهاج مركزا للدجاج والديكة والسكباج ، فلا ادرى اية اياديك اشكر ، ولا اية فرائد معاليـــك اذكر .. »

الى اخر هذه الرسالة التى ننشر خاتمتها بخطه فيما يلى :

الكاتب الاكتب ما يسع العالم اجمع وأسعد عينيك وعلى من لديك

وعلى سعادة افندم المدير ووكيله وحضرات ناظر المدرسة والافندية [illegible] اجمع

الراجى افندم

المصرى عزتلو

حمزة فتح

[illegible]

رسالة بخط الأديب اللغـــوى الكبير الشيخ حمزة فتح الله

وقد ذكر الشيخ حمزة (الديكة والسكباج) والسكباج مرق يعمل من اللحم . ويظهر ان الشيخ حمزة فتح الله كان يحب هذا المرق كما هو مشهور من حبه للديكة الرومية .. وقد استعمل في خلال رسالته فقرات من السجع وهذا السجع كان منتشرا في ذلك الوقت حتى أن المرحوم الشيخ محمد عبده وزملاءه وتلامذته كسعد باشا وحفنى ناصف وغيرهما كانوا يستعملونه في مراســـــلاتهم ومقالاتهم ثم عدلوا عنه قبل ان يبتذل ويظهر ذلك من تلك الرسالة التى ارسلها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى المرحوم حفنى بك ناصف ، فقال :

عزيزي

تسجع لي في كتابك وتطلع الى السجع لك في جوابك [illegible] ان تثبت على السجع حتى لو

[illegible] الطبع فجاوز الاصطناع بك وقد [illegible] . اما والي كتابك وجدنا

[illegible] وجدته [illegible] ثياب الصوم [illegible] من [illegible] والراحة

في النوم حتى كأنك [illegible] وكأنا [illegible] لكن [illegible]

وقرب وقت الافطار والنجاة [illegible] من [illegible] النار و[illegible] الذنوب والاوزار

[illegible] فلا [illegible]

[illegible] الطرق [illegible] البطون [illegible] العيون [illegible] على الشيخ

[illegible] البدع [illegible] الليل [illegible] الى وقت السحور [illegible]

[illegible] الديكة [illegible] الزمن [illegible] حمزة الى

ثم [illegible] سنة الاسلام

وسلامي عليكم وعلى [illegible] السلام

محمد عبده

رسالة بخط الامام الشيخ محمد عبده

فترى لأستاذ الامام يذكر حفني بك في هذه الرسالة بتوبته عن استعمال السجع ، حتى لو ساق اليه الطبع كما يقول ، ويلوما في ظرف على نقضه لتوبته بسبب مااضطره ادب حفني بك الى الرجوع اليه ثم لايجد متدوحة من اجابته بهذا الاسلوب ولو على سبيل الاحتذاء الذي طالما يستعمله المتراسلون في اجابة بعضهم بعضا .

على انه بالرغم من ان بعض العلماء والادباء كالشيخ محمد عبده اقلع عن استخدام هذا الاسلوب الذي خلفه لنا مستعربو الفرس في العصور الوسطى ، فان البعض الاخر في اوائل القرن العشرين كانوا ينهج في رسائله المهجة ، بل الف به كتابا خصيصا كالمرحوم محمد بك المويلحي في كتابه (عيسى بن هشام) ومن هذا النوع تلك الرسالة :

حلوان في ٧ مارس سنة

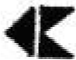
صديقي الفاضل حفني بك ناصف

أما بعد فإن أنسب ما تتقاضى من الحمد والثناء . وتستأهله من المدح والإطراء . لجمعك لي بين الأخبار . تفرد بفريد الأوطار . لصحف حيث ما يأتي بالنضار . ومناهج كالأزهار . فكذا كنت على ما امتحنت به لغة القرآن . بقوة الدليل والبرهان . وما نطقت به من فصل الخطاب . في حسن الدفع عن حوزة الكتاب . ربما بلغ بي الضعف أن يصبح الدخيل في أعيننا خرق الأصيل . ولكن لغة هذا القرآن لا تمكن لا أن تقبل الدخيل . فالله وليك فيما أتيت ونصيرك . والقرآن بعد ذلك ظهيرك . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم –

ولئن كنت رأيته بالأمس إنني نصرت رسول الله في دانية فإني على يقين اليوم أنك نصرت كتاب الله بخطبتك في "المغرب" جزاك الله عن حرمة كلام الله أفضل ما تمنح من منازل المقربين الأطهار وما ادخره في النعيم لعباده الصالحين الأبرار .

محمد المويلحي

جران وسوا صلوات



رسالة بخط الكاتب الكبير محمد بك المويلحي

وقد كان من المالوف ان يتهادى الشعراء بالابيات والقصائد . وكثيرا مايضمنـــون رسالاتهم شيئا منها خصوصا اذا كان المرسل اليه شاعرا وقد اهدى ذات مرة حفنى بك ناصف صورته الى المرحوم اسماعيل باشا صبرى فرد عليه يشكره بثلاثة ابيات رقيقة فقال :

حظيت راحتى برسمك حفنى   فتهنا فاز بالمسرة قلبى
صورة ما تنفك عقلا وذكاء   خبرتنى عن صفات ذات لب
اذكرتنى محاسنا لك غرا   لم ينلها سواك من اهل مصر

المخلص
اسماعيل صبرى

ابيات بخط الشاعر اسماعيل صبرى باشا

ومن الظـريف ان نذكر هنا ان حفنى بك ناصف اهدى سنة ١٩٠٨ رمانا " الى حمد باشا الباسل وكيل الوفد المصرى فشكره حمد باشا بهذه القصيدة اللطيفة :

مانح الرمان من اقصى الصعيد   دمت فينا مهديا فى كل عيـــد
حبـــذا فاكهة قـــد جمعت   كل معنى من معانيها يفيـــد
فهى فى مطعمها فاكهـــــة   وهى فى باطنها در نضـــيد
وهى فى التشبيه تحـــكى صرة   من دنانير بطـــرد فى البـــريد
اوكنهد ناهـد مـن غـــادة   عمرهـــا عن خمس عشر لا يزيد
وهى من مرسلها بر وفـــــد   جاءنا من غير شرط او وعيـــد

نفحة من عند قاض (ناصف)
هو من الاحكام ذو رأى سديد

منحه فاقت عن الدستور من
كونها اضحى بها وجه الجديد

كلما أهرقت المديا دماً
من دماها قلت يا هل من مزيد

فيا دونى جميعا فليعش
نابغ الزمان من اقصى الصعيد

حمد الباسل

ابيات بخط حمد الباسل باشا عضو الوفد المصرى

ويجب أن نذكر أن ازدهار النهضة الادبية فى اواخر القرن الماضى وظهور طائفة من البلغاء كحفنى بك ناصف قد وجه ناشئة المدارس الى الولوع بانتحال الادب . وقد كان حفنى بك مدرسا فى مدرسة الحقوق فسرت روحه فى تلامذته واعداهم بادبه فوجد بينهم الشاعر والناثر واخذوا يراسلون استاذهم بالرسائل الشعرية والنثرية ونحن نذكر هنا انه لما ارتقى حفنى بك من وظيفة التدريس الى منصب القضاء أرسلت اليه عدة تهان من زملائه واخوانه وتلامذته .. نذكر منها هنا تهنئتين شعريتين ، احداهما

للمرحوم مصطفى كامل باشا وثانيتهما لصاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا . وكانا وقتئذ تلميذين فى مدرسة الحقوق . وقد بدأ مصطفى كامل قصيدته بقوله :

حتام قلبى للوصال يميل
وعلام سيف الصد لى مسلول
حكم الغرام بلوعتى وتذللى
لك والتذلل للجميل جميل

ويقول فيها :

هيهات أسلو من برانى حبه — كلا ولا لسواك قط أميل
كيف السلو وحبه فرضا.. أراه — كمدح من من شأنه التفضيل
بدر الوفا (حفنى) المعظم قدره — صدر الاماجد (ناصف) المأمول
الى أن قال : — لازلت فى رتب السعادة راقيا
عرش العلا وشعارك التبجيل — ما لاح بدر أو ترنم (كامل)
حتام قلبى للوصال يميل — وقد ختمها بهذه الابيات الثلاث التى تخالف القصيدة فى الوزن والقافية وقد غزلها بخط صغير :

من تراث الهلال

ابيات شعرية بخط الزعيم مصطفى كامل وهو طالب بالحقوق

صغير :

مولاي (عالم) بجدار الزمان له	حيث فكر فيما هي طليعة العمر
بكر أننا نلت كمال العلا وما	أحسنه لعبيدك يبدو في سموكم الأرشد
فاسمح سمو جنابكم لي آمال —	حسن الثناء ودعا مساء العصر

مصطفى كامل
طالب بالحقوق

امادولة نسيم باشا فقد قال فى قصيدته:

لاتشــكون لقاضى الحب مظلمتى — عساه يرســل للمحبوب انذارا
وان ابى وحمتى فى ظل ســاحته — لعل لى ناصفا من ذاك ينصفنى
كلفتبــه فى الهوى عطلا واضرارا — ويصدر الحكم بالمأمول اصــدارا
واخر هذه القصيدة :

ادب المراسلة

٤٥٥

فلا عصر بعد ما فالعدالة قسم — وابنت الحب وقرته قرارا

محمد توفيق نسيم

صورة من خط توفيق نسيم باشا رئيس وزراء سابق حينما كان طالبا بالحقوق .. ..

وكلتا القصيدتين تربو على عشرين بيتــا وهما تعطياننا فكرة عامة عن ادب التلامذة فى مراســـــلاتهم فلا باس من آن تذكرنى مثل هذا المقام واذا كنا قد ذكرنا ادب شيئا من ادب الابناء ولنتخذ المرحومة ملك حفنى (باحثة البادية) مثلا فى هذا الباب فقد كانت تراسل والدها برسائل ادبيــة تودع فيها خواطرها السامية وعواطفهــا الرقيقة ما بين منثور ومنظوم فقد ارسلت الى والدها حفنى بك رسالة من طنطــا فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ تاسى فيها الرض عينيه واجراء عملية جراحية فيهما ، ومما قالته فى هذه الرسالة :

● عنايتهم بالمراسلات ، سببها صفاء العيش وقلة التكاليف

من مبلــغ عنى طبيبك انه   يفرى بمبضعه حشاى واضلعى
يخبرك صدرى بالحقيقة اذ بدا   من اثر طعنته السعال مشايعى
فلئن سكت فمن ضرورات الاسى   ولئن سعلت فزفرة المتلجع
ولئن بكيت فانما لتـــذكرى   عينيك تفتح بالسنان المشرع
فاسلم ابى وانظر الى برافة   عينى فداؤك كى اقر ومسمعى

ولابد هنا من أن نذكر أن ادباء ذاك الجيل قد عنوا بالزجل واستظرفوه وظهر فيهم عدد من كبار الزجالين نذكر منهم المرحوم عثمان بك جلال شيخ الزجالين والمرحـــوم الشيخ محمد النجار ، والمرحوم الشيخ أحمد القوصى . والمرحوم السيد عبد الله النديم. قد كانوا يتراسلون فى بعض الاحيـــــان وكان حفنى بك ممن يتفكهون بالزجــــــل ويمارسونه فى رسائلهم .

وكان اصدقاؤه يراسلونه به أيضا وبعث اليه الزجال المعروف الشيخ احمد القوصى يهنئه لنقله وكيلا لمحكمة قنا ، فقال فى زجله

يابو الأدب ياحفنى بيـــــه   ما الفرش احمر اشواقى
وانا فى بعدك أعمــــــل ايه   اجمــــــل بسولى اوراقى
من الحرارة الله " يحميك »   وبالناموس اللى بشـــرعك

وارسل اليه القاضى الاديب محمد بك (باشا) صدقى فى سنة ١٩٠٢ زجـــــلا مطلعه :

الشوق الى نظم الازجـــال   غلب على آمر القـــــاضى
والقصد اشرح والــــة حال   مادمت قاضى اليـــوم قاضى

ثم ختمه بقوله :

اما الخلاصـــــــة انى الآن   اصبحت فى ديل الشــــعرا
زجال جلالة (حفنى خان)   سلطان ســــلاطين الفقـــــرا

فرد عليه حفنى بك بزجل مطلعه

اللين سلام فوقهم بوسـ‍ـــه   منى لسيد الزجـــــــالة
يخلق من الهيك دوســــــه   مالوش نظير فى الزجـــــالة
حامل لوا جنـــد الشـــعرا   زجال جلالتنــــا المحبوب
ومساه لقت « جاب اليسرا »   حايز شان " دمع أيوب »

ومنها :

بتشترى فى القول وتبيـــــع   ياما انت شاطر فى التقليــــس
وانــــــت يوم قاضى توزيع   واربع شـــهود مامور تفليس

وبعد ، فهذه نماذج لم يسبق نشرها من ادب المراسلة فى الجيل الماضى ، وهى تميط لنا اللثام عن اسلوبهم فى رسائلهم الخاصة، وتوضح لنا كيف كان الادباء يتهادون فى كتبهم بنوافح قرائحهم ما بين نثر وشــعر وزجــل يذهبون فيه مذاهب الفن والطلاوة الطـــلاقة ولا يهملون فى رسائلهم جانب الادب الـــذى يعتزون به ويحرصون عليه ويحبون الانتساب اليه .. وقد ساعدهم على ذلك صــــفاء عيشهم ، وقلة تكاليفهم وسعة فراغهم وعدم شغلهم بما يصرفهم عن العناية بالرســـائل الخاصة من مختلف الشاغل .

« الهلال ـ فبراير ١٩٣٢ »

الغزالى

وهذه القضية الفنية القديمة المتجددة

الغناء بين الدين والنفس البشرية

كمال النجمى

الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ، الفقيه الاسلامى المجتهد العظيم ، كان له رأى فى فن ((الغناء)) ! .

لم يقل الغزالى بتحريم الغناء جملة وتفصيلا كما قال بذلك عدد من المتشددين فى عصره وقبل عصره وبعد عصره ، الى الآن !

وفى كتابه الضخم ((احياء علوم الدين)) جزء خاص اسمه ((كتاب آداب السماع والوجد)) .. نقدمه اليك مع اختصار طفيف يشفع لنا فيه أنه لا يخل بالكلام الذى استفاض فيه الامام الغزالى استفاضته فى سائر أبواب هذا الكتاب الموسوعى الشهير ، وفى كتبه الكبيرة الاخرى التى أبرزته عقلا من أكبر العقول فى جميع العصور ، يستحق أن يقال فيه دائما كلمته السائرة : ((ليس فى الامكان أبدع مما كان)) .. وان كان له فى هذه الكلمة حين قالها مقصد آخر ..

وهو ((حجة الاسلام)) .. هذا لقبه من قديم ! .. ومجدد الفكر الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ! .. أثار فى حياته وعلى مر الاجيال عواصف من التأييد لفكره والتنديد به ! ..

ولد سنة ((٤٥٠ هـ)) .. ((سنة ١٠٥٩م)) فى مدينة «طوس» بخراسان وطلب العلم فيها وفى غيرها .. ولما ذاع صيته طاف ببلاد الاسلام ، فدخل نيسابور وبغداد ومكة والمدينة ودمشق

● دراسة دينية للمسألة
الغنائية منذ ألف سنة

● حق الإنسان المتدين فى التعبير الفنى لا ينكره الغزالى

● موقف الغزالى من الغناء
جزء من موقفه الفكرى الدينى

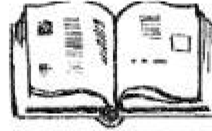
والقدس والقاهرة والاسكندرية ، وشهد التدهور ياخذ بخناق العالم العربى والاسلامى ، فعاد حزينا الى بلدته فى خراسان يكتب ويلقى الدروس على طلابه الكثيرين ! ..

وسمع وهو بعيد هناك باندلاع الحروب الصليبية ١٠٩٩ م ثم اجتياح الغزاة سواحل سوريا ولبنان وفلسطين زحفا الى القدس والى بعض المدن فى داخل الشام كله من مشارف ارض الروم الى أعماق الاردن على مقربة من شمال الجزيرة العربية ..

عندئذ علم الناس صحة ما كانوا يجادلون فيه من آراء الامام الغزالى حول تواكل المسلمين وتشرذمهم ، وعباداتهم الشكلية المرائية وجهادهم المظهرى العاجز ، ومقاتلتهم بعضهم بعضا حتى امكنوا منهم أولئك الاعداء ! ..

بلغت مؤلفاته فى عمره القصير ((٥٢ عاما)) .. اكثر من مائة وعشرين كتابا ، اشهرها ((احياء علوم الدين)) و ((المنقذ من الضلال)) و ((تهافت الفلاسفة)) و ((مقاصد الفلاسفة)) .. ويضيق المقام عن مجرد سرد اسماء مؤلفاته .

اما كتاب آداب السماع والوجد فانه جزء صغير من ((احياء علوم الدين)) .. لكن هذا الجزء الصغير ، كبير القيمة فى بابه ، لانه دراسة دينية دقيقة ((للمسألة الغنائية)) التى كانت دائما ــ ولا



تزال - قيد البحث عند كثير من أهل العلم ..

ولكن الغزالي لم يكن أول مفكر اسلامي كتب عن الغناء ، فقد سبقه اليه كثير من المؤلفين ، أولهم يونس الكاتب الذى الف فى العصر الاموى « كتاب النغم » وسبق به أبا الفرج الاصبهاني بمائتى سنة في الكتابة عن الغناء ، بل سبق جميع من كتب عن هذا الفن ومنهم مغنون مشاهير أمثال اسحاق الموصلى .. ثم تدفقت الكتب العربية عن الغناء حتى حل الدمار ببغداد سنة ٦٥٦ هـ تحت سنابك خيل التتار !

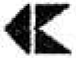
وبعد سقوط الخلافة العباسية ووقوع البلاد العربية في أزمة القتال على جبهتين : جبهة الصليبيين ، وجبهة التتار ، ظهرت المؤلفات المتشددة بأقلام فقهاء كبار . كان فى تشدد بعضهم ضد الغناء ، ما ينم عن رغبتهم فى صرف جهود الامة كلها - وبخاصة السلاطين والامراء - الى هذه الحرب التى تهدد الامة بالسقوط الذريع ! ..

ومن هؤلاء المتشددين العالم الجليل ابن تيمية الذى له الى جانب تشدده مواقف صائبة عظيمة قولا وعملا ، وقد كتب « رسالة فى السماع والرقص والصراخ » وندد فيها بغناء الراقصين فى « حلقات الذكر » الصوفية المزعومة وما يحدثونه من صراخ ! ..

وثمة مخطوطات فى هذا الاتجاه لم يتح لها أن تنشر ، وأخرى نشرت مثل كتاب « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » لابن حجر الهيثمى .. وهذه المخطوطات والمنشورات ليست فى تأليفها من طبقة تأليف ابن تيمية .. وأكثرها من مخلفات عهود التدهور الاجتماعي والسياسي والفكرى فى البلاد العربية والاسلامية

كان الغزالى مفكرا عقلانيا ربانيا ، اجتمعت له قوة المتكلمين وسماحة المتصوفين الصادقين ، يسبح فى بحر العقل والمنطق ، وبحر الفيوض السماوية ، واضاف الى همومه العقلية والروحية ، هذا الهم القديم المتجدد دائما : « الغناء » ! ..

فى « آداب السماع والوجد » لم يحاول أن يقتنص تأويلا يحل به مسألة الغناء ، فليست هذه طريقته ، وانما استلهم نصوص الآيات والاحاديث ، براهينه النقلية والعقلية ، فذكر أن الآية



الكريمة التى تقول : ((ان انكر الاصوات لصوت الحمير)) .. تحمل فى معناها ومبناها استنكار الصوت القبيح ، واستحسان الصوت الجميل ، فكيف يصح فى الذهن تحريم الصوت الجميل وما يستعمل فيه من السماع الطيب ؟!

هل كان الغزالى يدافع عن حق الانسان المتدين فى التعبير الفنى بالغناء ؟!

لقد اسهم الدين فى تعديل المسافات بين الطبقات والافراد ، ونهض بقيمة العمل الفكرى ، وان فى جوهر الانسان لمكانا للفن لا يمكن محوه .. ويكمن فى وجدانه مصنع عجيب يتولى تجميل حقائق الحياة والكون بالوان الفن ، وليس هذا كله من عمل ساحر ولا من عمل شيطان ، فانما خلق الله تعالى وحده الانسان ! ..

وانتهى الغزالى فى بحثه الى قوله : ((.. فاذن تاثير السماع فى القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فانها جميعا تتاثر بالنغمات الموزونة)) ! .. ((فكل ما جاز السرور به ، جاز اثارة السرور فيه)) .. وقد قيل : ((فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان)) .. وسئل بعضهم عن سبب حركة الاطراف على وزن الالحان فقال : ((ذاك هو العشق العقلى)) ! ..

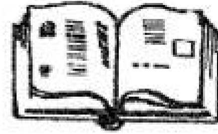
ان موقف الغزالى من قضية الغناء فرع صغير من موقفه الفكرى الشامل من الحياة والكون فى ظل الدين ، فحتى الافلاك السماوية ، فيما زعمت جماعة اخوان الصفاء قديما ، تصدر عنها موسيقى فلكية عظمى يعجز عن سماعها الانسان .. ويقول العلم الحديث جدا فى أيامنا كلاما من هذا القبيل ! ..

ومن وسط المشكلات والتعقيدات الفكرية والفقهية خرج الغزالى برأيه الذى ننقله اليك فى هذه الصفحات التى تحرينا فيها الوجازة قدر المستطاع ، محتفظين بلغتها كاملة .

ان الحنجرة البشرية الجميلة كحنجرة البلبل الصداح .. فهل تكون حراما أو حلالا ؟!

فلننظر كيف يجيب الغزالى عن هذا السؤال فى الصفحات التاليه ..

كمال النجمى


من أمهات
الكتب العربية


إحياء علوم الدين
آداب السماع والوجد
للإمام الغزالي





الحمد لله الذى احرق قلوب اوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته ، ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته ، حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ، واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى . فلم يروا فى الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا فى الدارين الا اياه . ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم ، وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم . وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق او مهيج لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به . ولا قلقهم الا عليه . ولا حزنهم الا فيه ، ولاشوقهم الى مالديه ، ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم ، اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته ، والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى اله وصحبه ائمة الحق وقادته ، وسلم كثيرا .

اما بعد : فان القلوب والسرائر ، خزائن الاسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، واخفيت كما اخفى الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع ، ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها ، وتظهر محاسنها او مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك الا مايحويه . كما لا يرشح الاناء الا بما فيه ، فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع اليه ، الا وقد تحرك فيه ماهو الغالب عليه ، واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بواردتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والافات ، وما يستحب فيهما من الاداب والهيئات ومايتطرق اليهما من خلاف العلماء فى انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك فى بابين :

الباب الاول : فى اباحة السماع .

الباب الثانى : فى اداب السماع واثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .

الباب الاول

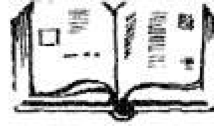
فى ذكرى اختلاف العلماء فى اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه

اعلم ان السماع هو اول الامر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص ، فلنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ، ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه

فاما نقل المذاهب :

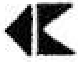
فقد حكى القاضى ابو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وابى حنيفة ،وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم راوا تحريمه وقال الشافعى رحمه



الله في كتاب اداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب : استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال ، سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقد قال الشافعي رضي الله عنه: صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل مايلعب به الناس ، لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة ، واما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها ، وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ، ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد ، وابراهيم ، والشعبي ، وغيرهم ، فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان ، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية

قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطي وذو النون يستمعون فقال وكيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني ، فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشياء فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورايت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه من الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيه سماع ، وحكى غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القاسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في ان يسمع فقال ابن داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي ، فقال ابو القاسم ابن بنت منيع اما جدي احمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن احمد ، ان اباه كان يسمع





قول ابن الخبازة ، فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك أى شيء تقول يا أبا بكر فيمن انشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا، فقال : فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده، قال لا، قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه ، قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين ، قال وكان ابو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه .

وحكى من بعض الشيوخ انه قال :

رأيت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذى اختلف فيه اصحابنا ، فقال هو الصفو الزلال

الذى لا يثبت عليه الا اقدام العلماء .

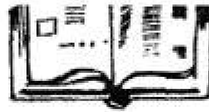
وحكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال : كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون ، فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع وابو بكر يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ماكان ينبغي لى ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلى يستمع وأبو بكر يقول ، فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : هذا حق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد

تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع ، عند الاكل ، لانهم لاياكلون الا عن فاقة ، وعند المذاكرة ،لانهم لايتحاورون الا في مقامات الصديقين ، وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا ، وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له : أيؤتي يوم القيامة في جملة حسناتك او سيئاتك ؟ فقال : لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو ، وقال الله تعالى « لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم »هذا مانقل من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره .

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم أن قول القائل : السماع حرام . معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اوفعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وأفعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحته .

اما القياس : فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى ان يبحث عن افرادها لم



من مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى ، محرك للقلب ، فالوصف الاعم انه صوت طيب ، ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

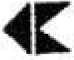
أما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغى ان يحرم ، بل هو حلال بالنص والقياس .

اما القياس : فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع ، بادراك ماهو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ، ولكل حاسة ادراك وفى مدركات تلك الحاسة مايستلذ فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن .

وبالجملة سائر الالوان الجميلة وهى فى مقابلة مايكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهى فى مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة ، وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة ، وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة ، وهى فى مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها ، فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

واما النص : فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به ، اذقال « يزيد فى الخلق مايشاء » فقيل هو الصوت الحسن وفى الحديث مابعث الله نبيا الاحسن الصوت ، وقال صلى الله عليه وسلم « لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته » وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه ، وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل فى مجلسه اربعمائة جنازة ومايقرب منها فى الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرى لقد أعطى مزمارا ــ من مزامير آل داود . وقول الله تعالى « ان انكر الاصوات لصوت الحمير» يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون فى القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة ، والمعانى الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر فى الصوت من حيث انه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون ، فان الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارج من الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب . والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة ، فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ، واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان او غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها ، والاصل فى الاصوات حناجر الحيوانات وانما

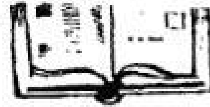




وضعت المزامير على اصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء ، وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ، ولا بين جماد وحيوان ، فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الادمي ، كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ، ولا يستثنى من هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها ، لا للذتها ، اذ لو كان للذة لقيس عليها كل مايلتذ به الانسان ، ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان، فحرم معها ماهو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع ، كما حرمت الخلوة بالاجنبية لانها مقدمة الجماع،وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لايسكر لانه يدعو الى السكر ، وما من حرام الا وله حريم يطيف به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له ، وحظارا مانعا حوله ، كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل احداها : أنها تدعو الى شرب الخمر ، فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر .

الثانية : انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق ، وانبعاث الشوق اذا قوى فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهى عن الانتباذ في المزفت ، والحنتم ، والنقير ، وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها ، فمعنى هذا ان مشاهدة صورتها تذكرها ، وهذه العلة تفارق الاولى ، اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب ، لكن من حيث التذكر بها ، فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه .

الثالثة : الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهومنهم ، وبهذه العلة نقول بترك السنة مما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم،وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من



التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو ، وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلساً ، واحضروا آلات الشرب واقداحه وصبوا فيها السكنجبين ، ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ، ويحيى بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحاً فى نفسه لان فى هذا تشبهاً بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعاً فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر ، لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم .

فبهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ، ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن فى معناها فبقى على أصل الاباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً ، وبهذا يتبين أنه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها ، إلا ما فى تحليله فساد قال الله تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها أصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سيأتى فى العوارض المحرمة .

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر ، وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه مازاد الا كونه مفهوماً والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ، نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التنطق به سواء كان بالحان او لم يكن . والحق فيه ما قاله الشافعى رحمه الله اذ قال : الشعر كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحاً ومهما انضم مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا ، وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضى الله عنها :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما ، وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ، فكان أبو بكر رضى الله عنه اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل



قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا أبرد بنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم ان العيش عيش الاخرة
فارحم الانصار والمهاجرة

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما أنشده النابغة شعره قال صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال : أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال : ان كاد في شعره ليسلم . وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له، وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا انجشة رويدك سوقك



بالقوارير » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم، وماهو الا اشعار تؤدى بأصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة والحان موزونة .

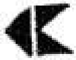
الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الاصوات مايفرح ،ومنها مايحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك للفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك للفهم المعنى ، وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده ، فانه يسكته الصوت



الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عمابكيه الى الاصغاء اليه،والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط مايسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل والاحمال اذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها ، وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها ، وربما تتلف انفسها من شدة السير وثقل الحمل ، وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابوبكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي رضي الله عنه ، قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب ،فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه ، فرايت في الخباء عبدا اسود مقيداً بقيد ، ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه ، فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي ، فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر ، فعساه يحل القيد عني ، قال فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد افقرني واهلك جميع مالي ، فقلت ماذا فعل ؟ فقال : ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الاهذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك ، قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي فما أظن أني سمعت قط صوتا أطيب منه .

فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد من الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيورتقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ، ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم مافي القلب ، قال أبو سليمان : السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ، ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب .

وروي عن عائشة رضي الله عنها ، قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي ، فكن يتقنعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر لمجيئهن الى



فيلعبن معى ، وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يوما ماهذا « قالت بناتى قال « فما هذا الذى ارى فى وسطهن » قالت فرس ، قال ماهذا الذى عليه قالت جناحان قال « فرس له جناحان » قالت أوما سمعت انه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها اجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان فى اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته ، بدليل ماروى فى بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقاع ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر رضى الله عنه فانتهرنى ، وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال : تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه ، وخدى على خده ويقول دونكم يابنى ارفده حتى اذا مللت قال « حسبك » قلت نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التى انصرفت . فهذه الاحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص .

الاول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

والثانى : فعل ذلك فى المسجد .

والثالث : قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يابنى ارفده » وهذا امر باللعب والتماس له ، فكيف يقدر كونه حراما .

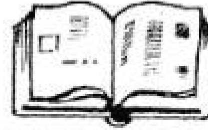
والرابع : منعه لابى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الانكار والتغيير ، وتعليله بانه يوم عيد اى هو وقت سرور وهذا من اسباب السرور .

والخامس : وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها وفيه دليل على ان حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه .

والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « اتشتهين ان تنظرى » ولم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه .

والسابع : الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان ان المزمار المحرم غير ذلك .

والثامن : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فيدل هذا على ان صوت



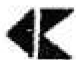
النساء في محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف ، واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور ، وفي معناه يوم العرس ، والوليمةوالعقيقة والختان ، ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو كل مايجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوانولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع .

***

ومن الاغراض التي يعتاد فيها السماع ـ سماع العشاق ، تحريكا للشوق ، وتهييجا للعشق ، وتسليةللنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تهييج العشق، وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب ، وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائهما لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه انواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياه الدنيا الا لهو ولعب وهذا منه وكذلك ان غضبت منه جارية او حيل بينه وبينهما بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال ، فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء ، واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ماتمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورةومهيج للداعية الى مالا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون من اضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لمافيه من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال : دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

***

ومن اغراض السماع المعتادة ايضا سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا راه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه أو فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ، ومور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه من ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذ من الوجود ، والمصادفة اى يصادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها



وتنقيه من الكدرات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها ، فالمفضي اليها من جملة القربات ، لا من جملة المعاصي والمباحات ، وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تأثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه ، تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ، ولكل ذلك سبب واحد ، وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي



مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ، ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته والمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب : ان محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء .

واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق ، وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب. ولفظ الجمال قد يستعار ايضا لها ، فيقال أن فلانا حسن وجميل ، ولا تراد صورته وانما يعنى به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها ، كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة ، رضي الله عنهم حتى

بذلوا اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته الرضية والخيرات الحاصلة من عمله لاهل الدين . وغير ذلك من الخصال ، ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه ، بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم ؟ وهو حسنة من حسناته ، واثر من آثار كرمه وغرفه من بحر جوده ، بل كان حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم الى منقرضه ، ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى ، فهو ذرة من خزائن قدرته ، ولمعة من أنوار حضرته .

فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه ، وكيف لا يتأكد عند العارفين باوصافه حبه ، حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه ، لقصوره عن الانباء عن فرط محبته ، فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره ، واستتر عن الابصار باشراق نوره ، ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ، ودهشت القلوب لتخاذلت القوى ، وتنافرت الاعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادى أنوار تجليه دكا دكا ، فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش ، وسيأتى تحقيق هذه الاشارة في كتاب المحبة ، ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل ، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى ، اذ ليس في الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ، ومن يعرف الافعال من حيث انها افعال لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره . فمن عرف الشافعي مثلا . رحمه الله ، وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه ، لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ، فقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي الا غيره ، ولا جاوزت محبته الى غيره ، فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله ، وبديع افعاله ، فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن تصنيف فضل المصنف ، وجلالة قدره ، كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى ، غير مجاوزة الى سواه ، ومن حد هذا العشق انه لا يقبل الشركة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة ، اذ كل محبوب سواه يتصور له نظير ، اما في الوجود ، واما في الامكان ، فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان ، لا في





الامكان ولا فى الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره مجازا مخصصا لا حقيقة ، نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة ، قد لا يدرك من لفظة العشق الا طلب الوصال ، الذىهو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام ، وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغى أن لا يستعمل معه لفظة العشق ، والشوق ، والوصال ، والانس ، بل يجنب هـذه الالفاظ والمعانى ، كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ، وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان ، فانالالفاظ انما يجوز اطلاقها فى حق الله تعالى ، اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه ، والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى امثالهذه الالفاظ ، بل لا يبعد ان ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب يتقطع بسببه نياط القلب ، فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل ،فقال لامه من خلق السماء ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الارض ؟ قالت الله عز وجل ، قال : فمن خلق الجبال؟ قالت الله عز وجل ، قال : فمن خلق الغيم ؟ قالت الله عز وجل ، قال : انى لاسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع ، وهذا كانه سمع مادلعلى جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد ، فرمى بنفسه من الوجد . وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى ، قال بعضهم رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا ، أى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا ، فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع ، وبواعثه ومقتضياته ، وقد ظهر على القطع اباحته فى بعض المواضع ، والندب اليه فى بعض المواضع .

فان قلت : فهل له حالة يحرم فيها .

فاقول : انه يحرم بخمسة عوارض . عارض فى المسمع ، وعارض فى آلة الاسماع وعارض فى نظم الصوت ، وعارض فى نفس المستمع او فى مواظبته ، وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق ، لان اركان السماع هى المسمع ، والمستمع وآلة الاسماع .

العارض الاول : أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر اليها ، وتخشى الفتنة من سماعها وفىمعناها الصبىالامرد الذىتخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها فى المحاورةمن غير الحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها، ولا سماع صوتها فى القرآن ايضا ،وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

فان قلت : فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب ، أو لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت .

فاقول : هذه مسالة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان :

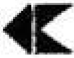
احدهما : ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام : سواء خيفت الفتنة

أو لم تخف لانها مظنة الفتنةعلى الجملة، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور .

والثانى : ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الجسم ، بل يتبع فيه الحال، وصوت المراة دائر بين هذين الاصلين ، فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب ، وهو قياس قريب. ولكن بينهما فرق ، اذ الشهوة تدعو الى النظر فى اول هيجانها ، ولا تدعو الى سماع الصوت ، وليس تحريك النظر لشهوة المماسة ، كتحريك السماع بل هو اشد، وصوت المراة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة رضى الله منهم يكلمن الرجال فى السلام ، والاستفتاء والسؤال والمشاورة ، وغير ذلك ، ولكن للغناء مزيد اثر تحريك الشهوة ، فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى ، لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب ، كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات ، فينبغى ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه، هذا هو الاقيس عندى ، ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة رضى الله عنها اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه ، فلذلك لم يحترز ، فاذن يختلف هذا باحوال المراة ، واحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ، ولايبعد أن يختلف الامر فى مثل هذا بالاحوال ، فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم ، وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع فى الصوم ، وهو محظور ، والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص .

العارض الثانى : فى الالة بان تكون من شعار اهل الشرب ، أو المخنثين ، وهى المزامير والاوتار وطبل الكوبة ، فهذه ثلاثة انواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف ، وان كان فيه الجلاجل ، وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر ، فان كان فيه شىء من الخنا والفحش والهجو او ماهو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، او على الصحابة رضى الله عنهم كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام ، بالحان وغير الحان والمستمع شريك للقائل ، وكذلك مافيه وصف امراة بعينها ، فانه لا يجوز وصف المراة بين يدى الرجال ، واما هجاء الكفار واهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان ابن ثابت رضى الله عنه يناضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجى الكفار وامره صلى الله عليه وسلم بذلك ، فاما النسيب : وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر اوصاف النساء ، فهذا فيه نظر، والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وغير لحن وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة ، فان نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصى بالتنزيل ، واجالة الفكر فيه ، ومن هذا وصفه فينبغى ان يجتنب السماع رأسا فان من غلب عليه عشق نزل كل مايسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن ، اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على معان بطريق



الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الايمان ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ، ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة ، بل تسبق المعانى الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ ، كما روى عن بعض الشيوخ انه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة ،فغلبه الوجد . فسئل عن ذلك ، فقال : اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : يا سعتر برى ، فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك ؟ فقال سمعته كأنه يقول يا سعتر برى ، حتى ان العجمى قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب ، فان بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان اخر . انشد بعضهم :



وما زارنى فى الليل الا خياله

فتواجد عليه رجل اعجمى ، فسئل عن سبب وجده ، فقال انه يقول مازاريم ، وهو كما يقول ، فان لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك ، فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الاخرة ، والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله ،وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الاخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه فاذن ليس فى تغيير أعيان الالفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى ان يحترز من السماع باى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ، ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

العارض الرابع فى المستمع ، وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان فى غمرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ، والخد ، والفراق والوصال الا ويحرك ذلك شهوته ، وينزله على صورة معينة، ينفخ الشيطان بها فى قلبه ، فتشتعل فيه نار الشهوة ، وتحتد بواعث الشر، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان ، والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات وبين حزب



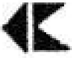
الله تعالى وهو نور العقل ، الا فى قلب قد فتحه احد الجندين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب القلوب الان قد فتحها جند الشيطان ، وغلب عليها ، فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها ، فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها واسنتها ، والسماع مشحذ لاسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به ..

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ، ولا غلبت عليه شهوة فيكون فى حقه محظورا ، ولكنه ابيح فى حقه كسائر انواع اللذات المباحة ، الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته ، فان المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام ، فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج ، فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب ، اذ راحة القلب معالجة له فى بعض الاوقات ، لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الاوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة ، او فى الدين كالصلاة والقراءة ، واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولواستوعبت الخيلان الوجه لشوهته ، فما اقبح ذلك ، فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة ، فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام ، فهذا المباح كسائر المباحات .

فان قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام الى أنه مباح فى بعض الاحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالاباحة ، اذ اطلاق القول فى المفصل بلا او بنعم خلف وخطا

فاعلم ان هذا غلط ، لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشا من عين مافيه النظر ، فاما ماينشا من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق ، الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال ام لا ، قلنا : انه حلال على الاطلاق مع انه حرام على المحرور الذى يستضر به ، واذا سئلنا عن الخمر قلنا : انها حرام مع انها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ، ولكن هى من حيث انها خمر ، حرام ، وانما ابيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال ، وانما حرم لعارض الضرر ، وما يكون لعارض فلا يلتفت اليه ، فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ، ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم وانما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته ، فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

واما الشافعى رضى الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه اصلا ، وقد نص



الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة : لا تجوز شهادته ، وذلك لانه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل ، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروءة ، وان لم يكن محرما بين التحريم، فان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ، ولا يؤتى لذلك ، ولا يأتى لاجله ، وانما يعرف بانه قد يطرب فى الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضى الله عنها .

وقال يونس بن عبد الاعلى : سألت الشافعى رحمه الله عن اباحة اهل المدينة للسماع ، فقال الشافعى : لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه فى الاوصاف ، فاما الحداء ، وذكر الاطلال والمرابع ، وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح ، وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل، فقوله لهو، صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام، فلعب الحبشة ورقصهم لهو ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه ، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به أن عنى به انه فعل ما لا فائدة فيه ، فان الانسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم ، قال الله تعالى ((لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)) فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم ، والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟ واما قوله يشبه الباطل ، فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه، بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على



التحريم ، وانما يدل على خلوه عن الفائدة ، فالباطل ما لا فائدة فيه ، فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسى منك وقولها اشتريت ، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة ، وليس بحرام الا اذا قصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه، واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التى ذكرتها لك ، أو ينزل على التنزيه، فانه نص على اباحة لعب الشطرنج ، وذكر ((انى أكره كل لعب)) ، وتعليله يدل عليه، فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة ، فهذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظبة عليه لايدل على تحريمه ايضا ، بل قد ترد الشهادة بالاكل فى السوق ، وما يخرم المروءة ، بل الحياكة مباحة ، وليست من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار الائمة ، وان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم .

سنة ونصف من عمرك لإعلانات التليفزيون فقط

فيلم أمريكي جديد يناقش تأثير الإعلان عليك

● تحـول الكاتب الامريكي مايكل كريشتون الى مخرج سينمائي بعد ان قدم عشرا من رواياته في كتب، كانت من اروج مبيعات الكتب في الولايات المتحدة ..

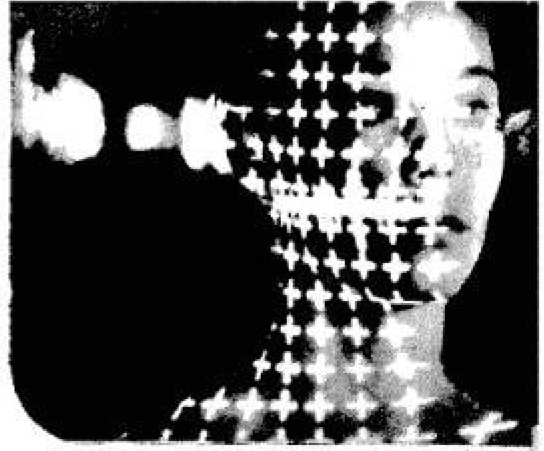
وكانت اول رواياته التي اخرجهـا للسينما « اكبر سرقة للقطار » .. وكان الفيلم كتابه الحادي عشر .. بعـد ذلك اخرج بنفسه كل كتبه في افلام سينمائية، حتى يعفي نفسه من الشكوى الدائمة لكل كتاب الرواية عندما تتحول كتاباتهم الى افلام سينمائية ! ..

واحدث افلام مايكل كريشتون ، فيلمه الرابع « رؤية » ويناقش فيه بطريقة علمية تأثيرات الاعلانات التجارية التليفزيونية على المشاهدين .

ويقول مايكل كريشتون ان عاما ونصف عام من متوسط عمر كل امريكي ، يضيع في متابعة اعلانات التليفزيون .. وان اثر هذه الاعلانات التجارية على الانسان الامريكي اصبح يتحكم في اختياراته لكل شيء سواء ابتداء من نوعي الحلاقة ومعجون الاسنان الى اختيار السيارة التي يركبها او المكان الذي يقضي فيه اجازته ..

ويعرض الكاتب المخرج نظرياته في اثر اعلانات التليفزيون من خلال رواية بطلها طبيب من اطباء جراحة التجميل في هوليوود، يبحث في ثلاث قضايا قتل لموديلات مـن مشاهير اعلانات التليفزيون .. ويتقزال محاولات العلماء والتكنولوجيين الى تحويل





الحياة الامريكية كلها الى ازرار يضغط على كل منها طالب الحاجة ، فتجاب طلباته دون جهد او تفكير لثانية واحدة .. ويذهب فى النهاية الى أن هذه المحاولات كلها تهدد عقل الانسان وقدرته على التفكير والاجتهاد، واحتكار العقل والتفكير والعلم والتكنولوجيا ، وتحويلهم الى سلع تباع وتشترى ، وهذا فى حد ذاته سوف يكون اخطر مشاكل الانسان فى العصر الحديث .

وقد بدأ الكاتب الامريكى مايكل كريشتون هذا الكتابةوهو فى الرابعةعشرة، ونشرت الصحف اول رواياته ويبلغ سن العمر الان الثانية والثلاثين ، وله فى المكتبات اربع عشرة رواية واربعة افلام ، احدثها فيلم « رؤية » الذى يناقش فيه مشكلة الاعلانات التجارية وتاثيراتها على الانسان فى امريكا وفى العالم .

ويقول مايكل كريشتون : رغم ان السينما تستهوينى كعمل .. الا انهاليست هواية مشبعة ولا خاصة ، ولا هى عمل جاد وحقيقى مثل كتابة رواية .. فانا استطيع بعد أن انتهى من الكتابة .. ان اقول هذه روايتى او هذا كتابى .. اما الفيلم فمجموعات كثيرة من الفنانين والفنيين والخبراء والعمال يتعاونون معى ليكون ذلك فى النهاية فيلما سينمائيا ، فلا استطيع ان ادعى أننى وحدى صاحب هذا العمل ..

اما الرواية والكتاب فهما منى وحدى ، وعملى وحدى ، وهوايتى وحدى .. ومع ذلك سأستمر فى الاخراج لان المتعة فيه هى الضغوط التى يخضع لها المخرج خلال فترة العمل المرهقة والشاقة حقا .

ويقوم ببطولة فيلم مايكل الجديد «رؤية» الممثل البريطانى البرت فينى والذى يقوم بدور جراح التجميل .. ويشترك معه فى الفيلم سوزان داى وجيمس كوبرن ويمثل دور رجل اعمال جشع لا يشبع ، ويذهب فى سبيل تحقيق أحلامه الى الجريمة .

وتعود شهرة البرت فينى الى انه واحد من كبار ممثلى المسرح البريطانى ونجوم السينما البريطانية وهذا اول افلامه فى هوليوود .. وقد تعاقد خلاله على فيلمين آخرين الاول مع المخرج آلان باركر اسمه « اضرب النمر » والفيلم الثانى اسمه « آنى » .

ومن اشهر افلام البرت فينى «توم جونز» و « جريمة فى قطار الشرق السريع » و « بيلى الكذاب » . اما النجمة سوزان داى .. فهى من ممثلات التليفزيون الامريكى اشتهرت فى حلقات مماثلة لحلقات «دالاس» اسمها « عائلة بارتروج » .. وهذا اول افلامها للسينما .

وطبعا جيمس كوبرن معروف لدى رواد الفيلم العالمى .. من افلامه التى عرضت فى مصر « العظماء السبعة » و « ماذا فعلت فى الحرب يابابا ؟ » و « الهروب الكبير » ..

وبعد ان انتهى الكاتب المخرج مايكل كريشتون من اعداد فيلمه « رؤية » للعرض .. بدأ فيلمه الخامس « كونجو » عن رواية جديدة له ظهرت ايضا فى كتاب تقرؤه امريكا حاليا .. بينما هو يصور عنه فيلمه الجديد ..

ومن الطرائف التى تروى عن مايكل كريشتون انه بدأ بدراسة الطب ، وكان يكتب رواياته ، وعندما وجد ان له مكانا مرموقا بين كتاب الرواية الامريكية المعاصرين .. هجر الطب وتفرغ للكتابة ، ثم للسينما . وقد احب السينما من خلال متابعته المخرج الامريكى الكبير روبرت وايز اثناء اخراج احد افلامه ..

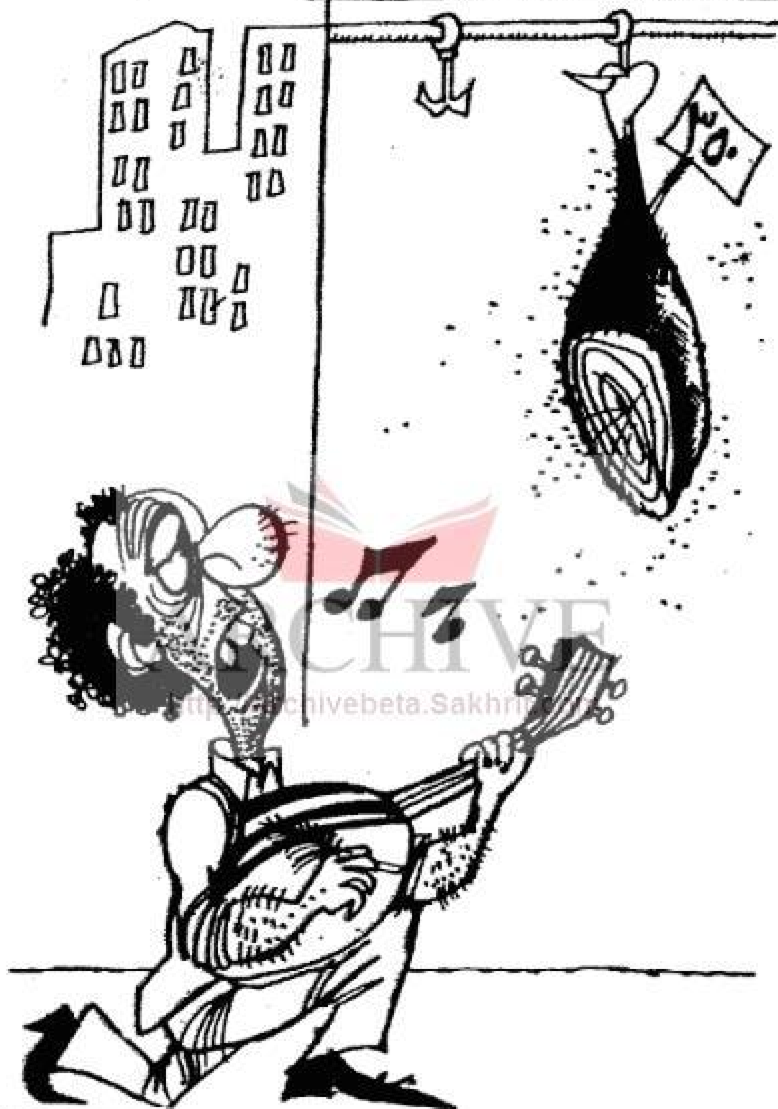
ويقول مايكل كريشتون :

– بعدها قررت ان استمر فى الكتابة .. وان ابدا الاخراج للسينما ..

ملوى غضبان

ـ يا راجل ذق ايه .. ماانت عارف كله ((استك منه فيه))!!




«وحقك انت المنى والطلب»
مـــع الاعتـــذار لام كلثوم
جزار
٣٥٠

ضحكات

أنور



- لما انت تمسك
سلسله زى دى يابابا
امال الحراميه يمسكوا
ايه ؟؟



ارجعى مطرح ماكنتى خلى الانفتاح ينفعك !!



ـ ياوليه خشى شويه معتش جايب لنا مشاكل العم دى غيرك !!



ـ ماتقعدش تنتظر .. العقدة بتاعتك مش حيفكها غير ولد ف الكشافه !!

نافذة على بلادك

مسارات الأمن الغذائي..

حوار هادئ مع رئيس مجلس ادارة شركة مصر للألبان والأغذية

انطلاقا من اهتمامنا بازاحة الستار عن المشاكل التي تعوق التنمية في بلادنا وايمانا منا باجلاء الصورة حتى يكون الرأي العام اطارا مستنيرا وحتى تسير الامور في نصابها الصحيح . لذا فقد قام الهلال بجولات ميدانية داخل قطاعاتنا المضطلعة بعمليات التنمية في جميع المجالات .

ولقد احترنا في خط البداية ، بأي القطاعات نبدأ جولتنا . لكن حيرتنا لم تلبث أن انقشعت وتبددت الغمة التي علتها لان مشكلة التنمية الاقتصادية هي الشغل الشاغل لشعبنا بجميع قطاعاته .

ولما كان الامن الغذائي يحتل الجزء الاكبر من اهتماماتنا فقد رأينا أن نبدأ الحوار مع أحد قيادات التنمية الغذائية وهو المهندس /مصطفى محمد صبحي رئيس مجلس ادارة شركة مصر للالبان والاغذية وبدأنا بسؤال سيادته :

● لوحظ في الفترة الاخيرة ان الكثير من الاغذية المستوردة فاسد ويضر بصحة المواطنين بل ان حالات كثيرة من اطفالنا قد تعرضت للتسمم بعد تناول الجبن المطبوخ المستورد بالمدارس فهل يمكن ايجاد حل لهذه المشكلة ؟

● طبعا لكل مشكلة حل وبالنسبة للجبن المستورد المطبوخ فاننا ننتج بديله الذي يفوقه من


مهندس / مصطفى صبحي

حيث الجودة والطزاجة وهو الجبن المطبوخ الذي يحمل اسم نستو ـ ونحن قادرون بأمر الله على تغطية حاجات ابنائنا في المدارس من هذا الجبن وقد يؤدي ذلك الى نقص الكميات المتوفرة في السوق من هذا النوع من الجبن ولكننا سنضاعف من جهدنا للتغلب على هذه المشكلة

● وما هو السبب الذي يؤدي الى فساد الجبن المطبوخ المستورد ؟

ـ في رأيي أن سوء التخزين هو السبب الاول لهذه المشكلة . كذلك عدم التنسيق بين احتياجات السوق وكثرة المعروض منه .

● كما هو معروف نحن نعاني من ارتفاع أسعار اللبن الحليب الامر الذي يجعل ـ تناوله مع ضرورته ـ فوق طاقة الكثيرين فما هو الحل مع العلم بأن هناك بعض أنواع من اللبن مثل اللبن المجفف

الذى تقومون بانتاجه لا يفى بحاجة السوق ؟

ـ يخضع توفر صنف من أصناف الالبان التى ننتجها أو عدمه لحالة العرض والطلب فعندما يحتاج السوق ذلك النوع تغطيه الشركة فهو صنف من ثلاثة أصناف تنتجها الشركة كما يحدد ذلك أيضا التاجر حيث أنه يعتبر هامش الربح فى هذا النوع قليلا .

● وضح من السؤال السابق أن التاجر يسعى لابراز منتجات الالبان المستوردة ويخفى المحل الوطنى فى حين أن انتاجنا الوطنى هو الاجود فما هو الحل لهذه المشكلة ؟

ـ فى رأيى أن الاجابة عن هذا السؤال لها شقان :

الشق الاول : هو تعديل أسعار منتجاتنا بحيث تضمن تغطية تكلفة الانتاج للشركة المنتجة ثم تحقق هامش ربح معقولا لها وكذلك هامش ربح معقولا للموزع حيث يقبل على توزيع منتجاتنا .

● هل هناك تطوير مستمر لانتاج الشركة وهل تقوم الشركة بالتوسع فى وحدات مصانعها لتضمن وصول انتاجها الى جميع أنحاء البلاد ؟

ـ نعم نحن نقوم بتطوير الانتاج وعلى سبيل المثال فهناك خطة فى الثلاث سنوات السابقة انتجنا ستة أصناف متطورة ومتميزة فى التغليف والتعبئة بحيث أصبحت الاوزان المختلفة تناسب احتياجات معظم الافراد .

وبالنسبة للتوسع فى المصانع لقد قمنا بانشاء مصانع بالمحافظات فى دمياط والمنصورة وطنطا وسخا بكفر الشيخ والاسماعيلية وكوم أمبو بخلاف مصانع القاهرة والطريقة الامثل لتوزيع منتجاتها هى فتح منافذ انتاج جديدة لانه لا يمكن أن نقوم بالتوسع فى فتح أكشاك جديدة ما لم يتزايد الانتاج لان الانتاج يستهلك أولا بأول .

كلمة أخيرة أحب أن أضيفها .. هى أنى اطمئن كل مصرى على ان انتاجنا يخضع لمراقبة الجودة داخل المصنع ـ أما خارجه فنحن نرسل مفتشين لمراقبة منتجاتنا ، كذلك فان كل المنافذ التى نفتحها تتوافر فيها امكانية الحفظ فى درجة مبردة تحفظ للانتاج جودته .

مصر للالبان فى سطور :

● تأسست عام ١٩٥٦ وذلك لانشاء مصنع بسترة الالبان بالقاهرة ٦ شارع السواح ـ الاميرية، بطاقة انتاجية ١٠٠ طن لبن خام يوميا وبدات ذلك اعتبارا من ١٩٦١/١/١ .

● فى عام ١٩٦٥ تأسست شركة النصر للالبان والمنتجات الغذائية لاقامة ثلاثة مصانع فى طنطا والمنصورة والاسماعيلية بطاقة انتاجية ٢٥ طن لبن يوميا وقد أدمجت فى شركة مصر للالبان سنة ١٩٦٨ .

● فى عام ١٩٦٢ أضيف مصنع دمياط لبسترة الالبان بطاقة انتاجية ١٠٠ طن لبن خام يوميا ثم ضم الى شركة مصر للالبان والاغذية وبدأ الانتاج سنة ١٩٧١ .

● ادمج فيها المصانع المزمنة وهى :

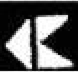
ـ شركة صناعة وتجارة الالبان « المندرة » فى ١٩٦٣ .

ـ مصنع سخا فى ١٩٦٣/٨/٢١

ـ المؤسسة المصرية لصناعة الجبن الجاف « نستو » سنة ١٩٦٣ ثم ادماجها فى شركة مصر للالبان سنة ١٩٦٤ .

ـ مصنع كوم امبو لانتاج اللبن المعقم فى ١٩٧٢/٦/٣٠ .





متابعات أدبية

زمن الكتابة وأزمنة الكتاب

يوسف القعيد

●● يفرض على الانصاف ، أن أقول، في البداية أن السؤال ليس من عندي ، ولا هو سؤالي . ولكنه قضية عامة . يطرحها على الواقع الثقافي . بعض أدباء الاسكندرية ، من خلال مجلة أصدروها على حسابهم الخاص . المجلة اسمها « التدبير » . ويرأس تحريرها محمد ابراهيم مبروك . كاتب القصة القصيرة. الذي قدم انتاجه الأدبي في الستينات عندما قدمه في مجلة المجلة . وتحمس د يحيى حقي . ونشر له أكثر من عمل أدبي . منها : نزف صمت ثغر مجهد . والركض في السراديب الموحلة . ثم أتت فترة صمت فيها مبروك عن القول والكتابة والتواجد في مدينة القاهرة . وقيل انه رحل الى الاسكندرية . وأنه يعمل هناك في وظيفة عادية . عرفت فيما بعد . انه عمل في الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية . والآن من يمتلك القدرة على القول. لا يستطيع أن يصمت حتى لو أراد

الصمت .. فقد كان الصمت مستحيلا عليه . فعاد الى القول . ولكن من خلال مجلة غير دورية . يصدرها مع عدد من الأدباء على حسابه الخاص . اسماها « النديم » ورغم كافة الظروف الصعبة. فقد اتى العدد الاول وهو يحمل فى طياته دراسة عن جارثيا ماركيز . اشهر كاتب روائى فى عالم اليـــوم . والذى تصر الصحافة المصرية على تجاهله دائما . وفى العدد الثانى ينشر قصة مترجمة لماركيز هى : اجمل الرجال الغرقى فى العالم . وان كانت القضية المحورية . فى العدد الثانى . هى : زمن الكتبة الذى يأفل فى هذه الايام . وازمنة الكتاب التى من المفروض ان تجىء الى مصر حاملة معها بذور الخلاص . وان كانت القضيةليست بهذا القدر من التبسيط . فعناصر زمن الكتبة . موظفى ديوان السلطان للانشاء. ما زالت قائمة فى بعض المواقع .. وطلائع زمن الكتاب لا تحاول ان تلعب اى دور، بل هى تقنع بسلبية السنوات . التى مضت . وترفض المشاركة . وعندها من الاعذار الكثير طبعا .. ولكن حـــركة . التاريخ لا تتوقف ابدا . وحركة التاريخ دائما للامام ، لم يحدث من قبل . ان كانت للخلف ابدا . وانا اعتقد بدورى. مع مبروك. ان أزمنةالكتاب. ستهل على مصر حاملة معها زهور الفتح . وان مصر لا يقودها الماضى ابدا . وان المستقبل هـــو وحده عريسها ورجلها وفارسها. وبطلها. لذلك هو قدر مصر دائما . احلى صبايا العصر . جاء السؤال من الاسكندرية . وان كانت القاهرة . بكل من فيهـــا ـ ليست قادرة ـ فى اللحظة الراهنة على الاقل ، على تقديم الاجابة عليه . فالدور هذه المرة . فى اقاليم مصر . عند المبدعين فى القرى والكفور والنجوع . عليهم أن يخرجوا من دائرة ادباء الاقاليم ليقولوا ما عندهم . فاعتقد انهم . فى افضـــل وضع يمكنهم من القول الصحيح. قلوبهم لم تدس فيها الاقدام الغليظة بعـــد . وعقولهم . لم تلعب فيها لعبة الوصول بعد . واعتقد ان ازمنة الكتاب ستجىء من الاسكندرية والسويس والمنصـورة . ودمنهور . واسيوط وقنا .. ومن كـل مكان . فيه قدرة على الابداع . فالوطن الذى لا ابداع فيه هو مكان فقد روحه. والشعب الذى لا نقد له هو فى النهاية شعب اعمى .


نجيب محفوظ

الامبراطـور يحيى يحول الجـدية الى غـــائب حـاضر

اقر واعترف اننى لا اعرف لمن اتقدم بشكواى . هذا الامبراطور او الاستـاذ يحيى . ولا اعرف باقى اسمه . هـــل للسيد محمد عبد الحميد رضوان وزير الثقافة . او لمحمد حقى رئيس الهيئـــة العامة للاستعلامات ام لوزير العدل ؟. حقيقة لا ادرى . وحكاية الاستاذ يحيى تصلح مدخلا للحديث عن معرض القاهرة الدولى للكتاب الرابع عشر . ونقـــول

● هل توجد فى مصر رقابة على الكتب أم لا ؟


محمد رضوان


يحيى حقى

الكثير من هذا العرض . والذى حدث انه منذ بدء المعرض . وهناك شخص يقول انه الاستاذ يحيى . يمر على دور العرض كافة . ويقف ينظر الى الكتب المعروضة . وبعد قليل يشير الى بعض الكتب المعروضة . ويعلن انها مصادرة . ويقول انه يمثل جهاز الرقابة على الكتب . وان التظلم من قراراته . يذهب اليه فى مكتبه فى عمارة ابورجيلة من التاسعة حتى العاشرة من صباح كل يوم . ويقدم اليه التظلم على ورقة عليها طابع دمغة . كل يوم يمر الاستاذ يحيى مرتين على اجنحة المعرض . وفى كل وقفة . لابد وان يحمل معه بعض الكتب .. ويامر صاحب دار النشر بعدم عرضها للبيع لانها مصادرة . يحدث هذا فى وقفة سريعة . وبدون قراءة ما فى الكتاب او بعضه . ولكن من مجرد العنوان او اسم المؤلف . او طبيعة موضوع الكتاب . يحدث هذا من الاستاذ يحيى فى الوقت الذى نعلم فيه جميعا . ان جهاز الرقابة على الكتب قد الغى رسميا فى مارس سنة ١٩٧٧ . ولا يوجد له . وجود رسمى فى مصر منذ هذا التاريخ . وكل الموجود هو جهاز للحص الكتب القادمة الى مصر من الخارج فقط .

اما الكتب الصادرة داخل مصر فلا رقابة عليها . وكلنا يذكر ضجة الكلمات التى كتبوها عن الحرية التى فى مصر . وقت صدور هذا القرار . ولكن ان يعود الامبراطور يحيى .. ويشيع هذا الجو فى معرض الكتاب . فى وقت يتطلع الكل الى عهد جديد . يقود مصر جبين ابيض ناصع . فتلك ماساة. اعرف انه فى كل عصر توجد بعض البؤر التى لا يعلم الانسان لحساب من تعمل ، ومع من تعمل ؟. ولكن ان يصل ذلك الى معرض دولى . فيه ضيوف اجانب فتلك ماساة . خاصة ان الناس لا تعلم من هو ولا الى اى جهة ينتمى . ولا على أى اساس يعمل . من المعروف ان مصادرة اى كتاب تعد ظلما ، واى حكم بدون حيثيات . يعد باطلا . وابسط الحيثيات . ان يقرا هذا الكتاب ولا يعتقد أحد . ان الاستاذ يحيى لديه الوقت لكى يقرا كل هذه الكتب التى يصادرها . فى وقفة لا تزيد على دقائق معدودة .



معرض : ولكن كيف ؟

نعود الى معرض الكتاب . والكتابة عنه مسألة حساسة . لان الرجل الذى يقود الامور فى هيئة الكتاب الآن . الدكتور عز الدين اسماعيل . تولى عمله قبل . افتتاح المعرض بأيام معدودة . وبالتالي، قد يكون هناك رد . انه غير مسئول عن هذه الاخطاء التى وقعت فىالمعرض. ولكن لابد من قولها . فمعرض القاهرة الدولى للكتاب . من اهم المشروعات الثقافية فى مصر .

● اول ما يقوله الانسان انه من المفروض فى اى معرض فى العالم ان تكون له خريطة تشكل الدليل لكل زائر لهذا المعرض . الحاصل فى معرض الكتاب ان الانسان كان يدخل . ويبحث عن مكان معين . ولا يوجد لديه سوى سؤال الناس . وفى العادة فان من يعرف ومن لا يعرف يدل الانسان حتى لو دله بطريق الخطأ ..

● لم يكن فى المعرض كتب جديدة . ويبدو ان الناشرين ينظرون الى هذا المعرض باعتباره مجرد سوق . لتصريف الكتب الموجودة لديهم طوال العام . اى لتصريف المخزون . وليس باعتباره ظاهرة ثقافية. لانه فىالحالة الثانية منالمفروض. ان يعد كل ناشر الكتب التى يصدرها لتكون جاهزة العرض فى المعرض . يلعب الانسان . ويعود فى البيت يكتشف ان جولته شبيهة بسور الازبكية . ويصرخ: اين الجديد ! ولا جديد .

● اين هو الجانب الدولى فىالمعرض؟ اخشى ان يصبح معرضا محليا . فبعض الدول الاجنبية تعرض العرض فقط . وتقول لك ممنوع البيع . وكأن المعرض ظاهرة اعلامية للتواجد الدولى. والحضور العربى لا يبدو له اثر . وحتى بعض الناشرين العرب الذين حضروا . دون ان تكون دولهم ممثلة فى المعرض . عرضت اعمالهم فى اركان منزوية ضائعة فى المعرض وهذا يعود الى ان الناشرين تجار قبل ان يكونوا مواطنين عرب . يفهمون الرسالة الرمزية فى مجال هذا الحضور . ويبرزه بصورة او بأخرى . لا يستحقه من ابراز.

● تفاوت الاسعار . مسألة محزنة . شترى الكتاب الواحد . خاصةالقواميس والمراجع العلمية . من مكانين مختلفين لتكتشف ان له سعرا هنا. وسعرا هناك.

● ماهذا الصخب والضجيج فىالمعرض، اعرف اننا ندخل عصر الكاسيت ، ولكن الصخب والضجيج يشبه رسالة العصر القادم الينا .

كاتبة عربية فى القاهرة

زارت القاهرة . خلال هذا الشهر . واحدة من اهم الكاتبات العربيات فى عالم اليوم . هى الكاتبة اللبنانية حنان الشيخ صاحبة الرواية الجيدة « حكاية زهرة » التى تعد قصيدة نادرة عنالحزن البشرى والضياع الذى يتعرض لهالانسان العربى فى لبنان . وسط الحرب الدائرة هناك منذ سنوات . وعندما وصلتروايتها الى القراء والمثقفين فى مصر لفتتالانظار لها بقوة نادرة . صحيح ان حنان الشيخ .. لها اكثر من عمل صدر من قبل . ولكن تبقى حكاية زهرة . هى شهادة ميلادها . ككاتبة عظيمة . استطاعت ان تجسد ما يجرى الآن فى لبنان بصورة فنية صادقة .

لحنان الشيخ مجموعة من القصص فى المطبعة الآن . ستكون عملها الادبى الرابع .

الطوابق السته

سمعت عندما اذاع التليفزيون رواية قصيرة للكاتب الايطالي دينو بوتزاتي عنوانها ستة طوابق .. قرأتها ادركت انني امام روائي نادر . روائي. ايطالي عرفته بالصدفة . عندما وجدت ذات يوم على سور الازبكية روايته العظيمة « صحراء التتار » وبمجرد ان قرأتها ادركت انني امام روائي نادر . واذكر انني اعطيت نسختي لنجيب محفوظ . لكي يقراها . فكانت دهشتي بالغة عندما طلب مني نجيب محفوظ بعد ستة اشهر نسخة اخرى منها لكي يعيد قراءتها . فنجيب محفوظ . لا يحتفظ في بيته سوى بالمراجع الادبية فقط .. وقد احضرت له سعيدا نسخة اخرى منها ، وعرفت بعد ذلك ان الكاتب الايطالي قد مات . وانه ترك بعض الاعمال الادبية القليلة علاوة على صحراء التتار منها « الرسل السبعة » والطوابق الستة ، وهي تعد انشودة عن العذاب وعن قدرة الانسان على ان يتكيف . مع واقعه مهما كان مؤلما . وذلك هو الموضوع الاساسي عند هذا الكاتب . في المستشفى ادوار . كل دور يناسب حالة المريض . وهناك الطابق الاول ، ينتقل له المريض . عندما يكون قد وصل الى ما قبل النهاية . ومع هذا توجد للانسان قدرة من النوع النادر على الصمود . وعلى ان يعبر عن نفسه . في ظل هذا الظرف .

كان هذا هو موضوع روايته صحراء التتار . وقصة الرسل السبعة ، وقصة ستة طوابق .

الحزن انه قدمت عن دينو بوتزاتي رسالة دكتوراه في كلية الالسن في مصر ولكنها قدمت باللغة الإيطالية ، وليست بالعربية. والغريب انه لا توجد .. دراسات او معلومات عنه . ولكنه واحد من اهم روائيي عصرنا .

وارد الكتب

● **قصة مغربية**
عبد اللطيف اللعبي .
منشورات البديل ـ الرباط المغرب .

●● والقصة الغريبة للشاعر والكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي ، صادرة من دار نشر تحمل اسم البديل . وقد صدرت اولا في منفى اللغة الفرنسية . وقد نال المؤلف منها . جائزة الحرية من فرنسا . وهي جائزة تمنحها رابطة القلم الفرنسية . لكاتب يجسد في وطنه حرية الفكر والتعبير . هو ما جاء في اسباب منحه هذه الجائزة .

وعبد اللطيف اللعبي . شاعر وقصاص وناقد . رسالته الجامعية . كانت حول شعر المقاومة الفلسطينية له رواية عنوانها : العين والليل . وله رسائل من السجن نشرها تحت عنوان : يوميات قلعة المنفى . وله العديد من دواوين الشعر اخرها جبهة الامل . الصادر العام قبل الماضي من بيروت . ومثل كل ادباء شمال افريقيا . فان اعماله الادبية تصدر بالفرنسية اولا . ثم تترجم بعد ذلك الى العربية . اى ان كلماته تولد في المنفى اولا .

دراسات فى الرواية الانجليزية
الدكتورة انجيل بطرس سمعان
الهيئة المصرية العامة للكتاب

وقبل التعرض للكتاب نفسه . يقف امامنا سؤال بديهى . ولماذا لا نقول دراسات فى الراوية المصرية ؟!. صاحبة الكتاب . استاذه للادب الانجليزى . ومع هذا لها العديد من الدراسات فى الرواية المصرية عموما . كتابها الجديد هذا . عبارة عن مجموعة من الدراسات ، صدرت ونشرت فى اوقات متفرقة . وكلها تحاول تقديم نماذج من الادب الروائى الجيد . وهى تدرس فى كتابها هذا : الرحلة فى الادب الانجليزى . المرأة والحب فى الادب الانجليزى . القهر فى الرواية الحديثة . وصور السحر فى الادب الانجليزى ..

تحريك القلب
رواية : عبده جبير
دار الف باء للنشر ..

●● تحريك القلب . هو العمل الثانى لعبده جبير . كان عمله الاول ، فارس على حصان من الخشب . اقرب الى القصة الطويلة ، اما تحريك القلب

لعمل روائى . نشره الكاتب على حسابه الخاص . من خلال محاولة يقوم بها

هذا كتاب من نوع فريد . اعده الدكتور نبيل على شعث وحسناء رضا مكداش . واخرجه فنيا . محيى الدين العباد . وفكرته بسيطة . فهو ينشر كل طوابع البريد التى صدرت عن فلسطين منذ عام ١٩٦٥ وحتى ١٩٨١ وهذه الطوابع . اما صادرة من الدول العربية المختلفة واما فى الارض المحتلة . كما انه يقدم نماذج لاختام البريد .الخاصة بكل قرى ومدن وجهات الوطن المحتل الكتاب يقدم موضوعه ، بقدر من الحياد والحياد . ولكن تحت سطح هذا الحياد لا نستطيع سوى ان نلمس . انه تحت هذا السطح . الساكن والسهل .يوجد جمر الماساة ، التى ما زلنا نعيشها .. كل صباح . الوطن الذى سلبوه . والوطن الذى قلنا انه الارض المحتلة . هذا الكتاب يقول لنا : احذروا آن تروا فيما جرى امرا عاديا لان الالفة اليومية مع ماسى التاريخ من اخطاء الشعوب التى ستدفع ثمنها فى يوم ما .

رحلة علم الدين
د . ناجى نجيب ..
دار الكلمة ـ بيروت ..

●● ورحلة علم الدين . فى الاصل نص روائى . للشيخ على مبارك كتبه فى القرن الماضى . ولم يهتم به احد او يلتفت اليه . الا مؤخرا الا اثنين هما: الدكتور محمد عمارة . الذى اعاد نشر النص ضمن نشره للاعمال الكاملة للشيخ على مبارك . والدكتور ناجى نجيب الذى قدم دراسته . حول النص نفسه . والدكتور ناجى نجيب .. اعتمد على النص . كمحاولة منه لقراءة التاريخ الاجتماعى الفكرى العربى الحديث .

وهذه ليست المحاولة الاولى للدكتور ناجى نجيب . من قبل له محاولة . سابقه حيث اخذ من رحلة رفاعة رافع الطهطاوى الى باريس . ورحلة ادواردلين الى مصر فى القرن التاسع عشر . موضوعا لدراسة طريفة . حول الرحلة الى الشرق والرحلة الى الغرب . والدكتور ناجى يتعامل . فى هذه الحالة مع النص . كمادة خام يخرج منها بكل التصورات .. النظرية التى يتوصل اليها .

العام الخامس ..
قصص : اسماعيل العادلى ..
مطبوعات خطوة ..

●● والعام الخامس . هو عام الهموم والاحزان بالنسبة لكل مصرى يعار للعمل فى الدول العربية الشقيقة من المعروف ان الاعارة اربع سنوات فقط ومع نهاية السنة الرابعة تبدا الهموم . والعام الخامس مجرد قصتين مجموعة قصص قصيرة يصدرها اسماعيل العادلى . الذى يكتب بصورة مقلة منذ سنوات مضت . وتلك هى مجموعته الاولى، من قبل قدم مسرحية « حدث فى اكتوبر » . وقصص هذه المجموعة .من المؤكد انها كتبت ونشرت بصورة متفرقة قبل ان يفكر فى جمعها فى كتاب على مدى عشر سنوات . فى المجموعةالقصص تقدم ملامح عالم اسماعيل العادلى بكل رقة مثل : الكذب فى الظل . والجرى فى الحقول . حيث اننا نجد انفسنا امام كاتب لا يكتب الا عن واقع يعرفه جيدا ، ويقدم فنه ببساطة نادرة وتصل الى حد الاعجاز ومن خلال شكل قصصى سهل . اما « خطوة » السلسلة التى اصدرت المجموعة فهى تحمل اسم المجلة التى اصدرها يحيى الطاهر عبد الله قبل وفاته وتحمل سيد البحراوى عبء الاستمرار فى اصدارها بعد وفاته الفاجئة . وهى تاتى ضمن محاولات اخرى هدفها الوحيد كسر حاجز الصمت اللذى يتعرض له الادب الاجتماعى فى مصر .

● فلسطين فى طوابع البريد
دار الفتى العربى
الورشة التجريبية العربية
تكتب للاطفال ..

تكسر حاجز الصمت والعزلة . وقد ساهم فى ذلك المركز المصرى للبحوث والنشر .

تحريك القلب رواية تجريبية بكل معانى الكلمات . حتى فى اخراجها ، وغلافها . التى تعاون فيه سعد عبد الوهاب مع الفنانة انعام صالح .. ولانها عمل تجريبى . لا يوجد فيها احداث بالمعنى التقليدى ..للحدث فى الرواية .. والحركة فيها اقرب الى حركة السيمفونية فى الموسيقى . والرواية تطمح الى تسجيل لحظة اهتزاز عنيف تصيب عائلة . من العائلات الرت حتى على القيم السائدة فى هذه العائلة . والرواية تسجل هذا بقدر كبير من الصدق .

كتاب الهلال القادم

"لا تقتل نفسك"

٥ مارس ١٩٨٢

روايات الهلال

"تركت همس السكون"

١٥ مارس ١٩٨٢

اسعار : الهلال

سوريا	٢٥٠	ق س
لبنان	٣٠٠	ق ل
الاردن	٣٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	٤٥٠	فلسا
السعودية	٥,٥	ريال
السودان	٢٥٠	مليما
تونس	٥٥٠	مليما
المغرب	٥٥٠	فرنكا
الجزائر	٥٥٠	سنتيما
الخليج	٥٠٠	فلس
غزة	٦٠	ليرة
الصومال	٥٥	بلى
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٧٠	بلى
أسمرة	٤٥٠	سنتا

اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	٨	فرنكات
لندن	٨٠	بلى
ايطاليا	٢٠٠	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اثينا	٥٠	دراخمة
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٤	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونه
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٢٤٠	كرويزورو
نيويورك	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٢٥٠	سنتا


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٥٠ سنة خبرة
مصر للطيران

الهلال

ابريل
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشا

زواج الحكومة والمعارضة
بين الخصوبة والعقم السياسى

التطرف .. ومصر المتفتحة

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ .. السنة التسعون - أول أبريل سنة ١٩٨٢ - السابع من جمادى الثانية ١٤٠٢

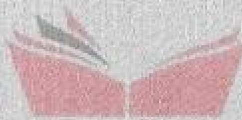
رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
كمال النجمي

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير
موسى عبيد



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصري بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والأفريقي وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوي وفي سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادي أو عشرون دولارا بالبريد الجوي .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هـذا
العـدد

عزيزي القارئ

العدد الماضي أيضا « نفد عن آخره » كما نفد العدد الذى سبقه من « الهلال » .. مع اننا زدنا المطبوع منه كثيرا ! ..

يبدو أن الحديث بيننا كل شهر عن هـــذا الامر ، أصبح من تحصيل الحاصل ، فى طريق لقائنا المتجــدد المتواصـــل ، المفروش بالثقة وحسن الظن ، وتقـدير العمل وسعة الامل .. ولا نقـول : المفـروش بالورد والريحان ! ..

والعدد الجديد من الهلال بين يديك .. يبدو عملنا فيه اقرب الى ماكنا نرجو من التطور والتجدد وسرعة الخطو الى اللقاء بك يا عزيزى القارىء ، هـــذا اللقاء الحميم الواسع الوثيق ! ..

وكل الاقتراحات والامنيات والكتابات التى تلقيناها منك ، لقيت اهتماما عميقا ، وسيجد الكثير منها مكانه فى الاعداد القادمة .

والكتابات الناضجة تجد ترحيبا خاصـا .. ونذكر الآن أن أول مقالة كتبها جرجى زيدان منشىء الهلال ، وكان ما زال طالب علم منذ مائة عام تقريبا ، لم تستطع أن تشق طريقها الى النشر فى مجلة «المقتطف» العظيمة، شيخة المجلات المصرية التى كانت تصدر عن القاهرة الى العالم العربى .

لقد أغفل « المقتطف » مقالة جرجى زيدان فلم يغضب ولم ييأس ، بل كتب بعد ذلك عن مقالته تلك :«فهمت انها لم تنشر لضعفها ، واتخـــذت من ذلك درســـا لنفسى » ! ..

وجرجي زيدان هو الذى ملأ الدنيا بعد ذلـك علما وأدبا ، وأنشأ « الهلال » لينافس به « المقتطف » وقد احتجب المقتطف منذ زمن فكان احتجابه نكبة [illegible] وصحفية ، وبقى « الهلال » وامتد اسم منشئه ، [illegible]

الفكر العربى عشرات السنين ، وسيبقى فى موقعه دائما على تعدد مراكز الاشعاع الثقافى فى العالم العربى واختلاف محتوياتها واهدافها ، وقد كان قيام هذه المراكز المشعة فى الدول العربية الثرية أمرا طبيعيا .

وفى العدد الذى بين يديك ، تطالع صفحات حية من المناقشات المحتدمة فى مصر الآن حول «التطرف الدينى» وعواقبه ، غير أن هذه الصفحات لا تخرج عن منهج « الهلال » فى موضوعيته وامتلاك جأشه ، برغم حرارته وجاذبيته ورنين كلماته ..

ومن أجمل ما يقدمه اليك « الهلال » من تراثه ، مقالة كان قد كتبها الزعيم المصرى المرحوم مكرم عبيد باشا الذى تولى الوزارة مرات ،وظل بضعة عشر عاما سكرتيرا لحزب الاغلبية فى مصر : « الوفد المصرى » .. ثم تركه وأنشأ حزبا آخر فى غمرة المنازعات الحزبية الحادة خلال الاربعينات ..

مكرم عبيد كان من أبلغ الكتاب والخطباء وله اسلوب فصيح متميز .. كتب هذا المقال عن « مصر العربية » سنة ١٩٣٩ حين لم تكن الدعوة الى « العروبة » قوية الصوت ولا الصدى فى مصر ..

ان هذا المقال الموجز ، كان وما زال كبير الدلالة فى هذه القضية المصرية القومية ، قضية « العروبة » .. لان مكرم عبيد عبر فى مقالته عن حزب الاغلبية الساحقة فى ذلك العهد ، فكان برهانا على أن الاغلبية المصرية بجميع معتقداتها الدينية كانت دائما ممتلئة شعورا تلقائيا بعروبتها ..

ثم ندعك ـ يا عزيزى القارىء ـ تطل بعينيك وفكرك على بقية عناوين المقالات وما وراءها .. والى اللقاء ..

كمال النجمى

الأدب والفن
بين التطرف الديني وسيطرة التكنولوچيا

كمال النجمي

الجزء الذى نشرناه فى الشهر الماضي من « كتاب آداب السماع والوجد » للامام الغزالى ، أثار اسئلة كثيرة ، من بينها هذا السؤال : هل يحق للانسان المتدين المشغول بصلاته وصيامه، ان يقتطع من عمره وقتا يشتغل فيه بالتعبير الفنى او الادبى كالغناء والتلحين والرسم والتمثيل والشعر والقصة .. او بتذوق هذا التعبير والاستمتاع به ؟!..

كتب الينا بعض القراء بآراء متنوعة حول هذا السؤال ذى الاهمية والدلالة فى هذه الظروف التى تتم فيها معالجة اسباب التطرف الدينى الجامح الذى ذهب اصحابه الى تحريم كل شيء فى هذه الدنيا الفانية ، حتى اوشكوا ان يجعلوا مجرد البقاء على قيد الحياة خطيئة شنعاء ، ورجسا من عمل الشيطان! .. ان جماعة من هؤلاء قررت ان الطب والتداوى من الامراض حرام شرعا .. وهذا بعينه هو الانتحار الذى حرمه الدين .

ان موقف الانسان من التعبير الفنى والادبى هو جزء من موقفه الفكرى والدينى ـ او اللاديني ـ فالناس يشتغلون بهذا التعبير فى مصر التى دينها الرسمى الاسلام، كما يشتغلون به فى البانيا ـ مثلا ـ ودينها الرسمى هو اللادين .. انفردوا بين دول العالم بذكر ذلك فى قوانينهم ولذلك نخصهم بالذكر فى كلمتنا هذه كمجرد موقف دينى او فلسفى لا اكثر ولا اقل .

ويستوقف النظر ان غلاة المتطرفين ، وان انطلقوا فى اصل

● ماهى الأزمة الحقيقية للأدب والفن في العالم الأول والثانى والثالث ؟

● أين يلتقى المتطرفون في الدين والمتطرفون في عبادة العلم الحديث ؟

غلوهم وتطرفهم من موقف اجتماعى يعمل فى اعماقهم باقصى قوته دون ان يشعروا به . . قد انهمكوا حتى اضناهم «الانهماك» فى محاربة طواحين هوائية عجيبة مثل « فوازير نيللى » فى التليفزيون ، وصور المشلات فى السينما واغلفة بعض الصحف . و « الافيشات » الاعلانية فى الشوارع .. هذا (الانهماك)هو فى جوهره النفسى الحقيقى، تعبير فنى او ادبى يؤدونه ، ولكن مقلوبا ، او بتحريفه عن مواضعه تحريفا جائرا .. فلا مناص فى التحليل السيكولوجى النهائى من ضبطهم متلبسين بممارسة او تذوق التعبير الادبى والفنى الذى يحرمونه ، ويتصورون انهم بتحريمه قد امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ! ..

فى أواخر الثلاثينات ــ ونحن صغار ــ كنا نقرأ فى بعض صحفنا عن العلم والادب . ايهما انفع للانسان ، وأيهما ، يبقى ، وأيهما يزول ؟! ..

كان بعض هذه الشذرات يتضمن الافكار الغالبة على المجتمعات العربية فى تلك الايام ، وهى أفكار خارجة لتوها من القرون الوسطى القريبة ــ أعنى العصر العثمانى خاصة ــ وبعض تلك الافكار لم يكن قد خرج من تلك القرون بعد ، بل كان يطل منها بعينيه فقط ، وسائر جسمه محشور فى جوف القرون ! ..

أتذكر نقاشا حادا احتدم فى بعض صحف الثلاثينات حول افضلية العلم والادب ! .. بعضهم يصيح : العلم أفضل من الادب وبعضهم الاخر يهمس : الادب


سيد درويش

فضلوه على العلم ! . .

ثم ظن أحدهم انه قطع كل الاراء بضربة واحدة حين قال : العلم أيها القوم هو الدين،لا علم سواه ! .. به يعرف الانسان الحلال فيصيب منه ما قسم الله له ، ويعرف الحرام فلا يقربه ! ..

كأنما كانت الدنيا عند ذلك الكاتب المفضال مجرد حلال وحرام ورجال ونساء يملأون الارض قتالا وقتلى حول هذين اللفظين المحددين فى الدين تحديدا واضحا لا يتمارى فيه الا المتنطعون !..

طبعا كان هناك من هم أوسع أفقا وفكرا من هؤلاء ، لكنهم لم يكونوا غالبية المثقفين والمتكلمين المسيطرين على أفكار ملايين العوام

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فاكتسحت نتائجها أفكارا ساذجة كثيرة .. ومنذ الخمسينات لم يعد أحد يقول ان العلم هو مايعرف به الانسان الحلال والحرام فقط ، فالعلم بحر لا ساحل له ، وما العلم او الفقه الدينى على علو شأنه ، الا بعض مايصطخب هذا البحر الذى خلقه الله بلا شاطئين ، حتى لا يحتجز حريته شيء !

لكن الجديد فى أيامنا ان بعض المثقفين « العلمانيين » فى الدنيا الواسعة من حولنا ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، يرفعون الآن قبعاتهم بتأثر واحترام شديدين ، ويترحمون ـ بطريقتهم الخاصة ـ على التعبير الفنى والادبى ، ويصرخون : مات الفن ! ..مات الادب ! .. يحيا العلم ! . . .

والعلم الذى يقصدونه هو العلم المادى الحديث الذى لا يعترف بغيبيات الدين ..

ثم يشرحون لك هذا الحادث الجلل :

ان التعبيرين الفنى والادبى يسرعان الان الى الانقراض ليخليا

مكانهما لوريثهما الوحيد : العلم المادي الظافر الزاحف بلا انقطاع؟
تسألهم :
— لماذا وكيف ؟ ! ..
ترتسم على شفاههم ابتسامة الثقة الساخرة ويقولون :
— نعم سينقرضان كماانقرضت حيوانات العصور السحيقة ، وسيبقى العلم فقط ، وتكثر فروعه ومشكلاته حتى تملأالدنيا وتشغل الناس ، فالعلم تنفتح له ابواب الكون كل يوم بل كل ساعة ، والفن والادب تنغلق دونهما الابواب
و .. نعم ... لقد انقرض الديناصور في سالف الاوان ، ولكن الادب والفن ليسا — فيما يقول هؤلاءالعلماء أنفسهم — من فصيلة الديناصور وظروفهما غير ظروف الديناصور السيئة الحظ ! ..

يقولون في اوربا وامريكا — مثلا — ان الادب الان وفي المستقبل عاجز عن انجاب هوميروس جديد ينظم الياذة جديدة ! .. وعاجز عن كتابة « الف ليلة وليلة » جديدة .. لان التطور قد تخطى هذه الالوان من التعبير ، وصار العلم هو كل شيء في حياة الانسان !..

تتقهقر الوحي ... نضب الالهام ! .. جهد الاحساس الفني والادبي ، الا ما بقي من قشور يتسلى بها الناس الان ، وخفقت رايات « العلم » فوق رءوس اربعة آلاف مليون انسان يعيشون فوق كوكبنا الان ، سيزيد عددهم مليونا قبل ان تفرغ من قراءة هذه السطور !..

هذا الادب ، وهذا الفن ،وكل ماينتجه المعاصرون فيهذين المجالين ماذا يمكن أن يقال فيه اذن؟!..
يقال بطبيعة الحال انه ليس أدبا ولا فنا ، فالادب الامريكي يتمثل في مسرحيات برودواي الجديدة المتبذلة ، وفي سيناريوهات التليفزيون والسينما والاعلانات التجارية .. وكذلك الادب فيأوربا الغربية .. دعكمن الادبفيأمريكا اللاتينية واستراليا ..
والادب السوفيتي حكايات تكررت من عهد لينين وستالينعن المحطات الكهربائية ، واصلاح اراضي سيبريا ، وامجادالانتصار على المتدخلين الاجانب منالحرب الاهلية الى الحرب ضد هتلر ..

الأدب والفـــن

اما ما يكتبه ادباءالعالم الثالث الشرقى ، فهو الذبالة الاخــيرة فى مصباح هذه الشعوب الجائعة المغلوبة على أمرها.. وبعد انطفاء ذلك البصيص يسقط تعبيرهـا الادبى والفنى فى الظلام ، فـلا يبقى لهذه الشعوب المسكينة الا أن تعشو الى نور العلم وتقبس منه شيئا قد ينقذها من الفناء !

أسال نفسى : ما الفـرق بين أولئك السذّج المتطرفين فى الدين، الرافضين بسذاجتهم المتطـرفة مباهج الفن والادب جملة وتفصيلا وبين هؤلاء «العلمانيين» المجددين الذين أفضى بهم الغلو الى التبشير بزوال الفن والادب ، مع أنهم بعيدون جدا عن الدين ، وليسوا أعداء للفن ولا للأدب ؟! ..

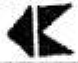
لو كنت متطرفا دينيا ناصحا لنفسى لما تطرفت فى محاربة الفـن والادب وهما يمضيان الى زوال سريع ، ولتربصت بهما الدوائر حتى يزولا بدون أن أتحمل عواقب التطرف .. فهذا الحرام سيزول من الدنيا كلها فتخلو الدنيا من الحرام وارتاح من شن الحـرب عليه ! .. أليس كذلك يقــول السادة الخـــواجات المبشرون بأوحدية العلم فى هذه الدنيا ؟!.

ان الازمة الحقيقية للمشتغلين بالادب والفن فى العالم الاول والثانى والثالث وما يستجد فى المستقبل من عوالم ، هى أنهم صاروا جزءا من الاجهزة الدعائية ، ســـواء كانت مملوكـة للحكـــومات او للهيئات ذات الهيمنة الجبارة فى الشرق والغرب وبقية الجهات .

كذلك أهل « العلم » الحديث، فانهم ليسوا كيانا مستقلا عـن الدول والهيئات الكبرى، وانماهم « عمال علميون » كادحون يعملون ـ كالادباء والفنانين ـ فى خـدمة هذه القوى الهائلة التى تكاد تكون قوى غامضة او خفيـة كقـوى الطبيعة .

وهذا هو السبب الحقيقى فى تدهور الادب والفن ، دون العلم، لان الفن والادب تعبير عن الذات، وعن المجتمع من خلال الذات ، اما العلم فيمكن ان يتقـدم تحت سيادة المتحكمين فيه ، لانه عمل وتجارب لاتتعلق بالحرية الانسانية وخصوصيات الانسان الفكـرية والنفسية ..

ويحاول بعض اصـــحاب « النظريات » تغطية هذه السوأة بقولهم ان التعبير الادبى اوالفنى يتخلف كلما تقدم العلم واحرزت التقنية الصناعية نصرا جـديدا يؤثر فى مجتمعات الناس ، فتتغير




ام كلثوم   عبد الوهاب

علاقات الطبقات والافراد وطرق الانتاج وعلاقات الانتاج والاستهلاك .. الى آخر ما يقولون ..

ولكن لماذا يؤدى هذا التطور الى ضمور الطبيعة الفنية والادبية فى الانسان، ثم الى اندثارها كما زعموا ؟ ! ..

اليس الاقرب الى الفهم ، ان الانسان حين يبلغ تلك الدرجة الرفيعة من الرقى ، تنطلق طاقاته العظيمة الخلاقة كلها وتتحرر وتبدع ما شاءت ؟ ! ..

فان كان هذا كذلك ، فكيف يصح فى الذهن ان نستثنى من هذه الطاقات العظيمة التى سوف تتحرر وتبدع، طاقة الفن والادب فى الانسان ؟ ! ..

ان تاريخ التعبير الفنى منذ عهد النقش على الحجر ، الى يومنا هذا، تاريخ ممتد متماسك، لا انقطاع فيه .. صاعد الى أعلى دائما ..

صحيح انه اصيب فى عهود كثيرة طويلة بالتعثر أو التبعثر أو الجمود او الانكماش او الانحطاط .. ولكن الخط العام لسيره. فى مئات الالوف من السنين، يبدو ممتدا الى الامام ، وان بدت فيه التواءات وانحرافات كالتى تبدو فى نهر طويل يمتد من منبعه الى مصبه ، دائم الجريان ! ..

ان ظهور التعبير الفنى والادبى، لا يشبه باية حال ظهور الفاس فى العهد الموغل فى القدم ، فان الفاس يمكن ان تختفى عندما تظهر التراكتورات فى المجتمع الصناعى .. اما التعبير الفنى او الادبى ، فليس ثمة تراكتورات تحل محله ، لانه متعلق بجوهر النفس الانسانية التى تتقدم وتتفتح وتتعلم ، وترتاد ابعد الافاق ، لكنها لا تنقلب من فاس الى تراكتور ! .

لهذا سوف يبقى التعبير الفنى والادبى ما بقيت النفس البشرية فان قوة « الفهم » ليست القوة الوحيدة فى الانسان ،ومن ورائها قوى كثيرة لا تجد التعبير عنها فى العقل الصارم ، وتجده


جمال السجينى يوسف وهبى

فى التعبير العقلى غير المبـاشر الذى هو الادب والفن ، وهما نشاط عقلى او حركة عقليةعلى هيئة تصورات ، لا على هيئـة مفهومات ومدركات حسية .

ليس هنـاك دليل « علمى » واحدعلى ان التطور مهما بلغ ، سوف يعطل فى الانسان حاجته الجوهرية الى تلقى الحقائق فى شكل تعبيرات فنية او ادبيـة، من اى لون كانت .. وفى أية صورة ....

● وماذا يحدث بعـد مليون سنة او اكثر ؟ ! ..

دعنى « أتنبأ» لك !. فلست فى هذا ادعى العلم ! .

اذا بقيت الارض فى مكانهـا مليون سنة ، واستمر تطـور الحياة والعلم ، ولم تنتحـر البشرية بالتفجيرات النووية فى حرب شاملة ، فسوف يجـد الناس بعد مليون سـنة طرائق لاتحصى للتعبير ، توافق اتساع تطورهم العقلى والبيـولوجى الهائل الذى سوف يشـمل اجسامهم ورءوسهم ونفوسهم !.

ولن يموت التعبير الفنى الا اذا انحط النوع الانسـانى او اصيب بالبلاهة او الجنـون لسبب من الاسباب لا اعلم شيئا عنه الان . او اذا ضرب الارض نيزك جبار بقيله النارى الصاعق فنثرها ترابا محترقا فى الفضاء!

وهذه لن تكون نهاية التعبير الفنى والادبى ، بل نهاية النوع الانسانى نفسه ، ونهاية الكـرة الارضية التى سوف يخلو عندئذ مكانها الذى تشغله فى الفضـاء كما يخلو مكان قصر عظيم بعـد هدمه ، توطئة لاقامة عمـارة للشقق المفروشة فوق ارضـه الواسعة التى شهدت امجـاده الزائلة ! ..

ما اعجب ان ينبرى اناس فى

ايامنا فيحرموا الفن والادب لان هذه وجهة نظرهم الدينية التى هى فى الحقيقة غريبة عن الدين، ثم يقوم غيرهم ــ وهم ضدهم ــ مبشرين باندثار الفن والادب، فى عصر قريب قادم سيكون العصر الذهبى للعلم ، كانما القاعدة الذهبية ، هى : لا علم مع الفن والادب ، ولا ادب ولا فن مع الدين !! • •

والفريقان ــ مع الاسف ــ لا ينتظرون مليون سنة او حتى الف سنة ليرى كل منهم بامعينه ماذا يحدث للفن والادب فى ذلك المستقبل العظيم ! •• انهما يتناقضان فى النظر الى ماوراء الطبيعة ، ولكنها يلتقيان فى النظر شزرا الى الادب والفن ولكل منهمافى هذا النظر الشزر اسلوبه الخاص ومرماه ! ••

فهل ضمن هؤلاء وهؤلاء ممن يرون انفسهم علماء فى الدين او علماء فى «العلم» ان تبقى الارض ومن فوقها من منتجى الادب والفن والثقافة ومستهلكيها ، هذا الدهر المديد ؟ !

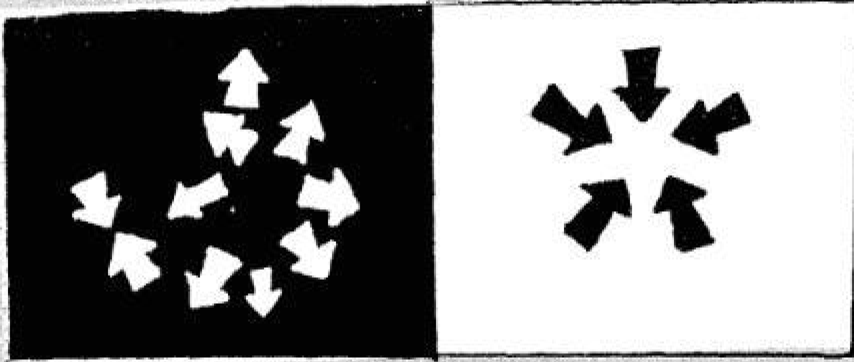
وهل يوجد الان او بعد الان من يستطيع ان يضع فى يده سبحة الورع والتقوى والفتيا الدينية ، او من يستطيع ان يكشف عن راسه « برنيطة » التجديد ، ثم يجيبنا بكل ثبات، وبلا ادنى ارتياب عن هذا السؤال : ما هو موقف الدين ، وماهو موقف اللادين من كل هذه الامور الهائلة ؟! ••

نريد قولا عاقلا هادئا غير معزز بقنبلة يدوية ولا ببندقية سريعة الطلقات ! •• فالامرهين: مجرد سؤال وجواب ! ••

مثل هذا القول الهادىء يمكن ان تخضع له الرقاب الف سنة، او مليون سنة ، او مايرضيهم من عدد السنين والحساب ! ••

ان الوف السنين القادمة فى مصر ــ مثلا ــ سوف تسمع وترى العديد من امثال ام كلثوم وعبد الوهاب وسيد درويش فى الغناء والتلحين ، وامثال مختار وجمال السجينى فى النحت ، ويوسف وهبى وفاتن حمامة فى التمثيل وعشرات غيرهم فى كل مجالات الاداب والفنون .

د. السيد فهمى الشناوى



زواج الحكومة والمعارضة

بين الخصوبة والعقم السياسى

الفسيولوجيا هي علم وظائف الاعضاء في الجسم السليم . واى خروج عليها هو حالة مرضية او باثولوجية تنتهى بالوفاة .

والسياسة هي فن قيادة الجماهير . وقد قاربت السياسة أن تصبح علما بعد ان اصبحت التجارة علوما وبعد أن أصبحت الزراعة علوما ، وبعد ان اصبح الاجتماع نفسه او السيكولوجيا او حتى ما وراء الطبيعة علما . لم تعد السياسة بوليتيكا ! ولا ميكيافيلية ولا تشويحا وصياحا فى الهواء وهزا لقبضة اليد !

واذا كان أبدع المخلوقات هو خلق الله واذا كان ابدع مخلوقات الله هو الانسان ، فما أجدرنا اذن ان نستوحي أصول الفسيولوجيا البشرية في تشكيل علم السياسة هذا .

●● الخصوبة السياسية والعقم السياسي :

لا شك ان التكاثر هو الصفة الاولى لأى كائن حى . ولا يمكن حدوث تكاثر الا بوجود زوجين معا ذكر وانثى بل ان الآية « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » توحى بأن وجود ذكر وانثى ليس مقصورا على الانسان ولا على النبات فقط ولكن يبدو انها موجوده فى عوالم أخرى من كائنات لم تكتشف .

والفكر السياسى وغير السياسى والانتاج الفكرى عامة لابد له من اب وأم معا اى حكومة ومعارضة معا .

على انه لا يكفى وجود زوجين سياسيين اى « الراى » « والراى الآخر » فقط ، ولكن لابد من وجود خصوبة لدى كل منهما على حدة ووجودها مجتمعة بهما معا ..

خصوبة كل طرف منهما هى مقدرته على نقد نفسه ذاتيا قبل ان ينقد قرينه .

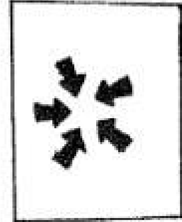
والنقد الذاتى ، هى النفس اللوامة التى اقسم بها الله فى القرآن ..

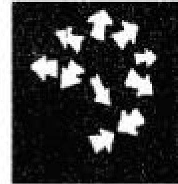
من لا يملك القدرة على لوم نفسه (النقد الذاتى) لا يملك بالتالى التوبة عن الخطأ وبالتالى لا يستطيع أن يغير نفسه . ومن لا يملك القدرة على لوم نفسه وعلى التوبة انما هو مدمن خاضع تماما لسموم الادمان أو هو مخدر بلا وعى أو هو ميت وان كان يأكل ويتحرك .. ولكنه مجرد جثة !

فى جسم الانسان ما من خلية واحدة الا ويصل اليها عصبان متضادان هما العصب السمبتاوى والعصب الباراسمبتاوى ، وفعل كل منهما مضاد للآخر . ولو اقتصرت تغذية خلية أو عضو ما على عصب واحد فسدت حياة هذا العضو واضطرب ومات وأمات معه بقية أعضائه .

هذا التضاد هو الذى يخلق الانتاج فضلا عن انه يحقق الاتزان والاعتدال وعدم الشطط . وهذا التضاد فى ميدان السياسة هو ما يحققه نقد الحكومة لذاتها .

● ان التجمعات الحكومية هى تنمية الفكر السياسى والاجتماعى





ونقد المعارضة لذاتها • قبل أن ينتقد أحدهما الاخر • ولو فقد أحدهما هذه القــدرة على نقد نفســه ولومها وتأنيبها وتاديبها يصبح عقيما برغم وجود زوجين معا (هما المعارضة والحكومة) •

فليس وجود معارضة فى دولة ما ضمان على سلامة وخصوبة المجتمع ، ولكن لابد أن يكــون لــدى كل من الحكومة والمعارضة القدرة على لوم نفسها بنفســـها ، والتوبة عن الخطأ ، وان تمارس ذلك بصـــفة دائمـة

كل هذا : وجود زوجين ، وخصـــوبة كل زوج على حدة ، لا يكفي •

يجب الا يكون الزوجان جاهلين لان اجتماع جاهلين هو تبادل جهل وانتاج لجهل مركز ومؤصل • يجب أن يكون اجتماع الحكومة والمعارضة هو اجتماع اهل الذكر واهل الاختصاص وأهل الخبرة والعلم حتى يصـــبح اجتماعا لتبادل آراء وليس اجتماعا لمجاملات أو مآدب أو صور تذكارية او للدعاية والطبل أو للتدجيل بأن هناك ديموقراطية •

وحتى الاجتماع بين أهل علم وأهل علم له أصول : يجب الا يحصل نزاع مهما اختلف الرأى حتى لا يتوقف العقل ويعمل اللسان أو ربما تعمل اليد وقد تكون اليد مسلحة ببندقية او مدفع أو قنبلة ذرية •

واذا فرضنا أن عالما اجتمع بجاهل فى حوار سياسى ماذا يكون الموقف ؟ هنا أبرز مثل تاريخى لهذا الموقف هو موقف على بن ابى طالب من قاتله : سـئل على وهو يحتضر عن الخوارج : هل الخوارج كفار ؟ فقال : من الكفر فروا • فسئل (وهو المعتدى عليه) : أمنافقون هم ؟! قال : المنافقون لا يذكرون الله الا قليـلا ، وهم يذكرونه تعالى ذكرا كثيرا • (هكذا يتمالك نفسه من عنده القدرة على النقد الذاتي قبل نقد الغير) فسئل : ما رأيك اذن فيهم ؟ فقال : ليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فادركه !

الطرف العالم هنـا ينصف خصـمه ويدافع عنه

● المسلمون خسروا سياسيًا من تعدد مصادر ثقافاتهم

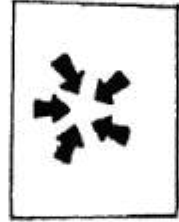
التماسا للحقيقة ذاتها التى ربما تكون لدى الخصم ويضحى بنفسه وحياته ثمنا للبحث عن الحقيقة . لم يحاول تغيير خصمه . بل حاول تغيير نفسه أولا حتى وهو يحتضر . لانه يدرك أن من يحاول تغيير خصمه ويترك تغيير نسه هو من وصفه الله بأنه «ظالم لنفسه» وعلى يدرك حقيقة فسيولوجية بسيطة هى أن الوعى بالذات أيسر من الوعى بالغير وأن الوعى بالذات هو أرفع أنواع الوعى .

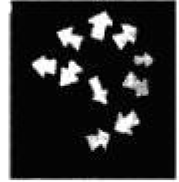
على يعلم أن أى هزيمة نحققها لا تتحقق لان خصمنا قدر علينا ولكنها تتحقق لاننا هزمنا أنفسنا لخصمنا . وأى نجاح نحققه على خصمنا لا يتحقق لاننا نصل الى رقبة خصمنا على المشنقة ولكن يتحقق لاننا قوينا انفسنا ذاتيا واخلاقيا وحضاريا وماديا بأكثر مما قوى الخصم نفسه .

●● الديموقراطية هى الجهاز العصبى للسياسة

هى أن يتمكن كل فرد فى الرعية أن يوصل رأيه الى رئيس الدولة مهما كان هذا الرأى ـ وهو آمن ! لان السياسة هى الاتصال .. اتصال الرأى بالاطراف .. واتصال المخ القائد بكل خلية فى الجسم .. المخ البشرى يحس بأى ألم فى الظفر الذى نقص قلامته ونرميها كما يحس تماما بأى ألم فى أهم عضو . فقدان هذا الاتصال بين المخ وكل خلية مهما هان أمرها هو شلل أو صمم أو خرس أو حتى موت . لك أن تتصور شخصا هرقلى الجسم يأكله صرصار أو فار لان هذا الهرقل لا يحس بالصرصار وهو يقرضه .

توصيل رأى الفرد الى رئيس الدولة والفرد آمن كان فى المجتمع القديم بتعس عمر بن الخطاب وقوله انه مسئول عن البغلة ان عثرت فى الطريق ، ويتحقق فى المجتمع القبائلى بديوان الشيخ المفتوح لكل طارق ، ويتحقق فى مجتمعنا المتضخم والمعقد بخطابات الرعايا للرئيس ومقابلاته وتعسسه وبالتمثيل النيابى الحر وبالصحافة الحرة وبالاحزاب الحرة .





وربما كان التمثيل النيابى – حتى دون اغلاق دوائر أو حرمان وتحديد فئات وكذلك الصحافة والاحزاب – أقل توصيلا من الاتصال المباشر لان التمثيل النيابى والاحزاب والصحافة انما تحتكرها طبقة محدودة ولبعضها أهداف وطموحات خاصة وقد تلجأ الى عزل الفرد العادى عن الرئيس · وقد تؤدى فى تناحرها وتنافسها الى تشرذم وضعف عانت منه ديموقراطيات الغرب نفسها · وقد أدت الى قيام حربين عالميتين فعلا · وانتهت الحرب الاولى بقيام دكتاتوريات هتلر وموسوليني ولينين واتاتورك · وانتهت الحرب الثانية بقيام دكتاتورية السلاح الذرى ·

وقد استعملوا كلمة الديموقراطية استعمالا مغرضا قال البعض : الديموقراطية الاجتماعية أهم من الديموقراطية السياسية واتخذ هذا مبررا لالغاء الاحزاب والصحافة وقالت ولا تزال تقول المجتمعات الشيوعية انها ديموقراطية ·

اذن المقياس الحقيقى والواقعى والصادق للديموقراطية هو ما يطابق فسيولوجيا الجسم البشرى وهو ان يكون لكل فرد اشعار المخ بكل احساس يصدر منه دون أن يعاقب او يحال بينه وبين ذلك · لان السياسة ليست الا الاتصال بين المخ والاعضاء · وهذا يتحقق تماما فى مجتمعنا الحالى بكفالة الحرية الكاملة لكل فرد أن يكتب الى رئيس الدولة · وأن يكون « بريد رئيس الدولة حرما آمنا » ·



كان كرومر – وهو دكتاتور فى مصر لمدة طويلة جدا – قد زار المدرسة التوفيقية فى عربة تجرها الخيل ويجرى أمامها سياس · ووصلوا المدرسة يلهثون من الجرى ما بين قصر الدوبارة والمدرسة · لم يعجب هذا أحد التلاميذ فكتب خطابا الى كرومر دون توقيع لائما اياه على ذلك ، وتوقع التلميذ بعد أن أرسل الخطاب انه مفصول وربما يفصل أيضا ناظر المدرسة · ولكن كان أشد عجبه أن أبطل كرومر هذا التقليد تماما ·

● يجب ألا يحصل نزاع مهما اختلف الرأي، حتى لايتوقف العقل

وتبعه في ذلك كل سفراء الدول .

ومن المؤكد ان هذه النتيجة ما كانت تتحقق لو كان تقدم بها حزب سياسى كطلب وطني أو تقدمت بها صحيفة مصرية وطنية في حملة وطنية .. هذه الحادثة صاحبها أصبح وزيرا للخارجية المصرية (صليب باشا سامى) وضمنها مذكراته .

وكان تشرشل يهتم جدا بكل خطاب يصل اليه حتى انه ضمن خطبته التى تكلم فيها عن العرق والدم والدمع خطابا من تلميذ ابتدائى ينتقده . وعندما عقد مؤتمر القاهرة فى ظلال الاهرام مع روزفلت استدعى مصريين كانوا قد كتبوا اليه ينقدونه !

●● الصحة النفسية للسياسة :

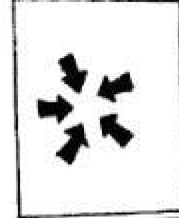
لابد أن يرتج المخ السياسي للجماهير بتاثير العوامل الآتية :

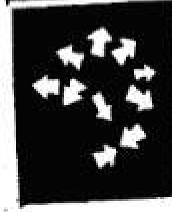
١ ــ تغيير اتجاه القافلة السياسية ١٨٠ درجة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار خلال حياة جيل واحد ثم من أقصى اليسار الى أقصى اليمين مرة أخرى في حياة نفس هذا الجيل . مما أدى الى ظهور مشكلة تكذيب الشباب لكل ما يقوله الشيوخ . وهذا التحول النفسى العنيف لم يحدث فى مصر وحدها بل حدث فى النطاق العربى للشرق الاوسط كله ازاء موقف الاستهتار باسرائيل (دولة مزعومة وعصابات شذاذ آفاق الخ) ثم موقف الاقرار بها كرها أو سياسة . أعرف ابن رئيس وزراء عربي كلما سمع من أبيه قولا قال « والله كذابون . قالوا كذا عن اسرائيل ثم اصبحت كذا » .

وهذا التغيير السيكولوجي العنيف عانت أوربا نفسها منه : أقصى الملكية فى المانيا وايطاليا كمثال تحولتا الى أقصى الدكتاتوريات النازية ثم تحطمت تحت أقدام خصومها فنشأت فى أوروبا حركات الهيبية وحركات الرفض والركض العارى وثورة الطلاب .

وكان للحروب ــ وآخرها الحرب العالمية الثانية أكبر فاعلية فى هذا التحول النفسى العنيف . تبدأ

الحروب بدق طبول الحرب والدعوة الى النصر والمغانم والاكتساح وتوزيع الاسلاب ، وتنتهى بالجوع الكامل والغلاء المدمر وتخريب المساكن وفقد الاهل ·





٢ ـ الشعارات المقدسة :

ثم يثبت عمليا أنها غير مقدسة ولا هى نازلة من السماء · اضفاء صبغة التقديس على كلام وضعى له أخطر الاثر على عقول البشر لان الكلام الوضعى يحتم الانهيار يوما ما · ومع انهياره الحتمى لابد من انهيار نفسانى وعقلى · مثلا الميثاق كان عندنا مقدسا وحفظه التلاميذ عن ظهر قلب · ولما مات صاحبه قال السادات انه لم يفهم منه شيئا ولم يستطع شرحه لابنته وهى تذاكره كمقرر مدرسى ! ومثلا الكتاب الاحمر لماوتسى تونج وصلت حوله الاساطير لدرجة الزعم بأن وضعه على عين الاعمى يؤدى الى الابصار ثم اذا بصاحب هذا الكتاب الاحمر تحاكم زوجته واتباعه كخونة !

٣ ـ الزعامة « الكارزمية »

وهى القائمة على جاذبية الزعيم ومنغطيسيته للجماهير وتأثيره على من حوله ، وخلقه لطبقة محيطة تسبح له ومقدرته على التنويم المغناطيسى للشعب · فتدق له الطبول ليل نهار سمعها أو لم يسمعها · تحاول أن تنقده فلا تقدر · هو الأب والأم والزوجة والابن وربما أعز منهم · هو الكاسى الطاعم ، تصفق له يداك دون أن تأمرهما وربما غصبا عنك · يهتف له لسانك تلقائيا تبدأ رحلتك معه مرفوع الراس ثم تحبه أكثر من نفسك ثم تتحول الى تابع ثم الى رفيق ثم الى ضحية ثم سجين فى سجنه ثم تركع ملتمسا العفو من سجنه ثم تشركه ان لطف بك أثناء السجن !

الزعامة « الكارزمية » عبارة عن قطب حوله دراويش يدورون فى حلقة ذكر تنتهى بكارثة ·

الزعامة الكارزمية زعامة أحلام وهى من صنع أحلام المثقفين أنفسهم : يحلمون بالمستبد العادل والكل فى

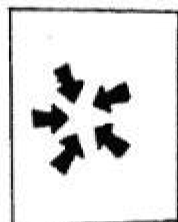


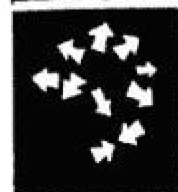
تشرشل

واحد ثم يفيقون على انهم كانوا فى غيبة من الوعى ·
والزعامة الكارزمية تهوى بقبضة يدها على المسلم الذى صعدت عليه وهم المثقفون وتخلق أزمة المثقفين وتفضل دائما أصحاب العمل اليدوى على المثقفين وتعطيهم فرصا أكثر وأجرا أكبر ومشاركة سياسية أكثر لان الحاكم الكارزمى يرى فى المثقفين « مجاهدى صالونات » تكفيهم صحف ومنابر كلام ويرى فى طبقة العمال والفلاحين وقودا لانتاجه وأداة لحروبه وعزوفا عن منافسته في كرسى الحكم ·

● من الذى يرى فى المثقفين مجاهدى صالونات تكفيهم صحف ومنابر للكلام

والزعامة الكارزمية بصفتها زعامة حالمة وبوضعها المقدس الذى اصطنعته تقترف الكذب حتى دون ان تقصده ويتبع الكذب كل الجرائم الاخرى · فهى تعلم انها انسان ولكنها سياسيا تصر على انها اله ولابد اذن أن تنفصم نفسيا وتعكس انفصامها هذا على الجماهير ·
ولابد للزعامة الكارزمية أن تنفصل عن الشعب بما تحيط به نفسها من طبقة أقرباء سواء قرابة دم أو قرابة سياسة أو قرابة حراسة وامن وبوليسية وعسكر ومن ثم تصبح رقعة العالم عبارة عن قلاع محصنة للحكام وبين القلاع جماهير الشعوب التى لا تعرف ما يجرى داخل القلاع ولا تعرف القلاع ما يجرى بين الجماهير وأهم من ذلك كله ان يستحيل قيام وحدة بين الجماهير بفضل ما زرع فيها من قلاع ·
وكلما قوت القوى العالمية هذه القلاع منعت الجماهير من الوحدة · مع أن الوحدة أمر بسيط جدا يحققه العامل أو الفلاح عندما يهاجر من قطر الى قطر ويفشل فيه الزعيم الكارزمى
الزعيم الكارزمى صورة عقلية من أخطر ما يمكن لانه انسان يأكل ويفرز ويتناسل ولكنه سياسيا وأمام الجماهير يصر على انه اله · وينشر هذه الاكذوبة بين الملايين وعلى امتداد العالم كله ولحقبة من سنوات عديدة ثم يموت هذا الاله أو ينتحر أو يؤسر أو يحاكم أو تلفظه امرأة ·





●● الترابط الفسيولوجى لاعضاء الجسم :

من معاد القول أن عضوا ألم به ألم اشتكى له سائر الاعضاء ولكن هذا الترابط بين الاعضاء هو وحده سر الحياة . فمن المؤكد معمليا انك تستطيع أن تعلق القلب فى محلول كيميائى معين وتجعله يدق لمدة سنوات . وكذلك الحال بالامعاء أو الكلى أو أو . ولكن حياتك لا يكفلها ويحققها الا أن يحرك كل عضو زميله فى ترابط أقوى من ترابط الأم برضيعها .

هذا الترابط الفسيولوجى يحققه فى الجسد السياسى أمران هما التعليم والدين :

١ ـ التعليم :

لو أن مالكا مفرطا فى الثراء وعنده أجير مفرط فى الفقر . تعلم ابن الفقير وانصرف ابن الغنى عن العلم لتبدل الوضع الطبقى لصالح الاجير وابنه خلال فترة لا تتجاوز ١٥ عاما . لا شىء يحقق تذويب الطبقات واقعيا كالتعليم .لك أن تتصور كيف يكون حال جسدك لو نازع القلب كليتك أو نازع مخك بقية أعضائك !

هذا هو الوضع بالضبط لو حاولت تقريب الطبقات بالقوانين الوضعية فيما يخص الملكية أو الايجارات أو « الاصلاح الزراعى » دون أن تهيىء تعليما مجانيا واجباريا لابن الفقير . التعليم هو المادة المذيبة للفوارق والمادة اللاصقة للطبقات . ولكى يتوفر للتعليم هذا التذويب وهذا اللصق يتحتم أولا محو أمية الجميع ذكورا واناثا . ويتحتم أن يكون التعليم الاساسى أو الالزامى أو الذى يعطى للحدث هو نوعيةممتازة ومبسطة وسهلة الهضم ودائمة المفعول كتدريس القرآن مثلا بدلا من نصوص مؤلفين متنافرين وناقصى التكوين ومهجنين ثقافيا ومرضى نفسيا . ان فورة النصر المعجزة التى تحققت فى المائة سنة الاولى من تاريخ الاسلام والتى عز على المسلمين الى الآن أن يكرروها انما مرجعها انه خلال هذه المائة سنة الاولى كانت مصادر تعليمهم مقصورة



ماو تسى تونج

● الدين هو المادة التي تصنع من المواطنين سبيكة صلدة ونقية

على القرآن والسنة ولم تكن قد اختلطت بعد بثقافة فارسية أو يونانية ٠

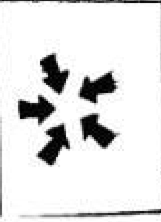
ان المسلمين خسروا سياسيا من تعدد مصادر ثقافتهم لان المؤلفين وارباب العلم يفرزون احيانا كثيرا من السم مع بعض العسل ٠ ولو أحصيت الآن انتاج المطابع في العالم لوجدت أن ما يثمر من هذا الناتج الضخم بالنسبة لما يقتل ويسمم الفكر قد لا يتجاوز واحدا في الالف وربما أقل بكثير جدا ٠

فاذا تجاوزنا المرحلة الاساسية للتعليم فيجب أن نعلم التلميذ حرفة رزقه ٠ الا تعجب معي أننا في مصر مثلا ندرس للتلاميذ جغرافية العالم كله وتاريخ العالم كله وسائر العلوم النظرية دون أن نعلمه زراعة أرض مصر ولا نظام الري ولا مشروعات نهر النيل وكيفية الاستفادة منه ٠ فينهي المتعلم تعليمه بالابتعاد عن الارض أو بزرعها زرع الجاهل ٠٠ يلقى البذر ويدعو الرب وكفى ٠٠

وفي التعليم يجب أن تكون الجامعات اهلية بالكامل الا ترى مثلا أن أكاديمية أفلاطون الاهلية انتجت من الفلسفة ما لم تنتجه كل جامعات العالم الحكومية حتى اليوم ٠ ألم نلمس ان الازهر عندما كان جامعة أهلية وبرامجه الدراسية أهلية حرة انتج زعامات سياسية في العصور المظلمة يعز الآن انتاجها ٠

على أن الجامعة يجب أن نعرفها بأنها مكان درس العلم من أجل العلم فقط لا من أجل التكسب : فاما الحرفة كالطب أو الهندسة أو الزراعة فهي مدرسة عليا وليست جامعة ٠ أذكر انه حتى الحرب العالمية الثانية كان قصر العيني يحتفظ ويعتز بلفظ مدرسة الطب وينفر من اللقب « الرسمى » كلية الطب ٠٠ يوم كان الجوهر يسبق المظهر ٠

ان جامعة أهلية مثل جامعة بيروت أو الجامعة الامريكية بالقاهرة سوف تنتج أثرا في الاجتماع وفي





السياسة فى منطقة الشرق الاوسط أبعد بكثير من حجم هاتين الجامعتين لمجرد انهما أهليتان : عندما اجتمع ممثلو العالم فى ليك سكس لوضع ميثاق الامم المتحدة كان هناك عن دول الشرق الاوسط اكثر من ٥٠ خريجا لجامعة بيروت هذه وكانوا بذلك أكبر نسبة خريجى جامعة فى العالم يقررون سياسة هذه المنطقة ٠

ان الجامعات الحكومية هى تاميم للفكر السياسى والاجتماعى يخرج دعاة للحاكم ولا يخرج حكاما ٠ ويوما ما أخشى أن يكون الحكام من خريجى الجامعات الاهلية الامريكيــة ودعاتهم وأبواقهم وبرادعهم من خريجى جامعاتنا ٠

٢ ـ الدين :

اذا كان التعليم كما قلت هو المادة المذيبة للفروق بين الطبقات والمادة اللاصقة لها ٠ فان الدين هو المادة المدمجة والتى تصنع من المواطنين سبيكة واحدة صلدة ونقية وخالصة ٠

ومنطقة الشرق الاوسط لا يمكن فصل الدين فيها عن السياسة لانهما لم ينفصلا منذ عصر الرسالات الثلاث التى ظهرت فيها ٠ وفى كل فترات تاريخها كان الدين وراء كل غزوة وكل حرب وكل سلام وكل حزب وكل فكر مهما اعترف أو أخفى صاحب هذا الفكر أو الحزب ٠

حتى أن قيام اسرائيل نفسها كدولة فى هذه المنطقة قام على أساس دينى متطرف وسميت الدولة باسم أحد أنبياء اليهود عليهم السلام ٠

ومحاولة فصل الدين عن الدولة هى فكرة بهائية مع أن البهائية نفسها قامت كحركة دينية لخدمة سياسية غريبة ٠ ثم ان البهائيين أنفسهم ـ كدين ـ يدعون الى تقريب المسيحية والاسلام واليهودية ـ تحت سقف واحد ! نظريا وعمليا ! وهم بهذا يعطون فكرا دينيا وان زعموه دنيويا ٠


كرومر

بل ان نفس المذاهب الالحادية تدور حـول الدين . عى تشجب رجال الدين . ولكنها تقدم فكرة دينية أيضا لو كان فكرها سياسيا خالصا ما تعرضت للدين بخير أو بشر . مثلهم كمثل من يكره المرأة هو لا يختلف عمن يحب المرأة فى أن موضــــوع تفكيره هو المرأة ولكنه يعالجها من زاوية النفور بدلا من زاوية التقرب والتفاهم

سواء احببنا أم كرهنا فى منطقة الشرق الاوسط منذ عصر الرسالات الى اليوم لا يوجد الا دينسياسة . دينا مندمجا فى السياسة وسـياسة مندمجة فى الدين . ولفظ الدين وحده والسياسة وحدها من وضـــع فكر غرب أوروبا لا يقبله ولا يفهمه عقل الشرق أوسطى .

هذه حقيقة يجب الاعتراف بها والتعامل على أساسها ووضع الضوابط لها وتكييف التعامل بين شعوب المنطقة على هذا الاساس .

ان وجود الدينسياسة فى الشرق الاوسط هو الذى منع الشرق الاوسط من أن يعرض نفسه لمثل ما عرضه الغرب نفسه له فى الحربين العالميتين الاولى والثانية من تمزق وهدم للحضارة الاوربية وغلاء اقتصادى رهيب ثم وضع البشر جميعا تحت ظلال السلاح الذرى مهددا بانهاء البشرية جميعا .

ولولا بعض دينسياسة أيضا لديه منقول عن اختلاطه بالشرق الاوسط لكانت البشرية انتهت !

ان الرجل الاوربى رغم تمدنه التكنــولوجى الرهيب اقل انسانية عن العبد الافريقى الخــام . الاول يأكل ٨٠٪ من طعام الارض رغم انه يكون ٢٠٪ من مجمـوع البشر ومع ذلك لا يحس بأى شبع ولا ارتواء ولا يشكر وهو يستحوذ على أكثر من ٩٠٪ من مال الارض ويداين الرجل الفقير ديونا رهيبة ومع ذلك يعانى من الجشع القاتل ويعانى من الاضطراب النفسى بنسبة اكثر من ٩٠٪ وهو يحس انه مجنون . وان حضارته زائفة ولم تحقق له أى رضاء .

التطرف وحركة مصر الفتاة



احمد حسين منشىء حركة مصر الفتاة

● الدعوة للتدين هى صميم رسالة مصر الفتاة ولم تكن سياسة

● ما أحوج المجتمع إلى القدوة الصالحة ليعمل وينتج ثم ينتج

● ألف باء التدين ، أحب للناس ما تحب لنفسك

يقول المثل السائر (لامثال) « قل كلمتك وامش »

ولقد قلت كلمتى فى الحياة المصرية ومشيت ، فانا الآن أعيش فى عزلة مخيفة ، وقد اقعدنى الشلل الكلى (الا عن الكتابة) ولكن ما كان لى (وقد دعيت) ان لا أعقب على ما نشره الاخ الدكتور السيد فهمي الشناوى ، فالكاتب باحث يعتمد على نقول ينقلها من رسالات دكتوراه ، والمجلة المنشور بها المقال هي مجلة الهلال وما أدراك ما مجلة الهلال •

وابدأ تعقيبي بأن أصحح بعض المعلومات الخاطئة ثم اقول رأيى فى الموضوع المثار •

● اصالة وليس تقليدا ●

فقد قيل ان حركة مصر الفتاة ، هي تقليد أو صدى للحركات


جمال عبد الناصر


أحمد ماهر


مصطفى كامل


أنور السادات


هتلر

الاوروبية من فاشستية ونازية ، وأبادر فاقول ان حركة مصر الفتاة هي حركة أصيلة من تراب هذا الشعب ، وسبقت فكرتها الحركات الاوروبية ، فهي حركة تحرير ، حيث الفاشستية والنازية حركة استعمار ، وقد قال مصطفى كامل في أيامه القديمة في مستهل القرن العشرين « أريد أن أوقظ في مصر الهرمة ، مصر الفتاة » .

وليست حركة مصر الفتاة سوى يقظة مصر ، وقد حملت شعلة اليقظة من ثورة ١٩١٩ حتى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فليس جمال عبد الناصر وأنور السادات الا أعضاء عاملين من أعضاء مصر الفتاة .

ولقد صاحبتني فكرتها منذ كنت طالبا في الثانوي في العشرينات

وسجلتها فى مجلة المدرسة آنذاك أما عن القميص الاخضر فقد كانت الكشافة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ترتدى « القميص الكاكي » فجعلناه أخضر بلون العلم المصرى ، واتخاذ اللون شعارا من تراثنا الاسلامى فقد كان شعار الدولة العباسية « السواد » .

فالتفكير فى مصر الفتاة كان أقدم من ازدهار النازية والفاشستية وعندما كنت أزاول نشاطى فى مصر الفتاة فى الثلاثينات فقد هاجمت ايطاليا موسولينى (ورفعت على جنحة بسبب ذلك) ووصفت هتلر فى مقال بأنه « بلطجى دولى » وأرسلت له رسالة شهيرة أدعوه فيها لاعتناق الاسلام ونددت بسياسته وحذرته من عواقب المصير الذى انتهى اليه .

فالقول الذى جاء على السنة الاوروبيين من ان مصر الفتاة هى صدى أو تقليد للحركات الاوروبية هو قول غير صحيح .

● موقف على ماهر من مصر الفتاة ●

وقد قيل أن على ماهر باشا كان يمول الحركة ، وهذا قول غير صحيح فلم يكن للحركة من ممول الا اشتراكات أعضائها ولهذا احتفظت الحركة باستقلالها فى مواجهة الجميع ، وحقا كان على ماهر صديقا لمصر الفتاة ، ولكنه عندما اختلف وهو رئيس للديوان مع وكيل الديوان كامل باشا البندارى انحزنا الى جانب كامل باشا البندارى ، ولا محل لذكر الاسباب حتى لا نخرج على السياق ، والمهم ان لو كان على ماهر يمول لما هاجمناه هذا الهجوم الشديد الذى نقلته عنا الصحف الوفدية آنذاك .

● روح التدين ●

أما الامر الثالث فقولهم اننا دعونا للدين من باب السياسة ، مع ان حقيقة الامر ، ان الدعوة الى التدين بعامة كان من صميم رسالة مصر الفتاة الصالحة لكل زمان ومكان ، وقد كنا نقول (وما زلت أقول) ان من لا خير فيه لربه ، فلا خير فيه لوطنه ، ذلك ان الايمان بالله وانه مطلع على كل شىء ، وانه يكافىء على عمل الخير ويعاقب على عمل الشر ، هو ينبوع كل القيم الطيبة والاعمال الصالحة . ولما كنا فى الوقت الحاضر نفتقد القيم والاعمال الصالحة فلن

● دعوة من صميم الرسالة الصالحة لكل زمان ومكان

ينفعنا الا الايمان بالله وانه مطلع على خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، فالدعوة للتدين هى صميم رسالة مصر الفتاة ولم تكن سياسة ٠

● رأينا فى حالة مصر فى الوقت الحاضر ●

ولا يجب النظر الى الشباب كطبقة أو فئة متميزة عن باقي المجتمع فهو جزء لا يتجزأ منه ونحن اصبحنا نعيش فى عصر من الفوضى لم يسبقه مثيل فى مصر ٠ نحن لا نقول انها خلت من الاخيار والصالحين ولكن موجة الشر هى الطافية على السطح وهى التى تؤثر فى سير الاحداث ، فلكى نقلب الميزان وتعود موجة الخير الى الصعود فلا مناص من التربية من جديد والتربية تعنى ((التدين)) ٠

ان ما لوحظ من تطرف باسم الدين هو الدليل على انه لم يعد هناك تدين فاستغل الدين كل ناعق ليحقق مآربه ، لان الف باء التدين هو : احبب للناس ما تحب لنفسك ، وأن ليس أكره الى الاديان من العنف (لا اكراه فى الدين) ((لكم دينكم ولى دين))٠

فالتطرف وليد الجهل وقد جربت ذلك بنفسي فاقدمنا بجهلنا على تحطيم الحانات ، اعمالا لقول ((من رأى منكرا فليغيره بيده)) وبعد أن تعلمنا ادركنا ان التغيير باليد لا يكون الا للحاكم حتى لا تنشأ منه مضرة تكون أشد من المنكر نفسه،فتطرف الشباب هو تصوير لمجتمعنا الحاضر وهو الفوضى وغياب القيم واستشراء الفساد فلا مناص من العودة الى التربية ، ولا تربية بغير ايمان بالله

● القدوة الصالحة ●

وليس هناك ما يعجل بالتربية أفضل من القدوة الصالحة وخاصة ممن بيدهم الامر ٠

وما أشبه اليوم بالبارحة وما أحوج المجتمع لمن يقدم له القدوة الصالحة فلا يشترى الا ما هو مصرى وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به وأن يعمل وينتج ثم ينتج وينتج لان المصريين لم يعودوا يعملون كما كانوا يعملون أو ينتجون كما كانوا ينتجون ٠

وباستطاعتي ان اقول الكثير ولكن فلنقف عند حد المناداة بالتربية وللقدوة الصالحة أثر كبير ٠



عمر التلمسانى



شبابنا مظلوم

- الشباب ينفر من إشعاره انه ليس أهلاً لشق طريقه
- هنا... مكمن الخطر الذى لايتنبه إليه الوالدان
- فى الجامعة، فرقت الدروس الخصوصية بين الطالب والأستاذ

حقا ان شبابنا مظلوم .. المنحرف منه والمستقيم ، لا المنحرف يلقى رأفة تعينه على البعد عن الانحـــراف ، ولا المستقيم يلقى تشجيعا على مداومة الاستقامة . وبعد ذلك ينهال الجميع على هذا الشباب النضر ، على هـــذه الخامة القابلة للتشكيل كيفما يريد المشكلون .. هذا الاسلوب في النظر الى الشباب ، أو محاولة اصلاحه لن يؤدى الى النتيجة الطيبة التى يتمناها المصلحون . ان هذا الشباب ليس معدا لنا ، اى لجيلنا ولكنه معد لجيل آخر سيحمل هو وحده كل تبعاته ، لاننــا ذاهبــون ومفضون الى ما قدمنا . وهذه نظرة يجب أن تقوم على الدقة ، وعمق البصيرة ، حتى نقيمه على الخير ، وتجنبه

والاصلاح كما هومعروف ، ليس عقارا أو برشاما ، يتجرعه المريض راضيا أو كارها ، ولكنه أسلوب مبين فى كيفية تناول العلاج ، بعد اقناع الشـــباب بالنفع الكبير الذى يصلح معه شأنه عن اقتناع ، دون أن يحس اننا أعلم منه ، أو أحرص منه على مصلحته ، ولكنه يحب أن نتدارس معه ، فى رفق وكياسة . اننا نحاول معه فى توضيح مفاهيمه دون سيطرة أو ارغام ، فحماس الشباب ينفر بجبلته من اشعاره بأنه ليس أهلا لان يتبين طريقه .

انه يفتقــد هـــذا المعنى ، فى البيت ، فالوالدان حريصان على ارغامه أن يخضع لارادتهما ، وانه لا يعرف مصلحته بمفرده ، وقد يخضع متظاهرا ، ويأتى بعيدا عنهما بكل ما يريدان أن يجنباه اياه ، وهذا هو مكمن الخطورة الذى لا يتبينه الوالدان .

ويفتقــده فى المدرســة ، اذ يشـــعره المدرس بجهله ، وانه مرغم ولابد أن يتلقى منه آليا دون تبين ولا استيضاح ، وهــذا ما ينفر شـــبابنا من المدارس ويباعد ما بينه وبين مدرسه من عاطفة تجمع بينهما فى مجال العلم . وفى الجامعة فرقت الدروس الخصوصية

شبابنا مظلوم

بين الاستاذ والطالب الى الحد الذى أصبح فيه أحدهما ينظر الى الآخر كأنه مورد ، والآخر ينظر الى الاول كأنه مستغل ، وضاعت بينهما القدوة الحسنة التى كانت تعتبر الصورة الزاهية المنتجة بين الطالب والاستاذ ، وتجعل طلب العلم للعلم لا للارتزاق .

● الجميع بلا استثناء ●

وفى الشارع لا يرى الا تبذلا ، ولا يسمع الا فحشاء ، حتى بلغ الامر بالمنحلين أن يختطفوا الزوجة من زوجها والاخت من أخيها ، وعلى قارعة الطريق بلا خوف ولا مبالاة دون أن يرى عقابا رادعا أو موقفا حازما ، ممن فى يدهم الامر ، وكأن الحادث لا يعدو خطف (شنطة) من يد فتاة ، أو نشل جنيه من جيب موظف .

وفى المجتمع لا يرى الا سينماوات تعرض الفساد وكباريهات لا تقوم الا على الفحش ، وأحط النزوات الهابطة ، وبترخيص من الحكومة ، وفى ظل حماية منها . ننسى كل هذا ولا نكتب فى الصحف والمجلات الا عن الشباب المنحرف .. الشباب المتطرف . الشباب المتعصب .. الشباب الارهابى ، ولا نسمع كلمة عطف أو عذر ، تشعر هذا الشباب انه محل الحنو والرعاية ، والرغبة فى الاخذ بيده ، ترى ماذا تكون النتيجة ؟ ان السبب فى تقديرى ، وقد أكون مخطئا هو ترك الحكومات المتتالية منذ عشرات السنين الشر يستشرى عاما بعد عام ، فلا تهتم الحكومات ولا الاحزاب بالشباب الا من ناحية استغلاله فى المجال السياسى ، بما تغدقه على أتباعها منهم ، من أموال ، وما تقدمه لهم من مزايا حتى رأينا بعض الطلبة الذين لا تمكنهم مواردهم من ركوب الاوتوبيس ، يديرون عجلات القيادة فى أجمل السيارات . فلماذا لا يحس أن الحكومات والاحزاب فى حاجة اليه ، مستعينة به ليضرب بعضها بعضا ، بين هذا الشباب الضحية المهيأة له كل أسباب الانحراف ، من



● ضاعت القدوة لحسنه .. وكانت صورتها من قبل زاهية

الذين كان من المفروض منهم أن يكونوا هم وقايته من هذا الفساد ·

وتسألني ما ذنب الحكومة الحالية ، فانصفك القول، بأنها تتجرع رواسب الماضي البعيد والقريب ، وانها قد تكون معذورة من ناحية ، ولكنها تحرم نفسها من الاستفادة بهذه المعاذير ، اذ تثني على من سبقها بصورة يعلم الخاص والعام انها بعيدة عن الصواب ·

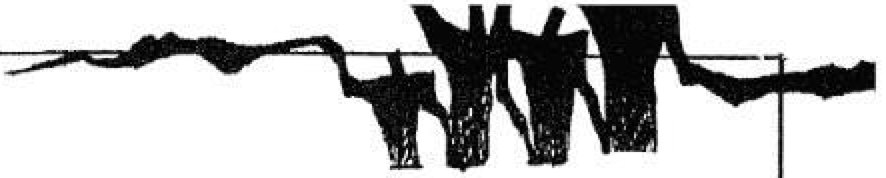
ولو أن الحكومة القائمة ، أهابت بالشباب انها تقدر كل الاسباب القاهرة التي أوصلته الى هذا المصير ، وانها تناديه صادقة حانية أن تعال ياشباب ، وضع يدك في يدي ، وهيا بنا نسير في طريق الخير جنبا الى جنب لا نحرجك ولا نضغطك ، ولا نتعال وتشمخ بأنفك فوق النصح والارشاد ، تعال نستهدف وجه الله قبل الوطن فان عنصري الامة يؤمنان بالاله عز وجل ·

على الحكومة أن تشعر هذا الشباب بأنها مهتمة بأمره حقا · وما دام المسلمون والمسيحيون يؤمنون بالله واليوم الآخر والبعث والحساب ، فلماذا لا ننمي فيهم هذا المعنى بجمعهم على دينهم بمختلف الوسائل التي نغني بها عما يباعد بينهم وبين دينهم · ان كل ما يظنه القائمون على الامر من أن القوانين ، مهما بلغت قسوتها رادعة عن الضلال فهو وهم ، انه الفرد والفرد أولا وأخيرا ، عماد كل اصلاح ، وأساس كل خير وفلاح · اما انشاء مؤسسات يطلق عليها من الاسماء،ما لا يتمشى مع حقيقة ما يجري منها ويستغله المستغلون منها ، فلا تزيد الامر الا سوءا على سوء · ان انشاء شركة كذا لتخفيف أزمة كذا ، وانشاء مؤسسة كذا للعناية بكذا ، فكلها صور يعلم الناس حقيقة ما يجري فيها مما لا أسمح لنفسي بذكره ، ويعرفه الجميع بلا استثناء ·



● ثمار الجد والصدق ●

لتنتبه الحكومة لصحة الشباب ، صحته الروحية

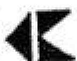


شبابنا مظلوم

والمادية . ان ما يذهب من ملايين القروض الى مصارف لست أقدر على تسميتها ، ليته انفق على العناية الحقة بالناحية الصحية البدنية المعدة للشباب ، تكفه عن العبث والمجون والمسكرات والمخدرات ، تقدم له العلاج الحق بالايدى الامينة ، لووجهته الى الرحلات البرية والبحرية والجوية ، بعيدا عن اختلاط الجنسين ، لو أعدت له المعسكرات الجادة التى تقيم من خلقه وبدنه ، لو جمعته على الدين ينهل من موارده ، وزينت الايمان فى قلبه بالممكنات الهائلة التى فى يدها ، لو الزمته الجد والصدق فى القول والعمل ، بالبعد عن الدعايات التى تنشرها فى صفوفه ، من انها تعد كذا وستقوم بكذا ، وتمضى الايام فلا يتحقق هذا ولا يصدق ذاك ، فيعتاد على أن الوعود هى بضاعة الحاضر ، وما عليه إن يستنيم الى هذه الوعود فى اقواله واعمالهفيلتقى الشعب وحكومته عند الاحاديث البراقة ، والوعود المشرقة ولا شيء غير ذلك ، لو انها فكرت فى هذه البديهيات الواضحة ، لجنت ثمار الجد والصدق والاصلاح فى أقرب الاوقات ، وبأسهل الوسائل .

ان على الحكومة أن تجد قولا وعملا فى صرفالشباب عن المكيفات من شاى وبن وطباق بصورة حازمة ، فتحفظ على الشباب ملايين تنفق بلا طائل ، كيف .. ؟ بتمكين العاملين فيحقل الدعوةالاسلامية من العمل آمنين مطمئنين ، بعيدين عما يشاع عنهم من افك ومفتريات لا وجود لها فى حقيقة الامر والواقع . ان الحكومة يجب الا تيأس من الاصلاح مهما ادلهم جو الفساد ، فاليأس ليس باحدى الراحتين كما يقول المفسدون ، ولكنه الصراع المرير الذى ينهك البدن ولا ينتهى الا بالفناء . ان الاصلاح ممكن ، ولا تنقصه الا الارادة الحازمة ، والعزم المكين ، الذى يستعين بالله مذللا كل الصعاب وما تعودنا أن يضيع الله أجر العاملين .

● هنالك مفتريات لاوجود لها فى عالم الحقيقةوالواقع



● ان الشباب فى حاجة إلى من يفهمه، لا إلى من يرغمه

علموا الشباب الصدق والوفاء بالعهد .. فى البيت فى الشارع ، فى المدرسة ، فى الجامعة ، فى المجتمعات وكونوا قدوة له فى هذا المجال . ان الشباب لا يتسرب اليه الكذب والخداع الا من جراء ما يراه متفشيا من هذه الامراض فى كل المستويات ، حتى كاد ليفقد الثقة بكلما حوله ، هذا اذا لم يفقد الثقة بنفسه . قد تعلو بسمة الاستخفاف الافواه استهانة بهذا الذى نقول وليس لى من رد الا أن اردد قول الشاعر .

وما ضر الورود وما حواها .. اذا المزكوم لم يطعم شذاها

● عن العدل والانصاف

على القائمين بالامر فينا أن يعلموا الشباب الشجاعة ، ومواجهة الحقائق ، فى غير ما تردد ولا خوف . واذا ما أمن الشباب على نفسه من الحبس والضرب والاتهام ، اذا ما واجه المسئولين بحقيقة مشاعره وما بيقينه ،لجنى المسئولون من وراء ذلك الخير كل الخير . ومن المثمر حقا للحكم أن يتعامل مع شباب واضح ، صادق جرىء ، لانه النوع الذى ينفع عند الشدائد والازمات ، ولخير للحكومة أن تحكم رجالا ولو خاشنوها ، من أن تحكم هملا ، يسمعون فينفذون راضين أو غير راضين مقتنعين أو غير مقتنعين ، لننزع من الاذهان ، تلك القالة السخيفة المؤذية (يا شعب كل حكومة) ولن يتحقق شىء من هذا الا اذا اتعب المسئولون أنفسهم ، بالاجتماع بالشباب ومدارسته ومناقشته ، واعطائه والاخذ منه . كان عمر بن الخطاب يقرب عبد الله بن عباس ، ويحضره مجالس الاشياخ دون غيره من الشباب . فسئل فقال : ذلكم فتى له لسان سؤول ، وقلب عقول . لا يضير الوزير أبدا أن يتجرأ عليه شاب ، فما كل الشباب فاقد اللياقة ، ولكنه يضيره كوزير ، ألا يستطلع دخائل ما عند الشاب ولو قدمه فى غير كياسة ، ولو ناقشه فى غير لياقة .



شبابنا مظلوم

ومن المسلم به بداهة ، ان الانسان فى حالة هياجه النفسى يقول أكثر واصرح مما يقوله فى حالة هدوء أعصابه ، وهذه فرصة تعطى المسئول الوقوف بسهولة على ما يعتمل فى دخيلة النفس ، دون حاجة الى مباحث أو مخابرات ،وتلك نعمة يجب ألا يضيعها المسئول لانها تعينه على الاحاطة بكل ما يتعسر الوقوف عليه فى حالة أخرى . ان الشباب فى حاجة الى من يفهمه لا الى من يرغمه ، فى حاجة الى من يشعره بشخصيته ووجوده وكينونته وفاعليته ، لا الى من يحرم عليه ان يجهر ويصرح ولو فى تجاوز لحدود الادب .

على الحكومة ان تكون القدوة الصالحة ، فى تعليم الشباب الوقار والحياء ، بما تقدمه له من اسوة عملية فى هذا المجال . الشاب فى المدرسة يقضى بعض أوقات فراغه فى مشاهدة الشاشة الصغيرة ، فيرى على سطحها مدرسه واسوته ، يقوم بدور هزلى فى قصة تافهة ، هو فيها محل الهزء والسخرية ، ترى أية فضيلة يتلقاها هذا التلميذ المسكين من هذا الاستاذ الذى وضع نفسه فى ذلك الوضع المزرى المهين بحجة الفن ، لقاء دراهم معدودة . لئن جاز هذا فى الاوساط الشرقية أو الغربية باسم الفن ، وما هو بالفن ، ان هو الا الفساد والافساد فهل يجوز مثل هذا فى أوساط مسلمة لها مثلها وآدابها وتعاليمها . ثم نحمل على الشباب اذا انحرف .. شىء من العدل والانصاف ، يا من تتحدثون عن العدل والانصاف .

● شرط التكليف: القدرة... وشرط القدرة: العلم.

● مدارج الارتقاء والحضارة ●

على الحكومة ، ولن يعجزها هذا ، أن توجد ميادين نشاط عملية انتاجية ، توجه اليها افكار الشباب . وتعمل فيها جهوده الحيوية . لجات الحكومة الحالية ، الى الاستفادة من نشاط افراد الجنسين ، بالعمل فى مجالات النشاط المدنية ، ولست فى حاجة الى شرح هذا

● شيء من العدل والإنصاف،
يامن تتحدثون عن العدل والإنصاف

فهو معروف ، وهذا تفكير لا بأس به الى حد محدود . فلماذا لا تضاعف تفكيرها ، وتهيئة مجالات النشاط الشبابى ، حتى ولو اقتضى الامر تجنيد هذا الشباب ، مع مراعاة انه في ظل هذا التجنيد ، وخلال هذا النشاط تبذل الجهود بكافة الوسائل لاقناع الشباب انه انما يؤدى واجبا دينيا وطنيا ، وللحوافز الشخصية ، والتشجيع والمكافأة ما يحبب الشباب فى عمل قد لا يكون راضيا عنه في بدء مزاولته اياه . وماذا يضير المسئولين ، وخاصة الاصحاء منهم ، مشاركة الشباب عمليا فى مجالات هذه النشاطات ، خاصة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد ضرب لنا المثل الكريم الجليل فى هذه الناحية يوم أن شارك المهاجرين والانصار في حفر الخندق ، زمن غزوة الاحزاب ، ولا أحسب انه يغيب عن ذكاء السادة الوزراء ، الاثر العميق الفعال ، الذى يغرسونه فى نفوس الشباب عندما يرون وزراءهم يشاركونهم فى مشاق العمل على مختلف مستوياته .

على الحكومة أن تزهد الشباب فى الوظائف الحكومية بما تهيئه لهم من ميادين الاعمال الاقتصادية الحرة ، البعيدة عن القيود الحكومية ، وهنا يجنى الشباب ابرك الثمرات ، على حسب ذكائه ونشاطه واجتهاده . لقد زرت سويسرا مرارا فعلمت أن الساعة الواحدة يقوم باعداد آلاتها المختلفة بيوت متعددة .. بيت لاعداد عقارب الساعة .. وبيت للميناء .. وبيت للتروس . وبيت للغطاء .. وهكذا ثم ترسل هذه الاجزاء الى مصانع التجميع والتشطيب النهائى ، التى تخرج لنا الساعات التى نتنافس فى اقتنائها . لماذا لا تقام فى كل قرية مؤسسات تنتج ما يتناسب مع ظروف وملابسات تلك القرية ؟وهل أنقذ ألمانيا الغربية من خرابها الكامل الشامل ، بعد الحرب الثانية ، الا مثل هذه الاعمال

● فى ميادين العمل الاقتصادى قد يجنى الشباب أبرك الثمرات

شبابنا مظلوم

البسيطة الرائعة الانتاج ، والتى رفعت المانيا الغربية الى مستواها المالى الوطيد ، الذى تتمتع به الآن · قد تحتج الحكومة بعدم الحيوية الالمانية عند شبابنا المصرى وهذا حق الى حد ما ، ولكن لماذا لا نحاول بعث هذه الحيوية فى عزائم شبابنا ، وكل من سار على الدرب وصل ·

● على طريق الهداية ●

على الحكومة أن تسلك طريقا عمليا عاجلا للقضاء على الامية المتفشية فى أرجاء بلادنا بشكل مخيف · ان شرط التكليف القدرة ، وشرط القدرة العلم ، كما يقول الاصوليون ! لماذا لا نعزم ونصمم ونقدم ؟ ! لا نتهيب ولا نستهين ، ولا نيأس · والرغبة أولى خطوات العمل ، والجد فى الجد والحرمان فى الكسل · ان الوعاظ والدعاة يجب أن تكون لهم المكانة الاولى فى المحافظات قبل المأمير والمحافظين ، فينتشرون فى القرى عن طريق المساجد ، المستقر الاول لكل خير فى الاسلام ، ولماذا لا يكافأ كل داعية وواعظ على قدر جده وانتاجه ؟! ولماذا لا نعلم شبابنا الادخار بتيسير وسائله ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ، ففيها الوفورات الكاملة لدخلنا القومى ؟! لماذا لا نعود شبابنا على العودة الى تقاليدنا الاسلامية القديمة ، التى تعود بنا الى التكافل والتعاطف والتآزر ، واحترام الشعائر الدينية بشكل عملى فعال ؟! لماذا لا تحارب الحكومة حربا لا هوادة فيها كل مواطن اللهو الرخيص والمجون الوضيع ؟! لماذا لا يترك كبار الموظفين مكاتبهم ، الى الشارع موجهين ومراقبين ومشرفين وعاملين فنرفع الحرج من نفوس الشباب ، الذى يأنف من مزاولة الكثير من الاعمال التى تقضى على كل الازمات التى نشتكى منها ، والتى تعوق سيرنا فى مدارج النهوض والارتقاء والمدنية والحضارة ·

● لماذا لا يكافأ كل داعية وواعظ على قدر جده وانتاجه ؟

أيها المسئولون ، انها نصيحة من مواطن لم يؤت حظا

وافرا من العلم والمعـــرفة ، يمكنه من اخــــراج آمــال وتطلعاته في صورة بحوث علمية ونظريات فلسفية ، مما يهواه النظريون المتفلسفون ·· انها نصيحة مسلم مواطن مخلص ، لا يبتغي بما يقول الا وجه الله وحده · خذوها منى نصيحة مخلصة صـــادقة · لن ينجح كل ما ذكرته فيما سبق ، الا اذا صح اسلامنا صحة حقيقية ولن يصح اسلامنا حقا ، الا اذا رجعنا الى كتــاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيهما الخير ، وفيهما النجاة من كل ما نعانيه ، ونظن ألا علاج له · ثقوا بتعاليم دينكم ، واقبلوا على تنفيـذها مصـــممين مخلصين مؤمنين بأنها الحق كل الحق ، والسلامة كل السلامة ، والوصول الى ما نحب ونبتغي · ان الازهر الشريف يجب أن يخرج من ســـكوته الذى هو عليه ، ويجب على رجاله أن يثبتوا وجودهم اثباتا عمليا ، ففي تكاتف الحكومة بسلطانها ، مع الدعاة باخلاصهم ، الخير كل الخير وتحقيق الآمال · خففوا ضغطكم على هذا الشباب المظلوم الذى أضـــاعته تراكمات الماضي ، ورواسـب القسوة في معاملته · صححوا له أخطـاءه في رفـق ، واعفوا عن سيئاته في يقظة وحذر ، وقوموه ولا تعاقبوه وقربوه ولا تبعدوه ، وصادقوه ولا تعادوه · واستعينوا به ولا تهملوه ، وضعوه على أول مدارج الخط السليم ، ولأن يهدى الله بكم شابا واحدا ، خير لكم من الدنيــا وما فيها · اننا وان تباعد بيننا الزمن ، فأبونا واحد · انه آدم ، وأمنا واحدة ·· انها حواء ·· فصلة النسب بيننا واحدة ، وقرابة الدم واحدة ، ورباط الوطنيـــة بيننا واحد ، وكلها مجمعات لا مفرقات ، ومحببـــات لا منفرات · هل أصبت ·· ؟!

أسأل الله أن أكون على صواب ، ولا صواب الا منه · وان أخطأت فمن غير عمد ، ونية المرء خير من عمله · اللهم اهدنا جميعا سواء السبيل ·

من تراث

الهلال

قدم "الهلال" على امتداد تسعين عامًا زادًا عظيمًا من روائع الفكر والأدب والفن .. وفى باب "من تراث الهلال" نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث..


المرحوم مكرم عبيد باشا

المصريون عرب

بقلم: مكرم عبيد باشا

نشر هذا المقال فى الهلال - ابريل ١٩٣٩

في ابريل سنة ١٩٣٩ اصدر « الهلال » عددا خاصـا عن « العـرب والاسلام » استكتب فيه عن هذا الموضـوع عددا من اعلام الزعماء والمفكرين والادباء، من بينهم المرحوم مكرم عبيد باشا السكرتير العام للوفد المصري في ذلك الحين الذي كتب هـذه المقالة الرائعة عن مصر العربية المرتبطة بالشعوب العربية ارتباطا لاينفصم، كفاحا من اجل الاستقلال والحرية والكرامة .

● يسرني جدا أن أساهم في عدد العرب والاسـلام ، من الهلال الاغر ، وأن اجيبكم الى ما اقترحتموه علي في موضوع ((المصريون عرب)) .

والواقع انكم بهذا الاقتراح تعيدون الى نفسي ذكرى عزيزة مرت حادثتها قبل بضعة أعوام ، فقد سافرت في رحلة صيفية الى سوريا وتفضل اخواني السوريون في الشام ولبنان وفلسـطين فشملوني بترحيبهم وتكريمهم ، فوقفت يومئذ وتحدثت عن الوحدة العربية، وقلت ((المصريون عرب)) وأبديت رأيي في هذه النظـرية التي يؤيدها التاريخ ، فنحن معشر المصريين جئنا من آسيا ، ونحن أدنى الى العرب منذ القدم من حيث اللون واللغة والخصائص الساميه والقومية .

وأنا على ثقة من أن الروح هي التي يتفرع عنها الايمان بالحرية والتخلص من الضعف ، والى الروح يرجع الخلق وترجع التقاليد والشئون الاجتماعية ، وقد وحدتنا الحرية وقربت بيننـا روح الجهاد لانقاذ الوطن من العبودية . وما كنا يوما ضعافا ، ولكن كيف السبيل الى مجاهدة مستعمر مسلح ! السبيل هو الايمان بحب الوطن ، وحب الحرية ، فان الحياة بدون الحرية سجن وموت .

اذن نحن في جهادنا لانقاذ أوطاننا ، والحصـول على حرياتنا اخوان ، والنكبة توثق الالفة بين الضـحايا ، فكيف بالامم التي تجمعها رابطة اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية الاساسية . ان تاريخ العربية سلسلة متصلة الحلقات ، لا بل هو شبكة محكمة العقد ، واذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية في هذه الاقطار أوثق منها في أي قطر من أقطار الارض . وان التسـامح الديني

نشأ وترعرع وما زال موجودا بين أصحاب الاديان كلها فى الجارات الشقيقة ، أيقنت أن المقصود بقولى : « المصريون عرب » هو هذه الوشائج وتلك الصلات التى لا تفصمها الحدود الجغرافية ، ولم تنل منها الاطماع السياسة منالا ، على الرغم من وسائلها التى تتذرع بها الى قطع العلاقات بين الاقطار العربية والعمل على قتل الروح العربية بين ابنائها ، والسعى للتفرقة ، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لا ريب فى انها اعظم الاركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى ، فالشرق العربى فى حاجة الى الوحدة والتضامن أمام التيار الاوربى الجارف ، وابناء العروبة فى حاجة الى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت ان تبنى حضارة زاهرة ، وأن تخضع البلاد الاجنبية لها حقبة طويلة من الزمان .

نحن عرب ، ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما اننا عرب قد وحدت بيننا الآلام والآمال ، ووثقت روابطنا الكوارث والاشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان ، فاحدثت منا أمما متشابهة متماثلة فى كل ناحية من نواحى الحياة .

نحن عرب فى هذا الجهاد القائم فى كل قطر من اقطار العروبة لاستكمال الحرية ، واحياء مجد الحضارة العربية ، وترقية شئوننا العامة ، وقيادة الشباب الى المثل العليا ، وتربية شعوبنا تربية صالحة تنزع عنها خمول الاعوام الماضية ، وتدفعها الى التماس الخير لها ، وتوقظها من سباتها ، وتشعرها بكرامتها ، وتنير أمامها السبيل فترى الحياة العصرية على حقيقتها ، ، وتعرف ما ينفعها وما يضرها، وتأخذ منها ما يساعدها فى بناء حياة جديدة مؤسسة على مجد الماضى وما يمتاز به من قوة روحية وايمان سماوى ، ومرفوعة الاركان بخير ما انتجه العصر الحاضر من رقى علمى وانتاج صناعى .

نعم « نحن عرب » من هذه الناحية ، ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر ، وامتداد أصلنا القديم الى الاصل السامى الذى هاجر الى بلادنا من الجزيرة العربية .

ولهذا يجب ان نعمل متضامنين ، ونسعى الى المجد متعـاونين ، ونوثق الوحدة العربية التي تنهض على الاشتراك في الاماني والآلام وفي التاريخ واللغة والخصائص القومية ٠

فالوحدة العربية حقيقة قائمة ، هي موجودة ، لكنها في حاجة الى تنظيم ، والغرض من التنظيم ايجاد جبهة تناهض الاســتعمار ، وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمي الموارد الاقتصـادية ، وتشجع الانتاج المحلي ، وتزيد في تبادل المنافع ، وتنسيق المعاملات وكما ان أوروبا خلقت شيئا معنويا ترتبط به ، وتلتف حوله أغراض سكانها على اختلاف أممهم ،فكذلك نحن سيؤول مصيرنا الى الالتفاف حول مثل اعلى يوفق بيننا ، ويمزجنـا بعضنا ببعض ، فنصـير كتلة واحدة ، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة ، أو وطنا كبيرا يتفرع منه عدة أوطان ، لكل منها شخصيتها ، لكنها في خصائصها القومية العامة متحدة ، متصلة اتصالا قويا بالوطن الاكبر ٠ وهذه نظرية الوطنيات المتجانسة ، يعيش الرجل لنفســه ، ثم لاسرته واقليمه ، في الوقت نفسه يعيش لوطنه وللاوطان التي تربطهـا بوطنه روابط لا انفكاك لها ٠

فلماذا لا يكون ممكنا تنظيم الوحدة العربية على هذه القـاعدة ، والادوات اللازمة للتنظيم موجودة ؟أظن أن الزمن والجهود المشتركة ونضج الوطنيات المختلفة في الاقطار الناطقة بالضاد ـ هـذه كلها ستكفل التنظيم المنشود ، وأنا ارى أن هـــذا التنظيم قد بدأ في السنوات الاخيرة ، فان العمل لتوحيد الثقافة وتبادل المتاجر والمنافع وعقد المؤتمرات ، وتبادل الآراء ـ كل ذلك يؤدي الى توحيد الجهود والتضامن العربي العام ، القوي الاركان المتين البناء ، ويؤدي كذلك الى الاستفادة من الجهاد المشترك الذي يقوم به العرب في كل قطر من الاقطار العربية في سبيل الحرية ، وتوطيد دعائم الاستقلال ٠

المستشرق العاشق

د. محمد رجب البيومي



د . عبد الكريم جرمانوس

يشعر قارئه المغفور له الدكتور عبد الكريم جرمانوس انه مع كاتب شرقي لا مع مستشرق مجرى ، لان الرجل الكبير منذ سعد بالاسلام اخذ يحس باحساس الشرقي المسلم ، فهو يتناول بروح الحب الخالص ما يتصل بالامة الاسلامية شرقا وغربا في جميع بحوثه ، حتى لتجده يلتمس شتى التبريرات كيلا يؤاخذ من يستحق النقد الصارم من مفكري الشرق وابنائه وشعرائه ، وكنت أحس في أعماقي ان نزعة الفن في روح جرمانوس أقوى من نزعة العلم في عقله ، وذلك حين اجد بين سطوره رفرفة مجنحة ، وتصويرا موحيا ، لا يكونان لغير شاعر موهوب ! ويزداد هذا الاحساس عمقا لدى حين اطالع ما كتبه في مؤلفه الخالد (الله اكبر) حيث سجل قصة اسلامه بالهند ، وطلبه العلم بالازهر ، وطوافه بالبيت في مكة باسلوب لا ينقصه غير الوزن والقافية حتى يكون شعرا خالصا .

وكنت اشعر ان جرمانوس عاشق عذري وانا اطالع ذكرياته تلك ، اذ تحدث عن شعور وجدانية شديدة الوهج تتصل بسواه ، ولكن من يتعمق ايحاءها الخاطف يشعر ان المتحدث عاشق هو الاخر ، لان الذي يبدع حديث الصبابة هذا الابداع ، انما ينفس عن ذات نفسه حين يتحدث عن سواه ، بل انه ما كان ليطيل هذا الحديث الا ليخفف اوارا يلتهب بين جوانحه ، ويتطلب الينبوع الملح ولو بغير طريقه المباشر ، وما ذلك بحاج يتحدث عن عرفات والصفا والمروة ومنى والكعبة ثم ينتقل طائرا ليسجل مشاهد وجدانية عرفها عند من انسوا صحبته واكرموا وفادته من مراة الكبين ، وما كان تسجيله « فوتغرافيا » يحمل المشهد الظاهري وحده ، ولكنه كان تسجيل من يتغلغل الى ادق الخوالج مطلا ، راصدا مكان اللوعة من الجرح الفاغر ، والقلب اللتاع .

● السر لدى القصصي الكبير ●

وقد اعتاد الدكتور جرمانوس ان يبرق الى حين يحضر الى القاهرة منذ تشرفت بصداقته ، والرجل محدث بارع يجيد التنقل

● سقطت الثمرة من غصنها العلوى دون أن تمتد إليها يد..!

● وكان قبل الفجر يترشف صوت المؤذن فى سكون الليل..

منْ موضوع الى موضوع كما ينتقل الطائر من غصن الى غصن ، ومثله فى ثقافته المتشعبة ، ووجدانه الحساس وعمره المديد ، ورحلاته الكثيرة يجد من مشهيات الحديث ما يمتع جليسه مهما امتد الزمان ...



محمود تيمور

لذلك كنت اوثر الاستماع اليه بحيث لا اتكلم الا حين تحتم الاجابة ، ولخير لى ان اقتنص المفيد من الحديث من ان اقف عائقا دون الاسترسال ... وكنت اتمنى ان يتطرق صاحبى الى ذات نفسه ، فيتحدث عما ظللته من صبوته اللاهفة حتى جاءت المناسبة دون تمهيد !... وكان الله قد عرف تلهفى الزائد على اجتلاء شغاف الرجل ، وما يستكن فى لفائفها من اسرار ، فأتاح لى ان ابلغ مناى سهلا ذلولا ، دون ان اطلب ما عساه يحرج صاحبى من استفسار ، وكأن الثمرة قد سقطت تلقائيا من غصنها العلوى دون ان تمتد اليها يد ، سقطت بفعل الجاذبية وحدها ، كما بدأنى الرجل بحديثه دون سؤال !

لا انسى مجلسى معه فى فندق (سميراميس) قبيل الغروب ، فى الردهة الواسعة بالدور الاول ، وكان الرجل الكبير يفيض فى حديث رائع عن مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد دعى اليه ، اذ أنه عضو مراسل عن العراق ، كان الرجل يفيض فى حديثه حين دخلت فتاة عربية تضع الخمار على وجهها بحيث لم يبد غير عينيها الواسعتين ، وكان ثوبها الحريرى الاسود يظهر قوامها الرشيق فى أجمل مظهر ، وقد عبرت امامنا ففاح عطرها ساطعا جانبيا ، حتى لكأن الردهة قد تحولت الى روضة ورد ، واخذت طريقها الى السلم فى ايقاع مطرب رنح عطفى صاحبى ... فوجدته ينهض واقفا ، ثم ينظر مشدوها ، ويجلس فما يكاد يستقر حتى يرمى ببصره الى السلم ، ويقول : شبيهتها والله !... شبيهتها والله !! لكأنها هى بعينها !

ونظر الى وقد اكتسى وجهه بحمرة ساطعة كانت تعيد اليه شبابه وهو ـ حينئذ فوق الثمانين ـ ثم جعل يدور بعينيه ويقول: ليست اياها ... ولكنها شبيهتها فحسب !

كانت هذه الحركات المضطربة ، والنظرات الحائرة موضع العجب منى ، وقد آنست من اللافته ما شجعنى على ان اسأله فى حياء :

- اتقول شبيهتها ؟ فمن هي ؟
فعاجلني جرمانوس يقول :
- حبيبتى القاهرية ! لقد كدت اموت غراما بها ! رايتها عند استاذى الشيخ ، وتكررت رؤيتى لها ، واظنها بادلتنى الحب ! ثم حرمت منها ! ... لقد كتب الاستاذ محمود تيمور قصة غرامى بها ... ابحث عنها ، وستجدها فى احدى مجموعاته القصصية ... ستعرف كل شيء !

ولم اجد من اللياقة ان الح على صاحبى فاطلب المزيد ، بعد ان احال على تيمور ، فتشعب الحديث الى موضوع آخر وقد صممت ان اعرف السر لدى القصصى الكبير ...

● استقصاء وفحص ●

اخذت اجمع مؤلفات تيمور ، واقرؤها منقبا لاجد قصة جرمانوس ، فلم اوفق الى ما اريد ، ثم راسلت صديقى العزيز الاستاذ نقولا يوسف رحمه الله ، وهو صديق تيمور وجرمانوس معا ، فلم اظفر لديه بما يغنى ، حتى كدت ايأس ، ولكنى اطلعت مصادفة على مجلة (قافلة الزيت عدد ذى القعدة ١٣٨٩ هـ) ، فرايت لمحمود تيمور مقالا رائعا بديعا تحت عنوان (الدكتور عبد الكريم جرمانوس عاشق الشرق والعروبة والاسلام) وقد اجاد القصاص الكبير وصف صاحبه ، وكان مما قاله عنه :

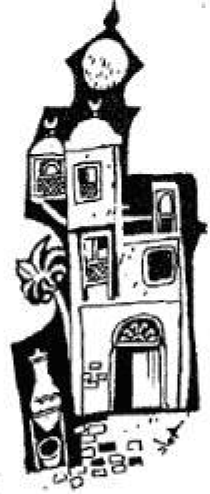
« جرمانوس شخصية فذة بالغة الطرافة ، فى اهابها تتلاقى الوان مختلفة ، فتصوغ منها مزاجا لا يتوافر الا للاقلين ، انه نموذج الرجل (الجنتلمان) فهو محبب الى الاندية الرفيعة ، والمجالس الانيسة ، بما يحف به من ظرف ولطف ولباقة ، وهو حليف درس وبحث واكباب على المطالعة ، وقدرة فائقة على اكتساب اللغات ، وامتصاص ما تهفو اليه نفسه فيها من معارف ، وهو قبل ذلك وبعده ، رجل جوابة مطواف ، فى اعماقه هوى الرحلة والطماح والمغامرة ، لا يقنع فى ترحاله بالسفرة الخاطفة ، والمرور العابر كما يصنع السواح ، ولكنه يقيم اقامة رواد الكشف والتنقيب ، وطلاب التعرف والاستقصاء ، فهو ابن بطوطة أو سندباد العصر ، ومن ثم أصبح معلمة جغرافية اجتماعية للجوانب البارزة ، فى الدنيا عامة ، وفى الشرق خاصة .

« بدا حياته محبا للموسيقى وعازفا للكمان ، وهواه للموسيقى ارهف من حسه ، وازكى من خياله ، فصاحب ذلك كفاحه الدراسى فجمع بين العلم والادب ، بين الطاعة لنداء العقل ، والانجذاب الى هتاف الروح ، بين الارتباط بالواقعية الكادحة ، والتطلع الى الرومانسية الحوامة » .

وهذا رائع من تيمور ... ولكن الاروع منه لدى ان يذكر فى هذا المقال انه استوحى من جرمانوس موضوع قصة سماها

« المستعين بالله » قصة جوال سائح يأتي الى القاهرة فيسكن حي الحسين ، ويلتحف بعباءته البيضاء حين يطوف بالحى فى ملابسه العربية الفضفاضة ، حريصا على أن يصلي الفجر بالمسجد وأن يترشف صوت المؤذن فى سكون الليل !٠

وإذن فقد عرف عنوان القصة وهو « المستعين بالله » ، وعلينا ان نبحث ٠٠٠



● خلف اللثام ●

اعدت البحث ثانية فى المجموعات القصصية للكاتب الكبير ، وقد وجدت طلبتي في المجموعة التى سماها « خلف اللثام » اذ جاءت القصة الثالثة تحت عنوان (المستعين بالله ، الكابتن هاردى ٠٠) ٠

ولكيلا ينم القصاص عن صاحبه نميمة تامة ، فقد جعل بطل القصة ضابطا بالجيش الانجليزى ، فهو اذن ليس مستشرقا مجريا !٠٠٠ ولكنه فيما عدا ذلك فحسب هو الدكتور جرمانوس بعظمه ولحمه ودمه وقلبه وحبه ! كان جرمانوس يسكن بحي الحسين ، وكان يطلب العلم بالازهر ، ويصاحب شيخا كبير السن منعلمائه ، يقرأ عليه قواعد اللغةالعربية وكتب التاريخوالتشريع والادب ، وله معه مجلس يومي في دار الشيخ الازهرى وهى دار عتيقة ذات طابع تقليدى يشد الخادم الحبل من الطابق الثانى فينفتح الباب ، ويدخل الضيف صاعدا على السلم ، حيث يسلم على شيخ فى السبعين من عمره هو استاذ اللغة العربية ، ومن عجائب القدر انه فى شيخوخته الواهنة تزوج فتاة حسناء دون العشرين ، هام بها الطالب المجرى هياما صامتا ، وقد شغل نفسه برسمها فى لوحة رفعها الى مكان عزيز فى غرفته التى يقول عنها تيمور :

« جعلت أنقل بصرى في الحجرة أتفحص ما حوت ، فوقعت عينى على صورة لم اكن قد لاحظت وجودها ، صورة وجه نسوى ٠ ليس بالوجه المكتمل ، وانما هو عينان دعجاوان ينبسط تحتهما خمار أسود رقيق النسج ، يكاد يشف عن ملامح وسمات، فنهضت الى الرسم أتوسمه مليا ، وقد خلبتنى هاتان العينان بحورهما الساحر واهدابهما الوطاف » ٠

هذه هى الصورة ، ولابد للفنان المصرى من رؤية الاصل ، وقد لاحق صاحبه استفسارا وملاطفة واحتيالا حتى صحبه الى منزل الاستاذ ذات مساء ـ فماذا وجد ؟

لقد سطر تيمور بعض ذكرياته هناك حين قال : كنا ندلف الى حجرة الشيخ الغبراء المعتمة ، فنجده غريقا بين كتبه ، تشرف عليها عمامته الحمراء الضخمة ، رمزه العتيد الذى لا يتزايل عنه مهما جد من احداث ، ومهما تعاقب من اجواء ، ولا نكاد نطمئن فى مجلسنا اليه حتى يصفق بيدين هزيلتين صائحـا

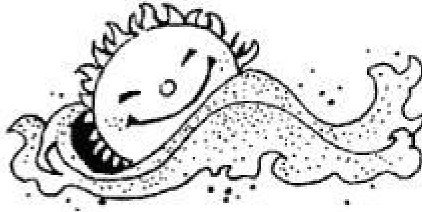
بصوته المختنق : القهوة يا نور !...
وتوالت الزيارات !... تيمور للاستطلاع ، وجرمانوس للتعلم ظاهرا وللاحتراق باطنا ، وقد اثر ان يشرح له استاذه الشيخ شعر العباس بن الاحنف فاستجاب الرجل ...
يقول تيمور :

« وانطلق الشيخ ينشد شارحا ، مستشهدا بمقطعات رقيقة من شعر صاحب فوز ، فكنا نسمع مأخوذين بطلاوة حديثه ، ودقة بحثه ، وبينما نحن في نشوة السماع ، اذ احسست حفيف ثوب ، فأرسلت نظرة خفيفة نحو مصدر الحفيف فطالعتني على الفور عينان دعجاوان تحتهما لثام اسود هفهاف ، فشعرت بهزة تتخللني ، والفيتني اختلس النظر الى الكابتن (يريد التلميذ جرمانوس) فوجدته مطاطىء الراس ، يعبث باطراف عباءته ، وقصدت « نور العين » مجلسهما عن كثب ، ووضعت الصينية بأبريقها واقداحها ، ومجمرتها يتطاير منها عبق البخور ، ثم شرعت تصب القهوة ، وتوزعها علينا قدحا بعد قدح ، والشيخ ماض في حديث العباس بن الاحنف ، ينشد من غزله وهو يتابع انفاسه في جهد ، وكنت في الفينة بعد الفينة أرسل النظر الى هاتين العينين الدعجاوين اللتين يخفق دونهما الخمار الهفهاف فيخيل الى انهما عينان معلقتان في الفضاء لا يتصل بهما وجه ولا جسد ، نبعان عميقان ، يزخران بالاسرار الغامضة ويفيضان بالاحلام العذاب ، ولم اكن اغفل عن مسارقة النظر الى صديقي الكابتن ، فما رايته الا متجمعا مسترخيا في جلسته ، يعتمد ذقنه بيديه في اطراق ، وكانه في غيبوبة روحية يهيم في افاق مترامية » .

هذه اذن ليلى جرمانوس !... لقد كان حبه عذريا ، حيث اكتفى برسمها دون ان يبوح بشيء !... وقد ذكر تيمور في خاتمة قصته ان صديقه قد مرض فجاة ونقل الى المستشفى في حالة مزعجة ، وراى الصديق من واجبه ان يسهر على عناية المريض ليالي ذات عدد ، حتى اذا كاد يتماثل الى الشفاء ، شاهد تيمور شيئا تحت وسادته فمد يده اليه ، فوجده صورة « نور العين » اذ امر المريض على ان تكون بجانبه على سرير المرض ، وحين راى الصورة اخذها من يد تيمور ووضعها على قلبه مستروحا متثلبا !

تلك هي قصة جرمانوس العاشق !... قراتها في مجموعة « خلف اللثام » فعرفت لماذا اضطرب قلب الشيخ الكبير في ردهة الفندق ... لقد دخلت شبيهة نور بعد ثلث قرن او ما يزيد !.. فانفتح قمقم سليمان فجاة ، وخرج مارد جبار من محبسه هو مارد الحب العنيف !...

ابتسامات



● اكثر القوانين ●

قال محام شاب لاحد المحامين المسنين وهو يحاوره : « انك ياسيدي - لكبر سنك - نسيت أكثر القوانين » .
فقال المحامي الشيخ : « هذا صحيح يابني .. لقد نسيت من القوانين اكثر مما حفظت انت منها ! » .

● اهداء ! ●

صدر مؤلف معروف كتابه بهذا الاهداء : « الى زوجتي التي لولا غيابها واقامتها في بيت ابيها ما استطعت ان اكتب هذا الكتاب ! » .

● مؤمن على حياته ! ●

قال طفل في الخامسة من عمره لامه وهو جالس معها على شاطيء البحر : « ارجو منك أن تسمحي لي بالنزول في البحر » . فقالت له الام : « لا ياعزيزي .. أن البحر في هذه المنطقة عميق ، ومن الخطر ان تنزل في الماء » . فقال الطفل محتجا : « ولكن ابي يسبح هنا يا اماه » . فقالت الام : « هذا صحيح .. ولكنه كبير السن قوى الجسم ، وهو الى ذلك مؤمن على حياته ! .. »

● ماذا تاكلون ●

● مر طفيلي بقوم ياكلون . فقال : « ماذا تاكلون ؟ » . فقالوا واجمين : « سما » . فمد يده الى الطعام وقال : « الحياة بعدكم حرام ! »
ومر اعرابي بقوم ياكلون فسلم وجلس ياكل ، فقالوا له : « هل تعرف احدا منا ؟ » . فاشار الى الطعام وقال : « نعم .. اعرف هذا ! »

● الجسم والنفس ●

● في غرفة حمام احد الفنادق القديمة بلندن لافتة كتب عليها : عشر دقائق من الدعك لتنظف الجسم ، وعشر دقائق من الغناء تنظف النفس ! » .

حقائق في حياة

كامل الكيلاني

أنور الجندي





احمد زكي ابو شادي



شكسبير



احمد شوقي



● ان مفتاح شخصية كامل كيلاني هو التحدي الذي واجه الامة عندما اشتعلت في العشرينات موجة العامية في الصحافة والكتابة . وارتفع صوت الهجوم على الفصحى ، واتسع نطاق التكلم باللغات الاجنبية في البيوت العربية وقد استطارت في العشرينات ظاهرة التكلم بالفرنسية في الاسر الكبرى ، وهنا اهتزت نفس الرجل وترك مجاله في الادب والشعر الى كتابة قصة الطفل لحماية اللغة العربية واذاعتها .. واخذ يطبع قصصه طباعة حديثة انيقة على ورق فاخر وبالالوان وكان يحملها الى بعض البيوت يقدمها لرجالها باسم ابنائها ..

وقد سعدت عشرات من بيوت السراة بهذه القصص الفصحى في جو لم يكن يتحدث فيه احد الا بالفرنسية التي كانت شائعة ، او بالعامية التي كانت ذائعة ولم تخرج اليوم من شباب لم يعرف الفصحى الا من قصص الكيلاني ..

كان هدف الكيلاني تقريب الفصحى الى الشباب والاطفال ، وهو العمل الايجابي الذي رآه نافعا في مواجهة خصوم العربية مؤمنا بانها خير وسيلة لتحطيم خطة مهاجمة الفصحى .

وفي مقدمة قصة : « حي بن يقظان » :

« انني لم انشىء هذه المكتبة العربية الحافلة الا رغبة في تحبيب هذه اللغة الكريمة الى نفسك . واني لم آلف اكثر جهودي وانفس وقتي في سبيل انشاء هذه القصص الا لاحميك من البيان المشوه المضطرب ، حتى اذا كبرت سنك صارت اللغة العربية سليقة لك وطبعا واصبح البيان العربي عادة فيك وملكة » .

ويقول : كنت ارى قصص الاطفال الاجنبية آية من آيات الروعة والجمال ، فاقول لماذا لا يكون لادبنا مثل هذه القصص وهذه الاناقة .. ان طالب الاصلاح يجب أن يمهد الطريق ، واول ما يعنى به المختص مكانة الاساس فالطفل هو اساس الامة وموضع امل الجميع فالعناية به عناية بالامة باسرها ، وان الشعوب العربية مختلفة اللهجات ولكن تجمعها وتوحد بينها لغة فصحى واحدة هي اللغة العربية. فلابد من الكتابة بالفصحى ، لم عمدت الى مفردات الادب العربي الحديث الجديرة بالبقاء فجمعتها من بطون الكتب النفيسة ثم قدمتها بالتدريج الى قصص مرافقة للولد العربي منذ طفولته الى شبابه ، وفي اعتمادي هذه المفردات اتخذت اصح الالفاظ بعد مراجعتها في المصادر والقرآن وهكذا يجرع الطفل المفردات صحيحة من اول مرة ويعيش معها صحيحة ولا تظن ان المفردات لها من حيث صعوبتها او سهولتها عند الطفل اعتبار ما ..

● كان التحدي الثاني في حياته الادبية : حضور بعض المسلمين من المغرب والجزائر وتونس وافريقيا والهند والملايو يتحدثون عن سيطرة اللغة الفرنسية على بلادهم ومدارسهم وحاجتهم الى التعرف على

حقائق في حياة

كامل الكيلاني

الادب العربي بما ينقل شبابهم من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية . هناك شعر عن ساعد الجد بعد ان ارتفع السن فكتب القصص المختلطة . الجامعة في صفحتين مواجهتين بين اللغة العربية واللغة الفرنسية مرة ، وبين اللغة العربية واللغة الانجليزية مرة ، وقال هذا عمل يبتغي به وجه الله في المناطق التي غلبت عليها رياح الاستعمار ولغاته . وبذلك انقذ الكثيرين الذين جاءوا بعد ذلك الى القاهرة ساعين لازجاء التحية لهذا الرجل الذي انقذهم .

بل انه ترجم بعض قصصه الى الاسبانية لتخدم اهل المغرب في منطقة الريف كما ترجمت بعض قصصه الى اللغة الصينية ..

● شهادة كبار النقاد ●

● واذا كانت حياة كامل الكيلاني مجموعة من التحديات فان التحدي الاول الذي واجهه عندما دخل الجامعة المصرية القديمة ووجد ذلك الاستاذ الاجنبي الذي كان يتحدى الشباب المصري بالحديث عن نوادر البيان الفرنسي والانجليزي قائلا :

هل يوجد مثل هذا المعنى في اللغة العربية ؟

وهو انما يتحدث الى شباب غض لم يقرأ من تراثه شيئا ذا بال ، هنالك كان كامل كيلاني يذهب ليفني بصره تحت مصباح ضئيل طوال الليل باحثا في شعر المتنبي والمعري وابن الرومي وغيره عن مثيل لهذه الشطائر التي قدمها ذلك الاستاذ الاجنبي ويجيئه في الصباح ليقدم له ما هو في العربية اروع في الاداء للمعنى الذي عرض له فكان الرجل يدهش لهذه الارادة المصممة التي لا تريد ان تنهزم ..

● الذوق والفكر والبيان ●

● صنع كامل كيلاني منهجا كاملا لقصة الطفل منذ وعيه الى الشباب وكتب في ذلك الف قصة . طبع منها ربعها قبل وفاته .. ولكن كيف تدرج مع الطفل الى سن الشباب ؟ ..

لقد جعل من ابنه مصطفى . المختبر . لهذا فقد بدا معه صغيرا ونمى دراساته وكتاباته في ظل نمو العقل والوجدان حتى استوت مكتبة كاملة للاطفال منذ مطالع حياتهم الى سن الخامسة عشرة .

وقد بدا الكيلاني بالسندباد البحري من قصص الف ليلة ثم التفت كثيرا الى ادب الاسطورة الغربي وقصص الهند وشكسبير ، وجلفر ، وروبنسن كروزو ، واساطير اثينا واولى عناية واضحة لحي بن يقظان ، وابن جبير الرحالة ، وكتب عشر قصص من الف ليلة . وعشر قصص من قصص جحا . واكثر من عشرين قصة باسم « قالت شهرزاد » ، وصدرت له بعد وفاته مجموعة رائعة من قصص الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبذلك يمكن القول ان الكيلاني اجرى عملا فنيا واسعا متنوعا في كل فنون القصة باعتبارها ابرز الوان ادب الطفل واقدرها على منحه الذوق والفكر والبيان .

حدد كامل كيلاني موقفه عام ١٩٢٩ وتجرد لغايته الكبرى التي عاش لها بعد ذلك ثلاثين عاما يعمل ليلا ونهارا مريضا وسليما ، حتى في نومه كان يعمل ، فقد كان يعتقد ان كثيرا من القضايا الفكرية التي تعجزه يقظة تحل في احلامه ، ولقد عمل في السنوات الثلاثين ما يعجز عنه عشرات الكتاب والمفكرين ، فانشأ وترجم وبعث هذا العدد الضخم . فلم يترك قصة مشهورة او اسطورة معروفة او شخصية خرافية دون ان يبتمثها ، ويقدمها على ورق مصقول وبصور ملونة وحروف مكبرة وباللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية .

قال لي ذات مرة : ما ضاع من عمري شيء ابدا ، كنت اعمل حتى في يوم المرض افكر واتامل وارسم خطط العمل .

وقد امتحنه الله تبارك وتعالى قبل وفاته بعامين ففقد بصره ، غير انه استرده بعد اجراء عملية له ، وفي خلال ذلك لم يعلم احد من اهله بهذا الامر ، واحتسب ، وعاد اليه بصره فعاد يعمل بهمة فائقة . وقال لقد اعطاني الله عمرا جديدا ، فلماذا لا اعمل .

وقال لي رحمه الله قبل موته بايام وقد احس بدنو الاجل ، انه حزين لانه قد اعد خطوط خمسين قصة يريد ان يكتبها قبل ان يموت .

● حكمة اتمثل بها ●

● حفظ كامل كيلاني عشرين الف بيت من الشعر العربي كان يستشهد بها في كل موضع ومقام عفو البديهة والخاطر كانما قد حفظها مقسمة على ابواب الحديث ، فما من مناسبة الا وتجده « جاهزا » ليقول فيها شيئا من كلام العرب ، ولكن شعر ابي العلاء ونثره كان اكثر ورودا على لسانه واحب اليه . وذلك لمكانته الكبرى في نفسه وتشابهه معه في الراي ، ولكنه كان يروي لابن الرومي وابن زيدون ..

لقد احب شخصين في الادب العربي هما المعري وجحا فهو يقول انهما يجمعان في نفسه اهواءه وآراءه واصداء نفسه . فهو شخصيا جماع بين المعري العابس المتجهم وجحا الباسم الساخر .. ويقول : ان ابا العلاء يعبر عن كل افكاري ، وارى نفسي شبيها به : « انسي الولادة ، وحشي الغريزة » .

سألته عن الحكمة التي يتمثل بها فقال : قول ابي العلاء :



جحا

فلتفعل النفس الجميل لانه
خير واحسن لا لاجل ثوابها

قلت له وما هي فلسفة جحا في كلمة قال : عامل الناس بما اختاروا ان يعاملوك به !

قلت ما مثال ذلك ؟.. قال : ان اصحاب جحا قالوا وقد وجدوا عنده خروفا سمينا ، ان القيامة ستقوم غدا ولذلك فان الخروف لا بقاء له وذبحوه ، واوقدوا النار لشيه.. فجاء جحا والقى ملابسهم في النار فلما سالوه دهشين لماذا فعل هذا ؟

قال : الم تقولوا ان القيامة ستقوم غدا ... اذن فلا حاجة الى هذه الملابس !

قلت ما هو شعارك في النقد الادبي ؟..

قال : ليس من حقي ان امنع الناقد من الكلام ولكن من حقي الا اصغي اليه !..

قلت هل ترى ان بعض القصص الافرنجية ماخوذ من الادب العربي ؟ .. قال : اعتقد ان قصة « روبنسن كروزو » ماخوذة من « حي بن يقظان » لابن طفيل ، فقد ترجمت سنة ١٦١٦ الى الانجليزية اى قبل صدور كتاب روبنسون بسنوات عديدة .

حقائق في حياة

كامل الكيلاني

● اخترت الطريق الطويل ●

● كان رحمه الله يكره ميادين الظهور والشهرة والصراع الادبي والمساجلات ويتحاماها حتى انه لا يرد على من يهاجمه فضلا عن انه لا يهاجم احدا ، ويرى ان الوقت الذي يضيع في المعارك الادبية دون ان يؤدي الى نتيجة اولى بان يصرف في العمل الايجابي النافع ، وانه خير للمفكر بدلا من ان يحصي على الناس الاخطاء او يرسم لهم التصحيحات ، ان يبدع عملا جديدا يضيف به فضلا الى الثروة الادبية.

وكان كامل كيلاني صغير الحجم حتى اطلق عليه احمد شوقي اسما رائعا : عقرب الثواني ـ من حيث النشاط والحركة ..

وكان حلو الحديث ، ضاحك الوجه ، يلقاك متهللا « كانك معطيه الذي انت سائله » على حد قول الشاعر ، ويدخل معك في مداعبات ادبية ومطارحات شعرية .. فيه لباقة تمكنه من ان يقول ما يريد دون ان يجرح او يهاجم او يسيل الدماء.

تحدثوا عنه مرة في مؤتمر عقد في الكويت بصيغة التوفي ، فضحك وقال : لهم حق .. ان عزلتي قد جعلت بعض الناس يظنون انى فارقت الحياة .

ومن حكمه البالغة التي كان يهديها الى محبيه قوله : تنكب الدروب المطروقة واخلص الى الطريق الطويل والعمل الاشق ولا تدع احدا يجرك الى الحوارى والازقة ، واخلص الى الشارع الرئيسي دوما ولا تستمع لنباح النابحين .

● لم يقف كامل كيلاني عند حدود قصص الاطفال ولو فعل لكفاه ذلك شرفا ومجدا ، ولكنه كان يعمل قبل وبعد في دراسات بالغة الروعة ، في مجال الادب والتاريخ الاسلامي . تناول فيها سيف الدولة ومصارع الخلفاء والهمداني وسيبويه ومصارع الاعيان ... ونظر في الادب الاندلسي ، وترجم تاريخ الاسلام لدوزى وملوك الطوائف لدوزى ايضا . كما حقق ديواني ابن زيدون ، وابن الرومي .

وله فوق ذلك مجموعة من القصص المترجم والاغاني العالمية ترجمها شعرا ، كما اشترك في تاسيس رابطة ابولو مع الدكتور احمد زكي ابو شادى ، واسهم في تحرير عدد من الصحف الادبية في مقدمتها مجلة « الرجاء » و « المصور » و « ابولو » و « الرسالة » ، وقد اعد تبسيطا لرسالة الغفران يقربها من القارىء الوسط ، وشارك في عشرات المؤتمرات والاندية ، وسافر الى الاقطار العربية محدثا وخطيبا ..

● أساتذتي الثلاثة ●

● تحدث كامل كيلاني عن اساتذته فقال انهم ثلاثة :

بائع بسبوسة ، وشاعر على الربابة ، وعربجي !

قال ان الحاج مصطفى الحلبي بائع البسبوسة الذي كان يقف امام حارتنا . وهو غير الحاج مصطفى الحلبي الناشر المعروف . فقد كان هذا البائع يحفظ عن ظهر قلب قصائد الشاعر الصوفي عبدالغني النابلسي ...

اما الشيخ محمود الملاح الشاعر الذي يغني على الربابة في المقهى المواجه لحارتنا فقد علمني سير سيف بن ذي يزن ، وذات



الهمة ، وعنترة • وفيروز شاه وحمـــزة البهلوان ، والظاهر بيبرس • » وهي في مجموعها ١٧٠ كتابا قرأتها بعد ذلك » •

أما الاسطي محمد الشيخ العربجي فقـد كان يحدثني عن الاساطير ••

ونتيجة ذلك الفت قصة الامير صفوان وما جرى له بالتمام والكمال وحملتها الى احد الكتبية في شارع الأزهر فاعجب بها وطلب مقابلة المؤلف •

فلما قلت له : أنا هو •• » وكنت ألبس جلبابا قصيرا وقبقابا ، وسني خمسة عشر عاما » : قال روح يا شاطر يا حبيبي لما تكبر ! ••

وبقي الكيلاني حزينا ضيق الصدر •• وهو يضحك الآن ويقول : الحمد لله فلو كانت هذه القصة طبعت لكانت مما يؤخذ علينا الآن !

● كانت ندوة كامل كيلاني ملتقى لاعلام العرب والمسلمين جميعا ، وكان من روادها كل أهل الفضل ومحبي الادب ، وفيهـــا تسمع طرائف الادب وفنونه وملحه واعاجيبه وتسمع تاريخ جيل كامل من الادباء •

وقد تحدث عن ندوة الكيلاني كثيرون منهم من تونس ، ومن السعودية ، وكان من أخص أصدقاء الكيلاني الاستاذ سيد ابراهيم كاتب الخط العربي المعروف اطال الله عمره ، وهما من أبناء مدرسة واحدة هي مدرسة أبي العلاء ، وكانت الندوة تعقد في الطابق الاعلى من المكتبة وقد أمها رواد كثيرون من الباكستان واندونيسيا وحضر اجتماعهـــا مستشرقون وعلماء غربيون في مقدمتهم كارل نلينو والمستشرق المســـلم عبد الكريم جرمانوس •••

● روح الاصالة والعروبة ●

● اللغة العربية اولا وآخرا : يقول الاستاذ الكيلاني رحمه الله : في ســـنة ١٩٢٠ بدأ الهجوم على اللغة العربية ، وبدأ أصحاب العامية يكتبون في الجرائد والمجلات وشعرت أنا بهذه الزوبعة وبأنها لا شـــك ستنتصر اذا تركنا هؤلاء يكتبون ويتكلمون

ولم أجد في نفسي الرغبة أن أكون ناقـدا أو متكلما • فالموجهون في كل عصر من عصور التاريخ قسمان : ناس يصـــنعون التاريخ ، وناس يكتبون التاريخ ••

ووجدتني أهلا لأن أصنع التاريخ لأنني أبني مع البناة أحجارا تضع أساسا متينا لبناء الجيل الجديد لا بالمقالات والمحاضرات ولا بالندوات والاحزاب وانمـــا من صومعتي الهادئة في الدور الارضي بمنزلي • وبدأت من الاول ، من اول ما يفتح الطفل الصـغير عينيه على صفحة فيها صور وفيها « نغبشة » كل الذين ارادوا أن يبنوا الطفـــل بدأوا متأخرين• بدأوا بعد أن نما الطفل وانغرس في نفسه الخوف والفزع من خرافات « أبو رجل مسلوخة » والعفريت المختفي تحت السلم وتحت السرير ، اما انا فبدأت به مع الاشباح التي يخيفونه بها • ووضعت له القصص والصور وحطمت له الاشبــــاح التي كانت تفزعه • وفي كل القصص التي يقرؤها الطفل يجب أن ينتصر الخير ويجب أن يرى الشر دائما مصيره الى الهلاك •••

ولكني احسست أن الطفل الذي يعيش في قصص ويرى الخير دائما ينتصر ، ثم يكبر وينزل الى الحياة فيجدها كلها صراعا وشرا وضلالا ، يصاب بصدمة يقف منها مشلولا أمام الخديعة التي ظل يعيش فيهـــا كل طفولته وصباه •• لهذا كنت أضع الشر دائما بجوار الخير ، وأصــــور له الصراع العنيف الذي يدور بينهما حتى ليكاد يتوقع أن ينتصر الشر في لحظة خاطفة وتنتهي القصة ، ولكن الخير ينتصر في النهاية ، أعمل ذلك لاغرس في نفس الطفل حقيقـة الحياة الواقعية وهي أن النصر للخيـــرين الاذكياء ••

هذه الرؤية نهديهـــا في ذكرى كامل كيلاني المتجددة الى كتاب قصص الاطفــال اليوم • ونحن نسألهم الاصالة والتمـاس روح الاسلام والعروبة ، فان قصص الغرب المترجمة تسيء الى اطفالنا لانها ليست من منابعنا •


دعوات
د. محمد عماره

التجديد السلفية

بدأت يقظة امتنا ، في عصرها الحديث بظهور الحركات السلفية، التي رامت تجديد الدين ، وصبغ المجتمع بصبغة هذا الدين بعد تجديده ..

ومنذ البدء ،كانواضحا أن هذهالحركات والدعوات الدينية السلفية تواجه خطرين رئيسين وعدوين اساسيين :

اولهما : « التخلف » الذى صنعته وتحرسه فكرية العصور الوسطى والمظلمة .. فكرية عصور تسلط المماليك وسلطان آل عثمان ..

وثانيهما : « التقدم » الذى تسلحت به أوروبا الاستعمارية فى هجمتها الحديثة على ديار العروبة وعالم الاسلام .. والذى ارادت به نهب اقتصاديات الامة ، واحتلال ارضها ، ومسخ شخصيتها القومية ،وازالة تمايزها الحضارى ، كى تصبح « هامشا » لاوروبا ، ان فى الاقتصاد او الامن او «القيم» و « الثقافة » .. وقسمات الحضارة بوجه عام ! ..

ومن بين الحركات السلفية الدينية التى استيقظت الامة على وقع خطواتها كانت : « الوهابية » ، و « السنوسية » ، و « المهدية » ، ابرز هذه الحركات .. وهى وان جمعتها غايات التجديد على اسس سلفية ، الا ان النظرة المتاملة تكشف ما بينها من تمايز فرضه الواقع والتكوين على القادة والدعاة والجمهور .. واستدعته التحديات التى واجهت هذه الدعوات فى البيئات التى نشأت فيها :

الوهابية :

فى بيئة بدوية بسيطة ، هى « نجد » ، بشبه الجزيرة العربية ، ولد ونشأ محمد بن عبد الوهاب « ١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ ١٧٠٠ ـ ١٧٩٢ م » .. وكانت السيادة الاسمية والرسمية على موطنه للخلفاء آل عثمان ..

وكان ابن عبد الوهاب سليل اسرة من الفقهاء ، اخذ عنهم علوم الدين ، كما درس على علماء مكة والمدينة ، وظهر نزوعه المبكر الى النهج السلفى ، الرافض لما طرا على عقائد الاسلام وعباداته من بدع وخرافات واضافات ..

لقد نظر ابن عبد الوهاب فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء الى الله ، بل ويتوجهون اليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة فى الملمات .. كما وجد البدع قد اصابت العبادات بالزيادة والنقصان .. فلما عرض صورة « اسلام العامة » هذا على صورة « اسلام السلف »، وجد ان الاسلام الاول ، اسلام السلف ، قد اصبح « غريبا » ! .. فكان ان وجد نفسه فى ذات الموقف الذى وقفه امام السلفيين احمد بن حنبل « ١٦٤ ـ ٢٤١ هـ ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م » عندما دعا الى العودة لاسلام شبه الجزيرة ، قبل عصر الفتوحات ، ذلك الذى يكفى الانسان منه النصوص ، دونما حاجة الى العقلانية الكلامية او الفلسفية ، وما اثمرت من « قياس » و « رأى » و « تاويل » ! .. وكانت بيئة نجد ، البسيطة ، اكثر ملاءمة للاسلام السلفى البسيط ، فظواهر النصوص تكفى للاجابة على علامات استفهام انسانها البسيط ، كما تكفى لتصحيح معتقداته واعادة عباداته الى اطار الاسلام الصحيح ..

بدا ابن عبد الوهاب يدعو الى اسلام السلف ، ويبشر بفكر ابن حنبل ، وابن



دعوات التجديد السلفية

تيمية » ٦٦١ – ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م، وابن القيم » ٦٩١ – ٧٥١ هـ ١٢٩٢ – ١٣٥٠ م » ويركز على اصلاح « العقائد » وتصحيح « العبادات » .. فحكم بالشرك ، الظاهر والجلى ، على المتوسلين الى الله بالاولياء والمشاهد والرموز ، بل راى شركهم اعظم من شرك الجاهلية الاولى .. ورفض – كما صنع اعلام السلفية – ان يحتكم لغير النصوص ، فهاجم « القياس »، حتى لو كان صحيحا ، واعرض عن«التاويل» فى فهم النصوص وتفسيرها .. واعلن ان « الراى » لا وزن له بجانب النصوص ..

وكان طبيعيا ان تصطدم هذه الدعوة بفكرية العصور الوسطى ، تلك التى كان يرعاها خلفاء آل عثمان ! ..

ولم يقف امر هذا التصادم عند هذه الحدود الفكرية .. فلقد كان ابن عبدالوهاب اكثر من « شيخ » ، واعظم من « فقيه ».. ومن ثم فانه لم يشأ ان يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها او مواعظ يلقيها ، او حتى حلقة من الاتباع والمريدين .. لقد اراد ان تكون لدعوته « دولة » تضمن لها الانتشار والاستمرار .. فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ! ... ولقد زاد هذا العزم من احتمالات التصادم ومن حجمه مع خلفاء آل عثمان ! ..

غادر ابن عبد الوهاب « حريملا » – التى بدأ فيها دعوته – الى « العيينة » ، فعرض مذهبه على رئيسها عثمان بن احمد بن معمر الذى استجاب لدعوته ، فعقد معه عهدا ان ينصر دعوة « لا اله الا الله » ، ويسخر قوته لاقتلاع عقائد الشرك ورموزه ، مقابل « ان يملكه الله نجدا واعرابها ! » .. فتحرك جيش « العيينة » ، وفى مقدمته ابن عبد الوهاب ، لهدم القباب واقتلاع الاشجار وازالة الرموز التى كان العامة يقدسونها ويتخذونها وسائل تقربهم – بزعمهم – الى الله زلفى ! .. وكان قبر الصحابى زيد بن الخطاب « ١٢ هـ ٦٣٣ م » ، باليمامة ، من بين القباب التى قاد ابن عبد الوهاب هدمها بعد ان اجفل حتى جند امير « العيينة » عن الاقدام على هدمه .. ولقد استفز ذلك اعراب الناحية ، فخشى عثمان بن معمر عداءهم ، فطلب الى ابن عبد الوهاب مغادرة المنطقة خوفا على حياته .. فغادر «العيينة» الى « الدرعية » سنة ١١٥٨ –

وفى « الدرعية » تحالف ابن عبدالوهاب مع اميرها محمد بن سعود » ١١٧٩ –



١٧٦٥ م » .. فسادت الدعوة السلفية فيها وفى نجد وما تاخمها .. ثم اخذ يعرض دعوته على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فى موسم الحج والزيارة .. وبدأ الحجاج يسمعون ويتناقلون آراءه التى تحكم بالكفر حتى على خليفة المسلمين العثمانى !؟ ..

وكان ابن عبد الوهاب يقود الجهاد ، فى طليعة جيش ابن سعود .. فهاجموا كربلاء واستولوا على كنوز مشاهدها سنة ١٢١٦هـ سنة ١٨٠١ م .. ودخلوا المدينة المنورة

سنة ١٢٢٠ هـ سنة ١٨٠٥ م ، وازالوا قباب مزارات الصحابة فى البقيع .. وفى العام التالى ذهب ابن سعود الى مكة حاجا فبايعه شريفها ، وطرد من كان بها من رجال الدولة العثمانية .. وهكذا تمت للوهابية السيطرة على الحرمين ونجد والحجاز ، فتصاعد تحديها « للدولة » العثمانية و « لفكريتها » المثقلة بالشعوذة والخرافات !..

لكن العثمانيين ، بعد ان فشلوا فى مواجهة الوهابية ، استعانوا بمحمد على باشا « ١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م » والجيش المصرى ، الذى اسقط الدولة الوهابية عندما احتل « الدرعية » فى ٧ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ هـ ٨ سبتمبر سنة ١٨١٨ م ، بعد سنوات من القتال .. وبعد ثلاثة ارباع القرن على ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب .. وبقيت الوهابية « دعوة » تسعى لاقامة « الدولة » حتى تيسر لها ذلك فى العقدين الثانى والثالث من القرن العشرين ! ..

● كانت الوهابية ، على جبهة « العقائد والشعائر الدينية » حركة تجديدية سلفية نشأت فى بيئة عربية بسيطة ، لم تعرف الفكر المركب، لخلوها من تعقيدات الحضارة وانماطها الفكرية المركبة ، فكانت صورة اسلامها هى صورة الاسلام العربى فى عهد صدر الاسلام .. ومن هنا كانت ثورة تجديدية ضد صورة الاسلام العثمانى ، ذلك الذى اثقلته البدع والخرافات طوال العصر الذى فقدت فيه حضارتنا مقومات الابداع والاستقلال .. وكان التوحيد الاسلامى الخالص ، كما بشرت به الوهابية، اسهاما فى اعادة روح التميز والاستقلال الى البناء الحضارى لامتنا على جبهة « العقائد والشعائر الدينية » .

● والوهابية ، كامتداد للفكر



السلفى ، الرافض لتاثيرات الفلسفة اليونانية فى حضارتنا ، تبنت ابداع اعلام السلفية - وخاصة ابداع ابن تيمية - فى صياغة « منطق اسلامى » متميز لحضارتنا بدلا من « منطق ارسطو » الذى تبناه فلاسفة المسلمين او تاثروا به .. فازاء هذه القسمة من قسمات تمايزنا الحضارى ، كانت السلفية ، عند ابن تيمية ، تتويجا لجهود عربية اسلامية استقلالية بدات ونمت .. بدات بابداع الامام الشافعى ، محمد ابن ادريس « ١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م » فى اصول الفقه ، التى قدمها فى مقابل منطق ارسطو ، الذى رفضه باعتباره ابنا للغة اليونان ، يستحيل ان يكون منطقا لاهل العربية ! .. ونمت هذه الجهود بابداع المتكلمين المسلمين - من المعتزلة وغيرهم - لاصول الدين - علم الكلام - الذى رفضوا فيه وبه منطق ارسطو ، لارتباطه بالميتافيزيقا اليونانية ، المخالفة لالهيات المسلمين ! .. ولقد توج ابن تيمية هذه الجهود ، على درب التمايز والاستقلال الحضارى ، بنقده لمنطق ارسطو ، الذى رآه مقيدا للفطرة الاسلامية بقوانين صناعية متكلفة ، وحائلا بقوانينه الكلية الثابتة دون الوفاء بالحاجة الاسلامية المتغيرة ..



دعوات التجديد السلفية

وداخلا فيما لا ضرورة له ، حيث لم يشتغل به الصحابة ولا الائمة ، ومع ذلك فلقد توصلوا الى كل نواحى العلم ! .. توجت هذه الجهود بتبلور منطق الحضارة العربية الاسلامية الاستقرائى ، القائم على التجريب ، فى مقابل منطق ارسطو ، القائم على المنهج القياسى ، والنابع من روح الحضارة اليونانية ، التى لم تحفل بالتجربة بقدر ما ركنت الى النظر الفكرى والفلسفى

وعلى هذه الجبهة الفكرية ، كانت الوهابية ، كامتداد للفكر السلفى ، اسهاما فى الاستقلال الحضارى لامتنا العربية الاسلامية .. وان تكن بداوة بيئتها ، وفقر الفكر الفلسفى عند اعلامها قد جعل اسهامها على هذه الجبهة متمثلا فى رفض التبعية ، مع العجز عن الابداع فى بلورة البديل ! ..

● وعلى « جبهة العروبة » .. كانت الوهابية اسهاما فى الجهد المبذول كى تستعيد الامة هذه القسمة من قسمات استقلالها الحضارى .. فهى « كدعوة » و « كدولة » قد مثلت طليعة التحديات العربية للسلطنة العثمانية المتسلطة على اغلب اقاليم الوطن العربى .. ثم هى فى المجال الفكرى ، قد سحبت ـ اسلاميا ـ شرعية ولاية العثمانيين على العرب ، عندما تبنت وابرزت موقف اغلب فقهاء الاسلام ـ ومنهم فقهاء السلفية ـ المنحاز لضرورة توافر شرط العروبة القرشية فيمن يتولى منصب الخليفة والامام !..

● لكن الوهابية ، بسبب من بداوة البيئة التى نشأت بها ، قد اتخذت موقفا غير ودى من « العقلانية » ومن « التمدن » .. فظواهر النصوص كانت كافية للاجابة على ما تثيره بيئتها البدوية من مشكلات وما تطرحه من علامات استفهام .. ومواريثها السلفية ، التى بدأت بامام السلفية احمد ابن حنبل ، قد رفضت عقلانية الاسلام ضمن رفضها لعقلانية اليونان !.. وجاءت الوهابية ، محكومة باوضاع بيئتها البدوية فرفضت « التمدن » عامة ، كجزء من رفضها ذلك « التمدن الغربى » الذى كان يتسلل الى عالم الاسلام من تلك الثغرات التى فتحها الغرب فى جدار آل عثمان ؟! .. ولقد دفع الوهابية على هذا الدرب ، واوغل بها فى هذا السبيل خلطها الشديد بين ما هو « دنيا » وما هو « دين » ، فلما لم « تميز » بينهما ، حسبت ان تجديد « الدنيا » يتحقق بما يتجدد به « الدين » ، فدعت الى « السلفية الدنيوية » كما دعت الى « السلفية الدينية » ، وغفلت عن ان تجديد ثوابت الدين لابد فيه من « الاتباع » دون « الابتداع » ، بينما تجديد متغيرات الدنيا لابد فيه من « الابتداع » فى اطار المقاصد الدينية والاطر العامة التى نزل بها الروح الامين على الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. ولم تدرك الوهابية ان « الاتباع » هنا لا يثمر « التجديد » ، بل يؤدى الى « الجمود » ! ..

ولقد تحدث الامام محمد عبده « ١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م » عن هذه السلبية فى الدعوة الوهابية ، رغم اتفاقه معها فى « السلفية الدينية » التى جعلته يدعو الى « فهم الدين على طريقة سلف الامة ، قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الاولى .. » .. يتحدث عن سلبيتها على جبهة « العقلانية » و « التمدن » ، فيقول : « انهم اضيق عطنا ـ « افقا » ـ واحرج صدرا من المقلدين، فهم وان انكروا كثيرا من البدع ، ونحوا عن الدين كثيرا مما اضيف اليه وليس منه ، الا انهم يرون وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد ، والتقيد به ، بدون التفات الى ما تقتضيه الاصول التى قام عليها الدين واليها كانت الدعوة ولاجلها منحت النبوة ،



فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدنية احباء ؟! .. »

فى هذه المواقع ، وعند هذه الحدود وقفت الوهابية على جبهة نضال امتنا لاستعادة استقلالها الحضارى ، وبلورته ، فى عصرنا الحديث .

السنوسية :

تميزت نشأة امام السنوسية محمد بن على السنوسى « ١٢٠٢ - ١٢٧٦ هـ ١٧٨٧ - ١٨٥٩ م » عن نشأة محمد بن عبد الوهاب .. فلقد ولد السنوسى بقرية « الواسطة » بالقرب من « مستغانم » بمقاطعة « وهران » الجزائرية ، فى بيئة عربية لا تغلب عليها البداوة .. وكان طموحه الى العلم والفروسية ملحوظا منذ النشأة المبكرة ، فمنذ الصبا كان يقسم يومه الى قسمين ، احدهما لطلب العلم ، والثانى للفروسية والتدرب على القتال .. وهو قد درس فى القرويين ، بفاس ، والازهر ، بالقاهرة ، وانخرط فى عدد من طرق التصوف ، وتلقى العلم عن عدد من شيوخ مكة والمدينة .. وكان مالكى المذهب فى الفقه ، وليس بين مالك بن أنس « ٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥ م » وبين العقل ما بين احمد بن حنبل والعقل من خصام ؟!

وفى بيئة غير عارية من قسمات المدنية والتمدن كون طريقته ، وشرع يبث الدعوة ويصنع الدعاة ..

● ولقد كانت سلفية السنوسية متميزة لذلك ، عن سلفية الوهابية .. فهى تشاركها فى الدعوة لفتح باب الاجتهاد لتجديد الدين ، وفى رفض فكرية السلطنة العثمانية لما اثقل اسلامها من خرافات وزوائد وبدع .. لكن الطريقة السنوسية قد مزجت « الشريعة » بشىء من « التصوف » و « البرهان » .. « بالاشراق » ! .. فهى « بالشريعة والبرهان » تجدد الدين عندما تعود الى منابعه كى تفهم عقائده .. وهى « بالتصوف » تستعين على تربية النفس وتقويم السلوك ! .. صنعت ذلك المزيج مع ميل ملحوظ الى « الشريعة والبرهان » ..

ولقد انجزت السلفية على هذا الدرب انجازا عظيما ، فهى قد صححت عقائد الذين انخرطوا فيها من الاتباع ، وكثير منهم ، وخاصة فى الصحراء المغربية ، كانت تشوب عقائدهم الاسلامية ، بل وشعائرهم عناصر وثنية وجاهلية عديدة ! .. وهى قد نشرت الاسلام بين اقوام افارقة كثيرين كانوا وثنيين ، فقطعت الطريق على التبشير الاستعمارى الذى كان يمهد بالمسيحية الارض للنهب والاحتلال ! .. ولقد كان لها الفضل فى صنع « الحزام الاسلامى » ، الممتد فى وسط افريقيا ، من شرقها الى غربها ، واقامة سلطنات وامارات اسلامية عدة حاربت الاستعمار الغربى واعاقت سيطرته سنوات .. وصنعت ذلك عندما تصدت للاستعماريين الايطالى والانجليزى على الجبهة الشمالية والشرقية ، وعندما اقلقت السيطرة الفرنسية على بلاد الشمال الافريقى .

وكان هذا انجازا هاما واسهاما بارزا استعانت السنوسية فى صنعه « بسلفيتها المجددة » ، تلك التى واجهت بها خرافة



دعوات التجديد السلفية

عصر الانحطاط وخطر المد الاستعماری علی هوية الامة واستقلالها الحضاری .

● وعلى جبهة « العروبة » – عروبة « الدولة » و « الفكر » و « الحضارة » – اسهمت السنوسية اسهاما بارزا وملحوظا .. فهى قد نشرت العربية مع نشرها الاسلام .. وهى قد رفضت الاعتراف بشرعية التسلط العثمانى على حكم الامة العربية ، عندما تبنت موقف فقهاء الاسلام من ضرورة عروبة الخلافة وقرشيتها .. وفى كتاب السنوسى « الدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسية » يدافع عن هذا الشرط من شروط الخليفة ، ويستشهد برأى ابى الحسن الماوردى « ٣٦٤ – ٤٥٠ هـ ٩٧٤ – ١٠٥٨ م » ويرفض رأى الذين يشيعونها فى غير العرب من المسلمين !..

ثم ان السنوسية السياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفا يتراوح بين « الصمت الحذر » وبين « المراوغة » او العداء ! .. فهى قد ازعجت طلائع المد الاستعمارى الغربى على افريقيا .. واقلقت الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ، وخاصة فى الجزائر ، حتى لقد كتب وزير الخارجية الفرنسى جابرييل هانوتو « ١٨٥٣ – ١٩٤٤ م » وهو يتحدث عن « المسألة الاسلامية » ، فعبر عن انزعاجه من « كفاح » السنوسيين ضد الاوروبيين ، و « كراهيتهم للمدنية » الاوروبية ..وصرح بان موقفهم غير الودى من الدولة العثمانية ومقاطعتهم لها سببها ما بين هذه الدولة وبين اوروبا من علاقات !.. وعبر عن مخاوفه من مقاومتهم للسيطرة الاوربية المسيحية فقال : « ان جراثيم الخطر لا تزال موجودة فى ثنايا الفتوح وفى افكار المقهورين الذين اتعبتهم النكبات التى حاقت بهم ، ولكن لم تثبط هممهم ! » ..

وعندما ضغطت الدول الاوربية الاستعمارية على السلطان العثمانى عبد الحميد « ١٢٥٨ – ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ – ١٩١٨ م » كى يوقف النشاط السنوسى ، استجاب لهذا الضغط ، فاستدعى المهدى السنوسى « ١٣٦٠ – ١٣٢٠ هـ ١٨٤٤ – ١٩٠٢ م » ليقيم فى الاستانة ، فى « قفص ذهبى » ، كالذى احتبس فيه السلطان جمال الدين الافغانى حول ذات التاريخ !؟ .. ولكن المهدى السنوسى تخلص من هذا الفخ متلطفا .. بل ونقل مقره بعيدا فى الصحراء الليبية ، فغادر « جغبوب » الى « الكفرة » .. فلما زاد الخطر ، انتقل من « الكفرة » الى « قرو » بالسودان الاوسط !؟ ..

ذلك ان السنوسية كانت تدرك ان الضعف العثمانى قد حول الدولة العثمانية الى جدار ملىء بالثغرات التى يتسلل من خلالها نفوذ الغرب الاستعمارى كى يلتهم ديار العروبة والاسلام .. حتى لقد غدا الترك – كما يقول احمد الشريف السنوسى – « مقدمة النصارى – » اى المستعمرين الاوربيين » – ما دخلوا محلا الا ودخله النصارى ! » .. وحتى ليقول المهدى السنوسى : « الترك والنصارى ، انى اقاتلهم معا ! » .

فهم ، بموقفهم مع العربية ، والاسلام العربى ، وبعدائهم لاعدائهما ، اوربيين كان هؤلاء الاعداء او اتراك .. وايضا بما اعادوا وبعثوا من فروسية عربية فى الخلق والقتال .. كانوا اصحاب اسهام عظيم على هذه الجبهة من جبهات الاستقلال الحضارى لامتنا العربية الاسلامية .

● وازاء قسمة « التمدن » ابدعت السنوسية نموذجا متميزا يجتذب الانظار ويدعو البصائر الى التأمل العميق .. فالسنوسى كان صاحب نظر فى العلوم الطبيعية ، والتناء لادواتها ، الى جانب تبحره فى علوم الدين ! .. وامام الخطر

الاستعمارى الشامل والمحدق أدرك الرجل أن لا بد من « المرابطة » ، بما عناه هذا النظام فى تاريخ الاسلام من تنظيم لطاقات الامة فى وحدات مقاومة تتصدى « بالبناء وبالقتال » لخطر الاعداء ! .. فكانت فكرة « الزاوية » السنوسية ، كمؤسسة متكاملة لصنع الرجال ، دينيا ودنيويا ، وتنمية المجتمع ، ومجاهدة الاعداء ، ونشر العروبة والاسلام ! ..

كانت « الزاوية » هى : مؤسسة الحكومة ـ « الطريقة » .. ومزرعة الدولة .. ونموذج المجتمع الجديد الموعود .. ففى المسجد ، نجد فيها منزلا لقائدها ـ « المقدم » ـ وللوكيل ، وللشيخ .. وفيها بيوت للضيوف وعابرى السبيل ، وللفقراء الذين لا مأوى لهم ، وفيها مساكن للخدم ، ومخازن للمؤن ، واصطبل ومتجر ، وفرن ، وسوق .. وحول هذه المبانى « العامة » توجد المساكن الخاصة بالقبائل التى تقوم « الزاوية » فى منطقتهم ، لتطويرهم وقيادتهم ..

و « للزاوية » أرض زراعية خاصة بها ، وآبار جوفية ، وصهاريج لحفظ المياه .. وارضها وحدائقها تزرع جماعيا ، تعمل فيها القبائل ، بلا أجر ، يوم الخميس من كل اسبوع .. كما تتدرب فيها يوم الجمعة من كل اسبوع على الفروسية والقتال ! .. ومحصول أرض الزاوية ينفق على احتياجات فقرائها ، وضيوفها ، غذاء وكساء وتعليما وعلاجا وزواجا ، وما بقى يذهب لمقر الطريقة الرئيسى .. و « مقدم » الزاوية هو ممثل شيخ الطريقة وقائد قبائلها فى الجهاد ! .. والوكيل هو المشرف على الزراعة وشئون الادارة والاقتصاد .. أما الشيخ فانه يتولى التعليم وشئون الزواج .. ومن هؤلاء الثلاثة ومن



رؤساء القبائل المحيطة « بالزاوية » يتكون مجلس ادارتها ..

تلك هى « الزاوية » السنوسية : اداة النهضة المتميزة ، التى صاغتها البيئة ، والتى جعل منها الخطر الاستعمارى قلعة للذود عن العروبة والاسلام والجهاد فى سبيل الله ! .. ولقد وصفها السنوسى فقال : « ان الارض تبتهج من حولها بانواع الاشجار ، ويكثر بها السكان لكثرة الثمار وتنتشر فيها العمارة ، وتتسع الادارة .. والعاملون فيها ، بالزراعة والحرف ، هم السابقون عند الله للعاكفين على الاوراد والاوراق والمسابح » ! ..

لقد صاغت بيئة « الزاوية » ، وحدد الخطر المحدق بأهلها الصورة والحدود التى جاء عليها هذا النموذج السنوسى فى « التمدن » .. وهو وان لم يكن النموذج الاصلح لبيئات أكثر تطورا ، الا انه قد كان ، فى واقعه وظروفه ، انجازا عبقريا على درب التمايز والاستقلال الحضارى ..

المهدية :

فى جزيرة « لبب » على بعد خمسة عشر كيلومترا من دنقلة بالسودان ، ولد



دعوات التجديد السلفية

مؤسس « المهدية » ـ « المهدي » ـ محمد احمد « ١٢٦٠ ـ ١٣٠٢ هـ ١٨٤٤ ـ ١٨٨٥ م » في اسرة فقيرة ، قعد بها فقرها عن ان ترسله كي يتعلم بالازهر الشريف ، فاحترف التجارة ، لكنه حصل علم الفقهاء الفقراء المحليين ! .. ومارس التعليم .. ثم اتجه الى التصوف ، فزهد ، وتنسك ، حتى ذاعت شهرته ، وعلا نجمه ، واصبح في « الطريقة السمانية » ، خليفة له «راية» ومريدون .. ثم اصبح شيخا لهذه الطريقة سنة ١٢٩٧ هـ سنة ١٨٨٠ م .. وكان له طموح الى الاصلاح العام ، وبناء مجتمع على غرار مجتمع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في صدر الاسلام .. ولقد استعان على ذلك الاصلاح بالفقهاء والحكام ، لكنهم خذلوه ، فاتجه الى عامة الناس !..

وفي الاول من شعبان سنة ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١ م اعلن على الناس انه المهدي ، وان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد جاءه في الرؤيا ، وكلفه « بالمهدية » ، ودعا الناس الى الايمان به والهجرة اليه ، والجهاد معه لاقامة الدين وتحرير البلاد من الاتراك والاجانب ، وانقاذ ديار الاسلام قاطبة ، من غانة الى فرغانة ! » ..

كانت مهمة التجديد واليقظة والتحرير بالسودان اكثر صعوبة منها في غيره من البلاد .. فوحدة الشعب لم تتبلور بعد ، والتفتت الاداري والتمزق القبلي يثقلان الخطو نحو بلوغها .. والفقهاء قد تحولوا الى اتباع للحكام يبررون مظالمهم ، ويحكمون ثقافتهم على العقول والقلوب .. والمتصوفة قد استقطبوا عامة الناس والتسموهم في « طرقهم » ، واشاعوا في حياتهم الخرافة التي عطلت منهم العقول ! ..

وامام هذه المهمة الصعبة وقف محمد احمد .. فبلغت به المعاناة حد تمثل الاسطورة ـ « المهدية » ـ رؤية منام ، بل ويقظة ! .. وغدت هذه الاسطورة البوتقة الافعل في صهر الامة وتوحيد الجماعة واستنفارها للجهاد خلف مهديها للتجديد والتحرير والاصلاح ! ..

● ولقد واكبت « المهدية » صعود نجم « الثورة العرابية » ضد الخديو توفيق « ١٢٦٨ ـ ١٣٠٩ هـ ١٨٥٢ ـ ١٨٩٢ م » والتدخل الاوربي الاستعماري في مصر .. وكان هذا التدخل الاستعماري ، الذي تسلل الى بلادنا من الثغرات التي صنعها عجز الاتراك العثمانيين قد جعل السودانيين ، بقيادة « المهدي » ، يرون في هذا الثالوث المكون من الاوربيين والاتراك والحكومة الخديوية ، عدوا واحدا وبلاء متحدا ..

فبعد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م التي قننت اختراق تجربة مصر المستقلة من قبل اوربا والعثمانيين ، زاد النفوذ الاجنبي في مصر ، وخاصة زمن حكم الخديو سعيد « ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣ م » والخديو اسماعيل « ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م » .. وبصورة اكبر عندما تولى الحكم توفيق سنة ١٨٧٩ م .. وانعكس ذلك على السودان ، الذي كانت ادارته للحكومة الخديوية ، حتى بلغ الامر حد تعين العديد من الاوربيين حكاما على اقاليم السودان ! .. ففي « بحر الغزال » حكم الايطالي « جيسي » ، ثم خلفه الانجليزي « لبتون بك » ! .. وفي « دارفور » حكم النمساوي « سلاطين » !.. وفي « الفاشر » حكم « مسيداليا » ! .. وفي « لادو » حكم الالماني « سنتزر » !.. وفي « فاشوده » حكم النمساوي « ارنست مارنو » ! ..

وكان السودانيون يسمون الحكم الخديوي بالحكم التركي ، ويصفون حكامهم بالاتراك ! .. وزادت مبررات هذا الوصف عندما انحاز الخديو توفيق الى الغرب والاتراك ضد الثورة العرابية ..

وكانت المظالم الاجتماعية لهذا الحكم « التركي » قد بلغت في السودان حد المأساة ! ..

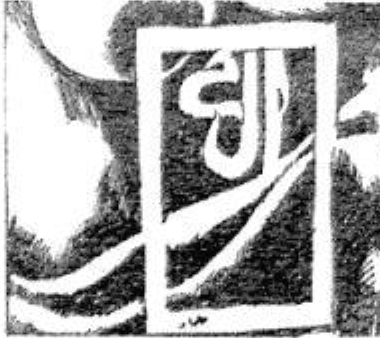
وامام هذا العدو كان رد فعل « المهدية » المعادي للاتراك .. فهم كفرة ، لابد من جهادهم ، وهم أعداء ، لابد من «مغايرتهم» حتى في الزى والعادات والتقاليد ، ولا سبيل للتعامل معهم الا السيف ! ..

يقول « المهدي » لاتباعه ، في احاديثه ومنشوراته ، معبرا عن ما نراه « قسمة عربية ، معادية للسيطرة التركية » .. يقول : « اتركوا كل ما يؤدي الى التشبه بالترك الكفرة ، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي : « قل لعبادي ، المتوجهين الى ، لا يدخلون مداخل اعدائي ، ولا يلبسون ملابس اعدائي ، فيكونون هم اعدائي ، كما هم اعدائي .. » — فكل الذي يكون من علاماتهم ولباساتهم فاتركوه » ! .

وهو يحدثهم عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد امره بذلك ، وحرضه عليه ، فعداء الترك واحد من « الهام المهدية » ، فيقول : « لقد حرضني سيد الوجود ، صلى الله عليه وسلم ، على قتال الترك وجهادهم .. لقد امرنا النبي امرا صريحا بقتال الترك » .

وهو يذكرهم بظلم الترك وعسفهم فيقول : « ان الترك قد وضعوا الجزية في رقابكم ، مع سائر المسلمين .. وكانوا يسحبون رجالكم ، ويسجنونهم في القيود وياسرون نساءكم واولادكم ، ويقتلون النفس التي حرم الله بغير حقها ، وكل ذلك لاجل الجزية التي لم يامر الله بها ولا رسوله .. فلم يرحموا صغيركم ولم يوقروا كبيركم .. » !

لشحن قومه بشحنة قومية ، عندما استنفر فيهم روح المغايرة للاتراك .. وكان هذا اسهاما « للمهدية » على درب التمايز القومي عن الاتراك العثمانيين ..



● وامام « الفكرية » ، التي بلغت بها طرق التصوف قمة الخرافة والشعوذة ، كانت دعوة « المهدية » الى سلفية تحرر العقل من هذه القيود التي عطلت طاقة الفكر الاسلامي ، وتكشف عن هذا الفكر الركام الذي افقده معالمه .. فدعت «المهدية» الى العودة للمنابع ، واسقاط التفسيرات التي جاءت بنت زمانها وظروفها ، بعد ان مر الزمان وتغيرت الظروف .. فالمتقدمون رجال « فكروا » لعصورهم ، ونحن رجال « نفكر » في الاصول ، لعصرنا .. وحدث « المهدي » أنصاره ومجادليه فقال لهم : « لا تعترضوا لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين ، فلكل وقت ومقام حال ، ولكل زمان واوان رجال .. ولقد كانت الايات تنسخ ، في زمن النبي ، على حسب مصالح الخلق ، وكذلك الاحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح .. نحن نقلوا آثار من سلف من المهتدين السالفين ، على نهج محمد ، صلى الله عليه وسلم .. فاتبعوا ، احبابي ، كلام الله في القرآن ، ولا تتبعوا ترهات فايت الزمان ! وقد بايعتموني على ان لا تشركوا بالله شيئا ! .. »

« للحديث عن المهدية — بقية »

نصوص معاهدة

حدود مصر مع فلسطين

التي يتم على أساسها الانسحاب الإسرائيلى

« نشرت هذه النصوص فى جريدة الوقائع المصرية العدد ١٢٧ فى ٦ نوفمبر ١٩٠٦ »

اتصلت المحادثات زمنا غير قصير بين ممثلى الجانبين المصرى والاسرائيلى حول الحدود التى تفصل سيناء عما وراءها ، وقد اختلت بعض جوانب هذه المسالة وقتا فى الحوار ، ولكن المسالة شديدة الوضوح ، لانها محكومة بمعاهدة حدود مصر مع فلسطين فى العهد العثمانى وهى معاهدة واضحة تماما ..وقعت فى رفح فى ١٣ من شعبان سنة ١٣٢٤ الموافق اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ (بين مندوبى الدولة العلية ومندوبى الخديوية الجليلة المصرية بشان تعيين « خط فاصل ادارى » بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس ، وبين شبه جزيرة طور سيناء » ..

والمقصود بولاية الحجاز ارض الحجاز التى كانت تابعة للدولة العثمانية ، اما متصرفية القدس فان المقصود بها فلسطين .ومن المفيد فى ظروفنا الراهنة ان نعيد قراءة نصوص هذه المعاهدة التاريخية الهامة ..

المادة الاولى

يبدا الخط الفاصل الادارى كما هو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية من نقطة راس طابا الكائنة على الساحل الغربى لخليج العقبة ويمتد الى قمة جبل فورت مارا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادى طابا من الشرق . ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الاتية :

من جبل فورت الى نقطة لا تتجاوز مائتى متر الى الشرق من جبل فتحى باشا « القمة فى مصر » ومنها الى النقطة الحادثة من تلاقى امتداد هذا الخط بالعمود « ٩٠ درجة مئوية » المقام من نقطة على بعد مائتى متر من قمة جبل فتحى باشا على الخط الذى يربط مركز القمة بنقطة المفرق « المفرق هو ملتقى طريق غزة الى العقبة بطريق نخل الى العقبة » . ومن نقطة التلاقى المذكورة الى التل الذى الى الشرق من مكان ماء يعرف بثميلة الردادى مطلا على تلك الثميلة « بحيث تبقى الثميلة اى الماء غربى الخط » . ومن هناك الى قمة راس الردادى المدلول عليها بالخريطة المذكورة اعلاه بنقطة A3 ومن هناك الى قمة جبل الصفرا المدلول عليه بنقطة A4 ومن هناك الى القمة الشرقية لجبل ام قف المدلول عليها بنقطة A5 . ومن هناك الى نقطة مدلول عليها برقم A7 الى الشمال من ثميلة سويلمة . ومنها الى نقطة مدلول عليها برقم A8 الى غرب الشمال الغربى من جبل سماوى . ومن هناك الى قمة التل الذى الى غرب الشمال الغربى من بئر المغارة « وهو بئر فى الفرع الشمالى من وادى مابين بحيث يكون البئر شرقى الخط الفاصل » .

ومن هناك الى النقطة A9 ـ ومنها الى نقطة مكرر غربى A9 جبل المقراه ومن هناك الى راس العين المدلول عليه برقم A10 مكرر . ومن هناك الى نقطة على جبل أم حواويط المدلول عليها برقم A11 ، ومن هناك الى هناك الى نقطة تقع فى منتصف المسافة بين عمودين قائمين تحت شجرة على مسافة « ٣٩٠ » ثلاثماية وتسعين مترا الى الجنوب الغربى من بئر رفح والمدلول عليها برقم A13 ومن هناك فى خط مستقيم الى نقطة على التلال الرملية فى اتجاه « ٢٨٠ درجة مئوية » مائتين وثمانين درجة من الشمال المغناطيسى « اعنى ٨٠ درجة مئوية الى الغرب » وعلى مسافة اربعماية وعشرين مترا فى خط مستقيم من العمودين المذكورين . ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيما باتجاه « ٣٣٤ درجة مئوية » ثلاثمايةواربع وثلاثين درجة من الشمال المغناطيسى « اعنى ٢٦ درجة مئوية الى الغرب » الى شاطىء البحر المتوسط مارا بتل خرائب على ساحل البحـــر .

المادة الثانية

تم رسم الخط الفاصل المذكوربالمـادة الاولى بخـط اسـود متقطع فى نسختى الخريطة المرفقة بهذه الاتفاقية والتى يوقع عليها الفريقان ويتبادلانها بنفس الوقت الذى يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلانها .

المادة الثالثة

تقام اعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التى على ساحل البحر المتوسط الى النقطة التى على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عمود منها يمكن رؤيته من العمود الذى يليه ، وذلك بحضور مندوبى الفريقين .

المادة الرابعة

يحافظ على اعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية .

المادة الخامسة

اذا اقتضى فى المستقبل تجديد هذه الاعمدة او الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوبا لهـذه الغاية وتطبق مواقع العمد التى تزاد على الخط الفاصل فى الخريطة .

المادة السادسة

جميع القبائل القاطنة فى كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالميـاه حسب سابق عاداتها اى ان القديم يبقى على قدمه فيما تعلق



« طابا »

بحقوقها القديمة والسابقة على رسم الحد . وتعطى التأمينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والعشائر وكذلك سينتفع العساكر الشاهانية وافراد الاهالى والجندرمة بالمياه التى بقيت غرب الخط الفاصل .

المادة السابعة

لايسمح للعساكر التركية والجندرمة بالمرور غربى الخط الفاصل وهم مسلحون .

المادة الثامنة

يبقى أهالى وعربان الجهتين على ما كانوا عليه قبلا من حيث ملكية المياه والحقول والاراضى فى الجهتين كما هو متعارف بينهم

ملاحظات

١ ـ الحد محدد بعدد ٩١ عمودا . العمود على شكل هرم ناقص قاعدته متر مربع وارتفاعه من متر الى مترين ونصف ، وسطح رأسه ٣٠ × ٣٠ سم وتغرز فى راس العمود فلنكات حديد ـ والعمود الاول عند تل خرائب ورقم ٩١ « الاخير » عند رأس طابا

٢ ـ خط حدود مصر / اسرائيل يبدأ من عند خط عرض ١٦ ، ٢٩ ، ٢٩ شمالا عند رأس طابا على الساحل الغربى لخليج العقبة ـ وينتهى عند خط عرض ٤٩ر٩ ، ١٧ ، ٣١ شمالا حيث عمودا الحدود عند رفح على ساحل البحر المتوسط ويسير خط الحدود الشرقى لمصر تقريبا مع خط طول ٣٤ شرقا . فنقطة بداته عند طابا عند خط طول ٩ ، ٥٥ ، ٣٤ شرقا ـ وينتهى عند خط طول ٢٠ ، ١٤ ، ٣٤ شرقا .

أين المهرب

فنان المسرح : عبد الوارث عسر



بات الأحبـــة هانئين بنومهـــم ... بعدى .. وبت على الغضا أتقلبُ
وسقيتهم دمعى حـــلالا سائغا ... وشربت من هجرانهم ما أشرب
يتخطرون على الرياض تـــدللا ... كالطير تعبث بالغصـون وتلعـب
ويسحبون الذيل فـــوق مدامع ... حرّى على آثارهم تتصـــببّ
فى العين منهم جنـــة ريانة ... وعلى الفــؤاد جهنم تتلهـــب
ناشدتهم سقمى وسقم جفونهم ... عطفا علىّ .. فأعرضوا وتجنبوا!
.. النـار فى قلبى وفى وجناتهم ... وعلى الفراش .. فأين أين المهرب ؟

المُسَفَّرُ

قصة قصيرة .. إبراهيم عبد الحميد

الاجابة :

لا يعرف لماذا حاول ان يفهم معنى الكلمة . فى المكتب الرئيسى لخدمة القطارات ، ناداه البعض « بالمتسفر » . والاخرون « بالمسفر » .. واخبروه انه محظوظ فاجر ليلة السفر بليلتى عمل . وسرعان ما اصبح بلا وطن .

سفروه فوق قطار ليعود فوق قطار . الى الشمال والجنوب . والغرب والشرق . صار معلقا فوق القطارات لايمضى فى بلدة اومدينة اكثر من ليلة واحدة . بين البلاد والمدن حقول ورمال . بين الحقول والرمال بلاد ومدن !

حراسة :

فوق سطح عربة عالية فى منتصف القطار كان يجلس متلفعا بعباءة من الصوف الخشن الرخيص ويكبس « الطاقية » فوق راسه يغطى اذنيه . انه يستطيع القفز من عربة الى اخرى عكس اتجاه القطار بسهولة فى اتجاه القطار يحتاج الامر الى جراة لا يملكها . اذا قفز عكس اتجاه القطار الذن يستطيع العودة . المنتصف افضل نقطة يكشف منها اللصوص فلن يبرحها . واذا جاءوا من الخلف فليقفز اليهم حتى وان لم يستطع العودة بعد ذلك . آه .. ماذا يحدث لو هاجموا القطار من الامام .. السلاح الوحيد مع الشرطى الذى لا يبرح السبنسة آخر العربات ! .

الاحجار :

اعظم القطارات هى التى تحمل العتاد العسكرى . ملأى بالجنود يتسامرون معه . ليس بها « السبنسة » ولا شرطى لا يراه . ولانه لم يخلق اللص الذى يسرق دبابة او مدفعا من فوق قطار ! ، فهو يستطيع ان يضحك ويغمض عينيه .

قطارات التلال والاقطان والقصب خوف . قبل ان يصعد فوقها يجمع كمية كبيرة من الاحجار .. يقول « لكل لص بحجر » .

المُسَفَّرُ

مرت سنون ازدادت فيها القطارات الحربية ، فلم يكف عن الضحك والسمر مع الجنود . لم يهاجم القطارات الاخرى اى لص، لكنه ظل يجمع الاحجار !

اعوام الصيف والشتاء :

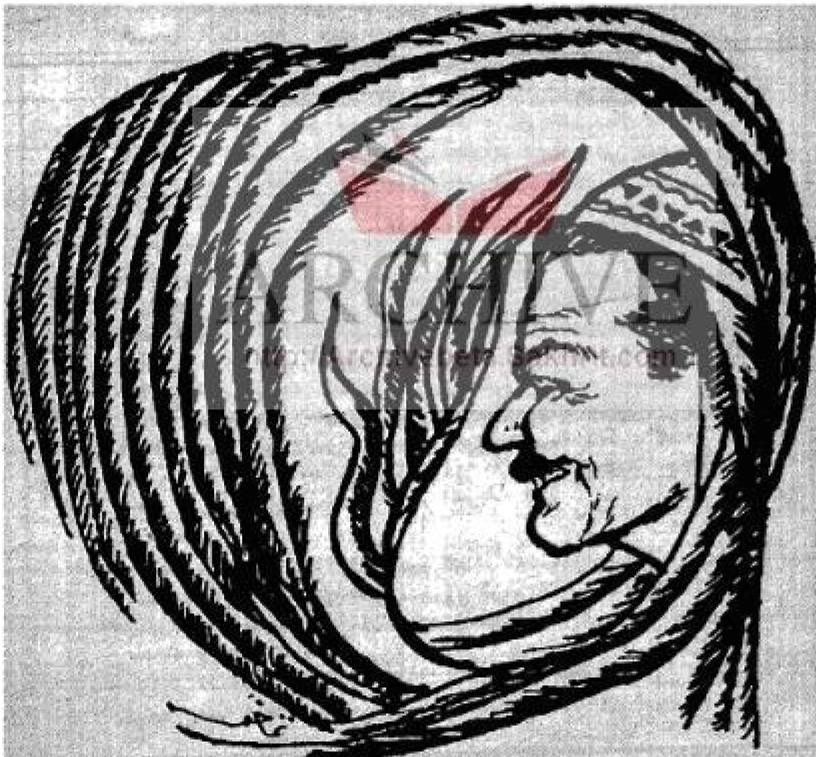
فى الصيف خلف القطار القمر .. كل منهما يجرى فى اتجاه ، لكن يبدو دائما كانهما يتحركان.....او كان الارض تحملهما وتسير بهما معا ! .

يطلع النهار فجاة ينتهى السباق .. كثيرا ما يتمدد منتشيا حين يرى القمر يختفى من ناحية والشمس تبزغ من ناحية . ان احدا لم يرهما معا مثله . لكن الشمس تصعد بسرعة وتقف فوق القطار الذى يظل يحملها فوق راسه هوا .

فى الشتاء يختفى قمر الليل ولا تحب الشمس النهار !

حلم .

ذات ليلة وقفت امراة جميلة على حافة العربة الاخيرة . لم يكن



قد ذكر من قبل في النســاء . وجهها كان شمس ليل وعينــاها قمرين ، قفز العربات التي تفصله عنها بسهولة فلم يصل اليها . انتقلت الى اول عربات القطار . عاد قافزا في اتجــاه السفر . بسهولة تم ذلك ايضا فلم يندهش وهو الذى ظنه صعبا دائما . ولم يصلها ! . عاد الى المتصف وجلس .. طالت ليلة الصيف . ظل قمرها يضحكه . ظلت المراة تطير فــوق القرى والمدن والمحطات الوحيدة . ولم تكن قاســية . يقف القطار فتتركه يجرى وراءها في الاسواق!

تذكر انه لم يتحدث مع الشرطى قط . انه حين يقف القطار يختفي ولا يراه الا عند السفر . ســاله اين يذهب . كان يود ان يصاحبه .. قال الشرطى انه متزوج وله في كل قرية امراة وفي كل مدينة اطفال !

امنية :

هل يمكن ان يتمنى احد شيئا عشرين عاما ؟ . انه منذ صــعد القطار اول مرة وسمع صــوت عجلاته وهى تطوى الفضاء وهــو يفكر ان يحصى العوارض التي تمتد فوقها القضبان . كان يعرف ان ذلك سهل ولا يكلفه غير النظر من بين عربتين الى اسفل ! . الان وقد صار عجوزا يفعله . ينام فوق بطنه لا يبرز من حافة العربة غير راسه .. في كل مرة تهرب العوارض من تحت عينيه . القطار اللعين الذى يفر الى الامام يركل العوارض بسرعة جنونية الى الخلف .

يعتدل جالسا ضاحكا غير مصدق ان الامر محال . يضحك وحــده في الفضاء الابيض . يدرك كم هو احمق . فليس هناك غير عارضــة واحدة تتكرر . لو كانت هنــا لاغيرها تجرى الى الخلف لكان هناك لا مسافرون . كثيرون يجرون الى الامام . والحقيقة انه واحد فقط

لم ير في مصلحة الســكة الحديد « مســافرا » غيره . ولا شرطيا غير الذى في « السبنســة » .. لا قمرا غير الذى في السماء ذات النجوم ولا شمسا غير التي فوق القطار . اما المحطات الكثيرة والقرى والمدن والجنــود الذين يرافقون العتاد العسكرى فهم مثل الحقول والرمال واعمدة اسلاك التليفونات ، يقترب منها فتبتعد . للكون اركان اربعة حقا وفارغة !. والقطار الذى يجلس فوقــه الان مثل مقعد صغير في غرفة خالية . فالانسان لا يستطيع ان يمضى عمره واقفا ! .



الحكايات :

صار يقول للجنود انه راى كــل الحروب . يضحكون ويتجهمون . حدثهم كثيرا عن القنــابل التي سقطت فوق القطار ولم تصبه . عن نفسه كيف صوب حجرا مرة الى طائرة ولم يصبها ! . يضحكون ويتجهمون . في المحطات الاخيرة كان يمضى الليل مع رجال يتغيرون .. لكنهم دائما صامتون ولان لديه ذاكرة قوية ، وحــكايات غريبة ، كانوا يسمعونه . لكنه حين يقول ان قمــر زمانهم هذا شــمس ، وشمس زمانهم هذا قمر ، لا يصدقونه!



يسألونك عن:

الحب

د. نظمى لوقا



خداع الألفاظ المعبرة عن مشاعر البشر

قال لي صاحبي :

ــ ما أشد ما تضلل اللغة الانسان .

فارتفع حاجباى قليلا ، وقلت له :

ــ وكيف يمكن هذا ، واللغة وسيلته الكبرى للتفاهم مع الناس ؟

فقاطعني صاحبي مستدركا :

ــ ومع نفسه أيضا ! فنحن منذ طفولتنا نصوغ أفكارنا في قوالب لفظية ، هي الكلمات والتعبيرات اللغوية .. ومن فرط ألفتنا لهذه الكلمات نستخدمها بديلا عن الأفكار ... ومن هنا تضللنا اللغة حين نفكر خالين الى أنفسنا ، وتضللنا حين نتفاهم مع غيرنا من الناس ، نعني بالكلمة مدلولا معينا ، وقد يفهم عنا من نخاطبه مدلولا آخر ، فتحدث لنا البلبلة في العالمين .. فما أشبهنا عندئذ بما يروى عن بناة برج بابل ، الذين تبلبلت ألسنتهم وأفهامهم ، فلم يعد يفقه الواحد منهم عن الآخر شيئا ...

فقلت له :

ــ ما أراك الا مبالغا ، فما أيسر ما يتفاهم الناس في معظم الاحيان ، ولو صح ما تقول يا صاحبي لما انتظمت شئون الحياة ولتوقف مسار الاعمال ... والحال كما ترى ليس كذلك ...

ــ ما تراه من انتظام التفاهم غالبا في شئون العمل والنشاط الاجتماعي مرجعه الى ان هذه الامور مرتبطة بمفاهيم محددة ليس فيها لبس . وانما هي أوامر ونواه وقواعد محددة ، لا محل فيها للضلال ، الا عند من يجنحون الى المغالطة لهوى في أنفسهم . أما الذي أقصده أنا من ضلال اللغة وألفاظها فبعيد عن مجال العمل والنشاط المحدد الذي لا يختلف فيه اثنان . ما أعنيه أنا هو ما يتعلق بمشاعر الناس وعواطفهم . فمتى تركت النشاط العملي جانبا ، وولجت نطاق المشاعر والعواطف ، وجدت نفسك في بحر لجي لا يسبر له غور ، ولا تكاد تصل فيه الى شاطىء مأمون . ولذا تجد العلماء يتجنبون كل ما هو ذاتي في صياغة قوانينهم ، حتى أنهم يصوغونها ــ حرصا منهم على البعد عن اللبس ــ في معادلات رياضية قدر الامكان ، ذلك انهم يعرفون من خبرتهم بأنفسهم وبالناس أن المشاعر الذاتية وما يتصل بها من التعبيرات والالفاظ مطية التيه ومنزلق الضلالة واللبس .

ــ كأني بك تريد أن تلغي من حياة الناس وتعبيراتهم كل ما يتصل بالمشاعر الذاتية ، لتكون تعبيراتهم كلها أشبه بمعادلات الرياضة ... ولعلك تذهب أيضا الى ما ذهب اليه بعض كتابنا منذ نصف قرن حينما دعوا الناس الى استخدام اللغة التلغرافية ليتخلصوا من النزعة البلاغية ...

ــ ما أراك أدركت مرادي . فالدعوة الى اللغة التلغرافية قد تلغي البلاغة



يسألونك عن
الحب

الدينية ، أو تقلل منها ، ولكنها لا يمكن أن تلغى التعبيرات الذاتية أو العاطفية. فما أكثر مانستخدم البرقيات للتعبير عن التهنئة أو التعزية ، وكلاهما عاطفة ذاتية ... ثم ان لغة العلم لها أيضا بلاغتها ، وبلاغتها هى الالتزام بالتعبير ادق التعبير وأوجزه عن موضوع الكلام ، وهو في العلم ظاهرة موضوعية لا محل فيها للمشاعر الذاتية . وليس مرادى الغاء المجال الذاتي او الوجدانى من حياة الناس ، فما الى هذا من سبيل . ولو وجدنا اليه سبيلا ما اقدمنا عليه ، لان المشاعر الوجدانية جانب جوهرى من حياة البشر ..

— ما مرادك اذن ؟

— مرادى أن اتحدث عما يبتلى به الناس من اللبس وهم يعبرون بالفاظ اللغة عن مشاعرهم ، فاذا اللفظ الواحد يعنى احيانا الوانا شتى من المعانى او المدلولات ، يفهم كل واحد من الناس مدلولا منها غير الذى يفهمه الاخر ... ومن ها هنا ياتى الضلال وتطرأ البلبلة .

— أكاد ألمح في هذا الاتجاه شيئا شبيها بدعوة سقراط الى تحديد معانى الالفاظ ، حتى لا تختلط الافكار ...

فابتسم صاحبى وقال :

— هو شيء من ذلك فعلا . فبعد الفين ونصف من السنين لم يزل الناس بحاجة الى مراجعة دقيقة لمدلولات الفاظهم. اجل ان سقراط أثمرت دعوته في مجال العلم والمنطق ، والمجال المعرفى بعامة . الا إن المجال الوجدانى لم يزل تعبيرنا عنه في المرحلة التي لك ان تسميها مرحلة ماقبل سقراط .

فقلت له مداعبا :

— مادمت تريد أن تكون « سقراط الجديد » ، فهلا نسجت على منواله فتتبسط في الحوار ، كى تنزل — كمانزل — بالفلسفة من السماء الى الارض ؟

— ليكن لك ما تريد ايها الصديق .. واترك لك اختيار النموذج الذى تريد ان يدور حوله الحوار ..

فقلت له :

— ما رايك ان يكون حديثنا هذه المرة من شيء يكثر الناس من التعلق به والخوض فيه ، وليس مثله شيء يدير الرءوس وتهش له النفوس ..

فقال على الفور :

— اخالك تعنى « الحب » .. فما مثله شيء تدور حوله عواطف البشر ومشاعرهم .. وهومن وراء معظمماينشطون له في حياتهم ...

فقلت وانا اومىء :

— الحب هو ما عنيت فعلا ، وانا على نقيض مذهبك ، اراه موضع اتفاق بين الناس في الدلالة والمفهوم . فليس ابسط ولا اوضح ولا ادنى للاحساس من ذلك الشعور الذى تسميه الحب .

فابتسم صاحبى ابتسامة اقرب الى السخرية وقال :

— سترى ! .. ان لكلمة « الحب » يا صديقى شانا عجيبا ، ولعلها من أكثر الفاظ اللغة تاييدا لى فيما ذهبت اليه من خداع الالفاظ المعبرة عن مشاعر البشر ، بحيث تؤدى الوانا من المعانى



يناقض بعضها بعضا ... اليك مثلا ما يلوكه الفتى من كلمات الحب لفتاة اهتز لها احساسه ...

ـ واى تناقض تراه فى ذلك الاحساس؟

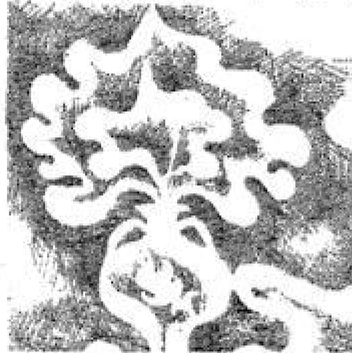
ـ على رسلك . انه فى بعض الاحيان تعبير ليس وراءه الا ما وراء قول احد الناس « كم احب الشواء . او الكشرى. أو البطاطا ! » فكلمة احبك أو « اموت فى حبك » لا تدل حينئذ الا على الرغبة او الاشتهاء . وهذا يا صديقى هو الحب الاستهلاكى ... وما أبعد الفرق بينه وبين الوجد والهيام . وقديما كان هناك شاعر عاشق لحبيبة حسناء اسمها « دعد » ، قال فيها بدافع الوجد :

لهفى على دعد ماحييت ! وان امت
فيالهف قلبى : من يهيم بها بعدى ؟!

فلما قرأ أحد الخلفاء ذلك البيت لم يرقه ، وغير فيه وبدل ، فجعل البيت هكذا :

لهفى على دعد ماحييت ! وان امت
فلا صلحت دعد لذى حاجة بعدى !

ارايت كيف تباعد الحبان ، مع ان موضوعهما واحد لم يتغير ، هو الآنسة



« دعد » فالشاعر لا يتصورها الا مثار وجد وهيام ، فان مات هو فشغله الشاغل من ذا يهيم بها ويعبدها بعده ! اما ذلك الخليفة المنهوم النرجسى ، فلا يرى فيها الا « أداة » يقضى بها حاجته البيولوجية ، فان مات هو فكل ما يتمناه الا يتمتع احد بقضاء حاجته او لبانته او وطره منها ، كأن تصاب دعد بالعمى او البرص أو اى داء يجعلها غير صالحة للاستعمال !

ـ اعوذ بالله !

ـ وقد يوجد احيانا امثال هذا الشاعر المتيم ، الذى يسمى هيامه حبا ، ولكن ما اكثر ما يوجد امثال ذلك الخليفة الذى لا يهيم الا بنفسه وبحواسه ! .. ولئن كان العاشق المتيم يعبر بالحب عن العبادة والروعة بالجمال ، فذلك المفتون بلذة الحس او وظيفة الجنس يعبر بالحب عن « تشييء » موضوع حبه ، فلا يرى فيها « الانسان » الذى هو غاية فى ذاته ، بل « الأداة » التى لا قيمة لها فى ذاتها ، وانما هى « مطية » للذة ، وقضاء الحاجة ! وصدقنى ايها الصديق ان امثال هذا الخليفة الاموى ما اكثرهم بين من نلقاهم ونعاشرهم ! .. ابعد هذه المفارقة ايها الصديق تقر أن يسمى كل من هذين الشعورين باسم واحد ، هو الحب ؟

ولم ازد على أن هرشت راسى بطرف اصبعى ، واستطرد صاحبى :

ـ هانت ترى ان الهيام غير الاشتهاء الحسى ، الذى لا يفعل الجمال به الافعل التوابل والافاويه التى تستثير شهوة المنهوم للطعام . اما المتيم فيقع منه الجمال موقع الروعة التى تملك عليه آفاق نفسه ، فيحب شخص المحبوب لانه هو هو بالذات ، لا لانه من المشهيات

يسألونك عن الحب

والمقبلات ، التي تغني فيهـا امراة عن امراة ، كانه من عملاء النخاسين في سوق الجواري ... فما ابعده عن الحب ، وان توهم ان ما به هو الحب . فالحب يحصر المشاعر في شخص بعينه ، لا بما هو اداة ومطية للذة ، بل بما هو معراج الروح الى افق من الحياة اعلى من افق الحس الشائع !

فضحكت وقلت :

— اراك تحولت الى شاعر ! فما قولك في ابن حزم ، وما حفل به كتاب طوق الحمامة من هيامه بالشقراوات ، يستكثر منهن ، ويسهب في اسباب تعلق الحسناوات بالرجل الذي يعرف كيف يرضيهن في الفراش ؟

فقطب صاحبي جبينه وقال :

— هاك اذن مثال بارز لخداع النفس التي تسمي فتنة الحواس بذلك «التشبيء» للمراة باسم الحب ، وهو من قبيـل ما يتشدق به غلمان الطريق لاي غادية او رائحة تحـرك كوامن جسده المراهق . يتشدق لها بكلمة « احبك » .. ولو نطق الثعلب وهو يتطلع الى حظيرة الدجـاج لقال لكل دجاجة « احبك » وهو لا يعني في الحقيقة الا افتراسها .

— احسبك تريد أن تقول ان دافع الحب هنا هو « الانانية » ... وأن ما يكون عن انانيته فهو ليس حبا ..

— احسب هذا هو الصواب .

فركبني مزاج الشغب ، وقلت له :

— وهل تشك في حب امام من أئمـة العذريين ؟ ألست ترى « جنادة العذري» من كبار المحبين المدلهين بمحبوباتهم ؟

فقال مستريبا :

— ماذا تريد بهذا السؤال ؟ افصـح عما ترمي اليه .

— قرات وانا في مطلع شبابي ابيـات جنادة هذا في حبيبته ، فرايتها تقطر انانية !

— اي ابيات تعني ؟

— قوله : « من حبها أتمنى ان يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينعـاهـا !
كيما اقول : فـراق لا لقــاء له
ويضمر القلب يأسا ثم يسلاها ! »

اترى انانية اشد من هذه ؟ يحبهـا فيتمنى موتها كي يستريح بياسه منها ، والياس احدى الراحتين ؟

فانفرجت اسارير صاحبي وقال :

— اراك نسيت اننا قرانا ابياته هذه معا ! اليس هو القائل في اعقاب ذلك
« ولو تموت لراعتني ! وقلت لهـا يا بئس للموت ! ليت الموت ابقاها ! »

فما ظنك بمن يقول هذا ؟ انه يعبر عن « تأزم » خطير بسبب حبه لها . ذلك الحب الذي يحسه اشد من احتماله ، لا يدري كيف يتخلص من تباريحه ولواعجه فهو حائر بائر ، على شفا الجنــون ! وهذا ما كان حقيقا ان يكشـف لك عن سمة مميزة للحب ، تفرق بينه وبين متعة الحس العارضة ، مهما كانت صارخة .

— ماذا تعني ؟

— اعني ان الحب نقيض المتعــة



الانانية . فالمتعة الحسية المحض استهلاك للمحبوب أو استخدام له ، ما احراه ان يحط من قدره كانسان ، مهما ارتفع به كسلعة أو اداة . اما ذلك الوجد فهو عبء وليس متعة ، يستعبد المحب بطاقة شعورية آسرة ، تخرج كل امره من يده ، كقول أحد تلك الشخوص ، في رواية للشاعر شوقي :

اخرجت امري واختياري من يدي
وتركتني نفسا بغير ملاك !

فهو لا يعرف لنفسه عدلا ولا صرفا ، شأن الكوكب الذى يدور في فلك احدى الشموس ، ولا حيلة له في هذا .. بل لو سنحت له فرصة افتراضية للفكاك من هذا الاسر ما انتهزها ، بل لنفر منها فزعا ، اليس أهل قيس بن الملوح - صاحب ليلى الملقب بالمجنون بها - قد ساقوه الى ساحر كي يطلقه من اسار سحرها ، فصاح :

. . . .

اذا كنت مسحورا فلا بطل السحر
فيارب زدني جوى كل ليلة
ويالوعة الاحباب موعدك الحشر

وهو الذى يعاني من تباريح هذا الحب ما يصوره بقوله :

فلو أن مابي بالحصى فلق الحصى
وبالصخرة الصماء لانصدع الصخر ؟

فهل يمكن أن تسمى هذا الحب انانية او نرجسية ، كذلك الاخر الذى قال « فلا صلحت دعد لذى حاجة بعدى » ؟

فلم يسعنى الا ان اقول :

- بل شتان هذا وذاك . العاشق الحق حبه محنة له ، والاخر حبه متاع الى حين .. وما اشبه العاشق المتيم بحال ذلك الذى قال :

داوني يا طبيب واعرف دوائي
لست ابغي الشفاء كل الشفاء
ان دائي كالسهم انشب في القلب
وكالسم قر في الاحشاء
لشه موجع . واوجع منه
نزعه . والهلاك في الابطاء !

فهو لا يريد ان يتخلص من الحب ، ولا يطيق تباريحه . فاي بلاء هذا ! ..

فابتسم صاحبي وقال لي :

- رويدك ! لا نريد ان يجرفنا الانفعال والاسى لهؤلاء المحبين ، وذو الشوق القديم وان تعزى ، مشوق حين يلقى العاشقينا » ! بل نحن نريد التعرف الى الوان الحب وتمييز بعض الوانه من بعضها الاخر وخليق بنا أن ننظر فيما يقع فيه الناس من الخلط بين الحب والسعادة . فما اكثر من يظنون سعادتهم في الحب ، ولو كانوا محبين حقا لضاقوا بل لصرخوا مستغيثين مما في هذا الحب من اسباب الشقاء والبلاء ! فاخو العشق ماخوذ ملهوب بلبه .

فابتدرته قائلا :

- بل الاولى بنا أن نتساءل لماذا يحرص الناس على الحب ، وفيه مافيه من

يسألونك عن الحب

البلاء ، والاصل في الناس ان يطلبــوا السعادة وينفروا من مداخل الشقاء ..

ـ وهو تساؤل له دواعيه بلا شك . وهو حقيق ان يلج بنا في باب من ابواب النفس البشرية يخفى على الـكثيرين . فالناس يحسبون انهم يطلبون مايسعدهم، مع ان العكس هو الصحيح .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى ان الناس تسمى ماتطلبـه نفوسهم باسم السعادة ، مع انه قد يكون محض ضرورة لا لذة فيها . الست ترى المريض المعذب الذي لا امل في شـفائه يتعلق مع هذا باسباب الحياة ، وهي لا تجلب له الا العذاب ؟

ـ هذا صحيح ..

ـ كذلك الحب ياصاحبي ، تتجمع فيه كل مشاعر الحياة عند المحب ، فيتشبث به ، لانه يشعر ان روحه ستزهق ـ اعنى روحه الحقيقية التي تلخصت فيهامشاعره كلها ـ لو ان ذلك الحــب الذي يكربه زايله الى الابد . فالمحبوبة عنده ليست السعادة بمعنى اللذة والمتعة . بل هي الحياة نفسها ، التي لا طاقة له بزوالها.

فان بك من ليلى غنى وتجـلد
فرب غنى نفس قريب من الفقر

فالحب ليس مطلوبا لانه سعادة ، بل لانه نسمة الحياة نفسها عند المحب .

ـ ان نفسى لتذهب حسرات او تـكاد لهؤلاء المحبين المنكوبين بالحب الحقيقي، ولكنى لا اريد ان يشغلنى هذا عن سـؤال مهم .

ـ وماذاك ؟

ـ ماهى العلاقة بين الحب والجمال؟، اليس الجمال سبب الحب ؟ وهل المحبوبة دائما اجمل الجميلات ؟

فافتر صاحبي عن ابتسامة غامضـة ، وقال :

ـ هذا موضع اخر لاختلاط الامور على الناس ! فالمحب الحقيقي قد يرى انواعا من الجمال تفوق جمال محبوبته ، ولـكنه يرى جمال محبوبته فوقهن بما فيـه من تفرد .

ـ بعنى الحب العمياء ؟

ـ ليس بالضبط . فهناك نوعـان او نهجان من الحب . الحب الانتفاعي او النفعي ، الذي يحب المحبوبة لانها اجمل الجميلات ، والحب الدله المتيم الـذى يرى المحبوبة فوق القبح والجمال ، لانه يحبها هي بالذات ، لانها هي ، لا لانها جميلة . فهو ينزهها عن المقارنة والمضاهاة

ـ عجيب هذا . واحسبه ما عنـاه من قال :

« لست اهواك للجمال وان كان جميلا هذا الحيا اللطيف ! ..
انا اهواك انت انت . فلا شيء سوى انت بالفؤاد يطوف !

ـ هو ذاك فيما اعتقد ..

ـ عظيم . لقد استبان اذن ان الحـب مختلف باختلاف نسيج الناس النفسى . فمنهم من فطرت نفسه على الخشوع للجمال المتفرد والتعبد في محرابه ، ومنهـم المنهوم للذة الحس يسميها حبا . وهـو قلما يفطن للجمال ويهتز له ، شـان ذى البطنة الذى لايكاد يفرق بين الوان الطعام ومذاقه ، ومنهم الذواقة الذي يرى « كل مليحة بمذاق » ، فهو كالفراشة التي





لا تكف عن الرفيف بين الندى والضياء . وهؤلاء هم الغزلون لا المحبون الحقيقيون. هؤلاء قبيل عمر بن ابى ربيعة ، لا «كثير عزة » .. أو مجنون ليلى ، او جنادة العذرى ..

ـ وذلك أن تقول ان الذين يسمون انفسهم محبين هم اما آخذ سالب ، واما ماخوذ سليب .. وكل ميسر لما خلق له .. وليس لى على تفاوت طبائع الناس اعتراض ، بل اعتراضى كله أن يطلق اللفظ الواحد على النقيضين فى الاحساس والسلوك . على المالك وعلى المملوك !

ـ ولكن فى نفسى شيئا من الشك فى هذه القسمة ، فما ارى الحب يخلو من الاستئثار والرغبة فى التملك ..

ـ انما يصدق هذا على الكثرة الغالبة من الناس ، فأكثرهم مطبوعون على الأثرة ولكن لا يخلو الحال من قلة قد تكون نادرة ندرة الكبريت الاحمر ، فطرت على العطاء والايثار ، ولا تجد نفسها الا فى المنح والبذل . اولئك يا صديقى اشبه فى دنيا الحب باهل التصوف . يحبون المحبوب له ، لا لانفسهم ، ولا يجدون السعادة فيما ينالونه مباشرة ، بل من باطن سعادة المحبوب ، ولو كانت سعادته مع غيرهم.

ـ عجبا ! ذلك حب خال من الشهوة،

ـ ألم اقل لك ان امرهم مختلف،وانهم صفوة الصفوة ، ومن مفارقات بنىالانسان ان يطلق لفظ واحد هو « الحب » على ذلك الاحساس ، وعلى ما كان من « ديك الجن » أو « عطيل » من جنون الغيرة وشهوة التملك والاستئثار .

ـ وما المخرج من هذا اللبس ؟ اننا لا نستطيع ان نغير طبائع الناس .

ـ ليتنا نستطيع ! ولكنى امل ان نطلق على كل احساس اسما متميزا لا يختلط مدلوله بغيره ..

ـ أنت اذن ياصاحبى تفضل أن يلقى الفتى فتاة أثارت حواسه فلا يقول لها « احبك » بل يقول لها « اريدك » ! اترى هذا يكون ؟

ـ وانه فى بعض بقاع الارض كائن ، حيث لا يسيغون ان يخدعوا أنفسهم ، فيسمون الاشياء بمسمياتها ...

ـ ولو خلع الناس قناع الخداع ، وصارحوا انفسهم ، وصارح بعضهمبعضا لما كانت اللغة اشبه فى الفاظها بالطعم الذى يضعه الصياد فى الشص ليغرر بالسمكة .

ـ ما اهول ماتسعى اليه من تغيير الناس ، وقد كنت احسبك ترمى الى تغيير الالفاظ ..

ـ وهل الالفاظ الا هياكل الفكر والشعور ؟ فهى لا تتغير ـ هيهات ! ـ الا اذا تغيرت النفوس ، وعدلت الى مصارحة النفس ، وارتفعت عن التغرير والخداع..

ـ انك لتروعنى بهذا الحديث . وانى لفى حاجة الى أن اخلو بنفسى كى أتدبره.

شخصيّات
وراء الأحداث

باباندريو
زوربا الغاضب في حلف الأطلنطي

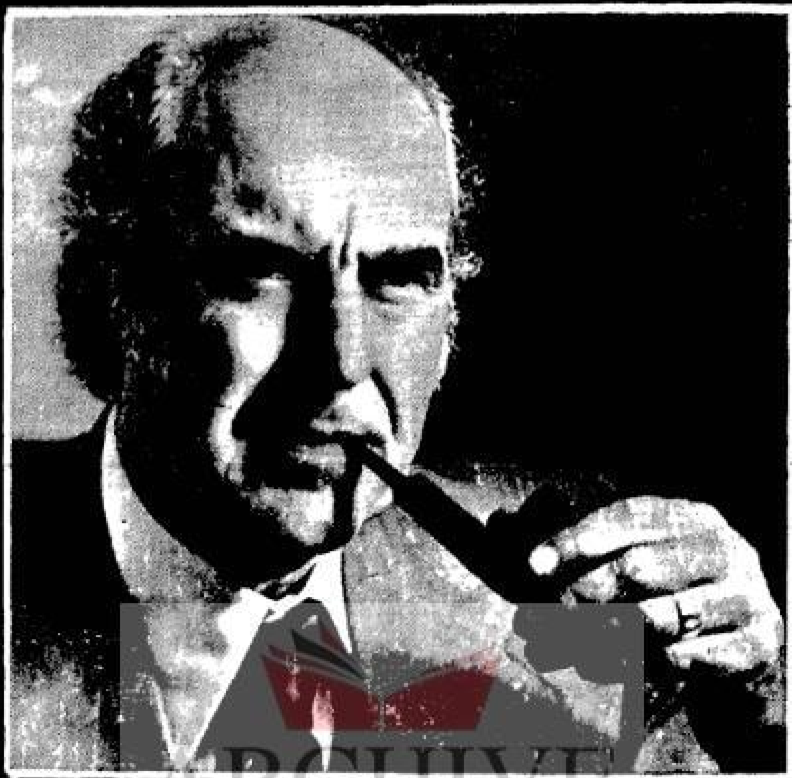
أثينا .. من
محمد سعيد

- البحر الذى يشكو من أعاصير السياسة فى الشرق والغرب
- اليونان لا تتهاون فى سياستها من أجل طموحها الاقتصادى
- معزوفة الهدوء والجوار الطيب فى شرق الأبيض المتوسط

على الرغم من الدخول فى منطقة الربيع الجغرافية ، تظل المساحة المائية المقفلة بين جارتين هما اليونان وتركيا ، منطقة أعاصير ورياح عنيفة تنتمى فى صخبها وضجيجها الى أشد أيام الشتاء ريحا ورعدا . والشتاء الذى يحيط المنطقة المائية المقفلة بين الجارتين هو شتاء الغضب السياسى الذى تهب الآن عوامله الجوية على منطقة بحر ايجه .

وبحر ايجه هو ذلك البحر الشاكى من كثرة الجزر والاخاديد والصخور . والواقع فى الشمال الشرقى من منطقة البحر المتوسط الشرقية ولا يطل عليه سوى تركيا من الشرق واليونان من الغرب ويتصل مباشرة بمياه المتوسط من الجنوب .

وما حول بحر ايجه الذى يشكو من أعاصير السياسة القادمة من اتجاهات الشرق والغرب ، هى أكثر بقاع العالم اليوم تهديدا



باباندريو

باندلاع شرارة مواجهة الليبية ، على الرغم من أن المتغيرات الموضوعية تقول بغير ذلك ، فالطرفان شريكان فى أكثر من مظهر من مظاهر التحالف الغربى ، فهما عضوان فى الجناحين السياسى والعسكرى لحلف الأطلنطى ، وهما طرفان فى السوق الاوربية المشتركة . وهما عنصران من العناصر الاوربية المشاركة فى البرلمان الاوربى .

ورغم كل هذا تهب رياح الغضب قادمة من انقره تواجه الرياح العكسية القادمة من أثينا ... وتتوزع مناطق الضغط المرتفع والضغط المنخفض عند الجارتين وتنتقل مقدمات العواصف السياسية والعسكرية المحتملة الى جزيرة يشترك الخصمان فى صياغة القرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى على ارضها ، وهى الجزيرة التى شاركت ايضا بنصيب اكبر فى صياغة مشاعر التحفز والعداء التى يتربص بها كل طرف

● تنمية ثقافية تنطلق من الحفاظ على المواريث العريقة...

من اطراف الساحل الذى يطل عليه بحر ايجه ، والذى تنتقل منه والى الجزيرةالواقعة فى المتوسط ، سهام الضغط المرتفع والضغط المنخفض التى تشكل هذا التوتر والاضطراب فى احوال السياسة الجوية فى شرق المتوسط

والسؤال الذى يبدو واضح التكوين فى ظل هذا الاضطراب فى الطقس السياسى ، يتمثل فى البحث عن مصدر اثارة هذه المشاكل التى خمدت جذوتها اكثر من ٧ سنوات ثم عادت بوضوح هذا الربيع . ولكن يبدو السؤال اشبه بقوس قزح فى ضباب الغموض الذى يكتنف ضياع واحدة من نغمات التوفيق والاستقرار فى السلم الموسيقى الذى تنطلق منه معزوفة الهدوء والجوار الطيب فى شرق البحر المتوسط .

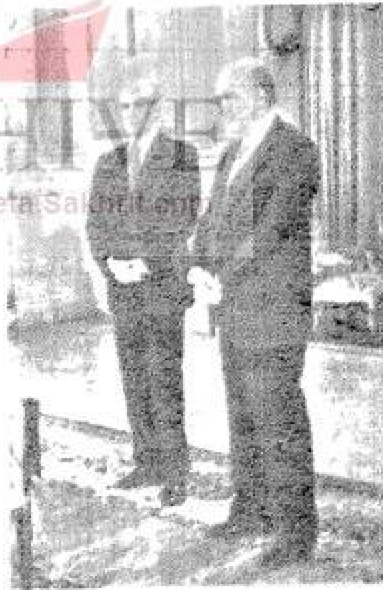
من أيقظ الايقاعات الصاخبة ؟

هذا السؤال ينطلق من اكثر من مكان ... فهو يخرج من عند المصادر التركية .. كما يتردد فى اروقة القرار السياسية الامريكية عبر الاطلنطى بجانب وضوح صداه فى مقار التحالف الغربى فى روما وباريس ولندن وبروكسل ، وايا كان نوع لقاءات التحالف الغربى وهل هى لقاءات عسكرية او سياسية أم اقتصادية .

تبسيط الاجابة يعود بها الى هذا التغيير الذى شهدته اليونان فى بداية الشتاء الذى صاحب نهاية العام الذى مضى ١٩٨١ عندما نجح حزب الحركة الاشتراكية الهلينية « الباسوك » فى أن يصبح اول حكم اشتراكى يحكم اثينا فى التاريخ اليونانى وعقب فوز الحزب بزعامة الدكتور اندرياس باباندريو فى تحقيق الاغلبية التى اتاحت له تشكيل اول وزارة اشتراكية اسماها باباندريو وزارة التغيير .

ووضع باباندريو برنامجه الانتخابى الذى نجح به حزبه فى أن يبعد حزب الاغلبية السابق حزب الديمقراطية الجديد ، عن

الغريمان السابقان كارامنليس و د . باباندريو



مقاعد الحكم ، وفى أن يبعد رئيس وزراء حكومة هذا الحزب جورج راليس الى صفوف الظل وبعيدا حتى عن قيادة المعارضة . صاغ باباندريو هذا البرنامج الانتخابي الذى وضعه فى صورة برنامج لحكومته تقدم به الى البرلمان اليونانى حيث نال ثقة البرلمان برغم معارضة شركاء حزبه فى مجمع التمثيل النيابى وهما حزب الديمقراطية الجديد « اليمين » والحزب الشيوعى « اليسار المتطرف » اذا تصورنا ان حزب « باسوك » الذى اسسه باباندريو هو حزب « يسار الوسط » .



والمتأمل لبرنامج حكومة باباندريو فى كل خطواته السياسية التى تمت فى فترة الشهور الخمسة التى تلت وصوله الى الحكم ، يلاحظ ان الدكتور باباندريو يتعامل مع بحار السياسة بمنطق الربان الذى درس علوم الاقتصاد ولا يفرق فى تعامله مع تيارات ونوات البحر السياسى عن التيارات والاعاصير التى تهب فى البحار الاقتصادية

والتبدل فى مواقف اليونان جاء فى صورة قرار سياسى لكنه فى الاصل كان يحمل مضمونا اقتصاديا .

فى البرلمان الاوربى كان الاعلان عن القرار اليونانى وفى اجتماعات قمة السوق الاوربية المشتركة كان تفسير هذا القرار بأبعاده السياسية والاقتصادية .

وعلى الرغم من ان الايام الحالية لم تعد تنتظر الاراء الدائرة حول احتمال اليونان من المجموعة الاوربية المشتركة فان المنتظر هو اعادة تقييم لسياسة السوق من خلال وجهه النظر اليونانية بخصوص تحقيق مبدأ باباندريو فى تحديد واقع خاص لليونان بشكل يمكنها من الاستمرار داخل المجموعة .. وقد اوضح الدكتور باباندريو اكثر من



مرة انه لايريد من هذا المبدأ اعادة التفاوض حول شروط عضوية اليونان فى السوق الاوربية المشتركة ، كما انه لايريد ان يهجر هذه المجموعة ، لكنه يهدف الى تحقيق عدد من التطورات التى يكون بامكانها ان تحقق لليونان افضل الشروط فى محاولات تحديد اسعار البيع والشراء وفى تخفيف حدة التضخم وفى العمل على تعديل سعر الصرف للعملة اليونانية المتراخيا .

لكن اليونان وهى فى سبيل السعى لتحقيق هذه الطموحات الاقتصادية لاتتهاون فى مواقفها السياسية بل انها تتشدد فى بعضها الى الحد الذى جعل الاوساط السياسية الغربية تدرك ان الحكومة اليونانية فى ظل حكم د. باباندريو لم يضع منها اى وقت من اجل ان تجعل وجودها داخل المجتمعات السياسية الخارجية امرا محسوسا به .

وتتوالى المواقف السياسية التى تعبر من هذا الطموح السياسى بداية من رفض حكومة باباندريو التوقيع على البلاغ الذى صدر عن دول حلف شمال الاطلنطى بشأن الموقف فى بولندا .. ايضا تمكنت اليونان من تأخير عقد الاتفاقية الخاصة بطلب اسبانيا الانضمام الى حلف الاطلنطى « الناتو » واصرت بعد الموافقة على ضم اسبانيا على اعاقة نشر البلاغ الذى صدر فى نهاية اجتماعات وزراء دفاع دول الحلف وهو امر يحدث لاول مرة .. والمعروف ان رئيس الوزراء الدكتور باباندريو هو الذى يشغل منصب وزير الدفاع فى حكومته امتدادا باهتمامه بفلسفة التخلص من قواعد الاطلنطى العسكرية والقواعد التى تؤجرها الولايات المتحدة فى بلاده ورغبة ايضا فى الاقتراب من الجيش الذى خرج منه جنرالات الحكم الفاشى الذى سيطر على اليونان وحكمها من عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٤ .



ميلينا ميركوري . اختارها : وزيرة للثقافة فى اول حكومة اشتراكية يونانية

وفى داخل اجتماعات قمة السوق الاوربية المشتركة تمكنت اليونان من رفض الموافقة على ادانة ليبيا وهو الموقف الذى تتبناه الحكومة الامريكية وتسعى فيه لتجميع مواقف حلفائها الغربيين فى فرض عقوبات سياسية واقتصادية على الجماهيرية الليبية ..

ومثل هذه المواقف المتميزة فى اطار التحالف الغربى تجعلنا نعتقد ان اليونان فى ظل حكومة د. باباندريو لن تكون عاجزة عن المشاركة فى المواقف التى يتبناها شركاؤها فقط بل انها ترى ميزة ايجابية فى اتخاذها لاى موقف يعبر عن وقفة خاصة لليونان تقترب بها من سلوك الدول غير المنحازة .. وقد يرجع هذا السلوك السياسى اليونانى الجديد الى ان الحزب اليونانى الحاكم « باسوك » وصل الى السلطة من خلال ايديولوجية حيادية ، والتزام بانسحاب اليونان من الاجنحة العسكرية للاحلاف الغربية . وتحرير وضع اقتصادى مميز لليونان فى الاسواق الاقتصادية المشتركة .



ومن هنا ولاسباب قومية تبدو فى صفة « الهلينية » التى يتخذها حزب الباسوك رمزا ووصفا له . نجد ان هذه الاسباب القومية والايديولوجية تنتهى باليونان الى السعى من اجل ايجاد هوية خاصة لها فى مجريات السياسة العالمية .

وفى بحث باباندريو وحزبه عن هذه الهوية الخاصة فى البلقان وفى حوض البحر المتوسط كان هذا التفكير الاستراتيجى الذى ميز منهاجه السياسى والذى حرص على تأكيده فى اول لقاء صحفى اتيح لى ان احضره معه عقب نجاحه فى الانتخابات وكان فى قصره الفخم

● باباندريو ... يتعامل مع بحار السياسة بمنطق ربان علوم الاقتصاد



فى ضاحية « كاستدى » خارج مدينة اثينا . فقد اوضح باباندريو أن من أهم قراراته الاستراتيجية ما يتعلق باحياء علاقات اليونان الخاصة مع شريكات اليونان فى البحر المتوسط من البلدان العربية من خلال حرص اليونان على ايقاظ صداقاتها التقليدية القديمة . ومن خلال حرص آخر على ضرورة الحفاظ على اسباب الاستقرار وتعديل موازين القوى فى منطقة البحر المتوسط والشرق الاوسط .

وهذا الاتجاه التفكيرى يبدو متجانسا مع التكوين الفكرى والنفسى لزعيم اليونان الدكتور باباندريو فهو ابن للسياسى اليونانى القديم الذى رحل منذ عدة سنوات جورج باباندريو والذى كان على علاقات وثيقة مع العواصم العربية ومن بينها القاهرة كما كان يحمل شعوراً خاصا بالحب والتقدير تجاه عروس البحر المتوسط مدينة الاسكندرية .. وكان جورج باباندريو والد الزعيم اليونانى د. أندرياس باباندريو من القوى نجوم السياسة اليونانية خلال النصف قرن الاخير ووصل الى مقعد رئيس الوزراء ثلاث مرات كما

● مواقف يونانية متميزة في إطار التحالف الغربي

كان زعيما للمعارضة ٦ مرات كان آخرها منافسته لرئيس جمهورية اليونان قسطنطين كارامنليس في الانتخابات اليونانية في ظل الملكية في الستينات وقبل ان تتحول اليونان الى الجمهورية ويؤسس كارامنليس حزب الديمقراطية الجديدة ثم يترك زعامته ليصبح اول رئيس لاول جمهورية يونانية حديثة .

وعائلة باباندريو عريقة في التعامل مع بحار الاقتصاد ومحيطات السياسة فالجد جورج باباندريو والابن هو رئيس الوزراء الحالي اندرياس باباندريو والحفيد جورج باباندريو خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الذي يعمل بالصحافة محررا اقتصاديا في واحدة من أهم المنابر الصحفية المستقلة في اثينا .

***

والدكتور اندرياش باباندريو محرك رياح التغيير في اتجاه الجزر اليونانية . ينتمي في تفكيره السياسي الى فلسفة تحترم القيم القومية وتنادي بالعودة الى تقاليد الحضارة الهلينية التي شهدت مجد اليونان الديمقراطي القديم كواحدة من أهم الحضارات التي اثرت في تاريخ البشرية .

وايمان باباندريو بهذه المواريث القومية جعله بحرص وهو يختار نجمة السينما الممثلة العالمية ميلينا ميركوري احدث نجوم حزبه وزيرة للثقافة في واحدة من اعرق بلدان العالم امتلاكا للميراث الثقافي، وهو اختيار اكده باباندريو بحرصه على تدعيم البرنامج الثقافي لحكومته والذي اعلنته ميلينا ميركوري ويتضمن في خطوطه العامة ايمانا بحق كل الاحزاب والاتجاهات الرأي والافراد في الحصول على فرصة التعبير المتساوية عن آرائهم من خلال قنوات الاتصال الاعلامية والثقافية والغاء الرقابة على كافة وسائل التعبير الفني . وأن تنطلق التنمية الثقافية من المفهوم الهليني بالحفاظ على المواريث الثقافية اليونانية العريقة .. والايمان بان الثقافة حق للجميع وأن التعبير الثقافي في حرصه على الأصالة اليونانية يجب الا يبتعد عن ملاحقة الاتجاهات الثقافية العالمية الحديثة والقديمة .

وطراز من الرجال من امثال الدكتور باباندريو الذي يمتلك هذه التعادلية الفكرية في مواجهة منطلقات واهداف قد تبدو متضاربة ، مثل حرصه على القومية الهلينية بينما يؤكد على التمسك بالاتصال العالمي والتفاهم الانساني اللامحدود .. هذا الطراز من الرجال ينطلق فكره من خلال مدرسة هامة لها منهاج مميز في التعامل مع الفكر ، تلك المدرسة هي المدرسة الواقعية في التعامل مع النظريات الاقتصادية التي تعتبر الاقتصاد علم الحياة اى العلم الذي يعكس حقائق

الواقع من خلال دالات رقمية واكساب هذه الدالات الرقمية خصوصيات اجتماعية وسياسية وثقافية وفلسفية تساهم مجتمعة في تقديم صورة المجتمع الانسانى المنشود .

ولكي يصبح للدكتور اندرياس باباندريو هذا المنهاج الفكرى اكتسب العديد من الخبرات التى تبدو فى تكوينه التعليمى والثقافى منذ ولد فى اثينا فى عام ١٩١٩ وحتى حصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من جامعة هارفارد فى موضوع النظرية الاقتصادية والاسلوب .

وبعد أن تخطى باباندريو مرحلة التكوين العلمى والثقافى ، بدأ ينشط فى تكوين منهاجه الفكرى الذى اكسبه مرونة انسانية من خلال الخبرات العديدة التى تعرض لها منذ اضطر لمغادرة اليونان اثناء الحرب العالمية الثانية وحتى عاد الى بلاده من الولايات المتحدة التى عمل استاذا للاقتصاد بجامعاتها حتى عام ١٩٦٤ حيث شغل منصب الوزير ثم نجح فى عضوية البرلمان حتى جاء حكم العسكريين فى عام ١٩٦٧ واضطر للعودة الى الولايات المتحدة مع زوجته مرجريت الامريكية الجنسية المجرية الاصل وولديه وابنته . وفى الولايات المتحدة شكل عام ١٩٦٨ حركة التحرير الهلينية التى ساهمت معنويا فى اسقاط الحكم العسكرى فى اليونان وعندما عاد فى عام ١٩٧٤ انشأ حزب الحركة الاشتراكية ثم اختير رئيسا للحزب وزعيما للمعارضة البرلمانية حتى جاءت انتخابات اكتوبر ١٩٨١ واصبح اول رئيس وزراء اشتراكى يحكم اليونان .

والدكتور باباندريو مفكر له مؤلفات عديدة فى العلوم الاجتماعية وفى دراسات الاقتصاد وعلوم الاستراتيجية خاصة فى مجالات التنمية والتقدم والتحليل الاقتصادى ، وهو يكتب باللغتين اليونانية والانجليزية واعماله مترجمة الى اللغات الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والالمانية والمجرية وأيضا اللغة العربية .

ومن اشهر مؤلفاته «اليونان لليونانيين» الذى صدر فى عام ١٩٧٦ .. « نحو مجتمع انسانى » صدر عام ١٩٧٧ .. « اشتراكية البحر المتوسط » وصدر عام ١٩٧٨ .. « النظرية الاقتصادية وتحقيق الوفورات الاقتصادية » وصدر عام ١٩٧٩ ..

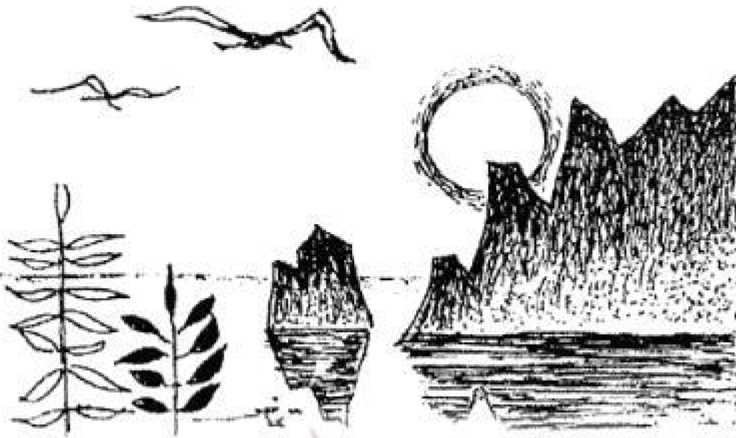
ان البحث عن منابع التدفق فى القرارات والافعال السياسية التى تخرج عن الحكومة اليونانية فى ظل حكومة د. باباندريو يجب ان يبدأ من خلال دراسة منهاجه الفكرى ثم مراجعة خبراته وتجاربه السياسية والعلمية فى مجالات التطبيق والممارسة.

ورجل من طراز د. باباندريو يمتلك المنهاج الفكرى والفلسفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بجانب تمرسه فى العمل السياسى والحزبى .. هو هذا الرجل من ذلك الطراز الذى يحرك التيارات الساكنة ويبدل فى مناطق الجذب والشد من مناطق الضغط المرتفع الى مثيلاتها من مناطق الضغط المرتفع . وهو فى تحديه واصراره مثل مثيله اليونانى « زوربا » الشخصية الاسطورية التى ابدعها اديب اليونان الكبير كازانتكيس.

ومن هذه النقطة يجب ان يبدأ فهم صانع القرار السياسى فى منطقة تبدو الآن فى بؤرة الشعور بالاهتمام بمجريات الاحداث السياسية فى العالم .. ومن هذا الفعل تبدو الخطوات المحتملة وردود الافعال القادمة التى تحرك الرياح فى اتجاه بحر ايجه ..

إليها من بعيد

شعر : محمد حليم غالى



عبير ما بينى .. وبين الصدفة
آهة الجرح .. وشكوى لوعتى
عاصف لا تنتهى أهواله
ملء ليلى .. وحنايا مهجتى
رفرف الطيف بقلبى مثلما
يلتقى الطير بظل الدوحة
كلما قلت عسانا نلتقى
يسخر الليل لتلك الفكرة
مثلما كانت ليالينا هنا
نتملى العمر .. مثل الجنة
يهمس العطر الينا كلما
رفرفت أرواحنا فى القبلة
والعبير الهامس الوسنان فى
همسات الشوق وشى ليلتى
فى غد نرجع للعش الذى
قد بنيناه معا فى الربوة

المجلس الأعلى للثقافة
قطاع المسرح يقدم:

المسرح الحديث يقدم على مسرح السلام بالقصر العيني	**بلا أقنعة** تأليف: فتحية العسال — إخراج: عادل هاشم
مسرح العرائس يقدم	**بطولة العلافة في بلاد الأقزام** إعداد وإخراج: أحمد رأفت بهجت
حاليا على مسرح محمد فريد بعماد الدين	**روض الفرج** تأليف: د. سمير سرحان — إخراج: كرم مطاوع
مسرح الطليعة قاعة ٧٩ يقدم	**ولادة متعسرة** تأليف وإخراج: رأفت الدويري
مسرح الأطفال على مسرح متروبول يقدم	**الطيب والشرير** تأليف: كامل أيوب — إخراج: جلال عبد القادر
قريبا	**فرقة مسرح الشباب** إخراج: رشاد عثمان
قريبا	**فرقة المسرح المتجول بأحياء القاهرة والمحافظات** إخراج: عبد الغفار عودة

يوميا ٩ مساء والجمعة ماتينيه ٦,٥ مساء

كتاب يقرؤه الازواج والزوجات

مشاكل الحياة الزوجية

وتأثيرها فى حياة الزوج والزوجة

تاليف : دكتور ايشنلاوب
عرض وتحليل : جورج عزيز





● «الحب أعمى».. كلام لاتسانده الحقائق والتجارب

● حب الشيوخ يكون عنيفاً في كثير من الأحيان..!

● العاجز عن الشعور بالصداقة لاينجح في حياته الزوجية

كل انسان منا يفكر اولا وقبل كل شيء في التقدم في معترك الحياة .. والتقدم معناه تذليل الصعاب والعقبات والكسب ، والحصول على وظيفة او مركز افضل والاقامة في بيت يتوافر فيه مزيد من وسائل الراحة والاستمتاع بالاجازات الاسبوعية والسنوية .

ولكن للحياة جوانب متعددة ، وهي لايمكن ان تكون مقصورة على الجرى وراء المكاسب المادية ، اذ ينبغي الا تكون هذه المكاسب نهاية لكل الوجود الانساني

الكماليات ليست كل شيء

ولاشك ان الكماليات في الحياة من الامور المرغوب فيها ولكنها ليست ضرورية . اما الامر الاساسي فهو الحياة البيتية .. الحياة العائلية التي تعد اقوى اساس يستطيع الشاب الطموح ان يبني عليه مستقبلا موفقا في مضمار العمل .

ومن المحقق ان الحياة العائلية هي التي تشكل الطريقة التي يؤدي بها المرء عمله .. انها تحدد الاسلوب الذي يعالج به المشكلات التي تصادفه ، وتستطيع ان تجعله سعيدا او بائسا ، موفقا في التعامل مع رئيسه وزملائه او فاشلا .

اننا نعرف جميعا الموظف او العامل المتوتر النفس الذي يصل الى عمله في الصباح وقد تجلت امارات الغضب على وجهه .. ان بعض زملائه قد يقول عنه « لا عجب في مسلكه ما دامت زوجته معروفة بانها خميرة عكننة »

وقد يكون هذا الموظف معذورا ، ولكن من واجبه ـ اذا كان يعرف كيف يحسن التصرف ـ ان يحول دون ان تكون حياته الزوجية الفاشلة سببا في فقده عمله

الرجل الناجح

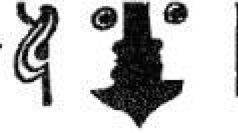
وغني عن الذكر ان الرجل الناجح هو الذي يعرف كيف يعايش والديه واقاربه ، واصدقاءه ، وجيرانه ، وكل من يتصل به .. ولا سيما زوجته .

ولكن الزواج ليس امرا هينا يسيرا ، فالشاب قد يميل الى الاعتقاد بان الزواج واختيار الزوجة مسألة شخصية لاصلة لها بعمله . غير ان الحقيقة هي ان اختيار الزوجة قد يكون امرا غاية في الاهمية اذا كان الشاب يتطلع الى التقدم والنجاح في العمل ، ذلك ان الزوجة في عصرنا هذا تقوم بدور تتزايد اهميته في الجانب الاجتماعي للوظيفة التي يشغلها زوجها .

ولهذا السبب يحرص المسئولون في كثير من المؤسسات والشركات في البلاد المتقدمة على معرفة كل مايمكن معرفته عن زوجة طالب الوظيفة حتى يتأكدوا من ان حياته الزوجية هانئة ومن ثم فهو يستطيع القيام بعمله على اتم وجه ممكن .

الخلط بين العاطفة والحب

ومن اليسير جدا ان يخلط الانسان بين العاطفة والحب الحقيقي ، ومع ذلك فان الحب في مرحلته الاولى لايخرج في كثير من الاحيان عن نطاق العاطفة ، وكثيرا مايخدع الانسان نفسه ثم يخدع الطرف الاخر كما



مشاكل الحياة الزوجية

وتأثيرها في حياة الزوج والزوجة

يقول اوسكار وايلد ، عندما يكون الحب في مرحلته العاطفية الاولى ، ذلك ان الطبيعة تحدث في اغلب الاحيان نوعا من العمى ، ومن المحقق ان عبارة « الحب اعمى » تستند الى الحقائق والتجارب ، لا الى مجرد التفكير النظرى . وهذه هى الطريقة التى تصطنعها الطبيعة لكي تتأكد من بقاء الجنس البشرى على وجه الارض .

الحب عند الشيوخ

والعاطفة ليست مقصورة على الشباب ، بل تتعداه الى الرجولة بل والى الشيخوخة . وقد دلت التجارب على أن حب الشيوخ يكون عنيفا جارفا في كثير من الاحايين .. وفي هذا يقول برناردشو « مثل الحب كمثل مرض الحصبة ، فهو يضحى خطرا جدا اذا جاء في سن متاخرة » .

على انه ينبغى علينا أن نلاحظ امرا على اعظم جانب من الاهمية في هذا الصدد وهو ان عاطفة الحب قد تكون ستارا يخفي جاذبية جنسية ، ذلك ان الطبيعة تجنح على الدوام الى اخفاء الجاذبية الجنسية ، ولاسيما بالنسبة للاشخاص ذوى الميول العاطفية ، والخيال الخصب ، والافكار المجنحة السرابية .

الحب والجاذبية الجنسية

ومرة اخرى نقول هنا بكل صراحة وجراة ان الكثرة الغالبة من الاشخاص الذين يترددون على عيادات الاطباء النفسيين يفعلون ذلك لانهم لم يتشربوا تربية غريزية جنسية سليمة توسع مداركهم ، وتكشف لهم عن كثير من خفايا الحياة ، واسرار الوجود ، فكل ما يعرفونه عن الغريزة الجنسية هى انها امر يجب ان يظل مجهولا !!

وعندما يشعر هؤلاء الاشخاص بالجاذبية الجنسية ، ويدركون انها بدأت تستبد بهم ، يخيل اليهم ان هذه الجاذبية لاتخرج عن كونها حبا قويا جارفا بكل ما تنطوى عليه كلمة « الحب » من معنى ، ولو ان هؤلاء الشبان حاولوا ان يقدروا قيمة هذا اللون من « العاطفة » التى لايمكن الا ان تكون سطحية زائلة ، بمدى التضحية التى يكونون مستعدين لتحملها ، لتبين لهم انهم من الحب بمعناه الحقيقى براء .

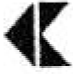
ان السعادة الحقيقية ترتبط بمعرفة الانسان الجاذبية الجنسية على حقيقتها ، وتسميته اياها باسمها وامتناعه عن التعبير عنها بلغة القلب والروح ، ولهذه المعرفة اهميتها وقيمتها ، تكون في حياة الانسان قوة عظيمة توفر له ما قد يكون في حاجة اليه من اتزان وثبات ، وتيسر له ، بطريق مباشر او غير مباشر ، سبيل الظفر بما يريد والاستمتاع به وعلى نحو ما وبقدر المستطاع .

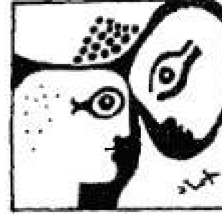
هذه هى احدى الحقائق التى اهتدى اليها علم النفس الحديث ، فايا كان المراد بالحب ، فمما لا ريب فيه أن معظم الرجال والنساء يستطيعون ان يحسوا بالجاذبية الجنسية حيال أكثر من شخص واحد ، ولكن الشخص الذى يقع في حبائل الحب حقا يكون حبه مركزا في كائن بشرى واحد

وهنا يتجلى الفرق بين الحب الحقيقى والجاذبية الجنسية .

والزواج على اساس الجاذبية الجنسية وحدها لايمكن بحال ما ان يكتب له التوفيق والنجاح . فاذا شعرت بوجود تلك الجاذبية فمن الخير لك أن تتمهل وتتريث ، وتفكر تفكيرا منطقيا ما امكن ، بعيدا عن العاطفة ما امكن ، في الامور والصفات الاخرى اللازم توافرها لكى تكفل لحبك الدوام ، ولحياتك الزوجية التوفيق والنجاح .

على ان عاطفة الحب والجاذبية الجنسية لاتكفيان لجعل الحياة الزوجية سعيدة بل ينبغى ان تتوفر الى جانبهما روح الزمالة





والصداقة ، وليس صحيحا ان الحب الحقيقى هو الصداقة شبت فيها النار كما قال احد المفكرين ، وانما الصحيح ، فيما اعتقد ، انه اذا كان ثمة قاعدة واحدة للحب فى الزواج فهي وجوب قيامه على الصداقة، واستناده الى روح الزمالة . فاذا كنت عاجزا عن الشعور بالصداقة في هذه الحالة فثق ان ماتضمره من حب لايكفى لانجاح حياتك الزوجية ، فهناك اعتبارات اخرى عديدة متباينة .

والزواج السعيد هو الصخرة التى بنيت عليها الحضارة والمدنية ، بل هو الحصن الذى يحمى الانسان من الوحدة ، الوحشة ، والعزلة ، ويمكن ان يكون مبعث الغبطة العميقة ، ومنبع الهناء المرموق فى الحياة .

ولكن الزواج الناجح الموفق فى الحياة لايمكن بحال ما أن يكون امرا سهلا هينا يسيرا . وكلما سنحت لى فرصة التحدث الى شاب وشابة على وشك الزواج سألتهما قائلا : هل تعدان زواجكما تجربة وامتحانا أم تريدان له الاستقرار والثبات والدوام ؟ والذى يدفعني الى توجيه هذا السؤال دائما هو اعتقادى ان الزواج الذى يعد مجرد تجربة لايمكن ان يدوم ، أو يكتب له الاستقرار .

والواقع أن السعادة فى الزواج هى اعظم غاية يسعى اليها الانسان ويحاول بلوغها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهى لذلك تستاهل كل الجهود التى تبذل فى سبيلها ، ولو استغرقت حياة باكملها .

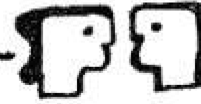
ويخيل الى أن اهم العوامل التى تهيىء اسباب هذه السعادة المرموقة هو الاختيار .. اختيار الزوج او الزوجة .. ولا شك عندى أن ادراك الزوج - او الزوجة - فجأة، وعلى حين غرة ، او بعد انقضاء اعوام قليلة او كثيرة ، أن الزوجة التى وقع عليها اختياره ليست هى المرأة المنشودة التى كان ينبغى له أن يتزوجها لكى يعيش معها حياة بأسرها .. هذا الادراك مأساة أى مأساة ونكبة مابعدها نكبة !

وعدم توفر الانسجام والتفاهم الصحيح بين الزوجين لايحيل حياتهما جحيما لايطاق فحسب ، وانما يحرم كذلك اولادهما بل احفادهما فى كثير من الاحيان من الهناء . وثمة اسباب عديدة لعدم الانسجام والتفاهم فى الزواج ، وفى مقدمتها التباين فى الاخلاق ، والسلوك، والبيئة ، والمركز الاجتماعى . والمشكلة هى انه عندما يرفرف الحب بجناحيه على شاب وفتاة فانه يعميهما عما قد يكون بينهما من التباين فى الطبع ، والمزاج، والميول ، والنزعات، والانعطافات ، وفى معظم الاحايين يتزوجان دون أن يفكرا فى شىء من هذا كله .. لان الحب ، كالخمر ، مسكر !

ولكن فى اعتقادى ان الحب مهما كان عنيفا جياشا ، ففى وسع المرء ان يحكم عقله ، ويترك العاطفة التى تجيش بها نفسه ، وينطوى عليها قلبه ، جانبا بعض الوقت ليفكر تفكيرا منطقيا متزنا ، ويقلب الامر على جميع جوانبه حتى يهتدى الى الحقائق التى لا معدى له عن مواجهتها فى شىء كثير من الصراحة والشجاعة .

فاذا كان الشاب يؤمن بصحة نظرية الوراثة فمن واجبه ، ومن حق المجتمع عليه ، أن يدرس اسرة الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، اذ الواقع أن الشاب يتزوج أسرة باكملها لا فتاة بمفردها وهذا الكلام موجه الى الفتاة ايضا .

وهناك مثل نرويجى قديم يقول « لاتتزوج فتاة تتوسم فيها الذكاء ، والبراعة ، وتعدد الجوانب ، والخلق القويم ، الا اذا تأكدت من أن جميع افراد أسرتها أذكياء،



مشاكل الحياة الزوجية

وتأثيرها في حياة الزوج والزوجة

قويمو الخلق » .

ومن المسلم به ان نظرية الوراثة تلعب دورا حيويا فى المجتمع ، فالذكاء وراثى الى حد كبير ، وبعض الامراض العقلية وراثى ، والسل وراثى ، وفى بعض الاحيان يكون العمى والصمم وراثيين أيضا .

وغنى عن البيان أن الصحة الجيدة امر على اعظم جانب من الاهمية ، لان التزامات ومسئوليات الحياة الزوجية عديدة وكبيرة ، ويقتضى الاضطلاع بها على خير وجه ممكن ان يكون الزوج والزوجة متمتعين بصحة جيدة ، تهيىء لهما عوامل الجلد ، واسباب النشاط .

وثمة مشكلة هى ان كثيرين من الازواج والزوجات ولاسيما الشبان منهم ، سرعان مايجدون أنفسهم يلعنون الزواج مدفوعين الى ذلك بخيبة الظن .

ان القصص الغرامية التى تعرض على شاشات دور السينما تكون عادة فوارة بالنشوة والوجد والسكر النفسى فى ابسط صورها .. فهذا شاب يلتقى بفتاة احلامه، وتربطهما اواصر حب عنيف يدفعهما الى الزواج الذى يتلهفان عليه ، ويعيشان سعيدين كل السعادة فى عش الزوجية .

وكثيرا مانجد فى المجلات القصصية قصصا تدور حول شبان وشابات يجمع بين كل اثنين منهم الحظ السعيد وتنتهى كل قصة منها بوصف رائع للسعادة الغامرة التى يعيش فيها الشاب والشابة بعد زواجهما .

وهذا كله يبدو يسيرا كل اليسر ، لان كثيرين من الشبان والشابات يميلون الى الاعتقاد بان الزواج ، الذى لايتطلب عادة اجراءات معقدة ملتوية تنتهى مراسمه بان يدخل الزوج دبلة الزواج فى اصبع زوجته ، كفيل بحل اية مشكلة . ويحدث فى كثير من الاحيان ان نسمع الشاب وحبيبة قلبه يقولان فى بساطة : « كل شىء سيتحسن بعد الزواج » .

فهل يمكن ان يحدث شىء كهذا بطريقة تلقائية ؟

الواقع أن مايشعران به من نشوة أثناء الاستعداد لمراسم الزواج ، وطول انتظارهما لليوم السعيد الذى تبدأ فيه حياتهما الزوجية ، فى مقدمة العوامل التى ترهقهما عاطفيا ..

ثم يشرعان فى قضاء الليلة الاولى فى احد الفنادق كما جرت العادة او فى عش الزوجية .. وهنا قد تحدث مفاجآت ، فقد يكتشف العريس ان فى عروسه التى كان شديد الاعجاب بقوامها الجميل ، ووجهها الفتان وعينيها الساحرتين - عيبا او اكثر يجعله يخرج من عالم الاحلام السعيدة الى عالم الواقع المر .. ويدرك ان الصورة التى كونها عنها فى مخيلته بعيدة كل البعد عن الحقيقة التى تتعرى امام ناظريه !

وبعدئذ تبدأ الحياة المشتركة فى عش الزوجية ، ولا يلبثان ان يجدا نفسيهما فى ذهول مقيم عندما يشرعان فى تكملة أثاث البيت ، وتبدو لهما القائمة التى يعدانها وكانها لانهاية لها .. مزيد من السجاجيد ، والستائر ، والمقاعد .. وتزداد المصروفات

وفى هذه الحالة لا مفر من الاقتصاد فى النفقات الخاصة بالكماليات .. لان الكماليات تضعف الميزانية . ويدخل الزوج فى معركة طاحنة مع الحسابات المتصلة بالدخل الذى يكون فى اغلب الاحيان متواضعا ، ويطيل التفكير فى المصروفات التى يستبعد ان تكون متواضعة ، ويتساءل فى قلق وهم عن الطريقة التى يتسنى له بها ان يقتصد فى المصروفات : هل يقتصد فى الطعام ؟

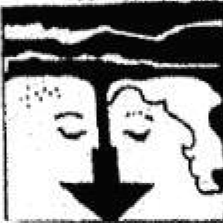
ربما !

وهذا كله يجعل الزوجين يشعران بالارهاق وتوتر الاعصاب ، ويكثر بينهما الجدل الذى قد يتحول الى معارك كلاميه حادة ..

اذن .. هذا هو الزواج ؟!

ولكن كيف يكون علاج مثل هذه الحالة ؟

ان كل زوجين يصطدم



زواجهما بعقبات يعتقدان انه يتعذر عليهما ان يذللاها ، يتصوران انهما هما وحدهما اللذان يصطدمان بهذه العقبات ، قد يكون هذا صحيحا الى حد ما ، بيد ان الاشخاص الذين يعنون بدراسة المشاكل الزوجية ويقترحون لها الحلول ، يجمعون على ان للكثرة الغالبة من هذه المشاكل عاملا مشتركا واحدا .

ان الحياة الزوجية السعيدة تقوم على ثلاثة عناصر جوهرية هي الحب ، والجنس ، والثقة .

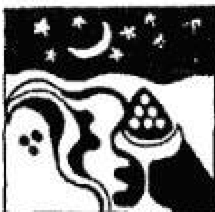
والحب عاطفة يتحتم ان تستند الى الواقع ، ولايمكن ان يكون الخيال المجرد لحمتها وسداها ، ولا ريب في ان الحب الذى نعنيه في هذا المجال يختلف كثيرا عن العواطف المعسولة الجياشة التى يفيض بها خيال كتاب القصص والروايات في اغلب الاحايين !

كذلك يتطلب الحب نوعا من الشهامة التى تتمثل في حسن تقدير الامور ، كما تتمثل فيما يبديه المرء من ادب ، وكياسة ، ومرونة .

ولين جانب حيال الشخص الذى يكون في حاجة الى شيء منه ، ولاشك ان الزوج يصبو الى شيء هام لابد ان يكون متوفرا في شريكة حياته .. انه يصبو الى العاطفة الصادقة الجياشة. وهذا الكلام ينطبق على الزوجة ايضا بطبيعة الحال .

ومن هذه العاطفة الجياشة ينبعث الحب بعد فترة ، ذلك ان تجارب الحياة اثبتت بما لايدع مجالا للشك ان « الحب من اول نظرة » الذى يكثر الحديث عنه في القصص والروايات امر لايعدو ان يكون خياليا بعيدا عن الواقع الملموس ، اذ يندر جدا ان يولد الحب بالسرعة التى يحدث بها البرق .

ان الحب الحقيقى يجيء عادة فيما بعد . ولعل كثيرا من الازواج يدركون ، اذا القوا نظرة الى الوراء ، ان الصلات التى كانت تربطهم خلال فترة الغزل لم تكن حبا بمعنى الكلمة ، وانما كانت مجرد « تبادل الاعجاب من اول نظرة » ، كما يكتشفون



ان الحب ينمو ويزداد عمقا بمضى الوقت .

وللجنس في الحياة الزوجية دور على اعظم درجة من الاهمية ، فقد يكون عاملا رئيسيا في توفير اسباب السعادة لها ، كما قد يكون عاملا هداما يحيل هذه الحياة الى جحيم .

اما الثقة بين الزوجين فيجب ان تكون مطلقة ، ويتعين ان تشمل كل كبيرة وصغيرة في العلاقات العاطفية والمادية التى تربط بينهما ، بما في ذلك الثقة بالمستقبل

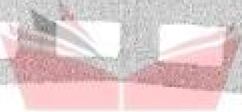
ولا ريب ان الزواج الذى يقوم على هذه العناصر الثلاثة يكون غنيا بمقومات السعادة والنجاح ، وتكون اسسه قوية ، متينة ، يكتب لها الاستقرار والدوام ..

● فوائد الفلسفة ●

اصر احد الشبان على ان يدرس الفلسفة بدلا من القانون الذى اشار عليه أبوه بالتخصص فيه . وبعد ان اتم دراسته لم يجد عملا ، فقال له الاب غاضبا « والان ماذا صنعت لك الفلسفة التى درستها ؟ » فقال الابن : « علمتنى ان اصغى لزجر ابى في هدوء وصمت ! »

صراع هذا العام أشرس صراعات الأوسكار منذ ٥٤ سنة

عبد النور خليل



كان الكاتب الشهير جورج برنارد شو فى الثامنة والثمانين من عمره ، عندما دعى لحضور حفل توزيع جوائز الاوسكار . اشهر الجوائز السينمائية فى العالم . وكان من نصيبه جائزة اوسكار لاحسن سيناريو عن فيلم اخذ عن مسرحيته « بيجماليون » . وصعد برنارد شو الى المنصة ليتسلم الاوسكار ، وفوجىء الحاضرون بالكاتب الساخر الشهير يقول : « هذه اهانة .. هذه تفاهات .. ان العالم كله يحتفى بى ويقدرنى ، ولست فى حاجة الى جائزتكم هذه فهى اهانة كبرى لى » .

وقد مات جورج برنارد شو فى عام ١٩٥٠ ، وبعد موته باحدى عشرة سنة ، فاز فيلم « سيدتى الجميلة » بثمانية من جوائز الاوسكار وهو ماخوذ عن نفس مسرحيته « بيجماليون » ..

وبعد أيام قليلة ، فى الاسبوع الاول من ابريل ، كالعادة منذ ٥٤ سنة ، يقام الحفل السنوى لتوزيع جوائز الاوسكار على البارزين فى كل فروع الفن السينمائى من واقع الافلام التى عرضت خلال عام ١٩٨١ .

ويسدل الستار على معركة تستمر عادة لثلاثة شهور كاملة فى بداية كل عام للفوز بهذه الجوائز التى تظل سرا دونه الاستحكامات المنيعة حتى لحظة الاعلان عنها وتسليمها للفائزين بها فيما يسمى « ليلة الاوسكار » .. ومنذ البداية . عندما قررت اكاديمية العلوم والفنون السينمائية بكاليفورنيا ان تنظم جائزة سنوية للمتفوقين فى فنون السينما وفروعها المختلفة عام ١٩٢٨ ، واختير التمثال الذهبى الذى اطلق عليه اسم « اوسكار » كرمز للجائزة ، كانت ليلة الاوسكار تقام فى المسرح

قصــة قصــيرة

ذكريات وفيلم وأصدقاء

إسماعيل ولى الدين

● نظارة سوداء على وجه ممثل روسى الملامح .. الفم بقية مستمرة فى حركتها ... كلمة واحدة تقال دائما : المفتاح ... الرجل الوسيم سيستيقظ من النوم ، مرتديا « بيجاما » صفراء قصيرة الارجل ، تتدلى على صدره سلسلة فى نهايتها مفتاح مصرى قديم . سيجارة من العلبة الثالثة من صباح اليوم نفسه . عربة سباق ... البطل يرتدى ملابس قيادة العربات المفتوحة الطويلة الجسم ... شهور للغاية . حوله جمع كبير من المعجبين والمعجبات و « كاميرات » السينما والتليفزيون ومصورى الجرائد والجمهور العريض ... يرتدى القناع قبل مغادرته عربة السباق ..

قطعة جبن صفراء وشفة من كأس خمر معتق منذ الخمسينات . أكثر من وجه لامرأة شابة ... العربات مسرعة ، بعضها يجرى تشتعل به النيران .. متكئ على رأسه الأيمن مرة من قبل .

فى جنازة الرجل الميت ، يظهر البطل وزوجته الثولى « البطلة بالطبع » ...

فى ورشة إصلاح عربات السباق . البطل يسأل : هل قائد العربة هو المخطئ . أو الميكانيكى الذى قام بفحص العربة قبل السباق مباشرة .. البطل فى لباس أسود . فى فمه سيجارة ، السيجارة لم تنته بعد .. السيجارة الأولى من العلبة الثالثة ... أمامى طبق به بطاطس ولحم وبيض وخس وخيار وجزر .

جرس تليفون خاص بالفيلم ، أخى اتصل بى اليوم بعد غيبة طويلة ... البطل يتكلم فى التليفون من « البانيو » وجسمه غارق فى ماء الصابون ... جرس الكتيبة يدق . جرس الباب يدق ... أصدقاء يدخلون فى صحبتهم امرأة شابة .. يجلسون جميعا ليشاهدوا فيلم المساء . يشربون جميعا من زجاجة الخمر التى ستنتهى حتما وينتهى معها الليل والفيلم .

البطل يجرى بجوار النهر .. وزوجته تجفف له العرق فى نهاية الرحلة ... العربة تجرى فى اتجاه باريس ... أبطال الفيلم قلقون والأصدقاء أيضا متوترون .. يتحدثون عن تغيير الوزارة الجـديدة

ذكريات وفيـلم وأصدقاء

واسالهم فى غضب : هل يريد احدكم الوزارة .

يصمتون جميعا ... يتناولون العشاء الذى اعددته لشخص وحيد ..

تقوم المراة الى المطبخ لتعد وليمة جديدة .

استعراض عسكرى فى قرية فرنسية صغيرة .

عربة البطل تصل الى مبنى له واجهة غريبة مميزة ، البطل يقابل صديقا قديما فى مستشفى للمعجزة . احد الاصدقاء يحكى بصوت مرتفع اخر نكتة سياسية ... استمعت فى اسبوع واحد الى احدى وعشرين نكتة سياسية معاصرة ، افضل واكثر كياســة من جميع المقالات التى كتبت مؤخرا فى الصحف الثلاث .

البطل يسال وهو يتناول عشاءه فى مطعم المستشفى حيث تلتقى به امراة مخبولة ، ترغمه على الحديث معها ... المراة جميلة جمالا خاصا بها .

المراة التى جاءت مع اصدقائى . امراة فريدة من نوعها . نحيلة باسقة مثل شجرة . تتحدث مثل الرجال . تضحك بصوت مرتفع مزعج تجيد الطهى ، تاكل بشراهة ، تلقى بالنكات الفاضــحة .. والفيلم مستمر ، والحوار فى قمته بين البطل والمخبولة الرائعة .

لى صديق قد سافر منذ اسبوع ، اتذكره فى هذه اللحظة .. والغنية اثناء العشاء فى المصحة ... المريضة المخبولة تنتقل الى مائدة البطل لتلتهم بقية عشائه ... تساله المريضة : هل تؤمن بالسحر ؟

كنت اتصل بالمحامى الخاص بى اساله عن القضية وهل حضر الحكم ... يعتذر لى بانه لم يتحرك من مكتبه لان هناك امراة تسحر له وهو يخاف الطريق هذه الايام ... ادهش وهو يسالنى اين قضيت ليلة راس السنة ... مازال العرض يقدم من مصحة المرضى ... تدعونى المراة على سيجارة اجنبية ... اشم رائحتها الخاصة وهى تقترب منى ... احس بها ... ولا اعرف من تكون او تنتمى لمن من الاصدقاء ... دقات البيانو رتيبة ولكنها ممتعة . لم آخذ حبة الدواء قبل العشاء ... اريد ان استرجع ذكريات قديمة ... حب انتهى منذ اكثر من عشر سنوات مضت .. كان يمكن ان يكون لنا طفل صغير نلهو به ومعه ... تركتنى وسافرت ... وتزوجت هناك ولم تعد حتى لزيارة اهلها او لرؤيتى ... قالت فى آخر مرة : اكرهك واكره المكان .. لذلك ساتركه لك ... كنت اتصورها لحظة خصام ، ولكنها كانت النهاية ... الفيلم مازال مستمرا ... لقطة مرت بين البطل والمريضة المخبولة .. سجائر تحرق ورماد ... ودخان يتصاعد فى الفيلم وخارجه ... جئنا للعالم للدخن ! ..

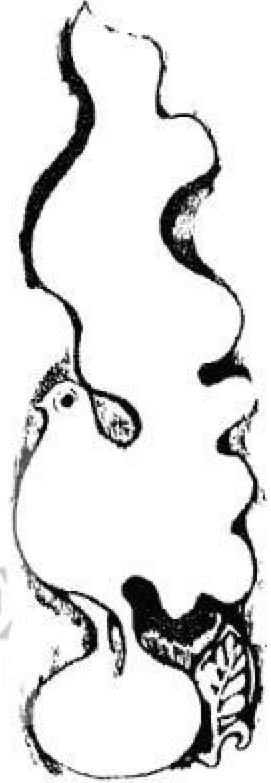
فى الصباح البطل يستعد لترك المصحة والمريضة المخبولة تفرض نفسها عليه .

يسالها : هل تم شفاؤك ؟ .. تقول : اننى اهرب لاننى لم ادفع الحساب ...



قصــة :

ذكريات وفيلم وأصدقاء



تسبه وتتحرك على الطريق • يقف بالعربة بالقرب من النهر ويأخذها معه •

المراة تجلس بجانبي ••• تضع فمها على اذني : هل يعجبك الفيلم ؟ ••• اقول : لا •••

تقول : اذن لماذا لاتغلقه ؟ ••

لا ارد ••• اخاف غضبة الصــديق الذى جاءت معه ولا اعرف من تكون ، او صديقة من ••• محسن ، جابر ، مسعود ؟ •• العربة تسير عبر الغابات • وحبيبتي الكارهة تعود ، بوجهها ، برقتها • بصدرها الصغير ، ببطنها الصغير المتكور ••• تركتني بعد ليلة غضب عاصفة ••• لا لتسافر الى طنطا وانما لتسافر الى النمسا ••• تبقى هناك ••• تبعد عني عشر سنوات كاملة ••• هل تذكرني الان فى هذه اللحظة التي اتذكرها فيها ••• سمعت انها انجبت ولدا صغيرا •

المراة تصرخ والبطـل يقود العـربة ••• المخبولة عادت لها رؤيتها الغامضة غير الواضحة لعالم العاقلين ••• البطل والمخبولة على سطح مركب وســط مياه البحر ، والجبال البعيدة تبدو بالوانهـا الرمادية القاتمة ، مثلثات ساقطة فى المياه • البطل والبطلة يدخلان احد فنادق الطريق ••• البطل يتصل بزوجته ، ويسالها عن اخبار زوجة القتيل •

الخمر انتهى ••• وكذلك قطع الخيار ••• احد الاصــدقاء ينزل ليشتري زجاجة جديدة ••• كم الساعة الان ••• تسالني المراة : هل المنزل كله لك ••• لا اجيب وانما اتذوق قطعة بطاطس محمرة ••• المراة تسال اين دورة المياه ••

فى جلسة ساحرة ، يجلس البطل مع المخبولة او الساحرة القاتلة التى تسال هل هو متزوج ، هل يحب امراته ••• هل يهمه مقتـل صديقه الى هذا الحد ••

النساء الرائرات ••• يتدخلن فى اشياء لايفهمن ••• المراة تمسك معصمه •• عيناها تقول الحب ••

لا أجد الآن احدا يقول لى كلمة حب ، بعد سفر حبيبتى •• عشر سنوات كاملة انجبت فيها ولدا صغيرا •• ليس ابني !

صرخ احد الاصدقاء : انتهى الخمر ولم يات سامح ••• لن يجد خمرا فى هذه الساعة ••• سنتركك لفيلمك اللعين القديم السخيف !

لم توافق المراة الشابة •• طلبت منهم الانتظار حتى عودة الصــديق الذى ذهب بعربته يبحث عن زجاجة خمر بعد الثانية عشرة مساء ••• العالم كله مجانين من انواع شتى ••• انواع لاتلتقى ابدا •• تصبح على عذاب وتنتهى ايضا فى عذاب • مازلت اذكر وجه حبيبتي وخلفها مياه العصافرة المتموجة الرائقة ••• لها وجه قريب من ذلك الوجه الذى امامى ، وجه المراة المخبولة •

البطل يعود الى زوجته السمراء الرقيقة •••

صديق يدعونى على سيجارة محشوة تبقا حاميا ••• اننا لانعمل ولا

قصة :
ذكريات وفيلم وأصدقاء



تساوي شيئا ... فقط نأكل ونشرب وندخن ... نصنع حبا وليس مودة أو علاقة طويلة

قالت المرأة : سأغلق التليفزيون !

صاح احدهم : لقد وصل سامح ، ومعه زجاجة كبيرة ستكفينا حتى نهاية فيلم السباق والعربة التى احترقت في بدايته ... والان يعيدون شريطا لها . يبحثون عن القاتل ... وانا ابحث عن نفسي .

قالت المرأة : لم يعد عند صديقكم سوى البيض وبعض الخيار الطازج

دخان السيجارة يحرق أنفاسي ... كاتب عجوز له قصة جديدة . نصحه ناصح أن يهدأ ، ويعيد حساباته . لا أحد يستطيع أن يجبر كاتبا او فنانا على التوقف الا الفنان او الكاتب نفسه ... التوقف مقدرة وشجاعة لايملكها احد في عصر التكالب والظهور والفزع من الغد ... كلنا فزعون ، وزراء ، رؤساء مجالس ادارة ، مهندسون ، صحفيون ، كلنا فزعون ... انه القدر الذي لايريدنا أن نعيش حياتنا ... كلنا خائفون من الغد ، خائفون اكثر من اللصوص والمرتشين والمجاملين ... لا اصدق ابدا ان هناك وزيرا يسرق ... فقط يجامل لاسباب خاصة او لان هناك من يطلب منه ذلك ... بند المجاملات ، مايموت أحد الا ويبدأ الشجار وتقليب الدفاتر القديمة .

البطل يعود لزيارة المجنونة الرائعة . بدات علاقة حب بينهما . علاقة من تأثير الفراغ .

ـ الساعة كام الآن ... اريد ان اطلب رقما

ـ أكلت كثيرا ... شربت حتى الثمالة ... والفيلم سخيف ، ولكنك تشاهده ... لماذا لا اجد شيئا افضل تفعله .

ـ نلعب احد الاعيب « الكوتشينة » .

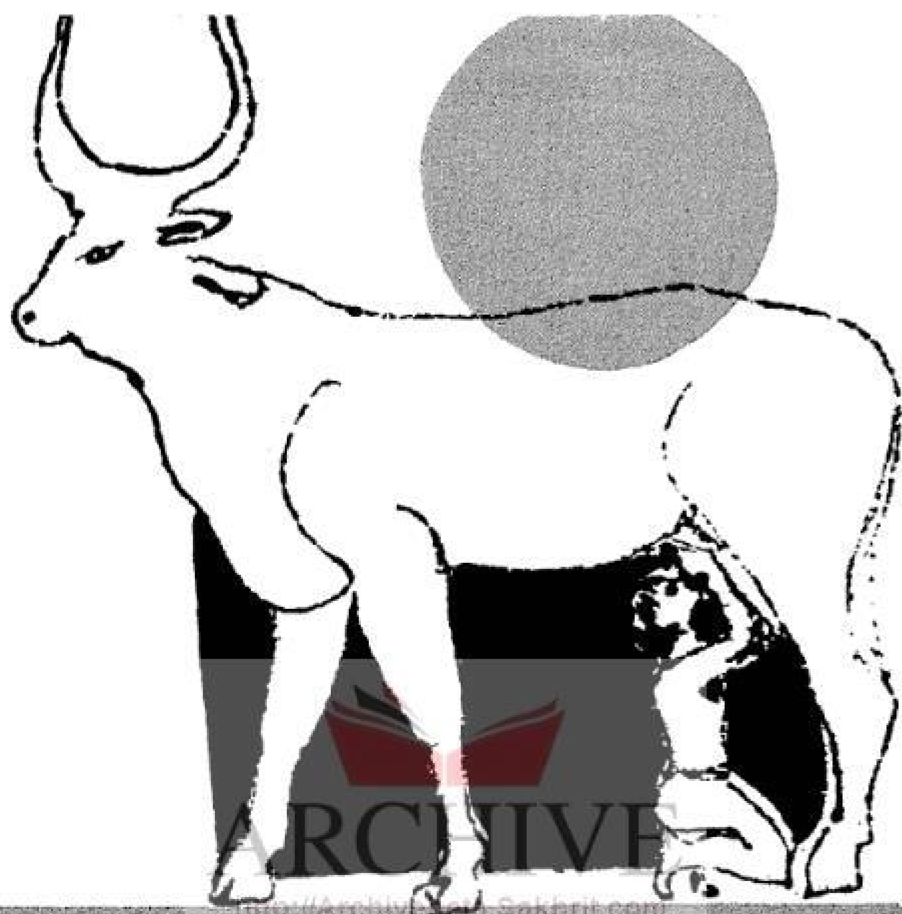
ـ دقائق وينتهي الفيلم !

السيجارة الملعونة تحرق الزور ، ولا تصنع شيئا !

هل تعلم شيئا ... لقد ارتفع كل شيء الا الانسان نفسه .. خاصة العالم او الفنان ... ولم يعد هناك فن ... فقط فضلات فن . لم يبق من كأس الخمر الا بعض الحثالة الملتصقة في قاع الكاس . والفيلم مازال مستمرا ...

البطل يرتدي القناع الواقي ثانية ، وينزل الى عربته المكشوفة الخاصة بالسباق وسط ضجة ، وهمهمة السباق وزحام مصورين وجمهور ينتظر النتيجة سواء المكسب او الخسارة أو الموت ... والزوجة قلقة ... والعاشقة تنتظر في هلع .

والاصدقاء لايريدون ان يتركوا الفيلم المعروض الان ... لحظة السباق . وكأنهم هم المتسابقون ... وصمت مستمر ... لا كأس ، لا قطعة من طعام ، لا نكتة سياسية او اخرى مكشوفة ... الجميع وكأنهم صائمون عن الحديث وعن الحركة يتابعون السباق والحوادث التى تحدث بالجملة .



الأم والأسطورة

فــاروق خـورشــيد

- ما أكثر ما شبّهت المرأة فى الشعر العربي "بالغــزال"
- حدث ابن عباس أن الظباء هى ماشية الجــن

تستهل السيرة الشعبية العربية « سيف بن ذى يزن » احداثها بواقعة عامة تجعل من هذه السيرة شيئا فريدا فى اطار العمل الشعبى والعمل الروائى على السواء .. اذ انها تكاد تكون العمل الشعبى الوحيد الذى تقتل فيه الام ابنها ، او تحاول قتله بكل الوسائل والطرق ، وكانما انزاحت كل عواطف الامومة الغريزية ليحل محلها قلب صخرى لايرحم الابن منذ ولادته وحتى عنفوان رجولته . وهى منذ البدء اسيرة استهوت الملك ذا يزن ليحبها ويتزوجها ، ويهب لها دماء الاسرى من اعدائه والاحباش ، ولكنها كانت تضمر له الحقد فترمى فى فراشه بحسكة مسمومة ، تشكه فتقتله ، وحين يموت الملك ذو يزن تكون هى قد حملت منه بابنها وولى عهده ، وبعد أن يموت الملك الذى أوصى رعيته بها خيرا وضعت الجارية واسمها « قمرية » مولودها ..

ويقول راوى السيرة : « فلما وضعته ورأته على هذا الحسن والجمال أخذتها الغيرة ، وقالت فى نفسها ان قعد هذا الغلام اخذ منى المملكة ، ولكن ياقمرية اصبرى لعل زحل يساعدك بالخير على موت هذا الغلام » .

ولكن الاهمال وعدم العناية لايكفيان لموت الغلام ، كما أن الوزراء والحاشية بداوا ينظرون اليه باعتباره الوارث للملك ، والملك الشرعى لبلادهم ... ومن هنا تبدأ معالم الجريمة تتضح فى عقل المرأة الملتوى ، وتمنعها جاريتها من قتل الطفل بالخنجر وتقنعها برميه فى البرارى « فان عاش عاش لامله ، وان مات مات لاجله » ..

فوضعت فى رقبة الطفل عقدا من الجوهر ووضعت معه صرة من الدنانير ، والبسته احسن ثيابه وافخرها ، ثم حملته ومعها جاريتها وركبا فرسيهما وغابا عن المدينة خمسة أيام كاملة ، حيث رمت قمرية طفلها فى واد قبيح مهجور ..

وقمرية هنا ـ او الام قاتلة اولادها ـ قد تكون رمزا للالهة الهندية ذات الايدى المتعددة والتى تاكل اولادها ، وقد تكون اشارة الى كرونوس الاله اليونانى الذى يمثل الزمن ، والذى ياكل اولاده ايضا ، وقد تكون رمزا للارض ، أقدم المعبودات التى عبدها الانسان ، ويرمز لها بالهة الخصب ، ولكنها قد تكون هى الهة الموت التى تبتلع آخر الامر كل اولادها مهما طال بهم الزمن فوق ارضها ..

ولكن قمرية فى السيرة الشعبية هى البديل الاسطورى لأم سيف بن ذى يزن آخر ملوك اليمن من حمير .

واسم ام سيف فى كتب الاخبار والتاريخ هو كما يقول الطبرى « ريحانة ابنة علقمة » وهى من آل ذى جدن ، ويحكى الطبرى عنها ان ابرهة انتزعها من زوجها ابى مرة ، وتزوجها ، وانجبت له الابن الاخر لها « مسروق » وهو الذى تولى الحكم بعد اخيه « يكسوم » وحين ينصب « مسروق » نفسه ملكا فى اليمن ، يخرج سيف بن ذى يزن ثائرا عليه وعلى عرشه ...

ولعل الضمير الشعبى لم يغفر لريحانة ان تزوجت من ابرهة وانجبت منه ، فربطها بالاحباش ، وجعلها ضالعة معهم كنوع من الانتقام غير الواعى ، او الغريزى منها وحملها مغبة تشرد ابنها وضياع حقه فى ملك اليمن ، التى هو منها ابا واما ، بينما لاينتمى مسروق الى اليمن الا من ناحية الام فقط ، وهذا الانتماء عند العرب لايعتد به ، ولايدخل صاحبه فى عصبة الاب ...



الأم و الأسطورة

وربما كان تصوير القاص الشعبي للام تعبيرا تلقائيا عن غضبه على العربية التي انجبت من غير عربي ، ومن عدو ، ومن ملك من ملوك هذا العدو ، او بمعنى اكثر دقة من غاز مستعمر داس على كرامة البلد ، والناس جميعا .

والشعوب لاتغفر لامراة ابدا مثل هذه العلاقة حتى لو كانت مرغمة عليها ارغاما ، فمنطق الفرد ومبرراته هنا لا معنى لها ولا قيمة ، وانما الفعل في ضمائر هذه الشعوب خيانة صريحة ، وتعامل مع الاعداء يخرج صاحبه من دائرة الحب ، والرحمة ، بل من دائرة الاحترام والتماس الاعذار ..

على كل حال لسنا هنا بسبيل مناقشة شخصية قمرية المعادلة الشعبية لريحانة .. وانما نحن بسبيل الحديث عن الطفل الصغير الذى رمته أمه في هذا الوادى القفر الموحش المخوف . ومثل هذه الخطوة فى احداث حياة البطل ترتبط غالبا بظهور الحيوان المنقذ او الحيوان المتبنى الذى يحل محل الام ...

وقد استعملت هذه « التيمة » كثيرا فى الادب المعاصر ، فى الرجل الذئب ، او الرجل القرد « طرزان » اذ ان الطفل بدلا من ان يقع فريسة حيوان جائع ، يقع تحت رحمة انثى مزدهرة الامومة فتحنو على الطفل ، وتنقذه من الموت وتحميه ...

اما فى حالتنا هذه فلسنا امام وحش منقذ ، وانما نحن امام غزالة هاربة من وجه صياد استطاع ان ياسر اولادها فى غيابها ، وكمن فى مرقدها ينتظر عودتها اليهم ليقضى عليها ويحملها مع اولادها الى سوق اللحم .. ويسترعى بصرها المذعور هذا الطفل الملقى فى الخلاء يصرخ من الجوع ، فتحن كل امومتها المجهضة له ، وتسرع نحوه تشمه وتدور به ، والصياد يرقبها من بعيد وقد اخذته الدهشة مما يرى ، الى ان يلحظ حركة الطفل ويسمع صوت صراخه الخافت فيقترب على حذر وقد دبت فى نفسه الخشية على الطفل من الغزالة البرية ، الا انه فوجئ بالغزالة تدور حول الطفل حتى تضع ثديها فى فمه ، ويصمت صراخ الطفل وهو يمتص لبن الغزالة فى شراهة ونهم ... وكانما تمده الغزالة بماء الحياة التى حرمته منه امه ...

ولا يجد الصياد فى نفسه ان يقتل الغزالة ، كما لايجد فى نفسه ان يحرمها من صغارها ، فيطلق الصغار من قيودها ، وحين تراها الام تسرع نحوها ويتقدم الصياد نحو الطفل ، الذى كان يصدر اصواتا فرحة هانئة ويبتسم فى براءة واطمئنان ...

ويرى الصياد العقد الجوهر ، وصرة المال ، ويلاحظ ملابس الطفل الفاخرة ، فيعرف ان الطفل وراءه سر ، وانه ليس لواحدة من نساء الفقراء ، اوقرها عبء اطعامه فرمت به ، وانما الطفل وراءه سر لايجلوه الا الملك ، فيحمل الطفل الى ملك المدينة . لتبدأ مرحلة جديدة فى طفولة بطلنا الاسطورى سيف بن ذى يزن ...

● استعارة لفظية وشكلية معا ●

واختيار صاحب السيرة للغـــزالة امر ملفت لان مثل هذه البقعة الموحشة كان الاجدر ان تصول فيها الوحوش المفترسة وتجول ، ولكننا لانجد الا وحشية آدمية ، احدهما ام ترمى طفلها ليموت ، والاخر صياد

يتربص بأولاد الغزالة وأمهم .. ولكن لبن الغزالة لبن يعرفه العرب ويرون انه اخصب وارق من لبن الشاة ، وان كان لحم الشاة يفوق عندهم لحم الغزال .

ويحكى الجاحظ فى الجزء السابع من الحيوان قصة تكشف لنا عن احتفالهم بلبن الغزال وما يستخرج من هذا اللبن ، يقول : « وكان جعفر بن سليمان احضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد البان الظباء وزبدها وسلالها ولباها ، فاستطاب الرشيد جميع طعومها فسال عن ذلك ، وغمز جعفر بعض الغلمان فاطلق عن الظباء ومع خشفانها « اولادها » ، وعليها شملها ، حتى مرت فى عرصة تجاه عين الرشيد ، فلما رآها على تلك الحال وهي مقرطة مخضبة استخفه الفرح والتعجب ، وقال : ماهذه الالبان ؟ وما هذه السمنات واللبا والرائب والزبد الذى بين ايدينا ؟ قال : من جلب هذه الظباء ، الفت وهى خشفان ، فتلاحقت وتلاحقت .. »

والظباء عند العرب تشبه بها النساء فى جمال الحركة ورشاقتها ورقتها ، وما اكثر ماجاء فى الشعر العربى من تغزل فى المرأة باضفاء صفة الغزال عليها .

ولكن الامر فى نهايته ان الغزال عند العرب ليس من الحيوانات العادية التى تؤخذ بظاهرها ، بل هى حيوان محوط بالالغاز والاسرار ، اذ هى من حيوان الجنة مرة ، واذ هى من مطايا الجان مرة أخرى ، وفى الجزء الاول من الحيوان يقول الجاحظ : « يحدث ابن عباس ان الظباء ماشية الجن » ، فالذى لا شك فيه أن استخدام الغزال فى حكاية سيف بن ذى يزن يرتبط بما امتلات به هذه السيرة من أحداث الجان ، ومن تداخل بين عالمى الانس والجن ، فتحكى لنا السيرة ان ملكة من ملوك الجان مرت على هذه الفلاة التى رمت فيها قمرية طفلها فرات الطفل فنزلت محبته فى قلبها . وعندما عادت الى زوجها الملك الابيض ملك الجن فى جبال القمر ومنابع النيل ، لامها لتركها اياه اذ انه لم يرزق الا بفتاة واحدة اسمها عاقصة ، وعادت ملكة الجان الى مكان الطفل فلم تجده حيث راته اول مرة . وظلت تبحث عنه حتى وجدته فى قصر الملك افراح ملك المدينة التى يعيش فيها الصياد ، وتربصت ملكة الجان بالقصر حتى رات حاضنة الطفل تذهب به الى « المزيرة » لتملأ منها مايشربه الطفل ، فاخذت منها الطفل ، وصاحت بها « هاتى الطفل فهو سيتربى عندى حتى يكبر ويصبح له من العمر ثلاثة اعوام » ...

ويظل الطفل فى رعايتها ورعاية الملك الابيض ملك الجان يتربى مع عاقصة أخته فى الرضاع ، فكانه رضع اولا من الغزالة وثانيا من ملكة الجان ، وبعد السنوات المحددة تعيده مرة اخرى الى المزيرة حيث اخذته اول مرة ...

ومسالة الجن والمزيرة معروفة فى المأثور الشعبى بعامة والعربى بخاصة . ولكن الذى يهمنا هنا هو هذا الربط فى الرضاع بين الغزالة والجنية ، والجنية ام لعاقصة التى ستصبح نصيرة لسيف بن ذى يزن فى مغامراته .

اما الغزالة فاما هى المقابل الحيوانى لها ، واما هى الماشية التى ترعاها الجن وتستعمل لبنها فى تغذية الصغار ، مصداقا لقول ابن عباس ان الظباء ماشية الجن ...



والمقابل الحيواني للالهة القديمة ظاهرة معروفة ومألوفة ، فالصقر هو المقابل الحيواني لحورس ، والحمار هو المقابل لست ، وابومنجل هو المقابل للاله تحوت ، وهو يظهر ايضا فى النقوش الفرعونية على هيئة القرد . وابن آوى هو المقابل للاله أنوبيس اله الجبانة والصحراء والقبور .. وربما كان الامر على شكل اسقاط او ربما كان على شكل استعارة لفظية وشكلية معا ...

والغزالة فى العربية من اسماء الشمس . ويقول صاحب القاموس المحيط « كسحابة الشمس لانها تمد حبالها كانها تغزل ، او الشمس عند طلوعها او عند ارتفاعها او عين الشمس او امرأة » .. كما يقول « غزالة الضحى وغزالاته اوله ، او بعيد ماتنبسط الشمس وتضحى او اولها الى مضى خمس النهار .. » .

● فى امهات الوحوش عاطفـــة فياضة ●

وفي سيرة سيف يقول الحكيم سقرديوس وزير الملك سيف ارعد ملك الاحباش محذرا الملك افراح من هذا الطفل الذى ارضعته الغزالة : « اعلم ايها الملك السعيد انى وجدت فى الكتب العتيقة والملاحم القديمة انه يظهر من نسل سام ولد يقال له السيد اللبيد . ويظهر من نسله ولد يقال له التبع جار الغزال ، ويظهر من نســلهم رجل يقال له « سيف ذو يزن » ويكون ابوه من بلاد اليمن ..

ولم اجد فى اى مصدر تاريخى من يسمى التبع جار الغزال الذى هو والد لسيف بن ذى يزن ، ولكن مايلفت النظر هنا ان يكون ابوسيف هو جار الغزال ، وان يكون سيف نفسه هو ربيب الغزالة ، وترد لنا سيرة الغزالة فى خبر مبهم فى سيرة ابن هشام فى حديثه عن نفى

الأم و الأسطورة



جرهم من مكة وخروجهم منها فيقول : « قال ابن اسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزال الكعبة ، وبحجر الركن ، فدفنهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن » ..

والخبر بهذا الشكل يوحي بان هذين الغزالين كانا من مقدسات الكعبة ذات القيمة الدينية العالية ، وربطهما بحجر الركن يضفي عليهما مزيدا من القداسة والاهمية ، ثم ان احتفال جرهم باخفائهما مع حجر الركن ، وقد كانت جرهم هي سدنة الكعبة وخدامها ، يحقق للغزالين رمزا معبديا هاما واكيدا ، وهذا الغزالان هما اللذان عثر عليهما جد النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحفر بئر زمزم من جديد .

وترد قصة حفر زمزم في اكثر من مرجع ، ونحن ننقل عن ابن هشام قوله في السيرة : « فلما أدى به الحفر ، وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها اسيافا قلعية وادرعا » .

ويقول نقش من نصوص الاهرام يعتقد أنه منذ عام ٢٣٠٠ ق.م « ان النجم يعبر المحيط من تحت جسد توت ، وهو ابن البقرة المتوحشة العظمى ، أنها تحمل به وتلد ، وهم يضعونه داخل جناحيها » .

ونحب أن نلاحظ هنا ارتباط البقرة عندهم بالسماء ، وسواء أكانت هى السماء ، أو هى مجرد بقرة سماوية ، الا انها في هذه الاساطير ام الشمس الذي تلده عجلا قويا ، فربطها بالسماء مرة ، وبالشمس مرة ، وتسميتها بالذهبية مرة ثالثة ، يقترب بها كثيرا من صورة الغزالة العربية ، ويفسر لنا الى حد كبير الربط بين الشمس والامومة واللون الذهبي والمرأة ، والبقرة او الغزالة التى تقول المعاجم العربية انها البقرة والمرأة . والعرب كشعب رعوى لم يعط البقرة ما اعطته الشعوب الزراعية لها من قداسة ، الا انه عرف الابقار الوحشية وتفنن شعراؤهم في وصلها ووصف صيدها ، وتغزلوا في جمال عيونها ، ورقة حنوها على طفلها ...

وحلت الغزالة هنا محل البقرة في تصوير الآلهة الام . والواقع ان تصور حنو الحيوان الام على الطفل ليس مستبعدا اذ هى جزء من المشاهدات اليومية لمن يعايشون هذه الحيوانات .

ويقول علماء الاحياء ان حب الامومة عند جميع الثدييات امر عاطفي لايخضع للتفكير ، كما ان تربية الصغار وحمايتها وتنشئتها عند الثدييات تكاد تقع مسئوليتها على كاهل الام وحدها ، ولهذا نلاحظ ان الطبيعة قد غرست في أمهات الوحوش عاطفة عميقة فياضة نحو تربية الاطفال والصغار الضعاف .

ويقول الاستاذ « فابس باكار » في كتابه « الجانب الانساني عند الحيوان » : « عاطفة الامومة قوية جدا عند الحيوان الى درجة ان الام غالبا مايتعذر عليها التمييز بين أبنائها وبين الصغار من أجناس حيوانات اخرى مختلفة تماما ، فالقطة الام التى فقدت صغارها تذهب وتخطف الارانب الرضيعة وترعاها بنفسها .. »



ويحكي لنا الاستاذ باكار قصة تثبت هذه القضية فيقول ، نشرت مجلة علمية قصة رواها احد موظفي حديقة بولاية ، بيرماونتن ، تقول ان قطة فقدت جميع اولادها بعد ولادتهم مباشرة ، وفي اثناء تجوالها صادفت مجموعة حديثة الولادة من صغار الراكون في صندوق كانت امهم قد لقيت حتفها ، فدخلت القطة الى الصندوق حيث الصغار ، واخذت تتطلع اليهم في استغراب ، وكان واحد من الراكون يئن فاسرعت تلعق وجهه بحنان ثم خافت بحذر في هذه الكتلة المتراصة من الراكون وازاحت عددا منها جانبا بكفيها ثم رقدت بينها ، ومالبثت هذه الصغار الجائعة ان تجمعت فوقها وارضعتها القطة عن طيب خاطر ٠٠ ،

وهذا الرصد العلمي لهذه الظاهرة الغريزية يفسر لنا موقف الغزالة من الطفل سيف بن ذي يزن ٠٠ ومن الطريف ان الاستاذ باكار يروي قصة تحمل وجها آخر تلعب فيه الغزالة دور الطفل المتبنى لا الام المتبنية فيقول : ، وليست المسالة مقصورة على القطة بل ان الكلاب ايضا تشترك

● حب الأمومة عند الثدييات أمر عاطفي لا يخضع للعقل

فى هذه الظاهرة ، وهناك امثلة عديدة تفيد بان الكلاب تتبنى مخلوقات غريبة عنها . ففى بلدة « لوفكين » بتكساس وجد رجل ظبيا يكاد يهلك جوعا . وحاول الرجل أن يغذيه بلبن البقر غير انه تبين انه عسر الهضم بالنسبة له ، واخيرا انتهى به الامر الى أن يأخذ الظبى الى بيت الكلاب حيث توجد كلبة تقوم بارضاع جروها . وسرعان ما اشترك الظبى فى وليمه ، وما لبث ان استعاد صحته فى ايام قلائل ..

وهذا الرأى الذى يصدر عن علماء الاحياء المعاصرين تؤيده ملاحظات علماء الاحياء القدماء ، الذين يرون فى سلوك الحيوان الام فى الثدييات مايقارب بينها وبين الام الانسانة ، مما يجعل ارضاعها للطفل الانسانى امرا غير خطر او ضار .

يقول الجاحظ فى الجزء الثالث من « الحيوان » : « وليس فى الارض بهيمة تفطم ولدها عن اللبن دفعة واحدة ، بل تجد الظبية او البقرة او الاتان او الناقة اذا ظنت أن ولدها قد اطاق الاكل منعته بعض المنع ، ثم لاتزال تنزل ذلك المنع وترتبه وتدرجه ، حتى اذا علمت أن به غنى عنها ان هى فطمته فطاما لا رجعة فيه ، منعته كل المنع » ..

وليست المسألة مسألة الحيوان الام وحسب ، ولكنها أيضا مسألة الطفل الذى يستطيع ان يألف اما غير أمه ، ويؤكد علماء الحيوان امكانية هذا الالف فيقول الدكتور شالرز ميتشل عالم الحيوان الامريكى : «عندما تستأنس الحيوانات البرية فانها تمنح الانسان تلك الثقة وذلك الحب الذى كانت تبديه عادة نحو امهاتها ..» .

ويفسر الاستاذ باكار هذه الظاهرة بقوله : « يمكن القول بان كل مخلوق يتمتع عادة برعاية الامومة ، يكاد يكون مستعدا غالبا لان ينقل حبه وولاءه الى الحيوانات الاخرى ، والواقع ان استعداد الحيوان لان يستأنس يكون اقوى فى الحيوانات التى تظل مدة طويلة فى حضانة امهاتها ، والتى ترتبط فى طفولتها ارتباطا وثيقا بالام .. » فمن الطبيعى اذن ان يأنس الطفل الذى رمته امه وتركته جانبا الى ظبية تمنحه لبنها وامومتها لتعوضه عن غريزة الانتماء الطبيعية الى الام ..

والواقع ان العرب قد لاحظوا ان الظباء رغم انها من الحيوانات غير الداجنة الا انها يمكن استئناسها فيقول الجاحظ فى الجزء السادس من الحيوان : « والظباء قد تدجن وتولد فى صعوبة فيها » والظباء اذا لم تعرف مطاردة الصيادين لها قد تألف الانسان ولا تنفر منه ، وقد حكى ابن قتيبة فى الجزء الثانى من عيون الاخبار عن اعرابى اسمه الاصيمر قوله : « كنت اغشى الظباء فلا تنفر منى ، لانها لم تر احدا قبلى ، وكنت امشى الى الظبى السمين فآخذه » فألف الغزالة بالطفل وعدم نفورها منه شىء لايتعارض مع طبيعتها الى حد كبير .. وحلول الغزالة وغيرها من الحيوان محل الام متكرر كما قلنا فى العديد من اساطير الشعوب .

ويقول الاستاذ الكزندر كراب فى تحليل هذه الظاهرة المتكررة فى كتابه « علم الفولكلور » : « لقد أستعين بالمعتقدات الطوطمية لتفسير مايقوله جانب كبير من الحكايات عن بطل او بطلة ارضعه حيوان او حيوانات ، ولا نزاع فى ان هذا الجانب من الحكايات يضرب بجذوره الى الماضى البعيد ، بل الى عصر ماقبل التاريخ » ..



ولعله يشير هنا الى المعتقدات الطوطمية القديمة التى يكون فيها الاله حيوانا تنتسب اليه القبيلة وتتصور ارتباطها به .

ويقول الاستاذ كراب : « نحن نعرف ان الطوطمية تعنى الاعتقاد فى انحدار مجموعة بشرية ما من حيوان جد ، وينبغى على هذا ان يلعب البطل دوره فى اضطراد النسب وتسلسله ليكون له احفاد حقيقيون وغير حقيقيين والا كان تسلسله من اسلافه من الحيوان بدون مغزى او اهمية .. وينبغى أن يكون الحيوان والد البطل وليس ربيبه او حاضنه لا غير ، واذا سلمنا بهاتين القضيتين وضح لنا ان الجانب الادبى من هذه الحكايات تسلسلات انساب لا غير » ..

وهكذا ينفى الاستاذ كراب امكان الاعتماد على الطوطمية لتفسير هذه الظاهرة الا اننا اذا عدنا الى حكاية البقرة السماوية التى تلد الشمس او العجل ، واذا ربطنا انتساب الملك الى البقرة كحاضنة له فى الاساطير الفرعونية احسسنا اننا وان لم نلجأ الى الطوطمية لتفسير ارضـــاع الغزالة لسيف بن ذى يزن ، الا اننا نعتمد عليها فى ربط سيف بالرمز الاسطورى القديم فى انتمائه الى الاله الشـــمس او الغزالة ليكون هو العجل الفحل الجديد ، او الملك الذى تحتضنه السماء . ويقول الاستاذ فريدريش فون دير لاين فى كتابه « الحكاية الخرافية » : « يرجع كثير من الاساطير اصل الاجناس الشهيرة الى الحيوان ، فقد احتفظ عدد كبير من القبائل البدائية وكذلك بعض الاجناس فى الحضارات الراقية بصلتها بالحيوان .. »

ثم يقول : « وقد عرفت الحكايات الخرافية الاصل الحيواني في اشكال عديدة ، فاحيانا يكون البطل « ايفان » في الحكايات الروسية ابنا لبقرة وكثير من ابطال الحكايات الخرافية رضعوا في الغابات من دببة او اناث الذئاب او الاسود » ..

وعلى عكس ماذهب اليه الاستاذ كراب من نفي الاثر الطوطمي عن هذه الظاهرة ، يؤكد الاستاذ ديرلاين ارتباطها بالطوطمية فيقول : « في الحضارات الطوطمية يتخذ المحاربون المنتمون الى طوطم اسم الحيوان الطوطم شعارا في اغلب الاحيان ، وقد تركت هذه العقيدة اثرها في الحكايات الشعبية ، ومنها مانراه من ظاهرة انتشار الحكايات الخرافية عن ابن الذئب او ابن الحصان او ابن البقرة .. فهذه الظاهرة شواهد واضحة على هذه العقيدة القديمة .. » .

والعرب يستخدمون اسماء الحيوانات في تسمية ابنائهم كاسد وكليب والجرو وغزالة واليمامة وكلاب ، وغضنفر وصقر وزيد الخيل، ووجود بقايا طوطمية في العبادات العربية امر قائم لعل ابرز ظواهره هو الغزالة وربطها باله الشمس ، وربطها بالجن قديما ، واطلاق اسمها على البقرة وعلى المرأة على السواء .

وفي حكايات الف ليلة ، وغيرها من الحكايات الشعبية يطارد البطل غزالة ، وتهرب منه ، ويظل يطاردها حتى ينفصل عن قومه ، واذا بها تقوده الى مدينة مطلسمة او الى كنز خفي ، او تبدأ له رحلة الى مجهول ومغامرة جديدة .. وعلى كل حال فقد اهتم العرب بالغزالة اهتماما كبيرا ووصفوا عاداتها وطباعها حتى ليقول الجاحظ في الجزء الخامس من الحيوان : « والظباء تكرع في ماء البحر الاجاج ، وتقضم الحنظل » .. مما يشي بمعرفة دقيقة بطباعها وعاداتها . الا ان اطرف ماجاء عن الغزالة في المأثور العربي قول الجاحظ في الجزء الثاني من الحيوان : « زعم النظام انه لم يجد في جميع الحيوان أملح سكرا من الظبي . ولولا انه من الترفه لكنت لايزال عندي الظبي حتى اسكره وارى طرائف مايكون منه » .

● جاهل وعالم ●

اعتنق احد الجهلاء مرة ـ وهو في حضرة ارسطو ـ على تلميذ من تلامذته ، فلم يصفع عنه التلميذ ورد له السؤال مضاعفا .. فلما أنب ارسطو تلميذه على ذلك ، قال : « كيف تلومني وهو البادئ .. هذا الى انه جاهل وانا عالم ؟! » . فاجابه ارسطو : « لقد بدأ لذلك ، فانت عالم ، والعالم يعرف الجاهل لانه سبق أن كان جاهلا .. اما الجاهل ، فانه لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما ! » .

نافذة على بلادكم

سؤال وجواب حول:
إذاعة صوت أمريكا

هنا حوار مع الاستاذ فوزى البكرى – مدير اذاعة « صوت امريكا » .. وهو حوار يتضمن معلومات قيمة عن اذاعة صوت امريكا ..

●● س : ماهو الدور الذى تضطلع به اذاعة صوت امريكا بين مختلف الاذاعات ؟

● ج : الدور الاساسى لاذاعة صوت امريكا – باعتبارها اذاعة حكومية موجهة – هو التعريف بأمريكا ثقافيا واقتصاديا وعلميا مما يؤدى الى التقريب بين الشعوب المختلفة والشعب الامريكى

●● س : هل يختلف أسلوب العمل بالاذاعة عن الاساليب التقليدية بالاذاعات الاخرى ؟

● ج : يتشابه مع الاذاعات الاخرى ولكن اذاعة صوت أمريكا تحرص فى المواد الاخبارية على تحرى صحة الخبر فهى لا تذيع النبأ الاخبارى الا اذا كان هناك مصدران على الاقل من مصادر استقاء الاخبار ، أو عن طريق وكالة من وكالات الانباء الرسمية للدولة . وهذا ما تؤكده آراء المستمعين للاذاعة عن حيدة ودقة اخبار صوت أمريكا

●● س : هل يعنى ذلك ان اذاعة صوت امريكا ليس لها مراسلون ؟ او قليل من المراسلين !

● ج : على العكس تماما ، فان اذاعة صوت امريكا لها أكبر مجموعة من المراسلين فى العالم . وهذا يتضح من واقع احصائيات عالمية .

واذاعة صوت امريكا تحرص دائما على التغطية المباشرة للاحداث من طريق مراسليها المشهود لهم بالكفاءة . وليس هناك مكتب من مكاتب « صوت امريكا » المنتشرة فى مختلف انحاء العالم فى اى وقت من الاوقات على مدى الاربعة والعشرين ساعة لا يوجد به مراسل ، على الاقل يكون على اهبة الاستعداد لتغطية اى حدث وفى اى وقت .

ومن مكتب القاهرة كان هناك الاستاذ فوزى تادرس المراسل الرئيسى فى القاهرة حاليا الذى له من الخبرة ٢٢ سنة فى مجال المراسلة الاذاعية .

والواقع أن مكتب القاهرة قائم على صوت الاستاذ فوزى تادرس . ولعل من اهم الأحداث التى يمكن ذكرها انه لم تكن هناك تقارير اذاعية باللغة العربية من أحداث الحرب الاهلية فى لبنان غير تقارير القسم العربى لاذاعة صوت امريكا .. وكان مراسلنا هناك هو فوزى تادرس وهو يحمل الكثير من الذكريات مع الحرب والمدافع وعمليات التفتيش التى كثيرا ما تعرض لها .

ومن أهم الاحداث التى قام بتغطيتها

مؤخرا .. مؤتمر القمة الاخير في «فاس»

●● س : هل للاذاعة مكاتب بالدول العربية ؟

● ج: هناك مكاتب ومراسلون في كل من القاهرة وعمان والخرطوم والرباط وتونس والجزائر يقومون بتغطية انباء العالم العربي .

●● س : هل يمكن القول ان اذاعة صوت امريكا تغطي معظم انحاء العالم ببثها الاذاعي ؟

● ج : برامج صوت امريكا تسمع في معظم انحاء العالم وان كانت محظورة بحكم القانون الامريكي من توجيه برامجها داخل الولايات المتحدة ويمكن توضيح ذلك من حيث طريقة الارسال وعدد ساعات الارسال واللغات التي يتم بها الارسال

● الاذاعة تبث برامجها لمدة ٢٤ ساعة لمختلف انحاء العالم من محطة رئيسية موجودة بواشنطن عن طريق الاقمار الصناعية حيث تستقبلها محطات التقوية المنتشرة في مختلف انحاء العالم وتعيد بثها الى المستمع في هذه المنطقة . فمثلا يوجد محطة في رودس باليونان وهي التي يستقبل عن طريقها مستمعو منطقتنا ارسال صوت امريكا .

وتذيع الاذاعة بحوالي ٣٧ لغة الى جانب اللغات الحية الرئيسية ولغات منطقة الشرق الاوسط والادنى وجنوب اسيا الى جانب اللغة العربية التي تبثها سبع ساعات ونصف يوميا تبث ارسالها باللغة الفارسية ـ لغة الداري (الافغانية) ـ اللغة الاردية (الباكستانية) اللغة الهندية ـ اليونانية ـ التركية ـ الصينية ـ الروسية .

●● س : هل هناك نوايا لزيادة عدد ساعات البث الاذاعي باللغة العربية؟

● ج : في الحقيقة توجد نوايا لتطوير البرامج المذاعة من القسم العربي باللغة العربية لمطابقتها بآراء المستمعين، وليس هناك في الوقت الحاضر نوايا لزيادة عدد ساعات الارسال باللغة العربية لصعوبة فنية . فكما ذكرنا نحن

نبث على مدى ٢٥ ساعة من المركز الرئيسي بواشنطن الى مختلف محطات التقوية التي تبث اذاعتنا بلغات مختلفة .. وهناك خريطة زمنية لكل محطة . فاذا كانت الاذاعة باللغة العربية مثلا تنتهي في وقت معين فانه يتعين ان تبدأ في البث باللغة الاخرى الموضحة على الخريطة الزمنية بعد خمس ثوان . واذا حاولنا تغيير عدد الساعات في برامج اي لغة يلزم تغيير الخريطة لهذه المحطة .

●● س: تحدثتم عن تطوير البرامج المذاعة باللغة العربية لمطابقتها اراء المستمعين فهل يعني هذا ان الاذاعة تقوم بعمل بحوث استماع للتعرف على نوعية المستمعين والبرامج المحببة اليهم لتطوير برامجها تبعا لذلك ؟

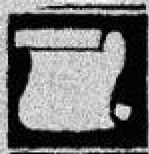
● ج : في الحقيقة لا توجد بحوث استماع بالمعنى المفهوم للاحصائيات وخروج المندوبين الى المستمعين ، لكننا نتعرف على آراء المستمعين عن طريق رسائلهم التي ترد الينا ومن طريق برامج تقدمها الاذاعة ويكون جمهور المستمعين طرفا في مادتها الاذاعية كبرنامج ما يطلبه المستمعون من الاغنيات العربية حيث يمكن عن طريقه معرفة نوعيات الاغنيات المحببة اليهم

كذلك برنامج سؤال وجواب الذي يجيب عن اسئلة المستمعين والتي يمكن عن طريق هذه الاسئلة معرفة نوعية المستمعين واهتماماتهم الى جانب اننا دائما ما نطلب من المستمعين ان يوافونا بآرائهم عن طريق المراسلة ..

●● س: هل يمكن القول ان رحلات سيادتكم الى الخارج كما علمنا ان سيادتكم كنتم في الخرطوم وفي طريقكم الى شمال افريقيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب الاسبوع القادم هي نوع من انواع التعرف ايضا على آراء المستمعين في مختلف انحاء العالم .

● ج : بالضبط ..

سامي المبهي



من ذخائر
الكتب العربية



عبد الحميد إسماعيل موسى



● المصادر التي استقى منها ابن خلدون نظرياته ومقدمته
● كان ابن الأزرق موضوعيًا إلى أبعد حد
● هل تتنبه الأذهان إلى قيمة المؤلف؟

من الاشياء التي تترك أثرا طيبا في النفس أن نرى كثيرا من مفكري وعلماء المسلمين القدماء قد استطاعوا في مقدرة فذة – تندر على مستوى التاريخ الانساني كله – أن يؤصلوا كثيرا من النظريات الفكرية والانسانية، ويصبحوا روادا لكثير من العلوم التجريبية في عصورهم وفي العصور التالية التي جاءت من بعدهم ...

ولا نرى داعيا لأن نكرر كيف كانت أوربا في بدء نهضتها عالة على كثير من كتب المسلمين ومدارسهم الفكرية والفلسفية.

والمسلمون اليوم وهم يعيشون عصر التقدم العلمي والتقني والفكري تقع عليهم مسئولية كبيرة في تكوين هيئات علمية متخصصة لتحقيق التراث الاسلامي والعربي الذي ما زال مخطوطا حتى الآن يعلوه التراب، ويتخبط في صفحاته السوس والعطب، ولا ذنب لنا ان لم تأخذ فورا المبادرة الى تحقيق هذا التراث المخطوط الذي احتوى تاريخ المسلمين وحضارتهم وصار شاهدا على ابداع وروعة العقل الاسلامي والعربي.

ولا شك أنه من بين الجهود العلمية التي تبذل اليوم في مجال تحقيق المخطوطات أعمال ممتازة يجب أن ينوه بها، ولقد ظهر في السنوات الأخيرة تحقيق رائع لكتاب ظل مجهولا لكثير من المتخصصين في العلوم السياسية والاجتماعية، وهو كتاب «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق، حيث بذل أستاذنا المغفور له الدكتور / علي سامي النشار جهدا خارقا في تحقيق هذا السفر الضخم، الذي ما كان ليتم من خلال جهد فردي لولا اخلاص المحقق وايمانه الصادق والعميق بأصالة وريادة الفكر الاسلامي والعربي، فجاء تحقيقه دقيقا فذا.

ومن خلال تناولنا لابن الأزرق وكتابه (بدائع السلك في طبائع الملك) سوف تتضح لنا أمور عدة لها أهميتها وخطورتها، وسوف تجعلنا هذه الأمور نعيد تقييم الكثير من المفاهيم التي رسخت في أذهاننا حول نشأة علم الاجتماع السياسي عند مفكري والأئمة المسلمين ...

ابن الأزرق

هو «محمد بن علي بن محمد بن علي ابن هاشم بن مسعود أبو عبدالله الأصبحي الغرناطي الأصل المالقي الوادي آشي – ويعرف بابن الأزرق – والأزرق صفة جسدية قد لازمته أو لازمت أسرته، ولا صلة لاسمه بأسرة الأزارقة من الشارقة».

ولد بمالقة عام ٨٣٢ هـ – وتوفي بالقدس في السابع عشر من ذي الحجة عام ٨٩٦ هـ، ودفن خارج باب خان الظاهر.

وتدل الآثار المكتوبة التي خلفها ابن الأزرق على سعة معارفه وعلى أصالته الفكرية والعلمية، ويرجع ذلك الى نشأته التعليمية: فقد حفظ القرآن، واتجه الى دراسة العلوم الفقهية، كما كان واسع الاطلاع على كتب التراث



والادب والفلسفة والسياسه وغيرها من المعارف الانسانية التى كانت معروفه فى عصره .

ولقد كان لاساتذة ابن الازرق دور هام ومؤثر فى تشكيل عقلية وفكر هذا الرجل الوسوعى ، ولا غرو فى ذلك فكل الاساتذة الذين تعلم على ايديهم كانوا رواد عصرهم فى العلوم التى تخصصوا فيها .

– فقد تلا ابن الازرق لابن كثير على القاضى ابو اسحاق ابراهيم بن احمد البدرى . ونافع على ابى عمر محمد بن ابى بكر بن منظور .

والخطيب ابى عبد الله محمد بن ابى الطاهر الفهرى ، وعنه اخذ مبادىء العربيه والفقه والفرائض .

– ثم تتلمذ على ابى اسحاق ابراهيم ابن احمد بن فتوح مفتى غرناطة ، واخذ عليه : النحو والفقه والاصلين والمنطق .

– وجلس على قاضى الجماعة محمد ابى يحيى بن محمد بن ابى بكر بن عاصم القيسى الغرناطى وانتفع به كثيرا ، وكان من كتاب الدولة النصرية ووزرائها ، واخذ عنه الفقه ومعرفة الاحكام .

– وحضر مجالس ابى عبد الله محمد ابن محمد الانصارى السرقسطى ، وكان عالم غرناطة ومفتيها .

– كما حضر مجالس الخطيب ابى الفرج عبد الله بن احمد البقنى ، وكان من المفتين المشهودين بغرناطة .

– وحضر ايضا مجالس الشريف قاضى الجماعة : ابى العباس احمد بن ابى يحيى بن ابى عبدالله التلمسانى قاضى الجماعة بغرناطه ، وقد درس عليه الفقه المالكى .

– ودرس الادب على الامام محمد بن زكريا بن الجيب اليحصبى احد اعلام التاخرين بالاندلس .

ولقد كان القضاء من المناصب الرئيسية التى تولاها ابن الازرق طيلة حياته ، فقد تولى القضاء بمالقه وفى وادى آش ، ثم قاضى الجماعة بغرناطه ، كما تولى فى اخريات حياته ولاية القضاء بالقدس ، وكان فى كل بلد عمل فيها من خيرة القضاة : علما واخلاصا وشرفا ونزاهة .

ولا شك ان اقتراب ابن الازرق من سلطان بنى نصر جعله قريبا من المعترك السياسى ، كما جعله يحس – عن كثب – بالمحنة الاليمة التى حلت فى ايامه بالاندلس ، فطاف فى رحلات متعددة يطلب العون من سلاطين وامراء المسلمين لمساعدة الاندلسيين ، فقد اتصل بالسلطان ابى عمرو عثمان بن محمد بن ابى فارس ، ثم هبط الى مصر واتصل بالسلطان قايتباى ، ثم اخذ يدعو الى ذلك فى رحلته الى الحج ، فلم يجد وقتها آذانا صاغية ، فقد كان الكل مشغولا عنه بهمومه ومسلكه .

اما عن كتبه : فقد ترك لنا ابن الازرق ثلاثة من الكتب الموسوعية القيمة ، القريدة فى مادتها ومنهجها :

الاول : كتاب « روضة الاعلام بمنزلة العربية بين علوم الاسلام » .

وهو سفر ضخم يتناول موضوعات متعددة فى التراث العربى الاسلامى .

الثانى : كتاب : شفاء الغليل فى شرح مختصر خليل » .

وهو كتاب فى الفقه المالكى .



الثالث : كتاب « بدائع السلك في طبائع الملك » .

وهو كتاب فريد في مادته ومنهجه ، يتناول علوم الاجتماع السياسي .

ولهذا الكتاب فضل واضح في تنبيهنا الى المصادر التي استقى منها ابن خلدون نظرياته واخذ منها نصوص مقدمته .

وسنعرض فيما يلي بالتفصيل لهذا الكتاب لنتبين بحق كيف تناسينا ابن الازرق ـ طوال قرون عديدة ـ ولم نضعه في مكانه الطبيعي من الصدارة والريادة في مجال علم الاجتماع السياسي ، وكيف لم يتنبه المتخصصون ـ الآن .. في هذا المجال الى ذلك .

كتاب ((بدائع السلك في طبائع الملك))

اشتمل هذا السفر الضخم على مقدمتين واربعة كتب ـ ولقد بدا ابن الازرق كتابه بمدخل أبان فيه خطته في البحث ومنهجه ، والمادة العلمية التي يشتمل عليها الكتاب ـ يقول في مدخله :

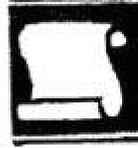
« ... اما بعد : فان من اشهر ما علم عقلا وسمعا ، وجمع فيه بشرط القبول لبرهانه المقبول جمعا ، ان الملك صورة العمران البشري وقراره ، ومعناه الذي يشتمل عليه فوائد الاحتياج واسراره . واني لما رأيت في ذلك ما هو آنور من شمس الظهيرة ، واجلى في الظهور عند الخاصة والجمهور من القضايا الشهيرة ، قصدت الى تلخيص ما كتب الناس في الملك والامارة ، والسياسة التي رعيها على الاسعاد بصلاح المعاش والمعاد اصدق امارة ، على نهج يكشف من محيا الحكمة قناع الاحتجاب ، ويأتي في تقريره لتهذيب ما فضل من تحريره ، بالمعجب العجاب ، لا تحف به من تشوف لهذا الغرض ولم يعدل فيه في الجوهر الى العرض ، من آمير صدقت فيه رغبته وظهرت ، ومأمور وضحت به دلائل الافادة به وبهرت ، ولما اشتمل على كثير من احوال الملك والدول وامتع ايراده لمختار مراده ، من حكم الاواخر والاول ، وأبدى من اسرار الخليقة عجائب غريبة ، وفرد لها من برهان العقل السليم ما كفاه في التسليم والشكوك المريبة سميته :

بدائع السلك في طبائع الملك

عناية بما احتوى عليه من القواعد الحكمية الاعتبار ، والحقائق التي حررها بأوضح الدليل من شبهات التضليل تحارير العلماء الاحبار ، والفوائد الشرعية ، وان كانت المقدمة بما سواها ، على الاطلاق مستخدمة ، فهي من حيث قصده الاول مكملة ، ولعلمه في التفريغ اذا تعلق به خطاب التشريع مهملة او معملة ، ولو خصت السياسة بلحظ جانبها المرعى الذمام ، واعمل في فائدة عملها بمعتبرها في التصريف ومعملها ، واجب العناية بها والاهتمام ، لناسب ان يسمى : « بتحرير السياسة » فهي من العلم الذي لا يستغنى عنه سوقة ولا ملك ، ولا من نهج به في التقويم سبيل الرشد القويم وسلك ، فمن سماه بذلك ، فوجهه وضاح الاسرة مشرقها ، ولحظه في الاعتبار الناسب اصيل المناسب معرفها ؛ وقد حاشيته من سبيل اللهو والبطالة وباختصار محصوله من فروع ما جمع ، وأصوله ، عن الاسهاب والاطالة ، وهذبت ترتيبه وتفصيله ، وذهبت بنضار فرائده على كثرة فوائد بيانه وتحصيله وجعلت لكل وارد مشرعا ، ولطالب المشارب مترعا ، فان وقع هنالك ممن نظر فيه راضيا ، وعن استهداف تصنيفه لرميه بسهام تعنيفه متغاضيا فعسى ان يكون له بالاجادة شاهدا ، ولعذره في الاغفال لشروط الاحتفال ماهدا ، والا فبقبوله من الملتمس له مأمول ، وسمحه بارضائه ، يستغرقه من اغضائه عموم منه وشمول ؛ ورتبته على مقدمتين واربعة كتب وخاتمة »

اما عن محتويات الكتاب فهي :

المقدمة الاولى : في تقرير ما يوطىء



للنظر في الملك عقلا ، وفيهما عشرون سابقة .

المقدمة الثانية : في تمهيد اصول من الكلام فيه شرعا ،، وفيها عشرون فاتحة.

● الكتاب الاول : في حقيقة الملك والخلافة وسائر انواع الرياسات ، وسبب وجود ذلك وشروطه وفيه بابان :

الباب الاول : في حقيقة الملك والخلافة ، وسائر انواع الرياسة ، وفيه ثلاثة انظار .

الباب الثانى : في سبب وجود الملك وشرطه ، وفيه ثلاثة اطراف .

● الكتاب الثاني : في اركان الملك وقواعد مبناه ضرورة واكمالا ، وفيه بابان :

الباب الاول : في الافعال التى تقام بها صورة الملك ووجوده ، وهى عشرون ركنا ضرورية وكمالية .

الباب الثاني : في المستقان التى تصدر بها تلك الافعال على افضل نظام ، وفيه ست مقدمات وعشرون قاعدة .

● الكتاب الثالث : فيما يطالب به السلطان ، تشييدا لاركان الملك، وتاسيسا لقواعده ، وفيه مقدمة وبابان :

المقدمه الاولى في التحذير من محظورات تخل بذلك المطلوب شرعا ، وسياسة ، وهى جملة ، اتباع الهوى ، والمداراة ، وقبول السعاية ، والتميمه ، واتخاذ الكافر وليا ، والغفلة عن مباشرة الامور .

● الباب الاول : في جوامع مابه السياسة المطلوبة من السلطان ، ومن يليه ، وفيه ثلاثة فصول .

● الباب الثانى : في واجبات يلزم السلطان سياسة القيام بها ، وفاء بعهدة ما تحمله ، وطولب به ، والمذكور منها خمسة : بعدها تتمة بيان .

● الكتاب الرابع : في عوائق الملك، وعوارضه ، وفيه بابان :

الباب الاول : في عوائق الملك المانعة من دوامه ، وفيه ثلاثة انظار .

الباب الثانى : في عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ، وفيه اربعة فصول .

● الخاتمة : وفيها سياستان ومسكة ختام :

السياسة الاولى : سياسة المعيشة وفيها ثلاثة مطالع .

السياسة الثانية : سياسة الناس وفيها ست مسائل .

ولا شك ان المدقق في الموضوعات التى تناولها ابن الازرق في كتابه سوف يدرك موسوعية هذا الرجل الذى اثرى كتابه بمختلف المعارف والعلوم السياسية والاجتماعية ـ وكان كل ذلك :

ـ من خلال ملكته الفكريه والعلمية المبدعة .

ـ ومن خلال معايشته الحية للواقع السياسى في عصره : حيث التمزق وتطاحن الامراء والاطماع المحيطه بالاندلس والاندلسيين .

ومن خلال العلوم والمعارف المتنوعة التى احاط بها من خلال كتب السابعين عليه والمعاصرين له ، وكان الرجل من الامانة العلمية بحيث ذكر في صلب عمله كافة المصادر السياسية والتاريخية والجغرافية وكتب الرحلات والادب وغيرها التى استقى منها مادة كتابه .

ولا شك ان كتاب « بدائع السلك في طبائع الملك » كان قبل ان يقوم استاذنا الدكتور النشار بتحقيقه من الكتب المجهولة لكثير من الدارسين ، رغم ان هذا السفر الضخم يعتبر وثيقة نادرة احتوت كثيرا من الامور الهامه والخطيرة التى تدعونا الى ان نعيد النظر في كثير من الامور التى رسخت في اذهان المثقفين والمتخصصين في العلوم الاجتماعية والسياسية ، فقد استطاع هذا الكتاب ان يثبت لنا بما لا يدع مجالا للشك :



ـ ان ابن خلدون ليس وحده فقط رائد علم الاجتماع السياسي من بين مفكري المسلمين ، وانما كان مسبوقا برواد آخرين سبقوه في تناول الدولة والعصبية والعوارض الذاتية ، وذلك في « الشوكة » لدى المسعودي ، والغزالي ، و (عوارض السياسة) لدى الماوردي ، وما كتبه في هذا الشأن : ابن حزم والآمدي وغيرهم .

ـ ان ابن خلدون ليس له كل الفضل في تأصيل علم الاجتماع السياسي ، وانما استطاع الرجل أن يقتنص مواضيع مقدمته من الذين سبقوه ، ثم أضاف عليها من تجربته وخبراته الخاصة ، وأبرزها لنا من خلال المنهج الاستقرائي الذي كان سائدا عند الكثير من مفكري وفلاسفة الاسلام الذين سبقوه او عاصروه .

ـ ان ابن خلدون كان كتوما ـ الى ابعد حد ـ فلم يصرح بالمصادر القديمة التي اخذ منها مادة مقدمته ، ولم يظهر لنا هذا الأمر الا من خلال كتاب ابن الازرق حيث كان الاخير من الامانة العلمية التي تجعله يصرح بمصادره التي كانت في نفس الوقت مصادر ابن خلدون .

ـ ان كتاب ابن الازرق احتوى نصوصا كثيرة من مقدمة ابن خلدون ، وهي احيانا تتفق مع النصوص الموجودة في المقدمة المطبوعة والمتداولة بيننا ، واحيانا تختلف ، وهذا الامر يدعونا ـ فورا ـ الى اعادة تحقيق هذه المقدمه ومقابلة المخطوط منها .

ـ ان نظريات ابن الازرق في الاجتماع السياسي نظريات اصيلة يجب ان يتنبه لها الباحثون والمتخصصون في ذلك المجال ، خصوصا وأن الرجل كان موضوعيا الى ابعد حد : نراه قد اعتمد على قوة الملاحظة وعلى الرؤية الحسية وعلى ما استطاع أن يشاهده من التمزق النفسي والسياسي الذي الم بالمسلمين بالاندلس ، والى الصراعات الرهيبة التي كانت بين امراء المسلمين في فاس وتونس وبين المماليك والاتراك وغيرهم بمصر والشام .

ـ ولقد كانت رؤية الرجل بالنسبة لتطور الدولة تخالف نظرية ابن خلدون التشاؤمية التي اعتمدت على تكرار حوادث الزمان ، بينما كان ابن الازرق يرى أن الدولة يمكن الا تخضع لهذه الاطوار ، حيث انه يمكن ان يمتد العمر بالدولة اذا ما تحقق العدل بين الحاكم والمحكومين ، وليس بغريب ان يدعم ابن الازرق نظريته هذه بما كتبه في سفره الضخم عن ادب القاضي ، وعدالته ، وفساده ، وقبوله للصلات والهدايا والرشاوى وما اليها .

ـ لم تقل نظريات ابن الازرق في الاجتماع السياسي بتأثير الطلاسم والسحر والرقى والتمائم في قوانين البيئة شأن ابن خلدون ، وانما تعالى عن ذلك شأنه شأن العماء المتخصصين الموضوعيين .

وبعد :

فاننا نرجو أن نكون قد وفقنا ـ بعون الله ـ في تقديم عرض موضوعي حول كتاب ابن الازرق « بدائع السلك في طبائع الملك » كما نرجو أن نكون قد نبهنا الاذهان الى قيمة هذا الرجل وكتابه : اللذين ظلا مجهولين عنا قرونا طوالا ..

الناس
والعصر

القصيرة.. تليق بالمعلم

نصر الدين عبد اللطيف



● لايصدمك انتشار بقع الظلام في ثوب النهار

● تشجعت .. لم أر في فنون القول أشهى وأمتع مما يقول، بالحب، كاتب عبقري معاصر، عن كاتب عبقري لا يزال يمتد على العصر ظله! ..

ان تراث العبقريات عالم زاخر، بعيد الغور، ساحر مسحور .. وحناك، قد تتعثر خطواتك في حواجز الوهم بين الممكن والمستحيل! .. أو يصدمك انتشار بقع الظلام في ثوب النهار! ..

وليس أروع من أن يكون دليلك في عالم العبقري - عبقريا مثله! .. ولكن دليلي في الرحلة، هنا، كان بعض قدري ..

.. كان يتنفس الحزن الحميم والشجن .. وكنت أرجوه مرحا طروبا! ..

وكان يحكي عن ماض قريب ذهب ... وأنا التي زحمت هموم العصر يومي وغدي! ..

الأعجب بعد ذلك والأصعب، أنه - الكاتب الكولومبي الكبير جابرييل جارسيا ماركيز - لم يصحبني في الرحلة الى عالم صاحبه الكاتب الامريكي الكبير ارنست هيمنجواي! ..

لقد طوف بي حول السور، وعند الباب، يحدثني .. وقبل أن يمضي، كان قد صنع لي من فكره وشاعريته، حلقة مفاتيح ليس بينها واحد يفتح لي الباب! ..

. . . .

ولم تظل وقفتي وراء عالم هيمنجواي ...

لطالما تسلقت أسواره من قبل، ودخل لي فيه وقفات حب، وصحبة، وذكريات! ..

. . . .

لا يزال الأفق رحبا، والأعماق خصبة .. لكنها الآن لا وقت للسباحة في البحار القديمة!

و ... ظللت أمشي في طريق جابرييل جارسيا ماركيز ...!

أريد أن أحاورك ياسيدي فيما قلت وتقول بكل الحب والشجن عن هيمنجواي، صاحبك الأثير والمعلم! ...

صاحبك رغم أنك لم تلتق به الا مرة واحدة، لقاء على البعد، وبغير حوار! ..

كان ذلك في قلب باريس، ذات يوم ممطر في الربيع! ..

عندما وقع بصرك عليه، لأول وآخر مرة، كان في ميدان سان ميشيل، يسير على الرصيف المقابل في اتجاه حدائق اللكسمبورج .. قميص من قماش الرعاة الاسكتلندية، وقبعة لاعب البيسبول، ونظارات معدنية صغيرة مدورة، يبدو بها جدا قبل الأوان! ..

آنذاك كان قد أكمل عامه التاسع والخمسين، ضخما، ملفتا .. وبين زحام شباب السوربون، ومعروضات الكتب المستعملة

الناس والعصر

● وهكذا يا أستاذنا .. نجح اللقاء ، وفشل الحوار


فيدل كاسترو

كان يبدو شديد الحضور بشكل خارق ! ..
لم يكن يبدو ، كما كان يحب ان يبدو دائما .
ولكن ، كان من المستحيل تصور انه لم تبق له سوى اربع سنوات فقط ثم يموت ! ..

● معك الى الابد !

يومئذ ياسيدي ، كنت انت في الثامنة والعشرين من عمرك ... تجول في باريس ، غريبا ، موزع الجهد والحب بين الصحافة والادب ...

ولقد وقع في خاطرك ان تعبر الشارع اليه ، تحدثه باعجابك وتجرى معه حوارا للصحافة ... ثم تذكرت ما قد يكون بينكما من الحواجز اللغوية .. انجليزيتك المحدودة ، واسبانيته غير المضمونة ! ..

ولم تكن اللحظة تتسع لكل هذا ... فوجدت نفسك تضع كفك كبوق حول فمك ثم تصيح كطرزان في الغابة : ايها المعلم .. !

ومن الشاطيء الاخر للشارع ، سمع هو الصيحة ، وادرك انه في زحمة شباب الطلبة لا يمكن ان يكون معلم غيره ، فالتفت نحوك يرفع ذراعه مخيا وهو يصيح بصوت ، صبياني بعض الشيء : الى اللقاء .. ايها الصديق .. !

ومضى في طريقه ، ومضيت .. انتهى اللقاء .. لكنه ـ كما قلت لى منذ قليل ـ ترك في نفسك احساسا عريضا بان شيئا هاما دخل حياتك ، وانه سيبقى معك الى الابد ! ..

● الهجر في الوقت المناسب !

هكذا ، يا استاذنا ، نجح اللقاء ، وفشل الحوار !
ربما تغير الموقف لو انك عبرت نهر الطريق اليه وغامرت ..
كنا حينئذ تظفر بحوار رائع ، يبدأ من حيث انتهى جورج بليمبتون محرر الباريس ريفيو ، في اللقاء التاريخي الشائق مع هيمنجواى العظيم !

منذ ذلك اليوم ، وحتى اليوم ، لا يزال ذلك اللقاء وثيقة حية من فكر هيمنجواى وادبه ، وفيها كذلك اصدق ما يهدى اليوم وغدا لشباب الكتاب ... !

● ان الاستقرار الاقتصادي والصحة الجيدة ـ امران هامان ، ويناسبان الكتابة ...

● لا بد من جهد خاص متميز ومستمر يحقق للكاتب ميزة الترتيب الجيد للكلمات ...

● الخطأ الكبير يكمن في محاولته تجاوز حدوده الرائعة!

● من المفيد اعادة قراءة ما كتبناه من قبل . كلما واجهنا متاعب في انتاجنا ... ان ذلك سيذكرنا ان الكتابة العظيمة عمل صعب في معظم الاحيان ...

● يمكن للكاتب العمل اينما كان ، شرط الا يكون هاتف او زوار !

● ليس صحيحا القول بان الصحافة تقضي على الكاتب ..العكس هو الصحيح ، بشرط ان نهجر الصحافة في الوقت المناسب !

اخيرا ، وبنص كلمات هيمنجواى :

« عندما تصبح الكتابة هي الادمان الرئيسي ، والمتعة الكبرى ، فلن يضع لنا حدا سوى الموت ! » .

● مغمور في عمق المياه !

● الان ياأستاذ ماركيز ، وقد تعمقت انت هيمنجواى حتى رايته معلما ... فهل تراه ايضا مبدعا ؟ ..

– الحق ان مجمل ابداع هيمنجواى ، يشهد ان النفس الذى يكتب به كان عبقريا ... ولكنه نفس قصير !

لقد كان هيمنجواى يعيش توترا داخليا .. وكان يتمسك دائما ويخضع لسيطرة تقنية قاسية .. وهذا كله غير محتمل في المحيط الشاسع للرواية ...

ولهذا السبب ، فاننا نلحظ عنده الحشو الزائد اكثر مما يحدث عند كتاب آخرين ..

ان روايات هيمنجواى تبدو قصصا قياساتها ، بسبب مايزحمها من فائض كثير ! ..

ان افضل ما في قصصه ، هو الانطباع الذى تتركه من ان شيئا ما ينقصها ... وهذا بالضبط هو ما يضفي عليها غموضا وجمالا ! ..

ولقد اطلق هيمنجواى نفسه شعارا جميلا يقول :

« ان الكتابة الادبية ، كالجبل الجليدى .. تكون ذات قيمة اذا كانت سبعة حجمها مغمورة في عمق المياه ! .. »

والحق ان هيمنجواى يبلغ الذروة بقصصه الاكثر احكاما ، وليس باى من رواياته ! ..

والخطأ الذى وقع فيه ، يكمن في محاولته تجاوز حدوده الرائعة !..

● .. لانك عايشت ادبه بشكل معمق وخاص ، فكيف يا سيدى كنت تقرؤه .. وما هي في رأيك القصة التي تكشف فيها مميزات هيمنجواى ومحاسنه ؟ ..

الناس والعصر

[illegible]

● انهم يقرأون الروايات لاكتشاف طريقة كتابتها فقط!

ـ لا اذكر الان من الذى قال اننا معشر الروائيين نقرأ الروايات لاستكشاف طريقة كتابتها لا غير ! .. واعتقد ان ذلك صحيح ... فنحن في قراءتنا لا نكتفي بالاسرار المعروضة على واجهة الصفحة ، بل اننا نقلبها على ظهرها لنحلل تفصيلها وحياكتها ...

اننا ، وبطريقة يصعب شرحها ، نفك الكتاب الى قطع اساسية ، ثم نعيد تركيبه بعد ان نكون قد تعرفنا على ما فيه من اسرار الصنعة او الفن او الموهبة !

... وفى رايى ، وذوقى الخاص ـ فان القصة التى تكشفت فيها محاسن هيمنجواى هى اقصر قصصه « قط تحت المطر » ...

ولقد كان من سخريات القدر ، ان عمله الاكثر جمالا وانسانية ، هو فى ذات الوقت الاقل نجاحا ... « فى الجانب الاخر من النهر » فقد بدا يكتبه كقصة ـ كما صرح هو بنفسه ـ ثم تاه فى مستنقعات الرواية !

ولقد كتبها على ضوء الفجر من خريف شاحب ، وبكائية عصبية على الشفاه . خلفتها سنواته الماضية ، وتوقعه الحزين للسنوات القليلة التى بقيت له فى حياته ... فى كل اعماله الاخرى ، لم يعط هيمنجواى هذا القدر من نفسه ...

ولعله لم يستطع التعبير فى غيرها بكل هذا القدر من الجمال والعذوبة عن اعماقه وجوهر احساسه بعمله وحياته .. فموت بطله الذى جاء موته هادئا وطبيعيا ، كان تصورا محكما لانتحاره هو ذاته ! ..

وتبقى من روائعه ايضا قصصه الثلاث التى كتبها فى فندق مدريدى عندما الغت الثلوج حفل مصارعة الثيران فى مهرجان سان بسيدرو ... وتلك القصص ، كما حكى لجورج بليمبتون فى لقائهما الشهير كانت هى : القتلة ـ عشرة هنود ـ اليوم يوم جمعة ..

وكلها تليق بالمعلم !

وللذكرى ، فاننى منذ سنوات ركبت سيارة الزعيم الكوبى فيدل كاسترو ، وهو قارئ ممتاز فى عالم الادب ، ورايت على المقعد داخل السيارة كتابا صغيرا مغلفا بجلد احمر .. واشار اليه كاسترو وهو يقول لى : انه هيمنجواى .. المعلم !

● ... لكن الان يا سيدى ، وبعد عشرين سنة من رحيل هيمنجواى ... ماذا بقى منه ؟ ..

● عمله الأكثر جمالاً.. هو في ذات الوقت الأقل نجاحًا!

- هو باق في كل ما كتبه ...

وحتى في واقع حياة الناس والعصر ، فان نصف العالم ملئ بالشخصيات ، والاماكن التى خلدها فى كتاباته وتبقى شاهدة تخلده بعد رحيله .

فى ايطاليا ، واسبانيا ، وكوبا ...

فى سهول كينيا وابقارها الوحشية واسودها ... فى حلبات مصارعة الثيران ... فى اوساط حياة الملاكمين ، والمجرمين ، والفنانين ... وفى كل ما خلق به فكره ووجدانه وقلمه ، هيمنجواى باق ، وباصرار ، بعد عشرين عاما من رحيله ..

هيمنجواى باق ، حتى ولو لم نكن اليوم كما كنا فى ذلك الصباح من مايو ، وهو فى زحام الناس وشباب السوربون ، على الرصيف المقابل ، يبتسم ، يرفع ذراعه تحية ، ويصيح لى : الى اللقاء .. ايها الصديق ! ...

● تذكرة طبية ●

اقام احد كبار الاطباء حفلة خاصة ، ورأى ان يدعو اليها صديقا له فى دور النقاهة من مرض عالجه منه ، فارسل اليه الدعوة مكتوبة بخطه على ورقة من الاوراق التى يستعملها فى كتابة الوصفات العلاجية « روشتة » .. وكان خط الطبيب من الغموض بحيث لم يستطع صديقه قراءته ، فلم يحضر الحفلة . وفى اليوم التالى لقيه الطبيب وساله : « لقد ارسلت اليك ورقة امس ، فلماذا لم تعمل بما جاء فيها ؟ »

● الجزء الثانى ! ●

اراد عميد احدى الجامعات ان يهدى احد اصدقائه نسخة من كتاب جديد له ، وكلف ناشر الكتاب ارسال تلك النسخة الى ذلك الصديق . فحدث ان ارسل الناشر اليه نسختين لا نسخة واحدة ... وبعد ذلك حين قابل العميد صديقه وساله : « هل جاءك كتابى الجديد ؟ »
فاجاب قائلا : « نعم وقد انتهيت من قراءة الجزء الاول ، وكدت افرغ من قراءة الجزء الثانى ! »

ضحكات



« كذبة ابريل »

الشكوى لغير الله مذلة





"بدون تعليق"

ضحكات



تيجى نعمل جمعيه كل شهر ... بس أنا اللى أسرقها الأول !!!



واضح جدًا انهم "اتنين" ياهانم!!



هو مافيش على لسانك دايمًا غير ده ؟؟!!



اليومين دول مافيش ولا أغنية جديدة قادره تهزني !!!



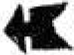
يوسف القعيد

ثقافة هذا الزمان

تبدو الثقافة المصرية ، ويبدو المثقفون المصريون . مثل التاجر المفلس . والذى لا يملك فى كل وقت سوى العودة الى الدفاتر القديمة، فهى الزاد والزواد. وهى الامل . الثقافة المصرية والمثقفون المصريون . لهم ماض . قريب وبعيد . ويجرجرون اقدامهم عبر حاضر . ولكن من يجرؤ على القول ان ثمة مستقبلا لهم الان ؟..

ما من ظاهرة يشاهدها الانسان الان. الا ولا يملك سوى العودة الى الماضى . مقارنا او دارسا . او محاولا العثور على ماض اكثر حضورا . وتالقا فى الذهن . وحاضر الثقافة المصرية لا يعنى اليوم . ولكنه يعنى هذه الفترة . التى بدات ملامحها تتحدد منذ منتصف السبعينات. وحتى الان . وهى الفترة . التى كان شعار الدولةوالنظام والحكام فيها مستعارا من كلمة جوبلز الشهيرة والمعروفة : « كلما سمعت كلمة ثقافة تحسست مسدسى » . كان هذا هو الشعار ولا يزال حتى اليوم . ويخشى الانسان ان يستمر حتى الغد ايضا .

الحديث عن تالق ماضى الثقافةالمصرية. كنوع من الهروب من مواجهة تدهور حاضرها . له مناسبة . فخلال هذا الشهر صدرت ثلاثة اعمال ادبية جديدة . لن اتحدث عن غياب النقد والنقاد . فافضل ابناء مصر ، من النقاد هاجروا وتركوها . خلال السنوات العشر الماضية . والمثل الفلاحى الذى يقول انه لا يبقى على المداود سوى شر البقر. يبدو صحيحا بدون حد . ولن اتكلم عن هزال . وتخلف ما يسمى بالصحافة الادبية فى مصر الان . التى اصبحت اقرب الى التجومية والفرقعة ، وتصدير الفضائح الى الناس . ولن اقول ان قضية عودة عمر الشريف وفاتن حمامة الى العمل معا . فى فيلم واحد . كانت تبدو اكثر اهمية . من هذه الاعمال الثلاثة . وقضية هل تزوج ابن لاعب الكرة صالح سليم من ابنة شاه ايران الراحل. حظيت بمتابعات يومية . من الصفحات الاولى من صحافة الشعب . تفوق متابعات ما اصدره الكتاب الثلاثة .. ولن اقع ايضا فى خطا مقارنة النشاط الادبى ، بكل هذه القضايا اليومية . ما علينا . فى الستينات ، عندما كان يصدر عمل ادبى لكاتب مثل يوسف ادريس . كان يعد حدثا ادبيا . سواء فى مصر او الوطن العربى . لن اتحدث عن هم العزلة الثقافية عن وطننا العربى ، فكان يجب ان يكون اللغة العربية هى الخندق العاطفى الاخير لنا جميعا . لن اتكلم عن ذلك الجرح النازف





يوسف ادريس



احسان عبد القدوس

أبدا . ولكنى اعود الى الاعمال الثلاثة من جديد . مصر لم تعد مصر ، والناس لم تعد الناس ، والقارىء لا وجود له. والحبر الاسود المراق . على نهر صحف الشعب المصرى ، يتكلم عن امور اخرى. ولكن لابد من القول ايضـــا . وبنفس الدرجة . فـــلابد من القـــول . ان يوسف ادريس لم يعد هو يوسف ادريس. وان احسان عبد القدوس . ـ برغم كافة التحفظات على نتاجه الادبى ـ لم يعد هو ايضا احسان عبد القدوس . هذا الشهر صدرت ليوسف ادريس «مجموعة من القصص القصيرة» هى اقتلهـــا . وصـــدرت لاحســـان عبـــد القـــدوس رواية جديدة : يا عزيزى كلنا لصوص . والاعمال الثـــلاثة نشرتها دور نشر من القطاع الخاص .



اقتلها مجموعة جديدة ليوسف ادريس .. ومنذ ان صدرت له منذ ثمانية أعوام مجموعته القصصية « بيت من لحم » . وبعدها بسنوات اصدر مجموعة قصـــص انا سلطان قانون الوجود . ومجموعة : « نيويورك ٨٠ » . ونحن نبحث فى هذه الاعمال عن يوسف ادريس الذى عرفناه واحببناه وتعلمنا على يديه الكثير . فلم نجده . انا لا احاول التقليل من قيمـــة الانجازات الراهنـــة ليوسف ادريس . لحساب احد . واعرف ان كل كاتب له قانونه الخاص به من التطور وادرك انه حتى فى هذه المرحلة . يوجد فى ادب يوسف ادريس ما يجب ان نتوقف امامه طويلا . فالكاتب الذى يضيف بالايجاب. يمكنه ان يضيف بالسلب ايضا . وبنفس القدر . فى هذه المجموعة . قصة قصـــيرة عنوانها : يموت الزمار . وهى قصـــة تقول الكثير عن ازمة فنية وفكرية يعيشها يوسف ادريس منذ سنوات ، وقد كان صـــادقا . مع نفســه وفنــه فى رصـــد هذه الازمة .



ياعزيزى كلنا لصوص . رواية جديدة لاحسان عبد القدوس . يقف فيها احسان عبد القدوس . امام موضوعه المفضل . حيث يحلو له الحديث عن جرحى ثورة يوليو . ولكنه هذه المرة يحمل جرحى هـــذه الثـــورة . الى زمن الانفتـــاح الاقتصادى . وما لم يحسب حســـابه احسان عبد القدوس. ان الجرحى تحولوا الى لصوص . يسرقون بعضهم البعض. وهو ما يهدم تعاطف احسان معهم. ويفقد عمله ركيزة اساسية من ركائزه . لاننى كقارىء أسأل : ألم يكن ما جرى لهم واجبا .؟ واسأل ايضـــا : الا يستحق الفساد الذى اشاعه هؤلاء اللصوص فى بر مصر ثورة جديدة ؟ هـــذه التساؤلات تطرح نفسها . بعيدا عما يمكن قـــوله حول مستوى الرواية . التى تبدو اقرب الى التخطيط المبدئى لرواية اخـــرى . تمر مصر ان يبدأ احسان فى كتابتهـــا الان . والمشكلة منذ ان طرح احســـان عبد القدوس فكرة الادب السينمائى من قبل . وهو يكتب نصوصه الادبية وعينه مركزة على السينما .



مصر : هبة المريدان

احزن كلما قام فندق من فنادق القاهرة بنشاط ثقافى . من المفروض ان تقوم به اجهزة مصر الثقافية . وآخر احزانى . الدور الذى يقوم به احد الفنادق . من تكريم المرأة المصرية . بمناسبة مرور يوم المرأة ذهبت اديبات مصر . وفنانات مصر التشكيليات . الى فنـــدق . لكى يتم تكريمهن . اليس ذلك محزنا . فى ظل دولة . فيها العديد من المؤسسات التى من المفروض ان تقوم بهـذا الدور . من المعروف ان الفندق يعنى انه نشـــاط تجارى . ولهذا عندما يقوم بهذا الدور فهو يقوم به من اجل الحصول على مردود اعلانى . معين يتم بطريقة مبتكرة وجديدة. وليس معنى حديثى اننى اصادر حق اى فندق فى القيام بأى نشاط . ولكن اقول. انه لا يجب ان يقوم هذا الفندق بالدور الاساسى لاحدى مؤســسات الدولة . واخاف من ذاكرة التاريخ التى لا ترحم احدا ولا عصرا ولا جيلا . ان يقال بعد ذلك ان مصر وثقـافة مصر هبـة من المريدان ..

مواعيد المشاهدة ..

اخذتنى صديقتى الحميمة، الى معرض الفنانة العظيمة انجى افلاطون . فى مبنى مجمع الفنون فى الزمالك . وهو معرضها الاول بعد ثلاث سنوات من الغياب الفنى. وعلى باب المعرض الذى كان مفتوحا . وقف العسكرى يمنعنا من الدخول . قال ان التعليمات تقضى ان تكون هناك راحة من المشاهدة من الواحدة بعد الظهر . وحتى الخامسة مساء ولم افهم السر فى هذا . ربما كان هذا الوقت اكثر مناسبة للكثيرين . ثم هل هناك وقت لمشاهدة الفن التشكيلى . ووقت لا يجب ان تتم فيه هذه المشاهدة . قال العسكرى انها الاوامر الدائمة . والاوامر هى الاوامر.

مع الاعتذار لعمر المختار

تتبت جماهير مصر فى كل وقت انها اكثر نضجا من الجميع . والحكاية انه فى زمن المبادرات نحو الاعداء . رفعوا اسم الممثلة اليزابيث تايلور . من المقاطعة .. ونسوا انها لفت ودارت فى كل انحاء العالم . وجمعت التبرعات للصـــهيونية تحت شعار ادفع دولارا . تقتل عربيـا قذرا . فى زمن المبادرات نحو الاعداء ، عرضوا فيلمها. فهللت الصحافة. وكتبت الاقلام . وقيل ان القرار لفتة حضارية . ولكن فى زمن التوازنات الذهبية والحلول الوسط . تقرر عرض عمر المختار فى مصر . سكتت اجهـــزة الاعلام ، ولكن جماهير الشعب المصرى البطل . وقفت طوابير امام عمر المختار ، تذهب اليـــه وتشاهده . رغم الصـــمت الاعلامى . والتجاهل ..



انجى افلاطون — عمر المختار

هل الكلمة المكتوبة جدوى ؟

يقول نيتشه ان عدم وصول الكلمة المكتوبة الى متلق معين، لايكمل الدائرة. فى الشهر الماضى . كتبت عما فعله الرقيب بحيى فى معرض القاهرة الدولى للكتاب . وجهت حديثى الى رئيس هيئة الاستعلامات والى وزير الثقافة . وكان الصمت فى أعقاب ما نشره الهلال فى الشهر الماضى . أكبر دليل على جدوى الكلمة المكتوبة فى زمننا هذا . وهو ليس شهادة ضد الكلمة المكتوبة بقدر ما هو شهادة ضد العصر نفسه ، احترام الكلمة المكتوبة . يعكس رغبة فى احترام العقل البشرى . ويعكس قدرا من التحضر . ويعكس رغبة فى الاستماع . ولكن المشكلة ان ما يحدث شىء . والمفروض شىء آخر .

غرفة المطالعة : عزلة ماركيز

الكتاب عنوانه عزلة جابرييل جارسيا ماركيز وهو من تأليف ميجيل فرناندز براسو . وهو ناقد أدبى . الكتاب نشرته دار الكلمة فى بيروت . وهو عبارة عن مقابلة كبيرة مع ماركيز . وماركيز ــ واعتقد ان معظمنا لا يعرف ــ اشهر كاتب روائى فى عالم اليوم . له تسعة أعمال أدبية منشورة . ترجمت كلها فى بيروت . مع الاعتذار للقاهرة . التى قررت الانفتاح على البضائع والعلب والمشروبات والنطور . ولكنها اغلقت كل الابواب فى وجه اى فكر مهما كان . وماركيز كاتب روائى من كولومبيا يقرؤه العالم كله . وروايته العظيمة مائة عام من العزلة . صدرت منها حتى الآن بالعربية فى بيروت خمس طبعات . فى عامين . وماركيز يصلح مدخلا للحديث عن هذه الارض البكر . امريكا اللاتينية وأدبها الروائى بالذات . انتى احيى الناشر الذى قدم ماكيز وأتساءل : لمصلحة من تتخلى القاهرة عن دورها الثقافى ؟

الحصاد من ثلاث جهات ..

مجموعة من القصص القصيرة . من أرق وأعذب ما كتب جمال الغيطانى . اناشيد عن العذاب الانسانى . قصص جيدة ولكنها كانت سيئة الحظ . كان ميلادها الاول . بعيدا عن ارض الوطن . وكذلك ميلادها الثانى . صدرت الطبعة الاولى منها فى سوريا . عن اتحاد الكتاب العرب فى دمشق . والطبعة الثانية صدرت من دار المسيرة فى بيروت . فهذه المجموعة . تجد سقف اعمال الغيطانى بحق ، فيها قصة : البلاد البعيدة ، منتصف ليل الغربة ، والحصاد من ثلاث جهات . وفيها تفوق فنى . يقف على قمة انتاج الكاتب كله .

خرافات أيسوب ..

تحاول دار الفتى العربى . تقديم النتاج العالمى للطفل العربى .. بصورة جيدة ، فى هذا الكتاب تقدم كل الخرافات

التى كتبها ايسوب للطفل ، ترجمها عبد الفتاح الجمل . الكاتب الذى قدم للحياة الادبية العربية الجيل الذى يملأ بنتاجه الادبى صحافة العالم العربى ومجلاته الثقافية الان . وذلك من خلال اشرافه على الصفحة الادبية فى جريدة المساء . وعندما اصبح ممنوعا من العمل فى زمن العداء لكل المثقفين . لعب دورا اخر كتب وترجم . ومحاولة عبد الفتاح الجمل ليست الاولى . سبقته محاولات لسميرة الكيلانى وعلاء الديب وأحمد والى ، ودار الفتى العربى . لا تعامل الطفل على انه طفل . ولكن على انه انسان . فى سن الطفولة . ولهذا تخرج هذه الخرافات للصغار وللكبار معا .. يبقى ان اخراج هذه الخرافات . يصل الى حد المثال .. فى تقديم الكتاب واخراجه .

أشكال الرواية الحديثة

الكتاب صادر من دار الرشيد للنشر . فى بغداد بالعراق . والكتاب مجموعة من المقالات جمعها : وليام فان اوكونور . وترجمها نجيب المانع . فى الكتاب دراسات عن هيمنجواى . ولورنس وجيمس جويس وفوكنر وفورستر واندريه جيد ومارسيل بروست . وفرجينيا وولف . والمحاولة الجوهرية فى هذا الكتاب الهام هى .. البحث عن حساسية جديدة للرواية . فى حدود العصر الذى يتكلم عنه الكتاب والنقاد . وهو العصر الذى انتهى فعلياً على صعيد الرواية العالمية الان . ولان مثل هذه الكتب تصل الينا . بعد صدورها بحوالى ربع قرن . فرغم جدة الكتاب وحداثته . الا انه يتحدث عن كتاب لم يعد لهم وجود مؤكد على الساحة الادبية الراهنة الان .

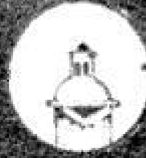


د . فؤاد زكريا

النقد الفنى

دراسة جمالية وفلسفية . الفها جيروم ستولنيتز .. وترجمها الدكتور فؤاد زكريا . وصدرت منذ سنوات من احدى دور النشر الخاصة بالكتب الجامعية وكانت الطبعة محدودة للغاية . وفى هذا العام . صدرت الطبعة الثانية من هذا السفر الضخم . مرتين فى وقت واحد . فى بيروت والقاهرة معا . فى القاهرة صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب . بالتأكيد هناك خطأ ما . ولكن الموقف فى صالح الهيئة فالكتاب المصرى . ما يزال ارخص الكتب سعرا . فى العالم العربى ، لكن الهام . انه بسفر الدكتور فؤاد زكريا الى الكويت والعمل هناك خسرت الحركة الثقافية فى مصر مفكرا وكاتبا . ومبدعا من الطراز الاول . وبعد هذا كله خسرت مترجما عظيما . فالدكتور فؤاد زكريا يترجم بنفس سرعة وسهولة القراءة . حتى دون الرجوع الى مراجع . صحيح أن تواجده فى الكويت . نوع من القيام بالدور القومى لمصر . وان دوره فى سلسلة عالم المعرفة دور قومى من الدرجة الاولى .. ولكننا فى المقابل خسرنا مؤلفاته اولا . وترجماته ثانيا . فى زمن عزت فيه الترجمات تماما ..

رسائل جامعية



الإخوان المسلمون في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ - ١٩٤٨

الدكتور زكريا سليمان بيومي

إشراف ومناقشة :

د. صلاح العقاد

د. عبد العزيز نوار

د. جلال يحيى

د. محمود منسى

يؤكد الباحث في مقدمة دراسته : « انني لم أكتب هذا البحث بقصد الانتصار لشخص بعينه أو هيئة أو جماعة أو ذم ، فتلك غاية لا تتفق والبحث العلمي التاريخي ، وانما كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو محاولة توضيح الحقيقة التي اصبحت من خلال تناول المؤرخين والكتاب وعلى اختلاف مذاهبهم متباينة ، بل ومتناقضة احيانا .. »

بهذا الالتزام قدم الدكتور زكريا سليمان رسالته عن جماعة الاخوان المسلمين ، وفي الحقيقة أن الدراسة كانت تجميعا شاملا لمختلف الاراء والدراسات التي قدمت على مسرحنا الثقافي السياسي التاريخي في اطار اكاديمي ، ومن هنا جاءت أهمية هذه الرسالة التي توضح لنا الكثير عن جماعة لعبت ومازالت تلعب دورا كبيرا في حياتنا السياسية والدينية .. ولعل وقت تقديمها للقارئ يتوافق تماما مع الاحداث التي تمر بها البلاد خاصة والتيارات الدينية المتوافقة والمتعارضة تتواجد بشدة ، علنيا او بشكل سري ، لتؤثر تأثيرا واضحا في مسار تاريخ مصر الحديث ...

وسوف نرى الى أي حد التزم الباحث بالحياد والموضوعية في سياق رسالته الممتازة ..

● شهدت نهاية العقد الثالث من هذا القرن نشأة جمعيتين اسلاميتين من القوى الجمعيات الاسلامية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وهما جمعيتا «الشبان المسلمين » ، « والاخوان المسلمين » . ولم تنشأ كلتا الجمعيتين من فراغ ، وانما نتيجة لعدة عوامل .. عوامل سياسية

وجود الاحتلال ، فلم تخضع مصر منذ الفتح الاسلامى لحاكم مسيحى ، بالاضافة الى ظهور ماسمى بالفتنة الطائفية – لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث . نتيجة لمدارس التبشير ، وابداء بعض الاقباط وقتذاك الرغبة فى حماية الاحتلال لهم بحكم الوحدة فى الدين ولكونهم اقلية ، مما كان له الاثر على الرأى العام الاسلامى وبالرغم من ثورة ١٩١٩ التى ادت الى الوحدة الوطنية ، والتحام المسلمين بالاقباط ، وانحسار المد الاسلامى عن المؤسسات التقليدية مثل الازهر ، فان هذا التيار ظل قويا عند الكثير من رجال الثورة ..

عوامل فكرية : اتاحت العوامل السياسية الظروف امام المصريين الى تلقى العلم فى الغرب ، وتأثروا بحضارته ، ولذلك وجدت فئة من المثقفين تنادى بان يحل المفهوم العلمانى الخاص بالدولة القومية محل الفكرة الاسلامية ..وساعد على نشر هذا الفكر العلمانى الغاء « مصطفى كمال اتاتورك » للخلافة الاسلامية سنة ١٩٢٤ . وتحويله لتركيا الى دولة علمانية . وادى ذلك الى ظهور مؤلفات تنتهج نهجا علمانيا فى مقدمتها كتاب « الاسلام واصول الحكم » الذى الفه الشيخ « على عبد الرازق » سنة ١٩٢٥ وقد انتهى فى مؤلفه بادلة تنفى وجوب الخلافة وعدم صلاحيتها للعصر ، مما كان سببا فى صدمة للعواطف الاسلامية المتاججة بسبب الغاء الخلافة الاسلامية فى تركيا ، وخاصة ان مؤلفه من رجال الازهر .

وساهم فى ذلك ظهور العديد من الكتابات مثل كتاب « الشعر الجاهلى » للدكتور « طه حسين » . ثم كتابات « سلامة موسى » ودعوته للغرب ، ونقد الجامعة الاسلامية ودعوته لان تصبح اللغة العربية مجرد لغة طقوس دينية .

العوامل الاجتماعية : نتيجة للعوامل السابقة ، دخلت الى مصر بعض العادات والتقاليد الغربية التى لم يتقبلها جمهور


حسن البنا


الشيخ على عبد الرازق

المسلمين ، وانتشرت بين طبقة الاغنياء ، ثم امتدت الى بعض العمال والحرفيين فى المدن ، ولكن سوء الحالة الاقتصادية جعل انتشارها محدودا بين طبقات الشعب . وكانت مصر تعانى من ازمة اقتصادية منذ ماقبل الاحتلال ، مماجعل رجال الاقتصاد يستعيرون النظريات الاقتصادية الغربية ، والتى اسهمت الى حد محدود فى حل الازمة . ولكنها ادت الى ظهور الفوارق الطبقية نتيجة لسيطرة الراسماليين وهم من اليهود ..

وكانت اهم العوامل سوء حالة الازهر، والضعف الذى حل به ، ومن هنا كان على الشباب المسلم ان يسلك اسلوبا جديدا للعمل بعيدا عن الازهر ، فكانت الجماعات الاسلامية المثلة فى « الشبان المسلمين » والتى نشأت فى نهاية ١٩٢٧ م ثم جماعة « الاخوان المسلمين » فى عام ١٩٢٨ م ، وغيرهما من الجمعيات الدينية

جماعة الاخوان المسلمون النشأة والتطور

تعتبر شخصية حسن البنا ، الداعية والمرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين من اشد العوامل تاثيرا على نشاتها وتطورها ..

ولد حسن البنا فى بيئة اسلامية بمديرية البحيرة عام ١٩٠٦ ، ورباه أبوه – وهو دارس للفقه والنحو والتوحيد – تربية دينية ،وتخرج عام ١٩٢٧ فى دار العلوم وكان تلميذا متقشفا وداعيا للزهد – وكون وهو فى سن الثانية عشرة جمعية



منع المحرمات ـ وحضر الكثير من حلقات الذكر ، وجلسات الطرق الصوفية ، وتاثر بها ، وكان شديد الذكاء وعرف بقوة الذاكرة . وهو دائرة معارف واسعة كاملة ، ويتخير في حديثه الاسلوب السهل . والتعابير المناسبة .. وكان متواضعا يلبس ثيابا من ارخص الاقمشة ويجلس على الحصير في اخر الصفوف منكمشا لا يكاد يرى .

وقد استطاع بصفاته ان يسيطر على جماعته سيطرة مطلقة ـ تكاد في نظر البعض ـ تدنو من السحر ـ وبقدرماكانت هذه السيطرة مقبولة من افراد الجماعة ، ولها اثر في تطورها السريع ونجاحها ، الا انها كانت من اهم عوامل ضعف الجماعة ، لعدم وجود الشخصية الثانية التي تحل محله .

● في سبتمبر ١٩٢٧ ، وصل الى الاسماعيلية ليبدأ عمله فيها كمدرس في مدرستها الابتدائية ، ومنذ الايام الاولى بدا يحقق امنيته في سلك التعليم والارشاد ، واختار المقاهي لا المساجد ميدانا لدعوته ، والاسلوب السلبي الواضح من اجل بناء عقيدة صالحة قبل هدم العقيدة الفاسدة .

واستطاع بذكائه ان ينشر دعوته بالتقرب الى الاعيان من الراسماليين والملاك حتى لا يعوقوا حركته ، وارتاد الاندية ليلفت الانتباه ويستقطب شبابها بالمحاضرات والندوات ..وساعده مايحيط مدينة الاسماعيلية منعوامل اخرى كوجود الاجانب في المعسكرات البريطانية ، والتي كانوا يشعرون نحوها بالاسى والاسف ، وشركة قناة السويس التي كانت تسيء معاملة المصريين فيها،بالاضافة الىمستوى معيشتهم المرتفع بين جموع الفقراء ..

ومن هنا ، كان تاثير محاضراته كبيرا على اهل المدينة فحضر اليه ستة من اهلها . هم الجماعة المؤسسة .. « في ابريل ١٩٢٨ » وهم .

حافظ عبد الحميد ـ تجار
فؤاد ابراهيم ـ مكوجي
اسماعيل عز ـ جنايني
احمد الحصري ـ حلاق
عبد الرحمن حسب الله ـ سائق
زكي المغربي ـ عجلاتي

واتفقوا على تاسيس الجماعة بمالديهم من مال بسيط .. وقال الداعية .. «نحن اخوة في خدمة الاسلام ، فنحن اذن « الاخوان المسلمون »

● في المدة مابين عام التاسيس وعام ١٩٣٢ الذي انتقل فيه حسن البنا الى القاهرة . كانت الجماعة قدنجحتفي ان تنشيء فروعا في اماكن اخرى من القطر ثم بعد وصوله الى القاهرة اضاف، وسائل اعلامية لينشر الدعوة .. ثم عقدت الجماعة عدة مؤتمرات ، اولها سنة ١٩٣٣ لمواجهة نشاط المبشرين . وفي عام ١٩٣٦ بدأت الدعوةالى خارجمصر،حيث خرج اعضاء الجماعة ـ باسم الدعوة لساعدة فلسطين ـ لنشر فكرتهم فيالاقطار العربية وفي مقدمتها فلسطين وسوريا ولبنان ، وكان ذلك كله في اطار المرحلة الاولى وهي « تربية روح الامة ، وتنبيه الشعب ، وتغيير العرف العام ، وتزكية النفوس وتطهير الارواح » .

● وجاء عام ١٩٣٩ . وفي الذكرى العاشرة لتاسيس الجماعة عقدوا مؤتمرا كان بمثابة اعلان انتقال الجماعة الى المرحلة الثانية وهي التشكيل والاختيار، والاعداد للمرحلة الثالثة وهي التنفيذ .

وحدد المؤتمر المنهج الفكرى الذي التزمت به الجماعة في نقاط ثلاث :

١ ـ ان الاسلام نظام شامل متكامل بذاته . وهو السبيل النهائي للحياة بكافة نواحيها .

٢ـ ان الاسلام نابع من مصدرين القرآن والسنة وقائم عليهما ..

٣ ـ ان الاسلام قابل للتطبيق في كل زمان ومكان ..

اماالمنهج السياسي فقدتركز في نقطتين:

١ ـ ان يتحرر الوطن الاسلامي من كل سلطان اجنبي ، وذلك حق طبيعي لكل

انسان لا ينكره الا ظالم جائر او مستبد قاهر .

٢ — ان تقوم فى هذا الوطن الحر دولة اسلامية حرة تعمل بمبادىء الاسلام وتطبق نظامه الاجتماعى .

وفى عام ١٩٤٠ .. وكانت الحرب العالمية قد اعلنت — طور الاخوان نظامهم وازدادت شعبهم — واتسع جناح الكشافة « الجوالة » وتشكل له مجلس اعلى تراسه البنا ، وفى عام ١٩٤٢ وفى ظل حكومة الوفد ، اتسعت دعوة الاخوان فى الريف مما دعا الحكومة الوفدية — بايعاز من السفارة الانجليزية — الى تضييق النطاق على الجماعة واغلاق بعض شعبها ودعا البنا الى تحذير اتباعه من تعرضهم فى المستقبل الى السجن والاعتقال ، وكان لذلك ايضا اثره على بروز ما سمى « بالنظام الخاص » .

وعلى اثر اقالة حكومة الوفد فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ تشكلت الوزارة السعدية ، وخاض الانتخابات الاخوان ، ولكنهم هزموا فى كافة الدوائر التى رشحوا انفسهم فيها .. وعلى اثر ذلك قتل زعيم الحزب السعدى الدكتور احمد ماهر على يد احد شباب الحزب الوطنى ، فقبض على البنا وزعماء الجماعة ، ثم افرج عنهم ، ولكن النقراشى فرض عليهم قيودا مشددة ، كانت بمثابة انذار بماستلاقيه الجماعة فى ظل هذه الحكومة ، واكيد ان حكومة الوفد كانت اقل تعنتا مع الاخوان .

● على اثر انتهاء الحرب عام ١٩٤٥م اجتمعت الجمعية العمومية للجماعة ، واقرت نظامها الاساسى ، وتم توزيع السلطات بين المرشد ومكتب الارشاد والهيئة التاسيسية . وفى عهد وزارة صدقى استطاعت الجماعة الحصول على بعض التسهيلات من الحكومة ، من اهمها ترخيص باصدار صحيفة يومية ، وامتيازات فى شراء الورق بالاسعار الرسمية ... وحرية استخدام المعسكرات ومنحها الاراضى اللازمة لها ، وغير ذلك من التسهيلات .. التى فسرتها الحكومة على انها محاولة لمناهضة الوفد والشيوعيين ، بينما استمر الوفد فى هجومه على الاخوان متهما اياهم بعدة اتهامات معظمها يدور حول محور واحد هو العلاقة الودية بينهم وبين حكومة صدقى .

وجاء اشتراك الاخوان فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ليثبت انهم اكبر جماعة مسلحة يخشى منها النظام القائم . واحست الحكومة بالخطر الحقيقى . ومدى نفوذهم الذى ازداد ، مما أكد الاعتقاد بانهم يخططون سرا لقلب الاوضاع . ومع التسليم بان الاخوان قد ارتكبوا كثيرا من حوادث العنف ، الا ان الحكومة وماقامت به من ضغوط واضطهاد ضدهم كانت وراء اندفاع الشباب لارتكاب هذه الحوادث ، مثل اغتيال احد القضاة « احمد الخازندار » لاصداره حكما بالسجن على احد اعضاء الجماعة لمهاجمته مجموعة من الجنود البريطانيين فى احدى الملاهى الليلية فى الاسكندرية .

وفى اكتوبر ، وبعد اكتشاف الحكومة لمخبأ من الاسلحة والمعدات فى عزبة الشيخ محمد فرغلى قائد كتائب الاخوان فى فلسطين واغلب الظن ان الحكومة كانت تعرف بوجود هذه الاسلحة لاستعمالها فى حرب فلسطين الا انها اتخذتها ذريعة لاجراءات تعد لها ضد الاخوان .. ثم ضبطت سيارة خاصة بالجهاز السرى للاخوان والقى القبض على من فيها ، واكتشفت اسلحة وعديدا من المعلومات والوثائق التى استكملت الحكومة بها معرفة كاملة


اسماعيل صدقى — سلامة موسى

بالجهاز السرى للجماعة .. واستبعدت بذلك لاصدار قرار الحل ، الذى صدر بعد عدة احداث ومبررات أغلبها ملفق ، وصودرت ممتلكاتهم وشركاتهم .. وارجع البنا قرار الحل الى تدخل الانجليز بعد مؤتمر عقد فى فايد ـ ولكن سير الاحداث لا يؤكد حدوث هذا المؤتمر ..

وبرغم القبض على عديد من اعضاء الجهاز السرى للجماعة ، الا ان واحدا من شباب الجماعة هو عبد المجيد احمد حسن « طالب طب بيطرى » أطلق الرصاص على النقراشى فارداه قتيلا ، ونادى أتباع النقراشى بقتل البنا ، وكان هذا النداء هو الستار التى اختفت وراءه القوى التى دبرت لاغتيال البنا ، بعد مرور أقل من شهرين على اغتيال النقراشى .

يؤكد الباحث ، ومرجعه فى ذلك مذكرات وايزمان ـ أول رئيس لدولة اسرائيل ـ أن لليهود دورا فى حادث اغتيال حسن البنا » .

الجهاز السرى

اتجهت جماعة الاخوان المسلمين الى انشاء تنظيم سرى له صفة شبه عسكرية ليعمل الى جانب التنظيم العلنى ..وبدأ فى صورة نشاط رياضى كشفى الف اول شعبه البنا وتولى تدريبه بنفسه ، ثم تغير اسمه الى الجوالة ، ومع ظهور تشكيلات القمصان الخضراء « مصر الفتاة » والقمصان الزرقاء « الوفد » .. وكان اول ظهور لها فى شكل استعراضى يوم تولى الملك فاروق سلطته فى البلاد مما احاطها بتشجيع السراى ونكاية فى الوفد حتى أنه مع بداية الحرب العالمية الثانية سمح ببقاء تشكيلات الاخوان دون التشكيلات الاخرى فترة الحرب ، وقد فسر البنا تشكيل الجهاز ـ داخل الجماعة ـ بالاستعداد للتخلص من الجيش البريطانى العائد من العلمين .

وكان الجهاز مكونا من ثلاث شعب . الجهاز المدنى ، وجهاز الجيش ، وجهاز البوليس ولكل جهاز رئيس يتصل بالمرشد العام للجماعة ، وينقسم كل جهاز من الاجهزة الثلاثة الى عدة شعب أو خلايا . عدد أعضاء الخلية خمسة ، وكان لكل جهاز أركان حرب ومخابرات ولجان مواصلات وتموين وبريد ، وكان لا يتصل بحل الجماعة ، ويختار شبابه من شباب الصف الاول من شعب الكتائب ، ثم ينتقلون الى الجوالة لاستكمال تدريبهم تدريبا عسكريا عنيفا .. ويشترط فى عضو الجهاز أن يكون قد تجاوز العشرين من العمر وبعد اختياره كان عليه أن يؤدى القسم ...

« اقسم بالله أن اكون حارسا لمبادىء الاخوان ، مجاهدا فى سبيل الله على السمع والطاعة فى المعروف ، وأن اجاهد فى ذلك « نفسى » ما استطعت » .

وكان القسم يتم فى غرفة شبه مظلمة مفروشة بالحصير وعلى مصحف ومسدس وغالبا ماكان يتم على يد البنا ، الامر الذى كان يتباهى به البعض لما يكتسبه من ملق خاص .

وعلى الرغم من السرية التامة التى احاطت بالجهاز ، فان الدارس يرى أن المقربين من المرشد العام كانوا على دراية تامة بهذا التنظيم ، وكان الصاغ محمود لبيب المشرف العام على نظام الجوالة على دراية تامة بتشكيلاته ، ويشارك مجلس الجوالة الاعلى المكون من سبعة افراد ، ومن هنا فان مسئولية الجهاز واقعة على كثير من اعضاء الجماعة لا على حسن البنا وحده ..

وعلى الرغم من اشتراك اغلب اعضاء هذا التنظيم فى حرب فلسطين ، فانه لم يحظ بتاييد الرأى العام ، خاصة فيما يتعلق باعداده للوصول الى الحكم والذى لم يعرض الاخوان له منهاجا محددا حتى يستطيعوا جذب تأييد الرأى العام الى تنظيمهم العلنى وحتى السرى، ولكن خوفهم من ظهور الخلافات الفقهية من قبل الجماعات والهيئات الدينية حول هذا المنهاج قد حرمهم من هذا التاييد .

لم يكن مبدأ شمول الاسلام لكافة

جوانب الحياة الذى نادى به البنا فكرا جديدا ، لقد سبقته اليه تيارات اسلامية عديدة .. وقد حدد البنا هذا الفكر قائلا « تستطيع ان تقول ولا حرج عليك ان الاخوان المسلمين دعوة سلفية وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية » .

وكان فكرهم السياسي ينادى بالحكومة الاسلامية ، وكان السبيل الى تحقيق هذه الحكومة فى رأى الاخوان هو استخدام القوة العملية ، الا انهم لا يشيرون الى وقت او كيفية استخدام القوة سواء لتحقيق الحكومة الاسلامية التى يسعون اليها او حتى ضد قوات الاحتلال البريطاني التى لم يثبت استخدامهم القوة ضدها .. ولهذا فان الذين ارادوا ان يصنفوا الفكر السياسى لدى الاخوان انتهوا الى انه فكر غامض.

● ويستعرض الباحث موقف الاخوان من الافكار المختلفة ، ويوضح موقف المعارضة منها ، حيث يرفض الاخوان التيار العلمانى خاصة النداء بفصل الدين عن الدولة ، وموجة العادات والتقاليد المستوردة والالحاد،واعلن المرشد العام انه سيتصدى لها حتى فى داخل الغرب التى اتت منه لينشر ظل الاسلام على الارض.

● بالنسبة للقومية المصرية رفضها الاخوان رفضا باتا ، واعلنوا على المنادين بها حربا شعواء .. بينما كانت فكرتهم عن القومية العربية اكثر مرونة ، فيقول البنا « ان تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا امة تمتد حدودها من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى بل الى أبعد من ذلك ، ويبلغ عددها اضعاف اضعاف الملايين المحصورة فى وادى النيل ، فاى مصرى يكره ان تشاطره هذه الشعوب التى تظلها العربية شعوره وآماله وافراحه وآلامه ؟

● وكان موقف الاخوان من المنظمات اليسارية ينم عن عداء كامل واصرار على ضرورة محاربة هذا التيار ، وكانوا يعتبرونه اشد خطرا من حركة التبشير .

وأمام ازدياد التنظيمات اليسارية السرية ـ فى اغلبها ـ خلال الحرب العالمية الثانية ، تولت جوالة الاخوان تعقب اعضاء هذه التنظيمات ونشاطها وتولت ابلاغ الحكومات بما تجمعه منهم من معلومات . بل ان البنا برر جمعه السلاح خلال فترة الحرب بالاستعداد لمحاربة الشيوعية ..

الاخوان والقوى السياسية فى مصر

يستعرض الباحث فى مبحث علاقة جماعة الاخوان بالقوى السياسية فى مصر بادئا بالانجليز الذين اعتبرتهم الجماعة العدو الاول للعرب والمسلمين وانهم «راس البلاء ومصدر الشقاء . »

ثم علاقتهم بالقصر والتى بدأت بالتلويح بالخلافة الاسلامية للملك فاروق والذى كتب اليه البنا يقول « ان ٣٠٠ مليون مسلم فى العالم تهفو ارواحهم الى الملك الفاضل الذى يبايعهم على ان يكون حاميا للمصحف فيبايعونه على ان يموتوا بين يديه جنودا للمصحف » .

ويبدو ان البنا كان يهدف بسياسته الى تجنيب جماعته اى عمل عدائى من قبل القصر ، وذلك تحقيقا لبعض اهدافه المرحلية ، الامر الذى يدل عليه عدم توضيحه لابعاد وتفاصيل نظام الحكم الاسلامى حتى لايثير الريبة لدى الملك ، ولكن الملك كان يدرك انهم يخدعونه حتى ان يوسف رشاد عندما نقل له ما يؤكد اخلاص البنا له ، علق الملك قائلا « لقد خدعك حسن البنا » .

وكان فاروق أحرص على ملكه من ان يترك هذه الجماعة تقوى حتى تصير خطرا عليه فقد حسن علاقته بهم كى يضرب بهم الوفد ، فلما راى انهم يكسبون شعبية ويملكون قوة عسكرية أيد سياسة النقراشى الرامية الى حلهم ، كما أعرب عن ارتياحه لاغتيال حسن البنا ..

● كما وقف الاخوان موقف العداء من الاحزاب البرلمانية ـ الوفد ـ لقيامه



د . احمد ماهر　　محمود فهمى النقراشى

بتطبيق النظام الديمقراطى الليبرالى وهو النظام الذى حاربته كافة الجماعات الاسلامية وخاصة جماعة الاخوان.. ووقفت الجماعة بجانب السراى ضد الوفد مرحبة بفكرة وقف الدستور وفض البرلمان معلنة بذلك الهجوم على الوفد وعلى رئيس الحزب السعدى الدكتور احمد ماهر الذى أعلن انه سينضم الى الوفد اذا حدث ذلك .

وظل هذا العداء محتدما حتى قامت حكومة النقراشى باصدار قرار حل الجماعة ، فاشتركت الاحزاب فى التمهيد لصدوره وتاييده بعد الصدور .. ونشرته صحف الوفد والشيوعيين والدستوريين الى جانب صحف الحكومة ، كما اشتركت فى الحملة التى وجهت للجماعة بعد مقتل النقراشى .

الاخوان والضباط الاحرار

يؤكد صاحب الرسالة على علاقة الاخوان بتنظيم الضباط الاحرار والتى بدات بلقاء بين السادات والبنا عام ١٩٤٠ حيث كان الاخوان واليسار يتنافسون فى ضم الشبان من ضباط الجيش ، ونجح الاخوان فى ضم عدد كبير منهم مثل عبدالمنعم رؤوف ، وانور السادات ، وكمال الدين حسين ، بل ان بعضهم وصل الى التنظيم الخاص فى الاخوان ..

وبالرغم من عدم ثقة السادات فى البنا نتيجة لعلاقته بالقصر ، الا ان العلاقة بينهما ظلت مستمرة ، حتى جاءت حرب فلسطين ودخل متطوعو الاخوان القتال سنة ١٩٤٨ ، فتمكنوا من ضم الكثير بالاضافة الى المجموعة السابقة ، مثل ابو المكارم اسماعيل ومعروف الحضرى ، وصلاح سالم ، وبدأ شعور التعاطف والاستياء من جانب الضباط لقرار النقراشى بحل الجماعة ، وكذلك لاغتيال الشيخ حسن البنا ، وبوفاته ونجاح حركة الضباط الاحرار سنة ١٩٥٢ ، دخلت العلاقة بينهما فى طور جديد .

الاخوان المسلمون وقضايا المجتمع المصرى

١ ـ قضية المراة : ظهر موقف الجماعة من المراة من خلال الرد على الموجة السائدة والتى تدعو للاختلاط والسفور . وكذلك حظ المراة من التعليم عندما اعلنت ان تعليم البنت وتثقيفها وتهذيبها وتربيتها امر لا محل للنزاع فيه ، اما وظيفتها فى الحياة فهى ادارة المنزل وتربية الاولاد ، واعلنت رفضها لدعوة اختلاط الجنسين فى التعليم ، وعارضوا حق الانتخاب للمراة .. واعتبروا حق الترشيح لها منكرا ، لا يرضى الله .

٢ ـ التعليم : كان البنا يرى ان التعليم بكل انواعه ومراحله بما فى ذلك الجامعة الازهرية مفكك الروابط متباعد الحلقات غير واضح فى غايته .. وطالب بتوحيد المناهج فى كل انواع التعليم فى المرحلة الاولى .. وطالب بالمزج بين التعليم المدنى والدينى ، واهتم بقضية الدفاع عن اللغة العربية .

٣ ـ العمال : كان قيام ستة من عمال الاسماعيلية بتاسيس جماعة الاخوان من اهم العوامل التى جعلت اهتمام الجماعة بقضايا هذه الفئة اهتماما مبكرا ، ولكن لان الجماعة كانت ترفض التحليل الطبقى فقد اقتصر اهتمامها على اظهار ماتعانيه هذه الفئة من الفقر والمرض وما تلاقيه من اضطهاد اصحاب العمال .. وفى عام ١٩٤٧ حاولت تكوين جبهة من نقابات العمال بمعاونة رؤساء النقابات ، ولكنها فشلت فى ذلك .

٤ ـ الفلاحون : اهتمت صحيفة

الجماعة منذ عددها الاول بقضية الفلاحين فى محاولة منها للفت نظر المسئولين لما يعانيه الفلاح من الجهل والمرض . وطالبت بمده بأساليب ووسائل الزراعة الحديثة . على ان الجماعة كانت تدرك عدم جدوى هذه المطالب لسيطرة كبار الملاك على اجهزة الدولة ، ولكن ذلك كان منها وسيلة لنشر دعوتها ومد نفوذها بين ابناء هذه الطبقة .

واعتمد الاخوان على نشر دعوتهم فى الريف على عدة وسائل مثل المحاضرات. ومحاولة النهضة بالقرية باطعام الفقراء وانارة القرى وتوزيع الزكاة وانشاء المساجد والمستوصفات . ونجحوا فى فتح شعب عديدة فى الريف خاصة بعد اسهام اعضاء الجماعة فى محو الامية ومقاومة الكوليرا والملاريا .

وطالب الاخوان بتحديد الملكية الزراعية وتشجيع الملكيات الصغيرة ، ولكنهم لم يشيروا الى الحد الذى يجب تحديد الملكية عنده .

ووضعت تصورا كاملا للاستفادة من الفلاحين فى تحرير البلاد سياسيا واقتصاديا ولكنها لم تتعرض لوضع كبار الملاك ولا الوسيلة التى يعاملون بها فى حالة رفضهم لهذا الاصلاح .. ويفسر البعض ذلك بانضمام بعض كبار الملاك الى الجماعة..

وقد كان اصلاح حال الفلاحين يدخل فى نظر الجماعة فى باب البر والتقوى ، وهو مفهوم يختلف عن مفاهيم الحركات الاشتراكية .

لم يكن غزو الاخوان للجامعة ونشر دعوتهم فيها سهلا ، ففى سنيها الاولى لم يزد عدد المنضمين اليها على خمسمائة .. ولكن بعد حادث (فبراير وسعت نشاطها لضم طلاب الوفد الذين انفضوا عنه . وكونت ثلاث لجان لهذا الغرض .. وزادت من التركيز على نشر الدعوة بين الطلاب فى اعقاب الحرب العالمية وخصصت لهم مكانا مستقلا فى


الملك فاروق


كمال أتاتورك

المركز العام للاخوان ، ومندوبا فى مجلس ادارة الجماعة ..

ونظرا لموقف الاخوان من الازهر .. فلقد كان عدد مؤيديها فى الازهر اقل منه فى الجامعة المصرية ..

ولاشك ان نشاط الاخوان فى الجامعة كان من ابرز الملامح التى اكدت الصفة السياسية للجماعة ، حتى انه يمكن القول ان نشاط الاخوان فى الجامعة ، وتكوين كتائب فلسطين قد ابرزا قوة الجماعة ، وكانا العاملين الرئيسيين اللذين دفعا النقراشى لحلها بعد ان طوق الجهاز السرى « الكتائب » دون جهاز الطلبة ، فقتل على يد احدهم وهو عبد المجيد احمد حسن .

● اتسم موقف جماعة الاخوان من الاقباط فى عمومه بالاعتدال ، وكان البنا يدرك ان تطرف بعض الاقباط فى مهاجمة الفكر الاسلامى لا يعبر عن راى مجموع الاقباط فى مصر .. كما كان يخشى عودة الفتنة الطائفية التى لا يستفيد منها سوى الاحتلال . فضلا عن تهمة التعصب الدينى التى كانت توجه له ولجماعته منذ ان بدات الدعوة فى الاسماعيلية . فيذكر البنا ان احد المسيحيين قدم عريضة فيه تتهمه بالتعصب ومعاكسة الطلاب المسيحيين ، ولكن وفدا مسيحيا برئاسة راعى الكنيسة الارثوذكسية بالاسماعيلية قد رد عنه هذه التهم واعلن استنكاره لما حدث .

وفى نهاية هذه الرسالة الضخمة

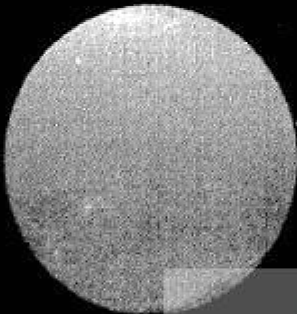
الهلال

مايو
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشا

■ المفكرون الإسلاميون بين الديمقراطية والاستبداد

■ علم الروح والخروج من الجسد





حتى يغادر الشعب مقاعد المتفرجين

الهلال

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التسعون - أول مايو سنة ١٩٨٢ م - السابع من رجب ١٤٠٢ هـ .

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
كمال النجمي

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير
موسى عيسى



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصري بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والافريقي وباكستان اربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوي وفي سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادي أو عشرون دولارا بالبريد الجوي .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هذا العدد



كمال النجمى

المجتمع يتحرك

اذا شعرت بالملل فاعمل بتجربتى ! ..
لا تجلس الى التليفزيون ، ولا تذهب الى المسرح أو السينما أو السيرك لتتسلى ،
بل امدد يدك الى مكتبتك والتقط منها مذكرات زعيم كبير مثل تشرشل او ديجول او ايزنهاور ، أو أى مارشال من مارشالات الحرب العالمية الثانية : الانجليز والامريكيين والسوفييت والالمان .. حتى الفرنسيين والطليان .. وغيرهم ! ..

فاذا لم يكن لديك شىء من مذكرات هؤلاء جميعا، فلعل لديك مذكرات بعض الفنانات الشهيرات .. ممثلة مسرح أو ممثلة سينما ، أو راقصة باليه ، أو راقصة شرقية من طراز أواخر القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين ! ..

ولا انصحك بان توغل فى الزمن الغابر وراء مذكرات اناس آخرين من الزعماء أو الادباء او الصعاليك ، فان طوفان الاحداث فى عصرنا يفرق كل ما سبقه من عصور ..

ولا تهتم كثيرا باعترافات جان جاك روسو ،

تشرشل



● يومنا خير من أمسنا.. نتطلع إلى غد أفضل

● حكاية قمر الليالي وهل يخفي القمر؟

● مذكرات راقصة ليست أقل من مذكرات تشرشل

بوجه خاص ، فان مقصلة الثورة الفرنسية تختبىء وراءها ..

اعمل بتجربتى !..أمدد يدك الى مذكرات الناس الذين ذكرت لك بعضهم ، فان الملل من الحياة يفارقك حين تطالع حياتهم ، وتحل مكان الملل رغبة قوية فى الخروج من الحياة كلها ! ..

هذاما يحدث لى أحيانا،وارجو أن يحدث لك نقيضه تماما ان شاء الله ، فتشعر بالرغبة الجارفة فى الاستمتاع بالبقاء على ظهر الارض ، حيا ترزق ، الى الابد ! .

كان نصيبى حين مددت يدى الى مكتبتى الغارقة فى الفوضى ، مجلدا ضخما لم أتبين عنوانه ، ثم تبينت قبل ان استكمل وضع النظارة على انفى،انه كتاب « الامتاع والمؤانسة » لابى حيان التوحيدى ، الاديب العظيم الذى عاش مائة سنة ، بل أكثر .. وكانت امنيته فى حياته هذه التى تشبه الدهر الطويل ان يحصل على بضع مئات من الدراهم يشارك بها أحد أصدقائه الفقراء فى دكان للبقالة


ديجول



المجتمع يتحرك

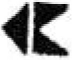

محمد علي باشا

يرتزقان منه ، في حارة صغيرة مجهولة في بغداد العصر العباسي الثاني منذ الف سنة ! ..

الكتاب رائع ، ولكن الكتب الرائعة تجلب التعاسة احيانا لكاتبها وقارئها ، ولن انسى ما اصابني من كمد حين قرأت هذا الكتاب قديما ، فلابد ان اصدقك النصح : لا تقرأ هذا الكتاب وما يجرى مجراه ، فلن يخرجك من الملل الى النشاط كتاب رائع عاش صاحبه الكاتب العبقري يكابد الحياة مائة عام ..اى ما يساوى الحكم بالسجن المؤبد اربع مرات ، او خمس مرات ، اذا تذكرنا ان السجين - في عصرنا الرحيم هذا - يقضي ثلاثة ارباع المدة لا اكثر ! ..

اجلست ابا حيان الى جوارى بكل حزن وتبجيل، وان كان حزني وتبجيلي قد جاءا اليه متاخرين جدا بعد رحيله عن الدنيا بعشرة قرون ، ومددت يدى مرة اخرى ، فخرجت فيها راقصة شهيرة معاصرة ، على شكل مذكرات روتها بلسانها لاحدى الاديبات فصاغتها في اسلوب لا تنقصه الطلاوة والصراحة .. والادب الرفيع ..

رايت هذه الراقصة ، اول مرة ، في صباى ، على شاشة السينما ، كانها العروس في ساعة الجلوة .. ثم رأيتها في أواخر الاربعينات تدخن الشيشة نهارا جهارا على الملا ، في شرفات الكازينو الذى كانت تملكه في القاهرة .. كانت ايامئذ تقضي سنواتها الاخيرة في مصر ، وقد شاب راسها، ولكن بقيت في وجهها ذكريات الملاحة والصباحة ، فوق جسد متين في تلك السن المتقدمة ، وبعد كل الاهوال التى خاضها ذلك الجسد الشهير في معترك



الرقص واللهو ، متكسبا بعمله ، أو متـــلذذا ، او مقاتلا فى سبيله ذئاب الغابة ! ..

ثم تعبت الراقصة من بقائها فى مصر .. لم يبق لها فيها الا الشيخوخة ومطاردة مصلحة الضرائـب اياها صباح مساء ، فحملت ثروتها وعبرت البحـر خلسة عائدة الى بلدها فى اوائل الخمسينات ..ثم ماتت منذ سنوات وهى تطل على المائة الاولى مـن عمرها الحافل السعيد . .

● الكتب الرائعة تجلب التعاسة أحيانًا

فى أوائل هذا القرن جاءت هذه الراقصـــة الى مصر ، طفلة فى التاسعة من عمرها ، بدأت حياتـها كامرأة ، فى تلك السن التى لا تتبين الطفلة فيـها الفرق بينها وبين زميلها الطفل ..

كانت بائسة مكسورة الجناح ، عالة على اقـارب لها انهكهم الزمن ، وكبرت هى رائحـــة غادية بين ظلماته وانواره ، وارتفع اسمها واضاء على أبـواب الملاهى وعلب الليل ، وانطلقت فيها تعمــل سرا وعلانية ، وتتنقل بين فن الرقص ، ورقص الفن ، وتقتحم عرين الاسد ، بشجاعة الاسدة واقتدارها..

توهجت بها سهرات القاهرة ، حتى قيل : قـد تحولت نارا ! .. وسطعت فى ظلامها قمرا يكسـب الف جنيه فى الليلة من بيع شـــعاعه ، حتى ترنم بها الشعراء وقالوا فى وله العاشق المتيم : « هـل يخفى القمر ؟! » .. كانما يتشبه كل شـــاعر منهم بعمر بن ابى ربيعة الذى صاغ قديما هذا الســؤال الغزلى ، فذهب مثلا ! .. ولكن ابن أبى ربيعــــة كان يتغزل فى نفسه وهو يقول هذا الكـــلام ، لا فى امراة راقصة ذات انف طويل صاعد ، وجسدمتين،



تجلس على عرش الليل فى النصف الاول من القرن العشرين ! ..

انهزم الشعراء العشاق فى ساحة حبها او حربها، هزيمة سريعة ساحقة ، وخلت ساحة الحب والحرب للعمد والاعيان وتجار القطن واولاد الذوات وأصحاب الرتب الفخيمة ، وكبار أهل الاختصاص ، وأهل النظر ! ..

وخرجت « قمر الليالى » من حوارها الساخن الطويل مع سادة ذلك العصر والاوان ، بمليون جنيه على الاقل ، من عملتهم القديمة الثقيلة ، دفعت فى مقابلها أربعين عاما من جمالها وشبابها وكهولتها وتجاربها التى اتسعت وعظمت حتى جعلت منها «معلمة » تملك وتدير أعظم الملاهى ، ويتخرج عليها جيل بعد جيل فى دنيا الرقص الشرقى ..والغربى أيضا ! ..

خطر لى مرة فى الماضى ان اكتب عن هذه الراقصة العظيمة الشأن ، فقلت ان احدا غيرها لا يستطيع ان يقول عنها كلاما اشد صراحة من كلامها عن نفسها فى مذكراتها وفى ندواتها وهى تدخن الشيشة وتنفث معها دخان الذكريات ..

وان مذكراتها هذه لتستحق دراسات جادة ، لانها ترسم بدقة شديدة جانبا حقيقيا من التاريخ الاجتماعى والسياسى للمجتمعات التى عاشت فيها طفلة وشابة وكهلة وعجوزا ..

كانت مجتمعات عليلة تشرف على الموت ، برغم امتدادها الهائل من لبنان الى سوريا الى فلسطين


هيدى لامار

● الطفلة المعجزة تخترق حاجز الجوع والعرى

الى مصر .. الى بقية ما بين المحيط والخليج فى تلك الايام ! ..

وتحذلق بعض النقاد عند صدور هذه المذكرات منذ عشرين عاما ، فشبهوها بمذكرات هذه أو تلك من فنانات أوربا أو امريكا ، وزعم بعضهم انها تشبه كتاب موروا الاديب الفرنسى عن جورج صاند الكاتبة التى ملأت القرن التاسع عشر بمغامراتها .

الا ان مذكرات راقصتنا هذه ـ وقد أذهبت مللى وايقظتنى مع انى قرأتها من قبل ـ تنفرد بخصوصية تمنع الموازنة بينها وبين ماكتبته فنانات اوربا وامريكا عن مغامراتهن ، من عهد السينما الصامتة ، الى آخر ما نشرته هيدى لامار فاتنة الشاشة الامريكية المتقاعدة ..

مذكرات هذه الراقصة ، هى مذكرات الجارية ، فى مجتمع الجوارى ، بعد الغاء تجارة الرقيق رسميا بزمان طويل .. لقد الغى محمد على باشا البكبير تجارة الرقيق رسميا ، ولكنها بقيت بحكم الاوضاع الاجتماعية الى آخر يوم فى عهد سلالته ..

لم تفهم الجارية التى جاءت بعد الغاء تجارة الرقيق ، لماذا كانت جائعة عارية فى طفولتها ، ولا فهمت كيف قفزت فوق حاجز العرى والجوع ، ولا فكرت فيما دفعته ثمنا لقفزتها الهائلة هذه .. فلم يعطها اصحاب الرتب الفخيمة وتجار القطن والاعيان ، اى شىء مجانا ، بل كانت متفضلة عليهم ، حتى من وجهة نظرهم ، ولم تكن تحتاج ولا كانوا يحتاجون الى من يبين لها كيف انتقلت من الجوع الى المليون جنيه ،



المجتمع يتحرك

فان الكلمة الصحيحة فى هذا الامر لا تحتاج الى كلام ! ..

هكذا تحولت الجارية الراقصة الى فم واسع يمتص رواد لياليها ، على قدر استطاعتها وحيلتها ومكرها ، ورسمت مذكراتها صورة للدوامة المتناقضة من العواطف والانفعال وردود الافعال فى مجتمع شرقى اقطاعى مزقته التناقضات الاجتماعية والسياسية والفكرية والاحتلال الاجنبى والامتيازات الاجنبية ، ورخاء الصفوة من أهل البلد ، وفاقة الناس الذين يصنعون هذا الرخاء ..

جان جاك روسو

استمدت الجارية قانون حياتها من القانون الحقيقى لحياة مجتمعها المتألق فى ظلامه بقشرة زاهية من التقاليد والاخلاقيات والعادات ، كانت تبدو فى ذلك الزمن ، صلبة منيعة ، وهى نسيج العنكبوت ! ..

هكذا اذهبت عنى الجارية الراقصة ، ملل تلك الساعة ، واقنعتنى بأن مذكراتها لا تقل اهمية عن مذكرات تشرشل وغيره ، لانها ليست لهوا ولا رقصا بالكلمات بعد طول الرقص « بالصاجات » .. وانما هى وصف بسيط صادق ، مدعم بالمستندات للمجتمع الذى خلق تلك الجارية واغرقها فى الاضواء والاموال .. وقد غير « التطور التاريخى » وضعها القانونى كجارية ، ولكنها لبثت تعمل فى المجتمع المتخلف عمل الجارية القديمة التى كانت تباع وتشترى فى اسواق الرقيق الرسمية ..

ومن حسن الحظ ان مجتمع الجارية قد انهزم فى معركته ضد التاريخ ، كما انهزمت اسواق الرقيق الرسمية قديما واغلقت أبوابها .. ولا يمكن لاحد ان

● ألغى محمد على تجارة الرقيق ... ولكن بقى الرقيق

يعود بالتاريخ الى الوراء ، مع ان الرقص ما زال موجودا ، والليالى الملاح ما زالت تصدح حتى الصباح ! ..

ولكن المجتمع يتحرك ، والرقص يخرج تدريجيا من اسواق الرقيق الى ساحات الفن .. و «المنكرات» التى نحاربها الان ونخرجها من مجتمعنا ، ليست الا قليلا من كثير كان يغمر المجتمع لا فى مصر وحدها ، بل فى الشرق العربى كله .. وان كان فينا من يستكثر هذا القليل الان ..

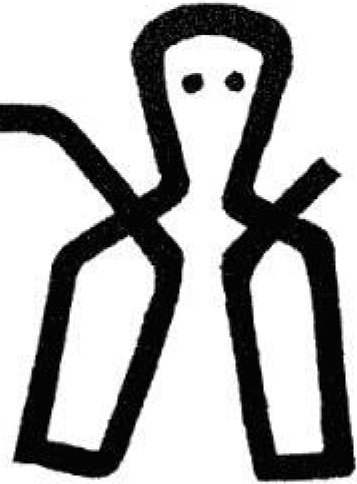
يومنا هذا افضل من امسنا ذاك .. الا اننا نتطلع الى غد افضل من امس واليوم ، ولا شىء يمنع حركة الايام ..

واذا شعرت بالملل - يا صديقى - فاعمل بتجربتى ، والتقط كتابا فيه حكايات او مذكرات ، وستتعبك اليقظة من قراءته بعد أن أتعبك الملل ! .



● استشارة قانونية ●

سأل القصاب احد المحامين فى لندن : « لـو سرق كلب قطعة لحم من دكانى ، فهل يكون صاحب الكلب مسئولا ؟ » فاجاب المحامى فى حماس : « لا شك فى ذلك ! »
فقال القصاب : « حسنا ، لقد خطف كلبك قطعة «بفتيك» تساوى نصف دولار منذ خمس دقائق .. »
فقال المحامى : « اذن اعطنى النصف الباقى من الدولار ، وبذا اكون قد استوفيت اتعابى عن هذه الاستشارة ! »



حتى يغادر الشعب مقاعد المتفرجين

د. نوال السعداوى

تموج الصحف هـــذه الايـام بالمقالات ويشتد الصراع بين الفرق المختلفة القادرة على الكتابة والنشر واستخدام الكلمات والارقام لاثبات الشيء ونقيضه في آن واحد .

وبعد القراءة الطويلة للاعمـدة والمقالات يضرب الناس كفـا بكف ولا يعرفون شيئا . لا يفهمـــون ابسط الاشياء والبديهيات وتصبح الكلمات بلا معنى . مادام الامـر قد وصل الى أن الكلمة كنقيضها ، فالمذنب هو اللامذنب . والعجـز هو اللاعجز والرخاء هو اللارخاء والسلام هو اللاسلام والقانون هو اللاقانون ... الى آخــــر تلك التناقضات التي كادت تصـــبح سمة من سمات حياتنا اليومية .

● جهاز يصدر حكمًا بالإدانة وجهاز يصدر حكمًا بالبراءة !!

● ماهو السبب الحقيقى وراء الفساد بشتى أنواعه؟

هكذا يكثر الحديث عن القيم ، ومحكمة القيم ، وميثاق الشرف ، وتتعدد الاجهزة التي تحاسب ، وتتعدد المقاييس والمكاييل ، وتتضارب الاحكام • جهاز يصدر حكما بالادانة • وجهاز آخر يصدر حكما بالبراءة • وتزداد حيرة الناس •

ماهي مقاييس العدالة ؟ اذا سرق رجل رغيفا مثل الذي يسرق قوت شعب ؟ هل الذي يقتل نفسا واحدة في لحظة غضب يستحق الموت والذي يقتل الالاف بطعام فاسد يستحق السجن بضع سنين ؟

وذلك الاداري الكبير الذي يوقع على قرار يسهل التهريب والغش التجاري هل هو اكثر براءة من ذلك التاجر الذي غش ؟ اذا كنت مسئولا واتخذت قرارا على مسئوليتك وتسبب هذا القرار في كارثة سياسية أو اقتصادية اليس من العدالة أن تحاسب ؟ هل من العدل أن يحاسب التجار فقط ولا يحاسب صانعو القرارات الخاطئة ؟!

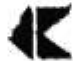
الا نعتبر سوء استخدام السلطة جريمة اذا ادى ذلك الى اضرار كبيرة بالبلد ؟ وأيهما اكثر خطأ : الذي اصدر القرار ام الذي نفذ القرار ؟

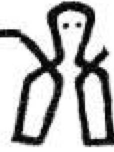
العدالة تعني محاسبة الانسان على مافعل ، لا فرق بين كبير أو صغير ، غني أو فقير ، رجل أو امرأة •

والعدالة تقتضي ان الفعل الصغير عقابه قليل ، والفعل الكبير عقابه اكبر • بمعنى آخر انه كلما زادت سلطة الانسان زادت مسئوليته ، وزاد حسابه ومساءلته •

كانت القيادات العسكرية في الازمنة القديمة تتقدم صفوف الجيش في الحرب لتكون قدوة على الشجاعة والاقدام والاستشهاد في سبيل الوطن • لكن الاوضاع انعكست واصبحت القيادات المسئولة تقبع في الحصون في امن من الاذى • فاذا مازال الخطر خرجت القيادات من حصونها وكانت اول من ينال الثناء ان كان هنالك نصر ، اما الهزيمة فتقع على أكتاف الاخرين •

من هذا المفهوم الخاطيء لمعنى القيادة والمسئولية نشأت معظم التناقضات في القيم في العالم ، اذ انفصلت السلطة عن المسئولية • لم تعد السلطة تعني المسئولية الا في حالة واحدة ••• هي النصر • يرجع النصر الى صانع القرار وليس منفذ القرار • اما في الكوارث والهزائم فان الخسارة ترجع الى منفذ القرار وليس الى صانع القرار • وكم عوقب صغار بسبب اخطاء الكبار • وكم نال الكبار من جوائز كانت من حق الصغار •





حتى يغادر الشعب مقاعد المتفرجين

اذا اختل ميزان العدالة وتعددت المكاييل والموازين لايعرف الناس من المخطيء ومن المصيب . من المذنب ومن البريء . وبذلك تختفي الاسباب الحقيقية للصواب او الخطا ، للنصر او للهزيمة ، ولا يعرف الناس الاسباب الحقيقية لاى مشكلة .

ماهو السبب الحقيقي وراء الفساد بشتى انواعه ؟ فساد الاطعمة ، فساد الذمم ، فساد الارقام والاحصاءات ، فساد اللغة والثقافة والادب والفن ؟

بدلا من الكشف عن الاسباب الحقيقية وتتبع الاخطاء الادارية والسياسية من اسفلها الى اعلاها يكتفون بالوقوف في منتصف الطريق ، وينتج عن ذلك ظاهرة الشماعات ، وهى تعليق الاخطاء على بعض الاشخاص دون اشخاص ، وادانة بعض القرارات دون قرارات ، وتوجيه اصابع الاتهام الى « الحيطة الواطية » ... وكلما انخفضت الحيطة تشجعنا في اتهامها والقسوة عليها ، وكلما ارتفعت « الحيطة » في السلم الهرمى ترددنا في اتهامها واظهرنا تجاه العطف والحنان .

لاحظ الناس مثلا ان نقيب الاطباء كان رقيق القلب وحنونا على بعض المسئولين الكبار الذين وجهت اليهم بعض الاتهامات . لكن نقيب الاطباء نفسه لم يكن رقيق القلب ولا حنونا حين استنجدت به امراة مريضة وضعت في السجن وهى بريئة .

ولذلك يسهل علينا في الازمات والهزائم ان نكيل الاتهامات للشعب المصرى او الشعب العربي . يخرج علينا كثير من الكتاب والشعراء والادباء بكلام كثير يصف الشعب بالخنوع والضعف والجهل والتردد والسلبية واستعذاب التألم والالم . أصبحت أسباب الهزيمة او الفساد ليست خطا السياسات العليا او خطا القرارات الكبرى وانما خطا الشعب وفساد الشعب .

● توجيه أصابع الاتهام إلى "الحيطة الواطية"!!

اتهمت المرأة مثلا بانها سبب الفساد والهزيمة لانها خرجت الى العمل واهملت تربية الاطفال ، وان سوء اخلاق الابناء هو سبب الانهيار ، او ان المراة المصرية كائن ولود لايكف عن الولادة فهى سبب الانفجار السكانى ، والانفجار السكانى هو سبب الازمة الاقتصادية . او ان المراة المصرية تتزين وتتبرج على شاشة التليفزيون فتصبح قدوة سيئة يتسبب عن ذلك فساد الاخلاق . او ان الاطفال لايحصلون على التربية الدينية الكافية في المدارس وهذا يقود الى ضعف النفوس وفساد الذمم والضمير ..

تتحول الازمة فجاة من ازمة سياسية او اقتصادية الى ازمة ضمير واخلاق والعلاج هو مزيد من الاخلاق بمزيد من حصص الدين فى المدارس ومزيد من الطول لاكمام ملابس النساء . وتدفن الاسباب الحقيقية في جراب التاريخ .

سيظل التاريخ مقبرة للحقائق الى ان يكف الشعب عن الجلوس فى مقاعد المتفرجين · الى ان يستطيع الشعب أن يحاسب الكبير قبل الصغير · الى ان يستطيع ان يعرف الاسباب الحقيقية للنصر او الهزيمة لماذا لم يصل الشعب المصرى بعد الى هذه القدرة ؟

لماذا يظل عاجزا ؟ وهل العجز فيه ، فى طبيعته ، أم فى احزابه السياسية ؟

لا شك ان الاحزاب السياسية عندنا تعانى من الافة نفسها · آفة الفصل بين السلطة والمسئولية · ان رئيس الحزب مثلا هو أول المسئولين فى الحزب ، لكنه اخر من يدخل السجن من اعضاء الحزب ، وهو اول من يحظى بالثناء اذا حقق الحزب شيئا من النجاح · ولهذا السبب يحدث الصراع والتنافس على مقاعد الرئاسة والمناصب العليا فى الحزب · فالمنصب العالى يمنح الانسان مزايا السلطة دون عيوبها ··· يعطيه المسئولية فى حالة النصر ، ويعفيه من المسئولية فى حالة الفشل

وعلى هذا النحو يظل الحزب القلية منعزلة فى المدينة منشغلة بنفسها ولا أحد يريد الابتعاد عن العاصمة والسفر الى الاقاليم الا وقت الانتخابات ··· ويظل الشعب متفرجا ، ولكنه لابد ان يغادر يوما مقاعد المتفرجين ●

● فى سطور ●

● يجب على الرجل ان يفكر مليا قبل ان يقرر الزواج ، فغالبا مايكون ذلك آخر قرار يسمح له باصداره !

● فى قلب الرجل الف باب ، يدخل منها كل يوم الف شيء · ولكن المرأة اذا دخلت من احدها ، لا ترضى الا ان تغلقها كلها !

● كم من اشياء تسعدنا ، ولكنا غفلنا عنها لانها لا تكلفنا شيئا !

● الحبيب من تلتهمه بكل حواسك ·· فاذا رايته فقد رايته وسمعته وذقته ولمسته وشممته ، والبغيض من تلفظه من كل حواسك !

● السعادة كالفراشة اذا لاحقتها ابتعدت عنك فلا تستطيع الوصول اليها ، اما اذا بقيت فى مكانك هادئا فانها تحوم حواليك ، وربما وقعت فى حجرك او فى يدك !

● مثل حب الغانيات كمثل نقطة من الزئبق فى راحة يدك ، تظل فيها مابقيت مبسوطة ، فاذا قبضتها لم يبق فى يدك شيء !

رد على مقال زواج الحكومة والمعارضة

فتحي رضوان

يتعالمون ولكن لا يعلمون

كان قاموس الالفاظ الدائرة على السن كتاب الصحف ، ورجال السياسة ، من مادة « ع.ل.م » لفظ تعليم فقط،ومشتقاتها الا ان العهد الاخير ، ونعني به الفترة التي تلت الحرب العالمية ، بدأ لفظ « اعلام » ينافس اللفظ القديم الوقور ، حتى سبقه وغلبه . فالاعلام ،اصبح عمودا من اعمدة الحياة السياسية يتكلم عنه الساسة ، يهاجمونه حينا ، وينسبون اليه شرورا كثيرة ثم يخافونه ويحسبون حسابه ، ويتملقونه ويتزلفون اليه ، ليجنوا شيئا من خيراته ، واصبح « الاعلام » ، وسيلة السياسة الاول وعماد التجارة والمال المفضل ، والساحر الذي يقلب الابيض اسود ، والمكروه محببا ، والبعيد قريبا وهكذا .

توارى « لفظ » التعليم » ، ولم يعد يذكر الا عند الحديث عن برامج المدارس والمعاهد والجامعات ، وهو حديث ثقيل ، لا تقبل عليه النفوس ، الا مضطرة ، في حين يكون الحديث عن « الاعلام » مقرونا بالفن والفنانات والاصوات العذبة ، والمشاهد المحببة ، والوجوه المليحة ، والاجسام الرشيقة ، والمشهورين من الرجال ، الذين يحتلون منصات الحكم ، او يتصدرون دوائر المال ، او يتقدمون واضعي خطط الحرب والسلام ... ولكن يبدو أننا سنسمع قريبا لفظا اخر ، جديدا مشتقا من مادة « ع.ل.م » ، وهو لفظ « التعالم » .

والتعالم يعني اظهار ما لدى الانسان من علم ربما بغير مناسبة جدية ، وان كان اظهار هذا العلم ، نافعا لانه تحدث عن علم . وقد يكون التعالم ، رغبة في تجديد اسلوب الحديث ، بقصد اثارة اهتمام السامع ، بصب القول في قالب جديد ، يدعو القارئ وغيره الى حصر الذهن ، وتوجيه الانتباه ولاباس اذا ثبت بعد حين ، ان العلم الذي عرض ، لايقوم على اساس فقد ادى رسالته ، ودعا المسترخي الى النشاط.

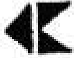
في هلال شهر ابريل سنة ١٩٨٢ ـ الشهر الماضي ـ كتب الدكتور « السيد فهمي الشناوى « مقالا عنوانه .

« زواج الحكومة والمعارضة بين الخصوبة والعقم السياسى » .

ولمت الظن ان صحفنا السياسية او الادبية ، تصورت العلاقة بين الحكومة والمعارضة شبيهة بزواج الرجل بالمراة ، وان الخصوبة المطلوبة في زواج الذكور من الادميين ، والنساء من بنات حواء لتنجب الاسرة اطفالا اصحاء ، يتكاثر بهم المجتمع ، مطلوبة كذلك بين المعارضة والحكومة ، فالتزاوج بين الرجل والمراة هو صورة من اقتران وتعاون ، شبيه ، بعلاقة الزواج . ولايهم ان تعرف من يكون الرجل ، ومن تكون الانثى ، في علاقة

● الحكومة لاينصلح حالها إلا إذا راجعت نفسها

● كيف صدق الكاتب أن ما نسبه إلى ذلك الباشا صحيح؟



الحكومة بمعارضيها ، ففى الزواج والحب كما قال المؤرخ الالمانى اليهودى الشهير « اميل لدفيج » فى كتابه عن الحب ، ان من يعطى فى الحب يأخذ فى الوقت نفسه، فالعطاء فى هذه العلاقة الانسانية العظمى ، هو اخذ وتسام ، والاخذ هو بذل وايثار .

وقد ابى الدكتور كاتب المقال الا ان يسترسل فى منهجه الفذ ، ليستثير مزيدا من شوق القارىء وشغفه ،فقال ان الخصوبة لاتواتى الزوجين فى هذه العلاقة ، بين صاحب السلطة ، ومن يتوق الى الظفر بها والاستيلاء عليها الا اذا لجأ الطرفان الى منهج « النفس اللوامة » التى جاء ذكرها فى القرآن .

والنفس اللوامة ليست ـ فى هذا المقال ـ سوى اشارة الى اسلوب النقد الذاتى ، فالحكومة لاينصلح حالها ، ولاتبلغ اقصى الغاية من طاقاتها وقدراتها الا اذا راجعت نفسها وتخلت عن عيوب نفسها وسقطاتها ، والمعارضة بدورها ، لن تحقق لنفسها دور الموجه الرشيد ، وصاحب الرأى السديد ، الا اذا فعلت الفعل نفسه فراجعت كل الذى قالته فى الخطب والمقالات والقرارات والبيانات ، لتندد باخطاء الحكومة وقلة حظها من التوفيق . فاذا فرغ الحاكم ومنافسوه من هذا الامتحان الاختيارى . بلغت الامة اعلى مدارج القوة ، لصلاح المنصرين اللذين يكونان جهازها السياسى وهو اخطر اجهزتها ، واقواها الرا .

ولعلك اخذت بهذا القالب الغريب، الذى وقع عليه اختيار الدكتور الشناوى ليقول فكرة بسيطة وواضحة هى بالضبط : لا يتعصبن احد لرايه وليعترف الحاكم انه معرض للخطا وليبحث فورا عن خطئه ، ولتفتش المعارضة عن خطئها كذلك .

ولاباس مطلقا من اسداء هذه النصيحة المهمة فى هذه الصيغة الباهرة .

ولا يبقى الا ان تاخذ الحكومة والمعارضة بها ، فيدع كل منهما الغرور ، ويتواضع ويعدل عن سىء رايه ، والمتطرف من احكامه بقى ان يضرب الكاتب الامثلة التى تؤكد هذه الموعظة الثمينة فساق كلاما قاله الخليفة الامام على رضى الله عنه وهو يقبض الى رحمة الله ، بعد ان طعنه عبد الرحمن بن ملجم الذى كان من الخوارج .

ولايهم كثيرا أنك لاتجد فى هذا المثل ، اعترافا من الخليفة الرابع كرم الله وجهه بخطأ صدر منه ثم « لام نفسه » عليه كما لاتجد ايضا قولا لعبد الرحمن بن ملجم اقر فيه بسوء ما اقدم عليه من قتل خليفة رسول الله او قبله او بعده .

ولكن هذه رواية لشىء من التاريخ ،يسر القارىء ، وان كان منقطع الصلة بالموضوع المعروض .

غير أن الكاتب مالبث ان ساق لنا

شاهدا اخر ، وهو ان وزيرا من وزراء العهد السابق هو المرحوم الاستاذ صليب سامي باشا ، قال في مذكرات له ، انه أرسل الى اللورد كرومر عميد الاحتلال البريطاني الطاغي في مصر ، خطابا ، يلفت نظره فيه الى انه يخترق شوارع القاهرة بعربة تقودها جياده ، ويسبقها سياس حفاة يجرون امام العربة ، وهم يلهثون ، وان هذا اساءة الى انسانية هؤلاء المصريين الفقراء . فعدل الحاكم الطاغي المستبد فور وصول الخطاب اليه . ولا يهم ايضا الا ترى في هذا المثل، شيئا يمت بصلة الى « النفس اللوامة » ، فاللورد كرومر ، لم يعدل عن مسلكه القبيح المقزز ، بعد لومه لنفسه ، بل لان طالبا مصريا صغيرا لفت نظره الى سوء تصرفه .

ولا ادري كيف صدق الكاتب ان مانسبه المرحوم صليب سامي لنفسه صحيح ،وكيف فاته ان صليب باشا لم يكن في يوم من الايام من رجال الوطنية المصرية ، وانه اميل الى هذه الجماعة التي كانت تتقرب الى الانجليز وتحسن الظن بهم ، وتمدح اعمالهم في مجالات الري وتنظيم الضرائب . كيف فات الكاتب الفاضل ان اللورد كرومر كان مثلا للحاكم الاجنبي الدخيل الظالم المستبد . المغتصب لحقوق الامة ، وانه ابطل التعليم المجاني في مصر، وانه استعمل احتياطي مصر في شراء سندات الحكومة البريطانية التي كانت تدر على خزانة مصر دخلا ضعيفا ، وانه المسئول عن حادثة دنشواي التي ذهبت مثلا على الاجتراء على حقوق الانسان . هل من مظاهر خصوبة الحكم في بلادنا ، ان تضفي على خصومها وتسدي الى اعدائها صفات الانسانية التي تجردوا منها ؟ واذا كان حقا من دواعي صلاح الحكومة ان تتحقق فيها ما يتحقق في الجسم الانساني من خواص فسيولوجية تجعل الراس مرتبطا بالقدم والقلب مرتبطا بباقي الاعضاء ، فانه من الواجب أن نذكر أن مصطفى كامل استمر ١٤ عاما ينـدد

عبد العزيز جاويش



بسوء سياسة بريطانيا التي كان ينفذها كرومر فاصم هذا الطاغية الجهول اذنيه عن سماعها حتى سقط من علياء عرشه بوصفه ملك مصر والسودان غير المتوج .

ولم يقنع السيد الكاتب ، بمثل اللورد كرومر الذي ساقه لنا لنتخذه قدوة واسوة حسنة ، فعززه بمثل اخر ، ابلغ في الدلالة ، واعظم في التاثير ، فاتخذ من عميد طغاة العالم الغربي ، وداعي دعاة الاستعمار العنصري،ووزير المستعمرات البريطاني اتخذ من مستر تشرشل ، مثلا اخر عن كيف يتم الاتصال الصحيح بين المخ وكل خلية من خلايا الجسم ، فقال ان تشرشل كان يهتم بكل خطاب يصله حتى ولو كان الخطاب من تلميذ ابتدائي ينتقده ، وانه بلغ من سعة صدر عدو العرب والاسلام والشعوب المستضعفة ، عـدو المصريين ، والسودانيين والهنود ، الذين امر بضربهم بالرصاص المسموم ، وزجهم الى السجون ، وتعليقهم في المشانق ، وسجل بخط يده سياسته هذه وميوله ، بلا تحرج ولا تاثم . فهل هذا هو العلم الصحيح والوعـظ المقبول ؟

واللغز سيادة الباحث ، فلغزة لا نجد لها تفسيرا في المقال ، الى الشعارات ، وتندد بها وبالذين يضفون عليها التقديس،والعلم

على الجارم



محمد سالم عبد الله عنان



الصحيح يقول انه ما من حركة كبيرة او صغيرة عرفها التاريخ ، وغيرت حياة الناس والهمتهم بالجديد من المبادئ والعقائد والمناهج ، الا وكانت الشعارات جزءا من ادبياتها ، وعنصرا من عناصر الدعوة . فالمسيحية رفعت شعار « احبوا اعداءكم وباركوا لاعنيكم وصلوا للذين يسيئون اليكم » و « كونوا فاضلين كابيكم الذى فى السماء . » و « من ضربك على خدك الايمن ادر له الايسر ، ومن طلب منك شفارك اعطه دثارك » وهذه شعارات من السمو والرفعة ، بحيث استحال على عامة المسيحيين ان يتقلدوها ، ولم يصل الى مستواها الا عدد من الحواريين والشهداء والقديسين ، ومع ذلك بقيت شعارات مقدسة ، تحفظ وتردد ، ويدعو اليها القساوسة فى الكنائس ، والبابوات من اعلى منبر وفى الاسلام ، خرج المسلمون الاوائل ، ينشرون الدين . ويفتحون الامصار ويتشئون عواصم الحضارة ، وحواضر الثقافة ، وينشئون العلم الحديث ، ويعلمون الناس اياه ، وهم يعلون اصواتهم بشعارات : الله اكبر، لا اله الا الله ، والحمد لله .. وكانت هذه الشعارات مصدر الهام يبعث القوى . ويوحد الصف ، ويقوى الجماعة فى الشدة ودواعى الضعف . فالشعارات ليست رجسا ، ولا غنى للانسان عنها ، انما الخطا فى قادة يرفعون الشعارات بالاصوات وفوق الاعلام ولا يؤمنون هم بهـا ، ولا يتقلدونها .

والسيد الباحث يتخذ موقفا غريبا جدا فهو ينتقل من محاربة الشعارات الى رفع شعار « محو الامية » ، ويرى ان « محو الامية » هو السبيل الاوحد لتوحيد الامة ودمج ارادها ، اما الاصلاح الزراعى ، واصدار القوانين المنظمة للعلاقة بين المالك الزراعى ، والعامل او المستاجر الزراعى ولو كلف سيادته خاطره ، وذهب الى اية قرية قريبة من القاهرة او بعيدة عنها ، لراى الريف المصرى قد امتلا بالضباط ، واساتذة الجامعة والاطباء والمحامين والمعلمين وبالجملة من كل مهنة ، وهؤلاء جميعا من اولاد فقراء الفلاحين ، الذين لم يكن فى وسع احدهم ان يحلم بان يكون ابنه موظفا حقيرا فى ادارة حكومية . وان بعض هؤلاء الاولاد ، سافروا الى اوربا وامريكا فكان منهم كبار الخبراء ورؤساء الشركات ، ومندوبو الوكالات ، ينصحون ، ويشيرون وتحترمهم محافل البحث العلمى ، ودوائر الجامعات ، وتصدر عنهم الكتب والمؤلفات التى تحتل مكانة المصادر الرئيسية . فى حين يبقى شعار « محو الامية » قرنا كاملا او يزيد ، يزين خطب العرش ، ووعود الساسة . فلو اننا نلتزم منهجا ثابتا ،

يتعالمون ولا يعلمون



حتى لو فى البحث الواحد ، لما كان ممكنا ان يغمض الدكتور الشناوى عينيه عن هذا التطور الرائع فى حياة طبقاتنا التى حرمت زمنا طويلا ولا عن سقوط الملك والملكية وانهاء عبادة الارض وزوال سلطان ملاكها الوارثين الالوف والمئات من الاباء والاجداد ، وتمصير الاقتصاد المصرى ، والمصارف الاجنبية ، وتحطيم حصون الغزو الثقافى الغربى المتمثل فى المدارس الاجنبية البريطانية والفرنسية والايطالية ، مدارس التبشير بشىء لايمت الى المسيحية السمحة ، ويروج للاستعمار ، ويهاجم الاسلام ويسخر من محمد رسول الله .

ليس من هذا كله شعارات ينادى بها وانما هى حقائق ، لا ينكرها الا جاحد . يرفض التسليم بها الا من لا يحب الحقيقة.

والقول بان اسرائيل مزعومة ، و « اسرائيل دويلة » . وان اسرائيل مجموعة شراذم من شذاذ الافاق ليس من قبيل الشعارات الكاذبة والصيحات الجوفاء ، فهو قول حق الى اليوم ولكن الذى قلب الوضع الصحيح ، ان بريطانيا ومن بعدها امريكا والغرب كله جاء بخيله ورجله ، وماله وسلاحه وعتاده وكفاحه ومجاله ، وامه المتحدة ، لتسحق العرب واستعانت برؤساء دول ورؤساء حكومات ، وقادة جيوش ، وكتاب صحف ومؤلفى كتب ليروجوا لاسرائيل وليوزعوا جرعات من سم تجرعناه بطيب خاطر ، ولا احسب ان هذا سيطول عهده .



هل هذا هو العلم الصحيح والوعظ المقبول؟

ثم ختم السيد الدكتور السيد فهمى الشناوى بحثه بما تصوره حقيقة علمية كبرى ، وهذه فى الواقع خطأ صراح قال :

وفى التعليم يجب ان تكون الجامعات اهلية بالكامل ، الا ترى مثلا ان اكاديمية افلاطون الاهليه انتجت من الفلاسفة ما لم تنتجه كل الجامعات الحكومية حتى اليوم . الم نلمس ان الازهر عندما كان جامعة اهلية وبرامجه المدرسية اهلية حرة التسع زعامات سياسية فى العصور المظلمة يعز الان انتاجها .

فالسيد الدكتور يزعم ، في جزم بان الازهر جامعة اهلية ، ولو تصفح اى كتاب من كتب التاريخ الذى تناول الازهر الشريف ، لعلم انه لم يكن يوما ما جامعة اهلية وانه ولد جامعا رسميا حكوميا بنته حكومة الفاطميين من اليوم الاول ، لينشر المذهب الشيعي الذى كانت دولة الفاطميين تؤمن به ، فلما جاءت دولة الايوبيين ، حولته الدولة الجديدة الى مسجد رسمى يخدم المذهب السنى وبالذات المذهب الشافعى .

ولكيلا يظن كاتب المقال المضال انني التي من عندي سانقل اليه من الطبعة الثانية من كتاب « تاريخ الجامع الازهر » تاليف المؤرخ العظيم الاستاذ محمد عبد الله عنان .. قال في صفحة ١٨ :

« وتم بناء الجامع الازهر في عامين وثلاثة اشهر وافتتح للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ « ٩٧٢ ميلادية » وكانت الحكمة واضحة في انشاء المسجد الجديد ، بل كانت اشد وضوحا في المقصد والمغزى من اية فرصة سابقة فقد كانت الدولة الفاطمية دولة الامامة الشيعية ، وكان الجامع الازهر اول مسجد اقامته الشيعة في مصر ومن ثم فقد كان قيام الجامع الازهر رمزا لسيادة دعوة دينية جديدة هى الدعوة الفاطمية كما كانت القاهرة المعزية رمزا لظفر الدولة الجديدة وسيادتها »

ثم قال في صفحة ٣٥ :

« افتتح « الجامع الازهر » في يوم الجمعة سابع رمضان سنة ٣٦١ هـ ٩٧٢ « م » وفي ذلك اليوم اليمت به صلاة الجمعة الرسمية لاول مرة . وكانت تقام قبل ذلك تارة بالمسجد الجامع « جامع عمرو » وتارة بالجامع الطولونى . ومن ذلك اليوم يتخذ الجامع الجديد صفته المذهبية الرسمية كمنبر للدعوة الشيعية التى ينضوى الفاطميون تحت لوائها » .

ثم قال في ص ٣٦ :

« ومنذ عهد المعز لدين الله الفاطمي ، يحتفل الفاطميون باقامة الصلوات في ايام الجمع او الاعياد في مختلف المواسم والمناسبات في جامع القاهرة او الجامع الازهر ، وكثيرا ماكان الخليفة يؤم الناس ويخطب فيهم بنفسه وكثيرا ما كان يبكي الناس وعظه ، ومنذ ذلك الحين يغدو الازهر مسجد الخلافة الرسمى » .

وفي صفحة ٣٩ قال :

« انما انشىء الجامع الازهر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة ومنبرا لدعوتها الدينية ورمزا لسيادتها » .

وتحدث بعد ذلك الاستاذ عنان عن مؤسسة اخرى انشاها الحاكم بامر الله في العاشر من جمادى الاخرة سنة ٣٩٥ « مارس ١٠٠٥ » اى بعد نحو خمسة وثلاثين عاما من قيام الجامع الازهر وكانت تعقد قبل ذلك بالقصر واحيانا بالازهر ، مجالس تسمى مجالس الحكم . ينظمها قاضي القضاة وتقرا فيها علوم آل البيت فيهرع الناس الى شهودها ، وتخصص فيها مجالس للخاصة ومجالس للكافة واخرى للنساء ، ولكن الحاكم بامر الله راى ان تكون هذه المجالس اوسع مدى وان تنظم في سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي واحد ، فانشىء المعهد الجديد واطلق عليه دار الحكمة او دار العلم

ثم اضاف في صفحة ٥٣ :

كانت دار الحكمة في ظاهر الامر جامعة حرة علمية يلتحق بها من يشاء ، ويدرس ما يشاء من مختلف العلوم والفنون ، ولكن هذا المظهر العلمى لم يكن في الواقع الا ستارا للغاية الاصلية التى انشئت دار الحكمة لتحقيقها ، وهى بث الدعوة الفاطمية .

فحتى دار الحكمة التى هى معهد قائم بذاته ، له استقلاله عن الازهر ، كانت مؤسسة حكومية خاضعة فيما تقول ، وما تعلم ، المذهب الرسمى والتوجيهات الدولة .

● الكاتب ينتقل بنا من محاربة الشعارات إلى رفع الشعارات!

ثم قال فى ص ٦٩ : « انشىء الازهر كما رأينا ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية فكانت الدولة هى التى تتول الانفاق عليه » ..

ولم يتغير الحال حينما دالت دولة الفاطميين وحلت محلها دولة الايوبيين حينما تولى صلاح الدين وزارة العاصمة باسم الملك الفاضل واستاثر بالامر ، وعمد الى ازالة شعائر الدولة الفاطمية وكل رسومها وآثارها المذهبية ـ فان الازهر وان ذبلت مكانته لما انشاته الدولة الجديدة من المعاهد الدينية والمساجد ودور العلم ، ولكن بقى الازهر مؤسسة حكومية تاتمر شيوخه بامر الحاكم ويعينون بامره فتصور ان الازهر كان جامعة شعبية مستقلة عن الحاكم ، قول بلا سند .

والطريف انه انتقل ـ اى الدكتور الشناوى ـ الى شىء آخر ، هو قوله : أن قصر العينى كان يحتفظ ويعتز بلفظ مدرسة الطب ، وينفر من اللقب الرسمى كلية الطب .. والواقع ان مدرسة الطب لم تكن تنفر من شىء ، ولا تفضل شيئا آخر ، انما هى الحكومة التى غيرت اسماء جميع المدارس العليا الى كليات حتى كلية الشرطة وكلية العربية ، وكلية الاقتصاد المنزلى ، تبعا للميول التجارية ، فكل طالب يحرص على ان يتخرج فى كلية لا فى مدرسة .. ففى الوقت الذى كانت كلية الزراعة تحمل اسم مدرسة . وكلية الحقوق ، اسم مدرسة الحقوق ، والهندسة مدرسة المهندسخانه كانت كلية الطب اسمها مدرسة الطب .

وقد كانت هذه المدارس جميعا مدارس حكومية مائة فى المائة ، ولكن لم يمنع كونها كذلك ان تخرج اكبر العلماء الذين فاقوا علماء اوربا وتبادلوا معهم الرسائل ، وزاملوهم فى المؤتمرات والمحافل امثال : على ابراهيم وعبد العزيز اسماعيل ، وسليمان عزمى ، ومؤبو ، والكاتب ، وابراهيم المنياوى ونجيب محفوظ .

كما اخرجت مدرسة الحقوق : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعمر لطفى ، وعبد الرحمن الرافعى وامين الرافعى ، ومكرم عبيد وتوفيق ووهيب دوس .

ثم اخرجت مدرسة المعلمين العليا احمد زكى ، وسليم حسن ، ومحمد عوض محمد ، وفريد ابو حديد ..

واخيرا مدرسة دار العلوم اخرجت صفوفا طويلة من الكتاب والقراء والفقهاء فى مقدمتهم عبد العزيز جاويش وحفنى ناصف وسيد قطب ، وعلى الجارم .

اما جامعة بيروت والذين اخرجتهم من الاقتصاديين الذين مثلوا مصر فى « مؤتمر ليك ساكسيس » ليضعوا ميثاق الامم المتحدة فمصر والعالم العربى كله يقول ياليتهم لم يذهبوا الى « ليك ساكسيس فان مصر والعالم العربى كله ، لم يجن من هذا المؤتمر حتى اليوم الا الخيبة وسوء المآل ، ولا اظن ان احدا يذكر اسما واحدا من هؤلاء الذين اخرجتهم جامعة بيروت التى هى جامعة حكومية امريكية تاتمر بامر ادارة الباحث فى تلك الدولة .

وحسبنا هذا القدر هذه المرة ●



قضية اللغة العربية

جزء صغير ... من الحقيقة المفزعة

للأديب الكبير محمود محمد شاكر

● اللغـة ليست علمـًا.. بل هي شيء فوق العلم
● لغتنا في خطـر داهـم.. ونحن أيضـًا

دعت كلية الآداب بجامعة الاسكندرية الى عقد مؤتمر للغة العربية ، تم عقده في ٣٠ صفر الى ٤ ربيع الاول سنة ١٤٠٢هـ ٢٦ ـ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٨١ م. اشترك في هذا المؤتمر نحو من ستين عضـوا ، يمثلون تسع عشرة كلية ، تنتمي الى عشر جامعات مصرية ، وسبع جامعات عربية من السودان والسعودية ولبنان ، ومعهم غيرهم من اساتذة العربية في مصر وغيـرها من البلاد العربية . وكان مقرر المؤتمر الدكتور محمد مصطفى هدارة ، وكيـل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث .

عدد ضخم ، ولولا ما نحن فيه اليـوم ، لتضاعف العدد تضاعفا يذهل ويخيف !

تناول المؤتمر قضية ضعف العربية على السنة ابنائها ، من اول نشأة الطفل في بيت امه وابيه ، ثم في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، الى ان ينتهي من دراسـته الجامعية شابا ، او رجلا على الاصح ، في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، ثم يلتحق بهيئة التدريس الجـامعية ، او غيرها من الهيئات والاعمال .

قدم اساتذة المؤتمر اربعة واربعين بحثا .. درست في المؤتمر العام . ثم في لجانه الخمس المتخصصة ، وتخللتها مناقشـات طويلة كثيرة دارت بين اعضـاء المؤتمر نفسه .

منـذ اول يوم في المؤتمـر ، كانت الصورة قاتمة جدا ، ومفزعة جدا ، وظلت كذلك حتى صدرت توصيـاته تحمل نذير الخطر ، وتتلمس في الظلام الدامس سبيلا الى النجاة منه . ويكفي ان تلم بمجمـل الوصـايا الخمس ، بابوابها الثمانيـة والاربعين ، حتى تدرك فداحة الخطر الذي يهـدد العربية ، وابناء هذا اللسـان العربي :

فالاول ، تتعـلق بمرحلة التعليم قبل الجامعي ، وفيها سبعة أبواب .

والثانية ، تتعلق بالمناهج وطرق التدريس في الجامعة ، وهي احد عشر بابا .

والثـالثة ، تتعلق بتكـوين الطالب الجامعي ، وهي سبعة ابواب .

والرابعة ، تتعلق بتكـوين المدرس الجامعي المتخصص ، وهي ثلاثة ابواب .

والخامسة ، وهي اخطرهن ، تتضمـن وصاية جامعة شاملة لكل ما في حياتنا ، وهي عشرون بابا .

***

احساس غامض مبهم ممزق ، ولكنـه عميق مزلزل ، استشفه من وراء هـذا المؤتمر ، ومن تحت اكثر ما اقرؤه احيانا في الصحف والمجلات والكتب ، وما أسمعه في الاذاعات والمجالس . احساس يرتجف ذعرا بما اصاب العربية اليوم على السنة ابنائها من الضعف والخلل والتفكك :

« العربية في خطر داهم » ، حقيقة واقعة .. نعم . ولكنها جزء يسير من الحقيقة المفزعة الكبرى . لان الخطر الذي يحيـط بالعربيـة ، لا يحيط بها منفصـلة عن أصحابها ، اصحاب اللسان العربي نفسـه وراثة وانتماء ، ثم هو لا يحيط باصحاب



جزء صغير من الحقيقة المفزعة

اللسان العربي ، منفصلا عن حاضرهم ، ولا عن مستقبلهم في هذه الدنيا الواسعة المتصارعة ، ولا عن تاريخهم العريق الغائر في الغيض الاباد التقادمة عل طول القرون . ولا عن حضاراتهم الغابرة والباقية التي بسطوها عل اوسع رقعة من الارض ، من اقصى المغرب غربا ، ال جوف الصين شرقا ، ومن قلب اوروبا شمالا ال اطراف القارتين الافريقية والاسيوية جنوبا ، واستقرت فيها عشرات من القرون ، تفيء ثم تكمن ثم تفيء .

« العربية في خطر داهم » . جزء يسير من الحقيقة المفزعة الكبرى ، ولكنه الجزء المهدد الذى ينهار البناء كله بانهياره ، فاذا انهار ، اصبح الحاضر كله ، والمستقبل كله ، ركاما واطلالا وملاعب يستبيحها من يشاء بما يشاء كما يشاء .

ومع ان هذا هو ما تجهر مستكنا في صريح الدعوة آلى هذا المؤتمر وفي وصاياه ، فانه انعقد اياما ثم انفض ، وتلقفته بعض اجهزة الاعلام خبرا ضئيلا ينشر ثم يطوى ، وكأنه كان لغوا لا يحرك ساكنا ، ولايثير احدا ، ولا ينذر بخطر ، ولا يستحق ان ينال اسطرا قلائل من الالاف المؤلفة من الاسطر التى تحوزها مشاكل الاقتصاد والاسكان والمرور ، او كرة القدم عل الاقل . وهذا وحده نذير بشر لا يعلم آلا الله مداه .

امر محزن ان تبلغ الاستهانة بشان اللغة هذا المبلغ . موقف لا مثيل له في تاريخ امم العالم ، لانه يخالف طبيعة الانسان الذى ميزه الله من سائر خلقه باللغة والبيان ، في قصة طويلة معقدة ، منذ دب على الارض ابونا آدم عليه السلام .. وتكاثر ابناؤه حتى عمروا وجه الارض ، واختلفت السنتهم والوانهم ، وصاروا شعوبا وقبائل وامما تتعارف وتتناكر ، على مر آلاف مؤلفة من السنين .

ضعف في اللغة يستشرى جيلا بعد جيل ، واستهانة بما يصيب اللغة تتفاقم جيلا بعد جيل . موقف فريد مناقض للطبيعة ، تلك امة العرب ومن ينتمون اليهم بالدين الواحد والحضارة الواحدة ، او باللسان الواحد والحضارة الواحدة وان خالفوهم في الدين .

كيف تم هذا كله ؟ لابد من تفسير لما حدث كيف حدث ، والا فلا علاج لعلة لا يعرف الطبيب اسبابها ولا نشاتها ولا تاريخها ، وكفى بالطبيب جهلا ان يعالج اعراض الداء ، والداء في مكمنه حي طليق مسيطر مستبد .

● في زمان الغفلة ●

منذ اربعة قرون ماضية ، كان العالم العربي والاسلامي ارضا واحدة ، تحيى حضارة واحدة ، تمدها ثقافة واحدة ، من اقصى المغرب ال حدود الصين ، ومن اطراف تركية دار الخلافة الى اغوار افريقية وآسية ، امة واحدة وارثة لاسلافها ، ولكن

الورثة كانوا فى غفلة ، استناموا الى ميراثهم الجليل الضخم ، فهمدوا همود الجمرة تحت الرماد .

وفى زمان غفلتهم واستنامتهم ، دبت الحياة دبيبها فى ناحية اخرى على اطراف دولتهم . حركة حياة لم يلقوا اليها بالا فى اول الامر ، مع ان الله تعالى كان قد انذرهم قبل ذلك بقليل ، فسلط الهمج البرابرة على طرف من اطراف دولتهم فى ارض الاندلس ، بعد ان عمروها ثمانية قرون « ٩٣ ــ ٨٩٧هـ / ٧١٢ ــ ١٤٩٢ م » فابادوا ملكهم ، واستباحوا حضارتهم ، ونهبوا ما فى ايديهم من ثروة وعلم وبشر، ودمروا اكثر ما شيدوه من بنيان . عظة وعبرة ، لم تجد مستمعا ولا مستجيبا .

والآن ، وهم فى غفلة واستنامة ، كان قدر الله سبحانه يعد لهم بعد المغول « المغول » والتتر الذين انصبوا عليهم من الشمال الشرقى . مثل العصور الحديثة وتترها من الشمال الغربى ليرسلهم عليهم .. لن يكونوا مثلا جهلة كاهل الشمال الشرقى ، بل مثلا مدربين قد استفاقوا من جهالة ظلوا غارقين فى مستنقعها اثنى عشر قرنا ، « هى القرون الوسطى ، كما يسمونها » . بعد ان ايقظتهم حضارة العالم العربى والاسلامى ، وامدتهم بما يحييهم . وبعد ان وضع لهم نيكولو ميكافيل « ٨٧٤ ــ ٩٣٣ هـ / ١٤٦٩ ــ ١٥٢٧م » . دستورهم الاخلاقى السياسى . الذى لاتزال تسرى شروره فى شرايين الحضارة الاوروبية الحديثة الى هذا اليوم .

بدا زحف المغل « المغول » المحدثين على دولة الخلافة الاسلامية بحذر شديد ، وبدا تطويق العالم العربى الاسلامى من سواحل البحار البعيدة فى افريقية وآسية والهند وجزيرة العرب . ثم بدا التغلغل فى حواشى الارض اليابسة من اطراف العالم الاسلامى . ومرت السنون ، وشيئا فشيئا نفذت سطوة المغل المحدثين فى كيان دولة الخلافة ، وبدات دولة الخلافة تفقد سلطانها على نفسها ، واحس العالم الاسلامى بالنكبة احساس التوجس المبهم . وخامر الاذان دوى خفى ينبعث من تقوض اركان دولة الخلافة . وخالط الفزع الغفوة ، وبدا التحدى الاكبر واضحا فى ناحية ، مبهما فى الناحية الاخرى .

لن اقص تفاصيل تاريخ غريب مخيف ، ولكنى اشير الى جزء يسير من حركة امة فزعت من خطر ، فاخذت تمسح النوم عن عيونها بايد فيها فتور النعاس الغالب . حاولت ان تهب من رقدتها ، لتنفض عن نفسها غبار القرون . فماذا فعلت ؟ ولم اخفقت ؟

كان لدوى الاركان المتقوضة فى مركز دولة الخلافة ، ذبذبة تغلغلت فى قلب العالم العربى الاسلامى حتى بلغت اطرافه البعيدة . وبالتوجس المحض من الخطر المرهوب المحجوب ، بدات امة كاملة مترامية الاطراف . تحاول ان تواجه تحديا من عدو مبهم ، بدا يقوض اركان دولتها . وبرد الفعل الفطرى ، تحركت طائفة قليلة مبعثرة فى ارجاء عالم متراحب . تحركت تدافع عن بقائها بلا تدبير سابق ، ولا هدف واضح ،



جزء صغير من الحقيقة المفزعة

وما هو الا التوجس الغامض من شر خطير داهم مستطير ، ولكنه محجوب لا يعرف ما هو على التحقيق .

كان اول ما انبعث هؤلاء الافراد القلائل بفطرتهم للدفاع عنه هو اللغة والدين ، وهما أساس ثقافة الامة ، ثم سائر العلوم التي هي أصول الحضارة التي ورثتها ، وعاشت بها وفيها قرونا طويلة . كان الطريق الذي هدتهم اليه الفطرة ، هو بعث الاصول التي قامت عليها الثقافة والحضارة ، بالرجوع الى منابعها الصافية الاول ، بعد ان غمرها النسيان والغفلة بالربة سفت عليها قرونا حتى طمرتها ، وسلبتها بريقها ونضرتها .

لا استطيع هنا ان اسرد كل ما حدث عند هذا التوجس ، في كل ناحية من نواحي هذا العالم الفسيح المتراحب ، ولذلك رأيت ان اختار خمسة رجال عظام لا اكثر ، احسوا بذبذبة النكبة ، فانتفضوا لها ، وكان لهم في بقعة من قلب العالم العربي الاسلامي طريق واضح في البعث والاحياء ، دلت عليه كتبهم وأعمالهم دلالة واضحة . لن استوعب تاريخهم او آثار كتبهم واعمالهم ، وانما هي الاشارة والتنبيه لا غير ، الى هذا الاحساس الغامض بالنكبة ، وطريقهم الذي سلكوه لدفعها عن بلادهم وامتهم ، بلا تبين واضح للعدو او للهدف .

• هؤلاء الخمسة •

قبل كل شيء ، ينبغي أن نعلم أن حياة هذا العالم العربي الاسلامي ، كانت تسير على نمط مألوف معروف ، لا يكاد يستنكره احد : في العقيدة العامة التي تسود الناس ، وفي الدراسة في جميع معاهد العلم العريقة ، وفي التاليف والكتابة .. وفي حياة الناس التي تعيش بها عامتهم وخاصتهم من تجارة وصناعة . كل ذلك كان نمطا مألوفا متوارثا ، فجاء هؤلاء الخمسة ، ليحدثوا يومئذ ما لم يكن مألوفا ، وشقوا طريقا غير طريق الالف . وبيان ذلك يحتاج الى تفصيل ، ولكني سأشير اليه في خلال ذكرهم اشارة تعين على تصور موضع الخلاف .

١ ـ « البغدادي » ، ولد عبد القادر ابن عمر البغدادي ببغداد ١٠٣٠ـ١٠٩٣هـ ـ ١٦٢٠ ـ ١٦٨٣ م . . وفي الثامنة عشرة من عمره ، « سنة ١٠٤٨هـ » خرج في اتمام طلب العلم ، فرحل الى الشام ، ثم فارقها بعد سنتين « سنة ١٠٥٠ هـ » قاصدا مصر . فلقي بها العلماء وتلقى عنهم وصحبهم ، واتسع اطلاعه على ذخائر الكتب القديمة التي لم يكن يعنى بها علماء زمانه ، وفي سنة ١٠٨٠ هـ ، رحل الى دار الخلافة بالقسطنطينية ، لما فيها من ذخائر الكتب العربية التي حازتها ، ولقي بها عالما جليلا ، حاز مكتبة عربية من اجل المكاتب ، وهو الوزير الاعظم ابو العباس احمد بن ابي عبد الله محمد ،



المعروف بكوبرلي ، ولا تزال مكتبته باقية بها الى يومنا هذا ، فاقام مع صاحبه سبع سنوات الى ان عاد الى مصر سنة ١٠٩٢ ثم وافاه اجله في اوائل سنة ١٠٩٣ هـ .

كان طريق البغدادي واضحا . لم يكن في ايدي طلبة العلم سوى ما الفوه من كتب الفقه والنحو والبلاغة وحواشيها ، فاداه اطلاعه الى معرفة الضعف الغالب على اهل زمانه ، وهجرهم شعر الشعراء الفحول واخبارهم وتاريخهم . فعمد الى ما في كتب النحو التي يعرفونها من شواهد الشعر العربي القديم ، جاهلية واسلامية ، فالف ثلاثة كتب تدور كلها على شرح شواهد الشعر ، وضمنها روائع الشعر ، واخبار الشعراء ، ونوادر التاريخ . فكان ذلك مقدمة لبعث التراث الادبي واحيائه ، ووضعه بين ايدي الناس .. تتبين ذلك واضحا في كتبه الثلاثة : « خزانة الادب ، ولب لباب لسان العرب» .. وهو شرح شواهد الكافية للرضي في النحو ، عدة مجلدات ، وشرح شواهد الشافية للرضي ايضا ، وهو مجلد واحد ، وشرح ابيات مغني اللبيب لابن هشام ، في عدة مجلدات .



٢ ـ « المرتضى الزبيدي » ولد محمد ابن عبد الرزاق الحسيني ببلدة بلجرام بالهند « ١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ / ١٧٣٢ ـ ١٧٩٠ م » درس العربية وسائر العلوم على علماء الهند . ثم رحل الى الحجاز « سنة ١١٦٣ ـ ١١٦٦ » ، ثم فارقها الى مصر ولقي من بها من العلماء ، ونقض ما في مكتباتها من الكتب العتيقة ، وبقي بها الى ان توفي ـ من سنة ١١٦٧ ، الى سنة ١٢٠٥ هـ . ولم يكن طلبة العلم يعرفون من كتب اللغة الا قليلا . كالمصباح المنير .. ومختار الصحاح ، ثم القاموس المحيط للفيروزبادي على قلة ، وكان الزبيدي محيطا بعلوم كثيرة ، فكثر عليه طلبة العلم ، وادرك ضعف ما بايديهم من كتب اللغة ، فاراد ان يضع تحت ايديهم كتابا جامعا في اللغة فالف معجمه الكبير « تاج العروس » ، وهو شرح لقاموس الفيروزبادي جمع فيه ما تفرق في الكتب ، واشار فيه الى كثير من دواوين الشعر المحفوظة في المكاتب . والف لهم ايضا شرحا على كتاب متداول هو كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي ، فذاع صيته ، وطارت شهرته في الآفاق ، ووفدت عليه الوفود من بلاد الاسلام كلها ، وكاتبه العلماء والملوك من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب والجزائر والسودان . فكان تاليفه وكانت دروسه بعثا للتراث اللغوي والديني واحياء لما خفي منه على الناس .



٣ ـ « ابن عبد الوهاب » ، ولد محمد ابن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي «١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م» ببلدة العيينة بنجد ، ورحل الى الحجاز والشام والبصرة ، وفتح عينيه على مايعم نجدا والبلاد التي زارها من البدع التي حدثت ، وما غمر العامة والخاصة من



جزء صغير
من
الحقيقة
المفزعة

الاعمال والعقائد الحادثة ، والتي تخالف ما كان عليه سلف الامة من صفاء عقيدة التوحيد ، وهي ركن الاسلام الاكبر فلما عاد الى نجد ، لم يقنع بتاليف الكتب ، ورأى ان خير الطرق هو ان يتجه الىعامة النـاس فى نجد ، ليردهم عن البدع المستحدثة ، ويسلك بهم طريق السلف فى العمل والعقيدة ، ولم يزل دائبا فى دعـوته ، يدعو ويعـلم ويكتب ، حتى استجاب لدعوته امير بلدة الدرعية بنجد ، الامير محمد بن سعود فى سنة ١١٥٧ هـ. فمن يومئذ صارت دعوته قوة متحركة فالحة فى قلب جزيرة العرب ، واحدث ظهـور هذه القوة رجة شديدة الدوى فى جنبـات العالم العربى والاسلامى ، وتلقت الناس يمينا وشمالا ، فى الهند ومصر والعراق والشام وتركيا والمغرب والسودان .ولشدة وقع هذا الدوى وعنفه ، انقسم الناس فى امره بين مؤيد له لصواب ما اتى به، ومعارض له لمناقضته الالف الذى الفوه .. وكاد العالم الاسلامى كله يتحرك ويتدافع بعضه فى بعض بكل تراثه الضخم ، وبكل مواريث حضارته العظيمة .ولكن كان قدر الله اغلب ، وحصرت اليقظة الاسلامية كلهـا بلا معين ، بين اركان الجـزيرة العربية الفقيرة يومئذ ، وسدت المنافذ ، ومزقت الاوصال ، وصار الاندماج حلمـا من الاحلام ، يراود الامة العربيةالاسلامية الى يوم الناس هذا .

ذلك ، لان مغـــل « مغول » العصر الحديث وتتره كانوا اكثر يقظة ، واوضح هدفا ، واسرع حركة ، واغنى غنى ،واقدر على النهب والسلب والفتك والتدمير ، وفى ايديهم دستور حضارتهم الذى وضعه الخبيث مكيافيلى ينير لهم طريق العمل .

***

٤ ـ « الشوكانى » ، ولد محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ببلدة شوكان ، من بلاد خولان باليمن ، ونشأ بصنعاء ، مقر حكم المذهب الزيدى ، وهم ينتسبون الى « زيد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب ، رضى الله عنه » .. وهم يعدون من فرق الشيعة . تفقه الشوكانى على مذهب الامام زيد ، وبرع فى علمه حتى آل اليه القضاء والافتـاء ولكنه عندئذ خلع ربقة التقليد ، وانتصب للاجتهاد ، فزيف ما لا يقوم عليه دليل من الكتاب والسنة ، فثار عليه جمـاعة من المقلدين فى ديار الشـيعة ، فجـادلهم وصاولهم ، والتزم بعقيدة السـلف ، وحرم التقليد ، وذهب فى بيـانه مذهب الحافظ ابن عبد البر حيث قال : « التقليد غير الاتباع ، لان الاتباع هو ان تتبع قول القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه . والتقليد ان تقـول بقوله وانت لا تعرفه ولا تعرف وجه القول ولا معناه ، وتابى من سواه وان تبين لك خطؤه.فتتبعه مهابة خلافه ، وانت قد بان لك فساد قوله . فهذا يحرم القولبه فى دين الله.

فكان قيام الشوكانى فى محيط الشيعة الزيدية ، صبحا جديدا يوشك ان يهـز قواعد التعصب الذى درج عليـه اصحاب المذاهب من اهل السنة ، فضلا عن اتباع الفرق المختلفة وعلى راسها الفرقة الغالية من الشيعة المعروفة باسم « الاثنا عشرية » المكفرة للصحابة وللامة كلها ، باختيـارها

ابا بكر ثم عمر ، ثم عثمـــان رضى الله عنهـم ، دون على بن ابى طالب رضى الله عنه .

اوجزت القول فى هؤلاء الاربعة العظام، لان استجابتهم للتحدى المبهم كانت مقيدة فى كتب خلفوها ، او اعمال كان لهـــا دوى لا تزال آثاره باقية الى اليوم ، ولان بشائر البعث والاحياء فى كتبهم واعمالهم اظهر من أن تخفى على احد ، ولا يكاد يجادل فيها الا من وقـــع فى شرك الرفض لماضيه كله ، او من يغمض عينيه ويعمد الى الاستخفاف بها بلا تدبر ، بل بالتهور واللجاجة . واذا كنا بالامس منذ قرون قلائل ، صرعى غفلة ولى وسن غالب ،وعلى الابواب عدو مدرب ، كان اكثر يقظـــة ، واسرع حـــركة ، واغنى غنى ، واقدر على السلب والنهب والتدمير والفتـــك كما وصفت ، فنحن اليوم ايضا صرعى غفـــلة ابشع من غفلتنا الاولى ، لا نكاد نحس كما احس اسلافنا ، والعدو لا على الابواب ، بل هو متغلغل منتشر يمرح فى صميم هذا العالم العربى الاسلامى المترامى الاطراف ، وقد تفوق على اســـلافه تفوقا لا يكاد يصدق ، فى اليقظة المفترســـة ، وفى وضوح الهدف ، وفى سرعة الحركة ، وفى الغنى الباذخ ، وهو اقدر قدرة ضـــارية على النهب والسلب والتدمير والفتـــك ، ولا يزال بين يديه ، بل ملء قلبه وعقله دستور مكيافيلى ، وقد اتسع وتطور مونما واستفحل خبثه ، وتوحشـــت ضراوته ، وتشعب شره تشعبا لا يكاد يصدق .

لذلك وجدت ان الرجل الخامس الذى اخترت ان اذكره فى الخمســـة العظام ، يحتاج خبره الى تفصيل لم احتج لمثـــله وانا اكتب عن اصحابه الاربعه العظام ، فقد جاءوا جميعا يومئذ ليحدثوا شـــيئا لم يكن مالوفا ، ولكى يشـــقوا بانفسهم طريقا غير طريق الالف ، ولكنه انفرد عنهم بان طريقه فى عمله كان اخفى من طريقهم .. ولان تقييد عمله بالكتابة كان اشق ، ولان عمله كان تحت بصر العدو وســـمعه لم يغفل عنه طرفة عين ، فلما انقض علينا وظفر بنا ، صار بنا مسارا يزيد عمـــله علينا خفاء ، بل يفضى الى ما هو اعظم مـــن الخفاء ، اى الى الطمس الكامل لجميـــع السبل المؤدية الى استبانة ما كان من عمله، كيف كان ؟ وستاتى القصة كلها واضحة ان شاء الله ●

العدد القادم

الفقيه الجليل ورموز التكنولوجيا

بقلم الأستاذ
محمود محمد شاكر



د. السيد فهمى الشناوى

المفكرون الإسلاميون

بين تأييد الديمقراطية ومعارضتها

- الإسلام السياسى قضية يجب تحليلها ودراستها
- البرلمان منوط به إحدى مهمات العلماء وهى إصدار القوانين
- الإسلام يمنع تخزين السلع والمضاربة على الأراضى والمحاصيل

كان اعلان الجمهورية في مصر عام ١٩٥٣ اهم خطوة قربت الاسلاميين من السلطة !

على وجود التكتلات السابقة في الشرق الاوسط مثل الغرب في المنطقة على حساب الخلافة الاسلامية ، والغرب يعطي اولئك القوة لينا كثيرا ازاء مشروع بلفور الذي كانت تعارضه دولة الخلافة حتى لحظة احتضارها .

وبقيام الجمهورية اصبح من المعقول عند الاسلاميين وصولهم الى هذا المنصب ! واي تغير يحدث في مصر لا يؤثر في الشرق الادنى فقط ولكنه يؤثر في العالم كله ، هكذا قال نابليون حزينا على ضياع مصر منه واحسسنا منه بان ذلك تغير بضياع كل مكاسبه ، وهكذا قال لورد كرومر ، وهكذا قال تشرشل عندما حول السلاح كله الى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بينما كانت الجزيرة البريطانية ذاتها مهددة بالغزو .. وهكذا ايضا قال ايدن خلال عام ١٩٥٦ .

ان القوى الفكرية والاجتماعية والسياسية في مصر تخضع طبيعيا لنفس التقسيم في اي بلد آخر من العالم : « يمين ويسار ووسط » فاليمين يمثله الاسلاميون ، واليسار يمثله الاشتراكيون والشيوعيون ، والوسط تمثله الديموقراطية وانصارها . ولقد كان اليسار والوسط جديدين على العالم الاسلامي ظهرا فيه بعد ضعف الخلافة العثمانية وثورة اوربا الشرقية على الحكم العثماني ثم بسقوط الخلافة ذاتها .

ودخلت الديموقراطية باحزابها والدستور والصحافة الخاصة الى الشرق الاوسط . ولكن الغرب ارتكب غلطة العمر بالنسبة له في كونه لم يؤصل الديموقراطية واعتبرها اوربا اوسع من ان تلبسه شعوب المنطقة . وارتكب غلطة اكبر بجعله الشكل الديموقراطي مجرد مظهر لا جوهرا يتغلغل في المجتمع العربي . هذا مع ان المجتمع العربي فيه من التقاليد الديموقراطية مظهر اكثر اصالة من الاحزاب والصحافة الحرة . اقصد تخول الفرد العادي على الحاكم في مجلسه ومصارحته برأيه وهو آمن . فلو كانت اوربا الغربية كفت عن تدبير الدسائس والانقلابات في البلاد العربية واطلقت الطاقة الديموقراطية الكامنة في اعماق المواطن العربي لما انهارت الديموقراطية بهذا الشكل لدرجة ان يحلم مفكر مثل توفيق الحكيم بدكتاتور يكون : « الكل في واحد » .. وينادي غيره بالمستبد العادل وبعد ذلك تجد الديموقراطية نفسها ضعيفة امام اليسار واليمين معا .

والى جانب استهتار الغرب بان في الطبع العربي ديموقراطية بالوراثة منذ كان المواطن ينادي مليكه وامير المؤمنين باسمه او اسم امه واستهتار الغرب ايضا بان مثله الديموقراطية غير مؤمن بها احد في تركيا وايران والجزيرة العربية .. الى جانب هذا كله كان يجب على الغرب ان يدرك ان انتصار الليبرالية البريطانية مرتجل


عباس العقاد

المفكرون الاسلاميون

الاحزاب متأثرون الى اقصى درجة بالأسلوب السياسي للاسلام وليس باسلوب الغرب فهاهو هيكل باشا مثلا يضع أحسن ماكتب عن نبي الاسلام وهاهو العقاد بعبقرياته الاسلامية يشمخ فوق شموخه . اى ان انصار الديموقراطية الغربية انفسهم كانوا اساسا اسلاميين لا غربيين .

• خلاصة الفكر الاسلامي السياسي •

ابرز الدكتور انور عبد الملك وهو استاذ الفكر السياسي فى السوربون ومصرى الاصل . والدكتور مجيد خدورى وهو استاذ السياسة فى جامعة جون هوبكنز الامريكية والذى تخرج على يديه كل جيل الامريكيين الدبلوماسيين الذين يعملون فى الشرق الاوسط ـ وهو عراقى الاصل ـ ان الأسلام السياسي هو قضية اليوم والغد التى يجب دراستها وتحليلها والتعامل معها . وهناك اجماع فى كل مراكز البحث السياسي فى اوربا وامريكا على هذا . يقول خدورى ان اساسيات الفكر السياسي الاسلامي هى :

١ ـ السيادة لله . ولكن ممارسة السيادة موكولة الى الامة . ومن ثم فيجب ان تكون الحكومة الاسلامية حكومة تمثل الامة بصدق كامل . وان يكون اساس العلاقة بين الحكومة والامة هو ان الحكومة ليست سيدا للشعب ، ولكنها خادم له ..

٢ ـ الكلمة هى لله وللشرع وللتشريع الانسانى الذى يطبق الشرع .

٣ ـ ان جميع المؤمنين فى جميع الاقطار اخوة . ولكل مؤمن حقه فى المشاركة فى الحكم . وكل مؤمن مسئول عن الشئون العامة للدولة مسئوليته عن شئونه الخاصة . وان جميع مواطنى الدولة متساوون فى حق المعاملة بالاحترام الكامل .

٤ ـ الحكومة تمثيل للشعب . والشورى هى استشارة العلماء الممثلين للشعب فى امور الدين والدنيا . والبرلمان منوط به احدى مهمات العلماء وهى اصدار قوانين بالاستناد الى كتاب الله . وتعدد الاحزاب مثل تعدد الائمة مسموح به ولكن بشرط عدم تقسيم المؤمنين الى فئات متناحرة وبشرط الاتفاق فى الشئون العامة . والخلافة ـ فى نظر خدورى وغيره ـ موضوع غامض لم توضح وجوبيته ولا شكله .

٥ ـ مصر معروفة منذ القدم بازدهارها الاقتصادى وتنعم بخيرات هائلة وموارد غنية ولكن مواردها استغلها الاجانب المتمصرون فى فترة ما . واستغلها من بعدهم فاسدون استغلالا ادى الى ظهور هوة بين الاغنياء والفقراء وقضى على الطبقة المتوسطة وهى اساس الاستقرار والتقدم . ولم ينفع فى خلق هذه الطبقة تطبيق نظم اشتراكية لان هذه المذاهب نشات فى بيئات اجنبية لها اسلوبها فى التفكير والتعامل والتنفيذ لا ينمو بسهولة فى مصر .

ايزنهاور



● عندما اغتيل النقراشى أمر الملك فاروق باغتيال حسن البنا

ويقر الاسلام مبدأ الملكية الخاصة وحق الفـرد فى التمتـع والنقل والتصرف بها بشرط عدم تعارض ذلك مع مصلحةالمجموع ويحذر من جمع الثروة من اجل البذخ أو الفجور ولكنه يسمح بها من اجل رفاهية الامة كمجموع ، اى يسمح بغنى الفـرد كعنصر فى زيادة الانتاج وزيادة الدخل القـومى : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيهـا واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

ويحث الاسلام المؤمنين على استغلال كل موارد الطبيعة من ماء وبترول وطاقة ومعادن « الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات والارض » .

والاسلام يحرم امتلاك اى شىء بالربا أو بالقمار أو السرقة او المتاجرة بالبضائع المحرمة ومنها العقـاقير الضارة والمخـدرات والمسكرات . وهو يمنع أى أفعال ضارة بالاقتصاد القومى كالتخزين وكالمضاربة فى البورصة او على الاراضى أو على المحاصيل وبالعكس يشجع « يجب وضع حوافز وجوائز » على الكرم وتداول الثروة ويمنع استعمال الذهب والفضة فى البـذخ او الترف او الفجور ولكن تستعملان فقط كاحتياطى للنقد وبذلك فهو يسمح باصدار النقد والحوالات .

والاسلام يقر كل قوانين الضمان الاجتماعى لمن يعجز بسبب السن أو المرض ويعوضه عنهما .

وينص الاسلام على الزكاة وعلى الصدقات كاسلوب اقتصادى ضرائبى وكاسلوب اجتماعى . ويحظر الاسلام على ذوى السلطة استعمال نفوذهم وهم داخل الحكم ويحظر الرشوة ويحظر قبول الهدايا وعليهم أن يعلموا أن الله وحده هو الحاكم .

والربا محرم فى الاسلام كما هو محرم فى روسيا . « وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية الى هذه المنقبة الاسلامية » ويحث الاسلام على التصنيع « وتمصير » المؤسسات ورءوس الأموال الأجنبية وتأميم المرافق العامة وكل تدخل من الدولة بغـرض وضع حد للاستغلال الواقع على المسلمين كمجموع .

ويحث على المشروعات الكبيرة كالسدود وتوليد الطاقة والبحث عن البترول والمعادن واستخراجها ومشاريع استصلاح الصحارى والجبال ومضاعفة الانتاج الزراعى باستمرار .

والاسلام يشجع على المبادرة الفردية ويكافىء عليها . ويحمل كل فرد مسئوليته عن الدولة كأنه رئيسها .

● من هم الانتلجنسيا الاسلامية ●

كان التأثر بالقرآن والسنة وكانت قدوة النبى ثم الصـحابة خير مدرسة تخلق انتلجنسيا اسلامية . وكانت هذه الانتلجنسيا فعالة الاثر يوم كان مصدر المعلومات مقصورا على هـذه المصادر فقط « قرآن وسنة » . مصادر قليلة ولكنها نبع صاف ومؤكد المفعول . ثم اختلطت هذه المنابع الصافية بطوفان من الفـكر

المفكرون الاسلاميون

اليوناني والفارسي والرومي والمغولي فتكدر الورد . ثم جاءنابليون ومعه مطبعته وتبعتها الاف المطابع تخرج بحارا من الغث الى قليل من الثمين وتسمم الفكر وتضعف الذاكرة وتخدر الاحساس وتحرك الشهوة وتساند الشيطان . ثم تضاعفت وسائل الاعلام بصحافة موجهة واخرى عملية وبعضها متآمر ثم السينما والتليفزيون .

ثم تربع فوق ذلك كله مستعمر له جند ويحكم بقانون يبيح محرمات كالربا وكالزنا وان كان قد قدم بعضه الحلول العملية الجديدة كالدستور .

ولكن بدا بعد ذلك يعتمل فى قلوب الشباب شك وثورة وتكونت انتلجنسيا اسلامية مثلها الافغانى ثم محمد عبده ثم رشيد رضا ثم الشبان المسلمون ثم الاخوان المسلمون . الى جانب انتلجنسيا اخرى اوسع مدى واهدا خطوا مثلتها القوى الديمقراطية الاخرى فى مواقف معينة كما سنبين :

١ ـ فالافغانى : اول من قبل فكرة الدستور ـ وهى فكرة اوربية . وأول من بدا ثورة الشباب ضد السياسيين لدرجة انه حرض محمد عبده على قتل الخديو على كوبرى قصر النيل « مذكرات محمد عبده » . ووجه رسالاته كلها الى القادة والحكام مؤملا تغيير خطهم من الاوربة والتغريب الى الاسلام ولكنه فشل .

٢ ـ اما محمد عبده : فقد بدا ثائرا كالافغانى واشترك فى الثورة العرابية ولما وجد معلمه يفشل ووجد الثورة العرابية تفشل اعتنق اسلوب المعلم ودعا الى التطور الهادىء من خلال عمله كقاض وكمفتى وكعضو تشريعى وقبل كثيرا من المهارات الغربية ممتنعا عن اعتبارها بدعا بل انها افكار تقدمية واعطى بعض الفتاوى بهذا الهدف . وآمن بالداروينية وان ادم ليس أول المخلوقات وانصرف عن السلفية ودعا الى اعمال العقل . وانصرف من العمل بين الحكام لتغييرهم الى العمل بين المحكومين لتعليمهم . وقد ساعده على ذلك ليبرالية الجنس الانجلوسكسونى فاحتضنه كرومر ودعى الى البرلمان البريطانى فى وستمنستر واخذت له صورة تذكارية . واعتبر حلقة وصل بين الغرب والاسلام وسمى عقلانيا

٣ ـ الشبان ثم الأخوان ثم الجماعات الاسلامية : بين الحربين العالميتين نشط القوميون ونشط الوطنيون فى محاربة الاستعمار . وكلا القوميين و الوطنيين قبلا العلمانية والافكار الغربية رغم انهم سياسيا كانوا يحاربون الغرب . بل اعتبر كمال اتاتورك بطلا قوميا أسطوريا وهو الذى الغى الحروف العربية والخلافة والغى الاسلام السياسى . وهذه التيارات القومية والوطنية ازاحت الفكرة الاسلامية من رءوس الجماهير مستبدلة بها مفاهيم غربية تماما كالدستور والبرلمان والاحزاب .

ثم ثبت ان القومية والوطنية اضعف من ان تقاوم الغزو الغربى سواء كان غزوا عسكريا او غزوا فكريا وفلسفيا وتجاريا . فوصلت

ذروة الهزيمة بالاستعمار الاسرائيلي الذي تكرر .

وكان هناك صراع بين العلم والدين بصرف النظر عن الهزائم العسكرية والسياسية .

قصرت جمعية الشبان المسلمين تأثيرها على نطاق المتعلمين. لم تغلغلت الاخوان بين كل من المتعلمين وباقى الجماهير وكان لشخصية مؤسسها المؤثرة ولنشوئها بعيداً عن القاهرة بين طبقة عمال الاسماعيلية المحرومين من بذخ موظفى القناة وبعيداً عن رقابة البوليس السياسى « فى منطقة كانت خارج الحدود تقريباً » اثر فى أن تقيم أكثر من خمسين شعبة فى خفية من الاحزاب والحكام لدرجة أن رئيسها لم يكن يعرفه وزير التعليم الذى يرأسه فى وظيفته كمعلم حكومى .



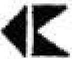
كمال اتاتورك

تغلغلت الاخوان فى هدوء وسرية فى المجتمع من الناحية الاجتماعية والاعلامية . ولكنها عندما مارست السياسة حاولت ممارستها بغير هذا الهدوء وهذه السرية . ففى صخب اعلامى دخلت حرب فلسطين ورغم فدائية كل فرد فيها هناك الا أنها لم تتكافأ قتاليا مع العصابات الصهيونية ولم تهزمها . ومكنت الحكومة من معرفة كوادرها الحقيقية وحقيقة اسلحتها واماكن تخزين سلاحها الخ . واعتبر الملك فاروق أن الخطر الحقيقى عليه هو من الاخوان وليس من ضباط الجيش فقط ، والتى أتباعه أكثر اليهم من اتباعه الى الضباط الاحرار . ولما اغتيل النقراشى اعتبر الملك انه هو المقصود بالاغتيال . فسارع فاروق باغتيال البنا . وادرك الهضيبى ان الصخب السياسى الذى ابداه الاخوان هو الذى أدى بهم الى الحرج فحاول فى أول امره أن يبتعد عن السياسة ويقصر نشاط الاخوان على الاجتماع والاعلام ولكن ادى هذا الموقف الى انشقاق الجهاز السرى ثم ان الهضيبى نفسه انغمس مرة أخرى فى الصخب السياسى مع رجال الثورة ..

ثم تعاظم الصخب السياسى مع الجماعات الاسلامية .

هل حقا مايقوله أساتذة الفكر السياسى مثل خدورى وغيره من ان سقوط حركة الاخوان يعود الى التدخل المبكر فى السياسة ويعود الى انقسام الاخوان ؟ أليس هذا التدخل أمراً حتمياً مع ظهور حقيقة فسيولوجية سجلها أنور عبد الملك وهو ميلاد « الاسلام السياسى » فى كل العالم الاسلامى حاليا .

أما الديمقراطيون : فكان لهم بلا شك اثر فى الانتلجنسيا الاسلامية دون أن يعتبروا انفسهم منظمة سياسية اسلامية . فكتاب حياة محمد لهيكل هو أحسن ماكتب فى التاريخ عن هذا النبى وقد اثر فى الفكر وفى السياسة قطعا وسوف يمتد تاثيره . وعبقريات العقاد الاسلامية واسلاميات طه حسين وأحمد أمين وغيرهم كونت من الفكر والانتلجنسيا الاسلامية الراقية وكونت من الارستقراطية الفكرية الاسلامية مالم تحققه جهود الافغانى أو محمد عبده أو الجمعيات الاسلامية .



المفكرون الاسلاميون

بل ان السياسيين الحزبيين انفسهم رغم انهم اصلا قوميون او وطنيون الا انهم في اعماقهم اسلاميون فعندما يمانع النحاس في ان ينصب شيخ الازهر ملك مصر قائلا ان هذه بدعة بابوية لا يعرفها الاسلام ثم عندما يمانع في عمل دعاء خاص للملك يتلوه شيخ الازهر قائلا ان هذا هبوط بمكانة شيخ الازهر وجعله ذيلا للملك .. انما يتخذ موقفا يحدد هوية وموقع الانتلجنسيا الاسلامية من ملك اوتوقراطي .

انتقلت الحركة الاسلامية الى العمل « تحت الارض » بعد حلها وتحريمها بعد حادث المنشية الى وقتنا هذا ولو لم يحدث حادث المنشية لما تغير هذا ايضا لانه بعد توقيع معاهدة الجلاء كان متوقعا ان ينشب الخلاف على الحكم الداخلي « كما نشب بعد معاهدة ٣٦ داخل حزب الوفد نفسه » .

وواكب هذا الاختفاء تحت الارض مساندة علنية وظهور على سطح الارض للقوى اليسارية والشيوعية

ولكن اهم سبب في تبدل المراكز هذا بين اليمين واليسار بالنسبة للدولة هو ان الاسلاميين فشلوا في الالتقاء مع القوى الديموقراطية او الليبرالية التي كانت تمثلها الاحزاب خصوصا الوفد . اعتبر الاسلاميون ان الاسلوب الديموقراطي اضعف من ان يصلح للحكم وفشلت محاولة الالتقاء التي تبناها من الاخوان « السكرى » ومن الوفد « فؤاد سراج الدين » .

اعتبرت الديموقراطية « من الاخوان ومن ناصر ايضا » اضعف من ان تحقق التقدم والتطور سواء على الصعيد الاجتماعي او الصعيد الدولي . وقد كبد ذلك كلا الطرفين ثمنا باهظا فيمابعد. ولكن المهم ان الاسلاميين انفسهم لم يوضحوا - بعد رفضهم للديموقراطية - ماهو الاسلوب الاسلامي الذي يقترحونه . وفي ظل هذا الغموض برزت دعوات محصورة ومحاصرة تدعو الى التكفير او الهجرة او الجهاد .

ان الاسلوب الاسلامي للحكم معروف وهو الخلافة : والخلافة هي ايديولوجية الاسلام الوحيدة . وهي التي تحقق التوحيد ولا تتعارض مع التحديث والاوربة ولا الديموقراطية ولا اليسارية لانها ترتفع فوق ذلك كله ، كارتفاع الام فوق اطفالها المتغاربي الطباع . والخلافة هي الاسلوب الوحيد المؤهل للنظر بفعالية في مشاكل السياسة كقضية فلسطين ومشاكل الاقتصاد بين العالم الغني والعالم الفقير ومشاكل تنمية موارد البترول والانهار لدى من لديهم بترول ومن لديهم انهار مائية .

لقد كان غموض موقف الاسلاميين من قضية الخلافة او عدم اهتمامهم بها هو السبب الرئيسي لما حدث منذ فترة مابين الحربين الى يومنا هذا . وسوف تكون مشكلة الخلافة هي الفيصل في مصير الانتلجنسيا الاسلامية في مصر .. في المستقبل ●

فؤاد سراج الدين





صفحة ساخرة لبرنارد شو

من كتاب :

دليل الكل فى سياسة الكل

عندما التقيت لأول مرة بالكاتب الفرنسى المشهور اناتول فرانس ، سألنى : من انت ؟؟ .. قلت انا عبقرى مثلك ! .. ادهشته اجابتى التى لا يجيزها « الاتيكيت » فى فرنسا فقال لى : حسنا .. من حق العاهرة ان تسمى نفسها : " فتاة متجولة " !! ..

لم اعتبر قوله اهانة لى ، ولم اقتنع بان العاهرة هى المثل الصحيح فى هذا المقام ، فمن يبيع الجوهرات او الكماليات افضل ، وربما كان اناتول فرانس محقا لان العاهرة تزعم انها من ضروريات الحياة لا من كمالياتها ، فوجودها يحمى عفة النساء وطهارة العذارى معنى ! .. ولقد تجرؤ هذه المرأة فتقول ان الاشباع الجنسى من الضروريات ، بينما كتابتى من الكماليات ! ..

لكنى لست تاجرا متجولا ابيع الفن والمتعة . كل ما هنالك اننى اتخذ المتعة فى فنى وسيلة لحمل الناس على مشاهدة مسرحياتى وما فيها من المثل العليا ، اما الكاتب الضحل فيستغل المتعة الدنيئة والبذاءة والاكاذيب ابتزازا لاموال زبائنه. ومع ذلك لابد لأروع المسرحيات واشدها تمجيدا للمثل العليا من « منبهات » تسترعى انتباه مشاهديها ! ..

فى الماضى اغلق " الديكتاتور الانجليزى " كرومويل جميع الملاهى بوصفها من ابواب جهنم ، ولكنه كان كسائر " البيوريتان " المتدينين ، مولعا بالموسيقى والاناشيد الدينية ، « المتفاعل مع الفن الذى كان نكتشا فى عصره ، وهو فن الاوبرا ، وفاته ان المغنى الذى يجهر بصوته « التينور » سوف يوصف مستقبلا بانه مرض عضال ! .. وامر كرومويل بتهشيم التماثيل وتكسير ارغن الكنيسة ، ثم عدل عن رأيه فبنى قاعات الموسيقى لاوركسترا فاجنر ! ..

وسحر فن الرسم على جدران " ايا صوفيا " العثمانيين عند فتحهم القسطنطينية ، فتهيبوا طمسه ! .. واستعان نابليون بممثل ليعلمه كيف يقوم بدور الامبراطور عندما اصبح امبراطورا حقيقيا ! ..

فالقضاء على الفن غير ممكن ، ولكن رجل الفن يكون احيانا فى جهله وغباوته كبعض العلماء فى معاملهم ! .. ان الرسم والقصة والسيمفونية قد تكون « مدبرة سلفا » ومستمدة من جهل واضعيها واخطائه وتجربه لفكرة معينة فيفسد ذوق الجمهور ! .. وكان الروائى الفرنسى موليير حكيما ، فقد كان لا يأخذ برأى المجمع العلمى الفرنسى فى مسرحياته الهزلية ، وانما يستطلع رأى طباخه الخاص ، فلم يكن الطباخ جاهلا ، ولا كان المجمع العلمى معصوما من الخطأ ..



مطلوب لمصر

حركة ثقافية جديدة

نعمان عاشور

كل التغييرات الكبرى فى حياة الشعوب والتى نسميها عادة الثورات تنطلق من انبعاثات ثقافية وفكرية تسبق وقوعها وتصاحبها فى اغلب الاحيان . مثال ذلك الثورة الفرنسية وما سبقها من حركة بعث ثقافى عارم مهدت له او على الاصح عبرت وكشفت عنه.. كتابات فولتير ومنتسكيو وموليير ثم جان جاك روسو وغيرهم .. وكانت النتيجة ان استمدت الثورة مبادئها واقامت دعائمها على اساس ما بشروا به ودعوا اليه من حرية واخاء ومساواة . لا كشعارات وانما كوقود يذكى نار الثورة ويؤججها ويديم اشتعالها ..

كذلك فمن الثابت ان ثورة عرابى المصرية مثلا .. قامت فى اثر حركة ثقافية واسعة مهد لها رفاعة الطهطاوى وتلاميذه واشعل وقودها جموع المثقفين من رجالات الحزب الوطنى فى حلوان . منبت حركة عرابى واصحابه .. واسرج نارها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده واديب اسحاق .. وشارك فى وقائعها عبدالله النديم ومن التف حولهم جميعا من المفكرين الاحرار .. ونفس الشىء ينطبق على ثورة ١٩١٩ المصرية . فقد كانت الطفرة اللاحقة على حركة المثقفين الوطنيين التى قادها مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ثم جاء فأذكاها النهوض الثقافى والفكرى الذى صاحب انشاء الجامعة الاهلية فى العشر سنوات الاولى من القرن العشرين وما انفرط عن هذه الانبعاثة من رواد فى كافة مجالات الادب والفن والفكر : لطفى السيد وطه حسين والمنفلوطى وشوقى وحافظ ابراهيم والعقاد وسيد درويش وغيرهم..

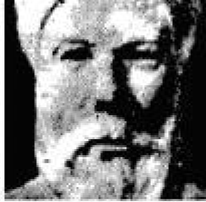
ونحن اذا طبقنا ذلك على ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ لما اختل القياس . فهى ايضا ثورة سبقتها اندفاعة ثقافية كبرى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ومع وقوع الاحتلال الصهيونى على فلسطين . وكانت اندفاعة ظل اثرها فى امتداده الثقافى متواصلا يواكب احداثها حتى وقوع النكسة فى يونيو ١٩٦٧ .. وما بعدها بسنوات .

فاذا اردنا ان ننقب عن الجذور الثقافية لثورة ٢٣ يوليو لما استعصى علينا ان نقع على غرسها فى الحركة الثقافية التى صاحبت


عرابي


جمال الدين الافغاني


الشيخ محمد عبده


عبد الله النديم


أحمد أمين


ابراهيم المازني

اليقظة الوطنية ودعمت النضال السياسي الذى تلاها والوعي الاجتماعي الذى صاحب هذا النضال من اجل الحرية والاستقلال . فقد اعقب نهاية الحرب عام ١٩٤٥ وانتصار الجبهة الديموقراطية العالمية وحلفائها استئناف الحركة الوطنية المصرية لتحقيق اهدافها وفى مقدمتها جلاء الجيوش الانجليزية عن ارض مصر وانهاء النفوذ السياسي للاستعمار وما يرتبط به من قوى سياسية داخلية . كانت تتمثل فى تحكم الملك فى الحياة السياسية وسيطرة الاقطاع على الحياة الاقتصادية للبلاد مما ادى الى تردى العلاقات الاجتماعية . هذا فى الوقت الذى بدأت تنشط فيه الحياة الثقافية بعد أن زالت ظروف الحرب وخفت حدة ما كان يصاحبها من قيود نتيجة لفرض الاحكام العرفية على البلاد والرقابة القائمة على الصحف والمجلات ووسائل النشر كافة .. والاظلام الذى خيم على الحياة الفنية فى كل جوانبها وبالذات فى مجال المسرح .. فما كادت تنتهى الحرب حتى تفتحت جميع النوافذ المغلقة فعادت الحياة الثقافية لتصل ما انقطع من خيوط كانت تربطها بعهدها الزاهر السابق . وتميزت الفترة التى تلت الحرب بامتدادات ثقافية عديدة كان ابرزها وجود الجماعات والروابط والندوات والاندية الثقافية على صورة غير مسبوقة خاصة فى القاهرة مركز الاشعاع الثقافى .

وهذه الاشكال الجديدة من اشكال النشاط الثقافى هى التى ميزت المكونات الثقافية لهذه الفترة التى اعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية حتى بلغ عددها ما يزيد على ثلاثين جمعية ورابطة وندوة . وعادت الصحافة الى سابق اهتمامها بالنشاط الادبى فظهرت على صورة ناضجة مجلتا الرسالة والثقافة .. كما اخذت الجامعات والمعاهد الفنية المتخصصة تقذف من داخلها الى مضمار النشاط الثقافى العديد من المثقفين والادباء والشعراء بحيث شكل هذا النشاط القوام الاساسي والفكرى للتحرك السياسي والاجتماعى الذى صاحبه والدعوات التحريرية التى جاءت تحققها ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .


حسن الزيات

● التنقيب عن الجذور الثقافية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثقافة الثلاثينات

ويحسن بنا ان نوضح ما كانت عليه الحياة الثقافية خـــلال الثلاثينات حتى نستطيع ان نتبين بالتحليل والمقارنة حقيقة الاوضاع الثقافية التى قامت فى منتصف الاربعينات . ففى خلال الثلاثينات تأكد القوام الثقافى لجيل الرواد بظهور انضج اعمال طه حسين واقوم كتابات محمد حسين هيكل واهم ما انتجه المازنى واركز ما جادت به مواهب العقاد واكثر ما كتبه سلامة موسى وابرز ما انفرد به توفيق الحكيم وهو المسرح والاثار البارزة لشوقى وحافظ ومطـــران وعزيز اباظة وغيرهم وغيرهم .. بينما كان احمد امين والزيات والعديد من كبار هذه الفترة فى أوج نشاطهم وانتاجهم الادبى والفكرى . وقـــد تراوح انتاجهم بين الاخذ من ثقافات الغرب كامتداد طبيعى لما نادى به لطفى السيد من الاخذ بالكثير من الثقافة الاوروبية وبلغت الدعوة الى هذا الاتجاه حد المناداة بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينيـــة كما جهر بذلك عبد العزيز فهمى باشا وهو احد زعماء ثورة ســـنة ١٩١٩ . وكانت هناك الدعوة الى التراث العربى وبالذات الاصـــول الاسلامية . وهو ما نطقت به مؤلفات هيكل « حياة محمد » وكتابات الحكيم « محمد ثم اهل الكهف » وعبقريات العقاد وطه حسين نفســـه فيما بعد « على هامش السيرة » وغيرها وكذلك كتابات احمد امـــين عن فجر الاسلام وضحى الاسلام ثم تلك الدعوة التى عبر عنها سلامة موسى وهى استلهام الحضارة الفرعونية مباشرة ..

كل هذه الدعوات والتيارات سادت حقبة الثلاثينات فى ترجـرج وتشابك . لكن تاثيرها جميعا كان عرضيا وموقوتا ولم تؤثر تاثيرا فعالا على ما اعقبها خصوصا بعد ان قامت الحرب مع مفتتح الاربعينات وهزت جوانب الحياة المصرية فى كافة منطلقاتها الثقافية . ذلك ان فترة الثلاثينات كانت بمثابة فترة مراجعة لحقيقة المقومات الثقافيـــة التى يجب ان تنهض عليها حياة المجتمع المصرى بعد ان اخذ نبض ثورة ١٩١٩ يخفت امام التحكم كانت تفرضـــه الســـيطرة الاستعمارية والتسلط السياسى والازمة الاقتصادية والاضطراب العالمى المحيط بمصر .. وهكذا قامت الحرب العالمية الثانية فى نهاية الفترة ومعالم الحياة الثقافية غامضة ومضطربة تبحث عن ماهيـــة الاصول والركائز التى يمكن ان تستند اليها .

فى اعقاب الحرب

وهذا ينقلنا الى الحرب العالمية الثانية وتاثيرها . فعـــلى قدر ما تعرضت الحياة الثقافية فى سنوات الحرب للركود والخفـــوت والاظلام على قدر ما انقشعت نهايتها عن بروز تيارات ومؤثرات جديدة نتيجة وجودنا الجغرافى والتاريخى والسياسى والعسكرى فى اهم ميادينها بل وانغمارنا الكلى فى اتونها .. فقد كانت مصر هى خط الدفاع الاول للحلفاء امام غزو النازية والفاشيـــة اللتين وصلت جيوشهما الى اعتاب الاسكندرية فى العلمين . ولا غرو اذن ان تتاثر مصر ومعها بقية بلدان المنطقة بالصراع الذى تميزت به الحرب وهو

د. محمد حسنين هيكل






سلامة موسى

بالدرجة الاول صراع ايديولوجي .. ليس فقط بين معسكرات متحاربة ولا بين مجرد نظم سياسية واطماع اقتصادية للقوى الصناعية العالمية الكبرى .. ولكنه صراع ايديولوجي بين اشكال حضارية مستجدة يحاول كل منها بمفهومه الثقافي والفكري اعادة تشكيل المستقبل الانساني باسره على أسس سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة .
لا عجب بعد هذا أن يكون من ابرز الاثار التي اوجدتها الحرب وتاثرت بها الثقافة المصرية ظهور الدعوات الليبرالية والاشتراكية بكافة مضامينها لا فقط كدعوات سياسية واقتصادية واجتماعية ولكن أيضا كمنطلق لثقافة مغايرة للثقافات المعتادة السائدة .

لهذا فما كادت تنتهي الحرب وتتجدد المناداة للتحرر من سيطرة الاستعمار حتى بدات التيارات والمفاهيم الاجتماعية التي يحملها عادة الفكرة الليبرالي والاجتماعي في كافة مذاهبه لتاخذ طريقها الى الفكر المصري ولم تعد الديمقراطية بمفهومها وثقافتها المعتادة في العالم الغربي .. خصوصا بعد العنت الذي اخذ يتبدى في مقاومة الاحتلال للحركة الوطنية المصرية .. لم تعد تمثل بقيمها ما يقنع او يزود الحياة الثقافية المصرية بما كانت تفتقر اليه من مقومات .. ولذا تراجعت جميع الدعوات والمنطلقات الفكرية السابقة والتي تارجحت بها ثقافة الثلاثينات من عودة التراث او ارتفاق بالثقافة الاوروبية او استلهام للحضارة الفرعونية تراجعت جميعها امام التيار الساحق للاصل الذي تقوم عليه الدعوة الاجتماعية وهو استلهام الواقع الموضوعي للحياة التي يعيشها الناس .

الواقعية

هكذا ظهرت الواقعية كتيار اساسي رئيسي غمر الثقافة في كافة جوانبها . واخذت تتطور في مصر الوان جديدة من الادب والفن وجدت لها ما يدعمها من اساليب التنظير والدراسة فيما حفلت به البلاد من تكوينات جديدة في الساحة الثقافية الواسعة . وهي تلك الجمعيات والروابط والندوات التي اشرنا الى تكاثرها وانتشارها كابرز ظواهر النشاط الفكري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . وقد تبدى اثر هذه التكوينات واضحا حتى على المسار السياسي نفسه الذي سرعان ما داخلته الدعوات الاجتماعية كالمناداة بالاصلاح الاجتماعي وتحديد الملكية الزراعية ومجانية التعليم وسرعة ادخال الصناعة الى غيرها من الدعوات التي جاءت ثورة ٢٣ يوليو لتضعها في قوانين وتشريعات .. وكان طبيعيا في تلك الفترة ان تظهر الكتابات الواقعية الجديدة في الرواية على يد نجيب محفوظ في كافة انتاجه وخاصة الثلاثية المشهورة . وتحول توفيق الحكيم من المطلقات الذهنية الى تقديم مسرح المجتمع . وكتب طه حسين الوعد الحق وبعض مجموعات القصص التي تحفل بالحياة البسيطة للعاديين من الناس « المعذبون في الارض » . وبرزت القصة القصيرة بواقعيتها المتطورة ممثلة في بواكير يوسف ادريس وغيره من شباب القصصيين في تلك الفترة . ثم تاثر الشعر نفسه بهذه


عبد الرحمن الشرقاوي

● عندما تحول توفيق الحكيم من المطلقات الذهنية إلى مسرح المجتمع

الموجة الواقعية العارمة التي ربطت النشاط الثقافي بالسياسة .. فاخذت تتوالى على الشعر اتجاهات متلاحقة فيما عرف ايامها بالشعر المهموس ثم الشعر الجديد الذي كان عبدالرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور اسبق المنادين به . وعلى الجانب الاخر وهو الجانب الفني كان الريحاني يطور مسرحه بنضج واضح نحو معالجة المشاكل الاجتماعية .

وهكذا بدات تظهر وتختفي المجلات الادبية والثقافية التي تحمل بواكير الدعوة الى ثقافة عصرية مؤسسة في كثير من جوانبها على المفهوم التقدمي والاخذ باسباب العلم وربط الثقافة بالسياسة والتركيز على الجانب الاقتصادي والاجتماعي كالمجلة الجديدة لسلامة موسى والكاتب المصري التي كان يشرف عليها طه حسين ثم مجلة الفجر الجديد والاديب المصري وغيرها من المجلات . هذا الى جانب مجلتي الثقافة والرسالة . وظهرت في تلازم مع هذا التطور مدارس عديدة من مدارس الرسم ولاول مرة برز الاهتمام بالفنون التشكيلية .. كانت فترة غنية بكل جديد في الرواية والقصة القصيرة والشعر غنية في اهتماماتها بمصير الثقافة ومستقبلها . غنية بالتركيز على الفكر العلمي والنهج الموضوعي الواقعي . وكان اهم ما يميزها الانصراف عن محاولة بحث الاصول في التراث القديم او الثقافة الاوروبية او حضارة الفراعنة .. والانكباب على الانغمار في واقع البيئة المحلية ذاتها بما كانت تعج به من قضايا ومشاكل وامراض ونواقص وعلل .. وكل ذلك من اثر ما حفزت اليه التيارات الواقعية الاجتماعية الجديدة التي افرزتها سنوات الحرب وما تلاها . وبذلك ارتبطت الحياة العامة للثقافة والفكر والانتاج الادبي والفني بكثير من المفاهيم والتصورات التي كشفت عنها مختلف الاتجاهات الجديدة التي كانت تحمل في صلبها العديد من المنطلقات الاشتراكية .. بل لقد تحولت الاحزاب السياسية ذاتها وحتى احزاب الاقلية التابعة للسراي الى محاولة تغليب الجانب الاجتماعي على برامجها ومجلاتها وصحفها .

وزارة الثقافة

في ظل هذا الاطار السياسي الذي تغلفه الدعوات الاجتماعية والليبرالية من كل جانب والذي يمور من داخله ، باوضاع اقتصادية واجتماعية متردية وتترسب على السطح من مكوناته الالوان الادبية والاتجاهات الفنية والنزعات الفكرية الجديدة القائمة على الواقعية والتكلف بالبيئة المحلية ومنجزاتها العصرية المتطورة .. قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وهي على هذه الحال لم تقم كهبة مباغتة او حركة مباركة او انقلاب عسكري وانها قامت في اعقاب حركة ثقافية مهدت لها .. تماما كما كانت تمهد الحركات والاوضاع الثقافية لقيام الثورات السابقة عليها مثلما اسلفنا .. ولهذا كان طبيعيا ومنطقيا رغم تكوينها وانبعاثها الثوري بطابعه الخاص وقيامها على اكتاف مجموعة من الضباط في الجيش بزعامة عبد الناصر . كان طبيعيا بعد الخلاص من الملك وتاسيس الجمهورية ثم انهاء الاحتلال




جمال عبد الناصر

ومحاولة القضاء على الاقطاع بقوانين الاصلاح الزراعى .. وكلهـا تتمكل مع ما تحقق فيما بعد من منجزات كبرى كتاميم قناة السويس وبناء السد العالى وخلق القطاع العام وتاميم الصناعة .. تشـكل صلب الدعوات التى انبتتها الثورة الثقافية الممهدة لها .. تقول كان طبيعيا ان تحتفى الثورة بتحقيق ثباتها وتدعيم مسارها وتطورها .. فيكون على راس منجزاتها انشاء وزارة للثقافة ولاول مرة فى تاريخ الوزارات .. ذلك ان مثل هذه الوزارة لم تكن مجرد جهاز تنفيذى كالمواصلات والاشغال .. وانما برزت كتعبير ضرورى وحتمى لابـرز الظواهر فى التمهيد للثورة وقيامها وتحقيقها .

والحق ان انشاء وزارة للثقافة بعد سنوات قليلة من قيام ثورة ١٩٥٢ . انها كان بمثابة خلق لثورة ثقافية تساندها وليس مجـرد انشاء لوزارة جديدة ومن حسن الحظ ان يتولاها رجل سياسى مثقف هى قامة فتحى رضوان . فمن اللحظة الاولى احتضنت الوزارة الجديدة النشاط الثقافى بجميع اشكاله .. فبدأت فى مجـال المسرح باعادة تركيز وتجميع الحركة المسرحية الخابية وانهاضها عن طريق المسرح القومى .. ذلك ان المسرح مع قيام الثورة كان قد بدأ يأخـذ دوره ويحقق بعض مقومات وجـوده كلون من الوان التعبير الادبى والفنى الذى لم يستكمل نماءه وتطوره كالرواية او القصة التى انبتتها فترة الاربعينات ثم انه كان التعبير الجديد الذى تحتاجه الثورة كتجسيد جماهيرى مباشر لما يمكن ان تسعى الى تحقيقه . وهـكذا وضعت اللبنات الاولى للحركة المسرحية المزدهرة التى صاحبت وجود الثورة وعرفت بمسرح الستينات . واندفع الكتاب بكافة الوانهم وجهودهم الادبية نحو المسرح . وتضاعفت عناية الثورة بالثقافة فانشـئت مصلحة الفنون لرعاية الادب والادباء والاشراف على النشـاط الفنى للاوبرا والموسيقى .. ثم تلى ذلك انشاء الدار القومية للنشر وتاميم صناعة السينما وكل تلك المؤسسات والهيئـات التى تكون فى مجموعها القطاع العام للثقافة الموجهة لخدمة جماهير الشعبوالارتفاع بالمستوى العام للادب والفن والفكر فى مختلف ميادينه بما فى ذلك انشاء المجلات الثقافية الجديدة .. المجلة والكاتب ومجـلة المسرح ومجلة القصة ومجلة الشعر والفكر المعاصر وغيرها وكلهـا كانت تمولها الدولة وتشرف على اصدارها .. وكل هذه التكوينات الجديدة .. ما كانت لتضم الا جموع المثقفين الذين تمخضت عنهم الحـركة الثقافية المزدهرة فى مرحلة الاربعينات من الكتاب والشعراء والنقاد والمفكرين والفنانين ..

ومن ثم حلت النكسة

كانت الثقافة اذن تشكل دعامة رئيسية من دعائم الثورة .. ولهذا توجهت كل قوى الثورة المضادة من البداية وخاصة بعد وقوع نكسة ٦٧ الى محاولة تخريب ثم الاجهاز على كل المؤسسات والمنجـزات الثقافية التى اوجدتها . وجاء احراق دار الاوبرا ليشكل الرمـز الحقيقى لما سبقها ولحقها من الوان التخريب فى كافة ميادين النشاط

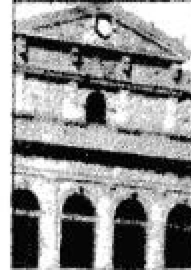
الثقافي . وبدا ذلك واضحا في ترجيح كفة القطاع التجاري في المسرح ومساندة مسارح التسلية والاضحاك على حساب القطاع العام لمسارح الدولة .. ثم الغاء مؤسسة السينما واعادة تسليم النشاط السينمائي لايدي المنتجين والموزعين من تجار الافلام بزعم اطلاق حرية التنافس الى جانب ما تعرضت له الهيئات الثقافية الاخرى والفنون التعبيرية جميعها من اهمال واغفال وصل بها الى حد الموات . كالاوبرا والباليه والاوركسترا السيمفوني في مجال الموسيقى وهيئة الكتاب في مجال النشر وكافة الهيئات والمؤسسات الثقافية الاخرى .. كالثقافة الجماهيرية وقصور الثقافة وغيرها مما سعت ثورة يوليو الى محاولة تحقيقه في احتضانها للنشاط الثقافي كعصب لبناء الحياة الاجتماعية ودعم مستقبل نماء الوطن والتطور بجماهيره .. وجرد التليفزيون من كل مقومات ثقافية لتطغى عليه التسلية المحضة ولحقت به الاذاعة في هذا المجال ..

وصفوة القول ان الصرح الثقافي للثورة كان من اكثر صروح البناء التي تعرضت للهدم ومحاولات التخريب والاهدار من جانب مختلف العناصر المضادة لها والتي هبت لمقاومة منجزاتها بعد وفاة عبد الناصر . واخذت القوى المعادية للثورة تمد معاول الهدم لكافة القطاعات . فمن تصفية للقطاع العام للسينما تحت ستار تضاعف خسائره بدلا من تطويره وانهاضه .. « ومن الطريف ان القضاء قد فصل من اسابيع في هذه القضية فاثبت ان الخسائر المزعومة لم تكن حقيقية » ـ الى تخريب بالجهود القائمة في قطاع النشر والاقلال من نشر المطبوعات الجادة والسعي لاغلاق المجلات الثقافية تحت نفس المزاعم وهي انها لا تدر ربحا .. مع استبدال مجلات اخرى بها ، اقل قيمة في مستواها واثرها ليتول الكتابة فيها جماعات الاشياع والاتباع من اعداء التقدم .. تحت ستار مقاومة الافكار المستوردة .. ونفس الشيء في مجال المسرح وفي كافة المجالات الاخرى .. وهكذا تلاحقت محاولات تصفية الحياة الثقافية وحصر النشاط الثقافي وافراغه من كل مقوماته الادبية والفنية والفكرية التي سعت الثورة الى ترسيخها من البداية .. واصبحت ظاهرة ضعف الثقافة وهبوط المستوى الثقافي العام من ابرز الظواهر التي نسعى اليوم الى تخطيها لمعاودة انهاض الحياة الثقافية الخابية ومعاودة النشاط الثقافي المتعثر .

الوضع الثقافي الماثل

ومع نهاية الستينات كانت القوى المعادية للثورة قد افلحت في تجريدها من درعها الواقي وهو درع الثقافة . وجاء ذلك نتيجة طبيعية لما اعقبها من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية تسترت خلف شعار تصحيح مسار الثورة .. سياسيا باتهام نظامها بانه كان نظاما شموليا يدفع بالبلاد الى احضان الشيوعية وسيادة الافكار المستوردة .. وهي دعوة قامت لاستبعاد كافة طوائف المثقفين المساندين للثورة واخلاء الساحة من وجودهم .. وبالمثل جرت اعادة النظر في كافة الركائز التي قامت عليها الثورة واهم منجزاتها بمحاولة التشكيك

مبنى الاوبرا المصرية



فى قيمة واهمية بل وجدوى بناء السد العالى .. ثم باعادة النظر فى قوانين الاصلاح الزراعى وما سمى بالغاء الحراسات وما زعم عـــن اطلاق الحريات وتحطيم الاغلال والسلاسل

ثم جرت محاولات الاتجاه نحو تصفية القطاع العام وفى المجـالات الثقافية خاصة الى حد الغاء وزارة الثقافة ذاتها بحجة تحــــرير المثقفين من الخضوع لسيطرة الدولة .. وتم اقرار سياسة الانفتاح الاستهلاكي والاقلاع عن الصناعة والتحول نحو الزراعة الامر الذى ادى فى سنوات معدودة الى ظهور طوائف وفئات طفيلية جديدة لا حاجة بها الى الثورة ومنجزاتها الاجتماعية بل ولا حاجة بها اطلاقا الى ادنى المقومات الثقافية . وقد ادى ذلك الى القضاء على ماتبقى من امتدادات ثقافية مما ترك الحياة الثقافية فى حالة ادقاع وافرغها من مضمونها الاجتماعي والفكري ودلالتها الحضارية لتتحول على يد المختارين من الاصفياء الى خدمة مصالح الجماعات الطفيلية الجديدة وتسـليتها وتغطية الساحة الثقافية بكافة العناصر الانتهازية التى يمكن كسبها لمعاداة الحرية والتقدم بالمراكز والوظائف والمنح والعطايا والهبات والجوائز بل والنياشين .. وهكذا دمرت ركائز الحركة الثقافية التى انبتت ثم واكبت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .. واصبح لا ســبيل الى احياء الثقافة وازدهار الحياة الثقافية الا بحـركة ثقافيــة جديدة تستمد اصولها من ثقافة الثورة الغائبة لمتابعة التطور بمستقبلنــا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفى ظل ظروف متغيرة تماما عما كانت عليه بالامس . والسؤال الان كيف يمكن ان يتحقق ذلك !! ●

● لذعات ! ●



● الابالذى يرزق ابنا وسيما ، يؤمن دائما باثر الوراثة فى النسل !

● قد تغلق المرأة احدى عينيها عن اخطاء زوجها ولكنها تراها بالعين الاخرى !

● النساء ثلاث : ذكية ، وجميلة ، وعادية !

● الزواج كتاب ، تنظمت فصوله الاولى شعرا ، اما بقيته فكلها من نوع النثر !

● الضمير صوت داخلي « يحذرك » من فعل اشـياء فرغت من فعلها !

● اليوم الذى تضحك فيه من نفسك هو اليوم الذى يكون عقلك فيه قد نضج !

● يزيد العلم صاحبه قوة ووقارا بمقدار مايقلل من كبريائه !



شكوى من المـــرور فى القاهرة قبل مائة عام

د. عزت قرنى

كثيرا ما نتساءل كل يوم : هل نتقدم أم نتأخر ؟ وكثيرا ما يثير البعض من أهل السياسة القديمة والجديدة الذين عاشوا مرحلة ما قبل الخمسينات وما بعدها تساؤلا فيه ما فيه من السخرية والانكار : ألم تكن الحياة فى مصر أجمل فى الماضى منها فى الحاضر وينطوى ضمير كل منا على خاطر أليم : كيف سيكون الحال بعد عشرين عاما بالقياس الى ما هو عليه الآن ؟ ونتذكر أيضا موقف بعض متأملى التاريخ وأحداثه من أن « التاريخ يعيد نفسه » . كل هذه الخواطر لاحت لكاتب هذه السطور وهو يدرس كتابا نشر منذ مائة عام (فى عام ١٢٩٨ هجرية) ويعده للنشر من جديد لاهميته فى تاريخ الفكر المصرى فى عصر الثورة العرابية ، واذا بصاحبه ، وهو الشيخ حسين المرصفى ، يفرد صفحة كاملة من صفحاته السبعين للشكوى من حال المرور فى القاهرة فى أيامه . واذا بكلامه فى كثير من أجزائه يكاد ينطبق حرفيا أو معنويا ، على حالنا اليوم فى قاهرة الملايين العشرة ، واذا ببعض ما يقترح علاجا اليوم سبقنا اليه هذا الشيخ الاريب من مائة عام .

أما الكتاب فهو « رسالة الكلم الثمان » ، التى ألفها حسين

المرصفى ، الاستاذ الشهير بمدرسة دار العلوم ، وكانت وقتها قمة المدارس الوطنية من حيث « العصرية » فى تناول علوم اللغة والادب ، وكان الشيخ من أعلام اساتذتها ، وهو نفسه مؤلف كتاب « الوسيلة الادبية » ، الذى يعد أول كتاب عربى حديث يطور فى أساليب النقد الادبى ، وبه يعد حسين المرصفى من رواد البعث الثقافى الجديد،وقد تتلمذ الدكتور طه حسين ، ليس على الشيخ نفسه الذى توفى سنة ١٨٨٩وهى سنة ميلاد طه حسين ، بل على كتابه هذا الذى كثيرا ما كان يردد اسمه فى محاضراته . أما الكلم الثمان التى تعرض للتعريف بها فى رسالته فهى تلك الكلمات التى كانت على السنة أهل العصر فى وقته ولا تزال الى اليوم فى وقتنا: الوطن ، الحرية ، الامة ، العدالة ، الظلم ، السياسة ، الحكومة ، والتربية .

والآن أنظر معى الى ما يقوله الشيخ عن قاهرة عام ١٨٨٠ :

« حق المدينة ان يتوجه نظر جميع اهلها الى صلاح شوارعها وطرقها حتى لا يتزاحموا فيها تزاحم البهائم العطاش عند ورود المياه »

الا ترى أن هذا ينطبق على ميادينا الكبرى ؟ وعلى محلات ما نسميه « وسط البلد » ؟ ودع عنك طوابير الجمعية او صفوف السجائر الوطنية ! والشيخ يدعو الناس الى أن « **يقدروا مقدار راحتهم عند ترددهم فى حوائجهم ، لا كما هو حاصل الآن ، حيث ترى الناس فى حال كريهة يزاحم بعضهم بعضا فى الطرق ، لا يرحم قوى ضعيفا ، ولا يعطف كبير على صغير** » .

ولا شك ان القارىء قد تراءت أمام ناظريه صورة السيارات العملاقة ذات الالوان الحمراء والصفراء وغيرها ، وهى تندفع من عليائها باقصى سرعتها ، وحولها عربات أخرى كأنها العاب أطفال ، أو صورة سائق الموتوسيكل اليابانى المدهش ، وهو يهاجم المارة على أرض الشارع وعلى أرض الارصفة على السواء ، أو صورة الاقوياء فى الاتوبيس العام لا يبالون بغيرهم، ولو كانت سيدة حبلى ، أو عجوزا من ذكر او انثى .

ويستطرد الشيخ الذكى رغم انه كان ضريرا : « ترى راكب **الدابة او العربة كأنما هو هارب**

● الكتاب الذى تتلمذ عليه طه حسين وأشاد به فى محاضراته

من نار لو تمهل التهمته ، ومركوبه لا يلتفت الى راجل كائنا ما كان »

وتتوقف معى عند هذه الصورة الرائعة : ان راكب العربة كأنه يهرب من نار تطارده فلا يعرف التمهل . وكثيرا ما يخيل الى من اندفاع راكبى العربات اليوم ، وخاصة من بين شباب أهل الطبقة الجديدة التى « فتح الله عليها » من « الاستيراد » وما شابهه ، فأرادوا أن ينعموا على أبنائهم من المراهقين وممن فى حكمهم ، بما لم يذوقوه فى شبابهم ، أقول كثيرا ما يخيل الى من اندفاعهم انهم ذاهبون الى مواعيد غاية فى الدقة، لا تحتمل دقيقة تأخيرا ، أو انهم بسبيلهم الى مصالح غاية فى الاهمية ، ولكنى أعود الى نفسى لأتساءل : وأية مواعيد دقيقة هذه فى بلدنا ؟ وأية مصالح لا تحتمل التأخير ؟ وانى لاشهد ان لو كان أمريكى على موعد مع أقوى رجل فى العالم ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، لما سار بسيارته بهذا الاندفاع والتهور والاستهتار بالآخرين الذى نشاهده عيانا بيانا ، فى كل يوم وفى كل شارع بغير استثناء .



على باشا مبارك

ولكن شعورنا بالتطابق بين ما يصفه حسين المرصفى وما تعانيه اليوم ينقطع فجأة عندما تقرأ الكلمة « الدابة » فى أسطره السابقة . ذلك ان قاهرة سنة ١٨٨٠ ليست قاهرة سنة ١٩٨٢ ! صحيح ان أحياء حلوان والمنيرة وعابدين والعباسية وشبرا كانت قد بدأت فى الظهور ، ولكنها كانت فى معظمها مناطق الخاصة وأهل الثراء ومعظمها من الاحياء « النائية » ، أما قاهرة ذلك الزمان فكانت ما نسميه الآن « القاهرة القديمة » ، أى تلك الممتدة على الخصوص من القلعة الى باب الفتوح وباب النصر ، بالاضافة الى



عدد من أحياء أخرى مثل بولاق ومصر القديمة .

خطط على مبارك

ونعلم مما كتبه على مبارك ، الذى كتب « الخطط التوفيقية » فى نفس العصر الذى نتحدث عنه، ان مساحة شوارع وحارات القاهرة الاصلية قبل عهد محمد على وخلفائه ، كانت مائتى فدان ، وان الزيادة الجديدة خلال حكم هؤلاء حتى عام ١٨٨٢ تبلغ نصف هذا المقدار ، اى مائة فدان ، أما طول شوارع القاهرة فكان حوالى ثمانين الف متر ، ومثلها لطول الحارات، ونصفها للعطوف ، واقل من ذلك للدروب . أما عدد سكان القاهرة طبقا لتعداد سنة ١٨٨٢ نفسها فانه لم يكن يزيد على ٣٧٥ الف نسمة ، بينما كان عددهم وقت الحملة الفرنسية ، اى قبل ذلك بثمانين عاما ، ٢٦٠ الف نسمة . وكانت « أثمان » القاهرة ، أى أقسامها ، فى ذلك العام ثمانية وحسب هى : ثمن الموسكى ، وثمن الازبكية ،وثمن باب الشعرية وثمن الجمالية ، وثمن الدرب الاحمر ، وثمن الخليفة ، وثمن عابدين ، وثمن السيدة زينب ، وثمن مصر العتيقة ، وثمن بولاق . فهذه القاهرة اذن ليست كقاهرة اليوم التى تمتد من حلوان الى مصر الجديدة . وما وراءها الى شبرا والزمالك ، ولا سكانها الملايين العشرة كتلك الآلاف التى لم تستكمل الاربعمائة عددا ، ولا وسائل المواصلات فيها كتلكالتى كانت تستخدم فى عصر حسين المرصفى وعلى مبارك .

ولن نخرج عن مقصدنا حين نورد هذا الاحصاء الذى تحويه « الخطط التوفيقية فى جزئها الاول تحت عنوان : « **مطلب الحيوانات والعربات المستعملة فى القاهرة للنقل والركوب** » . يقول الاحصاء : « **والحيوانات المستعملة فى القاهرة للنقل والركوب هى : الخيل والبغال والحمير والجمال . والموجود منها على حسب تعداد سنة ١٨٨٧ ميلادية بمدينة القاهرة ، والجارى اخذ عوائد عليه ، خلاف ما هو للاورباويين ، ٢٠٨٨ (الفان وثمانية وثمانيون) حمارا مملوكة لاربابها ، و ٢٣٥٣ (الفان وثلثمائة وثلاثة وخمسون) حمارا**



ركوبة وايكافا ، ومن الخيول مائة وعشرون حصانا ركــوبة ، ومائة وسبعة وتسعون حصانا للشــغل ومن الجمال خمسة وخمسون جملا ومن البقر والجاموس ســتمائة وثمانية وتسعون راسا • وبمدينة القاهرة أيضا من أنواع العــربات مائة وأربعة وسبعون عربة لجلب المياه ، و ١٦٧٥ (الف وستمائة وخمسة وســبعون) عــربة من عــربات الكرلو والصــندوق ، وأربعمائة عربة من عربات الركوب المملوكة لاصحابها وأربعمائة وستة وثمانون عربة من عربات الركوب المعــدة للاجرة ، وعشر عــربات بقارى » • فهذا النص هــو الذى يجعلنا نفهم حديث الشيخ المرصفى عن « راكب الدابة أو العربة » •

الفرق بين أمس واليــوم

ومع ذلك ، فهل اختفت الدواب من شــوارع القاهــرة ؟ الا ترى الجمال وقد سيقت فى منظر بهيج أمام مبانى جامعة القاهرة العتيدة وبين حديقتى الحيوان والاورمان ، ومن تحت ذقن تمثال نهضة مصر ، حتى تعبر كوبرى الجامعة والمنيل فى طريقها الى المذبح ؟ والا ترى جموع الماعز الوديعة وهى تجوب أنحاء مصر الجــديدة الفاخــرة وأحياء أخرى أقل فى الفخــار ؟

وأيا ما كان الفرق بين قاهــرة اليوم وقاهرة مائة عــام مضــت ، فان النتيجة واحدة اذا عــدنا الى وصف المرصــفى الاخاذ : « ترى راكب الدابة أو العربة كانما هو هارب من نار لو تمهل التهمتــه ، ومركوبه لا يلتفت الى راجل كائنا ما كان • فهذا تنكسر رجله بالعربة وذلك ينضغط بينها وبين الجدار، الى غير ذلك من مفاســد التزاحم المشهودة » • نعم يا سيدى ، نحن أيضا بعدك بمائة عــام نجــد من تنكسر رجله بالعربة ، ونجد من ينضغط بينها وبين الجدار سواء



شكوى من المرور فى القاهرة قبل مائة عام

كانت العربة ساكنة أم متحركة ، بل لا نجد فى كثير من الاحيان موضعا لقدم لا على الرصيف ولا تحت الرصيف ، الى غير ذلك من « مفاسد التزاحم المشهودة » .

أما عن العلاج ، فكان جدنا المرصفى متفائلا ، اذ نادى منذ عصره ، وقد أخذت المديريات من بعده بكلامه ، بأن ترقم العربات وأن ينبه على عسكر المحافظة برعاية المارة ، كأن شيخنا النابه كان يقرأ بعين بصيرته المستقبل ، حين نبه على الاخص الى « عربات الاجرة » ، ولن ننعى عليه بطبيعة الحال انه لم يتنبأ بسيارات البيجو المشهورة « بالنعش الطائر » ولا بموقف أحمد حلمى وفتواته واتاواته . ولنستمتع بكلام الشيخ اذ يضيف: « **وقد حدث الآن ان ضابطية مصر التفت الى ذلك نوع التفات ، ونبهت عساكر المحافظة الملزمين رعاية المارة الى أن يلتفتوا لذلك . وامرت برقم اعداد على عربات الاجرة ليعرفها العسكرى اذا مرت عليه ، فاذا حصل منها ضرر نبه عليها ليعلموا حافظها بما يستحق . وانما خصوا ذلك الالتفات بعربات الاجرة ، لانهم وجدوا أن أكثر ما حصل من المفاسد انما هو من جهتها** » .

ولم يقتصر الاستاذ البارع على وصف الحلول السريعة ، بل هو أعطى اشارة الى الحل الجذرى ، والذى ينادى به البعض اليوم من أجل حل أزمة المرور فى « وسط البلد » على الخصوص ، الا وهو تحديد نوعية المرور ، اما بمنع هذا النوع او ذاك من العربات ، أو بمنع مرور العربات بالكلية . يقول الشيخ مستطردا : « **ولكن لو اتسع النظر وكانت الاعمال عن احكام روية لوجدوا ان المدينة غير صالحة لكيفية هذا المرور الحاصل وانه لا يمكن التحرز الا عن اضرار الكسر والقتل . والا ، فرعب الضعفاء وروع العجائز واحتقار بعض الناس بعضا لا يزال مستمرا** » .

نعم يا سيدى ! حق ما تقول عن أيامك وعن أيامنا ! وهل سنجد عبارات أفضل من هذه العبارات الاخيرة لتصوير حالك وحالى ، سواء كنت قائدا لسيارة صغيرة أو راجلا ، فى قاهرة اليوم ؟ الا يسود قانون « القوة » ؟ الا نشهد « احتقار بعض الناس بعضا » ؟ انه ليخيل الى الآن من كلام المرصفى عن ذلك « الاحتقار » ، ان بعض العربات فى عصره كانت تحمل هى الاخرى لافتات لطيفة عليها بالحروف الافرنجية ما نطقه

بالعربية « طز » ، وكان أصحابها يخرجون ألسنتهم للناس جميعا ويودون لو استطاعوا أن يبصقوا عليهم ، او أن يفعلوا شيئا آخر مما قد يعاقب عليه قانون خدش الحياء .

ألا رحم الله الشيخ المرصفي ، فقد فكر في كل شيء أو يكاد . أو لم ينصح ، ومن مائة عام ، خلت ، بأن تنشيء المحافظة فى الشوارع **« بيوت ادب يقضي فيها المار حاجته حين عروضها له في الطريق»** ولا يمكن أن نفترض ان المباني المحيطة بميدان التحرير قد اشتكت للشيخ قبل الاوان، لا هي ولا الانفاق الارضية بالميدان ، وغيرها من المباني والاماكن الكثيرة، فلم تكن بعيد موجودة في عصره ، بل كانت أبعد من الخيال عن كل تصور ممكن : ولابد أن نحس ببصيرة الشيخ الجليل وهو يقول ما يقول عن الديمقراطية والمساواة كما ينبغي أن تطبقا في قواعد المرور ، وما زلنا نتمنى لو تحقق اليوم مطلبه حين يقول : **« بحيث تكون عربة الامير** (يقصد الموظف الكبير ، أو « الحكومة ») **خلف عربة المأمور** (أى المواطن العادى، أو «المحكوم») **لا يسمح له القانون وذمة الاشتراك المدني** (يقصد ضمير المواطنة القاضى بالاحترام المتبادل) **ان يضطره للانحراف والتعطل عن مروره لتسبق عربته »**. بمثل هذا وغيره كان الشيخ المتفائل يأمل أن تكون النتيجة : « **فحينئذ يأمن الضعيف المار بجانب الجدار من غوائل المزاحمة .ومن الله الهداية»** وانا لنبلغه من خلال مائة عام عدت أن الضعيف اليوم ليس هو المار وحسب ، بل هو سائق كل عربة يضع نصب عينيه ما تقوله بعض لافتات المرور الوطنية الطيبة : « القيادة فن وذوق وأخلاق » ، لان « الاقوياء » ، من أصحاب النقل ، كبيره وصغيره والله يعلم ، والاتوبيس العام وسيارات القطاع العام وماقي حكمها ، وأصحاب البيجو والفولفو والخنزيرة ، هؤلاء الاقوياء لا يرحمون الا من هو أقوى منهم ، فكأننا بالفعل في غابة ان لم تكشر عن أنيابك ضعت ومن الله الهداية ، بالطبع ، ولكن أليس لنا دور ؟ .. وهل سنظل نشكو ونشكو ولا تغيير ؟ .. أم أن لنا أن نتوقع أن يخرج علينا كاتب بعد خمسين عاما من الآن ليتحدث من جديد عن « شكوى من المرور في القاهرة قبل مائة وخمسين عاما » ؟ ●

شهرزاد تخون شهريار

مسرحية من فصل واحد

شاكر هيكل

المنظر :

مخدع الملكة شهرزاد ، عبارة عن حجرة واسعة ، تغطى جدرانها ستائر من القطيفة الزرقاء اللامعة ، على الجدران مرايا كبيرة ، الارض مفروشة بسجاجيد يغلب عليها اللون البنفسجي ويتدلى من السقف شمعدانات . توجد على الارض طنافس حول مناضد صغيرة . تجلس شهر زاد على سريرها وامامها زمردة ـ الوصيفة ـ . الوقت بعد غروب شمس المائة السادسة من الليالى بمخدع شهريار .

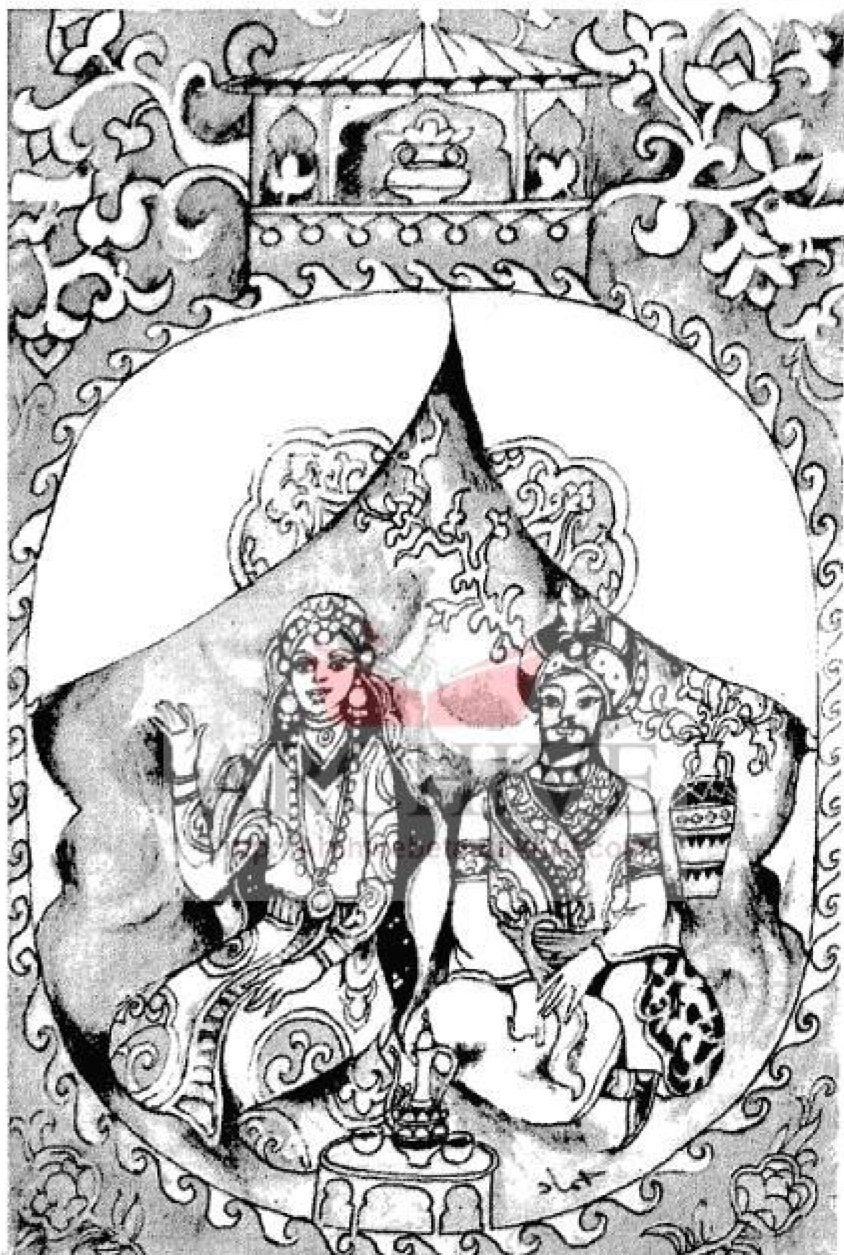
زمردة : ((تمسك مرآة من الفضة الخالصة باطار من الذهب وتقف امام شهر زاد)) ما هذه الفتنة يا مولاتى .. ؟ ما هذا الجمال الرائع .. ؟ الزمن يمر ، وكل يوم تزيد حلاوتك ونضارتك ،واصبح مولاى الملك لا يقدر على الابتعاد عنك .

شهر زاد : ((باسمة)) الايام تزيدنى جمالا ، وشبح القتل يبتعد عن بنات جنسى ، والزمن لا يتوقف وانا ..

زمردة : ((تلتفت زمردة الى الوراء عندما تسمع وقع خطوات وصليل سيوف، فترتعش يدها ، وتهتز المرآة ، وبعد لحظة تتمالك نفسها وتعتدل في وقفتها)) :

ـ مولانا .. يامولاتى ..

وتستمر شهر زاد في اصلاح زينتها ، وتعدل جلستها ، وتضع زمردة المرآة



شهرزاد تخون شهريار

امامها ، وتخرج ويقترب شهريار منهـا ويمسك يدها ويضغط عليها »

شهريار : « مازال واقفا » ماذا كان من امر الملك مع معشوقته يا فاتنتى ..؟

شهر زاد : « باسمة » : لا اعرف

شهريار : « يجلس بجوارها ، تبدو عليه الدهشة والاسـتغراب » ماذا تقولين .. ؟

شهر زاد : « مازالت باسمة » قلت لا اعرف .

شهريار : « مازال مندهشا » كيف لا تعرفين ..؟ الست الراوية ..؟ فهـل لا تعرفين النهاية ؟

شهر زاد : وما الغريب فى هذا ..؟

شهريار : لا شىء . لكن اود ان اسمع منك ماذا لم فارجوك اكملى .

شهر زاد : لن اكمل ..

شهريار : فى هذه الحالة ، لازم عليك ان تكملى ..

شهر زاد : وما وجه اللزوم ..؟

شهريار : لابد ان اسمع نهاية الحكاية

شهرزاد : « بسـخرية » ان النهـاية سوف تؤلمك يا اميرى السعيد .

شهرزاد : ولم تؤلمنى ..؟ اليسـت حكاية .. ؟ انتا اسمعها كخبر

شهر زاد : رائع .. فهل رأيت زوجتك الاولى وهى تخونك مع العبد الاسود ..؟ الم تسمعها كخبر .. ؟

شهريار : « وقد ظهر عليه الغضب » ماذا تقصدين يا شهر زاد .. ؟

شهر زاد : لا اقصد غير ما قـلت يا مولاى .

شهر زاد : « ينهض واقفا » انك اثرت اعصابى .

شهر زاد : مزيدا من الهدوء ،وضبط النفس .

شهريار : قولى ماذا تقصدين .. والا قتلتك .

شهر زاد : اننا فى عصر الحـرية يا مليكى السعيد ، وانت وهبت الامن للناس والطمانينة . فعلى الاقل انا احق الجميع بها .

شهريار : قولى والا قتلتك .

شهر زاد : « تبتسم فى سـخرية » انها عادتك يامولاى . فكم قتـلت من العذارى .. ؟

شهريار : « غاضبا » ساقتلك .

شهر زاد : « بهدوء تام » لم يعـد القتل هو الوسيلة .

شهريار : قلت ساقتلك ان لم اعرف ماذا تقصدين ؟

شهر زاد : ان القتل لن يوصلك ، فكم من العذارى قتلت ـ ومن قبـلهن زوجتك ، فهل عرفت لماذا خانتك .. ؟

شهريار : « يهدا ويجلس مرة ثانية بجوارها » شهر زاد لقد احببتـك ، وليس فى امكانى ان اقتلك .

شهرزاد : هل احببتنى فعلا ..؟

شهريار : انك قدرى العظيم الـذى لا استطيع الهروب منه

شهر زاد : لا . ياมولاى .

شهريار : « مقاطعا » لاداعى ان تقولى ياมولاى .

شهرزاد : الست امير البلاد وسـيد الشعب .. ؟

شهريار : هذا لا يهم الآن فنحن بمفردنا .. اكملى .

شهر زاد : ان الذى حدث بعـد ان ضجت العذارى ـ اللاتى لم يصـبهن سيفك ـ بما تفعل ، وخافت حـواء من انقراض جنسها كأى حيوان اباده الانسان كان على والدى اما ان يقدمنى اليـك او يكون الموت نصيبه .

شهريار : « مقاطعا » ليس هـذا ما اريده ، اريد ان تكملى قصـة الملك مع معشوقته .

شهرزاد : الم اقل انك لم تحبنى .

شهريار : ومن احببت اذن .. ؟

شهر زاد : احببت ما ارويه عليـك كل ليلة .



شهريار : « بصوت مرتفع » ومن التي تروى .. ؟ احد غيرك .. ؟

شهر زاد : كفى خداعا . ان ما اعجبك هو القصص فقط ولا شيء سواها .

شهريار : بالله عليك لا تطيلي يا شهر زاد ، واكملي لنا حديث الملك مع معشوقته .

شهر زاد : « بعصبية » لن اكمل .

شهريار : لماذا .. ؟ وانا مشتاق لان اعرف ماذا تم بعد ان عرف الملك بخيانة معشوقته .

شهر زاد : « مازالت تتكلم بعصبية » الم اقل لك ان حديثي هو الذي يعجبك ولست انا ، هل نسيت انني امراة قبل ان تكون راوية قصص . هل قلت لي يوما انني جميلة ؟ هل قلت لي ان عيني ساحرتان ؟ هل قلت لي انك تحبني ؟ انسيت انني انثى ..؟

شهريار : « باعزاز » الا يكفي انك زوجة ملك .؟

شهر زاد : ان المراة يامولاى .. هي المراة . سواء كانت زوجة ملك او زوجة عبد .

شهريار : لا تعاودى الحديث مرة اخرى عن العبيد .

شهرزاد : « بهدوء » لماذا ؟! ..

شهريار : قلت لك اصمتي .

شهرزاد : آه . فهمت . ان العبيد تؤرقك ، تنظر الى كل واحد منهم على انه هو الذي خانك .

شهريار : ليس كما تصورين ، فهم لا يستحقون حتى الاشارة اليهم .

شهر زاد : اذا كان الامر كما تقول يامولاى ، فلماذا خانتك زوجتك مع احدهم .؟

شهريار: « يتجول في الغرفة » لا اعرف .

شهر زاد : لابد انها وجدت فيه شيئا افتقدته فيك .

شهريار : « بغيظ » وهل هناك اى انسان مهما كان وليس عبدا ـ يفضلني . ؟

شهر زاد : اسالها .

شهريار : ماتت !

شهر زاد : اخطات التصرف يامولاى. فبقتلك اياها لم تتمكن من معرفة سر خيانتها الذى من اجله قتلت كل هؤلاء العذارى

شهريار : اتحاكمينني . ؟

شهر زاد : « تقف وتنحنى امامه » عفوا يا صاحب الجلالة .

شهريار : هذا لا يحتمل ، هذا غير معقول ، انك تهزئين بي .

شهر زاد : وهل اقدر وانت الحاكم، الامر . الناهي .

شهريار : انك تؤلمينني .

شهرزاد : الم تؤلمك صور العذارى اللاتي استمتعت بهن ، وبعد ذلك كان القتل هو المكافاة التي حصلن عليها ؟ الم تتوسل اليك احداهن ان تهب لها الحياة ليلة اخرى .

شهريار : كان انتقاما .

شهر زاد : وبعد الانتقام .؟

شهريار : لم اعد الى ذلك وكففت عن القتل فاكملي .

شهر زاد : ساكمل

شهريار : « بفرح » الم اقـــل انك شهر زاد الحبيبة .
شهر زاد : ساكمل لكن ...
شهريار : لكن ماذا ..؟
شهر زاد : تحقق لى رغبة .
شهريار : لك ما تشائين يافاتنتى .
شهر زاد : القسم
شهريار : ان كلام الملوك قسم .
شهر زاد : لقد انتقمت بما فيـــه الكفاية . اليس كذلك .؟
شهريار : نعم .
شهر زاد : وارتويت تماما من القتل
شهريار : نعم
شـــهر زاد : الن . رغبتى هى ان تتركنى ارحل من هنا .
شهريار : « ماخوذا من المفاجاة » هه .. ماذا .. ماذا تقولين .؟
شهر زاد : تتركنى ارحل .
شهريار : « مندهشـــا » الى اين تذهبين ..؟
شهر زاد : الى المكان الذى اريده .
شهريار : وهل هناك مكان لا يوجد فى مملكتى .. ؟
شهرزاد : هذا لا يناقش يامولاى ، فانا حرة فيما افعل .
شهر زاد : حرة .. لا . انسيت انك



زوجتى ، لا تتكلمى والا قتلتك .
شهرزاد : ستعود للقتل مرة اخرى ،
شهريار : « وقد هدأ قليلا » لن اتركك فانت جزء منى .
شهر زاد : لا تقل انى جزء منك ، ان حكاياتى هى التى جزء منك فاتركنى .
شهريار : لا استطيع . لا استطيع .
شهر زاد : بالتاكيد تستطيع .
شهريار : « يتخذ صفة الجدية » ارفض رغبتك ولن اسمح بها .
شهر زاد : ان كلام الملوك قسم .
شهريار : الان انا لست ملكا . انا زوجك .
شهر زاد : لم اشعر بذلك يوما فاتركنى اذهب .
شهريار : مع من تذهبيــن .؟ والى اين .. ؟
شهر زاد : مع من ؟ بمفردى . والى اين . ؟ الى حبيبى .
شهريار : « باستغراب شديد » وهل تحبين غيرى .. ؟
شهرزاد : نعم
شهريار : « مازال مندهشا » ومتى احببت .. ؟
شهر زاد : ذات يوم
شهريار : ولماذا احببت . ؟
شهر زاد : ماذا تقول يا مولاى ؟ اليس من حقى ان احب . ؟
شهريار : لانك زوجة .
شهرزاد : زوجة بالاجبـــار واحب بالاختيار .
شهريار : ومتى كان هذا الحب ؟ اقبل الزواج ام بعده .
شهر زاد : وانا زوجة .
شهريار : متى تم هذا ؟
شهر زاد : يوما ما
شهريار : كاذبة . فانت لا تخرجين نهارا ، وطوال الليل معى
شهر زاد : ورغم ذلك احببت .
شهريار : كاذبة . كاذبة .
شهر زاد : ان المرأة عندما تحب لا يقف

في طريقها عائق . حتما الجن . انسيت ما قصصته عليك .؟
شهريار : كنت تخدعينني بصوتك الحالم .
شهر زاد : وهذا ما اعجبك ولم تعد تستطيع عدم السمع لغيره .
شهريار : وهل ستجدين عند هذا الحبيب المزعوم السعادة .؟
شهر زاد : اعتقد ذلك .
شهريار : « متظاهرا بالهدوء » وهل تقارن سعادة بما في قصري حيث ..
شهر زاد : لا تكمل . فنعيمك هذا لا احتمله .
شهريار : « بجنون » لن أتركك .
شهر زاد : مهما كلفني الامر فانا مصممة على موقفي .
شهريار : اكاد اجن .
شهر زاد : من تأثير المخدر يا مولاي حان لك ان تفيق .
شهريار : ما العمل .. ؟
شهر زاد : أما ان تتركني او تقتلني .
شهريار : لا اقدر على اي واحد منهما .
شهر زاد : عليك ان تختار
شهريار : الاختيار صعب .
شهر زاد : انت مجبر
شهريار : سافقدك في كلا الحالتين .
شهر زاد : انت فقدتني من اول يوم فلا اهمية لذلك وعليك ان تختار وتقرر .
شهريار : ماذا افعل .؟
شهر زاد : ان اذهب او تقتلني .
شهريار : لا اقدر
شهر زاد : قرر يا مولاي .
شهريار : قبل ان اقرر هل تكملين الحكاية . ؟
شهر زاد : « باسمة » لا .
شهريار : انا اطلب ذلك منك .
شهر زاد : ولو . عليك ان تقرر .
شهريار : لقد قررت . عليك ان تختاري انت .



« شهر زاد : تصلح من زينتها وتتوجه الى الباب »
شهر زاد : وداعا مولاي .
شهريار : شهر زاد . شهر زاد .
تلتفت وراءها وهي عند الباب .
شهر زاد : نعم يا مولاي .
شهريار : الا تكملين ؟!
شهر زاد : سابدا من جديد واحكي لمن احبه .
« وهي تفتح الباب تدخل زمردة . تقف مشدوهة عندما ترى شهر زاد خارجة وترى شهريار يتحرك بجنون في الغرفة »
زمردة : الى اين يا مولاتي .؟
شهر زاد : الى مكان اوقف فيه الزمن لانعم بالحرية مع من أحب .
زمردة واقفة لاتفهم شيئا ، تتركها شهر زاد وتخرج ، مازال شهريار يتحرك بجنون ويسمع صوته وهو يقول شهر زاد اكملي .. اكملي .. اكملي .
تضيع آخر كلماته ، ويسدل الستار ●



الإرهاب على الطريقة الأوروبية

محمد سعيد

- في إيطاليا وحدها مائة جماعة إرهابية
- التجمعات السكانية الكثيفة مخابئ للإرهابيين
- الإرهاب أساسه خيبة الأمل في الأحزاب الثورية



اوضحت حادثة اغتيال عالم الاجتماع الايطالى البروفيسور سميرارى نيوريللا الذى قتل فى نابولى مؤخرا خطورة الفكر الذى تقوم عليه فلسفة الارهاب فى اوروبا . فعالم الاجرام الشهير كان فيلسوف العنف الذى يتشدق زعماء المافيا بنظرياته ويتباهى انصار الالوية الحمراء بالرجوع الى تبريراته حتى ان افكاره ونظرياته تعدت الحدود الايطالية لتصبح منهجا لجماعات فرنسية متطرفة مثل منظمة « ناباب » وجماعات اسبانية صارخة تنبثق من منظمة العنف الاسبانية « ايتا » الجناح المتطرف لمنظمة الباسك الانفصالية وايضا تلعب افكار د. سميرارى نيوريللا دورا فى نظريات الارهاب التى تعتنقها منظمات المانية غربية مثل جماعة الثانى من يوليو.

وقد جعلت حادثة مقتل عالم الاجرام الايطالى الانظار تتجه لبحث علاقات جديدة تناقش العلاقة بين المنظمات الارهابية والرؤية المستقبلية لهذه الجماعات الارهابية واهمية الوقفة الواضحة لاصحاب الاتجاهات المعتدلة الحالية فى اوروبا فى منع هذه المنظمات من تحقيق مخططاتها التى تربط المستقبل السياسى الاوروبى بالفوضى .

وفى تحليل للعلاقة بين جرائم الالوية الحمراء وجرائم عصابات « المافيا » قالت مجلة « المجلة » الايطالية المتخصصة فى الدراسات الاجتماعية ان مقتل عالم الاجتماع الايطالى سميرارى نيوريللا يعود فى ترتيبه الى محاولات خطرة للتاثير على السلطة السياسية .

وتعود اسباب مقتل فيلسوف العنف الى انه يرجع تصفية الحسابات بين الاطراف المتنازعة فى عصابات مافيا نابولى التى تهدد ببسط نفوذها على السلطة لا فى المدينة فقط ولكن ايضا فى اتجاه العاصمة روما ، وقد ترتب على ذلك ان رئيس وزراء ايطاليا جيوفانى سبادولينى اعلن فى البرلمان ان الدولة لن تسكت على المافيا وعلى غيرها وان الحكومة لن تسكت على المافيا بصفة عامة ومافيا نابولى «منظمة كامورا » بصفة خاصة فى وقت يعرف فيه رجل الشارع الايطالى ان قتلى هذه المنظمة يصل عددهم الى ٦٠٠ قتيل فى العام فى نابولى وحدها .

والبروفيسور سميرارى يعتبر منظر ارهاب النازية الجديد فى العالم وهو من بين من اتهموا ايام حادثة قطار بولونيا فى عام ١٩٨٠ فى ابشع عملية ارهابية راح ضحيتها ركاب قطار بولونيا ولقى فيه ٨٠ مصرعهم فى الحال لكن التحقيق اسفر عن عدم اكتمال الادلة فى كون البروفيسور سميرارى وراء الجريمة البشعة .

وعلاقة المافيا بالالوية الحمراء تاتى من استخدام المافيا كوسيط بين الحكومة والالوية الحمراء عند اجراء مفاوضات بشان اطلاق سراح بعض الرهائن او المعتقلين السياسيين ممن تشغل الالوية الحمراء الراى العام باختطافهم مرات عديدة خلال العام وكانت اخر حوادثهم التى شغلت الراى العام فى الداخل والخارج قضية خطف الجنرال الامريكى دوزيير والذى نجحت اجهزة الامن الايطالية فى انقاذه .

لماذا الارهاب الاوروبى ؟

● ولان ضحايا الارهاب الاوروبى يتزايدون وتضم نسبتهم العشرات من رجال السياسة والصحافة والفكر والفن والقضاء والقادة النقابيين ، فان الاعترافات التى تجمعت لدى اوساط العدالة تعرف مثلا ان الالوية الحمراء تخضع لقيادة استراتيجية على المستوى القومى ثم هناك طوابير مختلفة على مستوى المدن وهناك خارج الدائرة القومية اتصالات خارجية لهذه المنظمة بما يناظرها من منظمات





آخر صورة نشرها الارهابيون لالدو مورو قبل مصرعه

خارج ايطاليا وحيث توجد قيادات لهذه المنظمة تعيش خارج البلاد .

ولو اقتربنا من منظمة الالوية الحمراء وهي أكبر منظمات الارهاب الاوروبي بل في العالم كله فاننا عندما نبدأ بالشكل نجد ان شعار الالوية الحمراء نجمة خماسية مكتوب تحتها : « الالوية الحمراء المناضلة » وعندما ننتقل من الشكل الى المضمون نجد ان المنظمة جماعة ارهابية تعمل تحت الارض وتضم نسبة قليلة من السكان لكنها ذات تأثير مدمر في المجتمع الايطالي وصل الحد تصفيته في اغتيال وخطف رئيس وزراء ايطاليا الاسبق الدكتور الدو مورو وكان مرشحا وقتها لرئاسة الجمهورية .

وحركة الالوية الحمراء تأسست في عام ١٩٧٠ كحركة بروليتارية « عمالية » مسلحة تعتبر نفسها حامية السلطة الثورية للطبقات المغلوبة على أمرها .

وفلسفة الالوية الحمراء تقوم — كما قال لي استاذ العلوم السياسية الايطالي البروفيسور باولو موليناري — على هدف يماثل هدف اللوصوبين في القرن التاسع عشر ، وهو هدف تنقية المجتمع وكل المؤسسات القائمة فيه ، وهو هدف قصير النظر اذ لا يترتب عليه رؤية مستقبلية لشكل المجتمع بعد تغيير أو تدمير هذه المؤسسات القائمة .

ولقد تطورت اسلحة الالوية الحمراء الارهابية من الخطف الى الاغتيال ، وكانت حادثة الدو مورو الطلقة الحقيقية التى اثارت حيرة الرأى العام الايطالي ومعه الرأى العام الاوروبي في كيفية مواجهة هذا الارهاب خاصة وان توقيت اغتيال الدو مورو جاء وهو يخرج من مبنى البرلمان منتشيا بعد طرح الثقة بوزارة اندريوتي وكان هذا نصرا كبيرا حققه زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي مورو بتحقيق مساندة الديمقراطيين المسيحيين من خلال تحالف مع الشيوعيين وكان الامر المؤكد بعد ذلك اختيار رجل التصالح رئيسا للجمهورية الايطالية .

والفكر السياسي الاوروبي يعتبر الالوية الحمراء انشقاقا ايديولوجيا عن الحزب الشيوعي الايطالي فقد انقطعت تماما علاقة الالوية الحمراء بالحزب الشيوعي .

وفي الوقت نفسه تؤكد القرائن ان علاقات المنظمات الارهابية تخرج عن نطاق العلاقات الحزبية الى نطاق علاقات المنظمات في قطر مع آخر حيث تشير كثير من الدلائل الى



اهالي الباسك في اسبانيا يطالبون بالافراج عن عناصر منظمة « ايتا » .

احتمال وجود ارتباط بين الالوية الحمراء وكتائب منظمة الجيش الاحمر في المانيا الاتحادية ..

ويرى من يتتبعون فكر الالوية الحمراء ان هدفهم من خطف واغتيال شخصية سياسية كبيرة مثل الدو مورو يأتي من مبرر تحطيم صيغة رجال العمل الوسط التاريخي الذي يقوم على تشغيل تحالفات الاحزاب السياسية في اوروبا .

ولتشابك علاقات منظمات الارهاب في البلادالاوروبية المختلفة فان الجارة القريبة فرنسا تتخوف من عجز الديمقراطية الايطالية خشية أن تنتقل الموجات الفوضوية والعنف الى فرنسا بعد ايطاليا خاصة وان النظام الايطالي يعتبر من وجهة نظر الالوية الحمراء بمثابة « الحلقة الضعيفة » في العمود الفقري الاوروبي لذا ركزت الالوية الحمراء ولها طموحات اوروبية وفروع في معظم عواصم اوروبا الغربية على توجيه ضرباتها على اضعف حلقات العمود الفقري الاوروبي في ايطاليا .

والفكر السياسي والاجتماعي لزعماء الالوية الحمراء يرى أن عمليات الاغتيال والخطف تهدف الى تعرية النظام الكشف عن عيوبه وتناقضاته وهي التناقضات تشبه كتابات الايديولوجيات الماركسية ، الامر الذي يترك علامات استفهام لم تتوقف الا بنفي الحزب الشيوعي شدة في ان يكون الاب الروحي لكل هؤلاء الارهابيين .

وبعيدا عن تنصل الاحزاب الشيوعية من التشابه منظمات الارهاب لها نعرف ان حركة الالوية الحمراء اسسها ريناتو كورشيو وكان عمره لا يزيد عن ٢٥ سنة عندما اكتشف السلطات الايطالية التنظيم في اعقاب اختطاف ماريو سوسي عام ١٩٧٤ ، ومؤسس حركة الالوية الحمراء خريج قسم الاجتماع بجامعة روما وقد اراد في البداية للتنظيم ان يعمل في الخفاء ثم وضح دوره نتيجة التلاقي بين منظمة العالم العمالي وبعض المثقفين اليساريين المشاركين في فكر المظاهرات فرنسا الطلابية في مايو ١٩٦٨ .

وقد حدد كورشيو ايديولوجية الثورة التي تدعو لها الالوية الحمراء بانها الضرب في قلب الدولة خاصة بعد ان







ألمانيا وفرنسا وأسبانيا يتفوق على الإرهاب الإيطالي



رئيس جمهورية ايطاليا برتيني يعانق الجنرال الامريكي دوزير عقب الافراج عنه



سبادوليني رئيس وزراء ايطاليا

تخلى الشيوعيون ـ كما ترى الالوية الحمراء ـ عن الدعوه لمطالب الطبقة العاملة ..

مبررات قيام الارهاب الاوروبى

● فى تحليل ميدانى نشرته المجلة الفرنسية « اكسبريس » فى طبعتها الايطالية تعرضت لاسباب قيام الارهاب الاوروبى وتوصلت من خلال نتائج الاستفتاء الى ما يلى :

١ ـ شعور الاحباط وخيبة الامل من خلال تصور خيانة الاجيال السابقة للامانة التى تسلمها للاجيال الحالية والقادمة .

٢ ـ ارتفاع نسبة ومعدلات البطالة .

٣ ـ سلبية اصحاب القرار السياسى فى مواجهة المطالب والرغبات الشعبية .

٤ ـ تفشى ظاهرة صراع الطلاب المحترفين والاساتذة أصحاب النفوذ فى الجامعات الايطالية .

٥ ـ التفاوت الطبقى بين بذخ .." ناء وقسوة معيشة البسطاء .

٦ ـ ازدياد جماعات الارهاب أدى الى تفككها دون تأثير حقيقى ، وفى ايطاليا مائة جماعة ارهابية مثل جماعة « المانيفستو » المنشقة على الحزب الشيوعى الايطالى ومنظمات اخرى تكتفى بالاثارة والدعوة للمظاهرات والدعوة للاضراب والمطالب الاقتصادية ومنظمات اخرى فوضوية ترفض مسيرة النظام الاجتماعى ، وقد عاون هذا المناخ على ظهور الالوية الحمراء التى تستوعب ٣/ل هذه المطالب وتتبناها بالعنف والاغتيال فى مواجهة دعوة ايطالية عاقلة تدعو ابناء الديمقراطية الى الثبات على مبادىء نظامهم حتى يحققوا ثقة الابناء ويحولوا بينهم وبين الانجذاب للاراء الارهابية المتطرفة .



● ولاستمرار عنف ضربات المنظمات الارهابية الاوروبية وابرزها الالوية الحمراء حاول بعض علماء الاجتماع فى جامعةروما تحليل اسباب اتجاه ضربات المنظمات الارهابية نحو الشخصيات العامة وتوصلوا فى دراستهم الى اعلان هذه الاهداف :

١ ــ تذكير العالم بان المنظمة موجودة وبانها احدى القوى المؤثرة فى ايطاليا واوروبا بداية من تحالفها مع المنظمات الاوروبية المتطرفة مثل الجيش الاحمر الالمانى « بادر ماينهوف » وحتىالحوادث التى تنسب للمنظمة خارج اوروبا .

٢ ــ توظيف رهبة الافعال وردود الافعال فى الافراج عن المعتقلين من عناصرالارهاب فيها وبث روح معنوية عالية من وراء هذا التفكير فى نفوس الاعضاء السريين .

وقد علمت اثناء زيارتى للعاصمة الايطالية روما فى صيف عام ١٩٨١ من بعض المصادر الحكومية الايطالية ان هذه المصادر توضح استمرار الالوية الحمراء لانهم كالاسماك وان الشعب الايطالى بطبقاته الشعبية كالماء ومن هنا يحصل هؤلاء على حماية عمال المصانع والتجمعات السكانية الكثيفة ، ولولا ذلك ما بقيت اى جماعات منهم بعيدة عن اليد الطويلة للامن الايطالى مثلما حدث مؤخرا فىواقعة اختطاف قائد حلف الاطلنطى فى ايطاليا الجنرال الامريكى دوزير الذى امكن للحكومة الايطالية التى يراسها الجمهورى سبادولينى اكتشاف مخبئه والافراج عنه .

وتبرر هذه المصادر التعاطف الشعبى مع الالوية الحمراء فى انه جزء من رفض سياسة عدم تغيير واقع البطالة فى ايطاليا وتفشى ازمة المساكن حتى ان الالوية الحمراء استغلت ذلك عندما صادرت المساكن المغلقة والمساكنالخالية والمهجورة لصالح العائلات الشعبية العمالية التى ضاق بها مسكنها او طردها منها المالك لعدم القدرة على تسديد المستحقات .

ولعل الجملة التى تتردد فى منشورات الالوية الحمراء التى تصل للناس فىالبريد او يجدونها تحت ابواب مساكنهم مع الصحف والمجلات فى الصباح وتقول للناس : « انكم مدعوون الى ارغام الديمقراطية المزيفة فى اوروبا على ان تسقط اقنعتها وذلك باستفزازها كل مرة لتمارس القمع بفعل الخوف على نفسها لان القمع دون سواه يخلق الوعى فى صفوف الطبقة العاملة » .

وهم يمارسون الاغتيال والخطف فى الشمال فى ميلانو وتورينو وجنوه وروما لكنهم يقللون من نشاطهم فى الجنوب معقل عصابات « المافيا » لانهم يعرفون انهم بذلك يحرضون الطبقات الكادحة دون ان يصطدموا بعصابات المافيا ذات التأثير عليهم وفى التمرد على الاوضاع تأتى الثورةوتعيش البلاد فى مناخ جديد لا يختلف عن ارهاصات الثورة الفرنسية حتى تستقر الاوضاع على النحو الذى يهدف اليه زعماء الالوية الحمراء .

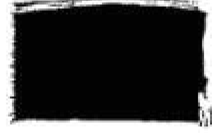
الارهاب بين ايطاليا والمانيا وفرنسا واسبانيا

● يقول الكاتب الايطالى الكبير البرتو مورافيا فى واحدة من مقالاته فى صحيفة « كوريرى دلاسيرا » : « لكل دولة اسلوبها فى ردود الافعال تجاه الازمات وايطاليا تبدو مستقرة اكثر مما هى فى الحقيقة بسبب المزاج الايطالى وجلود الروح الرومانية لكن المجتمع فيها فى النهاية مجتمع صحى لكنه ينمو بطريقة فوضوية » .

معنى ذلك ان خطر منظمات الارهاب فى ايطاليا اقل منه فى بلاد اخرى مثل المانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا واسبانيا

وقد لاحظ بعض علماء الاجتماع ان الجيل الجديد فى المانيا ينشط بطرق





ظاهرة صراع الطلاب المحترفين والأساتذة

سلبية مختلفة فيتظاهر ويحرض ويضرب ويخطف ويتعاون مع جميع التيارات الرافضة في العالم .. وعندما تسامحت الدولة في عرض بعض الافلام ونشر بعض الكتب في محاولة منها لزيادة الكراهية للنازية جاءت بعض النتائج مخيبة للامل اذ ظهرت علامات الصليب المعقوف على جدران الشوارع في ميونيخ وبرلين وهامبورج وفرانكفورت .

وقد فسر والتر لاكوير عالم الاجتماع السياسي موجة الرفض التي تقترب من الارهاب والتي اجتاحت المجتمعات الصناعية المتقدمة التي هزمت سياسيا وعسكريا في الحرب الكبرى الثانية مثل المانيا وايطاليا واليابان بانها تعبير عن مقاومة جيل مابعد

احد منظري الجريمة في ايطاليا الارهابي جيوفاني بنيراني من قادة الالوية الحمراء عند القبض عليه





الحرب لافكار الهزيمة وهي تعنى أيضا احتجاجا على الوصاية الامريكية على صناعة القرار السياسى والعسكرى فى هذه البلاد .

ومن خلال هذا التحول ظهرت فى المانيا بعض المنظمات الارهابية مثل « بادر ماينهوف » وجماعة « الثانى من يوليو » وهى منظمة طلابية ظهرت انتقاما للطلبة الذين قتلوا فى مقاومة مع الشرطة فى اليوم الثانى من يوليو عام ١٩٧٢

ورغم انتحار بادر ماينهوف زعيم التنظيم الارهابى الالمانى وزملائه فى سجن شتوتجارت الا ان قضية الارهاب الالمانية لم تنته بعد خاصة مع ماتردد من ان منظمة



البرتو مورافيا .

● التعاطف الشعبى مع الإرهابيين سببه البطالة وأزمة المساكن

بادر ماينهوف تحصل على اسلحتها من مصادر حلف الاطلنطى فى المانيا وقد اكد هذا شباب العشرينات فى المنظمة عند القبض عليهم .

وارهاب بادر ماينهوف يتشابه مع ارهاب اوروبا فى مناطق أخرى مثل فرنسا واسبانيا ففى فرنسا توجد منظمة تسمى « ناباب » وهى النسخة الفرنسية من بادر ماينهوف وهى تجد فلسفتها فى الافكار التروتسكية والماوية وتجسد عناصرها بين المغالين فى التطرف من الشباب البروليتارى ، وهناك من يرى أن حركة ٢٧ مايو الفرنسية تضم حوالى ٥٠ ألف شاب من المتطرفين سياسيا ممن تحركهم اهدافهم السياسية والايديولوجية فى اتجاهات العنف والجريمة .

وفى أسبانيا تسعى منظمات الباسك لابراز قومية سكان مرتفعات اقليم الباسك الا أن تطرف منظمتها العسكرية « الايتا » يجعلها تدخل فى نطاق منظمات الارهاب فى المجتمع الاسبانى من خلال سلوك الخطف والقتل والاغتيالات .

وأخيرا .. يمكن أن يقال ان أوروبا الحديثة أصبحت مجالا واسعا لمئات من جماعات الارهاب ، تتنازع فيما بينها ، ولكنها تتفق على ان اوروبا الان ليست هى اوروبا المستقبل التى يريدونها .. بل ليست هى اوروبا الحاضر التى يريدون الحياة فيها ..

من الذى ينتصر فى النهاية فى اوروبا ؟! ..

مؤسسات الدولة والهيئات السياسية والاحزاب بمختلف اتجاهاتها .. أم « فوضى » التطرف والارهاب الذى يحركه أصحابه اليأس والبطالة والمغامرة والاحلام التى لا يمكن تحقيقها ؟! ●



الاستاذ / مصطفى عزيز عبد الغنى رئيس مجلس ادارة شركة المقطم

رئيس مجلس إدارة شركة المقطم

يجيب عن هذا السؤال : لماذا كان اختيار منطقة المقطم بالذات لإقامة مدينة جديدة ؟

● فى البداية ، ارجو من سيادتكم اعطاء فكرة لقارىء « الهلال » عن انشطة الشركة المختلفة فى مجال الاسكان وتقسيم الاراضى ..

ـ اجاب سيادته قائلا : ان هدف الشركة الاساسى هو تعمير منطقة المقطم وادخال المرافق العامة بها حتى تصبح مدينة متكاملة .. هذه المرافق تتضمن انشاء شبكات من الطرق ورصفها .. وادخال المياه والصرف الصحى والكهرباء والتليفونات وتشجير المنطقة .. ثم بيع هذه الاراضى للجمهور طبقا للاسعار التى تحددها محافظة القاهرة ..

● وما هى الجهود التى اسهمت بها الشركة فى حل مشكلة الاسكان ؟

ـ يقول السيد مصطفى عزيز رئيس مجلس الادارة ان الشركة قد أسهمت بجهد واضح فى تجهيز الارض واعدادها لاقامة وحدات سكنية بها ثم بيعها بعد ذلك للجمهور باسعار مناسبة .

وفي مجال الاسكان التعاوني ، أكد سيادته ان الشركة قد أسهمت اسهاما فعالا في هذا المجال ، فهي الى جانب بيع بعض الاراضي للجمهور بيعا مباشرا أو بعد اجراء مزاد علني عليها .. فانها اتفقت مع نقابات الهيئات المختلفة لتوفير قطع الاراضي لجمعيات الاسكان التابعة لهذه النقابات التي تقوم بدورها بتوزيعها على اعضائها .. وقد تم فعلا بيع ٨٤ ألف متر لشركة الشرق للتامين لبناء عدد ٧٠٠ وحدة سكنية . وكذلك منطقة للتجاريين لبناء ألف وحدة سكنية ، و ٤٠ الف متر لجمعية الاسكان التابعة لوزارة الخارجية وكذلك ٣٠ الف متر لجمعية عمر بن الخطاب..والباب مفتوح للتعاون مع جهات أخرى ..

ـ وبسؤال سيادته عما اذا كانت الشركة قد تعاونت مع الجهات المعنية في مجال الاسكان كبنك التعمير والجهات الاخرى التابعة لوزارة التعمير للاسهام في مشروع « اسكان العرايس » بتوفير الاسكان الاقتصادي للشباب

اجاب سيادته بان الشركة قد تنازلت لجمعية صقر قريش التابعة لمجلس محلي القاهرة عن مساحة قدرها ٤٠٠فدان بسعر ٧٥ قرشا للمتر تشجيعا للجمعية على الاسهام في مشروع «اسكان العرايس»..

أما عن بنك التعمير ، فالتفاوض يجري الان لتعمير ٤٠٠ فدان أخرى جهة المعادي .

● قلت : هل معنى ذلك ان نشاط الشركة غير مقصور على عمل تقسيمات داخل مدينة المقطم ؟

ـ أجاب سيادته بان الامتياز الممنوح للشركة امتياز محدد داخل منطقة المقطم . ومن المقرر ان ينتهي عام ١٩٨٤ .

● سألت السيد رئيس مجلس الادارة عن الوسائل التي اتخذتها الشركة للقيام ببيع تقسيمات .. هل تعتمد على المارسات والمزايدات أم ان هناك أسعارا محددة للبيع ..؟

ـ أجاب سيادته بأن الشركة ملتزمة بالحد الادنى للاسعار التي تحددها محافظة القاهرة بعد معاينتها لوجود كافة المرافق . وفي بعض الاحيان تباع قطع للجمهور بعد اجراء مزاد علني عليها .

ـ وفي النهاية سألت السيد مصطفى عزيز عن سبب اختيار منطقة المقطم كمجال لاقامة هذه المدينة .. والى أي مدى يمكن لهذه المدينة ان تستوعب قطاعات الشعب المختلفة .. ؟

ـ يقول السيد مصطفى عزيز ان مدينة المقطم هي المكان الوحيد بالقاهرة البعيد عن التلوث فهي ترتفع عن مدينة القاهرة بحوالي ٢٠٠ متر كما ان هناك حوالي ٥ درجات أقل في درجة الحرارة عن مدينة القاهرة ولذلك فهي ذات جو لطيف في الصيف ..

ويؤكد سيادته ان مدينة المقطم تحتوي على هضبتين .. الهضبة العليا ويمكن ان تستوعب ٨٠ الف نسمة والهضبة الوسطى ويمكن ان تتسع لحوالي ١٢٠ الف نسمة ●



خائفة عليها؟

سناء البيسي

خائفة عليها .. من مرآتها .
من اعجاب يطوح بها .. من الاغاني والكلمات والنافذة والتليفون والصديقة والبلوزة العارية والبنطلون المضغوط و«الكعب العالي» والحزام الضيق والتليفزيون والمجلة والمطرب بحجمه الطبيعي الذي يطل عليها فوق حائط غرفتها بعيون تقول اكثر مما تحتمله سنوات عمرها ...لو كان الامر متروكا لغليان مشاعري لربطتها بجواري ... مقودها في يدي وحركتها تحت ناظري ... كبرت .. طالت سيقانها .. لعبتي الصغيرة التي كنت أستمتع بلمسها .. بكعبي قدميها اللتين لم تلمسا الارض. بأصابعها الدقيقة وعيونها التي تنام فجأة .. أعجوبتي التي تطعت بقاءها الغامض داخل جسدي لنصبح اثنين .المخلوق الذي لم يدخل البيت من بابه. انهكني تدومها .. كانت ثقيلة بين ذراعي .. اثقل شيء في العالم يمكن ان تحتمله قوتي .. القت علي بمسئولية العالم مرة واحدة. .. لا ادرى لو كانت ولدا هل كنت اخاف عليه بهذا القدر .. حبيبتي تضج حيوية وانوثة متعجلة تتطلع لمعرفة كل شيء في اسرع وقت ممكن .. تدق بساقها الارض فترتج كل ثنية في جسدها الغض المتناسق كمهر ارعن منتش .. اخاف كل هذه الاغراءات السريعة الخاطفة حولها ...

في مثل عمرها كان خيالنا العاطفي كسولا ينتظر بالاسبوع الى ان يأتي برنامج ما يطلبه المستمعون من خلال الراديو بعد نشرة الاخبار لنسرح مع أول همسة ونعيما يا حبيبي ، ونتهادى على مهل في أحلام يقظة « بشبشب » ريش نعام مع قميص نوم وردي وروب دانتيل نداعب الشاب حليق الذقن في لوكاندة ببلكونة واسعة تطل

على بحر صيفى فى شهر العسل .. حتى هذا الحلم لم يتحقق لى وكانت هناك شعيرات بيضاء تخترق منابت الجلد فى ذقن الرجل الذى تزوجته ..

يكبرنى باعوام كثيرة لكنى كنت لا أمل احاديثنا المكررة ولا اطار الامان الذى يحيطنى به .. علاقته بابنته تبدو جافة كأنه يخجل من هوة مسافة العمر بينهما فيدور الحديث دائما فى صيغة سؤال وجواب كما هى الحال مع الحكام والقادة والمدرسين ، وكانت الابنة نادرا ما تسترسل فى حديث معه خاصة فى وجودى — لكنى كنت على يقين من عمق التجاوب الصامت بينهما ... عندما كنت اشكوها اليه تنطلق ابتسامة حانية تتصاعد الى وجهه وتملأ عينيه باطلالة بريق دموع كان مجرد سيرتها عنده تفجر ينابيع حنان .. اجمل زهرة فى حديقة حياته يرعاها عن بعد ويغدق على من تقوم بمهمة البستانى .. بمرض ويرجونى الا اطلعها على ما قاله الطبيب ويبتلع آهات الالم طوال وجودها معه فى الغرفة ..

تعبت من دورى كممرضة .. الايام لا تحمل لى سوى تطور سير المرض .. سنوات سرقت من عمرى .. التفانى يجعل المحيطين بى يعتادون وجودى ظلا للشيخ المريض .. ملازمة المكان تجعل الاحياء فيه جزءا مكملا لقطع الموبيليا .. الفراش الواسع الذى يحتل جسد زوجى الواهن طرفا منه والمقعد الرابض امامه والكومودينو المثقل بزجاجات الدواء والدولاب الضخم بكورنيش الاويمة الغليظ وسباع باهتة تطارد غزلانا فى نسيج السجادة .. وانا .. كان الامر طبيعيا لدى ابنتى .. ان ترانى خارجة من غرفة ابيها بصينية طعام وهارعة اليها بحقنة مغلية ، او متقدمة طبيبا مسرعا او كونسلتو اطباء .. كنت أدخر لها وقتها لتعيش سنها بعيدة عن جو المرض القاتم ..

فى ذلك اليوم .. كنت اختلس لحظات ارتاح فيها على صوت ام كلثوم تغنى « خاصنا الكلام كله » .. فجأة اخترقت ابنتى قوقعة راحتى بصخبها وسخريتها من الحب الذى خلى معه الكلام .. احتضنتنى كمن تمنح طفلة بلهاء مسكينة صدقة .. سألتها مفهومها عن الحب قالت ان عبارة « احبك » تبدو مضحكة الغاية .. الامر لا يعدو



انه اذا كان هناك شاب يتصل بك تليفونيا كل يوم ويعرف البرج الذى ولدت فيه ويرسل لك بطاقات بريدية حين يكون مسافرا ويغيظك وينتقدملابسك ويسخر مما تقولين فاننا نعرف تماما أنه يحبك حتى ولو لم يقل لك ذلك !!

تركتنى كما انت فى صخب .. سكتت أم كلثوم .. مصيبة ..انهناك منيحادث ابنتىيوميا وتردد اسمه كثيرا فى حديثهما .. خفت ان تأتى الى بمنتهى البساطة لتقول لى انهما اتفقا على الارتباط .. ذهبت الى أبيها .. قال انه واثق بصواب قراراتها .اريدان اعرف .. احس نوعا من الخشية اذا ما واجهتها دفعة واحدة ..لابد من ضربات على خشبة المسرح قبل رفع الستار .. ذكرت اسمه امامها كصدفة فاذا بها تصفه بكثير من كلمات الاعجاب .. اقفلت الموضوع .. وسط الدوامة استمعت الى نصيحة احدى القريبات .. جنون البنات لا دواء له سوى مخاطبة الجان .. تسللت الى فراشها وهى نائمة ليلا لأسكب سائل الزجاجة على وسادتها ليهدأ سرها وتغدو كما قالت لىالست الشيخة خاتما فى أصبعى تسمع كلامى وترى رأيى . . البنت استيقظت . فزعت من شبحى فى الظلام .. اندفعت صارخة الى أحضان ابيهاالمريض .. سكنت شهقاتها وهو يمسح على رأسها بيده المرتعشة ويقرأ آيات قرآنية .. عدت الى حجرتى اكره منظرى فى المرآة بشعرى المهوش كساحرة شريرة .. لن انسى التعبير الذى كان فى عينيها . كانت كمن تنظر الى شخص أصابه الجنون .. حبيبتى .. كنت اشعر باقتراب الكارثة .. ابوها يدنو سريعا من النهاية .. اخرجنى توتر كنت فيه عن وعيى تماما

عندما استمعت الى ضحكاتها تتحدث فى التليفون .. اندفعت انتزع منها السماعة واصفعها على وجهها واتهمها بالانانية واصفها بجمود الاحساس وطالعتنى على الحائط صورة المطرب فاندفعت انهشها باظافرى .. مات ابوها ..

ظللنا فترة نتحاشى انا وهى الانفراد فى مكان واحد .. المنزل بعد الوفاة ظل يعج بالاقارب ثم انفض المولد بالتدريج ومكث كلانا فى غرفته نلتقى فى صمت حول وجبات الطعام .. تخيفنى الوحدة .. الشخص الذى كان فى حاجة الى ويشغل كل دقائق وقتى تركنى لوحش الفراغ ومضى .. ابنتى ليست فى حاجة الى ..



احاول وافشل فى اعادة حبال التقارب بيننا .. تقطع عن عمد جسورا احاول مدها بين جزيرتينا ..انبش امامها ذكريات الغائب .. لا تجيبنى سوى دموعها وتترك لى المكان ..

وحدى فى المنزل . دخلت غرفتها . فتحت نافذتها .مازال هناك شريط من صورة المطرب معلق فى الهواء فى مسمار الحائط تطل منه عين واحدة.. ادرت له ظهرى . رتبت اغطيتها .. مسحت بيدى التراب عن زجاج صورة ابيها .. عدلت من وضع عروسة طفولتها . اغلقت كراسة مذكراتها التى نسيتها مفتوحة . استنشقت قميصها الذى خلعته . جلست أمام مرآتها . تركت شعرى يسقط حول وجهى . كسريحتها وغرست فيه امشاطها .. نثرت حول وجهى من عطر زجاجتها .. احطت عنقى بقلادتها الخشبية .. ارتديت بلوزتها . ادرت موسيقاها الصاخبة .. اهتز .. أدور مع النغمات وسرعتى تتزايد .. اتساند .. ادوخ . اقع .. اجثو على ركبتى .. ادفن راسى فى احضان ابنتى التى جاءت .. نجهش معا بالبكاء . ! ●

كابتن

Captain

من أجود الأدخنة العالمية

+

قمة الخبرة الفنية



٤٠ جرام

٨٠ قرشًا

إنتاج:

الشركة الشرقية للدخان والسجاير

التدخين ضار جدًا بالصحة

علم الروح الحديث وظواهر الخروج من الجسد

د. رؤوف عبيد



● أخطر جانب من خفايا النفس: الرؤى والأحلام

عدد كبير من الباحثين يعتبر علم الروح الحديث بمثابة الوارث الشرعي الوحيد لعلم النفس بمفهومه البالي عندما كان ينكر الخلود ، والظواهر الوساطية ، وذلك لمجرد رباطه المسبق بالفلسفة المادية ، وبالتالي لمجرد هربه من تحقيق اخطر الظواهر ، وتحليلها ، وتاصيلها وهي هذه الظواهر « غير المالوفة » و « فوق المالوفة » .

وفي نفس الوقت لا ينبغي ان نتصور ان « علم الروح الحديث » ينتمي الى علوم ما وراء المادة ، او ما وراء الطبيعة ، كما كانت الحال قديما فيه ، وفي علم النفس ايضا ، لانه تطور مثله مع الوقت تطورا هاما منذ قرن بالاقل ، واصبح يقوم على الدراسات العملية ، وتجميع الوقائع الثابتة لتحليلها ، ولذا اصبح يطلق عليه « علم الروح التجريبي » .. او « علم التحقيق الروحي » Psychical Investigation الذي هو فرع من الاصل العام ـ وهو « علم الروح » Psychic Science بمعناه الواسع .

ولا يمكن ابدا القول بانه قد حدث اي تقدم في استكشاف اغوار النفس الانسانية ما لم يضع العلم النفسي يده على تفسيرات حاسمة وصحيحة لاخطر جانب من ظواهر النفس وهي المشاهد والرؤى والاحلام ايا كان نوعها . وبشرط ان تغطي التفسيرات المرجوة جميع الظواهر التي من هذا القبيل ، ومنها تلك التي قد تحدث احيانا نادرة ، وهي ظواهر « الخروج من الجسد » التي يلقي بعضها اضواء جديدة على كل ما قيل حتى الان في تفسير الاحلام من نظريات ، خصوصا تلك التي تتشبث باسناد كل ظاهرة غير مالوفة الى ملكات العقل الباطن . ويستوي في ذلك ظواهر النوم العادي ، مع غيبوبة التخدير ، مع غيبوبة التنويم المغناطيسي Hypnotic Trance مع غيبوبة الوساطة الروحية Mediumistic Trance ، وهذه الظواهر اكدها عدد كبير من المختبرين ، وايدوها بادلة متعددة تقبل التحقيق الوضعي عن طريق الحواس ، وعن طريق الاجهزة . وقبل كل شيء عن طريق تقصي المعلومات التي يقدمها « الخارجون عن اجسادهم » او « الطارحون ارواحهم » Projectors للتثبت من صحتها او من خطئها . ولاخضاعها لمعادلات الصدفة المعروفة في الرياضة الحديثة ، لمعرفة ما يمكن تعليله منها بالصدفة وما لا يقبل التعليل .

واذا اضيف الى ذلك انه يمكن في كثير من الحالات دراسة تاريخ المختبر نفسه لمعرفة مدى اتصال وعيه بهذه المعلومات ، ومدى قدرته على الوصول اليها لتبين انه من الممكن ـ ولو على وجه ما ـ اسناد مثل هذه المعلومات الى مصدرها الحقيقي سواء اكان خرق الادراك المالوفة ، ام غير المالوفة « مثل تراسل الفكر والشعور ، اي التلباثي » ام الخروج الحقيقي من الجسد الفيزيقي للانطلاق بالجسد الكوكبي او الروحي الى مسافة قريبة او بعيدة من الجسد المادي . فاذا اجتمعت الى هذه الظاهرة قدرة اخضاع الذات لحاسة النظر اواللمس عند الاخرين ، ومن باب اولى لدائرة نفوذ عدسة التصوير ، كانت البينة جيدة في جانب صحة الظاهرة من جانب ، وفي جانب دحض تعليلها بالعقل الباطن من جانب آخر . هذا العقل الذي تحدث عنه بعض الفلاسفة الاقدمين احاديث تتفاوت في مدى وضوحها .

لكن كان لعلم النفس الحديث فضل الكشف عن بعض مجاهله

ظـواهـــر
الـخـــروج
من الجسد

في بطء وتعثر ، كما كان له في نفس الوقت وزر سوء استخدامه في تعليل الكثير من الظواهر الصحيحة التي لا تمت الى هذا العقل الباطن باية صلة من الصلات ، والتي ان لم يصح تعليلها بدوام حياة الانسان بعد الموت ، فان حدوثها لا يزال يفتقر الى تعليل يروى غليل المنطق العلمي الناقد .

بين الشعور واللاشعور

وليس مقتضى الدراسات الحديثة انكار العقل الباطن ، او دور الرغبات المكبوتة بالعقل الباطن ، في تفسير الكثير من المشاهد والرؤى والاحلام بطريقة صريحة احيانا ، ورمزية احيانا اخرى . فلا ريب ان هذا كله امر واقع ، ومثله تداعي المعاني في اثناء المشاهد والرؤى والاحلام عن طريق العقل الباطن كما تتداعى المعاني في اثناء اليقظة عن طريق العقل الواعي .

لكن هذه الحقائق لا تفسر سوى جانب واحد او اكثر من المشاهد والرؤى والاحلام ، وربما جانبها الاكثر شيوعا ، لكن ثمة جانبا اخر يتطلب المزيد من التغلغل في اسرار الذات الانسانية ، بغير الارتباط مقدما باية فلسفة تقوم على انكار الروح او الخلود ، وهو الخطأ الجسيم الذي اوقع علم النفس القديم في الكثير من اخطائه .

ولا ريب ان علم النفس المعاصر يحاول ان يتدارك هذه الاخطاء وان يصحح موضع خطاه الضالة ، وان يصل الى نظرية اعمق فهما عن الذات من الماضي ، وبالتالي اقرب الى الواقع . ولا ريب ان حجر الاساس في هذا الاتجاه الحديث هو محاولة وضع تحديد صحيح لنطاق العقل الواعي بالنسبة للعقل الباطن . ثم محاولة تحديد نطاق العقل الباطن من ناحية صلته بمناشط اخرى للعقل تعمل عن طريق الاتصال بعقول الاخرين عن غير طريق الحواس المادية ، في اليقظة وفي النوم او الغيبوبة ايضا ، وهو ما يعبر عنه بمناشط الحاسة السادسة ، او الادراك عن غير طريق الحواس E. S. P.

وهذا كله من شانه ان يعطي للظواهر ، الخروج من الجسد ، قيمتها في تفسير بعض المشاهد والرؤى والاحلام ، وفي اعطاء العقل الباطن مسالك جديدة لتداعي المعاني ، لا يمكن ان يعترف بها اي علم نفس متخلف لا يسلم بصحة ظواهر هامة كهذه ، رغم ثبوتها تماما .

ولا يتسع المقام في هذه المقدمة العابرة للحديث في مشكلات العقلين الواعي والباطن ، التي لا تزال تتنازعها شتى الاراء والنظريات حتى الان خصوصا عند محاولة التمييز بين العقلين ، اي عند محاولة وضع حد فاصل بينهما ، وبالذات بحسب الكشوف الحديثة في علوم العقل والروح التي بدت اوثق اتصالا بهذا الموضوع من الخلافات المدرسية في مفاهيم علم النفس القديم .

ولعل بعض الابحاث المعملية الحديثة يلقي ضوءا جديدا على الصلة بين الشعور واللاشعور . وبوجه خاص تلك الابحاث التي كشفت عن وجود شائبة او حاجز بينهما عن طريق استخدام امواج الفا ، وجهاز تصوير الاهتزازات المنبعثة من العقل Oscillographs . فمن شان امواج الفا اخلاء المخ من مشاغله وتسهيل عملية التامل Meditation التي هي من صور العبادة الصوفية المعروفة في عدة بيئات دينية في الشرق والغرب . وعند استخدام امواج الفـا

● المعلومات
التي يقدمها
الخارجون
عـــن
أجسادهم



اتضح ان بعض الاشخاص الخاضعين للاختبار كان بمقدوره ان يرى رؤى متنوعة تماثل تلك التى يراها المتصوفون ، و « اهل الكشف » والوسطاء الروحيون .

والظاهر ان هذه « الشاشة » الموجودة بين الشعور واللاشعور لها صلة ايضا بالادرينالين « افراز غدة كائنة فوق الكلية » . اذ اتضح ان نقص الادرينالين قد يصحب منها . كما اتضح أن فيتامين ب ٣ قد يؤدى الى تعويض بعض هذا الضعف ، واذا ضعفت هذه الشاشة بطريقة مرضية مستديمة فقد يؤدى ذلك الى تعذر الرؤى الصحيحة ، وربما الى مرض الاشكيزوفرانيا . Schizophrenia او انفصام الشخصية .

وقد تضعف هذه الشاشة بطريقة ارادية غير مرضية . او قد تزول مؤقتا اثناء النوم فيرى النائم مشاهد متنوعة عن طريق اللاشعور قد يكون بعضها صحيحا . وقد تضعف بطريقة ارادية عابرة فى الغيبوبة المغناطيسية ، او الروحية ، وفى النشوة الدينية . كما قد تزول او تضعف بعد تخلص الانسان نهائيا بالوفاة من نشاط المخ ، والجسد الفيزيقى بوجه عام ، ولهما صلة وثيقة بنشاط هذه الشاشة الذهنية .

واذا تخلص الانسان من نشاط المخ . فان له نشاطا للجسد الكوكبى متحررا من المادة الفيزيقية وعاملا خلال « مادة » محض اثيرية ، لذا يطلق عليه الجسد الاثيرى ، او السيال ، او الرقيق . وهو جسد مفرط فى رقته ، ومرونته ، وخضوعه لتأثير العقل تأثيرا مباشرا فيه ، ومن ثم يبدو فى محله تماما الرأى القائل بان الطبيعة تدربنا على الموت عن طريق النوم ، وتشعرنا بوجود الحياة الاخرى عن طريق الاحلام .

صدق أو لا تصدق

ومن الاختبارات الفريدة فى الخروج من الجسد تلك التى جرت بمدينة نيس Nice بجنوب فرنسا ، فى غضون عامى ١٩٣٧ - ١٩٣٨ بداخل جمعية لتحقيق الظواهر الروحية ، وكان عميدها البروفسور ترولا Troula ، وقد سجلت مضابطها - فضلا عن ظواهر التجسد الواضح المؤيدة بالصور القاطعة التى لم تعد تحتمل اية مكابرة - ظواهر الطرح الروحى لجسم الوسيط او الوسيطة المؤيد بدوره ببعض شواهد لها دلالتها .

وهذه الدائرة تحمل اسما رمزيا « هو فيات لوكس » Fiat Lux وتصدر نشرة دورية تحمل خلاصة تجاربها ومن هذه التجارب ان السيدة هـ . جال H. Gall وهى وسيطة وفى نفس الوقت خبيرة بالتنويم المغناطيسى نومت السيدة ب فشوهد شبح هذه الاخيرة يقف الى يسارها .. ولاحظت تجمع سيال شبحى Fluide Fantomal فى الاقليم الحساس للوسيطة « تمدد منطقة الهالة » فوضعته فى قبعة ، وحولت هذه الى احد اعضاء الاجتماع طالبة منه أن يحدث وخزات بدبوس فى الهواء بحذر فى هذا الوعاء الذى صنعته الصدفة . وكل وخزة كان وسيط التنويم المغناطيسى يتألم منها وهو جالس .

وبعد ذلك احضرنا شاشة من خشب كانت مدهونة على احد جانبيها بمادة فوسفورية ، وعرضناها لمدة بضع دقائق امام المصباح الكهربائى المعلق فى السقف بهدف أن هذا الجانب الفوسفورى ، القادر على

تخزين الضوء ، يمكن في الظلام ان يبدو مضيئا .
وبعد ذلك اطفأنا النور ، وامسكت بالشاشة واخذ كل واحد يتفحص الجانب النظيف اللامع منها . ثم امرت الشبح الخارج من جسم السيدة ب . أن يأتي ويبين شكل يده على هذه الشاشة . وكانت اعيننا مصوبة دائما نحوه فشاهدنا جميعا يدا تتثبت . وكانت اولا باهتة وغير محددة . ثم صارت اكثر وضوحا ثم واضحة تماما ، ولما امرت اليد ان تبتعد ، انمحت تدريجيا في فترة تعادل فترة ظهورها
كررنا الاختبار مع شخص آخر هو الانسة ج . فجاء مرضيا تماما ، واخذت اليد تنتقل على الشاشة المضيئة بحسب رغبة الحاضرين . وعمدنا بعدئذ مع نفس الوسيطتين الى وسيلة اخرى للاختبار عن طريق العلامات المادية Stigmates فوضعت وعاء مغطى بطبقة من الرصاص Plomb على الارض في مواجهة الحاضرين ، على بعد ٢/١ متر من الوسيط النائم الذي طرح جسده الاثيري ، الظاهر للحاضرين .
وعلى غير علم منه ، امسكت امام الحاضرين بطبقة الرصاص ، واخذت في محاولة ان اوحي للشبح بفكرة انني سالصق به هذا الرصاص ، وهو ما سيترك كالرحتمي بقعة داكنة على جزء من بشرته عندما كان جسده الفيزيقي نائما . وبعد عمل بعض ، المجهمات ، استسلم الشبح فلمسته بالرصاص ، وعندئذ شاهد الحاضرون غسل اليد الفيزيقية للوسيط النائم ، ذبلا واضحا من معدن الرصاص يبدا من يديه ويمتد بطول الذراع .
واذا قيل بان هذا ايحاء عادي لوسيط التنويم المغناطيسي يدفعه احيانا الى الشعور باحاسيس وهمية يوحيها اليه المنوم فان هذا التعليل لا يصلح هنا مع ظهور ذيل داكن على كل يد الوسيط وذراعه الفيزيقية مع انه لم يلمس بنفسه وعاء الرصاص بل كان الاحتكاك بطبقة الرصاص عن طريق الجسم الكوكبي فحسب ، بدلالة وجود وعاء الرصاص على بعد ٢/١ متر من الجسم الفيزيقي للوسيط ، وعلى غير علم منه .
وهذه الظاهرة نبهت الباحثين الى نقطة هامة : وهي ان بعضهم كان يضع مادة ملونة على الاجسام التي تتحرك في الظلام تلقائيا ، حتى اذا كان في جسم الوسيط شيء منها بعد الجلسة فهذه علامة على التدليس ، لكن بعد الحصول على المزيد من المعرفة في هذا الشأن ، وبعد التحقق من ان ازدواج جسم الوسيط وهو في غيبوبته يمكن ان يلعب دورا او آخر في الظواهر الفيزيقية للوساطة ، اصبح وجود هذه العلاقة بجسم الوسيط لا يتعارض مع امانته ، وبالتالي ينبغي الاعتماد على وسائل اخرى للرقابة ، واخصها تقييد وثاقه او الامساك بيديه ، وتوصيله بمصابيح كهربائية تسجل عليه كل حركاته وسكناته ، اما وضع مواد لزجة او ملونة مماثلة عليها فقلما يجدي .

عن تصوير الجسد المغناطيسي الكوكبي في التنويم

يقول العلامة السويسري مونتاندون R. Montandon انه بعد احداث عدة تمريرات مغناطيسية كثيرة يمكن ان يحدث هذا الانفصال بين الجسدين الفيزيقي والكوكبي ، وانه شوهد في بعض التجارب المغناطيسية خروج غيمة من مادة بخارية من موضع او آخر من الجسم ، وانه عندما وصل هذا البخار الى درجة كافية من الكثافة فان العناصر



● الانطلاق بالجسد الروحي إلى مسافات بعيدة عن الجسد المادي

التي تكونه اتخذت امام بصر الحاضرين شكل سمال ذي لون احمر باهت من الناحية اليمنى ، ولون ازرق من الناحيــــة اليسرى ، ثم تجمعت معا في كتلة واحدة تكون عادة الى يسار الشخص « ناحيــة القلب » ثم اتخذ السيال شكل عمود بخاري يميل الى اللون الرمادي ، ثم اتخذ تدريجيا بالضبط شكل الشخص المنبعث منه . وهـــذا « المقابل » هو الذي يحوز حساسية الشخص ، وتربطه به نوع من رابطة سيالة هي الحبل الفضي الذي عن طريقه تجري القوة الحيوية المستمدة من المستودع الكوني العظيم ، والتي لا غنى عنها للحياة .

وكل مساس بهذا « الشكل البارز » يحدث اضطرابات تتفاوت في مداها في وظائف اعضاء صاحبه ، لذا ينبغي ان تجري مثل هــذه التجارب بحذر شديد من جانب المختبرين . وهذا المقابل المسمى بالجسم الحيوي هو الذي يحتفظ في اثناء الحياة الارضية بالعناصر الخام من الجسم الفيزيقي والتي تتجدد دواما اثناء الوجود الارضي كما هو معلوم .

وقد امكن تصوير هذه التجارب كما جرت في دائرة « فياتلوكس » بمدينة نيس بجنوب فرنسا ، فجاءت الصور قاطعة لكل شك ، او زعم بحدوث وهم او ايحاء ، على ما يتضح من الصور الاتية :

تصوير الجســـد الكوكبي في الغيبوبة الـــروحية

حدث ان التقطت صورة واضحة للجسد الكوكبي للوسيط جاك وبر Jack Webber عرضا . وهذه الصورة الفريدة التقطها مصور يدعى و. ج. كلايتون W. J. Clayton وهو ليس روحيا ، وكان موجودا في الجلسة لمجرد الاستعانة بخبرته بسبب الرغبة في تصوير بعض الظواهر الوساطية .

وكانت الظاهرة هنا هي فقدان تجسد « جاكت » الوسيط الى حد نزعها عنه ، واعادتها اليه وهو مقيد اليدين في مستوى المقعد الجالس عليه ، وهي ظاهرة تكرر حدوثها له الى حد ان اريد تسجيلها بالصور درءا لخداع الحواس . وقد التقط المصور هذه الصورة بسرعة ١/٥٠ من الثانية بضوء فلاش عادي .

ولا يمكن ان يقال ان الوسيط قد تعمد التضليل باحداث هذين الانطباعين المتجاورين ، لانه لو صح ذلك لكان عليه ان يقوم بسرعة ١/٥٠ من الثانية ، وبشرط ان تتوافق لحظة انطلاق ضوء « الفلاش » مع لحظة احداث الحركة المطلوبة بالضبط ، وهو ما يستحيل تماما تصور امكان حدوثه ومن ثم فان التعليل الوحيد هو انه كــــان للوجهين وجود حقيقي في وقت التقاط هذه الصورة .

وقال الروح المرشد للوسيط ان « الوجه الخـــارجي » هو الوجه الروحي للوسيط . ولا يوجد احتمال لاي تصور آخر عن هذا الوجه الخارجي ، الذي لا بد وانه يمثل المقـــابل الكوكبي او الروحي للوسيط .

والوجه الداخل لا يمثل الوجه العادي للوسيط وبر ، بل يصور حالة « تجلي لهيئة الروح المرشد » خلال وجه الوسيط Transfig وهو افتراض مقبول عندما يكون الجسد الكوكبي للوسيط خارجا عن جسده الفيزيقي ، ويكون الوسيط واقعا تحت الهيمنـــة . والوجه الخارجي وجه متكامل ، لكنه خال من اي تغيير . وحدود الوجهين دقيقة . وتشاهد العينان والفم في نفس المستوى لكن الاذنين ليستا

ظواهر الخروج من الجسد

كذلك مما يقتضي اجراء حركة دائرية Rotary motion حتى يدخل احد الراسين في الاخر . وهذه الحركة الدائرية تثبت ان ايا من الراسين ثلاثي الابعاد ، ذو طول وعرض وارتفاع ، وان الصورة ليست عبارة عن وجه مطبوع فوق وجه اخر على اللوح الحساس ، مما يقدم دليلا اضافيا على انتفاء احتمال العرض المزدوج Doubleex posure . وفي نفس الوقت لا يوجد اى راس فيزيقي ، لان الجزء الامامي من ، الراس الداخل ، في حالة فقدان تجسد جزئي Partial demat . كما يتضح من شفافيته . والجزء الغامق من الراسين هو نقطة تداخلهما معا الى الحد الذى يجعل الكثافة الناجمة عن اجتماعهما طبيعية .

والراس الكوكبي له عرضه كما يتضح من ملاحظة جنوح الشعر الموجود على الراس الكوكبي فوق شعر الراس الداخل . وهذا امر مفهوم اذا ادخلنا في الاعتبار الحركة الدائرية المشار اليها انفا .

ومنذ التقاط هذه الصورة حدثت عدة احداث لاحقة في دائرة وبر التدريبة اثبتت قدرة الارواح المرشدة على سلب الجسد الفيزيقي تجسده في بعض اجزاء منه ، وقد تحقق من ذلك بنفسه الاسقف موريس اليوت Maurice Elliot والاستاذ بيرلى Byerley وكانا حاضرين فدعاهما الروح المرشد لان يتحسسا موضع اليدين ، والذراعين المقيدتين الى المقعد ، فلم يجدا الا فراغا مطلقا ، وعند ئذ اعيدت اليدان والذراعان الى حالة التجسد من جديد . وهذه الصورة الفريدة للجسم كله ، الى اليمين ، ثم للراس والكتفين الى اليسار .

من مخاطر الخروج من الجسد

والخروج من الجسد رغم اهميته البالغة في الكشف عن الطبيعة الروحية للانسان ،وتعيين حقيقة موضعه في الكون ، له مخاطره ايضا شان الكثير من الظواهر الروحية اذا لم يجر التدريب والدراسة والتطبيق طبقا للاسلوب العلمي ، وفي اطار من الفهم والاعتدال والحذر والتنظيم . ويلخص اوليفر فوكس هذه المخاطر في سبعة احتمالات هي اولا : حدوث هبوط في القلب . ثانيا : حدوث خطا في تشخيص الحالة بانها وفاة وبالتالي دفن الشخص دفنا متعجلا . ثالثا : حدوث احتباس والتي بالضيق . رابعا : حدوث نزيف في المخ . خامسا : انفصال الحبل الاثيرى الذى يصل بين الجسدين الفيزيقي والكوكبي . وهذا معناه حدوث الوفاة ، اى الطرح الروحي النهائي . . سادسا : تاثر الجسد الفيزيقي بما قد يعانيه الجسد الكوكبي من متاعب . سابعا : حدوث مس او استيلاء على الجسد الفيزيقي بمعرفة كائن غير متجسد .

ورغم تسليم فوكس بهذه الاحتمالات فانه لا ينصح بالعدول عن التجريب او عن البحث وراء الحقائق باخلاص ومثابرة ....

الانتقال بالجسد الفيزيقي

الخروج بنفس الجسد الفيزيقي ، حيث ينتقل الوسيط بجسديه الفيزيقي والكوكبي معا بوسائل غير مالوفة عبر الجدران والسقوف والصناديق المغلقة والمسافات البعيدة ، هي ظواهر اندر بكثير من ظواهر الطرح الكوكبي الواعي ، وتمثل في حقيقتها ظواهر مركبة من الارتفاع التلقائي levitation والمجاوبات الروحية

مشكلة التمييز بين نعقنين الوعى والباطن

Psychic Apports عندما تكون حية ، والانتقال بالجسد ظاهرة قديمة وهي ليست ظاهرة جديدة بالمرة ، بل نجد منذ « العهد القديم » اشارات كثيرة صريحة عنها · من ذلك ـ بتسلسل تاريخي ـ ما ورد في سفر حزقيال الاصحاح العاشر الآية الاول « ثم رفعني روح واتي بي الى باب بيت الرب الشرقي المتجه نحو الشرق ، واذ عند مدخل الباب خمسة وعشرون رجلا رايت بينهم يازنيا بن عزور وفلطيا بن بنايا رئيس الشعب ·· » وما ورد عن ايليا عندما كان يمشي مع اليشع فحملته الريح ، وعن حبقوق عندما حمل من اليهودية الى بابليون حتى يحضر طعاما لدنيال النبي في جب الاسود ثم اعيد ثانية الى اليهودية ·

كما ورد في العهد الجديد عن القديس بطرس عندما كان مسجونا ، وفك الملاك قيوده واخرجه من السجن ·· « فقال بطرس وهو قد رجع الى نفسه ، علمت يقينا ان الرب ارسل ملاكه وانقذني من يد هيرودس » اعمال الرسل الاصحاح الثاني عشر ··

وورد فيه ايضا عن حبس جميع الرسل « ولكن ملاك الرب في الليل فتح ابواب السجن واخرجهم ·· ولكن الخدام لما جاءوا لم يجدوهم في السجن فرجعوا واخبروا قائلين اننا وجدنا الحبس مغلقا بكل حرص ، والحراس واقفين خارجا امام الابواب ، ولكن لما فتحنا لم نجد في الداخل احدا » اعمال الرسل الاصحاح الخامس « ١٧ ـ ٢٣ » ·

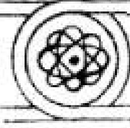
وورد فيه ايضا عن فيلبس عندما كان في غزة انه « لما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس ·· وذهب في طريقه فرحا · واما فيلبس فوجد في اشدود » اعمال الرسل ٨ : ٣٦ ـ ٤٠ » ويراعى ان المسافة بين غزة واشدود ثلاثون ميلا ·

وقصة الاسراء والمعراج يعرفها الجميع · وقد وردت الاول في الاية الكريمة من سورة الاسراء : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » · اما الثانية فقد وردت في سورة النجم : « ما كذب الفؤاد ما راى · افتمارونه على ما يرى · ولقد رآه نزلة اخرى · عند سدرة المنتهى · عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى · ما زاغ البصر وما طغى · لقد راى من آيات ربه الكبرى » · من الاية رقم ١١ ـ ١٨ » ·

ويقول المرحوم الاستاذ احمد فهمي ابو الخير في هذا الشأن :

« انقسم الناس بين مصدق ومكذب ، واختلف المصدقون فيما بينهم هل كان الاسراء والمعراج بالجسم ، ام المعراج بالروح والاسراء بالجسم ، ام الاسراء والمعراج جميعا بالروح ·· وقد كفى العالم الروحي الحديث البحاث في هذا الصدد مئونة البحث · وفي ظواهر « طرح الجسم الروحي » و « المنقولات الروحية » و « مرور مادة خلال مادة » ما يمكن به اثبات مكنة حدوث الاسراء والمعراج بالروح ، او بالجسم والروح معا ·

ولهذه الاعتبارات نفسها كتب المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي في مقدمة كتاب « حياة محمد » لمؤلفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل يقول : « وعلم استحضار الارواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون ، واعان على فهم تجرد الروح ، وامكان انفصالها ، وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الابعاد » ●



راجى عنايت

الكلور يفسد الشعر



تمضية الوقت فى حوض السباحة اثناء شهور الصيف الحارة ، تكون متعة ورياضة وفائدة صحية .. لكنه يكون بلاشك مصدر خطر على شعرك ، خاصة اذا ما كانت نسبة الكلور فى حوض السباحة مرتفعة .

لقد اكتشف بوب جوبتا ، الباحث فى جامعة نورث كاليفورنيا ، باستخدام الميكروسكوب الالكترونى ، ان الكلور يعمل على تعميم السطح الخارجى للشعرة ، ويزيل الحزوز والحراشيف التى تتوزع على سطحها ، وتحمى تكوينها الداخلى ..

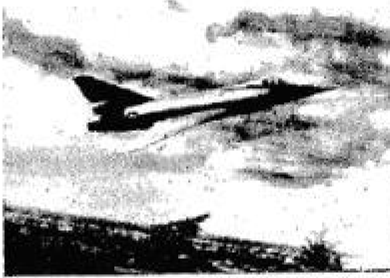
وقد لاحظ جوبتا أن بقاء الشعر فى الماء المعالج بالكلور لمدة ١٠ ساعات يحدث اضرارا ملحوظة فى شعر الانسان. وان نعومة سطح الشعرة يجعلها ضعيفة وقابلة للتقصف عند تمرير الفرشاة على الراس .

وهو يجرى ابحاثه حاليا لابتكار دهان للشعر يحميه من آثار الكلور الموجود فى حمامات السباحة .

الطائرات النفاثة.. والطقس

هل يتاثر طقس الكرة الارضية ، بحركة الطيران المتزايدة للطائرات النفاثة؟ لقد تمت دراسة على حركة الطيران النفاث وعلاقتها بالمناخ فوق مساحة واسعة وسط الساحل الغربى للولايات المتحدة ، من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٤ .. وتبين ان الذيل البخارى الابيض الذى تخلفه الطائرات النفاثة خلفها عند طيرانها فى طبقات الجو العليا يتسبب فى زيادة قدرها ١٠ فى المائة فى تكوينات السحب فوق المنطقة .

والمعروف ان الذيل الذى تخلفه الطائرة النفاثة خلفها ، ينتج عن اصطدام عادم



الطائرة الساخن المحمل ببخار الماء ، بطبقات الجو العليا الباردة . عند ذلك يتجمد الماء الذى فى العادم مباشرة ، مكونا السحابة الطويلة التى تظهر خلف الطائرة . يقول علماء الطقس ان هذه السحب مع تزايد حركة الطيران الثلاث يمكن أن تساعد على خفض نسبة اشعة الشمس التى تصل الى الارض نهارا.

أفلام العنف تؤثر على السلوك

الجماعات النسائية الغاضبة بالولايات المتحدة الامريكية ، تنادى بمنع عرض الافلام التى تصور معاملة الرجل للمرأة معاملة عنيفة قاسية ، لان ذلك يشجع الرجال على سلوك نفس المسلك فى حياتهم العادية . وقد تصدى لبحث هذه المسألة جماعة من علماء النفس بجامعة مانيتوبا .. والنتائج الاولى لبحثهم تشير الى أن الجماعات النسائية كانت محقة فى غضبها . .

من بين الابحاث ، ما قام به العالمان النفسيان نيل مالاموث وجيمس تشيك من دراسة على ٢٧١ متطوعا من الطلبة والطالبات ، دون أن يعرف أحد من المتطوعين شيئا عن الموضوع الحقيقى للدراسة ، اكثر من انها محاولة معرفة آرائهم فى بعض الافلام السينمائية

تم تقسيم الطلبة الى مجموعتين ، عرض على المجموعة الاولى ، فى امسيتين متتاليتين ، فيلمان يصوران العنف الجنسى ، ويتضمنان مشاهد بها اعتداء بدنى على النساء واغتصابهن عنوة ، وكانت النساء فى هذين الفيلمين تبدين اعجابهن باللذين يعتدون عليهن . أما المجموعة الثانية من الطلبة فقد عرض عليهم فى الامسيتين ، فيلمان عاديان،فى دار اخرى للعرض السينمائى ..

بعد عدة أيام من عرض الافلام الاربعة، طرح المحللان استخبارا عاما على جميع المتطوعين ، بالاضافة الى باقى طلبة نفس السنة الدراسية ، على اساس انه استخبار روتينى من الاستخبارات التى تجريها اجهزة قياس الراى العام من حين لآخر .

كانت أسئلة هذا الاستخبار ، والتى بلغ عددها ١٠٢ أسئلة ، تتصل كلها بموقف الشخص من العنف الجنسى ، ورايه فى استخدام العنف مع المرأة ، وقد تضمنت الاسئلة مثلا ، " هل تحترم المرأة فقط ذلك الرجل الذى يخرق القانون من اجلها ؟ » ، او " هل توجد لدى الكثير من النساء رغبة لاشعورية فى أن يجرى اغتصابهن عنوة ، وهل يسعين بطريقة لاشعورية الى ترتيب المواقف التى تؤدى الى اغتصابهن ؟ ». وكان على الطلبة أن تتدرج اجاباتهم من « لا اوافق بالمرة » ، حتى « اوافق تماما» اثبتت نتيجة الاستخبار أن المجموعة الاولى من الطلبة ، كانت اكثر ميلا للعنف الجنسى مع المرأة من باقى الطلبة.





منظر الأكل يزيد الوزن

لابد انك سمعت يوما احد الذين يعانون من السمنة ، وهو يقول على سبيل المبالغة " مجرد النظر الى الطعام يزيد في وزني ! . » .

والتجارب التي جرت اخيرا ، تفيد ان هذه المبالغة الساخرة تستند الى حقيقة علمية ، تقول ان رؤية الطعام ، او تشمم رائحته ، او سماع صوت انضاجه على النار ، يؤدي عند بعض الذين يعانون من السمنة ، الى المزيد من الوزن .

لقد اكتشفت العالمة الفسيولوجية جوديث رودان من جامعة ييل الامريكية ، ان الاشخاص الذين يعانون من السمنة الزائدة يفرزون قدرا كبيرا من الانسولين عندما ينظرون الى الطعام او يتشممون رائحته او يستمعون لأزيزه فوق المقلاة . بل انهم يفرزون قدرا اكبر من الانسولين اذا تم هذا بالنسبة لطبقهم المفضل ، او نوع الطعام الذي يحبونه اكثر . ومن خواص هرمون الانسولين انه يعجل بتحول السكر في الدم الى دهون .

قامت العالمة جوديث رودان مع بعض مساعديها بتجربة على مجموعة من الاشخاص ، حرمتهم من الطعام لمدة ١٨ ساعة . وكان المساعدون ياخذون عينات من دم الاشخاص الذين جرت عليهم التجربة من وقت لآخر وعندما احضرت امام الاشخاص قطعة لحم شهية ناضجة ، تصدر ازيزها داخل المقلاة ، وتنشر الرائحة الشهية في المكان ، وعدت الباحثة كل واحد منهم بواحدة من قطع اللحم هذه . وعندما قيست عينة الدم اكتشفت الباحثة ارتفاعا كبيرا في نسبة الانسولين ، قبل أن ياكل أي منهم شيئا من اللحم وبعد مجرد الوعد بتقديمه.

ثروة من شرش اللبن

اتحاد شركات منتجات الالبان بانجلترا انفق مليون جنيه استرليني لبحث وسائل الاستفادة من الف مليون لتر من " شرش » اللبن ، تنتج عن صناعة الجبن ، وكانت تاخذ طريقها الى شبكة المجاري . لقد نجح العلماء في تحويل " شرش » اللبن الى بروتين لغذاء الحيوان ، وسكر سائل يستخدم في الصناعات الغذائية .

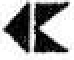
لقد قام اتحاد منتجي الالبان بعدة محاولات سابقة للاستفادة من هذا القدر المهدر من "شرش" اللبن، عن طريق الترشيح الدقيق، لكن هذه المحاولات لم تكلل بالنجاح في استخلاص سكر اللاكتوز الموجود في ذلك «الشرش» بنسبة ٥ في المائة.

لقد نجح العلماء في الوصول الى هدفهم باستخدام انزيم خاص، يوفر استخلاص البروتين وسكر اللاكتوز من «الشرش». والاهم، ان هذا الانزيم الذي يستخدم كعامل مساعد لا يستهلك اثناء عملية الاستخلاص بسهولة. فالانزيم المستخدم يصلح للعمل على مدى ٢٥٠٠ ساعة عمل.

لقد بدات بالفعل خطوات استثمار هذا الكشف، واستكمل المشروع التجريبي للاستفادة من «الشرش» اللبن، وهو يستخلص البروتين والسكر من عشرة آلاف لتر من «الشرش» يومياً. ويؤكد العلماء أن طاقة المشروع عند انتظام العمل به يمكن أن تصل الى ضعفين أو ثلاثة اضعاف. والمدير الفني للمشروع، جوردون كوتوف، يقول ان شركات كادبوري للحلوى، وشويبش للمشروبات، ومارس للشيكولاتة تسعى حاليا للاستفادة من خبرة هذا المشروع.

ذبابة الفاكهة حياة سعيدة وقصيرة

في جامعة ادنبرة بانجلترا، تجرى الابحاث حاليا لمعرفة العلاقة بين النشاط الجنسي لذكر حشرة ذبابة الفاكهة، وطول عمره. توصل الباحثون الى أن



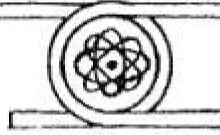
الذبابة الذكر التي ترغم على حياة التطهر والعزوبية تعيش في المتوسط حوالي ٥٦ يوما.. واذا سمح للذكر بان يتصل بانثى واحدة في اليوم، فان متوسط عمره ينخفض عن ذلك. اما اذا سمح للذبابة الذكر ان تتصل بثماني اناث في اليوم، فان متوسط العمر ينخفض الى ٤٠ يوما فقط.

وعند بحث اسباب هذه الظاهرة، توصل العلماء الى أن الجهد الفسيولوجي المبذول من الذكر، لا يقتصر فقط على عملية الاخصاب، وانتاج اللقاح، وجهد الاتصال الجنسي ذاته. بل انه يبذل جهدا فسيولوجيا كبيرا في البحث عن الأنثى المناسبة، ثم ما يستتبع ذلك من مغازلات ضرورية.

ترام العتبة وارض عطارد



نظلم الرجل الذي اشترى الترام من ميدان العتبة، عندما نتهمه بالغفلة والسذاجة. لقد نشرت مجلة ساينس ديجيست الامريكية تحت عنوان، اشتر ارضا على كوكب عطارد، تقول «اذا كنت قد ضقت بحياتك على الارض،



وتريد أن تهرب من مشاكلك كلهـــا دفعة واحدة ، حاول أن تبـــدأ بداية جديدة على سطح كوكب عطارد » .

الغريب أن الجهة التى تبيع الاراضى فوق كوكب عطارد ، جهة بحث علمى هى « الجمعية الفلكية للباسيفيكى » .وهى تمنح أراضى عطارد لأولئك الذين يقدمون الهبات المالية للجمعية ، لمساعدتها فى نشاطها التعليمى والعلمى الذى لايحقق لها عائدا ماديا .

الجمعية الفلكية وضعت تسعيرةلأراضى عطارد ، وهى تسعيرة مغرية للغاية . ادفع فقط ١٥ دولارا وتسلم وثيقةتمليك لقطعة ارض تبلغ مساحتها ١٤ الففدان واذا دفعت ٣٠ دولارا ، تتسلم ٥٦ الف فدان ، بالاضافة الى لوحة بركانية .. اما الطموح الذى يدفـــع ٥٠ دولارا فسيصبح من كبار اصحاب الاقطاعيات فى عطارد ، يمتلك ١٢٦ الف فــدان .

كل من يتقدم بهبة الى الجمعيـــة الفلكية ، تسلمه شهادة تمليك الارض، ومعها صورة مكبرة لسطح كوكب عطارد، كما التقطتها مارينر ١٠ ، وقد حددت على الخريطة مساحة الارض التى تخص صاحب الهبة .

تقول مجلة ساينس ديجيســـت ، المعروف أن درجة الحرارة فوق عطارد تصل بعد الظهيرة الى٤٢٧ درجة مئوية ، ورغم ان هذه الحرارة غير كافية لصهر معدن الرصاص، الا انها أعلى منالدرجة التى تحتاجها لشى اللحوم ! . كمـــا تقول ان صاحب قطعة الارض اذا نجح فى التغلب على مشكلة درجة الحرارة المحرقة فوق سطح الكوكب ، فيمكن أن يستمتع بعمر طويل يصل الى ٣٠٠ سنة ذلك لأن سرعة الكوكب فى دورانه حـول الشمس اكبر مـن سرعة دوران الارض حولها .

فقـرات قصـيـرة

● اذا مابقى معـــدل تزايد سكان العالم على حاله، اى بزيادة ٢٪ فى المائة كل عام ، فان وزنسكان الارض بعد ١٨٠٠ سنة سيعادل وزن الارض نفسها .

● فى استراليا توجد دودة أرض عملاقة يصل طولهاالىحوالى ٣ أمتار .

● العظام البشرية من حيث قدرتها على تحمل الاثقال تصل الى قدرة الحجر الجرانيتى .

● قبل الفقس مباشرة، تبدأ بعض الافراخ فى التنفس داخــل البيضة ، متبادلة اشـــارات صوتية ضعيفة مع البيضالمجاور فى العش ، حتى تتـــأكد من أن الجميع سيفقس فى نفس الوقت.

● الكبد ، أكبر مصـــنع للتمثيل الغذائى فى الجسم ، له قدرة عجيبة على التجدد . ولو أننا ازلنا اربعة اخماس الكبد، فان الخمس الباقى يواصــــل عمله ، ويعمل على اعادة بنـاء الكبد خلال عدة شهور . ●

طرق جديدة في :

الحرب ضد السرطان

تماضر عفيفي



● وسائل جديدة في الطب النووي تكشف عن السرطان

● نسبة الأمل في الشفاء من السرطانات أصبحت ٨٦٪

● في المعامل الحديثة اكتشف العلماء طرقا جديدة لتشخيص وعلاج السرطان ، تبعث الأمل في نفوس المصابين به .. ففي المعامل استطاع العلماء كشف الكثير من الغاليع وخرجت من هذه المعامل الحقائق التالية :

● العلاج بفيتامين (أ) ●

ان الجرعات اليومية من هذا الفيتامين ثبت انها تحسن بصورة ملحوظة في معدلات الشفاء للمرضى بالورم الفيتاميني وهو ورم خبيث يصطبغ باللون الاسود ، وهذا ما اثبتته الدراسات الاولية في جامعة اريزونا . وتجرى هذه الابحاث على حوالى ٨٠ مريضا بعد ازالة هذا الورم جراحيا. وقد تم تقسيم هؤلاء المرضى الى قسمين، وأعطى نصفهم « فيتامين آ » مع لقاح المناعة . والنصف الآخر أعطى اللقاح فقط .

وقد وجد الاطباء آنه بعد مرور ١٨

شهرا ان ٣٦ مريضا من الاربعين الذين اخذوا هذا الفيتامين ما زالوا على قيد الحياة بالمقارنة ب ٢٠ فقط من القسم الاخر . ويقول د. فرانك ميسكن « ان هذه النتائج مشجعة للغاية فهذه طريقة مختلفة تماما في علاج السرطان » .

ومع هذا فان الاطباء يحذرون من الجرعات الزائدة لهذا الفيتامين . وان كان الاطباء استطاعوا التغلب على الاعراض الجانبية للعلاج به .

● سرطان الثدى والموجات فوق الصوتية ●

قام الاطباء فى مدرسة انديانا للطب بالجمع بين الموجات فوق الصوتية واشعة اكس للكشف عن سرطان الثدى وقد ادى ذلك الى دقة التشخيص بنسبة ١٠٠٪

وعلى مدى اربع سنوات قامت الدكتورة باتريشيا هاربر واليزابيث كيلى فراى بفحص حوالى الف وثمانمائة مريضة تراوح اعمارهن بين ١٢ و ٨٠ سنة .

وبتطبيق هذه الطريقة عليهن استطاعتا تشخيص ٥٥ حالة سرطان و ١٥١ اورام حميدة و ٣٧٢ اكياس مختلفة .

وفى هذه الدراسة ، اثبتت الموجات فوق الصوتية انها افضل من الاشعة العادية فى التشخيص وخاصة فى النساء الصغيرات السن ، لكثافة بنيان وتركيبة الثدى لديهن .

● فيروس السرطان ●

لاول مرة استطاع العلماء معرفة ان الفيروس هو سبب الاصابة بالسرطان .

ففى المعهد القومى للسرطان . تمكن د. روبرت جالو وفريق الاطباء الذى يعمل معه من عزل حامض الريبوز النووى (ر ن ا) من الفروس فى الخلايا المصابة للمرضى بسرطان الدم واورام الغدد الليمفاوية والتى تظهر فى البالغين .

ويقول د. جالو « اعتقد ان هذا الفيروس هو الذى يسبب سرطان الدم ولكننا حتى الان لا نعرف سبب انتقاله ، لان الدراسات اثبتت انه ينتشر فى اليابان ومنطقة البحر الكاريبى واللتين ترتفع فيهما نسبة الاصابة بسرطان الدم .

ومن المعروف ان الفيروسات (ر.ن.ا) تسبب سرطان الدم والاورام الليمفاوية فى الحيوانات وقد قضى العلماء سنين عديدة يبحثون عن مثل هذه الفيروسات فى الانسان المصاب .

ويبشر هذا البحث بمعرفة الفيروسات المختلفة والتى تسبب انواع السرطان الكثيرة للانسان كما يقول الدكتور دوشر الذى يرى ان الفيروسات قد تكون السبب فى كل انواع سرطان الدم والعظام والثدى .

● الاورام التى تسبب ارتفاع ضغط الدم ●

باستخدام وسائل جديدة فى الطب النووى ، فان الاطباء استطاعوا الان تحديد اماكن الاورام والتى تسبب ارتفاع ضغط الدم المميت .

وتتحسن حالة هؤلاء الناس اذا ما ازيلت هذه الاورام . وقبل هذه الوسائل الجديدة فان الطرق العادية كانت تفشل فى معرفة اماكن الاورام فى الاماكن المختلفة من الجسم . ولكن فى جامعة ميتشجن تمكن الاطباء من استخدام عامل جديد اشعاعى النشاط ، يتم تركيزه على مثل هذا النوع . وقد اجريت هذه الدراسة على حوالى ٤٠ مريضا استطاع الدكتور جيمس سيسون معرفة اماكن الاورام عند ٣٧ منهم .

وضغط الدم المرتفع المتسبب عن هذه الاورام يمكن معرفته عن طريق العرق الكثير غير المتوقع ، وارتفاع معدل دقات القلب وفى ١٠٪ من هؤلاء المرضى تعتبر هذه الاورام اوراما سرطانية .

الموجات فوق الصوتية أفضل من الأشعة فى العلاج

● تقدم فى علاج مرض هودجكن ●

وهذا المرض عبارة عن ورم سرطانى ليمفاوى . ومن طريق استخدام نظام دوائى جديد مع العلاج بالدواء العادى تحسن المرضى بهذا المرض بصورة كبيرة، لتتاح لهم فرص اطول فى الحياة .

ـ وقد اعلن عن هذه الطريقة الجديدة الدكتور جيانى بونادونا بعد دراسة على حوالى ٢٠٠ مريض رقمت هذه الطريقة الامل فى شفاء ٨٦٪ منهم .

ويعرف هذا النوع الجديد باسم (ايه ـ بى ـ فى ـ دى) ويستعمل مع (الادرياميسين ـ البلوميسين ـ فنبلاستين ـ ديكاربيزين) .. وقد ثبت انه بتناوب استعماله كل شهر مع الدواء العادى ، فان حوالى ٩٥٪ من المرضى شفوا من الورم نهائيا و ٨٦٪ خلت اجسامهم من المرض خمس سنوات بعد ذلك ●

كتاب جديد



سقوط عالم الغابة

تاليف : روبرت بنديز

● كثيرون لا يعتبرون انقراض بعض الحيوانات امرا ذا اهمية ، فان سطح الارض تمشى فوقه اجناس كثيرة من الحيوانات المتوحشة والاليفة ، واذا كان علينا انقاذ الحيوانات المهددة بالانقراض، من مصيرها هذا ، فهل من الضرورى أن نضعها خلف قضبان فى حدائق للحيوان؟!

فى هذا الكتاب الهام صفحات تتناول هذه الامور وتعرض الكثير من الحقائق عن حدائق الحيوان . فهو يشرح بوضوح حقيقة حدائق الحيوانات الحديثة، ولماذا تلعب دورا حيويا ومتزايدا فى عالم اليوم الصناعى الذى نحيا فيه ..

وقد لاحظ «بنديز» اننا كبشر قد تغير شعورنا تجاه الحيوانات المفترسة وبالتالى فان حدائق الحيوان قد تغيرت بصورة بطيئة ولكن باطراد .

وقد خرج بهذا الانطباع بعد زيارة لحوالى اربعين حديقة حيوان فى جميع انحاء العالم .

وبتقليل عدد الاجناس المعروضة على الناس ، فان الحدائق الجيدة تستطيع توفير حياة افضل للحيوانات القليلة العدد .

وتحدث بعد ذلك عن وسيلة نقل الحيوانات معتقدا أن النقل الجوى افضل بكثير من النقل فى السفن او السيارات حيث يخفف العبء عن الحيوان من الرحلة الطويلة ومن العوامل غير الصحية التى قد يتعرض لها .

● وقد قدم المؤلف مناقشة مقنعة للغاية للمحافظة ولتحسين الحدائق الحيوانية ، وقال ان الانسان اذا سمع بانقراض الحياة البرية وحيوانات الغابة، فربما صار مهددا هو نفسه بالانقراض او على الاقل بالكآبة التى ستسود العالم بدون هذه المخلوقات ، لالتصاقه بها عاطفيا ولارتباطه معهما فى تاريخ طويل متصل ●



شركة واشنطن للاستيراد والتصدير والتوكيلات التجارية من أجل خدمة شعب المنصورة ودمياط

الاستاذ / عبد العزيز عبده عبد العزيز شركة واشنطن للاستيراد

هذه الشركة اختـــارت مكانا لنشاطها داخل ريف مصر ، فى المنصـــورة وهو اختيار ذكى .. لان مهمتهـــا هى التوكيــلات التجارية ، وتقديم الســـيارات والجرارات الزراعيــة وماكينات الرى ، والاطارات الكاوتشـــوك وقطع الغيار . والاجهــــــزة الالكترونية . وهـــذا ما يريده الريف المصرى بلا شك .

فى لقاء مع السيد عبد العزيز عبده عبد العزيز ، صاحب شركة واشنطن للاستيراد والتصدير .. تحدث عن انشطة الشركة ، التى تقوم بها فى خـــدمة محافظتى الدقهلية ودمياط ، يقول :

ـ ان الشركة تقوم بالتجـــارة فى الاجهزة الالكترونية على أحدث طرازاتهـا وموديلاتها المختلفة ، وبالجملة وبالتقسيط المريح بالنسبة للمستهلك ، مع وجـود مركز صيانة على مستوى عال من الخبرة والكفاءة .

ان الشركة دائما على استعداد لتلبية طلبات عملائها ، وخبراؤها ومهندسوها على استعداد فى اى وقت لتركيب الجهاز الصالح للمستهلك فى المكان الذى يريده .. كما ان الشركة بالاضافة الى ذلـك يذهب خبراؤها ومهندسوها المتخصصون بالاجهزة الى منازل العملاء ، حتى تضمن سلامة الاستعمال والتشغيل .

● وما هى الانواع التى تقوم الشركة باستيرادها ؟

يقول السيد عبد العزيز عبـــده عبد العزيز :

ـ الاجهزة الالكترونية بجميع انواعها وقطع الغيار اللازمة لها . كذلك تقوم الشركة باستيراد السيارات بجميــــع انواعها ـ نقل وملاكى ـ كما تقـــوم بخدمة الفلاح المصرى ، والمساهمة فى حل ازمة الامن الغذائى ، وذلك عن طـريق بيع الجرارات الزراعية بالتقســـيط المريح .. مساهمة فى رفع مســـتوى الانتاج بالنسبة للثروة الزراعية .

● وما هى الضمانات التى تقدم للعملاء .. ومدى صلاحية هذه الضمانات؟

ـ عندما يقوم المستهلك بشراء الاجهزة من الشركة ، تعطيه الادارة « كارت » ضمان موقعا عليه ، وبه عنوان شركة الصيانة المختصة ، وتقوم الشركة باجراء اللازم بموجب هذا الكارت مجانا .. وتستمر صلاحية « كارت » الضمان بانتهاء دفع الاقساط .

ويذكر هنا أن الشركة لها شركة تتبعها للصيانة هى شركة « راكوا » الهندسية ، وهى التى يوكل اليها اعمال الصيانة ، ولها فروع فى القاهرة والمنصورة .

● هل هناك فى الشركة قسم خاص لدراسات السوق وطلب الذوق المصرى؟

ـ الشركة لديها لنبون يدرسون السوق المصرى من خلال دراسة نوعية الذوق من حيث البساطة فى الاجهزة ، وغير معقدة فى الاستخدام بالنسبة للمستهلك . كما تقوم الشركة بتقديم أسهل الوسائل من كيفية التشغيل الاجهزة واستخدامها .

● ما هى الخدمات التى تقدمها شركة واشنطن للاستيراد والتصدير والتوكيلات التجارية للجمهور وتاجر الجملة ؟

ـ تقوم الشركة بالكثير .. فهى تقدم خدماتها للجمهور وتاجر الجملة معا . انها توصل الاجهزة والمعدات بأسطولها ، وخبراء مصريون على مستوى .

● ما هى أهم ما تتميز به الشركة من مثيلاتها ؟

ويجيب الحاج عبد العزيز عبده عبد العزيز صاحب الشركة :

ـ اولا فان الشركة تهتم براحة المستهلك وتاجر الجملة . وهذا هو السبب فى الرواج الذى تلمسه الشركة رغم انها حديثة النشأة .

والواقع أن الشركة قد صارت من كبريات الشركات الموجودة فى الدقهلية ، ووكيلة من شركة « سونى » العالمية على مستوى محافظة الدقهلية ، وكذلك منتجات شركة النصر للتليفزيون على مستوى الدقهلية ودمياط .

كما تقوم الشركة حاليا بتلبية جميع رغبات المستهلكين من متوسطى الدخل .. باستيراد ارقى الاجهزة وباقل التكاليف ، مع تسهيلات كبيرة فى الدفع .

ان الشركة دائما تحوز ثقة عملائها وبهذه المناسبة تقدم الشركة وجميع العاملين تهنئتها لشعب الدقهلية بمناسبة احتفالاته بعيده القومى .. الذى هو تحقق بفضل انتصار أهل المنصورة ومصر على لويس التاسع فى حملته على مصر

كما تشكر الشركة فرع البنك الاهلى بالمنصورة على مجهوداته لخدمة عملائه .

وتتقدم بوافر الشكر لرئيس مجلس ادارة البنك الاهلى وجميع العاملين به ... راجين الله التقدم والازدهار من أجل خدمة مصر وشباب مصر ●

سيناء الشمس

عبد الشافى داوود



سيناء عادت تكتب الإباء
وتكتب الشروق بالجهاد والقلم
ومصر عادت تعتلى القمم
والشمس حانيه ...
ورديه الدفء الطليق
تعانق المروج بالقبل
وتلطم المدائن البيضاء
فتورق المقل
حرية الوطن ...
العلم الساطع
بمكانة تبارك السحب
فتنجلى لشمسها المكابره
وتقف السنابل الشماء فى خشوع
وفى العيون فرحة الرمال تصطخب
ويمزج القمح مع المطر
ويفرخ القمر
ضوءاً فريداً خالداً ...
غنوا مع الرياح والسهول والقمر



غنّوا حرارة الرّمال السّاحره
وعودة التّلال والثمر
غنّوا معى ...
حلم الشّهيد حين عانق التراب
وذاب نورا يرفع العلم
ليكتب الخلود فى كتاب
مصر الحياة قلعة الزّمن !
الغنوة الفريدة المسافره
عادت ..
لتسمع الآفاق إيقاع الشموخ
« فوق القلاع الرّابضه
يسمو أبو الهول يرتّل الطقوس
يمحى حضارة الشموس »
وتسمع الصّلاة فى مآذن النبوغ
أنشودة الأجيال فى حبّ الوطن
سيناء عادت للأيادى الواعدة ...
ترنيمة للنّيل فى عمق الخلود
وتصدح الأصداء
حرّيّة الوطن ...



ابتسامات



● اول مرة ●

اوقف « الكونستابل » فتاة كانت تقود سيارتها بسرعة كبيرة ، وقال لها وهو يخرج مفكرته من جيبه ليدون رقم سيارتها « لقد كنت تقودين سيارتك بسرعة تزيد على الحد المسموح به » .

فنظرت اليه باسمة ، وقالت : « اليس ذلك عجيبا برغم ان هذه هي اول مرة اقود فيها سيارة » .

● احب النساء ●

سألت احدى السيدات نابليون بونابرت من احب النساء اليه ، فقال : « زوجتي » فسألته « ومن هي المرأة التي تعجب بها اكثر من غيرها ؟ » .

فقال : « البارعة في تدبير المنزل » والمرأة سألته عن السيدة الاولى في نظره ، فقال : « هي التي انجبت اكبر عدد من الاطفال » .

● يحب اعداءه ●

قال الواعظ لاحد العمال :

« ينبغي ان تحب اعداءك » فاجابه هذا قائلا : انني افعل ذلك بطبعي يا سيدي ، فانا احب الرودم ، والويسكي » .

● اعظم من اينشتاين ●

في اجتماع ضم لفيفا من الرياضيين ، اخذ احدهم يشرح نظرية اينشتاين في النسبية وبعد ان ظل نحو نصف ساعة يتحدث عنها ، قال له احدهم : « انك اعظم من اينشتاين .. فقد قيل ان اثني عشر عالما فقط يفهمونه .. اما انت فلا يفهمك احد » .

الشركة الشرقية

على المستوى الدولى

تفوز بكأسين و٣ ميداليات ذهبية

تعتبر الشركة الشرقية للدخان والسجاير ـ وهي احدى شركات وزارة الصناعة والثروة المعدنية ومن معالم محافظة الجيزة ـ اكبر شركات السجاير فى الشرق الاوسط قاطبة، ويحرص كل من يهتم بالتقدم الصناعى فى مصر على زيارتها باعتبار انها احدى النماذج الرائدة للصناعة المصرية المتطورة بالمستحدث من الماكينات والالات والمعدات

وليست خبرة ستين عاما وحدها تكفى لان تصنع هذا الصرح الشامخ . وانما كان وراء ذلك جهد أبنائها الاوفياء الذين اعطـــوا بسخاء ، خاصة بعد تمصير الشركة عام ١٩٥٧ .. تم تأميمها عـــام ١٩٦٣ .. واصرارهم على أن يحققوا اقصى انتـــاج مع ارفع درجة من الجودة .. وبمشـــيئة الله وبعزم الرجال سيتحقق هدف هذه العـــام خلال السنة المالية ١٩٨٢/٨١ والمقدر بـ ٢٧ مليار سيجارة ، وسيتم تجاوز هذا الرقم باذن الله .

وارضاء لكافة أذواق المدخنين ، فقد تعددت الأصناف التى تنتجها الشركة بتوليفـــات عالية نذكر منها : كليوباترا سوبر ١٠٠مم، كليوباترا كينج سايز ، جيزة ســـوبر ١٠٠ مم ، بلمونت عادة ، بلمونت كينــج سايز ، بور سعيد بالمنثول ، اسبـــسيال بالعنبر ، سوبر كينج سايز ، كابيتــول كينج سايز ، وسيمون أرزت ، صـــوصه ، ماسبيرو ــ الجانب دخان الغليون والسيجار ... الخ . وتقوم الشركة بتصدير منتجاتها الى بلاد العالم العربى وبعض الدول الاوروبية

ولقد حققت اكثر من فوز مشرف فى المسابقات الدوليـــة حيث حصلت اكثر من مرة على الميدالية الذهبية لصنفها كليـــوباترا فى بروكســـل وباريس ، كما فازت فى عام ١٩٨١ ، بكأسين وثلاث ميداليات ذهبيـــة

● اختيار كبير خبراء الشركة ضمن مجموعة خبراء العالم المعروفين الذين يطلق عليهم اسم "رجل الدخان في العالم"

في المسابقة الدولية الخاصة عشرة لجودة الانتاج العالمي التي عقدت في امستردام بهولندا ، وذلك لاصنافها كليوباترا سوبر ، وجيزة سوبر ، وسويس لونج سايز ... ومما لاشك فيه أن هذا الفوز المشرف لمنتجات الشركة في مجال التنافس الدولي انما يحمل دلالة عالية ودعاية طيبة للمنتجات المصرية على وجه العموم ، ويعيد الى السجائر المصرية بصفة خاصة ما كان لها من مجد سابق وسمعة طيبة في المجالات الدولية .

واذ تعتبر الشركة الشرقية رائدة في مجال صناعة السجائر في مصر ، فانها تعتبر رائدة أيضا في مجال الرعاية الاجتماعية ، حيث اخذت الشركة على عاتقها توفير اكبر قدر من الرعاية الاجتماعية والخدمات للعاملين بها البالغ عددهم حاليا نحو ٩٤٣٥ عاملا ، ايمانا منها بان العنصر البشري هو العامل الاساسي والمحرك لزيادة الانتاج وتجويده .

ويمكن أن نشير الى بعض ما تقدمه ادارة الشركة للعاملين من مزايا وخدمات في النقاط التالية :

ـ وجبة غذاء كاملة مقابل ثمن رمزي .

ـ خدمة طبية كاملة تشمل الفحص والدواء واجراء العمليات بالمستشفيات بالمجان الى جانب عيادة خاصة لعلاج زوجات العاملين واطفالهم .

ـ ملابس مجانية لجميع العاملين بالمصانع والأسواق .

ـ مصيف للافراد بمنطقة العصافرة بالاسكندرية . وقد جعل بالمجان لمن يحصل على تقدير ممتاز كحافز من حوافز العمل ، وباشتراك رمزي و ٢٥٠ قرشا مقابل اقامة كاملة ، لمن يحصل على تقدير جيد .

ـ دعم الجمعية التعاونية للعاملين بالشركة لتوفير الغذاء والكساء للاعضاء باسعار مناسبة .

ـ نواد رياضية واجتماعية ، ورعاية دينية لابنائها حيث أقامت مسجدا كبيرا بمقر الشركة .

ـ توفير خدمة النقل لعدد كبير من العاملين بالمصانع والمكاتب لتسهيل حضورهم لمقر الشركة والعودة بعد انتهاء العمل .

ومن دواعي فخر الشركة أن ابناءها الذين خرجتهم قد اثبتوا تفوقهم في ميادين العلم وساحات الصناعة ، حيث تستعين بهم الدول الصديقة والمنظمات الدولية ، كخبراء أو محكمين . وقد اختارت المجلة العالمية للدخان World Tobacco التي تصدر بامريكا كبير خبراء الدخان بالشركة في عام ١٩٧٨ ضمن مجموعة خبراء العالم المعدودين في هذه الصناعة الذين اطلقت عليهم اسم « رجل الدخان في العالم » .

وليس هذا بالجديد على أبناء الشركة الذين بدأوا العمل النقابي في مصر ، واثبتوا تفوقهم في كافة المجالات على المستوى المحلي والقومي بل وعلى المستوى العالمي ... والشركة لا ينضب معينها ، بل انها دائما متجددة العطاء وهي حقا مصنع للرجال ●

محمد بدوي



شهريات
فنية

ذكرى فنان مصري خالد

محمود سعيد

بين تبديد اللوحات ودموع الموديل العجوز

محمد قنديل

بعد صراع طويل منذ وفاة الفنان ، وحتى عام ١٩٧٢ ـ استطاعت وزارة الثقافة شراء منزل الفنان وتحويله الى متحف يضم بعض اعماله الخالدة . اما باقى الاعمال فظلت من مقتنيات السيدة زوجته . حيث اخذت فى التصرف فى هذا التراث الى بعض الفتيات والمجموعات الخاصة باسعار لايمكن ان تتناسب مع قيمتها الحقيقية . ان هذا التصرف لايعبر عن اى صورة من صور الوفاء للفنان محمود سعيد خاصة من اقرب المقربين اليه . وكان من نتيجة ذلك ان تسرب الكثير من هذه الاعمال خارج البلاد . والبعض الاخر اختفى فى اماكن مجهولة .

اما البقية من هذه الروائع فقد اودعت متحفه فى حى . جاناكليز . حيث عاش الفنان . وعندما جاء موعد ذكراه هذا العام لم تكن هناك لوحة واحدة من اعمال الفنان ... لقد اغتربت لوحات المتحف الخالد فى رحلة طويلة الى امريكا ومنها الى اسرائيل !! ويعلم الله الى اين يحط بها الرحال ...

ومتى تعود ؟!

لقد تقرر من قبل عدم خروج الاثار الفنية ذات القيمة والرحنا والرحت مصر . ولكن مايحدث شيء اخر !! وتبقى الاسئلة الحائرة كيف ؟ ومتى ؟ ... وكم ؟

وتفرغ النواقيس فى بعض الصحف تعلن عن احتفالات الاسكندرية بذكرى فنانها محمود سعيد .. ونهرول بالفرحة لنشارك معرضا شاملا . ومحاضرات تلقى وندوات تعقد .. ونفاجأ بالصمت !! الا من لوحة او لوحتين يضمهما متحف الفن بالاسكندرية ضمن مجموعة كبيرة غير متجانسة من لوحات شتى من اعمال فنانين بعضهم سمعنا عنهم والبعض الاخر لم نسمع عنهم .

ونحن نبحث فى القيم الفنية العظيمة ، التى خلفها لنا فنان مصر محمود سعيد ، وخاصة يوم ذكرى مولده الموافقة لذكرى وفاته . ٨ـ٤ـ١٨٩٨ ـ ٨ـ٤ـ١٩٦٤ . ـ لابد وان نذكر انه صاحب الريادة فى بعث فن التصوير المصرى من جديد ..

يعتبر محمود سعيد ظاهرة فنية فريدة ،

. القلل ، لوحة للفنان محمود سعيد والموديل ، حميدة .





محمود سعيد

وعلامة هامة فى حياتنا الثقافية حيث تعبر اعماله الفنية عن روح مصر ، وتقدم للعالم شخصية متميزة تحمل سمات التطور والاصالة والاستمرار .. ولوحاته اضافة حضارية فى تاريخ مصر العريق وصورة مشرفة للاصالة والمعاصرة .

لقد بعث بعد غياب طويل فن التصوير من جديد ، فمنذ الفن المصرى القديم توقف الابداع التشكيلى المصرى وتحول الى نوع من النشاط الفنى ، كان يظهر احيانا فى فن العمارة وتارة اخرى فى تزويد الحياة بادواتها الملموسة المرئية على اختلاف وظائفها . وبصوغها فى اشكال جديدة بوجدان رفيع ... اما فن التصوير فى تلك العصور الطويلة فقد انحسر نشاطه حتى توقف تماما قبيل ظهور محمود سعيد بفترة طويلة .

لهذا كان السبيل امام العاملين فى حقل التصوير فى بداية القرن العشرين ، والذين يبحثون عن موقف اصيل بعيد عن التبعية والتقليد ـ كان الطريق جد عسير .

ولكن محمود سعيد استطاع ببراعة نادرة ان يحقق المصرية فى فنه عن طريق اخر غير محاكاة لوحات الاقدمين واساليبهم ، وذلك بمنطقه البنائى الراسخ فى تكويناته ، والوانه واضوائه الساطعة القوية ، وتحليله للبيئة والعصر . وهكذا جمع بين الواقعية والرمز . واضفى على شخوصه غموضا يغوص بنا الى اعماق النفس . ويحلق بنا فى عالم اسطورى تربطنا به خيوط غير منظورة من الذكرى واحاسيس ماقبل الوعى .

ولد محمود سعيد بالاسكندرية ، وكان والده « محمد سعيد باشا » رئيسا لوزراء مصر قبل الحرب العالمية الاولى . وتلقى تعليمه فى كلية فكتوريا ، ومدارس الجزويت ومدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية ، وحصل على البكالوريا سنة ١٩١٩ ثم ليسانس مدرسة الحقوق الفرنسية ١٩٢١ .

وانخرط فى سلك القضاء سنة ١٩٢٢ . وطاف خلال اجازاته السنوية بمتاحف اوربا . واستمالته بصفة خاصة اعمال الفنان « فان دايك » و « مملنج » و « فان در فايدن » . كما تتلمذ فى الاسكندرية على مصورة ايطالية هى مدام « اميليا كازوناتودى » ثم التحق بمرسم الفنان « زنانيرى » ، وسافر الى باريس والتحق بمرسم « الكوخ الكبير » وبذلك لم يسلك كزميله الفنان السكندرى الكبير محمد ناجى طريق مدرسة الفنون الجميلة فى القاهرة .

لقد بدأ محمود سعيد دراسته للفن التصوير وسط أعتى التيارات الفنية المتضاربة التى ظهرت فى أوربا فى اواخر القرن التاسع عشر ، ومطلع هذا القرن . وتأثر فى اول الامر بجماعة الانطباعيين ، ولكنه تحرر منها وانضم الى جماعة الفن التى تنادى ببعث القومية المصرية ، والفن المصرى الخالص . ومر بعدة مراحل فنية الى ان كون لنفسه اسلوبه الخاص المميز . لقد كان لثقافته الفنية الغربية الواسعة وادراكه العميق لتاريخ مصر الفنى ، وحياته الخاصة داخل بيئة ثقافية عالية ، اكبر الاثر فى اختيار اسلوبه وموضوعاته بالاضافة الى ما كان يتمتع به من بصيرة نافذة الى روح الشعب ، استلهم منها لوحاته التى تعكس فيها حبه لمدينة الاسكندرية التى نشأ فيها .

لقد جاءت اعمال الفنان على هيئة بشارة جديدة ، تبشر باتصال جديد وحميم بين الفن المصرى القديم وحركة فنية حديثة ترتكز على اسس فنية متينة . ولقد استطاع ان يتحرر من اطار الزركشة الاسلامية ، او النسج على وتيرة الفن القبطى ، او الجرى وراء الفن الشعبى . بل صهر كل هذه القيم مع رؤيته للفنون الغربية فى بوتقته ليفرز لنا فى النهاية فنا خالصا ذا مذاق مصرى ... حيث استوحى الانسان والطبيعة والبيئة المصرية .. وسجل الانسان فى كفاحه

«حميدة» التى عاشت شبابها نموذجاً للفنان.. تواجه الضياع!

اليومي البطولي متمثلا في صراع الصيادين والبحر ، والفلاحين في الحقول .. وبنات البلد وبائعي العرقسوس .

صور الفنان الحياة الاجتماعية ممثلة في الاب والزوج والزوجة والاخ والاخت والابنة والاصدقاء ورسم المدينة والقرية والسهل والجبل والنيل والبحر ، كما سجل العادات والتقاليد الشعبية في الرقص والزار والذكر .

رسم الوجوه السمراء التي لوحتها شمس مصر والعاريات والمستحمات . وظل حاملا ادواته وفرشاته ضاربا متأملا في كل أرجاء مصر من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال الى أن أسلم روحه الى بارئها في ٨ ابريل ١٩٦٤ .

لم يكن ظهور فنان عظيم مثل محمود سعيد مصادفة في تاريخ مصر المعاصر . ولكنه كان ميلادا طبيعيا لوطن طال شوقه لامجاده السابقة . شديد الحنين للاتصال بموارده . والحنين الى اعادة تشخيص آماله واحلامه . كأنه يتلمس خطاه في دهاليز الظلمة الحالكة من حوله .. فكانت تشنف آذانه اغاني وموسيقى سلامة حجازي حينما يشدو ، وكذلك الفنان سيد درويش في التعبير عن مشاعر الجماهير الكادحة وآلام الطبقات المطحونة .. والتعبير عن الرغبة في الثورة والتحرر من براثن الاستعمار .. كان يقرأ الصور الوصفية الرائعة في شعر شوقي وحافظ ابراهيم وادب المنفلوطي .. وكان الناس يبحثون عن الصورة والتشخيص من خلال الادب والموسيقى والغناء .

كل ذلك يعكس شوقا طال انتظاره للصورة التشكيلية بعد طول انقطاع عن المرئيات المرسومة .

ويقول الناقد بدر الدين ابوغازي في كتابه عن محمود سعيد ، لقد طالب مفكرو مصر من امثال لطفي السيد وقاسم امين وفرح انطون ، بل أيضا الشيخ محمد عبده الذي اشاد باهمية الفنون الجميلة ودفع عنها

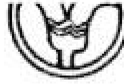


• نادية الصغيرة » ابنة الفنان

شبهة التحريم ـ بضرورة الاهتمام بالفن التشكيلي مما اعتبر ارهاصا لميلاد فنان مصر العظيم محمود سعيد .

مشكلة التصوير في رؤية الفنان

وقف محمود سعيد على أعتاب المشاكل الجادة لفن التصوير ، وكان على عكس الفنان الاسلامي يعتني بالتشخيص وينأى عن التجريد حيث كان شديد الحرص على رسم الخطوط الخارجية للشخوص وتجسيم الاشكال ، على عكس الفنان المصرى القديم الذي يضع اشكاله في مستوى واحد مبسطا

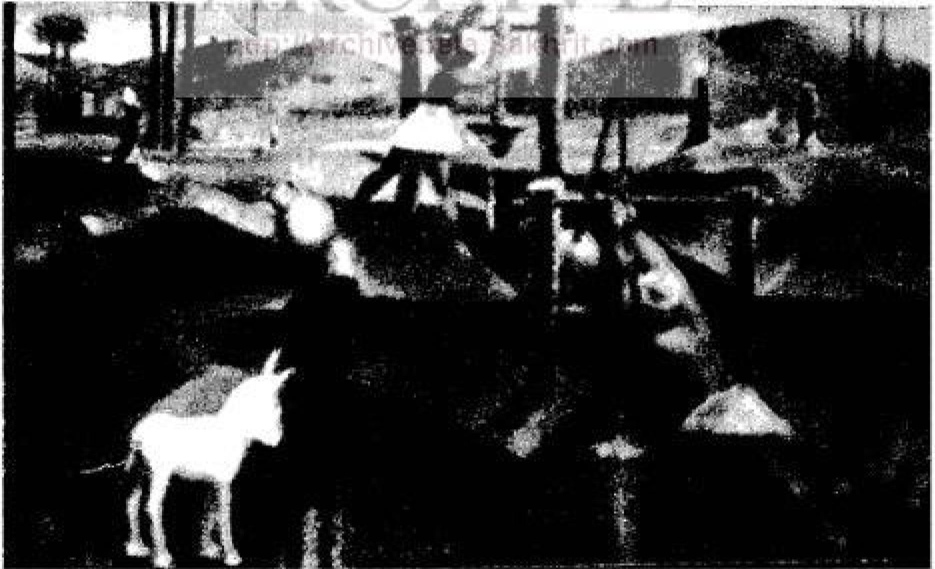


محمود سعيد

• مرسي مطروح • وعشـــــق
الفنان للطبيعة والبحـــــر



• الشادوف • والبيئة المصرية



تفصيل من لوحة «المدينة» لبنات الماضي



محمود سعيد

الخطوط الخارجية ومتجاوزا الفراغ . فى نفس الوقت كان شديد الاقتراب من الطابع المعمارى الشامخ الذى تميز به المصريون القدماء فى تصوير الجسم الانسانى ..

لقد استطاع ان يزاوج بين رسم المنظور الذى كان غريبا على فنوننا الشرقية وبين صرحية الشخوص المعمارية داخل تكوين اللوحة . باختصار استطاع ان يطفع الصيغة الغربية للرؤية الشرقية .

واذا كان المنظور سيظل عنصرا دخيلا فى اعمال محمود سعيد .. بمعنى اننا نستطيع استبعاده فى بعض اعماله ، دون ان يؤثر ذلك على قيمة العمل ، طالما ان الاجسام البشرية هى الشاغل الاول له » ـ الا اننا سنجد له استخدامات اخرى فى بعض اعماله تشبه كثيرا استخدام المنظور فى المدرسة السريالية . وذلك الذى يختلف تماما عن استخدامه فى المدرسة الكلاسيكية ، فمثلا « ديكريكو » و « سلفادور دالى » استخدماه للايحاء بالحلم والضياع . اما الكلاسيكيون فاستخدموه لابراز قيمة الجسم والايحاء بالواقع والعمق الثالث فى الصورة .

الدمعة الاخيرة

قابلتها بالصدفة البحتة فى مبنى كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ... «حميدة» التى عاشت كل شبابها نموذجا للفنان محمود سعيد ، رسمها فى معظم لوحاته . وهى صاحبة الوجه المصرى الذى لوحته الشمس والجسد النابض بالسحر . لقد هدمتها الشيخوخة واذلها الفقر .. وقالت والدموع تترقرق من عينها « الله يرحمه ولكن الست قالت لى « روحى خلى الحكومة تاكلك » ومن يومها وانا مش لاقيه صدر حنون » .

اخيرا ..

اذا كان محمود سعيد قد مات فان فنه ـ ولو فى لوحة واحدة ـ سوف يظل نبضا للاجيال ، وشاهدا على فنان يرسل نبضه فى ارضنا الخالدة .. وحضارة ذابت فى روحه .. واسطورة تطور مصر المعاصرة الخالدة . ●


« حميدة « الموديل العجوز ودمعة على الماضى


« البشارة » صورة حميدة ايام الشباب

اتيليه الإسكندرية

الموظفون يسيطرون والفنانون فى مهب الريح


الفنانة « نعيمة الشيشيني » في مرسمها


واجهة اتيليه الاسكندرية

● اتيليه الاسكندرية علامة ثقافية هامة في الحركة الفنية المعاصرة .. قام بتأسيسه الفنان محمد ناجي سنة ١٩٣٢ واصبح على مر السنين ملتقى للادباء والمفكرين والفنانين .. ولقد تطور الى ان حصل على موقعه الحالي في قصر عريق كان يملكه دكتور باسيلي الذى باعه الى بنك « دي روما » الى ان استاجرته جماعة الاتيليه حتى الآن ..

ولقد كانت تعقد به الندوات والمحاضرات الفنية والادبية لرواد من الاسكندرية ومن كل مفكري العالم .. حيث حضر اليه الفنان والمفكر الفرنسي « جان كوكتو » ..

وانتهى به الامر الآن الى وضع شاذ وغريب حيث يحتوى على اثنين وعشرين مرسما لمجموعة من كبار فناني الاسكندرية .. يمارسون فيها عملهم ويعرضون فيها لوحاتهم وتماثيلهم ... وفي نفس الوقت يتشكل مجلس ادارته من مجموعة غير متجانسة من الموظفين والسيدات الاجانب الذين لا صلة لهم بالفنون عموما والفن التشكيلي خصوصا .. فرئيس مجلس ادارته مهندس على المعاش ونائبه محام بالاسكندرية وباقي الاعضاء بين موظف ومحاسب وربة بيت ومدربة رقص ..

وبالتالي لا ممثل للفنانين الذين يعملون بالمراسم اى واحد منهم ... مما سبب تناقضا شديدا بين الاعضاء ومجلس الادارة ..

وحيث ان الامر يختص بموقع هام للفن والثقافة .. لابد من تدخل حاسم وسريع . حتى لا يتوقف النبض فى مثل هذا المحفل العريق وينتشر مع النسيان .



شهريات
فنية

صالون الربيع الثانى
وموقف فنانى الإسكندرية

• تجريد • لوحة الفنان الامريكى • داليد •

معظم الأعمال المعروضة قديمة وعرضت من قبل

الحركة الفنية بالاسكندرية ذات طابع خاص ومميز عنهـــا في القاهرة . حيث يقوم متحف الفنون الجميلة بالاســكندرية بتنظيم صالونات العرض المختلفة حسب فصول الســنة ، بالاضافة الى عدد كبير من المعارض الجماعية في المناسبات المختلفة . وفي نهاية هذا العام يستقبل بينالي الاسكندرية لدول البحر الابيض المتوسط الرابع عشر .

والمتابع لهذه الحركة الفنية تبهـره من الوهلة الاولى تلك الكثـافة في برامج العرض بالمتحف . وبعدها يكتشف الزوار

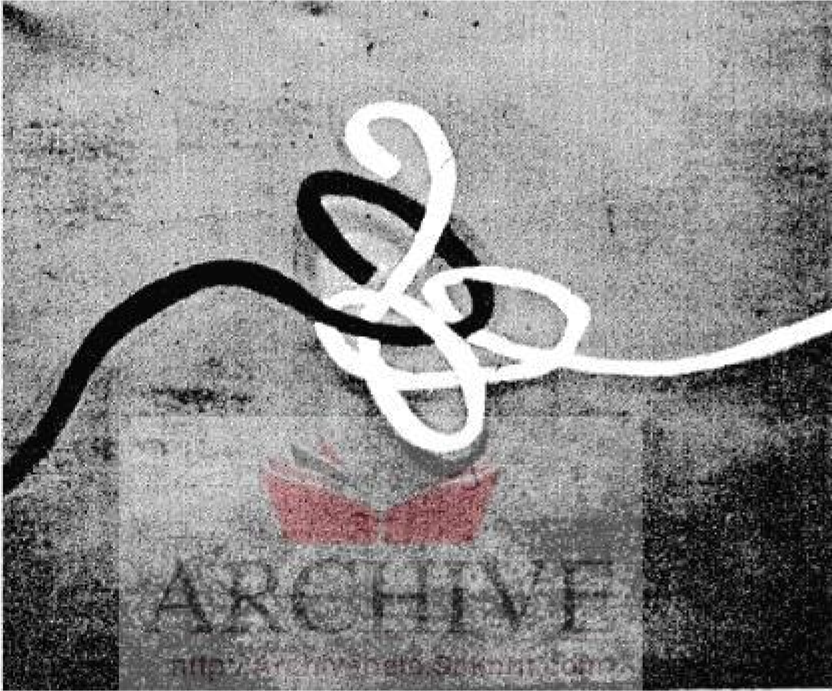


« صندوق الدنيا » للفنان حامد ندا ▲

« الصيادين » للفنان كامل مصطفى



صالون الربيع الثانى



« سيناء » لوحة للفنان سيف وانلى

هذا الحشد عديدا من المشاكل التى يجب ان يوضع لها حل فورا ، حتى يمكن ان تؤدى هذه الجهود الغرض منها فى نشر رسالة الفن التشكيلى وتوصيله الى الجماهير

وبفحص الاعمال الفنية الموجودة فى هذا الصالون تتبين ان معظم صالات الدور السفلى تحتوى على بعض الاعمال المتحفية الموجودة بالمتحف من قبل وليس بها اى جديد من حيث النوع حتى وان كانت هذه الاعمال لكبار الفنانين السكندريين . فالمشاهد يمكن ان يرى هذه الاعمال فى اى وقت آخر ، مما لا يحفزه الى الذهاب لرؤية الجديد فى آخر اعمال الفنانين . وأيضا يحتوى هذا الدور على قاعة خصصت لبعض الاعمال التجارية المرسومة على ورق البردى مما لا يجدر بمتحف يضم اعمالا ذات قيمة رفيعة ، ان يقوم بعرض هذا المستوى المؤسف .

اما فى الطابق الاول فانه يحتوى ايضا على اعمال فنان مصر راغب عياد والترسيق

• عجوز • للفنان يوسف كامل



عرضها فى كل المناسبات • ومن حوله فى باقى القاعات اشتملت على عرض لمجموعة من الفنانين اهمهم الفنان حامد ندا الذى قام بعرض ثلاث لوحات انتجها منذ عشر سنوات وسبق عرضها مرات مختلفة • وخصصت قاعة كاملة لفنان امريكى مقيم بالقاهرة .. استعرض بها اعماله التجريدية والتى سبق أن عرضها فى صالة المركز الثقافى الامريكى بالقاهرة •

اما القاهرة التى تستوجب التوقف والتامل فهى المقاطعة الكاملة من اساتذة الفن فى الاسكندرية لمتحف مدينتهم ..وبسؤالهم فى ذلك الامر قرروا انه للاسباب السابقة كلها مع اضافة ملاحظات اخرى منها سوء العرض وترتيب اللوحات على حسب اهمية العارضين والمعروضات • كذلك احتجاجهم على اللجنة الفنية الخاصة بالمتحف والتى تضم مجموعة من غير المتخصصين فى الفن التشكيل ولا تضم من بينها فنانا او استاذاً واحدا من كليات الفنون الجميلة •

أخبار فنية

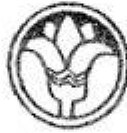
● افتتح متحف الفن الحديث بالاسكندرية يوم ١٩٨٢/٤/٢٥ ، ويضم مجموعة كبيرة من اعمال فنانى الاسكندرية والقاهرة واساتذة كليتى الفنون الجميلة ـ كما يضم بعض اعمال الفنان سيف وانلى ، وكامل مصطفى ، واحمد صبرى وعبد الهادى الجزار ، وجاذبية سرى ، وانجى افلاطون •

● اول قاعة عرض خاصة «جاليرى» .. بالاسكندرية لعرض وتسويق الاعمال الفنية ، قامت بتاسيسها الفنانة منى سركيس وافتتحت يوم ٢٢ ابريل •

● تقيم القنصلية الايطالية بالاسكندرية ثلاث قاعات جديدة للفن التشكيلى ، وهى مجهزة بأحدث معدات الاضاءة ـ ضمن اطار التعاون الثقافى بين متحف الفنون الجميلة والقنصلية • ويشرف على تنسيقها مهندسة الديكور ماجدة متولى •

● افتتح معرض الفنان محمد السيد ، الاستاذ بكلية الفنون الجميلة فى قاعة اتيليه القاهرة يوم ١٩٨٢/٤/٢٧ ، وهو المعرض الاول من نوعه ـ حيث يقوم بعرض تجربة جديدة فى فن الجداريات ، مستخدما خامة الزجاج الملون والمثبتة بالجبس ، فى رؤية جديدة لتطوير هذا الفن

● افتتح معرض الفنان اليوغوسلافى ميثا صلوفيم فى قاعة المركز الثقافى الايطالى بالقاهرة ـ وهو يضم تجربته الاولى فى فن التصوير تحت عنوان « ماوراء الافق »



شهريات فنية

"العوامة ٧٠"

سمير فريد

كمال الشناوي واحمد زكي في مشهد من الفيلم

ومأساة

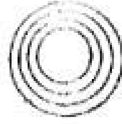
جيل ١٩٦٧

نحن الآن عام ١٩٨٢ : عشر سنوات مضت منذ خرجت الى النور أول افلام جماعة السينما الجديدة التى عبرت عن احلام جيل كامل فى صنع سينما مصرية جديدة • وكان هذا الجيل – جيلنا – قد تفتح وعيه على الصدمة الكبرى عام ١٩٦٧ ، وأراد أن يغير مصر وكان سبيله الى ذلك ان يغير السينما التى تصنع فى مصر • عقد كامل من الاحداث الجسام التى هزت مصر من مظاهرات ١٩٧٢ الى رصاصات ١٩٨١ ، ومن التجارب الشاقة التى خاضها جيل بائس ولكنه شجاع من افلام جماعة السينما الجديدة الى افلام معهد السينما ، ومن اصدار مجلة السينما الى اصدار جريدة السينما والفنون •

والحق اننا لا نستطيع تقييم دور هذا الجيل الآن وربما تكون هذه مهمة جيل آخر • ولكن المؤكد ان السينما المصرية فى السبعينات افضل منها فى الستينات ، وان السينما المصرية فى مطلع الثمانينات تشير الى ان هذا العقد الجديد يشهد تحقيق الاحلام التى حلم بها جيل الستينات ، او على الاقل بعض هذه الاحلام • واكثر ما يدفعنى الى هذا القول فيلم « العوامة ٧٠ » اخراج خيرى بشارة • لقد جعل هذا الفيلم كل ما سبقه من افلام ذلك الجيل ارهاصات فى البحث عن سينما مصرية جديدة • انه الثمرة الاولى الناضجة لكفاح طويل •

والجديد فى الفن مسالة نسبية ترتبط بالواقع الذى يبدع فيه الفنان • فما يمكن ان يعتبر جديدا فى فرنسا فى وقت ما مثلا قد لا يكون جديدا فى بولندا فى وقت آخر ، وهكذا • والفنان هو فنان من خلال الدافع الذى يجعله يصنع الفن • هذا الدافع الذى يبدو من عمله ذاته ، والذى يدركه الناقد ، أو لا يدركه حسب عملية معقدة تدخل فيها ثقافته ورؤيته ومنهجه فى التحليل ، وليس هنا مجال شرحها • والواقع الذى يبدع فيه الفنان ، بافتراض انه فنان اصلا ، يرتبط بالسوق الذى ينتج فيه عمله ايا كان هذا العمل ، فيلما أو رسما او عزفا • فقد يتصور البعض ان السينما هى الفن الوحيد المرتبط بالسوق نظرا لضخامة صناعة السينما ، ولكن الواقع ان كل فن يرتبط بالسوق ، والخلاف فى الادوات المستخدمة فى التعبير والتوصيل •

وقد كان الواقع الذى يبدع فيه فنان السينما المصرى ، ولا يزال ، هو واقع السينما التجارية الاستهلاكية الذى يفرض عليه مواصفات السلعة الرائجة بدرجات متفاوتة • ولذلك فان التجديد فى السينما المصرية كان ولا يزال يعنى التخلص من بعض هذه المواصفات •



شهريات فنية

وهذا الوضع لا ينطبق على السينما المصرية فقط ، وانما على كل سينما في العالم . ومثل كل سينما في العالم ايضا شهدت السينما المصرية العديد من الفنانين المجددين عبر تاريخها كله . ولكن الجديد شيء اخر غير التجديد ، والفنان الجديد غير الفنان المجدد ، وليس الامر مجرد اختلاف في الالفاظ .

الجديد هو التخلص الكامل من مواصفات السلعة السائدة ، ليس بالتخلص من السوق ، فلا خلاص لاحد من السوق ، وانما يصنع سوق اخرى ، او سوق موازية . وبالطبع ، فليس في امكان الفنان الفرد ان يغير السوق ، ولكن في امكانه ان يصنع سوقا موازية . وقد كنا نطمح في يوم ما الى تحويل دور عرض الثقافة الجماهيرية ونوادي السينما الى سوق موازية . ولكن طموحنا لم يتحقق لاسباب كثيرة . ويمكن القول ان فنان السينما المصري الوحيد الذي نجح في صنع سوق موازية بدرجة ما هو يوسف شاهين عن طريق فتح اسواق خارجية جديدة . ويبدو الان ان القصور الفادح في تجربة جماعة السينما الجديدة كان



● إرهاصات البحث عن سينما مصرية جديدة

فى محاولتها صنع سينما جديدة كانتاج ، ولكن فى نفس سوق التوزيع القائم.

الجديد ليس مجرد تناول « المحرمات » فى السينما السائدة ، سياسية كانت ام غير سياسية ، وانما بصنع سينما ترتبط بالثقافة الوطنية للمجتمع الذى ينتمى اليه الفنان ، أيا كانت وجهة نظر الفنان للحياة

● الفنان الجديد غير الفنان المجدد



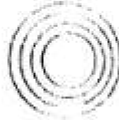
احمد بدير .. او « عبدالعاطى »

والواقع ، وايا كان اسلوبه فى التعبير عن وجهة نظره. فهناك من يتصور مثلا ان الفنان الجديد هو الفنان الذى يتبنى وجهة النظر الاشتراكية ، أو صاحب الاسلوب الواقعى . ولكن الواقع انه لا توجد مواصفات جاهزة للسينما الجديدة ، وانما هناك صفات اساسية وشروط عامة . واذا كان ابرز الصفات التخلص من مواصفات السلعة السائدة ، فان ابرز الشروط هو الارتباط بالثقافة الوطنية ، والثقافة الوطنية لاى مجتمع هى خبرة هذا المجتمع الشاملة والمتنوعة عبر تاريخه كله ، ولا يمكن تحديدها فى اطار جامد مغلق .

والسينما الجديدة المرتبطة بالثقافة الوطنية ليست سينما موضوع ، مثل موضوع الفقر مثلا ، او موضوع الفساد الادارى، وانما هى اساسا ايقاع ، واضاءة ، وطريقة فى السرد الدرامى ، ورؤية نافذة للحياة فى لحظة معينة ، وفى مصر ، وكثير مما يسمى بلدان العالم الثالث هناك دائما طرح للثقافة الوطنية كنقيض للثقافة الغربية باعتبارها الثقافة التى انتجت الاستعمار والامبريالية والفاشية ، ولكن هذا الفهم للثقافة الوطنية ، فضلا عن قصوره هو مفهوم الخاضعين لتلك الثقافة الذين يجعلون منها محور اهتمامهم بالسلب او الايجاب . ويؤدى هذا المفهوم الى وجود سينما مشوهة اخرى مهمومة بالاختلاف عن الثقافة الغربية، ومعزولة عن حركات السينما الجديدة فى الغرب وفى العالم كله : يؤدى ذلك المفهوم الى صنع سينما فى « جيتو » خاص للمتخلفين.

● فيلم العوامة ●

و « العوامة ٧٠ » فيلم بدون تنازلات انه ليس توليفة من سينمائيى الماضى والحاضر ، ولكنه عمل مجموعة من سينمائيى المستقبل . انه الفيلم الطويل الثانى لمخرجه خيرى بشارة ، والفيلم الطويل الاول لمنتجه ممدوح مصطفى والفيلم الطويل الرابع لكاتبه فايز غالى ، والفيلم الطويل الاول لمدير تصويره محمود عبد السميع ،وكذلك لمؤلف موسيقاه جهاد داود وتتكامل هذه المجموعة تكاملا مدهشا مع المونتير عادل منير ومهندس الصوت مجدى كامل، ومدير الانتاج اسامة حسين ، والممثل احمد زكى



والممثل كمال الشناوى ، والممثلة ماجدة الخطيب ، كل منهم فى دوره المرسوم بمنتهى الدقة والحذر .

وما يجمع بين هذه العناصر ـ ما عدا كمال الشناوى ـ انهم جميعا من جيل واحد ـ مرة اخرى جيلنا ـ هذا الجيل الذى قدر له ان يتفتح وعيه ، على صدمة كبرى اطاحت بكل احلامه هى صدمة ١٩٦٧ وان يعيش فى مصر السبعينات حيث راى هذه الاحلام وهى تتبخر ، ابتداء من احلامه فى مصر جديدة ، الى احلامه فى الحصول على شقة يانس فيها ، الى زوج يحبه ، او مقعد فى اوتوبيس يصل به الى حيث يريد . هذا هو موضوع الفيلم ، ومن هنا كان رقم ٧٠ ، فالعوامة ٧٠ ليست فقط العوامة التى يسكنها « البطل » وانما هو رقم ذلك العقد المرير فى حياة مصر ، وفى حياة هذا الجيل بصفة خاصة .

ان جيلنا لم يغفر ، ولا يجب ان يغفر ابدا ، الخطيئة التى ارتكبها فى حقه كل مسئول فى مصر صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ . لقد ارتكبوا جريمة كبرى ، وجعلونا ندفع الثمن وهم مرتاحون لا يقلقهم غير الخوف على املاكهم وسلطانهم ، ورغبتهم فى المحافظة على هذه الاملاك ، ودوام ذلك السلطان . كانوا الجريمة ونحن العقاب ولم يكن من المعقول ، ولكن هذا ما حدث ، ان يتشاجروا عام ١٩٧١ ، فندفع نحن ايضا الثمن ، وان يحاربوا عام ١٩٧٣ ، فندفع نحن ثالثا الثمن . وان يسالموا عام ١٩٧٧ ، فندفع رابعا الثمن . هذا اللا معقول هو عقد السبعينات كما عاشه جيلنا ، وكما عبر عنه خيرى بشارة فى فيلم « العوامة ٧٠ » . وفى صميم الفيلم درجة عالية من اللامعقول ، بكل معنى هذه الكلمة .

ان بطلنا احمد الشاذلى شاب فى الثالثة والثلاثين ، وهو عمر خيرى بشارة وقت كتابة الفيلم ، وعمر اغلب العاملين ايضا ، ولكنه شاب فى ذروة الشيخوخة . وهو قروى ، ولكنه ممزق بين والده واسرته المقيمة بالقرية ولا يعرف حتى من الذى تزوجته اخته ، وبين عمه الذى ترك الارض وعمل فى معسكرات الانجليز . وانتهى سمكريا فى احد بارات القاهرة ، وهو يعيش فى القاهرة ، ولكنه لا يعرفها ايضا ، ولا يجد فيها مسكنا ، فيكتفى بالطابق الارضى من العوامة ٧٠ . وهو مخرج . ولكنه لا يخرج غير الافلام التسجيلية التى تنتج على هامش السينما المصرية بدورها .

بل لقد رفض احمد الشاذلى بالافلام التسجيلية ولكن الرقابة لم ترفض ، ولا بعض الصحفيين قصار النظر الذين يتشدقون بـ « حب مصر » . ولا حتى المسئولون الذين يحددون له سيناريو لا يجب ان يخرج عنه . وعندما فكر فى اخراج فيلم طويل قال له المنتج انه يريد نهاية سعيدة لبهج المتفرج ، بغض النظر عما يحدث فى الواقع . واحمد الشاذلى يحب خطيبته الصحفية وداد ، ولكنه يلبى دعوة اول امراة عرفها فى صباه ، والتقى بها بالصدفة على ناصية الطريق . وهو متحرر ، اراد ان يجوب العالم على ظهر سفينة كابطال

يوسف شاهين ، او هكذا النع نفسه ، ولكنه يرفض ان تكون هذه المراة قد مارست الجنس قبل ان تلتقي به ، وكانما كان عليها أن تنتظره كل هذه السنوات • انه يريد ان يعيش ، ولكنه لا يعرف متى وكيف واين •

واحمد الشاذلي يريد ان يمجد مصر على طريقته ،بان ينقد مصر ، ويسعى الى تغيير مصر ، ولكنه في ظل هذه الظروف لا يستطيع حتى ان يغير نفسه • انه يصنع الافلام ليكشف حقيقة الواقع المصري • ويكتشفه ولكنه عند اول محك عملي بعيدا عن الكاميرا والمافيولا، يسقط صريع التردد والعجز والخوف من مواجهة الحياة الحقيقية ، فعندما يلجأ اليه احد العمال في محلج للقطن كان يصور عنه فيلما ، ويخبره ان الادارة تسرق القطن ، وتبيعه لحسابها ، يلقي بالمشكلة الى وداد ، وعندما يختفي العامل يحاول ان ينسى الموضوع برمته، بل ويحاول ان يثني وداد عن الاستمرار في البحث • ويفضل احمد الشاذلي ان يحيا حياة يومية لذيذة في الفنادق والمطاعم الكبرى ، ولو بالاستدانة من هنا وهناك •

وهذا التمزق ، وذلك الضياع ، هو تمزق وضياع جيل ٦٧ كله ، وليس فقط خيري بشارة • ففيلم « العوامة ٧٠ » ليس سيرة ذاتية مبكرة لمخرج تسجيلي يقدم ثاني افلامه الروائية الطويلة ، ولكنه ايضا سيرة موضوعية لجيل كامل آن الاوان لكي يعبر عن نفسه بنفسه دون وصاية من جيل آخر •

البناء الدرامي الصحيح هو البناء الذي يتلاءم مع مضمون الفيلم ، ولكن البناء الدرامي الجيد هو الذي يصبح المضمون ذاته ، بكل مشهد فيه وكل لقطة ، وكل جملة حوار • وهذا ما حققه فايز غالي في سيناريو « العوامة ٧٠ » حيث يتم التعبير عن حياة احمد الشاذلي ، وتمزقه، وضياعه ، من خلال عدة خطوط درامية تنبع منه او تصب فيه ، ولكنها جميعا لا تكتمل • والخيط الوحيد الذي يربط الفيلم هو قصة العامل عبد العاطي ، وهو ايضا الشخصية الوحيدة التي يتحدد مصيرها بالقتل على ايدي لصوص المحلج الذين يتولون ادارته •

● واقع السينما الاستهلاكية يفرض مواصفات السلعة الرائجة

فالعلاقة بين احمد ووالده غير تامة ، وكذلك علاقاته مع عمه حسين ، ومع خطيبته وداد ، ومع صديقة الطفولة سعاد ،حتى الفيلم التسجيلي الذي يصوره عن المحلج داخل الفيلم لا يتم • والشيء الوحيد الذي يتم هو فيلم « العوامة ٧٠» ذاته ،والذي يطلق عليه احمد الشاذلي « ضد مجهول » اشارة الى قضية عبد العاطي •

والحديث عن صعوبات اتمام فيلم « ضد مجهول » سواء بسبب الرقابة ، او بسبب سيطرة المنتجين المتخلفين عن السوق ، هو تحية غير مباشرة من المخرج خيري بشارة الى الرقابة التي اجازت سيناريو « العوامة ٧٠ » ، والمنتج الذي قام بانتاجه •

وشخصية احمد الشاذلي في « العوامة ٧٠ »شخصية محورية ،بمعنى الكلمة ، اذ تشترك كل الشخصيات الاخرى في التعبير عن ابعادها

وعن ازماتها المختلفة . شخصية وداد البسيطة تعكس شخصيته المركبة ، وبراءتها تعكس تلوثه ، واندفاعها في الحق كالخط المستقيم تعكس تردده وعجزه وخوفه من مواجهة الحياة . ووداد كفتاة قوية شجاعة تختلف عن النمط السائد للفتاة المصرية في الافلام المصرية والدراما المصرية بصفة عامة .

وشخصية العم حسين بالنسبة الى احمد الشاذلي تمثل الحلم الضائع فهو يشعر بالقرب منه . بل ويحاول ان يقلده في رفضه للقرية ومفاهيم المجتمع الزراعي ، وفي بحثه عن المغامرة ، والفروسية الفردية ولكن احمد ينسى او يتناسى المصير الذي انتهى اليه عمه وحيدا في بارات القاهرة . وبقدر ما يعبر هذا التعلق بالعم السكير عن ضياع بطلنا ، بقدر ما تمثل سعاد براءته التي ماتت منذ الطفولة ، وتناقضاته مع نفسه . فها هي الفتاة الريفية الخجول التي تكبره بست سنوات ، والتي كانت تحكي له الحواديت في طفولته . قد تحولت الى شبه عاهرة تستسلم له بعد لقاء عابر ،

وعلى بعد مترين من والدها العاجز في حجرته . بل هاهي تعرض عليه ان يترك الاخراج ، وتترك هي المدرسة التي تعمل بها ، واوشكت ان تصبح وكيلة لها ، ويشتركا في اقامة مشروع تجاري على شكل « بوتيك » من بوتيكات الانفتاح .

ويتوقع المتفرج ان يكف احمد عن تردده وخوفه بعد اكتشاف جثة العامل في النيل بالقرب من عوامته ، ويتصور ان احمد لابد يدرك ان العامل قد قتل بعد ان روى له ولوداد ما يحدث في المحلج ، وهذا ما حدث وما شاهدناه بالفعل . ولكن فايز غالي وخيري بشارة يحاصران احمد الشاذلي حصارا عنيفا ، ويقسوان عليه قسوة شديدة ، عندما يجعلاه يقول للمحقق ان الحادث « قضاء وقدر » . وفي قسم البوليس عندما تقدم ادارة المحلج بلاغا ضد احمد باعتباره القاتل يدفع كاتبنا ومخرجنا بطلهما الى مواجهة مجموعة من الصعاليك يوسعونه ضربا ، وكأنهما بهذا الضرب يصرخان فيه ان يفيق من غيبوبته ، ويمسح الغشاوة عن عينه .

وبين الاقدام والاحجام ينتهي الفيلم . ان احمد يذهب الى غرفة المونتاج بعد ان حفظت قضية عبد العاطي ، ويطلب من المونتير ان يضع لقطة ظهر فيها عبد العاطي بالصدفة ، ويقول على لسان المعلق ان هذا العامل قد قتل . وعندما يذكره المونتير ان في هذا « خروج » على السيناريو يرد عليه فان التغيير سوف يتم على « مسئوليته » ويحاول احمد ان ينتزع سر الجريمة من الخفير مغاوري الذي شارك في القتل ، كما فعل عمه في الماضي عندما كاد يذهب ضحية ضابط بريطاني قتل جنديا من الهند فحاصره واجبره على الاعتراف ، ولكن احمد يفشل في مغامرته المزيفة .

وفي مشهد طويل يكشف معاني الفيلم يريد احمد ان ينهي علاقته بوداد ، ولكنها تنهره بعنف ، وتطلب منه الا يهدم كل شيء في اللحظة التي يجد فيها نفسه . وتقوم بنفسها باعادة « الدبلة » الى اصبعه مخلفة من ورائها كل تراث التبعية والاستكانة الذي تعاني منه المرأة . فيتطلع احمد اليها ، ويقول لها ولنا ، ان فيلمه القادم



سوف يكون فيلما تسجيليا وان موضوعه هو البلهارسيا وهكذا يشفق خيرى بشارة وفايز غالى علينا ،وينتزعا الامل فى المستقبل انتزاعا. فهذا الجيل الذى قدر له ان يصبح اكثر الاجيال بؤسا فى مصر المعاصرة ، والذى ينتمى اليه خيرى بشارة وفايز غالى واحمد الشاذلى قدره ايضا ان يساهم فى صنع المستقبل رغم كل شىء وبالرغم من كل شىء .

وحين يكون مضمون اى فيلم هو الفيلم ذاته ، بكل تفاصيله وجزئياته فان هذه ليست مسالة سيناريو فقط وانما اسلوب فى الاخراج ايضا . واسلوب خيرى بشارة اسلوب واقعى ، ولكنه يتجاوز الواقعية التقليدية الى الواقعية الرحبة ، او الواقعية بلا ضفاف على حد تعبير جارودى .

واول عناصر اسلوب خيرى بشارة فى « العوامة ٧٠ » التصوير الخارجى فالفيلم كله تقريبا صور خارج الاستديو. والتصوير خارج الاستوديو لا يعنى شيئا فى حد ذاته ، ولا يرتبط بالواقعية كما يتصور البعض ، فقد تكون الديكورات اكثر واقعية فى بعض الاحيان ، كما لا يرتبط بالضرورة بالتصوير فى « الشوارع » . انه هنا تصوير خارجى بمعنى تصوير فى اماكن حقيقية سواء كانت هذه الاماكن فقيرة او غنية ، مطعم فاخر فى فندق كبير يلمع ، او منزل ريفى تشى جدرانه بانها ظلت كما هى منذ انشائه .

ولان كل الخطوط الدرامية لا تتم ، فقد اعتمد خيرى بشارة اللقطات القصيرة الموحية ، ولا تطول اللقطات الا فى لحظات الاستغراق العميقة بين البطل وعمه ، او بينه وبين سعاد وهو يمارس معها الجنس ،ويشد مخرجنا جمهوره الى لقطة تصوير عبد العاطى ، والى نفس اللقطة على المافيولا فى غرفة المونتاج بعد ان تقتل الادارة العامل ، فتبدو هذه اللقطة وكانها المفتاح الذى سوف يكشف الجريمة ولكنه ــ وهذا هو الجديد حقا ــ يدفع هذا الجمهور دفعا فى اتجاه آخر ، فما اسهل ان يكشف عن القاتل فى الافلام ، وما اصعب ان يكشف عنه فى واقع الحياة .

● هذا اللامعقول هو عقد السبعينات

وحركات الكاميرا فى الفيلم قليلة ، وذلك بحكم الاعتماد على اللقطات القصيرة ، ولكنها معبرة اجمل التعبير ، مثل حركة الكاميرا وسيارة مجموعة الفيلم تترك العامل فى الطريق بعد أن اتفق مع احمد على اللقاء معه ومع خطيبته فى العوامة ، ومثل حركة الكاميرا واحمد يمارس الجنس مع سعاد ، والتى جعلت من جسديهما كتلة واحدة . وبينما يسود القطع بين اللقطات طوال الفيلم ، نجد الطبع مرة واحدة فقط ، وذلك فى المشهد الوحيد الذى يخرج عن الواقع تماما ، وهو مشهد الكابوس الذى يظهر فيه عبد العاطى . وهذه الدقة فى توظيف مفردات اللغة السينمائية هى ما تجعل لكل مفردات اى اسلوب دورا فى المبنى والمعنى .

ويصل ابداع خيرى بشارة فى « العوامة ٧٠ » الى ذروته مع مشهد حفل التنكر الذى يذهب اليه

احمد مع وداد ليلة راس السنة في احد الفنادق الكبرى ، في لحظة من لحظات التردد بين الاحجام والاقدام بين محاولته اعتبار القضية « قضاء وقدرا » ، واثناء اقصاء وداد عن الاستمرار في البحث ، ومحاولته تعويض عجزه في الواقع بصنع فيلم عن عقد العاطفي واصرار منتج الفيلم على النهاية السعيدة للسيناريو ففي حفل التنكر لا يعرف الانسان الى من يتحدث ، ويبدو وكأنه لا يعرف نفسه ايضا . وبعد مشهد الحفل مباشرة تبدا رحلة احمد الشاذلي في عالم الرعب الى عوالم كافكا حيث يجد الفرد نفسه مسوقا بدون ارادة في دهاليز خلية مظلمة .

يعود احمد الى العوامة في الصباح ليجد شرطيا في انتظاره ، يطلب منه الحضور الى القسم ، فيذهب بملابسه « التنكرية » والتي لا تعدو حلة عادية ، ولكن مع ارتداء « بيبيون » بنفسجي . وفي القسم يجد احمد ضابطا لا يعرفه غير الذي سبق ان حقق معه بعد العثور على الجثة . ويقول له الضابط ان هناك بلاغا ضده يتهمه بالقتل وان عليه ان يحبسه حتى تأتي النيابة في الصباح . وعبثا حاول احمد ان يشرح له الموقف . وداخل الزنزانة الكبيرة يبدو « اللا معقول » عندما تكاد مجموعة الصعاليك تقتله من الضرب دون سبب ، وفي ركن من اركان الزنزانة يقف الرجل الذي يقلد ملابس وحركات شابلن والمعروف لدى رواد شوارع وسط القاهرة .

وبعد انتهاء دراما الفزع



ماجدة الخطيب في دور « سعاد » واحمد زكي في دور « احمد الشاذلي »

● بعد إنتهاء دراما الفزع تـأتى اللحظات الإنسانية

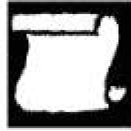
هذه بطلوع الصباح ، تاتى لحظة من اشد لحظات الفيلم عمقا وانسانية ، عندما يعود احمد الى العوامة فى اليوم التالى فيجد شارل شابلن الصامت الزائغ النظرات يقدم اليه « البيبون » الذى سقط منه اثناء المعركة مع الصعاليك ، وعلبة السجائر الفارغة ، فيشكره احمد ، ويمضى الرجل مقلدا مشية شابلن الشهيرة ، ويلقى بطلنا بالعلبة الفارغة و« البيبون » فى الماء ، فتعوم الاشياء على السطح فى لقطة تاركوفسكيه ، نسبة الى تاركوفسكى الذى لا يرى نهاية العالم غير اشياء عائمة فوق السطح .

وشريط الصوت الذى صنعه مجدى كامل بموسيقى جهاد داود لا يقل ثراء عن شريط الصورة . فالى جانب الموسيقى القليلة فى وقتها وبالقدر الكافى دون زيادة او نقصان ، والالحان المتنوعة المعبرة عن المواقف المختلفة ، هناك الموسيقى الاجنبية الراقصة التى يسمعها عبد العاطى بعد خروجه من العوامة وقبل قتله ، والتى تجعله يدهش لهؤلاء القوم ، والاغنية الصعيدية الحزينة التى ينشدها فلاح فى قاربه السابح على النيل قبل ظهور جثة عبد العاطى ، وهى تذكرنا باغانى الصعيد الحزينة فى فيلم « طبيب فى الارياف » الذى اخرجه خيرى بشارة عام ١٩٧٥ . وعلى شريط الصوت ايضا اغنية من الراديو لفيروز يبدو ان مخرجنا اراد بها تحية مطربة لبنان العظيمة ، ضمن تحياته لكل من يحب فى سيرته الذاتية المبكرة .

وبقدر ما يؤكد « العوامة ٧٠ » استاذية كمال الشناوى فى دور العم حسين ، وماجدة الخطيب فى دور سعاد ، وقد قدم كل منهما دورا من احسن ادوار حياته ، بقدر ما يكشف عن موهبة تيسير فهمى التى قامت بدور وداد فى اول ادوارها السينمائية ، وموهبة احمد بدير الذى قام بدور العامل عبد العاطى لولا بعض المبالغة فى الاداء . صحيح ان عبد العاطى يدمن المخدرات ، ولكن هذا لا يعنى التشنج المستمر .

واحمد زكى فى دور احمد الشاذلى يثبت بها لا يدع مجالا للشك انه الاكتشاف العظيم للسينما المصرية فى اوائل الثمانينات . لقد ادى هذا الدور المركب بابداع وجمال كامل ، وكانت عيناه تعبران عن قلق جيله ، جيل ١٩٦٧ ، مثلما تعبر كلمات فايز غالى ولقطات خيرى بشارة واضواء محمود عبد السميع وموسيقى جهاد داود .

الآن ، والآن فقط ، نستطيع ان نشير الى « العوامة ٧٠ » ونقول هذه سينما مصرية جديدة ، او هذه هى السينما المصرية الجديدة ، دون اى تحفظات او اى تنازلات ●



من ذخائر الكتب العربية

د. محمد عبد المنعم خفاجى

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

١٤٢

● ليس فى العالم أحد مثل السيوطى فى كثرة مؤلفاته
● السيوطى جدد للأمة الإسلامية دينها فى القرن التاسع الهجرى
● كان مفتوناً بمصر وعجائبها التى لا يصدقها عقل

● يعتبر هذا الكتاب من أهم الموسوعات التاريخية التى كتبت عن مصر الاسلامية . فلم يفت مؤلفه الامام جلال الدين السيوطى أن يؤرخ فيه للفكر المصرى وللآثار والخطط المصرية حتى عصره .

ويبدو أن الكتاب من تراث السيوطى الذى كتبه فى أواخر حياته ، ففى ترجمته لنفسه فيه يقول عن نفسه فيما يقول : « وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر » .

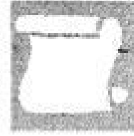
واذا كان السيوطى قد توفى عام ٩١١هـ/ ١٥٠٥ م ، فلعله يكون قد الله فى نهايات القرن التاسع الهجرى وقبل وفاته بنحو أحد عشر عاما أو يزيد قليلا .

وقد طبع الكتاب فى القاهرة طبعات كثيرة طبع بالحجر عام ١٨٦٠ م – ١٢٢٧ هـ ، وطبع فى مطبعة الوطن العربى عام ١٨٨٢م/ ١٢٩٩ هـ ، وطبع فى مطبعة الموسوعات عام ١٩٠٣ م / ١٣٢١ هـ ، وفى مطبعة السعادة عام ١٩٠٦ م / ١٣٢٤ هـ ، وقد ذكر هذه الطبعات كلها سركيس فى كتابه « ١٠٧٨/١ » ، ولكن الطبعة التى لدى هى طبعة المطبعة الشرقية ، وعليها تاريخ الطبع وهو عام ١٣٢٧ هـ ، وقد طبع فى القاهرة طبعة حديثة محققة عام ١٩٦٧ بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ومن قبل طبع جزء صغير منه مع ترجمة لاتينية فى خمسين صفحة فى اوبسالا عام ١٨٣٤ م باهتمام ترنبرج .. وفى مكتبة جامعة الرياض نسخة خطية منه برقم ١٠٥٦ ، تم نسخها عام ١٠٠٦ هـ وتقع فى ٢٨٣ ورقة .

● آية فى سرعة الكتابة ●

وللسيوطى آثار كثيرة فى التاريخ ، من مثل كتبه : تاريخ الخلفاء ، وتاريخ السلطان الاشرف قايتباى ، وتاريخ الصحابة ، وتاريخ أسيوط ، ومن أجلها كتابه « حسن المحاضرة » . وله فى التراجم لاعلام الثقافة العربية الاسلامية كتب كثيرة من مثل : طبقات المفسرين ، وطبقات الحفاظ ، وطبقات الاصوليين ، وطبقات الشافعية ، وطبقات الأولياء الذى سماه « حلية الأولياء » ، وطبقات الكتاب ، وطبقات شعراء العرب ، وطبقات النحويين ، ومناقب ابى حنيفة ، ومناقب مالك ، و « نظم العقيان فى أعيان الاعيان » الذى يحتوى على مائتى ترجمة لاعلام عصره ، ونشره فيليب حتى ، وله كذلك : الرحلة المكية ، والرحلة الفيومية ، والرحلة الدمياطية الى غير ذلك من تراثه الذى يتصل بالتاريخ .

وقد عاش السيوطى حياته كلها وهو يؤمن بوطنه العظيم ، مصر الخالدة ، أيمانا



كبيرا ، ويؤمن بحضارتها الفكرية والمادية، ويؤمن بتاريخها وعروبتها واسلامها ايمانا راسخا .

وكان السيوطى مولعا بقراءة التاريخ المصرى ، ومتأثرا بمدرسة المؤرخين المصريين الذين عاشوا فى القرن التاسع الهجرى خاصة ، والذين عاشوا قبل ذلك عامة ،وكان فيه انطباعات كثيرة عن فلسفة ابن خلدون للتاريخ ، وكان ابن خلدون قد هاجر من تونس الى القاهرة عام ١٣٨٢ هـ ، واقام فيها ، والقى محاضراته فى الجامع الازهر وفى المدرسة القمحية وغيرهما ، وتوفى فى القاهرة عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م . كما تأثر السيوطى بالمقريزى ، وابن حجر وغيرهما من اعلام المؤرخين فى القرن التاسع وكان من بينهم معاصر السيوطى ، المؤرخ ابن اياس ، صاحب كتاب « الضوء اللامع » فى اعيان القرن التاسع .

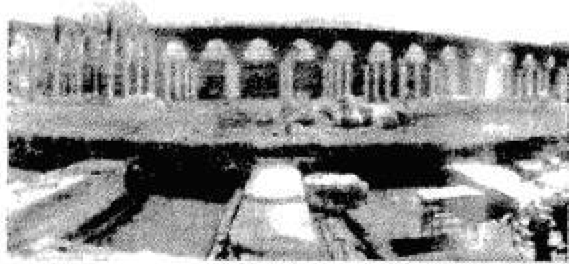
وكان السيوطى من الاعلام الكبيرة التى عاشت جل حياتها فى القرن التاسع الهجرى « ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ : ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م » . وكان والده من كبار علماء عصره وقضاته، وكانت اسرته تنتمى فى اصولها البعيدة الى اصول بغدادية ، وهاجرت الى مصر فى عصر الدولة الايوبية على وجه التقريب ، ولعل مما يؤيد هذا تقرب هذه الاسرة الى الخلفاء العباسيين فى القاهرة ، ونجد السيوطى يجعل عنوان كتاب من كتبه « المتوكلى » نسبة الى الخليفة العباسى المتوكل على الله فى القاهرة ، وقد ولى ابوه مشيخة الجامع الشيخونى فى القاهرة ، وتولى السيوطى نفسه كذلك تدريس الفقه فيه ايضا ، كما تولى منصب المشيخة فى المدرسة الشيخونية ، وهو المنصب الذى كان يشغله ابوه من قبل ، كما شغله ايضا استاذه الكمال بن الهمام الحنفى « ٨٦١ هـ » . وتولى السيوطى كذلك منصب الاستاذية فى الحديث والفتوى فى الجامع الطولونى ، ودرس الحديث بالخانقاه « بيوت الصوفية » الشيخونية ، وتولى مشيخة التصوف بمقبرة برقوق الناصرى ، ثم مشيخة المدرسة البيبرسية ، وهى اكبر خوانق القاهرة آنذاك ، واكبرها اوقافا فى عصره .

وعاش السيوطى حياته كلها مع الكتاب والتأليف والتدريس والفتيا ، ومع تلاميذه ومريديه ، ولكنه فى العشرين سنة الاخيرة من حياته اعتزل الناس ، ولزم بيته للتأليف والكتابة والقراءة ، وكان من ثمرة ذلك كله كتبه الموسوعية الكبيرة فى مختلف فروع الثقافة الاسلامية التى عد من ائمتها وروادها الكبار ، وقد بلغت مؤلفاته ستمائة كما يذكر ابن اياس المؤرخ الكبير ، وذكر السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » ان مؤلفاته بلغت حتى وقت تأليفه لهذا الكتاب ثلاثمائة .

ويذكر بروكلمان انها تبلغ اكثر من اربعمائة ، واحصى له المستشرق فلوكل ٥٦١ مؤلفا ، وقد تكون بعض مؤلفاته وريقات قليلة ككتابه « المتوكلى » مثلا ، وقد تكون اجزاء كثيرة ضخمة ككتابه « الدر المنثور » . وغيره .

ويقول تلميذه الداودى « ٩٤٥ هـ » الشافعى المحدث العلامة فى انبهار بعظمة شيخه السيوطى : كان السيوطى فى سرعة الكتابة آية كبرى من آيات الله » .

من آثار فن العماره
الاسلامى فى القاهرة



• راس المائة التاسعة •

وليس فى العالم من بلغ ما بلغــــــه السيوطى فى كثرة المؤلفات سوى « رامون لول » الاسبانى احد كتاب العصور الوسطى الذى بلغت مؤلفاته نحو الخمسمائة ، وقد كتب فى الفقه والحديث والتفسير ، وعلوم العربية ، والبلاغة ، والادب ، والتاريخ ، والتراجم ، والرحلات ، والاصول ، وابتكر علم اصول اللغة ، وغيرها .

وانتشرت مؤلفاته فى العالم الاســـلامى كافة ، واقبـــل عليهـا الطلاب والعلماء والدارسون بشوق ولذة ، واعتمـــد على العقل والنقل ، واضاف اضـــافات كثيرة وجديدة الى ما سبق اليه اسلافه من العلماء وكان يعد نفسه المبعوث الالهى فى القرن التاسع الهجرى ، ليجدد للامة الاســـلامية دينها ، مصداقا للحديث الشريف : « ان الله يبعث على راس كل مائة عام لهذه الامة من يجدد لها دينها » .

ومن عظمة ايمان السيوطى بالفكر المصرى الاســـلامى انه قال : « ومن اللطائف ان المبعوثين على راس اكثر القرون مصريون عمر بن عبد العزيز فى المـــائة الاولى ، والشافعى فى الثانية ، وابن دقيق العيد « ٧٠٢ هـ » فى الســـابعة ، والبلقينى « ٧٩١ – ٨٦٨ هـ » فى الثـــامنة ، ثم استدرك السيوطى الذى يرى نفسه هوامام علماء المسلمين فى القرن التاسع الهجرى ، فقال : « وعسى ان يكون المبعوث على راس المائة التاسعة من اهل مصر » ، وهو بذلك يعنى نفسه ..

وفى مقدمة كتـــاب « حسن المحاضرة » يذكر مصادر كتابه العديدة ، من مثل : فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر للكندى ، وتاريخ مصر لابن زولاق ،وتاريخ مصر لابن يونس ، والخطط للمقريزى ، والمسالك لابن فضل الله ، والاصابة لابن حجر ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ، وتاريخ الاسلام للذهبى ، والعبر للذهبى كذلك ، والبداية والنهـــاية لابن كثير ، وغيرها من مختلف المصادر .

الوظائف السياسية فى عصره

وفى صدر المقدمة يقول السيوطى : « هذا كتاب سميته « حسن المحاضرة ، فى اخبار مصر والقاهرة » ، اوردت فيه فوائد سنية ، وغرائب مستعذبة مرضية ، تصلح لمسامرة الجليس ، وتكون للوحيد نعم الانيس » .

ثم يتحدث السيوطى فى الجزء الاول من الكتاب عن الايات القرآنية والاحاديث النبوية التى ورد فيها ذكر مصر ، تنويها بها ، وتشريفا لها ، ثم يتحدث عن تاريخ مصر القديمة قبل الفتح العربى لها ، مما اطلع عليه من روايات ونصوص للمؤرخين من قبله ، ويتحدث عن الفتح الاسلامى لها طويلا ، ثم يذكر امتدادات الفتح لكل اقاليمها ، ومن دخل مصر من الصحابة ،ومن التابعين ، ومن تابعى التابعين . ويفيض فى ذكر عظمة التاريخ الفكرى والعلمى لمصر ، فيتحدث عمن ظهر فى مصر من الائمة المجتهدين ، ومن رواة الحديث وحفاظه ، ومن المحدثين ، والفقهاء ، والمة القراء ، والاعلام فى العربية ، ومن نبغ فيها من الفلاسفة والاطباء والمهندسين وغيرهم .

وفى الجزء الثانى يتابع الحديث عن وطنه العظيم مصر ، فيتحدث عن الجوانب السياسية ، وعن امراء مصر وملوكها منذ الفتح الاسلامى الى عصره ، فيذكر ولاة مصر وملوكها من الفاطميين ، والايوبيين ، وسلاطينها من المماليك ، والخلفاء العباسيين الذين جلسوا فيها على عرش الخلافة العباسية فى القاهرة .

ويتحدث عن الوظائف السياسية فى عصره وعن قضاة مصر ، وعن آثارها الاسلامية : جامع عمرو ، وجامع ابن طولون ، والجامع الازهر ، وغيرها ، كما يتحدث عن المدارس العلمية فى القاهرة ، وعن الاثار المصرية وعن النيل ، والروضة ، والمقياس والخليج المصرى ، وغيرها من مختلف الاثار والمشاهد والاحياء .

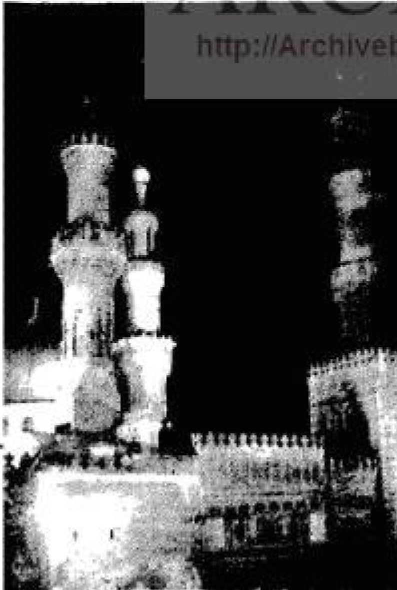
والسيوطى يكاد يجعل كتابه فى وصف الحياة العلمية والفكرية فى مصر الاسلامية، وفى تاريخها السياسى منذ الفتح الاسلامى، وفى آثارها ومدارسها ونيلها واحيائها ، وكل ما يتصل بها سياسيا وفكريا وحضاريا .

عجائب لا يصدقها عقل

والكتاب موسوعة كبيرة فى التاريخ المصرى ، وهو مصدر مهم للمؤرخين منذ تاليف الكتاب الى اليوم ، والسيوطى فيه مفتون بمصر : فكرا ، وطبيعة ، وآثارا .

نقرا له فى آخر الكتاب وهو يقول : « وكنت ابيت بعض الليالى فى الفسطاط على ساحلها ، فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل ، اما سور هذه الجزيرة ــ اى

الجامع الازهر





الروضة ـ الدرى اللون ، فلم ينفصل عن مصر ، وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها ، وهو من اعظم السلاطين همة فى البناء ، وابصرت فى هذه الجزيرة ـ الروضة التى كان يقيم السيوطى فيها ، وكان منزله بها ـ ايوانا لجلوسه لم تر عينى مثالا له ، ولا يقدر ما انفق عليه ، وفيه من الكتابة بصفائح الذهب والرخام الابنوسى والكافورى ما يذهل الافكار ، ويستوقف الابصار ، وقد تفرجت كثيرا فى طرق هذه الجزيرة ، فقطعت بها عشيات مذهبات ، لا تزال لاحزان الغربة مذهبات » .

وينقل السيوطى عن على بن سعيد صاحب كتاب « المغرب » ان الخليفة الفاطمى الآمر بنى فيها لزوجته البدوية التى هام فى حبها بناء شبيها بالهودج ، كما يذكر ان قلعة الروضة كانت عمدها الضخمة منقولة من مراكز الاثار فى مصر ، وان السلطان قلاوون قد اخذ اعمدة هذه القلعة ليبنى بها المارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، وكذلك فعل ابنه السلطان الناصر محمد ابن قلاوون . والسيوطى فى كتابه مفتون بمصر وبطبيعتها الجميلة ، ونيلها الساحر الآثار المصرية ليس مثلها ، وعجائبها لا يصدقها عقل .

ويذكر ان بمصر من المدارس والزوايا وبيوت الصوفية « الخوانق » والعمائر الجليلة الفائقة المعدومة المثيل ، المفروشة بالرخام ، المسقوفة بالاخشاب المدهونة الملمعة بالذهب واللازورد ما لا يحصى .

وينقل السيوطى عن الجاحظ انعجائب الدنيا ثلاثون : عشرة منها فى بلاد الدنيا ، وعشرون فى مصر ، ومنها الهرمان .

ويقول عن الاهرام انها اطول بناء واعجبه وليس على الارض بناء اطول منه .

ويذكر منارة الاسكندرية العجيبة ، فيقول : ويقال انالذىبنى منارةالاسكندرية قليوبطرة الملكة « كليوباترا » .

ويروى انه فى عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٩ م اتفق عيد الاضحى وعيد الفطر لليهود وعيد الشعانين للنصارى فى يوم واحد .

مصر كما يذكر السيوطى ذكرت فىالقرآن فى اكثر من ثلاثين موضعا ، كما ذكرت فى الحديث النبوى الشريف مرات كثيرة . وفى اعتزاز كبير بمصر يذكر السيوطى من دخل مصر من الانبياء ، ويتحدث عن معجزات الفتح الاسلامى لمصر حديثا طويلا ويمزج السيوطى فى كتابه بين الحقائق التاريخية والاساطير المروية التى تخدم التاريخ ، فيذكر نبوءة كاهن مصرى لعمرو ابن العاص بانه سيملك مصر .

ويذكر السيوطى ان القبط الذين كانوا بمدينة « الفرما » حين قدوم عمرو بجيشه الاسلامى كانوا يومئذ لعمرو اعوانا ، ويذكر ان القبط كان منهم معظم الجند فى جيش مصر قبيل الفتح العربى لها ، ولاشك ان مثل هؤلاء اذا كفوا عن الحماس فىقتال جيش عمرو كان ذلك مدعاة للنصر الكبير الذى ناله القائد العربى المسلم عمرو بن العاص بفتح مصر .

● الفكر المصرى البناء ●

ومن عظمة الفكر الاسلامى فى الفتح ما ذكره السيوطى عن حديث حاطب بن ابى بلتعة مع المقوقس امير مصر من قبل قيصر الروم ، وان حاطبا قال للمقوقس :« مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل » .

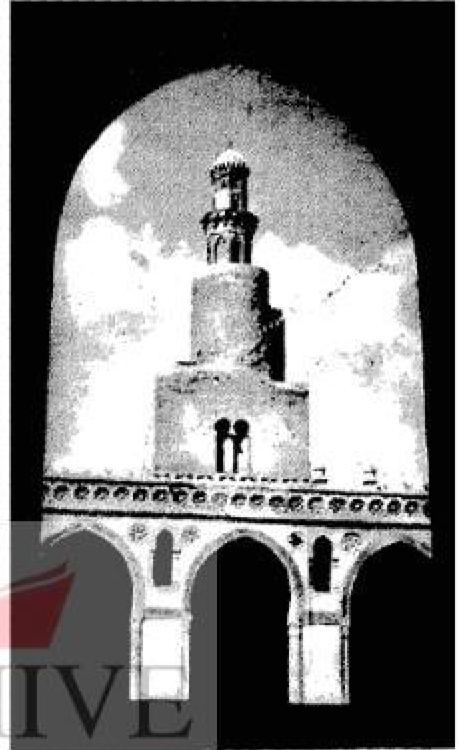
ويحدد السيوطي حدود مصر من رفح والعريش الى الفرما الى دمياط ورشيد والاسكندرية وبرقة على الساحل الذى يقع على ضفافه حوض البحر الابيض المتوسط الجنوبي .

ويذكر بناء القاهرة وسبب تسميتها بهذا الاسم بعد ان كان جوهر قد سماها المنصورية ، فلما قدم المعز اليها غير اسمها وسماها « القاهرة » .

ولقد عاش السيوطي في عصر المماليك الذين حكموا الدنيا ، ودان لهم المشرق ، وامتد نفوذهم من الهند الى ساحل المحيط الاعظم « الاطلسى » ، بعد هزيمتهم للتتار في عين جالوت ، وبعد اجلائهم للصليبيين اجلاء كاملا من سواحل الشام ، وكانت مصر في ايامه باصالتها وحضارتها وعظمتها ومجدها الكبير ، وبامتلاكها لناصية السيطرة العالية على الشرق ، اكبر قوة عسكرية في العالم ، ولم يكن يضارعها على ايامه الا دولة آل عثمان التى فتحت جيوشها القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

وكان السيوطي هو اشهر علماء عصره ، وهو مثال رائع للفكر المصرى المتوثب البناء العامل من اجل استمرار الحياة والحضارة والتقدم والازدهار في بلاده .

كان الشعب المصرى على ايامه يملك زمام التجارة العالمية ، وقد جاء البرتغاليون مزاحمين لمصر ولسيادتها البحرية ،ولتفوقها التجارى ، حتى لقد اكتشفوا طريق راس الرجاء الصالح فاخذت تجارة اوروبا تتحول الى هذا الطريق الجديد ، وكان ذلك عاملا



جامع احمد بن طولون

ويذكر السيوطي ان سكان مصر في زمن الفتح العربى كانوا اكثر من ستةالاف الف نفس « اى ستة ملايين » . ويفيض في ذكر فتح الاسكندرية .

ويتتبع السيوطي تاريخ مصر بعد الفتح الاسلامى ، مبينا عظمة مصر ، التى طبعت العرب الفاتحين بطباعها ، واكسبتهم الروح المصرية الباهرة الاصيلة .

كبيرا في بدء ظهور الازمة الاقتصادية التى اضرت باقتصاد مصر وبتجارها وتجارتهـا العالمية .

وقد توفى السيوطى قبيل الغزو العثمانى لوطنه بالنى عشر عاما ، فلم يشهدالاحداث الدامية التى حدثت مصاحبة لهذا الغزو المدمر ، الذى حطم الامبراطورية المصرية . ونقل مصر من دولة لها السيادة على الشرق ولها مكانتهـــا العالمية الكبرى الى دولة مغلوبة على امرها ، فالخلافة الاسلامية تنتقل منها الى القسطنطينية ، وكانت قبـلا فى القاهرة منذ عام ٦٥٩ هـ ، بل كانتمصدرا من مصادر عظمة مصر وجلالها ، حتى ليقول السيوطى فى كتابه :

« واعلم ان مصر من حين صـارت دار الخلافة عظم امرها ، وصارت محل سكنى العلماء ، ومحط رحال الفضلاء ، ومقصـد الادباء والشعراء » .

● جسور على النيل ●

لقد هزت حضارة مصر ومجدها وازدهارها فى عصره وجدان هذا العالم الكبير ، فكان كتابه « حسن المحاضرة » سجلا رائعا لعظمة مصر ومدنيتها ورخائها ، ولازدهار الحيـاة الفكرية والعلمية والادبية فيهـا ، بل كان نشيدا ملحميا رائعا فى وصف جلال مصر ومجدها وآثارها ومدارسها وعظمة الحياة العقلية فيها . كل ذلك مع حرص السيوطى حرصا كاملا على روح البحث ، وحقائق العلم ومع المحافظة التامة على المنهج التـاريخى الذى التزم به فى الكتاب التزاما كاملا .

ومن الغريب ان السيوطى الذى توفى عام ٩١١ هـ فى عهد السلطان قانصـوه الغورى « ٩٠٦ — ٩٢٢ هـ » ، والذى الف كتابه « حسن المحاضرة » بعد عام ٨٨٨ هـ بقليل ، يوالى كتابة الحديث عن ملوك مصر حتى عام ٩٢٨ هـ ، اى حتى بعد دخـول الجيش العثمانى القاهرة ، ويبدو ان هذه الزيادات التى كتبت وزيدت على الاصـل الذى كتبه السيوطى نفسه هى من صنع احد تلاميذ هذا الاستاذ المؤرخ العظيم .

ولا انسى ان اذكر ان الجسور «الكبارى» الموجودة بين مصر القديمة والروضـة وبين الروضة والجيزة ليست بالامر الجديد على العقل المصرى ، فقد كانت هناك جسـور كذلك على النيل فى عهد الســيوطى الذى يقول فى كتابه : « كان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب ، وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من خشب يمر عليها النـــاس والدواب من مصر الى الروضة ، ومن الروضة الى الجيزة ، وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض ، وهى موثقة « بالحبال » ، ومن فوق المراكب اخشاب ممتدة ، فوقهـا تراب ، ولم يزل هذا الجسر قائما ، الى ان قدم المامون ، فاحـــدث جسرا جديدا ، فاستمر الناس يمرون عليه ، وكان عبور العساكر التى قدمت مع جوهر على هذين الجسرين .. » .

واخيرا فكتاب « حسن المحاضرة » كتاب رائع حقا ، وهو من امهات المصادر فى تاريخ القاهرة خاصة وفى التاريخ المصرى الاسلامى عامة ، ويضيق المجال فى استقصاء روائع ما اشتمل عليه من حقــائق ومعلومات واحصائيات وتحليل ونقد ووصف لظاهـر الحياة المصرية فى القرن التاسع الهجرى العظيم . ●



تذكرة طبية

صحتك

د. السيد الجميلى

تذيع كثير من الامراض وتشيع فى فصل الربيع اهمها على الاطلاق الحساسية فى الشعب الهوائية والمسالك التنفسية ، الرمد الربيعى ، السعال الديكى فى الاطفال ، التهاب الغدد النكفية فى الصبيان والالتهاب السحائى الحمى المخية الشوكية الحصبة والحصبة الالمانية .. هذا كله فضلا عن التهابات اعالى الجهاز التنفسى الفيروسية ، ولعلها من اهم سمات فصل الربيع فى اغلب الاحوال .

وتصيب الصبيان والاطفال فى مساحات واسعة ما بين السنة الى العاشرة من العمر وتنزل بهم نزولا شديدا صعبا فى صورة حمى مع ارتفاع حاد فى درجة حرارة الجسم ، مع سيولة الانف واحتقان العينين وقد تستمر هذه الاعراض ما بين ثلاثة الى اربعة أيام متصلة .

لكن درجة الحرارة تميل بعد اليوم الرابع للهبوط التدريجى ، ثم يظهر الطفح فى اليوم الرابع لارتفاع الحرارة ، ومع ظهور الطفح يزداد لهيب الحمى ويتفاقم فيح الحرارة ، ثم تظل هذه الحمى متشددة طوال فترة ظهور الطفح الجلدى الذى يشبه الى حد كبير طفح الحمى القرمزية ، ومن سمات طفح الحصبة انه يظهر بادىء ذى بدء فى الوجه ويأخذ فى الانتشار الى القدمين فى غضون يومين على الاقل ، ثم يتجمع خلف شحمة الاذن وفى الجبهة . ثم يتضاءل هذا الطفح بعد ذلك تدريجيا حتى ينتهى الى الوان باهتة بنية مائلة للحمرة او حمراء مائلة للبنى .

وفى هذه الاطوار التدريجية لحملة الحصبة الشعواء الضارية على البدن قد تتورم الغدد الليمفاوية ، مع نقص شديد فى عدد كرات الدم البيضاء .

الالتهابات الرئوية الحادة هى اهم مضاعفات الحصبة ، وهى اهم ما يؤذى الطفل ويهدد حياته بالخطر الداهم المحلق والذى يدفع بالجسم الصغير الى النهاية الحتمية التى لا مناص ولا محيد عنها ومن ثم تنبه الى ان الاسراع بعلاج الحصبة من اهم



فى الربيع

المسائل خطورة ، والاقلاع عن العادات التقليدية القديمة المتهالكة التي تترك مريض الحصبة يعاني من لفحاتها القاسية بدعوى انها تشفى من نفسها ففي ذلك تعريض حياة المريض للهلاك · وفى الغالب من اكثر ما راينا من حالات الحصبة نرى النزلات المعوية ، والاسهال الشديد ، والتهاب الاذن الوسطى ، والتهاب العينين من اخطر مضاعفات الحصبة ايضا ·

التهابات المعدة

يشكو الكثيرون من الناس من التهابات المعدة حادة او مزمنة ، ويكون ذلك عادة مقرونا بالارتباك فى الوجبات وعدم اعطاء المعدة الراحة الكافية بين الوجبات ، وكثيرا ما يعبر العوام والبسطاء عن التهابات المعدة او ازدياد الحموضة بها بحرقان القلب ويتوهمون أن التلف فى القلب ـ وهم مخطئون فى ذلك بلا شك ـ ويزيد الطين بلة أن يتضاعف احساسهم بالالم العضوى الذى اضيف اليه الالم النفسى الذى يصل الى درجة كبيرة فوق الاحتمال فى بعض الاحيان ·

وقد يعزى قلق المعدة والتهابها الى التهابات ميكروبية نتيجة غزوها بالميكروب العنقودى او التسمم ببعض المعادن الثقيلة ·

وفى الحالات الحادة يشعر المريض بالغثيان والميل للقيء وآلام فى منطقة اعلى البطن تحت عظمة القص مباشرة ·

اما فى التهابات المعدة المزمنة فيحدث ضمور فى الغشاء المخاطى وقد يكون هذا الضمور فى الغشاء المخاطى ثانويا لاضطرابات اخرى بدائية سابقة عليها مثل الانيميا المزمنة او سرطان المعدة ، او بعد عملية استئصال المعدة جراحيا ، كما فى حالات التسمم الكحولى المزمن ، وتسمم البولينا وفى اعقاب العلاج بالكهرباء ، والاشعاع الذرى · فى مثل هذه الحالات الحادة يجب المسارعة بعرضها على الطبيب المعالج ليقرر التشخيص السليم ويقرر العلاج المناسب بالجراحة اللازمة حتى لا تنتقل حالة المريض الى درجة الازمان التى يتعذر معها ويتعسر بها الشفاء فى اغلب الاحيان ·

من تراث

الهلال

قدم "الهلال" على امتداد تسعين عاما زادا عظيما من روائع الفكر والأدب والفن .. وفي باب "من تراث الهلال" نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث..


د. طه حسين

هذا مذهبي

بقلم الدكتور: طه حسين

نشر هذا المقال في الهلال - ابريل ١٩٥٥

كتب الدكتور طه حسين ـ رحمه الله ـ هذه المقالة بهذا العنوان ، تلبية لاقتراح من «الهلال» جريا على عادته في استكتاب كبار الكتاب في موضوعات معينة .. ويتحدث طه حسين هنا عن حياته طالبا في الازهر وفي الجامعة وفي البعثة بفرنسا واستاذا بالجامعة المصرية ، وخصوماته الادبية وغيرها من الامور التي كونت مذهبه في الحياة ..

اكاد اعتقد اني لم اعرف مذهبي في الحياة الا شيئا فشيئا لان هذا المذهب نفسه لم يتكون الا قليلا قليلا . فرضته على ظروف الحياة ، وهي التي استخرجته من اعماق طبيعتي استخراجا بعد أن كان كامنا فيها كمون النار في العود كما يقول الشاعر .

وأول ما استكشف من هذا المذهب خصلة أرى انها قد صحبتني منذ الصبا وهي الظمأ الشديد الى المعرفة . الظمأ الذي لا يطفئه اكتساب العلم ، وانما يزيده قوة وشدة والتهابا فأنا لا احصل نصيبا من المعرفة الا اغراني بأن احصل شيئا اخر أبعد منه مدى واشد عمقا . وليس في هذا نفسه شيء من الغرابة . فاذا كانت حاجة من عاش لا تنقضي ، فحاجة من ذاق المعرفة أشد الحاجات الحاحا واعظمها اغراء بالتزيد منها والامعان فيها .

وأكبر الظن ان هذه الآفة التي المت بي في أول الصبا هي التي أذكت في نفسي هذه الجذوة ، فهي قد صرفتني عن كثير مما يشغل المبصرين وحرمت على ألوانا من جدهم ولعبهم ، ويسرتني لما خلقت له من الدرس والتحصيل انفق فيهما من الوقت والجهد والنشاط والفراغ ما ينفقه غيري فيما يضطربون فيه وما يختلف عليهم من ألوان الحياة وخطوبها .

وما كلفت بمثل من الامثال السائرة قط كما كلفت بهذا المثل القديم : «ء لابد مما ليس منه بد» .. وما أحببت بيتا من الشعر العربي كما أحببت بيت ابي العلاء :

وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء

لم يكن بد اذن من ان اوطن نفسي على الفراغ لما أحسنه ، او لما ينبغي أن احسنه من الدرس والتحصيل ماوجدت اليهما سبيلا .

وقد فعلت اوحاولت ان افعل فى آخر الصبا واول الشباب ، ولكن ما اسرع ما رايت وسائل الدرس والتحصيل عسيرة على اشد العسر ، فقد كنت مستطيعابغيرى – كما يقول ابو العلاء – لا اذهب ولا اجيء ، ولا اغدوولا اروح ، ولا اقرأ ولا اتعلم الا ان يعيننى على ذلك معين . وكانت طريقى الى الدرس والتحصيل فى تلك الاوقات ضيقةمحدودة تبدأ بى فى الازهروتنتهى بى الى الازهر وكان على ان انفق العمر فى هذا المدار المحدود من العلم الذى كان الازهريون يبداون فيه ويعيدون ، ولا يضيفون اليه وقتئذ شيئا ولايستطيعون ان يضيفوا اليه شيئا

وهنا ظهرت خصلة ثانية من هذه الخصال التى الفت مذهبى فى الحياة وهى الصبر والمغالبة واحتمال المكروه ما وسعنى احتماله .

فقدصبرت وصابرت واحتملت من الوان المشقة فى الازهر ما رضيت عنه وما سخطت عليه ، ولكنى رايتنى مدفوعا الى شيء من المغامرة لم يكن يدفع اليه امثالى فى تلك الايام . فمالى لا اختلف مع بعض الصديق الى دار الكتب لاقرأ فيها من العلم مالم يكن الازهر يسيغه .

ولم اكد استكشف على القدماء من العرب وادبهم حتى صرفت اليهما عن الازهر صرفا . ورايتنى ثائرا على الازهر ودروسه ثورة جامحة لم احسب لعواقبها حسابا . ثم لا اكاد اتصل بالجامعة التى انشئت فى تلك الايام حتى اكلف بما كان يلقى فيها من درس اشد الكلف ، واذا خصلة ثالثة من مذهبى فى الحياة وهى خصلة التصميم على اقتحام العقبات التى تعترض سبيلى الى العلم مهما تكن او اموت دونها . واذا انا مصمم على ان احصل علم الجامعة ثم اعبر البحر الى اوروبا لاطلب العلم هناك . وما اكثرما سالت نفسى كيف السبيل لمثلى الى عبور البحر وطلب العلم غريبا فى تلك البلاد التى لااعرف من امرها شيئا . ولم اكن اجد جوابا لهذا السؤال ، ولكنى لم اجد جوابا لهذا السؤال ، ولكنى كنت اقول دائما : ومع ذلك فلابد من عبور البحر وطلب العلم فى معاهد الغرب !

رايتنى ذات يوم وقد بلغت ماكنت اتمنى واتيح لى الانتصار على اصعب المصاعب واشد العقبات عسرا . لم اكن ذا حظ قليل او كثير من الثراء ولم يكن يخطــر لاسرتى أن تفكر فى مثل هــذه المغـــامرة التى كانت تراها اذا سمعتنى اتحدث عنها عبثا مــن العبث وتسليا بالاحلام عن مرارة الحياة الواقعة .

وانا أجد فى الدرس وآخذ فى تعلم لغة اوروبية ، واصل الى النتيجة التى لم تكن تخطر لاسرتى ولا لبيئتى ولا للذين عرفونى من قرب او بعد على بال . وارانى ذات يوم فى سفينة تعبر بى البحر ، وقد تركت الاهل والصديق فى دهش اى دهش من اقدامى على تلك المغامرة التى لم تكن فى تلك الاوقات شيئا ميسورا .

ولم احتج الى خصلتى الصبر وصدق العزيمة كمـــا احتجت اليهما حين بلغت فرنسا فانكرت من حولى كل شيء وكل انسان . وانكرنى من حولى كل شيء وكل انسان ايضا . ولكن الصــبر والاحتمال فى عزم لا يعرف اناة ولا فتورا اتاحا الى أن اعــرف الناس والاشياء وأن يعــرفنى الناس وتعرفنى الاشياء وان أحيا فى فرنسا حياة مهما تكن شاقة فى اولها فقد اتيح لها اليسر والنجاح بعد العامين الاولين .

واعود الى مصر لا لاجلس فى حلقة من حلقات الازهر كما كانت اسرتى تتمنى لى ، ولكن لاكون استاذا فى الجامعة . وقد اخذت اشارك الناس فى الحياة العامة وكانت ثقيلة فى تلك الايام . كانت صراعا بين مصر وبين الانجليز ، وكانت صراعا بين الاحزاب المصرية نفسها . وانا احمل نصيبى مــن هذه الاثقال كغيرى من المواطنين .

ولكن خصلة اخرى من خصال مذهبى فى الحياة تكشفها الى الظروف الجديدة التى عشت فيها منذ عدت الى مصر ، وهى خصلة الصراحة والجهر بالحق مهمــا يكن حرا محضا ، والنضـــال فى سبيله مهما يثقل هذا النضال ومهما تكن عواقبه .

وكذلك رايتنى اخاصــم فى الســـياسة واخاصـــم فى الاصلاح الاجتماعى ، واخاصم فى تجديد العقل المصرى ، وتغيـير منهجــه فى البحث والدرس . واخاصم فى نقل المناهج الغربيــة الحديثة لافرضها على دراســة الادب والتاريخ فى مصر . .

واذا انا اثير الخصومات واحفظ الصدور واغرى الناس بنفسي والقى من ذلك الجهد والمشقة ، واغضب في وقت واحد كثرة البرلمان وصاحب القصر ولكن لا أحجم ولا اتردد وانما تزيدني المحنة اقداما وتصميما .

ثم امضي فيما انا فيه من الصبر والتصميم والمجاهرة بما ارى انه الحق غير حافل بسخط الساخطين ولا رضى الراضين حتى يبلغ الامر غايته ، فامضي عن الجامعة واحارب في الرزق واتلقى الوان النذير فلا يقل ذلك من عزمي وانما يزيده مضاء وتصميما .

وكذلك غالبت المصاعب والعقاب على اختلاف مصادرها وعلى اختلاف الوانها وطبيعتها . واتيح لي التغلب عليها آخر الامر ولو الى حين وهنا تظهر الخصلة الاخيرة التي عرفتها من مذهبي في الحياة الى آن وهي حبي ان ارى الناس جميعا في الشوق الى العلم والاستزادة منه والوصول اليه دون ان يجدوا مثل ما وجدت من المشقة ودون ان يمتحنوا بمثل ما امتحنت به من ضروب العناء. واذا انا ادعو الى ذلك والح في الدعوة اليه على كره السلطان له في ذلك الوقت. والناس يسمعون لي ويستجيبون لدعوتي والسلطان يضيق بي وبالناس ، ولكنه مضطر آخر الامر الى ان يستجيب لبعض ما كان الناس يلحون فيه ، بخيلا باستجابته مترددا فيها لا يقبل عليها الا كارها . ثم تتاح لي المشاركة في السلطان ذات يوم ، واذا انا استحي ان القى الناس بغير ما عودتهم من المطالبة بنشر التعليم وتيسير المعرفة للناس جميعا . فابذل في ذلك ما املك من الجهد ولا اترك السلطان الا وقد استقر في نفوس الناس ان العلم حق لهم يجب ان يكونوا جميعا سواء في القدرة على ان يطلبوه احرارا لا يجدون في سبيله مشقة مهما يكن لونها .

وكذلك عرفت من طبيعة نفسي خصالا هي التي استطيع ان اقول انها كونت مذهبي في الحياة : ظمأ الى المعرفة لا سبيل الى تهدئته ، وصبر على المكروه ، ومغالبة الاحداث ، وطموح الى

اقتحام المصاعب في غير حساب للعواقب، وجهر بما أرى انه الحق مهما يعرضني له ذلك من الخطوب ثم شعور كأقوى ما يكون الشعور بالتضامن الاجتماعي يفرض على ان أحب للناس من الخير ما احب لنفسي .

احقق لي هذا المذهب في الحياة ما يطمح الناس اليه من السعادة التي تنعم بها النفس، ومن الغبطة التي يطمئن اليها القلب والرضى الذي يرتاح اليه الضمير ؟

هيهات ! ان هذه السعادة لم تقدر لمثلي ، وكيف السبيل الى السعادة والغبطة والرضى وانا لم ابلغ شيئا الا طمحت الى شيء آخر ابعد منه منالا ، ولم احقق املا لنفسي وللناس الا دفعت الى امل هو اشق منه تحقيقا . انما يسعد الناس هذه السعادة حين يتاح لهم حظ من الفلسفة لم يتح لي ، او يقضى عليهم بفراغ النفوس والقلوب والعقول ولم يقض علي بهذا الفراغ .. !

فاذا كان الامل الذي لاحد له، والعمل الذي لا راحة منه سعادة، فانا السعيد الموفور مافي ذلك شك ، اما اذا كانت السعادة هي الرضى الذي لا يشوبه سخط ، والراحة التي لا يشوبها تعب ، والنعيم الذي لا يعرض له البؤس فاني لم اذق هذه السعادة بعد وما ارى اني ساذوقها الا ان ياذن الله لي بها فيما وراء هذه الحياة ●

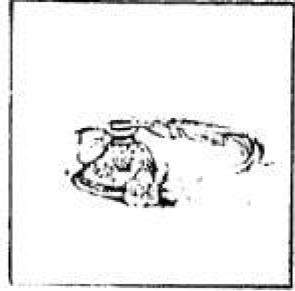
● **حماقات الرجال** ●

الحماقة الاولى : ان يتسلق الرجل الاشجار كي يجني منها الثمار والفاكهة ، في حين انه لو انتظر الوقت الكافي لسقطت الفاكهة عند قدميه من تلقاء نفسها !

الحماقة الثانية : ان يذهب الرجال الى ميادين القتال كي يقتل كل منهم الآخر ، بينما لو انتظروا لماتوا جميعا ميتة طبيعية !

الحماقة الثالثة : وهي ادهى من سابقتيها ــ : ان الرجال مازالوا يطاردون النساء ، والواقع انهم لو تريثوا وقتا كافيا لطاردتهم النساء !

يوسف القعيد



ثقافة مصر

حضور المشاكل وغياب الحلول

●● ندوة هامة عقدها اتيليه القاهرة للكتاب والفنانين مؤخرا . الندوة عقدت تحت اسم وقفة مع الثقافة المصرية . استمرت الندوة حوالى اربع ساعات . واهميتها تاتى من نوعية الموضوع المطروح للنقاش فيها . ومن طبيعة الذين شاركوا فيها . فقد تحدث فى هذه الندوة . قطاع من المثقفين المصريين . كانوا متنوعين من ان يكون لهم الحق حتى فى الكلام .

تحدث فى هذه الندوة فريدة النقاش والدكتورة امينة رشيد . وصلاح عيسى وسيد البحراوى . وعبد الله الطوخى . وصنع الله ابراهيم وعز الدين نجيب . وانجى اللاظون .

كانت الندوة حية . وكانت فرصة الكلام متاحة للجميع . ولكن المحزن فى الندوة هو الموقف حيال هموم وازمات الثقافة المصرية عند الحديث عنها كان الامر واضحا حاضرا فى الذهن . ولكن عند الحديث عن المخرج كان هناك اكبر قدر من الاختلاف وهذا ليس عيب الذين حضروا الندوة . بقدر ما هو جزء من السيكلوجية المصرية العامة فى مصر فخلال السنوات التى مضت . استهلكت الجميع الرغبة فى تشخيص ما وصل اليه الحال .

اعرف ان المسالة ليست بهذا القدر من التبسيط ، وانها ربما كانت اكثر تعقيدا من كل تصور . ولكن يكفى ان نتجاوز هذا الواقع الثقافى المنهار بنية البدء فى فعل ما . طوال سنوات والمثقفون لا عمل لهم سوى الكلمات . عالم مصنوع من احرف الابجدية ولا شىء سوى هذا . مع ان التدهور الحاصل يمكن ان يكون نقطة بدء صالحة . ننطلق منها الى العمل ، ان كانت النية حسنة . هناك ازمة النشر ، هذا صحيح . ولكن يكفى ان كل الاجيال السابقة وجدت الحل فى عمل جمعيات تعاونية للنشر . واسست دور النشر من داخلها وحلت هذه المشكلة . الان ــ يوجد فى مصر بعض الادباء . الذين نشروا عشرة اعمال ادبية ، ومع هذا فلا يزال النشر مشكلة امامهم . ولا حل سوى بعمل جماعى تعاونى يحل المشكلة من جذورها . نوجد مشكلة القنوات الشرعية لعمل الندوات واللقاءات . وفى هذه الحالة تبرز على



السطح كلمات مثل تاسيس جمعية ادبية او خلافه • مع ان الوجود فعلا من الجمعيات يصلح تماما كنقطة للبدء • للعمل من خلاله ..

اتحاد الكتاب من المؤكد انه مجرد جمعية خيرية ، لتقديم خدمات اجتماعية ذات طابع انساني • وانه لن يكون نقابة مهنية ترعى الادباء والكتاب • وتلعب دورا • فى تمكينهم من القيام بدورهم • والحل ليس فى انشاء اتحاد آخر • وليس فى مقاطعة هذا الاتحاد • ولكن فى دخول هذا الاتحاد والوجود فيه • وتحويله من مجرد شقة هدفها الاول الحصول على سيارات وأرض فى العريش وشقق فى الهرم • الى كيان ثقافى يلعب دورا ثقافيا بالدرجة الاولى ان كل المثقفين الموهوبين لا يذهبون الى هذا الاتحاد سوى فى ايام الانتخابات • وهذا خطأ • فالوجود فيه من داخله والعمل على تغييره من الداخل مهمة كل من تعنيه الثقافة والكلمة المكتوبة • المفروض ان مصر وطن الجميع • وانها حق لكل انسان ، وعلى كل كاتب أن يلعب دوره • انطلاقا من اى شكل للعمل •

لقد عرفنا اين يكمن الخلل • وعرفنا هموم الثقافة المصرية • وعرفنا اين يكمن جرح السنوات العشر الماضية • الذى كاد يفرغ العقل المصرى من محتواه الاساسى ولكن المحاولة لم تصل الى اى نتيجة • والمهم الان ان نكف عن الكلام • وان نعمل • وان نبتعد قليلا عن محور الذات • وان نحاول الاقتراب من دفء الاخرين • وان نعمل معا • لا مخرج لنا جميعا • ان كان ثمة مخرج ما • سوى ان نعمل معا • ان نضع ايدينا فى ايدى البعض وان نعمل • وان لا نتكلم • فالكلام فى بعض الاحيان يصبح بديلا للفعل • وما نحن فى امس الحاجة اليه هو المزيد من الافعال • والقليل جدا من الكلمات • وان يحاول كل منا الاقتراب من عالم الاخرين • فالسنوات العشر حولتنا جميعا الى جزر معزولة • لا يفكر كل منا سوى فى نفسه • وفى همومه • وبالتالى فان المخرج المطروح امام كل منا هو مخرج فردى فى الاساس • وبقى علينا ان نبحث عن المخرج بدلا من المخرج الفردى •

لقد وصلت الثقافة المصرية الى حال ليس هناك ما هو اسوأ منه • ومع هذا فالامل

قائم فى تجاوز هذا الواقع .. وهو قائم الان . وسيتم هذا خارج الاطر الرسمية . المعروفة فى الدولة . والان علينا ان نبدأ فقط .. فهل نفعل هذا ؟

كل مذبحة و « فصول » بخير

●● وقبل الحديث عن المذبحة الاخيرة . فى العدد الاخير من مجلة فصول لابد من القول . ان هذه المجلة من اكثر المجلات الثقافية جدية . فى الصحافة الادبية فى الوطن العربى كله . وان وجود هذه المجلة ـ فى حد ذاته ـ يعد دفاعا عن شرفنا الثقافى . وعن حق العقل المصرى فى الوجود وان انتظار اعدادها . والترحيب بها . وتقديم هذه الاعداد لمن يزور القاهرة من المثقفين . كان يعنى لحظة من عناق الاعتزاز بالنفس . وانه توجد فى مصر مجلة ثقافية جادة . نفخر بها جميعا ..

ولكن ـ والحال هكذا ـ صدر العدد الاخير من مجلة فصول . وهو عن الرواية وفن القص . فاذا به يصبح مذبحة . لمئات من كتاب القصة والرواية فى مصر والوطن العربى . ولهذا فان رائحة الفجيعة من هذا العدد تتعدى الاحساس بالمأساة . فنحن نقف فى الحياة الثقافية وفصول امامنا والبحر من ورائنا . الان . نحن نقف والبحر من الخلف ومن الامام ولا أمل .

من المفروض ان هذا العدد يغطى فن القصة والرواية فى مصر اولا وبصورة كاملة . ثم فى الوطن العربى بقدر الامكان وقد انتظر المثقفون هذا العدد اشهرا ثلاثة هى فترة الاعداد لهذا العدد . فماذا نجد فيه ؟

خرج هذا العدد ليقول لكل الناس ان مصر فيها اربعة فقط يكتبون الرواية والقصة القصيرة . وانه لا يوجد سواهم . واحد مات . والثانى مهاجر خارج مصر منذ سنوات والثالث والرابع يعيشان فى مصر . ولهذا فى الوقت الذى نجد فيه أكثر من دراسة عن كاتب معين . نجد ان هناك العديد من الاعمال الفنية الجيدة والجادة . وكأنها غير موجودة اصلا . وهذا معناه ان العدد يفتقد الى التخطيط والى طموح ان يغطى الجديد من فن الرواية والقص . وفى الوقت الذى يتجاهل العدد كل نقاد مصر الجادين . نجد ان معظم كتاب العدد من النقاد الهواة . واغلبهم من المبدعين الذين يكتبون النقد كعمل ثان لهم . أو كنوع من شغل اوقات الفراغ .

تصفحت هذا العدد والمرارة تملأ الفم وتنتشر فى الدم . وكنت اتذكر ما كان يقوله صلاح عبد الصبور ـ يرحمه الله حقا ـ عن حياد هذه المجلة بين كافة الاتجاهات . وجهود الدكتور جابر عصفور ـ رده الله من غربته القسرية ـ ومحاولته لان يأتى هذا العدد وفيه أكبر قدر من الحياد والموضوعية والانصاف لكافة الاتجاهات .

والبكاء على من مات . ومن رحل . لا يعنى ان الموجودين قصروا فى الدور المطلوب منهم . لا اشك لحظة واحدة . فى حياد وموضوعية الدكتور عز الدين اسماعيل . رئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب . ولكنه رجل مشغول ما بين الجامعة والهيئة ومجلة فصول . وهذا لا يترك فرصة للمتابعة . المجلة هى جزء من عمله كرئيس لهيئة الكتاب . ورئيس لتحريرها معا .

والمذبحة التى حدثت لكتاب مصر . هى جزء فقط من ذلك الغياب العربى الشامل فى العدد لدرجة ان بعض الاعمال العربية المعروضة فى العدد اقرب الى العينات . هذا فضلا عن هزال الاقلام التى قدمت بعض هذه الدراسات .

قبل ان يسافر الى قطر كان سامى خشبة واحدا من الاسماء الجادة . وبعد العودة . هو الان مدير لتحرير فصول . ومع هذا





رضوان عرابى

تحدث هذه المذبحة . ولا ندرى كيف يتم هذا ؟

حتى الندوة التى عقدتها المجلة . تم شطب معظم ما قيل فيها . ولم ينشر الا الكلام الذى يرضى . اول الامر . على الرغم من الوعود التى قيلت قبل بدء الندوة . كانت فصول « املا » عزيز المنال . ولكنها تحولت ودون ان ندرى الى مذبحة مخيفة . تحاول ان تحرق ثلاثة اجيال من كتاب القصة والرواية فى مصر على مذبح اربعة من الكتاب .

المجلس الأعلى وحكاياته . .

●● كل من تقابله من المثقفين يسالك واين هو المجلس الاعلى للثقافة ؟ ولا تكون هناك من اجابة . فمنذ اشهر تصل الى الخمسة والمجلس لا عمل له . وما نعرفه عنه هو مجرد اقوال تتردد فى الواقع الثقافى لا يوجد ما يؤكدها . وفى نفس الوقت لا يوجد ما ينفيها .

والى من يسالون عن المجلس الاعلى . اقول .. ان الامور تحركت مؤخرا . وان هناك قرارات اصدرها محمد عبد الحميد رضوان وزير الدولة للثقافة ورئيس المجلس اولها قرار بخفض عدد لجان المجلس من ٢٧ لجنة الى ١١ لجنة فقط . والثانى خفض عدد موظفى وزارة الثقافة الاعضاء فى المجلس الاعلى من ٣٠ عضوا الى سبعة فقط . والمجلس السابق كان فيه ٥٤ عضوا . عشرون شخصيات عامة من المثقفين . و ٣٠ عضوا بحكم مناصبهم فى وزارة الثقافة . وهذا كان يجعل اعمال المجلس وكانها جزء من اعمال الوزارة . وهذه القرارات - بصرف النظر عن الضرر من الفائدة فيها صدرت فى غيبة المثقفين . وهى مثل كل القرارات السابقة . التى على المثقفين تنفيذها فقط . والقرار الخاص بخفض عدد موظفى الوزارة فى المجلس الاعلى . كان مطلبا من قبل . وقد كرره الكثيرون من قبل . ولكن القرار الخاص بخفض عدد اللجان . لا يتم الا بقرار اخر وهو اعادة النظر فى الاشخاص الذين تشكلت منهم هذه اللجان نفسها برغم ان هذا النظام نفسه قد تم فى ظل وزير مستنير ومتفتح وهو منصور حسن - ويعد من الوجوه الهامة فى مسيرة الليبرالية المصرية . الا ان التشكيل نفسه جاء فى فترة خلل جوهرى واساسى . فى الحياة الثقافية المصرية . ولهذا نجد ان افضل عناصر المثقفين بعيدين عن هذه اللجان . فقد شكلت اللجان فى مرحلة عامة من العداء لكل ما هو مثقف وموهوب . ولهذا شكلت اللجان من مجموعة من انصاف الموهوبين . واشباه المثقفين . وطلب اعادة التشكيل ليس معناه ان الامور الان وصلت الى حالة من التعادل . ولكن من المؤكد ان الامور الان افضل من الظروف التى شكلت فيها هذه اللجان .

وحتى بعد ان يتم هذا . هناك شك ان يلعب هذا المجلس ولجانه دورا ما . فى الثقافة المصرية . وميزة الثقافة المصرية الاساسية . ان الابداعات الثقافية فيها . انها تتم خارج اطار الثقافة الرسمى للدولة

وان المبدعين الفعليين انها يلعبون ادوارهم. خارج .. هذا الاطار .

الكاتبات العربيات قــــادمات

●● زارت القاهرة الكاتبة الكويتية ليل العثمان . كانت المرة الثانية التى ترى مصر فيها . وليلى العثمان صدر لها حتى الان ثلاث مجموعات من القصص القصيرة هى : الرحيل . فى الليل تاتى العيون . امراة فى أناء . وهى تعمل بالصحـــــافة والاذاعه فى الكويت .وان كان من ارضية الهواة وليس الاحتراف ، وقراءةمجموعاتها الثلاث . تدفع الى الذهن بخاطر هام . فها هى الكاتبة العربية . تخرج من عصر الحريم . وتنطلق دفعة واحدة الى عصر الافصاح عن النفس والقول والكتابة . وهو الميدان الذى تفرد به الرجل طويلا.اسماء جديدة وجادة . تخرج عن صمت المـــرأة العربية وتلعب دورها الهام .

فى سوريا نجد الدكتورة نجاح العطـــار ناقدة وباحثة ومفكرة . والسيدة دلال حاتم كاتبة القصة القصيرة المبدعة . وفى المغرب نجد فاصمة الرسيسى . صاحبة الدراســـة الرائدة . السلوك الجنسى للمراة فى مجتمع اسلامى تقليدى . وفى فلســـطين المحتلة نجد : سحر خليفة صاحبة : عباد الشمس، والصبار . وفى المملكة العربية السعودية. نجد الدكتورة فاتنة امين شاكر صاحبـــــة « نبت الارض » . حيث ذلك النبع الصافى من الحس الانسانى . فى زمن يتراجع كل ما هو انسانى فيه . وفى بيروت حنـــان الشيخ . صاحبة حكاية زهرة . الروايةالتى جسدت كل هذا القلق والعذاب الانسانى. وفى سوريا نجد حميدة نعنع صاحبةالوطن فى العينين .

يقول حنا مينا عن قصص ليل العثمان :

الفرق ما بين ليل العثمان . واكثــــر الكاتبات اللاتى عرفهن الوطن العربى ، منذ النصف الثانى من هذا القرن. انهالاتكتب لتكتسب شهرة .

ليل لا تصالح الواقع . لا تراه قدرا . لا تتعبده صنما . لا تنوء تحت وطاته . لا تهرب منه . بل تواجهه .

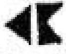
ليل العثمان . كاتبة طالعة من بحـــر ازرق ازرق . حاملة وعودا بعطاء خصب . مبشرة بانعطافة فى ادب المراة . ينأى به عن نرجسية الذات . حيثفرديتها الجنسية فى طرح مكرر وممل . تلوب حولالاستثارة الرخيصة للحب الرخيص .

محنة الكتاب

●● فى آخر العام الماضى . اصدرت الهيئة العامة لليونسكو بيانا قالت فيه . انه نشر فى الوطن العربى خلال عام١٩٨١ ٢٨٥٠ كتابا صدر منها فى بيروت وحدها ١٦٥٠ كتابا . وانه صدر فى كل الدول العربية فى نفس الوقت ١٢٠٠ كتـــــاب فقط .

وهذا التقرير يضعنا وجـها لوجه أمام معجزة بيروت المذهلة . فرغم الحرب الاهلية ورغم كل ما يجرى هناك . الا ان المؤلفـات تصدر هناك . كثيرة من حيث الكم .ومذهلة من حيث النوعية والكيـــف . وان بيروت وحدها اصبحت تســـاوى . اكثر من كل العواصم العربية مجتمعة . وهى عواصـم لا تعانى من ظروف بيروت ابدا . بل ان البعض منها يعانى من حالة الســـــكينة المذهلة .

فى وسط هذا الكلام . لابد من كلمة حزينة حول دور القاهرة الغائب . من قبل



كان الدكتور لويس عوض يقول : القاهرة تكتب وبيروت تنشر . وبغداد ودمشق تقرآن . وفي الوقت الذي تستمر فيه بيروت في النشر . وتستمر فيه بغداد تقرا ودمشق تقرا رغم كل الظروف . الا ان القاهرة لا يدري الانسان ماذا جرى لها..؟ ويبدو ان القاهرة ليست وحدها . فالعالم العربي كله . يبدو انه جرى له امر ما . جعل الكتاب يتراجع من حياته .

والعودة الى تقرير هيئة اليونسكو في سنة ١٩٦٥ . يؤكد هذا الكلام .
تقول نفس الارقام انه نشر في العالم العربي ٥١٩٩ كتابا وان هذه الكتب .كان توزيعها كالتالي :

مصر ٣٢٥٥ ، سوريا ٤٥٨ ، لبنان ٣٧٣ العراق ٣٦٨ ، تونس ٢٠٠ ، الاردن ١٦٢ المغرب ١٦١ ، الجزائر ١٣١ ، الكويت ١١٣ ، السودان ٨٣ .

ولهذا اكثر من معنى . المعنى الاول:ان انتاج الكتاب في الوطن العربي تراجع من ٥١٩٩ كتابا الى ٢٨٥٠ اى حوالى النصف . وان مصر سنة ١٩٦٥ قدمت ٣٢٥٥ من هذه القيمة في حين ان بيروت قدمت سنة ١٩٨١ ـ ١٦٥٠ كتابا وحدها .

لكن الاهم من كل هذه المقارنات انالكتاب نفسه يتراجع في حياتنا بصورة مذهلة وابعد من اى تصور .

د . لويس عوض — د . سيد عويس





٦٠٠ كاتب في سجون العالم

●● ٦٠٠ كاتب في عالم اليوم . يوجدون في هذه اللحظة وراء قضبان السجون . في دول هذا العالم .. هذا ما يقوله تقرير أصدره نادي القلم الدولي مؤخرا . ونشر في باريس . ستمائة قلم لا دور لها . بل توجد في السجون في هذه اللحظة من حياة العالم ، اليس الرقم كبيرا ؟ واليست الظاهرة خطيرة ؟

يقول التقرير .ان هذا العدد الضخم من الكتاب . محبوس بسبب قضايا الراى . ومحاولة الكاتب القيام بدوره وعمله ككاتب في التقرير كلام اخر معاد . سبق ان قرأناه من قبل . حول الدور الذي يجب ان تقوم به لجنة الحريات في النادي . في الاتصال بالدول التي يوجد فيها هؤلاء الكتاب من اجل الافراج عنهم . ومعاملتهم بصورة انسانية ، ولكن القضية الابعد . من هذه النوايا الحسنة لنادي الكتاب الدولي . هو موقف كافة حكومات هذا العالم . من الكتاب يبدو ان هناك موقفا واحدا من كل الكتاب. فالكاتب مفروض فيه انه ضمير امته .وأنه صوت هذه الامة . الذي لا يمكن ان يصمت ازاء قول الحق . ولهذا فهو في صدام دائم . ويكفي القول ان ستمائة كاتب يجلسون وراء القضبان في عالم اليوم .

غرفة المطالعة : المراثى الشعبية

هذه دراسة شعبية من نوع نادر . تنشرها الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤكدة

دورها الاساسي . في نشر هذه الدراسات الجادة . الدراسة يقدمها الدكتور عبدالحليم حفني وهي عن العديد كشكل من اشكال المراثي الشعبية في مصر . والدراسة كانت بحثا قدمه الباحث للمجلس الاعلى للفنون والاداب في مصر .

وقد اجراها الباحث في سنة ١٩٦١ . واهمية البحث عن العديد لانه اخذ يختفي من القرية المصرية . لدرجة ان اهل الميت يؤجرون الان معددة . تقوم بهذه المهمة ـ مقابل اجر . في حين انه كان فنا تلقائيا تقوم به . واختفاء العديد من القرية هو جزء من ذلك التطور المدمر . الذي اصاب القرية المصرية حيث تحاول الان تقليد المدينة . وهي بذلك تتخلى عن دورها الهام والتقليدي . كانت مهمة الباحث شاقة ومتعبة في جمع مادته الخام . خاصة وانها المرة الاولى التي يقوم بها باحث بجمع هذه المادة التي تقال في ظرف صعب وقاس .

ويبدو ان الشخصية الريفية تميل الى الحزن اكثر من ميلها الى الفرح . وانها تعبر عن الخوف بشكل احتفال استعراضي مبالغ فيه وان هذا لا يحدث في الافراح عادة .

في هذا الكتاب تأكيد جديد لكل هذا الفن الشعري للعامية المصرية . وقدرتها الابداعية . التي لا تقل عن اللغة الفصحى وهذه القدرة تبدو واضحة في الابداع الجماعي التلقائي .

ومن المؤكد ان المؤلف لو حاول الان . القيام بهذه المحاولة من جديد . هذه الايام لما وجد مادة بهذا الغنى وبهذه الوفرة . يقدم من خلالها دراسته . فكثير من مظاهر الحياة في القرية المصرية . انقرضت الان .

فلسفة التمرد

ناشرة هذا الكتاب هي دار الثقافة الجديدة . وهي دار جادة . تلعب دورا ثقافيا وفكريا لا يمكن ان ينكره احد .

والكتاب من تأليف ادوارد باتالوف . ومن ترجمة سامي الرزاز . ولا ادري . لماذا فقدت الكثير من قيمة الكتاب . وانا اقول ذلك لانني لم اكن اعرف من هو المؤلف بالتحديد؟ ان ذلك هام جدا .. ويحدد الكثير من القضايا ومع ذلك . دائما تغفله . دور النشر في مصر والوطن العربي .

الكتاب يقدم موضوعا هاما . وهو اليسار الجديد وحركات الاحتجاج في اوروبا . والكتاب دراسة تحاول نقد هذا الفكر . وان كان هذا النقد يتم من ارضية انها حركات احتجاج ضد المؤسسات والعلاقات الاجتماعية السياسية القائمة في العالم الراسمالي . فهي فترة انهارت فيها الاوهام التي كانت قائمة في ذهن الرجل الاوروبي العادي . والرجل الامريكي العادي .

والمؤكد ان النضال ضد هذه النظم الراسمالية . وهو ما يحدث في اوروبا وامريكا منذ الستينات حتى الان انما تقوم به فئات غير بروليتارية . وكان اغلبهم ممثل اليسار الجديد هم من الطلاب اساسا .

تحاول هذه الدراسة . ان تاخذ من زمننا الراهن بكل ما يجري فيه ارضية للانطلاق نحو زمن قادم . من خلال الحركة الاجتماعية الهادرة . في دول العالم الراسمالي . والنقد هو الذي سيقدم الاجابة على العديد من التساؤلات التي يطرحها هذا الكتاب .

مفهوم الحرية

هذا كتاب جديد للمفكر المغربي الدكتور عبد الله العروي . نشره المركز الثقافي العربي في الدار البيضاء . والدكتور العروي من اهم المثقفين العرب الان . ومنذ ان صدر كتابه الهام . الايديولوجية العربية المعاصرة . وهو من العلامات الهامة




عز الدين اسماعيل   صلاح عبد الصبور

الثورة العرابية فى ضوء الوثائق المصرية

يقدم الدكتور عبد المنعم الدسوقي الجميعي في هذ الكتاب الذي نشره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام ، وثائق تنشر للمرة الاولى ، حول نشاط رجال الثورة العرابية في منفاهم بجزيرة سيلان ، وهي مرحلة لم تنل اى اهتمام من الباحثين من قبل ، وهي تغطي الظروف التى واجهت زعماء الثورة منذ تقرر نفيهم من مصر حتى عودة أحمد عرابى الى أرض الوطن فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠١ والكتاب لا يقف عند حدود فترة المنفى فقط ولكنه يعود الى الخطوات الهامة التى قطعتها الثورة العرابية ـ من خلال وثائقها الرسمية ، منذ مظاهرة ٩ سبتمبر ، حتى محاكمة عرابى ورفاقه وهي تسجل لنا نضال رجال الثورة ضد السلطة واسلوبهم في الحشد السياسى .

والاوراق المنشورة فى هذه الدراسة الهامة ، هى عبارة عن أوراق خاصة بالسيد جمال الدين الافغانى ، ولائحة اصلاح مرفوعة منه الى الامير توفيق الاول خديو مصر قدمها في جمعية اتحاد مصر الفتاة . وهناك اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية ، واوراق برودل ، والبرقيات المتبادلة بين القاهرة والاستانة اثناء الثورة العرابية .

فى هذا الكتاب الكثير من المعلومات عن حياة عرابى ورفاقه في المنفى وهي فترة لم يكتب عنها الكثير باستثناء الكتاب الرقيق الذى اصدره الباحث الفنان محمد عودة وكان عنوانه « سبعة باشاوات » . لم نقرا شيئا ، جيدا عن هذه الفترة ، سوى هذه الدراسة العلمية التى نشرت مؤخرا ●

فى الفكر العربى .

في هذا الكتاب يدرس الباحث الحرية كشعار وكمفهوم وكتجربة . فالحرية فى نطاقها التاريخى ، نجد أن المؤشرات عليها فى البلاد العربية ضعيفة . وان كان المجتمع العربي مليئا بصدى دعوة متجددة الى الحرية . المهم في قضية الحرية ، ان تبقى دائما ـ كما يقول المؤلف ـ موضوع نقاش بوصفها نابعة من ضرورة حياتية لا بوصلها تساؤلا اكاديميا . ومهما تنوعت صور الحرية . يبقى البحث فيها وسيلة للاحتفاظ بها على راس جدول الاعمال لان الوعى بقضية الحرية هو منبع الحرية نفسها وان كان اهم ما يميز الوضع العربى الراهن هو التداخل بين قيم الحرية والمساواة . والتنمية والاصالة وهذا التداخل يفسر المفارقات الموجودة .

ويتساءل المؤلف فى كتابه : ماذا يحدث عندما يختفى مفهوم الحرية من الاذهان ؟ ويرد على سؤاله ، يقع ما وقع مرارا فى التاريخ . يبزغ فجر الطوبى ، التى تصور اوضاعا مناقضة للواقع المعاش . ان الحرية قد تنفى من الواقع ومن المجتمع . لكنها لا تنفى ابدا من التاريخ . حيث فى استطاعتها دائما ان تلجأ الى الخيال . والخيال ينخر الواقع يوما بعد يوم . باستمرار وعناد حتى يأتى على اساسه ويطيح به . فتبلج الحرية من جديد وتصخب خير الواقع والمجتمع .



تاج
وراثه ...
ولا أمن غذائى ؟!


عزيزى المشاهد
نعتذر عن هذا الإرسال
ونواصل الإنقطاع
الأطعمة الفاسدة
اللحوم الفاسدة
الدجاج الفاسد
على رأى المثل : من فات قديمه .. مات !!!

كاريكاتير



ساكت ومكتوم كده ليه .. انت بالع تليفون ؟؟!!



عايز الكرافتة السوده.. واطفى النور.. وشغلى اسطوانة الموسيقى الجنائزية.. علشان حاكتب المسلسل الجديد!!



الاستاذ / رفعت الدسوقي رئيس
مجلس ادارة الشركة المصرية للورق

هذا الحديث الهام حول الورق ، وحول صناعته .. وحول ادوات الكتابة ايضا والاحبار وكل ما يتصل بالقلم . وهى كلها وسائل تتصل اتصالا وثيقا بعالم الثقافة ووسائل الاتصال .. والحديث مع رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية ، وهى كبرى الشركات فى مجالها ..

مجموعة من التساؤلات اجاب عنها رئيس مجلس الادارة بكل الصراحة والوضوح ..

وقد كان السؤال الاول حول الانشطة التى تقوم بها الشركة .. يقول الاستاذ رفعت الدسوقى رئيس مجلس الادارة :

ـ تتعامل الشركة فى تجارة الادوات الكتابية والهندسية من الانتاج المحلى والمستورد والورق الخام الذى يدخل فى كافة الاغراض الطباعية واحبار الطباعة كما يدخل فى نطاق تعاملها مختلف نوعيات الالات الكاتبة والحاسبة الالكترونية والات تصوير المستندات والات تصوير الخرائط والرسومات الهندسية ومجموعة اوراق الكالك والرسم والاطقم والتجهيزات الخاصة بالمكاتب الهندسية وطلاب كليات الهندسة .

وفى مجال تجهيزات المكاتب والشركات والوحدات الادارية يتوافر بمعارض الشركة بمختلف انحاء الجمهورية مجموعة كبيرة من الاثاثات المكتبية والكنبات واطقم الجلوس والمراوح الكهربائية . وتقوم الوحدات الانتاجية المملوكة للشركة بتصنيع كافة نوعيات المطبوعات التجارية واوراق اللف والتغليف للقطاعين العام والخاص .

● **يعانى الكتاب على المستوى المحلى والعالمى من ارتفاع سعره فهل قامت الشركة بتوفير الانواع المناسبة من الورق لسد احتياجات السوق وماهو تصور سيادتكم لحل مشكلة ارتفاع سعر الورق ؟!**

ـ ترتبط أسعار الورق ارتباطا وثيقا باسعار لب الورق واجور العمالة فى الدول المنتجة ويخضع السوق المصرى لهذه المتغيرات ارتفاعا وانخفاضا . وفى نظرنا لابد أن تضاعف الشركات المصرية انتاجها من مختلف الاصناف

والنوعيات مع رفع جودة انتاجها حتى يمكن أن يغطى الانتاج المحلى مختلف احتياجات القطاعات من أصناف الورق المتعددة .

● هل يمكن للشركة أن تقوم بتوريد مستلزمات الجامعات من الورق اذا قامت كل جامعة على حدة بطبع الكتب التى تدرس فيها ، وبالتالى يمكن أن ينخفض سعر الكتاب ؟؟

ـ تستطيع الشركة الوفاء بكافة احتياجات أى جامعة تعد مطبعة خاصة بها سواء من الماكينات والورق الخام والأحبار أو أى مستلزمات أخرى يحتاجها طبع الكتب الجامعية ، وقد تم التعاقد أخيرا مع جامعة المنوفية على انشاء مطبعة نموذجية لطبع الكتب اللازمة للطلاب وستقوم الشركة بتوريد وتركيب الماكينات اللازمة لهذه المطبعة مع امدادها بكافة احتياجاتها من الورق والمستلزمات الاخرى

● ماهى نوعيات الادوات المكتبية التى تقوم الشركة باستيرادها ؟

ـ الشركة تستورد نوعيات كثيرة من الادوات الكتابية من جميع أسواق العالم سواء من الدول العربية أو دول الاتفاقيات كالهند والصين ويوغوسلافيا ويندرج تحت هذا البند على سبيل المثال لا الحصر كافة نوعيات الاقلام الحبر والجافة والفلوماستر وكافة نوعيات أطقم الادوات الهندسية من أطقم تحبير وأحبار وورق رسم وكذلك بنوعياته المختلفة اللازمة لكل مستهلك وأيضا نوعيات الاغلفة كالكلاسير واللوزليف بمستوياته السعرية المتباينة واطقم علب الالوان والمساطر الهندسية ومساطر القياس ونوعيات الكربون والاستنسل وأحبار الطباعة والدباسات والخرامات واطقم المكاتب .

● هل فروع الشركة تكفى لسد احتياجات السوق ؟؟

يقول رئيس مجلس الادارة :

ـ للشركة ٢٥ فرعا منتشرة من أقصى الجنوب فى سوهاج وتنطى مدينتى القاهرة والاسكندرية والدلتا والوجه البحرى .

والشركة فى سبيلها الى زيادة فروعها فسيتم بمشيئة الله فتح فرع بمدينة شبين الكوم وفرع بكلية تكنولوجيا حلوان وفرع بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وجار اجراء اتصالات مع كافة الكليات والجامعات لفتح فروع للشركة لخدمة تجمعات الطلاب .

● هل تشارك الشركة فى معارض الكتاب المختلفة وماهو الجديد الذى قدمته ؟

ـ تقوم الشركة بوضع برنامج تنفيذى للاشتراك فى مختلف المعارض المحلية وقد سبق ان اشتركت فى المعرض الذى أقيم بأرض الجزيرة بمناسبة مرور ٢٥ عاما على انشاء وزارة الصناعة .

● هل هناك خطة للتطوير فى انشطة الشركة وفى اى مجالات ؟؟

ـ هناك الكثير ، وعلى سبيل المثال :

أ ـ فى المجالات التجارية توسع الشركة فى تجارة ماكينات الطباعة والخطوط الانتاجية الكاملة للمطابع الحديثة بما فى ذلك ماكينات الجمع التصويرى وطباعة الفلكسو وايضا يزداد نشاط الشركة فى كافة التجهيزات اللازمة للمكاتب من اثاثات واجهزة اتصال داخلى وغيرها .

ب ـ فى المجالات الصناعية ادخلت الشركة لعلا بمصانعها المتخصصة فى صناعة البلاستيك ماكينات جديدة لانتاج الكلاسير والدوسيه واللوزليف البلاستيك على مستوى عال من الجودة لا يقل عن الاصناف المستوردة بحيث يمكن تغطية احتياجات السوق المصرى منها والكف عن استيرادها من الخارج كما ادخلت الشركة أيضا عملية تصنيع الكعوب البلاستيك المستخدمة فى التجليد اللولبى .

جـ ـ وفى مجالات الاستيراد بدأت الشركة فى الحصول على توكيلات تجارية لمنتجات عالمية يتم تسويقها بالسوق المصرى وأولها الآلات الحاسبة الالكترونية ماركة ايبكو وآلات التجليد البلاستيك ماركة ايبكو .

ينتهى الحديث مع رئيس مجلس ادارة الشركة .. والى لقاء آخر على صفحات الهلال ، مع نشاط كبرى شركات الورق والادوات الكتابية ●

سامى الميهى

رسائل  جامعية

رجاء عبد الله

الصراع النفسيّ بين سكان الريف والمدن المصرية

الدكتور،
عماد الدين سيد نصير
إشراف ومناقشة :
د. محمد محمد محمد شعلان
د. قدري حفني
د. أحمد شوقي العقباوي

الجديد الذي تضيفه رسالة الهجرة الداخلية والصراع النفسي بين الريف والمدينة ، هو الجانب النفسي لمشكلة الهجرة الداخلية ، وتتبع في دراسة ميدانية عامة ، مدى انتشار الاضطراب النفسي بين المهاجرين ... وهي دراسة جديدة تماما ، وتقدم لأول مرة .

وقد اثارت ظاهرة الهجرة من الريف الى المدينة اهتمام الباحث باعتبارها احد المظاهر الهامة للتغير الاجتماعي الذي يمتد من اطراف البلاد الى مركزها بهدف احداث التوازن ، حيث يقوم « المهاجر » بنقل ثقافة القرية الى المدينة ، ويتبادل التأثير معها ، ثم يعود بدوره لينقل ثقافة المدينة الى القرية .. مؤديا الى تقارب المجتمعين ، ولكن المهاجر ـ بوصفه يحمل بداخله صراع النقيضين ـ يعاني من الم هذا الصراع الذي يتطلب قدرة عالية على دمج النمط القديم الريفي مع النمط الجديد الحضري وهو ما قد يؤدي ـ في حالة الفشل ـ الى المرض النفسي .

● وهجرة سكان الريف الى المناطق الحضرية هي ظاهرة شائعة ، ظهرت منذ القدم ، وازدادت وضوحا في العصر الحديث بعد التحول الصناعي الذي تمركز في المدن ، واجتذب اعدادا هائلة من المناطق غير الحضرية .

وكانت الهجرة داخل « مصر » اسلوبا من أساليب صراع الفلاحين مع الاقطاعيين ، فالضرائب والابتزاز والاضطهاد كانت بين العوامل التي ادت الى هروب الفلاحين الى المدن .. رغم قرارات الحكام المستمرة بمنع الهجرة الى المدن .

وأخذت الهجرة مراحل متعددة ، كان هناك تياران مؤثران في حركة السكان .. هجرة نحو الشمال





لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة من الاستاذ عبد الفتاح صابر عبد المجيد

خروجا من الارض التى تروى برى الحياض .. الى ارض الدلتا حيث الرى المستديم ..

ـ هجرة من الارض الزراعية المزدحمة ، الى المدن التى تنتشر على سواحل النيل وشاطىء البحر المتوسط ..

ثم اندمج التياران فى فيضان حقيقى خلال الربع قرن الاخير ، ليتركز فى النهاية ما يقرب من ٩٧٪ من سكان مصر ، على ذلك الشريط الضيق من الارض التى تشغل اقل من ٤٪ من مساحة القطر الكلية .

● اتجه الباحث الى الدراسة الميدانية ليثبت الفرض الذى دعاه ـ كطبيب نفسى ـ الى تقديم هذه الرسالة .. وهى ان المهاجر اكثر عرضة للمرض النفسى ولظهور الاضطرابات النفسية اكثر من قرينه غير المهاجر ..

واختار ان يبدأ بدراسة استطلاعية بين المهاجرين من الريف الى المدينة ، ليبدأ على اساسها فى اختيار عينة من الريفيين المقيمين بالقاهرة باعتبارها اكبر مركز للجذب .. واختار عينة من بين المترددين على العيادة الخارجية لدار الاستشفاء للصحة النفسية طلبا للعلاج .. واستعمل معهم الفحص الاكلينيكى ..

كما اختار عينة عشوائية من مهاجرى المنوفية باعتبارها اكبر مركز للطرد من بين من لا يطلبون العلاج .. واستعمل طريقة الفحص النفسى المتعمق ..

وهذا نموذج لواحدة من تلك الحالات التى كانت موضع البحث ..

« غريب » فى المدينة

• غريب ، يبلغ من العمر ٣٥ عاما ـ متزوج وله طفلتان .. مهاجر من احدى

قرى « المنوفية » ويقيم بالقاهرة منذ ١٦ عاما .

بعد حصوله على دبلوم الدراسة الصناعية هاجر « غريب » الى القاهرة بحثا عن عمل يحقق له الاكتفاء المادى والاستقلال عن اسرته ـ كما يقول ـ وبعد التحاقه بعمل حكومى واستقراره بالقاهرة ، وطد علاقته بزملائه من المهاجرين الريفيين ، بعد عدة سنوات استدعى للخدمة العسكرية ، وفى اثناء ذلك تزوج « غريب » فتاة من المدينة رغم معارضة اسرته ، ولم يوفق هذا الزواج بل حدثت عدة مشاكل ادت الى طلاقه من زوجته بمساعدة والده الذى كان يتوقع له الفشل ..

وبدات تظهر على « غريب » مظاهر الاضطراب النفسى « اهمها شعوره بالاغتراب وتضايقه من اقل مؤثر ، وارتفاع ضغطه اثناء وجوده فى القاهرة » .

بعد سنة من الطلاق انهى « غريب » خدمته العسكرية ، وعاد الى قريته ليتزوج من احدى قريباته ، واخذها لتعيش معه فى القاهرة وانجبا طفلتين ، وعندما عرضت عليه زوجته التى كانت تعمل حائكة فى القرية ان يسمح لها بالعمل لتساهم معه فى مواجهة اعباء المعيشة وتكاليفها المتزايدة ، رفض لعدم رغبته فى اختلاطها بنساء المدينة ، وسافر للعمل باحدى الدول العربية لكنه لم يوفق وعاد بعد شهور قليلة والتحق بعمل اضافى بالقاهرة . وبعد وفاة والده منذ ٦ سنوات قرر « غريب » العودة الى قريته ، وتقدم بعدة طلبات لنقل عمله من القاهرة الى موطنه الاصلى لكنها رفضت . اضطر « غريب » الى مداومة الزيارة لاسرته مشاركا امه فى رعاية اخوته والاشراف عليهم حتى استكملوا تعليمهم ، ويقوم « غريب » الآن ببناء بيت له فى قريته تمهيدا لعودته نهائيا اليها حتى لو اضطر الى الاستقالة من عمله بالقاهرة ، لانه يرى ـ كما يقول ـ ان الحياة فى المدينة لا تطاق ..

اهم جوانب الصراع التى كشف عنها الاختبار النفسى

١ ـ الصراع الحاد بين رغبته فى الحياة فى المدينة « لقد كنت ابغى دائما ان اعيش فى القاهرة » وفشله المتكرر فيها متمثلا فى حنينه الدائم لقريته التى تمثل له الامان والطمانينة فيوطد علاقته بزملائه المهاجرين من الريف ، ويزداد تمسكا بتقاليده الريفية . « اننى اعمل دائما بطباع الريف .. » او يحاول العودة لقريته .. انه باختصار يعانى صراع المهاجر الذى يريد ان يعيش حياة « الريف » فى المدينة .

٢ ـ اعتماديته الشديدة على الاخرين « .. لو ان الناس عملوا من اجل لكنت مدينا لهم بكل حياتى ، وبكل اخلاصى .. »

« التعليق »

كان « غريب » يحاول من خلال الهجرة حل مشكلة اعتماديته على اسرته ووالده ، وعندما وصل الى المدينة دافعه الحنين للعودة لكنه لجا الى حل بديل ، هو توطيد علاقاته بالمهاجرين من ابناء الريف ، وانغلق على نفسه فترة ، حتى اتاحت له خبرة الجيش فرصة الاعتماد على نفسه وتوسيع دائرة علاقاته بالاخرين ، فكان زواجه من المدينة محاولة للخروج من عزلته واعتماديته ، لكن تمسكه بتقاليده وطباعه الريفية ، اعاقه عن الاستمرار فى الزواج فتراجع مرة اخرى ، وطلب من والده مساعدته على الطلاق مكررا اعتماديته عليه ومعتذرا له ـ وكان اضطرابه التفاعل الوقتى تعبيرا عن فشله . وتاكيدا لاعتماديته طلب « غريب » من اسرته تزويجه من ريفية ، ولم تحل عزلته بل اتسعت لتشملهما معا ، فيبنى بيتا فى قريته معلنا اصراره على العودة كحل نهائى لعزلته .

● من اجل تقييم الهجـرة من وجهة نظر المهاجر قدم البـاحث جهلا ثلاث ، لاعضاء العينة موضح البحث ، وطلب منهم تكملتها . وكانت النتيجة مريرة تقريبا ... واخترنا منها هذه النماذج .

حينمـــا انتقلت من قريتى الى القاهرة كنت اتوقع ..

عيشة رغدة ـ تربية أولادى معيشـــيا ليحيوا حياة افضل منى ـ مسكنا رحبـــا صحيا ـ راحة نفسية ـ حياة افضل من زميل الموظف فى القرية .

واعطتنى المدينة :

عيشة ضنكا ـ خوفى على أولادى من عدوى عدم التدين من قرنائهم بالمدرسة والمسكن سكنا ضيقا ـ قلقا واضطرابا نفســـيا مصدره زيادة الانفاق على الدخـــل ـ الانفرادية والتزاور فى اضيق الحدود وفى المناسبات الالزامية فقط .

لكنها اخذت منى :

الاستقرار ـ الاخلاق ـ الشهامة والكرم ـ مراعاة شعور الاخرين .. لا صلة للرحم ـ ولا تعاون فى الملمات ، بنشب حـــريق فى القرية فيهرع الجميع لتعويض المتضرر كل مافقده ، فاذا به يعود احسن مما كان عليه قبل الحريق ، والعكس فى قاهرتنا الكبرى . مثال آخر ، ولله المثل الاعلى ، يموت القروى فاذا مواساة وتعاون من الكل من تاجر الاقمشة . كفن . وسرادق الليلة، وتصريح الدفن وخلافه .. اما فى القاهرة كل شيء بثمنه وكاننا فى حقل زواج .. جزارون .. رحماك يارب ..

النموذج الثانى :

حينما انتقلت من قريتى الى القاهرة كنت اتوقع :

التى سانتقل من حياة الريف وظلماته الى المدينة الحديثة وان اعيش بين الذين كمتعـوا بحضـــارة لا يعلم عنها شيء ساكن الريف .

واعطتنى المدينة :

اشياء كثيرة جدا ، منها التمتع بالحضارة ومميزات المدينة التى ليس لها حدود ، وعلمتنى الصبر وحسن المعاملة وتربيـــة الابناء على احـــدث الاسس ، كما علمتنى الاعتماد على النفس .

لكنها اخذت منى :

اهل وعشيرتى ، وكل الاحباب ،وابعدتنى عنهم وعن معاملتهم التى لا توجـــد فى المدينة .. ونحمد الله على اننا حتى الان قادرون على الحياة داخل هذه المدينـــة التى اصبحت لا تطاق ..

ومن العديد من الاجوبة المماثلة امكن تلخيص تقييم المهاجر للهجرة فى الاتى :

● ان توقعات المهاجر كانت غير واقعية تجاه البعد الانسانى ونمط الحياة الاجتماعية فى المدينة ، وبينما اثرت الهجرة جانب المعرفة ، افتقد المهاجر الجانب الوجدانى متمثلا فى افتقاده للعلاقات الانسانية الحميمة داخل وخارج الاسرة مما ادى الى اضطراب البعض نفسيا ، واصرار البعض الاخر من المهاجرين الى العودة لموطنهم الاصل .

● وهكذا ، استطاع الباحث عن طريق البحث الميدانى ان يثبت ما افترضه فى البداية ، حيث اتضح ان معدل المهاجرين المرضى اكثر من غير المهاجرين ، خاصة الاناث فيهم حيث يلاحظ ان المرأة غالبـــا ما تكون فى البيئة المصرية مهاجرا تابعـــا وبالتالى لا تكون مهيأة لضغوط الهجــــرة ، وقد يكون اضطرابها انعكاسا لاضطراب زوجها او اسرتها المهاجرة .

ومن الناحية الاجتماعية لوحظ ان المرضى من المتزوجين يزيد على غير المتزوجين او المطلقين ، مما يشير الى ميل المهـاجرين للزواج وتمسكهم به كعلاج لعزلتهـــم

● المهاجر من الريف إلى المدينة يتعرض للاضطرابات النفسية

واضطرابهم النفسي ، ولكن غالبا ما يفشل هذا الزواج مؤديا الى اضطراب الزوج والزوجة معا مما يفسر بدوره ارتفاع عدد المرضى من المهاجرات .

واتضح ايضا وجود علاقة عكسية بين فئة اعمار المهاجرين عند الهجرة والاصابة بالمرض النفسي ، حيث تبين ان غالبية المرضى قد هاجروا في فترة مبكرة من العمر « ١ - ٢٠ سنة » .. وهي تمثل فترات تحتاج الى الاستقرار اكثر من التغيير ..

في فترة الطفولة وهي فترة يحتاج فيها الطفل الى الامان والثقة والاستقرار التي لا تستطيع الام ان تحققها له خلال الهجرة ، والتي تحدث اهتزازا في كيان الاسرة ، وتعكسه الام بالتالي على الطفل الذي يظهر اضطرابه فيما بعد ، والهجرة في فترة المراهقة ، يصطدم فيها المراهق بالمدينة في الوقت الذي يواجه فيه اهتزازا بداخله وبداية الشباب .. تقابل مرحلة ازمة الهوية التي تدور حول دمج القديم بالجديد فبقدر عدم تناقضهما تكون عملية التكامل سهلة ..

ويكون المرض هنا معبرا عن فشل المهاجر في دمج النقيضين .. القديم الريفي بالجديد الحضري ..

● كما تبين ان معظم المرضى من الاميين وان معدل الاصابة بالمرض يتناسب عكسيا مع مستوى التعليم للمهاجرين .

وايضا يزيد المرض بين العاطلين ... وذوي الدخل المنخفض من المهاجرين ..

● ويؤكد الباحث على نقطة غاية في الاهمية .. وهي شخصية المهاجر نفسه ، فقد اتضح من تتبع التاريخ الشخصي التطوري للمهاجر ، ان معظم المهاجرين ينتمون الى الشخصية شبه الانفصامية والاكتئابية والاضطهادية .. مما يشير الى ميل هذه الشخصيات الى الهجرة اكثر من غيرها، حيث يستطيع المهاجر ان يعيش في اى مكان فيهاجر الى المدينة التي تسمح له بالانعزال عكس الريف .. ولكن اذا فشل فانه يضطرب ويصاب غالبا بفصام الشخصية ..

وفصام الشخصية :

وفصام الشخصية اكثر الامراض انتشارا بين المهاجرين .. حيث يساعد انخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، الى جانب تراكم الضغوط النفسية والعوامل الوراثية الى ظهور الانفصام ..

وتظهر الدراسة ان من الامراض النفسية التي تصيب المهاجرين ايضا ، الذهان الوجداني ، والعصاب ، مع سيادة الاكتئاب الراجع الى احساسهم بالفشل والاحباط بعد هجرتهم ..

ويرتفع معدل الاصابة «بذهان الشيخوخة» بين المهاجرين عن غيرهم بسبب افتقاد المهاجر المتزايد للمساندة من موطنه الاصلي بالريف كلما ازدادت مدة اقامته وتقدم به السن في المدينة ..

كما تظهر حالات الادمان بين المهاجرين مما يشير الى استخدام المهاجر للعقاقير والمواد المخدرة كنوع من العلاج الذاتي لاضطرابه النفسي .

● واذا كان « القلق » هو مرض الحضر

ويقل كلما اقتربنا من الريف الذى ينتشر فيه مرض « الاكتئاب » .. فان المهاجر يجمع بين امراض الجانبين « الاكتئاب ، والقلق » ..

● ولا ينسى الباحث ان يشير الى ان هناك مؤشرات واضحة على رغبة بعض المهاجرين فى العودة الى الريف ، مما يشير الى بداية الهجرة العكسية من الريف الى المدينة ، بعد ان ادرك معظم الريفيين ان عائد الهجرة ، اقل بكثير من تكاليفها ، خاصة البعد الانسانى منها ..

● لقد اثار هذا البحث عدة قضايا هامة ..

ان دور الطبيب النفسى فى المجتمع هام وضرورى لمتابعة التغييرات الاجتماعية وتاثيرها على الفرد ، مما يتيح له القدرة على وقف المرض فى اوائل مراحله ، ان لم يكن لمنع حدوثه . والتخطيط للخدمة النفسية وفق الاحتياجات الحقيقية للمجتمع فى نفس الوقت الذى يجب ان تعاد فيه الحسابات بالنسبة للمستشفيات التقليدية ومدى ما تقدمه للمجتمع .

● ان افضل طريق لخدمة المجتمع .. هو العمل من خلال الفريق ... الطبيب النفسى جنبا الى جنب مع علماء النفس والاجتماع والمهتمين بخدمة البيئة .

● توقعات المهاجر إلى المدينة كانت غير واقعية

● ان مشكلة الهجرة من الريف الى مدينة القاهرة قد ادت الى اضرار شملت الانسان والبيئة ، وهذه نتيجة طبيعية لاستحواذ العاصمة على معظم الامتيازات وحرمان الريف منها ، والذى ادى الى هجرة اهل الريف سعيا وراء حقهم الطبيعى مما احدث اخلالا فى التوازن السكانى ، وفجر مشاكل لن تحل بقرار ، وانما بالتخطيط لاعادة توزيع السلطة والامتيازات بين اطراف البلاد ومراكزها فى اتجاه التوازن .

● هناك مؤشرات الى بوادر تيار هجرة عكسية الى الريف .. ولكنه يحتاج الى الدراسة حتى لا تنتقل المشكلة من مكان الى اخر دون حل جذرى .

وبعد ..

فاذا كانت مصر تمر بفترة تخلف حضارى كما تذكر الدراسات الاجتماعية .. وان سبب هذا التخلف هو طغيان الشخصية الريفية على المصريين حيث ان كل من فى الحضر له جذور ريفية ، او ينتمى الى الريف بشكل او بآخر .. حيث الحياة لها سمات خاصة .. بطيئة .. تواكلية .. صبورة .. مغلقة .

واذا كانت هذه الدراسة تؤكد ان الهجرة الى المدينة ما زالت مستمرة ، وان الشخصية الريفية ما زالت تتزايد وتغزو الحضر .. وانها بالاضافة الى ذلك عرضة اكثر من غيرها الى الاصابة بالامراض النفسية .. فان هذا بلا شك له تاثير خطير على المجتمع ككل ..

ومن هنا جاءت اهمية هذا البحث .. ليشير الى هذه الظاهرة ، ويحذر من تفاقمها .. واذا كانت هذه الدراسة فاتحة لمناقشة الحالات النفسية التى تصاحب الهجرة الداخلية .. فهى ليست بالكافية ، وانما هى كمن يدق الاجراس لفتح الابواب ●

بسكو مصر..

دائماً معك.. فى مكتبك وبيتك ورحلتك

اذا كنت فى مكتبك ، او فى بيتك .. وحتى فى رحلتك ، فانك دائما فى حاجة الى ((بسكو مصر)) . انها دائما طازجة . تقوم مصانعها على العلم واحدث تطورات التكنولوجيا .. ولذلك فالكل يحرصون على منتجات ((بسكو مصر)) .. لانها تحت يدك فى كل وقت .. وكل مكان

وهذا الحديث يتضمن كل شىء عن ((بسكو مصر)) تلك الشركة المصرية التى تنافس كبرى الشركات العالمية

● **اثارت قضية الاغذية الفاسدة جدلا جعل الرأى العام يتصدى لمناقشتها - فما رأى سيادتكم فى ابعاد هذه المشكلة من حيث المسببات والحلول المقترحة ؟**

- لا شك أن المنتجات الغذائية تتطلب عناية خاصة فى مرحلتى الانتاج والتسويق لضمان وصولها للمستهلكين فى حالة سليمة فالاهتمام باستخدام الخامات الجيدة ذات المواصفات العالية وتشغيلها بأسلوب تكنولوجى حديث مع تسويق السلع فى ظروف مناسبة من حيث درجات الحرارة والرطوبة التى تثبط عمل الاحياء الدقيقة تعتبر ضمانات هامة لعدم فساد الأغذية .

● **اشارت قرارات المؤتمر الاقتصادى الاخير الى ضرورة الاهتمام بالتنمية الغذائية حتى تتمشى مع التزايد السكانى فهل تنوى الشركة القيام بمضاعفة الانتاج كفاية لحاجات السكان فى بلادنا ؟**

تتبوأ الشركة مركز القيادة فى مجال انتاج البسكويت والويفر والشيكولاتة والحلويات ومنتجات الحبوب ولذا فهى تسعى الى تطوير الانتاج عن طريق الدراسات والبحوث والى اقامة خطوط انتاج جديدة فى الاسكندرية والاسماعيلية توفيرا لاحتياجات البلاد

● **ما هى خطة الشركة لتطوير انتاجها تمشيا مع التطور التكنولوجى فى العالم ؟**

تضع الشركة فى اعتبارها ان يتفوق انتاجها على الانتاج العالمى وذلك من حيث الجودة والطزاجة وذلك بعمل البحوث لتطوير المنتجات وبانتاج اصناف جديدة من البسكويت الويفر والمغطى بالشيكولاتة وتطوير الاشكال والعبوات وباستخدام التعبئة الآلية وبتشكيل العبوات من مادة بى - فى - سى وباختبار جودة المنتجات ومراعاة القيمة الغذائية العالية لها .

● **هل تقوم الشركة باستيراد بعض خاماتها من الخارج وهل يمكن الاستعاضة عما تستورده الشركة بخامات محلية توفيرا للنقد الاجنبى ؟**

تستورد الآن الخامات التى تتوفر بمصر مثل الكاكاو ، ولوز الكاكاو وزبدة الكاكاو وبدائلها وتعمل الشركة على استخدام الخامات المحلية المطابقة للمواصفات القياسية نظرا لتعرض المستورد منها بعوامل قد تفقدها بعض خصائصها

سامى الميهى

اسعار : الهلال

أسعار البيع للعدد العادي فئة ٢٥٠ مليما :

سوريا	٣٥٠	ق . س
لبنان	٣٠٠	ق . ل
الاردن	٣٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	٤٥٠	فلسا
السعودية	٥ ½	ريال
السودان	٣٥٠	مليما
تونس	٦٥٠	مليما
المغرب	٨٠٠	فرنك
الجزائر	٦٥٠	سنتيما
الخليج	٤٥٠	فلسا
غزة	٨٠	ليرة
الصومال	٥٠	بنى
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٦٠	بنى
اسمرة	٤٥٠	سنتا
اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	٨	فرنكات
لندن	٨٠	بنى
ايطاليا	١٠٠٠	ليرة
سويسرا	٣ر٥	فرنكات
اليونان	٥٠	دراخمة
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣ر٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٢٥٠	كروزيرو
نيويورك	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٣٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين

مصر للطيران

كل مصر في كل مكان



مصر للطيران

٥٠

عاماً من الخبرة

اليوبيل الذهبي

٧ مايو ١٩٣٢ - ٧ مايو ١٩٨٢

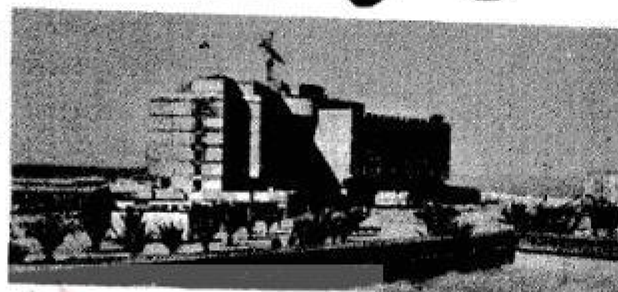
مدينة المقطم

تعلن الشركة عن فتح باب البيع

بالأرض المتبقية من تقسيم المنطقة "ج" المعتمد بالقرار رقم ١٥٥ لسنة ١٩٧٩

مرافق كاملة

مياه . مجارى . كهرباء
شوارع مرصوفة



أراضى للعمارات

مساحة القطعة ٨٠٠ متر
سعر المتر ٥٥ جنيهًا
والنواصى ٦٨ جنيهًا



أراضى للفيلات

مساحة القطعة ١٠٠٠ متر
بأسعار تبدأ من ٧٧ جنيهًا
إلى ١٠٣ جنيهات

يدفع المشترى ٥٠ %

عند توقيع العقد الابتدائى
ثم ٢٥٪ بعد ٣ أشهر
والباقى ٢٥٪ بعد ٦ أشهر

المعاينة والحجز والبيع
يوميًا حتى الواحدة
بعد الظهر بمقر الشركة
بمدينة المقطم
ميدان النافورة

للاستعلام : تليفون ٩٢١٩٥٩ / ٩٣٩٩٢٥ / ٩٢٠٢٥١

الهلال



بقلم: أحمد حسين

اشهر فضيحة أدبية فى فرنسا

مقال من التاريخ للأستاذ عباس العقاد

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التسعون - أول يولية سنة ١٩٨٢ - ٩ من شعبان سنة ١٤٠٢



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصري بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والإفريقي وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوي وفي سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادي أو عشرون دولارا بالبريد الجوي .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



فى هذا العدد

بقلم:
كمال النجمي

الشيخان
المطربش والمعمّم


د. مصطفى محمود

كلما رأيت الدكتور مصطفى محمود فى شبابا المتجدد على شاشة التليفزيون ، وهو يقدم برنامجه الشائق الملون ، يدعم به دعوته الى « الايمان » .. تذكرت رحلته الطويلة بين الايمان الذى يدعو اليه الآن وبين ما كان فيه من قبل ، مما يمكن أن نسميه شكا ، أو ترددا بين الشك واليقين ، أو بحثا عن الطريق ..

منذ مدة لم أر مصطفى محمود الا على الشاشة الصغيرة ، وكلما جمعتنا ، أو - على الاصح - جمعت صوتينا ، أسلاك التليفون ، تواعدنا على اللقاء فى مسجده الذى بناه وسماه باسم المرحوم والده ، لكنى لم أر هذا المسجد بعد ، ويشوقنى أن أراه ، لانه جدد به رسالة المسجد ، ففيه الاجهزة الحديثة ، ويحتل الفيديو ركنا فيه ، وكل ذلك من أجل « الايمان » الذى هو الآن مدار حياة الدكتور مصطفى محمود ..

بعض الناس ــ من بين المؤمنين أنفسهم ــ لا تعجبهم طريقة مصـــطفى محمود فى الدعوة ، ولـكن هــؤلاء لا يعرفون ما كابده الرجل فى سبيل أن يبلغ هـــذه الطريقة التى يمضى فيها على بركة الله .

لقد بدأ طريقه الى الايمان من اينشتين ، لا من أحمد ابن حنبل ولا من أبى حنيفة، ولاحتى من الشيخ محمد عبده ..

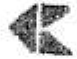
واينشتين ــ كما هو معروف ــ يهودى الاصل ، ولكنه كونى العلم والتفكير .. ونظريته « النسبية » هى أشهر النظريات فى عصرنا ، وان كان لا يفهمها الا الاقلون .. وقد حاول مصطفى محمود ان يكون من هؤلاء الاقلين ، فخرج بعد طول جدال مع نظرية اينشتين مؤمنــا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

خرج من تلك النظرية العلمية الرياضية ، بدهشــة فنية وانبهار روحى ، وطارت به النظرية حتى أجلسته فوق برج عاجى يطل منه على حدائق الحيــاة والمجتمع والكون .. لقد أحالته النظرية الى باحث عن الطريقين المختلفين : طريق العلم المادى ، وطريق التصوف والحياة فى خانقاه السلطان القديم ..

فهو مادى ولكنه يرى المادة التى كان يظنها جســـما كثيفا ، قد صارت فى العلم الجديد غير مادية .. لم يعد لها وجود ثابت .. كل شىء فى العالم المادى على امتداد الكون ، يبدو للعيون فى غير صورته الحقيقية ، لان كل تحليل يعطى العيون صورا أخرى ، حتى يصير الحجر الصلد فى نهاية المطاف ماء . أو هواء .. أو هباء ! .

هل السماء زرقاء ، والحقــول خضراء ، والرمال


الشيخ محمـــد متولى الشعراوى





الشـــيخـــان
المطربش والمعمـم



الشيخ احمـد
حسن الباقورى

صفراء ، والعسل حلو ، والعلقم مر ، والجدران صماء، والفضاء فضاء ، والهواء هواء ؟!

نتذكر شاعرا ظريفا عاش مع أجداداجدادنا.. اراد السخرية فقال :

كأننا والماء من حولنا
قوم جلوس حولهم ماء

فان هذا الشاعر لم يسخر أدنى سخرية،بل جد أعظم الجد ·· فنحن والماء من حولنا ، لسنا الا أنفسنا والماء من حولنا ! ·· هذه هي المادة في أحدث صيحاتها ··

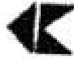
أراد الشاعر ان يسخر ويهـزل في ظلمـات ذلك العصر ، ولم يعلم أنه كان يمس بهذا البيت الـذى اضحك الكثيرين من معاصريه ومن معاصرينا ، حواشي نظرية اينشتين ، بل صميم هذه النظرية ! ··

سقطت المادة القديمة ·· العالم غير مادى ·· الحقيقة مليون حقيقة بل ملايين واكثر.. الانسان يمس الكون بتلافيف دماغه ، فهل تقدر هذه التلافيف الهلامية على معرفة شيء حق ؟! ··

كل ما وصلت اليه تلافيف دماغ اينشتين ومعاصريه ومن جاء بعده من علماء أوروبا وامريكا أن المادة حركة! ·· وما الفرق بين أن يقال انها حركة ، وأن يقال انهـا روح ؟!

المادةروح، والجسم الذىتتقمصه وهم منالاوهام!

هـذا هو ما وصـل اليه علماء المادة في عصرنا ، وسايرهم فيه مصطفى محمود ·· ومنه بدأ طريقه منذ عشر سنوات حتى انتهى الى بناء مسجده الذى يتخـذه مقرا لدعوته الى الايمان ··



ليس جديدا ـ كما هو معروف ـ أن يقال ان العالم روح كبير ، لسنا فيه الا موجودات غير موجودة فعلا .. فهذه أقوال فلسفية قديمة ، لكنها لم تكن قط «تجارب» علمية .. وهذا هو الفرق بين الماضي والحاضر ..

المادة كما تصورها «العلماء» السابقون من أيام قدماء المصريين الى أيام الاغريق الى العصور الوسطى .. الى عصر النهضة ، أجسام كثيفة صماء ، و « جواهر » لا تنقسم ولا تتجزأ الا في حدود معروفة ..

أما المادة الحديثة جدا ، فلا تعريف لها ! .. لا هي جسم ولا هي جوهر ، وليس لها اسم مقدس ، ولا رسم ثابت .. وكل ما يعرفه عنها الباحث الحديث بعد التدقيق ، انها قائمة فعلا خارج دماغه ، فهي ليست خيالا يتم تأليفه وتمثيله واخراجه داخل رأسه ، وانما هي واقع صلب يصطدم به الانسان حيا وميتا ، ولكن هذا الواقع الصلب الذى يحيى الناس ويقتلهم ، هو أشبه شيء بالهباء !

ومن عجب أن هذا الصلب الهباء ، لا يقف عند حقيقة جزئية ، ولا يعرف له الانسان حقيقة مطلقة ، لأن كل حقيقة نسبية تقتاد الانسان من أنفه كأنه البعير الى حقيقة تالية ..

وهذا ما يعرفه الآن علماء الشرق والغرب المؤمنون وغير المؤمنين ، فالمادة القديمة المبتذلة سقطت تحت أقدامهم ، ولا تناقض بين المادة التي هي مادة عملهم ليل نهار ، وبين المادة التي هي أشبه شيء بلا شيء ! ..

وفي ظل هذه الراية الفكرية يستطيع المفكر أن يكون خلوا من الايمان كجان بول سارتر مثلا ، كما يستطيع



الشيخان
المطربش والمعمم


البرت اينشتين

أن يمتلىء ايمانا مثل الدكتور مصطفى محمود وكثيرين آخرين صناعتهم التفكير ..

ومصطفى محمود فى أيامنا هو الشيخ المطربش ـ على حد التعبير القديم ـ يقابله الشيخ المعمم محمد متولى الشعراوى .. كلاهما علامة من علامات الحياة والفكر والمعضلات فى عصرنا ..

ان الشيخين ـ المطربش والمعمم ـ يطلان بابتسامتهما على اهل المدينة من الشاشة الصغيرة الملونة يحدثانهم عن كل شىء ..

والمدينة ليست شيئا ثابتا تحكمه مواصفات دائمة ، لان المدينة ظهرت بعد الصحراء وبعد الغابة .. وهى تتطور بلا انقطاع .. فان القاهرة القديمة فى عصر صلاح الدين ، أو عصر الظاهر بيبرس ، كانت مدينة كبيرة ، وهى فى عصرنا مدينة هائلة ..

ومن قاهرة صلاح الدين وبيبرس ، هرب زهاد ومتصوفة كثيرون ازعجتهم « حضارة » القرن الثانى عشر والثالث عشر .. فهل يهرب من القاهرة الجديدة جماعة الزهاد ، ورافضو المدينة لنفس الاسباب التى أزعجت أسلافهم منذ ثمانمائة عام أو سبعمائة ؟! ..

كانت المدينة الاقطاعية فى القرون الوسطى شيئا لزجا ، وان قامت بدور عظيم فى عصرها ، وكذلك المدينة الحديثة فى أية قارة من القارات .. باذخة لزجة تصيب بعض الناس بالجنون من فرط قسوتها على أعصابهم وعقولهم ..

فهل هى شىء كالقضاء والقدر لا يمكن تغييره وتحويله الى صديق للانسان ؟!

لو كان الامر كذلك لحق على الناس اليأس ، ولكان

هروبهم الى الجبال والغابات دواء نفسيا يحق لهم أن يتجرعوه صابرين بل متلذذين ؟ ..

لكن الصواب ، هو البقاء فى المدينة التى تنام بالاقراص ، والعمل على اصلاحها وجعلها حديقة للانسان ، لا صحراء مجدبة يظمأ فيها ويجوع روحا وبدنا ! ..

هذا ما يخطر على بالى كلما وجدت صديقنا مصطفى محمود يطل بوجهه الصبيح من شاشة التليفزيون ، أو رأيت الشيخ الشعراوى أو الشيخ الباقورى أو غيرهم ممن يخاطبون الانسان الذى يحملق فيهم بعينيه ، وأثقال المدينة فوق كتفيه !

المادة القديمة سقطت .. الروح هى حقيقة الكون . الدنيا ومفاهيمها تغيرت ! .. نعم ، ولكن الانسان ما زال من لحم ودم ، وجسمه مادى ، ودنياه التى تغيرت نظريا ، ما زال أهلوها محكومين بضرورات حياتهم البسيطة التى قد تكون برغم بساطتها صعبة ، أو تكون برغم صعوبتها بسيطة .

ونستطيع أن نتفهم تماما أن المادة ليست مادة ، حين نجلس فى قلب عالمنا المادى ، وفى أيدينا الحد الادنى من الضرورة المادية للحياة .. الحد الادنى فقط ..

وعملنا ــ جميعا ــ فى هذا الاتجاه يباركه الله الذى خلق المادة ، وكشف لنا من أسرارها ما أتاح لنا أن نرى بأعيننا عالما غير مادى ! .. ولكنه عالم المادة ، لان الروح من أمر ربى ! ..

وبورك فى الشيخين المطربش والمعمم ، وكل من يهدى الناس سواء السبيل ! .. ●

لماذا دعوت هتلر إلى الإسلام؟



بقلم

أحمد حسين

فى اواخر الثلاثينات ارسل الاستاذ احمد حسين الى ادولف هتلر مستشار المانيا ((الرايخ الثالث)) يدعوه الى الدخول فى الاسلام ، ونشر دعوته هذه فى خطاب طويل نشره فى مجلة ((مصر الفتاة)) الناطقة بلسان حزب ((مصر الفتاة)) واستغرق الخطاب عدة صفحات منها ..

وقوبلت هذه الدعوة فى مصر بالتعجب ، واما هتلر فلم يرد عليها ، وكان هذا الرجل وقتها اقوى رجل فى العالم ، ويملك احدث الاسلحة واعظم الجيوش ، وكان يستعد لاشعال الحرب العالمية الثانية التى خرج منها مهزوما وخرجت معه المانيا محطمة مقسمة ، فاقدة لثلث اراضيها تقريبا ..

أنا من المؤمنين برسالة الاسلام عن وعي وادراك منذ الصبا المبكر ، فعندما كنت طالبا في مدرسة محمد على الابتدائية ألفت جمعية « نصر الدين الاسلامي » ومنذ هذا الوقت المبكر والاسلام هو سر نشاطي ومبعثه ، وليس لشخصية تعلو شخصية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في التأثير على حياتي وكافة تصرفاتي ، وأنا اليوم وبعد أن جاوزت السبعين ، وبعد أن رأيت ما رأيت ، وعانيت ما عانيت وطالعت ما طالعت ، بكل روحي المتمردة ، المتسائلة ـ أشد اصرارا على ايماني بالاسلام في الكل والتفاصيل .

ورسالتي الى هتلر لا تخرج عن هذا النسق ، ففي بسطها لحقائق الاسلام ، ترتكز على الركيزة التي هي لب الاسلام وجوهره : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ..

أي انه في هذا الكون لا توجد سوى قوة واحدة ، وقدرة خالقة ومبدعة لكل ما انطوت عليه السموات والارض من كائنات وموجودات ، وعند هذا القدر أجمع البشر ، حتى الملحدون ، فهم يتحدثون عن الطبيعة أو المادة أو القضاء والقدر ، والمهم ان هناك اتفاقا على وجود قدرة لا أول لها ولا آخر هي المبدعة والخالقة .



هتلر

وفي هذا المقال يستعيد الاستاذ احمد حسين منشىء حزب مصر الفتاة ذكريات رسالته التاريخية التي أرسلها الى هتلر ، ويعلق عليها تعليقات رصينة بعد ان قال التاريخ كلمته في هتلر ودولته .. عظة وعبرة لكل الطغاة في عصرنا والعصور التالية ..

« الهلال »



لماذا دعوت هتلر الى الإسلام؟

● محمد رسول الله ●

وانما يبدأ الخلاف ، عند تقرير أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو مبعوث هذه القدرة ورسولها ، الى العالمين ٠

ومع ذلك فقد قامت الادلةعلى صدق هذا التقرير وصحته ، ولن اتحدث عن عظم التاثير الذي احدثه وما زال يحدثه فى البشر وهو الفرد اليتيم الامى الفقير الذى نشأ فى بيئة متخلفة فارتفع بها الى ذروة النجوم ، لن أتحدث عن ذلك وانما لى شاهدان ، على أن محمدا ابن عبد الله ، لم يكن ينطق عن الهوى وانما هو وحى يوحى وانه الصادق الامين عندما يقول عن نفسه انه رسول رب العالمين ٠

● جمع القرآن وحفظه ●

أما الشاهد الاول ، فهو جمع القرآن وحفظه، فلم يجمع القرآن فى زمن سيدنا محمد ، وهو من ناحيته لم يأمر به ولكن القرآن تضمن الاشارة الى هذا الجمع والحفظ ٠

« ان علينا جمعه وقرآنه » ٠٠

ـ « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠

فاذا رأينا اليوم القرآن مجموعا ومحفوظا حيث لاتوجد هذه الصفة فى كتاب آخر فى الكون كله فهذا هو الدليل على انفراد القرآن بهذه الخاصية ٠

● خاتم الانبياء والرسل ●

اما الشاهد الثانى على كون محمد بن عبد الله لا ينطق عن الهوى وانما هو وحى يوحى ،فقوله عن نفسه انه خاتم النبيين والرسل ، وقوله : « لا نبى بعدى » وها قد صدقت القرون من الزمن هذه المقولة ، وان الفكر الجديد فى العالم ، الا انبياء ولا رسل وهكذا صدق الزمن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد دخل فى الاسلام كل من عاداه بقوة وبعنف ، ولست أشير فى ذلك الى قريش ورجال من نوع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبى سفيان بن حرب ولكنى أعنى بذلك شعوبا وأمما من امثال التتار والاتراك ، وقد نشر

هؤلاء الآخرون الاسلام فى أوروبا

فكون الرجل أو الجماعة ضد الاسلام فى فترة من الفترات لا يعنى الا يتحول الى واحد من غلاة نشر الاسلام ، وفى وقتنا اى فى الثلاثينات كان هتلر من أعظم رجال العالم ان لم يكن أعظمهم على الاطلاق ، فقد نهض من مجرد عسكرى مسرح من الجيش ، الى أن يصبح حاكم المانيا المطلق ، ويرتفع بها من هاوية الضعف والانقسام ، الى ذروة القوة والوحدة وفى عشية وضحاها ، أصبحت المانيا أكبر قوة فى العالم ، ولكن كان يشوب نهضة المانيا فى ظل هتلر « شائبتان » ..

● الشائبة الاولى ●

انه كان يعتبر الالمان أسياد العالم ، وكان يصنف الاجناس البشرية ويضع على رأس هذه الاجناس ، الجنس الآرى الذى ينتمى اليه الالمان .

● الشائبة الثانية ●

انه كان يضطهد اليهود باعتبارهم من الجنس السامى اضطهادا مميتا وصل الى حد التفكير فى ابادتهم ، وقد رأيت بعينى رأسى فى برلين لافتة فى احدى الحدائق تقول : « ممنوع دخول الكلاب واليهود » .

كما رأيت فى الحدائق العامة مقاعد مطلية باللون الاصفر لجلوس اليهود عليها لانه محظور عليهم أن يجلسوا على المقاعد الخضراء المخصصة لجلوس الالمان .

● الاسلام يرفض الادعاءين ●

ومبادىء الاسلام التى تأصلت فى نفسى والتى اقيس بها الامور ترفض بشدة هذين المبدأين ، فالناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى .

والقرآن يقول بصريح النص : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

فالاسلام لا يفرق بين الاجناس والالوان ويعتبر التمييز العنصرى ردة جاهلية ، وقد قلت ذلك لهتلر وقلت له ان العالم لن يقبل سيطرته عليه ، فلن يلبث أن يتعاون للقضاء عليه ، وهذا هو ما حدث بالفعل بعد أن وصل هتلر الى الذروة بأن أصبح سيد أوروبا ، وما أدراك ما أوروبا .

● حرب هتلر ضد اليهود ●

وكما ناقشت هتلر فى دعواه

لماذا دعوت هتلر إلى الإسلام؟

لوجوب سيادة الالمان للعالم ، فقد ناقشت موقفه ضد اليهود فقلت له : وقديما اختلف سيدنا محمد مع اليهود ولكن كان بحسب اى يهودى أن يدخل فى دينه ، حتى يتساوى مع اى مسلم آخر ، أما انت فلاتدعوهم الدخول فىحزبك بل تفــرض عليهم حرب ابادة فتجعل منهم قوما لا حياة لهم الا فى اهلاكك واهلاك المانيا معك .

وهذا هو ما حدث بالفعل فقد حرض اليهود العالم كله ضد المانيا حتى اهلكوا هتلر واهلكوا المانيــا معه .

فانا عندما دعوت هتلر لالتزام مبادىء الاسلام كنت أدعوه لخيره وخير المانيا معا .

● دعوة اسلامية ●

وانا عندما دعوت هتلر هــذه الدعوة كنت أصدع بأمر الاسلام المباشر : « ولتكن منكم امــة يدعـــون الى الخير ويأمرون بالمعـــروف وينهــون عن المنكر » فالدعوة للاسلام هى فرض كفاية يجب أن يقــوم به البعض ليسقط التكليف عن الكل .

● نظرتى اليوم ●

وانا اليوم وبعد انقضاء قرابة نصف قرن على هــذه الدعوة ، أرانى شديد الاغتباط أن قمت بها وشديد الاصرار على موضــوعها . أنا مغتبط بها لاننى اديت فرضــا واجبا أولا ، ولان الاحداث جاءت وفق ما توقعت تماما . وانا اشد اصرارا على أن ما يحتاجه العــالم اليوم هو رسالة الاسلام الانسانية الخالدة والقائمة على المســاواة والعدل بين البشر ●

● نجوم ..

روى الكولونيل « لورانس » انه فى اثناء اقامته ببلاد العرب ، التقى بشيخ احدى القبائل وراح يحدثه عن عجائب الفلك كما كشفت عنها الاجهزة الحديثة ، فرد عليه الشــيخ قائلا : « انكم معشر الغربيين ترون ملايين النجوم بأجهزتكم الدقيقة ، ولكنكم لاترون شيئا وراءها ، اما نحن الشرقيين فاننا نرى عددا قليلا من النجوم ، ولكننا نرى وراءها الخالق الذى يديرها ويدير الكون كله !

إميل زيدان

فقيد الصحافة العربية



رحل عنا فجأة في ٢٠ مايو الماضي الاستاذ الكبير المرحوم اميل زيدان ، الصحفي الرائد الكبير الذي استمرت مجلة « الهلال » على يديه وتطورت بعد وفاة والده المرحوم جرجي زيدان سنة ١٩١٤ .

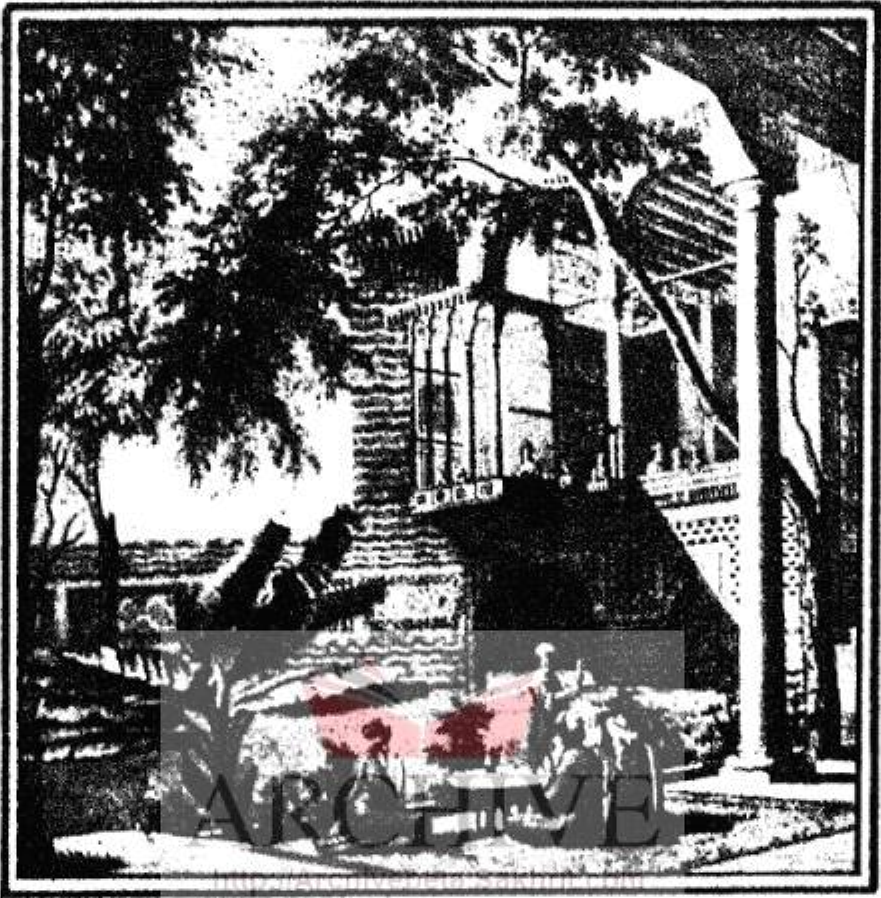
كان اميل زيدان عندما تسلم ادارة ورياسة تحرير « الهلال » بعد رحيل ابيه ، مازال في الثامنة عشرة من عمره ، فتحمل المسئولية بشجاعة وكفاية مع اخيه شكري زيدان تنفيذا لوصية والدهما : « حافظوا على الهلال ، فهو الاثر الذي وقفت عليه حياتي » ..

وتحت شعار : « لا يصح الا الصحيح ، ولا يبقى الا الاصح » .. عمل اميل زيدان بمثابرة خارقة ، فانشا الى جوار « الهلال » مجلات كثيرة ، اهمها : « المصور » و « الاثنين » و « النجوم » التي صار اسمها بعد ذلك « الكواكب » و « الايماج » الفرنسية .. و « الفكاهة » و « الابطال » و « حواء » و « كتاب الهلال » و « روايات الهلال » .. ومجلات الاطفال وغيرها ..

وقفزت دار الهلال في عهده فصارت اضخم دار صحفية في الشرق العربي ، تملك ارقى آلات الطباعة ، واحدثت ثورة في فن اخراج الصحف ومادتها ، مسايرة دائما لمطالب التطور ، وازدهرت على صفحات « الهلال » وبقية صحف الدار ، اعظم واشهر الاقلام المصرية والعربية في عشرات السنين ، وتخرج في مدرسة دار الهلال الصحفية مئات الصحفيين ..

لقد كان اميل زيدان من الرواد القلائل العظام الذين نقلوا الصحافة المصرية والعربية الى القرن العشرين .. كان رائدا حقيقيا له تاريخ في صحافة مصر والبلاد العربية .

« الهلال »



النهضة المصرية والاستقلال الحضارى

بقلم: د. محمد عمارة

الامر الذى لاشك فيه أن النهضة المصرية ، التى قادها محمد على باشا الكبير (١١٨٤ – ١٢٦٥ هـ ١٧٧٠ – ١٨٤٩ م) هى التى دخلت بعالمنا العربى وشرقنا الاسلامى الى رحاب عصر اليقظة والبعث والاحياء .. العصر الحديث ! ..

لقد تطلعت مصر الى هذه النهضة على عهد حكم على بك الكبير (١١٤٠ – ١١٨٧هـ ١٧٢٨ – ١٧٧٣ م) .. ثم جاءت الحملة الفرنسية (١٢١٣ هـ ١٧٩٨م) لتنبه الأذهان بواسطة الخطر القادم فى ركاب الغزو الاستعمارى ، ولتلعب دور « الماس الكهربائى » ، الذى لم يصعق ضحيته ، ولم يكن المصدر الحقيقى ليقظتها ومبعث حياتها ، وانما كان « المنبه » لها كى تستيقظ ، لتعى العصر ، وتدخل فيما يدخل فيه الاحياء المعاصرون ! .. ولقد تجد هذا الأثر فى كلمات شيخ الأزهر، الذى خالط علماء الحملة الفرنسية ، الشيخ حسن العطار (١١٨٠ – ١٢٥٠ هـ ١٧٦٦ – ١٨٣٥ م) التى تقول : « ان بلادنا لابد أن تتغير ، ويتجدد فيها من العلوم والمعارف ما ليس فيها !! » .. ثم جاءت التجربة الاصلاحية التى قادها محمد على لتضع امنية الشيخ العطار فى الممارسة والتطبيق ! ..

صحيح أن دعوات دينية سلفية قد سبقت النهضة المصرية هذه فى بلادنا العربية ،وحاولت التصدى لخطر « التخلف الذاتى القديم » ، الموروث عن العصر « المملوكى – العثمانى » ، والذى يشل خطو الامة ويكبل عقلها ، فيحول بينها وبين النهوض .. ولخطر « التقدم الغربى الحديث » ، الذى جاء فى ركاب الغزوة الاوربية الحديثة ، يريد نهب خيرات الارض ، واحتلال مواقعها الاستراتيجية ، وتأييد ذلك وتكريسه بمسخ شخصيتها القومية المتميزة ، وسلخها عن قسمات حضارتها العربية الاسلامية الخاصة بها .

لكن هذه الدعوات الدينية السلفية ، التى سبقت النهضة المصرية فى الزمن ، او واكبتها ، قد سلكت طريقا متميزا عن ذلك الذى سلكه محمد على وهو يسعى ، بمصر ، فى طريق النهضة والاصلاح ..

● فـ « الوهابية » ، مثلا ، قد كانت لها الريادة ، من حيث الزمن المبكر والتوقيت الذىسبق النهضة المصرية باكثر من نصف قرن .. فلقد تبلورت – كما قلنا – حول داعيتها محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ – ١٢٠٦ هـ ١٧٠٠ – ١٧٩٢ م) فى « نجد » بشبه الجزيرة العربية ، واقامت دولتها، منذ ان تحالف ابن عبد الوهاب مع أمير « الدرعية » محمد بن سعود (سنة ١١٥٨ هـ – ١٧٤٥ م) ..

● أما « السنوسية » ، فانها عاصرت نهضة محمد على .. ثم استمرت بعدها . فهى قد تبلورت – كما سبق واشرنا – حول داعيتها ومؤسسها محمد بن على السنوسى (١٢٠٢ – ١٢٧٦ هـ ١٧٨٧ – ١٨٥٩ م) .. واقامت « زواياها » وكونت قادتها ومريديها ، وانجزت أعظم انجازاتها خلال القرن التاسع عشر والعقود الاولى من القرن العشرين ..

لكن .. لا السبق التاريخى ، الذى كان « للوهابية » على نهضة محمد على .. ولا الاستمرارية التى تحققت « للسنوسية » بعد حصار اوروبا والعثمانيين لنهضة مصر الحديثة ،يمكن ان يعقدا لواء ريادة الشرق الى عصر النهضة والاحياء لهذه الدعوات . وانما يظل لواء هذه الريادة معقودا لمصر ، فهى التى دخلت بامتها العربية ، بل وبعالمنا الاسلامى الى رحاب العصر الحديث وخطت لهما معالم اليقظة والتنوير .

اما سبب هذه الريادة ، فهو ما تميزت

● إن ما نأخذه اليوم من الحضارة الأوربية إنما هى بضاعتنا ردت إلينا

به وامتازت تلك النهضة عن تلك الحركات التجديدية الدينية السلفية من خصائص ومميزات .. وفي مقدمتها :

أ ـ ان هذه النهضة المصرية قد نشأت وتبلورت في مجتمع متحضر نسبيا ، وفي مناخ يأتي ، بمقاييس التمدن والتحضر ، في طليعة دول الوطن العربي واقاليم عالم الاسلام .. فالدولة ، ـ بل والدولة المركزية القوية ـ لها في مصر اطول عمر في تاريخ ، الدولة ، على الاطلاق ! ..

والطبقات الاجتماعية متبلورة الى حد كبير .. والموارث الفكرية قد تجاوزت ، التبسيط ، الى ، التركيب ، .. والأزهر ـ رغم ما شابه من جمود العصور الوسطى ـ قد حفظ شعلة العلم والتعليم موقدة ومضيئة في ليل العصر ، المملوكي ـ العثماني ، البهيم والطويل ! ..

والوضع القائد لمصر ـ كمركز خلافة او سلطنة ـ او التميز، على الاقل ـ كولاية تتمتع بالاستقلال الذاتي ـ قد لبث ، وفرض نفسه ، واحدث آثاره على وضع البلاد وعلاقاتها باقاليم الدولة الاسلامية وولاياتها منذ ان استقل بها الطولونيون في عهد مؤسس دولتهم احمد بن طولون (٢٢٠ ـ ٢٣٠ هـ ٨٣٥ ـ ٨٨٤ م) والحقوا بها اقاليم اخرى في المشرق العربي .

فلم تكن مصر : ، نجد الصحراء ، ! .. ولا كانت : ، الصحراء الليبية ، !؟ ..

ب ـ كما تميزت هذه النهضة المصرية ، التي قادها محمد على باشا ، بكونها حركة ، اصلاح مدني ، قادها ، مصلحون مدنيون ، ونهضت باعبائها كوكبة من المثقفين والعلماء والساسة والقادة الذين تميزوا عن ، المصلحين الدينيين ، ، والذين لم يتقدموا الى الامة ، كفقهاء وعلماء دين ، .. فالمنطلقات للاصلاح كانت ، مدنية ، ، والمعايير في هذا الاصلاح كانت ، مصلحة الامة ، .. والموقف من الدين ، في هذه التجربة ، قد تمثل في :

● تجنب الاصطدام ، بممثليه ، ،



محمد على الكبير

الذين رفضوا ، الاصلاح المدني ، او تحفظوا ازاءه .. مع تركهم لعالمهم ، وترك عالمهم لهم ، يعيشون فيه ويفكرون له ، على نحو ما كان الحال قبل عصر النهضة والاصلاح ! ..

● وتجنب ان يأتي ، الاصلاح المدني ، ـ الذي سعت اليه التجربة ، وطبقته ـ ماسا بشيء من المسلمات الدينية التي اجمع الناس على قدسيتها ، او منكرا لامر من الامور التي عرفت من الدين بالضرورة او مصادما بتصور من التصورات التي اكتسبت قداسة الدين ، وذلك حتى لا تتاح الفرصة لاعداء الاصلاح ، من علماء الدين، لاستنفار العامة ضد هذا الاصلاح ! ..



جنود الحملة الفرنسية

ولم يكن موقف محمد على هذا من الدين وعلمائه اختيارا فكريا حرا .. فهو لم يعتمد على الاسلام فى نهضته الاصلاحية ، ولم يؤسس هذه النهضة على التجديد الاسلامى والاسلام المتجدد ، لا لانه ضد الاسلام ، وضد أن ينهض الدين بدور الاساس والحافز فى النهضة ، على نحو ما صنع « العلمانيون » فى النهضة الاوربية وانما الذى حكم موقف محمد على هذا ، وحدد له « المصلحة المدنية » : لا « السلفية الدينية » معيارا واطارا للاصلاح هو :

١ ـ أن الرجل لم يكن من علماء الدين .. وفاقد الشىء لا يعطيه ! .. لم اكن هو الذى بدأ الاصلاح وقاده ، ولم يكن « وسيطا » بين « العلماء » كما كان حال ابن سعود مع ابن عبد الوهاب ! ..

٢ ـ أن صورة القيادات الدينية قبيل عصره ، وفى السنوات الاولى من حكمه على وجه الخصوص ، لم تكن ـ فى جملتها وأغلبيتها ـ لتفرض الاحترام على من هو فى مثل طموح هذا الرجل ! .. فالكثيرون من شيوخ الازهر كانوا قد شغلتهم عائداتهم المالية من « دوائر الالتزام » و « نظارات الاوقاف » ، حتى غدوا رجال دنيا ، ان لم نقل طلاب ترف دنيوى ، يقترفون فى سبيل تحصيله ما لا يليق بعلماء الدين ، فضلا عمن يتصدى منهم لقيادة الاصلاح ! .. وفى وصف الجبرتى (١١٦٧

ـ ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢ م » لعلمائهم هذا يقول ـ وهو الشيخ فى الدين .. وفى التاريخ الصادق ! ـ : « انهم افتتنوا بالدنيا ، وهجروا المسائل ومدارسة العلم الا بمقدار حفظ الناموس ، مع ترك العمل بالكلية ، وصار بيت احدهم مثل بيت أحد امراء المماليك ،واتخذوا الخدم والمقدمين والاعوان ، واجروا الحبس والتعذيب والضرب ، وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الامور الدنيوية ، والحصص ، والالتزام وحساب الميرى ، والفائض ، والمضاف ، والرماية ، والمرافعات والمراسلات ... زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الامور ، وحظوظ الانفس على الاشياء الواهية !؟ .. » .

وتلك حال قوم لا تغرى اى مصلح ان يلتمس لديهم منطلقات الاصلاح ولا ادواته ! ..

٣ ـ وحتى الرجل الذى تميز عن هؤلاء العلماء والشيوخ بالثورية ، والارتباط بالجماهير ، وهو السيد عمر مكرم (١١٦٨ ـ ١٢٣٧ هـ ١٧٥٥ ـ ١٨٢٢ م) كان حاله وحال محمد على باشا على نحو يجعل التعاون بينهما شبه مستحيل ، لطموحهما معا كان بلا حدود ، الامر الذى جعل صدامهما يأتى مبكرا جدا .. ! .. فلما خذل الشيوخ زميلهم السيد عمر ، وباعوه « بالجرايات »ونظارات الاوقاف ، مال هو الآخر الى نصرة المماليك ، كشركاء فى « لعبة السلطة » ، كى يحول دون انفراد محمد على بها ، فحدثت المفارقة العجيبة .

هكذا تميزت نهضة محمدعلى عن حركات الاصلاح الدينى ودعواته .. لانها لم تجد المصلح الدينى ، الذى تواكب استنارته الدينية مجتمعا متحضرا كمصر .. فكان ان بدات نهضة « اصلاح مدنى » ، ان فى المنطلقات او المعايير او الغايات او الادوات ..

● فى القاعدة المادية « للتمدن » انتقلت نهضة محمد على بمصر الى مرحلة جديدة ، وبلغت بها « كمية » الاصلاحات الى حال « كيفى » جديد ..

ففى الزراعة : الغى نظام « الالتزام » « سنة ١٢٢٩ هـ ـ ١٨١٤ » .. ووزعت الارض على الفلاحين « تكليفا » ـ من ثلاثة الفدنة الى خمسة افدنة .. وسيطرت الدولة بالتخطيط ، على الانتاج الزراعى . وتطورت المحاصيل .. وحدثت ثورة فى الرى والصرف ، وزادت الرقعة المزروعة ، فعليا ، الى نحو ثلاثة امثالها .. وتحول اهل الريف من « اقنان » الى فلاحين ! .

وفى التجارة : انهت سيطرة الدولة سيادة التجار الاجانب على السوق الداخلى والخارجى للتجارة المصريه.. وسدت ثغرة ضعف البورجوازية التجاريه الوطنية ، التى نفذ منها التجار الاجانب للسوق التجارى .. وتطورت التجارة كما وكيفا . وخضعت للمشروع الاقتصادى المستقل ..

وفى الصناعة : اقامت النهضة قاعدة صناعية ، كبرى وحديثة ،ومرتبطة بالانتاج الوطنى ـ عسكرية ومدنية ـ ، برأسمالية الدولة ، وتخطيطها وادارتها .. وكانت سابقة فى ذلك ، كما وكيفا ، لليابان ، وللولايات الالمانية مجتمعة ـ ولم تكن قد اتحدت هذه الولايات الالمانية بعد !؟ ..



ابراهيم باشا



وفي جهاز الدولة : بدأت البعثات العلمية ، التي درست « التمدن الاوربي » في النهوض بتكوين جهاز دولة حديث .. وفي تطوير الثقافة العربية الاسلامية ، وريادة بعث التراث واحيائه ، ومواصلة المسيرة التي توقفت بسيادة عصر الانحطاط الحضاري .. ووضح لرواد الثقافة والفكر هؤلاء ، انهم يواصلون ، في عهد محمد علي ، مهام نظرائهم في عصر الخليفة العباسي المأمون (١٧٠ – ٢١٨هـ – ٧٨٦ – ٨٣٣م) .. كما تكون الجيش الوطني الحديث سنة ١٢٣٥ هـ – ١٨٢٠ م لحماية النهضة ، وتمهيد السبيل امامها كي تأخذ مداها ..

وفي الفكر : بدأت العربية تتجاوز منحدر الركاكة وتتجه ، عائدة ، الى الفصاحة .. وشرعت المكتبة العربية تزدان بذخائر التراث العربي الاسلامي التي جاورت الترجمات الحديثة في مختلف العلوم والفنون .. وتحركت طاقات الابداع الفكري لتصنع – على الجبهة الفكرية – شيئا عظيما ومتميزا ..

فكان هذا جميعه – وهو مجرد اشارة لصرح عملاق – انجازا غير عادي على درب التمدن الحديث ..

● وانتقلت النهضة من « الاطار العثماني » الى « الدائرة العربية » ، بعد، وتدرج .. فمحمد علي والعديد من كبار معاونيه هم « عثمانيون » ، غير عرب ، ان بالجنس او بالثقافة .. لكنهم تناقضوا مع الدولة العثمانية ، ورأوا ان ضعفها ، المستعصي على العلاج ، يغري حراس هذا الضعف من المستعمرين الاوربيين بوراثة تركتها ، فسعوا الى تجديدها ، فتحالفت مع حراس ضعفها الطامعين بوراثتها ، ضد محاولات الاصلاح !؟ ..

ثم ان البعثات العلمية قد كونت كوادر عربية للدولة ، اخذت تزامل كوكبة القادة الذين أتوا مع محمد علي الى مصر صغارا ، فنشأوا فيها نشأة عربية ، جعلتهم يعتزون بالعروبة ، وينفرون من الانتساب الى الاتراك .. وفي مقدمة هؤلاء القادة ابن محمد علي ، ابراهيم باشا (١٢٠٤ – ١٢٦٤ هـ ١٧٩٠ – ١٨٤٨ م) الذي كان يستنكر نسبته التركية ، ويقول : « انا لست تركيا ، فاني جئت مصر صبيا ، ومنذ ذلك الحين مصرتني شمسها ، وغيرت من دمي ، وجعلته دما عربيا ! » .. ومصطفى مختار بك (١٢٠٤ هـ – ١٨٣٨ م) – احد كبار مستشاري ابراهيم باشا العسكريين .. وناظر المعارف – الذي يعبر عن هذه « الهوية العربية » عندما يقول : « اننا وان كنا في الغالب مولودين في تركيا ، لكننا قد اكتسبنا الجنسية – (القومية) – المصرية بحكم التوطن .. » .

وبذلك تهيأت لهذه النهضة عوامل الانتقال من « الدائرة العثمانية » الى « الدائرة العربية » ، فسعت الى قيام الدولة العربية ، باحياء القومية العربية ، وجعل العربية هي الخط الذي يحدد حدود هذه الدولة ! .. لتنقذ وطنها وامتها من الخطر المتربص بوفاة دولة الرجل المريض!

وكانت فتوحات محمد علي في السودان (١٢٣٥ – ١٢٣٧ هـ ١٨٢٠ – ١٨٢٢ م) .. والحملة على الشام (١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م) .. وشمول النهضة ودولتها :مصر السودان والاجزاء العربية على الساحل الشرقي


الخديو اسماعيل

لافريقيا ، مع الشام ، واغلب اجزاء شبه الجزيرة العربية .. وامتداد نفوذها الى العراق والخليج .. كان ذلك اول « انجاز عربى » فى عصرنا الحديث ! ..

● لكن .. ماذا عن علاقة هذه النهضة بالاسلام : الرسالة الخالدة لامتنا الواحدة؟ .. هل انقطعت الصلة بين « تمدنها » وبين « التمدن الاسلامى » ؟ .. وهل كانت صورة « للتمدن الغربى » ادخل بها محمد على بلادنا وامتنا فى اطار « التغريب » ؟؟

ان البعض يرى ذلك ، فيجيب عن هذا التساؤل بالايجاب .. لكنه – فى رأينا – يجانب الواقع ، ويجانبه الصواب ! ..

فمنذ البداية كان واضحا ان محمد على باشـا يأخذ عن أوربا « التمدن » الملائم لمجتمعه الشرقى .. ولا يأخذ عنها « القيم » او « الثقافة » او « النظريات » ! .. والبعثات العلمية التى ذهبت الى اوربا ، وتعلمت ، ثم عادت لتصنع الانجاز العظيم ولتعطى النهضة روحها الفكرى – ورفاعة الطهطاوى (١٢١٦ – ١٢٩٠ هـ – ١٨٠١ – ١٨٧٣ م) نموذج لها – قدرات اوربا بعين اسلامية مسلمة .. فسمت الى « التمدن العمل » والى « العلوم العملية » والى « المعارف البشرية المدنية » والى « فنون الصناعة » ، ثم جاءت بها التجدد « دنيا » الامة ، مجتهدة فى اثبات عدم منافضة هذه العلوم لما نختص به من « قيم » و « عقائد » وقسمات حضارية مميزة لنا ، بل واعلنت ان اصـل هـذا « التمدن البشرى » هو من علوم حضارتنا فى عصر ازدهارها ، اخذه الاوربيون لينهضوا به ، ثم طوروه .. وهم عندما اخذوا منا لم يأخذوا « القيم » ولا « الدين » ولا خصائصنا الحضارية ، بدليل انهم استعانوا « بالتمدن الاسلامى والعربى » فى نهضتهم ، ومع ذلك ظلوا يتميزون حضـاريا .. فنحن اذ نأخذ اليوم « التمدن الاوربى » لننهض به لن نصبح ، فى الحضارة ، أوربيين .. وما هى إلا بضاعتنا قد ردت الينا .. كما يقول الطهطاوى .

ولهذا وجـدنا الطهـطاوى – فى ذات الوقت الذى يدعو فيه الى هذا « التمدن المدنى » – يتحفظ كل التحفظ على ماينافض مميزاتنا الحضارية فى حضارة أوروبا .. فحضارتنا ، مثلا ، قد وازنت بين « العقل » وبين « النقل » .. بين « التوحيد » – الالوهية – وبين « الطبـائع » – العلية والسببية .. لكن عقـلانية الحضـارة الاوربية ، و « الحق الطبيعى » فيهـا لا يعـرف هذا التـوازن الذى هو روح حضارتنا ومزاجها . ومن هنا كان رفض الطهطاوى لتلك « القسمات الحضـارية » الاوربية ..

لكن ..

لابد من الاعتراف بأن الامور لم يكتمل سيرها فى هذا الاتجاه .

« فالمؤسسة الدينية » – رغم شذوذ هذا التعبير عن مقاييسنا الاسلامية ! – قد تحصنت بفكرية العصور المظلمة ، ورفضت النهضة وتمدنها .. والدولة الحـديثة قد خشيت فرض الاصـلاح والتطوير داخل صحن الازهر وحصـنه .. فتركت اهله وشأنهم ، واقامت « التعليم المدنى » الذى ابتعد شيئا فشيئا عن الصـلات القـوية والخيوط المتينة التى تشده الى الاسـلام وتراثه ..

والغـرب قد رمى بكـل ثقله فى بث اشعاعاته الفكرية ، فازداد تأثير « قيمه » و « ثقافته » وحضارته على مؤسسات الفكر والعلم والتعليم فى بلادنا .. بل لقد تحالف العثمانيون مع الغرب ضـد طموح نهضتنا الى استكمال مقومات اسـتقلالها الحضارى ، عندما استعانوا بالاستعمار على ضرب استقلال « المشروع المصرى – العربى » منذ سنة ١٨٤٠ ؟! ..

لم كانت منعطفات حاسمة ، ومراحـل تحولات اساسية احتاجت فيها « الدولة » – كى تستجيب لضرورات الواقع الجديد – الى تجديد الفكر الاسلامى ، بالاجتهاد ،



جمال الدين الافغاني

وإلى تطوير « الفقه » ـ فقه المعاملات ـ لتتمكن « المؤسسة القانونية » من الفصل في المعاملات التي استجدت ، كما حدث في عصر الخديو اسماعيل (١٢٨٠ ـ ١٢٩٦ هـ ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م) .. ويومها جمد أركان « المؤسسة الدينية » ، فلم يستجيبوا لرغبة « الدولة » بل لقد اعتبروا ذلك مما لا يحل ولا يجوز !! .. فكان أن لجأت « الدولة » إلى القوانين الوضعية الغربية فاستوردتها ، الأمر الذي افقد مؤسساتنا القانونية استقلالها ، وافقد حضارتنا شرطا من شروط الاستقلال .. وكان ذلك نموذجا لميل الكفة ، في هذه النهضة ، نحو « التغريب » ، وبعدها عن الوفاء الحق بمتطلبات الاستقلال الحضاري الحق ! ..

ولقد تكرر هذا المشهد في عصر الخديو اسماعيل .. وظل يتكرر كلما تحصن « أهل الذكر » ـ من علماء الشرع ـ بالجمود ، فعاشوا خارج العصر .. على حين أخذ الغرب الاستعماري يسارع في تقديم بضاعته الجاهزة والمتسقة للحكام الشرقيين ، ويبذل قصارى جهده لتكون هذه البضاعة هي البديل الذي يوضع في التطبيق ! ..

هكذا سارت الأمور .. حتى دخلت أمتنا إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ..

● الحركات الاصلاحية الدينية السلفية : منعتها البداوة .. بداوة البيئة من أن تولد « التمدن » ما يجعله النموذج الصالح للتعميم ، والوافي باحتياجات النهضة الكفيلة بمواجهة الغزوة الاوربية المسلحة بحضارتها الحديثة ، وأيضا الوافي باحتياجات أمة تريد تعويض التخلف ، وتحصين وطنها لمجابهة ما يأتي به المستقبل من تحديات ..

● ونهضة محمد علي ـ وخاصة بعد حصارها ، وفرض القيود على استقلاليتها ـ قد حرمتها المحافظة الدينية والجمود الأزهري من فرصة تأسيس « تمدنها » على أسس اسلامية خالصة .. فنفذ الغرب من هذه الثغرة ، فمال « تمدن » هذه النهضة ناحية « التغريب » فلم يكن الاستقلال الحضاري الذي نريد ! ..

فكان أن ظلت الأمة تبحث عن التيار الفكري الذي يجمع ، في أطروحته ، كل فضائل النهضة الحضارية ، وجميع شروط استقلالها .. وعندما تبلور هذا التيار في دعوة (الجامعة الاسلامية) وحركتها ، التي قادها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده حاربه دعاة « التغريب » ، وأنصار « الجمود » معا !! .. وحالوا بين فكره في النهضة وبين أن ينتشر أو يوضع في التطبيق ! ..

لكن ذلك لم يمنع من أن يكون هذا التيار ـ « السلفي ـ العقلاني ـ المستنير » ـ هو أكثر تيارات التجديد ، التي عرفتها أمتنا حديثا ، استجابة لمتطلبات الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الاسلامية .. ●

الجامعة الأهلية

واشتراكية الماء والهواء

بقلم: د. السيد فهمى الشناوى

كانت اكاديمية افلاطون وارسطو اكاديمية اهلية بحتة . وقد اعطت البشرية من الفكر والتامل والفلسفة اكثر مما اعطتها جميع الجامعات الحكومية فى العالم كله الى يومنا هذا . برغم بساطة الاولى وامكانيات الحكومات فى الثانية . ولو كانت اكاديمية افلاطون هذه جامعة حكومية يونانية لما ظهر افلاطون ولم يعد ان يكون مدرسا جامعيا مجهولا وماكان له الا ان ينقل عن أو ينقد « افلاطونا » اخر اهليا .

وكان الازهر جامعة اهلية ،ليس لها مقررات ولا اشراف للحكومات عليها ، انما هو عمود يتحلق حوله استاذ وتلاميذ مريدون . لا جداول . لا حضور ولا انصراف . فكان الازهر مفرخة لكل القيادات والزعامات

● لو كانت أكاديمية أفلاطون جامعة حكومية لما ظهر أفلاطون

والحركات السياسية والفكرية · بل ان تلامذة هؤلاء هم بعد ذلك الذين كونوا كليات الطب والهندسة في أول عهدها وسافروا في أول بعوث الى اوربا وادهشوا أهل الجامعات الاوربية الحكومية بتفوقهم عليهم داخل عقر جامعاتهم وباللغات الاوربيــة ! وقد اصبح ذلك كله امرا مستحيلا بعد أن اصبح جامعة حكومية لها اضعاف الامكانيات القديمة وحتى المدارس الحكومية التي استمدت طلابها من هذه الجامعة الشعبية الحرة ـ كمدرسة القضاء الشرعي او دار العلوم كان لها تميز في المستوى والتفكير معني والتفني ·

وحاليا توجد جامعتان اهليتان في المنطقة هما جامعة بيروت الامريكية وجامعة القاهرة الأمريكية لهما ابعد الاثر في توجيه المســار السياسي لبلدان المنطقة في صمت وفاعلية وفي ســيطرة خفية على الدبلوماسية وصانعي القرار · وخصوصا جامعة بيروت · حيث تنفرد بعدم وجود ازهر في ديار الشام ينافسها فكرا حرا · جامعة بيروت هذه خرجت معظم وزراء دول الشرق الاوسط منذ مطلع هذا القرن وقد حلت تماما محل اسطنبول في صنع القيادات الحاكمة · صنعت اسطنبول طبقة عزيز على المصري ونوري السعيد مثلا وصنعت جامعة بيروت فاضــل الجمالي وكل الطبقة التالية وكل انقلابات الهلال الخصيب والجــزيرة وعندما اجتمع مندوبو الدول في ليك سكس لوضع ميثاق الامم المتحدة كان اكبر عدد لخريجي احدى جامعات العالم كله ليس خريجي اكسفورد او كامبردج او جامعات امريكا بل كانوا خريجي جامعة بيروت هذه · وكانوا اكثر من خمسين خريجا · ان كل الانقلابات التي حدثت في المنطقة من جبال طوروس الى الحديدة كان يمهد لها ويدعو اليها تجمعات طلبة او خريجي هذه الجامعة · ان كل الاحزاب التي ظهرت كالبعث والقوميين العرب ومهندسي الهلال الخصيب ودعاة القومية العربية وجميع محرري صحف لبنان والكويت ودور النشر فيها من خريجي هذه الجامعة الاهلية ·

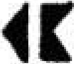
ولقد كان للجامعة الامريكية بالقاهرة اثر منفرد في دراسة الخصائص الاجتماعية لطبقات الشعب المصري · والتحول الاجتماعي الرهيب الذي حدث دون أن يدري احد انما تم تحت ظل دراسات هذه الجامعة الاهلية · بل ان هناك ماهو اخطر والمر من هذا كله : هناك مدارس صهيونية اهلية تكونت هنا داخل مصر ذاتها كانت هي ـ وبعيدا عن اي تزيد ـ سبب نجاح الصهيونية في انشاء اسرائيل وتم ذلك كله في صمت الاهالي بعيدا عن جعجعة الحكومات · كيف ذلك ؟ · عندما الف هرتزل كتابه الشهير عن دولة اسرائيل عام ۱۸۹٦ تألفت في مصر جمعية صهيونية في نفس العام · ثم في عام ۱۹۰۰ اي بعد ٤ سنوات فقط انشأ يهود مصر عدة مدارس اهلية تعلم الصهيونية والعبرية لاطفال اليهود · هكذا بعيدا عن اي مقررات حكومية ولا مفتشين من وزارة « المعارف » ··

ونستطيع أن نستنتج عن يقين ان نشوء تيار جماعات الاسلامية ومدارس الاحد وغيرها انما هو نوع من التعليم الاهلي غير المتاح في البرامج الحكومية ، يلبي حاجة ليست في المقررات الرسمية ·

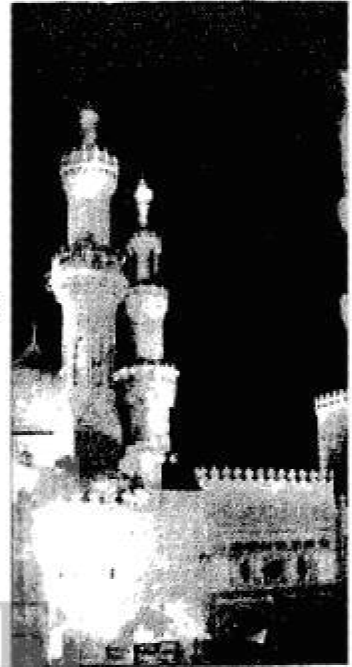
ولكن يجب أن نعرف ماهي الجامعة وماهو التعليم ·


افلاطون


أرسطو



الجامعة الأهلية


الجامع الازهر

الجامعة ليست كلية طب ولا كلية هندسة . فهذه حرف . وحاليا تكنولوجيا . ولكن المقصود بالجامعة هو الدراسات الانسانية ودراسة العلم من اجل العلم ذاته لا من أجل التكسب او من اجل لخطة تنمية او من اجل احتياجات المجتمع . وهنا فالعلم من أجل العلم يشمل الطب والهندسة وغيرها فى مرحلة الدراسات العليا . كان يحلو دائما لمدرسة طب قصر العينى أن تحتفظ بكلمة مدرسة الطب حتى الاربعينات لما فيها من دلالة وصدق .. الى آن غلبها طوفان المغالاة والسطحية الذى اغرق فكرنا وثقافتنا المعاصرة .

اما التعليم فيختلف عن العلم : قال طه حسين ان العلم كالماء والهواء وهذا صحيح ولكن التعليم ليس هو العلم . اذا لم يكن التعليم صحيحا فقد ينتشر فى هذا الماء وباء الكوليرا وينتشر فى هذا الهواء وباء الحمى الصفراء . العلم يجب ان يتاح مجانا وفى تقديس كامل لكل من هو اهله وكل من يحرص عليه .

كلما اثير موضوع الجامعة الاهلية اجتمع فريق من طلبة الجامعات الحكومية وعقدوا مؤتمرا يحضره مسئولون كبار يعارضون ويحتجون على الجامعة الاهلية بدعوى الاشتراكية وهدم مكاسب الشعب المزعومة . ولو كانت هذه الجامعات الحكومية خالية من الاستثناءات فى الدخول اليها . وعدد الاستثناءات الان ٤٠ وعدد الطلبة المستثنين يتراوح بين عشرة الاف وخمسة عشر الفا . ولو كانت هذه الجامعات خالية من مسبة الدروس الخصوصية لعذرناهم وناقشناهم . اما والوضع كذلك فاولى بهم ان يطهروا انفسهم من هذين الرجسين قبل ان يصلحوا من احوال الناس .

ماهى الاشتراكية .. اليست هى العدالة الاجتماعية ؟ .. هل تستقيم العدالة الاجتماعية فى وجود الدروس الخصوصية ووجود الاستثناءات .

اما الدروس الخصوصية فى الجامعات الحكومية فحقيقة واقعة . اعترف الدكتور حمدى السيد ، فى حديث للمصور مارس ٨٢ ، انه يعطى اولاده دروسا خاصة ، وان اقل علم يكلف ٧٠٠ جنيه . ووصف الدكتور عبد العزيز سليمان رئيس جامعة عين شمس السابق فى كتابه « محنتى » احد المسئولين بدرجة وزير بانه يبيع الامتحانات وبالعملة الصعبة !

وقدمت النيابة الادارية والنيابة العامة والرقابة الادارية العديد من المدرسين داخل قفص المجرمين بالمحاكم من اساتذة الجامعة بسبب الدروس الخصوصية هذه . ورددت الصحف اكثر من قضية لتزوير امتحان واقتحام لغرفة كنترول بسببها !!

هذه الدروس الخاصة حولت استاذ الجامعة الى تاجر واحيانا الى لص . ودائما ابدا الى مستنزف لمال أهل الطالب وحولت الطالب الى زبون واحيانا الى ضحية . ودائما كانت العلاقة هى علاقة سادى بمازوكى وهى نفس نوعية الانحراف الجنسى المعيب !

فما هى الاشتراكية وما هى العدالة الاجتماعية هنا . وكيف الى

عزيز المصري





نوري السعيد

يكون استغلال الانسان لاخيه الانسان واين هذا الاستغلال المنحط من استغلال الاقطاعي للفلاح او الراسمالي للعامل . وهل استغلال العامل والفلاح على فرض التساوي في الدرجة يعادل استغلال « المتعلم » ! « للمتعلم » والفارق بينهما بضع سنوات قليلة في التخرج .

هل الاشتراكية هي بيع « الماء والهواء » وبيعه لمن يدفع اكثر . ان المومس لاتبيع الا جسدها هي وتاجر السموم والمخدرات لايبيع الا بضاعته هو . ولا احد يبيع حقا مشاعا الا اصحاب الدروس الخصوصية هذه .

ولقد وصل الحال بسمعة هذه الدروس أن دولا كثيرة اصبحت لاتعتمد على شهادات جامعاتنا وتضطر مبعوثينا الى دراسة اولى من البكالوريوس عند الالتحاق بدراساتها العليا !

ان تزوير الشهادات لقاء مبلغ من المال عند صانع الاكلشيهات اقل اذى على المجتمع من هذه الدروس .

واما عن الاستثناءات في الجامعة الحكومية - وعددها لا يقل عن عشرة الاف حالة سنويا فهي ظلم قانوني . وهذا نوع من الظلم اشد كثيرا من الظلم غير القانوني. تعرض عشرة آلاف شاب في اول خطوة في حياة رجولته لنهب حق غيره تحت اربعين عنوانا من المبررات فكيف يصلح هذا الشاب بعد ذلك لكي يقود الجماعات أو يحكم بين الناس او يواسي الناس . اليس عجيبا - بل ليس عجيبا - أن كل الجرائم التي نقرؤها يوميا في الجرائد حاليا هي من صنع المتعلمين لا الجهلة . وان نوعية الجرائم كلها هي الاختلاس والتزوير وخرق القانون باي شكل وانه ما ان ينعقد اجتماع لجماعة ما في اي موقع ما حتى تثار فضائح الاستثناءات . اليس هذا كله لانه سنويا تخرج الجامعة الى الحياة عشرة الاف شخص بنوا حياتهم الجامعية وحصلوا على شهاداتهم بالاستثناء علاوة على عشرة الاف حرموا من حقهم ليدخل هؤلاء مكانهم وبذلك تحول المحرومون ايضا الى منحرفين او منتقمين او ساخطين .

والتعليم الحكومي - جامعي او غير جامعي - الذي تعاني منه حاليا جميع الدول العربية هو الذي حول العرب الان الى حالة عزوف لا عن الدين فقط ولكن عن عروبتهم نفسها . فاختفت صفات الكرم والشهامة والحرص على الشرف والحرص على الموت والاستشهاد وكلها صفات موجودة فينا حتى من أيام الجاهلية .

واعجب ظواهر التعليم المؤمم هذا هو عقدة الفلاح والعامل . كان الفلاح والعامل في ظل التعليم الازهري الحر يشفى تماما من هذه العقدة وابلغ مثل على ذلك طه حسين او احمد امين الخ . اما الان فما ان يتعلم هذا التعليم الحكومي حتى تستفحل معه هذه العقدة ويظل يردد شعارات طبقية ويسلك في السياسة العامة دروبا تؤدي الى قوى أجنبية والحق اقول إن الجامعة الحكومية ليست تأميما للفكر فقط ولكنها دكتاتورية الحكومة على الذهن وهي تطبيق صارم لنظام الحزب الواحد

الجامعة الأهلية

بالنسبة للتفكير والمعلومات وهي ايضا احتكار كامل لهما ولمالك لعلم ان احتكار الفكر الحق واخطر من احتكار السلعة . وهو احتكار حرمته الاديان جميعا بل والشيوعية نفسها !



ولسنا نريد ان ننزع من الحكومة مهمة التعليم .

فالتعليم الاساسي او الالزامي اخطر اثرا من التعليم الجامعي وهو اساس البنيان والهيكل كله

وهذا التعليم يجب ان يكون تعليما بسيطا مبسطا وطاهرا ونقيا ان تعليم الكتاتيب فيما مضى كان اسلم وافضل من تعليم الحضانة والابتدائي الحالي . القرآن كان يعلم اللغة والنحو والانشاء ويغرس القوى وعزة النفس والاخلاق الحميدة . حاليا يتعلم التلميذ نصوصا وقشورا وتمثيلا ومزاحا وتقليدا للانثى وللممثل وللبلطجي ويعطى نصوصا لغوية سخيفا ومفتعلة . وغير صالحة اخلاقيا واجتماعيا وحالية الوفاض .

يجب ان نتذكر دائما ان نهوض الامبراطورية الاسلامية في خمس وعشرين سنة فقط منذ عهد ابي بكر الى عهد عثمان كان بسبب بساطة المعلومات المتاحة . لا شيء الا القرآن والسنة . بساطة كاملة وطهارة مطلقة . ثم استمر الدفع الذاتي مائة سنة اخرى . وبعد ذلك تعددت مصادر المعرفة من اختلاط بثقافة يونانية وفارسية ورومية فبدأ الانحسار وحاليا نحن نرضع بل نتجرع رضاعة استعمارية خالصة تنكر علينا كل مقوماتنا وكل مقدساتنا وتخضعنا بالكامل للاستعمار .

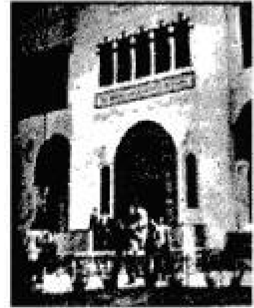
واخطر مهام القيت على كاهل التعليم الحكومي دون ان يدري احد هو ربط المثقفين بالاستعمار

فالاستعمار والامبريالية لاتعتمد على وجود جيوش او قواعد عسكرية او احتلال او معاهدات او ديون وقروض بقدر ماتعتمد على وجود طبقة من المثقفين المهجنين ، ينهلون الثقافة الاجنبية ويطبقون القوانين والعرف الاجنبي ويرتبطون بلادهم بالخارج ويقلدون الخارج في مسرحه وموسيقاه وازيائه ويرسلون اليه البعثات والوفود الخ . وفي هذا سبقت فرنسا جميع الدول الاخرى . وظل لها وجود بعد خروجها بجيوشها من الدول التي استعمرتها كسوريا ولبنان وشمال افريقيا ودول افريقيا الوسطى . وكانت تزعم لدولة مثل لبنان انها حامية لها ونحن الآن ندرك مدى هذه الحماية المزعومة .

وتهجين المثقفين هذا اسرع واعمق عن طريق المرأة . فتربية المرأة تربية اجنبية في لغة تتعلمها وازياء تلبسها او روابط تقيمها هو اسرع كثيرا من اي غزو اخر عسكري او مالي او علمي .

وفي جميع الحالات تتم هذه التحولات وعمليات التهجين عن طريق التعليم الحكومي والجامعات الحكومية ولايمكن مقاومتها الا بتعليم اهلي وجامعة اهلية يدرك مؤسسوها ابعاد عملية التهجين ويحصنون المتعلمين لديهم بمصل مضاد !

فالجامعات الحكومية يمكن ان تكون سلاحا استعماريا اخطر من الدبابة



الجامعة الامريكية

والطيارة والقواصة .

والجامعات الحكومية يمكن ان تكون قواعد استعمار اخطر كثيرا من قاعدة برديس او قاعدة التل الكبير بل اخطر من مالطة وجبل طارق .

ويجب ان نفرق بين المدنية والحضارة فيما ننقله عن الغرب . فالمدنية والتكنولوجيا وتطبيق العلم على الحياة يجب ان نسابقهم فيه بل ونسرقه منهم سرقة هي حلال . ولكن الحضـــارة فيما يستقر من تقاليد وازياء واخلاقيات يجب أن نستولدها من ذاتنا ونعتز بها . كم اعجب للمرأة السودانية أو الهندية وهي تتمسك بزيها رغم تعلمها العلم الغربي لارقى درجاته !

قلنا ان الجامعة لاتعني كلية طب او هندسة او تكنولوجيا ولكنها تعني فكرا وفلسفة وادبا وقانونا وفنا وتفسيرا وفلســـفة في علوم الطب والهندسة « لا في اساسياتها » .

وفي غياب هذه الجامعة الاهلية يصبح العبء كله ملقى على مجلات ودوائر الثقافة والفنون وعلى اعلام الادب والمسرح والفنون الاهليين في تعويض الوطن عن عملية التهجين والتاميم الجامعية .

لقد لعبت هذا الدور بوضوح مجلات مثل الهلال والمقتطف ولعب طه حسين وعلى عبد الرازق والدكتور محمد حسين هيكل والعقاد هذا الدور يوماً ما . والمفروض ان يتضخم هذا الدور اضعافا مضـــاعفة لا مع تزايد السكان فقط ولكن مع تقدم الحضارة العالمية والانفجار العلمي الرهيب الذى اخرج الانسان من كوكب الارض الى بقية الكواكب .

ولكن للاسف نحن الان اعجز مما كنا في اول هذا القرن عن انشاء جامعة اهلية : اقيمت الجامعة الاهلية الاولى بترحيب من كل الطبقات في تسابق محمود واريحية كريمة . وافتخرت اميرة بانها باعت مصاغها للجامعة . وقام امير آخر بانشاء كلية لفنون وارسلت اخرى مبعوثين للخارج على نفقتها بينما الآن تضج الساحة بآلاف مؤلفة من المليونيرات وينشط معظمهم في السرقة او الرشوة او السمسرة او تسميم الشعب .

وتمت الجامعة الاهلية الاولى رغم معارضة كرومر اقوى اباطرة التاريخ في مصر . ونعجز الان في ظل الاستقلال وحكم الثوريين المصريين عن انشاء جامعة اهلية . ولا تقل ان الجامعة كانت ضرورية لعدم وجود تعليم عال . كلا . كان هناك مدرسة الطب والهندسة والزراعة منذ ايام محمد على ! وكانت هناك مدارس صناعية « محمد على » في اسكندرية والقاهرة وغيرها . وكان السفر والانبعاث الى الخارج أيسر من التعليم داخل مصر لارتفاع قيمة الجنيه المصرى على الجنيه الانجليزى وانخفاض نفقات التعليم والاقامة في اوربا . وكانت هناك مدارس فنية صناعية في جيوش مصر الممتدة من بر الشام الى اوغندا !!

ولكن لم يكن هناك دكتاتورية الراى الواحد والحزب الواحد « ولا هو راى ولا هو حزب ولكنه غياب وغيبوبة وعى » .

كيف تقوم جامعة اهلية : عدم القدرة ــ حاليا ــ على اعادة الجامعة

● هل تستقيم العدالة الاجتماعية في وجـــود الـدروس الخصوصية والاستثناءات؟!

الجامعة الأهلية


د. طه حسين

الاهلية ـ بل التعليم الاهلي عامة ـ يوضح حالة التفسخ والهزال والضعف عن النهوض الحالية .

والجامعة الاهلية ـ والتعليم الاهلي عامة ـ لا تقوم بقرار من الحكومة ـ لانها ليست حكومية ! ولا يهمها اعتراض المعترضين بل تقوم رغم اعتراض المعترضين · وهي تقوم بحركة شعبية واعتراض المعترضين هذا يتترس وراء مكاسب العمال والفلاحين · ويوقدون نارا للفرقة باسم العمال والفلاحين · وينفخون في مركب نقص يعاني منه العامل والفلاح طالما هو لم يتعلم · فاذا تعلم ـ وفقط اذا تعلم ـ شفي من هذا المركب للنقص ـ فقط اذا تعلم ! ـ لايشفيه منه عضوية مجالس ادارة ولا مجالس نيابية ولا ترديد اناشيد له · فالتعليم وحده هو الذى يصهر الطبقات في سبيكة واحدة وهو الذى يحقق العدالة الاجتماعية فعلا لا قولا وهو وحده ولا غيره الذى ينقل ابن الفقير الى مرتبة اعلى من ابن الغنى في مدى جيل واحد .

ويجب أن نعلم ان التعليم الحر موجود مهما حورب من استعمار او من حاكم · وان ابدع انواع التعليم والتثقيف والتربية ما كان حرا · فالقرآن نفسه قراءة حرة · وهو اوسع كتب العالم قراءة · رغم ان المسلمين نصف عدد المسيحيين مثلا · وهو الكتاب الوحيد الذى يحفظ صما والكتاب الوحيد الذى تترجم معانيه الى ٤٠ لغة .

والصوفية هي مدرسة حرة على مدى التاريخ كله وبين الاجناس المختلفة من البشر · وقد علمت الانسان كيف يرى نفسه وقد خلع زيفه · وهو بالعكس تماما مما يتعلمه في التعليم الحكومي · · ومع ذلك استمرت الصوفية وتموت احقاب وتأتى بعدها احقاب من البرامج الحكومية التعليمية .

وابدع ما انتجه الذهن البشرى من فلسفة او شعر او موسيقى او تمثيل او صحافة عالم بالجهود الحرة وبعيدا عن البرمجة الحكومية . وكل مايتكون لشعب ما من تراث وفولكلور وتقاليد هو من الانتاج الحر وليس من المقررات المدرسية الحكومية .

ونعود لنقرر انه حتى مع وجود تعليم وثقافة حكومية ممتازة فانها فسيولوجيا لاتمثل الا الذهن الاوتوماتيكى السفلى الذى يقود حركات الجسم الاوتوماتيكية واما التعليم الحر والثقافة الحرة فيجب ان يكون لها الولاية والقيادة ومكان المخ العلوى المفكر والموجه والمعالج ـ وكما انه يجب أن يكون للمفكر ولاية على السياسي لا أن يكون للسياسي ولاية على المفكر ـ يجب أن يكون للتثقيف والتعليم الحر الولاية على التعليم الموجه والاميرى !

فالتعليم الحكومي يجب أن يكون تعليما اساسيا او الزاميا يهيىء للطفل اصلى تبع في ابسط صورة وباقل كمية مع هضم كامل له .

● هل الاشتراكية هى بيع الماء والهواء لمن يدفع أكثر؟

وقد كانت الكتاتيب سابقا تؤدى هذه المهمة بنجاح ، يتعلم الطفل حفظ القرآن ومن خلال هذا يقوى ذاكرته بطريقة خيالية لا يسبقه فيها اى طفل اوربى او امريكى . ثم هو يدرس القواعد اللغوية بابسط وأسرع واصح مايمكن ويتذوق ادبا فى كافة أبواب الادب ارقى كثيرا من كل موضوعات الانشاء والنصوص التى تعطى له ، وكثير منها فاسد وضار حاليا . ثم هو فوق هذا كله يتسلح بزاد تربوى وخلقى يغنى عن اى بيئة منزلية أو مجتمع متدهور ويغنى عن اى علاج نفسانى بعد ذلك .

انى لأرثى لطفل اليوم يعطى نصوصا لغوية سقيما ومعدية ومجنونة ومجرمة ويقلد الانثى التى تدرس له والممثل الذى يراه طوال اليوم فى التليفزيون والبيئة المنحرفة التى يطالع اخبارها يوميا ثم يطالب بالنتيجة .

واما التعليم الابتدائى والثانوى بعد ذلك فيجب ان يكون تعليما تطبيقيا مثل تعليم اليهود لاولادهم يعلمونهم الحساب والتجارة واعمال البنوك والاستيراد والتصدير الخ .

اننا فى مصر نحتاج ان نعلم تلميذ المدرس كيف يزرع ارض مصر بالطرق العلمية الحديثة وكيف يستخدم مياه النيل وكيف يتاجر فى محاصيل مصر باحسن الطرق وكيف يعيش فى صحارى مصر ويصلحها وكيف يستثمر سواحل البحار وامكانيات القرية المصرية واصلاح اراضى البحيرات ونعلمه تجارة الجملة والقطاعى والتصدير والاستيراد والقوانين التجارية والجنائية والدستورية والمعاملات العقارية والتسجيل والتوثيق والاسكان والبناء ونعلمه ميزانية مصر وتاريخها المعاصر واطماع الدول فيها .

ان التعليم العالى يعلمه جغرافية العالم وتاريخ العالم دون ان يعلمه كيف يعيش فى ارضه مصر وكيف يزرعها وكيف يخرج كنوزها . وما ان يتخرج من التعليم العالى حتى يجد نفسه نافرا من الارض ! ومن الانتاج فاما طالبا لوظيفة او مهاجرا ليعمل لحساب الغير وتحت سيطرة الغير وربما فى خدمته .

ان التعليم العالى مأساة . ان الوفا مؤلفة من الشباب المصرى المتعلم تخرج لتتسول الاطباق للرجل الاوربى .. اذا اسعدهم الحظ بفرصة عمل فى مطعم الرجل الاوربى . والوفا مؤلفة اخرى تعمل فى الحكومة او القطاع العام وهى تعلم تماما انها لاتعمل وان الامر كله عبارة عن بطالة مقنعة . وان الوفا مؤلفة اخرى تخرج الى الاقطار الشقيقة لتتنكر من الشقيق الثرى حنانا وتكرما .

ان الخطوة الاولى فى مشوار الالف ميل لاصلاح مصر ولميلاد مصر جديدة فتية هو قيام جامعة اهلية جديدة وتعليم اهلى متطور حديث ●

قدماء المصريين لم يشتركوا في بناء الكعبة

بقلم : مصطفى عبده خير

فى عدد مارس من « الهلال » نشر الدكتور سيد كريم مقالا عن اشتراك قدماء المصريين فى بناء الكعبة .. وفيما يلى ، وجهة نظر تاريخية اخرى تؤكد ان قدماء المصريين لم يشتركوا فى بنائها .

طالعتنا مجلة الهلال فى عدد فبراير ١٩٨٢ بمقالة عنوانها : (المصريون القدماء وبناء الكعبة) للدكتور سيد كريم وعناوين جانبية « **قالوا ان آدم بنى الكعبة بعد هبوطه** » « **وهى اقدم الاساطير** » ،

« **بدأ انتشار العقيدة من مصر ٢٢٨٠ قبل الميلاد** »

« **هل بنى جرهم وبنو مناف بيت الرب مثل معبدهم فى منف** »

« **شعب مصر اول شعب آمن باله واحد** »

« **وصورة مصرية لاول سجود وركوع فى تاريخ الاديان** »

ارى ان بعض الاستنتاجات صحيحة وبعضها دراسة وافية . كما نجد بعض المعلومات القيمة والمفيدة . الا ان كاتب المقال يجانب الحقيقة فى بعض النقاط الهامة لما فيه من افتعال مقصود وتزوير المتاريخ وتحيز مرفوض ومنها : ـ

لم تكن اول رسالة للتوحيد نزلت بمصر

ولم يكن شعب مصر اول شعب آمن بالله

ولم يكن التوحيد بمصر قبل ارسال الرسل والانبياء

وليس صحيحا ان جرهم وبنى مناف اول من بنى الكعبة



ولم يكن أول سجود وركوع فى مصر
ولم تخرج عقيدة التوحيد من (هيليوبوليس)
ولم يأخذ الانبياء التوحيد من مصر
وليس من المؤكد ان بنى مناف هم اهل منف
وليس الرسول من مصر على انه من بنى مناف ، وبنو مناف من منف .

نادى اخناتون بالتوحيد ولكن ليس بهذه الصيغة القرآنية ولم ينج فرعون الخروج من الغرق .

يقول كاتب المقال ان أول رسالة للتوحيد نزلت فى أرض مصر ، كنانة الله فى أرضه ويستدل فى ذلك بقول المؤرخ (بترى) فى كتابه (ضمير الحضارة) فيقول : « .. فشعب مصر كان أول شعب آمن بالله . أول من آمن بأن هنالك الها واحدا للجميع ـ آمن بهـذه الحقيقة قبل مولد الزمان وقبل ارسال الرسل والانبياء . فكان أول من نادى بالتوحيد »

ويقول أيضا عن (هيليوبوليس) ان منها خرجت أولى رسالات الحلق والتوحيد التى عرفتها البشرية وكانت منارة لجميع الاديان .

صحيح ان اخناتون نادى بالتوحيد ، ومن قبله كان التوحيد فى مصر ، حتى ما قبل الاسرات فقد سمى المصريون القدماء (اتون) وهو أصل كل شىء وله معنى ظاهرى هو (اتوم) الذرى وهو (رع) فى العطاء ، و (آمون) فى بروزه كالشمس فآمون مظهر (رع) وكان (رع) مظهرا (لاتوم) وهو الاله الخفى .

وليس ذلك قبل ارسال الرسل والانبياء . والا فلا حاجة لارسال الرسل ما دام البشر يستطيعون معرفة الاله الواحد بدون وحى من الله ان أمكن للبشر الوصول للوحدانية الخالصة بدون انبياء ـ حتى ان ارسطو الفيلسوف اليونانى توصل الى الله على انه المحرك الاول الذى لا يتحرك فحاول تنزيه الله حتى عطله عن الحركة ونزع منه القيومية على خلقه ذلك لانه لم يصل الى الله عن طريق الوحى ..

اما عن (هيليوبوليس) وقوله انها كانت منارة لجميع الاديان ، فهذه المدينة كانت فيها مدرسة عين شمس القديمة التى كانت منارة للعلوم الفيزيقية وحتى الميتافيزيقية ولكنها لم تكن المنـــارة لكل الاديان التى عرفتها البشرية !

فأول من نادى بالتوحيد كان (آدم) ،وهــو ابو البشر واول الموحدين واول الرســـل وجاء بعد (آدم) النبى (ادريس) وهو أخنوخ بن يارد .

وكان ادريس بارض الرافدين ثم ذهب لمصر . وهو الذى أدخل



عبادة التوحيد لمصر وكان معلما كذلك لكل العلوم الفيزيقية وأخذ عنه المصريون عبادة التوحيد والحكم والعلوم ·

و (ثالوث منف) كما يزعم كاتب المقال ، مكون من « الت وعزت ومنى » يعنى بذلك أنهم (اللات والعزى ومناة) الاصنام المذكورة فى القرآن وكان يعبدها العرب فى الجاهلية ·· ولكن ثالوث منف مكون من (الاب بتاح) والام (شحمة) والابن (نفرتم) ـ وكما ان هناك ثالوثا آخر بمصر وهو (ثالوث أوزيرى) ومكون من (اوزيريس) الاب و (ايزيس) الام و (حور) الابن ·

وكما يقرر كاتب المقال بأن (بنى مناف) هم (أهل منف) المصرية وان جرهم هو الاسم الذى عرفوا به · ويقرر أيضا ان بنى مناف وجرهم هم أهل الكنانة الذين بنوا الكعبة ·

ولا أدرى على أى معلومات يستند كاتب المقال بنسب الرسول وهو معروف حتى جده اسماعيل بن ابراهيم وكيف اثبت ان بنى مناف هم من (منف) وانهم هم (أهل جرهم) وانهم هم الذين بنوا الكعبة على مثال معبدهم فى منف · وهو الذى يقول فى أول مقالته ان بناء الكعبة قبل ابراهيم يرجع الى الاساطير والمعتقدات وأحاديث الرواة والتراث الشعبى ـ فالى أى اسطورة يستند كاتب المقال ليقرر ان بنى مناف أى أهل منف المصرية هم بناة الكعبة ·

والمعروف تاريخيا ان آدم هو الذى بنى الكعبة وقد بناها أيضا ابنه شيث وكذلك بناها بعدهم العماليق ثم جرهم حتى رفع ابراهيم القواعد واسماعيل ·

وعلى حسب قول كاتب المقال بأن اخناتون يقول : « الله وحده لا شريك له ـ هو الواحد الاحد الفرد الصمد ، خلق السموات والارض ولا شأن بجواره لاحد ـ هو الأب وهو الأم وليس له ولد » ·

بعض هذه الاقوال صحيح ، ولكن ليس بهذه الصيغة ، فان موسيقيتها عربية ولا يكون ذلك الا باللسان العربى ، وما يقال كشبيه له ما هو الا قول مستحدث مأخوذ من القرآن وليس قبله ! ·· وهو يشبه أقوال مسيلمة الكذاب ·

أما اناشيد اخناتون فتختلف فى الموسيقى اللفظية وبعيدة عن الاسلوب القرآنى .

يقول اخناتون كما هو مكتوب فى جبانة وزيره (حور محب)

انت الواحد الاحد لا شريك لك
يا اله الشمس يا من لا شبيه له
انت تملأ الارض بحبك ايها المعبود
يا اتون الحى
الذى صنع نفسه بنفسه وكل مخلوقاتك
فسبحانك من مبرز لخلقك

هذه هى المناجاة التى كان يناجى بها اخناتون ربه وهى أدعية ومناجاة للاله (اتون) اى القوة الكامنة فى الشمس .

فالفارق كبير بين الاسلوب القرآنى واناشيد (اخناتون) فالاسلوب الذى كتبها به صاحب المقال اسلوب يقلد القرآن .. والا لما بهر القرآن العرب واعجزهم ، فكان القرآن المعجزة والمنهج ، وهو قرآن عربى بحروف عربية لقوم كانت حضارتهم اللغة العربية، وفنهم المعبر عن الزمان المطلق .

ويكبو كاتب المقال كبوة أخرى ويقول ايضا فى آخر سطر « كما آمن بعدها فرعون عندما رأى معجزة ربه **فنجاه من الغرق** » !

فالصحيح كما هو مذكور فى المصادر وأوراق البردى المصرية والكتاب المقدس فى اسفار الخروج واسفار موسى الخمسة ومزامير داود وفى القرآن الكريم وتقارير علماء الآثار - ان فرعون موسى قد غرق فى البحر وهو يطارد بنى اسرائيل بقيادة موسى عليه السلام . وقد انجى الله جسد فرعون فقط ليكون آية للناس وكما يذكر الله فى القرآن فى سورة يونس الآيات (٩٠ - ٩٢) . بأن فرعون موسى قد غرق فى البحر وأنجى الله جسده كآية .

وهذا الفرعون هو (منبتاح) وهو فرعون الخروج أما فرعون الاضطهاد فهو (رمسيس الثانى) وما زالت الدراسات جارية على مومياء (رمسيس الثانى) ومومياء ابنه (منبتاح) .

ويستدل كاتب المقال بزيارة الانبياء لمصر أولا ثم ذهابهم لمكة

● على أيّ معلومات يستند الكاتب بنَسَب الرسول وهو معروف حتى جده إسماعيل؟

● أناشيد أخناتون بعيدة تمامًا عن الأسلوب القرآني



ونشر « التوحيد » الذى أخذوه من مصر · ويذكر من الانبياء ابراهيم ولكنه نسى أو تناسى أن ابراهيم عليه السلام حطم الاصنام قبل أن يعبر الفرات وينزل بأرض فلسطين ومن ثم لمصر · فقد نادى ابراهيم بالتوحيد قبل أن يصل الى مصر ويتزوج من هاجر أم اسماعيل ولم تكن هاجر اميرة بل جارية فى مصاف الاميرات فى العصر الفرعونى ·

كما قلت مقدما بأن المقالة جيدة في عرضها وأوردت معلومات قيمة لا داعى لذكرها ويمكن الرجوع للمقالة ، وأعطي كاتب المقال لمسات فنية ودراسات مفيدة ، ولكنه يجانب الحقيقة فى النقاط التى أثرتها فى هذه المقالة مع احترامي للدكتور سيد كريم ·

وقد أكون مخطئا في بعض من ملاحظاتي ، فأرجو من كاتب المقال تصحيح ما قلت أو اثبات ما قال ·· وما أرجوه أن يكون هذا مجالا لنقاش مفيد ونقد بناء لنصل الى الحقيقة فكلنا طلاب علم وحقيقة ولا نرجو سواها .

مصطفى عبده محمد خير
جامعة ام درمان الاسلامية بالسودان ●

بقلم: فتحي رضوان

الديمقراطية حقيقة أم سراب؟

● الديمقراطية نوعان، نوع يتجسد في الدساتير والقوانين والمراسيم، وهي مايشغل بال دعاة الحرية، وطالبو حقوق الانسان.

وديمقراطية، يعيشها الناس، ثم يحافظون عليها، بالدم والروح، مهما ضعف شأنهم، وقلت وسائل الدفاع في ايديهم.

الديمقراطية، خداعة جذابة، لانها تتحول الى وثيقة، تعد الناس، بحقوق كاملة، وضمانات عظيمة، وتكبل الحاكم، ملكا كان او اميرا، او رئيسا بقيود، تجعله لا يتحرك ولا ينطق، وربما لا يفكر، الا في ظل رقابة من الشعب، وهي تعد بعد ذلك بمحاكمة كل من تسول له نفسه بالخروج على هذه القوانين او خرق هذه الضمانات.

وقد الفت الشعوب أن تحارب، حتى تحصل على وثيقة من هذه الوثائق، فتعلن أن الحرية دانت، وأن حصون الاستبداد تهاوت، وتقيم ليوم ظفرها به، الاعياد وترفع الاعلام، وترتل الاناشيد، ثم لا يمضي الا القليل، حتى ترى يدها فارغة من كل مانالته حرية حقيقية، ويعود الظلم الى سابق عهده، ويعاني الضعفاء المذلة والمهانة.

اما الديمقراطية الحقيقية، ذات السلاح المشهر فهي، لا تكتب في نص، ولا تسجل في ورقة، انما تولد وتحيا، مهما ضؤل نفوذها أول الامر، في قلوب اناس لا يطيقون ان تمس، ولايترددون في ان يتنادوا، بالدفاع عنها، وتتوالى من اجلها المعارك، وتكثر الضحايا، ولكن تبقى في جميع الاحوال عزيزة الجانب.

وهذا النوع من الحرية، لايحتاج الى الساسة فقط، انما يحتاج الى المربين، وكتاب الصحف، ومؤرخي التاريخ، ومؤلفي القصص والمسرحيات، حتى لا تمضي ساعة، الا ويسمع المواطن، او يقرأ، او يرى دعوة ملحة الى تقديس الحرية او الذود عنها.



مصطفى كامل



سعد زغلول



عبد العزيز فهمي

● وقع وثيقة الحرية ثم "فرمن" عليها أى جعلها فرمانا

اما ديمقراطية النصوص والقوانين . فقد بلغ الامر بهوانها الى انك تقرا دستور دولة كامبراطورية هيلاسلاسى ، وتقارنه بدستور دولة عريقة في الدستورية والحرية كفرنسا ، فيروعك ان حقوق الشعب وضماناته في دستور هيلاسلاسى ، اعظم واكبر من حقوق الشعب الفرنسى . فما من حق من حقوق الناس ، ولا ضمانة من ضمانات تلك الحقوق الا نص عليها الدستور الاثيوبى ، وفى نفس السنة التى مات فيها فى تلك الدولة ذاتها مائة الف جوعا وعطشا ، كانت سباع الملك او الامبراطور ، تاكل من يده اغلى الطعام . اما حقيقة هذا الدستور فهى ليست الا مجرد وعد من الحاكم بانه سيحكم بما يريده الشعب، كما فعل « محمد على » والذى اصبح واليا لمصر ، حينما قبل سنة ١٨٠٥ ان يحكم مصر ، بشروط زعمائها وعلى راسهم ، الزعيم العظيم عمر مكرم الذى وسد لمحمد على منصة الحكم ، لانه توسم فيه الصلاح والكفاءة ، ولم يتردد الوالى الجديد في ان يلتزم في حكمه بشروط الزعماء ، اى بالعدل والاصلاح ، ولكنه نسى ذلك بعد حين ، ونفى الزعيم الذى لولاه لما عرف سطوة الحكم ، وعظمة نفوذه . وقد فعل الاميران ابراهيم ومراد فى سنة ١٧٩٥ بحضور المشايخ البكرى والشرقاوى والسيد عمر مكرم حينما ثار الشعب فى وجه مظالم الحكام ، وفساد امرهم ، وعدوان اتباعهم على الشعب وحقوقه وكرامته ، فوقعت وثيقة شبيهة تماما بوثيقة الملك جون سنة ١٢١٥ ، وقد دعى القاضى لتحرير هذه الوثيقة ، ثم « فرمن عليها » ، اى جعلها فرمانا ، اى مرسوما اميريا ، ولكن هذه الوثيقة التى اصبحت فرمانا ، مضغها الزمن بين فكيه ، لم يبصقها ..

ومعنى ذلك كله ان الوثائق ، مهما كانت جليلة ومهما بدت مقدسة ، ومهما اقسم الحكام باحترامها ، والنزول على

الديمقراطية حقيقة أم سراب

مقتضاها ، لا تلبث حتى تفقد معناها ، فلا يلتفت اليها صاحب سلطة ، ولا يتمتع بها صاحب حق ..

وديمقراطية الدساتير ، والقوانين ، والمراسيم ، والعهود والمواثيق ، هى سراب خادع ، لها بريق يخطف الابصار ، ولها جمال تستريح له النفوس ، ولكنها اكاذيب ، لا تصدق ، وبرق خاطف ، لا يسمن ولا يغنى من جوع .

ولقد جربت الامم فى العصور الحديثة ، هذه الديمقراطية ، واصيبت بخيبة أمل كبيرة ، فلقد قامت اكبر الثورات الحديثة فى فرنسا سنة ١٧٨٩ ، وكانت تنادى بالمساواة وبالحرية وبالاخاء ، وخيل للشعب الفقير ، والطبقات المحرومة من الملبس والمسكن والغذاء ومن المشاركة فى الحكم ، بادنى نصيب ، خيل لهذه الطبقات التى كانوا يسمونها بالفرنسية بـ « سان كيلوت » ومعناها الذين لايجدون مايستر العورة ، خيل اليهم انهم غدا سيشاركون حقا فى الحكم ، وان صوتهم سيسمع ، ورأيهم سيطاع ، وان المهانة التى يعيشون فيها ستنتهى ، فلما جلس الثوار ، ليضعوا اول دستور للثورة قننوا هذه المهانة ، فدستور سنة ١٧٩٢ ، قرر اول ماقرر حرمان من كان خادما او يمتهن عملا غير محترم من ان يكون له صوت ، كما حرم كل فرد لا يؤدى ضريبة بقدر حدده القانون من ان يكون ناخبا ، فعرف الفقراء والمحرومون ان ما عقدوه من الامال ، تهاوى وسقط على الارض ، وانه يجب على الشعب ان يثور ثلاث ثورات دامية ، سالت فيها الدماء انهارا ، وتراكمت فيها الرءوس الطائرة اكواما ، حتى يصبح لكل فرد من الرجال وحدهم صوت . وفعلا ثارت فرنسا فى سنة ١٨٣٠ ، وفى سنة ١٨٤٨ ، وفى سنة ١٨٧٠ ومع ذلك بقى سن الناخب مرتفعا ، وبقيت طبقات عديدة محرومة من التصويت ، وحرمت المرأة طويلا ..

ولما اصبح لكل ناخب صوت ، بقيت للحكومة سلطات ، تملك معها التضييق على المعارضة وصحافتها ، ونواديها ، واحزابها ، ووسائل تعبيرها عما ترفضه ، وتراه ماسا بالمصالح العامة .

ولاتزال الاحزاب فى فرنسا — على سبيل المثال — تطالب مزيد من الديمقراطية ولعله من الخير ان نعرف ماذا جرى فى بلادنا ، وسندع جانبا الديمقراطية التى بدات فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٦ بمجلس شورى النواب ، الذى قضى عليه الاحتلال ، واقام مقامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، حتى جاءت سنة ١٩١٣ قبيل الحرب العالمية الاولى ، فاقام اللورد كتشنر الجمعية التشريعية التى دهمتها الحرب فى تلك السنة ، فاوقفت حياتها . سندع ، هذا التاريخ جانبا ، لا لانه خلا من محاولات جدية ، لمحاربة المعارضة ، والوقوف فى وجه الحاكم المطلق ، ولا لان الدور الذى قام به امثال عبد السلام المويلحى فى مجلس شورى النواب ، ولا ما فعلته الجمعية التشريعية فى مقاومة مشروع مد امتياز قناة السويس ،



محمد محمود باشا

● ديمقراطية المراسيم والمواثيق لا تسمن ولا تغني من جوع!

كان قليل القيمة ، بل لان هذه الومضات السريعة القصيرة المعر ، لا تعتبر حياة دستورية متصلة ، فقد كانت الهيئات المقامة خلالها ، اجهزة عاجزة ، ولدت مهيضة الجناح ، ضعيفة الصوت ، مكبلة مقيدة .

ولكن ماحدث سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ بعد ثورة ١٩١٩ ، كان صفحة جديدة حقا ، وكانت هذه الصفحة مبشرة ، بتطور حاسم ، فى شان حقوق الشعب ، وممارسته اياها ، ومحافظته عليها ، وجدية القدر الذى تمتع به الشعب ـ بمقتضى نصوص الدستور ـ من الرقابة على الحاكم ، ومحاسبته ، والمشاركة الكاملة فى وضع القوانين ، وتعديلها ، وفى اقتراح نصوص جديدة فى الدستور .

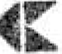
لا يستطيع احد أن يقول ان دستور سنة ١٩٢٣ ، كان نموذجيا وانه وضع قيودا حقيقية وجدية على سلطات الملك ، والسلطة التنفيذية ، ولكن ما تضمنه الدستور من هذه القيود كان كفيلا ، بان تولد حياة سياسية حرة ، او تبشر بذلك .

انتخبت اعنى عينت الحكومة ، لجنة لوضع مشروع الدستور، من ثلاثين عينا من اعيان مصر ، كان من بينهم عدد غير قليل من فقهاء القانون فى مصر ، يمكن ان تضعهم بلا تردد فى مصاف اعظم فقهاء القانون فى اوربا ، فكان من بينهم او فى مقدمتهم حسين رشدى باشا « رئيس الوزراء فى فترة الحماية والحرب العالمية الاولى » وعبد العزيز فهمى بك « باشا » ، ومحمد على علوبة بك « باشا » ، وتوفيق دوس « بك » ، وعبد اللطيف المكباتى بك ، وكانت تعاونهم امانة تقنية ضمت واحدا من المع رجال القانون واساتذته فى مصر وهو احمد امين بك « استاذ فى مدرسة الحقوق فيما بعد » وعبد الحميد بدوى بك « رئيس لجنة قضايا الحكومة فيما بعد » .

ودارت مناقشات من اعضاء هذه اللجنة الثلاثينية حول مايجب ان يكون للشعب ، وما لا يكون للملك والسلطة التنفيذية ، كانت كاناشيد الحرية ، والدفاع عن الحقوق الشعبية ، وكان وجه الجمال فيها أنها لم تكن خطبا منبرية ، تدعو الى الحرية المطلقة ، وسيادة الشعب غير المحدودة ، بل كانت مناقشات فقهية ، مؤيدة بالحجة والبرهان القانونيين ، والاسانيد المستقاة من دساتير الدول الحديثة ، ومن كتب الفقهاء ، ومن احكام محاكم فرنسا وبلجيكا وايطاليا ، واحيانا بريطانيا والمانيا ، وكان المصدر الاصلى لهذا الدستور المصرى ، الدستور البلجيكى ، وكان مبرر الاستناد الى هذا الدستور والاعتماد عليه ، أن بلجيكا ، دولة ملكية ، وبرلمانية ، ونحن اى مصر كانت دولة ملكية وكان فقهاؤها ، يتوقون الى أن يكون لها نظام دستورى برلمانى شبيه بدولة كبلجيكا ، لا يعتدى فيها الملك ، ولا الوزراء على حقوق الشعب ، وكان كل شىء ، يعد بان الدستور الحقيقى قادم ، والحياة السياسية الحرة مقبلة ..

اللورد كرومر





الديمقراطية حقيقة أم سراب

وكانت بريطانيا ، التى اذنت لهذا الامل ان يساور النفوس فى مصر ـ تشاهد كل مايجرى وتضحك فى كمها ، لانها كانت تنوى ان تطيح بهذا الدستور ، وان تطفىء بفلالة هـذا الامـل ، اذا رفضت الاغلبية ان تصفى على الاحتلال البريطانى الشرعيـة ، فيكون الحاكم الحقيقى هو المندوب السامى ، وتكون البرلمانات « المجالس التشريعية » والانتخابات والاحزاب والازمات لعبـــا يتلهى بها الشعب حينا ويعانى بسببها حينا آخر . .

ولكن الشعب استقبل هذه الحياة الدستورية ، التى بدات ايامها فى ١٥ من مارس سنة ١٩٢٤ ، بعد انتخابات كانت مثـالا للنزاهة والحيدة ـ على رأى مؤرخى تلك الحقبة ـ اكتسح فيها حزب الوفد ، خصومه اكتساحا مروعا ، ولست انسى يوم ذهب الملك مع رئيس الوزارة وزعيم الاغلبية فى عربة ملكية مذهبـة ، تجرها خيول مطهمة ، ويجرى امامها سياس حفاة ، يلبســون طرابيش من عهد محمد على ، وعصيا مذهبة ايضا ، فقد وقفت يومذاك فى ميدان الاسماعيلية ـ ميدان التحرير اليوم ـ فلما اهلت السيارة الملكية ، ورأيت الملك جالسا الى جوار الزعيم،احسست بان قلبى كاد يقفز من الفرح على الرغم من اننى نشأت فى مدرسة الحزب الوطنى الذى اسسه مصطفى كامل ، وهى مدرسة كانت لا تطمئن مطلقـا لسعد زغلول وجميع زملائه من حزب الامة الذى اسسه اللورد كرومر ، عميد الاحتلال البريطانى وممثله ، كنـا ـ نحن الشعب ـ نحسب ان الملك قد روض ، وان اظافره قـد نزعت ، وانه دان بالطاعة للشعب ، بدليل انه جلس الى جانب الزعيم الذى كان وجهه يطفح بالبشر والسرور ، اولا لانتصـاره القريب فى الانتخابات ، ولانتصاره اليوم ، بمجلسه مع الملك فى عربة واحدة . ولكن هذه الامال ـ كالعادة انطفات سريعا ـ فالانجليز دبروا مع الملك مقتل البريطانى السردار لى استاك باشا ، قائد الجيش المصرى ، ثم امروا بوقف البرلمان ثم حلوه ، ثم اوقفوا الحياة النيابية ، وعينوا على رأس الوزارة ، مستشارا سابقا فى محكمة الاستئناف العليا ، انحدر من اصل تركى ، وباع نفسه بلا تردد للانجليز وللملك ، واعانه على حكم البلاد بالحديد والنار ، ابن باشا الحر هو اسماعيل صدقى باشا الذى كان لسخرية القدر ، زميلا لمصطفى كامل فى مدرسة الحقوق .

واظلمت الدنيا ، وانطفات مصابيح الحرية ، وســاد حكم الارهاب ، وذهب زعيم الاغلبيـة الى فندق « سميراميس » ، نائيا بنفسه من الحياة العامة ، فلما ذهب اليه فريق من الطلبة هاتفين به بوصفه « اب الامة » ، ضحك فى سخرية مرة « انا اليوم ابو النوم » . واخلد للراحة .

ومعنى هذه المأساة ان الدستور الذى وعد الشــعب ، بملك مقيد ، وشعب مطلق ومؤسسات سياسية ، راسخة ، وحقــوق للناس واضحة ، داسته الاقدام وتنكر له حتى الذين وضعوه . لعبد العزيز باشا فهمى ـ الذى تطلق اسمه على شارع من اكبر

اسماعيل صدقى




عبد الرحمن الرافعي

شوارع القاهرة ـ بعد أن كان يدافع عن الدستور سنة ١٩٢٣ ، قال انه ثوب فضفاض ، تتعثر في ذيوله مصر ..

واوقف الدستور مرة أخرى في سنة ١٩٢٨ ، على يد محمد باشا محمود ، وكان تعطيل الدستور لسخرية القدر أيضاً ـ على يد حزب اسمى نفسه حزب الاحرار الدستوريين وكانت دعواه انه الحزب الذى وضع رجاله الدستور والذين تواصوا بان يحموه ..

ثم استبدل بدستور سنة ١٩٢٣ ، دستورا وضع سنة ١٩٣٠ على يد اسماعيل صدقي باشا ، وكان آنذاك دستورا ليس فيه فضول ، ولا اتساع يؤذى مصر التى لم تألف الحرية والحقوق الدستورية ..

والغى الدستور الجديد ثم عاد الدستور القديم سنة ١٩٣٥ ، بعد ثورة قصيرة العمر من شباب الجامعة ، كان لسخرية القدر للمرة الثالثة ـ هدف شبانها أن يحملوا زعماء مصر على أن يتحدوا ليؤلفوا وفد مفاوضة وقع في نهايتها وثيقة ارتضوا فيها جميعا بالاحتلال البريطاني ، اجراء مشروعا لمدة ٢٥ سنة ..

واستمرت مصر تحكم منذ ذلك التاريخ حتى اليوم بالاحكام العرفية ، مرة للحرب العالمية ، ومرة لحرب فلسطين ، ومرة لحريق القاهرة ، ومرة لقيام ثورة سنة ١٩٥٢ ومرة لحرب السويس ومرة لحرب سنة ١٩٦٧ .. وبقى الدستور يشاهد ويتأمل بعد ان حلت محله دساتير لاتقل عن ثلاثة ..

وليس لهذا الكلام كله الا معنى واحد .. هو أن الدستور لا يوفر حرية ، ولا يرد عدوانا ، ولا يحمى حقا ..

النصوص الجميلة التى تتحدث عن حريات الشعب وحقوقه ، والتى تكفل للجميع أن يبدوا آراءهم ، ويعبروا عما يخالج نفوسهم ، وتحميهم من الأذى والتعذيب ، والسجن والاعتقال ، وتضع لاماكن الحبس والحجز والتحفظ قواعد ، تبقى للخصوم السياسيين ، للدولة ، كرامتهم ، وانسانيتهم ، هذه النصوص تؤنس الشعب ، وحينما يحصل عليها المناضلون ، بعد كفاح مرير وجهاد شاق ، يهنئون بعضهم بعضا ، ويحسبون انهم حصلوا على شيء . والواقع أن أيديهم خواء ، وأن المسافة بينهم وبين الهدف المنشود ، طويلة ، ومليئة بالعقبات والصعاب .

فالحرية السياسية ، تبدأ من الواقع المادى ، لحياة الناس . مامقدار نصيبهم من التعليم والثقافة ؟ كم يكسبون ؟ في أى نوع من المسكن يعيشون ؟ وكيف يتداوون ويعالجون ؟ وماذا يفعلون حينما يطردون من وظائفهم ؟ واخيرا ما مدى استعدادهم للدفاع عن حقوقهم ، اذا ماوقع اعتداء عليها ؟

فحرية النصوص ، هى نصوص لا أكثر ولا أقل ، وحرية المؤسسات ، تبدو أكثر مناعة ، ولكن ليس هناك مؤسسات تستعصى على الظالم ، وعلى العسف والطغيان . الدساتير تلغى ، والمجالس التشريعية تحل ، وكبار القوم ، يمكن أن يتغيروا .

ولست أدعو الى الحرية الاجتماعية ، أى حرية كفالة الرزق ،

● ثورة سنة ١٩١٩ فتحت صفحة مبشرة بحقوق الشعب ...

الديمقراطية حقيقة أم سراب

وحرية مستوى معيشة مقبول ويحفظ على الانسان البسيط كرامته وانسانيته ، ويعينه على تذوق لذائذ الحياة البسيطة المتواضعة . فهذه أيضا ، أكثر استعصاء على الشعوب .

وأما الذى اومن به واعتبره الحرية الحقيقية ان تعلم الناس ، كيف يحرصون عليها ، وكيف يطلبونها . ونعلم انفسنا كيف نمارسها فى حياتنا اليومية ، حتى تصبح تلك الحرية ، الهواء الذى نتنفسه ، والطعام الذى نأكله .

فنحن فى الاغلب الاعم ، لا نحترم حرية الاخرين ، وحينما يجور الاخرون على حريتنا نقبل الجور من الكبير صاحب السلطة، مهما كان الجور صارخا ، ونرفضه على أستحياء ، من متوسطى النفوذ ونرفضه بعنف وغلظة ان وقعت من ضعيف .

وفى حياتنا صور من العدوان على الحرية ، نقبله ونسكت عليه، ونعتاده على الرغم من انه واقع فى مجالات ، هى اولى المجالات، رعاية للحرية ، وفهما لها ، فمثلا لايستطيع محام ولا صاحب قضية ولا شاهد ان يعرف متى يصل الى قاعة المحكمة ، فالمكتوب منذ نحو مائة او يزيد على جميع الاعلانات القضائية آن من تصل اليه دعوة من المحكمة فهو مأمور بان يكون فى رحابها فى الساعة « الثامنة افرنكى صباحا » . ولم تتغير هذه العبارة ، حتى بعد آن زال العمل بالتوقيت الغربى . ولكن المهم ان الحكام تفتح جلساتها حينما تريد ، فقد تبدأ عملها فى العاشرة والحادية عشرة ، او التاسعة . وعلى المحامين كبارا وصغارا ، وعلى المتقاضين من ذوى الاعمار الكبيرة او الصغيرة ، آن يتركوا ساعات طويلة ، يقتلهم الملل ويثقل عليهم الشعور بالاهانة والتحقير ، وقد يكون لهذه الظاهرة الف سبب وسبب ، وقد يكون نصيب القضاة الافاضل فى حدوثها ضئيلا جدا فيما احسب فمنالنا الا حريصين على احترام المواعيد والحضور فى الوقت المحدد فى صحيفة الدعوى ولكن تحول بينهم ظروف الزحام وفوضى المرور وضخامة جدول الجلسات ولكننا فى نهاية الامر امام ظاهرة تقع فى محكمة ، وعندما تبدأ المحكمة عملها فلم تجر العادة بان يعتذر رئيس المحكمة عن التاخير للظن بان هذا يخدش مقام القاضى او يحط من قدره ولكنى اذكر انى سمعت باذنى رأس قضاة بلغوا اعلى المناصب يعتذرون للمحامين وللجمهور بصوت مسموع عن التاخير . كما اذكر انى رايت فى محكمة قنا القاضى احمد تمام ، صاحب كتاب الالتات ، يهرول لتصل الى قاعة المحكمة فى الميعاد ، ولم يبدأ عمله الا بعد ان اعتذر وهو يلقط انفاسه ، رحمه الله .

وقد يرى بعض الناس ان هذا المثل لا يمت الى رعاية الحرية بسبب ، واراه وثيق الصلة بها ، فاحترام وقت الناس ، وظروفهم، هو جزء من احترام الناس انفسهم ، ولا يهمل رواد قاعات المحاكم ويتركون وكانهم اشياء ، الا لان الاحساس بكرامة الاخرين ضعيف او معدوم .

احمد امين



والظاهرة المتصلة بهذه الظاهرة ، هي ازدحام كشف قضايا المحاكم بمائة او مائتين احيانا من الدعاوى ، وتحول قاعة المحكمة الى سوق هائجة مائجة من الرجال والنساء والاطفال ، ومن اصحاب الملابس الافرنجية ، ومن اصحاب الملابس البلدية ، وتدافعهم ، ومعاناة الواحد منهم للضغط ، واحيانا الركل غير المقصود ، وما يشبه الخنق ، اذا اراد ان يصل الى منصة العدالة . ويعاني المحامون ماهو انكى واشد بلاء ، فقد الغيت منصة المحاماة التى كان المحامون يترافعون منها ، واصبحت المرافعة همسا في اذن القاضي ، وسط ضجيج خارج القاعة يصل الى آذان القضاة والمحامين والشهود ، وبذلك زالت اكبر ضمانة حرصت الدساتير على النص عليها وهى علنية المحاكمات ، وعلنية المرافعات، وعلنية النطق بالاحكام واصبح الدخول الى قاعة المحكمة والخروج منها ـ والمحكمة اكثر الدور التي اعدت لحماية الحقوق، وتنفيذ القوانين ـ اصبح الدخول الى هذه القاعة والخروج منها ، جرعة مرة من احتقار القانون ، والاحساس بصوريته وعجزه وسوء ادارته .

ولا تحسبن ان شعبا تجري فيه شئون العدالة على هذه الصورة ، يمكن ان يغضب اذا ما اعتدى على القانون ، او تعطل الدستور . ففى قاعات المحكمة تلقى الدروس التى تعلم افراد الشعب العاديين معنى سيادة القانون ، وجلال هذا القانون، وهيبته .

واني لاوثر ان يصدر قانون بتأجيل نظر القضايا خمس سنوات لكيلا يزيد عدد القضايا في اية محكمة عن ثلاثين قضية ولو تفه امرها ، وقل شانها .واتضح بالا يحال الى المعاش قاض ، وان يتحول القضاة المحالون الى المعاش ، الى قضاة يتقاضون الفرق بين معاشهم ومرتبهم ، لتكون منهم دوائر ، تعرض عليها القضايا باقل الاجر . ولو فرض رسم اضافى على القضايا لتوفير مرتبات القضاة ، لما شعر احد بهذه الزيادة .

مثل ذلك يجري في عيادات كبار الاطباء ، الاساتذة الذين ينشئون الجيل الجديد ، ويعلمون الشباب ، معنى احترام الانسان للانسان ، فيغرسون في نفسه ، التعصب للحرية ، ورفض كل مساس بها .

وقبل ان اتكلم عن ظاهرة عيادات الاطباء اسجل هنا مدى ديني للاطباء الكبار والصغار معا فقد كنت منذ اليوم الاول لولادتي طفلا مريضا وعرفت رواد طب الاطفال المتخصصين :

عبد العزيز نظمي وحافظ عفيفى ثم عرفت عبد العزيز اسماعيل وسليمان عزمى واجرى لى على باشا ابراهيم عمليتين بلا مقابل ، فانا لا اشكو من حال العيادات عن عدم تقدير لاعباء الطبيب او لجحود فضله .

فعيادات كبار الاطباء يتكدس فيها المرضى واهلوهم ، وينتظرون بغير نظام ولا ترتيب ، ولا منطق مفهوم ساعات ، ومنهم صاحب العلة ، ومنهم صاحب الحاجة ومنهم من تقدم به السن ، ومنهم

● الحرية السياسية تبدأ من الواقع المادى لحياة الناس

الديمقراطية حقيقة أم سراب

من يصحب طفلا – على وجه الاضطرار – في حين أن هذه الآفة المؤذية ، يمكن للسادة كبار اطبائنا ، واصحاب الصدارة بين اساتذتنا كما يمكن للنقابة ، ولوزارة الصحة ، ان يلجاوا الى نظام بطاقات الدخول . فلكل مريض بطاقة يحدد فيها موعد حضوره ، فاذا تاخر من هذا الموعد ، حل محله صاحب الموعد التالى ، وخلت العيادات من هذا الزحام الكريه ، واختفت ظاهرة ترك الناس وكأنهم اشياء لا تحس ولا تعى ، ليس لديها ما يشغلها ، والوقت عندها لا قيمة له ولا ثمن . هذا الاعتداء على كرامة المريض والسليم ووقته وراحته هو عنوان صارخ على الحرية ، ولكننا نقبله ، ونحسب انه من قضاء الله ، نذعن له ونستسلم ، مع ان قليلا جدا من التنظيم والتدبير ، يحفظ على المواطنين احساسهم بكرامتهم ، حينما يصان وقتهم ، ونعفيهم من الملل والضيق ، الذى قد يورث المرض وهناك آفات اخرى مماثلة .

هذه الآفات والعلل ، هى فى مجموعها ، سند الحاكم الظالم ، عندما تسول له نفسه ، أن يلتك بالحرية ، أو يعطل قوانينها ، او يخلق لها قوانين تخنقها ، فقد قال اجدادنا ، ان ما اغرى فرعون على عدوانه ، قلة من يرده »

فنحن احوج مانكون الى برنامج طويل ، تتواصى به الاحزاب ، ودعاة الحرية ، وطلاب الديمقراطية ، يلقنون به الشعب ، كيف يرفض كل ظلم مهما صغر ، وكل اعتداء على الكرامة مهما قل . فان فى حياتنا من رواسب الماضى ، تقاليد ، تؤله او تحترم على الاقل الموظف الذى يخافه الناس ، ولا يعرفون كيف يراجعونه فى قرار ، أو يعترضون عليه مظلمة . هذا الطراز من الموظفين ، ينظر اليهم المجتمع بأنهم « الوباء » ، ويراهم احق بالوظيفة الكبيرة ، والمهمة الضخمة ، اما الذين يالفهم الناس ، ويستطيعون الاقتراب منهم والتحدث اليهم ، فهم « ضعفاء » لا يصلحون للرياسة – وقد حدثنا عبد الرحمن الرافعى عن الكشافين والسناجق فى عهد الامراء والمماليك ، وفى اوائل حكم محمد على فقد جرى الفلاحون على احترام الكشاف او السنجق او الملتزم ، الذى يبتز من الفلاح المسكين ، اخر درهم فى جيبه لحساب الضرائب والرسوم والعوائد ، مستعملا الكرباج ، مستغلا « الفلقة » . فاذا جاء واحد من هؤلاء ، اقل قسوة وغلظة ، سخر منه الفلاحون ، وحقروا امره ، واطلقوا عليه اسماء النساء .

وفى هذا الجو ، باضت الروح الاستبدادية ، وافرخت ، ولا تزال هذه التقاليد سائدة ، وما تستتبعه ، والتعبر همنا على طلب الغاء القوانين المقيدة للحرية – وهو طلب لايجب ان نتهاون فيه – فنحن لاتهيىء للحرية جوها ، الحرية لا تقوم بدستور ، لاتلغى بدستور ، وهى لا تولد بقانون ، وتزول بقانون ، انما تولد وتحيا وتورق وتثمر ، بشعب يحارب من اجلها ، ويرفض ما يمسها ولو من بعيد ●



حسين رشدى باشا

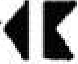
السياسة في الواقع الاقتصادي

بقلم
د. شريف حتاته

كثير مما اقرؤه في الصحف والمجلات ، او استمع اليه في التليفزيون والاذاعة حول اسلوب مواجهة الوضع الاقتصادي الذي نعاني منه هذه الايام، لم ينجح في اقناعي ، ولا اعتقد انني وحدي في هذا الراي ، بل ربما يشاركني فيه عدد من الناس ... وقد يفسر مثل هذا الكلام على انه دليل جهل بعلم الاقتصاد .. ولكن تجارب السنين الطويلة والمواظبة على قراءة مايمكن ان يساعدني على فهم المجتمع الذي اعيش فيه قد اثبتت لي ان المسائل الاقتصادية تتعلق في المقام الاول بالحقائق البسيطة لحياة الناس .. وهذه الحقائق لا تستعصي على الفهم ، حتى وان حاول بعض التكنوقراطيين تغليفها في ثوب العلم المعقد الذي لايمكن ان يصل الى جوهره سوى القلة من العلماء ..

والسبب الرئيسي في عدم اقتناعي هذا هو ان الذين يتصدون للمسالة الاقتصادية دابوا على البحث عن حل للازمة التي نواجهها في سلسلة من الاجراءات والقرارات ذات الطابع الاقتصادي البحت دون ان يربطوا بينها وبين الابعاد السياسية بالقدر المطلوب ... ودون ان يتنبهوا الى انه عند الحديث عن الانتاج ، او التنمية ، او التخطيط ، او محاربة الفساد ينبغي الا نتعامل فقط مع القلة التي تهيمن على مفاتيح الاقتصاد ، او مع المسئولين في مختلف الاجهزة التخطيطية والتشريعية ، والتنفيذية ، ولكن ايضا ، بل في المقام الاول مع عشرات الملايين من الناس ..

واغلب البلاد النامية ، ومنها مصر تتميز بقلة رءوس الاموال نسبيا وكثرة البشر .. وهذه الحقيقة من بين الاركان الهامة التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند وضع الخطوط الرئيسية في علاج المسالة الاقتصادية ، وفي مهمة اعادة بناء مصر .. فهي ذات اثر مزدوج على عمليات التنمية .. انها تتطلب من ناحية طبع عمليات التنمية والاجراءات الاقتصادية بطابع خاص فيقل الاعتماد على رءوس الاموال الضخمة ، ويزداد الاعتماد على حسن استخدام القوى العاملة المتوافرة في الانتاج والخدمات ، والنشاط الاقتصادي عموما .. وتتطلب من الناحية الاخرى ابراز الابعاد والعوامل السياسية في معالجة القضايا الاقتصادية وفي مختلف الجوانب المتعلقة بالتنمية الاقتصادية .. فحيث يصبح دور البشر اي دور القوى العاملة ذا اهمية خاصة ، وحيث يستعصي الاعتماد على رءوس الاموال الكبيرة ، والالات الضخمة المتطورة في اغلب المجالات « ولكن ليس في كلها بالطبع .. فقدر من التصنيع الثقيل لابد منه .. واساليب الانتاج الالية الحديثة مطلوبة ، بل لايمكن



السياسة في الواقع الاقتصادى

الاستغناء عنها فى بعض قطاعات الصناعة والزراعة » فان تعليم ، وتدريب البشر ، وتوعيتهم الى اقصى حد ممكن تصبح مسالة جوهرية فى عمليات التنمية .. كما ان الوضع غير المستقر الذى تعانى منه البلاد النامية ، وتأثرها المستمر بالسوق العالمى وصراعاته ، وبالمعارك بين القوى العظمى بجعلها ميدانا للتغيرات السياسية المستمرة والحادة .. ومن هذه العوامل كلها تنبع المكانة المتميزة التى تحتلها القضايا السياسية والابعاد السياسية فى المسالة الاقتصادية .

وهذه القضية جديرة بالمناقشة فى علاقتها بمختلف المسائل الاقتصادية التى تواجهنا فى المرحلة الحالية ، لانها قد تغير من طريقة مواجهتنا لها ، وتوضح لنا اين يكمن مربط الفرس .. لقد نقتنع ان النجاح فى تحقيق اهدافنا الاقتصادية يتطلب تغيير النظرة الى منهجنا ، واساليبنا فى التنمية الاقتصادية ، ان لم يكن فورا ، فعلى المدى ، وبشكل تدريجى .. كما يتطلب ان تقترن القرارات ، والاجراءات الاقتصادية بقرارات واجراءات اخرى ذات طابع سياسى مناسب ..

ومن بين القضايا التى اصبحت محطا للاهتمام الواسع هذه الايام ، قضية الفساد .. وهذه القضية فى مصر ، كما هو الحال فى كثير من بلاد العالم ، ليست مسالة طارئة .. ولدت فى المرحلة التى اقترنت بسياسة الانفتاح ، وان كان قد استفحل امرها فى هذه الفترة بالذات .. ذلك ان الفساد فى الاصل وليد التفاوت فى الدخل الذى يرتبط بتقسيم الناس الى قلة تتمتع بالمال وتتمتع اذن بالامكانيات ، والاغلبية تظل مغلوبة على امرها فى كثير من الاحيان لانها تعانى من الفقر ، وتعانى معه من المرض ، والجهل والضعف ..

وقد كان الرئيس حسنى مبارك مدركا منذ البداية لخطورة هذه القضية بالذات .. فان السنتين التى قضاها فى منصب نائب رئيس الجمهورية اتاحت له ان يرى من كثب مايدور فى بعض الاوساط العليا للمجتمع .. وبالقدر الذى اتصف هو شخصيا « بطهارة اليد » تزايدت رغبته فى ان يقاوم السرطان الزاحف فى شرايين المجتمع .. لذلك عندما تولى منصب رئاسة الجمهورية احتل موضوع مقاومة الفساد ، وعدم التفرقة فى تطبيق القانون وفى محاسبة كل من يتاجر بمصالح الشعب ، وضرورة التمسك بطهارة اليد ، احتلت مكانة متميزة فى مختلف الخطب والتصريحات التى ادلى بها ، وكذلك فى المواقف العملية التى اخذ بطبقها ، فلتحت



الباب لتوجيه حملة اعلامية وقانونية ضد الذين اثروا باساليب اقرب ماتكون الى الاحتيال والنصب ..

والصراع يدور الان بين كل القوى الوطنية فى المجتمع وبين القلة التى تكونت لها ثروات طائلة بوسائل شاذة .. ومازالت بعض القوى تتصدى لحماية هذه القلة .. ووسائل الدفاع عنها كثيرة .. منها تقديم بعض اكباش الفداء المكشوفة حماية للاخرين .. ومنها ركوب الموجة بعد فترة من الصمت طويلة ساعدت فى حماية الفساد ..

ولا نقصد ان كل الاصوات التى سكتت شاركت فى ذلك .. فقد علمتنا الايام كيف نميز بين انواع من الصمت .. بين صمت الرضا .. وصمت الاعتراض .. اما الذين لم يصمتوا فلهم مكانتهم الخاصة ..

هناك سؤال : من ذا الذى يستطيع ان يقضى على الفساد ؟ هل رئيس الجمهورية وحده ؟ أو الصحافة ..! او القضاء .. ؟ ام الجهد المشترك المبذول فى كل المستويات .. والصراع الصبور المستمر لملايين الناس .. رئيس الجمهورية يقدم القدوة .. ويفتح ثغرة فى جدار الاستغلال ، ولكن هذه الثغرة ، يمكن ان تغلق من جديد اذا لم يتسع اطارها ويندفع منها الناس .. وهنا تأتى الابعاد السياسية لقضية الفساد .. هنا تظهر اهمية التخلص من مختلف القيود المفروضة على الحريات ..

فالحرب على الفساد لايمكن أن تصل الى اهدافها الا بحصار جماهيرى الشعب بمختلف طبقاته وفئاته ، بما فيها الرأسمالية الوطنية المنتجة على الذين يمارسون الانشطة الطفيلية غير المشروعة لتكوين الثروات .. وهم المتاجرون بالعملات ، وفى السوق السوداء ، والعقارات ، وكل انواع الكماليات ، وحتى المخدرات .. والقائمون على البنوك والمصارف التى تضارب فى الاسواق ، وتقرض اصحاب المشاريع الوهمية ملايين الدولارات ..

محاربة الفساد تعنى الحرية للناس .. وتعنى تكاتف كل القوى الوطنية فى الاتحادات ، والنقابات والاحزاب لكشف بؤر الفساد ، وتعريتها ، ومنعها بقوة الجماهير من الاستمرار .

ومحاربة الفساد تعنى الاستفادة من المناخ السياسى الجديد الذى ساهمت رئاسة حسنى مبارك للجمهورية فى ايجاده ، وخلقه صمود الذين تعرضوا للارهاب .. والذى نأمل أن يتأكد ويتعمق مع الايام .

بهذا وحده يمكن الحديث جديا عن مقاومة الفساد .. فالذين يتحدثون عن الفساد دون أن يثيروا معها دور الشعب واهمية توفير جو من الحريات لا يريدون التخلص منه حقا ..

ففى المرحلة التى نعيشها الان يتوقف النجاح فى تحقيق الاهداف الاقتصادية الى حد كبير على تحرك القوة السياسية ذات المصلحة حولها .. وبمعنى اخر فان السياسة هى الباب الذى يفتح الطريق نحو الاقتصاد .. وربما امكن فتح حوار حول هذا الموضوع الحيوى الذى عليه يتوقف المسار الاقتصادى للبلاد ●

بقلم الأديب الكبير

محمود محمد شاكر



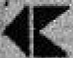
الفقيه الجليل ورموز التكنولوجيا

تحدث الاستاذ محمود محمد شاكر فى العدد الماضى من « الهلال » عن « قضية اللغة العربية » واربعة من كبار العلماء والادباء والمفكرين الاسلاميين، كان لهم شان عظيم فى بعثها واحيائها وحمايتها من اعدائها الغزاة ..

ويكمل الاستاذ شاكر حديثه الشائق ، بهذه الصفحات عن « الجبرتى الكبير » والد المؤرخ الجبرتى ..

ويرى الاستاذ شاكر ان للجبرتى الكبير شأناً عظيماً فى العلم والادب ، وانه احد الورثة العظام لحضارة الامة العربية ، وتراثها العلمى والادبى .

• الجبرتى الكبير • : ولد حسن ابن ابراهيم بن حسن بن على الجبرتى العقيلى بالقاهرة • ١١١٠ - ١١٨٨ هـ / ١٦٩٨ - ١٧٧٤ م • ، واصله من بلاد الجبرت ، من بلاد الزيلع فى ارض الحبشة • جاء جده الاعلى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الى مصر ، فى اوائل القرن العاشر الهجرى • سنة ٩٠٠ هـ ، وما بعدها بقليل • ، فاستوطن مصر وصار شيخ رواق الجبرت بالازهر • وتولى مشيخة الرواق اولاده وحفدته من العلماء من بعده وانتهت المشيخة الى الشيخ العلامة ابراهيم ابن حسن الجبرتى ، فتوفى سنة ١١١٠هـ بعد شهر واحد من مولد ولده حسن • .





كفلت حسنا جدته أم أبيه ، وكانت موفورة الحظ من الغنى ، وكان الوصي عليه رجل من ذوي الدين والنباهة ، هو الامام العلامة الشيخ محمد النشرتي . فما أتم حسن العاشرة من عمره ، حتى حفظ القرآن وجوده ، ودخل كآبائه في عداد طلبة العلم بالأزهر ، فقرأ على المتصدرين الكبار من العلماء والشيوخ ، فأتقن علوم العربية والدين ، حتى برع في جميع علوم المعقول والمنقول ، ولاقى الأفاضل وأهم شيوخ عصره فباحثهم وجادلهم ، وصار معدودا في شيوخ الأزهر وعلمائه المتقنين.

كان مما درسه وأجاده من العلوم المألوفة في الأزهر يومئذ علم الجبر والمقابلة والأعداد الصم والمساحة والحساب . ثم علت به همته فتعلم تجويد الخط بجميع أشكاله وصوره ، ثم زاد فتعلم النقش على الفصوص والخواتم على أستاذ كبير من أساتذة عصره ، ثم زاد أيضا فتعلم التركية والفارسيـــة ، وقرأ بهما والتي الكتب المكتوبة بهما ، وكانت غير متداولة بوقتها التصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل كما سيأتي ..

وجاءت سنة ١١٤٤ هـ ، وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ، وكان قد صار معدودا في كبار علماء الفقه والعربية وعلم الكلام وسائر العلوم المألوفة في عصره ، فحدث تحول غريب جدا ، غير مألوف في حياة أمثاله من الشيوخ يومئذ ، وإن لم يفارق طريقه في الفقه والإفتاء والإقراء للعلوم المألوفة لعلماء عصره إلى آخر حياته .

شيء غريب غريب ! ! في الرابعــة والثلاثين من عمره ، وبلا سبب ظاهر ، بدا هذا العالم الفقيه الجليل يولي وجهه شطر الرياضيات ، فكان في زمانه رجل معروف بممارستها هو الشيخ محمد النجاحي .. فاتجه إليه ولازمه وقرأ عليه ما كــان يحسنه من كتب بعينها ، ومن كتــاب الرقائق للسبط المارديني ، وكتاب المجيب والمقنطر ونتيجة اللاذقي ، وكتاب الرضوانية وكتاب الدر ، لابن المجدي ، ومنحرفـــات السبط المارديني ، و « إلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحي » ، كما يقول ابنـه الجبرتي المؤرخ .

ولاشك في أن الشيخ حسن ، لم يكد يفرغ من تحصيل ما عند النجاحي ، حتى استقل بأمر نفسه ، وأقبل على ذخائر الكتب المطوية في مكاتب القاهرة العامرة يومئذ بالكتب ، ووقف على أصول كتب الرياضيات وسائر الصناعات بهمة لا تفتر ، كما يدل عليه ما سيؤول إليه أمره ، ولكن ابنه المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ، لم يحدثنا عن ذلك حديثا شافيــا ، لأنه كان يومئذ نطفة في صلب أبيه ، فقد ولد بعد ذلك بسنين في سنة ١١٦٨ ، أي بعد أربع وعشرين سنة ، ولكنه قال ما يشعر بذلك وسأسوقه بلفظه :

« وإلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحي .. وعند ذلك انفتح له الباب ، وانكشف عنه الحجاب ، وعرف السمت والارتفاع ، والتقاسيم والأرباع ، والميل الثاني والأول .. والأصل الحقيقي والمعدل . وخالط أرباب

المعارف ، وكل من كان من بحر الفن غارف ..وحل الرموز ، وفتح الكنوز ، واستخرج نتائج الدر اليتيم ، والتعديل والتقويم ، وحقق اشكال الوسائط ، في المنحرفات والبسائط ، والزيج والمحلولات ، وحركات التداوير والنطاقات ، والتسهيل والتقريب .. والحل والتركيب ، والسهام والظلال ، ودقائق الاعمال ، وانتهت اليه الرياسة في الصناعة ، واذعن له اهل المعرفة بالطاعة ، وسلم له عطارد ، وجمشيد الراصد ، وناظره التستري ، وشهد له الطوسي والابهري ، وهما من ائمة علوم الرياضيات القدماء » ، وتبوأ من ذلك العلم مكانا عليا ، وزاحم بمنكبه العيوق والثريا » .

ولا تشغلك الان هذه الالفاظ الغريبة ، فكلها من المصطلحات القديمة المتوارثة في علوم الرياضيات والفلك وربع الاظلال والكيمياء ، وسائر هذه العلوم ، التي هجرها اهلها ، ولكنها شغلت دوائر العلم في ديار عروبتهم قديما وحديثا والى هذه الساعة ، والامر على كل حال ظاهر لا خفاء به .

ظل الشيخ حسن فيها بعد سنة ١١٤٤ دائبا لا يفتر في كشف اللثام عن علوم مستكنة في بطون الاوراق والكتب . وبعد قليل قدم الى مصر عالم متضلع من العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية ، « كما يقول ابنه المؤرخ » ، هو الشيخ حسام الدين الهندي ، فنزل بمسجد مصر القديمة « مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه » ، واجتمع عليه بعض طلبة العلم ، فترامى خبره الى الشيخ حسن في القاهرة ، فذهب اليه ليأخذ عنه : « فاغتبط به الشيخ واحبه ، واقبل عليه بكليته » ، وذلك لأنه لما وجد عنده من الفهم بعلوم قل اهلها ، وبعد عهدهم بها . فلم يزل به الشيخ حسن حتى نقله الى داره بالقاهرة وافرد له مكانا ، واكرمه ورفهه ، ثم قرأ عليه امهات الكتب القديمة في الرياضيات والفلك والجغرافيا وعلم المساحة والهندسة ، وسائر علوم الحكمة . وبقي العالم الهندي عنده الى ان عزم على الرحلة عائدا الى بلاده في الهند .

وبعد قليل قدم الى مصر من السودان ، عالم بعلوم الرياضيات والحكمة ، على مذهب المغاربة في هذه العلوم ، وسكن اولا بدرب الاتراك في القاهرة ، هو العلامة الامام محمد بن محمد الفلاني ، فحمله الشيخ حسن الى داره ، وقرأ عليه اصول الكتب التي يحسنها في الرياضيات والالات وغيرها ، وبقي عنده الى ان مات في داره سنة ١١٥٤ ، وكان قبل موته قد جعله وصيا على تركته وكتبه .



كانت هذه السنوات العشر .. ١١٤٤ـ ١١٥٤ هـ » ، هي اخطر السنوات في حياة الشيخ حسن الجبرتي ، فانه سلك كل سبيل ، وشقي شقاء طويلا حتى استطاع بذكائه واصراره وحسن تصوره لما يعانيه ، ان يحل لنفسه رموز الكتب العتيقة واقفالها ، وبهذا الجهد والعنت استطاع ان يكشف اللثام عن اسرار العلوم القديمة التي لم يبق في اهل زمانه من يعرفها معرفة تحقيق صحيح كامل ، او قريب من الصحة والكمال . وينبغي ان نعلم ان هذه الكتب العتيقة كانت ، بلا شك ، هي السجل الاعظم الذي سطرت فيه ابحاث اسلافنا من علماء الحضارة العربية الاسلامية في عصور ازدهارها . فهي تمثل العلم النظري من ناحية ، والتطبيق العملي الذي ادى الى ظهور اعظم حضارة باذخة رآها العالم الذي نشأت في قلبه وفي زمانه . وهذا التطبيق العملي ، هو وليد العلم النظري ، وهو لب الحضارة ومظهرها الحي ، وهو ما يسمونه اليوم « التكنولوجيا » .

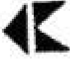
وسنرى بعد قليل ، ان الشيخ حسن ،



لما فرغ من حل هذه الرموز التى تضمنتها الفاظ الكتب العتيقة ، دخل بيديه وبنفسه وبتلامذته فى طور آخر ، هو طور التطبيق العملى • وعسى الا يكون تطبيقه الجديد هو التطبيق العملى الاول ، ولكنه على كل حال ، استطاع ان يستوعب اسرار العلم النظرى ومناهجه ويفهمها فهما دقيقا مقاربا للصواب ، ثم انبرى بعد ذلك لتطبيقه ، منتفعا بالبقايا الباقية فى زمانه من التطبيق القديم • وهذه البقايا متمثلة فى اساتذة كل فن وصنعة ممن حوله من المعاصرين ، وهؤلاء الاساتذة هم الذين كانوا يزاولون اعمالهم من طريق التوارث بدقة ومهارة احيانا ، وان كانوا قد وقعوا فى الجهالة، بعد ان انقطع الحبل بينهم وبين تراثهم العتيق المكتوب المسجل ، وبلا قدرة أيضا على ان يسجلوا شيئا من براعاتهم ومهاراتهم التى اهتدوا هم اليها فى خلال التطبيق المتوارث • وذلك لجهل أكثرهم بالقراءة والكتابة ، فضلا عن اللغة التى يقيد بها العلم النظرى الذى قيده بها اسلافهم العظام •

● النكبات الثلاث ●

وانا محتاج هنا ان اقف بك وقفة قصيرة المدى ، ملتزما بالايجاز ، حتى



تكون الصورة بعد ذلك واضحة عندك بعض الوضوح •

على اوسع رقعة من الارض عرفها الانسان • من حدود الصين الى الاندلس ، ومن حدود الدولة البيزنطية شمالا الى اواسط قارة افريقية واقصى آسية جنوبا ، انتشرت ثقافة واحدة ذات لغة واحدة ، تاوى اليها جميع السنة اجناسها المختلفة، فاقامت هذه الامة العربية الاسلامية اعظم حضارة عرفها البشر ، منذ عهد الحضارة العربية البائدة التى نسميها اليوم خطأ ، حضارة الفراعنة • ومضت عليها خمسة قرون ، وحيث سرت فى هذه الرقعة المتراحبة ، لم تزل تسمع اصوات الاساتذة المعلمين ، وصرير الاقلام على الطروس ، في كل قرية او رستاق او مدينة ، ولم تزل ترى فى كل مسجد او بناء او بيت مكتبة تضم العشرات او المئات او الآلاف ، او الآلاف المؤلفة من الكتب المسطورة على اختلاف فنونها • فاجتمع لهذه الامة من الكتب المدونة ، مالو وضع معه كل ماتركه امم العالم القديم من الكلام المسطور ، ما بلغ ركنا ، فى غرفة ، من قصر فيه مئات الغرف •

واترفت جماهير من هذه الامة بغناها وسطوتها وعلمها ، فعصوا ربهم فى بعض امورهم به ، فسلط عليهم من انفسهم من سلط ، ثم انذرهم بثلاث نكبات عظام لعلهم يبصرون :

النكبة الاولى : زحوف حملة الصليب آتية الى شمال دولتهم من سنة ٤٨٩ ـ ٦٩٠ هـ / ١٠٩٥ ـ ١٢٩١ م ، حتى سقطت دولتهم بفتح عكا آخر حصن للصليبيين فى السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٩٠هـ

النكبة الثانية : وجاءت على إثرها وهى جحافل التتر آتية من الشمال الشرقى من سنة ٦٣٨هـ « ١٢٤٠م » ، فداست البلاد

الفقيه الجليل

حتى بلغت بغداد واسقطت الخلافة سنة ٦٥٨ هـ • ١٢٥٨ م • حتى ارتدت على ادبارها عند عين جالوت بفلسطين سنة ٦٥٨ هـ « ١٢٥٩ م » • ولكن شرها لم ينقطع جملة واحدة ، فى قصة طويلة •

النكبة الثالثة الكبرى : وهى التى استمرت سنوات ، حتى زال ملك الاسلام من الاندلس جملة بسقوط غرناطة فى أيديهم سنة ٨٩٧ هـ • ١٤٩٢ م • •

وكانت جحافل هذه النكبات الثلاث ، جحافل من الجهلة الاغتام الغلاظ ، فدمروا وقتلوا ونهبوا ، فهدموا الآثار ، واتلفوا البشر ، وحرقوا الكتب ، واغرقوها فى الانهار ، كما هو معروف معلوم •

موجات طاغيــة من الجهلة المدمرين ، استمرت اربعة قرون ، تهلك الافا مؤلفة من العلماء والاساتذة فى كل علم وفن ، والافا اخرى من الكتب فى كل علم وفن ، فضلا عما ابادته فتن الباطنية والشيعة واشباههم فى قلب الدولة فضلا عما ابادته المجاعات والطواعين والاوبئة المتتابعة فضلا عن الفقر والجهل الذى كان اثرا لابد منه ، بعد هذا السلب والنهب والقتل فى هذه الرقعة المترامية الأطراف •

ولكن ما كادت تنقشع بعض سحب النكبتين الاولى والثانية ، حتى التقى العالم الجريح المثخن مرة اخرى ، لا من قلبه ، بل من عند طرفه الشمالى المزاحم لديار الدولة البيزنطيــة ، اى من حيث انصبت جحافل حملة الصليب من قبل •

فمنذ عهد الغازى عثمان خان « ٦٩٩ ـ ٧٢٦ هـ / ١٢٩٨ ـ ١٣٢٦ م » ، بدأت تتجمع هناك قوة جديدة ، وقلب العالم العربى الاسلامى تمزقه النكبات الصغار المتتابعة • وتوطدت اقدام القوة الجديدة فى ارض الدولة البيزنطيه ، حتى بلغت غايتها ، فاسقطت الدولة كلها بدخول جيوش الغازى محمد الفاتح القسطنطينية، فى يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الاول سنة ٨٥٧ هـ / ٢٩ مايو ١٤٥٣ م واكتسحت هذه القوة قلب اوربة ، واتسعت رقعة العالم العربى الاسلامى اتساعا لا مثيل له ، ولكن • • •

ولكن توالى النكبات الكبار والصغار على مدى اربعة قرون ، كان قد قضى على جمهرة العلماء الكبار والاساتذة العظام فى كل فن وصناعة ، واوشكت الحضارة ان تبقى بلا قادة من مثقفيها الا ما قل • ومعنى ذلك ان حبال الصلة بين العقول التى كانت تسجل الثقافة وتنميها وتنشرها •• وبين العقول والايدى التى كانت تقيم صروح الحضارة ، قد بدات تتهتك وتبلى، فلا الثقافة تمد الحضارة بما ينميها من البحث والتنقيب والتمحيص • ولا الحضارة تحرك الثقافة وتغذيها بما يزيد اعمالها وتنقيبها وتمحيصها حدة ونقاء واشراقا ، وكاد يذهب عصر الابداع •

وبدأ عصر العزلة ، عزلة البقية الباقية من العلمــاء وتلامذتهم • فاقتصروا على محاولة المحافظة على التراث المسجل الذى انقض اليهم ، وعزلة البقية الباقية من الاساتذة الكبار الذين يعملون فى بناء الحضــارة ، فاقتصروا على ان يورثوا تلامذتهم اسرار صناعاتهم وفنونهم بلا كتاب مكتوب • وكاد كلاهمــا يكون بمعزل عن الاخر ، بمعزل عن الاستفادة الصحيحة من التراث الكبير المسجل ، وعن امداد التراث المسجل بشئ جديد يحرك المحافظين على التراث المكتـوب الى البحث والتنقيب والتسجيل •

وبتتالى الاجيال جيلا بعد جيل فى عصر العزلة ، استبهم على المتعلمين انفسهم بعض ما يحافظون عليه من التراث المكتوب ، وصار اشبه بالرموز التى تحتــاج الى حلــر ،

وكذلك تسالك أيضا في توارث الصناعات والفنون جزء مهم من أسرار هذه الفنون والصناعات ، وصارت هي أيضا تحتاج الى مصر . وأوشك اللسان العربي أن يصبح وسيطا غير صالح لايجاد التفاهم بين الطرفين .ولولا دوى القرآن في الاذان، ولولا كلمة التوحيد التي نزلت في جلو قلوب الامة رجالا ونساء ، لتفارط عقد هذه الامة العظيمة تحت النكبات كما تتفارط حبات عقد وهي سلكه وهلك.وهذا حسبي في هذه الوقفة ، وان كنت أجدني مقصرا

الجبرتي الكبير

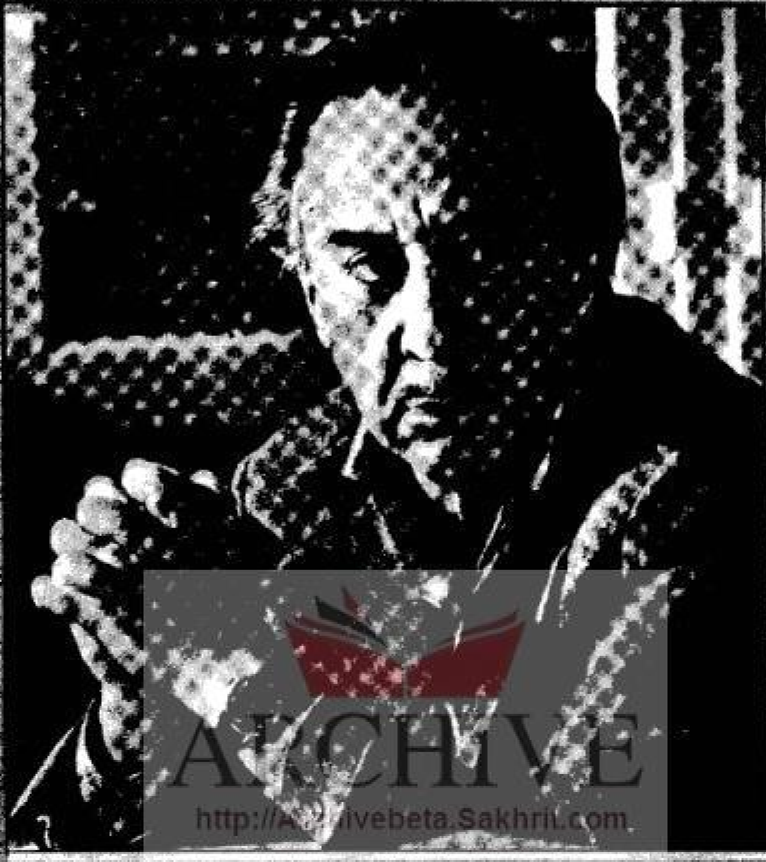
جاء زمن الشيخ حسن الجبرتي «١١١٠ ـ ١١٨٨ هـ / ١٦٩٨ ـ ١٧٧٤ م » ، بعد تدهور متتابع ، وكاد اللسان العربي العظيم يفقد سلطانه على حضارته . أصبحت معاهد العلم ومدارس الثقافة محصورة في بضعة كتب هي وحدها الزاد الثقافي للأمة ، ألفها الناس وتداولوها . ولكنها لم تكن سوى خلاصة منتقاة من زاد ثقافي متقادم متراحب كان نابضا بالحياة ، وقد كفى على ما نجا منه من تدمير البرابرة الجهلة ، أن يظل حبيسا أكثره بين الجدران وعلى الرفوف في خزائن الكتب ومع ذلك فهذه الخلاصة تحملها أيدى تنام من الشقاء والنصب قد انهكتهم النكبات ، لا يدل على أنهم ينبضون بالحياة إلا ومضات تلوح وتخفى في تقارير وحواش يسجلونها على كتب هذه الخلاصة . ومضات مضيئة ، تسجل فترات قصارا من اليقظة والذكاء والقدرة والتنبه . ومع ذلك أيضا ، كان هذا النبض محصورا في طائفة محدودة من فحول علماء ذلك الزمان ، ولكنه معزول أيضا عن أمة ضخمة جدا غارقة في الجهالة والفقر والضياع ، يجهل جمهورها الأكبر القراءة والكتابة ، إلا محظوظا يسيرا يتردد خافتا ، بقية من ميراث عظيم يوشك أن يبيد .

فاذا كان الشيخ الجبرتي ، وهو أحد الورثة العظام لحضارة أمته العريقة العظيمة .. قد هب فجأة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ، وانتبه عقله المتوقد بعد غفوة طويلة ، فانبرى لهدفه بكل ما في قلبه من همة ودأب وذكاء . والى أن يقضي عشر سنوات ، من سنة ١١٤٤ الى سنة ١١٥٤ هـ .. متلددا متحيرا يحاول أن يفك رموز جزء يسير من ميراثه الضخم العظيم .. « حتى انفتح له الباب وانكشف عنه الحجاب » كما يقول ابنه المؤرخ العظيم في عبارة غير كاشفة الا عن دهشة وحيرة . اذا كان هذا كما وصفت ، فلا تعجب ، فانه جاء بعد قرون أهلكت آلافا مؤلفة من العلماء المسجلين والمفسرين ، وآلافا تلوقها من الاساتذة الخبراء بأسرار فنونهم والحاذقين ، وأيضا بعد أن فقد اللسان العربي سلطانه على حضارته أو كاد .

ومع ذلك ، فهذه مشيئة الله وحده ، جاء الشيخ الجبرتي متأخرا لقدر لا يعلمه الا مقدر المقادير ، فهذا الجهد الذي بذله عاكفا على حل رموز ميراثه العظيم المسطور في خزائن الكتب ، والطريق الذي سوف يسلكه بعد ذلك للاحياء والبعث ، كان قد سبقه الى مثله منذ قرون من ليس وارثا لهذا الميراث العظيم ، وفي كهوفه المظلمة اكب على حل هذه الرموز اكبابا ، فاستخرج منها ما أطاق أن يفهمه من عربيتها بأسلوب مختلف ، ولكنه كان مصرا خبيثا ينتهب كل شيء تحت الليل والظلام ، ولا يدل أحدا على موضع الكنز الذي يأخذ منه ما يأخذ .

ولكن هذه قصة أخرى مخزية ذليلة ، سوف أقصها عليك وأنا أسرد قصة الشيخ الجبرتي .. ●

اميل اجار



أشهر فضيحة أدبية الآن: في فرنسا

بقلم : محمود قاسم

« اميل اجار .. من انت ؟ »

ذلك هو السؤال المطروح الآن في العاصمة الفرنسية منذ عدة أشهر .. ذلك الكاتب الشاب الغامض .. الذي هرب من امام «صوري» الصحف حين تلقى جائزة الأكاديمية جونكور عام ١٩٧٥ .. لقد مات هذا الكاتب في نفس اليوم الذي مات فيه الكاتب الفرنسي الشهير رومان جاري .. ماذا حدث ؟ .. وما هي العلاقة بين رومان جاري .. وبين اميل اجار .. لقد نال كل من الكاتبين جائزة جونكور الادبية التي تعتبر اشهر جائزة في غرب اوروبا .. نالها الأول عام ١٩٥٦ عن رواية « جذور السماء » .. والثاني بعده بتسعة عشر عاما عن « الحياة امامه » .. ولكن كل شيء تكشف عند فتح وصية جاري .. فليس اميل اجار سوى رومان جاري نفسه .. وكانت مفاجأة .. فلم يحدث أن نال اديب جائزة جونكور اكثر من مرة .. فلماذا اتخذ جاري اسم اجار ؟ ولماذا فعل ذلك ؟ ولماذا لم يكتب الرواية باسمه الحقيقي يشتهر لم يكف اجار عن الكتابة ؟..

في الخطاب الطويل الذي نشرته مجلة الاكسبريس في ١٧ يوليو ١٩٨١ تحدث الكاتب رومان جاري من وراء قبره .. تحدث من خلال الكتاب الذي كتبه عن حياة الكاتب الشاب بعنوان « حياة وموت اميل اجار » وذلك قبل ان ينتحر جاري بعدة اشهر :

« اكتب هذه السطور في تلك اللحظة التي يعيشها العالم في الربع الاخيرة .. وانا اطرح سؤالا حول اشكال الفناء الانسان وتقدمه ، لكن لا يبقى منه سوى الوهم والخيال .. أنا اعي تماما أن هذه الصفحات سوف تثير ضجة بعد نشرها .. لانني سوف افسر قضية تتعلق باميل اجار .

الجدير بالذكر أن اجار قد نشر ثلاث روايات هي : « الملل الاكبر » ثم « الحياة امامه » و « سعادة الملك سليمان » . وهي اعمال ظهرت كلها في السينما ونالت جوائز بأسلوب او بآخر : « عندما عملت في اول كتابات اجار « الملل الاكبر » لم اكن اعرف انني سوف انشر هذه الرواية تحت اسم مستعار . ولم اتخذ اية خطوة ، تداولت كل الاوراق المسودات كالعادة . زارتني احدى الصديقات - وهي السيدة ليتا نويل - في مانجوزيه ورأت فوق مكتبي الكراس الاسود وعليه ثلاثة العنوان الواضح . فيما بعد عندما نشرت تحت اسم اميل اجار لم تكن السيدة نويل تتصور ان رومان جاري هو المؤلف الذي شاهدته بعينيها » .

ورومان جاري الذي انتحر في ديسمبر ١٩٨٠ بعد حادث انتحار زوجته السابقة الممثلة جين سيبرج كتب الرواية والمسرحية وقام باخراج مجموعة من الافلام . ولد عام ١٩١٤ في ليتوانيا بالاتحاد السوفييتي . وقضى طفولته المبكرة في بولندا ابان اشتعال الحرب العالمية الاولى .. وعندما اشتد عوده شجعه ابوه ايفان على السراحة .. اشتغل في اول الامر بترجمة الاشعار الروسية الى اللغة البولندية . شغف في تلك الفترة بالشاعر الروسي ليرمنتوف .. رحل الى ... بعد ... جيشاجرة ... تسمونا الى فرنسا .. واكمل الى ... باريس .. وهناك بدأ يكتب القصة القصيرة حيث قامت الحرب العالمية الثانية . التحق بسلاح الطيران الفرنسي وكتب اول رواياته : « التربية الاوروبية » باللغة الانجليزية . ونشرت في انجلترا حيث وقعت نجاحا منقطع النظير : « كنت في الثلاثين من عمري حين اتخذت لاسمي « جاري » التي تعني الحريق باللغة الروسية » .

وبعد ان انتهت الحرب التحق جاري بوزارة الخارجية الفرنسية حيث عين موظفا في العديد من السفارات الفرنسية خارج البلاد . انتقل الى صوفيا وبون ثم انضم الى البعثة الفرنسية للامم المتحدة بنيويورك .. وعين قنصلا عاما لفرنسا في لوس انجلوس . وقد انتقل جاري بين العديد من

أشهر فضيحة أدبية الآن... في فرنسا

البلدان لدرجة انه لم يستقر بفرنسا سوى في عام ١٩٨٠ الذي انتحر في نهايته ..

وقد نشر جاري العديد من الروايات من اشهرها : « جذور السماء » التي وزع منها مائة الف نسخة ونالت جائزة جونكور عام ١٩٥٦ . و « رقصة جنجز كون » . وهي رواية قريبة في اسلوبها من « الحياة امامه » .. ثم « وداعا جاري كوبر » و « طلائع » و « فيما وراء الخجل » و « الرأس المذنب » و « سيكون الليل هادئا » .. ثم « كنوز البحر الاحمر » .

واعمال جاري تتفاوت في اهميتها الادبية .. فبعضها جيد .. والاخر بالغ الرداءة..

وقد قام رومان جاري باخراج مجموعة من الافلام ركز فيها على المعاناة الجنسية للمرأة مثل : « الطيور تموت في البيرو » . و « اقتل » . وفيهما نرى موضوعين مختلفين .. لكن نظرة جاري للمرأة متشابهة .. فهناك امرأة تعاني من زوجها .. في الفيلم الاول يغتصب اربعة رجال امرأة وتعاني من زوجها الذي يكبرها .. وفي الفيلم الثاني امرأة يدفعها زوجها الى اللقاء بمجموعة من الجواسيس حتى لو كان ذلك مقابل ان تنام في احضان احدهم .

وعلاقة رومان جاري بالسينما لا يمكن اغفالها .. فقد قدم روايته « وداعا جاري كوبر » تكريما للنجم السينمائي المشهور .. واخرجت السينما مجموعة من رواياته من اشهرها .. « وعد في الفجر » الذي اخرجه جول داسان وقامت فيه ميلينا ميركوري بدور نينا التي تبني حياتها من خلال ابنها الذي يعيش معها منذ ان انفصلت عن زوجها .. فتنتقل بين روسيا وفرنسا ابان الحرب العالمية الثانية .. وهناك امرأة اخرى صورها جوستاجا فراس في « ضياء امرأة » عن رواية بنفس العنوان لجاري حيث

يصور علاقة عاطفية بين امرأة مات زوجها في حادث سيارة وتركها حائرة مع شبابها ونجوميتها . لترتبط برجل يزحف نحو الشيخوخة .. هو في اشد الحاجة الى ضيائها ودفئها ..

كما قدم الممثل المخرج بيتر اوستينوف فيلما بعنوان « السيدة ل » عام ١٩٦٥ قامت ببطولته صوفيا لورين وبول نيومان عن رواية بنفس العنوان لجاري .. اما اميل آجار فقد اخرج له فيلم واحد هو « الحياة امامه » من اخراج موشيه مزراحي عام ١٩٧٧ ..

لكن .. اذا كانت هذه هي اهمية رومان جاري .. فلماذا اميل آجار .. في يوليو ١٩٨١ نشر الشاب بول بافالوفيتش كتابه « الرجل الذي يعتقدونه آجار » تحدث فيه عن حقيقة اميل آجار .. وبافالوفيتش هو نفس الشاب الذي صورته الصحف طوال السنوات الماضية على انه آجار .. وقد شرح في كتابه حقيقة شخصيته . ونشر الوصية التي كتبها جاري حوله .. وبافالوفيتش ابن اخت جاري . وقد نسب اليه هذا الاسم مثلما فعل بطل رواية « الموت يمسك بالحياة » لهنري ترويا .. « منذ زمن كانت مهمتي ان اجذب آجار الى الكتابة . لقد وعدني انه اذا صوره احد فسوف يهرول . وسوف ادافع عنه » .. الطريف ان مجلة لوبوان قد نشرت في عددها الصادر في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ مقالا بعنوان « من هو آجار » قبل ان ينال الجائزة بسبعة ايام فقط . فيه يتحدث الشاب عن نفسه قائلا : « انا على ثقة بنفسي . انني اكتب ما يقرأ علي . لست انا سوى ما اكتب . يبدو انه من المحال ان اقوم بعرض جسدي وعظامي . فانا سريع الاختناق . ولا استطيع ان احمل العالم فوق كاهل » .

« اقترحت على المجلة ان اقدم «اسبابي» . لكن ليس عندي اسباب . ولن انشر شيئا حول نفسي »

« انا اكتب واعيش مع اسرتي . واذا

جرؤ احد ان يدخل عالمي . فلن يجد شيئا » ..

وتقول المجلة ان آجار شخص غيرمعروف وانه ارسل روايته الاولى « المدلل الاكبر » الى والديه اللذين يعيشان في البرازيل وطلب منهما ان يرسلاها من هناك الى دار جاليمار للنشر في فرنسا : « لو انكشفت هويتي . فلن انشر سطرا واحدا .. » .

ورواية « الحياة امامه » التي نالت جائزة جونكور تتناول حياة السيدة روزا اليهودية التي تتبنى ميمو او محمد . الصبي الجزائري الذي يعيش داخل احد الاحياء الشعبية الفقيرة في باريس .. انها تعطيه كل ما تملك من حنان .. وتعوضه عما فاته من ابويه .. وتسكب داخله كل امومتها المفتقدة .

اما رواية « سعادة الملك سليمان » فيروى من خلال السائق جان حكاية سليمان روبنشتين الذي اصابه الثراء فجأة .. يتعرف على المغنية السابقة كورا .. انها امرأة في الخامسة والستين من عمرها .. كان سليمان مرتبطا بها يوما الى ان هاجمتها قوات الاحتلال النازية واختطفها . بدأت في التعجب .. ربما لان الشيخوخة قد توقفت عن تأثيرها . تركتها وحدها ..

ويتحدث برنار ييفو احد اصدقاء جاري : يمكن ان القول اننا قد هربنا من اعلى . كنت اعرف بول بافالوفيتش منذ ثلاثة اعوام تقريبا . قابلته في دار نشر ميركور .. تناقشنا . ليس حول ما يكتب فقط . لكن عن الادب بصفة عامة . لم أجر معه حديثا صحفيا . لكنه وعدني انه عند ظهوره في التليفزيون فسيكون اول من يستضيفه هو انا .. لكن منذ شهر ونصف عرفت ان بافالوفيتش هو رومان جاري . ودون ان انبس ببنت شفة قدم لي المسودة . اصابني الامر بالصدمة والمباغتة .. هويت من اعلى . واحتفظت بالسر لاسابيع ثلاثة » .

اما بافالوفيتش فيقول في كتابه : « في نهاية عام ١٩٧٢ حدثني رومان جاري ان لديه النية ان يكتب شيئا آخر تحت اسم آخر .. قال ان ليس لديه الحرية الجبرية . وفي شهر مارس ١٩٧٣ بدأ في كتابة رواية « المدلل الاكبر » وانتهى من كتابتها في نهاية العام . واختار اميل آجار كاسم مستعار .. وطلب من احد اصدقائه ان يقدمها الى الناشر جاليمار .. ولكن لاسباب خاصة نشرت روايته في دار نشر ميركور في ربيع عام ١٩٧٤ .. وبعد عام نشر رومان جاري رواية جديدة تحت نفس الاسم المستعار الذي خرج بعنوان « الحياة امامه » . وطلب مني ان اوقع عقدا لنشر هذا الكتاب . وظللت دائما اميل آجار » ..

ويقول جاري في مقالته الطويلة التي كتبها في ٢١ مارس ١٩٧٩ ونشرت بعد وفاته : « كنت اعرف ان « المدلل الاكبر » هو اول كتاب لكاتب مجهول في السنوات الاخيرة . ولهذا سيوزع توزيعا رديئا . لكنني كنت الحج من بعيد . فالناشر لايمكنه ان يخوض الحلبة . وصلت النسخة من البرازيل . حدثني بيير ميشو ان المؤلف هو شاب فرنسي غامض قابله في البرازيل . وانه يعاني من مشاكل مع العدالة . ولا يمكنه ان يطأ ارض فرنسا بقدميه .. » .

« تضاربت تقارير لجنة القراء في جاليمار . فعادة ما يثور الالحاح العاطفي عند القراءة الاولى لعمل جديد . وقد قرر جاليمار بنفسه ان يقدمها الى دار ميركور واوصى بنشرها .. وكان ذلك شيئا غريبا » .

ويقول ان الرواية قد نجحت وشجعته ان يقدم اعماله التالية .. ويقول جاري ان بين روايتيه « جذور السماء » و « المدلل الاكبر » خطا مشتركا هو ان الاثنتين تؤكدان على حاجة الانسان الى الحب ..

جاري نفسه كان اكثر الناس حاجة الى الحب .. فبعد ان هجرته زوجته جين سيبرج وارتبطت بشاب عربي من المغرب .. ثم انتحرت في ظروف غامضة .. هذه الحاجة دفعت جاري الى ان ينتحر لعله يجد الحب في العالم الاخر الذي انتقلت اليه زوجته ●

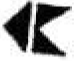


مصطفى صادق الرافعى

نابغة الأدب العربي

ماذا بقى منه بعد خمسة

- هو واضع أساس مدرسة الأصالة فى الأدب العربي المعاصر
- استطاعت أصالته أن تواجه رياح التغريب والغزو الثقافى



وأربعين عاماً؟

بقلم
أنور الجندي

المرحوم مصطفى صادق الرافعي كان اماما من ائمة الادب العربي ، منذ اوائل القرن العشرين الى ان توفي في مايو ١٩٣٧ ، وكان العارفون بفضله يلقبونه « نابغة الادب العربي » .. وهو اول من كتب في تاريخ آداب اللغة العربية كتابا ضخما، وله في المقالة مذهب لا نظير له، يتجلى في كتابه الكبير ؟ «وحي القلم » وفي كتبه الاخرى في النقد الادبي ، أو في الحب والجمال ، واسلوبه في الكتابة يميزه قارئه من بين اساليب ادباء العربية في جميع العصور ..

وكان الرافعي في مقدمة الكتاب الاسلاميين ، وله في الفكر الاسلامي آثار باقية على الزمان.

وفي الذكرى الخامسة والاربعين للرافعي ، يكتب الباحث الاسلامي الاستاذ انور الجندي هذه المقالة تحية لذكراه وبيانا لفضله الذي ينبغي ان يعرفه الجيل الجديد ..

لا يزال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي وقد مضى على وفاته اليوم خمسة واربعون عاما ، حيا في النفوس ، بفكره وحياته جميعا ، ولاتزال الاراء التي قدمها في مجال الفكر الاسلامي والادب العربي حية متألقة ، بل لا تزال المعضلات والتحديات التي واجهها الرافعي وكشف عن وجهة النظر الاسلامية العربية فيها قائمة ، متجددة ، ومازالت آراؤه وكلماته ذات الاصالة والعمق بمثابة الضوء الكاشف امام الباحثين والمفكرين والادباء ازاء هذه القضايا .

ولا ريب كان الرافعي في مقدمة اهل جيله قدرة على التنبيه مبكرا الى التحديات والاخطار التي واجهت الفكر الاسلامي والثقافة العربية تحت اسماء متعددة كالغزو الثقافي والتغريب والشعوبية في صورة تلك الحملات التي وجهت الى اللغة العربية الفصحى والى القرآن الكريم والى تاريخ الاسلام ، وخاصة التي حاولت ان تفرض على النقد الادبي اسلوبا وافدا يستمد مقوماته من المنهج الغربي

الذى يقوم على أساس أن الانسان أسير المعدة والجنس ، مع تجاهل تكامله فى اطار الروح والمادة والقلب والعقل والدين والعلم والدنيا والاخرة ، وكذلك نجد الاستاذ الرافعى رحمة الله عليه من اوائل من تنبهوا للدعوة التى حمل لواءها صاحب الجريدة فى محاولة لاعلاء شأن اللهجات العامية والكلمات العامية ودفعها لتكون لغة الكتابة وكان هذا العمل خطوة تالية لما قام به ولكوكس وولمور وغيرهم من دعوة الى احلال العامية مكان الفصحى ، وقد كشف الرافعى فى هذا الوقت المبكر هدف هذه المحاولة الخطرة واشار الى انها تستهدف القرآن الكريم نفسه وتعمل على الفصل بين الاداء العربى فى الاسلوب الحديث وبين مستوى البيان القرآنى من أجل تعميق الفوارق بينهما على النحو الذى يقضى على أسلوب البيان القرآنى ويمزق اللغة العربية الى لهجات اقليمية . كان ذلك عام ١٩١١ عندما انتفض الرافعى انتفاضته القوية فى وجه هذه المحاولة ، فكتب مقاله الخطير فى مجلة البيان التى كان يصدرها الاستاذ عبد الرحمن البرقوقى والتى كان يتولى هو الاشراف على اصدارها واقرار ماينشر فيها مما كان يقدمه اليها امثال المازنى والعقاد ومحمد السباعى وغيرهم .

ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف الرافعى عن متابعة هذه القضية والوقوف فى جانبها على هذا النحو الواضح الصريح : بل لعله فيما نعلم أول من ربط بين القرآن وبين اللغة العربية فى هذا العصر وفهم هذا الهدف الخطير الذى طواه النفوذ الاجنبى وراء الدعوة الى النهضة والحضارة والتقدم حين دعا ولكوكس المصريين الى اتخاذ العامية لغة لهم ، مقدما لهم تجربة اللغة الانجليزية التى انفصلت من اللغة اللاتينية فى دعوى عريضة لفصل اللهجة المصرية عن اللغة العربية سواء بسواء . وهى خدعة كبرى امتدت مع الاحتلال البريطانى حين دعا خبراء الاحتلال الى التخلص من العربية الفصحى ومن القرآن واعدوا مناهج الدراسة على هذا الاساس .

ولقد كان للرافعى من بعد وقفته الواضحة ازاء كل من هاجم اللغة العربية من امثال جبران خليل جبران وسلامة موسى وغيرهما .

هذا الامر الاول الذى سبق به فى مجال مواجهة التحديات التى طرحتها خطط التغريب والغزو الثقافى وجاء العاملون فى هذا الحقل من بعده ، اما الامر الثانى فهو القرآن نفسه فقد تناثرت اقوال حول اعجاز القرآن . وتردد قول من كان يثير الشكوك حول هذا الاعجاز سواء فى الندوات الخاصة أو فى كتابات غامضة ، ومن هنا كان هذا العمل الضخم الذى قام به الرافعى وهو انشاء كتابه الرصين « اعجاز القرآن » الذى قال عنه سعد زغلول :



سعد زغلول باشا



محمد فريد وجدى

« كأنه تنزيل من التنزيل او قبس من نور الذكر الحكيم »

وقد وجد هذا الكتاب فى ابان ظهوره محاولة خطيرة لتجاهله تحت لواء ماكان يطلق عليه « مؤامرة الصمت » ولكن الاجيال التى تلت من بعد عرفت قدر هذا العمل وعرفت هدفه وغايته واستطاع هذا العمل المقيم ان يكشف للاجيال الجديدة عظمة القرآن الخالد ويبين مدى اتساع وعمق وكمال هذا الاعجاز .

وفى ميدان ثالث كان سبق الرافعى لاهل جيله من كتاب وادباء ، ذلك هو عمله الذى يطلق عليه « تاديب التاريخ » فقد قدم فصولا من التاريخ الاسلامى فى اسلوب رائع وبيان خصب ، كشف بها عن عظمة الاسلام وبطولة رجاله ، جدد بهذه الصور الرائعة من حياة الاسلام وتراثه مواقف وابطالا ومواقع ، وذلك قبل ان يكتب العقاد وتوفيق الحكيم وطه وهيكل ما كتبوه عن الرسول وصحابته وقد ظل ما كتبه الرافعى متميزا بذلك الايمان العميق الذى صاغه فى أسلوب العصر ، بينما وجه الى كتابات العقاد وهيكل كثيرا من النقد حول بعض الجزئيات فكان الرافعى رائدا فى هذا المجال وكان اشد اصالة .

ومن ثم وفى ضوء هذا كله كان الرافعى هو أول من تصدى لكل المحاولات التى حاولت أن تصيب من اللغة العربية أو القرآن او تاريخ الاسلام او ادخال مناهج وافدة على الادب العربى ، وكان من أكبر المدافعين ، اقوى لسانا وأعلى صوتا من كل العاملين فى هذا الحقل ، ذلك لانه كان لطبيعة تكوينه أقدر على ذلك فهو قد حرر نفسه من القيود التى قد تحول بينه وبين اداء هذه الرسالة ، فقد كون نفسه فى اطار الاسلام وتعمق القرآن والسنة والبلاغة النبوية منذ صباه وجرد نفسه للعمل الخالص لله وهو قبل ذلك وبعد ذلك آثر أن يحتجب وراء عمله المحدود وأجره القليل بمحكمة طنطا ليكون قادرا على أداء هذه الرسالة وكان فى مقدوره أن يعمل فى محيط الصحافة فى القاهرة وأن ينافس هذه الاسماء اللامعة فى صحف الاهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق وغيرها وان يحصل على المكانة اللامعة والاجر المضاعف ولكنه عزف عن ذلك كله لانه كان يؤمن بانه لن يستطيع اذا فعل ذلك أن يقول كلمته حرة طليقة خالصة لوجه الله والحق ، بل سيكون مقيدا بحزب او هيئة او جهة او مفهوم قد يعوقه عن امانة التبليغ ويلزمه بشيء من اللباقة والمجاملة ، وكان يري أن هذا كله خطر على صاحب الرسالة الذى يقول مايريد هو لا مايفرض عليه ، ولذلك فقد كان يهاجم خصوم الاسلام واللغة العربية فى الصحف المعارضة لهم فاذا انتقلوا الى تلك الصحف أو غيروا أحزابهم هاجمهم فى الصحف الاخرى المقابلة لها ، وقد كان على كل حال متمكنا من أن



الشيخ محمد الخضر حسين



محمد سعيد العريان

يقول كلمته خالصة لله كاشفة لوجه الحق دون خشية لأى حائل او معطل .

ومن هنا كان موقفه واضحا ازاء مؤامرة الشعر الجاهلى فقد عرف ابعادها وحمل لواء الدفاع عن القرآن وكشف عن تلك الزيوف والشبهات التى وجهها خصوم الاسلام والعربية اليهما وكان كتابه : « تحت راية القرآن » هو أقوى تلك المدافعات التى حمل لواءها فريد وجدى ولطفى جمعة والخضر حسين والدكتور الغمراوى .

ولقد كان أسلوبه فى الادب العربى متميزا بخواصه التى يعرف بها فى الاداء ومعالمه التى لا يشابهه فيها اسلوب اخر فى المضمون، وقد عاش على راس مدرسة جمعت العريان وكامل محمود حبيب ومحمد محمود شاكر ومخلوف ، عرفت بالرصانة فى البيان والاصالة فى الاداء . وهى مدرسة لا تزال حية قوية ممتدة ابرز معالمها : الايمان باخلاقية الادب ، واسلامية الفكرة ، والارتفاع فوق اساليب الانحلال والتملق ، وقد صور الدكتور الغمراوى هذا المعنى تصويرا واضحا حين قال : « ان الفطرة كلها منشؤها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة ، فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب الا تخالف او تناقض دين الفطرة ، دين الاسلام فى شىء ، فاذا خالفته فى اصوله ودعت صراحة أو ضمنا الى رذيلة من امهات الرذائل التى جاء لمحاربتها وعاقت الانسان أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لايجابها على الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح ، واذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا او فى شىء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ، ودابرت الخير والخطات الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق ، والتى تريد الفنون أن تكون فيها فى الصميم ، فاذا كان من شان بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن او الادب ان يتجاوز فى تاثيره ما سبق على علمه، فيحول بين الانسان وبين ربه ، ويدخل عليه الشك فى دينه بأى صورة من الصور ولأى حد من الحدود كان ذلك البعض المعمول به او المكتوب باسم الفن أو باسم الادب زورا وافكا فى الفن والادب والفطرة والدين على السواء .

● المسألة فى الأدب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط

فالمسالة فى الادب ليست مسالة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها فى صميمها مسالة روح ، فريق يريد أن يجعل روح الادب روحا شهوانيا بحتا يتمتع صاحبه بما حرم الله وما احل لا يفرق بين معروف ومنكر ثم يصف مالقى من ذلك من لذة أو الم أو غيرها من الوان الشعور ويخرج ذلك للناس على أنه هو الادب .

وفريق يريد ان يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة التى

حدها الله وبمظاهرها المختلفة فى الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها ويريد أن يدنسها الانسان ويصف مايتمتع به من تلك وما يتقى أو يتجشم فى سبيل ذلك غير ناس لحظة أن الوجود كله من الله وان الدين كله لله . والمقياس الذى انتهينا اليه فى الفن والادب ليس هو البعد عن الفن والادب كما يصور ، بل هو روح الفن والادب فى الصميم . كيف يمكن أن يكون للادب المكشوف نصيب من روح الجمال الانسانى يستهوى النفس التى فيها بقية من الفضيلة والخير » .

هذا هو مفهوم الرافعى للادب الذى عاش يدافع عنه ويؤمن به كما عبر عنه الدكتور محمد أحمد الغمراوي وسجله فى ابان المعركة التى ثارت على صفحات الرسالة بعد وفاة الرافعى بين أنصاره وخصومه . وهذه الكلمة التى أوردناها هى التى حسمت المعركة الطويلة التى امتدت ووضعت نهايتها .



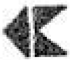
جبران خليل
جبـــران



وهكذا وضع الرافعى أساس مدرسة الاصالة فى الادب العربى المعاصر ، وربط الادب بالفكر الأسلامي باعتباره حلقة من حلقاته، وحماه من النزعة الوافدة الداعية الى الكشف والإباحة التى اخلت تفشى وتفسد القصة والقصيدة والمقالة جميعاً . وكانت المرحلة الخاتمة من حياته مما كتب فى الرسالة تلك السنوات القليلة خصبة وعامرة وقد اختصرت منهجه كله الذى أصبح بين أيدى الشباب من بعد ضياء كاشفا وكأنه ضوء من هدى القرآن ولذلك سمعنا أن الايدى المتوضئة كانت تحرص على الرافعى وتقرأه بعد كتاب الله .

ولقد عايشنا هذا التاريخ منذ قرأنا الرافعى فى مطالع الصبا وحين غدا مبكرا الى ربه فترك مكانه خاليا ، وحين حاول العريان التاريخ له ، ثم جاء من افسد هذا التاريخ وحاول أن يفسر حياة الرافعى وتاريخه تفسيرا ماديا ، ثم جاء مصطفى نعمان البدرى فحصل على درجة العالمية من دار العلوم « الدكتوراه » باطروحة ضخمة عن الرافعى ـ بعد أن حصل على الماجستير عنه أيضا ـ فاستقصى هذه الحياة وهذا الفكر حتى لم يدع شاردة ولا واردة .

وكنت رفيق رحلته تلك أتابع معه عمل الرافعى الضخم الواسع العميق ، فأرى كيف جاهد فى سبيل ارساء قيم الاصالة فى الادب العربى فى مرحلة من أدق المراحل حين جاءت رياح التغريب والغزو الثقافى على أيدى أساطين الصحافةوقادةالجامعة، واستطاع الرافعى الفرد المعتزل الذى كان لا يزال مقيما فى طنطا وليس فى يده من النفوذ والسلطان الا قلمه وايمانه ، أن يواجه



● مازالت كتاباته هي طلائع كشف الشبهات والتحديات

ذلك كله وأن يترك بصماته على حركة الأدب في هذه المرحلة، وأن ينشيء مدرسة مازالت تنافح في سبيل ارساء قيم الايمان والاصالة والحق .

لقد ودع الرافعي دنيا الأدب مبكرا، ودعها قبل عدد من اعلام جيله، سبق المازني وهيكل والعقاد والزيات وبقي بعض هؤلاء بعده عقدا او عقدين من السنين يكتبون وتتعرف اليهم الاجيال . ومع ذلك فان اصالة الرافعي استطاعت أن تقاوم النسيان وظلت اثاره ولا تزال تطبع وتقرأ وتتحدى تلك الدعوات المادية والملحدة التي تنكرت للفكرة الاسلامية والادب العربي والفصحى لغة القرآن .. ومازالت كتابات الرافعي هي طلائع هذا المجال بالسبق الى كشف الشبهات ومواجهة التحديات، وبالعطاء الذي قدمته للباحثين السائرين على الطريق فلا تزال القضايا التي واجهها الرافعي قائمة بالتحدي ولا تزال المعركة مستمرة، ولا يزال الرافعي قمة في التعرف على هذا الخطر وكشفه وتقديم الردود الحاسمة في دحض هذه الشبهات وكشف زيفها . وسيظل في ادبه وحياته كالمنار يهتدي به كل سائر على هذا الطريق الى الحق .

رحم الله الرافعي رحمة واسعة واجزل مثوبته ●

تنزيل من التنزيل

لما اصدر مصطفى صادق الرافعي كتابه « اعجاز القرآن » سنه ١٩٢٦ قرأه سعد زغلول باشا زعيم الشعب المصري، فكتب الى الرافعي الرسالة البليغة التالية :

« حضرة المحترم الفاضل الاستاذ مصطفى صادق الرافعي

« تحدى القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرجة، ولهجة واخزة مرغمة، ان ياتوا بمثله، او سورة منه، فما فعلوا، ولو قدروا ما تاخروا، لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت ايمانهم، واتسع له امكانهم ..

« هذا العجز الوضيع بعد ذلك التحدي الصارخ، هو اثر تلك القدرة الفائقة، وهذا السكون الذليل بعد ذلك الاستفزاز الشامخ، هو أثر ذلك الكلام العزيز ... ولكن قوما أنكروا هذه البلاغة وحاولوا سترها فجاء كتابكم « اعجاز القرآن » مصدقا لاياتها مكذبا لانكارهم، وأيد بلاغة القرآن واعجازها بأدلة مشتقة من اسرارها . في بيان مستمد من روحها كأنه تنزيل من التنزيل او قبس من نور الذكر الحكيم ! .. فلكم على الاجتهاد في وضعه والعناية بطبعه شكر المؤمنين واجر العاملين والاحترام الفائق » ..

« سعد زغلول »

ابتسامات



● فى مؤتمر ضم عددا كبيرا من علماء الفلك - قال أحدهم : « ان نجما كبيرا يبتعد الان عن الكرة الارضية بسرعة الفى ميل فى الثانية » .. فعقب احد الحاضرين قائلا : « لابد ان يكون ذلك الكوكب عاقلا حكيما لان مايجرى على الكرة الارضية الان يدعو الى الابتعاد عنها ! »

● جميلة !

● سئلت سيدة عن سر ازدهار النباتات والازهار فى حديقتها ، فقالت :

- انى امر عليها كل صباح ومساء واقول لها : كم انت جميلة !!

● لـو !

● كتب احد ادباء الغرب يقول : « لو كانت نظرية التطور التى نادى بها داروين صحيحة لكنا فى المرحلة الحاضرة من الفوضى التى وصلت اليها البشرية ، قد نبتت لنا اجنحة لنطير بها الى عالم افضل واصلح !

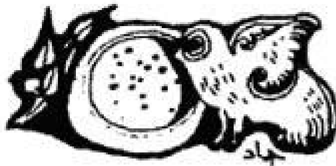
● دليل !

● سالت امراة صديقة لها : « كيف عرفت ان خطيب ابنتك جاد فى اعتزامه الزواج منها ؟ » .

فاجابت : عرفت ذلك من حرصه الا يقدم لها الا الهدايا النافعة !

● حصار !

● وصف أحد النقاد رجلا ضيق الافق بقوله : « ان عقله يحده من الشمال بخدمه وموظفيه ، ومن الشرق بأطفاله وزوجته ، ومن الجنوب بامراضه ومن الغرب بملابسه واطعمته المفضلة » .



● نصيب !

● ان الفائز المبكر لايحصل دائما على النصيب الاعلى من الثناء ، فقد اكتشف فرانكلين الكهرباء ، ولكن الشخص الذى اثرى من ورائها هو الذى اخترع عداداتها !

كانت المرأة سعادته وعذابه

بقلم: أحمد زكى عبد الحليم

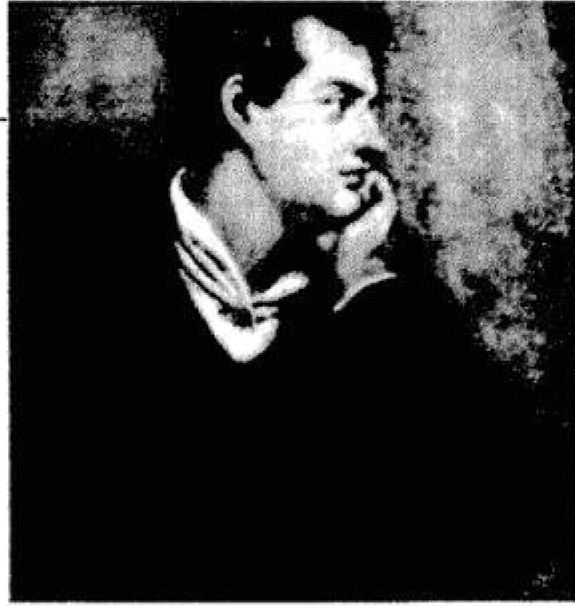
استغرقت رحلة حياته ستة وثلاثين عاما ، قال خلالها اجمل الشعر واروعه ، احب امـــرأة واحدة ، واحبته مئات النساء ، توعد المرأة التى اصبحت زوجته بالعذاب والهوان ، وكان صادقا سيطرت على حياته عقـدة ظلت تنقله من تعاسة الى تعاســـة جديدة ، واخيرا ، انتهت بـــه الحياة .. غريبا ووحيدا .

في ليلة الزفاف ، تتوقع الزوجة احلى الكلمات على لسان الرجل الذى اختارها .. ان لم تكن نابعة من اعماق قلبه ، فهى على الاقل معبرة عن الموقف النفسى فى تلك الساعات .. لكن ، على خلاف كل ذلك ، كانت كلمات الشاعر الانجليزى اللورد بيرون لزوجته . قال لها : اسمعى .. اننى اكرهك .. اكرهك كثيرا . ان زواجي منك لم يكن الا نكاية فيك .. واذا كنت لاتصدقين ، فاننى سوف اجعلك تعيشين فى حسرة وندم على اليوم الذى رايتنى فيه اول مرة ! ..

وكان طبيعيا الا تصدق الزوجة اذنيها . وان تعتقد انه حديث غير جاد . حديث رجل لعبت الخمر براسه ، فراح يمزح ويهذى فى قسوة ، دون ان يدرى ماذا يقول ! ..

ولكن الايام اثبتت غير ذلك ، ربما كان مخمورا فى تلك الاوقات ، لكنه بكل تاكيد لم يكن يمزح او يهذى . والدليل .. انها ذاقت على يديه الهوان ، لدرجة لم تستطع معها ان تبقى في بيت الزوجية اكثر من عام واحد ، حاولت فيه الكثير حتى انتصر اليأس على كل امل فى استمرار الحياة بينهما .

ان هذا الانسان الذى كان يبدو وسيما ، وانيقا ، ورقيقا ، وحلو الكلمات .. كان يتحول الى صورة اخرى متناقضة تماما فى البيت . فلم يكن يتورع عن ان يعود الى البيت اخر الليل ، وقد تعلقت بذراعه واحدة من المعجبات به ، ثم يغيب معها فى جحيم من القبلات المحمومة امام عينى زوجته . وفى الاوقات الاخرى ، كانت تنتابه ثورة عارمة مفاجئة ، فاذا به ينطلق فى البيت هائجا ليحطم قطع الاثاث واحدة وراء الاخرى . ومن هنا بدات الزوجة تخاف على نفسها وعلى حياتها من هذه الثورات . صحيح انه لم ينلها منه اذى طوال الفترة التى قضتها فى بيته زوجة ، ولكن من يضمن لها الا يحطم راسها فى يوم من الايام ،



بيرون

بعد أن حطم كل الاشياء، ولم يبق أمامه مايحطمه الا رأسها ! .. وكان أن تركت له البيت، وخرجت بلا عودة .

وفوجئت الزوجة بأن غالبية النساء يستنكرن منها هذا الموقف . لم يكن يجوز أن تترك البيت . وكان عليها أن تتحمل فترة الطول . وكان من واجبها أن تصمد لنزواته . وكان دورها أن تقف صابرة وصامتة، فلا تتحدث عن هذه الاشياء الصغيرة ! ..

ولقد كانت تلك الاتهامات التي واجهتها الزوجة ذات دلالة قوية وواضحة على مدى ماكانت تحمله النساء لهذا الرجل من حب وعواطف . ومن الغريب أن هذه العواطف كانت تزداد التهابا واندفاعا مع كثرة حديث الناس عنه بالسوء .

فلا خلاف على أن « جورج جوردن » الذي اشتهر فيها بعد باسم « اللورد بيرون »، كان معبود النساء في أوربا في الفترة مابين نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر . وقد حظي بالاعجاب والشهرة في ميدان الغرام بدرجة لم يحققها احد من قبله او بعده، بما في ذلك تلك الاسماء التي اشتهرت في عالم الحب، واصبحت رمزا له وعليه ... فلقد كانت النساء تطاردنه في الشوارع، وتنتظرنه بالساعات الطويلة امام الابواب حتى تنتهي سهرته في احد البيوت، وليس لأي واحدة منهن من أمل أكثر من أن تحظى بنظرة او ابتسامة، أو على الاكثر بكلمة حلوة تسعد قلبها المشوق ! ..

وهناك عشرات القصص التي تروى عن اعجاب النساء وفتنتهن به، ومن ذلك ان سيدة انجليزية من سيدات الطبقة الراقية اضطرت الى التنكر في ثياب شاب صغير حتى تتمكن من لقائه والحديث معه .. واخرى ظلت تطارده من بلد الى اخر، حتى استطاعت ان تلتقى معه في ايطاليا على قصة حب .



ولعل هذه القصص التي تبلغ درجة الخيال وتصل الى حد الاساطير ، تدفع الى سؤال يفرض نفسه ، وهو :

● ماهو السر الذي كان يدفع النساء الى مطاردته على هذا النحو ، رغم ما اشتهر عنه من قسوة وعنف وشراسة في معاملة المرأة ؟

والاجابة ان هناك اكثر من سر وراء ذلك .. فمن ناحيـــة ، كان اللورد بيرون اشهر شاعر في زمانه . وكانت قصائده مليئة بالرقة والعذوبة والخيال الى تلك الدرجة التي تدفع الانسان لان يحلق في عالم الاحلام ودنيا الخيال . وكان هذا النوع من القصائد جديدا في الشعر الانجليزي ، وكان تفوقه فيه مدعاة لان يتبع نهجه كثير من الشعراء الشبان في اوربا كلها .

ومن ناحية اخرى ، فقد كان « اللورد بيرون » يتميز بجمال الطلعة ، ووسامة التقاطيع ، ورشاقة القوام ، وصفاء العينين . وكانوا يقولون عنه انه يبدو اشبه بعذراء جميلة تعيش سني الاحلام والشباب . وفضلا عن ذلك فقد كان صوته عذبا رخيما ، يبعث في النفس احساس الراحة والنشوة ، ويحلق بها في اجواء الخيال . وكان ايضا ذكيا لبقا ، يعرف الكلمة التي يجب ان يقولها ، ويعرف متى ينبغي ان تقال .

وقد كانت هذه الجوانب كفيلة بان تثير اهتمام النساء به ، وتدفعهن الى الجري خلفه ، وبخاصة انه كان يغلف حياته بستار من الغموض ، ويغلق على نفســـه ابواب قصر كبير لايعرف الناس ماذا يجري خلف ابوابه المغلقة ، فراحوا ينسجون الاساطير حوله ، ويشيعون انه يستخدم عددا كبيرا من اجمل الفتيات ، يقمن على خدمته في ساعات الليـل والنهار ، وهن يرقصن من حوله على انغام الموسيقى !

عقدة حياته

ولقد كان من الممكن ان يسعد لورد بيرون بحب النساء . وكان من الممكن ان يتخذ من الحب ينبوعا يســـتمد منه اعذب الالحان واروع القصائد . ولكنه على النقيض كان يعامل النساء بجفاء وقسوة . وكان يشعر بالسعادة القصوى عندما تتهيأ له الفرصة لاذلالهن والنيل من كرامتهن والوثتهن !

وهنا يبرز سؤال اخر عن السبب الذي كان يدفعه الى مثل هـــذا السلوك ، او بمعنى اخر : ماهي العقدة التي كانت تســـيطر عليه ، وتدفعه الى اتباع هذا السلوك الشاذ ؟

لقد كانت عقدة حياته تكمن في ان له قدما شوهاء ، وانه كان يعرج بصورة ملحوظة اثناء سيره . وقد اورثته هذه العاهة شعورا دفينا بالحقد والتمرد والمرارة ، فكان يبدو عصبيا اكثر الاوقات . وكان على استعداد لان يدخل في مبارزة مع اي انسان ، لمجرد انه يطيل النظر اليه .. فقد كانت مشكلته انه ، رغم وسامته واناقته ورشاقته ، يتوهم دائما ان نظرات الناس لا تتجه الا الى قدمه الشوهاء وحدها !!

والمعروف ان « بيرون » كان ياخذ نفسه بالحزم والقسوة فيما يتعلق برشاقته ووسامته . فهو يتبع نظاما غذائيا معينا لا يحيد عنه . وهو يمارس الوانا مختلفة من الرياضة . وهو يستخدم الادوية والمســاحيق والدهانات لبشرته . وهو يرتدي اجمل الثياب واغلاها .. ورغم كل ذلك فقد ترك لعاهته كل الفرصة لكي تصبح عقدة حياته . وكان يغطي الاحساس بهذا النقص من خلال اذلال النساء اللاتي كن يطاردنه يوما بعد

● كلما كثر الحديث عنه بالسوء زادت عواطف المعجبات التهابا !

يوم ، واصبح يستعذب ان يرى العذاب فى عيونهن والالم فى قلوبهن .. حتى عندما فكر فى الزواج لعله يجد فيه استقرار حياته ، سرعان ما استيقظت عقدته القديمة ، فاعلن زوجته فى ليلة زفافها انه سوف يذيقها الامرين ، ويسقيها من كاس الهوان الوانا .. وقد كان !!

لكن ، هل تقول لنا حياة « بيرون » انه لم يعرف الحب فى يوم من الايام ؟

الحقيقة أن بيرون قد عرف الحب مرة واحدة فى حياته . ولكنه اخطا الطريق والهدف معا . فقد كانت تلك الفتاة اختا غير شقيقة .

وقد ظل الامر سرا فترة من الزمن ، لكن الناس عرفوا الامر واستطاعوا ان يحولوا بينهما . وكان اكتشاف هذا السر سببا فى تدمير حياة الفتاة . أما « بيرون » فقد هام على وجهه ، يعبر عن عواطفه سرا ، ويكتب كثيرا من القصائد فيها . ويقول لها فى واحدة منها :

لو انني لقيتك ..
بعد أعوام طويلة
فسترين كيف احييك ..
ساحييك بالصمت والدموع !

عالم الاشباح

ولم يكن نصيبه فى الحياة من الدموع قليــلا . فالى جانب ظروفه النفسية ، والى جانب الحب الخطأ الذى وقع فيه ، فانه كان يعيش فى فزع دائم ، حيث كانت الاشباح تطارده كل ليلة اثناء نومه ، بصورة كادت تودى به الى عالم الجنون . وكان يلجأ الى استخدام العقاقير المنومة والمخدرات دون جدوى ، فلم يكن ينام اكثر من ساعة او بعض ساعة ، ثم يقوم من نومه فزعا صارخا . ولذلك كان يحتفظ الى جوار فراشه بمسدسين . فاذا ارقته الاشباح ، اضاء نور غرفته وحمل المسدس والخناجر ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ! ..

اما الشبح الذى كان يؤرقه ، فقد كان يتشكل له فى صورة راهب يتشح بالسواد ، ويمر أمام عينيه وهو يوجه اليه نظرات نارية ، متوعدة ومنذرة ، ثم .. يختفى !!

وهكذا ظلت التعاسة تسيطر على اكثر جوانب حياته ، وتحرمه من فرصة الاستمتاع بجمالها . ولم يكن امامه الا أن يبحث عن مخــرج ينتشل به حياته من كل هذه المهاوى التى يتردى فيها . ووجد أمامه الفرصة فى حرب استقلال اليونان ، فتطوع للقتال هناك . ولكنه لم يلبث أن أصيب فى الميـدان بالحمى ، حيث مات على اثرها فى ابريل ١٨٢٤ ، وهو لم يجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

وعلى هذه الصورة الكئيبة ، انتهت حياة شاعر كان مؤثرا فى حيـاة الاجيال التى اعقبته من الشعراء .. وورث لقب « لورد » وهو فى سن العاشرة .. وتلقى تعليمه فى ثلاث كليات .. ونشر ديوانه الاول « ساعات الكسل » وهو مازال فى التاسعة عشرة من عمره .. وكتب اروع واخلد انتاجه وهو فى الرابعة والعشرين .. ولكن عقدة سيطرت على هذه الحياة ، فظلت به تسلمه من تعاسة الى تعاسة جديدة الى ان انتهت به الحياة .. غريبا .. ووحيدا .. ويائسا .. وهو فى عز الشباب !

ماوراء أزمة فوكلاند

البركان اللاتيني الثائر في أمريكا الجنوبية

بقلم
محمد
سعيد





صورة تتكرر فى اكثر من مكان فى امريكا اللاتينية اللقطة لطوابير من اجل الماء والطعام فى جواتيمالا . .

ايقظت ازمة فوكلاند التى نشبت بين بريطانيا والارجنتين ، بركانا خامدا فى امريكا اللاتينية ، فقد تصاعدت الاوساط المختلفة فى القارة تطالب بتطبيق « معاهدة ريودى براڤو » الامريكية الجنوبية اللاتينية الاصوات المعقودة بين بلدان امريكا اللاتينية والتى توفق بنودها صحوة التجمع بين اقطار القارة فى مواجهة التحديات الخارجية .

ولقد ساهم لجوء الارجنتين الى احياء روح « معاهدة ريو » الموقف الامريكى الذى بدا بحياد وتحفظ فى دبلوماسية هيج المكوكية الى موقف التأييد الذى اعلنته الولايات المتحدة الامريكية لبريطانيا فى مواجهة الطموحات القومية لدولة كبيرة من دول امريكا اللاتينية ، وهى الارجنتين .

وقد تسبب عن هذا التغير فى الموقف الامريكى صحوة فى البركان الخامد فى جنوب امريكا اللاتينية بعدما تخلى الموقف الامريكى عن دور الوسيط الذى لا يرغب فى أن يقطع علاقاته مع اقطار القارة اللاتينية بأى خصومات خاصة مع الارجنتين التى يحكمها نظام عسكرى يمينى لم يكن محل شجار مع الولايات المتحدة الا ان تغير الموقف الامريكى واتجاهه الى جانب بريطانيا السافر مع مواقف الولايات المتحدة مع دول حلف الاطلنطى ، يعنى من جانب آخر خدش العلاقة التى تربط الولايات المتحدة ان تجعلها بيضاء فى علاقاتها بدول امريكا اللاتينية ، خاصة مع اعلان امريكا استعدادها لما هو اكثر من الضغط على الارجنتين ، ومباركتها تحريك الحملة العسكرية البريطانية على جزر فوكلاند ، الامر الذى يعنى الاتجاه الى سياسة الزيادة التدريجية للضغط العسكرى على القوات الارجنتينية خطوة بخطوة ، ويبدو ان الخطوات محسوبة لانها تريد ان تظهر للعالم ان القوى الحقيقية فى التحالف الغربى لا تظهر الا اذا اعطت الولايات المتحدة لها اشارة القبول والموافقة .

ومع أن امريكا تجاهر بعدم تدخلها المباشر فى مساندة الأسطول البريطانى عسكريا الا انها لم تستطع أن تخفى ميلها لاسلوب الضغط التقليدى فاتجه الرئيس الامريكى الى تعليق الصادرات العسكرية للارجنتين ووقف المبيعات القادمة للسلام الامر الذى ينعكس مستقبلا على حال الارجنتين خاصة اذا ما ارتبط بالعقوبات الاقتصادية السريعة والمؤجلة ومنها التحذير بناقوس الديون وايقاف الضمانات المصرفية وترك الائتمان على السلع الارجنتينية ، مما يوجه ضربة عنيفة للثقة بالاقتصاد الارجنتينى الذى يعانى بالفعل من اخطار حادة تحتاج الى الاصلاح لا الى قبضة بطش وعقاب امريكية .

صحوة البركان الخامد هل

والبركان اللاتينى الخامد يكمن وراء

البركان اللاتيني الثائر

الظاهرة الحادة لمشكلة فوكلاند بين الارجنتين والمملكة المتحدة ، بل انه ايضا يجتذب شكلا آخر من اشكال الصراع العالمي كما افصحت مجلة : «اخبار الولايات المتحدة» التي قالت ان الحرب الجانبية بين المخابرات الامريكية والمخابرات السوفييتية بدات بالفعل في خط مواز لتصعيد الازمة في امريكا اللاتينية حيث تبدو ملامح الحرب السرية في حركة السفن والطائرات والاقمار الصناعية واجهزة التصنت والتشويش الاذاعي .

وعلى الرغم من أن نشاط المخابرات السوفييتية يحاط في الغالب بصمت رسمي من اصحاب القرار في موسكو الا ان سفن التجسس السوفييتية بدات بتعقب الاسطول البريطاني منذ خروجه الى عرض البحر ، وقد جمعت منه معلومات على قدر كبير من الاهمية وقدمتها للارجنتين ومن ناحية أخرى فرغم الاعلانات المبدئية للولايات المتحدة من انها وسيط محايد في الصراع الا ان استخباراتها قدمت للبريطانيين من خلال تحالف الاطلنطي لكي تفيد الانجليز في خطواتهم المستقبلية.

لقد ادت ازمة فوكلاند الى تعرية مسائل كثيرة كانت خامدة في امريكا اللاتينية وهي مسائل كانت معلقة لكنها اصبحت اليوم المحرك النشط لثورة البركان في القارة الامريكية الجنوبية ..

ويجدر بنا قبل أن نتعرض للمناطق الملتهبة في القارة الامريكية الجنوبية أن نحدد ما هو الفارق بين ما تعارف على تسميته بامريكا الجنوبية ، وما نطلق عليه امريكا الوسطى ، وما نسميه شمولا امريكا اللاتينية .

تقول الموسوعة الجغرافية الامريكية المسماة Encyclopedia of the world الصادرة في عام ١٩٨١ أن المقصود بعبارة امريكا اللاتينية من الوجهة الجغرافية غير المقصود بامريكا الجنوبية والاولى اوسع من الثانية فمن الوجهة الجغرافية تشمل امريكا اللاتينية امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية فهي عبارة عن كل جمهوريات القارتين الامريكيتين فيما عدا الولايات المتحدة وكندا والمكسيك .

وقد اطلق اسم امريكا اللاتينية على جميع هذه البلدان لان الاسبان والبرتغاليين وهم من سلالة اللاتين كانوا اول من اكتشف هذه الجهات ، وقد انتابت هذه الجهات

معاناة الناس من قمع السلطة في السلفادور





تطورات سياسية تختلف عنها فى الشمال حتى ان استعمار امريكا الشمالية كان شديد الاختلاف عن استعمار امريكا اللاتينية ..

والحياة فى بلدان امريكا اللاتينية تبدو لمن يزورها لاول مرة وكأنها تسير فوق ارض رخوة ورمال تغطى المتفجرات والالغام حتى ان اكثر من كاتب ورحالة زار هذه البلاد فى السنوات الاخيرة وعاد ليكتب انطباعاته ليحكى عن الارض « الحبلى » بالثورة والمتعطشة لمولد الثورات وقد ضرب الكاتب السويسرى بيتر هانيمان مثلا على هذا الترقب فى تذكره لاغنية من الفلكلور اللاتينى سمعها فى اكثر من مكان من عواصم هذه المنطقة من فنزويلا شمالا وحتى الارجنتين جنوبا مرورا باكوادور وبيرو وبوليفيا وهندوراس واورجواى ونيكاراجوا والسلفادور وشيلى وحتى البرازيل وبنما .. تقول كلمات الاغنية :

هاهو السنيور قادم
احترس من هذا الرجل
فانه مدهش
يضغط على زناد مسدسه بسرعة

« مونرو » صاحب المبدأ الشهير



. . . .
ان هذا السنيور محبوب ولطيف
لكن اذا استفزه انسان
وقف فى وجهه يصده ..
وهو الثائر الفائز فى كل مشاجرة
وهو فى الحى الذى يعيش فيه
يريد السنيور ان يكون السيد ..

وهذه هى ايضا ارادة البركان الذى بدأت ثورته منذ عدة سنوات فى اقطار أمريكا اللاتينية بداية من الواقع السياسى والاقتصادى ونهاية بالواقع الاجتماعى والثقافى .

ومعاناة دول أمريكا اللاتينية تبدأ من عدم الاستقرار السياسى الذى تصحبه هموم ثقيلة على المستوى الاقتصادى حتى ان الارجنتين والبرازيل وكولومبيا والمكسيك وشيلى تتحمل وحدها وكما تذكر المصادر الدولية فى الامم المتحدة نسبة ٤٠٪ من مجموع الديون الخارجية للبلاد النامية ، كما تحملت هذه البلاد حوالى ٣٥٪ من الاموال التى دفعت سدادا للديون والقروض فى السنوات الاخيرة ، وتعتبر الارجنتين وكولومبيا اكبر دولتين مديونتين فى أمريكا اللاتينية ، وتتخفى الديون الخارجية المتزايدة عما هو اكثر من مجرد تدفق راس المال الى خارج البلاد اذ تؤدى الى تخفيض قيمة العملة الوطنية وارتفاع رسوم الخدمات المحلية، وزيادة الاعباء الضريبية وتجميد الاجور ، وتزايد التغلغل الاحتكارى والنمو غير المتوازن للقطاعات التجارية الاستهلاكية على حساب القطاعات الانتاجية واستخدام الجزء الاكبر من القروض فى شراء السلع من الدولة المقرضة وهى فى الغالب الولايات المتحدة الامريكية التى تغلغل راس المال الخاص بها فى اقطار أمريكا اللاتينية ، خاصة فى مجالات التعدين والبترول والانتاج الزراعى والحيوانى

البركان اللاتيني الثائر

بجانب الاهتمام بالصناعات التحويلية التي أمكن من خلالها أعفاء الاحتكارات الامريكية من الضرائب بحجة تقديم شروط سهلة لتشجيع الاستثمار ، ومن خلال هذا الفهم ايضا قامت الشركات المختلطة التي كان الغرض منها كسب ما يسمى في لغة العلوم السياسية « البرجوازية القومية » لكي يكتسب رأس المال الخارجي أساسا اجتماعيا للاستقرار ولكي يخفي استغلاله للقاعدة العريضة من الطبقات الاجتماعية تحت مبرر المشروعات المشتركة .

وما يعكسه هذا الواقع الاقتصادي من معاناة للانسان في أمريكا اللاتينية يبدو في ارتفاع معدلات التضخم التي زادت عن ٢٥٪ في الارجنتين وما يصاحب هذا التضخم من ارتفاع معدلات البطالة وارتفاع الاسعار والافتقار الى مشروعات وهياكل البنية الاقتصادية الاساسية وما يترتب على ذلك من ظهور فئات تزداد ثراء من خلال ارتباطاتها الخارجية واستغلالها لاختناقات الاسواق الداخلية .

على ان النظرة الى الواقع الاقتصادي لا تذهب بنا الى الواقع السياسي الذي بدأت ارهاصاته منذ حروب الاستقلال في أمريكا اللاتينية فقط بل انها تؤكد ما ذهبنا اليه ومنذ تحررت الارادة السياسية في هذه المناطق من سيطرة الاسبان ثم البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين وحتى الفرنسيين الذين كان نصيبهم اقل في السيطرة على أجزاء من أمريكا اللاتينية .

واذا كان واقع القرن التاسع عشر يختلف عن واقع اليوم الا ان ارهاصات ما يحدث اليوم تعود ايضا الى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث وقعت في ريودي جانيرو في عام ١٩٤٧ معاهدة العون المتبادل التي تنص في أهم موادها على ان أطراف أمريكا اللاتينية الموقعة عليها توافق على ان اي هجوم مسلح تتعرض له اي دولة امريكية يعتبر هجوما ضد كل الدول الامريكية ومن ثم فان على كل طرف من الاطراف المشتركة

بعض وحدات جيش الارجنتين في حالة استرخاء بعد مواجهة ساخنة مع القوات البريطانية



التعهد فى أن يعاون فى رد الهجوم وبذلك اقامت هذه الاتفاقية ما يسمى بنظام الامن الجماعى بين الامريكتين الذى تم الاتفاق عليه فى بوجوتا عاصمة كولومبيا عام ١٩٤٨ وهو الميثاق الذى يبدو خرق الولايات المتحدة له مؤخرا عندما خرجت عن دور الوسيط المحايد فى مهمة الكسندر هيج وزير خارجيتها الى دور المؤازر لبريطانيا فى تعرضها الهجومى للارجنتين .

الامر الذى يعيد النظر الى ما طرح فى السبعينات من شكوك لدول امريكا اللاتينية فى استخدام الولايات المتحدة الامريكية منظمة الدول اللاتينية فى حروبها الايديولوجية والاستراتيجية دون النظر الى المصالح والامانى القومية لهذه البلاد مستخدما مبدأ « مونرو » الذى انحصر فهم الامريكيين له فى أنه وقف أى محاولة لمد النظام الشيوعى الى أى جزء من نصف العالم الغربى .

وهذا الفهم فى تفسير بنود مبدأ مونرو



يجعل الولايات المتحدة تبتعد عن فهم الحركات التحررية والثورات والانتفاضات الشعبية التى تتم فى بلدان امريكا اللاتينية لانها تفترض ان وراءكل رغبة فى الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى اتجاه نحو اليسار الذى يحاربه مبدأ مونرو .

ولذلك فان الولايات المتحدة تراقب عن قرب مواطن البركان المهددة بالانفجار كما حدث مؤخرا فى السلفادور التى اسفرت الانتخابات الاخيرة فيها عن استقرار الحكام اليمنيين فى الحكم ..

وما حدث مؤخرا فى السلفادور حدث بشكل مغاير فى نيكاراجوا حيث كانت الكلمة لليسار الذى امكنه ان يوقف من سيطرة اليمين على الاوضاع السياسية والاقتصادية وهو وضع لا يتوقع له اكثر المتفائلين الاستمرار اذ ما وضعنا فى الاعتبار التجربة التى اجهضت بها التدخلات الخارجية نظام الرئيس السابق الليندى فى شيلى فى منتصف السبعينات وما يبدو فى الحركات المتصاعدة فى كولومبيا وفنزويلا وجواتيمالا وبوليفيا واكوادور وبيرو ، وهى حركات تسعى لمواجهة سيطرة اليمين العسكرى على الحكم فى نفس الوقت الذى تسعى فيه للتحرر من

انجليزيان فى فوكلاند .. بداية الازمة



البركان اللاتيني الثائر



ثورة الغضب عند جماهير امريكا اللاتينية

السيطرة الاقتصادية الاجنبية حتى تشارك في صنع التنمية في هذه البلاد ولعل اخطر ما يعرفه العالم عن صراع الدول الامريكية اللاتينية مع الاحتكارات الخارجية ما يعرفه القارىء عن المصادمات بين شركة الفواكه المتحدة التي يعود تاريخ قيامها في امريكا اللاتينية الى عام ١٨٩٩ وكان ولا يزال لها تأثير على مجريات السياسة في اطار امريكا اللاتينية خاصة في هندوراس ودول امريكا الوسطى ومن المعروف ان هذه الشركة تقدم كل امكانياتها من اجل تأييد الحكام المعينين وتشجيعهم وتدعم موقفهم .

هل يخمد البركان اللاتيني

وعلى الرغم من ان الوزير الامريكي الكسندر هيج صرح اكثر من مرة مؤخرا بان تهدئة الصراع فى فوكلاند بين الارجنتين وبريطانيا يجب ان يعتمد فى الاساس على الحلول السياسية والدبلوماسية الا ان الولايات المتحدة ولها تجربة مريرة فى فيتنام ولها تجربة التحدى المعروفة فى كوبا ، لا تريد ان تلتزم بهذا الاسلوب فى التعامل مع حقائق ومتغيرات العصر الذى نعيشه ، ومن هنا جاءت سياستها فى تصعيد الضغوط والعقوبات التى تلجأ اليها فى امريكا اللاتينية ..

ان البركان اللاتيني سيظل متفجرا ومشتعلا مهددا الجزء الجنوبى من نصف العالم الغربى ما لم تتغير أساليب مواجهة الافعال وحساب ردود هذه الافعال .. وليس ضربا من التخمين ان تتصور ان نظرية المؤرخ البريطانى المعروف ارنولد توينبى « التحدى والاستجابة » قد تصدق فى هذا القرن فى امريكا اللاتينية اذا ما استمرت المواقف « الاستاتيكية » الامريكية كما هى منذ فرضت الولايات المتحدة مبدأ « مونرو » على دول المنطقة ودون النظر الى ما استجد على الساحة السياسية من متغيرات «ديناميكية» يصلح لها لون آخر من ألوان المعالجة يختلف عن الموقف المباشر من مسالة كوبا والموقف غير المباشر من قبل فى شيلى والمواقف فى كل من السلفادور ونيكاراجوا وفنزويلا والارجنتين وبيرو وغيرها ثم هذا الموقف الاخير الذى فضلت فيه الولايات المتحدة حليفتها فى الاطلنطى بريطانيا على شريكتها فى منظمة الدول الامريكية ، مما يبرهن على قيام نتائج مستقبلية تحتم ثورة البركان اللاتينى فى النصف الجنوبى من العالم الغربى !! ●

معزوفة اللقاء

شعر: إبراهيم صبرى



لحظاتٌ منَ الزمانْ ... لحظاتٌ هىَ الزمانْ !
هى كل الذى تولّى ... هى ما قد مضى وكان !
لحظاتٌ بها التقينا ... قرّ فيها الزمانُ عَينَنا
بيننا ... لا أقول « بينَ » ... هل لها بيننا مكان ؟
حينمَا قالت العيونُ ... إنما أنتَ من أكونُ
والتقى الرشدُ والجنونُ ... فهما فارسا رهانْ !
قلتِ لى .. والحياء بادى ... والهوى خلفه ينادى
خذ يدى .. ساعدى .. فؤادى ... وارو أنشودة الحنان !
قلتُ يا ربّة القصيدِ ... فيكِ ما صغت من نشيدِ
هاكِ معزوفة الخلودِ ... عودها أنت والكمان ؟
أنتِ أنشودتى وشدوى ... أنتِ منشودتى وشأوى
أنت إغفاءتى وصحوى ... حينما نصنع الزمانْ !
فى لحاظ بها التقيت ... قر فيها الزمان عيننا
بيننا .. لا أقول « بين » ... هل لها بيننا مكان ؟ !

قصة الشاشة الصغيرة

ولد صغير وفكرة كبيرة

أمين سلامه

كان فيلو فى السادسة عشرة من عمره سنة ١٩٢٢ وكان يعيش فى بلدة رجبى بولاية ايداهو . وكان حييا لا يتكلم كثيرا مع اى فرد . غير ان احد مدرسيه واسمه جوستين تولمان عرف ان هناك شيئا فى هذا الغلام يختلف عما فى غيره .

قال تولمان بعد ذلك بعدة سنوات : « عرفت مئات الصبيان قبل ان اعرف فيلو ، ولكنه كان يختلف عن جميع الاخرين . انتابنى شعور باننى لن اعرف ولدا آخر مثله . »

اما الغلام الذى لم يكن يتكلم كثيرا مع اى فرد ، فقد تكلم مع تولمان استاذ مادة العلوم ، فقال له : « اريد ان اعرف كل شىء عن العلوم . »

بدأ يدرس العلوم فى احد فصول الصف الاول ، وبعد بضعة ايام ظهر ايضا فى احد فصول الصف الرابع قائلا : « اتيت لمجرد الجلوس والاصغاء . »

درس فيلو بجد ، وسرعان ما عرف كل شىء كان يتعلمه تلاميذ الصف الرابع . ثم قرأ جميع كتب العلوم الموجودة فى مكتبة المدرسة . ويبدو انه كان يفهم كل ما يقرأه .

وذات يوم ، وجده تولمان فى الفصل الدراسى بعد انصراف التلامذة ، يرسم على السبورة . فسأله تولمان فى دهشة واعجاب : « ماذا تفعل ؟ من اى شىء هذه الرسوم ؟ »

اجاب فيلو قائلا : « اريد ان اخترع اشياء ، وهذه رسوم اول اختراعاتى . »

فسأله تولمان وهو يبتسم قائلا : « وماذا يكون اختراعك هذا ؟ »

اجاب الغلام : « عندى فكرة التليفزيون – طريقة لارسال الصور عبر الهواء . ارجوك ان تسمح لى بان اشرحها لك ، فانت الشخص الوحيد الذى يمكنه ان يفهم ما عملت . »

فى سنة ١٩٢٢ كان الراديو جديدا جدا . كان بالولايات المتحدة اقل من ثلاثين محطة اذاعة . ولكن فى سنة ١٩٢٢ ، اطلع غلام ، فى السادسة عشرة من عمره ، استاذه على رسوم التليفزيون !

قرأ فيلو ، فى مكتبة المدرسة ، قصة رجل اجرى تجارب على فكرة التليفزيون . غير ان ذلك الرجل لم ينجح فى ارسال الصور عبر الهواء . كان فيلو على يقين من ان فكرته افضل من فكرة ذلك الرجل ، وانه سينجح حيث اخفق الاخر .

لم يكن تولمان متأكدا . فسأل فيلو عدة اسئلة عن تلك الرسوم ، واستطاع فيلو ان يجيب على جميع اسئلة معلمه .

فى نهاية ذلك العام الدراسى ، غادرت اسرة فارنزورث بلدة رجبى ، فلم ير فيلو استاذه للعلوم ، لعدة سنوات بعد ذلك – لم يره حتى اهم لحظة فى حياة ذلك المخترع الصغير .

فى سنة ١٩٢٦ ، كان فيلو يعمل فراشا فى مكتب بمدينة صولت ليك .

شخص لا أصدقاء له أصبح نموذجاً لشخص صغير مخترع كبير



كان يأتي الى المكتب الذى يؤمه كثيرون رجال الاعمال . كان احدهم جورج الرسون وهو رجل اعمال من سان فرانسيسكو . ومثل توفان ، سرعان ما اعجب الرسون بفيلو . لم يكن ذلك الغلام الخجول النحيل مثل غيره من فراشي المكاتب الذين عرفهم الرسون .

وفي احدى الامسيات طلب الرسون من فيلو ان يتعشى معه . واثناء العشاء طفق فيلو يتحدث عن فكرته المتعلقة بالتليفزيون . لم يهتم الرسون كثيراً بذلك الاختراع في اول الامر . لم يصغ اليه الا لانه يريد اظهار العطف نحو ذلك الغلام .

بعد ذلك ببضعة سنوات الف الرسون كتاباً عن الاشخاص الذين اعجب بهم ممن عرفهم . فذكر في ذلك الكتاب تفاصيل تلك الامسية التي قضاها مع فيلو .

كتب الرسون يقول انه بدا التغير على فيلو فارنزورث وهو يتكلم . لمعت عيناه ، ونزع عنه الخجل تماماً . فتكلم في حرية عن اختراعه وعما ينوي ان يفعل به . وبينما هو يتكلم صار شخصاً مختلفاً عنه تمام الاختلاف . لم يعد فراش المكتب — بل كان استاذ علوم .

ولد صغير وفكرة كبيرة

في نهاية السهرة زاد اعجاب الرسون بفيلو اكثر من اى وقت مضى ، كما اعجب بفكرة فيلو عن التليفزيون .

بعد ذلك ببضعة ايام صحب الرسون فيلو الى سان فرانسسكو حيث جمع عددا من رجال الاعمال البارزين فاخبرهم فيلو باختراعه . فاعجب الرجال بالمخترع الصغير ، وباختراعه ، حتى انهم قدموا له ٢٥٠٠٠ دولار لمساعدته فى اجراء التجارب على فكرته .

لم يتجاوز فيلو العشرين من العمر ، غير انه كان بوسعه الآن ان يترك عمله كفراش بمكتب . يمكنه الآن اجراء التجارب على فكرته لاختراع التليفزيون .. لقد سنحت له فرصة تجربة هذه الفكرة وربما حالفه التوفيق فينجح فى ارسال الصور عبر الهواء .

بيد انه كان على فيلو ان يكتب اولا خطابا ويرفق به رسوم اختراعه ، ويرسله الى مكتب براءات الاختراع التابع لحكومة الولايات المتحدة فى واشنطن . يجب ان يطلب براءة ذلك الاختراع .

ان الشخص الذى لديه اول فكرة عن اختراع ما ، ويقدم له رسوما ، يعطى براءة ذلك الاختراع . وبعد ذلك لا يستطيع اى شخص غيره ان ينسب الى نفسه تلك الفكرة او يبيعها .

مكتب الولايات المتحدة لبراءات الاختراع ، هو الوحيد الذى يمكنه ان يقرر من هو اول متقدم لاختراع جديد . ومكتب البراءات هذا ، هو وحده الذى يمكنه ان يصدر البراءة من الولايات المتحدة عن حقوق ذلك الاختراع .

وعلى ذلك ارسل فيلو رسومه الى واشنطن وكتب خطابا يطلب فيه براءة حقوق اختراع التليفزيون .

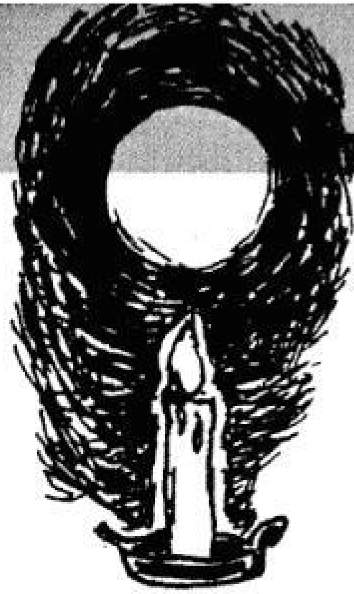
كان فلاديمير زوريكين ، المخترع النيويوركى ، يجرى التجارب ايضا على التليفزيون . وقبل ذلك بعدة سنوات كان تلميذا لذلك الرجل الذى درس فيلو مؤلفه فى مكتبة المدرسة . وكان زوريكين يعمل وقتذاك فى شركة كبيرة فى نيويورك . وقد اعجب رئيس تلك الشركة بافكار روزيكين عن التليفزيون واعطاه نقودا كى يجرى التجارب عليها كان زوريكين فى نيويورك ، وفارزورث فى كاليفورنيا ، يبعد عنه بحوالى ٣٠٠٠ ميل ولا يعرف ايهما شيئا عن عمل الاخر او افكاره .

اما مكتب الولايات المتحدة لبراءات الاختراع ، فكان على علم بكليهما . يعلم مكتب براءات الاختراع ان كلا منهما يعمل على نفس الاختراع ، وان بعضا من اهم افكارهما واحدة .

واخيرا ، علم كل من زوريكين وفارنزورث بعمل الاخر . وعلى الفور يعلم مكتب براءات الاختراع ان ان يقرر من منهما له الحق فى براءة اختراع التليفزيون . فالرجل الذى يحصل على البراءة سيكون له حق امتلاك فكرة التليفزيون او بيعها . فاذا نجح فى ارسال صور على الهواء ، فسيكون رئيس عمل جديد عظيم وسيصبح غنيا .

لم يضيع مكتب البراءات وقتا ، وانما طلب من كل منهما ان ياتى الى واشنطن لسماع اقواله . سيكون السؤال الهام فى ذلك اللقاء بسيطا : لكن من من هذين يستطيع اثبات انه اول من اخترع التليفزيون ؟

قبل الذهاب الى واشنطن ، استعد فارنزورث ومحاميه لتلك المقابلة . بدا اولا ان فارنزورث لن يستطيع اثبات انه كان يعمل لاجل التليفزيون قبل ذهابه الى سان فرانسيسكو . ولكنه كان يعلم



انه بدا عمله قبل ذلك بسنوات .

قال فارنزورث لمحاميه : « اعتقد ان اول رسم عمله للتليفزيون كان فى سنة ١٩٢٢ » .

فسأله المحامى : « ايمكنك ان تحضر ذلك الرسم الى الجلسة ؟ »

قال : « رسمته ذات يوم على سبورة بالمدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسى » .

« أرآه احد غيرك ؟ »

اجاب فارنزورث بقوله : « نعم رآه استاذى جوستين تولمان » .

« واين هو الآن ؟ »

« لست ادرى » .

فقال المحامى : « ولكنه الشخص الوحيد الذى يمكنه مساعدتك يا مستر فارنزورث » .

وهكذا بدا البحث عن تولمان . واخيرا عثر عليه يقوم بتدريس مادة العلوم فى مدرسة بمدينة صولت ليك .

وفى الجلسة اثبت محامى فارنزورث ان فيلو لم ير معلمه او يسمع عنه لعدة سنوات ، منذ ان كان فيلو تلميذا بمدرسة بلدة رجبى الصغيرة .

قال المحامى : « اريد منك ، يامستر تولمان ، ان تتذكر الوقت الذى كان فيه فيلو فارنزورث تلميذك . الم يخبرك قط عن اختراع اسمه التليفزيون ؟ »

« بلى ، اخبرنى » .

« ايمكنك ان تتذكر ما اخبرك به فيلو فارنزورث من ذلك الاختراع ؟ »

قال تولمان : « نعم » ونهض وذهب الى سبورة فرسم عليها نفس الرسوم التى رسمها فيلو قبل ذلك بسنوات على سبورة الفصل بمدرسة رجبى .

بعد ذلك وجه محامى زوريكين الى تولمان عدة اسئلة عن الرسوم ، واستطاع مدرس علوم فيلو ان يدلى بجميع التفاصيل الدقيقة والارقام التى شرحها له الغلام ذو الستة عشر ربيعا ، عن نظام التليفزيون . وبسبب تذكر تولمان لكل شيء اخبره به فيلو ، نال فيلو فارنزورث براءة اختراع التليفزيون .

ومنذ ذلك الحين صار التليفزيون عملا كبيرا وهاما فى الولايات المتحدة ، وفى جميع انحاء العالم . كان عملا زوريكين وفارنزورث ، بعد ذلك متعادلين فى الاهمية . ويستخدم النظام الحالى للتليفزيون خير افكار كلا الرجلين ..

يرجع الفضل فى نجاح فارنزورث الى عبقريته العظيمة والى مساعدة صديقين طيبين : احدهما رجل الاعمال جورج الرسون ، الذى صحب الغلام الصغير ليلتقى برجال الاعمال الاخرين فى سان فرانسيسكو ، وجعلهم يثقون به والثانى هو جوستين تولمان مدرس العلوم الذى عرف نابغة عندما رآه ، وتذكر كل كلمة قالها له ذلك النابغة .. ●

قصة قصيرة

الثمن

بقلم: أليفه رفعت

يوم قال لى ابى بعد عيد ميلادى السابع بقليل انه سياخذنى لجدتى ، وانى سامكث معها فى بلدتنا اسبوعا لاشاهد مياه الفيضان تطفو على جانبى الترعة فى قنوات يحفرها الفلاحون لتروى أرضهم ، تقافزت من الفرح ادور فى الغرفة متراقصة ... كنت احب جدتى واشعر بحبها لى . كانت تذكرنى دائما فترسل من اجلى « حسن » كل اول شهر محملا بالطيور والبيض والفطير وفاكهة الحديقة المحيطة ببيتها وكانت تسكنه وحيدة بعد موت جدى ... كانت عجوزا جدا لا تستطيع مغادرة أريكتها . تجلس عليها بالنهار وتنام عليها بالليل . تصعد اليها بالدور العلوى وداده «ظريفة» بصينية الطعام فى مواعيد الاكل . باقى الخدم بالدور السفلى يدبرون شئون المنزل الكبير ، وداده « ظريفة » وحدها المسموح لها بالصعود والدخول عليها فى مقعدها . تنقل اليها اخبار البلد وتطل معها احيانا من شباك يعلو اريكتها يفرشها بالشمس فى النهار وبالقمر ليلا من خرومه المنجدة . تساعدها كل صباح على الاستحمام وتبديل اثوابها وهى دائما داكنة اللون . وتحلك حول وجهها طرحتها البيضاء . وجدتى تصلى وهى جالسة ثم تتناول مسبحتها حتى تأتى دادة « ظريفة » بطعام الافطار .

ويومها بمجرد وصولنا بالعربة، لم أنتظر ابى وهو يلملم الهدايا التى جئنا بها معنا ، جريت صاعدة وارتميت بين ذراعيها المفتوحتين فشدتهما حولى وطوتنى فى حنايا جسدها النحيل المرتجف ، لرائحة عرقها الممتزج بالمسك المجلوب من مدينة الرسول اثر سريع خدر اعصابى فاستكنت بين احضانها



ابعدتنى قليلا تتأملنى وبريق فى صفاء العسل يشع من عينيها ابهجنى فضحكت. ضحكت معى حتى بانت لثتها الفارغة الحمراء وغاصت الغمازتان فى تجاعيد خدين لهما زغب ناعم كالقطيفة.

مررت لسانها الرفيع على شفتيها؛ مسحتهما بظاهر يدها وقبلتنى كنت دائما اسألها :

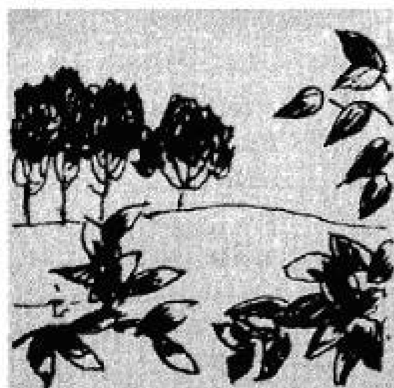
« فين سنانك يانينة زكية؟» وكانت ترد على وهى تشير للسماء الظاهرة من الشباك :

الثمن

« خطفها الغراب وطار » . وتضحك طويلا .
هذه المرة لم اسألها . فقد أدركت من خطفها . دهشت حين تحسست صدرى بيديها تبحث عن شيء معين تتوقع وجوده . قالت :
« معلهش . بكرة حاتفوقى وتفورى لما تقعدى معانا حبتين . »
وهى تحاول اجلاسى على فخذيها أدركت انها لا تقوى على رفعى، فقفزت على حجرها واحسست أن فخذيها أصبحتا اكثر هزالا . قبعت فى الامان بين ساقيها وهى منشغلة بالحديث مع أبى . فكرت رانا اتامل وجهها انها كانت ذات يوم جميلة . تحسست الشامة المشمشية تحت جانب فمها وما عدت افكر أن اجذب الشعيرات النابتة بها لاقتلعها كما كنت افعل من قبل . وعندما كركرت بالضحك كانت ضحكتها اشبه بخرير الموج على الشاطيء فضحكت معها منتشية .
حين جاءت دادة « ظريفة » بصينية الغداء أصرت جدتى ان تبقينى جالسة فى حجرها وتطعمنى بيدها .
قلت لها :
« انا تعلمت آكل بالشوكة والسكينة لوحدى . »
فابتسمت واستمرت تلقمنى الطعام فوجدت له مذاقا خاصا وانا اشعر بملمس أصابعها الطرية الحنون .

***

عندما انكسرت حدة الحر فى الاصيل نادى على « حسن » من تحت الشباك .حملتنى دادة « ظريفة » لأراه قد شد بردعة قطيفة حمراء على ظهر حمار أبيض له قصة بيضاء تنسدل على عينيه الكحيلتين . قفزت السلم نازلة بسرعة الريح فأركبنى عليه وأمسك بلجامه الجلدى وهو يسند خصرى بذراعه وخرجنا بين الغيطان .
لاعبت النسمة اطراف عيدان الذرة العالية وحملت عبق شواشي كيزانها المدلاة كشعر البنات الشقراوات ، ومزجتها برائحة المواقد اشعلتها الفلاحات يعددن طعام العشاء للازواج العائدين من الحقول . وصلنا لحافة الترعة ، وقفنا نتفرج على الدوامات الصغيرة المثقلة بالطمى الاحمر .
الموج فى الترعة يختلف عن الموج الابيض وهو يتكسر



شظايا على الصخور الخضراء
ويتناثر عاليا يرشني بقطرانه
وانا الهو على الرمال . هذا
الموج رغم هدوئه وانسيابه يبدو
مفزعا كحيات زاحفة . وقرص
الشمس الاحمر يقترب من نهاية
الارض استدار بى « حسن »
راجعين .. وجدت عربة أبى قد
رحلت به عائدا لبيتنا فى
الاسكندرية حيث أمى .

بدت لى غرفة جدتى موحشة
وأزعجنى طنين الكلوب وأزيز
الفراش حوله يتساقط محترقا .
جلست فى حجر جدتى احتمى
بها من ظل الكائنات المختالة
على الحيطان . القمتنى جدتى
بيضتين مسلوقتين وكوب لبن
والبستنى جلابية حريرية بيضاء
وارقدتنى بينها وبين الحائط .
رفعت دادة « ظريفة » الكلوب
وجاءت بفانوس به لمبة غاز
صغيرة جعلت الكائنات تفرد
قاماتها العملاقة وترتع فى
اطمئنان فى أنحاء الغرفة والتفت
بغطاء واستلقت على طرف
السجادة عند الباب . أحطت
عنق جدتى بذراعى وخبأت
وجهى فى صدرها . شغلنى
صوتها يخرج مع تنفسها الهادىء
يحكى الحدوته فى رتابة جلبت
لعينى النوم .

صحوت فجأة على لغط نسوة
يفتت الهدوء السائد . فتحت
عينى ولمحت نجوم الشباك
فوقى فضية بضوء الفجر .
وضعت جدتى يدها الممسكة
بمسبحتها على رأسى تقرأ آيات
من القرآن . تزحزحت قليلا من
مجلسها تخلى بينى وبين امرأة
سمراء تعصب رأسها بطرحة
سوداء بعينيها خطوط كحل ازرق
وبذقنها خطوط وشم أخضر .
مدت أصابع منقوشة بالحناء
الحمراء ومطوقة بخواتم فضية
غريبة الأشكال فامسكت بى .
انتفضت مرتعبة وهى ترفعنى
وأساورها الزجاجية تشخشخ

الثمن

كالاجراس . ارقدتنى على طبلية خشبية موضوعة امام اريكة جدتى بعد ان طوت حرف السجادة . امسكت امرأتان بساقى كل واحدة تشد ساقا ناحيتها حتى احسست انهما ستنخلعان عن وسطى .

صرخت أستنجد بجدتى :

« الحقينى يا نينة زكية . حوشيهم عنى . »

اصطدمت بالعينين يتحول عسلهما الى دوامات مثقلة بقسوة الاصرار . غرقت فى ذهول بائس . باشارة من جدتى رمت اليد ذات الخواتم طرف جلابيتى على وجهى فلم اعد ارى . امسكت يدان بذراعى وهى تجلس عند رأسى .. همست دادة « ظريفة » :

« ما تخافيش يا ضنايا . كل البنات لازم يتطهروا علشان يبقوا عرايس حلوين . »

واحسست بماء دافىء يصب بين ساقى اعقبته طعنة حادة تدفق لها سائل حار سكبت عليه قطرات لها لسع النار وردمت بمسحوق له رائحة البن . كنت أصرخ مطالبة بامى حتى غبت عن وعيى وعندما افقت رأيت العينين يسود فيهما صفاء العسل مطلتين فوقى وجدتى تبتسم لى . ظللت أحملق فى وجهها مشدوهة محاذرة . خلعت سلسلة ذهبية بها ايقونة مكتوب عليها بالمينا اسم الله فطوقت بها عنقى . أطلقت دادة « ظريفة » زغرودة جاوبتها زغاريد من زائرات التففن بنا بأيديهن أكواب الشربات الاحمر . دغدغتنى جدتى تحت ابطى وقالت وهى تضحك ضحكتها التى كنت احبها :

« عقبال دخلتك يا عروستنا »

لم اضحك وانما أمسكت بالايقونة اتفحصها فبهرتنى دقة نقوشها وثقلها فى يدى . واستنتنى فكرة انها غالية الثمن فأغمضت عينى ونمت ●



الشركة العربية الدولية للتأمين

آفاق جديدة فى عالم الخدمة التأمينية



صور لبعض العاملين بالشركة

ان التامين صار من ميزات الدول الناهضة فى العالم وشركات التامين ايضا تفننت فى ادارتها وتسهيلاتها من اجل عملائها . وابتكرت الاساليب لتجلب العملاء فى هذا العصر، سريع الرتم المليء بكل شيء ، والذى قصرت فيه المسافات ، وزادت مساحة الامان ، كما زادت ايضا مساحة الخطر .

وفى مصر شركات تامين لا تحصى ولا تعد ، تحاول ان تتنافس فيما بينها على خدمة عملائها ، والعميل بالطبع يفضل شركة التامين التى تلبى مطالبة ، وتريحه من كثير من العناء ، وتفكر معه دائما ، كما يجدها دائما على علاقة دائمة به

وتعتبر الشركة العربية الدولية للتامين من الشركات الهامة فى هذا المجال فى مصر فهذه الشركة قد بدأت من حيث انتهت كثير من الشركات .

لقد انشئت « الشركة العربية الدولية للتامين » فى عام ١٩٧٦ كاولى الشركات المساهمة المصرية ، بنظام المناطق الحرة طبقا لاحكام القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ والمعدل بالقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٧٧ الخاص باستثمار المال العربى والاجنبى

وقد ساهم فى انشاء « الشركة العربية الدولية للتامين » مجموعة متميزة من

● حصيلة وفيرة من الخبرات التأمينية : من أجل الخدمة التأمينية كهدف أسمى تسعى لتحقيقه



كبريات شركات التامين العربية والاجنبية مما كفل لها ان تتبوأ مركزها المرموق على المستوى العالمي .

والواقع ان « الشركة العربية الدولية للتامين » تستند الى حصيلة وفيرة من الخبرات التامينية المصرية والاجنبية .. والتي استطاعت ان تضع البداية ، الخدمة التامينية ، كهدف أسمى تسعى الى تحقيقه .

ونتيجة لذلك فان عملاء الشركة يتمتعون بخدمة تعتبر من طراز فريد ، ومن الدرجة الاولى . وهذه الخدمة تقوم اساسا على الدراية التامة باحتياجات العملاء التامينية ، والتغطيات المناسبة بافضل الشروط والاسعار . كما تراعي هذه الخدمة تجنب الفاقد ووقت العملاء ، عن طريق تفادي التعقيدات الروتينية

ولذلك فان الشركة تنتهج سياسة الباب المفتوح ، وتنمية القيادات الادارية بها ، وخاصة تلك القيادات الشابة.

ومما يذكر ان الشركة العربية الدولية للتامين ، كما يقول مديرها العام الاستاذ حسين محمد حافظ ، تقوم بكافة انواع النشاط التاميني ، من حريق وحوادث بحري ، ومسئوليات وتامينات هندسية وتامينات المشروعات والمقاولين ، والتامينات المتنوعة لعملائها بالمناطق الحرة . كما تقوم الشركة بكافة عمليات اعادة التامين المحلية والعالمية .

والواقع ان الشركة العربية الدولية للتامين .. من خلال عملائها وادارتها تسعى مخلصة نحو آفاق جديدة في عالم الخدمة التامينية . ويشهد بذلك كل من تعاملوا معها

بعض البيانات عن الشركة العربية الدولية للتامين خلال عام ١٩٨١ ..

● راس المال ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ دولار امريكي « مدفوع بالكامل »

● اجمالي الاموال المستثمرة ٢٠١ر٢٤٧ر١٠١ دولار امريكي

● اجمالي الاصدارات ٥ر١٠٣ر٧١٦ دولار امريكي

● اجمالي الاحتياطيات ٢٠٤٨٩ر٠٩٣ دولار امريكي ●

سامي البيهي

التوبة

التوبة

بقلم

يوسف القعيد

● خرج الشاب من المعتقل .. بعد أن قالت الجهات المختصة انه لم يثبت عليه شيء . وكانت نفس الجهات المختصة ، قد قالت من قبل انه متهم ومدان بكذا وكذا . وكانت التهم الموجهة اليه . مكتوبة على شكل قائمة طويلة . استهلكت اكثر من ورقة فى تدوينها . وكان على راس قائمة التهم الموجهة اليه . تهمة الانتماء الى جماعة سرية . يبدو انها جماعة دينية والدليل الوحيد، الذى قدمته الجهات المختصة على تورطه فى النشاط السرى انه كان يطلق لحيته .

خرج الشاب من المعتقل . بعد سنوات قضاها وراء جدرانه العالية وكما تقضى النظم المتبعة للحفاظ على الامن العام . عين الساهرون على مصالح البلاد العليا عسكريا سريا لمراقبته فى أيام الحرية الاولى . اسمه الرسمى مخبر . وطلبوا من المخبر ان يرفع عن الشاب المعتقل الذى اصبح حرا . تقريرا يوميا الى الضابط الذى يراسه . على أن يرفع تقريره فى اللحظة الاخيرة من اليوم . ولا يجوز تاخيره الى اليوم التالى باى حال .

فى اليوم الاول . كتب المخبر فى تقريره :

– صباح اليوم ، ذهب الشاب الذى كان معتقلا . وخرج الى الحرية امس صباحا الى دكان الحلاق . وبعد خروجه من دكان الحلاق . اكتشفت انه حلق ذقنه وبالحساب الدقيق تاكدت انه لم يقض من الوقت ، عند الحلاق ، الا ما يسمح بحلاقة الذقن . وبالمراقبة الدقيقة تاكد لى . ان الشاب الذى كان معتقلا، لم يتبادل كلمة واحدة مع الحلاق . المرجح انه طلب منه حلاقة ذقنه بالاشارة فقط .



التعليق الذى كتبه المخبر متطوعا فى ذيل تقريره تقول كلماته .

ـ يبدو ان الشاب قد تاب .

فى اليوم الثانى ، كتب المخبر، فى تقريره :

ـ ذهب الشاب المعتقل السابق والذى اصبح حرا امس الاول ، بفضل سماحة الحكام .. والذى حلق ذقنه بالامس فقط . ذهب الشاب مثل كل الناس الى خمارة الزمان الجميل . وسكر .

لم يفعل فى الخمارة سوى السكر .

وكان تعليق المخبر على أحداث اليوم :

ـ لقد فعل الشاب حسنة هذا اليوم . ستحسب له بالف فيما بعد .

فى اليوم الثالث . عاد المخبر الى الضابط سعيدا . رفع له فى صمت تقريره الذى قال فيه بالحرف الواحد :

ـ اليوم سرق الشاب المعتقل السابق . والذى افرج عنه من ثلاثة ايام . وحلق لحيته امس الاول . واتى حسنة الذهاب الى خمارة الزمان الجميل امس . سرق الشاب محلا للصاغة . تمت السرقة دون ان ينتبه احد . وانا ليست مهمتى منع السرقة . ولكن مراقبة من يقوم بها فقط . كان الشاب ناجحا فى العملية . واتمها باكبر قدر من الاتقان . وحصل على كمية كبيرة من المسروقات . التى تندرج تحت بندين . اولهما: ما خف حمله . وثانيهما : وغلا ثمنه .

اما تقدير المخبر للموقف . فقد كتبه ، على صفحة منفصلة . هذا اليوم .

كتب يقول :

ـ يبدو ان الشاب المعتقل السابق . والذى خرج من المعتقل وتاب وحلق ذقنه . واتى حسنة عندما ذهب الى خمارة الزمان الجميل . وسرق بمهارة يحسد عليها محلا للذهب . يبدو انه قدم اوراقه لعضوية الحزب الحاكم . وان اوراقه قبلت . نظرا لمهارته غير العادية . وانه يقف الآن فى صفوف الحزب الحاكم . وانه يمشى فى الخط العام . ولا خطر منه على النظام . وانه لم يعد يكدر الامن العام ولا يهدد السلام الاجتماعى .



رفع المخبر التقرير الى الضابط الذى قراه بعناية . وقبل ان يرفعه الى المسئولين . حسب التسلسل القيادى . كتب الضابط هذه المرة توصية فى آخر تقرير المخبر . قال فيها :

ـ أوصى بوقف مراقبة هذا الشاب ، ابتداء من الغد .

فى انتظار الاوامر . أفندم .

ورفع التقرير مشفوعا براى المخبر وتوصيته المكتوبة بخط يده الى قادته الكبار .

وظل المخبر . وظل الضابط فى انتظار الاوامر ●

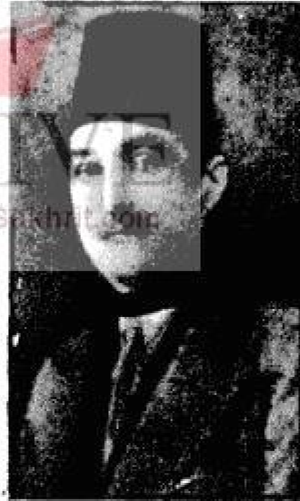
من تراث

الهلال

قدم "الهلال" على امتداد تسعين عاماً زاداً عظيماً من روائع الفكر والأدب والفن .. وفي باب "من تراث الهلال" نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث..

هل تنجح الديكتاتورية عندنا ؟!

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد



عباس محمود العقاد

كتب الاديب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ هذه المقالة في « الهلال » ـ فبراير ١٩٣٩ ـ وكانت الدكتاتورية في اوربا حينئذ تبدو كأنها نظام ناجح سياسيا واقتصاديا ، فقد كان هتلر في المانيا وموسوليني في ايطاليا وفرانكو في اسبانيا ، وانطونسكو في رومانيا ، وأينونو في تركيا ، فضلا عن الديكتاتورية في اليابان التي كانت مدججة بالسلاح .

وهذه النظرة المستقبلية للاستاذ العقاد تبين مدى الشمول الذي كان طابع فكر العقاد وادبه ، كما تلقى ضوءا على تلك المرحلة الهامة من التاريخ العالمي المعاصر.

قبل كل شيء هل نجحت الدكتاتورية في البلاد الغربية ؟

قال حكيم يوناني قديم : « ان المرء لا يعرف أسعيد هو أم شقي الا بعد موته » ويصدق هذا القول على الحكومات الدكتاتورية فلا تعرف أهي ناجحة أم فاشلة الا اذا اصطدمت في نكبة كبرى من النكبات التي تمتحن بها مناعة الدول وقدرتها على البقاء الطويل ، فخرجت منها ظافرة او سليمة ، والحروب العظمى هي أصدق امتحان لهذه النظم الطارئة التي لم يثبت قط حتى الساعة انها خرجت من حالة الظروف الموقوتة الى حالة الاستقرار الدائم .

وامام الدكتاتوريات في البلاد الغربية امتحانان لا تزال الاسئلة فيهما معروضة بغير جواب .

فالامتحان الاول ان تنجح الدكتاتورية في الامة .

والامتحان الثاني ان تنجح الامة في معترك السياسة العالمية .

ولم يثبت بعد نجاح في هذا الامتحان او في ذاك ، لان جهود الحكومات المستبدة كلها مصروفة الى القوة العسكرية والعدة الحربية فهل في وسع امة ان تقضي الزمن كله في مثل هذا الاستعداد بغير حرب ؟ وهل يتخيل احدان هذه الحكومات المستبدة تدخل في حرب مع الدول الديمقراطية ومنها بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة وحلفاؤها في العالم الواسع ثم تخرج منها ظافرة او سليمة ؟

والدكتاتورية لم يثبت لها نجاح في البلاد الغربية ، واغلب الظن عند كاتب هذه السطور انها فاشلة لا محالة بعد سنوات قليلة ، ومن يعش ير !

لكننا نغض النظر عن النجاح الدائم ، ونسأل عن القيام الناجح ولو فترة قصيرة من الزمان ، فهل تقوم في بلاد الشرق الادنى دكتاتورية على مثال الحكومات التي من هذا القبيل في الامم الغربية الحاضرة ؟

وجواب ذلك يسبقه ان نعرف ، لماذا قامت الدكتاتوريات الغربية على شكل من الاشكال .

فهي لم تنشأ قط في امة مستقيمة الامور موفورة الارزاق .

وانما تنشأ الحكومة المستبدة في امة مهزومة او كالمهزومة وتنشأ في هذه الامم بعد اضطرابات داخلية تهدد نظامها الاجتماعي بالتداعي او التقويض ، وتنشأ

من تراث

مع ذلك حين تكون القوة العسكرية هنالك راغبة في محو عارها واستئناف كرامتها ، مقرونة بالامثلة العليا والدعوات القوية والعالية ، لم لا غنى لها في جميع هذه الحالات عن شخصية موصولة بجهاد قديم وعقيدة جديدة أو أمل جديد

فالروسيا خرجت من الحرب العظمى مهزومة ممزقة بين الدعوة الشيوعية والموروثات القديمة البالية ، متهيئة لاجابة زعيم قدير يستطيع قيادتها واراحتها من هذه الزعازع التي لا يطول عليها صبر الشعوب، فقامت فيها الدكتاتورية بهذه العناصر جميعها ، فلو نقصت الهزيمة ، او نقصت الدعوة الشيوعية ، او نقص الزعيم لينين، لما تأتى قيامها في تلك الفترة على النحو المعروف .

والمانيا خرجت من الحرب العظمى مهزومة ذليلة موقرة بالمطالب عاجزة عن السداد ، ممزقة كذلك بين الاشتراكية واحزاب المحافظين والعسكريين ، متحفزة للاخذ بالثأر ، مستعدة للغضب الوطني والنخوة القومية ، فلو نقصت الهزيمة او نقص هذا الدين الجديد المعوض لها من عار الهوان ومذلة الخضوع ، او نقص هتلر واصحابه، لما تأتى قيام السيطرة النازية على النحو المعروف .

وقل مثل ذلك في ايطاليا التي حسبت من الظافرات في الحرب العظمى لانها كانت الى جانب الحلفاء، لا لانها خرجت في مثل حال الظافر الميسور ، او قل مثل ذلك في يوغسلافيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا التي انتصرت ظاهرا وكانت في الحقيقة كالمهزومات المضطربات لاشتمالها على شتى الاجناس والاقوام ، بينهم من الاحن والفارقات ما ليس يصلح معه نظام الحرية ولا تستقر عليه قواعد الحكومة النيابية .

فاذا انتقلنا من الغرب الى الشرق فاقرب الامثلة أمامنا تركيا وايران ، وكلتاهما كانت تشكو من العسر والقلق والاختلاف بين القديم والحديث واختلال الامور بعد الحرب العظمى مما يهيىء الطريق لقيام الحاكم « الدكتاتور » .

وكلتاهما لم تكن على حالة من الحرية الصحيحة ، فانتقلت منها الى فقد الحرية وتوطيد الاستبداد بل قصارى الامر فيهما انهما انتقلتا من استبداد عقيم الى استبداد مثمر ، ومن طريق الرجعة الى طريق التقدم، فهما الان اشبه بالديمقراطية مما كانتا قبل قيام الحكومة الدكتاتورية ، ولولا مصطفى كمال ورضا بهلوي ، لنقص من اركان الحكومة الجديدة في هاتين الامتين شيء كثير .

والان نعيد سؤالنا : هل تقوم في بلاد الشرق الادنى دكتاتورية على مثال الحكومات التي من هذا القبيل في الامم الغربية العاثرة ؟

والجواب السريع ان المقدمات اذا تشابهت فالنتائج تتشابه لا محالة ، وان العوامل التي اقامت تلك الحكومات المستبدة يمكن ان تقيمها عندنا اذا تكررت على هذا المنوال في بلادنا الشرقية .

ولكن الامر المشكوك فيه ، هو تكرار هذه العوامل في بلادنا لاختلاف السوابق التاريخية والبواعث العصرية والامال في المستقبل .

فاذا تقلبت الاطوار في بلادنا الشرقية تقلبا يلائم الدعوات الاجتماعية المتطرفة ، فالرجح أن هذه الدعوات الاجتماعية المتطرفة تكون قد فشلت في ذلك الحين حيث ظهرت في البلاد الغربية ، فيؤدي فشلها

هناك الى ضعفها وقلة الاصدقاء اليها بيننا .

وقد رأينا ان الدكتاتورية لابد لها من دكتاتورين متصلين بدعوة وجهاد ، فاذا وجد الدكتاتورون عندنا فما هي الدعوة التي يستندون اليها ؟

الرجعة الى القديم مستحيلة كل الاستحالة لاننا رأينا جميع الحاكمين بأمرهم في الغرب والشرق يهجرون القديم ، ويقيمون شعائرهم على وجهة جديدة . فهتلر وموسوليني وستالين مغضوب عليهم جميعا من كهان العقائد القديمة ، ومصطفى كمال ورضا بهلوي لا يرجعان الى الوراء بل ينطلقان في طريق يسميانه طريق التقدم والارتقاء، وهو على كل حال ليس بطريق الشاهات والسلاطين والخلفاء .

فاذا كانت الدعوة التي يستند اليها الدكتاتور الشرقي عند وجوده بعيدة عن الحركات الاجتماعية المتطرفة وبعيدة عن الرجعة الى القديم فماذا عسى أن تكون ؟

أتراها تكون « عصبية وطنية » عمياء وحماسة قومية هوجاء ؟

هذه العصبيات لا توجد الا في امة مظلومة مهزومة مهددة في أرزاقها ، اما الامم التي لا تشعر بكظم الهزيمة والاهانة والجهاد المكبوت ، فهي كذلك لا تشعر بالمرارة التي تخلق العصبية العمياء والحماسة الهوجاء، ولا سيما اذا تيسر لها الرزق ، وسلمت من الفوارق الاجتماعية التي تجعل ندرة الارزاق عند بعض الناس مسألة طائفية او حربا كحرب الطبقات المعهودة عند جماعة الاشتراكيين .

فنحن لا نبصر امامنا الان دعوة صالحة لقيام الدكتاتور ، ولا نبصر امامنا الان في امة من امم الشرق « المتطورة » دكتاتورا متصلا بدعوة ناجحة ، يمكن ان تغلب في المستقبل على غيرها من الدعوات .

ليست امامنا اشتراكية يرجى لها النجاح .

وليست امامنا رجعة الى القديم يرجى لها النجاح .

وليست امامنا هزيمة مهينة تحيي في النفوس مرارة العصبية العمياء .

فالدكتاتورية اذا قامت في بلادنا الشرقية لم تقم على اساس وطيد ، واوشك ان يبادر اليها التقويض قبل ان تفرغ من البناء .

وكل تطور في احوالنا يرجى ان يقربنا الى الديمقراطية ولا يخشى ان يقربنا من الدكتاتورية ، وتضاف الى عواملنا الداخلية في هذه المسألة عوامل السياسة الخارجية التي نحن مرتبطون بها ، فان بلاد الشرق الادنى من افريقيا وآسيا موصولة الاسباب بالدولتين الديمقراطيتين بريطانيا العظمى وفرنسا ، وتقضي هذه الصلة بتشابه في النظم الحكومية لا تشذ عنه الا اذا وقع الشذوذ في شعوب تينك الدولتين ، ودون ذلك حجاب من الغيب يخطئه الحسبان والتخمين .

قلنا فيما سبق اننا لا نبصر امامنا امة من امم الشرق « المتطورة » فيها رجل مرشح للدكتاتورية .

فالذي نعنيه « بالمتطورة » كل امة فارقت بساطة البداوة . فاما اذا ركبت طريق التطور فعند ذلك تختلف الاحكام .

ان الدكتاتورية لن تنجح في بلادنا الشرقية الا اذا احتاجت بلادنا الشرقية اليها ، ونحن حتى الساعة لا نرى حاجة لهذه البلاد ليست مكفولة التحقيق على ايدي الحكومات الديمقراطية ●

عينان

شعر: محمد طنطاوي

لا .. لن أقول ما هما ما السر فيهما بدا
لو كنت أدري ما هُمَا لما بكيت كالندى
وما جريت خلفهما وحدى ألملم الصدى
وما أبحرت ظامئا وما سهرت ساهدا
ودعتهما بالأمس لكن انتظرتهما غدا
لا .. لن أقول « طائِران هاجرا » .. وغرّدا
لأن طيرى الأليف لا يغادر المدى
ألقت به الأيام عند ليل غربتى هدى
ينساب فوق نهر العمر هائما .. مغرّدا
يشدو له نشيد الحب موعدا .. فموعدا
لا .. لن أقول ما هما فالصبح فيهما شفق
والليل عانق السنا والنور صافح الغسق
والعشب بات ناعسا والصمت فيهما ائتلق
والفرح طائر بهما يرتاد قبة الأفق
والسحر راقص الشذى الله .. الله يا عبق
والمجد فى لحظيهما صلّى لروعة الألق
أهدابهما تقتات قلبى المجنح النزق
إن كان فى بحارها سر يثقال للورق
كتبت سرها هنا لكن سرها غرق
لو أبكم رأى عينيك يا حبيبتى ... نطق

أســرة صغيــرة

من أجل مستقبل أفضل!

■ عندما تفكر الامم فى الانطلاق نحو بناء الاقتصاد الذى يوفر الرخاء والرفاهية للانسان داخلها ، فان منطلقها الى ذلك دائما .. هو الانسان .. والانسان فى المجتمعات الحديثة والمتطورة ليس عددا أو رقما يضاف الى ارقام دخلها ، وانما الانسان الذى يصنع التقدم الحضارى ويضاف الى حصيلة الدخل ، هو انسان يتميز بمجموعة من الاشياء .. ما يتمتع به هذا الانسان من خدمات صحية وتعليمية وثقافية وترفيهية تجعله انسانا منتجا يضاف انتاجه الى رصيد امته فيرتفع بذلك مستوى الدخل العام للدولة ..

والدول المتقدمة ، هى الدول التى يتمتع الانسان فيها بحق العمل المنتج الذى يتيح له أن يعيش حياته آمنا على يومه وغده .

أما الدول النامية أو المتخلفة ، فهى التى تتزايد أعداد سكانها تزايدا لا يقابله زيادة فى الانتاج فيصبح تعداد السكان فيها شيئا يشكل تهديدا للمستوى الذى يعيش فيه السكان .. ويتكاثر عدد الاطفال غير المرغوب فيهم ، سواء على مستوى الاسرة أو الدولة التى تعانى من تزايد السكان والافراد الذين لا يجدون فرصة العمل ..!

ومصر .. هى احدى الدول النامية التى تعانى من الزيادة السكانية التى تبتلع كل أحلام الرخاء والامل فى المستقبل المشرق وقد أثبتت الدراسات والاحصاءات الاخيرة أن متوسط عدد الافراد فى الاسرة المصرية هو ٤ر٥ أطفال للاسرة .. وهذا العدد يشكل عبئا ثقيلا على خطط التنمية فى مصر .. فاذا كانت الاعداد المطلوبة من فرص العمل سنة ١٩٧٦ هو ١١ر٦ مليون فرصة عمل فان المطلوب سنة ٢٠٠٠ مثلا ٢٤ر١ مليون .. أما سنة ٢٠٢٥ فان المطلوب سيصبح ٣ر٥٢ مليون فرصة عمل ..

ان هذا الرقم يشكل عبئا على المسئول المصرى الذى يتحمل سلطة القرار والاشراف على صنع حياة أفضل للاجيال القادمة

هذا الرقم من الملايين القادرين على الانتاج يحتاج بالضرورة الى اجهزة للتدريب والتعليم والتثقيف حتى يكون عمالة ماهرة قادرة على العمل والانتاج .. كما يحتاج الى رؤوس الاموال التى توفر له فرص العمل .. فاذا كانت البلاد فى مرحلة النمو والبناء وتعانى من قلة رؤوس الاموال .. فان المستقبل يصبح أكثر اظلاما مما هو عليه الآن .

● المشكلة والحل ●

واذا كانت هذه هي المشكلة .. وهذا حجمها .. فهل نستسلم لهذا الواقع ونترك الامور تجرى فى اعنتها ام ان هناك حلولا يمكن عن طريقها ان يكون الغد اكثر اشراقا ؟ نعم .. الحل موجود ولكنه يحتاج الى تضافر كل الجهود من اجل الوصول اليه .. الحل موجود نعم .. ولكنه يحتاج

الى توعية الجماهير العريضة صاحبة المصلحة فى الغد الاكثر امانا وذلك يحتاج الى جهود رجال الدين فى كل مسجد ... رجال الفكر والاعلام فى كل موقع تاثير جماهيرى .. الاجهزة الشعبية فى كل مكان .. رجال التربية والتعليم وما يمثلونه بالنسبة لجماهير الشعب .

ان توعية الشعب بكل فئاته ورفع المستوى الثقافى والصحى والاجتماعى هو الضمان لنجاح تنظيم الاسرة واقناع الشعب به حتى نصل فى النهاية الى رفع مستوى التنمية فنصنع بذلك المستقبل المشرق الذى يحمل الامان والضمان للاجيال القادمة .

● اسرة صغيرة .. ومستقبل افضل ●

ان نظرة على الارقام تعطينا الدليل على اننا نملك بايدينا مقومات النجاح فى صنع الغد المشرق .. فقط ان تخلص النوايا وان تتضافر الجهود .

لو اننا استطعنا ان نصل بمتوسط عدد الاطفال فى الاسرة الى ٣ اطفال .. وهذا شىء سهل الوصول اليه لاصبح تعداد فرص العمل التى نحتاج اليها عام ٢٠٠٠، ٢٣٫٧ مليون فرصة عمل وفى عام ٢٠٢٥ كانت فرص العمل المطلوبة هى ٣٨٫٥ مليون فرصة عمل ..

هذا هو حديث الارقام .. اى اننا لو خفضنا عدد الاطفال فى الاسرة من ٤٫٩ افراد الى ٣ افراد لقل العبء على صانع القرار وانخفض عدد فرص العمل المطلوبة من ٥٣٫٣ الى ٣٨٫٥ عام ٢٠٢٥ اى ١٤٫٨ مليون فرصة عمل .. وبالتالى تستطيع الدولة ان توفر لهذه الملايين فرص العمل الحقيقية بعناء اقل ورؤوس اموال اقل مما يجعلها تتمكن من الوفاء بمتطلبات التنمية والرخاء .

● غد .. اكثر اشراقا ●

واذا كانت هذه الارقام تقول ان التنمية تصبح شيئا ممكنا فى ظل تنظيم الاسرة اذا وصلنا بمعدل الاطفال فى الاسرة الى ٣ اطفال فربما ان غدا اكثر اشراقا يمكننا الوصول اليه لو وصلنا بمتوسط الاطفال فى الاسرة الى طفلين .. ان نظرة الى الارقام تقول ان تعداد الذين سيحتاجون الى العمل فى هذه الحالة سيكونون سنة ٢٠٠٠، ٢٣٫٥ بينما سيصل الرقم سنة ٢٠٢٥ الى ٢٣٫٣ مليونا .

وبذلك تصبح احلام الرخاء شيئا سهلا ميسورا .. فقط لو احسنا الاختيار وعقدنا العزم وبذلنا الجهد ..

فقط لو اننا جميعا تكاتفنا ووحدنا الكلمة واستطعنا ان نقنع الانسان فى كل مكان .. فى القرية .. فى المصنع .. فى العاصمة بان المستقبل المشرق يحتاج فقط الى اسرة صغيرة العدد .

فكرى عبد المهيمن



معرض "العنقاء"

وتحليق الفنان: عمر النجدى

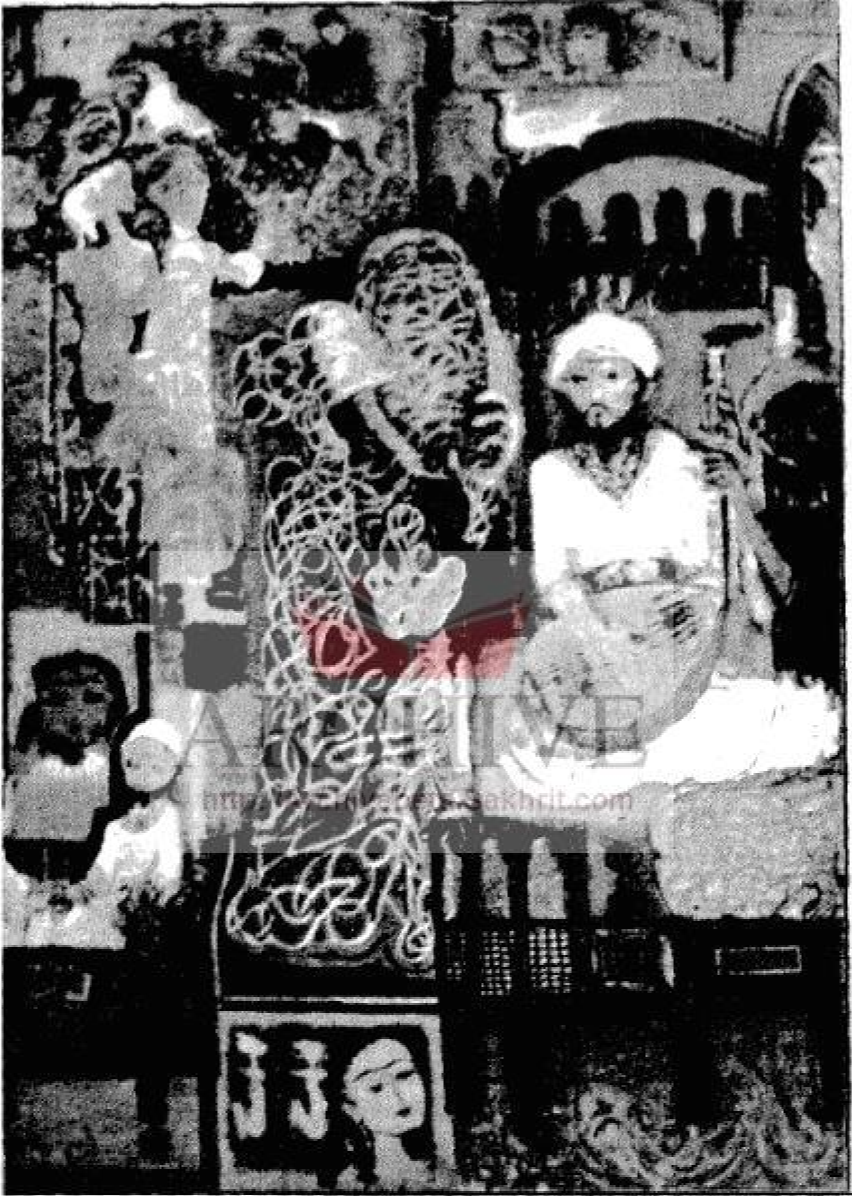
يكتبه: محمد قنديل



■ « ايها القارىء المشاهد » لصفتى واعمالى .. هل اعجبك رسم طائرى الخراف .. صورته ليست بصورة ، ووصفه ليس بجزاف ، طائرى دائب الحركة .. والتكوير من صلة الخلود .. اجسام راقدة بالليل لا يحدها زمن ومكان تملأ الفراغ .. لا فراغ فى الكون ..

أتربة اجسادنا ملونة، صارت صلصالا،
امهاتنا الاربعة فيها مجتمعة الاوصال،
سارت ذاتى من ذاته .
تنطلق من آفاق هذه العنقاء .
اعمالى التى امامك دائبة الحركة فى النفوس
تحفر لها بيوتا .. ذلك هو الحدوث

بهذه الصورة الشاعرية قدم الفنان معرضه ليعكس خلاصة تجربته الفنية من خلال فلسفته والتى حاول ان يجسدها فى هذه الاعمال المتنوعة حيث عرض مجموعة كبيرة من اللوحات استوحى فيها الحروف والأرقام العربية فى تكويناتاقرب ما تكون الى الاشكال الهندسية من داخل معادلات رياضية ، قام عقل الفنان الواعى بالدور الرئيسى فيها مع محاولة لتغليفها برؤيا « ميتافيزيقية » لاكساب اللوحة بعدا جديدا اضافة الى بعدى الصورة .



احدى لوحات المرحلة التشخيصية التي ضمها معرض الفنان



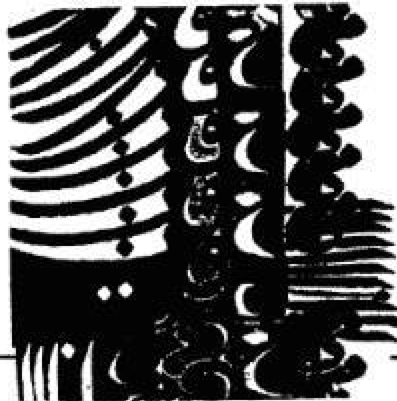
وذلك أيضا بالاستعانة بهـــذه الكتابات للتأثير على عقل المشاهد .

وكان يمكن للمشاهد ان ينطلق الى ابعد مما تصور الفنان .. لو انه ترك لخياله الفنان ولم يقيده ويفرض عليـــه زاوية معينة لرؤية الاشكال . حتى يستخلص من خلال اللوحة ، القيمة الروحيـــة المنعكسة من العمل ذاته .

قال الفنان « سعيد العدوى » .. أن الخط العربي لهو اصـــدق دليل على مزاجنا وذوقنا وابعاد حضارتنا العربية .. انني ارى ان في كل حرف من حروفه تلخيصا لمنهج فكرى » ، آن القيمـــة الحقيقية تنبع من خلال الشكل وليست من خارجه ..

آن استعادة الفنانين التشكيليين لحروف اللغة داخل التشكيل .. اصبح الآن موجة عارمة تجتاح رؤيا الفنانين المعـــاصرين ليس في مصر ولكن في العالم العـــربي جميعه من اول بلاد المغرب حتى العراق .

وذلك من خلال تصور عام بان الحرف العربي يمكن ان يكون بديلا لاتجـــاهات التجريد المعاصر الذى رفضته الجماهير



والتى لا تعبر من حضارتها ولا فلسفتها التى استمدتها خلال آلاف السنين ..

لقد حشد الفنان عمر النجدى عددا كبيرا من اللوحات التى تمثل مراحـــل مختلفة لابداعه الفنى . كما قدم اعماله في النحت والخزف ، التى اثارت وشدت انتباه المشاهدين .

وكان من اهم هذه القطع التى استخدم فيها النحاس المطروق والمطعم ببعـــض الخـامات الاخـــرى . وهى تعكس نفس الرؤيا التى عالجها بالتصوير . فالاشكال مستمدة من التراث الاسلامى مثل الاهلة وشواهد المآذن والقباب يحيط بها رسوم هندسية وحروف وآيات قرآنية . ولقد ابدع في استغلال الالوان الطبيعية لهذه الخامات المختلفة وعلاقتها بالشكل العام الذى ينتصب في صرحية وشموخ ..

اما الخزف فلقد اكتسى أيضا بنفس الزخارف والوحدات الاسلامية .. ولم يكن الاهتمام بشكل الاناء في حد ذاتـــه .. مما يضعه في اطار الشكل التقليدى للاناء .. ولا يضيف جـــديدا الى فن الخزف ..

نستطيع أن نقول آن المعرض قد نجح جماهيريا وان الفنان استعرض به كـــل امكانياته في مجالات الفن المختلفـــة من تصوير ونحت وخزف وحفر .. وقـــدم الفنان نفسه بشمولية استعراضية كاملة .

والفنان عمر النجدى كان في غنى عن التعريف بنفسه بهذه الصـــورة ، وكان ينبغى ان يقدم لنا مجالا واحدا يحتوى على رؤيا متطورة تضيف عمقا جـــديدا لتاريخه الحافل بالبحث والتجديد ●



الجائزه الاولى فى مسابقة الرسم للفنـــان محمـــد شـــاكر ..

أخبــار فنــيــة

●● من الاثنين ٢٤ مايو الى ٣ يونيو، يقام معرض لاعمال الفنان الشباب محمد الناصر احمد بالمركز المصرى للتعـــاون الثقافى الدولى بالزمالك.. يعرض الفنان اعماله فى التصوير الزيتى .

●● افتتح د. مصطفى عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة ومدير المركز القومى للفنون معرض مسابقة الرسم « الذى اليم بمتحف الفن الحديث بالدقى » وقد فاز بالجائزة الاولى الفنان محمد شــاكر وبالجائزة الثانية الفنان سيد سعد الدين، كما فاز بالجائزة الثالثة الفنان احمد نوار، واعطيت جوائز استحقاق لفنانين آخرين منهم الفنان فاروق وهبة، » السالى فاز من قبل بالجائزة الاولى فى مـــسابقة تصميم اعلان مسابقة الرسم .

●● اقام الفنان احمد فؤاد سليم معرضا لاعماله فى التصوير والتى اتسمت منذ فترة طويلة بتطويع الخط العربى وصياغته فى علاقات جمالية جديدة . وقد امتلات قاعات اخناتون الثلاث بالاعمال التى انجزت فى الفترة من ٧٩ : ٨٢ . كانت فكرة اقامة هذا المعرض بعــد الازمة التى المت بالفنان والتى احترق فيهــا منزله بالكامل ..



● شجاعة !

دخل اعرابي على « يزيد بن المهلب » وهو مضطجع على فراشه والناس جالسون حوله ، فقال : « كيف اصبح الامير ؟ » فقال يزيد : « كما تحب » . فقال الاعرابي : « لو كنت كما احب .. كنت انت مكاني وانا مكانك ! » فضحك يزيد ...



الفكر الاجتماعى فى أفلام فاتن حمامة

يكتبه : حلمى سالم



فاتن : فى فيلم « الحرام » الذى كتب قصة د . يوسف ادريس ●

الفكر يبحث دائما عن شكل فني لتوصيل فكره ، لانه لا يستطيع توصيل فكره عن طريق آخر . وقد يكون هذا الشكل في صورة مقال ، او بحث ، وقد ياخذ شكلا روائيا او قصصيا او مسرحيا ، كما عند سارتر ، او كامو ، او ميللر . غير ان الفكر لم يأخذ شكلا سينمائيا مباشرا ، فنحن لم نعرف مفكرا كبيرا كتب للسينما مباشرة ، وان كان الفكر نفسه قد انتقل الى السينما مستخدما قالبها الفني ، حتى يصل الى عدد اكبر من الناس . بوصف السينما هي اكثر اشكال الفنون جماهيرية . وفي السينما المصرية ، لم يظهر الفكر ، الا من خلال اعمال الادباء . امثال نجيب محفوظ ، او ادريس ، او عبد القدوس ، او السباعي او غيرهم ، واذا كان هذا الفكر مقصودا لذاته عندهم فانه في السينما ينال مكانه عند اهلها من خلال « الحدوتة » نفسها ، دون اهمية كبيرة للفكر نفسه ، ولذلك ، يختلف الفيلم في السينما المصرية كثيرا عن العمل الادبي الذي يحمل فكر صاحبه .



● لقطة حرة ، لفاتن على شاطىء البحر الاحمر ، تصطاد السمك ●



اللهم الا عند مخرج مثل يوسف شاهين ، عندما قـدم فيلم « الارض » مثلا ، او « عودة الابن الضال » او « اسـكندرية ليه » .

والغريب ان السينما المصرية اعتمدت على الفكر الاجتماعى بالذات ، فى بدايتها عندما قدمت قصة « زينب » ، مرة ايام السينما الصامتة ، ومرة أيام الناطقة . وقد يكون ذلك لفكر كمال سليم نفسه ، الذى ارتبطت اعماله السينمائية كلها ، بالواقع المصرى ، وان كانت لم تلمع ، غير أن البداية هى فكر «الدكتور محمد حسين هيكل » صاحب الرواية .

ان المتامل للفكر الاجتماعى فى السينما المصرية يمكن ان يرى انه فكر غير موجود فيها ، كفكر خاص بها ، انه موجود من خلال الاعمال الادبية فقط ، ولذلك ، فهو ليس فكرها ، بقدر ما هو فكر الآخرين .

ونحن مثلا عندما نتامل اعمال فاتن حمامة السينمائية والتى اهتمت بالفكر الاجتماعى بالذات لا نستطيع ان نقول ان ذلك نبع من كون فاتن حمامه لها اهتمام خاص بحركة المجتمع بل لان الحدوتة الادبية اعجبت منتجا ما ، او مخرجا ، ثم اعجب الدور فاتن حمامه بعد ذلك ، فقدمته ، ونحن نستطيع ان نتوقف امام عدد من افلامها التى اهتمت بالفكر الاجتماعى المصرى ، قدمتها بحدسها الفنى ، وليس باقتناعها الفكرى

● «الحرام» ، قصة د . يوسف ادريس واخراج بركات . وهى قصة عمال التراحيل الكادحين خلف لقمة العيش بلا ضمان .

ويوسف ادريس يطـرح من خـلال « الحرام » قضية الفئات الفقيرة وفى نفس الوقت أيضا يضرب يوسف ادريس مثالا لصفاء تلك الطبقات الفقيرة ، وحرص افرادها بعضهم على بعض . ان يوسف ادريس يقـول ، انه من الضرورى عدالة توزيع الثروة ، حتى يمكـن أن تتحقـق الضمانات لهذه الطبقات الكادحة .

● « دعاء الكروان » ، قصة طه حسين ، وهى تعرض نفس القضية ، قضية الطبقة التى تلهو بالطبقة الفقيرة ، وتعتدى عليها من خلال المهنـدس ، الذى يعتـدى على خادمته ، فتدخل اختها فى خدمته ، لتنتقم منه ، فتقع فى حبه ، ان طه حسين يحل القضية بالحب ، وحتى عندما لجأ الى القتل ، لم يكن من أجل انتصار الطبقة الفقيرة ، انه من اجل الحفاظ عليها فقط . فى الوقت الذى يترك فيه يوسف ادريس ، القضية مطروحة ، للحل .

● « اريد حلا » . وهى قضية ضياع المرأة بين حقها ، وقـوانين الدولة ، تلك القوانين المقيـدة التى تجعلها تصرخ فى النهـاية لانها بلا حل ، وهى قضـية



مع عماد حمـدى
فى فيلم بين الاطلال



● مع عزت العلايلى فى فيلم « لا أريد حلا » ، الذى يثير قضية اجتماعية ●

اجتماعية ، حلها ليس فى القوانين ، بقدر ما هو فى الضمير الإنسانى نفسه .

● « امبراطورية ميم » : قضية الأم .. هل من حقها أن تتزوج ما دام زوجها قد خرج من حياتها ، بالموت ، أو الطلاق ! وهى قضية الأجيال الجديدة التى تقسوم بالحكم ما دامت الأجيال السابقة تعطيها هذا الحق . وهى تحكم من خلال عواطفها .

● « صراع فى الوادى » هى نفسها قضية الصراع بين الفئات الجديدة التى تريد أن تتقدم ، والاقطاع الذى يملك الارض الزراعية وان كان الفيلم يضع حلا للقضية عن طريق الحب .

● « لا وقت للحب » قضية الانتماء الى الوطن . ونسيان كل شىء فى سبيل الدفاع عنه ، وفى الفيلم يختلط الحب الخاص بالحب العام . حب البطلة للبطل، من خلال حبه هو للوطن ودفاعه عنه .

● « الطريق المسدود » . هى تقريبا نفس القضية ، الدفاع من أجل الوطن . والانتماء الى جمعيات سرية ، تعمل من أجل الخلاص من المستعمر .

● كلمة أخيرة ●

اذا كانت هذه نماذج فقط من أفلام فاتن حمامة ، تقول أن الفكر الاجتماعى موجود فى السينما المصرية ، فان المؤكد أن الفكر الاجتماعى ، كان نوعا من الاستغلال، لجلب المتفرج ، انه مراقبة الد الاجتماعى لمعرفة اتجاه الريح وكسبه ، والدليل بأن ربط هذه الافلام ، بسنوات انتاجها ، تؤكد انها كانت نوعا من الاستغلال الوجدانى فعلا . فلم يظهر تيار فكرى حقيقى فى السينما المصرية يدعو الى شىء مخلص . اللهم الا بعض فلتات لا تستطيع أن تقول أنها تمثل فكرا اجتماعيا حقيقيا . بل كان اما نفاقا . أو استغلالا .. وفاتن حمامة ليست مدانة فى انها لا تملك خطا فكريا تدافع فيه عن قضيتها الفكرية ، لان السينما المصرية ذاتها ، لا تملك الفكر الذى تدافع عنه ●



فضيحة فى التليفزيون الأمريكى والسبب إمرأة تدعى جولدا



رسالة خاصة بالهلال من الولايات المتحدة

■ بدأ تليفزيون مدينة دنفر بولاية كلورادو الامريكية عرض المسلسل الفيلمى الجديد « جولدا » الذى يقدم فترة من حياة جولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل السابقة منذ كانت فى سن الاربعين حتى ماتت وقد جاوزت الثمانين وانتهت حياتها السياسية بهزيمتها فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

وقد عرض المسلسل بضجة اعلامية كبيرة سبقت اذاعته وجعلت « اللوبى » الصهيونى يضغط على الرأى العام لكى يتابع هذا المسلسل الذى وفرت له جماعات الضغط الصهيونية كل أدوات ووسائل التأثير الثقافى والفنى عند عرضه الاول فى شبكة تليفزيون دنفر وقبل ان يعرض فى بقية الشبكات التليفزيونية فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتمضى مبالغات جماعات الضغط الفنية الصهيونية تصاحب عرض المسلسل الفيلمى جولدا وتمهد لعرضه خارج الولايات المتحدة فى الاقطار والعواصم التى تملك الصهيونية العالمية قدرات التأثير فيها .. ومن بين مايذكره المشاهد الامريكى من عبارات تصاحب التنويه عن عرض الفيلم التليفزيونى جولدا تلك العبارات التى تتردد ايضا مكتوبة فى الصحف والمجلات كان نسمع ونقرا ان مسز مائير كانت امراة شريفة لكلمتها وزنها واحترامها ! وانها كانت امراة رقيقة ! وانها ظلت امراة بسيطة حتى آخر العمر بل انها ايضا صاحبة دعابة قويه ..

وتمضى مبالغات الوصف التى لم تترك ميزة الا واطلقتها على السيدة مائير قائلة ان جولدا مايير كانت جياشة العواطف وان قلبها كان ينبض دائما بالحب الدفين وكانت تفترض ان كل جندى يسقط فى



انجريد برجمان في دور جولدا



المعارك هو ابنها الذي تحزن لفراقه .

ويقع الاختيار على ممثله لها سمعة طيبة ورصيد جماهيرى كبير لكى تمثل مرحلة العمر المؤثر في تاريخ جولدا مائير ويقع الاختيار الذى لم يكن فقط اختيار الشركة المنتجة والعناصر الفنية المشاركة فى العمل على انجريد برجمان التى والقت المنظمات الصهيونية ايضا على ترشيحها للدور الذى قضى على صحتها وزاد من آلام السرطان التى تعانى منها بسبب الجهد الشاق الذى بذلته فى التحضير للدور وبسبب التوتر المحيط بالشخصية التى تمثلها والرفض الذى يواجه هذه الشخصية بقوة تزيد عن قوة تأثير جماعات الضغط الصهيونية التي تريد ان تعطى تأثيرا فى المشاهد من خلال انجريد برجمان يقول ان شخصية جولدا مايير لها ايضا الحضور المعنوى والرمز الوطنى الذى تمثله شخصية جان دارك فى الوجدان الغربي وهى شخصية قدمتها انجريد برجمان فى بداية نشاطاتها الفنية .

ويتعرض المسلسل الفيلمي « جولدا » لحياة جولدا مايير التى تعتبرها الحركة الصهيونية العالمية من أوائل مؤسسيها وواضعى حجر أساس دولتها ورسم مخططات

انجريد بمكياج فيلم جولدا





الانتشار الصهيوني في العالم .

تقول احداث المسلسل الفيلمي «جولدا» انها ولدت في ٣ مايو ١٨٩٨ ولهذا عرضوا الحلقات مع حلول ذكرى ميلادها الخامس والثمانين .. وقد ولدت جولدا مايير في مدينة كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا في الاتحاد السوفييتي في فترة كان اليهود يعانون من موجات الضغط في روسيا القيصرية مما دعا والديها للهجرة الى الولايات الامريكية واستقر بهما المقام في ولاية « وسكونس » ، وكانت حرفة الاب التجارة وحرفة الام البيع في متجر للبقالة والاطعمة

انجريد بدون ماكياج



وعندما انتهت جولدا من التعليم الابتدائي التحقت بمدرسة المعلمات في مدينة ميلووكي ثم حصلت على دبلوم التخرج فاشتغلت بالتدريس وسافرت للعمل في مدينة شيكاغو حيث تعرفت بموريس مايير سون الذي احبته وحملت اسمه وتعمقت في افكاره الصهيونية قبل ان تصبح زوجة له تهاجر معه الى فلسطين حيث كانت اقامتها في مستوطنة « مرهافيا » اول الكيبوتزات التي اقامها الصهاينة في الارض العربية بعد صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧ .

ويتعرض المسلسل لرحلة جولدا وموريس مايير الى فلسطين فقد وصلوا اليها عبر الاطلنطي بالبواخر من نيويورك الى ميناء نابولي الايطالي ثم سافروا بالبحر الى الاسكندرية حيث استضافتهما اسرة يهودية ثم استقلا القطار الذي كان يسمى « قطار فلسطين » حتى مدينة القدس التي كانت اول عبارات جولدا عند وصولها اليها : « الان وجدت نفسي بعد سنوات البحث عنها في مدينة دنفر وانا ادرس اللغة العبرية التي تختلف عن لغة يهود روسيا «اليديش» ويشرح الفيلم الامريكي التليفزيوني كيف بدات مكونات الزعامة الصهيونية تظهر على فكر جولدا مايير وكيف خططت لهذا الدور في حياتها وفي حياة اول نظام للدولة الصهيونية وفي مراحل التمهيد لانشائها ، وكان فكر الصهيونية في تلك الفترة من العشرينات يرى ان مبدأ العمل اليدوي هو اساس الانضمام الى مستعمرات الشباب الصهيونية وبعد عام من النشاط في مستعمرة « مرهافيا » تصبح جولدا مايير مندوبة الكيبوتز في اجتماع الهستدروت اي اتحاد العمال الصهاينة وتنتقل بعد ذلك مع زوجها الى تل ابيب حيث تتفرغ للاعمال الادارية وتصبح سكرتيرة مجلس المراة العاملة في عام ١٩٢٨ .

وبعد شهرتها في فلسطين تنتدب للعمل





انجريد برجمان فى شبابها

فى منظمة طلائع المرأة الصهيونية فى نيويورك حيث تجمع بين خبرة العمل فى فلسطين وخبرة العمل الدولى فى مجالات المخططات الصهيونية .

وبعد نجاح النازى فى الوصول الى الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ تعود جولدا مايير الى فلسطين فى عام ١٩٣٤ لاستقبال النازحين اليهود من أوربا وتصبح عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للهستدروت مع ديفيد بن جوريون وموسى شرتوك واليعازر كابلان وبنحاس لافون وزالمان شازار وغيرهم من أعمدة الصهاينة فى فلسطين .

ومع استعداد بريطانيا وكان لها وضع الانتداب على فلسطين للدخول مع الحلفاء فى حرب مع المحور بدأ تضييق الهجرة اليهودية الى فلسطين وبدا دور جولدا مايير فى انشاء ميناء يستقبل القادمين من أوربا جنوب غرب تل أبيب كان تمويل انشائه من التبرعات التى جمعتها ماير من يهود الولايات المتحدة .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية العمل السرى والعلنى للصهيونية فى فلسطين يتم القبض على زعيمهم موسى شرتوك رئيس المكتب السياسى للوكالة اليهودية وتتولى جولدا مايير منصبه بالنيابة لان بن جوريون كان غائبا فى باريس وكان المحك فى الاختيار الثقافة الجامعية لموسى شرتوك وبن جوريون بينما كانت ثقافة جولدا مايير ثقافة متوسطة لكن هذا التفكير ينتهى مع صلابة الفكر الصهيونى لدى جولدا مايير التى ترشح بعد انشاء دولة اسرائيل وتقسيم فلسطين فى عام ١٩٤٨ لاكثر من منصب وزارة وتصل الى منصب رئيسة الحكومة وزعيمة حزب العمل الاسرائيلى وتنتهى حياتها السياسية مع انتصارات الانسان العربى فى حرب رمضان « اكتوبر ١٩٧٣ » ويظل وجود مايير على المسرح السياسى رمزا للرعيل الاول من الحرس القديم للحركة الصهيونية العالمية

ن اوائل من استقروا فى فلسطين وحتى رحيلها عن الحياة وهى تتجاوز الثمانين .

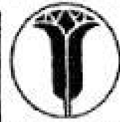
وعلى الرغم من ان انجريد برجمان فى سن الستين فقط الا ان اصـــابتها بنفس داء السرطان الذى اجهز على جولدا مايير جعل بعض الاقلام تقول عنهـــا بعد انتهائها من تمثيل شخصية جولدا مايير انها تعرضت للعنة التى اصابتها فقد داهمها نفس المرض ولمير ملامحها الجميلة وجعلها عجوزا منهكة رغم اعوام عمرها التى تقل عشرين عاما عن عمر مائير فى الفترة التى تمثل حياتها فى اخريات أيامها . وهى حياة تختلف بالقطع عن نشـــاة وتطور ممثلة دورها النجمة انجريد برجمان التى تشـــات فى أسرة مسيحية متدينة ملتصقة بالارض فى شمال السويد ، وكان والدها سويديا اما والدتها لكانت المانيـــة رحلت عن الحيـــاة وابنتها انجريد برجمان لم تتجاوز العامين ومن هنا كان تفرغ والدها الرسام الفلاح لتربيتها حتى عشـــقت المسرح والتحقت باكاديمية التمثيل فى استكهولم حتى اكتشـــفتها هوليود ومثلت افلامها الناجحة جمـاهيريا قبل أن تجمع هذا النجاح مع النجاح الفنى فى اعمال المخرج الايطالى روبرتو روسيلينى الذى تزوجته بعد طلاقها من زوجها الاول ثم كان انفصالها وتفرغها لفن التمثيل الذى كان من ابرز لمسراته اللامه مع المخرجين بلزاك ولوسيليش وانجبار برجمان ثم ياتى دورها التليفزيونى « جولدا » الذى يتصور المتشائمون انه اخر اعمالها والذى قالت هى عنه فى مجلة « يو . اس . تى . فى » « عندما عدت الى صديقتى القديمة الكاميرا احسست وانا اتقمص شخصية جولدا مايير ان كل اليهود وكذلك الناس فى اسرائيل سوف يعرفون اكثر وسوف يفهمون اكثر من هى جولدا مايير » وتصور بعض النقاد الصهاينة ان ماتقوله انجريد برجمان ليس اطراء فى فهم الصهاينة لشخصية جولدا مايير فهاجمها بحدة فى مجلة «دنفر بوست»

بينمـــا قال ناقد اخر اكثر حيادا فى صحيفة « ســـتار » التى تصدر فى ولاية كلورادو ان الدور لايضيف شيئا الى انجريد برجمان التى سبق حصولها على ثلاث جوائز للاوسكار لايضيف اليها كثيرا ان تحصـــل الممثلة المريضة بالسرطان على اجر كبير فى المسلسل الفيلمى وطوله خمس ساعات تكلف ثمانية ملايين دولار وهو دور تمثله النجمة المريضة التى تجاوزت الستين بعـــد ثلاث سنوات من الابتعاد والرفض والاحتجاب

ويقول كلارك سيرست محرر باب راديو وتليفزيون فى « دنفر بوست » ان انجريد برجمان قالت له انهم عندما عرضوا عليها دور جولدا مايير تصورت ان المنتج اصابه الجنون ، لاننى لا اشبهها ، كما اننى لست يهودية ولا أبدو كذلك .. لكننى مع دراستى للشخصية ومع خضـــوعى لاوامر الماكيير احســـست اننى نجحت فى تقمص الدور وتقـــديم الشـــخصية بالمفهوم الذى اجتهد السيناريست فى رسمه ومن خلال المفهوم الذى حرص المخرج على تأكيده ..

ومع تضارب الاراء فى مستوى المسلسل الفيلمى التليفزيونى ومدى النظرة العيادية فيه ثم الراى فى تقمص انجريد برجمان لدور جولدا مائير تختتم النجمة التى خرجت لتوها من المستشفى فى اعقاب جراحة خطيرة المناقشات التى تدور الان فى دنفر وربمـــا تشـــتعل اكثر عند العرض فى الولايات الامريكية الاخرى وخارج الولايات المتحـدة بقولها : « النتيجـــة اننى احب عملى .. لا اعرف هل كان تعبيرى على صواب أم لا لكنى قدمت ما احس انه كذلك وربما جاء بعدى من يفهم الشخصية ويقدمها بشـــكل افضل منى » !!

والجريد برجمان الان فى الهزيع الاخير من الحياة ، لاتستطيع ان تصنع شيئا الا ان تنتظر نتيجة عمل السرطان فى جسمها الذى اوشك ان يصير حطاما ! ●





الآثار الإسلامية في أوربا

مسجد ياكوفيل

بودابست
من
جمال الغيطاني

.. في جنوب المجر ، وقرب الحدود اليوغسلافية ، تقع مدينة « بيتس » ، مدينة قديمة ، ذات طابع أسطوري بشوارعها العتيقة ، وآثارها المتخلفة من عصور مختلفة ، والجبل المكسو بالخضرة والذي يعلوه برج شاهق للارسال التليفزيوني . في قلب مدينة بيتس ، في شارع راكوتشي يقوم مسجد صغير رصاصي اللون ، عثماني المئذنة والطراز ، المسجد صغير ، غير أنه من اجمل وارق المساجد التي رأيتها خارج مصر ، لا يحتل مساحة كبيرة ، ولكن له حضورا قويا في هذه البيئة الأوروبية حضورا حزينا ، ذلك الحزن الهادئ الذي ينبعث من المباني العتيقة ، وقد وقعت عيني على هذا المسجد مرتين ، الاول في عام ١٩٧٩ ، وكان ذلك مرورا سريعا بالمدينة لم يستغرق اكثر من يوم ، والمرة الثانية في فبراير الماضي سنة ١٩٨٢ ، ولمدة اسبوع كامل ، خلال انعقاد مهرجان سينمائي للافلام المجرية ، كانت غرفتي في الفندق تقع في مواجهته مباشرة ، كنت أراه في ساعات النهار المختلفة ، في الصباح الباكر البارد ، ومن خلال فروع الاشجار الجرداء العارية ، وفي الظهيرة الشتوية ، وفي الغروب عندما تتحول المئذنة الى ظلال تغمق شيئا فشيئا حتى تندمج بظلمة الليل ، وخلال هذه الايام ترددت عليه يوميا مرات عديدة ، والتقطت له عشرات الصور .

العثمانيون

.. الى المجر او هنغاريا وصلت الجيوش التركية في القرن السادس عشر ، وكان ذلك بمثابة آخر حدود وصلت اليها الجيوش الاسلامية في اوروبا ، واستمر الوجود التركي في المجر قرنا ونصف القرن ، وبعده بدأ انحسار الامبراطورية العثمانية ، وخلال هذه الحقبة الزمنية اقيمت عدة منشآت دينية ومدنية في المجر ذات طابع شرقي ، وخلف لنا هذا العصر البعيد عدة مساجد ، مثلا بلا مسجد في مدينة ايجر ، وعددا من الحمامات التركية ، والأضرحة ، اشهرها ضريح جول بابا في مدينة بودابست ، الخ .. فان هذا المسجد الصغير يكتسب قيمة اخرى ،



● هذا المسجد الجميل له في البيئة الاوربية حضور حزين!

مسجد حسن ياكوفيل
مدينة بيتسن المجرية

اذ انه من المساجد النادرة المتبقية من العصر الوسيط ، وعند آخر حدود وصل اليها الاسلام في اوروبا ، وقد ذكره الرحالة التركي الكبير ايفليا جلبي والذى مكث بالمجر الفترة من ١٦٦٠ وحتى ١٦٦٤ ميلادية ، كما وصفه وصفا دقيقا .

والآن يوجد الى جوار المسجد قسم ملحق به ، خصص كمعرض يضم لوحات عن العصر التركي في المجر ، وبقايا مدرسة دراويش طائفة المولوية التي كانت ملحقة بالمسجد .

لا شيء معروفا عن مؤسس المسجد حسن ياكوفيل باشا ، سوى ان اسمه يشير الى انه جاء من بلدة ياكوفوا اليوغوسلافية والتي لا تزال موجودة حتى الآن ، اما تاريخ تأسيسه للمسجد فغير معروف ، ولكنه بني على القطع في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وبعد انتهاء الاحتلال العثماني للمجر ، وفي عام ١٧٠٢ تم تحويل المسجد الى كنيسة ، وللاحظ انه طوال فترة الوجود العثماني في المجر لم يقم المسلمون بتحويل اى كنيسة الى مسجد ، على عكس ما جرى بعد خروج العثمانيين من المجر ، وبالرغم من تحويله الى كنيسة فقد ظلت معالمه واضحة تماما ، وظلت المئذنة قائمة عند الركن الشمالي الغربي من البناء ، وفي عام ١٩٦٠ ، بدأت اعمال الترميم التي استهدفت اعادة المسجد الى هيئته الاصلية .

وفي عام ١٩٧٢ تمت أعمال الترميم ، واستعاد مسجد حسن ياكوفيل هيئته القديمة ، اقيم احتفال عزفت فيه الموسيقى .. وحضره اسقف المدينة ، في هذا اليوم قال البروفيسور يوسف جيرو خبير الآثار الاسلامية المجري والذي اشرف على ترميم المسجد ، قال عن الاسقف وسأله .

ـ ما رأيك الآن بعد ان استعاد المسجد هيئته الاصلية ؟

وقال الاسقف :

ـ كلها بيوت الله ..

في زيارتي الثانية لمدينة بيتسن صحبني البروفيسور يوسف جيرو ، الذي قام ويقوم بترميم كافة الآثار الاسلامية في المجر .. وتوصيفها ، والحفاظ عليها ، وهو



مسجد ياكوفيل

تلميذ قديم للمستشرق المجرى العظيم عبدالكريم جرمانيوس .

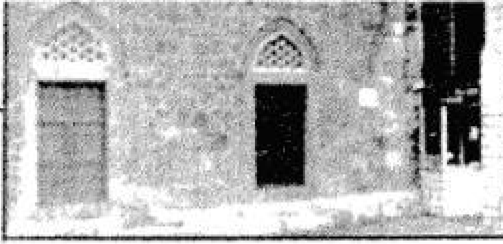
المعرض

ثلاثة اقسام تستوقف النظر . الاول خارجي ويقع خلف المسجد من ناحية المستشفى . فناء مبلط بالحجارة ، مضلع، يحده سور حديدى نبتت عليه ازهار وغصون نحيلة ، ومن الارض تبدو شواهد قبور قديمة تعلوها عمائم حجرية . هنا كانت تقوم تكية الدراويش المنتمين الى طائفة المولوية وتبدو قاعدة المئذنة اللاصقة للمسجد .

نعود لندخل باب المتحف المجاور ايضا للمسجد ، انه القسم الثاني ، من الجولة وفي قاعة المتحف تستوقفنا عدة اشياء هامة ومنها عمود رخامى كامل اسلامى الطراز لكنه يمت الى مسجد الغازى قاسم ، وهو مسجد اكبر في نفس المدينة ، تحول الى كنيسة ، وعلى الجدار الايمن نرى مجموعة من صور المخطوطات القديمة التي تصور حياة الدراويش الاتراك في مدينة قونية. كما نرى مجموعة من الخرائط توضح معارك الجيوش العثمانية في يوغوسلافيا والمجر ، وفى آسيا ايضا ، ومن خلال هذه الصور والخرائط يمكن قراءة تاريخ المجر بسرعة خلال الحكم العثماني ، في سنة ١٥٢١ بدأ السلطان سليمان الاول حملته على البلقان ، وفتح بيوغراد ، ثم اتجه الى المجر حيث نشبت معركة كبرى في موهاسن انتصر فيها الجيش العثماني ،وفي سنة ١٥٤١ تم احتلال مقاطعة بودا ، وبدأ الاحتلال العثماني الذى استمر مائة وخمسين عاما ، نرى مجموعة من الاسلحة التركية، واغطية الراس « خوذات » . ولوحات تمثل بعض الموظفين العثمانيين ، دفتردار ، وسنجقدار ، وصورا لعدد من الآثار الاسلامية التى تم تشييدها بعد الفتح العثماني ، مساجد ، اسواق شرقية مغطاة الحرحة ، تكايا الدراويش ، هذه المعالم المعمارية التي غيرت شكل المدن المجرية ، ثم زال معظمها مع انتهاء الحكم العثمانى على الجدار المواجه للمدخل يطالعنا علم احمد كبير ، علم عثماني يمت الى القرن الثامن عشر ، ثم ندخل من باب آخر يؤدى الى ممر ، نرى في جزء علوى منه معروضات تمثل الفن الاسلامى في تركيا، اواني بورسلين ، وسجاد صلاة ، وعلى الجدار علقت صور لوحات تمثل قصة المعراج ، وبعض صور حياة الدراويش ورجال الدين الاتراك في القرون الوسطى ينتهى الممر ، ونجد انفسنا فى مواجهة الباب الاصلى للمسجد .

المسجد

المسجد جميل ، رقيق ، برغم مساحته الصغيرة الا انك تشعر بلا نهائية المكان ، في مواجهة المدخل يقوم المحراب ، بالضبط في الجهة الجنوبية الشرقية حيث اتجاه الكعبة . والى يمين المحراب نجد منبرا خشبيا جميلا ، والى اليسار نرى كرسيا خشبيا مرتفعا مخصص لقراءة القرآن ، وكلاهما ـ الكرسى والمنبر ـ مثبت الى الجدار ، ونرى جزءين مخصصين للصلاة كلاهما مغطى بالسجاد الفاخر ، الجزء الاول يحتل نصف مساحة المسجد تقريبا. وقد خصص للرجال ، والى يسار المدخل قسم اصغر محدود بسور خشبى قصير ، خصص للنساء ، الجدران محلاة بقطع من القيشانى ، ويمكننا أن نلمح بعض الالوان الاصلية التي كانت تزين المسجد ، وفوق الجدران علقت دوائر صغيرة تشبه الاطباق كتب فوقها على التوالى ، الله ، محمد ، عمر ، عثمان ، ابو بكر ، على ، الحسن، الحسين ، والى يسار المدخل سلم خشبى يؤدى الى المئذنة ويتكون من تسع وتسعين



مدخل المتحف الملحق بالمسجد

درجة ، فوق الجدران علقت لوحات بالخط العربي ، وتتضمن آيات قرآنية ، الغرض منها احلال نوع من الزخرفة العربية بدلا من الزخارف المندثرة .

اللوحة الاولى :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الا اعلمك كلاما اذا قلته اذهب الله تعالى همك ، وقضى عنك دينك ؟ قل اذا اصبحت وامسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل ، واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

كتبه الفقير السيد محمد المعروف بشوقي سنة ١٢٨٩ هـ

اللوحة الثانية :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله .

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرب ما يكون العبد الى الرب في جوف الليل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افضل العبادات الذكر ، وافضل الذكر كلمة لا اله الا الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم وليلة وساعة الا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده الفقراء .. » .

اللوحة الثالثة :

« كلام الملوك : ملوك الكلام ..

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ، اللهم صل وسلم على اشرف الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين»

كتبه الفقير اسماعيل غفر الله ذنوبه سنة ١١٣٥ هجرية

اللوحة الرابعة ، وهي لوحة اصلية مكتوبة فوق جدار المسجد :

«قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم .

صدق الله العظيم »

كما ترى فوق المحراب بقايا طرة عثمانية، ولوحة اخرى ، « نصر من الله وفتح قريب » توجد نوافذ على ثلاثة مستويات .. وكلها محلاة بالزجاج الملون المعشق في الجبس ، وينفذ الضوء الواهن من الخارج .. ويلقي بظلال ملونة جميلة داخل المكان

لقد اشتركت اكثر من هيئة في المجر في اعمال الترميم ، متحف يانوش بانونيا بمدينة بيتش ، متحف بودابست التاريخي .. والمتحف القومي المجرى ، ومتحف الفنون الجميلة ، واشرف على اعمال الترميم البروفيسور يوسف جيرو الذى قام بجميع اعمال الترميمات التى تمت وتتم الان للاثار الاسلامية في المجر ، ومن تركيا وصلت في احد ايام عام ١٩٧٠ عربة قطار كاملة ، محملة بالسجاد ، والتحف الاسلامية ، وصور المخطوطات ، وكانت مرسلة باسم البروفيسور يوسف جيرو ، كهدية للمسجد الذى اعيدت ولادته من جديد .

تذكرت آثارنا الاسلامية ، المهملة ، المهددة بالاندثار ، وهي اغنى واثرى مجموعات العالم .

تذكرت آثارنا الاسلامية العريقة وانا اتجول بصحبة عالم الاثار المجرى ، وبقدر ما اثاره المسجد في نفسي من راحة وشعور بالجمال ، بقدر ما اثار من حزن واسى على ما يجرى لآثارنا نحن .. ولكن هذا موضوع آخر ●

مع العلم الحديث



الشم للعلاج والدعاية



الكبابجي الذي يحرص اشد الحرص على أن تتسرب روائح الشواء الى خارج محله لتجتلب الزبائن وتغريهم ، قد سبق الكل في الاستفادة من حصيلة الابحاث التي تجرى حاليا في الاتحاد السوفيتي وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، حول الابعاد الجديدة لحاسة الشم ، واستخداماتها .

لقد ثبت أن حاسة الشم ، التي اهملناها طويلا قياسا على غيرها من الحواس ، تصلح كأساس للتشخيص والعلاج الطبي ، كما تصلح كوسيلة للاعلان والدعاية واثارة الشهية الجنسية .

ويقوم حاليا عدد من الباحثين بدراسة امكان الاستفادة من حاسة الشم عند الطبيب في تشخيص الامراض . ويقال ان امراض الكلى والسكر ترتبط برائحة خاصة للعرق منفرة ، كما ان مرضى السرطان عندما تسوء حالتهم ويقتربون من النهاية تصدر منهم رائحة خاصة متميزة.

والاعتماد على الشم في تشخيص الامراض عرفه الاطباء قديما ، وحاولوا ربط كل مرض برائحة معروفة . قالوا مثلا ان مرض الطاعون يرتبط برائحة تشبه رائحة العسل ، والحمى القرمزية ترتبط برائحة الخبز الساخن ، والحصبة برائحة ريش الطيور المنزوع حديثا . وأن بعض اصحاب الامراض العقلية تصدر منهم رائحة اشبه برائحة الفئران او الغزلان .

التجارب التي يقوم بها علماء الاتحاد السوفيتي حاليا تستهدف انتاج ابخرة معطرة في حجرات المرضى تعمل على تخفيف الامهم واضطراباتهم ، وتسهل لهم الوصول الى حالة من الاسترخاء ، تقودهم الى النوم .

ويتنبأ علماء الولايات المتحدة الامريكية ، بامكان تعديل السلوك البشرى ، وتقويم الحالة النفسية اعتمادا على حاسة الشم ويدرسون التركيبات المختلفة للروائح ، بهدف الوصول الى رائحة تحث العمال على المزيد من الانتاج والنشاط ، ورائحة اخرى تطلق في المتاجر ومحلات البيع الكبرى « سوبرماركت » لتدفع الزبائن الى المزيد من الشراء ، ثم رائحة ثالثة تطلق في الفصول الدراسية ، فترفع مستوى اليقظة عند التلاميذ ، وتزيد من قدرتهم على الاستيعاب والفهم .

ومنذ عام ، صرح دكتور جورج دود ،

العالم الكيميائي الانجليزي ، انه توصل الى عزل مواد هرمونية يفرزها الجسم البشري ، وان الروائح التي تصدر عن هذه المواد ، تعمل وتؤثر في الانسان ، بحيث تكون اشبه بالبرقية العاجلةالمؤثرة على حاسة الشم عنده ، وتعمل على تصعيد رغبته الجنسية ، او تعميق خوفه ، أو رفع درجة عدوانيته وفي دراسة قام بها المركز الطبي للتذوق والشم في جورج تاون ، بالولايات المتحدة الامريكية ، ثبت أن حاسة الشم ضعيفة جدا عند ١٦ مليون امريكي . كما اثبتت دراسة اخرى جرت بنفس المركز ، ان ٢٥ في المائة من الذين يعانون من نقص في حاسة الشم ، او يصابون بمتاعب في اجهزة الشم ، يفقدون الاهتمام بالنشاط الجنسي .



لغة واحدة للعقول الاليكترونية

كما يعاني الجنس البشري من تعدد اللغات التي يتحدثها البشر ، تعاني العقول الالكترونية ويعاني واضعو برامجها من مشكلة تعدد لغاتها .. وهي لغات ذات اسماء غريبة قد لا يعرفهما الكثيرون : فورتران ، كوبول ، سنوبول، ليسب ، جوفيال .. الى آخر القائمة .

اهتمت وزارة الدفاع الامريكية البنتاجون بتوحيد هذه اللغات ، على الاقل فيما يتصل بالعقول الالكترونية التي تتعامل معها اداراتها المختلفة ، سعيا لتوفير الوقت والتكاليف ، ولمواجهة الفوضى التي يمكن ان تنشأ عند كتابة برامج العقول الالكترونية التي تسير بموجبها القواعد الحديثة ، سواء في تحديد خط سيرها ، او في التحكم فيها ، أو في توجيه قذائفها ، أو في تحديد ورصد صواريخ العدو .

توصل خبراء وزارة الدفاع مؤخرا الى ابتكار لغة موحدة للعقل الالكتروني اطلق عليها اسم « آدا » ، تكريما لابنة لورد بايرون التي كانت تسمى آدا ، والتي كانت أول من وضع برنامجا للعقل الالكتروني .

وقد بدأ بالفعل تعميم استخدام هذه اللغة الموحدة في مختلف العقول الالكترونية التابعة لوزارة الدفاع الامريكية ويقول الخبراء ان هذا سيوفر على البنتاجون حتى سنة ٢٠٠٠ مايصل الى ٢٤ بليون دولار .



نقل ضوء الشمس فى انابيب

بمثل ماتمتد الاسلاك فى انحاء البيت لتمده بما يحتاجه من كهرباء ، سيصبح ممكنا فى المستقبل ان يتم توزيع ضوء الشمس على المنازل داخل انابيب خاصة .. هذا مايقوله العالم المخترع موريس دانييل . يمكنك فى المستقبل أن تجلس فى حجرة داخلية من المبنى ليس بهـا نوافذ ، فيصلك ضوء الشمس متوزعا على سقف وجدران الحجرة بشكل متوازن .

الفضل فى ذلك يعود الى التطور الذى تم فى تكنولوجيا الالياف الضوئية على يد العالم دانييل ، من ولاية واشنطن . لقد توصل الى تصميم شبكة كاملة من الالواح تستمد الضوء من أشعة الشمس، ثم تنقله خلال « أنابيب ضوئية » ،ليضيء جدران حجرة لا تطل على خارج المبنى .

لوحات تجميع ضوء الشمس تثبت على سطح المبنى ، ومنها ينتقل الضوء خلال انابيب مزودة بالياف ضوئية خاصة ، على سطحها خدوش صغيرة تسمح بتنقل موجات الضوء على امتداد الانابيب ،حتى يصل الضوء الى مساحات باتساع سقف الحجرة وجدرانها . يمتد عليهـا نوع خاص من النسيج ، يشع الضوء فى انحاء الحجرة بشكل متناسق .

يقول موريس دانييل ان مثل هـذا النظام يمكن استخدامه فى تركيز اشعة الشمس الضوئية بشكل مكثف ، بحيث تستخدم فى توليد الحرارة فى الاماكن التى ينتقل اليها الضوء . ولقد بدات المصانع والشركات اتصالاتها بالعالم المخترع للاستفادة من اختراعه الذى تم تسجيله فى نهاية عام ١٩٨٠ ، بهدف اشاعة استخدامه على النطاق العام .

اغرب انواع الخوف البشرى



علماء النفس يكتشفون كل يوم انواعا جديدة من الخوف المرضى . ومن احصاء اخير ، ثبت أن ٢٠ مليون امريكى يعانون من نوع أو اخر من انواع الخوف الذى لا يمكن تبريره عقليا . والخوف شيء طبيعى اذا ماارتبط بسبب معقول .. اذا هاجمك كلب مسعور فخفت وهربت منه ، فهذا خوف صحى مطلوب فى اليات السلوك البشرى ..لكن الخوف المرضى يتضمن خوفا مما لايخيف او مبالغة فى تقدير حجم مصدر الخوف . وانواع الخوف المرضى عديدة ، تتضمن بالاضافة الى الشائع منها مثل الخوف من الاماكن

المغلقة او المرتفعة او المظلمة ، انواعا اخرى غريبة ، كالخوف من ريش الطيور ومن التليفون ، ومن المطر ، ومن اللون الارجواني .. الى اخر القائمة . هذا مايقوله فريزر كينت فى كتابه « لا شىء يخيف » .

يقول المؤلف ان اكثر انواع الخوف المرضى شيوعا ، والذى يعانى منه ثلثا من يشكون من خوف مرضى ، هو الخوف من الاسواق « اجورافوبيا » . وهو خوف مرضى من كل ماهو خارج البيت من شىء او موقف . وهذا الخوف يجعل المرضى يلزمون امان البيت لا يغادرونه .

والخوف المرضى لا يقف عند حد الشاعر بل يؤدى الى تزايد ضربات القلب ، والاغماء ، والازرقاق الكفين بالنسبة لمن لا يعرفون من اكفهم عادة . فما هى اسباب هذه الانواع من الخوف غير المعقول ؟

احدى النظريات تقول انه يجىء نتيجة تجربة قاسية فى الماضى . الطفل الذى يغلق عليه الصوان قد يصاب بمرض الخوف من الاماكن المغلقة كالمصعد . وتقول نظرية اخرى انه ينشا كتعبير رمزى . الخوف من الكلب قد يكون نتيجة لتعسف والد عنيف ، والخوف من الثعبان قد يكون البديل الرمزى للخوف من الجنس والنشاط الجنسى .

وتقول نظرية ثالثة اننا «نتعلم »الخوف المرضى ، الام التى تصرخ بشكل مبالغ فيه عند سماع صوت الرعد ، يمكن أن يرسب هذا لدى طفلها خوفا مرضيا من العواصف الرعدية . والمخاوف المتكررة التى تتردد على سمع الطفل تنمى فيه خوفا مرضيا ، حتى ولو كانت هذه المخاوف متصلة بحدث او شىء لم يصادفه الشخص فى حياته كلها .

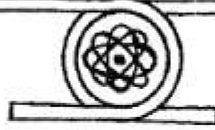
دهون بلا دهون

هذا الخبر السار نزفه الى من يعانون من السمنة ومشاكل انقاص الوزن ..

لقد توصل العلماء الى تركيب نوع من الدهون ، يضاف الى الطعام او يستخدم فى الطهى والقلى ، ويأكله الانسان فلا يمتصه الجسم . المعروف أن ملعقة الطعام من الدهن بها من ١٠٠ الى ١٢٥ كالورى « سعر حرارى » ، وملعقة الطعام من الدهن الجديد ، الذى يطلق عليه اسم « سكروز بولييستر » ، فلا تضيف الى الجسم « كالورى » واحدا ، كما ان الدهن الجديد يعطى شكل ومذاق واحساس الدهن الحقيقى ويصلح لكافة استخدامات الدهون العادية .

يقول دكتور فريد ماتسون مخترع ذلك الدهن ، انه قد توصل اليه بمحض الصدفة ، عندما كان يجرى تجربة للبحث عن طريقة تساعد اولئك الذين يعانون من سوء هضم الدهون وامتصاصها ، فتوصل الى ذلك الدهن الصناعى الذى لا تستطيع انزيمات هضم الجسم البشرى أن تؤثر عليه . وهكذا يمر الدهن الصناعى فى الامعاء دون أن تمتص منه شيئا . بل يقول ان هذا الدهن يعمل على تغطية الكولسترول الذى فى الامعاء بطبقة ، فتقلل من نسبة امتصاص الجسم له .





وقد تم خلال السنوات الماضية اختبار صلاحية هذا الدهن على الحيوانات ، دون أن تظهر له اى اثار جانبية . وانتقل البحث الى تجربته على البشر . وتجرى حاليا التجارب عليه فى المركز الطبى بسانت دييجو ، وبالذات تجارب لتخفيض الوزن

مقياس جديد للذكاء

هناك عدة تعريفات للذكاء ، باعتباره القدرة على الاستدلال ، او القدرة على ادراك المضمون ، او الوصول الى العلاقات الكائنة بين الاشياء او الظواهر ، او حل المشاكل ، او التكيف مع الظروف الجديدة ، الا ان الاستاذ كريستوفر براند ، استاذ علم النفس فى جامعة ادنبرة باسكتلندا ، قام بعدة تجارب علمية ، اثبتت صلة قوية بين الذكاء ، وبين سرعة الادراك البصرى عند الانسان .

الاختبار الذى قام به الاستاذ براند يعتمد على عرض سريع لمجموعة من الصور المتلاحقة التى تتكون كل منها على خطين متفاوتين فى الطول ، بين بوصتين وثلاث بوصات . ويكون على الشخص أن يحدد بسرعة اى الخطين هو الطويل ، الذى الى اليمين او الذى الى اليسار . الذين حققوا نتائج ايجابية عالية فى هذا الاختبار ، كانوا هم أصحاب أعلى معامل ذكاء تقليدى ، بين الذين خضعوا للاختبار .

بعد نجاح هذه التجارب ، يواصلها فى جامعة كاليفورنيا الاستاذ آرثر نيسين مبتكرا مجموعة اكثر تعقيدا من الاختبارات التى تعطى مزيدا من القياس لسرعة الادراك البصرى ، وفى أعقاب التجارب التى قام بها ، يقول الاستاذ نيسن انه مع اعترافه بكفاءة اختبارات الذكاء الحالية الا ان قياس سرعة الادراك البصرى يؤدى الى مزيد من الدقة فى قياس الذكاء .

حنجرة صناعية فى سقف الحلق

انتهت مشاكل اولئك الذين فقدوا القدرة على النطق نتيجة لخلل فى الحنجرة . مجموعة من علماء جامعة توماس جيفرسون بفيلادلفيا تمكنت من ابتكار حنجرة صناعية يمكن تثبيتها فى سقف الحلق ، بواسطة اسلاك مثبتة فى الاسنان .

الحنجرة الصناعية تصدر أصواتا كالحنجرة الطبيعية ، يحولها اللسان والفم الى حديث مفهوم .

الحنجرة الصناعية التى فى سقف الحلق تتضمن بطارية دقيقة ، ومكبر صوت وأقطابا تشغل الجهاز عندما يلمسها اللسان وعندما يتوقف عن لمسها مرة ثانية . بالاضافة الى اقطاب اخرى وقف عمل الجهاز فى فترات الصمت بين الكلمات والجمل .

الانفلونزا .. والحرب العالميــة الثانيـة

فى احصاء اخير ، ثبت ان الانفلونزا قتلت ٦٠ الفا من سكان الولايات المتحدة الامريكية خلال ١٢ اسبوعا .

وهذا ليس هو الرقم القياسى فى تاريخ الانفلونزا ، ففى الفترة ما بين عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، قتلت الانفلونزا ١٥ مليون شخص فى انحاء العالم ، اى حوالى ضعف عدد الذين ماتوا بسبب الحرب العالمية الاولى .

● ● من الاثنين ٢٤ مايو الى ٣ يونيو، يقام معرض لاعمال الفنان الشباب محمد الناصر احمد بالمركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى بالزمالك.. يعرض الفنان اعماله فى التصوير الزيتى .



ماهو الهرش ؟!

ماهو الهرش ؟!.. ماهى طبيعة الاحساس الذى يدفعنا الى الهرش ؟ .. يقول العلماء ان الهرش هو احساس ضعيف بالالم ، ضعيف الى حد لا يصل الى حافة ذلك الاحساس الموجع الذى نشعر به عندما نتالم . الا ان الالم والاحساس بالرغبة فى الهرش ينبعان من نفس السبيل العصبى .

وقد جرت تجارب حول هذه النظرية ، لجا فيها العلماء الى احداث صدمة كهربائية فى جلد الشخص موضوع التجربة . عندما تكون الشحنة منخفضة بدرجة كافية ، يستقبلها الشخص كاحساس بالرغبة فى الهرش . اما اذا زادت قوة الشحنة الكهربائية فان الجهاز العصبى يستقبلها استقبال الالم .

ويقول العلماء ان سلامة كيان الانسان تعتمد على هذا التدرج فى الاحساس بالالم ، من الاحساس بالهرش الى الاحساس بالالم الخفيف ، الى الاحساس بالالم الشديد . وهم يقولون انه اذا فقد هذا السلم المتدرج فى الاحساس ، او لو اختلت العلاقة بين المؤثر الخارجى ودرجة الالم ، فاننا سنعيش فى جحيم .. نصرخ صرخات عالية عندما تلدغنا ناموسة ، ونشعر باحساس برغبة فى الهرش عندما تنكسر ساق او يخلع مفصل ●

قصــة قصــيرة

الشاطئ البعيد

بقلم : عــزة الدمرداش

استيقظت من النــوم فزعة ، خبطت على صدرها دون أن تتحرك من مكانها . . وهى تردد :

– خير .. اللهم اجعله خيرا .

تحسست هالة السرير اللى تنــام عليه . احست بالبرودة تسرى بجوارها على السرير فى مكان امها التى تركتهــا الليلة وحيدة وسافرت الى اختهــا . رات هاله فى المنام انهــا تركب قاربا وتسير فى بحر طويل . القارب موجـة تسلمه الى موجة . البحر ازرق كبير ، الموج كثير ، لا شاطئ يبدو .. الموج يسافر فى كل اتجاه . يداها لا تقويان على تحريك المجاديف . لكن الرغبــة فى الحياة تضطرها الى ان تدافع بقوة لاتعرف كيف جاءت لها . هالة تجذف . الشراع تلعب به الريح . سمكة قذفت بها الامواج داخل المركب . السـمكة كبيرة . سوف تاكل السمكة حين تحس بالجوع . بعد تعب ، تعب طويل بــدا يظهر نور ، نور ضعيف ، لكنه بعيد ، بعيد جدا . فى اللحظة التى ظهر فيهــا الضوء اشتدت حــركة الريح ، تركت المجداف وجرت فى سرعة تمسك الشراع بقوة .

بينما كانت تقفز فى الحلم استيقظت، قامت بين اليقظة والحلم ، بين الحقيقة والنوم ، نصفها الاسفل ملتف ببطــانية سوداء ونصفها الاعلى تائه فى قميــص نوم اخضر . وجهها تتساقط منه حبات العرق ، العرق يخرج من منبت الشعر ومن الوجه ومن اعلى الرقبة .

احست برعشة لا تعرف ســببها ، هل السبب هو الحلم أم هو حر يوليو الشديد . أم لانها تنام وحـدها دون امها ؟ بدات تدرك اهمية الام فى حياتها. مات الاب وتركها هى واختهــا منى . منى الاخت الكبيرة تزوجت من مــدرس لغة عربية يعمل فى القناطر الخيرية . اليوم تلد منى طفلها الاول . تــذكرت اول مرة ذهبت فيها الى القناطر الخيرية كان يوم فرح منى . القنــاطر ارتبطت فى ذهنها بالفرح . تمنت ان ترى المولود الجديد ؟ !

امتلا راسها بافكار مختلفة : الحــلم الغريب ، الام الغائبة ، الحجــرة المظلمة ، المولود الذى ســوف ياتى ، الرحلة الى القناطر . احست بالعطش. الظلام يلف الحجرة ، الظلام شــديد، يكاد يلف الدنيا كلها . الكون ســاكت لا حس ولا حركة بينما حجرتها تائهــة فى الظلام على سطح منزل قــديم فى حى الازبكية . ضربات قلبها تعلو وتعلو، هناك صوت ضعيف ياتى من داخــل الحجرة ، يبدو انه صوت فار . لــكن لماذا يدخل الفار الحجرة وليس عندهم





زاد ولا نزاد ؟ سكت الصوت ولكن الاحساس بالخوف يزداد فى داخلها. لم تستطع أن تنسى الحلم اللى افاقت منه منذ قليل . اشتاقت الى امها والى اختها منى . منى ربما تلد الان ، لكن هل الدنيا مظلمة فى القناطر كما هى مظلمة فى القاهرة ؟ لم تستطع ان تحدد الاجابة ، لكنها احست بضيق وحزن .

شدت البطانية عليها اكثر كأنما تريد ان تخفى نفسها من شبح مجهول، ارادت ان تغطى جسمها كله ، احست ان البطانية صغيرة . حين تغطى الراس تتعرى القدمان وحين تغطى القدمين يتعرى الراس ، تذكرت مثلا ترده امها « على قد لحافك مد رجليك » .

الرغبة فى الشرب ما زالت تسيطر عليها ، امها توصيها دائما الا تنام من غير ان تجعل الماء قريبا منها :

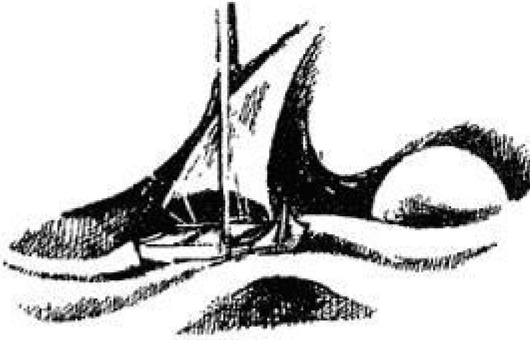
ـ هناك بعض خلق الله يا هاله يمرون علينا ونحن نيام ، اذا وجدوا ماء شربوا وانصرفوا فى سلام دون ان يؤذوا احدا .

اول مرة تحس ان كلام امها معنى . ليتها نفذت وصية امها فى النوم . تساءلت القاهرة تلك المدينة الكبيرة هل يمكن أن يكون فيها عفاريت . طيب اذا كان الناس لا يجدون اليوم سكنا فاين تسكن هذه العفاريت ؟ .

هالة تتنازعها رغبة فى الشرب ورهبة من الخوف . ليتها تستطيع النوم حتى تنسى الشرب والخوف . الظلام يبدو فى كل مكان والهدوء ينشر اجنحة الحيرة والقلق .

تساءلت هل الخوف شيء حقيقى فى هذه الدنيا ام انه وهم نزرعه داخل نفوسنا ؟ .

قررت أن تقوم فى شجاعة . وان تسكن نفسها من القلة بجوار السرير . حين قامت كانت تحس ان حركتها بطيئة . لم تتعود ان تسير فى الظلام . تعرف كل شبر فى حجرتها الصغيرة .. الكنبة .. الدولاب .. السرير ، كل



واحد من هذه الاشياء الثلاثة يحمل فوقه او تحته كثيرا من الحاجات غير المستعمله .

مشت هادئة .. بطيئة ، تريد ان تثبت لنفسها انها غير خائفة .. لا اوهام ولا عفاريت . جاءتها فكرة لم لا تحرك مفتاح النور حتى تطرد الاشباح .. وترى كل شيء على حقيقته ،حتى لا تسكر القلة او على الاقل حتى لا تصطدم بالحائط او الدولاب .

اخذت تتحسس الحائط بالقرب من الباب ، باب حجرتها اخيرا وصلت الى مفتاح النور ، اخذت تحركه الى اعلى ثم الى اسفل .. دون فائدة . النور مقطوع . احست بحسرة غير متوقعة ، حاولت ان تبحث عن صينية القلل ، وجدت القلة فارغة .. والعطش يزداد . الامر يتطلب الخروج الى السطح والنور مقطوع . كيف تخرج من هذا الظلام . لا بد من الشجاعة ، الشجاعة تكون فى داخل الحجرة ، او فى خارجها ، قررت ان تتحدى الخوف والظلام .

مدت يدها وفتحت ترباس الباب دون ان تحدث صوتا . احكمت لف المنديل على راسها ، ولكن هذا لم يمنع شعرها الاسود الطويل من ان يمتد على ظهرها . مضت فى ثقة نحو الحنفية المعلقة فى سور السطح . تذكرت امها، وضعت يدها اليسرى على مفتاح الحنفية واليمنى تحتها تستقبل الماء . الماء يحدث صوتا يقطع هدوء الظلام . فتحت فمها واخذت تبتلع الماء فى نهم وقطرات منه تتناثر حول فمها ورقبتها .

عادت مسرعة الى الحجرة ، لا يزال الظلام يلف كل شيء حولها . بدات تعرف قيمة النور ، وعشقت الظلام . اغلقت الباب خلفها فى هدوء ، لم تنس ان تعيد الترباس الى مكانه . حين اصطدمت قدماها بحافة الكليم ادركت انها كانت تسير حافية ، حاولت ان تتلمس الطريق الى السرير ، قبل ان تتحرك بدا النور يظهر فجاة ويفرش الحجرة كلها ، النور ليس فى الحجرة وحدها وانما بدا ياتى من خلال فتحات النافذة .

اخذت تتامل الحجرة كانما تراها لاول مرة . نظرت الى صورتها فى المرآة اكتشفت ان قامتها طويلة ، اطول مما كانت تتصور ، تنهدت مبتسمة وهى تنظر نحو مفتاح النور ●

تذكرة طبية



التهاب الأعصاب الطرفية المتعددة

تقديم :

د. السيد الجميلي

التهاب الاعصاب الطرفية المتعدد

عادة مايشكو مريض الاعصاب الطرفية الملتهبة من خدر في اطرافه وانامله ، اصابع يديه ورجليه مع فتور قوتها العضلية .. لكن هناك اعراضا اخرى ذات اهمية اخرى مثل آلام البطن الشديدة وخفقان القلب .

ومهمة الطبيب المعالج هنا مهمة عسيرة في البحث والتنقيب والتحري لكشف السبب المسئول عن ذلك لان التهاب الاعصاب الطرفية له اسباب شتى كثيرة والعلاج يقصور على السبب الذي ادى الى الصورة الاكلينيكية الظاهرة ، فقد يكون السبب هو مرض السكر وعله احدى مضاعفاته الشائعة ، وقد تكون ناتجة عن التهابات أعال الجهاز التنفس العادة وهناك ترتفع درجة حرارة الجسم مع شعور المريض بالانهاك الشديد التسمم ببعض المركبات مثل المعادن الثقيلة او المواد الكيميائية نقص الفيتامينات الالتهابات الحادة ، بعض الاورام الخبيثة ، والانيميا المزمنة ، والادمان على الخمور والمواد الكحولية .

البلاجرا والاعصاب

نتيجة نقص فيتامين ب المركب ، أحد عناصره المسمى بالنياسين او النيكوتين يظهر مرض البلاجرا في صورة جفاف الجلد وازدياد سمكه واسوداده في ظاهر اليدين والساقين وعند مراكز العظام القليلة بالجسم ومحاور ارتكازها ، وتشقق الشفتين ، والتهاب الفم .

ولهذا المرض ثلاث علامات اساسية يعرف بها وتعرف به وهي : الاسهال ـ الالتهاب الجلدي والالتهاب العصبي .

ومن الممكن ان تطغى الصورة النفسية على هذه الصور الثلاث فيبدو الاكتئاب النفسي او التوتر العصبي او الاضطراب الشخصية في معالمها وسلوكها .

ومن الجائز ان يؤدي اهمال مثل هذه الحالة الى الغيبوبة فالوفاة .

والعلاج يكون باعطاء المريض كميات كافية من مادة النياسين ، وسرعان مايعود حال المريض الى ماكانت عليه من صحة جيدة من هنا وجب العناية الفائقة بالغذاء ان يكون شاملا كاملا غير منقوص المادة الغذائية الضرورية من بروتينات وفيتامينات ودهون ونشويات ومعادن واملاح .

بقلم د. محمد عبد المنعم خفاجى

الطبقات الكبرى لابن سعد

● التراث العربي زوّد الحضارة الإنسانية بالمعارف قبل الإسلام وبعده
● العلماء المسلمون هم أول من عني بعلم الطبقات وتراجم الرجال
● مؤلف الطبقات الكبرى عاش رحّالة في طلب العلم ولقاء العلماء
● الطبقات الكبرى موسوعة كبرى عن حياة الرسول والصحابة

عناية العرب بالتاريخ عناية شديدة ، شملت في الاسلام جميع فروع التاريخ ، وعلى الاخص سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتراجم صحابته ، وتاريخ الغزوات والحروب الاسلامية الكبرى والملاحم التي خاضها المسلمون في كل مكان مع جيوش الدول الكبرى ، والتاريخ العام .. وقد امد التراث التاريخي العربي الحضارة الانسانية عامة بكل المعارف اللازمة للوقوف على حالة العالم وحضارته قبل الاسلام وبعده ..

في السيرة النبوية عني المسلمون بتتبع اخبارها من اوثق المصادر منذ وفاة رسول الله صلوات الله عليه ، وكانت الكتابة في السيرة النبوية والفتوحات الاسلامية اظهر واسبق الكتابات التاريخية عند العلماء المسلمين منذ بدء عصر التدوين في النصف الاخير من العهد الاموي .

وحين جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ، في كتاب ، كان احد ابوابه « باب المغازي والسير » ، وجاء المؤرخون للسيرة النبوية ، فالف بعضهم في السيرة ، والبعض الاخر كتب في المغازي والملاحم والفتوحات الاسلاميه ، وصار علم المغازي من اهم ماعني به المسلمون ، ثم بدات العناية بعلم اخر شديد الصلة بذلك ، وهو « علم الطبقات وتراجم الرجال » الذي الفت فيه كتب كثيرة مشهورة .

وكان من اوائل من كتبوا في السيرة النبوية عروة بن الزبير « ٢٣ ـ ٩٤ هـ » ، ثم ابان ابن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م ، ثم عاصم بن قتادة المدني الانصاري « ـ ١٢٠ هـ » ، وشرحبيل بن سعد الذي قال عنه ابن حجر : لم يكن هناك احد اعلم بالمغازي والبدريين منه ، وتوفي عام ١٢٣هـ / ٧٤٠ م ، ثم وهب بن منبه « ـ ١١٠ هـ/٧٢٨ م » ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري « ٥١ ـ ١٢٤ هـ » ، وعبد الله بن ابي بكر بن حزم الانصاري « ـ ١٣٥ هـ » ، ومحمد بن اسحاق شيخ كتاب السيرة « ٨٥ ـ ١٥٢ هـ » ، وسيرته اصل لكتاب

السيرة لابن هشام « ٢١٨ هـ » ، ثم الواقدى « ـ ٢٠٧ هـ » ، ومحمد بن سعد صاحب كتابنا « الطبقات الكبرى » (٢٣٠ هـ) وهو فى طبقات الصحابة والتابعين ، ولاشك أن رائد هذه المدرسة الاول من مؤرخي السيرة النبوية هو عروة بن الزبير بن العوام ، وأمه هى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وخالته هى السيدة عائشة أم المؤمنين ، واخوه هو عبد الله بن الزبير ، وكان عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد يقول عنه : « ما أجد أعلم من عروة » ، وما دونه عروة بن الزبير فى السيرة هو مصدر جميع مؤرخي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتلا عروة الامام الزهرى (١٢٤ هـ / ٧٤١ م) فى أهمية مادونه فى السيرة ، وكان لايترك شابا ولا كهلا الا سألهما ، ولا يترك عجوزا الا سألها ، ولا يترك رجلا ولا امرأة الا واخذ عنهما مايعلمانه من اخبار سيرة رسول الله ، ومن أجل ذلك كان يتردد على المجالس ، وعلى الرواة الثقات فى منازلهم ، آخذا عنهم ، متحريا منهم عن الروايات الصادقة ، ويقول فيه الطبرى : « كان الزهرى مقدما فى السيرة وفى العلم بمغازى رسول الله وأخبار قريش والأنصار ، راوية لأخبار رسول الله وأصحابه » .

وكان المنهج الذى استنه كتاب السيرة هو الحديث عن حياة رسول الله قبل البعثة ، ثم عن حياته فى مكة بعد البعثة حتى الهجرة ، ثم عن حياته بعد الهجرة فى المدينة .

اما ابن اسحاق فقد جاب الافاق ليأخذ أخبار السيرة والمغازى من أفواه التابعين والعلماء ، فهو حينا فى بلده مدينة رسول الله ، وحينا فى مصر ، وحينا فى العراق ، وقال عنه الشافعى : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق » ، ولابن اسحاق كتاب فى المغازى يحتوى على ثلاثة أبواب كبرى : المبتدأ أى تاريخ ماقبل الاسلام ـ والمبعث أى تاريخ الرسول الاعظم منذ البعثة حتى الهجرة ـ والمغازى وهو يشمل تاريخ رسول الله فى المدينة وغزواته وسراياه .. وقد استقصى ابن اسحاق أخبار السيرة من كل الافواه ، حتى من القصاص ومن أهل الذمة ، وبسبب ذلك تعرض لنقد فقهاء المدينة ، وفى مقدمتهم الامام مالك ، مما دفع ابن اسحاق الى الرحلة الى بغداد ، حيث لقى هنا التقدير والرعاية ، ولقيت سيرته الذيوع والانتشار .

وجاء ابن هشام المصرى « ـ ٢١٨ هـ / ٨١٣ م » ، فأكمل مابدأه ابن اسحاق ، واعتمد على سيرته ، وهذبها وحذف منها الروايات التى أخذها ابن اسحاق عن القصاص وغيرهم ، وكان يعاصره الواقدى وغيره من كتاب السيرة والطبقات .

ـ ٢ ـ

واول كتاب يصلنا فى الطبقات هو كتاب محمد بن سعد صاحب « الطبقات الكبرى » ، أو « طبقات الصحابة والتابعين »

والذى نرجحه أن الواقدى هو أول من أقدم على تأليف كتب الطبقات وهو أستاذ محمد بن سعد « ١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ » صاحب « الطبقات الكبرى » فابن النديم فى كتابه « الفهرست » يذكر أن للواقدى كتابا باسم « الطبقات » ، وللهيثم بن عدى « ـ ٢٠٧ هـ » معاصر الواقدى كتاب



● ابن سعد يبلغ الذروة فى التحقيق العلمى والتاريخى وجمع الروايات وتمحيصها

في « طبقات من روى عن النبي (ص) من الصحابة » ، كما ان له كتابا في « طبقات المحدثين والفقهاء » . وقد الف كذلك في طبقات الصحابة كذلك ابن خياط « ـ ٢٣٠ هـ » وهو معاصر لابن سعد .

وكان الناس في عصر ابن سعد يجعلون الصحابة اثنتي عشرة طبقة :

الاول قدماء السابقين الى الاسلام
ثم اصحاب دار الندوة
ثم مهاجرة الحبشة الاولى
ثم اصحاب العقبة الاولى
ثم اصحاب العقبة الثانية
ثم المهاجرون الاولون
ثم البدريون
ثم المهاجرون من بدر الى الحديبية
ثم اهل بيعة الرضوان
ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة
ثم مسلمة الفتح
ثم الصبيان الذين راوا رسول الله في حجة الوداع .

وكان بعض العلماء يجعل الصحابة طبقة واحدة ، والبعض يقسمهم الى طبقات على نحو ما رأينا من حيث السبق الى الاسلام او شهود بعض المشاهد او غير ذلك ، وعلى ذلك السنن سار ابن سعد في كتابه « الطبقات الكبرى » وقد جعل ابن سعد للمكان اعتبارا متميزا في امر الطبقات ، وبسبب ذلك وجدنا تكرارا في بعض التراجم ، فقد كان يترجم للرجل مرة باعتبار زمنه ، واخرى باعتبار مكانه ، كما صنع مع استاذه الواقدي الذي ترجم له ترجمتين : ترجمة مع اهل المدينة ، وترجمة مع اهل بغداد وان كان ذلك نادرا مايقع في الكتاب

والطبقة نعني بها ما نسميه اليوم بالجيل او بالمدرسة ، وهم جماعة من الناس تتلمذهم فترة زمنية محدودة ، ويتقاربون غالبا في السن ، وفي لقاء المشايخ والعلماء والاخذ عنهم .

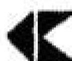
وكتاب « الطبقات الكبرى » من اهم المصادر التاريخية في التراث الاسلامي ، ويسمى ايضا كتاب « طبقات الصحابة والتابعين » ، وفي الكتاب صور امينة لسيرة رسول الله ومغازيه ولطبقات الصحابة والتابعين ، وهو وثيقة كبرى في تاريخ الاسلام في عصره الاول ، وفيه الكثير من المعلومات التاريخية عن العصر الجاهلي ، فالكتاب يجمع الكثير من الروايات عن السيرة والمغازي وطبقات اصحاب رسول الله وطبقات التابعين .

● الطبقة في كتاب الطبقات تعني ما نسميه اليوم بالجيل أو المدرسة

ـ ٢ ـ

مؤلف كتاب الطبقات هو محمد بن سعد بن منيع الزهري ، وقد ولد عام ١٦٨ هـ في البصرة ، واخذ عن علمائها ، وافاد من حلقاتها العلمية المزدهرة .

ولقد عاش ابن سعد حياته مابين عامي ١٦٨ هـ ، و ٢٣٠ هـ وكان من شيوخه المغيرة بن عبدالرحمن الذي يذكره في « الطبقات » ويقول عنه « ٥ : ١٥٦ » انه كان ثقة ، قليل الحديث ، الا مغازي رسول



الله « ص » ، اخذها عن أبان بن عثمان ، فكان كثيرا ماتقرا عليه ، ويامرنا بتعليمها ، وكان ابان شيخا جليلا ، ومؤرخا للسيرة ولمغازي رسول الله ، شانه في ذلك شان نظرائه ، من امثال : عروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد ، وعاصم بن عمر « ــ ١١٩ هـ » الذي امره عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه أن يجلس في مسجد دمشق ــ المسجد الاموي ــ فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة « ٥ : ٥٣ تهذيب التهذيب لابن حجر » ، وكذلك وهب بن منبه الذي عثر « بيكر » على قطعة من كتاب له في المغازي في مجموعة أوراق بردى شت رينهاردت المحفوظة في هيدلبرج .

عاش ابن سعد رحالة في طلب العلم ، ولقاء العلماء ، لقي في المدينة ابا علقمة عبد الله بن محمد عام ١٨٩ هـ ، واخذ عنه ، كما لقي فيها شيخه الواقدي « ــ ٢٠٧ هـ » ، وذلك عام ١٨٧ هـ حين عاد الواقدي من بغداد اثر نكبة البرامكة ، واستمر اتصاله به ولقاؤه له عشرين عاما ، أي الى عام وفاة الواقدي ، وهو عام ٢٠٧ هـ .

والواقدي « ١٣٠ ــ ٢٠٧ هـ : ٧٤٨ ــ ٨٢٣ م » ولد وعاش في المدينة ، واخذ عن علمائها ، وكان يقول : ما ادركت رجلا من ابناء الصحابة وابناء الشهداء ، ولا مولى لهم ، الا سالته : هل سمعت احدا من اهلك يخبرك عن مشهده ، فاذا اعلمني مضيت معه الى الموضع فاعاينه . وصار الواقدي اعلم الناس بالسيرة وبالمغازي ، وطبقت شهرته الافاق ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات واخبار الرسول « ص » ، والاحداث التي كانت في حياته الشريفة وبعد وفاته « ص » كما يقول البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » .

وللواقدي كتاب المغازي ، وهو مطبوع بتحقيق جونس في دار المعارف بمصر ، حيث نشرته كلية اكسفورد ، وله كذلك فتوح الشام ، وفتوح مصر والاسكندرية طبع في ليدن ١٨٢٥ م ، وفتوح افريقية وقد طبع في تونس في جزءين ، وغير ذلك .

ولما قدم الرشيد المدينة عام ١٨٠ هـ في الحج سال وزيره يحيى بن خالد أن يطلب له رجلا عارفا بالمدينة ومشاهدها ، فاخبره بالواقدي ، وجاء الواقدي الى يحيى ، فقال له يحيى : ياشيخ ، ان امير المؤمنين أعزه الله يريد أن تصلي عشاء الاخرة في المسجد « النبوي » ، وتمضي معنا الى هذه المشاهد ، فتوقفنا عليها ، فصنع الواقدي ذلك ، فمنحه الخليفة هبة سنية ، وكان الواقدي تاجر حنطة ، فخسر في تجارته مائة الف ، وركبته الديون من كل جانب ، فقالت له امراته أم عبد الله : يا ابا عبد الله ، ماقعودك ؟ وهذا وزير امير المؤمنين قد عرفك وسالك أن تسير اليه حيث استقرت به الدار ، فرحل من المدينة الى بغداد ، ولقي يحيى الوزير البرمكي ، كما لقي الخليفة الرشيد ، وولاه الرشيد القضاء بشرقي بغداد كما ذكر ابن خلكان في ترجمته للواقدي « ٢ : ٧٢٤ وفيات الاعيان » .

وفي نكبة البرامكة عام ١٨٧ هـ رجع الواقدي الى المدينة ، حيث لقيه تلميذه ابن سعد ولازمه واخذ عنه ، وظل الواقدي في بلده



● « عروة » هو رائد المدرسة الأولى لمؤرخي السيرة النبوية الشريفة

● محمد بن سعد لم يكتب لكتابه العظيم مقدمة أو تصديرًا

« مدينة رسول الله » حتى عام ٢٠٤ هـ ، حيث ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي في بغداد ، وظل في هذا المنصب حتى توفي عام ٢٠٧ هـ في دار السلام .

وقد صار كتاب المغازي ، وكتاب الطبقات ، للواقدي مصدرين وثيقين لكل الكتاب والمؤرخين في سيرة رسول الله ، وتناول في « المغازي » جهاد رسول الله واصحابه في مكة ، ثم في المدينة حتى فتح مكة ، ثم في الجزيرة العربية كلها ، ثم حجة الوداع ووفاة رسول الله .

كان ابن سعد كاتبا للواقدي ، حيث عاش في ظله عشرين عاما يكتب عنه ، ومن اجل ذلك اطلق عليه لقب « كاتب الواقدي » ، وممن اطلقه عليه ابن ابي حاتم « ـ ٣٢٧ هـ » ، والبغدادي « ـ ٤٦٣ هـ » صاحب كتاب « تاريخ بغداد » ، الذي يروي في كتابه في ترجمته لابن سعد أن احمد بن حنبل « ـ ٢٤٠ هـ » كان يوجه في كل جمعة حنبل بن اسحاق الى ابن سعد ياخذ منه جزءين من حديث الواقدي ، ينظر فيهما الى الجمعة الاخرى ، ثم يردهما وياخذ غيرهما ، وذلك مما قد يدل على اهتمام ابن سعد بالكتابة للواقدي ، او بالاستئثار بكتب الواقدي وبكتابتها .

واذا كانت قد وردت في كتاب « الطبقات » لابن سعد ترجمات توفي اصحابها بعد العام الذي توفي فيه ابن سعد ، وهو عام ٢٣٠ هـ ، مثل محمد بن بكار « الطبقات ق ٧ جـ ٢ ص ٨٧ » الذي توفي عام ٢٣٨ هـ ، ومثل احمد بن ابراهيم الموصلي «الطبقات ق ٧ جـ ٢ ص ٩٦» الذي توفي عام ٢٣٦ هـ ، فقد يكون ذلك لان اصحاب هذه الترجمات من المعمرين ممن عاصروا ابن سعد وكتب عنهم ، واضاف الناسخون تاريخ وفاتهم الى الكتاب في احدى مخطوطاته المختلفة .

ولابن سعد كتاب غير « الطبقات الكبرى » ، وهو «الطبقات الصغرى» كما ذكر ذلك ابن خلكان الذي يقول عن ابن سعد : وصنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء الى وقته ، وله طبقات اخرى صغرى ، وكذلك ذكر الذهبي والسخاوي الكتابين ، ويذكر صاحب كتاب « كشف الظنون » حاجي خليفة ان ابن سعد الف كتابه « طبقات الصحابة والتابعين » في خمسة عشر مجلدا ، ثم انتخبه اصغر من ذلك

ويذكر ابن النديم في كتابه « الفهرست » أن ابن سعد الف كتابا في اخبار النبي « ص » وقد يكون هذا كتابا اخر غير الطبقات

و « الطبقات الكبرى » لابن سعد ثمانية اجزاء :

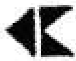
الاول : في السيرة النبوية

الثاني : في المغازي

الثالث : في تراجم البدريين من صحابة رسول الله « ص » من الانصار « ٢٥٩ ترجمة » والمهاجرين « ١٣٤ ترجمة »

والرابع : في تراجم الطبقة الثانية من المهاجرين والانصار « ٩٨ ترجمة » ، والصحابة الذين اسلموا قبل فتح مكة « ١٤٣ ترجمة »

والخامس : في تراجم الطبقة الاولى من اهل المدينة من التابعين « ١٤٠ ترجمة » ، والطبقة الثانية من اهل المدينة من التابعين كذلك



« ١٨٤ ترجمة » ، ومن كانوا من الانصار « ٧٣ ترجمة » ، ومن كانوا من الموالى « ٨٤ ترجمة » ، ثم الطبقة الثالثة من اهل المدينة من التابعين «٢٢ ترجمة» ، اما الطبقتان الرابعة والخامسة من أهل المدينة فقد ضاعت اصولهما من الكتاب ، ويلى ذلك ذكر تراجم الطبقة السادسة « ٤٠ ترجمة » ، فالطبقة السابعة « ٣٤ ترجمة »

وبعد ذلك يذكر ابن سعد تراجم من نزل بمكة من اصحاب رسول الله « ص » (٥٢ ترجمة) ، ثم تراجم الطبقة الاولى من أهل مكة « ١١ ترجمة » ـ فالطبقة الثانية (٢٧ ترجمة) ـ فالثالثة « ٥١ ترجمة » ـ فالرابعة « ٢٣ ترجمة » ـ فالخامسة « ١٩ ترجمة »

ثم يذكر تراجم من نزل الطائف من اصحاب رسول الله «٣٤ ترجمة» ـ ثم من كان بالطائف من الفقهاء والمحدثين « ٢١ ترجمة » .

ويذكر كذلك تراجم من نزل اليمن من الصحابة (٢٧ ترجمة) ، ثم من كان باليمن من المحدثين ، وهم اربع طبقات ، تبلغ ترجماتهم ٣٤ ترجمة .

كما يذكر تراجم من نزل اليمامة من الصحابة (٦ ترجمات) ، ومن كان فيها من الفقهاء والمحدثين (١٣ ترجمة)

كما يذكر تراجم من نزل البحرين من الصحابه (٢٥ ترجمه) .

والجزء السادس : فى تراجم طبقات الصحابة والتابعين من الكوفيين ، وهم تسع طبقات .

والجزء السابع : فى تراجم طبقات الصحابة والتابعين من البصريين ، وهم طبقات كثيرة ، ثم من الخراسانيين ، ومن الري والانبار ، والشام والجزيرة ومصر ، وبيت المقدس « ايلة » ، وافريقية والاندلس .

والثامن : فى تراجم الصحابيات من النساء من المهاجرات ونساء الانصار .

ويضم الكتاب اكثر من ثلاثة الاف ترجمة ، وقد صار الكتاب مصدرا وليقا لكل من كتب فى تراجم الصحابة والتابعين ، من امثال : ابن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » ، وابن أبى نعيم صاحب كتاب « حلية الاولياء » ، وابن الاثير (ـ ٦٣٠ هـ) صاحب كتاب « اسد الغابة » ، والذهبى (٧٤٨ هـ) صاحب كتاب « اعلام النبلاء » ، وابن حجر (٨٥٢ هـ) صاحب كتاب « الاصابة فى تمييز الصحابة » وكتاب « تهذيب التهذيب »

هذا ولا يفوتنا ان نذكر ان صنع ابن سعد فى « الطبقات » دفع المؤرخين فى عصره الى الكتابة عن علماء الامصار الاسلامية ، ثم الى الكتابة عن تاريخ المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، فكتب الازرقى « ٢٤٤ هـ/٨٥٨ م » كتابا فى تاريخ مكة وماجاء فيها من الاثار .

وكذلك فعل الفاكهى « ٢٧٢ هـ / ٨٨٩ م » فالف كتابا فى اخبار مكة ايضا ، ومنه مختارات جمعها وستنفلد المستشرق الالمانى ، وطبعها فى ليبزج عام ١٨٥٩ م ، وقد تم طبعها اخيرا فى بيروت

كما كتب بعض المؤرخين فى تاريخ المدينة ايضا ، وكتبوا فى تاريخ الطائف ، ثم كتب ابن طيفور « ـ ٢٨٢ هـ » كتابا فى « تاريخ بغداد » وقد وصلنا منه الجزء السادس فى تاريخ الخليفة المامون ، وقد طبعه

● الصحابيات الجليلات زينة الجزء الثامن فى الطبقات



المستشرق الالماني كيلر عام ١٩٠٨ في ليبسك .

ولم يفت المؤرخين المسلمين القدامى ، من امثال عبيد بن شرية الجرهمي الذي عاصر معاوية ، وابي مخنف الازدي اول من صنف في اخبار الفتوح والخوارج وايام العرب كما يقول بروكلمان ، وكذلك المدائني « ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م » والبلاذري « ـ ٢٧٩ هـ » ثم الطبري شيخ المؤرخين المسلمين « ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م » .. لم يفتهم الكتابة عن السيرة والمغازي ، والاشارة الى طبقات الرجال ، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري معروف .

ـ ٤ ـ

وفي « الطبقات الكبرى » لايتوقف ابن سعد عند حدود الترجمة للاعلام التي يذكرها بل كان فيه كذلك ناقدا يروى مايرويه ، ثم يتبعه ببيان رأيه ، من مثل مارواه من ان رسول الله « ص » بكى عند قبر امه لما فتح مكة ، ثم استدرك على هذه الرواية ، فقال : وهذا غلط ، وليس قبرها بمكة ، وقبرها بالابواء .

ويذكر كذلك ابن سعد رواية عن بعض الرواة ان والد رسول الله « ص » توفي بعد ان اتى على الرسول ثمانية وعشرون شهرا ، ويقال : سبعة اشهر ، ثم يعلق على ذلك بقوله : والاثبت انه توفي ورسول الله حمل .

وهكذا نجد ابن سعد يبلغ الذروة في التحقيق العلمي والتاريخي ، وفي جمع الروايات وتمحيصها ، وكتاب الطبقات ولا ريب موسوعة كبيرة في تراجم صحابة رسول الله ، بل في السيرة النبوية الشريفة ، بل في التاريخ الاسلامي العام ، بل في تاريخ الاسلام كله على مدى قرنين من الزمان ، وهو فوق ذلك سجل حافل بالاحاديث النبوية والاحكام الفقهية ، وشريعة الاسلام في مختلف شئون الحياة .

وابن سعد يتخير اسلوبه الجزل الممتع تخيرا شديدا .

وقد روى الكتاب عنه ابومحمد الحارث بن محمد بن ابي اسامة التميمي ، وهو تلميذ من تلامذة ابن سعد ، وممن اخذوا عنه علمهم « ١٨٦ ـ ٢٨٢ هـ » ، وكان يشاركه في الاخذ عن ابن سعد ، الحسين بن محمد « ابن فهم » (٢١١ ـ ٢٨٩ هـ) ، وقد ذكره الذهبي ، وقال عنه : انه اخذ عن ابن سعد طبقاته .

ويذكر صاحب كتاب كشف الظنون ان السيوطي اختصر كتاب طبقات ابن سعد ، وسماه : « انجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد » .

وتنتهي رواية كتاب الطبقات الى الامام العالم الحافظ المحدث شرف الدين الدمياطي « ـ ٦٨٠ هـ » وهذا هو المذكور في صدر كتاب « الطبقات الكبرى » ، ولكن الذهبي يقف عند ابي الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي « ٥٥٥ ـ ٦٤٨ هـ » استاذ شرف الدين الدمياطي .

والكتاب يبدأ بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فلم يكتب له ابن سعد مقدمة او تصديرا ، والا لوقفنا على تفاصيل كثيرة اخرى عن فكرة المؤلف حول كتابه وعنه .

وكانت اول طبعات الكتاب في ليدن بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٧ باشراف المستشرق سخاو وزملاء له معه ، حيث اعتمدوا على خمس مخطوطات ،



وقد ظهر فى ثمانية مجلدات ، كل مجلد فى جزء ماعدا المجلد الثالث والرابع والسابع فقد وقع كل مجلد منها فى جزءين .. ثم طبع الكتاب طبعة ثانية فى بيروت بتقديم احسان عباس ، وطبعته دار الشعب طبعة أخيرة .

- • -

وفى مقدمة الجزء الثامن من هذا الكتاب ، الذى وقفه ابن سعد على تراجم النساء ، يذكر ام المؤمنين خديجة ، ثم يذكر بنات النبى وعماته وخالاته ، وبنات عمومته وخؤولته ، وبعد هؤلاء جميعا يذكر باقى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهن مرة اخرى أم المؤمنين خديجة ، وهنا يفيض فى الحديث عنها ، ثم يذكر النساء اللواتى تزوج بهن الرسول ولم يدخل بهن ، والنساء اللواتى خطبهن رسول ولم يتم زواجه بهن ، ومن هؤلاء امرأتان ذكرتا مع بنات عمومته وخؤولته وهما : ام هانىء بنت أبى طالب ، وامامة بنت حمزة ، وكذلك ليلى بنت الخطيم

وفى بنات رسول الله يذكر ابن سعد : فاطمة وزينب ، ورقية ، وام كلثوم ، كما يذكر امامة بنت زينب ، رضى الله عنهن .

وفى عمات الرسول صلوات الله عليه ، يذكر ابن سعد : صفية بنت عبد المطلب ، واروى ، وعاتكة ، وام حكيم ، وبرة ، واميمة ، وهن جميعا بنات عبد المطلب .

وتراجم هؤلاء الصحابيات الجليلات التى وردت فى الجزء الثامن من الكتاب تدل على مدى مابلغته المرأة بالاسلام وفى الاسلام من مكانة عالية ، ومنزلة سامية .

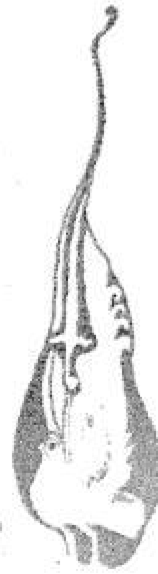
يذكر ابن سعد فى ترجمته للربيع بنت معوذ من بنى النجار اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسول ذهب الى الربيع فى يوم عرسها ، فقعد على فراشها . وعندها جاريتان تغنيان بشعر فى رثاء شهداء بنى النجار فى يوم بدر ، وفى الشعر جاء عن رسول الله : وفينا نبى يعلم مايكون فى غد ، فقال رسول الله للجاريتين : اما هذا فلا تقولاه .

ويذكر ابن سعد فى ترجمة ام ورقة بنت عبد الله بن الحارث انها كانت قد جمعت القرآن . وكان الرسول «ص» قد امرها أن تؤم اهل دارها ، وكان لها مؤذن .

وفى ترجمته لام كلثوم اخت ام المؤمنين عائشة يذكر انه فى عهد عمر فى المسجد النبوى بين القبر والمنبر ، كان مجلس المهاجرين : على ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، فاذا أتى عمر شىء من الافاق ، مما يتصل بالحروب الفخام ، او بشئون الامصار ، وشئون المسلمين فيها ، أتاهم الخليفة عمر فاخبرهم بذلك ، واستشارهم فيه .

وبعد فماذا القول عن هذا الكتاب الجليل ، بل عن هذه الموسوعة النفيسة ، « الطبقات الكبرى » ، وهى معلمة من معالم تاريخ الاسلام والمسلمين.. ورسول الاسلام الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..

انه لصورة مشرقة لاصول تراثنا الخالد ●



فقد صديق

للشاعرة الإنجليزية
دوريس كامبتون
ترجمة:
أحمد مصطفى حافظ

لأغني
لابد أن يكون ثمة موسيقى في القلب
لأرقص
لابد أن يوجد إيقاع في الروح
لأبتهج
لابد أن يكون هناك حبور في الكيان .
بدونك — يا صديقي
لا يوجد موسيقى أو إيقاع أو حبور
ولكن .. يوجد الفراغ فحسب
والعبرات المتقرحة .. والانتحار
كم أفتقد تألق ابتسامتك
وحنان يدك تربت علي
وروعة كلماتك
ربما .. يوما ما ..
سوف أجد صديقا آخر
ولكن ..
لو أن الألم تتجلى
يتقارن بالحزن لفقدك !
فإنني أتمنى لو أن الـ (يوما ما) هذا
لا يأتي وشيكا





سيناء.. وواقعنا الثقافى

●● قال لى غاضبا :

ـ الا يوجد فى واقعنا الثقافى فى مصر . أى شىء ايجابى . لكى نراه ونكتب عنه . الا يوجد سوى هذا القدر من السلبيات ؟

كان الكلام مفاجأة مفجعة بالنسبة لى قلت برغبة من لايريد العوم فى بحار الكلمات :

ـ عندما تجد هذا الشىء الايجابى . قل لى عليه . وساكتب عنه فورا .. وعند هذا الحد . سكت المتحدث الغاضب . ولانى مكثت من يومها هائلا اقدم له . هذه الصورة المختصرة جدا . وقائع ليست لها . أى اضافة من عندى . عن اكثر الموضوعات سخونة . وهو عودة سيناء . الفرحة الوحيدة . فى زمن الحزن والفجيعة والمأساة . ارتعاشة القلب الوحيدة . فى زمن الاقنعة الجليدية التى تغطى الوجوه .

عادت سيناء ؟ ولنر معا ماذا فعل رجال القلم ..

واحد ذهب الى جريدة يومية . واعلن الخبر التالى : لقد قررت منذ سنوات عدمت الا الزوج حتى تعود سيناء . وقد عادت بعدها قررت الزواج . فورا . كانت بيمناه ورقة فيها تفاصيل الخبر المثير . بيسراه احدث صورة له . وترك الورقة وترك الصورة ومضى . ويبدو انه كان ينتظر تغطية ومتابعة .. لموضوع الزواج ..

اتحاد الكتاب . قرر ارسال وفود من الكتاب الى سيناء .. لكى ينفعل الكتاب بها ويعودوا للكتابة عنها ..

اتحاد الكتاب قرر قبول اى كاتب من سيناء عضوا به ..

جريدة يومية . تكتب . تطلب سرعة كتابة ملحمة سيناء . وتقول ان الكتابة ستكون عملا قوميا من اجل مصلحة .. مصر كلها ..

انا شخصيا . لم تقع عينى . فى وسط هذه الكومة من الاخبار على شىء ايجابى . والصورة مهداة لمن يريد لوى ذراعى .. لكى ارى الامور الايجابية بالعافية فى الواقع الثقافى الراهن .. واعتذر من قبل .. واعتذر من بعد لسيناء .. العائدة من سنوات الاغتراب .

مرحبا نزار قبانى .. ولكن ..

●● لا احب ان يتحول وجود نزار قبانى فى مصر الى محاولة يومية للهجوم على الاشقاء العرب. فرغم تعاطفى الشديد معه ومواساتى .. لاحزانه الا أننى القول يكفى الاشقاء العرب ما قيل فى حقهم فى سنوات المبادرة نحو الاعداء . ولا يجب أن ننسى اننا جزء من



نزار قباني

● لا نملك سوى الترحيب بنزار قباني في عاصمة العروبة

هذا الوطن العربي بكل ما فيه . ولا يجب ان ننسى ايضا أنه يوجد الآن في كل الدول العربية تقريبا كتاب مصريون . يتمنون العودة الى مصر ايضا . وقبل الهجوم على الدول العربية التي تسببت في حضور نزار قباني الى مصر .. لا يجب تجاهل اننا ايضا ـ في مصر ـ لنا أبناء في الغربة . يحلمون بالعودة .

حضر نزار قباني الى مصر فجأة . كان في استقباله في صالة كبار الزوار بالمطار الدكتور يوسف ادريس . والصحفية والاذاعية النشيطة والحاضرة دائما : آمال العمدة . وقصد من المطار مباشرة الى الحاج محمد مدبولي . أشهر ناشر وموزع كتب في العالم العربي اليوم .

عانقه وصافحه ، وبكى الاثنان . ثم بدأت الحفلات للترحيب بنزار قباني ، على العشاء والغداء والفطور . نزار قباني تجاهز الكلمات . ومن وراء هذه الكلمات فيض من المشاعر الدافقة والفياضة دائم لديه ذلك الحضور العاطفي البراق ، و قال ـ عن مصر ـ بعد حضوره ـ كا جميلا .. ووجود هذا الشاعر الكبير ال يعد اهم ظاهرة اعلامية شعرية في عص الراهن كله أمر عظيم . ولكني اخشى صورة العربي التي تمزقت في السنو الماضية . ونحاول الان رأب الصدع فيها أن نعود للكلام عنها بالطريقة القديمة جديد ..

الموت يخطف مترجم . وصف مصر ..

●● شاهدته آخر مرة منـ شهور . كان متعبا ويحمل عد من الكتب . قلت له .. اننا ا اجراء حديث مع واحد من ابناء جيل



الجهد الضخم الذى بذله فى ترجمة وصف مصر .. خصوصا وانه جهد فردى تماما . ..ب بذلك . طلبت منه أن نلتقى فى منزله حتى أصوره هو والاسرة . رفع يده فى لمسافة بيننا . وقال لى زهير الشايب . د لا تجد فى البيت . الركن الذى يصلح لتصوير . ولا الديكور . ولا خلفية لصورة . ملتقى لى اى مقهى من مقاهى سط المدينة ونتكلم . ولكن هذا الحديث م يتم ابدا . لان زهير الشايب سافر بدها . فى رحلة الى بلاد العرب . فشلت لرحلة فى أحد مراحلها . وعاد الى مصر مرض بحالة برد . ودخل مستشفى ليبوبليس ثم مات فجأة .. بنفس الطريقة تى مات بها من قبل ضياء الشرقاوى .

زهير الشايب لم يكمل الاربعين من ره بعد . عمل مدرسا وامينا لمكتبة ملحة الضرائب . وفى الاذاعة . وادارة دب فى وزارة الثقافة . وفى مجلة توبر والاخبار . وحصل على جائزة الدولة شجيعية للترجمة . عن ترجمته لكتاب ف مصر .. وكان قد حصل على منحة غ لكى يتم ترجمة هذا الكتاب الذى بدر منه حتى الآن ستة اجزاء فقط .

كلما شاهدت زهير الشايب . تذكرت موعته القصصية الاولى : المطاردون . يفى القادم من قرية البتانون فى محافظة وفية .. ويعانى من حالة مطاردة دائمة. أبناء المدن . كلما ذهبت الى الجيزة . رت بالقرب من حديقة الحيوان . بيت فى الشارع المجاور لها من ناحية ل . وشاهدت رحابة الاتساع . وخلو ارع من الناس . والسور الحديدى حجار العالية . والسيارات التى تكنس ع . كلما شاهدت هذا المشهد تذكرت المطاردون .

زهير الشايب . يذكر الانسان دائما . بالقدرة على الدأب والمثابرة . والبعد عن مهاترات كل يوم . ومحاولة العثور على دور . بعيدا عن المعارك اليومية التافهة .

أندريه شديد في مصر ..

●● زارت مصر خلال الشهر الماضي الكاتبة المصرية المولد اللبنانية الجنسية الفرنسية الاقامة واللسان . اندريه شديد . وقضت فترة فى مصر . ومع هذا لم يتمكن احد من ان يلتقى بها . فى لقاء ادبى . واندريه شديد . كاتبة التقيت بانتاجها الادبى منذ سنوات بالصدفة : قرأت لها رواية قصيرة هى اليوم السادس .. ورغم ان الرواية مترجمة عن اللغة الفرنسية . الا انها .. شهادة نادرة عن مصر فى أواخر الاربعينات ترصد الكاتبة . حال مصر عندما دهمها وباء الكوليرا . وتدور ما بين صعيد مصر واحياء القاهرة الشعبية . تلتقى بامرأة صعيدية . تحاول انقاذ طفل من الوباء . والرواية تاخذ اسمها . من واقعة تتصل بالوباء . من يصاب به يعيش خمسة أيام . وفى اليوم السادس اما أن يموت. واما ان تكتب له الحياة .. فى الرواية صدق فنى .

حضرت اندريه شديد . ومن المفروض انه يوجد فى مصر اتحاد للكتاب . وجمعيات للادباء . ومجلس أعلى للثقافة . ونادى للقصة . واكثر من رابطة للشعر . ولان هذه الجهات يقودها عدد من ادباء علاقات عامة . يغلقون جميعا بأبواب من يبدعم المنح والمنح . يقضون عرائض التأييد والمبايعة





يحيى الطاهر



في كل زمان ومكان . ولهذا لم يهتم ادباء العلاقات العامة باندريه شديد . ومن المؤكد انهم لم يسمعوا بعد باندريه شديد . ولم يقراوا اى عمل لها . وهكذا فان المكان الوحيد على ارض مصر . الذى شعر بوجود اندريه شديد هنا . هو المركز الثقافي الفرنسي . الذى اقام ندوة شعرية لها قدمت فيها العديد من قصائدها .

الذكرى الاولى .. للصعيدى الذى هده التعب ..

●● مرت الذكرى الاولى . على رحيل يحيى الطاهر عبدالله عن دنيانا . وما اسرع جرى الايام .

رحل يحيى الطاهر فى حادث عبثى لا معنى له . ولاننا نعيش فى الشرق العربى . فلا كرامة لكاتب فى حياته . ولا فى وطنه . كان لا بد ان يمـوت يحيى لكى يهتم به الكل . وفى الوقت الذى ضنت عليـه الصحافة فى حياته حتى بنشر خبر عنه . فى حياته . ما ان مات . حتى صدرت كل الصحف والمجلات وهى .. تتكلم عنه .. لدرجة ان صورته .. تصدرت غلاف احدى المجلات . واقيمت الندوات عنه وعن ادبه . وان كان ذلك كله يشكل ظاهرة ايجابية .

ولكن السؤال الذى لا مفر منه . يبقى هو: لماذا ننتظر حتى يموت الكاتب . ثم نهب جميعا للقول والكتابة عنه ؟

فى الذكرى لرحيل يحيى الطاهر عبدالله .. اصدرت خطوة . وهى المجـلة غير الدورية . التى كان قد شارك فى اصدارها . قبل وفاته . عددا خاصا عنه . وصدر ملحق خاص عنه . واقيمت ليلتان للاحتفال به : الاولى فى اتحاد نقاد السينما المصرية . فى مركز الصور المرئية . والليلة الثانية فى أتليه القاهرة . اتحاد الكتـاب والفنانين

وكان يحيى الطاهر . قد ولد سنة ١٩٣٨ . ورحل فى العام الماضى . وكان اصدر خلال حياته القصيرة : ثلاث شجرا ت تثمر برتقالا . الدف والصندوق . الطوق والاسورة . حكايات الامير . والعجب الوحيد . الذى صدر بعد وفاته هو تصاوير من التراب والماء والشمس . و اصدرته دار الفكر المعاصر .

فى هذه الايام . تدور مطابع دار المستقبل العربى . فى كل من القاهرة .. وبيرو بالاعمال الكاملة ليحيى الطاهر عبدالله لكى تصدر كلها مرة واحدة .

كان يحيى الطاهر عبد الله . اول ا الستينات يموت . وهو الجيـل . ا خرج من معطف هزيمة الخامس من يو ليجد نفسه على ابواب نفق السـبع المظلم . والذى لم يخرج منه الجيل .



عبارة عن اشلاء . وبقايا . والمطلوب من هذه الاشلاء ان تواصل جر نفسها من حفرة الى حفرة .. ومن خندق الى خندق . ومن منحدر الى آخر .

كتب جديدة

● **غربان الزرع ..**

رواية من الادب العالمي الجديد . تاليف جان كانابا . ترجمة نادر زكرى . مراجعة نبيل سليمان . الناشر . دار الفارابي ـ بيروت .

● **المراهنة على جواد ميت ..**

ديوان شعر . للشاعر الدكتور وصفي صادق . الناشر : منشأة المفكرين في الاسكندرية .

● **طاووس الظلام ..**

رواية . تاليف اميمة خفاجي . يبدو ان الناشر هو اميمة خفاجي نفسها . والرواية قدمها مصطفى امين .

● **هناك خطأ ما ..**

مجموعة من القصص القصيرة . محمد الحمل . الناشر : دار المطبوعات الجديدة، بالاسكندرية .

● **اصوات فى الليل ..**

قصص قصيرة . للقاص عبد الحميد البسيوني . الناشر : منهل الثقافة . ميدان الاوبرا القاهرة .

● **متهمون تحت الطلب ..**

رواية . تاليف : فؤاد حجازى . الناشر: سلسلة ادب الجماهير . المنصورة .

● **العزف على الاوتار المرخية**

قصص قصيرة . رجب سعد السيد . مطبوعات نادى القصة بالاسكندرية .

● **الاول والاخير ..**

مسرحيتان . تاليف : وليد ابو بكر . الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع . الكويت

● **الحائط المنهار ..**

ثلاث قصص طويلة : تحت جنح الظلام، حياة القطة . الحائط المنهار . تاليف : سمير مجل . الناشر : شركة تيب للطباعة والنشر . باريس . فرنسا .

● **الولد الشقى فى السجن ..**

الجزء الثالث . وليس الاخير . من مذكرات محمود السعدني . الناشر : دار الوحدة ـ بيروت ـ لبنان .

● **الحرب فى زمن الحرب ..**

ديوان من الشعر المقاتل . لشاعر ينشر باسم صخر . وهو اسم مستعار . لقائد قوات المقاومة الفلسطينية . الناشر : الاعلام الموحد . منشورات فلسطين الثورة.

● **لانى احبك ..**

ديوان من الشعر للشاعر فاروق جويدة هو ديوانه الثامن . الناشر : مكتبة غريب. القاهرة

● **اما بعد ..**

ديوان من الشعر : للشاعر محمود



تشيكوف



على مبارك


د. احمد عبد الرحيم — فاروق جويدة

العزب • الديوان مكتوب ومطبوع ومنشور. في مدينة باريس البعيدة • البعيدة • ولكن الشاعر مصري •

● في الليل تأتي العيون ..
قصص قصيرة . للقاصة الكويتية المعروفة ليل العثمان • الناشر : دار الاداب — بيروت •

● الناب الازرق ..
رواية • لفؤاد قنديل • يبدو ان الناشر هو المؤلف نفسه •

● الخطط التوفيقية الجديدة .
لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة
تاليف . على باشا مبارك • صدر منذ فترة الجزء الاول • وها هو الجزء الرابع الخاص بجوامع القاهرة • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب •

● تجربة الديمقراطية في مصر
تاليف الدكاترة : على الدين هلال • مصطفى كامل السعد • اكرام بدر الدين. الناشر : المركز العربي للبحوث والنشر الذي يقف وراءه الدكتور محمود الشنيطي.

● السيدة صاحبة الكلب ..
قصص قصيرة • للرائد : انطـون تشيكوف • عشر قصص • الناشر : دار التقدم • موسكو • الاتحاد السوفييتي • والنشر باللغة العربية

● الانقلابات الدستورية في مصر
دراسة الدكتور على شلبي والدكتور مصطفى النحاس جبر واشراف وتقديم الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى • الناشر : مركز وثائق تاريخ مصر المعاصرة. في الهيئة المصرية العامة للكتاب •

● درب الآلام ..
ثلاثية روائية • من تاليف الروائي الكس تولستوى • وهو غير الكاتب العظيم ليو تولستوى • الناشر : دار التقدم • موسكو. الاتحاد السوفييتي •

بريد المتابعات :

●● الدكتور محمد المخزنجي :
يكتب عن المتابعات الادبية ويتساءل : هل الواقع الادبي في مصر بهذا القدر من القتامة والتشاؤم • الا يوجد امل ما ؟ والسؤال محير • والاجابة عليه اكثر حيرة • واطلب منك وانت قصاص واعد. ان تضع يدك على هذه الجوانب الواعدة في الواقع الثقافي الراهن •

●● محمد نصر يس :
مدير قصر ثقافة قنا •
يرجو ان تكون هناك مساحة لنشر هموم ومشاكل ادباء الاقاليم • العامرة دائما بالمبدعين والمخلصين الذين لا يجدون طريقهم الى القارىء

●● نادى المسرح في دمياط :
وصلتني نشرتكم • عن المسرح • وبها الدراسة الهامة : الوجه الصحيح والوجه القبيح في مسرحنا •

●● الدكتور كامل سعفان
له كتاب عن اليهود • صادرته قوات الامن • في حين ان الرقابة لا وجود لها من الناحية الرسمية • ويتساءل عن مصير كتابه ماذا جرى فيه وله ، وكيف يتم ذلك في مصر الآن ؟

كاريكاتير



— لمؤاخذه قلتو "أنظر حولك" نظرنا لما رقبتنا اتلوحت مالقيناش حاجه ... وبعدين قلتو "الخيار لك" طلع الكيلو بخمسين قرش !!

ابنائى طلبه الثانويه العامه .. درس اليوم
عن طريقة عمل البرشام !!



— ياعلى بيه سيادة المدير مشغول على الشغل
.. قوللى بسرعة حيوان بحرى أوله سين !!





- قول آه ..
- لأ بأه !!

- عاملة دوشة وموقعة الناس
في بعضيها ... جاتك "شوطة" !!



- ما أخبيش عليك الحالة صعبة ... على العموم احنا عملنا
اللي علينا والباقي على ربنا !!

ثلوج

شعر: عبد الكريم عرجون



سماء المدينة ماذا لديك   وهذا الصباح جديد عليك
فكيف طويت الشعاع السنى   وكم نور الافق من ساحتيك
وأين خبيت الخطا للربيع   والأهازة فى صبا جنتيك
وأين الحياة وكانت هنا   تموج بألطاف ما فى يديك
تجمد كل رفيف الشباب   وقلب مع الثلج فى شاطئيك
فلاحت لعينى ذوائب قطن   تناثر حولى ترف بايكى
تساقط فوق غصون الربا   وتحجب رؤية سار اليك
فمن للغريب لوى عند ركن   وحط بدار على هامشيك
تحير عبر مناخ جديد   وعايش صمتا على باحتيك
وراح يفلسف يأس ليالٍ   ويدنى رجاء على مسمعيك
لعل الجديد الذى سوف يأتى   يجيء بدفء يقى جنتيك
شتاء الورى هيتمات تجيء   وتمضى ولا شيء من قبضتيك



SAINT LAURENT

سان لوران

رفقي ابو شادي

لوازم ديكور

- موكيت • ورق حائط
- سيراميك • مطابخ
- بلاكارات • نجف
- تحف • ترابيزات اوتكس

موزعون معتمدون :

لشركة مصر أمريكا للسجاد والموكيت

موزعون معتمدون لمطابخ جاور الانجليزية

شركة سان لوران للديكور



رفقي ابو شادي
مدير عام الشركة

انتاج هذه الشركة يهمك جدا اذا كنت تعمل بالفكر ، او اذا كانت لديك هواية القراءة . ففي هذه الحالة ستجد المناخ المناسب لكي تقرأ وتستمتع بغذاء الروح .. وبجانب ذلك .. فان كل ما تطلبه لديكور شقتك ستجده رهن اشارتك . فهناك المتخصصون والفنيون الذين سيزورونك مرة واحدة .. وبعدها تعيش في عالم من الاناقة والراحة والسعادة ..

وهذه الشركة ، هي شركة سان لوران ، ومديرها العام الاستاذ رفقي ابو شادي ، الذي يحدث قراء الهلال .

ويستعرض مدير الشركة منتجات الشركة مبينا اهم ماتقدمه «سان لوران».

— ان الشركة تقدم الموكيت والسيراميك وورق الحائط ، والنجف والمطابخ ، والبلاكارات.. الى جانب مناضد اوتكس ، واسبوتات اضاءة ، وستائر واقمشة التنجيد ، واطقم الحمامات من ماركات وانواع عالمية .

ان الشركة توفر لك كل انواع الديكور ومستلزماته .. سواء للمهندسين او المستهلكين العاديين ، الذين تقوم الشركة بارشادهم لاحسن طرق اختيار واستخدام الديكور ، وهذا بالطبع مساهمة من الشركة لعملائها ■

وجدير بالذكر أن الشركة تقوم بتنفيذ

التخطيط العلمى للديكور من أجل راحتك ..

الأعمال المتكاملة للديكور ، سواء للمكاتب والفنادق ، وسائر الاماكن السياحية ، وكذلك الفيلات والشقق الخاصة ..

● وهنا يطرح تساؤل : هل تقـوم الشركة باستيراد مستلزمات الديكور من الخارج لحسابها أم انها تقوم بتوزيعها نيابة عن المستوردين. وما هى أهم الشركات العالمية وشركات الاستثمار التى تتعامل معها ؟

ويجيب الاستاذ رتقى أبو شادى قائلا :

ـ الشركة تقوم باستيراد معظم المستلزمات من الخارج . ونحن لا نعتمد على ذوقنا الخاص . فلو ظهر مستورد افضل .. فلا مانع من تقديم بضاعته للمستهلك . لان الهدف هو خدمة المستهلك أكبر خدمة ممكنة . أما بالنسبة للشركات العالمية التى نتعامل معها ، فمنها شركة جاور للمطابخ الانجليزية والبلاكارات .. وبالنسبة لشركات الاستثمار ، فنحن نتعامل مع شركة مصر امريكا ، ونحن الموزعين المعتمدين بها . وانتاجها يعتبر أحسن انتاج شهده السوق المصرى .

● وهل سبق للشركة أن اشتركت فى المعارض الدولية ؟ وما هو أهم ما يميز انتاجها ؟ .

ـ اشتركنا فى سوق القاهرة الدولية ، ونشترك فيه كل عام .

أما بالنسبة للانتاج ، فنترك الحكم عليه للمستهلك الذى يقبل على انتاجنا

● كيف تتعامل الشركة مع المستهلك المصرى ؟

ـ نحن أساسا نرشد المستهلك الى الاذواق السليمة ، والاختيار النهائى نتركه له . نحن نقدم ما نراه مناسبا مع امكانية وتوافق خطوط والوان الشقة مثلا. واحيانا يطلب منا المستهلك اختيار اللون الذى يناسبه لشقته او فيلته .. وهنا نقوم بتقديم النصيحة .. وهذا يتم تقريبا مع اغلب العملاء ، فقد تولدت الثقة فينا .

لكن سؤالا اخيرا يطرا هل يمكن لخامات الديكور المحلية أن تغنى عن المستورد ؟

يجيب الاستاذ رتقى ابو شادى مدير عام شركة « سان لوران » .

ـ هذا يمكن .. لكننا لا نستطيع أن نمنع استيراد الخامات حاليا لانها الميزان الحساس كتقييم الخامات المحلية فى حالة انعدام المنافسة ، وانعدام دخول اذواق جديدة واكتشافات جديدة فى خطوط الديكور العالمية .

ونحن نرى انه لابد من الخامات المستوردة ، حتى يمكن لشركات الصناعة المصرية أن تنافسها وتقلدها ، وتعمل افضل منها . وعند ذلك فالمستهلك المصرى سيفضل حتما الخامة المحلية عن المستوردة .. وستكون بالطبع بطريقة افضل وسعر اقل

● تأسست شركة « سان لوران » فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٠

● قام بتأسيسها صاحبها ومديرها العام الاستاذ رتقى أبو شادى

● الشركة بها جميع المستلزمات الكاملة

● وتعتبر الآن مرجعا لكل انواع الديكور وخاماته

● وحتى الشركات الأخرى ترجع الى « سان لوران » فى الاشياء التى لاتوجد عندها ●

سامى الميهى

رسائل  جامعية

تقديم: رجاء عبد الله

التصوّف والعلاج النفسى

الدكتور: مصطفى رضا محمد أبو عوف

إشراف: أ. د. محمد محمد شعلان • أ. د. طارق على حسن



١٥٤

يقول الدكتور مصطفى ابو عوف فى مقدمة هذه الدراسة الجامعية .. ان لقسم الطب النفسى والعصبى فى كلية طب الازهر دورا خاصا ، فهو اولا ينتمى لكلية علمية تنتمى الى جامعة دينية عريقة حافظت قرابة الف عام على التراث الاسلامى، وتبعا لهذا الموقع فلها دور هام ، وهو الجمع بين الرؤية العلمية الحديثة ، والوعى باصالة ذلك التراث الروحى العظيم ، اثراء وتاصيلا وتنقية ، مستقبلا الجديد بعقل مفتوح ، ومرسخا اقدامه فى القديم دون انغلاق ولا تعصب .

● من هذا المنطلق ـ والذى وضع به الباحث اصابعه على الدور المطلوب لجامعة الازهر العتيد ، اختار موضوع رسالته ، وهو التصوف فى التراث الاسلامى

● التصوف الاسلامى تراث قديم ، يعيش حيا فى ثقافتنا العربية الاسلامية منذ اكثر من الف ومائتى عام . مشكلا احد روافدها الهامة ، ومؤثرا فى ملايين الاشخاص على مر السنين وان كانت غالبية المسلمين بعيدة عنه فى كل العصور ..

واذا كان العلاج النفسى هو عملية تغيير هادفة للافراد تسعى الى هدف مرغوب يعرف بالصحة النفسية ، وتستخدم وسائل شتى من اجل ذلك فان التصوف الاسلامى علاج نفسى متكامل لاصحابه لانه يستعمل وسائل او تكتيكات خاصة شديدة التاثير ، ويسعى الى حالة محدوة .. ترتبط فيها

● غاية المتصوفين المحددة الوصول إلى حالة المعرفة

الرؤية النظرية بالوسـائل والهدف .
ويقول الدكتور ابو عوف ان التصوف لاياتى الينـا لندرسه فى العيادات .. بل يدور هناك فى المجتمع خارج عياداتنا ، فان كان لاياتى الينا فلماذا لانذهب نحن اليه ندرسه فى محيطه وجريانه الطبيعى ، وهذه الدراسة محاولة للاجابة عن اسـئلة مهمة : ماذا يجرى هناك ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

منذ اقدم العصور ، يوم ان كان علم النفس مازال منـــدرجا فى مجموعة المعارف التى تســـمى بالحكمة ، وعندما كان يسمى « علم ظواهر الروح » ، وحتى الان كانت توجد دائمـا رؤى لما يجب ان يكون عليه الانســـان الفاضل فى مجتمع فاضل فى حقبة مـن الزمن ..

ومع التغيرات الاجتمـــاعية السريعة تختلف هذه الرؤى ، لتحل محلها رؤى اخرى عما «يجب ان يكون عليه الانسان» .. النموذج او المثل الاعلى الاخلاقى .

بهذا المعنى فان الصحة النفسية هى بالضرورة حكم اخلاقى ، فمجرد الحكم على شخص ما بانه « صحيح نفسيا » يعنى ضمنا انه « حسن » وعلى اخر بانه « مريض » يعنى انه « سيىء » .

وفى العصر الحالى يقوم المعـــالجون النفسيون بجزء من الدور الذى كان يقوم به الحكماء والمعلمون والدعاة قديما .. وهذا الدور هو اعداد الافراد واعادتهم لكى يصبحوا صـــالحين « للاداء » او للتعبير من التيارات والقوى المختلفـــة والمتغيرة التى تنبض فى مجتمع ما .. ومن هنا وجب ان يكون لدى المعـــالج رؤية اخلاقية واضحة ، والتزام محدد ، وان تكون « الصحة النفسية » لدى المعالج فى اتساق مع الفلسفة التى يعتنقها مـع مجموعة الناس التى ينتمى اليها ..

وللتصوف الاسلامى صحة نفسية خاصة به ، صورة معينة « لما يجب ان يكون عليه المتصوف » وهى تتسق مع رؤيته الخاصة للعالم والحياة والانسان، وهو بهذا نظام علاجى له غاياته المحددة ، وله وســـائله وطرقه الخاصة .. وينطلق المعالج الصوفى من رؤية متحيزة ومنطلق اخلاقى واضح .. « هذا حلال للصوفى ، وهذا حرام » .. ومدركا وجوب تميز مفاهيمه ومصطلحاته وانها خاصة بالطائفة الصوفية . وقــد نختلف او نتفق مع المتصوفين فى مضمون غاياتهم او رؤيتهم او اهدافهم .. ولكن تبقى حقيقة ان هذا الموقف الواضـــح والمعلن ، يشكل وضوحا واتساقا ينقص الكثير من نظم العلاج الحديثة »

● اما غاية المتصوفين المحددة ..فهى الوصول الى حالة المعرفة .. يســمونها الكشف او المشاهدة .. وهـــذه المعرفة تحدث دون توسط من الحس او العقل . ويكون « العارف » اثناء هذه المعرفة فى حالة نفسية خاصة تعرف « بالمحو » او

«الفناء» أو « الغياب » .. وتشمل عناصر كثيرة منها مفارقة الصفات البشرية المعروفة كالرغبة والاختيار وعذاب المحسوسات والتحول عنها .. والحيرة والسعادة ..

وقد يرجع الصوفي منها الى حالة مناقضة هي « الاثبات » أو « الحضور » .. أو « الصحو » .. وهي العودة للحياة الذهنية .. وقد لا يرجع .. ومن المؤكد أن هذا كله خاص بالفئة الصوفية وأن غالبية المسلمين ، وبخاصة أهل السنة ، لا شأن لهم بهذه الأمور .

ومحاولة الوصول الى المعرفة تكون عن طريق اعداد خاص للصوفي وممارسات تعرف « بالمجاهدة » أو « الرياضة » ..

وهي زيادة في العبادات العادية كالصوم والصلاة والتأمل والذكر .. تضاف اليها ممارسات أخرى كالجوع والسهر والخلوة والزهد والتقشف أو القيام بحركات ايقاعية مع ترديد الأذكار أو الغناء « السماع » ..

والغاية والممارسات الموصلة اليها ، لها نظرية تحدد مفاهيم معينة عن الوجود والنفس والاخلاق والمعرفة ، وهو مايعرف بعلم التصوف ..

التصوف اذن هو علاج نفسي

بهذا المعنى السابق ، فان التصوف هو علاج نفسي لأصحابه .. وهذا التماثل يتضح في عملية تغيير الأفراد ..

● الغاية أو الهدف . تلك الحالة المرغوبة للتواجد «أي الاحساس بالوجد» عند الصوفية حال المعرفة أو المشاهدة وما يتبعها ، هي عندنا الصحة النفسية تبعا لرؤيتنا ، ولها أيضا درجات ، فمن المتصوفين من لا يصبح « عارفا » ابدا ، وقد يظل مجرد « مريد » دائم ، مثلما قد لايصل الفرد في العلاج النفسي ابدا « للصحة النفسية » «الايجابية » وقد يظل « فردا تحت العلاج » بصورة شبه دائمة .

● هناك الطرق أو الممارسات ، وهي مايعرفه المتصوفون بالمجاهدة أو الرياضة .. أو التزكية وما نعرفه نحن بالوسائل والتكتيكات .. وكلها تعمل على التغيير في اتجاه الغاية .

● وهناك أيضا البناء النظري .. الرؤية الفلسفية وراء الممارسات التي تحدد العلاقة بين الوسائل والهدف وهو « علم



التصوف » لدى المتصوفين .. وعندنا هو النظريات المختلفة في النفس والاخلاق والمعرفة .. بل فلسفة للوجود احيانا معلنة واحيانا خافية في ثنايا علم النفس الذى تتبعه .. هكذا يقول الدكتور ابو عوف

علم السلوك الصوفى

● يعتقد كل المتصوفين تقريبا بان النفس الانسانية يمكن تشكيلها وتغييرها ، وينطلق هذا الاعتقاد من مبدأ اساسى في علم السلوك الصوفى وهو أن الفطرة الانسانية خيرة ، وأن الانسان هو اشرف الموجودات وخليفة الله على الارض .وانه من الممكن الوصول الى درجة الكمال ..

● تسرد كتب المتصوفين الفكرة الموجودة في كتب العلاج النفسي الحديث وهى فكرة احترام الفروق الفردية ، واخذ كل حالة على حدة . فينص الغزالى على « ان الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم » بل ينبغى أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته .

الأمل الدائم ..

● يعلن معظم المعالجين النفسيين انهم لا يضمنون لمرضاهم الشفاء ، وأن المهم هو المحاولة وليس التحقيق النهائى للهدف .. والامر يتوقف الى حد كبير على المريض .

وهذا الاعتقاد موجود ايضا في علم السلوك الصوفى ، فلا المعالج « الشيخ » ولا المريد يستطيعان أن ينسبا لنفسيهما فضلا ، والنجاح أو الفشل في الحصول على الكشف هما من علم الله ومن قراراته وما على الاثنين الا السعى فى الطريق .

● فكرة التدرج والمراحل = المقامات الصوفية ..

للصوفيين معرفة عميقة باساليب التدرج في التغيير وينصحون به دائما .. ولها شكل منهجى منظم هو « المقامات » وهى الدرجات التى يحصل عليها المريد نتيجة لمعاناته في العبادة والرياضة ..

وتبدأ المقامات بالتوبة .. وتتدرج الى ان تصل الى الغاية وهى المعرفة ..

● التوبة الصوفية = ضرورة البدء بدافع قوى للتغيير ..

تبدأ الرحلة الصوفية بحالة التوبة .. ويشرح القشيرى معناها « بانها الندم على المخالفات وتركها والعزم على عدم العودة للمعاصى » ، وتبدأ التوبة باليقظة وهى حالة من الوعى بعبث الحياة العادية .. ثم مرحلة الارادة وهى رغبة عارمة في الخلاص ، وشعور ملتهب بالحاجة الى شيء اخر .. حالة من « الانخلاع » عن المألوفات .. والشعور بالضيق من كل شيء وادانة كل شيء واحيانا تحدث اعراض جسمانية واضحة مثل فقد الشهية وسوء الهضم وصعوبة النطق ..

وهذه الحالة تتحدث عنها كل العلاجات النفسية الموجودة .. «دافع قوى للعلاج» ووجوب ان يصل الدافع للعلاج الى درجة النيران التى تتاجج فى القلوب ، بل أن بعضها يسعى فعلا الى خلق شعور مشابه ان لم يكن موجودا ..

● وفى الدراسة الميدانية التى اجراها الباحث على عينة من المتصوفين ، لاحظ

ان السبب الداخلى الغالب للتصوف هو التوبة عن المعاصى ..

وتبين له ان التوبة الصوفية تلك تختلف عن التوبة كما يعرفها اغلب المسلمين ، فهى حالة نفسية خاصة يضيق فيها المرء بكل شىء ، ويشعر بان كل حياته السابقة كانت « غفلة » ، ويعانى من شعور عميق بالانفصال عن حياته وعاداته واصدقائه . ومن ضجر بكل شىء حتى بنفسه ، ويحس برغبة لا تهدأ فى الخلاص ، ويمقت حياته الماضية ، ويائه بدون رحمة الله فلا أمل له ، ويصبح خائفا وجلا ، واحيانا تنتابه بعض الاعراض الواضحة كقلة النوم ، وانسداد الشهية ، وعدم المبالاة بشئون حياته اليومية ..

ومن الملاحظ أن هذه الحالة تشبه « الاغتراب » الموصوف فى علوم النفس الحديثة ، وانها تشمل بعض مظاهر الاغتراب الايجابية . مثل فقدان المعنى ، والخوف والقلق وعدم الشعور بالانتماء للجماعة الاساسية المحيطة بالمرء .. كما تشمل بعض مظاهر الاغتراب السلبية مثل اهتمام المرء بذاته وانشغاله باحواله واللامبالاة بما يشغل الآخرين والعزلة الاجتماعية .

التكتيكات الصوفية الخاصة

● يستعمل المعالج النفسى عددا من اساليب العلاج العلمية كالايحاء والاقناع المنطقى والتفريغ العاطفى ، والعلاقة مع المعالج ، وظهر اخيرا اسلوب العلاج الجماعى ..

ويستعمل المتصوفون وسائل خاصة .. تتركز فى اربعة امور : الجوع ، والعزلة او الخلوة ، والصمت ، والسهر ..

وقد ثبت طبيا أن الاعياء والتعـ
الناشئين من الجوع يزيدان من القابليـ
للايحاء .. كما أن الامتناع من الطعام لـ
طويلة قد يسبب الهلوسة .. كما ا
الخلوة ويصفها الغزالى « بحيث تصبـ
حرمانا حسيا جزئيا » .. وهى تؤدى ا
بعض الرؤى الحسنة ، أو الخوا
والوسوسة الشيطانية .. كما أن الـ
او الحرمان من النوم يؤدى الى اختلال
السلوك واضطرابات فى التفكير ، وخا
بين الواقع والخيال ويزيد من القابليـ
للايحاء ..

السماع

يشمل السماع الموسيقى والغنـ
والرقص .. ويرى الصوفيون انه قـ
يؤدى الى حالة الفناء « أى الحبـ
الصوفية » وهى الغاية

فماذا عن علم النفس ؟

تذكر الدراسات التى أجريت على
المرضى النفسيين بالموسيقى أن معدل ا
تخاطب اولئك المرضى يتغير بتلك العلا
واورد البعض تعالج لحالات كثيرة من ا
الذين استفادوا من العلاج ، كما ان
العلاج التاملى يبدأ المريض بالاستماع
الموسيقى التى تناسب مزاجه حزيـ
حالة الاكتئاب ، ومرحة فى حالات ا
.. كما تستخدم للتهدئة او مع الرا
كما قد تستخدم لاحداث وانهاء
التنويم ..

وحديثا .. بدأ العلاج بالرقص
ويقول المتحمسون له أنه وسيلة للتـ
غير اللفظى والتنفيس عن المشاعر الـ
والرقيقة والتفريغ الانفعالى كما
الى الاسترخاء الجسدى والوعى با

والصوفية ..

« الذكر » هو مجموعة من الحركات الإيقاعية المتكررة التى تجرى على الاقل مرة كل اسبوع .. وينتشر فى الموالد والمناسبات الدينية ..

ويصف لنا الباحث من خلال دراسته الميدانية واحدة من الحضرات الراقصة ، وهى الذكر الجماعى .. والذى يتمثل فيه السماع بالموسيقى والرقص والغناء..

« فى البداية يقف المشاركون فى صفين متقابلين .. واحيانا فى حلقة ـ ويقف فى وسط الصفين شيخ من قدامى المريدين يسمى بنقيب الحضرة ، واحيانا قليلة يتولى الشيخ نفسه هذه المهمة ، وفى نهاية الصفين يقف المنشد ومعه الموسيقيون ويبدأ المنشد فى الانشاد الهادىء ، ويردد الذاكرون وراءه بطريقة ايقاعية هادئة بحيث يشكل ذلك ايقاعا خلفيا ، مصاحبين هذا الترديد بحركات تتماشى مع الايقاع ، تبدأ عادة بادارة الجزء الاعلى من الجسم ناحية اليمين ثم اليسار بالتناوب ، وبصورة منظمة وجماعية ، حيث يكون الكل ناظرين الى اليمين او الى اليسار ، والواقع أن اجادة هذه الحركة تصف الدائرية بالجذع والكتفين والذراعين مع الثبات النسبى للساقين امر ليس بالسهل ، وقد يتطلب اسابيع او ... ات عديدة من التدريب ، فعندما يدور ... الجذع والوجه الى اليمين ، يجب أن يرتكز ... ه على كعب رجله اليمنى ومشط ... له اليسرى ، والعكس بالعكس ، وأن ... ن الذراعان مرتين ولينثنى الحركة ، ... اختل التوازن ، وبوسع الملاحظ لاى ... من هذا النوع أن يدرك أن ثمة ذاكرين ... ين يؤدون هذا الدوران برشاقة ولمدد طويلة ، ونادرا مايرتطمون بالاخرين رغم ضيق المساحة النسبى ، ويحافظون على الايقاع تماما ..

ورويدا رويدا ، يحمى الايقاع ويرتفع صوت المنشد متغنيا بكلمات محملة بالعواطف ، وباداء نابع من القلب لان المنشد صوفى أيضا ، وقد يبدأ فى ارتجالات لحنية مكررا كلمات معينة من القصيدة التى ينشدها ، أو مستخدما اللفظ « آه » فى تكوينات لحنية حسرة تجرى على ارضية الايقاع الهادر ويصبح الدوران عنيفا وسريعا ، وتتسع مساحة حركة الفرد فيكاد فى دورانه من احدى الجهتين الى الاخرى ان تلمس ذراعاه الارض ، وترتفع الصيحات « مدد » .. فى اصوات حادة ومحملة بالشوق او المتعة او الالم ، ويطول هذا الايقاع الساخن ، وتلتهب المشاعر اكثر فاكثر ، ويسيل العرق من اجساد الجميع ، وقد يسقط واحد او اكثر على الارض متشنجا او متابعا الايقاع بخبطات من يديه على الارض او باهتزازات جسدية منتظمة ، او مارا بغيبوبة ، او بحالات انشقاقية يصيح فيها بعبارات مختلفة قد تكون خاصة بحياته الشخصية مثل « انا ما عملتش حاجة » او « والنبى تسيبونى » ، وهنا يسارع البعض بنقله خارج الحلقة أو أحيانا يتركه للفترة يقوم فيها بهذا التفريغ الوجدانى بحرية ، ولكن غالبا مايشير نقيب الحضرة الى المنشد لتهدئة الايقاع او التوقف قليلا ، فنكتشف أن هناك شخصا غير مدرك لها ، يستمر فى الدوران غير واع بالعالم الخارجى ، وهنا يتجه النقيب اليه ، ويضع يده على كتفه أو راسه مع تركه يدور ، ويطلب اليه برفق ان يتيقظ ، أو يحتضنه مع ترك مجال



حى نسبيا له يتابع حركته حتى تهـدأ رويدا رويدا .. وقد يستمر حتى يتحول الى نوع من « الجلب » فيسـقط على الارض وينقل جانبا .

ولا ينتهى الامر بهذه القمة والهبوط، فبعدها يبدأ نوع اخر من الحركة ، قـد يكون الانحناء الى الامام ثم الاستقامة . مع ترديد نوع اخر من الخلفية الايقاعية مثل « هو .. هو » أو « حى » ويبدأ الايقاع فى الاسراع مرة أخرى ، وتتحول الحركة الى قفز عال عن الارض وملتهب ، ويبدأ اخرون فى « الانجذاب » .. ولـتستمر كل دورة متصاعدة حوالى ربع أو ثلث ساعة ، تطول أو تقصر تبعا لرغبة النقيب والمنشد فى احداث « التجليـــات » او « الانجذابات » ..

وتحفل كتب الصوفية بذكر الاحـوال التى تعترى المتصوفين نتيجة للســـماع « الغناء والموسيقى والرقص » والتى قد تكون لفـترات فى الوعى والادراك ، كان يرى الصوفى الجبال والاشجار ترقص معه، أو أن يتأوه وينهنه ، او أن يتصبب او يظل يرقص على وتيرة واحدة لمدد طويلة جدا ، او أن يمزق الثياب ويلطم ، او يظل لايام بدون طعام ، أو يتصبب عرقا، مما يدل على شدة التقلبات العاطفية التى كان الســـماع يؤدى اليها .. بل ان القشيرى يروى أن بعض المتصوفين قـد ماتوا نتيجة للسماع .

ويعلق البـــاحث على فائدة الذكر او الرقص الصوفى كعلاج نفسى ، فهو يحتوى على عناصر كثيرة .. فهو مؤثر واحد متكرر، وهو زيادة فى المؤثرات الحسية ، ويقوى الاحساس المشترك ، ويساعد على التفريغ العاطفى .

والذكر الصوفى يساعد على احـداث التغييرات الصـــوفية المطلوبة فى الافراد ، واهمها الوصول الى حالات « الجذب » او « الفناء » .. وما لها من اثار ..

غاية التصوف

الوصول الى حالة « الفنـــاء » او « المعرفة » او « الخبرة » هى الغاية من التصوف .. بعد السلوك والممارسات التى يتبعها العارف بالله .. وعندها يحدث التغيير فى الاحساس وفى الادراك الحسى، وفى التفكير ..

● فى الاحساس : تتوقف الاحساسات فى الوصول الى الوعى ، فيتوقف الالم والسمع والبصر ، وكل احساس بالعالم الخارجى ، وكما قال السرى السقطى .. « أن الصوفى فى حالة الفناء لو ضرب وجهه بالسيف لما أحس به » !..

ويرى الباحث ان الخبرة الصوفية التى هى غاية التصوف كانت ومازالت هدفا يسعى اليه كثير من الناس ، سـواء فى الشرق او الغرب ، فهى تعطى كثيرا من الاشباعات النفسية للافراد ، مثل ذلك الشعور بالراحة والسكينة والســعادة وحب الاخرين والشعور بالقوة والثقة بالنفس ، والشعور باليقين النهائى الذى لا يتغير .

وهو يرى ان الخبرة الصـــوفية علامة بارزة ونقطة تحول فى حياة الصوفى ، فهى فى معظم الاحوال تأكيد للفكر الخـــاص الذى ينطلق منه الصوفى ، وقد تعادل فى اثرها مئـــات النشرات والكتب والمحاضرات والدعوات .. وغير ذلك مـن العوامل التى تستخدم من أجل «التحول» والاقناع من قبل الجماعات المختلفة ●

اسعار : الهلال

سوريا	٣٥٠	ق.س	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
لبنان	٣٠٠	ق.ل	باريس	٨	فرنكات
الاردن	٣٠٠	فلس	لندن	٨٠	بنى
الكويت	٤٥٠	فلسا	ايطاليا	١٢٠٠	ليرة
العراق	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣ر٥	فرنك
السعودية	٥	ريالات	اثينا	٥٠	دراخمة
السودان	٣٥٠	مليما	فيينا	٣٥	شلنا
تونس	٦٥٠	مليما	فرانكفورت	٣ر٥	مارك
المغرب	٨٠٠	فرنك	كوبنهاجن	١٠	كرونات
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	استوكهولم	١٤	كرونه
الخليج	٤٥٠	فلسا	كندا	٢٥٠	سنتا
غزة	٨٠	ليرة	البرازيل	٣٥٠	كروزيرو
الصومال	٥٠	بنى	نيويورك	٢٥٠	سنتا
داكار	٤٠٠	فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
لاجوس	٦٠	بنى	استراليا	٣٠٠	سنت
اسمرة	٤٥٠	سنتا	هولندا	٤	فلورين
اليمن الشمالية	٥٠	بنى			

مصر للطيران

على مصر وفى كل مكان





مصر للطيران

٥٠

عاما من الخبرة

اليوبيل الذهبي

١٩٣٢ - ١٩٨٢

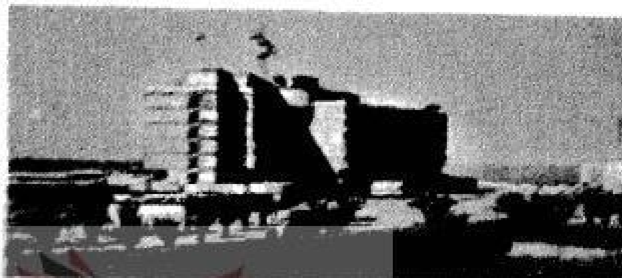
مدينة المقطم

تعلن الشركة عن فتح باب البيع

بالأرض المتبقية من تقسيم المنطقة "ج" المعتمد بالقرار رقم ١٥٥ لسنة ١٩٧٩

مرافق كاملة

مياه . مجاري . كهرباء
شوارع مرصوفة



أراضي للعمارات

مساحة القطعة ٨٠٠ متر
سعر المتر ٥٥ جنيهاً
والنواصي ٦٨ جنيهاً



أراضي للفيلات

مساحة القطعة ١٠٠٠ متر
بأسعار تبدأ من ٧٧ جنيهاً
إلى ١٠٣ جنيهات

يدفع المشترى ٥٠ %

عند توقيع العقد الابتدائى
ثم ٢٥٪ بعد ٣ أشهر
والباقى ٢٥٪ بعد ٦ أشهر

المعاينة والحجز والبيع
يومياً حتى الواحدة
بعد الظهر بمقر الشركة
بمدينة المقطم
ميدان النافورة

للاستعلام : تليفون ٩٢١٩٥٩/٩٣٩٩٢٥/٩٢٠٢٥١

يونيو
سنة ١٩٨٢

الهلال

الثمن
٢٥ قرشا

"الوحى المحمدى"

كتاب للقرن العشرين



الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ - السنة التسعون - أول يوليو سنة ١٩٨٢ العاشر من رمضان سنة ١٤٠٢ ...



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى أو عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار **الهلال** فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



فى هـــذا العـــدد

عزيزى القارىء

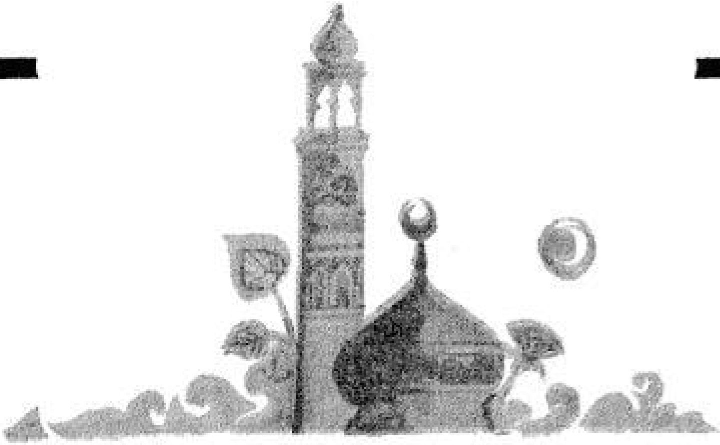
يوافق صدور هذا العدد من « الهلال » .. أوائل أيام شهر رمضان المبارك .. كل عام وانتم بخير .. ستجد الكثير من مواد هذا العدد متعلقا بجوهر هذا الشهر الكريم ، وانما جوهره الدعوة الى تطهير النفس ،وتثبيت الاخاء والمساواة بين الناس جميعا بالمحبة والمروءة واقامة المجتمع الانسانى على قواعد راسخة تعلى كرامة الانسان وحقه لا على أوهام تهدر حقه وكرامته ..

وهذا فى الواقع ما تناضل من أجله الآن الشعوب الاسلامية والشرقية ، فى عصر تفاقمت فيه عدوانية الاستعمار العالمى بمختلف أشكاله ، فضلا عن الصهيونية الباغية ذات المخالب والانياب التى تقطر من دم العرب والمسلمين ! .

واحتفاء بهذا الشهر المضىء ، نقدم اليك هدية من « تراث الهلال » .. هى بحث رائع فريد ، كتبه الاديب الشاعر المؤرخ القاضى الفقيه العلامة الاستاذ حفنى ناصف رحمه الله .. وقد نشره الهلال منذ خمسين عاما ..

كان حفنى ناصف الذى عاش أربعة وستين عاما « ١٨٥٥ ـ ١٩١٩ » من أطرف الظرفاء فى عصره ، فكان من طرفه وولعه باللطائف أن قرر البحث عن أصل اسمه « حفنى » الذى يحمله ولا يعرف له أصلا فى اللغة العربية ! .. فمن أين جاء هذا الاسم وما معناه ؟!

انهمك حفنى ناصف فى البحث عن أصل اسمه ، فقرأ عشرات المراجع حتى عرف انه منسوب الى قرية « حفن » فى الصعيد التى صار اسمها « الشيخ عبادة » تمجيدا لذكرى الصحابى المجاهد عبادة بن الصامت الذى أقام بها مدة بعد أن وفد الى مصر ضمن رجال عمرو بن العاص الذين حرروا مصر من الروم سنة ٢٠ للهجرة الموافقة سنة ٦٤١ للميلاد .



واسم حفنى ناصف بغير اختصار هو : « محمد الحفنى محمد اسماعيل ناصف » ‥ من احدى قرى محافظة القليوبية ، وليس فى هذه المحافظة قرية ولا ضيعة يمكن أن يكون اسمه منسوبا اليها ، وقد سعد كثيرا حين اهتدى الى انه منسوب الى قرية « حفن » بجوار اطلال « أنصنا » فى الصعيد ، وكان الناس يسمون أولادهم منسوبين الى هذه القرية المباركة التى نشأت فيها وعلى مقربة منها السيدة مارية القبطية احدى زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ‥

سافر حفنى ناصف الى القرية فوصفها وكتب عنها وصحب أحد المصورين فالتقط لها صورة واحدة كانت أول وآخر صورة لها بين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٨٢ ولم تظهر لها فى الصحف صورة بعد ذلك حتى زارها « الهلال » منذ أيام قلائل ،والتقط لها الصور التى تراها مع التحقيق الصحفى الهام الذى كتبه زميلنا حمدى لطفى ، وقد عانى مشقة كبيرة فى الوصول الى « حفن » بعد أن عانى الكثير فى سبيل معرفة موقعها من خريطة مصر ‥

والمرحوم حفنى ناصف من العباقرة ذوى المواهب والقدرات والكفايات المتعددة المثمرة الذين لم ينصفهم الزمن أحياء وأمواتا ‥ وهو أول من جدد رسم المصحف بعد كتابته فى عهد عثمان ابن عفان ،وهى كتابته الاولى، أو «كتبته الاولى» ـ كقول الامام مالك ـ بألف وثلاثمائة سنة ٠

كان المصحف قد تسللت اليه أغلاط املائية سببها جهل النساخ والخطاطين ، فصحح فيه هذه الاغلاط كلها ، وعددها مائتان ، ووضع كتابا قيما فى قواعد رسم المصحف ، فصار لحفنى ناصف من الفضل المشكور فى ضبط رسم المصحف ، بعض الذى كان من سابق الفضل العميم للفقيه القارىء عاصم

عزيزي القارئ

الليثى الذى وضع النقط على حروف المصحف فى العهد الاموى .. وبعض الذى كان قبل ذلك من الفضل الكبير لابى الاسود الدؤلى الذى وضع علامات التشكيل .. ثم للخليل بن احمد الذى تطورت هذه العلامات على يديه وصارت بالغة الدقة والوضوح الى يومنا هذا ..

وحفنى ناصف أول من وضع مناهج الكتب الدراسية على الطريقة الحديثة ، وقام بتدريس الادب والتاريخ والقانون فى دار العلوم ومدرسة الحقوق والجامعة المصرية الاهلية - وهو من مؤسسيها - وعمل فى جريدة الوقائع المصرية مع الشيخ محمد عبده ، وتولى القضاء وتفتيش اللغة العربية ، وحضر مؤتمرات المستشرقين فى أوروبا ، ورشح شيخا للازهر بعد انجازه جانبا هاما من تصحيح رسم المصحف.. بل رشح لرتبة الباشوية أيضا فاعتذر ، لانه يعجز عن القيام بتبعات مظاهرها المادية وهو الفقير الذى لم يملك الا المرتب ، ثم المعاش ! ..

مات حفنى ناصف - رحمه الله - فى اليوم الذى أتم فيه عمله العظيم فى رسم المصحف .. لم يترك لاولاده ثروة ولا شيئا ينتفعون به الا عمله العظيم وسيرته العاطرة ! .. فانطبق عليه فى ذلك قوله :

ليس عندى ضيعة تكفل لى
رزق أولادى ولا عندى تجاره
ان أولادى على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب باره

والبارة عملة هندية صغيرة جدا كانت تستعمل بمصر فى أيام حفنى ناصف ، وقد مات - رحمه الله - وترك أولاده جميعا دون سن العمل والكسب ، ولو مجرد كسب « بارة » !

وقد أبى حفنى ناصف الا ظرفا حتى وهو يشكو أعباء الحياة فاتخذ من البارة الهندية البائسة أداة لظرفه وسخريته فى معرض شكاته من الدنيا .. وكان المصريون على عهده يتندرون بالبارة وتفاهة شانها ..

عزيزى القارىء ..

لعلك تجد فى هذا العدد الكثير مما يســـترعى اهتمامك ، ولا نحاول هنا أن نقول لك شيئا عن هذا الموضوع أو ذاك . فان حديثنا عندئذ قديطول، وأنت ادرى بمايجتذب اهتمامك ويثير اعجابك ..

ولكننا نشير الى الموضوعات « الرمضانية » أى التى تتعلق بأمور تتعلق مباشرة بشهر رمضان ..

أما أعلام الفكـــر والادب والعلم فتلتقى بالكثيرين منهم ، ولسنا ندلك عليهم ، فانهم أصـــدقاء قراءاتك دائما ، وهـم أصدقاء عقلك ووجدانك .

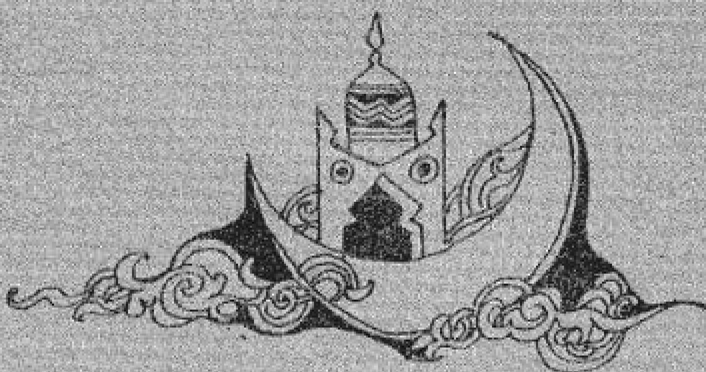
وقد تأذن لنا فى الاشارة الى بعض بحوث فى هذا العدد ..

الاستاذ أحمد حسين زعيم مصر الفتاة والحزب الاشتراكى سابقا ، يكتب لك سطورا من قصته مع زميلـه فى الكفـــاح المرحوم الشيخ حسن البنا المرشد الاول للاخوان المسلمين ..

وتجد بحثا قيما للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى عن كتاب « الوحى المحمدى » للعلامة المرحوم الشيخ محمد رشيد رضـا أنبغ تلاميذ الشيخ الامام محمد عبده .. وكان لهـذا الكتاب عند صدوره قبل خمسين عاما ضجةعظيمة فى العالم الاسلامى بل فى العالم كله تقريبا .. وطبـع عدة مرات ، وترجم الى اللغات الاجنبية .. وهو نسيج وحـده فى منهجـه العلمى ، ومن أهم الكتب التى ظهرت فى القرن العشرين ، تدعو أهـل هذا القرن المحتدم بالفتن الى الهداية الاسلامية ! ..

ومرة أخرى نقول لكم : كل عام وانتم بخير ..

كمال النجمى



تيار الجامعة الإسلامية

بقلم: د. محمد عمارة

● جمال الدين الأفغاني.. تبلور فكره في اليقظة والثورة والتجديد

● أنشأ في مصر تيار الصحافة الحرة وكان يكتب بتوقيع "مظهر بن وضاح"؟

● أعلام تيار « الجامعة الإسلامية » كثيرون ، وانتشارهم ، بالذات أو بالفكر ، قد غطى أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وقد يتميز واحد منهم بقسمة فكرية عن آخر ، وقد تدعو البيئة أو الأولويات أو طبيعة التحديات الى أن يكون تركيز بعضهم على قضايا بعينها دون القضايا الأخرى ، لكنهم في مجموعهم ، قد جمعتهم القسمات العامة التي ميزت هذا التيار التجديدي على غيره من التيارات ..

● وأول أعلام هذا التيار هو جمال الدين الأفغاني « ١٢٥٤ ــ ١٣١٤ هـ ١٨٢٨ ــ ١٨٩٧ م » ، عربي النسب ــ وإن ولد ونشأ في بلاد الأفغان ــ فنسبه يرجع الى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما .. وعربي العقل والفكر منذ نشأته الأولى ، فقبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره كان قد درس : علوم العربية والتاريخ ، وعلوم الشريعة ، من تفسير وحديث وفقه وأصول ، وكلام وتصوف ، والعلوم العقلية ، من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية تهذيبية ، وحكمة نظرية ، طبيعية وإلهية ، والعلوم



الشيخ محمد عبده



السلطان عبد الحميد



جمال الدين الأفغانى

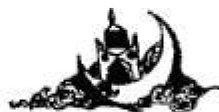
مصطفى كامل



الرياضية ، من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ، ونظريات الطب والتشريح!

وهو سني المذهب ، فى نشأته ، توثقت علاقاته الشخصية والفكرية بعلماء الشيعة وفكرها ومراكزها ، بالعراق ، منذ صدر شبابه .. فلما تبلورت دعوته للتجديد واليقظة كان عقله قد وصل به الى حيث أصبح فوق المذاهب التى فرقت المسلمين لأن سلفيته فى الدين تسبق المذاهب ، وعقلانيته ترفض البقاء فى أسر خلافاتها التى تجاوزها العصر ، واستنارته تراها عقبة أمام مايريد تحقيقه لأمته من نهضة وانطلاق ..

وكان عداؤه للاستعمار مبكراً ... ولم يكن بالعداء الفكرى والنظرى فقط ، فلقد انخرط منذ شبابه فى التيار الوطنى الأفغانى الذى قاده الأمير محمد أعظم خان لمناوأة النفوذ الانجليزى الطامع فى أفغانستان .. ووصل جمال الدين فى هذا النشاط الوطنى الى منصب « الوزير الأول » فى البلاد ، وقاد معارك حربية ضد المتعاونين مع الانجليز ، الذين تزعمهم الأمير شير على .. فلما انتصر خصومه ،



تيار الجامعة الإسلامية

اضطر للسفر للهند « سنة ١٢٨٥ هـ سنة ١٨٦٨ م » .. فلما ضيق عليه الانجليز فيها الخناق ، بدأ رحلته الى الوطن العربى ، فوصل الى مصر سنة ١٢٨٦ هـ سنة ١٨٦٩ م .. ثم الاستانة .. ثم رجع الى مصر فاقام بها قرابة التسع سنوات « ١٢٨٨ - ١٢٩٦ هـ ١٨٧١ - ١٨٧٩ م » كانت اخصب فترات حياته الفكرية والنضالية ، وفيها تبلور تياره ومذهبه فى اليقظة والثورة والتجديد ..

فليها أملى على تلاميذه الامالى والتعليقات التى شرح بها كتبا قديمة فى الفلسفة الاسلامية .. وكان عهد مصر قد انقطع بهذا اللون من الوان الفكر منذ ان زالت الدولة الفاطمية ، واحلت « دول العسكر » تكايا الصوفية وخوانقها والمدارس الاشعرية محل « دار الحكمة » و « مجالس الدعاة » ومنهاج « الأزهر » العقلانى !.

وفيها انشأ ودعم تيار الصحافة غير الحكومية ، وكانت من قبله حكومية فى الاساس ، فكانت صحف : « مصر » التى راسها أديب اسحق « ١٢٧٢ - ١٣٠٢ هـ ١٨٥٦ - ١٨٨٥ م » و « التجارة » التى راسها سليم نقاش « ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م » و « مرآة الشرق » التى اسسها ابراهيم اللقانى ، طليعة الصحافة الشعبية فى البلاد .. وكان الافغانى يكتب فيها بتوقيع « مزهر بن وضاح » ! .. كما كان يملى على تلاميذه مقالات ينشرونها باسمائهم ، حتى نشأت من حوله كوكبة من الكتاب الشباب ، جددت اساليب العربية فى الانشاء ، وادخلت فيها فن « المقال » الحديث !. .

وفيها تبلور من حوله التيار الشعبى فى التنوير .. ومن قبله كان جهاز الدولة المصرية هو المصدر الوحيد للتنوير ... وفيها كانت التربة الخصبة التى استقبلت بذور افكاره اطيب استقبال ، حيث نبتت ونمت واينعت ، وآتت من الثمار مالم تؤت فى بلد اخر حل فيه هذا الفيلسوف العظيم ..

وفيها انشا « الحزب الوطنى الحر » الذى جمع تلاميذه وأنصار دعوته ، وهو الحزب الذى قاد الثورة العرابية . وبعد هزيمتها هيا نفر من بنيه لنشأة « الحزب الوطنى » الذى قاده مصطفى كامل « ١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م » ونفر آخر منهم انضم الى جمعية « العروة الوثقى » السرية ، التى قادها الافغانى ، واصدر مجلتها من باريس ..

ولما نفى جمال الدين من مصر ، بايعاز من القناصل الاوروبيين للخديو توفيق « ١٢٩٦ هـ ١٨٧٩ م » ذهب الى الهند .. وهناك منع من الحركة حتى تمت هزيمة العرابيين .. فسافر الى باريس « ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م » ، ثم الى لندن .. ثم عاد الى باريس ، فاصدر مجلة « العروة الوثقى » ومعه الشيخ محمد عبده .. فلما توقفت ذهب الى شبه الجزيرة العربية « ١٣٠٣ هـ ١٨٨٦ م » ، فايران « ١٣٠٤ هـ ١٨٨٧ م » .. فموسكو ..

فميونيخ .. فايران ، ثانية « ١٣٠٧ هـ ١٨٩٠ م » .. فالعراق « ١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م » .. فلندن ..

وفي كل هذه المواطن لم يعرف الرجل لنفســه حرفة ســوى حرفة الثورة على البالي ، والدعوة الى اليقظة والتجديد ، ولم يتخذ لنفسه اسرة سوى الانصــار والتلاميذ الذين اعدهم ودفع بهم في الصراع ضد الزحف الاستعمارى الغربى ، الذى كان يحث الخطا لالتهام بلاد العرب والقطار الاسلام . وظل ذلك شأنه حتى نجــح السلطان عبد الحميد « ١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨ م » في استقدامه الى الاستانة « ١٣١٠هـ - ١٨٩١م » ، وهناك احاطه بالعيون والجواسيس ، فعاش في « قفص السلطان الذهبي » ! حتى فاضت روحه الى بارئها « ١٣١٤ هـ ١٨٩٧ م »

● وثانى اعلام هذا التيار : الامــام محمد عبده « ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م » ، الذى تتلمذ على الافغاني ثم فاقه في التركيز على الاصلاح الدينى ، وان لم يبلغ شأو استاذه في المعســكر السيــاسي .. وهو فلاح مصرى ، فقيــر في المال ، بلغ بعقله وفكره الى مــكان هابته فيه الملوك ، فقال عنــه خصمه الخديوى عباس حلمى الثانى « ١٢٩١ - ١٣٦٣ هـ ١٨٧٤ - ١٩٤٤ م » : « انه يدخل على كفرعون !! » .. وداعبــه



الخديوى توفيق

استاذه الافغاني متسائلا : « قل لي : ابن اى ملك من الملوك انت ؟! » ..

دخل الازهر صغيرا ، فصده عن علومه جمود شيوخه وعقم وسائل التعليم فيه .. ثم اعانه نهج الصوفية التنسكين علــى مواصلة الدراسة .. حتى كان لقــاؤه بالافغاني « ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م » فحــدث له التحول الكبير .. فمن التصــوف النسكي تحول الى التصوف الفلسفى .. ومن افق طلاب الازهر المحدود انطلــق الى حيث استشرف الافاق التى كـــان يستشرفها استاذه .. وفي صــحبة الافغاني ، بمصر ، كان ابرز مريديه .. ثم اصبح بعد نفيه « روح الدعوة » الى التجديد .. واسهم ، من موقع الاعتدال ، في الثورة العرابية .. ثم نفى فيمن نفى من قادتها ، فعاش زمنا بباريس ، يحرر « العروة الوثقى » ، وينوب عن الافغاني



تيار الجامعة الإسلامية

فى رحلات سرية لشئون الجمعية التنظيمية ... ثم اقام ببيروت .. فلما سمح له بالعودة الى مصر ، هجر العمل السياسى وركز على محاولة اصلاح الأسسسات الاسلامية : الازهر ، والاوقاف ، والقضاء الشرعى ، مع التركيز على التجديد الدينى بتحرير العقل المسلم من اسر التقليد ، وتجديد اللغة العربية وتطويرها .. ولقد اصاب الكثير من النجاح فى العديد من الميادين .. ولكن صدامه مع الخديو عباس حلمى اعاق الكثير من مشروعاته الاصلاحية كما أن جمود اغلب شيوخ الازهر قد منع جهوده الاصلاحية من بلوغ ما اراد لها فى اصلاح الازهر ، حتى لقد مات كمدا بسبب هذا الاخفاق « ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م » !! ..

● وفى المشرق العربى كان عبدالرحمن الكواكبى « ١٢٧٠ - ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢ م » من أبرز من مثلت افكاره القسمات الفكرية لهذا التيار ... وهى الافكار التى خلفها لنا فى كتابيه « ام القرى » و « طبائع الاستبداد » ..

ولقد ولد الكواكبى فى حلب ، لاسرة كانت فيها نقابة الاشراف قبل ان يغتصبها منها الشيخ أبو الهدى الصيادى « ١٢٦٦ - ١٣٢٧ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٩ م » ..

وفى « ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م » اصدر الكواكبى صحيفة « الشهباء » ، اول صحيفة عربية تصدر فى ولاية حلب .. فلم يمهلها العثمانيون اكثر من خمسة عشر عددا .. فاصدر فى العام التالى جريدة « الاعتدال » .. ولقد أوصله نضاله الى هجران الوظائف ، وافلاس التجارة ، وتعريض حياته للخطر .. ثم قاده الى السجن « ١٣٠٣ هـ ١٨٨٦ م » فلما اضطر العثمانيون الى الافراج عنه تحت ضغط جماهير الولاية ، اطلقوا سراحه ، ثم عادوا لالقاء القبض عليه ، ولفقوا له الاتهام بالاتصال بدولة اجنبية، وحكموا باعدامه !.. ولكن الجماهير عاودت ضغطها ، فاجبرت العثمانيين على اعادة محاكمته خارج الولاية ، فعرضت القضية على محكمة بيروت ، التى حكمت ببراءته ! ..

وفى تلك الاثناء كان الكواكبى قد انشا « جمعية ام القرى » ، وهى الجمعية التى عقدت مؤتمرها السرى بمكة ، والتى اصبحت مداولات مؤتمرها هذا اساس كتابه « ام القرى » ، وفى هذا المؤتمر حضر ممثلون للبلاد العربية والاسلامية وللجاليات الاسلامية التى تعيش خارج العالم الاسلامى ..



الشيخ محمد البشير الإبراهيمى



● الشيخ محمد عبده قال عنه الخديو عباس: انه يدخل كفرعون!

ولما أضحت حياة الكواكبي مهددة في حلب، قرر الهجرة منها الى مصر، فوصل اليها سرا «١٣١٦ هـ - ١٨٩٩ م».. وفي مصر افاد من تناقضات كانت بين حكومتها والدولة العثمانية يومئذ، فنشر كتابيه، فصولا في الصحف، ثم جمع الفصول فصدرت في الكتابين.. ومنها قام برحلة الى بلاد المشرق العربي، والمناطق العربية والمسلمة في افريقيا..

وبعد نحو اربع سنوات فاضت روحه الى بارئها، بمؤامرة دس فيها السم له جاسوس من جواسيس السلطان عبدالحميد فكان استشهاده «١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م»..

● اما في المغرب العربي، فان الشيخ عبد الحميد بن باديس «١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ - ١٩٤٠ م» يعد ابرز ممثلي هذا التيار.. وهو من مواليد قسنطينة بالجزائر، وفيها تعلم علوم العربية والاسلام، ومن شيوخه في تلك المرحلة: الشيخ حمدان الونيسي، الذي اخذ عليه عهدا ان يقاطع الحكومة الاستعمارية، فالتزم العهد، وصار يأخذه على تلاميذه فيما بعد!..

وفي التاسعة عشرة من عمره «١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م» ذهب الى جامعة الزيتونة بتونس، فدرس فيها مالم يكن يستطيع ان يدرسه بالجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي، الذي كان يحرم العربية ويطارد السمات القومية للجزائريين كي يسحقها، وليجعل منهم فرنسيين «مسلمين»، ومن وطنهم الامتداد الفرنسي، عبر البحر المتوسط، في القارة الافريقية!..

وفي «١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م» سافر، حاجا، الى الحجاز.. وهناك التقى بعدد من الشيوخ الجزائريين الذين هاجروا وجاوروا بمكة والمدينة، فعرض عليه بعضهم ان يجاور، مثلهم، الحرمين الشريفين، ولكنه كان قد شرع التفكير في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، فرفض الهجرة، وقال: «نحن لانهاجر، نحن حراس الاسلام والعربية والقومية في هذا الوطن»!.. وقبل عودته الى الجزائر اتفق مع الشيخ البشير الابراهيمي على خطة لتنفيذ البرنامج الذي لخصته كلماته هذه.. وكانت الخطة هي اعداد جيل من الرجال الذين يواجهون محاولة السحق القومي في الجزائر، ويعيدون الجزائر الى «العروبة والاسلام والقومية».. رجال «يملكون وضوحا في الهدف، وفكرة صحيحة توصل اليه، حتى وان كانوا ذوي علم قليل! ويعرفون حدود غاياتهم، التي تنتهي عند تسليم الامانة لجيل ثان يعلن الثورة، ويستخلص الاستقلال من المستعمرين!».

ولقد مكث ابن باديس ثمانية عشر عاما يعد هذا الجيل، قائلا: انا لا أؤلف الكتب، وانما اريد صنع الرجال!.. فكان يعلم في المساجد، ويفسر القرآن، ويعلم العربية للاطفال، ويجوب القرى والمدن ويصعد الجبال، فاجتمع له

من « ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م » حتى ١٣٣٦هـ ١٩١٨ م » الف من هؤلاء الرجال !..

وعندما اقامت فرنسا احتفالاتها الصاخبة والاستفزازية ، بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر « ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م » كان رد ابن باديس هو اعلان المشروع الذى خطط له منذ « ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م» فقامت « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » فى ذى الحجة ١٣٤٩ هـ مايو سنة ١٩٣١ م حاملة رسالة العودة بالجزائر الى هويتها العربية الاسلامية، وممهدة الطريق لجيل الثورة المسلحة على الاستعمار ..

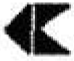
وكانت « الطرق الصوفية » سندا اساسيا للسلطة الاستعمارية بالجزائر ، فحاربها ابن باديس منذ سنة ١٣٤٣ هـ سنة ١٩٢٥ م » ، وتعرض بسبب ذلك لمحاولة اغتياله « ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م »

وفى « ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م » بدأ نشاطه الصحفى .. فشارك فى تحرير صحيفة « النجاح » .. ثم اصدر مجلة « المنتقد » سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٦ م ، وكان شعارها : « الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شيء ! » فعطلها الاستعمار بعد ثمانية عشر عددا .. لكنه عاد فاصدر صحيفة « الشهاب » أسبوعية ، ثم شهرية .. كما اصدر صحفا اخرى تعرضت للمصادرة والالغاء، منها « الشريعة » ،و « السنة المحمدية» و « الصراط » ..

وقبل ان ينتقل ابن باديس الى جوار ربه فى ربيع الاول سنة ١٣٥٩ هـ ابريل سنة ١٩٤٠ م كان قد وضع وطنه بيد الجيل الذى اعاده الى احضان العروبة والاسلام ، والذى صنع جيل الثورة المسلحة التى تفجرت ضد فرنسا « ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م » وحقق بدماء المليون شهيد استقلال الوطن الجزائرى العربى المسلم سنة ١٣٨٢ هـ سنة ١٩٦٢ م .. فتحقق الهدف الذى رسمه ابن باديس ، بمكة ، قبل نصف قرن ، يوم قال : « نحن لانهاجر نحن حراس الاسلام والعربية والقومية فى هذا الوطن ! » .. فاثبت أن الاسلام والعربية والقومية لن تضيع ، ولن يضيع من أحضانها الوطن اذا كان لها حراس من أمثال عبد الحميد بن باديس .. واثبت ايضا انه أبرز ممثلى تيار « الجامعة الاسلامية » واعظم اعلامه فى بلاد المغرب العربى على الاطلاق ! ..

هذا من أبرز اعلام هذا التيار .. والمناخ الذى تبلور فيه :

فى مصر ــ اكثر المجتمعات العربية الاسلامية تحضرا وتطورا ــ تبلور تيار « الجامعة الاسلامية » حول رائده جمال الدين الافغانى ... ولذلك ، فلقد كان مستحيلا أن يصطبغ فكر هذا التيار بصبغة « البداوة » ، التى اصطبغت بها دعوات تجديدية اسلامية تبلورت فى محيط بدوى « كالوهابية » ، مثلا .. وكان مستحيلا ان يقف هذا التيار من « العقلانية » ، ومن « التمدن » موقف



غير ودي .. كما كان مستحيلا ، كذلك ، بحكم الانتماء الاسلامي والمنطلقات الاسلامية لهذا التيار ، أن يسلك الى التجديد طريق « التغريب » ! ..

لقد كان تبلور هذا التيار ، بمصر ، طليعة قيام « التيار الشعبي » ، المتميز عن « جهاز الدولة » - الذي انخرط بالتطوير والتنوير للمجتمع حتى ظهور هذا التيار في سبعينات القرن التاسع عشر - وهو لم « يتميز » فقط ، عن « جهاز الدولة » ، بل واتخذ منه موقف « المعارضة » في الكثير من الاحيان !.. ولذلك فان هذا التيار قد بريء من « التغريب » ، الذي مالت اليه تجربة النهضة المصرية ، خاصة على عهد الخديو اسماعيل « ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م » بحكم اسلاميته وشعبيته .. ثم هو ، بحكم موقفه « التجديدي » ، قد رفض « جمود » المؤسسات الدينية التقليدية ، تلك التي وقفت عند فكرية العصر « المملوكي - العثماني » ، فاسهمت بسلبيتها تجاه النهضة الحديثة ، في تسليم التجربة « للتغريب » ! .. فكان أن اتسم فكر هذا التيار بسمة « التوازن » ، المميزة لحضارتنا العربية الاسلامية ، عندما طرح تصوره لقسمات المشروع الحضاري المستقل لامتنا العربية الاسلامية .

لقد تجسد في تيار «الجامعة الاسلامية» بحث هذه الامة عن ذاتها ، وسعيها للنجاة من خطر المد الاستعماري ، المسلح « بالتقدم » الحضاري الغربي ،والمستعين على غزونا « بالتخلف » « المملوكي - العثماني » ! ..وللنجاة ، كذلك ، من « التخلف » « المملوكي - العثماني » ، الذي تحول الى قيد يعوق الامة عن التصدي لعاصفة الاستعمار و « التغريب » !..

ولقد تحول بحث امتنا عن ذاتها ، في فكر هذا التيار ، الى دعوة للتجديد الفكري في الدين والدنيا ، ينهض فيها « العقل » بدور المصباح الذي ينير الطريق - طريق الدنيا ، وايضا طريق الدين ! وصولا الى بلورة حضارة مستقلة تصنع تمدنا اسلاميا متميزا ، وتكون الطور العصري لحضارتنا التي ازدهرت في حقبة سابقة من التاريخ ...

ولقد آذن هذا التيار ، بصوت الأفغاني في ربوع الشرق بالنهضة ، وبشر بها عندما قال : « لقد اوشك فجر الشرق ان ينبثق ، فقد ادلهمت فيه ظلمات الخطوب ، وليس بعد هذا الضيق الا الفرج ! ... آن هذا الشرق ، وهذا الشرقي لا يلبث طويلا حتى يهب من رقاده ، ويمزق ماتقنع وتسربل به هو

عبد الرحمن الكواكبي





تيار الجامعة الإسلامية

وأبناؤه من لباس الخوف والذل ، فيأخذ في اعداد عدة الامة الطالبة لاستقلالها ، المستنكرة لاستعبادها .. » !

وبحكم الانتماء الاسلامي لاعلام هذا التيار ، وولائهم الاول للاسلام « الدين » و « الحضارة » ، كان وضوح فكره عن ان الاسلام هو اساس هذه النهضة ، وهو اداتها ، وهو الحافز اليها .. فالاسلام هو « فكرية » ــ « ايديولوجية » ــ الامة الفعالة ، اذا تجددت ، في بعث طاقاتها ودفعها لبناء حاضرها ومستقبلها ، على نحو مستقل ومتميز حضارياً . وامام هذا « الكنز » ، الذي يمثل « الفرصة » الطبيعية والواتية ، لا منطق عند الذين يتركونه ثم يبحثون عن « البديل » !! « فهذه سبيل لمريد الاصلاح في المسلمين لا مندوحة عنها ، فان اتيانهم من طرق الادب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه الى انشاء بناء جديد ، ليس عنده من مواده شيء ، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله احداً . واذا كان الدين كافلا بتهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من ابوابها ، ولاهله كل الثقة فيه ، وهو حاضر لديهم ، والعناء في ارجاعهم اليه أخف من احداث ما لا المام لهم به ، فلم العدول عنه الى غيره ؟! .. » .. كما يقول ، ويتساءل الامام محمد عبده !..

ان أهل المدينة لا يلبون آذان من يؤذن لهم من خارج السور ؟!.. وفي أحسن الفروض سيتبع هذا المؤذن « صفوة » من السهل حصارهم ، وتوجيه الاتهام الى فكرهم الوافد ، ثم اقتلاع هذا الفكر من الجذور !.. وليس كذلك الحال مع فكر هو « ايديولوجية » الامة كلها ، اذ لا قبل لاعداء هذه الامة بالتصدي له ، ان هو تحول ، بالتجديد ، الى طاقة خلاقة تحرك الامة نحو تحقيق أهدافها !.

لكن كون الاسلام هو أساس النهضة ، واداتها ، وحافزها ، لا يعني أن في مأثورات هذا الدين ، وفكر السلف ، وتطبيقات الماضين كل ماتحتاجه « دنيا » حاضرنا ، ومستقبلنا .. فهو ، في هذا الميدان ، « حافز » يحمل النفوس على « طلب السعادة من أبوابها » ، بصرف النظر عن لون هذه الابواب ، ومصادرها ، وعقائد مبدعيها ، وأجناسهم القومية ، ومواقعهم على خريطة الكوكب الذي نعيش فيه .. شريطة أن لا تتعارض مع « الأطر » و « المثل » و « الغايات والمقاصد » و « الفلسفات » التي حددها « الاسلام الدين » .. و « السلفية في الدين » تزاملها وتواكبها ، في فكر تيار « الجامعة الاسلامية » : « المستقبلية والاستنارة والتفتح في التمدن والحضارة » .. ومن هنا يأتي المعنى العميق والموحي لكلمات الامام محمد عبده التي تقول : « .. لو رزق الله المسلمين حاكماً يعرف دينه ، ويأخذهم باحكامه ، لرأيتهم قد نهضوا ، والقرآن الكريم في احدى اليدين ، وما قرر الاولون وما اكتشف الاخرون في اليد الاخرى ، ذلك لاخرتهم ، وهذا لدنياهم ، ولساروا يزاحمون الاوروبيين فيزحمونهم !»

ذلك ان لحضارتنا العربية الاسلامية موقفا أصيلا وقديما يميز بين ما هو داخل في السمات والقسمات التي تتميز بها

● حضارتنا العربية الإسلامية تميز بين "السمات" وبين "الأدوات"

هذه الحضارة ، وبين ماهو داخل فى « الادوات » التى تتخذ سبلا لتطوير الدنيا وتقدمها وللاستدلال والنظر فى الموجودات .. فالخصوصية والتميز لاتعنى الانغلاق وسد النافذ والابواب دون التفاعل مع حضارات الاخرين .. وقديما عرض ابو الوليد ابن رشد « ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ ١١٢٦ - ١١٩٨ م » لهذه القضية فقال: « انه يجب علينا ان نستعين ، على ما نحن بسبيله ، بما قاله من تقدمنا فى ذلك . وسواء اكان ذلك الغير مشاركا لنا او غير مشارك فى الملة ، فان الالة التى تصح بها التذكية لا يعتبر فى صحة التذكية بها كونها الة لمشارك لنا فى الملة او غير مشارك ، اذا كانت فيها شروط الصحة. واعنى بغير المشارك : من نظر فى هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام !..»

لكن الشرط الذى لابد من تحقيقه حتى ينهض الاسلام بهذا الدور النضالى والبناء فى تجديد « دنيا » الامة ، هو ان يتجدد هذا « الدين » فينفض مجددوه عنه البدع والخرافات والاضافات ، التى جعلته غريبا اذا نحن عقدنا المقارنة بينه وبين حقيقته وجوهره ، كما تلقاه نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، عن الله، سبحانه وتعالى .. فلابد ، أولا ، من « حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء الرائين الاغبياء ، والرؤساء القساة الجهلاء ، يجددون النظر فى الدين ، نظر من لا يحفل بغير الحق الصريح .. وبذلك يعيدون النواقص المعطلة فى الدين ، ويهذبونه من الزوائد الباطلة ، مما يطرأ عادة على كل دين يتقادم عهده ، فيحتاج الى مجددين يرجعون به الى اصله المبين ... » كما يقول عبد الرحمن الكواكبى ..

فبالسلفية العقلانية يتجدد الدين .. ومن ثم يلعب دوره الخلاق فى تجديد الدنيا ، التى لابد لتجديدها من الاستنارة والنظرة المستقبلية ، المنفتحة على مختلف التيارات الحضارية ، من موقع الراشد الناضج ، المدرك لما بين « الثوابت » و « المتغيرات » من فروق ! ..

ولقد برزت ، واضحة ، فى فكر هذا التيار تلك القسمات الاصيلة والاساسية التى تميزت بها حضارتنا العربية الاسلامية ، فى عصرها الذهبى .. ومن ثم مثل هذا الفكر انضج محاولات الاصلاح والتجديد التى استهدفت بلورة النهضة المستقلة للامة ، وجعل حضارتها الحديثة الامتداد المتطور لثوابت حضارتها فى عصر الازدهار ...

وفى مقدمة هذه القسمات : «الوسطية الاسلامية » .. و « الموقف المتوازن »، الذى يؤلف ويجمع بين ما يحسبه آخرون متناقضات لا يمكن « الجمع » بينها ، فضلا عن « التأليف » ! ..

وكذلك الموازنة بين « الخصوصية القومية » للامة العربية وبين الروابط التى تجمع العرب الى المسلمين فى المحيط الاسلامى الكبير ...

ولهذه القسمات ، فى فكر تيار « الجامعة الاسلامية » حديث خاص ، وقادم ان شاء الله ●



أحمد حسين



حسن البنا

اختلافى مع حسن البنا لم يفسد للود قضية

بقلم : أحمد حسين

ليس احب الى نفسى من تصحيح ما وقع بينى وبين الشهيد حسن البنا ، فليس الامر امر معارك ، وانما هو مجرد خلاف فى الرأى ، لم يفسد للود بيننا قضية ، وظل الود والصداقة ، هما الرباط الذى يربط بين مصر الفتاة والاخوان المسلمين ، بحيث كانا كفرسى رهان فى معمعة واحدة .



علوبة باشا

ما هى مصر الفتاة ؟

ولكي تتضح معالم هذه القضية ، لا مناص من معرفة طبيعة الحركتين ، ما هما :

فأما مصر الفتاة فهي التي حملت مشعل الوطنية المصرية الصادقة من ثورة سنة ١٩١٩ حتى اسلمته لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

واذا كان تضامن المسلمين والاقباط هو أبرز معالم ثورة ١٩١٩ فان مصر الفتاة حملت هذا الطابع فقالت فى مبادئها العشرة :

« تطهر وصل لربك ، وأم المسجد يوم الجمعة ان كنت مسلما والكنيسة يوم الاحد ان كنت مسيحيا ويوم السبت ان كنت يهوديا »

وفى مقال لى بمجلة الصرخة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ قلت : ياشباب ١٩٣٣ كن كشباب ١٩١٩ الى آخر ما جاء فى المقال المذكور .

عبد الناصر وأنور السادات

اما كيف انتهت جهودنا فى ثورة ٢٣ يوليو ، فذلك يبين فى ان كلا من جمال عبد الناصر وأنور السادات كانا عضوين فى مصر الفتاة ، وخطب كلاهما وتحدثا عن ذلك فى أكثر من خطاب عام .

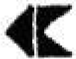
الاخوان المسلمون ما هي ؟

هذه هى مصر الفتاة ، فما هى الاخوان المسلمون؟ انها حركة تهدف الى بعث الاسلام وامجاده أخذت فى الاعتبار ان مصر هى قلب العالم الاسلامى النابض .

اى الحركتين سبقت الاخرى ؟ ذلك يبين مما سوف أحدثك عنه

كيف عرفت حسن البنا ؟

كان ذلك فى عام ١٩٣٣ كانت جمعية الشبان المسلمين للمرحوم عبد الحميد سعيد ، قد اعدت بحوش دارها فى شارع قصر العينى سرادقا لالقى به اول خطاب عام بصفتى رئيس مصر الفتاة



اختلافي مع حسن البنا

تحت عنوان : جهادنا الديني وكيف يجب أن يكون ، وقد حاولت بعض عناصر الشغب انذاك ، أن تفسد الاجتماع لولا انه أمكن قمعهم ، ومضى الاجتماع في طريقه ومضيت في القاء خطابي. وفي نهاية الخطاب ، وقف بعض الحاضرين يعلقون على الخطاب ، وكان من بينهم الشهيد حسن البنا ، ولم أكن أعرفه آنذاك ولكنه استوقفني ليلتئذ بحفظه للقرآن الكريم واستشهاده بالكثير من الآيات .

على راس الخندق

وبعد ايام قليلة زارني الشهيد في ادارة مجلة الصرخة « لسان حال مصر الفتاة يومئذ » وقال لي انه الف جمعية اسلامية كمصر الفتاة ولنفس اغراضها ، وكل مافي الامر ان مصر الفتاة اليوم تقف على راس الخندق بينما تنتظر الاخوان المسلمون دورها في باطن الخندق . وكان حسن البنا قد نقل حديثا الى القاهرة ، حيث كان يعمل مدرسا بمدرسة عباس الابتدائية وانا اعرف الآن انه كان قبل ذلك في الاسماعيلية ، وانه أنشأ بها الاخوان المسلمين منذ فترة سابقة على هذا التاريخ .

انتشار دعوة الاخوان

وبدات الاخوان المسلمون تنتشر ويتضاعف اتباعها فالدين غريزة في النفوس ولكنا بدانا نشعر بانتشارها عندما امتدت الى صفوف شباب الجامعة ، ولما كان شباب مصر الفتاة يتعرضون للاضطهاد بسبب نشاطهم الوطني فقد كان شباب الاخوان المسلمين بعيدين عن الاضطهاد (في بادئ الامر) فقد تزايد عددهم ونموا سريعا ، وهكذا بدا يوجد ، شباب الاخوان المسلمين ، الى جوار شباب مصر الفتاة في الجامعة وفي المدارس والمعاهد ..

ولكن لم يحدث ابدا في كل التاريخ ، ان اختلف الاثنان فالهدف واحد والروح المسيطرة على الاثنين واحدة وهو العمل على مجد مصر والاسلام ، مع فارق في التصور ، ان مجد مصر يؤدي الى مجد الاسلام (مصر الفتاة) ومجد الاسلام يؤدي الى مجد مصر (الاخوان المسلمون) فالهدف واحد كما ترى .

حركات مشتركة

ولذلك فقد شهدت الثلاثينات والاربعينات والخمسينات جهادا مشتركا جمع مصر الفتاة والاخوان المسلمين ويحضرني الآن جهادنا في اجلاء الانجليز عن مصر والذي بلغ ذروته في يوم الجلاء .

وكنت بحكم هذا التوازي دائم الاتصال بحسن البنا واشهد انه

كان يستقبلني دائما بوجه طلق ويشيعني بالدعوات الصالحة ، مهما اظهرت خلافا في الرأى ، وانا اليوم أعزو هذا الخلاف في الرأى الى الخلاف ، في طبيعة ومزاج كل منا فحيث تسرى روح المغامرة في دمى ، فقد كان هو لا يخطو خطوة الا بحساب دقيق .

ولاضرب لذلك مثلا من واقع تجربة حدثت بيني وبينه بالفعل ، فعندما قامت الحرب العالمية الثانية قررنا في مصر الفتاة ان لا مناص من القيام بثورة مسلحة ضد الانجليز قرب نهايتهم ، وحددنا هذا القرب من النهاية ، عندما يشرع هتلر في مهاجمة الجزر البريطانية وقصدت الى حسن البنا ، كما هي عادتي ، ايمانا منى أن كل حركة تكون اكثر نجاحا اذا تعاونت مصر الفتاة مع الاخوان المسلمين ، وأرى لكى الخص الموضوع أن أعرضه في صورة حوار :

ـ (هو بعد أن سمع منى) بارك الله فيك يا استاذ احمد لقد فكرت في عين ما تفكر فيه من وجوب القيام بثورة مسلحة ضد الانجليز ولكن الا ترى ان الامر في حاجة الى استعداد ؟

قلت : طبعا ولهذا جئت

قال :

● كم تقدر حاجتنا الى المال ؟

ـ بضع مئات .

● انت تمزح ولا شك ، لا اقل من نصف مليون جنيه . وما رأيك في السلاح ، ألن نكون في حاجة للسلاح ؟

ـ طبعا وقد اعددنا عشرات من المسدسات .

● ما زلت اعتقد انك تمزح ان ثورة مسلحة ضد الانجليز تحتاج الى ترسانة اسلحة ، وهلا ترى انه يجب ان تضم معنا ضباطا من الجيش والبوليس .


عبد الحميد سعيد

ـ ان وجدوا فان ذلك خير .

● بل يجب أن لا نفعل شيئا قبل ان يوجدوا وسوف يوجدون باذن الله .

ـ (صمت) ..

قال الشيخ البنا :

● وهلا ترى انه يجب ضمان كبار الساسة ؟! ..

وعند هذا القدر ، انفجرت صارخا ـ ليس ينقص الا ان تقول لى : والانجليز ايضا يوافقون على قيام الثورة .

هكذا لم يكن هناك خلاف على وجوب الثورة ، وانما يرجع الخلاف الى روح المغامرة عندى ، وروح الحذر والاحتياط عنده .

مثل آخر للخلاف

ولاسوق مثلا من أغرب الامثلة على الخلاف بينى وبين حسن البنا ، فقد جاء وقت تصورت فيه


محمود فهمى النقراشى

انه أقدر على القيادة منى، وتصورت ان مصر الفتاة لو اندمجت مع الاخوان المسلمين تحت قيادته لحققنا لمصر خيرا كبيرا كثيرا ، وعرضت الفكرة بعد استشارة اخوانى، على الشهيد حسن البنا فاستقبلها كما هى عادته بالتهليل والتكبير والاشادة باخلاصى واستمهلنى أسبوعا ريثما يعرض الامر على مجلس الارشاد ،وبعد الاسبوع أبلغنى رفض مجلس الارشاد للفكرة ، وأنه من الخير أن نعمل متساندين لا مندمجين

الكفاح من اجل فلسطين

وكان الكفاح من أجل عروبة فلسطين هو الميدان الذى اظلنا معا ، فقد تالفت هيئة وادى النيل برئاسة محمد على علوبة باشا ، لمناصرة فلسطين ، فكانت مصر الفتاة والاخوان المسلمون ، قلب هذه الحركة النابض ، ولما جاء دور الاشتباك المسلح ، بادرت للسفر الى دمشق لادخل مع الفوج الاول من المقاتلين ، ولحقتنى فرقة كاملة من متطوعى مصر الفتاة، وهى كتيبة مصطفى الوكيل ، وهكذا كان دخولنا الى فلسطين من الشمال تحت قيادة سوريا ، أما الاخوان المسلمون ، فقد دخلوا فلسطين بعد وقت متأخر من الجنوب ، ودخلوا باعداد كثيرة واسلحة قوية .

اضطهاد الاخوان

وصدقت فراسة حسن البنا عندما قال لى فى أول مرة التقينا فيها ، اننا جماعة واحدة وكل ما فى الامر اننا على راس الخندق وهم فى باطنه ، فلما جاءت حرب فلسطين وكثرت الاسلحة فى أيدى

الاخوان المسلمين، اصبحوا على راس الخندق ولم ترض حكومة النقراشي عن الاخوان المسلمين المدججة بالسلاح ، فاصدرت امرها بحل الاخوان المسلمين ومطاردة اعضائها ، وقتل النقراشي وقتل حسن البنا ، وفى قضية مقتل النقراشي ترافعت عن الاخوان المسلمين ، كما لو كنت أترافع عن مصر الفتاة، وقد طبعت هذه المرافعة فى كتاب واعادت نشرها مجلة المحاماة بالتتابع .

والخلاصة انه لم يكن بيني وبين حسن البنا معارك وانما خلاف فى الرأى لم يفسد للود بيننا قضية .. ●●



● الكانجارو !

حينما اكتشف الكابتن " كوك" قارة أستراليا ، ورست سفنه للمرة الاولى على شواطئها ، جاءه بعض بحارته بحيوان من هناك غير معروف لهم . فارسل بعضهم ليسألوا الاستراليين عن اسمه . وكان أن عادوا اليه بعد حين، ذاكرين أن اسمه «كانجارو»

ومضت على ذلك عشر سنوات والغربيون يسمون الحيوان بهذا الاسم ، ثم اتضح أن كلمة « كانجارو » ليست اسم ذلك الحيوان ، ولكن معناها بلغة الاستراليين الاصليين : « ماذا تقولون ؟ » . وقد فهم البحارة خطأ أنها اسم الحيوان الذى سألوا عنه !

الأصالة والمعاصرة في اللغة والتراث

رحلة سياحية

بقلم: نعمان عاشور

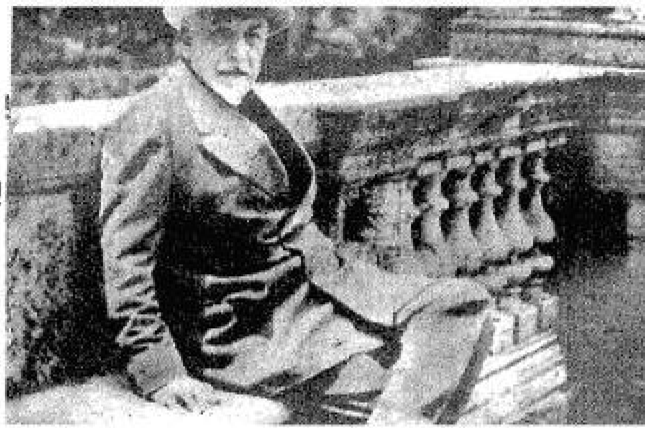
● اتيح لي خلال نوفمبر عام ١٩٨١ أن اقضي اسبوعين في بلجيكا عملا باتفاقية التبادل الثقافي . وكانت هذه اول مرة ازور فيها تلك البلاد .. وقد توجست خيفة قبل السفر أن يعاملونا هناك كما حدث عام ١٩٦٠ حين زرت ايطاليا ضمن برامج مثل هذه الاتفاقيات .. لانهم في ايطاليا لم يكن لديهم برنامجا ثقافيا محددا

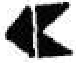
..بل اكتفوا بهدنا بما يلزمنا من مصاريف الاقامة وتركنا على حريتنا نشاهد ما نشاء فكانت رحلة سياحية اكثر منها ثقافية لم اخرج منها بجديد عن الثقافة الايطالية اللهم الا مشاهدة بعض مدنها الشهيرة مثل نابلي وفينيسيا بعد روما طبعا .. أيامها كنت تواقا الى التعرف على الحياة المسرحية هناك فاذا العاصمة خالية منها فليس في روما الا معاهد دراسات درامية اغلبها يتجه الدارسون فيها الى ما يؤهلهم للعمل بفنون السينما والتليفزيون . ذلك ان ايطاليا تكاد تكون خالية من المسرح رغم وجود المسارح والسبب يرجع الى سيطرة صناعة السينما الايطالية والرأسمال الامريكي المستغل فيها ، ثم خفوت وانعدام حركة التاليف المسرحي . من بعد « بيرانديللو » وبنهاية « ايجويتي » آخر كتاب المسرح الايطالي خلت ساحة المسرح الايطالي تماما من اي عروض . لان الحركة المسرحية في كل دولة كما هو ثابت ومعروف لا توجد ولا تعيش وتتطور الا بوجود المؤلف المسرحي

على كل حال استطعت ان اشبع ما اعتراني من نقص في محاولة تعرفي على الحياة الثقافية الايطالية .. فيما شاهدت من روائع وامجاد الفن الايطالي (النحت والتصوير) في فلورنسا .. ثم زيارة اكثر من معهد دراسي وانتهت الرحلة فكانت اشبه ما تكون برحلة سياحية ... والحمد لله اننا كنا في الصيف .

البرنامج الثقافي

لذلك حرصت قبل سفري الى بلجيكا ان اتأكد من نوعية ما سأراه هناك لانني لست من غواة المشتريات .. وليس لدي اي فكرة مسبقة عن بلجيكا من الناحية الثقافية على عكس معرفتي بالثقافة الايطالية وتاريخها ومن خلال بعض كتابها من الشعراء والروائيين والمسرحيين وشدة متابعتي واعجابي بموجة الواقعية الجديدة في السينما الايطالية . فهل اسافر الى بلجيكا . في عز الثلج . وامضي فيها اسبوعين بغير طائل او لمشاهدة بروكسل من داخل احدى الفنادق . سألت الملحق الثقافي البلجيكي وهو يعطيني تأشيرة الدخول لبلجيكا وبعض المطبوعات السياحية .. سألت اذا كان لديهم برنامجا محددا للزيارة .. وطبيعة هذا البرنامج ونوعيته الثقافية فسارع الرجل ببعض الكتب والنشرات عن مظاهر الثقافة والفن في بلاده .. ثم قدم الينا البرنامج المعد لمراجعته واخذ رأينا فيه .. والحق اني ذهلت لانه كان برنامجا منسقا ومدروسا





بعنـــاية وفيه العديد من الزيارات المرتبة لكثير من المؤسسات الثقافية هناك . وكان اول ما استلفت نظري بعد أن حـذرنا من شدة البرد وبداية هطول المطر بلا انقطاع وربما تســاقط الثلــوج .. ان البرنامج حاشد وحافل يأخـــذني يوميا الى عـديد الاماكن والزيارات لمختلف الانشطة الثقافية .. وهو برنامج ينقسم الى قســمين .. قسم خاص بالاقليم الفلمنكي .. والثاني خاص بالمنطقة الفرنسية . ذلك ان اهـل بلجيكا ينشطرون الى شطرين .. لا حسب الموقع الجغرافي وانما بفضـل اللغــه التي يكتبون ويتخاطبون بها ، فاكثر من نصف السكان يقيمون في الشمالوهم من الفلمنك ولهم لغتهم الخاصة وهي اللغة الفلمنكيـة اقرب ما تكــون الى لغة الهــولنديين من جيرانهم .. بينمــا يتكلم بقية المواطنين سكان الاماكن الجنوبية الاصلية الفرنسـا باللغة الفرنسية بل والباريسية . وبالفعل كانت هذه الظاهرة هي اول ما اســتلفت نظرى ســاعة وضـــعت قدمى على الارض البلجيكية .. لكن المسألة وبعد ايام قليلة من الاقامة والتعرف على الناس هنـاك .. كانت اعمق من ذلك .. فالامر لا يقف عند حد التخاطب والكتــابة بلغتين مختلفتين تمام الاختلاف وانمايعدوه الى كافة المكونات البشرية الاخرى ..

شعب واحد بحضارتين

فهناك اصلا المنبت الحضارى والكيان الاجتماعي والطباع والقــوام الثقـــافي بل التكوين الشخصي للفرد .. صـــحيح انهم جميعا يعيشون في وضـــع سياسي واحد وطريقة متماثلة في المعيشـــة ولكن اللغة التي يتكلمها كل جانب تختلف عن لغــــة الجانب الآخر وتكاد تجعل منهما اشـــبه بشعبين متجاورين لكل منهما حضـــارته الخاصة التي تميزه عن الآخر وان جمعتهما صلة الشعب الواحد . فالفلمنك اكثر تعلقا بالتراث والمحـــافظة على الموروث من القيم والتقاليد والعـــادات والروابط ولهم ولع شديد بالماضي وامجادهم السالفة . بينما الفرانكوفون وهو الاسم الذى يطلقونه على اصحاب اللغة الفرنسية اقل عناية بالتراث والموروثات واكثرها تجـــاوبا مع متغيرات العصر ورغم ذلك فان الطرفين يعيشان في معاصرة مشتركة لما يحيطهما من أوضـــاع متقدمة ومتطورةفي بقية اوروبا التي اصبحوا يعتبرون بلجيكا عاصـمتها الفعلية حيث حلف الاطلنطي والسوق الاوروبية المشتركة والعديد من البيئات والتنظيمـــات العالمية المركزية .

هذه الظاهرة في الواقع شـغلتني طوال الوقت وفي كل مناسبة اشـــاهد فيها اى مكان او وجهة او عمل ثقـــافي .. كيف امكن ان يتوحد ما بينهما من خلافات تكاد ينمحي امامها ضرورات الوجــود وكلاهما لغةغير لغة الاخر تماما .. وتراث واحد ؟! وكيف امكنهما الجمع بين تراثين مختلفين ليعيشا في معاصرة مشتركة .. وربما كانت هي الرابط الواحد الذى يجمعهم داخـل وطن واحد ؟!

مقارنة

لا شك ان لكل منطقة ظروفها . وظروف المنطقة التي تقع فيها بلجيكا تختلف عن ظروف منطقتنا العربية ، وليس من حقى ان اجرى اى مقارنة ولكنى ساحرص ان اقدم لكم صورة لبعض ما شاهدت وما يمكن ان يكون قد اثار في خاطرى الاهتمام بمثل هذه الظاهرة ،هناك تنافس حاد بين الطرفين قد يصل احيانا الى درجة القطيعة ، وطبيعى ان مثل هذا التنافس يولد نوعا من محاولة الحماية وذلك عن طريق المغالاة في الاعتداد بالنفس .. ولهذا فاول ما تلاحظه في تصرفاتهم ان الفلمنكي يعتد بنفسه اكثر من اللازم ولكنه مع ذلك يحترم في ناطق الفرنسية انه يقارعه بنفس هذا الاعتداد والعكس بالعكس .. ولكن لعل مصدر ذلك طبيعة الحياة المتحررة التي تتاح لكل مواطن من صغره وخلو الحياة العامة من صنوف القهر والاجبار وهذا ما تحققه طبيعة الحياة الديمقراطية .. لكن تعالوا معى الى الظواهر الثقافية ذاتها .. فالتراث عند الفلمنك هو الركيزة الاولى التي تلتف حولها مقومات وجودهم .. والتراث لايعني كل ما هو قديم ولكنه يعني في تقديرهم كل ما يمكن الافادة منه فيما اخذوه عن ابائهم واجدادهم من تقاليد وقيم وعادات لاتتناقض او تحول دون مجاراتهم للمستجد من قيم وعادات وتقاليد العصر . وهذا ما يجمعهم بناطقى الفرنسية بالفعل لولا ان هؤلاء اكثر ميلا الى ما يمكن ان يكون بالنسبة لنا او مانسميه بالفعل « الفرنجة » اى المبالغة بالاخذ السريع العاجل بما يسود اوروبا حولهم من تيارات مستحدثة .. في الرسم مثلا . يعد التيارات التجريدية ومستحدثات المدارس العصرية اكثر تقبلا عن الفرانكفون (المتكلمون بالفرنسية) . بينما ياخذ الطابع الكلاسيكي بلب الكثيرين ويصبح اكثر قربى من الفلمنك وكلاهما لهما ياخذ باسباب العلم الحديث ولكن الفلمنك اقل ميلا الى استعمال الاليات الفنية واكثر اعتدادا بمنتوجاتهم اليدوية . نفس الشيء يتجلى في الفنون الاخرى كالرقص والموسيقى انك قد لا تحس بالاختلاف في مستوى الاتقان ولكنك تشعر بان الفلمنك اكثر جنوحا بفنونهم الى المحلية . ولديهم اهتمام بالغ بالمسرح ولذلك تجد عندهم اكثر من مؤلف مسرحي بينما يندر ان تحصل على مؤلف مسرحي لدى الاخرين ، والمسالة لا ترجع الى المزاج الذى الابرز ظهورا ووضوحا عند الفلمنك ولكنها ترجع الى الرغبة الدائمة في التعبير عن الذات وتقديس التوارث . والفلمنك يفضلون الرد عليك بالانجليزية عن الفرنسية التي يمكنهم مخاطبتك بها . ومع ذلك فانك لا تشعر بتعصب جارف بينهم وبين ناطقى الفرنسية ،هناك موازنة غريبة بين الطرفين ولقد ارجعتها بعد تاملات متصلة الى ان كلاهما يجنح كالاخر الى المعاصرة الكاملة مهما رجحت عنده كفة الاصالة التي يستمدها من تراثه المختلف .

واعود فاكرر ثانية انني لا احاول ان اجرى مقارنة لان المدة التي امضيتها لا يمكن ان تسمح لي بفهم راكز لطبيعة الطرفين . وانما هي ملاحظات خاطفة اقرب ما تكون الى الانطباع الذى ربما تكون قد سببته مفاجاة وجود لغتين مختلفتين يتكلمها شعب واحد . وهذا ينقلني بكم ومعكم الى القصد الحقيقى لما احاول كتابته .

عامل اللغة

اننا كلما تكلمنا عن بواعث الوحدة العربية برزت امامنا اللغة كعامل واساس جامع مانع الى صح التعبير . ومما لا شك فيه ان عامل اللغة هو من اهم وابرز واعم العوامل التي تدفع بنا الى طريق الوحدة . فهى لغة القرآن الكريم الذى يربط بيننا باقوى رباط ثم انها لغة الحضارة الاسلامية التي نبعنا منها ولغة التراث الذى يزيدنا



رسوخا وتشبثا باصالتنا .. واذن فماذا ينقصنا ونحن اكثر تكاملامن غيرنا وعلى هذه الصورة الفريدة الرائعة من صور الارتباط الانساني الممتد عبر قرون وقرون بدون انقطاع ؟!

الواقع انها ليست مسالة اللغة وحدها .. ولكنها مسالة أعمق منذلك وابعد بكثير ونحن نتغافل عن حقيقتها لتشبثنا برباط اللغة وحده متجاهلين الحقائق المستجدة التي ينطق بها تاريخ العصر .. وهو ان مجرد وجود لغة واحدة يمكن ان يوحد بيننا تلقائيا واوتوماتيكيا على حد تصورنا . ولن استشهد بالمثل البلجيكي الذي اثار في نفسي مثل هذا الخاطر .. ولكني اردكم ايضا الى المثل الامريكي البريطاني فاللغة بينهما واحدة وهي اللغة الانجليزية ومع ذلك فليس هناك من وحدة او شبه وحدة قائمة بين امريكا وانجلترا .. وانما هو مجرد تقارب سياسي له جذوره الحضارية والثقافية . بل ان هناك مثلا اكثر وضوحا في زماننا الحاضر .. وهو ما حاولته فرنسا في الجزائر من فرض اللغة الفرنسية على اهلها حتى بات اغلبهم لا يتكلم غيرها .. ومع ذلك فقد كان التحرر السياسي من استعمار فرنسا واصبح نبأ الاستقلال بعد الخلاص منها في الجزائر الشقيقة قائم على اساس العودة الى « التعريب » وهو قضية ضرورية ترتبط بكافة مقومات الاستقلال واهم من أي قضية اخرى تواجهها الجزائر اليوم .. معنى هذا ان اللغة اذا كانت هي الاصل والاساس في الوحدة القومية .. الا انها ليست العامل الفاصل والرجع او الدافع الوحيد على قيامها ..

فهل تكفي اللغة

لكن اللغة في أوضاعنا تاخذ اهمية اكثر واعمق مما يمكن ان تكون عليه في البلدان الاخرى .. لانها ليست مجرد لغة التعبير والكتابة او الكلام .. ولا هي لغة التراث فقط وانما هي لغة القرآن الكريم الذي وحد ولا يزال يوحد بيننا الى ان يرث الله الارض ومن عليها . فالقضية بالنسبة لنا تبدأ من أبعد روابط ماضينا الى اقصى منطلقات مستقبلنا .. لكن هل تكفي اللغة بذاتها في قيام وحدتنا المنشودة مع كل ما تحمله من تراث زاخر وافر ضخم ؟! سؤال يحتاج الى مداومة مباحثته والسعي للاجابة عليه .. فلدينا بالفعل اقوم مقومات الوحدة ومع ذلك فاننا نتعثر في وحدتنا التي لايشذ عربي واحد عن نشدانها .. وتعالوا نتلمس بعض معالم الاجابة في نظرتنا الى اللغة العربية . وحقيقة علاقتنا الراهنة بها ، لا بوصفها وسيلة التعبير ولا القول لغة التخاطب .. اننا في الواقع وبالنسبة لقضية اللغة في جميع بيئتنا العربية نواجه بتناقض احسب لا مثيل ولا وجود له في اللغات الاخرى .. وهو سيادة لغة او لغات ولا اقول لهجات عامية تفرقنا اكثر مما تجمعنا ولهذا يشتد اصرارنا جميعا من المحيط الى الخليج على التمسك باللغة العربية الفصحى كلغة تعبير ونسعى جاهدين الى ان نجعل منها لغة تخاطب ايضا .. لكن لان وسائل التعبير الحديثة كالاذاعة والتليفزيون والسينما وغيرها اصبحت القوى المعبرات ولان هذه الوسائل لا تكاد يستعمل فيها اللغة العربية الا في النشرات الاخبارية او الاحاديث في حين تطغى عليها اللهجات المحلية في كل بيئة .. فان تاثيرها بات يضاعف من صعوبة المشكلة .. فمعظم المواد التي تقدمها هذه المعبرات مواد تعتمد بالدرجة الاولى على لغة التخاطب أو ما تسميه الحوار في الافلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات ومعظم الاحاديث وكافة الاغاني واذا كان هذا لا يخلق تراثا معترفا به .. فانه على مدى المستقبل سيصبح لونا من الوان التراث .. ومع ذلك فهل من ينكر ان استعمال لغات أو

لهجات التخاطب على هذه الصورة لن يؤثر على اللغة العربية او مانسميه اللغة الفصحى !؟ ثم اوليس بما تحمله هذه الوسائل من سبل التخاطب ومقومات التعبير بمثل هذه اللهجات على اختلاف منابتها فى كل بيئة اليس فيما تحمله من آراء ومثل وافكار وقيم وتطلعات ومفاهيم ما يؤثر مع تقارب تشكيل الوجدان والمشاعر والاخيلة !؟ ان هذا التقارب قد يخف عاما بعد عام بفضل انتشار هذه الوسائل التعبيرية الحديثة والتمرس على سماع اللهجات المتعارضة من خلالها .. ولكن بالقطع اصبح له اثره الواضح فى اضعاف دور اللغة بوصفها الركيزة الاساسية للوحدة العربية .

ركائز الوحدة متعددة

ولذلك وبفعل تطورات العصر وما اوجده من استعمالات فى التعبير اللغوى عندنا .. بات من اللازم ان نحتمى بعديد الركائز المتعددة للوحدة والتى يمدنا بها تراثنا الحضارى الشامخ المتلاحق لانه من المقومات لوحدتنا على مر العصور . ولا شك ان التراث عامل من ابرز العوامل .. لكن استمداد التراث واستلهامه يواجهنا هو الآخر بمشكلة مماثلة كتلك التى واجهتنا بها دواعى التعبير العصرى ومتطلباته بالنسبة لعامل اللغة . فالتراث وان كان هو منبت الاصالة وقاعدتها .. الا انه فى ظل مستجدات العصر يتحتم ان يستوفى هو الآخر ما تستلزمه هذه المتغيرات او المستحدثات من موجبات المعاصرة سيما وانه تراث شامل غامر ضخم لا احسب انه توافر لامة من امم الارض مثل ما توافر لامتنا العربية . غير ان استلهامه واستعادته بالصورة التى هو عليها مهما كان ثراؤه مضمونه الباقى يتضارب ولا شك مع منطلقات التعبير التى استجدت بمكونات الحياة العصرية .

مشكلة الساعة

ومثل هذا الكلام من جانبى قد يرضى البعض سواء بالنسبة الى تحليل التخلف عن تطورات استعمال اللغة العربية او الافادة من التراث .. ولكن عذرى اننى اسعى بفكر منطلق وفهم واحساس والمس فى معايشتى للحاضر مثلهم .. لكى افتح النوافذ المغلقة على بعض ما يجعل العديدين بيننا يتخبطون داخل الغرف الظلماء المغلقة .. لاننى لا اقدم لهم افكارا نظرية خالية من الواقعية الملموسة التى نعيشها فى كل يوم ولا جدال ان وحدتنا على اساس من اللغة اوالتراث تتعرض لما يستحيل تجاهله من ظواهر مستجدة تفرضها طبيعة الحياة المعاصرة التى نعيشها وواجبنا ان نواجه هذه الظواهر بما يناسبها من فهم صحيح وادراك سليم والا فكيف يمكننا الوصول الى حل حقيقى بدون التحام مثل هذه المشاكل التحاما واقعيا يحفظ لنا لغتنا العربية واصالتنا الحضارية . ان الموضوع كبير ومتشعب وهو اكبر من ان يعالج فى مثل هذه العجالة الخاطفة من الكلمات .. بل انه ليحتاج الى دراسات وبحوث موسعة يمكن ان تتضمنها عشرات الكتب والمؤلفات . ولكن ما اثاره فى خاطرى كما قلت من البداية زيارتى لبلجيكا وتعرفى على مشكلة اللغة هناك .. ذلك انها رغم جارتها ورغم ان متنفسها الوحيد هوالارتكاز على التراث .. الا انهم بفضل مسايرتهم ومعايشتهم للعصر ودواعيه وما ينبثه من اوضاع متغيرة متطورة فانها لا تؤثر على الكيان القومى المشترك للوطن الواحد الموحد بالفعل .

وكذلك كانت من اهم ميزات حضارتنا العربية الاسلامية فى ازهى عصور ازدهارها .. لانها كانت حضارة متجددة بتجدد العصر نفسه .. ولهذا اثرت اقوى تأثير فى الحضارات العالمية الاخرى التى تجاوبت معها فاخذت منها بقدر ما اعطتها ●

كلمات

يكتبها: أحمد زكى عبد الحليم

انها كلمات .. فى الحياة . فى الحب . فى الزواج . فى الصداقة . فى الزمن . تحاول ان تقول بايجاز اشياء كثيرة .. لا ازعم انها كلمات حكيمة . ولا ادعى انها ساخرة ، ولا اقصد ان تجتلب ابتسامة الى شفتيك ، لكن ما يعنينى حقا ان تقرأها : ثم تغمض عينيك ، وتفكر .. كثيرا او قليلا .

● فى الحياة ●

- مشكلتى ليست بسيطة على الاطلاق .. اننى اريد ان أعيش !

- حياتك افضل من حياتى دونشك .. فانت تستطيع ان تتكلم ، وتستطيع ايضا ان .. تتألم !

- عجيبة .. هل يولد الانسان بهذا القدر من الوعى والمعرفة ، لدرجة انه يستقبل الحياة بالصرخات !!

- الحيوان هو ذلك الكائن الذى اقتنع بان الصمت اجدى واكثر تعبيرا من اى كلام !!

- لا فرق بين رحلة البداية ورحلة النهاية .. فانت تأتى واحدا ، وتذهب ايضا .. وحدك !

- الدنيا تغيرت كثيرا .. اصبحت انا وانت على ابن عمى .. وانا وابن عمى على اخى !!

- كل الناس عندهم ضمائر .. فقط يستعمل بعضهم ضمير الغائب !

- قالت له : لست استطيع ان احتمل الحياة معك بعد الان .. فقد تأكدت انك .. انسان جدا !!

- جيبى فارغ .. ليست هذه مشكلة .. المشكلة ان يصبح عقلى كذلك !

● فى الحب ●

- امى وابى تزوجا عن حب .. فلاذنبى انا !!

- كانت حريصة على سعادته ، ولذلك ضحت بقلبها ورفضت ان تتزوجه !

- مسكينة ! لقد اتفقا على انهاء العلاقة بينهما ، ولكنها نسيت ان تأخذ منه قلبها ...

- المرأة لا تخفى عمرها . ولكنها تعتقد ان عمرها يبدأ من اليوم الذى عرفت فيه الحب الحقيقى .

● فى الزواج ●

- لا عزاء للسيدات .. فقد كان الفقيد زوجا !!

- مظلومون ايها الازواج .. فاذا كانت الجنة تحت اقدام الامهات ، فان جهنم تحت اقدام الزوجات !!

- زوجتى على درجة كبيرة من الانسانية .. فضلت ان تسجننى فى البيت ، حتى لا اضيع فى دوامة الحياة !

- انا تزوجت لان الزواج قسمة ونصيب .. اما انت ، فما عذرك ؟!

- قدمت لى زوجتى اجمل هدية فى عيد ميلادى الماضى .. خرجت من البيت ولم تعد ! ..

- استقرت حياتى تماما بعد الزواج .. فقط اعانى من الشعور بالوحدة ! ●

في جنوب أفريقيا
الأديب يكتب ثم يدخل السجن

بقلم : محمود قاسم

● ان يناضل ابناء البلاد من الزنوج ضد البيض في جنوب افريقيا .. فذلك شيء طبيعي . ومطلوب . وقد لا يثير الدهشة أو الاعجاب .. لكن ان يهب ابناء هذه البلاد من البيض يدافعون ضد قوانين بلادهم العنصرية ويطالبون بنفس مطالب الزنوج فذلك شيء يثير الدهشة .. خاصة ان هؤلاء البيض يتعرضون لنفس الضغوط والقوانين الصارمة التي يتعرض لها الزنوج اذا قاموا بالدفاع عن بلادهم .

والكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج التي عاشت في زيمبابوي « روديسيا سابقا » ثلاثين عاما من عمرها تناضل ضد البيض وتدافع عن الزنوج وكتبت روايتها « ابناء العنف » . ومجموعتها القصصية « حكايات افريقية » حول هذا الموضوع تعتبر رائدة في هذا المضمار . واذا كانت السيدة ليسنج قد عاشت في زيمبابوي هذه السنوات لان اباها كان يمتلك مجموعة من المزارع التي يعمل بها الزنوج هناك .. فان الاديبة نادين جوردون والكاتب أندريه برينك قد ذهبا أبعد من دوريس ليسنج في الدفاع عن قضايا الزنوج ضد البيض من ابناء جنسهما الذين يحكمون البلاد . والذين يسمون بالافريكان .. وهم البيض المنحدرون من سلالة المهاجرين الهولنديين . ولهم ثقافة خاصة



● مؤلفة "أبناء العنف" عاشت ثلاثين سنة تناضل من أجل الزنوج!

بهم تعرف بثقافة الافريكان .
وفى جنوب افريقيا نجد اربعة ملايين من البيض يمتلكون ٨٧٪ من البلاد وثرواتها ويسنون القوانين مقابل ثمانية عشر مليون اسود يمتلكون الباقى .. البيض هم الذين صنعوا الابارتهايد .. او العزل العنصرى وهو لا يوجد فى بلد من العالم سوى فى جنوب افريقيا .. فالرجل الابيض يملك السلطة والسيادة وتقول جريدة لوموند فى ٩ يوليو ١٩٧٩ « أن تكون افريكانيا معناه أن تكون ضد الانجليز أو الزنوج الذين هدموا كل القيم والمعانى .. بندقية باليد وبالاخرى انجيل وهو يقدم لك منابع الحضارة الغربية .. »

واندريه برينك الذى فاز بجائزة ميدتش الادبية الفرنسية عام ١٩٨٠ عن رواية « فصل أبيض وجاف » يبلغ الآن السابعة والاربعين من العمر . ويعمل مدرسا للادب المقارن بجامعة روديسيا بجنوب افريقيا .. ولبرينك أربع روايات تدور كلها حول الاضطهاد العنصرى الذى يلاقيه الزنوج فى جنوب افريقيا التى يحكمها البيض .. « كان والدى منغلقين دوما . وبالرغم انهما لم يشاركانى افكارى . الا اننا نحتفظ بعلاقتنا وطيدة . قضيت طفولتى فى قرية صغيرة بجنوب افريقيا . هناك اثناء الخمسينات لم تكن الحرب قد تغيرت منذ بداية القرن

فى جنوب أفريقيا

فلا يوجد اى مجال للمقاونة كى تحكم على النظام الاجتماعى الذى كان يبدو انه الاسلوب الوحيد للوجود . وخلال فترة المراهقة بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة بدأت اشعر بنوع من الالم والقلق الذى لم يكن قد تبلور بعد .. وذلك عن طريق لغة الكلام أو اللزومية » .

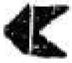
الطريف ان بريتنك لم يتنبه ـ حسبما تكلم الى مجلة الاكسبريس فى عددها ١٥٠٧ ـ الى التفرقة العنصرية فى بلاده الا حينما زار باريس لاول مرة.

« الشباب من جنوب افريقيا يذهبون دائما الى امستردام لاستكمال دراساتهم . أما أنا فقد كنت اكن حبا قويا لفرنسا وكنت افضل السفر الى باريس شعور بوطنى دفعنى أن انظر بقوة الى داخلى . والى داخل وطنى . كنت منجذبا بشدة لكامى بين عامى ٥٩ و ١٩٦٠ . وهذا الموقف قد توافق وحدث مع مذبحة شاربفيل . ففى اثناء مظاهرة سلمية ضد القانون حول



بريتنك « على اليسار » فى حفل استلام جائزة ميديسس ١٩٨٠.

○ الآن أسقطت كل الأقنعة ورحل "مارتن" الأبيض يحارب فى صفوف السود



جوازات السفر الداخلية اطلقت الشرطة النار فلقيت المئـــات مصرعها .. كانت هــــذه أولى الحوادث الكبرى التى تنبهــت اليها فى جنوب افريقيا .. »

ويثير برينك قضية خطيـــرة بهذا . فابناء البلاد لا يعرفون ما يدور بداخل بلادهم الا مــن خلال ما تنقله وسائل الاعلام التى تبث من الخارج . وعلى مــن يريد أن يعرف أن يخـــرج الى أوروبا كى يعـــلم .. « فى السنوات الاخيرة وصل العديد من رسائل الادباء الشـباب الافريكان وقالوا : « بعــد أن قرأنا كتبك قررنا أن نعى قضية السود » .

ولاندريه برينك أربع روايات هى « فى حلكة الليل » عـــام ١٩٧٤ . و « لحظة فى مهـب الريح » و « ضوضاء المطـر » و « فصل أبيض وجاف » ثـم « ابنة المزارع » الذى انتهى من كتابتها عام ١٩٨٢ ولـــم تنشر بعد ..

فى روايته الاولى « فى حلكة الليل » نرى رجلا أسود اسمه « أنا » يعمل ممثلا ويحاول أن يؤسس فريقا مسرحيا يناضــل من خلاله ضد القوانين العنصرية فى البلاد . انه يعيش عــلاقة عاطفية مع امرأة بيضاء . يتـم القبض عليه ويحكم عليه بالموت .. ممنوع على الافارقة الاختلاط بالبيض فما مجال الارتبـــاط العاطفى بهم ..

اما رواية « ضوضـــاء المطر » فتدور حول رجل يتعلق بماضيه حبس نفسه داخل غرفة بأحـد الفنادق فى الولايات المتحـدة ، بعيدا عن أسرته التى تقيم بجنوب افريقيا .. يبــدأ الرجـــل فى الكتابة .. كى يحيط ما حــدث له : لقد تحطم كل عالمه .. انه يدعى مارتن مينهارد . ينتمى الى البيض الافريكان .. ســـليل احدى الاسر الكبيرة التى نزحت من هولندا الى جنوب أفريقيــا .. انه متزوج من امرأة جميلة وله عشيقة أكثر جمــــالا ..

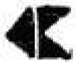
فى جنوب أفريقيا

لكنه فجأة يفقد كل أيمانه وكل مواقفه .. لان اعز اصدقائه برنار قد قبضت عليه الشرطة لانه كان يناضل ضد حركة التفرقة العنصرية .. كان صديقه قد طلب منه أن يقف بجانبه فرفض . والآن عليه ان يغير مواقفه ..

الآن .. انحسرت كل الاقنعة وسقطت وظهرت الاشياء على سجيتها .. وتحطم النظام الاجتماعى الهش الذى كان يتصوره قويا .. فقد رحل الابن مارتن الى انجولا كى يحارب هناك ضد السود . هذا المحارب لا يؤمن بالعدالة التى تصنعها بلاده .. لقد بدأ يحس بعبء ثقيل عليه . عليه أن يناضل فى جبهة اخرى ضد سلطات بلاده المتعسفة ويقف مع الزنوج .. لقد رحل الى الولايات المتحدة لفترة قصيرة بعد أن صدم فى تصرف « ليا » عشيقته التى تؤمن بالتفوق على ابناء جنسها .. احس انه افتقد هويته وعليه الان أن يعيد لنفسه الاتزان ..

وهذه الرواية هى رواية شخصية مر برينك باحداثها فيقول : « حدثت احداثها لاعز أصدقائى انهم اناس يتحابون باسلوب عادى . ويقعون تحت طائلة القانون فى جنوب افريقيا. فقد نفى احد أصدقائى المقربين الى باريس لانه تزوج بفتاة فيتنامية . ولانه كان ضد النظام . فعليهم أن يحطموا قلبه .. »

اما روايته « لحظة فى مهب الريح » فقد مزج فيها أحد الاحداث الشهيرة التى يشيعها البيض فى جنوب افريقيا باحداث اخرى من نسج افكاره .. ففى القرن الماضى هرب رجل من ابناء البلاد فى الصحراء الاسترالية بعد أن اغتصب زوجة احد المكتشفين . كان جزاؤه هو تهشيم راسه .. اما بطل روايتنا آدم فهو ابن البلاد الاصلى . عبد أسود تجرأ يوما ورفع يده



● فى جنوب أفريقيا أربعة ملايين أبيض يملكون ٨٧٪ من أرض البلاد وثرواتها

على سيده . يحكم عليه السيد بالجلد . وأن تقوم أمه بتنفيذ عملية الجلد .. أما اليزابيث ـ زوجة السيد ـ فهى امرأة بيضاء تنتمى الى الطبقة البرجوازية وتشعر بالاحتقار لزوجها الذى يعامل البشر كحيوانات .. تتعاطف مع آدم .. تقرر أن تهرب مع الرجل الاسود بعيدا عن المنطقة المحرمة التى يعيشان فيها تحت سقف هذا الرجل الابيض الشرس .. عليها أن تعيش حبا بسيطا نقيا . تكفيه كسرة خبز فى كوخ صغير يطل على شاطىء البحر .

لكن يبدو أن احلام المراة هناك على شاطىء البحر لم تستمر أكثر من فصل رائع .. فعلى المراة أن ترحل الى مجتمعها الابيض مرة أخرى .. انهما يعرفان أن استمرار مثل هذه العلاقة شىء من المحال .. تقرر اليزابيث أن تعود وحدها الى المدينة تاركة آدم وحده . سوف تجىء كلاب البيض قريبا كى تنهش عظامه .. وعليه أن يهرب او ينتظر مصيره ..

لم يغتصب الاسود هنا امراة بيضاء . فالمراة البيضاء هى التى احبته ودفعته للهرب معها قبل أن تتخلى عنه وتعود الى مدينتها .. وبرينك هنا يبدو متأثرا جدا برواية « أبناء العنف » لدوريس ليسنج التى فيها تحب امراة بيضاء رجلا زنجيا وتراوده عن نفسها بعد أن أهانته يوما بشدة وضربته أكثر من مرة بالكرباج لكن الرجل الاسود عند ليسنج يقتل المراة قبل أن ينتظر مصيره ..

أما رواية برينك الثالثة فهى « فصل أبيض وجاف » فقد كتبها برينك تمجيدا لصديقه الاسود بريتين بريتباخ الذى سجن خمسة أعوام كاملة لقضية سياسية ضد نظام بلاده .

وهذه الرواية تدور حول رجل أبيض يعمل مدرسا فى جوهانسبرج برسل فى مهمة للبحث عن اثنين من الاطفال الزنوج . لقد اختفى جوردن الجناينى الاسود الذى يعمل بالمدرسة بعد أن مات ابنه فى حادث غريب . يسوقه البحث عن

في جنوب أفريقيا

جوردن الى معرفة اشياء كثيرة تحدث للزنوج في بلاده .

وبرينك يجد الكثير من المعاناة داخل بلاده : منذ ان نشرت « في حلكة الظلام » لم تعد الحياة سهلة بالنسبة لي ولا اسرتي . بدا الامر باشياء بسيطة . الخطابات مفتوحة . التليفون مراقب . واثناءاجازتنا نلاحظ أن هناك من يتبعنا حتى داخل البلاد . وعند العودة من السفر الى انجلترا او فرنسا تستدعيني الشرطة ويطلبون مني تقريرا حول اقامتي . مواعيدي، الفنادق التي نزلت بها. اللقاءات وكل شيء من هذا القبيل . يفتشون منزلي . ويختبرون آلتي الكاتبة » .

قبضت عليه الشرطة بعد أن نشر « فصل ابيض وجاف» لمدة خمسة عشر يوما . كانت الرواية قد باعت اكثر من ثلاثة آلاف نسخة لدى الافريكان انفسهم « اذا هاجمت هذه الكتابات الشرطة فسرعان ما تصادر . ولأن القراء يعرفون فانهم سرعان ما يشترونها. والكاتب لا يكتفى فقط أن تصادر كتبه ولكن تقبض الشرطة عليه . يستجوبونه طويلا وقد يسجن لاسابيع أو أشهر»

نحن لا نريد أن نحكم على القيمة الادبية لاندريه برينك .. فهو بلا شك كاتب سياسي من الدرجة الاولى يناضل في طريق مليء بالشوك ويعاني كثيرا. واذا كانت موضوعاته الدرامية محدودة فانه مع آخر اعماله قد غير من التيمة المشهورة . أن تحب امراة من البيض رجلا اسود وتغرم به ثم تتخلى عنه . أو شيء من هذا القبيل .. لقد بدا برينك يتنبه أن عليه أن يكتب عن السياسيين في بلاده .. فمن خلالهم يمكن – كما يقول – أن يجيء بالعدد الاكبر من النواب الذين يناصرون قضايا الزنوج . لانه حسبما يرى انه اذا قام احد المتطرفين الزنوج باغتيال احد ابناء اسرته فان الأمر لن يتغير كثيرا . لان البشر سيظلون دائما بشرا سواء كانوا من البيض او الزنوج ●

قصة البيضة والفرخة

أو

الفرد والمجتمع

بقلم: فتحى رضوان





من مشكلات الحياة ، معرفة اى الشيئين سبق الاخر في الوجود - البيضة ام الفرخة ، فاذا كانت البيضة هي الاصل ، فمن باضها ؟ واذا كانت الفرخة هي التي بدأت في دورة الحياة ، فمن اية بيضة فقست .

ولم اكن اتصور أن هناك مشكلة مشابهة ، ولما ووجهت بها خيل الى ان وجه الشبه منقطع ، ثم لما تأملت قليلا ، وجدت ان الشبه قائم ، وان المشكلة هناك هي المشكلة هنا .

فاذا كان المجتمع قد سبق الفرد ، فمم تكون هذا المجتمع ؟ الم يكن قوامه افرادا واذا كان الفرد هو الذي سبق المجتمع ، فكيف تكون الفرد ، ولغته التي يتكلم بها، ويعبر عن نفسه بمفرداتها وجملة ، هي نتاج اجتماعي ، لا يتم الا بالتقاء افراد عديدين ، يعلم السابقون منهم اللاحقون ، كيف ينطقون وماذا ينطقون ، لو ولد الفرد في فراغ تام ، وليس معه احد سواه على شاكلته ، فلن ينطق ، ولن يلبس ، ولن يجد قدوة يحاكيها ومثل يتأسى به . فيبقى الفرد فردا ، حتى ولو انضم اليه بعد ثان وثالث . فانهم جميعا يبقون بكما ، لا يعبرون ، بما لا يفقهون .

ولكن ليست المشكلة مجرد لغز للتسلي وازجاء الفراغ ، بل هي من ابتكار عقل مؤرخ كبير . اراد ان يسأل عن العلاقة بين المؤرخ والمجتمع ، عن طبيعتها ، وعن المؤثر في طرفي المعادلة والمتأثر . فهل المؤرخ هو بعقله ومزاجه ، واسلوب تفكيره وطريقة تحليله ،ونظره الى مشكلات المجتمع ومنشئها وتطورها ، ودوافع الرجال والنساء ، الذين يلعبون ادوارهم الكبرى على مسرح السياسة والقيادة ، وهل هم فاعلون يشكلون التاريخ ، ام هم دمى في تيار متدافع ، من الفعاليات الجموع . الهائلة ، التي تكتسح امامها كل شيء .

والحق انك واجد متعة وسعادة ، وانت تقرأ للمؤرخ ادوارد كار الذي ترجمه الاستاذ احمد حمدي محمود منذ سنوات هذه التساؤلات العديدة ، وما يتفرع عنها، وتعليقاته عليها ، وتعليقات كبار المؤرخين ممن نعرفهم ، وممن لا نعرفهم مثل جيبون جردت ، وماسون الالماني ، وتامبيه ، ثم اشبنجلر ، وكارلايل ، وماتيكه ، وماركس واخيرا توينبي .

ويبدأ كار ، باول صفحاته ، فيقول لك ان الانسان الفطري ،الذى لم يتقدم بعد في الحضارة ، ولم تتعقد حياته في ظل مواصفات المدنية ، اكثر اجتماعية ، اى اكثر ميلا للجماعة ، واندماجا فيها ، وتأثرا بدفعها من الانسان المتحضر ، فالفردية واحساس الانسان بذاته ، وميله الى العزلة ، وحرصه على الوحدة ، هي ميول حضارية حديثة ، وقد بلغت هذه الروح حدها الاقصى ،عندما قامت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ، فمبادئ هذه الثورة ، التي اكدت روح الانسان المحب للتفرد والانعزال وخوفه من ذوبان شخصيته في محيط المجموع . فالانسان البدائي ، لا يجد لذة كبيرة في ان يترك وحده ، بعيدا عن قرينته او اولاده ، او اعضاء القبيلة ، ولكن الانسان الحديث يشكو من الشكوى من ضغط المجتمع عليه ومن كونه لا يجد الا باعظم الصعوبة ، وقتا للانفراد والتأمل الهادئ . وكل وسائل المتع الفردية ، وجدت عندما ارتقى الانسان فوجد الكتاب الذى يؤنس وحشة الانسان ،وينقل اليه اقوال والافكار ، وربما ما يقترب من اصوات الآخرين ويرى المجتمع الانساني ، يلتقي ويبتعد ، ويتشاجر ويتآلف ، وهو محمي تماما من ضغطهم وزحامهم وكأنما يشاهد الناس من وراء حاجز ضيق ، من زجاج شفاف جدا .

ولكن هذه الحقيقة تظهر لنا لو تأملنا

الفرد والمجتمع

تطور علاقة الطفل بأسرته ، وعلاقة افراد الاسرة من الصغار بالكبار ، والتحولات التى تصيبها . فالطفل عقب ولادته سواء كان انسانا او حيوانا يلتصق بامه ، ولا يدعها قط ، وتسير الام والاولاد حول رقبتها ويديها ، وكلما تقدم الزمن ، وكبر الطفل ، وازداد قوة ، وقدرة على الحياة ازداد استقلالا عن والديه ، وعن امه بصفة خاصة ، فاذا بلغ الطفل اشده ، يبعد عن والديه تماما ، عند الحيوانات ، يجهل الطفل ابويه ، وقد يشاجرهما ، ويعتدى عليهما ، وتتفكك اواصر الاسرة ، ويذهب كل لحال سبيله ، فالتجمع والتصاق الفرد بجماعته الصغيرة اى عائلته يظهر بوضوح كلما كان الجيل اكثر حداثة واقل خبرة ، واقل اعتمادا على نفسه .

وقد كان من الطريف ان اشار (ادوارد كار) الى قصة « روبنسون كروزو » الشهيرة التى الفها الكاتب الانجليزى (دانيال ديفو) ، والتى حاول بها ان يصور الانسان المتفرد ، الذى يعيش وحده ، بعيدا عن الجماعة ، لا يؤنسه فى عزلته انسان مثله . ويعلق على حالة روبنسون بقوله : ان محاولة (ديفو) ان يحدثنا عن انسان متفرد ، قد فشلت قبل ان تبدأ لان (روبنسون) لم يكن انسانا (مقطوعا من شجرة) كما نقول نحن فى حديثنا اليومى ، بل كان انجليزيا ومن مدينة (يورك) وكان معه الكتاب المقدس فى جزيرته المعزولة التى لجأ اليها لما غرق القارب الذى كان يحمله ، وبذلك فقد كان له وطن ينتمى اليه ، ورب يصلى له ، ودين يتعبد به . ثم ساق له المؤلف زميلا مؤنسا ، هو الافريقى جمعة - فرايداى) .

وذكر (كار) - على سبيل التداعى - شخصية اخرى هى اسطورة (كريلوف) فى كتاب دوستيفسكى الكاتب الروسى العظيم (الشياطين) ، ويورد هنا تعليقا عميقا ، لان كريلوف انتحر ، ليثبت انه حر فى فعل اى شىء يريده ، فالانتحار هو الفعل الوحيد المتاح للانسان الذى يعيش وحده ، معزولا عن الناس .

وقد ادى كشف هذه الحقيقة الى تقرير ان الاختلاف بين المجتمعات البشرية ليس راجعا الى اختلافات حيوية بين الفرد فى كل من هذه التجمعات ، بل راجع الى اختلاف السلوك الجماعى القائم على اختلاف الاسس القوية للمجتمع والتعليم والثقافة والمعتقدات الموروثة ، يعنى ان الخلاف بين الروسى والمصرى والتركى ، ليس مردها اختلافا فى تكوين افراد كل مجتمع من هذه المجتمعات من حيث اجسامهم وتكوينهم الموروث بدنيا بل راجع الى اختلاف الظروف التى كونها كل مجتمع من هذه المجتمعات بعيشه اصبح يحب اشياء ويكره اشياء ، ويمارس عادات ، وينفر من عادات اخرى وهكذا .

ولذلك اصبحت الوسيلة المثلى لدراسة الفروق بين الانجليزى والفرنسى مثلا ليست دراسة الانجليزى على حدة ، والفرنسى على حدة ، بل دراسة المجتمع الانجليزى ككل ، ودراسة المجتمع الفرنسى ككل ، وتبين الفوارق فى العادات والمعتقدات والسلوك .

وقد اكدت الروح الفردية خصائص الحضارة الحديثة ، ولا سيما مرحلة الراسمالية ، فقد كانت وحدات الانتاج والتوزيع فى المراحل الاولى للراسمالية غالبا فى ايدى افراد متفردين وقد اكدت العقيدة التى قام عليها النظام الاجتماعى ، عقيدة تزكى المبادرة الفردية ، ولكن عملية



الانتاج والتوزيع ، كانت آخر الامر عملية اجتماعية .

وكلنا لا نستطيع ان ننكر ان المذهب الفردى بقى زمنا طويلا ولا يزال باقيا وقد تستمر آثاره زمنا طويلا ، فمن بين الناس من يؤمن بان الفرد هو الوسيلة والغاية معا فالفرد الحر ، المتفوق ، الماهر ، الغنى هو الطريق الى مجتمع ثورة الحرية والرخاء والاستقرار ، ولكن هذا المذهب يعانى ازمة فكل شىء الآن ، يدعو الى النقيض ، الجماعة هى الغاية ، والفرد هو الوسيلة ، ولكن ليس بها صراع يؤدى الى تحطيم الواحد منهما للآخر .

وينتقل (كار) بعد ذلك الى ما يدخل فى اختصاصه تماما «فيمتع القارىء بالامثله والاستنتاجات والاستشهادات ، ويبدأ هذا الجانب من بحثه فيتساءل : فهل التاريخ هو قصة كتبها افراد عن افراد . يعنى هل التاريخ الذى نقرؤه ونحاول ان نعرف من خلاله ماضينا وما فعل اجدادنا وآباؤنا وما حققته الانسانية وما فشلت فيه ، هى حكاية يكتبها مؤرخ فرد عن افراد عظماء مثل مينا، وسقراط ، وموسى ، والاسكندر ، وروسيس وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد . ومصطفى كامل وعمر مكرم ؟

ويمكن الرد ، على هذا التساؤل ان المؤرخ الذى يكتب التاريخ هو بلا شك (فرد) عن افراد . ولكن هذا الفرد ليس نتاجا شيطانيا ينبت فى ارض معزولة ، لم يمر بها احد ، ولم يروها آخرون ، ولم يطبق عليها اصول الزراعة ، زارعون تجمعت لديهم اصول الزراعة ، خلال اجيال ، وهم يكتبون عن افراد ، نشأ كل منهم فى (حضانة اطفال) ، لا يتصلون باحد ، ولا يتصل بهم احد ، فهؤلاء الذين

ارنولد توينبى

يكتب عنهم المؤرخون ثمرة تفاعلات فى مجتمع ، يمور بالحركة ، والدفع والجذب والقلق والاسى ، والخوف . وقال عن نفسه انه قرر فى احدى محاضراته ان التاريخ هو عملية تفاعل او حوار بين المؤرخ فى الحاضر والوقائع فى الماضى .

قال اى حد يكون المؤرخ ، هو فرد ، ولكنه لانه انسان ، فهو ككل انسان آخر ظاهرة اجتماعية ، واحب ان انقل عن (كار) عبارته حرفيا :

فالمؤرخ هو حصيلة المجتمع الذى ينتمى اليه ، والناطق الشعورى واللاشعورى باسمه)

وتستهوينى من هذه العبارة قول (كار) ان المؤرخ هو المعبر الشعورى واللاشعورى عن المجتمع الذى هو ثمرته . فلان المؤرخ هو ثمرة المجتمع ، فانه يتكون ويتخلق فى رحم هذا المجتمع ، ويتغذى بمعه ، ويأخذ كثيرا من افكاره وميوله منه ، وهو لايدرى

الفرد والمجتمع

ولقد كنت اعرف صديقا ولد فى احدى الدول العربية وكان ينطق جملا تجرى على السن اهل هذا البلد فلفت نظره الى هذا انتفاء بشفته وقال انا لا اقول ما تنسبه الى فسكت حتى ضبطته ينطق بالتعبير الخاص بذلك الوطن ، فارتبك واحمر وجهه وقال : والله ما كنت اشعر بهذا . وقد يكون الامر عن تشابه مادى فى نطق الالفاظ ، واستعمال المصطلحات القولية ، ولكن فى الواقع ان التشابه اعمق بكثير .

فالمؤرخ يتاثر بما يجرى حوله ، وان كان يتصور انه باق على معتقداته وانه اذا كان حرا فقد بقى كذلك حتى بعد ان فشلت مبادىء الحرية ، وفازت افكار المحافظين ، وان كان محافظا تشبثت منه بالمحافظة ، ولو ان الجماهير قد سحقت المحافظين ، والتهمت حصونهم .

ويضرب كار مثلا بالمؤرخ المانى (مايتكه) فقد الف ثلاثة كتب ، كان اولها بعنوان « العالمية والدولة القومية »نشر سنة ١٩٠٧ وقد راى فيه ان الدولة الالمانية بقيادة بسمارك قد حققت المثل الالمانية القومية ، ثم كتابا ثانيا موضوعه : فكرة منطق الدولة ونشر سنة ١٩٢٥ ، وكتبه بعقلية جمهورية فيمار الالمانية التى نشأت فى اعقاب هزيمتها فى الحرب العالمية الاولى التى انتهت سنة ١٩١٨ ، والتى حاول فيها الالمان أن ينبذوا النظام الشمولى،وان يصطنعوا الديموقراطية البرلمانية ثم الف كتابا ثالثا موضوعة (بزوغ النزعة التاريخية) الذى نشر سنة ١٩٣٦ ، وكان التيار النازى قد جرفه ، فاعتبر كل ما هو كائن حق ، فالنازية جديرة بان يسلم الالمان بها ، ويذعنوا لها، لانها قائمة وتسود المانيا ، وتمثل القوة فلما هزمت المانيا النازية بعد انتصاراتها الساحقة من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ ، اصابته صدمة مدمرة ، واصبح يعتقد فى ان التاريخ يخضع لرحمة المصالح العمياء ــ (فمايتكه) المؤرخ العظيم ، رغم دراساته وابحاثه وتفحصه ، وشعوره بالاستقلال ، كان صوت المجتمع الذى يعيش فيه .

ولكن يقى فى البحث الذى خطه قلم المؤرخ العظيم « ادورد كار » امران جديران بالعرض : الاول ــ اذا كان المؤرخ هو ثمرة عصره ، وبيئته ولسان مجتمعه الشعورى ، فما هو الموضوع الذى يتناوله المؤرخ ، أيكون هو سلوك افراد ، او فعل قوى اجتماعية ؟

فهناك مؤرخون يعتقدون ان التاريخ من صنع رجال عظماء ، وقد سبقت الاشارة الى هذا المعنى .

ومؤرخون يعتقدون ان التاريخ هو دراسة تصرفات قوى اجتماعية وهناك من يعتقد باصرار ان فى التاريخ عنصرا يمكن تسميته (بالقوة اللاشخصية الهائلة) ويقصدون بهذه القوة ، عنصرا فى التاريخ عدا تصرفات الافراد العظماء الذين تسمع اسماءهم ،ونقرا اعمالهم ومواقفهم والفاظهم هذا العنصر يعلو على الاشخاص ، ويبدو تيارا مستقلا عنهم ، خارجا عن اراداتهم ، وبعيدا عن صفاتهم وخصائصهم ، يبقى حتى بعد زوال هؤلاء الاشخاص ، واختفائهم عن مسرح العمل العام ، او عن مسرح الحياة نفسها . هذا العنصر او التيار ، هو روح الجماعة ، وهو فى الواقع العامل المؤثر فى توجيه التاريخ ، ومسار الاحداث والجماعات البدائية هى التى تؤمن بان العنصر الرئيسى فى التاريخ هو الفرد ، وكلما تقدم الانسان ، ولكن تعقد المجتمع، وتعقدت بالتالى تصرفات الانسان الفرد ، كما ينفعل به ويخضع له من ضغوط فى المجتمع



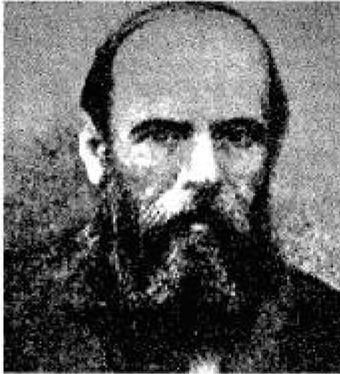
لا يمكن تبينها من دراسته ومراقبته وحده، لان هذه الضغوط ، لا تنصب على الانسان مباشرة بل انها تتكون بعيدا عنه ، وتكون حوله جوا هو الذى يصوغ شخصيته آخر الامر ، ويحدد قراراته ويلهمه بالدوافع والحوافز ، كما يزوده بالكوابح والقيود .

وقد دافع مؤرخ امريكى حديث عن النظرية التى تؤمن بالافراد واتهم أصحاب النظرية بقوله : انتم تقتلون الشخصيات التاريخية قتلا جماعيا عندما تنظرون الى هذه الشخصيات باعتبارها دمى للقوى الاجتماعية ، والاقتصادية .

ويقول مؤرخ ان علماء علم الحياة كانوا فى القديم يقنعون بتعذيب الحيوانات بوضعهم فى الاقفاص او احواض سمك او معارض زجاجية دون محاولة دراسة الكائن الحى فى بيئته ، ومن ثم فقد كانت هذه الدراسة ناقصة تماما ، لا تقع على كائن حى كامل ، بل تقتصر على كائن لا هو ميت ، ولا هو حى ، ولكن بقى مؤرخون ، تستويهم دراسة شخصيات التاريخ العظيمة ويرونها السبيل الجيد لوضع تاريخ جيد فى حين ان المؤرخ الانجليزى (اكتون) يقول : ليس هناك خطأ اكبر من نظرة الانسان الى التاريخ القائم على التسقف بالشخصيات الفردية العظيمة .

ولكن ثمة خطأ من نوع آخر ولكنه مع ذلك يلحق ضررا مساويا فان استبعاد سير العظماء اخلاقا واصدارها ، يؤذى التاريخ ، فان دراسة الشخصيات العظيمة، أفادت التاريخ كثيرا ،ولكنها وحدها لاتقيم تاريخا كاملا .

وثمة نقطة اخرى ذات اهمية وخطر ، وهى عدم جواز اصدار احكام منا فى

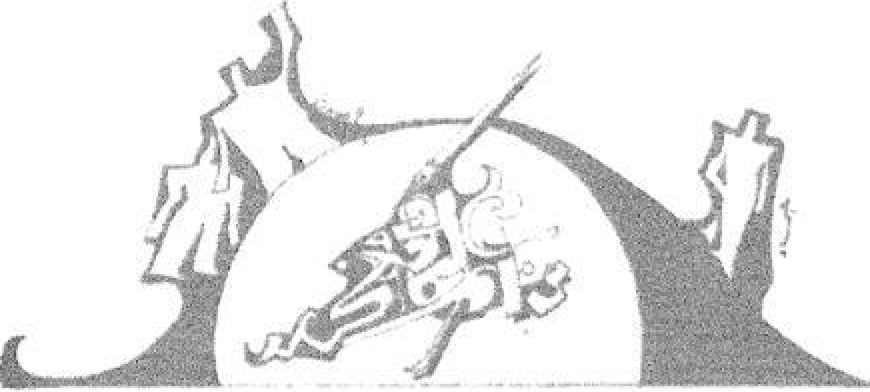


ديستوفسكى

ايامنا على اعمال وسلوك اقوام تصرفوا حسب ظروفهم وبواعث انفسهم فى بيئات تخالف بيئاتنا وفى عهود لا تشبه عهودنا ويجدر بنا ان نفهم الحقيقة التالية : ان ما يقع من الجماعات فى بعض الظروف ، لا يمثل تماما ، ما قصدوه وفكروا فيه ، فان الناس يقصدون شيئا لغرض محدد ، ولكن لا تزال الظروف تجرفهم الى اتجاه آخر، حتى ينتهوا الى قرارات لم تخطر لهم على بال ، كالسفينة التى تجرى فى بحر تسوده تيارات تحتية ، فما لم يكن قبطان السفينة منتبها جيدا وما لم تكن ادوات الضبط والتوجيه فى السفينة سليمة تماما ما استطاع القبطان ان يصل الى هدفه . ان الجماعات تحقق اهداف المجتمع التى تعيش فيه وتتأثر بالزمان الذى تحياه ، وان كانت شعاراتها تعلن شيئا آخر .

ويقرر كاو قول كارل ماركس : ان التاريخ لا يصنع شيئا ، فليس لديه ثروة طائلة ، وهو لا يحارب أى معارك ، فالواقع ان الذى يفعل كل شيء هو الانسان

الفرد والمجتمع



الذى يحيا حقا ، والذى يملك ، والذى يحارب .

وقد قال (كارلايل) ما يؤيد هذه النظرة :

« ان الدافع الاول للثورة الفردية ، هو الجوع والعرى ، والاضطهاد باسم العدل الجائر على الثلاثة خمسة وعشرين مليونا ، هذا وحده هو الدافع ، وليس النظاهات المجروحة او الفلسفات المتلاقية للمحامين الفلاسفة ، واصحاب الحوانيت الاغنياء هذا الذى يحدث فى كل الثورات المماثلة فى جميع البلدان .

ان المقصود هنا هو ان الشىء المؤثر فعلا فى توجيه التاريخ ليس فردا ولا افرادا بعينهم ، بل ليس الالوف ، بل الملايين المجهول الاسم ، منهم امراء يعملون بغير وعى الى حد كبير ويكونون قوة اجتماعية والمؤرخ ليس بحاجة فى الظروف العادية لان يحتفظ علما بملابسات مفكر او بقرية متمردة ولكن ملايين الفلاحين المتمردين .

والرجل العظيم ، تكون عظمته بقدر ما يمثل هذه الغايات الخفية لملايين الناس ، الذين قد يجهلونها بعقولهم ، وان كانوا يحسونها بلا وعى ، ويقول « كانر » ان الفرد فى عمله يعمل واعيا من اجل غاياته الذاتية ، ولكنه فعال غير واع لغايات الله . ومن الكلمات المبكرة المعبرة عن هذا المعنى قول آدم سميث : اليد الخفية ، وقول هيجل « مكر العقل » .

وفى القرآن يخاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ارادة الله هنا ، هى اراد الشعب .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشيطان مع الفذ (اى الفرد) والله مع الجماعة » .



ابتسامات

● المحبرة والضرة ؟

روى بعض العلماء لاحد تلامذته، انه بعد أن تزوج بأيام اعتكف في منزله ولبث ساعات يكتب فدخلت عليه حماته غاضبة وامسكت بالمحبرة التي امامه ، وقذفت بها الارض فكسرتها ، فلما سألها : لماذا فعلت ذلك ؟! قالت : هذه المحبرة شر على ابنتي من ثلاثمائة ضرة !

عصا موسى

● ادعى اعرابي النبوة ، وزعم أن معجزته أن يضع حصاة في الماء فتذوب ، فامر الوالي باحضاره ، وطلب منه ان يضع امامه تلك المعجزة، فاخرج الرجل حصاة كانت معه ، والقاها في اناء به ماء فذابت فيه، ولكن الوالي لم يقتنع بذلك ، وقال له: نعطيك حصاة من عندنا، فرفض الاعرابي ذلك قائلا : لستم اعظم من فرعون ولا انا اعظم من موسى . وقد علمتم ان فرعون لم يقل لموسى حين القى عصاه فاذا هي حية تسعى : لا نرضى بعصاك وانما نعطيك عصا من عندنا !



تعديل لابد منه !

● كان من عادة " تيودور روزفلت» ان يملى رسائله على سكرتيرته الخاصة ، فتكتبها بطريقة الاختزال ، ثم تنقلها على الالة الكاتبة وتقدمها له كي يوقعها. وبرغم انها كانت تتوخى الدقة فانه كان دائما يضيف عبارات جديدة بخط يده او يبدل كلمة باخرى . وحدث أن كتبت السكرتيرة احدى هذه الرسائل مرة اخرى بعد أن ادرجت فيها اضافات وتصحيحات، ثم قدمتها له مرة اخرى .. فقال لها : « لا تفعلى ذلك مرة اخرى .. انني اتعمد اجراء هذه التعديلات بخط يدى حتى تحمل الرسالة طابع الاهتمام ويعظم اثرها في نفس المرسلة اليه ! » .

موقع الحاكم والمحكوم

بقلم : د. السيد فهمى الشناوى

- أصبحت الديمقراطية شعاراً سهلاً فى الشرق والغرب!
- فى الإسلام. شريعة محددة بكتاب وسُنة


عبد الناصر


أنور السادات


هوارى بومدين

- كَرِه الإسلام الدكتاتورية إلى درجة الكفر



● في الدكتاتورية والاوتوقراطية يكون الحاكم فوق المحكوم • وقد يبرر الحاكم هذا التسلط الفوقي بما قد يزعمه من حق الهي او بوراثة عن ابيه او قبيلته العريقة • او بامتيازات ذهنية يتمتع بها قلة من الطبقة الحاكمة « اوليجاركية » بالنسبة للكثرة من الدهماء الشعبية •

● وفي الديموقراطية يكون المحكوم فوق الحـــاكم •• الامة فوق الحكومة • ولقد اصبح الكل يزعم انه ديموقراطي • وانه ممثل الامة وانه خادم الامة • واصبح ادعاء سهلا وشعارا ممتهنا في الشرق والغرب

● وفي الثيوقراطية • اي حكم الدين يدخل عامل ثالث الى جانب المحكوم والحاكم هو الجانب الالهي • هنا الله فوق الحاكم ثم انالحاكم فوق المحكوم • اي انه نوع من الدكتاتورية التي تستند الىالله واحكامه وقوانينه • والذي يمثل الله هنا هم رجال الدين • وهو تمثيل قد يكون مخلصا وقد لا يكون • ثم ان اي سياسي قد يلبس لبوس رجال الدين او قد يسوقهم هو بنفسه •

● في الاسلام يختلف الامر عن الثيوقراطية في أن هناك الله تمثله شريعة محددة بكتاب وسنة ويأتي تحت الله الامة ثم تحت الامة يكون الحاكم • فالاسلام نوع من الديمقراطية الخاضعة للشريعة والمطبقة لها• وهذا كله كلام يحتاج الى ايضاح :

١ ـ كره الاسلام الدكتاتورية الى مرتبة الكفر : فلقد وصف اسلوب الفرعونية الدكتاتوري « لا أريكم الا ما أرى » • ثم حدد حكمه على مثل هذه الديكتاتورية • « وفرعون ذي الاوتاد • الذين طغوا في البلاد • فاكثروا فيها الفساد • فصب عليهم ربك سوط عذاب » • واقسى من ذلك قوله « ان ربك لبالمرصاد » •



صلاح سالم



مكرم عبيد



ابراهيم عبد الهادي

● الفرعونية كانت الديكتاتورية الوحيدة الناجحة

موقع الحاكم والمحكوم

ويلاحظ ان تاريخ الفراعنة في آخر عصره ساقط تماما وممحو من كتاب التاريخ • ولا أحد يعرف عنهم شيئا الى الآن في كيفية انتهاء هذه الدولة • وان الله انجى بدن فرعون « مومياءه » لتكون عبرة للناس على مدى التاريخ وجعل بدنه يطوف العالم • ويلاحظ ايضا ان هذه الفرعونية كانت هي الدكتاتورية الوحيدة الناجحة من دون الدكتاتوريات جميعا • فقد انتصرت في كل حروبها • وبنت الاهرامات والوف المعابد الشاهقة المعجزة وحولت مجرى النيل « من ليبيا الى مصر » • وهي الدكتاتورية الوحيدة التي انشأت حضارة ••• ومع ذلك فسجبها الاسلام •

والدكتاتورية ليست فقط مناطحة مع الاله ولكنها فعلا مرض عقلي يصيب الدكتاتور • فهو بشر من البشر يأكل ويشرب ويتغوط ويتناسل ويخضع لكل شهوات الانسان العادي تماما ولكنه يصر على أن يظهر امام الرجل العادي في صورة الاله الذي لا يلد والذي لم يولد والذي لا يشتهي ولا يخطىء •

وعوامل الجنون كلها متوفرة للحاكم المطلق • فهو معزول عن الناس تماما • هذا في قصره وهذا في « السراية » الصفراء • وهو لا يناقش ولا يناقش في كلتا الحالتين • وكلاهما لا يصله من العالم الخارجي ولا عن العالم الخارجي الا ما يسمح به حراس القصر أو السراية الصفراء • وكما قد يكون المجنون حاذقا أو ذكيا أو جذابا أو نابغا في فرع معين كذلك قد يكون الدكتاتور نفسه رائدا في فرع معين من السياسة أو الحرب • وقد يكون معبود الجماهير وساحرها • فحدود العقل هو أن تعرف انك مثل المخلوق العادي وتمارس عمليا هذه المساواة •

٢ ـ فوقية المحكوم على الحاكم : يفرد الاسلام ـ دون أي نظام آخر ـ انه شعار سهل القول ولكنه في التنفيذ يتحول الى العكس •

كيف يكون المحكوم فوق الحاكم والحاكم يملك اجهزة الرقابة على المحكوم كلها : من مباحث بوليسية ومخابرات واجهزة رقابة وتجسس • وكيف يكون المحكوم فوق الحاكم والحاكم يملك اجهزة القمع والتلويث بل والتعذيب • وهي اجهزة تتضخم يوما بعد يوم وتزداد شراسة مع ازدياد التكنولوجيا وتسليح الجيوش • كيف يكون المحكوم فوق الحاكم والحاكم هو الذي يملك كل وسائل الاعلام التي تحتل وتسجن ذهن المحكوم • وكيف •• والحاكم هو الذي يكتب تاريخ المحكوم والحاكم معا • ويملك حجز الوثائق التاريخية او اخفاءها او تزويرها • وهو الذي يؤلف لجان كتابة التاريخ • وهو الذي يعين ويمول اساتذة التاريخ وهو الذي يمنع لجان التاريخ او يعقدها او يفضها او يشكلها كيف يشاء •

ومع ازدياد التكنولوجيا وتقدم المدنية الحديثة تزداد قدرة الحاكم في القمع والمنع وتنعدم قدرة المحكوم حتى عن الدفاع عن نفسه وحتى عن التظلم نفسه وحتى عن توثيق حقوقه او حتى عن المقاضاة العادلة •

لايستطيع القارىء ان يتصور مدى تسلط الحاكم على المحكوم حتى اعطيه امثلة عملية من ابسط صور التسلط التى تخفى عن كل عين تاركا الامثلة الصارخة ومتفاديا كل اثارة ٠

سآخذ ثلاثة امثلة ٠ مثالا من مصر ما قبل الثورة ٠ ومثالا من خارج مصر قبل الثورة ومثالا من مصر الثورة ٠

أ ـ مثال من مصر قبل الثورة : نشرت الهلال الغراء ـ وهى ارقى واعرق مجلة ثقافية ـ مقالا لمكرم عبيد عن ان مصر عربية ٠ وهذا المقال من تراث هـــذه المجلة الذى سبق لها نشره عام ٣٩ ٠ اذن فالمثقفون يدركون ان مكرم عبيد كان مؤمنا بالقومية العربية ٠ وقد اطلعت على رسالة دكتوراه فى اعرق جامعاتنا على نص يقول ان مكرم عبيـــد اول سياسى معاصر ينادى بالقومية العربية ٠ وقد اجازه ممتحنوه على ذلك بتقدير ممتاز ٠



رشيد الكيلانى

الآن ادعو القارىء ان يراجع كتاب احمد الشقيرى « محاورات مع الرؤساء العرب » صفحة ٣٦ : يقول انه لازم مكرم عبيـد فى جولته بالسيارة من عكا الى حيفا وظل طوال الطريق يجادله ٠ الشقيرى يطالب بالوحدة العربية او على الاقل وحدة فلسطين والاردن وسوريا ومكرم يقول له ان معنى ذلك أن تصبحوا مديرية فى دولة ويقنعه ان الاستقلال افضل من الوحدة ويطـالبه بحقوق الاقلية اليهودية « لان مكرم من الاقلية فى مصر » وادعو القارىء ان يراجع مذكرات اميل الغورى ٦٠ عاما فى خدمة القضية الفلسطينية حيث يقرر اميل الغورى ـ وهو على دين مكرم عبيد ـ ان مــكرم كان يــكره القــومية العــربية ويحذره منهــا ويقــرر ذلك فى تفصـــيل على مدى اكثــر من عشر صفحات متفرقة ٠ ويقول ان النحاس كان هو الذى يؤمن بالوحدة العربية دون ان يثرثر عنها وهو الذى ارسل توفيق دياب ومكرم الى الشام فى محاولات عربية ٠٠ وخذله هذان المبعوثان نفساهما !

وادعو القارىء ان يراجع كتاب محمد على طاهر « فلسطينى » المسمى ظلام السجن ٠ فيه يقول انه خلال الحرب كان محكوما عليه ومطاردا من الانجليز ومختفيا فى مصر ٠ وانه كان معجبا لما كتبه مكرم عن عروبة مصر ٠ فلما تشكلت حكومة النحاس خلال الحرب وكان مكرم وزير ماليتها ذهب اليه محمد على الطاهر من مخبئه ليطالبه بالافراج عنه ٠ فارتعب مكرم رعبا شديدا ٠ وانكر تواجده فى منزله وطلب منه ان يختفى ٠ وبرر ماقاله عن القومية العربية « كنا نقول هذا ونحن فى المعارضة ٠ اما الان فنحن مسئولون وعلينا تبعات جسيمة » ٠ وبعد برهة ذهب الطاهر الى بيت النحاس فجأة فاطلق سراحه فى الحال وجابه الانجليز بانه اطلق سراحه ٠

لقد اخترت هذا المثل عن « مكرم والعروبة » وهى دعوى وصلت الى اعلى عقول المثقفين ٠ ثم انها حدثت فى فترة كان فيها الحكم المصرى ليبراليا لاقصى درجة ٠ احزاب متعددة ٠ صحف يملكها افراد ٠ وزعماء

موقع الحاكم والمحكوم

فى المعارضة ويبعدون عن سلطات الحاكم . فما بالك بالحاكم نفسه . وما بالك بالحاكم الدكتاتور .

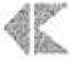
ب - مثال من خارج مصر قبل الثورة : يقول محمود الدرة - وهو رئيس اركان حرب ثورة رشيد عالي الكيلانى في مذكراته « من خلف البوابة السوداء » انه لما قامت انتفاضة رشيد عالي الكيلاني كان حماس الوطنية والفداء قد بلغ بالناس مبلغا شديدا لا يتكرر أبدا . كانت شوارع بغداد تموج بالأهالي وقد لبسوا اكفانا بيضاء فوق أجساد عارية ينتخعون في سيل عارم من دموع جارية في صمت حبا في الاستشهاد ضد الانجليز . ويقول محمود الدرة انه سمع باذنه احد الوزراء يخطب في الشباب مطالبا اياهم بان يؤلفوا فرقة انتحارية يقودها بنفسه . ثم يذكر الدرة انه خلف هذه الصورة ذهب ليقابل رشيد عالي وكبار اعوانه فوجدهم يستعدون للفرار خارج العراق ... والى ألمانيا .

وقد اخترت هذا المثال فى اشد المواقف وطنية . ومع حاكم وطنى . ولكنه حاكم . وفى موقف فداء . فما بالك بحاكم لايكون وطنيا وفى موقف لا فدائى .

ج - المثال الثالث : من مصر الثورة : فيما عدا محاكمات الشعب والثورة التى قامت فى ايام الثورة الاولى ظلت كل القضايا السياسية سرية . وظل التاريخ كله سريا لا يعرف احد حتى كبار الكبار حقيقته . هذا سجن وهذا انتحر وهذا مات وهذا اختفى . وتؤلف لجنة لكتابة التاريخ فتعجز عن كتابته . ويفاجأ الانسان باخبار مصر تنشر فى الخارج وكتب من الخارج هى التى تؤرخ لناصر والسادات بالعشرات دون أن يكون هناك مؤرخ واحد مصرى أرخ لاحدهما . حتى أن محمد حسنين هيكل الذى كان لديه كل وثائق ناصر والذى تهد فى حياة ناصر بتاريخه يكتب عشرات الكتب وعن كل الاحداث فى مصر والشرق وإيران ويعجز عن التاريخ لناصر .

وإزاء هذا الاظلام والظلم للتاريخ اريد أن اختار مثالا بعيدا جدا عن الاثارة . وهو من رواية الصحفى « اوبالانتين » المتعاطف جدا مع مصر والذى كتب كتابا رائعا عن الاعداد لحرب ٧٣ . فيقول الاخبار الآتية التى لايعلمها أحد .. هذا ان صدق !

يقول : أن يوم ٥ ، ٦ يونيو بعد تحطيم الطيران المصرى شن الطيران المصرى فى اليمن غارات انتقامية رهيبة على الملكيين فى اليمن . وانه بعد استعواض السلاح من روسيا زاد جنوده فى اليمن من ١٥ الفا الى ٢٥ الفا . وانه يوم ١٠ يوليو ٦٧ كان فى القاهرة بومدين وحسين وعارف ورئيس وزراء سوريا واسماعيل الازهرى واستمر اجتماعهم الى ٧/١٧ .. دون ان يعلم احد . وعرضت الجزائر وسوريا على مصر مواصلة الكفاح فى حرب عصابات كفيتنام . ورفض ناصر هذه الفكرة صراحة . وفى ٨/٣٠ عقد مؤتمر الخرطوم ورفض بومدين حضوره



احتجاجا على رفض فكرة المقاومة الشعبية . واما رئيس وزراء سوريا فقد حضر الى الخرطوم بالطائرة وعاد بالطائرة فى نفس اليوم دون ان يحضر حفل الافتتاح احتجاجا على رفض الحرب الشعبية . ويقول المؤلف ان وقف اطلاق النار فى حرب ٦٧ أذيع من المحطات الاجنبية بينما محطات مصر تذيع اخبار المعارك والحرب والضرب !!

ويذكر هيكل فى كتاب قصة السويس ، ان السياسى الذى اقترح على عبد الناصر تسليم نفسه للسفير الانجليزى هو صلاح سالم . مع انه طوال عهد عبد الناصر كان الناس يعتقدون استنادا الى خطب ناصر انهم سياسيون قدامى وبالذات زكى العرابى وابراهيم عبد الهادى ومحمد صلاح الدين . وكان ناصر يقول انه أقسم ان يضربهم بالرصاص فى حوش مجلس الوزراء لو حضروا . فخافوا وطبعا لم يحضروا اليه .. ظل الناس ٢٠ سنة يعتقدون ان العرابى وعبد الهادى هددوا ناصر بينما الواقع انه صلاح سالم !

هذه امثلة بسيطة تفاديت فيها ان استشهد بما تطفح به الكتب الاجنبية عن اساليب القهر او المصادرة أو التعذيب او التجسس أو التسلط على الاعلام . ولا أحد يدرى مدى صحة وبهتان كل هذه الروايات

وهذه الامثلة الثلاثة عن مصر قبل الثورة والعراق فى ثورة الكيلانى وناصر فى اعقاب هزيمة يونيو انما اوردتها كمثال عن استحالة ان يكون « المحكوم فوق الحاكم » كما تنادى الديموقراطية . ولكن مع ذلك ورغم هذه الاستحالة فقد حققت الديمقراطية فى البلاد العريقة بالديمقراطية مواقف يجب ان تذكر لها :

● نيكسون حقق انزال اول بشر على سطح القمر . وكان امريكيا هذا البشر . وحقق تغلغلا وسيطرة للرأسمال الامريكى داخل الستار الحديدى السوفييتى وحقق فتح أبواب الصين لامريكا . ومع ذلك كله طرد يوم ١٨ اكتوبر . ولم تقم مظاهرات فى ٩ او ١٠ اكتوبر من أنصاره . واهم من ذلك كله ان نشرت تفاصيل كل حرف من ووترجيت فى وقته على الجماهير ولاتزال تنشر فى كتب كثيرة .

● فى بريطانيا كان وزير الحربية بروفيميو على علاقة بغانية . وهذه الغانية كانت على علاقة بالملحق السوفييتى الحربى . ومع ذلك حوكم ونشر كل شىء عن الموضوع ولم يحتج احد باسرار بريطانيا الحربية لجعل الموضوع سريا ولا احتج احد بالموقف الاخلاقى العارى لستر الموضوع . وقريب من هذا ايضا ما احدثه المجتمع البريطانى مع ثورب رئيس حزب الاحرار .

هذه الفوقية « للمحكوم على الحاكم » فى هذه المجتمعات تعود اساسا الى انتشار التعليم وحريات الاحزاب والصحافة وحياد اجهزة الاعلام وتربية الحاكم على احترام سيادة المحكوم عليه هى لب الديموقراطية . لانها هى التى تحقق هذه الفوقية للمحكوم اذ ليس للمحكوم اجهزة رقابة وسيادة وزجر يقوى بها على الحاكم . وكم حاكم يكون فى الحكم ثم ينحى نفسه بنفسه تثبيتا لهذه الفوقية .

● فى المدنية الحديثة تنعدم قدرة المحكوم فى الدفاع عن نفسه

موقع الحاكم والمحكوم

كان ديجول منقذ فرنسا وعملاقها فى الحكم واحس من انتخابات اجراها انه لم يحصل على التاييد الشامل الذى كان يتوقعه فاستقال واعتكف فى قريته ومات فى قريته ودفن نفسه فى قبر غير رسمى وكل مشيعيه خمسة ، وها هو كارتر وقبله فورد وقبله نيكسون وعشرات من رؤساء امريكا لم يتشبث احدهم بالحكم ولم يفكر فى التشبث فضلا عن ان يوصى بالشعب بعد وفاته .

بل فى اسرائيل نفسها : كانت جولدا مائير رئيسة الوزراء الباغتة فى حرب اكتوبر فحققت مع نفسها ونسبت لنفسها التقصير » رغم احداث الثغرة ومحاصرة السويس والجيش الثالث ، وحدث تغيير فى كل القيادات السياسية والعسكرية وسقط الحزب الحاكم . بهذا كله ـ وعلى حساب الحاكم نفسه وسمعته ومجرى حياته السياسية يحقق مثل هذا الحاكم فوقية المحكوم عليه على حساب مستقبله السياسى .

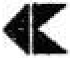
هل استطيع ان اذكر ـ بعد هذا كله ـ بكلمة رسمية فى وثيقة مصرية تقول « لقد قامت دولة كبرى فى هذا الشرق ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ـ دولة تحمى ولا تهدد . تصون ولا تبدد . تقوى ولا تضعف . لا تتحزب ولا تتعصب . تؤكد العدل وتدعم السلام . توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا » . للبشر جميعا ! للبشر جميعا !

اذا كانت فوقية المحكوم على الحاكم فى الدول الديموقراطية تتحقق طواعية من الحاكم نفسه وجيلا وراء جيل يصبح افساح الحاكم للمحكوم مكانا فوقيا يصبح هذا تقليدا . ولعل حديقة هايدبارك رمز لافساح الحاكم فرصة لمحكومه ان يشاركه بل ينتقده باستمرار يومى وفى حرية مقدسة .
اذا كان هذا هو الوضع فى الغرب : فان فوقية المحكوم على الحاكم فى الاسلام تقررها الشريعة

أ ـ « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم » حديث شريف ومبدأ اسلامى مقرر . يحتم ـ لا مجرد السماح ـ على الفرد المسلم ان يشتغل بالسياسة الهادفة الى الاهتمام « لا النقد ولا التأييد ولا التحزب » . واعتقد انه لو فكر قوم فى وضع ميثاق او دستور اسلامى يوما ما فان هذا المبدا قد يتوج هذا الميثاق . وسوف يترتب على هذا المبدا حقوق وواجبات فى باب حرية الراى وحق المواطن فى الاتصال المباشر برئيس الدولة وحقه فى ابداء رايه وبالتالى حقه فى الاجتماعات وحقه فى الصحافة وفى اجهزة الاعلام الخ .

ب ـ « لا تضربوا ابشار » اى جلود « المسلمين فتذلوهم ! ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم » .

حديث شريف ومبدا اسلامى مقرر . وكان النبى « ص » يطلب ان يقتص منه اى شخص يكون قد ضربه ولو عفوا . ويكشف عن بطنه الشريف لتلقى الضرب والبطن هى اشد مواقع الجسم ايلاما . وكان عمر يضرب الولاة والملوك اذا ضرب احدهم الرعية . وما ضربه لعمرو



« وهو في مقام مونتجمري بالنسبة لبريطانية تشرشل مثلا » عندما ضرب ابن عمرو ابن القبطي الا تطبيقا لما كان يفعله عمر في نفس الحالات التي يضرب فيها عمرو مسلما من المسلمين . واما حادثة القبطي فقد اشتهرت فقط لتقريرها سريان المبدأ ايضا على الرعايا الأقباط .

وطبيعي انه اذا كان الاسلام يحرم ضرب « جلود المسلمين » وفي اى مكان في الجسم فانه يحرم التعذيب السياسي والجنائي وما يجرى وجرى في محاكم التفتيش والمعتقلات والسجون ويلغي تماما كل ادوات البطش والقمع والاهانة من اول قسم البوليس الى معتقلات الواحات .

ج ـ بل انه اكثر من هذا كله يقرر الشرع عقوبة ٨٠ جلدة على من يقذف مسلما ولو قال له « يامخنث » فضلا عن السب الشائع الذى نسمعه والذى لايسلم منه احد . ولا يشفع في هذه العقوبة صدورها من ضابط أو حاكم او غيره ولا تسقط بالتقادم . ولا تسقط بعفو المقذوف في حقه اذا كانت قد بلغت للقاضي .

د ـ ومقاضاة الفرد العادي للحاكم مقررة ووقوف كليهما في مساواة تامة امام القاضي لا جدال فيها ولا يسمح للحاكم بالجلوس امام القاضي !! الا اذا سمح ايضا للطرف الاخر بالشيء نفسه .

ومجمل القول ان هناك قاعدة يمكنك استقراؤها من مقارنة اجناس الارض المعاصرة ومن مقارنة تاريخ الدول الغابرة جميعا : هي انه كلما كان الفارق بين المحكوم والحاكم قليــــلا في الشارع العام ، انتصرت هذه الامة على خصمها في حرب او سياسة او تقدم عمراني . بصرف النظر عن توفر السلاح او المال او الجند ، وكان التاريخ لايحكم بالنظر في الميزانيات . ولا باحصاء الاسلحة والحصون والجيوش والقاذفات ولا ينظر الى المتاحف والمكتبات والقصور ومجامع العلماء بل ولا ينظر الى دور العبادة ودور اللهو ، ولكن ينظر الى الفارق بين الحاكم والمحكوم في مجمله .

انظر في نفسك . ثم انظر في البلاد حولك . ثم انظر في التاريخ السابق كله تجد ان هذه القاعدة لا تخيب ولك ان تسميها « وحدة المقاييس » بالنسبة للتاريخ . كما انك تستعمل لنفسك الكيلو كوحدة مقاييس الوزن والمتر كوحدة مقاييس الطول ايضا .

امر آخر يقرر فوقية المحكوم على الحاكم : هو موضوع الانتخاب . وكما تعني الكلمة لغويا فالانتخاب هو اختيار الاصلح . وللاســلام اسلوبه في ذلك . فاختيار الاصلح مهمة صعبة لا يقدر عليها الا ذوو العزم والعقل والبصيرة المكشوف عنها الحجاب . لان القدرة على التمييز في حد ذاتها قدرة لا تتاتى للطفل ولا للغبي ولا للضــعيف والمريض والمحتاج . والتمييز يختلف حسب القدرة والذكاء والالهام .

فهذا ابوبكر هو الذى يزكي عمر . ثم هؤلاء ستة ـ كلهم من المبشرين بالجنة ـ يكلفهم عمر باختيار من يخلفه وهكذا . على انه بعد تمييز الشخص الصالح لابد ان يوافق عليه كل مسلم فيما يسمى البيعة

● الوحدة العربية وصلت إلى أعلى مستوى المثقفين

موقع الحاكم والمحكوم

● حرية الأحزاب والصحافة في الغرب وأسوارها

وهي الاستفتاء الحر » . ثم بعد ذلك يكون هذا الحاكم في الحدود التي رسمناها : لا فارق بينه وبين المحكوم ومساواة في التقاضي بينهما وحق للمحكوم في مقابلة الحاكم ومناقشته واتهامه .. وهو آمن رغم ذلك .

وحق الاختيار بهذه الصورة يحقق واجب الصفوة في اكتشاف الاصلح ثم يحقق حرية الانتخاب دون قيد على أحزاب او رقابة على صحافة او عبث بالانتخابات او اهانة لأي فرد او قذف في حقه . ثم انه حق مطلق .

ويتضح ان الخطوة الاساسية في انتخابات الرياسة هي خطوة الصفوة وأهل الرأي . واصدق تمثيل للصفوة في عصرنا هم قادة الاحزاب بشرط حرية الاحزاب طبعا . لانها هي الاسلوب الوحيد لتربية الصفوة او الارستقراطية السياسية التي تهتم بالشئون العامة . ولا يمكن اعتبار شهادة معينة ولا وظيفة معينة مؤهلا لاعتبار صاحبها من الصفوة اصحاب الحل والعقد . لان الشهادة والوظيفة والمال لاتؤهل صاحبها لان يكون ذا راي ولا قيادة للجماهير ولا تخلق ضميرا سياسيا واجتماعيا يحاسبه . بينما تؤهل القيادة الحزبية الحرة الرأي الناضج والضمير السياسي والاجتماعي .

ميثاق الاسلام السياسي : يجب اذن أن يحتوي على نص واضح يؤكد « فوقيه المحكوم على الحاكم » لان « سيد القوم خادمهم » . وأن هذه الفوقية حق يعترف به الحاكم ويسعى اليه ويؤكده فعلا وقولا وانها فريضة على المحكوم يمارسها « اهتماما بأمر المسلمين » .

وان هذه الفوقية تستلزم حصانة المحكوم السياسية التي تعني عدم تعذيبه ولا تأنيبه ولا القذف فيه ولا اهانته ولا تقييد حريته في القول والتفكير والخطابة والاجتماع ومقابلة الحكام وتوصيل رايه للحكام وللمحكومين على السواء . وانعدام الفوارق بين الحاكم والمحكوم ... في الشارع .

وان من حق المحكوم حرية الاحزاب وحرية الصحافة وحرمة جسده وعرضه وماله على الحكومة . وان من واجب المحكوم الاهتمام العمل بشأن باقي المحكومين .

ونعود الى ترتيب عناصر الحكم في الاسلام فنقول أن الحاكم تحت المحكوم وفي خدمته وتحت رقابته . وذلك بما قدمنا القول به . وان هذه الفوقية قريبة الشبه بالديموقراطية وان كانت تفوقها في انها ليست مبنية على تقاليد توارثها الحكام ولكن على نصوص تفرض فوقية المحكوم علاوة على التقاليد هذه . ثم انه فوق هذا المركب القائم من الحاكم والمحكوم توجد فوقية وهي الشريعة وهي نصوص الهية ومحددة وواضحة وتصلح لكل الاجناس أبيضها واسودها وكل الطبقات فقيرها وغنيها وخالية من عيوب القوانين البشرية من غرض ومن تعديلات ومن اجتهادات ●

وزارة الثقافة - قطاع المسرح يقدم

برنامجا ضخما من العروض المسرحية المزدهرة صيف ٨٢
لإعادة التوازن للحركة المسرحية المصرية
القاهرة - الإسكندرية - بورسعيد - أمن البرق المحافظات

المسرح القومي على مسرح بيرم التونسي

الأيام الصعبة

تأليف: سعد مكاوي
إخراج: فتحي الحكيم

المسرح الكوميدي على مسرح بيرم التونسي

نجوم الظهر

تأليف: سيد [illegible]
إخراج: جلال عبد القادر

انتاج مشترك على المسرح العائم

قسمتي

تأليف: نجيب الريحاني وبديع خيري
إخراج: السيد راضي

مسرح الطليعة قاعة ٧٩ يقدم

الحصان

تأليف: كرم النجار
إخراج: أحمد زكي

المسرح العائم الصغير يقدم

حدث في عصر الرشيد

تأليف: الشاعر [illegible]
إخراج: علي نصر

مسرح الأنفوشي بالإسكندرية يقدم

سقوط في أعماق البحار

تأليف: سلطان [illegible]
إخراج: فكري أمين

فرقة المسرح المتجول بأحياء القاهرة والمحافظات ومصايف الجمهورية

أزمة شرف

تأليف: لبان عبد الباسط - د. [illegible]
إخراج: عبد الغفار عودة

قريبًا المسرح الحديث يقدم

الرهائن

تأليف: د. عبد العزيز حمودة
إخراج: فهمي الخولي

ابن خلدون

مازال رائدًا للحضارة الإسلامية

بقلم: أنور الجندى



ان الحديث عن ابن خلدون وسبقه للمفكرين الغربيين فى مجال الاجتماع والاقتصاد اصبح من نافلة القول بعد ان ردده الكثيرون واشار اليه الباحثون الغربيون انفسهم اعترافا بسبق ابن خلدون الى انشاء علمى الاجتماع والاقتصاد او وضع احجار الاساس لهما بعد أن سبق ادم سميث واوجست كونت باربعة قرون كاملة . ولكن ابن خلدون منذ اكتشفه الغرب واتخذه منطلقا الى البحث العلمى – لا يزال يلقى مزيدا من القاء الاضواء على آثاره وخاصة « نظـــريته » التى قدمها فى مقدمته وفى كل يوم يجد المثقفون فكرة جديدة ورؤية متالقة ويجدون فى نفس الوقت اتهاما جديدا ، فقد توالت الاتهامات بانه احد من فلاسفة الاغريق وانه رائد المادية التاريخية وان آراءه منقولة عن باحثين مسلمين سبقوه كما اشار الى ذلك « ابن الازرق » فى مخطوطته التى كشف عنها الدكتور على سامى النشار فى اخر انتاجه الذى قدمه قبل وفاته بل ان ابن خلدون لم يسلم من اقلام كتاب عرب معاصرين حاولوا النيل منه من امثال سامى شوكة الذى اعلن فى احدى خطبه انه يجب ان ينبش قبر ابن خلدون وان تحرق مؤلفاته او طه حسين الذى اتهم ابن خلدون بالشعوبية فى اطروحته التى اشرف عليها دوركايم او احمد امين فى كتابيه فجر الاسلام وضحى الاسلام او سامى الكيالى وسلامه موسى . اما لويس عوض فقد كان حريصا على ان يظهر ابن خلدون ناقلا من آراء مؤرخى اليونان والرومان وكلاهم وربما ظن البعض ان هذه النظرات البارعة ما كان لابن خلدون ان يصل اليها لولا اتصاله بفكر اجنبى ، انما جاء بنظراته كلها عن طريق تعمق التامل فى « القرآن الكريم » الذى قدم للبشرية لاول مرة منظورا كاملا لـــنواميس الكـــون ونواميس المجتمعات والحضارات .

وانه جاء كنتيجة للخطوات الواسعة التى قطعها علماء الاســـلام منذ برز المنهج الاسلامى فى المعرفة ذى الجناحين فى مواجهة النهج اليونانى المادى ، وليس من غير على ابن خلدون ان يأتى بعد ان قطع هذا النهج مراحل متعددة ثم جاء هو بعد ذلك فصاغ كل ما سبقه فى منهج متكامل ، وهو فى هذا اشبه بالامام الشـــافعى فى اقامه منهج « علم اصول الفقه » كذلك فقد مضى علماء المسلمين بمنهج ابن خلدون ونموه ويرى الدكتور على سامى النشار ان ابن خلدون مسبوق وملحوق ، فالدولة والعصبية والعوارض اللاتية نجدها من قبل فى كتابات المسعودى والغزالى والآمدى وابن حزم وسراج الملوك للطرطوشى والاحكام السلطانية للماوردى ، ويقول : « لقد طبق ابن خلدون النهج الاستقرائى الذى نسخ من قبل لدى الاصوليين والمتكلمين والفقهاء وكان له اصالته الخاصة وبراعته المنهجية ولكن كواحد من المفكرين وكعضو فى اسرة كبيرة » .

ويرى ان مسبوقية ابن خلدون لا تقلل من بروزه كعلم بارز استطاع فى هذه المرحلة ان يقدم عملا لا يمكن ان يتخطاه احد ويتميز على المراحل المتصلة بانه بلغ القمة فاعطى طابع « النظرية الكاملة » وقد كان شان ذلك أن ظل ابن خلدون الى اليوم وفى نظر علماء الغرب انفسهم علما ومعلما كما امتاز ابن خلدون بانه درس الموضوع بطريقة الاسلام المتكاملة الجامعة بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والتى لا تتوقف عند الناحية الشرعية وحدها كمن سبقوه .

ولعل اهله المسلمين أحوج الناس اليوم الى النظر فيه والانتفاع به فى بناء المنهج الاسلامى الجديد فى المعرفة الذى لا يمكن ان تستانف الحضارة الاسلامية عطاءها بعد توقفها الا باعتماده ركيزة للعمل ومتابعة للاعلام الذين تاثروا به وجاءوا بعده من علماء المسلمين وخاصة المقريزى والسخاوى وابن الازرق الاصبحى .

اما المقريزي في « اغاثة الامة بكشف الغمة » فقد تأثر تأثرا شديدا كما يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان فهو يستعمل الفاظ الشيخ وعباراته مثل احوال الوجود وطبيعة العمران وفي راي المقريزي ان اسباب الخراب والمحن ترجع اولا الى تولية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة واستيلاء الظلمة والجهال عليها .

اما السخاوي في كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) فقد تأثر بفكرة ابن خلدون الفلسفية في شرح التاريخ وفهمه ـ هذا بالرغم من خصـومته معه .

اما ابن الازرق في كتابه (الابريز المسبوك وبدائع السلك في طبائع الملك) فقد تأثر بابن خلدون تأثرا واضحا فقد لخص نظريات المقدمة وعلق عليها واضاف اليها زيادات كثيرة وجملة القول في مقولة ابن الازرق انه « استند على مقدمة ابن خلدون وخطا بنظرياتها الاجتماعية والسياسية خطوات أوسع ووصل بها الى مرحلة انضج ومزج بين نظريات سياسية اسلامية تستند على اتجاه آخر يخالف اتجاه ابن خلدون السياسي البحت وهو « علم الاخلاق السياسي » وهو علم يحظى عند ابن خلدون بحظ وافر ، فحاول ان يوفق بين نظريات ابن خلدون ونظريات ابن رضوان والطرطوشي . وقد اشار الباحثون ان علم الاجتماع السياسي او الاقتصاد السياسي العربي ازداد غنى عند ابن الازرق الذي تجاوز نظريات ابن خلدون وتخطاها ، كذلك فقد كشف عن مصادر ابن خلدون التي استقى منها نظرياته وآراءه واكد ابن الازرق انه كان لابن خلدون عقلية تحليلية وتركيبية بارعة استطاعت ان تربط النصـوص المتشابهة والمختلفة التي استظهرها من السابقين وان تضعها في نظام علمي متناسق . ومن ابرز ما اشار اليه ابن الازرق كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة للوزير ابي القاسم بن رضوان الذي كان معاصرا لابن خلدون بل صديقا وزميلا » .

فاذا ذهبنا نتقصى ما قدم ابن خلدون قلنا انه مضى على الطريق الذي سلكه علماء المسلمين فيما سموه « علم الكشف عن سنن الله الكونية » الى قوانين الطبيعة ويرى ابن خلدون : ان علم الاجتماع والعمران البشري هو علم الكشف عن سنن الله الاجتماعية (اي قوانين الله تبارك وتعالى في تعامل الناس بعضهم مع بعض في كل صورة من صور التجمع البشري . وقد تناول ابن خلدون في مقدمته ثمانية علوم اجتماعية هامة لا تزال حتى يومنا هذا تكون مجموعة العلوم التي يشتمل عليها (علم الاجتماع) بوصفه من وجهة نظر العلماء : علم العلوم ، هذه العلوم الاجتماعية الرئيسية هي :

١ ـ علم البحث في التاريخ او قواعد المنهج في علم الاجتماع .
٢ ـ علم التنبؤ البشري (ايكولوجيا) .
٣ ـ علم الاجتماع البدوي الريفي .
٤ ـ علم الاجتماع السياسي .
٥ ـ علم الاجتماع الحضري .
٦ ـ علم الاجتماع الصناعي .
٧ ـ علم الاجتماع الاقتصادي
٨ ـ علم الاجتماع المعرفي .

ويستطيع الباحث ان يجد (٩) علم النفس الاجتماعي (على حد قول الباحث الذي نقلنا عنه هذه النقطة) والملاحظة الهامة ان ابن خلدون لم يقرر ـ بالرغم من اعلانه سبقه في ابتكار علم الاجتماع الانساني والعمراني البشري ـ انه اعتمد على القرآن الكريم في كثير من نظرياته الاجتماعية وان درج على ذكر آيات قرآنية لدعم النظرية او توضيح الفكرة ، غير ان الباحث يستطيع ان يحكم بان ابن خلدون انما اهتدى



د. طه حسين



احمد امين



سلامة موسى

الى وضع علم الاجتماع نتيجة تدبره العميق للقرآن من جهة واعتـداله بمنهج علم الحديث واصول الفقه وقد اثبت كثيرون ان الروح المسيطرة على عقل ابن خلدون هي روح فلسفة التوحيد الاسلامية وقد هاجم ابن خلدون آراء فلاسفة الاغريق ومن تبعهم ومن ذلك نقده الشديد لابن رشد •

منهج ابن خلدون

ويورد بن خلدون الاسباب البارزة لسقوط الدول على النحو الآتي :

● الترف ثم التحلل من الاخلاق الكريمة • (فالترف يؤدي الى الفساد وانحلال الاخلاق وقد يودي بالدول) •

● العصبية : أي تنازع الجماعات في الدولة الواحدة •

● الظلم عاما وخاصا (أي ظلم الحاكم للمحكومين وظلم بعض اهل الدولة بعضهم بعضا) •

● اذا كان هناك عدو خارجي يغتنم الفرصة فان سقوط الدولة يسرع ولكن لا يكون مفاجئا •

ويقول ان الامم لا تموت فجاة ولكن علامات الموت قد تظهر عليها في عنفـوان شبابها ومن ذلك قوله : « ان جميع الامم القديمة كانت تكتم علومها وتعد العلم من اعمال الكهنة في الهياكل ولكن المسلمين قدموها الى من جاء بعدهم هديه منهم الى الحضارة الانسانية مؤمنين بان العلم ليس تجارة لكسب المال ولكنه رسالة لاغناء الثقافة وخدمة الحضارة » •

وتبدو مساهمات ابن خلدون في العلوم الاجتماعية واضـحة وخاصة قدرته على استخلاص قواعد عامة من دراسة الظواهر السياسية والقوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شكلت هذه الظواهر في الماضي فقد عمد ـ كما يقول (الدكتـور حسن سيد سليمان) الى تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد في مختلف الفترات التاريخية للتوصل الى قواعد عامة وقوانين علمية تحكم وتفسر الظـواهر السياسية متخطية عنصري الزمان والمكان ، كذلك فقـد اسـتوفى ابن خلـدون الاسس والمبادىء الاساسية والمبادىء الضرورية لنزاهة العلم وتجرده ، فقـد التزم المنهج العلمي الذي لا يزال في الوقت الحاضر اساس البحث في علم الاجتماع ، ويرى بعض الباحثين ان علم الاجتماع اليوم لم يزد شيئا على ما قرره ابن خلدون ويرى دكتور علي عبد الواحد وافي ان ابن خلدون يفوق اوجست كونت حتى من ناحية

المنهج العلمى ، ويرى كثيرون انه مهد لانشاء علم الايدلوجيات او المذهبيات السياسية (البوليتولوجيا) وعلم الاجناس (الانتولوجيا) وعلم الانسان (الانثربولوجيا) واذ انشأ علم الحضارات واعمار الدول ، وسبق بذلك (ارنولد توينبى) وآخرون بقرون ، ويتميز ابن خلدون (على من جاءوا بعده باربعة قرون وانطلقوا من آخر نقطة له) بانه درس هيكل المجتمعات وتطورها وتوصل الى تاريخ يكشف عن اسباب الحوادث وبالمقارنة مع معاصرى ابن خلدون فى الغرب ومنهج (الراوساد) يتضح لنا ان ابن خلدون يسبق مؤرخى الحوليات باربعة قرون فالتاريخ عنده ليس سردا للوقائع والتصرفات الامراء (كما يقول كاردفوا وغيره) بل تحليل للحضارات . ان الموضوع الحقيقى للتاريخ هو فهم الحالة الاجتماعية للانسان : اى الحضارة . ويقول جورج سارطون :«اسمى العصر الذى سبق العصور الحديثة فى العالم كله « عصر ابن خلدون » ويصور هذا المعنى الدكتور عمر فروخ حين يقول : كانت الكثرة من المؤرخين تهتم باخبار الملوك وتفاصيل المعارك لم تفسح فى مفردات من الاحداث تتكرر كل يوم وفى كل زمن ولكن لا توجب حكما ولا تسوغ قاعدة فجاء ابن خلدون ليقول ان التاريخ هو وصف لتطور الحضارة الانسانية فالتاريخ عنده مجرى واسع كبير تخوضه الامم على مراتبها فى الرقى الحضارى وليس ثورات متقطعة هنا وهناك » .

وقد عنى ابن خلدون بامور هامة ثلاثة : (كما اورده دكتور حسن سيد سليمان)

أولا : بنى نظريته فى التاريخ على اساس الانتقال من حياة البادية الى حياة المدينة حيث يتم العمران الحضرى .

ثانيا : الحياة الاجتماعية يترتب عليها وجود وازع ولابد ان يكون الحكم الوازع سلطة كافية لمنع الافراد من التنازع وحمايتهم من شراسة انفسهم .

ثالثا : ركز على دور القائد الذى يقوم بمهمة توحيد الجماعة وبمهمة التحكيم لمنع الصراعات .

صيحة ابن خلدون

توفى ابن خلدون ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) وظل مجهولا قرونا ثلاثة حتى اكتشفه الغربيون .. يقول المستشرق كاردفوا فى كتابه (مفكرو الاسلام) ان المباحث التى خاض فيها ابن خلدون (حول تاسيس الدول وما تدخل فيه من الاطوار وتنوع الدنيات وعوامل نموها او تقليصها) وذلك فى مقدمته المشهورة ولم تجد فى اوروبا


محمد عبد الله عنان


آرنولد توينبى


د. لويس عوض

الا في القرن الثامن عشر للمسيح اناسا حاولوا ان يستخرجوا اسرار التاريخ استخراجه بعد ان كانت اغفالا يملس فهمها ، فكان ابن خلدون في العقل والادراك من حصيلة موتسيكو ، الاب ما يلي وهو من دون شك الجد الاعلى لعلمائنا الاجتماعيين المحدثين امثال تارد وجوبنيو » .

وفي هذا المجال يقول دكتور شحاتة صيام أن صيحة ابن خلدون رغم شدتها وقسوتها لم تجد أي صدى ولو قدر لصيحة ابن خلدون بانشاء العمران الظهور في العالم العربي قبل تلك الفترة بقرنين او ثلاثة اذن لوجدنا علما عربيا خالصا ينشأ شامخا قويا بجانب اشقائه من العلوم الاخرى التي نشأت ابان العصور الذهبية للحضارة العربية كعلم الكلام وعلم الحديث وعلم التفسير والعلوم اللسانية وغيرها ، وقد استمرت عزلة هذا الكتاب (المقدمة) حتى جذب انتباه المستشرقين وعلماء الغرب في العصور الحديثة اذ وجدوا ان ما يحتوي عليه من آراء ونظريات يشبه في جوهره على الاقل ما ردده بعض العلماء من الاوروبيين المحدثين امثال موتسيكو وفنتل ان لم يشبهه في معناه ومبناه ، فبعث مقدمة ابن خلدون من مرقدها في عصر النهضة وبدء العصور الحديثة ، عن طريق الاندلس واطلع عليها بعض الاوروبيين وتأثروا بها واصبحت تشغل حيزا من تفكير المفكرين والمستشرقين منذ القرن الثامن فاخذوا في ترجمة بعض فصول منها والتعليق عليها وزاد اهتمام العلماء بمقدمة ابن خلدون وتاريخه بعد ان اشار اوجست كونت في محاضراته عام ١٨٣٦ الى ضرورة انشاء علم يكون موضوعه دراسة الظواهر الاجتماعيه دراسة موضوعية وبدا المستشرقون يوازنون بين فكرتي كونت وابن خلدون عن علم العمران عند ابن خلدون وعلم الاجتماع عند كونت واهتم الاوروبيون المحدثون بابن خلدون من حيث كونه من اوائل المؤلفين في فلسفة التاريخ وذلك بفضل النظرية التي بسطها في مقدمته عن تطور المجتمع البشري وكيف يمر بمراحل اربع : (البداوة ـ الملك ـ الحضارة ـ الاضمحلال) ثم يبدأ من جديد دورة اخرى سائرا على نفس الوتيرة ، لذلك اخذ هؤلاء العلماء يوازنون بين نظرية ابن خلدون ونظريات الفلاسفة الاوروبيين من امثال موتسيكو وكيكور وهردر ثم على وجه الخصوص اوجست كونت ، وبسبب الحجاب الكثيف من الغشاوة والجهل اخذ المفكرون والدارسون المصريون في اواخر القرن الماضي علم الاجتماع عن الاوروبيين وظلوا يعتبرون ان هذا العلم اوربي المولد الى ان فطنوا عن طريق المؤلفات الاوربية الى انه علم عربي اصيل في الثقافة العربية وان ابن خلدون قد قام بانشائه وتحديد ميدانه ومنهجه وتفصيل ابوابه قبل ان يفكر فيه الاوروبيون بحوالي خمسة قرون » .

وجملة القول في هذا كله : ان علم الاجتماع الاسلامي الذي قدمه ابن خلدون لا يزال اساس النهضة العربية الاسلامية التي يجب ان تقوم باحياء الحضارة الاسلامية على طريق القرآن الكريم بعد ان تطور علم الاجتماع الغربي واحتوته مفاهيم النظرية المادية على النحو الذي سلكه على يدي « دوركايم وليفي بريل »هؤلاء الذين هاجموا ابن خلدون والنظرية الاسلامية للتاريخ على يد الدكتور طه حسين وان هذا هو اسلوب التأصيل ليس لعلم الاجتماع وحده ولكن للعلوم التاريخية والاقتصادية والسياسية وان يكون هناك تمهيد واضح واساسي لهذه العلوم جميعا بما يصور الدور الهام الذي قام به علماء المسلمين والعرب في بناء هذه المناهج واذا كانت هناك مرحلة في التاريخ الاوربي تسمى مرحلة « مؤامرة الصمت » عن حقائق كثيرة فان هذه المرحلة قد انتهت الآن بظهور عديد من الابحاث المنصفة التي ترد للمسلمين والعرب دورهم في بناء الحضارة العالمية .

نظرية اسلامية للاقتصاد

واليوم حين تتعالى الصيحات في مختلف انحاء العالم الاسلامي حول البحث عن نظرية اسلامية للاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية نجد ابن خلدون هو اول مفكر عالمي توصل الى نظرية (ان العمل ينشيء القيمة) فقد اكد الاسلام على حق الافراد في التملك والعمل والتجارة والصناعة ، وليس صحيحا ما يذهب اليه البعض من ان ابن خلدون هو رائد (المادية التاريخية) فالحقيقة ان ابن خلدون انما يعتمد على مفهوم الاسلام الجامع بين الروح والمادة ، فضلا عن آثار البيئة الطبيعية والجغرافية .
هذا فضلا عن أن كثيرا من علماء المسلمين القدامى نظروا في شئون الاقتصاد والاجتماع والسياسة قبل ابن خلدون بقرون ـ كما يقول دكتور محمد العربي الخطابي ـ غير ان مؤلفاتهم وابحاثهم اقتصرت على الجوانب الفقهية من هذه الموضوعات (ومنهم ابو يوسف وابو عبيدوقدامة بن جعفر والسرخسي والماوردي وابن رشد الجد وابن حزم) غير ان ابن خلدون فاقهم جميعا بنظرية العمل والقيمة التي سبق بها علماء الغرب والتي ترد القيمة الى العمل المبذول في الانتاج ، وقد اشار آدم سميث في كتابه ثروة الامم (١٩٧٠) الى اسبقية ابن خلدون واطلق عليه (ابو الاقتصاد)
ومن العجب ان نجد عشرات من علماء الغرب يذكرون فضل ابن خلدون على التاريخ والاجتماع والاقتصاد بينما يغض من قدره بعض اهله متابعة لدعاة التغريب وجهلا بأبعاد فضل هذه الشخصية الرائدة وعقوقا واستعلاء بالباطل .
ولا يزال ابن خلدون يجد في كل يوم من يتحدث عنه ويكشف عن جانب جديد من جوانبه وما زلنا نحن هنا في العالم الاسلامي في حاجة الى أن نضعه في احجار الاساس للحضارة الاسلامية المتجددة التي تقوم على ترجمة العلوم الحديثة الى اللغة العربية وصياغتها في اطار الفكر الاسلامي القائم على المفهوم الجامع والذي له نظريته الاساسية في بناء حضارة انسانية قائمة على التوحيد والعدل والرحمة والاخاء البشري ●

الطائر المنقذ!

كانت الملكة فيكتوريا ، ملكة بريطانيا ، تستقل القطار ذات ليلة من احدى القرى الى لندن. وكان الضباب شاملا ، ولمح سائق القطار شبحا يحرك يديه بشدة امام القاطرة فوقف القاطرة ، ثم هبط يبحث عن ذلك الشخص فلم يجده ، ولكنه وجد القنطرة التي وقف القطار قبل أن يجتازها بقليل مصابة بخلل كبير ، اقتضى اصلاحه بضع ساعات ، لكي يمر القطار عليها بسلام .
وامرت الملكة بمواصلة البحث لمعرفة ذلك الشخص الذي انقذها ثم اختفى ، فاتضح ان هذا المنقذ المجهول لم يكن سوى طائر كان يطير امام القاطرة مرفرفا بجناحيه في الضباب فصدمته مقدمة القاطرة ، فسقط في فتحة بها جثة هامدة !
فامرت الملكة بتحنيط جثة الطائر وحفظها في المتحف البريطاني .. ومازالت معروضة به حتى الآن !

شهر أمتى

بقلم : عاشور عليش

أما فضل رجب ، شهر الله ، فلأنه شهر الاسراء والمعراج ، فيه ليلة الانوار والاسرار ، ليلة التجليات .

فقد تجلى الله سبحانه وتعالى ، على نبينا محمد ، بما لم يحظ به بشر ، اذ بلغ سدرة المنتهى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، كما تجلى سبحانه وتعالى ، على أمة محمد ، بالمناجاة فى الصلاة .

اما شهر شعبان ، فقد آثره رسول الله بالمحبة ، لتوسطه بين شهرى رجب الفرد ، ورمضان الامة ، فكان صلى الله عليه وسلم يصوم أكثر ايامه ويقوم معظم لياليه . وفى ليلة النصف من شعبان ، وجه الله نبيه الى قبلة الصلاة فى الاسلام ، الى الكعبة الشريفة ، أول بيت لله فى الارض .

ففى رجب فرضت الصلاة فى ليلة الاسراء والمعراج ، وفى شعبان تحددت قبلة الصلاة ..

ثم يأتى رمضان ، بعد ان تم للمسلمين من أمة محمد اقامة الصلاة ، والتوجه فى صلاتهم الى بيت الله الحرام ، يأتى رمضان ، وقد حمل معه كتاب الله ... القرآن ، فى ليلة هى أشرف لياليه ، ليلة القدر ، خير من ألف شهر .

شهر الله رجب ، فيه مثول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحضرة الالهية ..

وفى شهر شعبان ، تتجه القلوب والارواح ، الى بيت الله فى مكة .. فى صلاتهم ..

وفى شهر رمضان ، يتعبد المؤمنون بالصيام ، ويذكرون الله بالقرآن ، ويطهرون نفوسهم وأموالهم بالزكاة ..

معراج الى الله ، وحضور ، وشهادة ،

شهر أمتي



لنبي الله محمد في السماوات العلى ، بين يدي الله ، وفي انوار الله ..

ثم توجيه للصلاة ، الى بيت الله ، رمزا لتوحيد امة الاسلام في كل انحاء الارض ، نحو قبلتهم التي اختصهم بها الله خمس مرات في اليوم ..

ثم صيام جامع ، وعبادة جامعة ، في شهر القرآن ، شهر رمضان ..

أى تدبير ، واى تنظيم ، اجمل وأروع واحكم من هذا التدبير والتنظيم !!

القائد ، والغاية ، والمسيرة .

محمد ، والكعبة ، والقرآن .

فسبحان الله ، والحمد لله .

فلماذا اذن رمضان ، هو شهر امته ، صلى الله عليه وسلم ؟ لانه شهر الجماعة والتجمع بكل المعاني . الامة كلها صائمة رجالها ونساؤها .. في جميع انحاء الارض . يتسحرون في وقت واحد ، ويصومون في نهار واحد ، ويفطرون في وقت واحد .

اجماع على عبادة واحدة .. الصيام ، واجماع على ذكر اله واحد .. بالقيام واجماع على كتاب واحد .. القرآن . امة هذا شأنها ، يجمعها قائد ، وعبادة وكتاب : هي امة فيها الخير ، وفيها الارادة ، وفيها العمل ، وفيها التواصل والتراحم ، والمشاركة بالعمل والوجدان والزكاة .. امة هذا شأنها ، قريبة من الله ، حبيبة الى الله ، يزكيها رسول الله ، وينورها كتاب الله .. لابد وأن تحظى برعاية الله ..

صدقت سيدي يارسول الله ..

ان رمضان شهر امتك حقا ، ماتمسكوا بكتاب الله ، وسنة رسول الله .

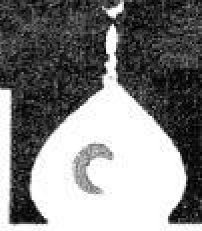
فهل نحن كذلك حقا ؟

هاهو ذا رمضان يقبل علينا ، فهل يمكننا ان نغض الطرف من هذه الحرب الدائرة بين شعبين كبيرين من المسلمين ؟ وهل في امكاننا أن ننكر هذه الانقسامات التي استشرت بين أهل القرآن ؟

ان الدولة الإسلامية الموحدة التي استطاعت ان تنقذ العالم من هجمات المغول ومن جبروت التتار ، قد مزقها الاستعمار الى دويلات ، وتقاسمتها مناطق النفوذ ، وآن لها أن تفيق من غفوتها ، لتتوحد كما كانت ، ولتواجه المؤامرات . ومن أعجب المصادفات ان يتم كل هذا في رمضان .

ففي رمضان تم فتح مكة ، وتم تحرير الارض المقدسة من الكفر والشرك بالله وعبادة الاوثان ، وفي رمضان تم لمصر النصر على اسرائيل بعد عدوان ٦٧ ، ويأتي رمضان هذا العام وقد تحررت سيناء ..

ان العالم الاسلامي اليوم مطالب ـ اكثر من اي وقت ـ بأن يجاهد في سبيل الحفاظ على وحدة صفوفه ، واكتمال تعاونه بين دوله وشعوبه ، حتى يتحقق قول الله سبحانه وتعالى :



« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . »

على الشعوب الاسلامية ، وعلى كل فرد مسلم ، ان يتفوق على نفسه ، وان يجاهد ، وأن يؤدى واجبه نحو الله ، وان يعمل في سبيل اذابة الفوارق والحدود ، حتى يستشعر المسلمون فى جميع انحاء الارض ، بالاخوة الاسلامية، والتعاون المثمر فى سبيل الخير والحق والبناء .

ان المؤشرات كلها تشير الى ان كثيرا من الشعوب والافراد يدخلون فى دين الله فى الاسلام ، لانه الدين الكامل ، ولانهم يجدون فيه مالا يجدونه فى النظريات والفلسفات ونظم الحكم الاخرى التى ابتدعها الانسان ، والتى يستغلها الانسان القوى لصالحه ، ضد مصالح الشعوب الضعيفة والملونة !!

عالم اليوم لا يزال جاهليا ، يفاضل بين الناس بالوانهم ، ويميز بينهم ، ويدعو الى الفرقة ، ويقتال الحرية ، ويستخدم السلاح فى تدمير الارض ، ويبدد الاموال فى سبيل الخمر واللهو ، ويبتعد عن الله باسم الطبيعة وباسم العلم !! عالم مغرور .. ومفتون !!

وهاهو ذا رمضان قد اقبل ، ليعيد الينا ذاكرتنا . وليعيد الينا ثقتنا فى انفسنا ، وفى عقيدتنا ، وفى سلوكنا نحو الحياة .

فالاسلام دين التوحيد .
والاسلام دين الحرية وحقوق الانسان
والاسلام دين الحياة الشريفة بلا قيود أو استعلاء أو تمييز بين الناس .

ومن هنا ، كان علينا ، ونحن نحتفل برمضان ، ان نحتفل بعودتنا الى دين الله وان نعتزم العمل بما يعلى كلمة الحق ، ولنذكر دائما وأبدا ان الاسلام هو دين الحضارة والعلم والتفوق والجهاد ، وان مابلغه المسلمون الاولون من رفعة ومكانة مرموقة ، لم يكن وليد الصدفة ، وانما ثمرة لما بذلوه من جهد وعرق وكفاح واخلاص ، ونتيجة لما زرعوه من قيم ومثل عليا تمسكوا بها وضحوا من اجلها .

وفى رمضان نزلت « اقرأ باسم ربك» علامة بارزة فى تاريخ الانسانية كلها ، لانها مفتاح الحضارة فى كل زمان ومكان ..

فليكن احتفالنا برمضان ، احتفالا بـ « اقرأ » التى سوف تفتح امامنا أبواب المعرفة ، وتضىء امامنا الطريق نحو التقدم ، والرقى ونحو كل ماهو نبيل وعريق ، شريف واصيل ، فى حياة الانسان ، وفى حياة الامم ، وفى حياة الانسانية كلها ومستقبلها ..

فباسم الله نقرأ ، ونتعلم ..
وباسم الله ، نتقارب ونتعاون ..
وباسم الله ، ندعو الى السلام بين الشعوب .

فمرحبا بشهر القرآن ..
ومرحبا بشهر كل الاديان ..
واهلا بك وسهلا يارمضان ..
وصلى الله على محمد ، نبى القرآن ونبى ليلة القدر ●

أمير المساكين

راوية الأحاديث النبوية

بقلم: عبد المنعم الجداوى



... مهما اختلفت فيه الآراء.. فسوف يظل الصحابى الجليل ، والجليس الاوحد احيانا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب اكبر مجمـوعة من الاحاديث النبوية ، وبقدر حجم هذه الاحاديث ، كان الخلاف ، والصراع حول دقتها ، ومدى مادخل على ابى هريرة فيها ، ومدى طاوعته ذاكرته .. دون أن تتخلى عنه .. غير ان الوقوف معه او عدم الانحياز له .. لن يغير من حقائق حياته شيئا . فسوف يظل الرجل النبيل الذى لم تبطره النعمة .. بل ابى وهو فى ذروة الامارة .. الا أن يذكر نفسه بايام الضياع .. حتى لاتأخذه العظمة على غرة ..! وهو الصحابى الذى يعرف اسمه اكبر عدد من المسلمين ... لا يتفوق عليه سوى الخلفاء الاربعة .. وقد شغل هذه المساحة من قلوب المسلمين بدعاء خاص دعاه له رسـول الله .. !

هو شخصية تاريخية مؤثرة .. انطلق من قبيلته « بنى دوس » فتى لا يشعر به احد .. يحمل امه على دابة .. يمضى الى مدينة رسول الله .. يبحث عن الاسلام الذى شرح الله صدره له ، ويبحث عن رسول الله الذى كان يومها فى «خيبر» فلم يلقه ، وعاش فى المدينة ينتظره حتى يعود .. وهو بذلك اصبح واحدا من اثنين ، طلبا الاسلام قبل أن يطلبهما .. « أبو ذر » رضى الله عنه . اذ جاء « مكة » مقتحما يبحث عن النبى والاسلام و « أبو هريرة » فى مجيئه الى «المدينة» .. وقد التصق بالنبى عليه الصلاة والسلام ، بعد ذلك عدة سنوات لايفارقه ويحفظ فى معاناة كل مايقوله النبى .. حتى أجهده ذلك .. فشكا الى رسول الله النسيان فدعا له الا ينسى ، ويقول هو .. انه لم ينس بعدها اى حديث ..!

اكثر الرواة حديثا ..

ومن هنـا كانت كثرة الاحاديث التى رواها ، والكثرة هى التى جعلت بعضهم يستقبل رواياته بالحذر والحيطة .. ليس بعد وفاته فحسب ، بل وفى حياته أيضا .. واستشعر من هذا الحذر مرارة .. كان يرجو الا ينالها من اهل زمانه ، وفيهم من يحبهم ويجلهم ، ومن بينهم « عبد الله بن عمر » رضى الله عنه .. وهو احد الرواة الثقاة .. اذ قال له مرة «انظر ما تحدث . فانك تكثر الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم » . فاخذ بيده الى السيدة « عائشة » ، فسألها عن ذلك فقالت : صدق « ابو هريرة » ! ثم قال : يا ابا عبد الرحمن « يقصد ابن عمر » انه والله ماكان يشغلنى عن رسول الله الصفق فى الاسواق . انما كان يهمنى كلمة من رسول الله يعلمنيها او لقمة يطعمنيها ..

ورغم أن الله اراد لهذه الشخصية الفذة .. أن تصعد من السفح الى القمة .. الا ان تلمذته فى مدرسة رسـول الله ، وحرصه الشديد الملتزم الذى اخذ به نفسه فى رواية الاحاديث .. جعله يحيا حياة الزهد ، ويستغفر من ذنوب نفسه اذا حدثته يوما بثراء فاحش . او نازعته نشوة العلم بالعلماء ، وقد اقبل عليه الناس من كل مكان .. يستمعون الى رواياته .. وكان يتجنب هذا الزهـو الذى يبطش ببعضهم .. بان يتحدث عن ماضيه ، والحديث عن النفس ممقوت فكيف وهو من صحابى جليل .. لكنه كان يبغى التخفيف عن الناس .. يسمعون عنه ، ويسمون اليه .. فهو الذى بقى من المجلس الذى كان يتحلق حول النبى صلى الله عليه وسلم .. يرمقونه بشغف شديد ، ورهبة يلعلون فيها من انفسهم ،

أمير المساكين

ويرى ذلك في عيونهم .. فيخشى الفتنة على نفسه من اعجابهم ، وعليهم مـن ذهولهم بين يديه .. فيقـول نشـأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت اجيرا « ليسرة بنت غزوان » بطعام بطـنى ، وعقبة رجلى ، فكنت اخدم اذا نزلوا ، واحدوا اذا ركبوا . فزوجنيهـا الله ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل ابا هريرة اماما .

الأم هى الأم ..

ان الانسانية التى تملأ رحاب هـذه الشخصية .. انسانية عارمة .. فالذى كان يمسك به بين عشيرته والدته التى لم يكن لها من عائل غيره .. وحينما فشل في ترويض نفسه ، ومعالجة الشوق الذى تجمع في صدره للاسلام ، ونبى الاسلام من السمع فقط - حمل والدته ، وجاء بها الى المدينة ، وهى لا تفتأ تؤنبه لانه ترك دين آبائه واجداده ، واتبـع دين الاسلام ، وفى كل يوم ترجوه ان يعود الى رشده ، وأن يتخلص مما ارتبط به ، ويعود الى عقله .. وهـو يصر على ان ينصحها ، ويبكى بين يديها يخاف عليها من عذاب النار .. الى ان كان ذات يوم ، واحتدم بينهما النقاش .. فاطلقت لسانها فى النبى صلى الله عليه وسلم ..وأخذه الغضب من نفسه . فخشى ان يخطىء فى حقها ، وخرج حتى اذا أتى النبى وقضت الصلاة - رأى عليه الصلاة والسلام بقايا الدموع فى عينيه ..فسأله عما يبكيه .. فاجهش بالبكاء .. فلما سأله ثانيـة .. قال : لقد أطلقت لسانها فيك .. فهلا دعوت الله لى أن يهديها للاسـلام .. فاستريح من هذا العذاب .. ويبتسـم رسول الله ، ويدعو لها بالهداية ..ويهدأ روع « أبى هريرة » ، ويطمئن قلبـه ، وتشرق بالضوء جوانحه ، ويسرع الى بيته ويقف على الباب يدقه بعجلة ، ولكنهـا لا تفتح . ويصيخ السمع فاذا به يسمع خضخضة المياه ، وهى تغتسل بها .. ثم ترتدى ملابسها ، وتفتح له الباب . فلا يكاد يغلقه حتى تعلن الشهادتين امامه.. فيضطرب .. لا يدرى اهى الصدمة ام الفرحة ..؟ وتنهمر دموعه ، وهو يعانقها، ويقبل كتفيها ، ويديها ، وهو لا يكاد يصدق ..!

ولعل انسانيته تبدى فى تلك البساطة التى يداعب بها شباب المسلمين قال له مرة « اسامة بن زيد »

لم كنوك ابا هريرة ..؟ قال : امـا تفرق منى ..؟ يعنى الا تخـافنى ..؟ فقال : بلى والله انى لاهابك ! قال : كنت أرعى غنما لاهلى ، وكانت لى هريرة صغيرة ، فكنت اذا كان الليل وضعتها فى شجرة . فاذا اصبحت اخذتها فلعبت بها ، فكنونى ابا هريرة .. » الى هنـا ويمكننا بعد ان تعرفنا على الرجل .. ان نصحبه فى رحلته وهو عائد من البحـرين .. بدعوة شديدة اللهجة من « عمر بن الخطاب » .. بعد ان بعثه أميرا عليها ، وهاهو يودع الامارة باحساس غريب .. استشعره من لهجة خطاب الاستدعاء ..؟!

فراق الامارة ..

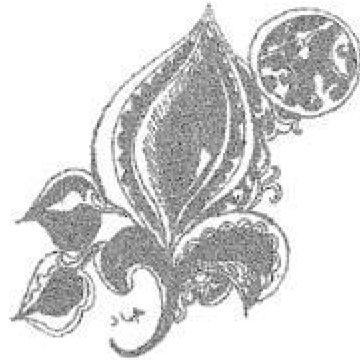
« ابو هريرة » فريسة قلق .. مساحة ضجر .. كل ما فيه حيرة .. كأنه يساق الى حتفه .. والطريق سخيف كالارق.. طويل كالمرض . لا يريد أن ينتهى . وهو لا يريده . لكنه يستعجله . والرغبة فى الوصول متكافئة تماما مع الرغبـة فى عدم الوصول .. عاجز عن ترجيح كفـة على الاخرى .. والقافلة تمضى لا حـداء ولا غناء .. الرجال يشعرون أن أميرهم مهموم .. وأن همـومه أثقل من أن تحملها الجبال الراسيات .. وهـو يهتز الهزات الرتيبة فوق الجمل ، وافكاره



محشوره بين الخوف والرجاء .. بين الامل والياس .. !!

وتهب ريح ساخنة .. تحول الصحراء الى فرن كبير .. الرمال الملتهبة تندفع الى افواه الرجال .. تزيد من احساسهم بالارهاق .. ترفع احساس الرجل بالمرارة .. تنتقل منه عدوى القلق الى بقية القافلة .. تشتد الريح .. تدور ملابسهم حول اجسادهم . الذين يركبون الجمال . يمسكون باغطية رءوسهم ... الرياح تنازعهم اياها .. كانما كل ماعلى الارض اصبح ضد هذه القافلة ، وتتعدد الافكار داخل راس امير القافلة .. تدور وتدور .. !

وتاخذ الامير الافكار .. يخمن .. لماذا يطلبنى امير المؤمنين — اهو العزل .. ؟ ام هو الحساب .. ؟ ام هى النهاية ..؟ والله ان « ابن الخطاب » لا تاخذه فى الحق رحمة بولده ، وانى ما ملت عن الحق فى ولايتى مرة بعلمى .. لا خوفا من عمر ، ولكن خوفا من الله ، ولا اظنه يسمع فى وشاية واش .. فان كانت الاولى . فاغفر لى باغفار الذنوب ، وان كانت الثانية فاكتب التوبة على الواشى حتى لا يوقع بالمؤمنين ..!



وقفة مع النفس ..

وبدات نفس الامير العائد تهدا بعد هذا الدعاء .. غفا القلق .. لتستيقظ الطمانينة ، وتنشر سكينتها فى نفس الصحابى الجليل « ابى هريرة » ..وراح لسانه يتلو القرآن . يجمد به هواجس نفسه ، ويسكت به ثورة خواطره ... واشرقت جوانحه بضياء يدب بالامن فى اعماقه .. انه لا يداخله ادنى شك فى عدالة عمر .. ولكن الخطاب الذى ارسله اليه يستدعيه به .. كان شديد اللهجة .. وعمر فى شدته ولينه عادل .. يخاف الله فى الناس ، ويقسو على عماله لانه يخاف ان يحاسب هو عن اعمالهم ..!

وزمجرت الريح العاصفة .. وارتفعت الرمال تغلق الطريق فى وجه القافلة .. واقبلت قطع السحب كالليل .. وزادت الريح يختلط فيها الرذاذ بالرمال ... ووضح التعب على وجوه الرجال ،وراحت الجمال تثنى اعناقها هربا من المواجهة .. وكان يسير كل رجل خلف بعيره مختبئا .. وقال احدهم : تنزل وتضرب الخيام ، ولكن امير القافلة قال لهم : عندما نصل الى بطن واد . نضرب خيامنا اما الان فنحن فى اماكن مرتفعة ..! وواصلت القافلة مسيرتها ، والرمال توشك ان تغطيها... كل شىء غاضب يا ابا هريرة .. ولكن لماذا كل هذا ..؟ سوف احاسب نفسى قبل ان يحاسبها امير المؤمنين .. فلكن العزل . فماذا كنت قبل هذه الولاية ..؟ وماذا كنت قبل الاسلام ..؟

لم اكن اميرا ، ولا واليا ، ولا حاكما .. ماكنت سوى راعى غنم ، فلما كبرت بلا مال او تجارة .. استاجرتنى « بنت غزوان » اقضى حاجاتها من السوق ، واسوق لها دابتها ، واجرى خلفها حافيا .. كل ذلك بلا مقابل سوى امتلاء بطنى

أمير المساكين

بالطعام .. فلما امتلأت بالاسلام ، هاجرت الى المدينة .. ولقيت رسول الله أحببته حبا لم أحبه لاحد من قبله ولا من بعده .. جلست اليه لعدة سنوات لا ابرحه فلم تكن تشغلنى عنه تجارة ولا مال ..!
وامتلأ خاطره بذكرى رسول الله وتصاعدت وجدانياته تدفع الدموع الى عينيه . يغطى وجهه خشية أن يرى رفاق القافلة دموعه .. فيقولون بكى ابو هريرة على الامارة .. وما كان له أن يريق دمعه .. الا شوقا الى رسول الله ، وخرجت به ذكرياته من محاسبته لنفسه الى ماضيه .. الى امه الحبيبة .. التى كان يدعوها الى الاسلام تنهره .. فيخرج من عندها باكيا .. ولكن الدموع تحرك المواجع ، ولم يكن أوجع لقلب أبى هريرة من ان يجد امه مشركة وهو على الاسلام يلازم الرسول ، ويروى عنه .. !

وقطع عليه حبل الذكريات .. رجال يتصايحون .. لقد دخلنا بطن الوادى .. واطبقت الظلمة – ترحف .. وكانها غطاء وعاء للصحراء وغفوا داخله . وتلكات القافلة ثم توقفت .. ثم بركت الجمال متفرقة .. وقامت الخيام ، واشتعلت النار هنا ، وهناك .. ، ونودى للصلاة ، وأم القافلة ابو هريرة .. وانفرد بنفسه فى خيمته ، وكانما كانت اشباح الذكريات تنتظره فيها .. !

انحى باللائمة على نفسه .. يهمس : مالى اظن بامير المؤمنين الظنون ، وقد سمعت رسول الله يدعو لى .. يحببنى وامى الى المؤمنين ، وسوء الظن خطيئة تفوح رائحتها ، ولن اكون سيىء الظن « بابن الخطاب » الذى قال فيه الرسول .. لا يلقاه الشيطان فى طريق الا سلك غيره ، واقبل بقلبه يستظهر فيه كل ماسمعه من كلمات نورانية من رسول الله وانسابت داخله طمأنينة هى مزيج من الشكر ، والصبر ، والزهد ، والرضا ، وشعر انه يتطهر من الخوف ، ويهاجر سوء الظن ، ويغرق نفسه فى ذكر الله يقرأ القرآن يثبت به فؤاده ، ويطمئن قلبه ، وبعدها نام « ابو هريرة » خلى البال كالطفل ..!

انك تظلم نفسك ..

اخيرا وصلت القافلة الى المدينة .. الكل يتسابق ، ويسبقه شوقه ، والرجال يودون أن يضموا اقدامهم حيث تقع آخر ابصارهم . وامير القافلة لم يعد خائفا .. بل ان به شوقا الى لقاء امير المؤمنين عمر .. وهو يشير الرجال ان يسرعوا فلعلهم يدركون العشاء الاخرة خلف امير المؤمنين ، ويملأون عيونهم من المسجد وتصل الاخبار الى امير المؤمنين ، ويدخل ابو هريرة فيلقى عليه السلام ، ويرد عمر التحية باحسن منها ثم يسأله عن الناس .. عن الرعية ، فيجيب ويلهل ابو هريرة .. لا غضب ، ولا عتاب ولا حرج ... فيلوم نفسه اللحظة او لحظتين ثم يقول : جئتك بخمسمائة الف درهم يا أمــــير





المؤمنين من البحرين .. فيرد أمير المؤمنين فزعا من الرقم فيقول : أظلمت أحدا..؟ ويجيب أبو هريرة لا .. فيقول : هل أخذت شيئا بغير حق ..؟ ويجيب لا .. فيقول له اذهب الى بيتك ، ونم بين أهلك وات غدا فقد يكون التعب أثر فيك فجعلك تظلم نفسك في الرقم ..؟

بالعدالة عمر .. انه لا يريد أن يحاسبه وعلى كتفيه وعثاء السفر .. يشفق على أبي هريرة وهو الذي ظن به الظنون ، ويذهب الرجل الى بيته ، ثم يعود في الصباح فيحمل الى أمير المؤمنين الخمسمائة الف درهم .. فيقول عمر :

– يا أبا هريرة ماجئت به لنفسك ..؟

فيقول :

– عشرون ألفا .. جمعتها من تجارة كنت أتجر بها ..!!

هنا فقط يجرى الغضب على وجه عمر .. فيصرخ فيه .. تتجر وأنت أمير الناس يبيعونك بما يرضيك ، ويشترون منك بما يرضيك .. ليست هذه تجارة يا أبا هريرة ..!!

ويضطرب الرجل ، وترتعش أوصاله حتى ليوشك كل عضو من جسده أن ينفصل عنه .. وكبار الصحابة يرمقون أبا هريرة ، وينتظرون رده ، ولكنه لا يرد .. ان الكلمة لأمير المؤمنين .. وله مايراه فالعدل والخير فيما يراه ، وأردف عمر .. انظر رأس مالك ، ورزقك فخذه .. واجعل الآخر في بيت المال .. ولم يقل أبو هريرة أكثر من سمعا وطاعة .. فانبسطت أسارير أمير المؤمنين وقال .. أبا هريرة .. كيف وجدت الامارة .؟ قال الرجل : بعثتني وأنا كاره لها ، ونزعتني وقد أحببتها .. فمضى عمر يقول ..الحمد لله الذي وفقنا الى عزلك قبل أن يشغلك حبها من حب أحاديث رسول الله ..!!

متى يصبح الموت أمنية ..

وبقى أبو هريرة في المدينة .. تتوافد عليه الناس من كل البقاع يستمعون الى مايرويه من أحاديث ، ويسألونه عن صحة الرواية .. ولم يكن يضارعه في ذلك كما قال الا « عبد الله بن عمر » ، وقد عاش عيشة العلماء الذين يثقل عليهم علمهم فيتواضعون .. وقد حاول أن ينساى بنفسه بعيدا عن كل المنازعات التي جدت بعد الفتنة الكبرى ، ومقتل « عثمان».. فكان موقرا من الجانبين الى حد أن «مروان ابن الحكم » بعد أن ولى امارة «المدينة» كان يستخلفه عليها اذا خرج حاجا الى « مكة » . ولكن ذلك لم يكن ليزدهيه .. فقد كان له حمار يركبه ، وغطاء للرأس من الليف يلبسه .. ثم يطوف «المدينة» ليلا يتفقدها .. فاذا رأى أطفالا يلعبون ترك ركوبته ، وقفز بينهم يلاعبهم ..!

وتقدمت به السن فذكر الموت كأنه تمناه .. لقد ذهب عنه أصحابه .. ومات أحبابه .. لم تعد «المدينة» هي «المدينة» التي عرفها ، وجاء اليها تسبقه أشواقه .. وماذا تكون « المدينة » بعد رسول الله وخليفته ، وعمر ، وعثمان .. وفزع رهط من أصحابه . فذهبوا يسألونه كيف يتمنى الموت بعد قول رسول الله .. ليس لأحد أن يتمنى الموت لا بارا ولا فاجرا وقال لهم ردا على عتابهم .. كيف لا أتمنى الموت ، وأنا أخاف أن تدركني الاستهانة بالذنوب ، والتجارة في الحكم ، وتقاطع الأرحام ، وكثرة الشرطة ، ونشوة الخمر واتخاذ القرآن مزامير ..!

وذات يوم كان يتوضأ فمر به رجل يسير على عجلة .. فلما سأله أبو هريرة الى أين ..؟ قال له الى السوق – فقال له اذا استطعت أن تشترى الموت فافعل .. فذهل الرجل ، ودهش من كان يصب على يديه الماء ليتوضأ .. وقال رفاقه .. ان أبا هريرة لن يحول عليه العام .. فلما سقط صريع الحمى ، وذهب « أبو سلمة »

ابن عبد الرحمن يعوده فوجده في غيبوبة .. فقال : اللهم اشف « ابا هريرة » فافاق على دعوته ، وقال : اللهم لاترجعني .. يا ابا سلمة ان استطعت أن تموت فمت ، فوالذي نفس أبي « هريرة » بيده ليوشكن ان يأتي على العلماء زمن يكون الموت أحب الى احدهم من الذهب الاحمر .. !

وتخلص الزاهد من دنيا الناس ... ويجتمع حوله رجال جاءوا من بقاع بعيدة .. حينما علموا .. أن راوي أحاديث النبي في طريقه الى لقاء ربه .. وكانت غيبوبة الحمى تأخذه حينا ، وتتركه احيانا وقلب بصره الكليل في الوجوه التي حوله وبقدر ما ابقت له سنواته الثماني والسبعون .. استطاع أن يرى دموعا في عيون البعض .. فقال : لا تعذبوني بالبكاء وليست لي حاجة في الدنيا .. لقد صليت على « عائشة » زوج النبي في العام الماضي ، ولاقت ربها التي كانت تصحح لنا الاحاديث اذا اختلفنا .. لم صليت على « أم سلمة » هذا العام .. فماذا بقي لي في دنياكم .. اللهم اني أحب لقاءك فاحبب لقائي .. ياقوم اذا حملتموني فاسرعوا بي .. فان أكن صالحا تأتون بي الى ربي ، وان أكن غير ذلك فانما هو شيء تطرحونه عن رقابكم ..!

وكانت هذه اخر كلمات الرجل الزاهد الصادق راوي أحاديث رسول الله ... الذي حببه الله الى المؤمنين بدعوة نبيه والذي وفد الى المدينه ذات يوم ، وكله شوق الى الاسلام ، ورسول الله الذي لم يكن يومها قد رآه ...!!

ومهما اختلفت الآراء حوله ـ فسوف يظل على افواه المسلمين ، وفي « بطون الكتب هو » هو « أبو هريرة » .. لا يكاد يمضي يوم دون ان تذكره الشفاه ، وتطلب له الرضوان من الله .. رضي الله عنه، وأرضاه ..!! ●

● ناكر الجميل !

يحكى أن فأرا ضاق يوما بالحياة ، بسبب الذعر الذي يبعثه في نفسه القطط ، وصادف أن تعرف على ساحر ، فشكا اليه حاله وتوسل اليه أن يحيله قطا .. فرثى الساحر لحاله واجابه الى طلبه .. ومرت ايام ، واحس الفار الذي غدا قطا ، ان الكلاب تفزعه وتنغص عليه عيشه ، فقص على الساحر قصته وطلب منه ان يجعله كلبا ، فلما اضحى كلبا بدأ يخشى النمر .. فرجا الساحر ان يجعله نمرا . وتتابعت الايام واذا بالفار الذي اصبح نمرا قد غدت حياته جحيما .. فالصيادون يطاردونه برماحهم وبنادقهم حيث ذهب .. وعندئذ اسرع النمر الى الساحر وقال له :

ـ بالله عليك أعدني فارا .. لقد ادركت الآن اني كنت ناكرا للجميل الذي حباني به ربي

الكف الباردة

شعر: سالم حقي

كاذبة العينين ! ... كفك باردة !
لم تخف ما أخفته عين واعده
لم تخف أن الحب ولى وانتهى
عصفت به ريح الليالي المارده
لم تبق منه غير رسم دارس
ورماد أشواق .. ونار خامده !.
لما تصافحنا .. بكيت على الهوى
وبكيت أحلاما تولت شارده
لم ألق في كفيك دفء دمائنا !
نبض الصبا .. شوق الطيور العائده
أحسست أن وراء كفيك قصة
مشبوبة .. تحت المياه الراكده
تخشين أدركها .. فلذت ببسمة
مرسومة .. مهزوزة .. متردده !
لا تخدعيني رحمة ! .. لاتكذبي!
هذي يمينك ملء كفي .. شاهده !
وقرأت في عينيك مسرحية الهوى
فهمست من فرط الأسى : لا فائده !

صور من رمضان في القرن الماضي يرسمها مستشرق كبير

بقلم: د. محمد رجب البيومي



شهر رمضان بالنسبة لغير المسلمين موسم يستدعي الانتباه، فتقاليده طريفة ((آخذة)) ، وسلوك الصائمين ليلا ونهارا ، فراغا وعملا مما لا يفوت الباحث الاجتماعي تسجيله المطل ، وقد نمر نحن بهذه التقاليد الموروثة فلا نلتفت اليها في شيء . لاننا نشأنا في محيطها . وألفنا غريبها النادر حتى أصبح غير مستغرب، ولكن الزائر الاجنبي يرى كل شيء جديدا بالنسبة اليه ، وقد يفطن الى أشياء دقيقة لا يقف عندها النظر السريع فيتناولها تحليلا وتشريحا بما يجعلها ذات وزن خاص ، فترى من ملامحها الخافية ما تعجب كيف غاب عنك ، وان كنت توقن انه لم يأت بجديد ، كما تقرأ القصيدة الصادقة فتجدها تعبر عن احساسك المجرب ، فلا تضيف الجديد الى رصيدك الشعوري ولكنك تستعيدها معجبا كأنها شيء جديد .

وقد نجد في كتبنا التاريخية تسجيلا طريفا لتقاليد رمضان في مختلف العصور



الاسلامية من أموية وعباسية وفاطمية وأيوبية ومملوكية ، ولكن ذلك مع فائدته العلمية لا يغنى عما يكتبه سائح ناقد ذو بصر كاشف ، لان ماكتبه المؤرخون فى اكثر أمره يسجل مشاهد رمضان الرسمية لدى الحكام ومن يلوذون بهم ، واذا تعرض كاتب كالمقريزى لاوضاع العامة من بنى الشعب فانه يسرع اسراع من يفضل غير هذا المنحى من الحديث ، اما المستشرق الذى نخصه اليوم بالحديث فقد جعل احوال العامة واوضاعهم هدفه

الاول من تاليف كتابه ، فتتبع فى يقظة قادرة مايقع عليه عينه تتبعا يبعث على التقدير ، مهما اختلف الناقد مع الكاتب فى بعض اتجاهاته . واقرا ان شئت وصف « المسحراتى » لتجد أن المؤلف قد سجل عليه جميع ماينطق من كلمات ، وما يأتى من حركات ، فهو يعد دقات الطبل ويحسب دراهم الاجر ، ويرصد عبارات النداء ، ويتابعه بين الازقة والدروب ليضمن انه قد اكمل مافى اللوحة جميعها دون تقصير ، وتلك امانة مخلصة ، يجب

رمضان فى القرن الماضى

ان يحتذيها الباحثون .

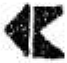
المستشرق الباحث

اما الكاتب الذى نعنيه الآن فهو المستشرق الانجليزى الاستاذ ادور وليم لين ، وقد وفد الى مصر فى رحلتين علميتين ، اولاهما ابتدات فى سنة ١٨٢٥ وانتهت فى سنة ١٨٢٨ م وثانيتهما ابتدات فى سنة ١٨٣٣ م وانتهت فى سنة ١٨٣٥ ، وقد ارتدى اللباس الشرقى ، وعاش عيشة المصريين وتسمى باسم « منصور افندى » وقد ابدع تنكره ابداعا دل على صبر وحرص وكياسة ، فخالط المصريين وقام بما يقومون به من شعائر ، حتى اعتقد خلطاؤه انه تركى مسلم يزور القاهرة للترويح ، فاخذ يجوس خلال المنازل والمساجد والاسواق ، ووثق صلته بالحكام والتجار والعلماء والسوقة جميعا وحضر مجالس العلم بالازهر ، وناقش مناقشة الطلاب فى مسائل التشريع وعلوم اللسان ، ورأى ان بحثه الاجتماعى يفرض عليه أن يتصل بمجالس الشعوذة فيفحص اوراق البخور ، وكتابات الجن ورموز الاحجبة ، وعبارات الرقى ، ومحتويات التمائم ، كما يشاهد التجمع المصرى فى المواسم والاعياد والماتم والافراح وذلك كله كان مادة كتابه الضخم الذى وضعه تحت عنوان « المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم » فنال استحسان الدارسين ، وترجم الى لغات كثيرة ، ووصفته الدوائر العلمية بانه أعظم ما الف فى تاريخ الشعوب الشرقية ، واذكر ان الاستاذ الباحث عدلى طاهر نور قد نقله الى اللغة العربية فذاع وانتشر ، واعيد طبعه مرة ثانية ، ومن الطريف ان الاستاذ ادور لين ذكر انه جاء الى مصر ليدرس تاريخها القديم فى عهد الفراعنة ، فوجد تاريخ المعاصرين ابدع واغرب واحفل ، فصرف البحث اليه فى احتفاء بالغ ، وكان شهر رمضان مما اختصه بالبحث فى صفحات يسيرة تعتبر وثيقة صادقة لمباهج هذا الشهر فى مصر قبل ان تغمرها اضواء المدينة الحديثة فتفارق عهدا الى عهد .

موكب الرؤية

خروج المصريين الى سفح الجبل لمشاهدة الهلال فى اخر شعبان عادة عريقة ترجع الى عهد الفتح الاسلامى وفى كل عام يجد من التقليد ما يضاف الى سابقه ، حتى اصبح موكب الرؤية فى مستهل رمضان شيئا بهيجا يدفع الخاصة والعامة الى التمتع بمرآه ، وقد شهده الاستاذ لين فى زورتيه المتتابعتين ، متغيرا فى المرة الاخيرة عن سابقتها ، مع ان الفاصل الزمنى لا يتجاوز خمس سنوات ففى الرحلة الاولى كانت طوائف الشعب تسبق موكب المحتسب الى الصحراء لترى الهلال عن عيان ، ثم يأتى الموكب الرسمى فى جلاله يتقدمه الحكام والزعماء ثم يتبعهم





مشايخ الحرف المتنوعة ، كالطحانين والخبازين والعطارين ، وباعة الفاكهة والخضار ، لكل جماعة حلقة خاصة تحمل مايدل على مهنتها ، وتضع فوق الملابس مايميزها عن غيرها كأن يرفع الساطور ، ويصبغ الخباز يده بالدقيق ، ويحمل الفاكهى بعض الموز او البرتقال ، ثم تتلوهم فرق الموسيقى صادحة بالحانها المبهجة ، ووراءهم طوائف الجنود فى ثيابهم العسكرية ، يطرقون الارض طرقات رتيبة وفق نظام خاص ، ويسيرون من مجلس القاضى بالقلعة فيمرون بشوارع العاصمة الكبرى ، وقد اصطف الجمهور المصفق على الجانبين ، وتتابعت زغاريد السيدات من النوافذ والابواب .

اما المرحلة الثانية فقد اختلف فيها موكب الرؤية عن سابقتها ، اذ سيطر جند الباشا على الموقف وفق عرض عسكرى جديد المشهد ، فتقدم حملة المشاعل وضاربو الابواق ، وبين كل فرقة عسكرية تجد فاصلا مميزا بحيث يخلو جانب من الطريق بعض الوقت ، فلا يصل اوله بآخره فى التحام متلاصق كالعهد به من قبل ، اما اصحاب الحرف فكان شيخ المهنة ممثلا وحده لطائفته ، دون ان يحتشد معه الاتباع ، فاذا كانت نهاية الموكب ظهر المحتسب فوق جواده فى وقار جاد ، وحوله مرءوسوه يستمعون الى مايصدر من التوجيهات ، فاذا تأكد ظهور الهلال قسم الجنود انفسهم فرقا فرقا ، واخذت كل فرقة تطوف فى شارع معين لتعلن ان غدا اول الصيام ، بحيث لا تمر ساعة واحدة حتى تعلم القاهرة جميعها ان الصيام فى غد ، واذ ذاك يخرج الناس جميعا الى المساجد ليؤدوا صلاة التراويح ، والطريقة الثانية اكثر ضبطا ونظاما ، ولكن الاولى ابهج واقرب الى الطبيعة ، ولعل حدوث بعض المصادمات الضرورية فى مثل هذا الازدحام كان داعيا الى التعديل الجديد

نهار رمضان

نذكر جميعا قول ابن الرومى فى احدى رمضانياته الكثيرة .

فليت الليل فيه كان شهرا
ومر نهاره مر السحاب

ونهار رمضان فى القرن الماضى كما وصفه الاستاذ ادوارلين كان نهارا ساكنا فارغا ، فالشوارع هادئة لا يكاد يمر بها احد ، والدكاكين موصدة ، كالمقاهى والمطاعم ، اما محلات الخمور والمسكرات فقد كانت تغلق فى منتصف شعبان تحية لقدوم الشهر الوافد ، وقد لاحظ الباحث ان المسيحيين كانوا يجاملون المسلمين طيلة الشهر ، بحيث لا تشاهد مدخنا فى يده التبغ ، ومن اضطر الى شربه لجأ الى منزله كيلا يجرح شعور مواطنيه ، ويظل النهار راكد الحركة حتى يؤذن العصر فتفتح المتاجر وتموج الطرقات بالناس ، ويكون الحى الحسينى قلب القاهرة النابض فى شهر الصيام ، اذ يغص عصرا بطوائف الناس ، فمنهم من يزور المسجد والضريح ، ومن يهيىء طعام السحور والفطر شاريا دون مساومة ، لان الباعة الجائلين يملاون الطرق بمايحملون ، ولهم نداء مطرب يستميل العامة ويضطر بعضهم الى الشراء دون ضرورة ، اما التجار فى المحلات القائمة فيعكفون على قراءة القرآن وكتب الاوراد عصرا ، ولا يقطعون القراءة الا فى لحظات البيع ، ثم يواصلون عبادتهم الضارعة بتلاوة آى الذكر فى شهر القرآن ، ولا تزدحم المقاهى فى وقت كازدحامها بعد صلاة العصر فى رمضان ، اما اصحاب المنازل من الطبقة الوسطى وما فوقها فيفتحون الابواب لمن يريد الافطار ، ويضعون فى صدر المنزل

رمضان فى القرن الماضى

خوانا ممتدا حافلا بالمرطبات الباردة ، وبانواع المكسرات الرائعة كالبلح والتين واللوز ، ولهم بشاشة راضية فى استقبال الوافدين لان رمضان فى عرفهم شهر كريم، وقد تحدث بعض المشاجرات الوقتية ، كلما لاحظ المستشرق ـ فيذهبون الى تعليلها بالتمحك فى الصيام ، ولكنهم سرعان مايتذكرون ان الشهر شهر الله ولابد ان تراعى حرمته فيعترف المخطىء بخطئه ويتلمس صفح اخيه ثم يستغفر الحاضرون .

فى بهجة الليل

اما ليل رمضان فرائع ممتع حقا ، اذ مايكاد المؤذن يصدح بتكبيره ، حتى يقبل الصائمون على موائدهم يشربون المرطبات ويتناولون قليلا من البلح او التين وبعض المكسرات المرضوضة ، ثم ينهضون الى صلاة المغرب جماعات ، وهو تقليد فاطمى ظل ممتدا ، حيث كان الخليفة يفطر على الماء المحلى ، ويتناول التمر، ثم ينهض للصلاة ، فاذا انتهوا من الفريضة رجعوا الى الموائد ، وقد امتلات بالغذاء الدسم ، وحمل ما عليها من الشراب والياميش ، فتناولوا فطورهم فى رغبة دافعة ، ولا ينتظرون بعد الطعام قليلا ، بل يذهبون توا الى المساجد لصلاة العشاء والتراويح ، فاذا فرغوا من ذلك نهضوا الى المنازل ، يستقبلون الزائرين ، ويستمعون الى المقرىء ذى الصوت الجميل ، اما الشوارع فتزدان بالمصابيح ، وتجد المحلات متسعا للبيع والشراء تعويضا لما فاتها اثناء النهار ، وفى كل شارع مقهى يغص بشباب الحى وقد اجتمعوا حول شاعر الربابة يقرا سيرة سيف بن ذى يزن او الظاهر بيبرس او عنترة بن شداد .. اما العلماء فانهم يعقدون حلقات الوعظ فى المنازل لدى العلية تارة ، وفى المساجد تارات ، وقل ان ينتهى مجلس الوعظ دون ان تقام حلقة الذكر فيتمايل الذاكرون على صوت المنشد وترنيم الجماعة ، ولايزال المسلمون فى مرح وبهجة تمتلىء بهم الدور والشوارع والمساجد حتى يحين وقت السحور فينصرفوا الى موائدهم مغتبطين

المسحراتى

تابع الاستاذ وليم لين المسحراتى فى جولتيه المتتابعتين ، اذ يمر بالمنازل فى المرة الاولى عقب صلاة العشاء ، فيقف امام كل منزل من منازل الميسورين ، وبيده اليسرى طبلة صغيرة ، وبيده اليمنى سير من الجلد السميك ، فيضرب ثلاث ضربات ، ويقول فى صوت مرتفع ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، ثم يضرب مرة ثانية ويقول اسعد الله لياليك ياسيدى فلان « صاحب المنزل » ويذكر الاولاد الذكور بالاسماء دون الاناث ، ويمدح كل ولد بما يكرره دائما للاسترضاء ، ويفصل بين كل اسم اخ واخيه بضربة الطبلة .. فاذا فرغ من



مهمته حمد الله وصلى على رسـوله ، وانتقل الى منزل اخر ، ليمثل الدور من جديد .

فاذا لم يبق على الامساك غير ساعتين استأنف الجولة الثانية ، وتتبع المنازل جميعها دون ان يخص منازل الخاصـة كالجولة الاولى ، واخذ يضرب الطبـلة وينادى الاسماء ، ليرد عليه صاحب المنزل معلنا انه مستيقظ غير نائم ، وقد يسقط اليه بعض المياسير منديلا يحوى الدراهم او الفواكه فياخذه منشرحا ، ولا يـزال يتعاون صوته مع يده فى ايقاظ النـاس حتى يؤذن الفجر .

ولا ياخذ « المسحراتى » أجره مقدما، بل ينتظر حتى اول ايام العيد ، فيمـر بالمنازل منزلا منزلا ومعه طبلته المعهودة فيوالى الضرب نهارا كعهده بالامس ليلا فيفد اليه الناس بطرائف الالطاف وهدايا العيد فوق المتعارف عليه من أجر الشهر وهو أجر يتراوح بين خمسة قـروش، وثلاثة ! اذ كان للقرش الواحد قيمـة شرائية تقضى الحوائج ، فهو الى غـيره مال وذخر .

الاذان

كان الاذان يتكرر فى ليل رمضان ثلاث مرات من فوق المآذن ، ولكل صوت ميعاده المعلوم ، فالاذان الاول يعرف باذان الابرار ويكون قبل منتصف الليل ، وفيه يقرأ المؤذنون قول الله عز وجل « ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله ، يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ، ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا»

فاذا انتبه النائم من رقاد عـرف ان الاذان الاول هو الذى يردد ، وان الوقت لا يزال متسعا للرقاد والسحور معا ، فينهض اهل المنزل لاعـداد السحور فى غير عجلة .

اما الاذان الثانى فيسمى اذان السلام، ويكون بعد منتصف الليل بنصف ساعة، وهو يدعو الصائمين الى تناول السحور، ولا يخرج فى مجموعه عن صيغ من الصلوات على رسول الله يسوقها المؤذن مترنما، وربما تعاونت جماعة من المؤذنين عـلى الايقاع الجماعى ، فى ترتيب متعارف ، وبكل مئذنة طائفة تنشـد ، فاذا كانت المساجد متقاربة فالافق جميعه انشـاد واذان .

ويجىء اذان الفجر ثالثا وهو الاذان الخاتم الذى يرشد الى الامساك ، وقـد يبكر به المؤذن قليلا لتكون هناك فرصة عاجلة لمن فاته السحور فيزدرد مايمكن ازدراده على تسرع ، ثم ينهض الجمـع الى المساجد ليؤدوا صلاة الفجـــر خاشعين .

احكام فقهية

لم ينس المؤلف انه يكتب كتابه لغير المسلمين ، فاخذ يسرد وفق المناسبات الداعية ماهو معلوم من الدين بالضرورة فى مسائل الصـلاة والصـيام والزكاة والحج ، ومما قاله فى باب الصوم أن الامساك من طلوع الفجر الى غـروب الشمس وان النائم يمتنع عن بلع اللعاب فاذا وقع منه ذلك فقد افطر ، وهـذا خطأ بديهى اذ لايكلف الله نفـسا الا وسعها ●

من تراث

الهلال

قدم "الهلال" على امتداد تسعين عاما زادا عظيما من روائع الفكر والأدب والفن .. وفي باب "من تراث الهلال" نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث..

قبل سبعين عاما كتب العلامة الكبير المرحوم حفني ناصف هذا البحث النفيس الذى يوضح جانبا من تاريخ السيدة مارية القبطية وموطنها قرية « حفن » التى تسمى الآن « الشيخ عبادة » .. ونشر « الهلال » هذا البحث فى نوفمبر ١٩٣٢ بعد وفاة حفني ناصف بثلاثة عشر عاما اذ عثر عليه ابناؤه بين أوراقه القديمة وقد أوشك أن يضيع ، فكان الهلال المجلة الوحيدة التى نشرته ثم تتوقل عنها ..

وفى الاسبوع الماضى زار « الهلال » قرية حفن وما يلاصقها من آثار بلدة « أنصنا » العريقة ، بعد انقضاء سبعين عاما على زيارة حفني ناصف لها ، وسجل الهلال ملامح القرية سنة ١٩٨٢ بعد أن صورها حفني ناصف سنة ١٩١٢ الذى كان حين زارها يبحث عن الاصل اللغوى لاسمه « حفني » فاكتشف أن قرية « حفن » التى ينسب اسمه اليها ، كانت موطن السيدة مارية زوجة النبى صلى الله عليه وسلم .. وفيما يلى مقال المرحوم حفني ناصف ، يعقبه التحقيق الصحفى الجديد الذى نقدمه اليك ..

« الهلال »

مارية القبطية

تحقيق في سيرتها وموطنها

بقلم العلامة الكبير: حفني ناصف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله ومصطفاه ، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .

وبعد ، فهذا بحث ومطلب عزيز ، ساقني اليه نظر في نفسي وتفكر في شخصي ، ودعاني اليه امر لا يعني غيري فحدا بي تسلسل الفكر واطراد النظر الى أن خرجت من مضائق الشخصيات الى باحات الكليات وجاوزت ما يهمني الى ما يهم غيري ، وطرت باجنحة الفكر في الهواء ، وضربت في الارض ، وأرض الله واسعة الفضاء ، حتى اهتديت الى حلقة من العلم كانت مفقودة ، وظفرت بضالة كانت منشودة ، وتذكرت أمر اسحاق نيوتن اذ وقعت عليه تفاحة من شجرة باسقة فألمه لشدة وقعها مع صغر حجمها ، وعجب لثقلها مع خفة وزنها ، فما زال النظر يهبط به ويرفعه، ويعلو به ويضعه ، حتى وصل الى تحقيق أمر الجذب العام، وأخرج الناس مبحثا ناضجا كان من أكبر الوسائط في حل غوامض المباحث الطبيعية وعوائد المطالب الفلكية .

ولا يمنعني من حمد الله بعد ما بين درجتينا ، وسعة الفرق بين مبحثينا، فالله يعطي النعم، على حسب الهمم . وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم .

***

كان الناس ينادونني منذ

نشأتي باسم « حفني » بكسر الحاء ، ولما سافرت الى صعيد مصر راعني من أهله نداؤهم لي بلفظة « حفني » بضم الحاء، ثم لما خالطت اهل الشام رأيتهم ينادونني « حفني » بفتح الحاء، فدعاني ذلك الى العجب من هذا التخالف ، وقلت في نفسي اي الاقوام يا ترى اصح نطقا ، وامتن ضبطا ، ولعل ما عرفته منذ صغري خطأ والصواب غيره، فتناولت القاموس المحيط ازيل هذه الحيرة فلم اجد فيه في مادة « ح ف ن » اسم بلدة يمكن ان يرد نسب اسمي اليها ، وعهدي به يذكر البلاد ، فانتظرت الى ان رأيت كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فاذا فيه : « حفن » بفتح الحاء ناحية من نواحي مصر ، وفي الحديث : « أهدى المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلم مارية من حفن من رستاق انصنا »

ثم وجدت فيه اسم قرية تدعى « حفنا » وقال انها قرية من قرى مصر . فأدركت أن النسبة في اسمي لابد ان تكون لاحد هذين البلدين او لعظيم من احدهما وأن الصواب فتح الحاء كما ينطق اهل الشام ، خلافا لما اعتدت سماعه منذ صغري .

ولم يقف فكري عند هذا الحد بل قلت في نفسي ماذا عسى أن تكون هذه الناحية التي أهدى المقوقس منها مارية الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاني لا اعرف في مصر قرية بهذا الاسم « حفن » واين يا ترى رستاق انصنا الذي منه هذه القرية ؟ ثم راجعت كتاب الاحصاء الرسمي للبلاد المصرية، فلم اجد فيه اسم « حفن » ولا انصنا ، فسبحلت وحوقلت ، وتمثلت بقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها
هطل اجش وبارح ترب

ثم بدا لي أن اراجع كلمة انصنا في معجم ياقوت لعلي اجد لها بيانا شافيا فراجعت الكتاب ورأيت فيه « انصنا » بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة مدينة ازلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل . ونقل عن أبي حنيفة الدينوري أن اللبخ

لا ينبت الا فيها وهو شجر تنشر منه الواح السفن وربما ارعف ناشرها . ويباع اللوح منه بخمسين دينارا او نحوها . واذا شد منها لوح بلوح وطرحا فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا .

قال ياقوت : « قد رأيت انا اللبخ بمصر وهو شجر له ثمر يشبه البلح فى لونه وشكله ويقرب طعمه من طعمه وهو كثير ينبت فى نواحى مصر . وينسب الى انصنا قوم من أهل العلم منهم أبو طاهر الحسين بن احمد ابن حيون الانصناوى مولى خولان، وابو عبد الله الحسين بن احمد بن سليمان بن هاشم الانصناوى المعروف بالطبرى . روى من ابى على هارون بن عبد العزيز الانبارى المعروف بالاوراحى وروى عنه ابو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر الناقد بمصر » .

وكلام ياقوت هذا وان كان مفيدا لم يشف غلتى ولم يذهب بحيرتى ، فراجعت ما طبع من كتاب الانتصار لابن دقماق فرايت فيه ما نصه :

« وانصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمة . وكان بها مقياس صغير يقاس فيه ماء النيل ، وبعضه باق الى الآن . وهى على ضفة النيل الشرقية قبالة الاشمونين»

وقال صاحب الانتصار فى موضع آخر : « ان الاشمونين ذات كيمان عظيمة . وان بانيها اشموم بن مصر ، ونقل عن القبط أن اشموم بنى سردابا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا »

فانشرح صدرى بعد مراجعة كتاب الانتصار، وبرقت أساريرى وقلت لقد كدت اظفر بضالتى فانى أعرف قرية الاشمونين وأعرف أن بها كيمانا واطلالا عظيمة فلابد أن تكون انصنا فى مقابلتها على ضفة النيل الشرقية . ولم البث أن سافرت الى الاشمونين ، ونظرت منها الى النيل فوجدت على الضفة الشرقية اطلالا ممتدة بين قرية دير ابى حنس وقرية الشيخ عبادة ،وتبينت بالنظر ومراجعة المصور الجغرافى صدق مقابلة

هذه الاطلال وقرية الاشمونين .

فلم يبق بعد ذلك شك في ان هذه الاطلال اثر مدينة انصنا الازلية التي ذكرها ياقوت، فعبرت النيل وقضيت نصف نهاري في الدوران حول تلك الاطلال أجوس خلالها ، ورأيت فيها من العمد الضخمة والتماثيل الفخمة ، والانقاض المتنافرة والمساحة الواسعة ، ما يدل على انها كانت مدينة محكمة البنيان مستبحرة العمران .

قال الادريسي : « هذه المدينة هي مدينة السحرة التي جلب منها فرعون كل ساحر عليم لمغالبة موسى عليه السلام » .

وذكر أبو الفداء وغيره ما لا يخرج عن كلام الادريسي .

قال صاحب الخطط التوفيقية « ويغلب على الظن أن السحرة انما جلبوا من مدينة « بيز » التي تقرب من انصنا لان انصنا حديثة العهد فانها بنيت في أيام القيصر ادريان لتكون مركزاً للاقاليم القبلية بدل الاشمونين . وقد قام هذا القيصر من مملكة ايطاليا سنة مائة وثمانين من الميلاد ، وساح في أرض مصر وأقام بمدينة طيبة ، وكان مستصحباً شاباً جميلاً يقال له انتنيويه وكان يحبه حباً شديداً، فقدر الله سبحانه أن غرق هذا الشاب في النيل قريباً من محل هذه المدينة، فحزن عليه القيصر حزناً شديداً وأمر بانشاء مدينة لتكون تذكرة لنديمه هذا ،وأمر بجمع الرومان المتفرقين في جهات القطر واسكنهم فيها مع من جلبه اليها من بلاد الروم على عادة القياصرة قبله ، وجعل لانتنيويه معبداً مقدساً . وكان كل قيصر بعد ادريان يزيد في زخرفتها ، فبقيت فريدة في حسنها الى أن دخلت الديانة العيسوية أرض مصر فالتحقت بمدينة طيبة وكان لها سور عظيم هدمه صلاح الدين وجعل على كل مركب منحدر في النيل حمل صخرة منه الى القاهرة ، فنقل بأسره اليها . وبنى به صلاح الدين ما احدثه من المباني في مدينة القاهرة . وفي الخطط الفرنسية أن صورة انتنيويه مرسومة على اكثر عمد هذه

● أول من اعتنى بقرية «حفن» الصحابى عبادة ابن الصامت كعناية المسلمين بآثار بيت النبى

المدينة ، وانها بنيت فى موضع مدينة « بيز » ولذلك سميت « بيز انثنيويه » . انتهى كلام الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك بتصرف .

وقد اهتم بهذه القرية اجلاء الصحابة والتابعين، فقد اشترط الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية فى ضمن مااشترط ان يعفى هذه القرية « حفن » من الخراج فأعفاها معاوية من الخراج . ولما قدم الى مصر عبادة بن الصامت أيام عمرو بن العاص وتولى بعض الاعمال بها، بحث عن هذه القرية وبنى بها مسجدا يعرف للآن باسم مسجد سيدى عبادة ، وقد تجدد بعد موته . وموضع هذه القرية الآن يعرف باسم « الشيخ عبادة »

وقد زرت هذا المسجد فرايت به ضريحا فى قبة عالية فسألت أهل البلد : « لمن هذا المسجد؟» فقالوا جميعا : « لعبادة بن الصامت » ، فقلت : « ان عبادة بن الصامت رجع الى الحجاز ومات هناك كما هو معروف من التاريخ ، فلمن هذا الضريح ؟ » فقالوا : « له ، لان كثيرا من الاضرحة يبنى باسم عظيم من الاولياء او الصالحين وان لم يكن مدفونا به »

والذى كنت أتعب نفسى فى التنقيب عليه وجدته مشهورا عند أهل هذه القرية فانهم يعرفون ان الاطلال التى بجانبها هى اطلال انصنا وان بلدهم هذا موقع قرية حفن ، ويقولون ان المسجد الذى بناه عبادة بن الصامت فى موضع بيت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم . فانبهرت من معلومات أهل هذه القرية وجهلى انا قبل ان ابحث

هذا البحث ، وقلت لنفسى: أهل البيت أدرى بالذى فيه .

وانى وان لم أجد سندا لمعتقداتهم من كتب المؤرخين فانى لا أستبعد شيئا مما قالوه، فان عبادة بن الصامت وفد الى مصر بلاشك واقام فى الصعيد زمنا كان صاحب الامر والنهى فيه. ومثله من يعتنى كل العناية بآثار بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتجديد ذكرى من ينتسب اليه، فلابد أن يكون اختياره هذا الموضع لبناء المسجد مبنيا على سبب قوى ، وليس « هناك » اقرب من هذا السبب الذى ذكره أهل هذه القرية « الشيخ عبادة »

وقد رغبت الى مصور لاخذ صورة منظر هذه القرية ومنظر النيل أمامها « كما ترى فى الرسم المنشور على صفحة ٧٢»

ذكر ترجمة مارية القبطية وسبب اهدائها الى النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر أصحاب السير انه كان على مصر من قبل الروم حاكم يقال له المقوقس واسمه جريج بن ميناء ، وكان له علم باسرار الكتب الدينية . وقد وفد عليه مرة المغيرة بن شعبة مع رهط من ثقيف ، فسأله المقوقس : « ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد ؟ » فقال المغيرة « ولم يكن أسلم وقتئذ » : « ما تبعه منا رجل واحد » فقال المقوقس : « كيف صنع به قومه ؟ » فقال المغيرة : « اتبعه أحداثهم ولاقاه من خالفه فى مواطن كثيرة » قال : « فالام يدعو ؟ » فقال المغيرة : « الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو الى الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والخمر » قال المقوقس : « ان هذا الذى تصفون منه نعت الانبياء »

وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتابا الى المقوقس فى عام الحديبية مع حاطب بن بلتعة اللخمى وكان مع جبر مولى أبى رهم الغفارى ، فسارا الى أن وصلا مصر وسألا عن المقوقس فقيل انه فى الاسكندرية، فسافر اليها حاطب وطلب مقابلة المقوقس فلم يتمكن من الوصول اليه لكثرة الحجاب فاستأجر

سفينة وسار بها في البحر الى ان حاذى مجلس المقوقس وكان في موضع مشرف على البحر واشار بالكتاب الذى معه، فامر المقوقس باحضاره ، فلما حضر ناوله الكتاب ففض ختامه المقوقس فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم القبط . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

فاستدعى المقوقس حقا من عاج ووضع فيه الكتاب ودفعه لجارية له ، ثم قال الحاطب : « ما منعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه واخرجه من بلده الى غيرها ؟ » فقال له حاطب : « ألست تشهد ان عيسى بن مريم رسول الله ، فما له حين أخذه قومه فارادوا أن يقتلوه الا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى؟ » ثم قال حاطب : « انه كان قبلك رجل - تقصد فرعون - يزعم أنه الرب الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك . ان هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود واقربهم منه مودة النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فالحق عليهم ان يطيعوه ، فانت من ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به »

فقال المقوقس : « أحسنت . انت حكيم جاء من حكيم » ثم طلب من حاطب أن يصف محمدا له فوصف له واوجز فقال المقوقس : « افي عينيه حمرة؟ » قال حاطب : « ما تفارقه » فقال المقوقس : « أوبين كتفيه خاتم ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزىء بالتمرات والكسر ،

لا يبالى من لاقى من عم أو ابن عم ؟» قال حاطب : « هـذه صفته » فقال المقوقس : « قد كنت اعلم ان نبيا قد بقى، وكنت اظن انه يخرج من الشام وهناك كان مخرج الانبياء ، فاراه قـد خرج من أرض العرب فى أرض جهد وبؤس. والقبط لا تطاوعنى على اتباعه ، وانا اضـن بملكى ان افارقه » ثم قال المقوقس : « انا لا احب أن يعلم بمحاورتى اياك احد من القبط ، فارحـل من عندى ولا يسمع منك القبط حرفا واحدا » ثم دعا بكاتبه ، فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك ،اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليـه . وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت اظن انـه يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان مـن القبط عظيم ، وبثياب وبغلة لتركبها . والسلام عليك »

ولم يقتصر المقوقس فى هديته

● قرية "حفن" ماهى صلتها باسمى ؟

● السيدة مارية القبطية نشأت فى "قريتى" !

على ما ذكره فى الكتاب ، بل زاد عنه كما ترى فى البيان الآتى :

اصناف الهدية

١ ـ مارية بنت شـمعون ، وكانت امها رومية

٢ ـ وجارية اخرى يقال لها سيرين ، ولكنها أقل جمالا من مارية

٣ ـ وجارية اخرى يقال لها قيسر

٤ ـ وجارية سوداء يقال لها بريرة

٥ ـ وغلام اسود يقال له هابو

٦ ـ وبغلة شهباء، وهى التى سميت بدلدل

٧ ـ وفرس مسرج ملجم وهو الذى سمى بمسمون

٨ ـ وحمار أشهب وهو الذى سمى بيعفور

٩ ـ ومربعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهـــن ومقص وسواك

١٠ ـ وجانب من عسل بنها. وقد اعجب النبي به ودعا لبنها بالبركة

١١ ـ والف مثقال من الذهب

١٢ ـ وعشرون ثوبا من قباطى مصر

١٣ ـ وجانب من العـــود والند والمسك

١٤ ـ وقدح من قوارير

***

قال حاطب : « فرحلت من عند المقوقس . ومعى حرس من الجند الى ان بلغت أرض جزيرة العرب ، فوجدت قافلة من الشام تريد المدينة فارتفقت بها وأرحت الجند .

ولما وصل حاطب الى المدينة سلم الهدية وكان من ضـــمنها طبيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع الى أهلك. نحن قوم لا ناكل حتى نجـــوع واذا اكلنا لا نشبع »

واهدى النبي احدى الجاريتين لحسان بن ثابت والاخرى لابى جهم بن حذيفة العدوى ، وابقى لنفسه مارية. وكان النبي « ص » يحبها كثيرا . وكانت عائشـــه وحفصة من زوجاته تغاران منها وتتكلمان فيما بينهما فيها .

وكان النبي صلى الله عليـــه وسلم يقسم أيامه بين زوجاتـــه وسراريه . ففى يوم حفصــــة استاذنته فى زيارة أبيها ، فلما خرجت دعا مارية لتجلس معه. ولما رجعت حفصة علمت أن مارية عنده فامتنعت عن الدخول الى أن خرجت ثم دخلت الى بيتها وعاتبت النبي فى ذلك ، فأخذ يسترضيها وهى لا ترضي ومـــا زالت به حتى حرم على نفســـه مارية ارضاء لحفصة وعائشة . ففرحت حفصة واخبرت عائشة بالامر ، فقالت عائشة : « قـــد اراحنا الله منها » فنزلت سورة التحريم :

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضاة ازواجـــك والله غفور رحيم . قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم » ومنها « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظـــاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ،عسى ربه ان طلقكن

أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنـــات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ».

فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وأرجع مارية الى ما كانت عليه .

وقد أسلمت مارية قبل أن تصل الى المدينة ، هي وسيرين بدعوة حاطب بن بلتعة .

وكانت مارية جميلة وبيضـــاء لان أمها رومية ولانها من ســلالة الروم الذين اسكنهم أدريان مدينة انصنا . وكانت جعدة . وقد ولدت من النبي ولده ابراهيم في السنة الثامنة من الهجرة . ومات ابراهيم وعمره ثمانية عشر شهرا . وعاشت بعد النبي الى أن ماتت في خلافة عمر بن الخطاب فصلى عليها ودفنت بالبقيع ، وقبرها معروف هناك . وكانت وفاتها في السنة السادسة عشرة .

وترى على صفحة ٧٢ من هـذا الجزء صورة الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وســلم الى المقــوقس مع حاطب بن بلتعـة منقولة عن نسخة محفـوظة بدار الآثار في الاستانة . قيل انه عثر عليها عالم فرنسي في دير بمصر قرب اخميم في زمن سعيد باشـا والي مصر .

خاتمة

لم يكـن الرق عنـــد المصريين والرومانيين مقيدا بالقيود الضيقة التي قررتها الشريعة الاسلامية ، بل كل أمر الاسترقاق واســع النطاق ، فكما يحصل بالاسر في الحرب كان يحصــــل بالاختطاف وبتقريره من الحكـــومة على غير الاشراف وبعجــز المدين عن وفاء الدين وبسـلطة الملوك على الرعايا بقيود .

وكانت مارية وسيرين وقيسر وبريرة من هذا القبيـــل ولم تكن الشريعة الاسلامية في وقت اهدائهن تمنع من تملك مثلهن باليمين .

وكما أهدى الى محمد جارية من مصر أهدى لجده ابراهيم جارية منها وهي هاجر أم اسماعيل فيحق لنا نحن المصريين أن نفخر بمصاهرة هذين الرسولين الكريمين وندل باتصالنا بمقاميهما الرفيعين وصلى الله على ســيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

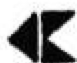
***

وقد كتبت هذه العجالة في يوم الاثنين ١٣ ربيع الثـــاني سـنة ١٣٣٠ بلا تسويد ، فمن وجد فيها عيبا فليصلحه ، والعصـمة لله وحده ●

قرية الشيخ عبادة كما كانت سنة ١٩١٢ التقط الصورة احد اصدقاء حفني ناصف



● زيارة لقرية السيدة مارية القبطية



قرية الشيخ عبادة ... أو قرية



القرية التاريخية الشيخ عبادة تطل على شرق نهر النيل .

والآن .. بعد أن فرغت من المقال القديم للعلامة المحقق المرحوم حفني ناصف تعال نطل على قريته «مارية القبطية» أو قرية «الشيخ عبادة» كما تسمى في ثوبها الحديث عام ١٩٨٢ .

● كيف تبدو اليوم ؟ وماذا فعل بها الزمن ؟

● بعد ست ساعات بسيارة حديثة وصلت «ملوى» وقضيت بعض الوقت أستمع الى شباب المدينة عن تاريخ هذه المنطقة القديمة ، منطقة ملوى غرب النيل ، والمنطقة المواجهة لها شرق النهر ، أمام «الاشمونين» البلدة المصرية ذات الشهرة العالمية بآثارها القديمة ..

● تتوسط «قرية

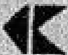
مارية القبطية في صعيد مصر

بقلم: حمدى لطفى
عدسة : باسم عبد اللطيف

● مع شروق الشمس عدت الى المنيا بسيارة أخرى خمسة كيلو مترات حتى بلدة الروضة ، وقطعت فى عمقها ثلاثة كيلو مترات جديدة فبلغت الضفة الغربية لنهر النيل ثم عبرته فوق قارب شراعى الى الضفة الشرقية حيث تنساب فوقها « قرية الشيخ عبادة ، كشريط ساحلى أخضر بلا عمق لكننى اكتشفت بعد ساعات ، عمقا هائلا للقرية يزيد على خمسة آلاف فدان صحراء جرداء تملكها هيئة الآثار ويقوم بحراستها عشرة من أبناء القرية ، ومحظور الاقتراب منها أو استصلاحها أو زراعتها ! .. فهى أرض أثرية ! ..

● فوق هذه المساحة الكبيرة من أرض الآثار ، شهدت منزل مارية القبطية رضى الله عنها ، ومعبد رمسيس ، وآثارا فرعونية ورومانية وقبطية قديمة ، ووقفت أمامها مشدوها وعقل يعود بى الى

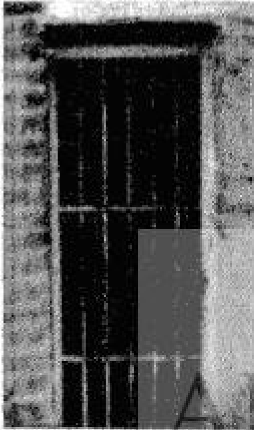
الشيخ عبادة ، بالبر الشرقى لنهر النيل قريتى دير ابو حنس ، والبرشا ، وفى اقصى اليمين تقع قرية تل العمارنة ،وهذه القرى الاربع عاشت كولايات مستقلة ايام الفراعنة حتى عهد « اخناتون » .. ولذلك اختارت محافظة المنيا « اخناتون » شعارا لها ..



الوراء ، الى القـــرون الاولى من تاريخنا .

استـقبلنى فوق البر الشرقى لنهر النيل ، أو الشريط الاخضر الساحلى ، الذى يحمل اسم «قرية الشـيخ عبـادة » المحاسب رأفت فوزى ابن شقيق العمدة نيابة عن عمه الغائب عن القرية ، والحاج صلاح حسن شيخ البلدة ، وأحمد مرعى خريج الآداب قسم التاريخ ومن أبناء الأسرة ، والحارسـان حمودة وفارس من خفر الآثار ، والحاج حمدى منصى أول من انشأ المطحن الكهربائى فى قرية «الشيخ عبادة » والشيخ صابر « مراكبى ٧٠ سنة » وكان حديثـا طـويلا بيننا حتى غـروب الشمس ونحن ندور فى أنحاء القرية الضـاربة بتاريخها العريق فى الزمن .

خلال هـذه المجمـوعة مـن الرجال المتميـزين بالاصـالة الريفية الرائدة ، انضـم اليهم المهندس جاد كامل مهندس زراعى يعمل بمشروع مكافحة البلهارسيا ، والطبيب البيطرى فوزى جـرجس بالمنطقة ،استمعت الى قصة الشيخ عبادة ، والقـرى المحيط بها عن يمينى ويسارى وفى المواجهة حيث غرب النيل العظيم ..



الباب الحديدى لحجرة « مارية القبطيـة »

هـذه القرى كلهـا كانت فى الماضى البعيد منطقة موحـدة ذات ولايات متعددة وتحمل فى العصر

● لماذا أقام محمد على باشا معملاً للبارود بالمترية ؟!



ما بقى من بيت «المارية القبطية» حراس الآثار وبينهم حمدى لطفى

الفرعونى اسم « صفن » بالصاد حرفها كتاب التاريخ فى بداية القرن الحالى الى اسم « حفن » بالحاء ، وفى العصر الرومانى واطلق عليها « انطونيو بوليس » أعاد الامبراطور هادريال عام ٣٠ ميلادية بناءها و « بوليس » فى اللغة الرومانية تعنى مدينة ، فهى اذن مدينة انطونيو ، وقد أقام

الرومان طريقا يربط بين المنطقة والبحر الاحمر ، ردمته السنين والايام ،وهذا الطريق يمر بسفاجة والقصير من مدن البحر الاحمر الشهيرة ، وفى السنوات الماضية صمم بعض شباب القرية على ازالة الرمال الصخرية المتراكمة والمتكدسة فوق الطريق حتى وصلوا الى سطحه فاذا به طريقا

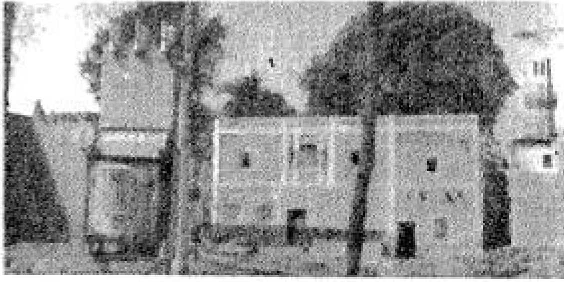
قرية
مارية القبطية
في صعيد مصر

من الاسفلت الناعم الاشبه بالحرير ثم جاء العصر البيزنطي فأطلقوا على المنطقة اسم « انصنا » بكسر النون وتسكين الصاد ، وفي هذه المرحلة من التاريخ أقيمت الكنائس العديدة في قرى الشيخ عبادة ، ودير أبو حنس ، ودير البرشا ، ونزلة البرشا وتل العمارنة ، وتونة الجبل ، وقد خصصت القرية الاخيرة لمقابر الموتى ، وتل الاشمونين غرب النيل ، وتل العمارنة تحمل القريتان حتى اليوم آثارا فرعونية وقبطية قديمة

● وفي الاشمونين اطلال كنيسة من العصر الروماني بقيت حتى الآن وكانت تحمل اسم « البازليكا » ، كما أقام الفراعنة بين قرية الشيخ عبادة شرق النهر والاشمونين غربه ، نفقا لم يستخدم منذ آلاف السنين ، ونفقا آخر بين دير أبو حنس بالبر الشرقي والاشمونين أيضا ..

● وقد وعد قدامى رجال الآثار الذين يتولون مهامهم الرسمية على مستوى محافظة المنيا ، ومراكزها وقراها بالحصول على الاعتمادات المالية اللازمة لازالة الردم الكثيف عن النفقين .. ولكن أحدا منهم لم يفلح في تحقيق هذا الحلم رغم مرور ما يقرب من نصف قرن على صدور هذه التصريحات !!

ولما انتشر الاسلام بالمنطقة بأكملها ، أقام .. « السلطان عبادة الصامت » كما يسمونه الآن وهو أحد صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء الى مصر مع عمرو بن العاص عند تحرير مصر من الاستعمار الروماني .. فعرفت القرية باسم « السلطان عبادة » ومع مرور الاعوام وايمان الجماهير المصرية بأن كل من دفن تحت قبة مرتفعة فوق الارض هو بالضرورة أحد المشايخ أو الاولياء الصالحين أصبحت القرية معروفة



ابراج الكهرباء اخترقت القرية

باسم الشيخ عبادة .. وهو نفسه الصحابى الجليل عبادة بن الصامت أحد فرسان جيش عمرو بن العاص الذى حرر مصر من الروم.

قال لى الحارس «حمودة مرسى» أحد خفراء هيئة الآثار المصرية ، وقد عرف بين أبناء القرية بادمانه المستمر على قراءة الكتب القديمة وكتب التاريخ ، ونحن نتجول فى أنحاء الشيخ عبادة :

ـ هذه المنطقة بكنوزها الاثرية التاريخية جذبت علماء ايطاليا منذ الثلاثينات ، حتى انهم شيدوا منذ ربع قرن مضى بيتا ريفيا بالاسلوب الحديث لسكناهم يتوسط مقدمة أرض الآثار فى عمق الشيخ عبادة، سأقودك اليه ، وقد أخذ علماء الآثار الايطاليون يعملون سنويا فى قريتنا منذ عام ١٩٣٦ ، ويقضون فى كل صيف عدة أشهر بيننا بالقرية ، وهم يمثلون جامعة روما وجامعة فلورنسا برئاسة عالم الآثار الايطالى الشهير دكتور دولونى ، ومعه طالبات وطلبة من دول اوروبية مختلفة غير ايطاليا ، وفى العام الماضى انضم اليهم عالم كهل يحمل اسم الدكتور مانفريدى وقد أصبحوا يدخنون المعسل ، مثلنا ويتحدثون لهجتنا !

●● وقال انهم قادمون الى القرية كما ارسلوا اليه أخيرا فى بداية شهر سبتمبر القادم ،وذكر أيضا انه سمع من ابيه بأن العلماء الايطاليون كانوا يبحثون عن قدامى المسنين من أبناء القرية خلال « الثلاثينات » ليستمعوا منهم عن « مارية القبطية » احدى بنات المنطقة وكانت تسكن هنا حيث قرية الشيخ عبادة ، وقد أهداها « المقوقس » الى سيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فتزوجها وانجبت له ابنه «ابراهيم عليه السلام وقد مات ابراهيم طفلا صغيرا » .

قرية
مارية القبطية
في صعيد مصر

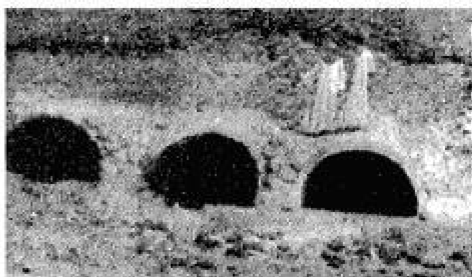
●● لقد اهتم الخديو اسماعيل ابن ابراهيم باشا - بمنزل مارية رضي الله عنها ، وهو أول من اصدر الاوامر باحاطة أطلال البيت القديم بسور من الحجارة ،ولكنهم لم يضعوا له السقف ، فمسحت الامطار اللوحات المرسومة فوق حوائط البيت الصغير .

ثم تنبهت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٣٨ للخطر فأقامت سقفا من الاسمنت فوق الحجرة وسورا من الاسمنت أيضا حولها ،وأغلقتها بباب حديدي وقفل ضخم ،فمنعت تتحامها ..

● ولقد قادني « الحارس حمودة » ومعنا بعض أبناء الشيخ عبادة الى نهاية المنطقة الاثرية على مسافة أربعة كيلو مترات من الشريط الساحلي الاخضر - حيث كانت حجرة السيدة مارية كما يقال فالتقطنا لها بعض الصور من الخارج وأخبرني « حمودة » بأن مفتاح القفل يحمله رئيس فرع الآثار بمحافظة المنيا ، وأن دخول الحجرة ليس بالسهل على الاطلاق حتى بالنسبة لمشاهير الزوار الاجانب الذين يمدون شتاء الى القرية من أجل هذاالاثر التاريخي!

● وصعد بي الرجال الى سطح الحجرة ، وبالسطح فتحتان تتخللها الاعمدة الحديدية ، واستطعت أن أنظر الى الداخل فرأيت بعض الرسومات الملونة التي تشبه الازهار أو الاواني القديمة ، على ضوء الشمس التي تسللت الى الحجرة من خلال الاعمدة الحديدية ، وفي الشتاء يحرص الخفراء على تغطيتها بالاحجار الكبيرة منعا لتسرب الامطار الى الاثر التاريخي الكبير .

في طريق العودة شاهدت بقية أعمدة معبد رمسيس الثاني والرسومات أو الكتابات الفرعونية واضحة فوق الاعمدة الضخمة المتهدمة ، كما شاهدت عددا ليس بقليل من الآبار الرومانية القديمة وحماما يطلق عليه حمام الملك ، شيده الرومان طبعا وألحقوا به



آثار رومانية قديمة بالقرية

مسجد السلطان عبادة بن الصامت وارتفعت فوقه المئذنتان القديمة والجديدة

قرية
مارية القبطية
في صعيد مصر

مخزنا للماء ، ورأيت بقايا معمل للبـارود أقيم في عهد محمد علي باشا والى مصر الشـهير ، حين حاول انشـاء الجيش المصرى الحديث بالخبراء الفرنسيين ٠

● سألت الشيخ صلاح ـ شيخ البلدة ٠٠ هل تعـرف لماذا أقام محمد علي باشا معمل البارود هنا في هذه القرية ؟

● وقال لى الرجل الذى يبلغ الستين من عمره :

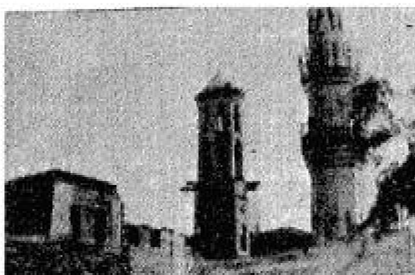
ـ سمعنا عن اجدادنا انه كان فخورا بتسويرمنزل مارية القبطية وقد كلف بعض رجاله بالبحث عن المنزل حتى اهتـدوا اليه ، كما سمعنا انه كان يعتز كثيرا بسيرة السلطان عبادة بن الصـامت الذى عاش بالقرية وجعلها مقرا لحكمه، وأوصى بأن يدفن بها ٠٠

● وانبرى صبى في الثـانية عشرة من عمره قائلا :

ـ نحن ندرس تاريخ القـائد الاسلامى عبادة بن الصـامت ، بالمرحلة الاعدادية ، وكلنا نفخر بأن قريتنا تنتسب اليه ٠

● وقال لى المحاسـب رافت فوزى ٠ ان الخديو اسـماعيل هو الذى قام بتجديد مسجد عبادة بن الصـامت ، وأقام مئذنة حديثة بجانب المئذنة القديمة المتصـدعة ولكنها لم تسقط حتى اليوم ، ولم يجرؤ أحد على هدمها ٠

● وقال الطالب الجامعى أحمد مرعى أن الدكتور يحيى شـاهين رئيس جامعة المنيا حاليا وهو من ابناء القرية حدثهم عن تاريخهـا طويلا ، وروى لهم الكثير عن اسرار المدينة القديمة ، كان حولها سور ينتمى للقرن الثالث الميـلادى ، وسور آخر للقرن السادس عنـد الفتح الاسـلامى ، وان سـكان القـرية التى كانت تحمل اسـم « انصنا » ، قد أصبح بعضـهم من « اولياء الله » أصحاب « المزارات، ومن بين أحفادهم الشيخ الغريب والشيخ العراقى والشيخ أبو النور



وكلهم جميعا من قدامى الاولياء الصالحين ، أصحاب المقامات البسيطة الصغيرة المتناثرة فى القرية وحولها ..

● وتركت الشريط الساحلى الاخضر المطل على شرق النيل أمام الاشمونين ، وعشرات التوصيات تنهال على أذنى من أبناء الشيخ عبادة .

● لقد شيدنا مسجدا جديدا بجهودنا الذاتية ونحن بحاجة الى مكتبة اسلامية ، نرجو أن تمدنا بها وزارة الثقافة أو وزارة الاوقاف .

● ان قريتنا فى حاجة الى مشاريع سياحية ضخمة ، تتفق وحجم زوارها من السياح الاجانب الذين يأتون الى الشيخ عبادة ، ويضطرون الى مغادرتها قبل غروب الشمس !

● لماذا لا تقيم وزارة السياحة فندقا لهؤلاء الذين يأتون الينا من انحاء الدنيا ومركزا سياحيا يستقبل هؤلاء الزوار ؟!

● والى متى ستبقى هيئة الآثار فى عزلة عن قريتنا ؟ التى قال عنها الايطاليون من علماء التاريخ القديم انها أحد كنوز الشرق الاوسط !

● نريد مركزا رياضيا لرعاية الشباب فى قريتنا .

● نريد مستشفا صغيرا يواجه المفاجآت الصحية التى يصاب بها بعض السياح الاجانب

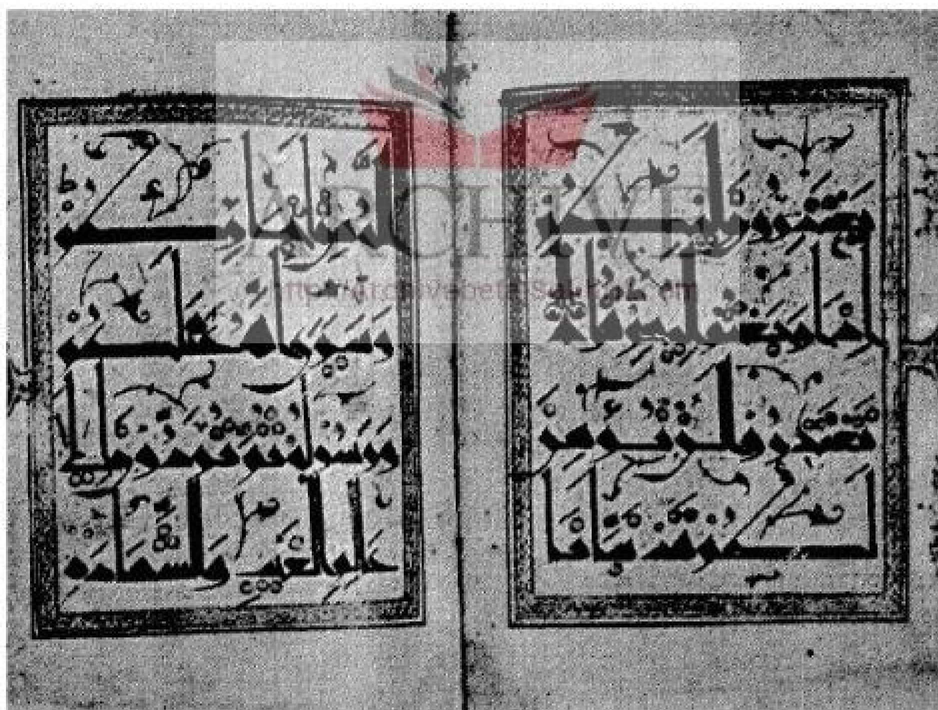
● نريد مدرسة اعدادية تحمل اسم عبادة بن الصامت .

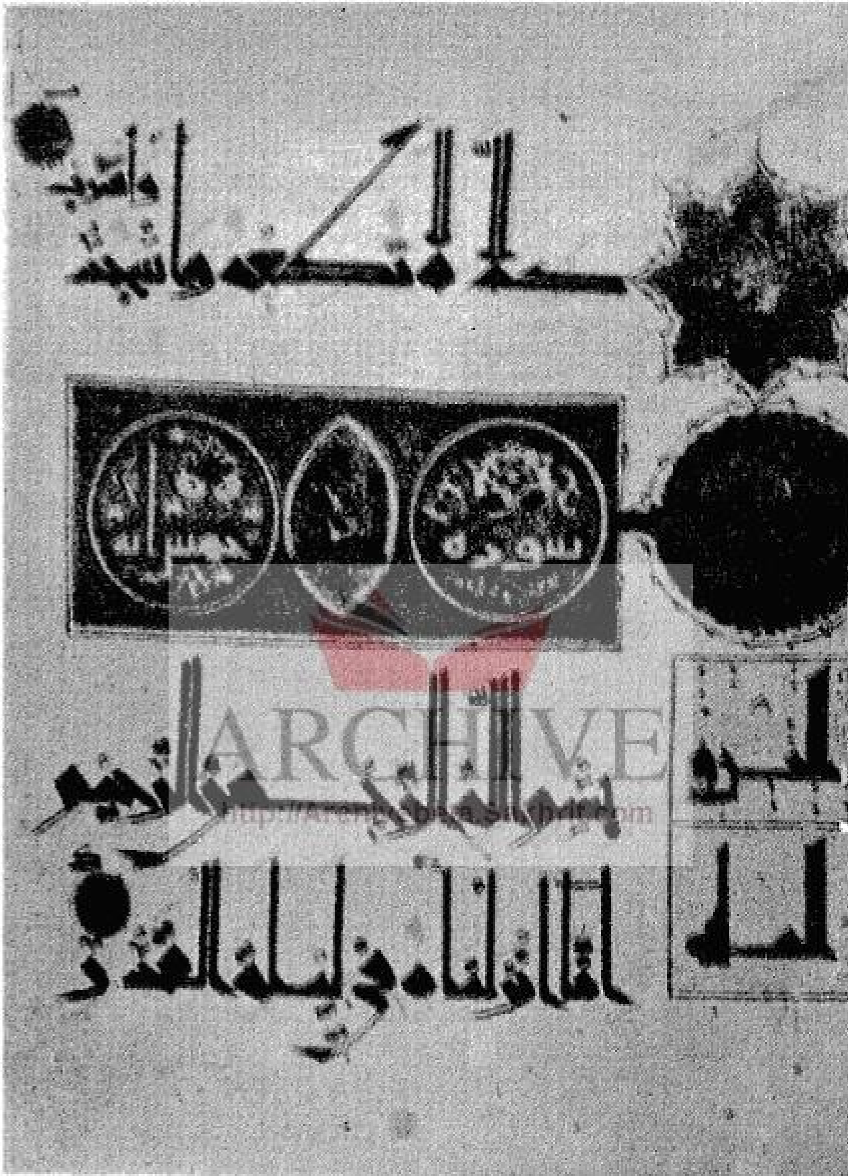
● لقد أقاموا مزرعة سمكية بالقرية ،وجاءوا بماكينة كهربائية كمحطة مياه صغيرة ، ولكنها تجمدت او توقف العمل بها فجأة .. لماذا ؟ والى متى تترك الحكومة هذه القرى التى تمثل علامات بارزة فوق تاريخ مصر تنعى حالها وكأنها لم تتبدل منذ كان الفراعنة يستخدمونها لنفى المغضوب عليهم !! ●

فن المخطوطات العربية

بقلم: جمال الغيطاني

● تراث فني رائع ذلك الذي تكونه المخطوطات العربية ، لا تخلو مكتبة عالمية منها ، في مكتبة المتحف البريطاني ثروة من المخطوطات . في المكتبة الوطنية بباريس ، في نيويورك ، في متحف الارميتاج بلينينجراد ، في بودابست ، الاف المخطوطات عرفت ، والاف اخرى لاتزال تائهة في مكتبات المساجد النائية ، والبيوت القديمة ، ان محتويات هذه المخطوطات هو المعرفة الانسانية بشتى فروعها ، لكن ما يعنينا الشكل، كيف كانت تعد ، وتكتب ، وتنمنم ؟




بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر

فن المخطوطات العربيّة

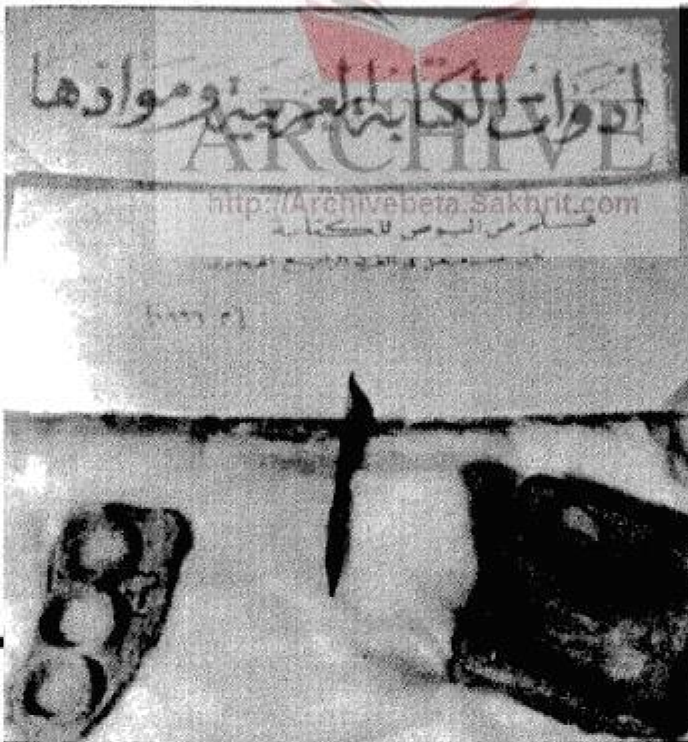
تفاصيل ذلك مثيرة وطريفة الان ، وتعكس قدرة الفنانين العرب ، وقدرتهم أيضا .

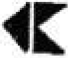
الحبر

يقول احمد بن يوسف الكاتب :

« .. كان ياتينا رجل في ايام خمارويه بمداد لم ار انعم منه ، ولا أشد سوادا منه فسألته من أي شيء استخرجته ؟ فكتم عني ذلك ، ثم تلطفت به فقال لي : من دهن الفجل والكتان . اصنع دهن ذلك في مسارج واوقدها ثم اجعل عليها طاسا حتى اذا نفد الدهن رفعت الطاس وجمعت مافيها بماء الآس والصمغ العربي وانما جمعه بماء الآس ، ليكون سواده مائلا الى الخضرة ، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير .. »

غير ان هنالك طرقا عديدة اخرى كان الفنانون العرب القدامى يستخرجون الحبر بواسطتها ، كان اجود المداد مايتخذ من النفط ، وهناك وصفة اخرى يذكرها فنان الخط الكبير ، الوزير بن مقلة : تتلخص في ان يؤخذ ثلاثة ارطال ثم ينخل وينقى ثم يلقى في وعاء ، ويصب عليه من الماء ثلاثة ارطال ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة عشر درهما ، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ، ثم يوضع فوق نار هادئة حتى يسخن ويغلظ قوامه يصبح مثل الطين ، ثم يترك في اناء ويرفع الى وقت الحاجة ، وقد يوضع عليه بعض الكافور لتطييب رائحته ، وبعض الصبر ليمنع تساقط الذباب فيه ، وهنالك نوع اخر من الحبر كان يصنع من نبات العفص الشامي ، وينقع في ماء ، ثم يغلى ، ثم يصفى ، ويضاف اليه الصمغ العربي ، ثم يضاف اليه الدخان « الهباب » ليغمق لونه .





كانت هـذه الانواع من الحبر تستخدم لكتابة الخط ، اى نص المخطوط نفسـه ، اما الافتتاحيات ، اى بدايات الفصـول ، والابواب ، واحيانا السطور ، فقد كان لها شان اخر .

ذهب ولازورد

كانت الافتتاحيات تكتب بماء الذهب ، وذلك بان يحل ورق الذهب حيث يوضع مع شراب الليمون الصافي النقي ويذاب جيدا في اناء مصنوع من البورسلين ، ويترك لمدة ساعة حتى يرسب الذهب ، ويصفى الماء منه ، ويضاف اليه قدر قليل جدا من ماء الصمغ المحلول ، ثم يصبح بعد ذلك صالحا للكتابة .

اما النوع الثاني من الحبر الخـاص بالافتتاحيات ، فهو اللازورد ، وكان ينقسم الى انواع منها المعدني، والزنجفر الفرسي ، والمغرة العراقية . والنوع الاخير كان مخصصا لكتابة نفائس الكتب .

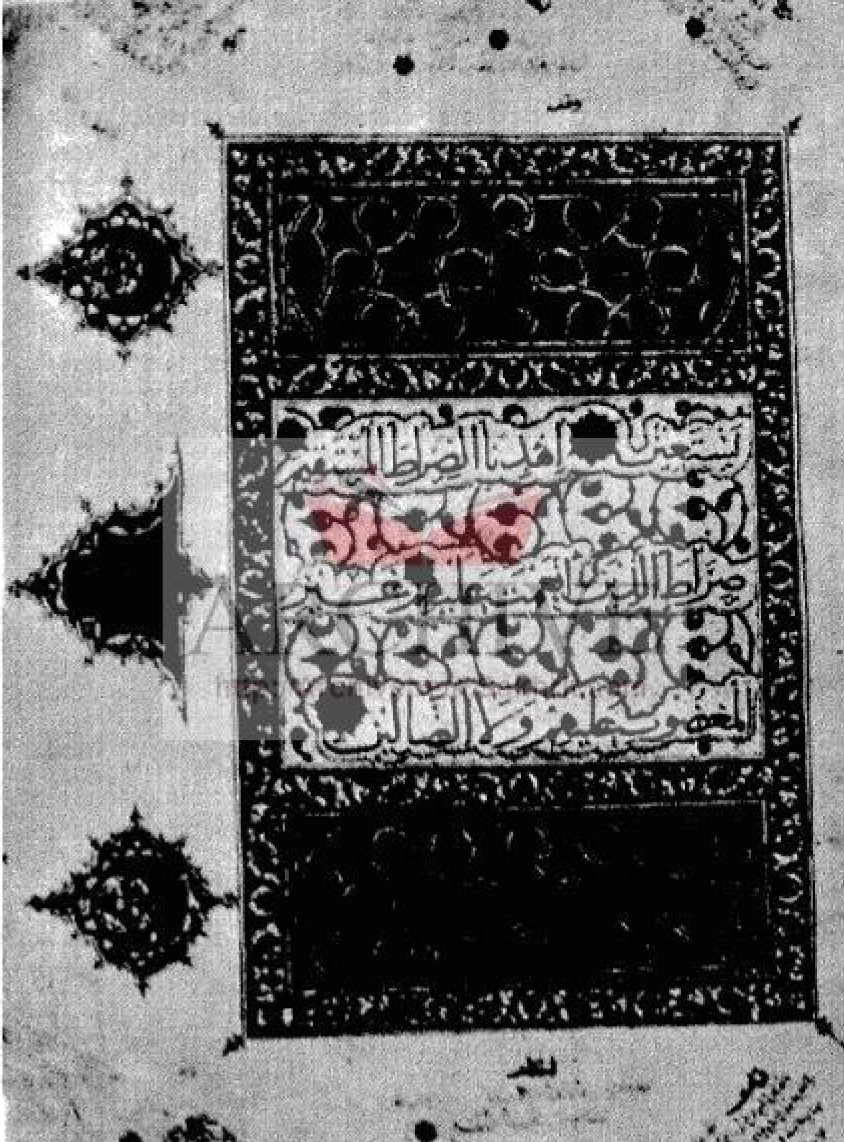
ادوات الكتابة

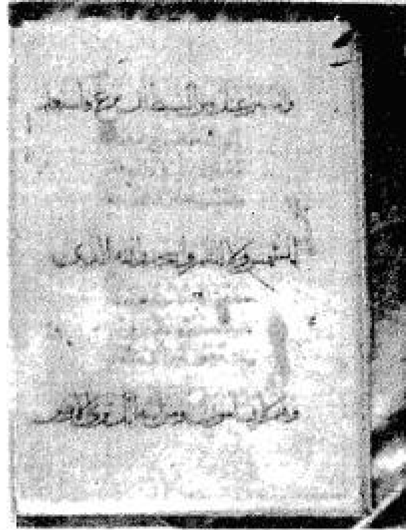
بالطبع اول ما يطالعنا ، الدواة التي يوضع فيها الحبر . اما الاداة التي كانت تحرك الحبر ، فاسمها « الملواق » ، وكان يفضل صنعها من الابنوس حتى لا يتغير لون المداد ، ثم تجد « المرملة » وهي التي كانت تقوم مقام النشافة الان ، وكانت تنقسم الى قسمين ، الاول وهو الظرف الذي يوضع فيه الرمل ، وغالبا ما تكون من نفس المادة التي تصنـع منها الدواة ، وتزود « المرملة » بفوهة ضيقة لتنزل الرمل منها بقدر محدد ، وكان الوزراء والامراء يتخذون « مرملة » كبيرة تقارب حجم حبة جوز الهند ، لها عنق في اعلاها .

اما الرمل نفســه ، فقد كان الكتاب



فن المخطوطات العربيّة





يفضلون الرمل الاحمر ، لانه كان يضفي على الحبر الاسود لمعانا انيقا ، وفي مصر كان جبل المقطم القريب من القاهرة مصدر هام من مصادر الرمل الاحمر ، وكان هناك نوع اخر اشد صلابة ياتي من الواحات ، ويتخذ منه الكتاب حجارة تسوى بالسكين ، اما النوع الثالث فكان ياتي من البحر الاحمر ، والنوع الاخير رمل دقيق اصفر اللون قريب من لون الزعفران ، وكان نادرا .

اللصاق

للصق الورق ، كان يستخدم النشــا ، ولاعداده كان يطبخ على النار ، ثم يوضع في النشاة ، وكان يضـــاف اليـه ماء الورد والكافور لتطييب رائحته .

ولخرم الورق كانت تستخدم آلة تسمى «المثقب» وتشبه المخرز ، واشترط لاستعمالها ان يكون الورق المراد تخريمه متساويا في الدقة والغلظ اعلاه واسفله بسواء ، حتى لاتختلف الثقوب من حيث الضيق والسعة . وكان كتاب الدواوين اكثر الناس استخداما لهذه الالة .

ولكي يحكم الخطاط وضع صفحات الكتاب ويمنعهـــا من الانزلاق اثنــاء الكتابة كان يستخدم آلة تسمى الملزمة ، وهي عبارة عن خشبتين تتوسطهما قطعة حديدية ، تمسك بقمة الصفحة ، وكانت توضع تحت الاقلام اثناء الكتابة « الفرشة » ، وتتخذ من خرق الكتان ، او الصوف ، وذلك حتى لايرشح الحبر من القلم ، اما « الممسحة » فتتكون من خرق متراكبة ذات وجهين من صوف او حرير ويمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد ، كان شكل هذه الاداة مســـتديرا ، مخرومة من وسطها .

وقد حفظت لنا كتب الادب ابيات شعر فيها ، يقول القاضي الفاضل :

ممسحة نهارها
يجن ليل الظلم
كأنها مذ خلقت
منديل كم القلم

ويقول نور الدين علي بن سعيد المغربي :

وممسحة لاحت كالق تبددت
به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها ورونه
حكته ومدت للصباح الطالع

وكانت « السلاة » تستخدم للصب في الدواة ، وكان الحبر اذا فرغ من الدواة فان الخطاطين يضعون فيها ماء الورد لتطييب رائحتها ، ونلاحظ من خلال هذه الادوات الى اي وجه وصل تحضر هؤلاء الفنانين ورهافة احســاسهم ، والذين كانوا يعملون في عصور لم تصنع فيها ادوات الكتابة الحديثة التي سهلت لنا الكثير من الامور .

اما « المسطرة » فكانت تصنع من الخشب ، مستقيمة الجنبين ، يسطر عليها مايحتـاج الى تسطيره من الكتابة ، وكان الخطاطون يحتاجون اليها عند الكتابة بالذهب ، واذا فرغوا من ذلك فانهم يستخدمون «المصقلة» والتي كان يصقل بها الذهب بعد الكتابة ●

الزائر الخالد

فى مغامرته على الارض

قصيدة سينمائية للمخرج : ستيفن سبيلبرج

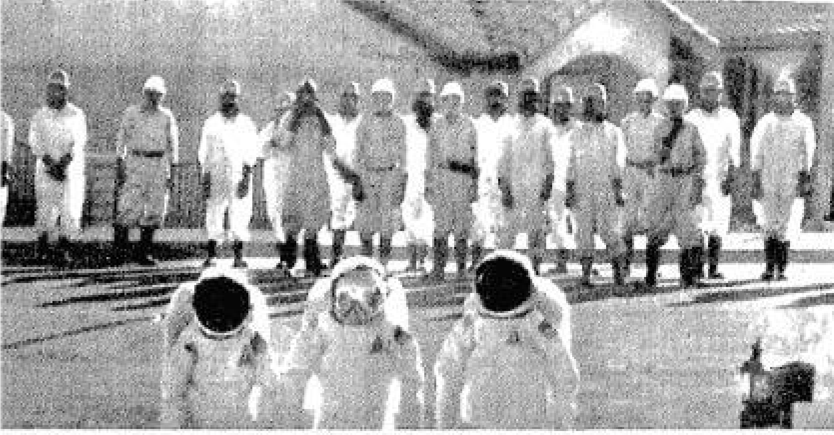
بقلم : عبد النور خليل

■ نسى رواد مهرجان كان السينمائى الدولى الاخير كل شىء عن جوائزه التى كان من المفروض ان توزعها لجنة التحكيم بعد ساعات ، وشغلهم الحديث عن فيلم ستيفن سبيلبرج الاخير الذى كان فيلم الختام فى اليوم الاخير فى المهرجان .. وعلى الرغم انه عرض فى الثامنة والنصف صباحا بقاعة قصر المهرجان ، الا ان القاعة لم يكن فيها مكان لقدم ، وافترش الكثيرون الارض جلوسا بين صفوف المقاعد وفى الممرات .. لماذا ؟ ! .. اولا بسبب ستيفن سبيلبرج صاحب الشهرة الكبيرة كمخرج للافلام الخيالية العلمية ، التى تستند على اساس من خيال علمى يمكن ان يجعل العقل البشرى مقتنعا بها متقبلا لها فى شغف .. وقائمة افلامه تضم ما عرف فى مصر باسم « الفك المفترس » و « المواجهة مع الجنس الثالث » الذى يحكى عن زيارات الاطباق الطائرة والرجال القادمين عليها من كواكب اخرى فى الفضاء الى الارض « والقوس الذهبى المفقود » الذى كان مرشحا لعدد من جوائز الاوسكار فى ابريل الماضى (*)

كانت شهرة سبيلبرج فى افلام الخيال العلمى من جانب ، وما تناثر عن فيلمه الاخير الذى تقرر عرضه فى يوم ختام المهرجان من جانب آخر سبب كل هذا الاهتمام الذى صرف الجميع عن جوائز المهرجان واعلانها .. مختصر اسم الفيلم « أ . ت » لكن الاسم الحقيقى له طويل فى نطقه وترجمته « الزائر اللانهائى العمر فى مغامرته على الارض » .. وهو بلا شك يفجر فى نفس الانسان ذلك الحنين الغامض الذى الى ملايين المجرات فى الفضاء اللانهائى المحيط بالارض وذلك الفضول القوى لمعرفة الاجابة الحائرة على سؤال : هل هناك سكان فى الكواكب الاخرى ؟ ! ومن هم هؤلاء السكان اذا كانت بعض الشواهد العلمية والافتراضات عند علماء الارض تؤكد تواجدهم ؟! ..

افلام الخيال العلمى والفضاء

ذلك الحنين ، عند الانسان ، لمعرفة ما يجرى فى الفضاء العريض حول ارضنا ، جعل السينما ترتاد هذا الموضوع منذ كانت صامتة .. ورواد السينما المخضرمون يذكرون فيلما قديما بعنوان



الكائنات الفضـــــائية تزور الارض .

" مغامرات بارون الماني » .. حقيقى ان تلك المغامرة قد انحصرت فى رحلةهما البارون الالمانى الى القمر ، حيث صنع مدفعا ضخما ووضع نفسه مكان القذيفة، واختار الوقت الذى يكون فيه القمر فى اقرب مكان للارض ، واطلق المدفع ، فقذف به فعلا فوق سطح القمر . . . ويروى الفيلم الذى انتج فى منتصف العشرينات وانتجته ستوديوهات اوفا ببرلين ، الحياة فوق سطح القمر . . ونجد انفسنا امام صور مضحكة هزلية، لكنها قائمة على اصول علمية .. كالمشى قفزا ، وتفتح الزهور العملاقة والرجل الذى يحمل معه راس زوجته الى الحفل ليضعه على ساق زهرة ، بينما جسدها فى البيت يمارس العمل .. وظل الفضاء والكواكب الاخرى موضوعا مثيرا للخيال السينمائى عمقها تقديم السينما للقصص جـول فيرن القائمة على الخيال العلمى المحض ، الى ان بدأ عصر الفضاء عندما نجح العلماء فى ارسال الصواريخ تحمل الاقمار وسفن الفضاء والانسان داخلها الى القمر والى المجرات الفضائية حول الارض . وتغير التناول السينمائى لهذا النوع من افلام الخيال العلمى.. مستقلا الحقائق العلميه الجديدة المتاحة بعـد دخول العالم فى عصر الفضاء . وكان التليفزيون اسبق من السينما فقـدم مسلسلات فضائية مثل " مفقـــــود فى الفضاء» و«حرب الكواكب » و«حالاتنا» .. وكان اول الافلام ذات القيمة الفنية فيلم ستانلى كوبريك « ٢٠٠١ اوديســا الفضاء » الذى كان يناقش الصراع بين العقل البشرى والعقل الاليكرونى فى رحلة انسانية الى الكون الخارجى .

الهابطون الى الارض

وتجىء افلام ستيفن سبيلبرج لتتالف فى مرحلة خاصة بها .. وتكاد تنحصر فى اطار واحد .. وهو الكائنات الفضائية، من سكان الكواكب الاخرى الزائرين الى الارض .. وقد راجت قصص الاطباق الطائرة وسفن الفضاء الغامضة التى تهبط الى الارض احيانا فى محاولة الاتصال بسكانها اولتخطف انسانا او طيارا يختفى فى ظروف غامضة ، راجت هذه القصص منذ بداية هذا القرن ، وشغلت العلماء والناس العاديين والهبت الخيال البشرى فى محاولة لاستجلاء اسرارها .. وفى كتاب " مخفاب الالهة » تحدث المؤلف عن الذين





هبطوا من الفضاء ، من انصاف الالهة، لكى يؤسسوا الحضارة المصرية القديمة على شطئان النيل واستدل على ذلك بالاشكال والرسوم المحفورة فوق جدران المعابد والمدافن والذين اتجهوا منهم الى سهول الهند القديمة لكى يقيموا الحضارة الهندية والديانات المتعددة فى القارة الهندية ..

ويلتقط ستيفن سبيلبرج بذكاء نادر، هذه الخيوط فى فيلمه «مواجهة مع الجنس الثالث » (١٩٧٨)فى رحلة واحدة فى سفن الفضاء القادمة من كوكب مجهول .. انها تهاجم الارض فى منطقة من مناطق الغرب الامريكى ، وتشل تيار الكهرباء والاتصالات اللاسلكية والسلكية ، وتركز على نماذج محددة من البشر .. مهندس كهربائى وزوجه وطفل صغير ، تبث فى صدورهم نداء غريبا يدفعهم اليها . ويذهب عالم اصوات فرنسى الى الهند ليجد فى الاشارات والاصوات التى يستخدمونها فى اجتماعاتهم الدينية وصلواتهم النغمة الصحيحة للاتصال بالقادمين من الكواكب الاخرى . ويختار مكانا حول صخرة الاباما الشهيرة فى امريكا ، ويقيم جهازا ضخما يترجم الاصوات الى اضواء ويوجه رسالته الى الفضاء .. وتجىء السفينة الضخمة على شكل طبق طائر وتهبط على الارض وتفتح ابوابها لتعيد الى الارض بشرا اختفوا منذ سنوات عديدة ، تودعهم زوجات وابناء من أهل الفضاء ،



وتصطحب معها تلك النماذج التي اختارتها وكانت تحاول الاتصال بها .. ثم ترحل .. وقد رأيت هذا الفيلم في ختـــام مهرجان برلين السينمائي ايضا في عام ١٩٧٨ .

« ا . ت » ومغامرته عـــــلى الارض

فيلم ستيفن سبيلبرج الجديد " ا . ت» أو « الزائر اللانهائي العمري مغامرته على الأرض » .. مقطوعة جديدة من مقطوعاته الشعرية التي تعبر عن خيال فياض يؤمن بوجود سكان في الكواكب الأخرى الذين ينتابهم الحنين الى الارض ولا يتناون يجيئون اليها بمركباتهـــم الفضائية على فترات متباعدة ، بحثا عن المعرفة أو الدراسة أو الاقتـراب من الانسان الارضي الذي يلهب فيهـــم الحماس والخيال والرغبة في الاتصال .

الفيلم يبدأ ذات ليلة ، في غابة تنام في حضن الجبل المطل على مدينة صغيرة من المدن الامريكية .. وفي سماء المدينة تلمع أضواء ملونة أقرب الى الشهب ، ويقترب من الارض طبق طائر ينزل بالغابة ، وتفتح أبوابه لتخرج منه عدة أشباح قصيرة القامة ، عارية الاجساد تتميز برأس ضخم مفلطح ورقبة تشبه رقبة ثعبان الكوبرا عندما يرفع هامته .. وعلى الفور تقوم بعثة من علماء الارض ورجال الفضاء والبوليس والجيش بالتوجه الى المنطقة التي هبطت فيها سفينة الفضاء .. وتضطر السفينة الى الرحيل ، لكن واحدا من ركابها القادمين من الفضاء لا يلحق بها .. ويبقى على الارض .. لقد تشاغل باقتلاع زهرة من زهور الارض ولم يلحق بالسفينة .. ويطاردونه في الغابة ، وبذكائه الفطري يختفي بين الاعشاب ، لكنه يضطر الى البحث عن ملجأ ، ولا يجد غير بيت صغير على مشارف الغابة يلجأ اليه ، ويختفي في مخزن أخشاب في حديقته .. الاسرة التي تسكن البيت ، مكونة من أم وثلاثة أطفال .. ابنان وبنت صغيرة .. والام التي هجرها زوجها وسافر مع امرأة أخرى الى المكسيك ..

يخرج الولد الاوسط اليـــوت الى الحديقة ، فيسمع تنفسا يشبه الفحيح وينقاد مذعورا الى مصدره ليجد نفسه وجها لوجه مع رجل الفضاء القزم .. ويجري مذعورا لكي يخبر أخاه ، لكنه يسخر منه ولا يصدقه .. لكن «اليوت» يعود الى المخزن محاذرا ، ويقترب من الزائر العجيب ، ويحدث تفاهم سريع بينهما ، وينقله الى حجرته لكي يخفيه بين الدمى ، ثم يجيء بأخيه الاكبـــر ليراه بعد أن يجعله يقسم على أن يخفي السر .. وتبدأ العلاقة بين اليوت وصديقه القادم في كوكب يبعد ثلاثة ملايين سنة ضوئية ، ويشير اليوت الى نفسه ناطقا اسمه ، ويشير رجل الفضاء بالتالي الى نفسه قائلا : " ا. ت » . ويحمل هذا الاسم بين الولدين والاخت التي تعلم هي الاخرى وتقسم على الا تبوح بالسر .. وشيئا فشيئا يبدأ " ا.ت» في تلقي المعلومات الاولية ويحاول الكلام كطفـــل مبتدىء ، لكن عقله اكبر كثيرا من عقل انسان ناضج .. انه يعرف كيف يعمل الترانزستور وكيف تعمل الحاســـبات الاليكترونية ، ويبدأ بعلمه هـــذا يحاول أن يبتكر جهازا يمكنه من ارسال اشارة نداء الى كوكبه لتعود السفينة لتحمله من الارض الى موطنه .. وبالطبع يلتقط رجال الفضاء الذين مازالوا يبحثـــون عن الزائر هذه الاشارات . يبحثون عن مصدرها ويقتربون من البيت شيئا فشيئا .. ان اليوت يحاول أن يخبر زملاءه في المدرسة عن صديقه «ا.ت» لكن احدا لا يصدقه .. ويصطحبه معه الى حفل تنكري تقيمه البلدة في الغابة ، حتى يحين الوقت لكي يصلا معا الى المكان الذي

نزلت فيه السفينة ، ويحمله فوق دراجته مصعدا فى الغابة ، واذا به يفاجأ بالدراجة طائرة فى الهواء على رءوس الاشجار ، وينتاب الحبور اليوت ، وعندما تهبط الدراجة على أرض الغابة، يسرع «أ.ت» بتركيب الجهاز الذى ابتكره من اسطوانة صغيرة وشوكة وترانزستور راديو قديم ويعلقه على فرع شجرة ، حتى تدفعه الريح فيرسل الاستغاثة الى كوكبه .. وفى طريق العودة يسطر اليوت للانفصال عن «أ.ت» حتى يخفيه عن أعين المطاردين الذين وصلوا الى البيت متتبعين آثاره ، لكن «أ.ت» يواجه هجوما من نبات آوى فى الغابة ويصاب ويجدونه ملقى على حافة النهر .. وينقل «أ.ت» الى مستشفى فضائى خاص معقم ، وقد كان قد قام بينه وبين اليوت شبه اتصال عضوى بدأ يوم فتح «أ.ت» ثلاجة البيت وشرب علب «البيرة» فثمل ، وظهرت الاعراض على اليوت وهو فى الفصل الى الدرجة التى جعلت المدرس يطلب من الام ان تحضر لتعود به الى البيت .. مرض اليوت بنفس مرض «أ.ت» وبدأ يعالجان معا .. وفى الوقت الذى بدأ فيه اليوت يسترد عافيته، بدا ان «أ.ت» يصل الى نهاية عمره الذى يزيد على ثمانمائة عام .. ويعتقد الاطباء فعلا ان المخلوق الفضائى قد مات ، لكن اليوت لا يصدق ، وعندما يلمس الصندوق الذى أودعوه فيه ، يفاجأ بالحياة تبث فيه عبر اشعتها الحياة من جديد .. ويحمله اليوت من جديد على دراجته ليخرج به الى الغابة حيث ستهبط السفينة ويطارده البوليس ورجال ادارة الفضاء بسياراتهم، وينضم اليه زملاء المدرسة بدراجاتهم حتى يحمونه من المطاردين ، وعندما تسد المنافذ كلها ، ترتفع الدراجات بركابها الى الفضاء لتطير فوق البلدة وفوق الغابة الى المكان الموعود .. وتنضم الام والاب العائد من مغامراته الفاشلة والابنة الصغيرة الى لحظة الوداع .. السفينة تفتح ابوابها .. و«أ.ت» يطلب من صديقه اليوت ان يرحل معه ، واليوت يطالبه بالبقاء .. والابنة ترفع اصيص ورد لتهديه الى « أ.ت» ليحمله معه الى السفينة ..



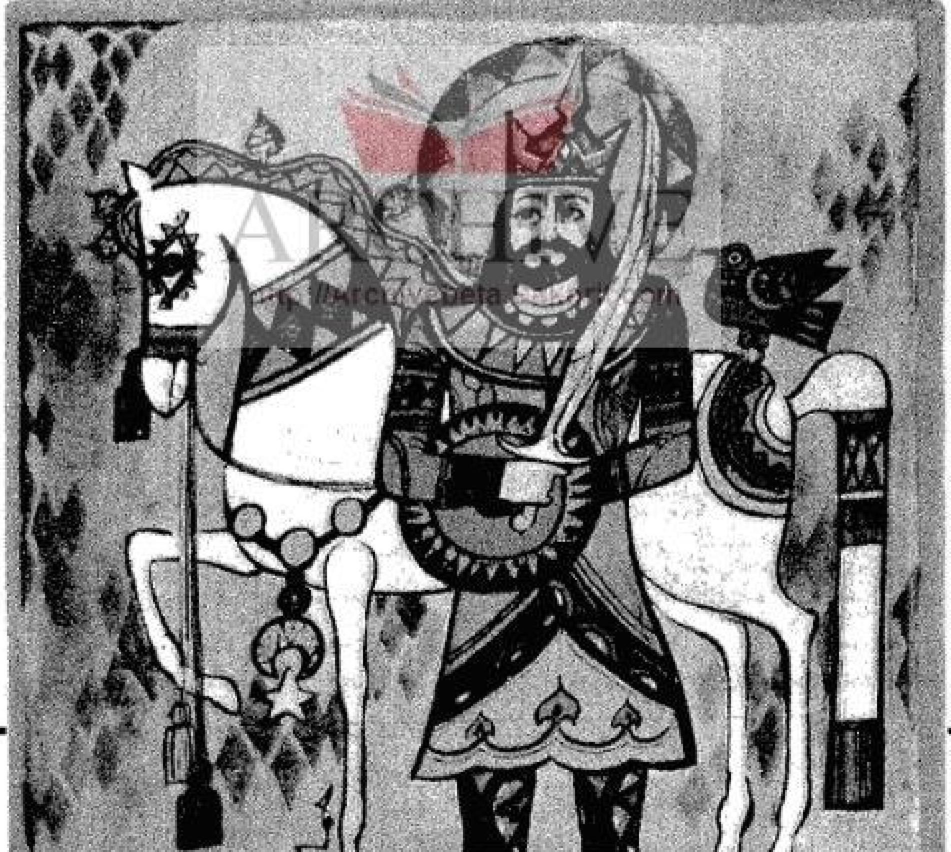
المخرج

رومانسية الثمانينات

يقول ستيفن سبيلبرج عن فيلمه هذا، انه فيلم يعتمد على الخيال العلمى .. وانه قصة رومانسية خيالية تناسب الثمانينات .. وبطريقة ما يمكن اعتبار هذا الفيلم تكملة لفيلم " مواجهة مع الجنس الثالث" ومن الواضح أن مثل هذا الفيلم تلعب فيه استغلال المؤثرات الخاصة بالفضاء دورا لكن البراعة عند سبيلبرج تمثلت فى ربط علاقة الزائر الفضائى باليوت واخته الصغرى واخيه الاكبر .. وسيطرته على مثل هذا المخلوق الغريب الذى يبدو تماما انه مخلوق مطاطى لا حياة فيه ، لكنه يحركه ويقنع المشاهد بانه كائن حى. ●

الزمان والمكان في سيف بن ذي يزن

بقلم: فاروق خورشيد





● السيرة الشعبية هي البديل في الأدب العربي عن الملاحم في الأدب الغربي

● "علي الزيبق" شخصية نابعة من الشعب يدافع عن نفسه بأسلحة خصومه

اذا أردنا ترتيب الوان الادب الشعبي حسب تطورها وتعقدها ، سنقول ان السير الشعبية هي مرحلة النضج ومرحلة الاستواء ، اى المرحلة الاخيرة من مراحل تطور الادب الشعبي ونضجه بدءا من الحدوتة والحكاية الخرافية الى الحواديت المجمعة مثل الف ليلة وليلة « وكليلة ودمنة » ، ثم الى الرواية ذات البطل الواحد والاحداث الكثيرة المتصلة التى هى بديل فى الادب الشعبى العربى عن الملاحم فى الادب الشعبى الغربى .

والسيرة الشعبية هي قصص تدور حول شخصية واحدة ، وكل سيرة بطلها الرئيسى انسان واحد ، تبدأ معه من الميلاد او ماقبل الميلاد حتى الوفاة او مابعد الوفاة .

وغالبا مانجد البطل فى السيرة الشعبية له اصول من التاريخ ، فاما هو بطل تاريخى بالفعل ، او هو بطل مخترع يمثل مرحلة من التاريخ بذاتها . سنجد فى السير ابطالا لهم اصول تاريخية ثابتة مثل عنترة بن شداد وسيرته التى تتحدث عن شاعر شعبى وعربى معروف تحدثت عنه كتب التاريخ والادب كما نجد « سيف بن ذى يزن » وهو ايضا بطل تاريخى معروف فهو اخر ملوك اليمن الذى يخلص اليمن من الاستعمار الحبشى ومن هؤلاء الابطال ايضا « الظاهر بيبرس » وهو ملك معروف فى العصر المملوكى واحد الملوك الذين لعبوا دورا هاما فى المعارك بين العرب والصليبيين وكل هؤلاء ملوك او ابطال لهم بالفعل اصل تاريخى ، اى ان البطل هذا ليس مخترعا اختراعا وانما هو موجود فى التاريخ والقصاص الشعبى يختار البطل ويحكى عنه ويضيف اليه ويحوله من شخصية فى التاريخ الى شخصية فى الادب الشعبي ..

وهناك ابطال آخرون قد لا يكونون اصحاب اهمية فى التاريخ ، ولكن القصاص الشعبى يختارهم ويضيف اليهم من البطولات مايجعلهم اصحاب اهمية خاصة فى التاريخ الشعبى ومنهم بالذات الشخصيات التى تمثل القبائل العربية القديمة ، فهم لم يخلقوا من فراغ ولكن من وجود تاريخى معروف مثل ابطال السيرة الهلالية « ابو زيد الهلالى » ، والزير سالم ودياب بن غانم وكلهما شخصيات مرتبطة بقبيلة معينة هى قبيلة « بنى هلال » . والسيرة تصف فى هذه الحالة ومن خلال هؤلاء الابطال تحرك القبيلة نفسه وتاريخ القبيلة نفسها ، فنستطيع ان نقول هنا ، ان المنبع منبع قبلى مرتبط بالقبيلة ، ورغم ان الشخصيات ليس لها دور تاريخى يذكر فى التاريخ المدون او الرسمى الا انها ذات اهمية

سيف بن ذى يزن

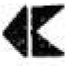
● السيرة غير الملحمة ... لأن الملحمة لابد أن تكون عملاً شعريا !

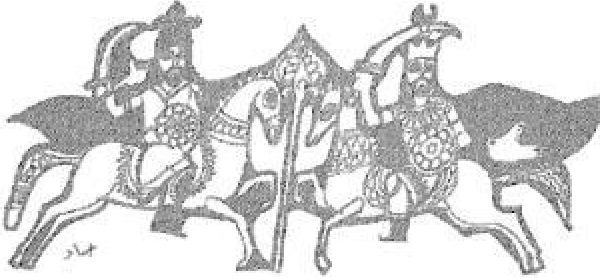
عند الشعور القبلى الشعبى لهذه القبيلة او تلك .

وسنجد الى جوار شخصيات « ابوزيد الهلالى والزناتى خليفة ودياب بن غانم فى السيرة الهلالية ، الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب والسيد البطال فى سيرة ذات الهمة » كما سنجد فى سيرة اخرى شخصية على الزيبق ، وهو شخصية نابعة من الشعب نفسه يمثل طليعة الشعب المغلوب على امره والذى يدافع عن نفسه باستعمال نفس اسلحة خصومه .. فالآن نحن نرى ان الابطال لهم منبعان ، اما منبع تاريخى حقيقى اومنبع مختلق له جذوره التاريخية ويمثل اما قبيلة او طائفة او فكرة .

وسيرة سيف بن ذى يزن « سيرة ذات اهمية شديدة حيث تدور حول بطل يمنى » واليمن من اقدم الشعوب التى سجل تاريخها الاسطورى ، وعرف عنها تاريخ حياة ملوكها وشعوبها شعبا اثر شعب . وكانت اليمن ذات حضارة قبل الحضارات ، فحضارتها الحميرية والمعينية والسبئية عاشت فترة من الزمن ثم انقرضت مثلها فى ذلك مثل حضارات البابليين والاشوريين ولذلك اسباب جغرافية وتاريخية ، فاليمن كانت من اوائل المناطق ذات الخصب حيث بنى سد مارب وكانت لديهم زراعة متقدمة ، وفى ظروف وجود الماء والزراعة تنشأ الحضارة ، الا هى على الاقل احد اسباب حضارة اى امة حيث تعطى للانسان الفرصة ليستقر ويطور وجوده وينشىء حضارته .

فى اليمن مجموعة من الاساطير والحكايات التى تتحدث عن صراع اليمنيين مع اعدائهم التقليديين وهم الاحباش وقد ربطت الاساطير اليمنية القديمة بين اليمن والاحباش ومن اول التاريخ اليمنى نرى ان الصراع فى اليمن كان يتردد بين الاستقلال عن الاحباش او الخضوع لهم . والاحباش وحدهم فى فترة طويلة من التاريخ لم يكونوا يمثلون نفسهم فقط وانما كانوا ايضا الامتداد الرومانى المسيحى فى الحضارة ، بينما كان الفرس فى الناحية الاخرى يمثلون قوة حضارية اخرى . والصراع بين الفرس والروم كان يمثل الصراع بين القوتين الاكبر فى العالم والتاريخ المدون لسيف بن ذى يزن يقول ان الاحباش استعمروا البلاد واستولوا عليها ، وانه قامت حرب سياسية داخل اليمن لاستقلال البلاد من الاحباش ، وفى هذه الحالة كان لابد من الاستعانة بقوة اخرى تمثل مركزا من مراكز الثقل فى العالم وهى الفرس ، وبالفعل ينجح الملك سيف بن ذى يزن فى الاتصال بالفرس والاستعانة بهم ضد الاحباش . ويخرج الاحباش وتستقل اليمن استقلالا كليا





بفضل بطولة سيف بن ذى يزن ومعاونة بلاد الفرس ، وتنضم القبائل اليمنية المختلفة وبهذا الانضمام أصبحوا قوة قادرة تستطيع طرد الاحباش من البلاد وهذا هو مادون فى التاريخ حول شخصية الملك سيف ، البطل التاريخى .

كان لابد اذن من الحركة الوطنية الموجودة داخل اليمن لتحاول الخلاص من الحبشة وهنا نجد سيف بن ذى يزن بطلا هاما يؤرخ لاستقلال اليمن من الحبشة ولبطولة الشعب اليمنى فى كفاحه ضد الاستعمار ويمثل ايضا احلام الشعب فى الاستقلال والحرية ، كما يمثل راس الحربة التى تقضى على الاستعمار من هنا كان سيف بن ذى يزن بالفعل رمزا شعبيا واسطوريا للانسان اليمنى ،ويعتبر اسمه اسما بطوليا عن الشعب اليمنىعبر التاريخ وحتى الان والشخصيةالتاريخية صالحة تماما لان تكون شخصية مرشحة لبطولة ملحمية ، وقد اهتم القصاصون ان ياخذوا هذه الشخصية ويقيموا عنها وحولها هذا العمل الكبير الذى سمى : « سيرة سيف بن ذى يزن » .

ونحن نطلق على هذا العمل اسم سيرة وليس ملحمة لان الملحمة لابد وان تكون عملا شعريا ، وسيف بن ذى يزن عمل نثرى رغم وجود تسجيلمنظوم لكل الاحداث التى دارت فيها فتتضمن أثناء السير النثرى كتخفيف لكل مرحلة من مراحل السيرة والشعر عند العمل الشعبى اساس هام فى الابداع . فكلما استوجب الموقف الانفعال او تسجيل الحكمة او الوصف ، يستعمله القصاص الشعبى فى السيرة الشعبية . ولكن الشعر ليس أصلا فى كتابة السيرة ، وانما هى تروى رواية نثرية تستخدم فى اثنائها المقطوعات الشعرية اما لتلخيص الاحداث السابقة او تقديم الحكمة او الاستعانة بها فى وصف مشاعر احد الابطال ، او وصف موقف من المواقف الموجودة فى السيرة .

وبجوار هذا فانه رغم ظهور سيف بن ذى يزن كبطل تاريخى قبل الاسلام الا ان السيرة كتبت فى العصر الاسلامى ومن هنا تاثرت السيرة بالروح الاسلامية كما تاثر بها الادب العربى كله الا اننا نشعر ان هناك مسالة بين البطل وبين القدر ، تلك المسالة لانراها عند الابطال الملحميين الاغريق مثلا حيث تكون فيهم جذور البطل الدرامى صاحب الموقف الذى يصارع القدر مثلما يصارع قوى الطبيعة والاستعمار والاعداء ، بينما فى السير الشعبية العربية عامة ، وسيرة سيف بن ذى يزن خاصة نرى تعاطفا بين القدر

سيف بن ذي يزن

● في سيرة الأميرة ذات الهمة .. أول محاولة لكسر حاجز الزمان والمكان!

وبين البطل ، وتشعر أن هذه القوى دائما مع البطل وليست ضده ، هناك سلام بين البطل وبين الله وقوى الخير الامتين بالله من هنا اختلف البطل الملحمي من بطل السيرة من ناحية التكوين والشكل والسمات ومن ناحية المصير ايضا .

والبطل في السير الشعبية عادة يمر بمراحل محدودة فنحن نبدأ بمرحلة الولادة للبطل ، ثم تأتي مرحلة التكوين حيث يكون فيها البطل انسانا دراميا عاديا يصارع قوى قدرية شريرة ، مثله في ذلك مثل البطل الملحمي تماما . وحينما ينتصر البطل تبدأ مرحلة جديدة في حياته وهي مرحلة الفروسية واثبات بطولته وجدارته بالبطولة في اطار البيئة التي عاش فيها . وبعد ذلك تأتي المرحلة الملحمية او مرحلة السيرة حيث يصبح البطل رمزا للشعب كله وللعرب جميعا في قضايا عربية تهم الشعب العربي كله يقف فيها امام اعداء الشعب العربي كله . تأتي بعد ذلك المرحلة الاخيرة وهي مرحلة مابعد البطل او مرحلة الامتداد .

فالسيرة الشعبية اذن لها فنية خاصة اولها اطار من البناء الفني تسير فيه ، وستجد ان هذا الاطار يتكرر في كل السير الشعبية من عنترة بن شداد الى سيف بن ذي يزن الى على الزيبق الى الهلالية والى الظاهر بيبرس : والبطل دائما في هذه الحالة لايتحرك في فراغ وانما يتحرك من واقع البيئة التي يرسمها له كاتب السيرة اي المكان ، فمثلا اليمن في حالة سيف بن ذي يزن ، والبيئة العربية الشمالية في حالة عنترة بن شداد ومصر في حالة الظاهر بيبرس وعلى الزيبق والجزيرة العربية في حالة الهلالية . بمعنى أن البطل يتحرك من خلال منطلق بيئي ولكننا نشعر ان كاتب السيرة يتجاوز بسرعة حاجز المكان ويتحرك بلا قيود مكانية فهو يتحرك من خلال بيئة المنطقة العربية كلها ويكاد يخرج ايضا من حدود هذه البيئة الى البيئة الحضارية المعروفة والى العالم كله . في نفس الوقت نجد ان البطل يتحرك من خلال منطلق زماني معين ، ففي سيف ذي يزن نحن في عصر ماقبل الاسلام في المعارك التي دارت بين اليمنيين والاحباش . اما في عنترة فنرى مرحلة ماقبل الاسلام في شمال الجزيرة العربية والمعارك التي دارت بين القبائل العربية وبين العرب والفرس . اما في الظاهر بيبرس فنرى مرحلة ماقبل واثناء الحروب الصليبية

وفي ذات الهمة نرى مرحلة الحروب بين العرب والروم ، ولكننا ايضا نشعر ان القصاص كما تغلب على حاجز المكان تغلب ايضا على حاجز الزمان ، فالمعارك تدور في امتداد زمني يتصل من لحظة



تحرك القصاص حول الشخصية التي يتحدث منها ، وعبر الازمنة المختلفة ، بحيث تكاد تلمح كل هذه الازمنة التى مرت بها البلاد العربية فى معاركها ضد الـــروم والاحباش والفرس والصليبيين ممثلة فى كل السير الشعبية ، فالقصاص هنـــا يقفز عبر الزمان كما قفز عبر المكان ، ويصبح عمله يتناول الحركة منذ المرحلة التى حددها لنفسه وحتى نهاية الحروب الصليبية بالنسبة للقصص أو السير التى أراد لها القصاص أن تمثل الحروب الصليبية مثل الظاهر بيبرس اما فى السير التى لم يرد لها القصاص من الاصل الا ان تمثل مرحلة اخرى من مراحل التـــاريخ القديم تلمح فيها اسقاطات وتراكمات فلكلورية ممتدة عبر الزمان .

ومن هنا نرى البطل الشعبى متحررا من القيدين من قيد الزمان ومن قيـــد المكان .. وهذا عنصر رئيسى من عنـــاصر تكوين البطل الاسطورى أو البطل الشعبى أنه لا يرتبط بمكان معين رغم بدايته من هذا المكان ، ولا بزمان معين رغم بدايتـــه من هذا الزمان . هو بطل عام يمثل الامة العربية كلها ، والتاريخ العربى كله . وبذلك نستطيع ان نقول ان هؤلاء الابطال فى ضمير الانسان العـــربى يمثلون الوحدة العربية فى مواجهة كل الاخطار الخارجيـــة وكل التمزقات الداخلية أيضا ، وربمـــا كانت هذه الاعمال الشـــعبية هى التى حفظت الانسان العربى من الوحدة التى كانت تشعر الانسان العربى باستمرار أنه واحد فى مصيره وفى بيئته وفى ماضـــيه وعلى هذا فهو واحد فى مستقبله ، وربما كان هذا أيضا من العناصر الرئيسية فى مقومات الوحدة العربية ، ونحن حـــين نتحدث عن مقومات الوحدة العربية نقول الدين وهو الاسلام واللغة وهى العربيـــة والواقع الجغرافى أو المصالح وهى مقومات هذه الوحدة ولكننا نرى ان الاخطر من كل هؤلاء هو وجود السير الشعبية هـــذه ، لانها ظلت تعمل فى عمق التاريخ العـــربى حاملة معنى الوحدة المصيرية منـــذ البدء وحتى المواجهة مع القوى الخارجية . ومن البطل صاحب العمق التاريخى سيف بن ذى يزن وعنترة بن شداد والظاهر بيبرس وهى السير المكتوبة عن شخصيات لهـــما أصول تاريخية .. ومن البطـــل الفترة والموقف سنجد على الزيبق وهو بطل من خارج التاريخ ألفه الكاتب نفسه ولـــكن ليست شخصية حقيقية هو شـــخصية شعبية لها أصولها ولكن هذه الاصـــول موجودة فى ضمائر النـــاس وليس فى صفحات التاريخ .

والقضية فى الشخصية التى يمثلهـــا سيف بن ذى يزن ، وهى الشخصية ذات الاصول التاريخية المعروفة ، أن القصاص يبدأ من خلفية تاريخيـــة معـــروفة ومن

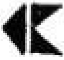
سيف بن ذى يزن

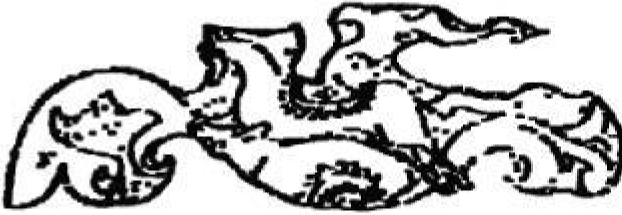
● الأبطال فى السير الشعبية يمثلون فى الوجدان العربى ضمير الوحدة العربية الكبرى

منطلق متفق عليه ، فعندما يذكر سيف بن ذى يزن فهو يتحدث عن اليمن ، فاذا سمى نفسه يحدد الزمان والمكان والمعركة والمواقف ، بينما فى السير ذات الابطال المخترعة او البطل الفكرة ننتظر حتى ننتهى من قراءة السيرة كى نتعرف عن اى عصر يتحدث القصاص وماذا يريد ان يقول .

فهناك يدلنى الاسم على موضوع الرواية والعمل ، فحين أتحدث عن الملك آرثر فانا اتحدث عن المائدة المستديرة ، وعندما اتحدث عن كرومويل فانا اتحدث عن صراع انجلترا من أجل الديمقراطية وعندما أتحدث عن نابليون فانا اتحدث عن مرحلة مابعد الثورة الفرنسية ومعارك فرنسا للسيطرة على العالم وعندما اقول هتلر فانا اتحدث عن المانيا ومرحلة مابعد الحرب العالمية الاولى . فالان أسم البطل يحدد الاطار التاريخى والمعارك الدائرة . فى سيف بن ذى يزن ، لمن يعرف التاريخ العربى القديم ، نحن امام اليمن والمرحلة التاريخية التى تصارع فيها اليمن ضد الاحباش وفى هذه الحالة ينتظر السامع والمتلقى أن يستمع لاحداث تاريخية معروفة وهذا لايحدث فى السير الشعبية بالضرورة بعكس الرواية التاريخية تماما الملتزمة بالحدث التاريخى المعروف .

فالسيرة الشعبية تنجو من الحدث التاريخى ، اذ هى تحدد فقط الاطار الزمنى والمكانى باسم البطل والزمن المعروف وهى بعد ذلك تخرج فى هذا الاطار التاريخى الى الحدث الاسطورى او الشعبى وتتحول الاحداث التى نعرفها فى التاريخ الى مجرد خلفية بعيدة جدا قد يستعين بها القصاص وقد لا يستعين بها . فنحن الان لا ننتظر فى سيرة كسيرة سيف بن ذى يزن ان نتعرف على معارك تاريخية بوقائعها التى حدثت بين الاحباش والعرب ، ولكن القصاص فقط يعتمد على اساس وجود هذه المعارك ليجعلها منطلقا لاحداثه دون أن يرتبط بالزامها بما جاء فى التاريخ فهو لديه بطل حرر اليمن وبطل يرتبط بالمعارك ضد الاحباش وهو فى نفس الوقت لديه معارك وعداوات قائمة بين العرب والاحباش . اما التفاصيل ، وأما الحقائق التاريخية ، وأما مااهتمت به كتب التاريخ فهذه اشياء فى الخلفية وليست فى الاهمية الشعبية ، كل مايهم القصاص فى اطار هذا الموضوع ان هناك بطلا وان هناك معركة قومية وعداء بين العرب والاحباش . أما كيف يدير القصاص هذه المعارك وكيف يسرد هذه الوقائع ، وكيف يحدد مراحل الصراع ، فهذه قضيته الفنية ، فهو يعتمد على فنيته وعلى الواقع النفسى للبطل الذى تخيله وعلى ماقلبه من احداث تلائم هذا البطل المستدعى من عمق التاريخ ليكون بطلا





لعمل شعبى كبير فى سيف بن ذى يزن وأى عملية تحول البطل من بطـــل واقعى تاريخى الى بطل اسطورى وبطل رمز لامة وشعب ومن هنا تاتى ملامحه غير محـــددة تحديدا قطعيا اعنى ملامحه كانسان يجمع معنى البطولة ومعنى الخير ومعنى القوة اذ ان الملامح الانسانية تختفى قليلا ويظهـــر منها المعنى المجرد العام . ومن هنا نجد ان ارتباط البطل بالتاريخ موجود ، وان عدم ارتباطه بالتاريخ ايضا قائم ، وهى نقطة هامة ايضا فى السير الشـــعبية اذ ان البطل رغم ان له واقع تاريخى الا انـــه يتحرر من هذا الارتباط .. وانه رغـــم وجوده داخل البيئة الا انه يتحرر من اطار هذه البيئة .

ولقد بدأ سيف وهو بطل يمنى وانتهى وهو بطل عربى عام ، فمعارك سيف بن ذى يزن التى سنراها فى سيرته ، ترتبـــط بمصر اكثر من ارتباطها باليمن ، وسنجد أن قضيته الرئيســـية قد اصبحت استعادة مفتاح النيل من الاحبـــاش

ومفتاح النيل رمز فرعونى قديم ، بمعنى ان النيل له كتاب او طلسم او مفتاح ، عندما ياخذه الاعداء يحجبون ماء النيـــل عن مصر ، وعندما يسترد المصريون هـــذا الطلسم او المفتاح يعود نهر النيـــل الى الجريان فى ارض مصر . فالمعركة هنا اذن تدور حول استرداد مفتاح النيـــل من الاحباش حتى يجرى نهر النيل فى مصر من جديد .

الرمز هنا رمز عربى لانه رغم ان البطل يمنى الا انه يحارب فى قضية مصرية .

لان البطل قد خرج من حدود الاقليمية ، ومن واقعه التاريخى ليمثل معـــركة عامة عربية . وسنلاحظ ان معارك سيف بن ذى يزن اشترك فيها ابطال عرب من شـــمال الجزيرة وجنوبها ومن شمال وادى النيل وجنوبه ايضا اما جاءوا باســمائهم ذات السمات التى تشير الى اصولهم واما جاءوا باسماء رمزية تشـــير الى الدور الذى يلعبونه كممثلين لاكثر من بيئة ، فليس عبثا ان تجد فى ابطال السيرة اســـماء مثل سعدون الزنجى او دمنهور الوحش او اخميم الطـــالب او الملكة جيـــزة ، فانتخاب الاسماء هنا ايحاء بوجود اكثر من بطل من اكثر من مكان يساندون البطـــل ويرمزون الى البيئة العربية كلها . ويكمل لنا هذا المعنى ان سيف بن ذى يزن ينجب فى مرحلة امتداده الاسطورى ثلاثة اولاد هم : « مصر » الذى يملك شمال الوادى و « دمر » الذى يملك الشام وهو الذى يجرى نهر بردى وبينهما ابنه الثـــالث « نصر » الذى يرمز فى اسمه لمعنى الامل ، لاستمرار هذا التواجد السياسى فى الامتداد والوجود والمصير معا .

ترجع الدراسات حول سيرة سيف بن ذى يزن انها كتبت فى القرن الرابع عشر

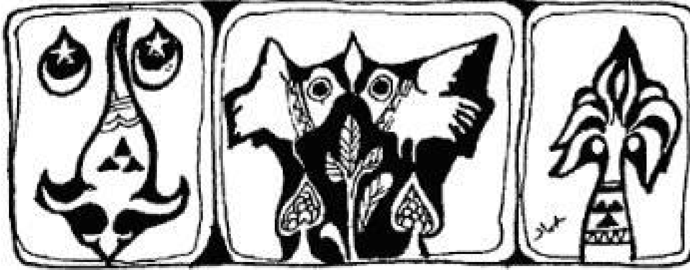
سيف بن ذى يزن

سيف بن ذى يزن.. بدأ وهو بطل يمنى.. وانتهى وهو بطل عربى عام!

الميلادى لوجود شخصية ملك الحبشة « سيف أرعد » باعتباره الشخصية الرامزة للاعداء، والذى كان ملكا على الحبشة حكمها فيما بين عامى ١٣٤١ ميلادية ١٣٧٢ ميلادية .. وهذه الفترة الامامية التى جمعت بين سيف بن ذى يزن وهو ملك اليمن فى القرن السادس وبين سيف ارعد وهو ملك الحبشة فى القرن الرابع عشر ترسم لنا بوضوح اختفاء التحديد الزمانى لحركة السيرة وحركة كتابها .

والواقع ان هذا الجمع بين سيف بن ذى يزن وسيف ارعد أعطى مبررا سياسيا جديدا لكتابة السيرة فى المعارك بين اليمن والحبشة تلك المعارك القديمة السابقة للاسلام ، الا ان سيف ارعد كانت حياته امتدادا لسلسلة من أعمال القسوة والارهاب بدأت بحروب والده « عمدا صيون » على العرب القاطنين فى منطقة السواحل المجاورة للحبشة او فى دولة الطراز القديمة وهى امتداد يمنى فى قلب افريقيا وذلك اثناء الحروب الصليبية ، مما يؤكد ان الحبشة لعبت دوراً فى المواجهة بين المسلمين والغزاة الوافدين من اوروبا باسم الدين . ومن هنا كانت بداية سيرة سيف التى تجعل أمه « قمرية » جاسوسية للملك « سيف أرعد » على ابيه ذى يزن تفتنه حتى تزوجها ثم تدس له السم لتقتله وفى عدة دراسات كشف الدارسون هذه العلاقة المتشابكة بين العرب والاحباش فى هذه المنطقة التاريخية بالذات ، من هذه الدراسات كتاب « علاقات الدولة المملوكية بالدول الافريقية » للدكتور حامد عمار وكتاب « الحبشة والعرب » للدكتور عبد المجيد عابدين وتحدد لنا هذه الدراسات طبيعة العلاقات العدائية فى فى عهد الظاهر بيبرس وملك الاحباش « ايكونوا » وفى عهد «ناواس كريستوس» وهو سيف ارعد ونجد فى «صبح الاعشى» فى الجزء الخامس منه ذكرا لهذه الحروب بين الاحباش وعرب الطراز .

وربما كان الذى جمع عند مؤلفى السيرة بين هذين الزمانين المتباعدين هو طبيعة المعارك التى دارت بين الاحباش والعرب قبل الاسلام والاحباش والعرب فى العصر المملوكى وربما كان الامر وجود اسم سيف عند كلا البطلين اليمنى والحبشى ولكن هذا الجمع حقق من الناحية الفنية الشعبية قهرا لحدود المكان وتحطيما لفاصل الزمن ومن هنا جاء التبرير فى اغفال الحقائق التاريخية المدونة سواء حول الزمانين او المكانين اللذين يحددهما التاريخ ، وكان من هنا ايضا المبرر الفنى للاغراق فى الابداع الخيالى للأحداث والعلاقات وادخال أبطال الجان والسحراء والحيوانات الخرافية التى تجعل للقصة منطقها الخاص واحداثها التى لاتخضع لقانون الحدث الزمنى او الحدث المكانى



والتي تحقق فقط فكرة الموقف القومي ضد الاعداء من ناحية فكرة التحام البطل مع قوى الخير التي هي قوى الايمان بالله والارتباط بالدين الاسلامي كمحتوى فكري يجمع ابناء المنطقة جميعا في مواجهة اعدائهم .

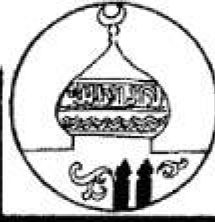
البطل في سيرة سيف متحرر من قيد المكان وقيد الزمان ، بطل يداعب ذهن المبدعين الخلاقين في دنيا الفنون على الاطلاق ولا يزال الادب المعاصر يحمل لنا صورا من احلام هؤلاء المبدعين ومحاولاتهم في خلق هذا البطل ، ولكن ماتراه متحققا هنا في السير الشعبية العربية بعامة وفي سيف بن ذي يزن على الخصوص تحقيقا روائيا دقيقا له منطقه وله فنيته الخاصة وله نجاحه الابداعي الذي يمكن أن يكون مجالا لاستلهامات فنية وابداعية دائمة كما يمكن ان يكون مجالا لدراسات نقدية متعددة .

وقد اتاح تحرر البطل من قيدى الزمان والمكان لكتاب السيرة أن يتحركوا في لا زمان ولا مكان وفي كل زمان وكل مكان يشاءون ، كما اتاح لهم هذا أن يتركوا البطل يتنقل في المسافات الشاسعة وفي أسرع وقت اما عن طريق الجان واما عن طريق الادوات السحرية التي زودوا بها بطلهم .. والبطل يتحرك في الارض كلها وعبرها ، كما يتحرك في السماء وفي باطن الارض ايضا وفي أعماق البحار كذلك هذه الحرية التي أتاحوها للبطل على الرغم من تصوراتها الخيالية ، واحداثها الخرافية ، تلائم المحللين الذين يستطيعون خلق الاسقاطات التي يشاءون والتي يوحي بها العمل الروائي الشعبي. كما انه يخلق في السيرة جوا شبيها بجو الحلم أو جو الاسطورة ، حيث يلتقي الماضي بالحاضر بسهولة ، وحيث يتم التحرك عبر الزمان والمكان بيسر شديد ●

● خسارة لاتعوض !

كان مسكويه مديرا لمكتبة ابي الفضل الوزير ، فحدث أن ثار العامة على الوزير ونهبوا داره ، فلما عاد اليها بعد ذلك لم يجد فيها شيئا يجلس عليه ولا كوبا يشرب فيه . ولكنه وجد خزانة الكتب لم تمسها يد بسوء، فسرى عنه وقال لمسكويه :

ـ اشهد انك ميمون النقيبة. ان لنا عوضا عما كانت تحويه خزائن المال والجواهر وعن بقية التحف والنفائس اما الكتب فلا يوجد ما يعوضها !



من ذكريات شهر رمضان

الشيخ رفعت رحمه الله

وأعظم من تغنوا بالقرآن

بقلم : كمال النجمي

■ يا سامعي القرآن الكريم .. أنصتوا ثم أنصتوا ، تفوزوا ان شاء الله بالثواب والمحبة والرحمة التي وعد الرحمن عباده المتقين ، السامعين المنصتين الى كتابه العزيز ، مصداقا لقوله تعالى : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

بهذه العبارة ، أو بعبارة مثلها ، رفع « شيخ » مكفوف صغير السن صوته الجهوري ، وقد جلس مطمئنا سعيدا مجبورا ، يترقب سماع الشيخ محمد رفعت في مسجد « فاضل باشا » بدرب الجماميز ، قبل صلاة احدى الجمع منذ بضعة وأربعين عاما .

كنت في ذلك الصباح الشتوى اللطيف من يوم الجمعة أرى القارىء العظيم الشيخ محمد رفعت لاول مرة في حياتي ، وقد جئت الى القاهرة من قريتي منذ يومين فقط ، واستمعت الى أم كلثوم في الليلة المنصرمة - ليلة الجمعة أو ليلة الخميس كما يسمونها - بمسرح حديقة الازبكية



الشيخ محمد رفعت



من ذكريات شهر رمضان

فى وسط القاهرة ، تتغنى حتى الثانية صباحا بروائعها التى كانت تملأ الاسماع فى ذلك العهد ، وكانت أم كلثوم فى عز شباب صوتها ، واكتمال صحتها وسعادتها بما حققت من مجد غير مسبوق فى فن الغناء العربى على امتداد تاريخه الطويل !..

فى صباح الجمعة ذاك ، صحوت مبكرا ولم يزل صوت أم كلثوم فى وجدانى ، فاتخذت طريقى مع جماعة من أقاربى ، مشيا على الاقدام ، نستوقف الناس نسألهم: أين مسجد فاضل باشا ؟.. حتى وصلنا اليه بعد عشرات الاسئلة منا ، وعشرات الاجوبة من الناس ، وكان الناس فى تلك الايام يستعين بعضهم ببعض ، ويساعد بعضهم بعضا ، عن طيب خاطر !.

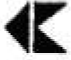
جلست على مقربة من الشيخ رفعت فى المسجد ، وقد تربع فى تواضع فوق منصة القراءة ، حتى اعتدل الشيخ فى مجلسه وتنحنح فاصغى الناس اليه وأرهفوا الاسماع ، كأنهم طربوا له اذ تنحنح ،وكأنه هيأ القلوب بنحنحته هذه للسماع والعظة بالتنزيل المبين ..

ثم انسابت النبرات الموسيقية الدقيقة من حنجرته، يمتد شعاعها الوهاج الى الجالسين حوله ،امتداد أشعة الشمس اليهم ملء رحاب المسجد فى ذلك الصباح الدافىء المشرق الجميل .

ولعلى فوجئت فى اللحظات الاولى بأن صوت الشيخ رفعت ـ بدون ميكروفون ـ لا يجلجل فيملأ الجو كما عهدناه ونحن نسمعه سنوات طوالا من خلال المذياع فى قريتنا بالصعيد الاعلى ..

كنا هناك نسمعه مرتفعا مدويا وتسمعه معنا القرى المجاورة .. ولكنه فى المسجد أشبه بالكمان حين يميل الى الخفوت ، ينصت اليه السامعون بانضباط شديد ، حتى لا تفوتهم منه همسة ، فان همسة ذلك الكمان العبقرى الخافت ، تساوى أضعاف وزنها ذهبا أو طربا أغلى من الذهب ، أو نورا يستضىء به الوجدان .

ولكن خفوت صوته لم يكن يحجب عن السمع اتساع مساحته وكثرة درجاته الموسيقية أو



مقاماته .. فمان صوت الشيخ رفعت من الاصوات البالغة الندرة التي يضيق حجمها وتتسع درجاتها الموسيقية حتى تتفوق باتساعها على أكبر الاصوات حجما



الشيخ مصطفى اسماعيل

ولهذا لم يكن الميكروفون يزيف صوت الشيخ رفعت ، كان يوضح حجمه فقط ، ويلقي الضوء على دقائق ملامحه الفذة ، أما درجاته الموسيقية البليغة المتعددة المتراكبة في اتساق عجيب ليس له نظير ، فانها لا تتغير بالميكروفون .. فلم يكن بين صوته الطبيعي وصوته الميكروفوني الا فارق الوضوح في الاسماع حين تصغى اليه من مكان بعيد ! ..

كان صوتا مكتمل الروعة والجلال والجمال ، تنطلق مساحته الواسعة من حجمه الضيق ، على درجاته الموسيقية الكثيرة الغزيرة ، فتبلغ سماء الفن ، كما ينطلق الصاروخ من قاعدته الصغيرة فيبلغ الفضاء الاعلى ! ..

والحق اني لم اسمع منذ عرفت السماع طفلا في أواخر العشرينات الى يومي هذا ، صوتا ضيق الحجم خافتا كصوت الشيخ رفعت ، يحتوى برغم ضيق حجمه وخفوته على ثماني عشرة درجة موسيقية أو ثمانية عشر مقاما موسيقيا سليما ، يمتد على الاقسام الثلاثة من أقسام الاصوات الرجالية الثلاثة المعروفة عند الموسيقيين : « الباص والباريتون والتينور » .. فاجتمعت لصوته العبقري مساحة موسيقية هائلة ، سمعناها وهي تضم ثمانية عشر مقاما في أواخر الثلاثينات ، وسمعها من سبقونا في العشرينات وهي تضم واحدا وعشرين مقاما تقريبا ، تنطوى بترتيب عجيب في ذلك الحجم الضيق ، كما تنطوى الطاقات الهائلة في الذرة الصغيرة التي استودعها الله سر القوة ! ..

بهذه المواهب الصوتية الفائقة ،



من ذكريات شهر رمضان

بهر الشيخ محمد رفعت معاصريه، وملأ دنياه وشغل سامعيه ..

ولكنه لم يكن موهبة صوتية باهرة فحسب ! .. كان في الحقيقة انسانا مخصوصا بتلاوة القرآن ـ ان صح هذا التعبير ـ كأنما وجد في الدنيا ليتلو القرآن ويرتله على الناس ترتيلا ، عارضا عليهم معانيه وألفاظه من جديد .

كان حين التلاوة ، يضع قلبه في معاني آياته ، وروحه في حروف كلماته ، متدبرا ما يتلو تدبر المؤمن الفهم الورع ، كأنه يرفع أمام بصيرته في كل وقت هذا السؤال القرآني : « أفلا يتدبرون القرآن » ؟! ..

اذا تلا من آيات الثواب والرحمة رفع صوته فرحان مستبشرا كأنه يستقبل نفحة من الجنة .. واذا مر بآية من آيات العذاب ، سرت في صوته الرعدة والرجفة كأنه يخشى أن يختل توازنه فوق الصراط ! ..

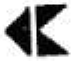
كانت دموع قلبه تجري في نبرات صوته ، فتلاوته حزينة باكية ، ووجدانه ممتلىء بهذه الآية : « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » ! .

وكان باله مشغولا بقول النبي عليه السلام : « ان هذا القرآن نزل بحزن ، فاقرأوه بحزن » ! . وقوله : « ان أحسن الناس قراءة، من قرأ القرآن يتحزن به » ! .. وقوله : « ان قرأتموه فابكوا ، فان لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به ، فمن لم يتغن به فليس منا » ! .

وكلما سمعت الآن ـ ونحن في شهر رمضان ـ تسجيلات للشيخ رفعت ، تذكرت سهرات رمضان البعيدة التي كانت تضيء في الاذاعة كل ليلة ،وتضيء في قلوب الناس ، بتلاوة القرآن ! ..

كان صوت الشيخ رفعت يحمل للمستمعين في كل البلاد راحة الضمير ، واطمئنان النفس وحلاوة الثقة بعد نهار الصوم .. وكان اسمه مرتبطا بشهر رمضان ، يتذكرهما الناس معا،وينتظرونهما معا ، كأنهما معنى واحد من معاني الايمان وجمال الوجود ، انقسم فكان مادة انسان ، ومادة زمان ومكان ! ..

وكان ينطبق على الشيخ رفعت



الشيخ
عبده
عبدالراضى



قول الرسول عليه السلام وهو يذكر صوت سالم مولى أبي حذيفة قارىء القرآن : « الحمد لله الذى جعل فى امتى مثل هذا »!

.. أو قول عمر بن الخطاب لما سمع أبا موسى الاشعرى يتلو القرآن : « من استطاع أن تغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل»! .

كان صوت الشيخ رفعت خاشعا متواجدا (١) يثير وجد السامعين، ويستحضر خشوعهم .. قوى التعبير عن الامل فى الله والثقة بمغفرته وثوابه ..

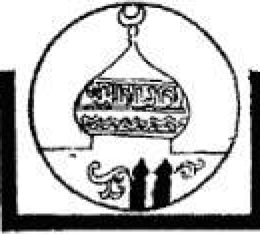
وقد لبث ـ رحمه الله ـ يبكيهم ويرقق أفئدتهم بآيات الثواب والعقاب زمنا طويلا ، حتى أبكاهم فى نهاية أمره على نفسه ، وأسال دموعهم حزنا على صوته ! ..

ففى أخريات عهده بالقراءة ـ فى منتصف الاربعينات ـ اصابته حبسة فى حنجرته أثرت تأثيرا ظاهرا فى مقدرته على التحكم فى صوته العظيم بالطريقة المعجزة المحيرة التى لبث يبهر سامعيه بها عشرات السنين قبل أن يتلو القرآن فى ميكروفون الاذاعة، وبعد أن جلس أمامه يتلو القرآن ..

كان الشيخ رفعت قبل ظهور الاذاعة الاهلية فى القاهرة معروفا فى نطاق ضيق ، لان المشايخ ذوى الاصوات العالية الجهيرة كانوا يجتذبون المستمعين بجهارة الصوت وضخامة حجمه ، وعلى رأس هؤلاء المشايخ ، القارىء والمنشد الكبير الشيخ على محمود . فلما أنشئت الاذاعات الاهلية فى القاهرة وسمع الناس من ميكروفوناتها صوت الشيخ رفعت ، ارتفعت مكانته فوق جميع المقرئين ، وصار يلقب بامام القراء ، ثم انشئت الاذاعة المصرية الحكومية فكان الشيخ رفعت أعظم الاصوات التى انبعثت منها ، مما جعل بعض القارئين حزبا ضده ! ..

وقيل ان بواعث الحسد فى بعض ذوى النفوس الضعيفة ،

(١) التواجد : الاحساس بالوجد .. والعامة تستخدم كلمة « التواجد » بمعنى الوجود ، وهو خطأ ..



من ذكريات شهر رمضان

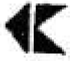
جملتهم يدسون له فى شراب أو طعام ما أفسد حنجرته ، ولكن الحقيقة ان الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ أصيب فى السنة الاخيرة من الثلاثينات بورم بسيط فى حلقه ، ثم تطور الورم وتبين انه سرطان الحنجرة أو الحلق،وزحف الداء ببطء عدةسنوات حتىمنعه تماما من القراءة ·· ثم كان السبب فى وفاته سنة ١٩٥٠ بعد أن استشرى فى جسده كله ، رحمه الله ·

وفى المرة الاخيرة التى سمعته فيها ـ ولم أجرؤ بعدها أن أسمعه ـ كان يتلو سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة كعادته ، فلما بلغ الآية : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا » ·· غص واحتبس صوته فى كلمتين أو ثلاث ·· فسكت قليلا كأنه يقاوم ما ورد عليه من الغصة والاحتباس ، ثم عاد يتلو تلاوة متقطعة حتى ملأت الغصة حلقهوحبست صوتهتماما

هنا حنى الشيخ العظيم رأسه، جريح القلب ، لا يدرى ما يصنع ! ·· ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدوأنه دواء وصفه له بعض الاطباء ، يأخذ منه جرعة كلما احتبس حلقه فلما احتسى الجرعة وقرأ ، أطاعه صوته فى آيتين أو ثلاث ، ثم قهره الداء وأبطل فعل الدواء الاحمر ، فتوقف الشيخ العظيممتحيرا بعض الوقت، ثم غادر مجلسه ، تاركا اياه لشيخ آخر يتلو ما تيسر من القرآن ! ··

كانت لحظة قاسية عنيفة ، لم تبرح ذاكرتى قط ، اهتزت لها أعصاب الحاضرين فى المسجد ، فضجوا بالبكاء ، حزنا وأسفا على أجمل صوت تغنى بالقرآن ، وارتفع أنين « المقرئين » الصغار الناشئين الذى كانوا يلتفون حول الشيخ العظيم كل جمعة ،يحاولون أن يتلقنوا بعض أسرار صناعته وفنه وطريقته ··

وبعد الصلاة خرج الناس ·· عيونهم تذرف ، وقلوبهم واجفة





وراء الشيخ الجليل ، لايدرون أبواسونه أم بواسون انفسهم!.

كلما سمعت الآن شريطا مسجلا من تلاوة الشيخ رفعت ، افيق من نشوتى به ، على ذلك المشهد الرهيب قارى الشيخ رفعت كيوم رايته فى المسجد وقد احتبس صوته ، وزجاجة اللواء الاحمر تنتقل من جيبه الى يده ، ومن يده الى جيبه فى تسليم بقضاء الله ، والناس من حوله تقهرهم الحسرة عليه ، والقارىء الصغير الكفيف الذى كان يحث السامعين على الانصات فى أول الامر، يقف فيهم خطيبا يحثهم على الصبر فيما رمتهم به المقادير فى صوت الشيخ ثم بخونه صبره فيجهش باكيا ، ويضج الناس وراءه باكين ! ..

لقد عطل المرض تلك الاوتار السماوية ، ثم أسكتها الموت الى الابد ، ولم يبق لنا منها الا هذه التسجيلات الصوتية الباهتة التى التقطها له بعض محبيه فى أخريات حياته ، بعد أن دهمه المرض . .

ففى هذه التسجيلات آخرما بقى من صوت الشيخ رفعت بعد مرضه وهذا لا يزيد على رسم مهتز من تلك الصورة الباذخة التى كان عليها صوت الشيخ قبل أن يفدر به الداء ! ..

كنت مرة أتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب عن صوت الشيخ رفعت ، فقال لى :

ـ هل سمعته أيام كان يقرأ فى الاذاعات الاهلية قبل انشاء الاذاعة الحكومة سنة ١٩٣٤ ؟!

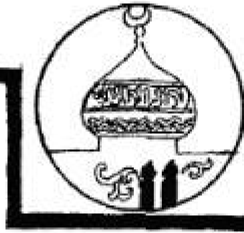
قلت :

ـ لم أسمعه الا فى سنة ١٩٣٥

قال عبد الوهاب :

ـ فى أوائل الثلاثينات كان مستمعو الشيخ رفعت يكادون يفقدون عقولهم طربا مما يأتى به فى تلاوته ، برغم خشوعه التام ، وقيام تلاوته على أدق أصول القراءة كما اتفق عليها العلماء ..

ومع ذلك فهذه التسجيلات



من ذكريات شهر رمضان

الباقية التي نسمعها من صوت الشيخ رفعت في بداية مرضه وقرب نهاية اعتزاله القراءة ، خير من لا شيء ، فانها نفحة من صوت ذلك القارىء العظيم ، وان لم تكن الا صورة مهتزة متواضعة جدا من ذلك الاصل الرائع الجبار ..

ومن أسف أن أكبر قارئين بعد الشيخ رفعت قد ضاعت آثارهما أيضا ..

فان الشيخ مصطفى اسماعيل ضاعت تسجيلاته أيام صوته الذهبى عند ظهوره في منتصف الاربعينات ، والى منتصف الستينات تقريبا ، الا متفرقات منها ليست الا لمحات خاطفة من صوته الفائق الجمال وفنه الذى جمع من البدائع ما يكفى جميع الدارسين للمقامات العربية ، مع انه كان يقرأ بلا دراسة لهذه المقامات .. وكانت فطرته وطبيعته أقوى من كل الدراسات .

والتسجيلات التي تذاع الآن للشيخ مصطفى اسماعيل ليس فيها من صوته وفنه الا أقل القليل فقد سجلها في أخريات حياته .. وهى خير من لا شيء على كل حال وان كانت تبدو لعارفيه كأنها ليست له ..

كذلك الشيخ عبده عبد الراضى مقرىء صعيد مصر ـ محافظة سوهاج ـ وكان منتظرا أن يقرأ هذا الشيخ من ميكروفون الاذاعة ولكن سخائم بعض الحساد والكائدين حالت بينه وبين الميكروفون ، فمات ـ رحمه الله ـ ولم يسمعه الا أهل الصعيد ، ولم يبق من صوته وفنه الا عدة تسجيلات لا تزيد على صدى ضعيف من صوته القوى الرائع .

كان الشيخ عبده عبدالراضى ـ كما قال الموسيقار عبدالوهاب بعد ان سمع تسجيلين فقط من تسجيلاته ـ ثالث الكبار فى تلاوة القرآن وهم : الشيخ رفعت والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ عبده عبد الراضى ..

محمد عبد الوهاب



والشيخ عبده في صوته وفنه، ليس له مثيل، واشهد انى لم اسمع في حياتي كلها صوتا كصوته في اقتداره وجماله ودقة ذوقه.. وكان صوته اضخم واقدر واجمل من صوت «كاروزو» المطرب الايطالي الذى ما زالوا يضربون به الامثال في جمال الصوت واقتداره ..

ولو اتيح له أن يتغنى بالقرآن في الاذاعة لملأ الدنيا وشغل الناس، ولرأوا فيه الشيخ رفعت والشيخ مصطفى اسماعيل مجتمعين .. ولكن المقادير جرت في أمره بما شاءت! ..

وقد توفى الشيخ عبده في أوائل سنة ١٩٧٨ فبكاه الشيخ مصطفى اسماعيل وحزن عليه حزنا شديدا وتوفى بعده في ديسمبر ١٩٧٨ وهو حزين عليه. وهذا من وفاء الشيخ مصطفى الذى كان مثلا للاخلاق الرفيعة.

رحم الله الثلاثة الكبار — على حد تعبير عبد الوهاب — وعوضنا خيرا، فقد خسرنا بفقدهم أعظم ثلاثة أصوات في الدنيا كلها، قلما اجتمع مثلها في عصر واحد، واحدا اثر الآخر! ..

ومن أسف أن آثارهم قد ضاعت، ولولا الاصداء الباقية من أصواتهم، لما صدق أحد انهم كانوا بيننا ملء الاسماع والابصار! ●

آيات بينات

● يا أيها المزمل • قم الليل الا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا •

● أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها •

● واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون

« قرآن كريم »

البحث عن دور فى المناطق الملتهبة من العالم

كرايسكى

وقواعد اللعبة الدولية فى الشرق الأوسط

بقلم : محمد سعيد

كأنما كانت اسرائيل تنتظر واقعة « الاعتداء » على سفيرها ارجون لكى تقوم بهذا الغزو السافر للاراضى اللبنانية . فما ان وقع الحادث الفردى الذى لم يذهب بروح السفير الاسرائيلى والذى نفت منظمة التحرير الفلسطينية اى صلة لها به حتى قامت اسرائيل بغزوتها الوحشية برا وبحرا وجوا دون ان يضع مناحم بيجن فى تصوره اى احتمالات لاى ردود افعال وكأنه ينفذ فعلته البربرية فى غيبة من متابعة الضمير العالمى معتمدا على قدرة الشريك الاكبر الولايات المتحدة الامريكية فى ايقاف صحوة هذا الضمير من خلال حق اعطاه لها القانون الدولى واصبح بمقتضاه حق الفيتو اى الاعتراض حقا اسرائيليا فى يد الولايات المتحدة تلوح به عند اللزوم عند وعى العالم بخطورة وعدوانية التصرف الاسرائيلى ، الامر الذى يحول دون اسرائيل وعقاب المجتمع الدولى.

وكانت النية مبيتة وهى كذلك بالفعل منذ اعلن مناحم بيجن وهو فى سعيه لتحقيق السلام من خلال منطق الامر الواقع الاسرائيلى الذى لا يختلف فى فهمه للسلام عن منطق التوسع فى اشد عهود البطش فى الامبراطورية الرومانية التى كان لها فى العرف الدولى وقبل عشرين قرنا سلام رومانى يسمى رومان بوكس لايختلف



كرايسكى



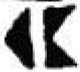
ميتران



جوتلمان



ياسر عرفات



فى تعدياته ومواجهاته عن السلام الذى تؤمن به اسرائيل والذى كان من بين اخر خطواته تلك الغزوة الوحشية على جنوب لبنان ووسطه وشماله فى محاولة لتصفية الارادة العربية الفلسطينية من خلال حملة الابادة الموجهة الى الشعب الفلسطينى والى المقاومة الفلسطينية رمز استمرار ارادة هذا الشعب المسلوب الحقوق والذى تمثل الحركة الفلسطينية بداية العودة الى اقرار كيانه وحقوقه واسترداد حقه فى تقرير المصير .

ومن خلال الاستحياء الامريكى فى معالجة الموقف وقمة فرساى لاقطاب الدول الصناعية السبع لا تزال منعقدة فى أوائل شهر يوليو لم تطور هذا الاستحياء الى موقف اخسر اكثر ايجابية فى مساندة العدوان الاسرائيلى من قبل الولايات المتحدة التى رفضت اى تلويح بفرض اى عقوبات على اسرائيل واستمرت فى خطواتها التقليدية فى حركة مبعوثها فيليب حبيب الى المنطقة وكان ابادة الالاف من الابرياء وبحار الدم التى غطت الرقعة اللبنانية لم تغير أى أمر من متغيرات الرؤية الامريكية لواقع السلام والاستقرار فى المنطقة .. الامر الذى جعل اكثر المتقاربين مع الفكر السياسى الامريكى يصرخ يائسا وهو يرى ابعاد التواطؤ الاسرائيلى الامريكى فى هذا البرود من ناحية ردود الافعال الامريكية .. ولم يصدر تعبير التواطؤ الامريكى الاسرائيلى هنا فقط فى صيحات الاستنكار والغضب العربية لكنه ايضا كان اكثر عقلانية فى جدلية التحليل التى قام بها عدد من خبراء الشئون الدولية فى اكثر من عاصمة فى الشرق والغرب .

واجماع صناع القرار السياسى فى الشرق والغرب على ادانة المسلك الاسرائيلى ورفض اصول استمراريته لم يخرج عن اجماعه سوى الولايات المتحدة الامريكية التى لم تجد مندوبتها فى مجلس الامن كير كباتريك شيئا تواجه به الرفض العالمى للمسلك الاسرائيلى سوى قطع اسلوب الحوار باستخدام حق الفيتو الذى يبدو انه لم يعد يساير الفهم العصرى لتناول مصائر الشعوب فى المنظمة الدولية من كثرة تلويح القوى الكبرى خاصة عندما يتعرض الامر لفرض عقوبة او جزاء على اسرائيل وفى كل الاحيان فان الولايات المتحدة وحدها هى التى تتصدى لمثل هذا الاسلوب فى استخدام هذا الحق .

كرايسكى

وإذا كان خروج الولايات المتحدة على الاجماع الدولى الذى يرفض المسلك البربرى الاسرائيلى الا أن الاجماع الرافض لهذا المسلك تتفاوت أيضا ردود أفعاله تبعا لمواقفه ومصالحه مع المجموعة العربية .

فأوروبا الغربية التى تتزايد مصالحها الاقتصادية مع البلاد العربية وقفت من البداية موقف المدين لهذا المسلك الاسرائيلى وضح هذا فى التأكيدات الفرنسية والايطالية والبريطانية والالمانية وأيضا فى بلاد البحر المتوسط على أطراف المجموعة الاوروبية مثل اليونان وتركيا واسبانيا .

وفى مجموعة الدول غير المنحازة كانت الادانة الصريحة لاقطاب هذه المجموعة خاصة ما صدر منها عن زعماء يوغوسلافيا والهند وغيرها من بلاد مجموعة الدول غير المنحازة التى تشكل وحدها ٨٠٪ من أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

على أن رد الفعل السوفييتى لم يكن مساويا فى درجته لقسوة المسلك الاسرائيلى كما لم يكن واضحا ايجابيته لقدر التأييد النظرى والفلسفى والسياسى الذى يعلنه الاتحاد السوفييتى تجاه الحق العربى ومن أجل نصرة المقاومة الفلسطينية حتى أن الرجل الثانى فى منظمة فتح صلاح خلف « أبو اياد » صرح لوكالة الانباء الفرنسية عقب الغزو الوحشى الاسرائيلى للاراضى اللبنانية وشراهة اقبالها على ابادة الانسان الفلسطينى بأن الزعماء الفلسطينيين كانوا يتوقعون موقفا سوفييتيا حازما منذ الساعات الاولى للغزو الاسرائيلى لكن يبدو أن للرفاق السوفييت أسلوبا خاصا فى الرد على مثل هذه الاعمال !!



● كرايسكى يصف مساهماته تجاه المسألة الفلسطينية بأنها تنبع من قناعات فكرية محايدة وموضوعية

عقلاء اليهود يرفضون

● على ان رفض المسلك الاسرائيلى العدوانى لم يكن مقصورا فقط على هذه الاتجاهات الدولية لكنه ايضا كان من خلال رفض عقلاء اليهود لهذه النازية الجديدة التى يتزعمها مناحم بيجن وقد اكد هذا المعنى ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر الصهيونى العالمى الذى اتهم فى مقابلة صحفية اجراها فى باريس رئيس وزراء اسرائيل مناحم بيجن بتوسيع الهوة بين اليهود والعرب بشنه هذا الهجوم السافر ضد الفلسطينيين .. كما ان هذا الهجوم الاسرائيلى على لبنان جزء من سياسة بيجن الخاصة جدا التى لا يبرر مهاجولدمان قتل الالاف من الابرياء فى مقابل الرد على محاولة اغتيال السفير الاسرائيلى فى بريطانيا .

وفى نفس الوقت الذى ادان فيه جولدمان التصرف الاسرائيلى العدوانى ادان المستشار النمساوى برونو كرايسكى وهو يهودى الديانة نمساوى القومية يكرر فى كتاباته ان من يقول ان كل يهودى صهيونى ... مخطئ، لان هذا فى عرف المنطق مصادرة على المطلوب وانه وبرغم ان ديانته يهودية الا انه يفصل بين اليهودية كديانة والافكار الصهيونية كمطلب قومى .

ومن هنا اشتهر برونو كرايسكى فى الاوساط العالمية بلقب السياسى اليهودى النزيه الذى يعرف بدقة قواعد اللعبة الدولية خاصة فهمه لابعاد الصراع فى الشرق الاوسط الذى جعل بعض غلاة المتعصبين الصهاينة يتهمونه فى ولائه الدينى برغم ان كرايسكى حريص على فهم لعبة التوازن الدولية فعلى حين يعتبر كرايسكى اول اوروبى ينادى بالاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى واول من يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية فهو ايضا مستشار الدولة التى تضم المعسكر الذى يتجمع فيه يهود شرق اوروبا والاتحاد السوفييتى وغيرهم من يهود العالم من خلال مقر الوكالة اليهودية التى تقوم بتهجيرهم الى اسرائيل ويقع هذا المكان فى ضواحى فيينا عاصمة النمسا .

وكان المستشار النمساوى كرايسكى كان واعيا للمسلك الاسرائيلى الاخير فى العدوان على لبنان والفلسطينيين فقبل ساعات من العدوان صرح برونو كرايسكى لمجلة « نيوزويك » الامريكية ردا على تساؤل لها حول دوره كوسيط لما يجرى من احداث فى الشرق الاوسط فقد قال كرايسكى :

« رغم انى اول من اعترف فى اوروبا بمنظمة التحرير الفلسطينية الا اننى لست وسيطا .. وقد قمت بشىء واحد فقط ينبع من قناعتى الفكرية فقد توصلت منذ زمن بعيد الى قرار بان السلام الدائم يمكن ان يتحقق بين اسرائيل والعالم العربى اذا ما امكن ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية فقط، وقد خلق ذلك العديد من المتاعب بالنسبة لى فى الماضى .. اما اليوم فقد اقتنع زملائى فى الغرب باننى كنت على حق . وان حل المشكلة الفلسطينية هو مفتاح سلام الشرق الاوسط .. كما ان نتيجة النزاعات الحالية فى المنطقة خاصة عدوان اسرائيل المتكرر على لبنان هو بداية عمل اكبر . كما ان مناحم بيجن قد اكد ذلك مؤخرا وبطريقة ضمنية عندما قال انه اذا ما قاوم الفلسطينيون فانه سوف يعلن عملية عسكرية كبيرة وهذا يعنى « الحرب » !!

وقد صدق حدس كرايسكى الذى وصل

كرايسكى

جد المغالاة الصهيونية الى اتهامه وهو يهودي بمعاداة السامية لانه دائم الانتقاد لسياسة اسرائيل العدوانية التي تربط سلامها على طريقتها الخاصة بسلام الشرطي الذي يحمي المصالح الاستعمارية الامريكية .. وقد رد المستشار برونو كرايسكى على هذا الاتهام في عدد الاسبوع الاول من شهر يونيو بمجلة « نيوزويك » بقوله ان ذلك غباء وانا يهودى لكنني لست صهيونيا وانا بالطبع مع الاعتراف باسرائيل وعمل كل ما هو ممكن لضمان مستقبل آمن لها . لكنني اعتقد ايضا ان للشباب في اسرائيل وكذلك في الدول العربية الحق في العيش في سلام وعدم زجهم في الحرب .

ومن هنا ايضا يبدو الحرص على دور النمسا المحايد في اننا لسنا ملتزمين عسكريا مع اى من القوى الكبرى لكننا في الميدان السياسى نلتزم بعمق بالمثل الاساسية للعالم الديمقراطى وحركة الاشتراكية الدولية .

وما يقوله كرايسكى ينبع بالفعل من فهم سياسى استراتيجى وقد ادركت هذا وانا ابحث في دور النمسا في لعبة السياسة في الشرق الاوسط اثناء اكثر من رحلة الى العاصمة فيينا في الصيف الماضى ومن خلال اكثر من لقاء مع عدد من المفكرين والمثقفين ورجال السياسة في النمسا وقد خرجت من هذه المناقشات بان النمسا دولة صغيرة (٨ مليون) تمتلك حضور الدولة الكبيرة على مسرح السياسة العالمية وقد اعطاءا

الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يلتقى بدكتور كرايسكى



● لماذا كان إجماع صناع القرار السياسى فى الشرق والغرب على إدانة المسلك الإسرائيلى الأخير؟

اختيار الحياد والاشتراكية الدولية هـذا الحضور ، وبرغم عدم تبعيتها للسـوق الاوروبية المشتركة فهى تتمتع بالاستقرار الاقتصادى الذى تتصـور دول السوق ان الدول خارجه لا تتمتع به .. ايضا فان اختيار النمسا لدورها من خـلال ظروف الحياد الذى اختارته عام ١٩٥٥ بالا تتبع ايا من الكتلتين الراسمالية او الاشتراكية والا تنضم لاى احلاف عسكرية الامر الذى جعل النمسـا من خلال دور مستشارها الاشتراكى الدكتور برونو كرايسكى تتمتع بمركز قيادى فى مجموعة الدول التى تحكمها احزاب العمل الاشتراكية وتلعب هـذه المجموعة دور الوسيط والمنظر فى الكثير من الاحداث وأيضا الافكار السياسية المعاصرة

ولقد بدأ وعى الدكتور برونو كرايسكى باهمية دوره فى المعاونة على خلق سـلام يقوم على ركائز قوية سـليمة منذ بداية السبعينات ومن اهم العوامل التى ساهمت فى تحديد هوية الدور النمساوى للمستشار الدكتور كرايسكى الاساس الفكرى والنظرى الذى يستند عليه كرايسكى فى معالجته للمشكلة استنادا لفهمه لقواعد اللعبة فى المنطقة ففى كتاب « القنبلة الزمنية » الذى يضم مقالات وتحليلات كرايسكى لابعاد الصراع فى الشرق الاوسط يرى المستشار النمساوى ان الضرورة تحتم اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية وانه لابد من ان تكون طريقة صياغة وتوجيه التساؤلات فى الامور السياسية بطريقة سـليمة اهم بكثير من تقديم حلول لان محور الصراع فى الشرق الاوسط هو امكانية قيام سـلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين ولانه إذا ما توفر هذا السلام فان الصراع بين اسرائيل والدول العربية يمكن حله حيث ان الغالبية العظمى من هذه الدول بما فيها مايعرف بالدول المتشددة تؤكد انها ستوافق على الحل الذى يقبله الفلسطينيون .

ومن المؤكد ان الحكـومة الاسرائيليـة لا تستطيع ان تختـار كما تشـاء ممثـل الشعب الفلسطينى وكمايقول الاسرائيليون انهم لا يمكنهم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسـطينية اذا لم تقم هذه من جانبهـا بالتنازل عن فكرة الغاء الدولة الاسرائيلية، ويقول الفلسطينيون انهم مستعدون لذلك بعد ما يقوم الجانب الاسرائيلى من ناحيته بالاعتراف بحق الفلسـطينيين فى تقرير مصيرهم وفى تاسيس دولـة لهـم .. وكرايسكى يرى انه من الممكن حل هـذه المشكلة .

لكن الاهم من زاوية الدور الذى يتصوره كرايسـكى مستقبلا ان يتم الاتفاق على تصور الصورة التى يمكن أن يتم عليها تحقيق قيام او تاسيس الدولة الفلسطينية

لكن كرايسكى برغم قناعاته التى ترفض عقلية السيطرة والنزو الاسرائيلية يعتقد ان هناك مرونة قد يحملها تغير الحكـومة الاسرائيلية لفهم حقائق السلام فى المنطقة والاستفادة من الفـرص المتاحة ويعتقـد

كرايسكى

كرايسكى الذى يصف ما يحدث فى الشرق الأوسط بالقنبلة الزمنية ان حزب العمل الاسرائيلى الذى قد ينجح فى القريب بتشكيل حكومة اسرائيلية تحل محل كتلة ليكود الحاكمة المتشددة والتى تقود السلام فى المنطقة الى قلب الهاوية .. هذا الحزب المشارك فى مجموعة الدولية الاشتراكية التى يبدو كرايسكى ابرز زعمائها قادر على التفهم - من وجهة نظر المستشار النمساوى - فيما يتعلق بالاستعداد لاعادة الضفة الغربية وقطاع غزة واعادة النظر فى قانون ضم الجولان السورية باستثناء تعديلات طفيفة .. ويقول كرايسكى : ان علينا ان نصدق ان الحزب جاد فى اعلانه الذى سبق ان قدمه فى نطاق الدولية الاشتراكية بانه يريد اعادة هذه المناطق الى الاردن بهدف تأسيس دولة فلسطينية ترتبط بعلاقة كونفدرالية مع الاردن . ويقترح كرايسكى استمرارا للمهمة لقواعد اللعبة فى الشرق الاوسط ان تصمت أصوات القنابل والرصاصات ويتوقف أزيز الطائرات لكى تنشأ مفاوضات مباشرة بين الفلسطينيين والاسرائيليين فى نطاق الامم المتحدة ولا يعقل ان تقوم الولايات المتحدة بمفردها او الاتحاد السوفييتى وحده او كلاهما معا بهذه المهمة نيابة عنهما .

●● ان فى امكان المستشار النمساوى برونو كرايسكى (٧١ سنة) بعد ان تخطى أزمته الصحية واعلن عزمه على خوض الانتخابات النمساوية القادمة مرشحا للحزب الاشتراكى الذى يحكم النمسا منذ اكثر من ١٢ عاما ان يعود الى دوره القيادى فى التوسط الى تسوية مقبولة من جميع اطراف الصراع فى الشرق الاوسط حيث اكدت التجارب العدوانية الاسرائيلية ان لا سبيل للسلام من خلال هذا المنطق التوسعى النازى كما اكدت تجارب السلام والاتفاقات التى لا تحترمها اسرائيل ان مستقبل السلام فى المنطقة كما يصر الدكتور كرايسكى مرتبط بحل المسألة الفلسطينية وقواعد اللعبة الدولية وابعاد الصراع فى الشرق الاوسط تنتظر بداية تحرك كرايسكى فى دوره القادم المنتظر بعد ان ينتهى من عطلته السنوية التى يقضيها بعيدا عن بلاده فى جزر « بالما دى ميوركا » الاسبانية حيث تعود كرايسكى ان يعود منها اكثر نشاطا وايجابية فى حركته ومساهماته الدولية من اجل تحقيق السلام والاستقرار فى منطقة يصر كرايسكى على ان يطلق عليها تعبير « القنبلة الزمنية » .

جالتيرى والبركان اللاتينى الثائر

● فى خلال شهر يونية وفى تحليلنا لأزمة فوكلاند والبركان اللاتينى الثائر فى امريكا الجنوبية تناولنا الوضع فى الارجنتين وقلنا ان مواجهة البريطانيين فى الجزيرة تعنى محاولة الخروج من ازمة الحكم اليمينى العسكرى وان فشل الجنرال جالتيرى فى حملته على فوكلاند ستكون نهاية حكمه العسكرى .. لقد حملت البرقيات التى نقلتها وكالات الانباء من بوينس ايرس فى الاسبوع الثالث من يونية خبر استقالة الجنرال جالتيرى . ●

الشركة المصرية للملاحة البحرية

- كيف تتحول الخسائر إلى أرباح ؟
- تجربة هامة لشركة مصرية



- اللواء / فاروق محمد عمايم
رئيس مجلس ادارة الشركة

تعتبر الشركة المصرية للملاحة البحرية ، من القلاع الكبرى فى البحرية التجارية المصرية ، فهى سليلة الفراعنة الذين جابوا البحار والمحيطات .

ان الشركة المصرية للملاحة البحرية ، من شركاتنا الوطنية التى استطاعت أن تقوم من كبوتها ، وأن تقفز فوق خسائرها .. وتحقق مكاسب كبيرة .. تؤكدها الارقام ..

وهذا حديث مع اللواء فاروق محمد عمايم، رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للملاحة البحرية .. لقد فردنا قلوع الاسئلة .. ولم يبخل رئيس مجلس الادارة بالاجابة عن كل تساؤل .

بدأ الحديث حول دور الشركة المصرية للملاحة البحرية .. فى رفع كفاءة النقل البحرى والشحن فى مصر .

ويقول رئيس مجلس الادارة :

— انه لا يخفى ان الشركة من شركات القطاع العام . وتملكها الدولة بالكامل . واسطولها يتكون من ٣٧ سفينة مختلفة الاغراض والسعة والحجم .

والشركة تقوم بنقل الركاب ، والبضاعة . وتملك حاويات لنقل البترول . فضلا عن أنها تنقل القمح ، تلك السلعة الاستراتيجية الهامة . ونذكر هنا أن نقل القمح يتم حاليا من خلال استئجار سفن متخصصة فى نقل القمح ، لحين استلام الشركة للسفن التى يجرى تصنيعها لحسابها فى اليابان .

ان الشركة تقوم بنقل واردات مصر بنسبة

١ر١١٪ من البضائع . أما بالنسبة لكمية الصادرات المنقولة على سفن الشركة فهى أقل بكثير .. وهى تمثل ٤ر١٣٪ من اجمالى الصادرات من البضاعة العامة ، وذلك لقيام الشركات الاخرى بالتصدير على نظام معين هو .. أن تقوم بتسليم البضاعة داخل مصر ، وعلى المشترى نقلها .. مما يسبب خسائر جسيمة للشركة المصرية للملاحة البحرية . فمعظم سفنها تضطر الى مغادرة الميناء وهى فارغة تماما .. الامر الذى يؤثر على الايراد .. وهو بالطبع ايراد « نصف مرحلة » .

ويضيف رئيس مجلس ادارة الشركة اللواء فاروق محمد عمايم :

— لقد حاولت الشركة مع وزارة النقل البحرى ، ومع لجنة النقل والمواصلات بمجلس الشعب ، . لتعديل هذا الوضع . ومحاولة اصدار تشريع ينص على ضرورة تصدير ما لا يقل عن ٥٠٪ من الصادرات على سفن الشركة . وهذا ليس بدعة ، بل ان هذا نظام متبع فى جميع انحاء العالم ، بالنسبة للدول التى تحافظ على اسطولها الوطنى ، وتشغيل طاقاته كاملة ..

والى أن يصدر هذا التشريع ، فان الشركة تبذل كل جهودها لاخطار كافة الشركات باستعدادها لنقل وشحن بضائعها بكفاءة .

● وهنا نسأل : كيف عبرت الشركة من مرحلة الخسائر .. الى مرحلة تحقيق المكاسب والارباح ؟

ويجيب اللواء فاروق عمايم قائلا :

— أولا : لقد تخلصت الشركة من كافة السفن التى انتهى عمرها الافتراضى .. وكانت هذه السفن تقضى أوقاتا طويلة فى أحواض الاصلاح . وهذه السفن القديمة كان عددها ١٣ سفينة ، وكانت تسبب خسائر سنوية تقدر بحوالى ٥ ملايين جنيه .

ولقد تم التخلص منهـا بالبيع . تم التخلص من ١١ سفينة وباقى اثنتان يجرى التخلص منهما .

ثانيا : اعادة الشركة النظر فى الخطوط الملاحية الخاسرة ، فى بعض المناطق .. مثل مناطق البحر الادرياتيكى ، وخطوط شمال شرق أوربا ، وخط انجلترا وفرنسا . وقد تم ذلك باسلوب تحقيق الكفاءة والسرعة . وهو أسلوب يضمن عدم تعطل السفن . وحققنا فى ذلك الكثير . والدليل على ذلك أنه بالنسبة للخط مثل خط أمريكا ، جرى تعديله ، وصار خطا رابحا . كما تم زيادة عدد السفن العاملة عليه من اربع سفن الى سبع سفن .

كما تم تعديل خط لندن ، والتركيز عليه ، وتعديل توقيتاته مما جعله يحقق أرباحا مستمرة . وقد قمنا بعقد اتفاقية مع الشركات شبه الوطنية ، مثل الشركة الاتحادية ، والشركة العربية ، والشركة المصرية للنقل البحرى .

وقد حققنا الانضباط فى الحصول على البضائع فى الوقت المناسب والمحدد .. فى موانى شمال وشرق أوربا .

أيضـا فان الشركة قد فتحت مجالات جديدة . اذ أنها أيضا تعمل فى مجال البترول ، وللشركة سفينتان تعملان فى البحر الاحمر وهما مؤجرتان للهيئة العامة للبترول .

أما فى مجال الركاب ، فهو المجال الوحيد الذى يمكن أن تقول انه لا يحقق أرباحا ، ولكنه يغطى تكاليفه .. والسبب هو قلة عدد الركاب ..

ويقول اللواء فاروق عمايم مضيفا :

— ان الشركة تقوم حاليا باتخاذ الاجراءات لفتح خط جديد للشرق الاقصى واليابان . وبذلك تكون الشركة قد قامت بتغطية معظم خطوط الملاحة العالمية بسفنها ، والتى تسير عليها سفن بضاعة . وسوف يغطى هذا الخط أيضـا كلا من خط اندونيسيا ، وموانى كولمبو والهند .

● وينشأ هنا سؤال : ان التخطيط هو اسهل طريق للربح .. ماهى مشروعات الشركة لدفع كفاءة النقل البحرى ؟

ويجيب رئيس مجلس الادارة قائلا :

— لدينا خطة خمسية من أجل تزويد الشركة بـ ٢٠ سفينة جديدة حتى نهاية عام ١٩٨٥ ، وهى كما يلى :

١ — بناء ٣ سفن من طراز رمسيس بضاعة حمولة كل سفينة ٨٢٠٠ طن . وقد تم استلام هذه السفن خلال عامى ١٩٨٢/٨١ وهذه السفن حاليا تحت التجربة .

٢ — بناء ٣ سفن متعددة الاغراض «لنقل البضاعة العامة والحاويات رورو «دحرجة» . أى نقل عربات ومقطورات بدون تحميل .

بضاعة صب ٠ ثم نقل الغلال والدقيق والارز والسكر ٠٠ و ٠٠ وهذه السفن يمكن ان تغير شكلها الداخل حسب نوعية البضائع ، وحمولة كل منها ١٢٦٠٠ طن ، ويتم بناؤها بترسانة الاسكندرية ٠ وقد تم تدشين سفينتين ، وسيتم تدشين الثالثة فى نهاية هذا العام ٠ كما سيتم استلام هذه السفن فور انتهاء التجارب عليها خلال هذا العام او العام القادم ٠

٣ ـ بناء سفينتين حمولة ٦٥٠٠ طن بترسانة بورسعيد التابعة لهيئة القناة ٠ وسيتم استلامها فى نهاية هذا العام او العام القادم

٤ ـ بناء ٤ سفن صب ، وناقلات غلال حمولة ٤٠٨٠٠ طن لكل وحدة ٠ وقد تم التعاقد عليهما مع اليابان منذ يونيو ١٩٨١ ويجرى تسلمهما فى نهاية ١٩٨٣ وأوائل ١٩٨٤ ٠

٥ ـ بناء سفينتين صب وناقلة غلال حمولة ٣٥٠٠٠ طن ٠ وقد تم الاعلان عنهما فى مناقصة علنية ، وقد فتحت مظاريفهما فى ٢٠ـ٦ـ١٩٨٢

٦ ـ سيتم بناء ٤ سفن « رورو » حمولة ٣٠٠٠ طن ، وقد تم الاعلان عنهما فى مناقصة علنية ، وفتحت مظاريفهما فى ٢٠ـ٦ـ٨٢

٨ ـ سيتم بناء عبارتين حمولة ١٠٠٠ راكب و ٢٠٠ سيارة تم الاعلان عن مناقصتهما وفتحت المظاريف فى ٢٧ـ٦ـ٨٢

ويضيف رئيس مجلس الادارة :

ـ ان الحمولة الكلية حاليا للاسطول التجارى المصرى من عام ١٩٨٠ وحتى بداية الخطة ، تتمثل فى ٣٥ سفينة عاملة ، اجمال حمولتها ٢٨٤٨٥٦ طنا ٠ وكذلك حمولة ٢٠ مركبا ، سيتم تزويد الاسطول بها ليصبح المجموع ٣٢٥٦٩٠ طنا وهذا يعنى ان حمولة الاسطول ستتضاعف فى نهاية الخطة الخمسية الى ٦١٠٥٤٦ طنا ٠

● ما الذى ادى الى هذا النجاح ؟

ـ لقد كان للعاملين بالشركة دور واضح وملموس فى رفع كفاءة التشغيل على كافة مستوياتها ٠٠ مما كان له اكبر الاثر فى تحقيق بعض النجاح خلال هذا العام ٠ ونأمل أن يزيد الجهد فى العام الذى يليه ٠ ونحن لانبخل على المجتهدين بالحوافز والمكافآت من أجل رفع الكفاءة ٠

● بالطبع لايمكن ان ينتهى الحديث دون الكلام عن التكدس ٠٠ كيف تستطيع الشركة ان تضع حلولا لمنع التكدس ؟

ـ الواقع ان الشركة تحاول القضاء على مشكلة التكدس عن طريق اشراك طاقم المركب بالاضافة الى التشهيلات ، لانهاء تفريغ السفن بسرعة ، مع الاتصال الدائم باصحاب البضاعة لاحضار وسائل النقل الخاصة بهم ، لاخذ بضائعهم ٠

والشركة لاتبخل بالحوافز على العاملين من أجل انهاء مشكلة التكدس ٠

ولقد ارتفع معدل الشحن من ١٢٠ طنا يوميا الى ٤٠٠ أو ٥٠٠ طن ٠ وأحيانا الى ٨٠٠ طن فى اليوم ٠٠ الامر الذى يقلل من ساعات وقوف السفن وتكدسها داخل الميناء

● اخيرا ٠٠ نطلب من اللواء فاروق محمد عمايم رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للملاحة ٠٠ أن يلخص اسباب النجاح المطرد للشركة ٠٠

ويقول فى عدة نقاط سريعة :

١ ـ قيام لجنة تقصى الحقائق بدراسة أسباب القصور وهى : حوالى ١٨ بندا الامر الذى ساعد الشركة على التخلص من هذه الاسباب مما دفع بالشركة الى الامام ٠

٢ ـ التعاون الكامل والتفهم لمشاكل الشركة من جانب وزارة النقل البحرى وعلى رأسها السيد الوزير وذلك أدى الى التغلب على المشاكل المالية والادارية وأدى أيضا الى سرعة تنفيذ تعاقدات الشركة دون أى عقبات أو قيود ادارية ٠

٣ ـ اعادة تنظيم خطوط الملاحة ٠

٤ ـ الاتصال بالوكلاء وتشجيعهم على سرعة شحن السفن والاستغناء عن الوكلاء الذين لايقومون بالعمل كما ينبغى ، مثل وكيل احدى الدول ، وقد تم استبعاده ٠

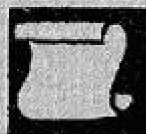
٥ ـ الروح المعنوية العالية للعاملين ، وهى روح الفريق ٠

٦ ـ الاقلال من مصروفات الاصلاحات حيث يقوم بها طاقم السفن بعد تدريبهم على ذلك

٧ ـ تشكيل قطاع للصيانة ليضطلع بالاعمال التى لايستطيع الطاقم القيام بها

٨ ـ نظام الحوافز والمكافآت الذى يدفع الطاقم للقيام بعمليات اصلاح السفن ، والذى يوفر كثيرا ٠

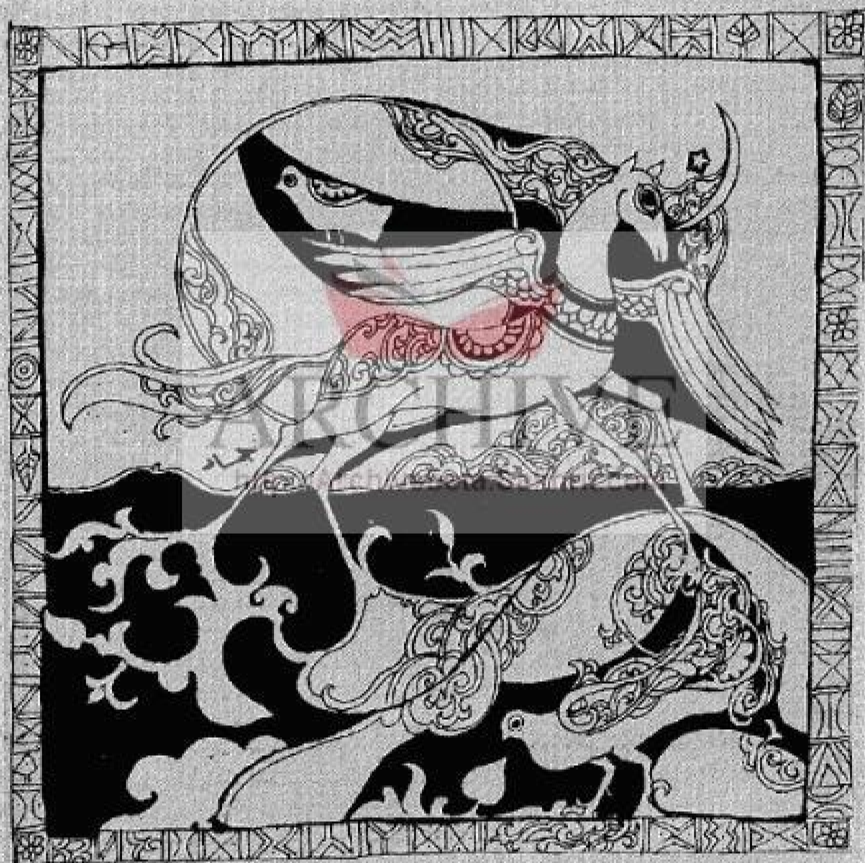
٩ ـ قلة الاصلاحات التى تقوم بها الشركة نسبيا ●



من ذخائر
الكتب العربية

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

الوحدة المحمدية



● كتاب ترجم إلى الأوردية والصينية والفارسية وانتشر في العالم الإسلامي
● في القرآن كل ما يحتاجه البشر في شئون السياسة والاجتماع والحرب والمال
● كان العقاد يلقب الشيخ محمد عبده بخليفة الإمام الغزالي
● مؤلف "الوحي المحمدي" فاته لقاء المعلم الأول ولم يفته لقاء المعلم الثاني

— ١ —

« الوحي المحمدي » تأليف السيد محمد رشيد رضا تلميذ الامام محمد عبده ، والرائد الاول في مدرسته ، وصاحب مجلة المنار الاسلامية المعروفة ، كتاب جليل ظهرت طبعته الاول عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، اي قبل وفاة مؤلفه بعامين ، فهو آخر كتبه ، ولذلك حمل روح السيد محمد رشيد رضا ، وثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير والمامه الشامل بالشئون الاسلامية ، وبعد عام من هذا التاريخ صدرت طبعة ثانية له ، وبعد عام آخر كانت الطبعة الثالثة قد ظهرت، وذلك قبل وفاة السيد محمد رشيد رضا بقليل •

وقد ترجم الكتاب الى الاوردية ، والصينية ، والفارسية ، والتركية وذاع النفع به في جميع انحاء العالم الاسلامي ، واولاه المستشرقون والباحثون والمفكرون المزيد من الاهتمام في كل مكان •

والسيد محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) ولد في لبنان ، وترعرع في ربوعه ، ثم هاجر الى مصر في يناير ١٨٩٨ م ، واقام في القاهرة طيلة حياته ، وتوفي فيها في يوم الخميس ٢٣ من جمادى الاول عام ١٣٥٤ هـ ـ ٢٢ من اغسطس ١٩٣٥ •

واذا كان السيد محمد رشيد رضا قد فاته ان يلقى جمال الدين الافغاني ، فان الاقدار هيأت له ان يلقى الاستاذ محمد عبده تلميذ الافغاني ورائد المدرسة الاسلامية المجددة في العصر الحديث ، وفي ذلك يقول السيد محمد رشيد رضا : لئن فاتني لقاء المعلم الاول (اي جمال الدين الافغاني) ـ فلن يفوتني لقاء المعلم الثاني ـ (يريد الامام محمد عبده) ـ مجلة المنار المجلد ٢١ ص ٣٧٧ •

وحين وصل السيد محمد رشيد رضا القاهرة توجه في اليوم التالي الى دار الاستاذ الامام في عين شمس لزيارته ، وطلب عون الامام لاصدار مجلة باسم المنار ، فبذل له الاستاذ الامام كل عون ، وصدرت مجلة المنار ، وحمل العدد الاول منها تاريخ ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ ـ ١٥ من مارس عام ١٨٩٨ اي بعد وصول السيد رشيد رضا الى القاهرة بشهر ونصف •• وكانت وفاة الامام محمد عبده في يوليو ١٩٠٥



حدثا كبيرا فى حياته ، وظل رشيد رضا بعد ذلك يواصل جهاده الاسلامى ، ورحل الى الحجاز وتركيا والهند ، وزار سورية وفلسطين وطاف باوروبا .

واشترك فى مختلف جوانب النشاط الاسلامى فى القاهرة الى ان توفى الى رحمة الله .

وكانت صلته بالامام محمد عبده هى العامل الاكبر فى تغيير مجرى حياته ، والامام محمد عبده هو من هو .. ويحسبنا ان العقاد كان يلقبه بخليفة الغزالى - ص ١١٩ كتاب « أنا » للعقاد .

واول مرة لقى فيها رشيد رضا الامام محمد عبده كانت فى طرابلس الشام ، وكان محمد عبده مقيما فيها اثناء نفيه فى حوادث الثورة العرابية ، وكان ذلك نحو عام ١٨٨٣ م . ثم لقى رشيد رضا الامام فى طرابلس مرة ثانية عام ١٨٩٤ م ، وكان محمد عبده قد ذهب مصطافا وحل ركبه فى طرابلس ، وهى موطن السيد رشيد رضا ومسرح شبابه .

ويقرر رشيد رضا ان الامام محمد عبده هو الذى نفخ فيه روح العمل للاسلام والعروبة ، بالتبع لاستاذه جمال الدين الافغانى .

وظل رشيد رضا يعمل فى نشر تراث الامام محمد عبده وفكره ودعوته الى الاصلاح والتجديد طيلة حياته ، الى ان توفى الى رحمة الله .

- ٢ -

اما كتاب « الوحى المحمدى » فيقول رشيد رضا عنه انه صنفه فى اثبات « الوحى المحمدى » ، وان القرآن كلام الله عز وجل ، وكونه مشتملا على جميع ما يحتاج اليه البشر من الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى والمالى والحربى (ص ٢٤ الوحى المحمدى - الطبعة السادسة التى صدرت عام ١٩٦٠ بالقاهرة) - وفى الكتاب يؤكد مؤلفه ان كل ما يحتاج اليه المسلمون من اصلاح ، وتجديد حضارة وملك ، متوقف فيهم على هداية القرآن الكريم .

وفى الكتاب يتحدث رشيد رضا عن اعجاز القرآن ، وما احدثه من الثورة العالية والانقلاب الانسانى من كل وجه ، ويتحدث عن مقاصد القرآن الكريم فى اصلاح البشر وتكميل نوع الانسان ، من جميع نواحى التشريع الروحى والادبى والاجتماعى والمالى والسياسى مما اشتدت حاجة الشعوب والدول اليه فى هذا العصر ، ومما هو اكمل واكفل للمصالح العامة ، من كل ما سبق من تعاليم الانبياء ، وفلسفة الحكماء ، وقوانين الملوك والحكام ، ودساتير الامم والشعوب على اختلاف العصور .

● العقل والعلم لايغنيان عن هداية الرسالات السماوية المنزلة

ويتلو المؤلف بشدة شبهة الوحى النفسى ، وشبهة ان يكون القرآن كلام محمد ، فجملة تعاليم القرآن وتفصيلها هى فوق استعداد اى بشر ، امى أو متعلم ، ولا يعقل الا ان يكون وحيا من الله تعالى اختص رسوله العظيم به .

● الحقوق التي منحها القرآن للمرأة سبقت جميع التشريعات العالمية

ويقول المؤلف : انه اذا فرضنا انه يحتمل ان يكون شيء من هذه التعاليم من تاثير الوراثة والبيئة والتربية ، او ان يكون قد تسرب الى ذهن الرسول بعض مسائلها من افواه عقلاء قومه او غيرهم ، ممن لقيهم في اسفاره القليلة ، او ان يكون قد فكر في حاجة البشر الى مثلها ، بما ادركه بذكائه الفطرى من سوء حالهم ، فهل يعقل ان تكون تلك اللفتات الشاردة ، وهذه الخطرات الواردة ، تبلغ هذا الحد من التحقيق ، والوفاء بحاجات الامم كلها ، وان تظل كلها مكتومة من سن الصبا ، وعهد حب الظهور ، الى ان تظهر في سن الكهولة ، بهذه الروعة من البيان .. فتحدث هذه الثورة العربية ، المغيرة لطباعها ، المبدلة لاوضاعها بحيث تسود بها شعوب الدنية كلها – راجع ص ٣٦٣ و ٣٦٤ الوحى المحمدى .

– ٣ –

من اجل هذه الغاية التى قصد اليها السيد محمد رشيد رضا بكتابه « الوحي المحمدى » ، وبعد المقدمات التى صدر بها الكتاب ، مما كان تصديرا للطبعات المتعددة من الكتاب .. جعل السيد محمد رشيد رضا كتابه خمسة فصول :

ففى الفصل الاول يتحدث عن تحقيق معنى الوحى والرسالة وحاجة البشر الى الرسالات السماوية المنزلة .. ويقرر ان العقل والعلم البشرى لا يغنيان عن هداية السماء والرسالات ، ويؤكد كذلك ان الوحى المحمدى فيه السعادة الدنيوية والاخروية – ص ٤٤ من الكتاب .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وميزتها على سائر النبوات ، ويفند شبهة منكرى عالم الغيب على ضوء الوحى المحمدى ، وشبهة ما يطلقون عليه اسم الوحى النفسى ، ويؤكد ان آية الله الكبرى هى القرآن . وينفى تاثير بيئة الحجاز التى نشأ فيها محمد صلى الله عليه وسلم فى اى جانب من جوانب الوحى المحمدى العظيم .

وفى الفصل الرابع يتحدث السيد محمد رشيد رضا عن الاعجاز القرآنى ، ويقرر ان هذا الاعجاز كان باسلوب القرآن وبلاغته ويتحدث عن الثورة والانقلاب الذى احدثه القرآن الكريم فى الامة العربية ، عامة ، واحداثه اكبر ثورة عالمية ، وعن اثره فى مشركى العرب عامة ، وفى المؤمنين به منهم خاصة .

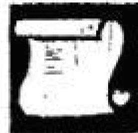
اما الفصل الخامس فقد خصصه للحديث عن مقاصد القرآن الكريم، وهو اطول الفصول .

ومقاصد القرآن التى ذكرها المؤلف عشرة :

المقصد الاول هو بيان حقيقة اركان الدين .

والمقصد الثانى بيان ما يجهله البشر من امور النبوات والرسالات

والمقصد الثالث هو بيان ان الاسلام دين الفطرة السليمة ، ودين العقل والفكر ، ودين العلم والحكمة والفقه والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال .





والمقصد الرابع : الاصلاح الانسانى الاجتماعى والسياسى والوطنى
والمقصد الخامس : شرح مزايا الاسلام العامة .

والمقصد السادس : الحديث عن الحكم السياسى الدولى فى الاسلام
والمقصد السابع : فى الاصلاح المالى ـ أى الاقتصادى ـ الذى جاء به القرآن الكريم .

والمقصد الثامن فى بيان شريعة الحرب فى الاسلام .

والمقصد التاسع : فى بيان الحقوق الانسانية والدينية والمدنية التى جاء بها القرآن الكريم ومنحها للمرأة ، مما سبق به جميع التشريعات العالمية التى تنادى بالعطف على المرأة وحمايتها والتشريع لها .

والمقصد العاشر من مقاصد القرآن الكريم : بيان منهج الاسلام فى تحرير الارقاء .

كل ذلك هو جوهر ما تضمنه هذا الكتاب القيم من آراء وافكار .
ومن اهمية الكتاب يتضح لنا سر ما يؤكده الشيخ رشيد رضا فى كتابه من انه كتاب يصلح للدعوة الى الاسلام ـ ص ١٠ ـ وانه خير ما يدعى به الى الاسلام ، وما يدحض شبهات الماديين والملاحدة ـ ص ١٤ ـ ويتضح لنا سر حرصه الشديد على ان يكون هذا الكتاب فى أيدى الشباب من الطلاب فى كل مكان .

ـ ٤ ـ

والفصل الذى كتبه عن حماية الاسلام للمرأة واعطائها حريتها الكاملة .. فصل ممتع حقا ..

ومن هذا الفصل فقرات كثيرة رائعة ولننظر الى ما يقوله السيد محمد رشيد رضا :

كان بعض البشر فى اوروبا وغيرها ، يرون ان المرأة لا يصح ان يكون لها دين ، حتى كانوا يحرمون عليها قراءة الكتب المقدسة رسميا ، فجاء الاسلام يخاطب بالتكاليف الدينية الرجال والنساء على حد سواء ، بلقب المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات وكان اول من آمن بمحمد خاتم الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليه امرأة ، وهى زوجه خديجة بنت خويلد . وقد ذكر الله تعالى مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء فى نص القرآن ، ثم بايع الرجال بما جاء فيها ـ ص ٢٤٦ .

● الاسلام دين العلم والبرهان والضمير والحرية والاستقلال

وفى فصل تحرير الاسلام للارقاء يقول الشيخ محمد رشيد رضا : منع الاسلام جميع ما كان عليه الناس من استرقاق الاقوياء للضعفاء بكل وسيلة من وسائل البغى والعدوان ، وقيده باسترقاق الاسرى فى الحرب التى اشترط فيها ما تقدم بيانه من دفع المفاسد ، وتقرير المصالح ، ومنع الاعتداء ، ومراعاة العدل والرحمة ، وهى شروط لم تكن قبل مشروعة عند المليين ، ولا عند اهل الحضارة ، فضلا عن المشركين الذين لا شرع لهم ولا قانون ـ ص ٢٥٤ من الكتاب . وبهذه المناسبة اذكر ان مفكرا اسلاميا هو الاستاذ ابراهيم هاشم الفلالى كتب

● صلة المؤلف بالأستاذ الإمام نفخت فيه روح العمل للإسلام والعروبة

كتابا ضخما مطبوعا عنوانه « لا رق في القرآن » ، وهو ينفي بشدة ان يكون الاسلام قد اباح اى لون من الوان الرق .

ويقول المؤلف السيد محمد رشيد رضا في كتابه كذلك عن القرآن الكريم :

من كان يؤمن بان للعالم ربا عليما حكيما رحيمـــا مريدا فاعلا مختارا ، فلا مندوحة ولا مناص له من الايمان بان هذا القرآن وحي من لدنه عز وجل انزله على خاتم انبيائه المرسلين رحمة بهم ليهتدوا به الى تكميل فطرتهم ، وتزكية انفسهم ، واصلاح مجتمعهم من المفاسد التي كانت عامة لجميع اممهم ، فيكون اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فرضا الهيا عاما كما قال تعالى : « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والارض ، لا اله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورســـوله النبي الامي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » ـ ص ١٠٤ من الكتاب .

ـ ٥ ـ

وبعد فكتاب « الوحي المحمدي » حقا كتاب الدعوة الى الاســـلام ، وكتاب مملوء بالاصول العامة لدين الله وخاتم الرسـالات ، والوحي المحمدي العظيم .

وكتاب يدافع فيه مؤلفه بقوة وغزارة علم وحرارة عاطفة ، وسعة عقل ، وشمول نظرة ، عن الاسلام ، والقرآن ، وعن رسول الاسلام محمد صلى الله عليهوسلم .

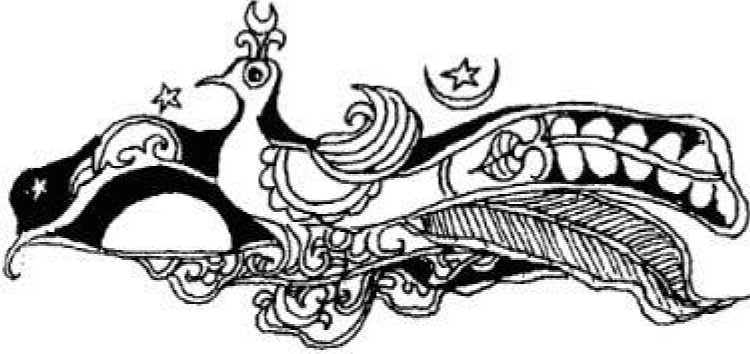
ويمتاز الكتاب باسلوب الشيخ رشيد رضا الجدل المملوء بالحـوار العلمي الجاد الهادف ، وبالحجاج العقل الطريف في مقارعة خصوم الاسلام واعدائه من كل مذهب وكل فكر ..

والكتاب يرد فيه مؤلفه بقوة على شبهات منكري الوحي الآلهي .. ويشرح فيه بجانب ذلك كله مزايا الاسلام العظيمة : من تقــريره للعدالة والاخاء والمساواة وتحريمه الظلم ، ومن دعوته الى التكـافل الاجتماعي ، ومن كونه دين الوحدة الانسانية العامة ، وحدة الامة ، ووحدة الدين ، ووحدة التشريع ، ووحدة الجنسية السياسية الدولية ووحدة القضاء ، وعلى الاجمال : الوحدة الانسانية بالمساواة . ثم هو دين الوسط الجامع لحقوق الروح والجسد ، ومصالح الدنيا والآخرة والدين الذي غايته الوصول الى سعادة الاولى والآخـرة ، وهو دين يسر ولا عسر فيه ، ودين يكره الغلو في العبادة وفي كل شيء ،ودين قليل التكاليف سهل الفهم ، بل هو دين الفطرة ودين العقل والعلم والقلب والوجدان والضمير ، ودين يحرم التقليد ويدعو الى الاجتهاد ، ويفتح المجالات امام العقل الانساني ليبتكر ويجدد في الحياة .

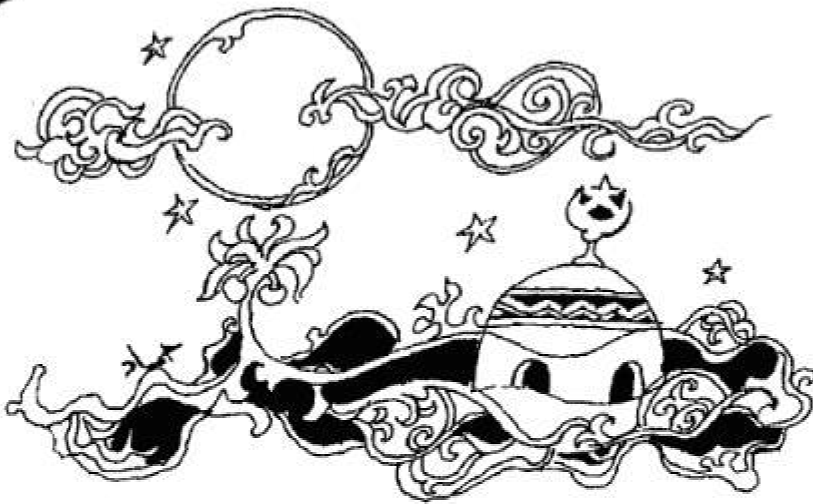
واذا كان اسلوب الشيخ محمد رشيد رضا اسلوبا علميا اكثر منه ادبيا ، فانى اقدر كل التقدير هذا الجهد الكبير ، وهذا العمل المضني ، وهذا العبء الشاق الذي حمله المؤلف ، من اجل الاسلام ، ورسـالة الاسلام .. والله ولي التوفيق ●

بيت الله

شعر: عبد العزيز بيومي على



الله قدَّر أن يجـود والخير يطمع فى المـزيد
والعبـدُ يشـكر للاله. مسـبحا عند السجود
هـٰذِى رحابُ اللهِ ، بارك حَولها هذا الوجود
قُدِّس من الأقداسِ ، ذكّر بالجِنان وبالخلود
يا مذنبـا عد للاله ، وتب مطيعـا من جـديد
البيتُ بيتُ الله ، لا عمرو بنـاه ولا يـزيد
وبنته تَقوى الله ، فى نفس تَقِىٍّ إلى الهجُود
وبناه إيمـان يفجّر نوره رب وحيـد
وينير النـاس السبيلَ يَحثهم أمـل سَـعيد
مرحى لبيت الله يرفلُ فى القـلادة والجـديد
أقبل وصلّ الركعتين ولُذْ بما يرضى الالـه
وترنَّمَنْ بآية ، واصبرْ على عَنَت الحيـاه
كَبِّرْ لربِّ العالمين ، هنـا تَخر له الجِبـاه



لا الكبر ينفعنا ولا الدنيـا توصـل للنجـاه
واخشـع ببيت الله ، إن نادى المؤذن للصـلاه
الله أكبر كم سـمعناها تـدوى فى جـلال
ولها تقلب المؤمن البـاكى خشوع وابتهـال
الخيرون يسارعون بهـا إلى خير الفعـال
والصالحون يهللون بهـا إذا طلع الهـلال
الله أكبر حين يغمرنا المهيمـن بالظـلال
الله أكبر ما تمسـكنا بأهـداب السـلام
الله أكبر حين ننعم فى صـيام أو قيـام
الله أكبر ما يعيش الناس فى دنيـا الوئـام
الله أكبر خير أغنيـة يرتلهـا الأنـام
الله أكبر همهمات القلب لاذ بهـا وهـام



٣٠ عامًا على ثورة يوليو

المثقف المصرى وثورة يوليو

من الفعل إلى التبرير إلى الفرجة

في الثالث والعشرين من هذا الشهر . تكون ثورة يوليو . قد اكملت العام الثلاثين من عمرها وقد كانت ثورة يوليو هي الثورة الام للعديد من حركات التحرر في الوطن العربي والشرق الاوسط والعالم الثالث بشكل عام وثورة يوليو سواء في سنوات المد الثورى او سنوات الجزر اليميني . سواء وهي ثورة فاعلة . تقود الفعل الكبير في عالم اليوم . او عندما تحولت الى مجرد رد فعل . كانت قدوة حقيقية لكل ثورات النصف الثاني من قرننا العشرين هذا .

فكرت طويلا في البحث والتقصي وراء ما قامت به الثورة بالنسبة للادب والادباء . ولكني اكتشفت ان ذلك صعب . فعلاقة المثقف بمصر والحكم في مصر . مرت في هذا القرن بالكثير من المراحل . تنوع دور المثقف بين المشاركة الفعلية . والفرجة من بعيد . والقدرة على لعب دور المبرر . وقدرة الافتعال والانتقاص وغير المرتبط باى قوة من القوى .

اكتشفت ان الحديث عن ثورة يوليو له مدخل واحد . وهو مدخل خاص بي . فمن المؤكد انه لولا ثورة يوليو ما تعلمت اصلا وما عرفت ذلك العالم السحرى الغامض والعظيم الذى يمنحه الحرف المكتوب . لمن يتعلمه . قامت ثورة يوليو . وانا في الثامنة من عمرى . وقد شاهدت والدى بنفسى . قبل قيام هذه الثورة . وهو لا يستطيع المرور من امام بيت احد الاقطاعيين في قريتنا . وهو يركب حماره . كان لابد من نزوله وسيره وراء الحمار . حتى يمر من امام بيته . مع انه لا يوجد عرف ولا قانون يفرض عليه ذلك . ولكن فقط توجد حالة من الهيمنة الاجتماعية . للطبقة التى كان يمثلها هذا الاقطاعى . وغيره . شاهدت ايضا في قريتنا الشجرة الكبيرة . التى كان يربط فيها الاقطاعى . من يخالف اوامره . وكان الفلاح يربط في هذه الشجرة اكثر من يوم في بعض الاحيان .

لست باحثا ولا دارسا . حتى اتكلم الان عن اثر ثورة يوليو في المثقفين والادباء . ولكني متاكد ان كثيرا من الموضوعات الغامضة بعلاقة ثورة يوليو بالثقافة والمثقفين




جمال عبد الناصر


سعد الدين وهبة


الفريد فرج

ستدرس طويلا . خاصة وانه الآن لا يوجد موقف ضدها . ولا ضد انجازات جمال عبد الناصر .

في تصوري ان اهم انجازات يوليو الثقافية . ان عددا من الكتاب من ابناء الفلاحين والعمال . قد امسكوا بالقلم وكتبوا بالفعل ، ادبا قدمهم . في صفوف من يكتبون ..

وعند الحديث عن اصحاب الايادي الخشنة التي امسكت بالاقلام . اتذكر ان عشاق الكلمة المكتوبة في أواخر القرن الماضي . واوائل هذا القرن كان مقصورا على كتاب تجري في عروقهم الدماء الزرقاء . اما من عائلات تنحدر من القوقاز او تركيا . أو من اصول اوروبية . كانت هذه قاعدة اساسية وعامة . وكان من النادر ان نجد في اوساط هؤلاء من امسك بالقلم بيد خشنة من العمل اليدوي ..

ثورة يوليو . دفعت الى ميادين التعليم . باجيال واسماء كان من المستحيل ان تتعلم لولا قيام هذه الثورة . وثورة يوليو باعتبارها الغنية من اغاني الكبرياء المصري . في القرن العشرين كله . دفعت في العروق المصرية بدم جديد . فعلا ..

وكانت عصرا فاصلا بحق . بين عهدين ..

عند قيامها اعلن نجيب محفوظ اعلانه الشهير . انه لن يكتب بعد اليوم . لانه لا يوجد عنده ما يقوله . ومضت سنوات خمس قبل ان يصدر أول عمل أدبي له ، وهو الجزء الاول من ثلاثيته .. الشهيرة والمعروفة بين القصرين ..

وعرف الادب المصري حساسية جديدة . هي حساسية الواقعية الجديدة . بعد رومانسية الاربعينات الحالمة . اصدر عبد الرحمن الشرقاوي الارض . ويوسف ادريس ارخص ليال ، وقال صلاح عبد الصبور . واحمد عبد المعطي حجازي شعرهما الجديد . الذي يحمل رائحة عرق الانسان العادي قابلت صلاح عبد الصبور ابتداء من ديوانه : الناس في بلادي . واحمد حجازي في مدينة بلا قلب . وفي المسرح كان هناك سعد الدين وهبة ونعمان عاشور والفريد فرج . وفي الشعر الشعبي



قرانا صلاح جاهين .

مع منتصف الستينات . كان هنـــاك جو أدبي له ملامحه المحددة لعب المثقف فيه دورين . دور المشارك في البداية . ثم دور المبرر في المرحلة الثانية . بعد ان حدثت الوقيعة بين الثورة . وعقـــول المثقفين . ولكن من المؤكد ان المثقف كان له دور .

حاولوا ضرب يوليو وضرب تجـــربة ومجتمع جمال عبد الناصر الجديد ، حاولوا ذلك في ١٩٥٦ . وحاولوه في تجـــربة الانفصال . وفي حرب ١٩٦٧ .

في السبعينـــات . كان للمثقف دور جديد في تاريخ ومسيرة يوليو . لعب دور المتفرج من بعيد . حيث ادار ظهـــره لكل ما في الواقع . وبدا رحـــلة الى اعمـــاق الذات . نوع من الهجرة الى الداخل . هناك من هاجر الى خارج الوطن . ومن رفض الهجرة الثانية . لم يبق امامه سوى الهجرة الى داخل ذاته .

كانت ثورة يوليو في السنوات الثماني عشرة الاولى من عمرها فعلا كبيرا . كانت في الاحدى عشرة سنة التالية . رد فعـــل للفعل الاول .. وكما كانت حركة التاريخ .. تقول : ان التاريخ يتكون من الفعل ورد الفعل . ثم الفعل المركب من الاثنين في النهاية . فهل تكتمل الدائرة فعلا في الزمن الراهن الذي نعيشه الان ..

ثلاثون عاما مرت على ثورة يوليو . ومع هذا لم يكتب تاريخها .. الحقيقي حتى الان . ويبدو ان الخطأ الاول الذي ارتكبته الثورة ، وهي تهدم اصول المجتمع القديم . الذي جاءت لكي تغيره . يبدو ان هـــذا الخطأ . جعل الثورة تشرب من نفس المياه التي سكبتها على الماضي . في الخمسينات نسي الناس سعد زغلول . واُلصقت الاتهام بما قبل الثورة كل العيوب . والتهم . ولهذا .. وجدنا انه ابتداء من السبعينات . ان اكثر الاعمال رواجا هي الهجـــوم على عبد الناصر وكافة انجازاته . وفي كل عصر يوجد عدد كبير من مفكري المناسبات . ومن الكتاب المستعدين للعب اى دور وباى ثمن وفي اى اتجاه . لدرجة ان اى شاب يبحث عن قدوة له . لن يجد في تاريخ هذا الوطن زعيما الا وهاجمه من جاءوا بعده .

من المؤكد ان تاريخ ثورة يوليو والمثقف المصري . يشكل فصولا هامة واساسية من تاريخ علاقة المثقف بالسلطة الحاكمة الوطنية في العالم الثالث . في النصف الثاني من القرن العشرين . تبدأ هذه العلاقة عندما كانت ثورة يوليو مجـــرد حلم في اذهان المثقفين . واستمرت العـــلاقة . وتنوعت فصولها .

ثلاثون عاما تمـــر هذه الايام على ثورة يوليو . وهذه الذكرى تاتي في ظل منعطف تاريخي هام وحاسم وخطير . فالطبقة التي قام ابناؤها بهذه الثورة . وهي الطبقـــة الوسطى . مهددة هذه الايام . بانها طبقة لا مستقبل لها . وان كان لها ماض عريق . في مصر . ذلك ان سنوات الانفتـــاح الاقتصادي في مصر . دفعت الى خريطـــة المجتمع المصري . بطبقة جديدة . هي طبقة القفز بالمظلات . الطبقة التي قفـــزت في خمس سنوات عمرها من الفقر الرهيب الى الغنى الفاحش . الطبقة التي تستفز حواس باقي المصريين كلهم . الطبقة التي ترفع شعارا معروفا . اما ان تمتلك مصر كلها . بمن فيها وما فيها . او ان تدمر مصر كلها .

اعرف انه من المستحيل ان تتشـــكل ملامح طبقة اجتماعية في سنوات خمس . ولكن الفترة الاخيرة في حيـــاة مصر كانت استثناء صارخا لكل القوانين التي عرفتها




عبد المعطى حجازى


صلاح عبد الصبور


نجيب محفوظ

البشرية فى تطورها كله .

ان اللصوص والمغامرين والمهربين . الذين صعدوا من جوف الارض . وصنعهم سقف مصر الاجتماعى . هذه الطبقة هى التى تتهيأ فى هذه الايام . لكى تلعب الدور الذى لعبته الطبقة الوسطى فى تاريخ مصر ..

نحن الان فى يوليو ١٩٨٢ . وكنت اتصور أن اتحاد الكتاب . والنقابات المهنية ونقابة الصحفيين ووزارة الثقافة . والجمعيات الادبية . وجامعات مصر . ومراكز البحث العلمى كنت اتصور ان احدى هذه الجهات ستنظم لقاء علميا لدراسة هذه القضية .. علاقة صاحب القلم . ابن الكلمة المكتوبة . مع صانع القرار السياسى فى هذه السنوات الثلاثين الماضية .

الامل والعزاء . ان يقوم بها غيرنا فى سنوات واجيال لاحقة لزماننا الذى لم يصل فيه التاريخ - بعد كل ما جرى - الى حالة من التعادل .

اليس مأساويا ان ينقضى اكثر من نصف اعمارنا ولا نصل حتى الى التعادل .. !؟

رمضان القديم .. وزماننا الجديد ..

كلما اطل علينا رمضان جديد . رحت ابحث عنه . فى الذاكرة المصرية . واعود من رحلة كل عام بالعديد من الاكتشافات المذهلة . فرمضان فى ذاكرتنا اكثر حضورا وتألقا من رمضان الذى نعيشه كل عام . لرمضان وجود مكثف فى كتب الرحالة الذين مروا بمصر والوطن العربى والعالم الاسلامى . ما من رحالة حضر الينا . الا وانتبه لرمضان وكتب عن هذا الشهر .

وهذا الكلام مردود عليه . بان الغريب يرى بعينه ما لانراه نحن بسبب الالفة اليومية . حيث اننا نعيش كل يوم وكل لحظة ما يراه هذا الغريب باعتباره من



الامور الخارقة . ولكن الرد على ذلك بسيط فمثلا كل المؤرخين الذين عايشوا فترات من حياة الشعب المصرى مثل ابن اياس والجبرتى . اهتموا برمضان بصورة خاصة .

فى عصرنا يوجد كتيب واحد صغير . لا تتعدى صفحاته المائة صفحة صادر من المكتبة الثقافية . فى الزمن الذى كان يصدر فيه كتاب كل ست ساعات . عن رمضان كتبه حسن عبد الوهاب . يحاول المؤلف فيه ان يجمع العديد مما كتبه عن رمضان من قبل .

ولكن فى الزمن الذى مضى . فى القرن الماضى مثلا . وفى زمن المماليك والفاطميين هناك من الرحالة الذين حضروا الى مصر . كتبوا عنه العديد من الصفحات النابضة والحية . والامثلة على ذلك كثيرة . فى موسوعة وصف مصر . السفر الضخم الذى كتبته البعثة العلمية المرافقة لبونابرت . فى حملته على مصر . يتم ذكر رمضان كثيرا .. فى الاجزاء القليلة التى ترجمت من هذا الكتاب . وفى الصحف الفرنسية التى صدرت فى زمن هذه الحملة كلام كثير عن رمضان .

وفى كتاب ادوارد لين . الدقيق والبدع «المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم » .. والذى ترجمه الى العربية عدلى طاهر نور . يتم ذكر رمضان خمس مرات . وعدد الصفحات المكتوبة عن رمضان فى هذا الكتاب يصل الى عشر صفحات . وكذلك فى كتاب جيراردو نيرفال « رحلة الى الشرق » . حيث يصف حال المصريين فى هذا الشهر الجميل ..

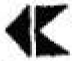
كذلك يمكن القول عن كتاب ابن جبير وابن بطوطه عن رحلتيهما ومرورهما بمصر، ونفس الكلام يقال عن المؤرخين الذين ارخوا لمصر .

فى عصرنا قل الاهتمام برمضان ، ويبدو ان الزمن ياكل فى تقدمه الرهيب ، الكثير من العادات الرمضانية . التى اصبحت الان من التراث القديم . اكثر من كونها . رموز واقع معاصر ، حتى رمضان الذى عاصرناه . فى طفولتنا وصبانا لم يعد له وجود الان . المسحراتى تقلص دوره والمؤذن لا يصلنا صوته . وفانوس رمضان القديم يستورد الان من اليابان . بدلا من الفانوس الذى كان يصنع فى الاحياء الشعبية ، فى المدن .

لكن ما يشغلنى قضية اخرى . وهى ان وجود رمضان فى اعمالنا الادبية باهت ، وثانوى . والكتابة عنه تبدو موسمية جدا . بل ان المشهد الرمضانى الوحيد . فى عدد كبير من الروايات التى قرأتها . يقتصر على مدخل رواية خان الخليلى لنجيب محفوظ حيث يصف باسهاب شديد . عصر يوم رمضانى . فى حياة احمد عاكف . منذ انصرافه من عمله وحتى موعد الافطار .

لدينا الاف الروايات . والقصائد الشعر، والمقالات . ولكن الاهتمام برمضان لا يتعدى حدود الموسمية . كتاب صدر مؤخرا لحافظ محمود . يتحدث باسهاب عن ليالى رمضان والسهر فى القاهرة .

ان رمضان تجربة سنوية فريدة فى حياة المسلم . وفى تصورى انها تجربة من المفروض ان يكون لها وجود اكثر قوة .



واكثر عمقا . فى الادب المكتوب . ولكن هذا لم يحدث حتى الان ..

موسم الجوائز السمان

فقدت جوائز الدولة سواء التقديرية او التشجيعية الكثير من قيمتها الادبية منذ ان تم رفع عدد هذه الجوائز . من قبل كانت هناك جائزة واحدة . تقديرية فى الاداب وواحدة فى الفنون وواحدة فى العلوم الاجتماعية . الان اصبحت الجوائز الثلاث عشر جوائز اربع فى العلوم الاجتماعية وثلاث فى الفنون وثلاث فى الاداب . من قبل كانت هناك حالة من التفرد الادبى والعلمى ، لمن يحصل على الجائزة . وكان هناك نوع من التقدير . ولكن الان تحول الامر كله الى نوع من المهرجان القريب المتناثر .

فى جوائز الدولة التشجيعية ارتفعت اعداد الحاصلين عليها بصورة يصعب معها الحصر ، بعض الافرع وصل عدد الحاصلين فيها على جائزة الدولة . الى ستة .

وبخلاف هذه الجوائز هناك الكثير من الجوائز الاخرى التى تمنحها جهات اخرى، دون ان يكون هناك اى تنسيق . اننا نعيش حالة من فوضى الجوائز التى لم تحدث فى تاريخ اى بلد من البلدان . والنتيجة ان الجائزة نفسها فقدت كل الهيبة الادبية لها . كل ما حدث ان القيمة المالية زادت عن الاول ..

وكل ما تعنيه هذه الجوائز الان . هو ما نسمعه ، فى كل عام ـ عما يجرى وراء كواليس هذه الجوائز . نسمع عن كاتب جند كل معارفه من اجل الحصول على الجائزة . وآخر اعلن انه مريض ولن يشفى من مرضه الا اذا حصل على الجائزة . وفى العام الاخير . سمعنا عن كاتب هدد بالانتحار ما لم يحصل على جائزة الدولة التشجيعية. وقد تمت الاستجابة له خوفا على حياته . وهناك كاتب آخر . رشح نفسه لجائزة الدولة التقديرية من خلال . ان قامت جهة ادبية يتولى هو رئاستها بترشيحه .مع انه من المفروض الا يجوز هذا اصلا انها الهوامش الكئيبة للحياة الادبية فى مصر هذه الايام ..

فى مصر العديد من الكتاب الموهوبين بحق . لم يفكر واحد منهم فى التقدم الى هذه الجوائز الثمينة . وفيما مضى . لانجد فى الاسماء التى حصلت على هذه الجوائز الكثير من الاسماء الموهوبة والجادة ، وصاحبة الرؤية الادبية الصادقة للواقع .

اقول هذا كله . لان المجلس الاعلى للثقافة صحا اخيرا من نومه .. اجتمع برئاسة الوزير . واقر ترشيحات جوائز الدولة التشجيعية . والترع على جوائز الدولة التقديرية ، وبدلا من ان نقول لمن فازوا مبروك . وبدلا من ان نقول لمن لم يفوزوا .. امامكم محاولة اخرى فى العام القادم . نسال بصدق :

ـ هل تعكس هذه الجوائز بصدق . حال



الواقع الثقافي الراهن في مصر . اننا نعيش في اعقاب مرحلة تاريخية ، لا ينبغي بعد انقضائها ان يلـــــــوم اى عداء لكل من هو مثقف حقيقي . والهجوم عليه.

ينبغي انهاء مرحلة الخلل الثقافي في مصر ، ولا ثقافة مع الجهل وضد الموجهة لصالح الامية . وضد الاصالة لصالح الكاتب الذي هو في الاصل .. مدير علاقات عامة واهم ما يملكه اجندة تليفونات صاحيـــة وحية .. ومتابعة . اديب يملك ان يلور ويلف على اعضاء لجان المنح والمنع ، لكي يضمن فوزه بجائزة لا تضيف له اى جديد . فميدان الكاتب الحقيقي هو الورق وسلاحه الوحيـــــد هو القلم .. يا فرسان عصر الجوائز السمان ..

قراءات رمضانية :

● رمضان ●

تاليف : حسن عبد الوهاب .
المكتبة الثقافية . وزارة الثقافة ..

● الخطط التوفيقية

على مبارك .
الجزء الاول والرابع . الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

وصف مصر

تاليف علماء الحملة الفرنسية ..
ترجمة زهير الشايب
الناشر : مكتبة الخانجي . القاهرة .

المصريون المحدثون عاداتهم وتقاليدهم

تاليف أدوارد وليم لين .
ترجمة : عدلي طاهر نور ..
نشره المترجم على حسابه الخاص .

قاموس العادات والتقاليد الشعبية

تاليف : احمد امين .
الناشر : دار النهضة

النجوم الزاهرة في ذكر اخبار مصر والقاهرة

تاليف : ابو المحاسن ابن تغرى بردى
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

نهاية الارب في فنون الادب

تاليف : شهاب الدين النويرى .
الهيئة المصرية للكتاب .

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

المقريزى

مفرج الكروب في اخبار بني ايوب

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل.
تحقيق الدكتور جمال الشيال .

● مروج الذهب ومعادن الجوهر للتاريخ للمسعودى .

● فتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم .

هيئة الكتاب .

● فضائل مصر .

عمر بن محمد بن يوسف الكندى . تحقيق الدكتور احمد العدوى .

● صبح الاعشى - فى صناعة الانشا ..

ابو العباس احمد بن على القلقشندى .

● بدائع الزهور فى وقائع الدهور

محمد بن احمد بن اياس المصرى الحنفى

● عجائب الآثار فى التراجم والاخبار .

عبد الرحمن الجبرتى .

● رحلة الى الشرق ..

جيراردو زقال ..
ترجمة : الدكتورة كوثر عبد السلام البحيرى
مراجعة : الدكتورة سهير القلماوى .

● الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل .

دكتور صالح رمضان . منشأة المعارف الاسكندرية .

بريد المتابعات :

●● الزميل نبيل فرج .

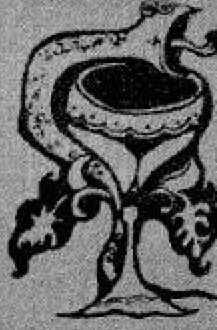
كتب يحتج على ما ذكرته الشهر الماضى عن الاهمال الذى لقيته زيارة اندريه شديد لمصر . ويقول انه اجرى حديثا معها .نشره فى جريدة الانوار اللبنانية . ثم ينطلق فى دفاع ضخم عن الواقع الثقــافى المصرى الراهن .

والمحزن يا اخى ان ما ذكرته انت انما يؤيد كلامى بصورة تامة ، فحديثك لا يعد دفاعا عن الحاصل فى الواقع الثقافى . ونشره فى بيروت وليس فى مصر .. مأساوى ايضا ..

فى رسالتك مقدمات ولكنها لا تؤدى الى النتائج التى كنت ترجو الوصول اليها .

اخر الكلام ..

●● انتحر الشــاعر اللبنانى الكبير خليل حاوى، النظرة الاولى للخبرتقول انه انتحر احتجــاجا على غزو جيش الاعداء الاسرائيلى للبنان ، وحصارمدينة بيروت . ولكن السبب الحقيقى انه انتحر احتجاجا على موقف كل العرب كافة ازاء هذا الغزو ، واحتجاجا على الصمـــت العربى فى مواجهة مهانة العدوان والاحتلال خصوصا وان المهانة هذه المرة تتعدى كل الهزائم السابقة ، ويكفينا نحن العرب اننا ظاهرة صوتية نقــابل كل القضــايا بالكلمات ! ●



تذكرة طبية

البدانة

تقديم: د. السيد الجميلي

يوجد في مصر كثير من امراض التغذية واهمها مرض البدانة او السمنة التي تنجم عن الاسباب التالية :

أولا : الاستعداد الوراثي .

ثانيا : المعيشة المريحة الخالية من المجهودات البدنية .

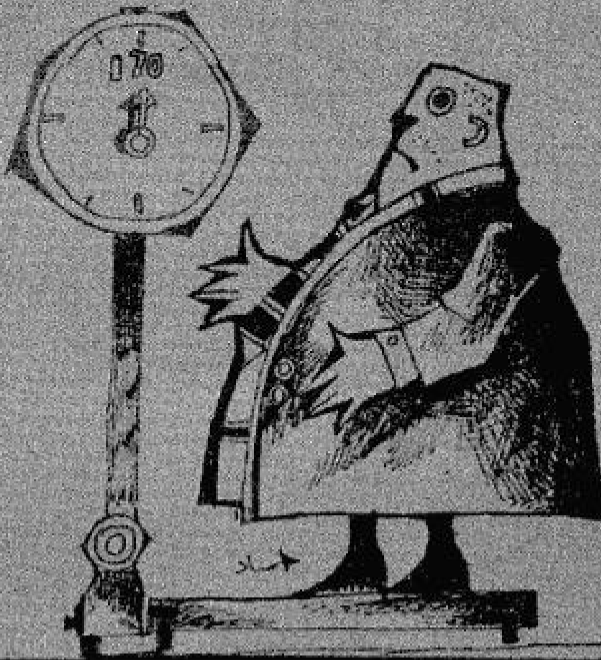
ثالثا : كثرة الاكل خصوصا اكل المواد الدسمة والفطائر والحلويات .

رابعا : كثرة الشرب التي تسبب الاضطرابات الوظيفية في الغدد ذات الافراز مثل الغدة النخامية والغدة الدرقية والمبيضية او غيرها او لجملة اسباب مجتمعة .

وفضلا عن ذلك فهي قد تحدث من ازدياد الدهن في المواضع الطبيعية من الجسم بأن تتراكم في الانسجة الخلوية تحت الجلد وفي طبقات البريتون . فيزيد وزن الجسم زيادة تؤدي الى الخمول والى اضطرابات كثيرة في وظائف الاعضاء يترتب عليها مضاعفات عديدة فتتأثر الدورة الدموية لزيادة المجهود على القلب والأوعية، ويلاحظ ان البدينين يتصبب منهم العرق بسرعة ويتعبون اكثر من غيرهم ، ويضطرب عندهم الهضم من كثرة الطعام لان اغلبهم نهمون ياكلون كثيرا وينجم عن هذا اجهاد للمعدة والكبد والامعاء فتتضخم الكبد وتضطرب وتيلفتها .

ومن الملاحظات الطبية ان البدينين اذا اصيبوا بالحميات فانها تكون عندهم كثيرة المضاعفات وتضطرب دورتهم الدموية بسهولة كما يتفشى بينهم مرض البول السكرى ومرض النقرس وأوجاع المفاصل ومن ثم يجب اعتبار البدانة مرضا يجب الاحتراس منه وردعه .

وهذه البدانة منتشرة جدا بين افراد الطبقة المتوســطة والغنية من الشعب لكثرة



مايأكلون ، وللمعيشة الخالية من المجهودات العضلية والرياضة ولو قارنا وزن الجسم لأغلب المصريين من هاتين الطبقتين بمعدل الوزن الطبيعي لجسم الانسان لوجدنا مايدهش

وأساس العلاج من السمنة أو البدانة هو الاقلال من الطعام وممارسة التمرينات الرياضية بانتظام ، ويجب ان تكون الرياضة البدنية بعيدة عن الاجهاد والارهاق حتى لا تضر بالصحة .

ومن اسس العلاج الاقلال من المواد الكربوايدراتية النشوية والمواد السكرية والدهنية وتحديد كميات الطعام على وجه العموم . الغرض من ذلك كله هو كبح جماح الشهوة للغذاء .

ويلجأ الكثيرون من الناس لاقلال أوزانهم بتعاطي بعض العقاقير ولكننا نحذر من مغبة هذه الطريقة عشوائيا دون الرجوع الى الطبيب المعالج لان كثيرا من هذه العقاقير يتعارض ويتداخل مع بعض الحالات المرضية او القلبية .

ويخطىء الكثيرون ممن يتجهون الى المسهلات كوسائل علاجية لاقلال الوزن اذ ان لها مضارا شتى ، واهمها ارهاق المعدة واتعاب الامعاء ، وقد تسبب التعود عليها فبمجرد ايقافها يحدث تقبض في الامعاء وامساك شديد .

والعلاج الصحيح للبدانة او السمنة يكون تبعا للارشادات الطبية وحسب نوعية البدانة فان لكل نوع علاجا خاصا به مناسبا لدرجته ولابد ان يتم ذلك في احتراس شديد ودقة بالغة ومراعاة الحذر في استعمال بعض الهرمونات الا باستشارة طبيب متخصص لان العقاقير المستخدمة في هذا الشأن سلاح ذو حدين وتعاطيها بغير استشارة قد يعرض المريض لخاطر لا قبل له بها .

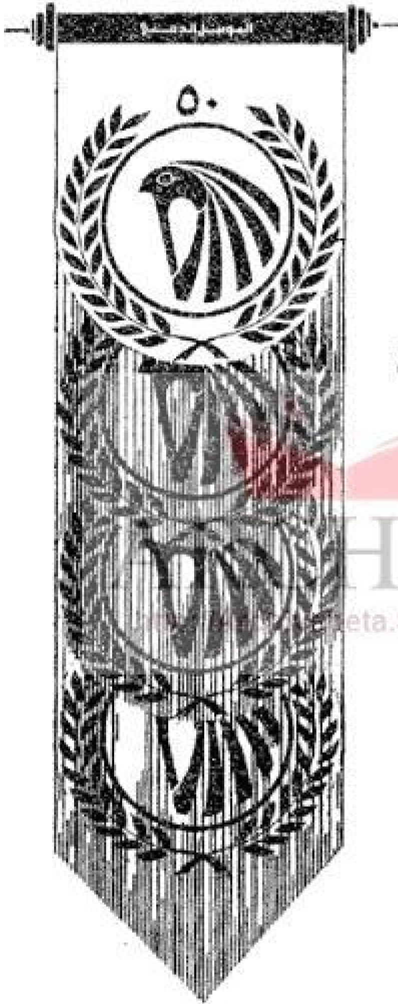
ونرى بكل اطمئنان ان اتباع برامج التغذية المعتدلة وعدم الافراط والاسراف فيها اصوب واقوم واوفق الطرق المثلى للعلاج ●

اسعار : الهلال

سوريا	٣٥٠	ق.س	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
لبنان	٣٠٠	ق.ل	باريس	٨	فرنكات
الاردن	٣٠٠	فلس	لندن	٨٠	بنى
الكويت	٤٥٠	فلسا	ايطاليا	١٢٠٠	ليره
العراق	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣٫٥	فرنك
السعودية	٥	ريالات	اثينا	٥٠	دراخمة
السودان	٣٥٠	مليما	فيينا	٣٥	شلنا
تونس	٦٥٠	مليما	فرانكفورت	٣٫٥	مارك
المغرب	٨٠٠	فرنك	كوبنهاجن	١٠	كرونات
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	استوكهولم	١٤	كرونه
الخليج	٤٥٠	فلسا	كندا	٢٥٠	سنتا
غزة	٨٠	ليرة			
الصومال	٥٠	بنى	البرازيل	٣٥٠	كروزيرو
داكار	٤٠٠	فرنك	نيويورك	٢٥٠	سنتا
لاجوس	٦٠	بنى	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
اسمرة	٤٥٠	سنتا	استراليا	٣٠٠	سنت
اليمن الشمالية	٥٠	بنى	هولندا	٤	فلورين

مصر للطيران

علم مصر في كل مكان



مصر للطيران

٥٠

عاماً من الخبرة

اليوبيل الذهبي

١٩٣٢ - ١٩٨٢

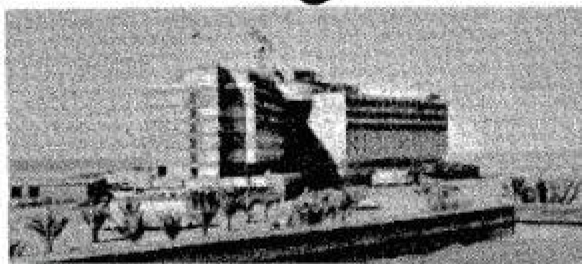
مدينة المقطم

تعلن الشركة عن فتح باب البيع

بالأرض المتبقية من تقسيم المنطقة "ج" المعتمد بالقرار رقم ١٥٥ لسنة ٩٧٩

مرافق كاملة

مياه - مجارى - كهرباء
شوارع مرصوفه



أراضي للعمارات

مساحة القطعة ٨٠٠ متر
سعر المتر ٥٥ جنيهاً
والنواصي ٦٨ جنيهاً



أراضي للفيلات

مساحة القطعة ١٠٠٠ متر
بأسعار تبدأ من ٧٧ جنيهاً
إلى ١٠٣ جنيهات

يدفع المشترى ٥٠ ٪

عند توقيع العقد الابتدائى
ثم ٢٥٪ بعد ٣ أشهر
والباقى ٢٥٪ بعد ٦ أشهر

المعاينة والحجز والبيع
يومياً حتى الواحدة
بعد الظهر بمقر الشركة
بمدينة المقطم
ميدان النافوره

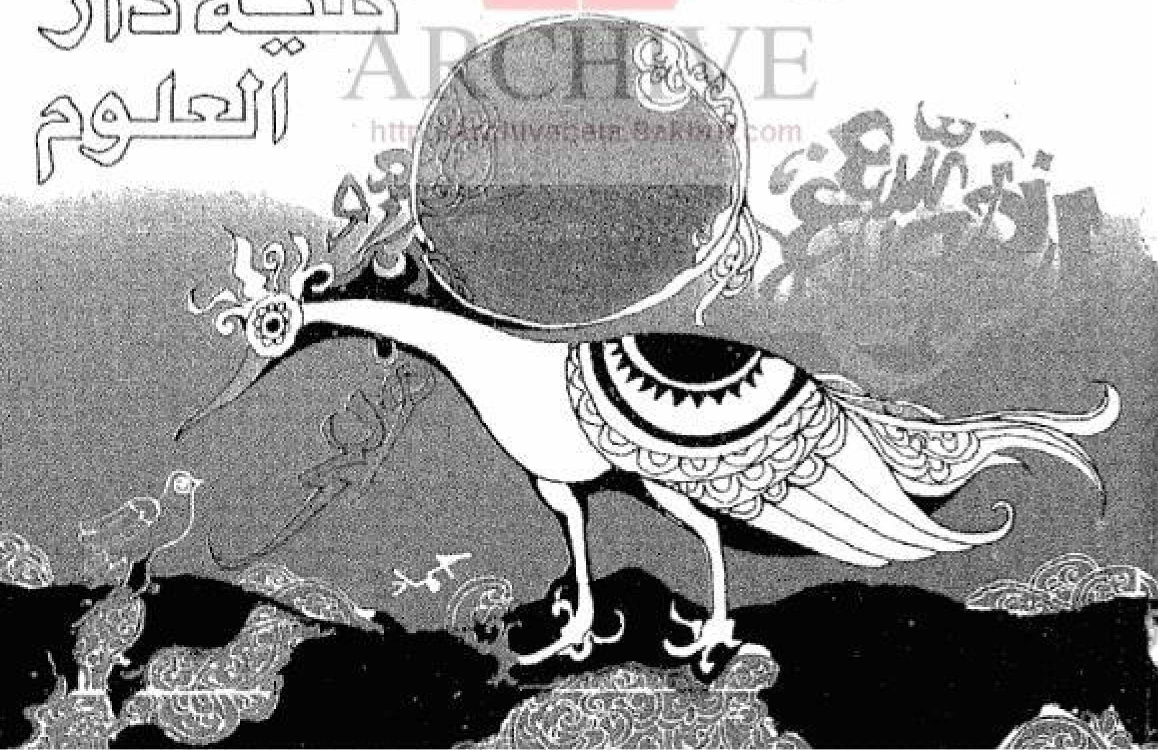
للاستعلام: تليفون ٩٢١٩٥٩/٩٣٩٩٢٥/٩٢٠٢٥١

الهلال

أبو العلاء ومعارضة القرآن

الحروب والأعمال الأدبية

حكايات من تاريخ كلية دار العلوم



الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ .. السنة التسعون اول اغسطس ١٩٨٢ م - الحادى عشر من شوال ١٤٠٢ هـ .

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
كمال النجمى

المستشار الفنى
محمد أبو طالب

سكرتير التحرير
موسى عبد



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان اربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى أو عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

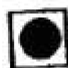
دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هذا العدد

الحروب والأعمال الأدبيّة العظيمة

بقلم: كمال النجمى



كثيرا ما يقال ان الاعمال الادبية العظيمة التى تدور حول احداث مصيرية كبرى ، مثل الحرب بين هتلر والحلفاء ، والحرب بين الصهيونية العالمية والامة العربية، لا يمكن ان يكتبها الادباء فى اثناء احتدام هذه الاحداث ، فلابد



● أحس الشعراء العرب قبل غيرهم من أهل الأدب بمأساة فلسطين ، وكان فى طليعتهم الشعراء المصريون

● فن القصة العربى لم يعط القراء شيئا عظيما عن فلسطين

من خمود نيرانها قبل ان تندلع هذه الاعمال الادبية كالنار ، ثم تبقى مشتعلة على مدى الزمان! قد يكون هذا قولا صحيحا ، او لا يكون . وقد انقضى على الحرب العالمية الثانية اربعون عاما تقريبا ولم يكتب عنها احد بعد فى اوروبا وامريكا رواية تبلغ



الحروب والأعمال الأدبيّة العظيمة

ستوى رواية « الحرب والسلام » التي كتبها تولستوى بعد غزو نابليون لروسيا القيصرية ..

وربما كان السوفييت أكثر الناس كتابة عن الحرب العالمية الثانية ، لان ارضهم كانت الميدان الرئيسى لها ، وخسارتهم فيها كانت رهيبة ، واهداف اعدائهم النازيين من الغزو كانت واسعة الى حد الجنون .. فان النازيين - كما هو معروف - كانوا يريدون ما يسمونه « المجال الحيوى » أى اقتطاع القسم الاكبر من الارض الروسية وامتلاكه عنوة ، ليصير ارضا نازية يسكنها النازيون وينزح عنها الى الابد اهلها ومالكوها .

كان النازيون - كما هو معروف ايضا - يرون انه لابد من ابادة سكان هذه الارض لتقع فى أيديهم فارغة من سكانها ، وكانوا يفعلون ذلك بمنتهى برود الاعصاب ! ..

وفى نفس هذا الطريق سار الصهيونيون ومازالوا يسيرون ، ولن يزالوا على هذا النهج حتى توقفهم قوة عربية حقيقية .

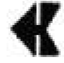
جاء الصهيونيون من كل انحاء العالم ، جماعات وافرادا بعد وعد بلفور الذى اهداه اليهم الاستعمار البريطانى .. وليس فى ذهنهم الا سحب الارض الفلسطينية من تحت اقدام اهلها الفلسطينيين ، فضلا من أراضى الشعوب العربية الاخرى ..

وحقق الصهيونيون فى ستين عاما مايتصورون انه انجاز نهائى ، فانهم يحتلون الآن فلسطين ولبنان والجولان .. وقد توطدت لهم دولة فى فلسطين منذ خمسة وثلاثين عاما ..

ليس مقصودى ان اتحدث فى هذا الاتجاه ، ولكن لابد من الالمام به ما دمنا نتحدث عن الاعمال الادبية العظيمة التى تولد فى نيران الحروب والصدامات التاريخية الدموية ..


نابليون


هتلر



كانت نكبة فلسطين والثورات والحروب التى اندلعت فوق ارض فلسطين منذ صدور وعد بلفور حتى اليوم ، مثار قرائح الشعراء العرب الذين ادمت الكارثة قلوبهم فى البلاد العربية كلها طيلة ستين عاما .

احس الشعراء قبل غيرهم من اهل الادب بالمأساة منذ بدايتها، فبكوا فلسطين كما بكى الشعراء الاندلسيون على الاندلس قديما منذ بداية انتشار مقـدمه الى سقوط غرناطة فى يد فرناندو وايزابيلا سنة ١٤٩٢ ، وطى كتاب العرب فى تلك الارض الى الابد ! ..

وفى تاريخ الشعر العربى المعاصر ، يقال احيانا ان الشعراء المصريين لم ينظموا عن المأساة الفلسطينية الا قبيل نشوب معارك سنة ١٩٤٨ ، وبعد اعلان الدولة الصهيونية فى فلسطين، او قبل ذلك بعام او عامين عندما بدأ الصهيونيون يغتصبون بالسلاح أرض الشعب الفلسطينى ، ويطاردونه بالمذابح البربرية ، ليأخذوا الارض بما فوقها من زرع وضرع وبيوت واكواخ وماء وهواء .

ان الشعراء المصريين — فى الحقيقة — كتبوا من فلسطين منذ العشرينات ، اما فى الثلاثينات فان شعرهم عن فلسطين كان من أعلى الأصوات الشعرية فى البلاد العربية ..

ثم صار الشعراء المصريون منذ الاربعينات وبعد النكبة صفا واحدا ، واقفا يبكى الاطلال ، يسعفهم بالدمع زملاؤهم فى البلاد العربية من المحيط الى الخليج .

ولكن فن القصة الذى صال وجال فى كل مجال لم يعطنا شيئا عن فلسطين ، لا فى مصر فقط ، بل فى البلاد العربية الاخرى كذلك ..

اعنى : لم يعطنا هذا الفن الادبى الواسع الانتشار عملا

الحروب والاعمال الأدبيّة العظيمة

ذا قيمة ادبية كبيرة ، بالرغم من ضخامة الكارثة القومية الشاملة التى حلت بالعرب فى فلسطين وما حولها .

وهذا ــ فيما يبدو ــ شبيه بما حدث فى أوربا وامريكا عقب الحرب العالمية الثانية ، لولا ان الاوربيين والامريكيين بلغوا الغاية فى ناحية « الكم » القصصى من هذه الحرب ، ولم يبلغوا الا قليلا فيما سوى ذلك ، اما نحن فمقصرون فى الكم والكيف معا ..

ان أريك ريمارك كاتب رواية « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » وهو المانى ــ هز العالم بروايته هذه التى كتبها من الحرب العالمية الاولى « ١٩١٤ ــ ١٩١٨ » .. ولكنه حين كتب روايته « الحب وقت وللموت وقت » من الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع ان يقول شيئا هاما .

وكتب الادباء السوفييت عن حربهم ضد هتلر كتابات لا تحصى .. ولكن سؤالنا انما هو عن القيمة الادبية الكبيرة ، لا عن الوفرة الغزيرة ! ..

وحتى اليوم لا اعرف عملا روائيا عربيا عن فلسطين وما جرى لها يمس الوجدان ، الا رواية « رجال تحت الشمس » للاديب الفلسطينى غسان كنفانى الذى اغتيل منذ سنوات بايدى الصهيونيين فى بيروت مع عدد من زملائه فى هجوم غادر هز « العرب » فى حينه ، ثم طواه النسيان ! ..

هذه الرواية تدور على هامش حياة الفلسطينيين فى المخيمات التى الجاهم اليها الغزو الصهيونى سنة ١٩٤٨ ، ولكن هذه الزاوية الضيقة التى يطل منها غسان كنفانى على النكبة




تولستوى

تبدو واسعة جدا كأنها تنتظم النكبة كلها ! ..

ولغسان رواية أخرى أسقطها القارىء ، للتكلف العجيب الذى أخرج الرواية عن مسارها ، وأحالها الى مجرد لعب بالتكنيك القصصى ! ..

ورأيى أن الرواية الوحيدة ـ حتى الآن ـ التى تعيش فى صميم نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ لم يكتبها روائى عربى ، وانما كتبتها أديبة انجليزية هى الروائية الراحلة اثيل مانين ، وهى غير معروفة جيدا للقارىء العربى ، ورواياتها غير موجودة الآن فى الأسواق ، لا بلغتها الأصلية ولا بترجماتها العربية ، التى كانت أجودها ترجمة من قلم الدكتور نظمى لوقا وأخرى فى مطبوعات « كتابى » لصاحبها الأستاذ القصصى حلمى مراد . ولا علم لى بترجمات أخرى فى مستوى هاتين الترجمتين ..

هذه الرواية ـ اسمها : « الطريق الى بئر سبع » .. تفضح جرائم الصهيونية وانحطاطها الخلقى والفكرى ، وتصور نكبة الشعب الفلسطينى عام ١٩٤٨ تصويرا داميا محزنا مخزيا لكل عربى ، فاننا نحن الأمة العربية « سلمنا البلاد والعباد » ـ على حد تعبيرات المؤرخين القدماء ـ وسمحنا لمن كنا نسميهم « شذاذ الآفاق » بأن يصنعوا ما صنعوه ، ونحن واقفون بجيوشنا السبعة سنة ١٩٤٨ تحت راية الجامعة العربية ! ..

« الطريق الى بئر سبع » رواية تقليدية فى بنائها الفنى ، وهذه ميزة لها ، فلا يصلح فيها الا هذا البناء ، ولكنها ليست سردا لحوادث النكبة والاغتصاب ، وانما هى تصوير بارع للمشاعر

الحروب والأعمال الأدبيّة العظيمة

الانسانية في احلك المواقف التى يجد فيها الانسان نفسه عاجزا مقهورا .. بلا وطن ولا مأوى ولا طعام ولا أمان .. وقد قتل اعداؤه الغلاظ الاكباد ، مواطنيه واصدقاءه وابنـــاءه وأهله ، وهتكوا النساء والبنات ، ونبشوا كل شيء ، حتى قبور الموتى !..

كان الصهيونيون كما تصورهم هذه الرواية ، مدفوعين بنشوة جنونية كالنازيين عندما غــزوا شرق أوربا وروسيا طلبا للمجال الحيوى فى ارض تلك الشعوب وكان لدى المحاربين الصهيونيين كالنازيين تخطيط رسمى وأوامر واجبة التنفيذ بان ينزعــوا من قلوبهم كل شعور انســانى فى معاملتهم للمدنيين العزل ، رجالا ونساء واطفالا ..

وزعم لهم قادتهم الذين دربوهم على القتل والاغتصاب فى عصابات شتيرن والهاجاناه ، أن هذا هو عملهم ومستقبلهم ومجدهم ..

وهكذا انطلقت عصابات الفتك والهتك البربرية الشنعاء ، وضاع من فلسطين ما ضاع سنة ١٩٤٨ بتواطؤ هذا العربى ، وعجــز ذاك المستعرب !..

ومن ابطال هذه الرواية الذين يتتبع القارىء مصيرهم باسى اليم رجل فلسطيني من سكان « اللد » الفلسطينية المغتصبة ســـنة ١٩٤٨ .

كان هذا الرجل واســـمه « بطرس » يعيش سعيدا فى اللد .. يرى يهودا يجيئون من حين الى حين ، لا يمتـــون الى فلسطين بأى نسب ، وليس لهم فيها أب ولا جد ولا قريب ولا نسيب منذ كانت فلسطين .. فان هؤلاء من الاوربيين أو « الخزر » ممن اعتنقوا الديانة اليهـــودية وهم مقيمون فى أوربا ومشارف آسيا منذ الازل .. ثم قامــوا فى عهد المد الاستعمارى يعلنون انهم « ساميون » من فلسطين .. وليس في عروقهم نقطة دم سامية واحدة ! ..

كان بطرس رجلا مسالما لم يقاوم هـــذا الزحف البطىء





غسان كنفاني

قبل عام ١٩٤٨ ، ولم يحتج ، ولعله اكتفى بأن يتساءل بينه وبين نفسه : ماذا يريد هؤلاء الاجانب !!..

ثم جاءت سنة ١٩٤٧ الدامية ، واشترك الجيش البريطاني مع الصهيونيين ، في افراغ فلسطين من اصحابها .. بعد أن بذل هذا الجيش البريطاني كل وسعه في مقاتلة الفلسطينيين منذ سنة ١٩١٧ لحساب الصهيونيين ، اصحاب وعد بلفور المقدس !..

وفي سنة ١٩٤٨ طاردت المذابح بطرس وولده انطون مطاردة مروعة حتى قذفت بهما الى مدينة « رام الله » الفلسطينية ، مع عشرات الالوف من ابناء الوطن المطرودين والفارين من وحشية الغزاة ! ..

سار بطرس وولده انطون ومن معهم من مواطنيهم الجائعين اليائسين المنهوكين المثقلين بشعور الذل والعار والالم الساحق ! .. ساروا مسافات لا تنتهي تحت لظى الشمس في يوليو ! .. مات الالوف من المرضى والاصحاء !.. ضاع الاطفال من اهليهم وهلكوا ضائعين جياعا عطاشا ، باكين محروقين بقنابل الطائرات الصهيونية التي كانت تغير على جموع اللاجئين ليحثوا خطاهم فرارا من الوطن ، ويتركوه غنيمة باردة أو ساخنة في أيدي الغزاة المنهومين ! ..

لا يدري أحد كيف نجا بطرس من هذا الهول ووصل الى « أريحا » واستقر فيها مع من بقي من اسرته !..

ولم تستطع الايام أن تنسيه بيته الذي اغتصبه ساكن غريب قادم من وراء البحار .. لم تستطع أن تنسيه وطنه السليب ، وقوميته المهدرة ، وانسانيته التي ديست بالاقدام ! ..

لم يتخلص قط من طعم المهانة في فمه وحلقه وكل كيانه .. عاش في غمرة الاسى الفاجع يقول في نفسه : « انا

الحروب والأعمال الأدبيّة العظيمة

فلسطيني » ! .. ولا ينسيه شيء انه فلسطيني ! ..

ثم جاءت النهاية ! ..

غلبه القهر ! .. مات غماً وكمداً ! .. كسير القلب ، متهدم الروح ! .. ووقف شقيقه يبكي عند جثمانه قائلاً : « لقد قتلك الصهيونيون يا اخي !.. قتلوك بالغم والكمد والتشتيت والعار »! ..

ثم جاء دور ابنه « انطون».. فان احلام « العودة » الى الارض السليبة لم تفارقه ، فتسلل ذات يوم مع قليل من ارتشاء وطنه الشبان ، الى بئر السبع، المدينة الفلسطينية في صحراء النقب ، ولكن الطريق اليها محفوف بالمدافع الرشاشة في أيدي المغتصبين الذين ضموها الى دولتهم كما ضموا مئات لا تحصى من المدن والقرى العربية التي كانت ممتلئة بسكانها الفلسطينيين ثم أفرغوها ..

سقط انطون صريعاً برصاص الغاصبين ، ولكن زميليه استطاعا ان يبلغا بئر سبع ! ..

ان طريقهما اليها هو طريق الجسارة المخضب بدم زميلهم الشهيد ! ..

والقضية لم تتم فصولاً .. والقصة لم يسدل عليها الستار ! ..

تلك هي الرواية التي لم يكتب أحد من العرب أو الخواجات مثلها حتى الآن ●

جواب صريح

لبس الخليفة سليمان بن عبد الملك أجمل ثيابه ، وطيبها بالمسك ، واصلح من شعره ولحيته ، ثم تقدم الى المرآة فاعجبته نفسه ، فقال :«انا الملك الشاب، السيد المهاب ! »

وكانت الى جواره احدى جواريه فسألها « كيف ترين هيئتي وشبابي »؟ فقالت الجارية :

انت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان ..
انت خلو من العيوب ومما
يكره الناس غير أنك فان ! ..

فتطير سليمان من جوابها ، ثم مات بعد مدة قصيرة .

كتاب الهلال
يصدر ٥ أغسطس

تيارات اليقظة الإسلامية

تأليف
د. محمد عماره

هل عارض المعرى القرآن بكتاب "الفصول والغايات"؟

بقلم : محمد فهمى عبد اللطيف

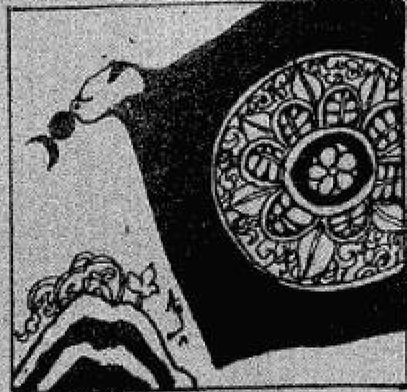
● اذا اردنا ان نضع المعرى ابا العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان فى مكانه من الفكر العربى ، فاننا نجده قمة هذا الفكر وذروته ، وفى تاريخ الفكر العربى عباقرة لهم مكانتهم الفكرية ، وعمالقة لهم عظمتهم البيانية والعلمية ، ولكن المعرى كان فى أكثر من هؤلاء وهؤلاء ، فقد كان فكره عربيا محضا ، لا يخرج عن نطاق العربية وعلومها ، واللغة ووسائلها البيانية ، فما تأثر بأية ثقافة من ثقافات الامم الاخرى حتى تلك التى خالطت العرب بعد استعلاء الاسلام وظهوره واصبحت الصفة المميزة للعرب هى الاسلام وهى صفة تضم عددا من الامم والشعوب فى العربية ..

وقد حدد الاقدمون مظاهر التفوق والعبقرية عند المعرى فوصفوه بانه كان غزير الفضل ، شائع الذكر ، وافر العلم ، غاية الفهم ، عالما باللغة ، حاذقا بالنحو ، جيد الشعر ، جزل الكلام .. شهرته تغنى عن صفته ، وفضله ينطق بسجيته .

وتحدث الثعالبى عنه فى يتيمة الدهر نقلا عن المصيصى قال : « لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب .. رأيت شاعرا ظريفا يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الجد والهزل . يكنى ابا العلاء » .

فالمعرى فى تقدير السابقين هو رجل لغة ونحو وشعر وبيان ، وكانت شهرته تملأ الافاق من حوله ، ومعنى هذا ان المعرى كان متفوقا فى علوم العربية تفوقا لا يلحقه فيه لاحق ، ومن العجيب ان يحقق المعرى هذا التفوق وكان رجلا اعمى حبس نفسه فى داره لا عمل له الا القراءة والتفكير فيما يقرأ .. وفى سن مبكرة ادرك تلك الشهرة التى لا تجارى وما فارق قريته الا عاما ونصف عام امضاها فى بغداد حيث كانت مهبط العلماء والشعراء والمتكلمين والذين طبعوا الثقافة والفكر بطابعهم ، وانما استطاع المعرى ان يحصل هذه الثروة الكبيرة من علم اللغة ووسائلها خلال هذه المدة القصيرة بما امتاز به من مواهب نادرة فذة لعلها لم تهيأ الا لعدد قليل جدا بين رجال العلم فى البيئة العربية فقد ثبت ان المعرى كان يحفظ الرسالة اذ تتلى عليه مرة واحدة ولو كانت





بغير اللغة العربية فيعيها ولا يخطىء في كلمة منها ، وكان له راس كانه راس الحية المتوقد ذكاء وحدة ، كما يقول الشاعر لبيد ، وكان عصر المعرى مليئا بنوازع الشك والتشاؤم وشطحات المناقضة والتناقض فانعكس كثير من هذا على تفكير المعرى وتطور في وعيه ونظرته الى الحياة وكان مصدر تلك التأملات العميقة في طبيعة الحياة وبخاصة تلك النغمة الحزينة التي تتردد في شعره وفي كل معارض بيانه، ومن هنا كانت اشعار المعرى التي تفيض بالحزن والالم ومقطوعاته التي تمثل شطحاته الفكرية في مكيفات الحياة السياسية والاجتماعية التي يعيشها الناس وفي هذا كله كان مجال التفكير ونوازع الفكر التي عاش فيها ابو العلاء المعرى ، وهي في الحقيقة ابرز واظهر ما في حياته ..

المعرى وداعى الدعاة

كان تفكير المعرى كما قلنا تفكيرا في علوم العربية والتراث العربي وكان يتناول الناحية الدينية ، واكثر ما كان مجال فكره وتفكيره في هذه الناحية يتناول العلاقة بين الدنيا والاخرة ومايجد الانسان في دنياه وما يراه بعد مماته وفي هذه الناحية بالذات كانت ثمرة فكره ثمرة ناضجة تتمثل بعبقرية رسالة الغفران التي كانت مصدرا للالهام والايحاء في كثير من الاداب العالمية ، كما تتمثل في تلك المناقشة التي جرت بينه وبين داعي الدعاة الفاطمي وكان موضوعها عزوف المعرى عن اكل اللحم وكلمته المشهورة التي قالها عندما قدموا اليه فروجا وصفه الطبيب لعلاجه فقال : استضعفوك فذبحوك هلا ذبحوا شبل الاسد .

وكان داعي الدعاة وهو رجل داهية العقل ، واسع العلم يريد أن يحرج المعرى بانه خرج على تعاليم الاسلام، وانه انكر حقا اباحه الله لعباده ، وقال المعرى انه ترك هذا تزهدا وانه لا يماري في حق الاسلام الا ان داعي الدعاة كان شديد الاجتراء على المعرى حتى انه في النهاية حكم بكفره وطالب باستتابته ، ويبدو لي ان الشيعة كانوا يتحاملون على المعرى بصفة خاصة لانه كان يشكك في بعض ما لهم من آراء ويروى انه كان في مجلس السيد المرتضى شقيق الشاعر الشريف الرضى وكان السيد المرتضى يتحدث عن المتنبي ويتنقصه ويتناوله بالذم ولم يطق المعرى ما كان يشنع به السيد المرتضى على المتنبي والمعرى يحبه ويصفه بالحكمة ووصف شعره بالاعجاز فرد على المرتضى قائلا : لماذا تنقص من فضل المتنبي ولو لم يكن له الا قصيدته التي اولها : «لك يا منازل في القلوب منازل » .. لكفاه هذا شرفا . فصاح المرتضى : اسحبوا هذا الاعمى من مجلسي فنهض الذين في المجلس وسحبوه من رجليه ، حتى القوه في الخارج ولم تاخذهم به ادنى شفقة .او

هل عارض المعرى القرآن ؟

رحمة فى ذلك العالم الضرير اللقن ثم قال المرتضى أتدرون لماذا أردت سحب هذا الاعمى من مجلسي لانه اشار باختيار هذه القصيدة وهى ليست اجود شعر المتنبى لانه يريد شتمي فهو يشير الى البيت الذى تضمنته القصيدة اذ يقول :

واذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادةلى بانى كامل

وكان المعرى مؤمنا صادق الايمان بالله ، وكان يقول انى اشد رضاء بالعمى من رضاء البصر ببصره وكان قانعا زاهدا يعيش على عدد من الدنانير طوال العام ، وكان يوفر الطعام لساعده الذى يساعده فى القراءة ويقوم على خدمته ومع هذا فقد كان هناك جماعة من الشيعة ومن الحاسدين لهذا الرجل الذى لا يستطيعون ان يرفعوا صوتهم فى مجلسه ولا ان يزعموا لانفسهم علما وهو جالس يحدثهم فى العلم فكانوا ينظمون الاشعار ويدسونها عليه ويلفقون الروايات وينسبونها اليه ويخترعون وقائع الشك والتشكيك ويزعمون انها نقص فى دينه وانها خروج على حكم الله ، وكان الرجل يصبر على البلوى بهم ويترك حسابهم الى الله ، ولما اخرج ابن الراوندى وهو ملحد معروف بتقلب الرأى وفساده كتابه « فى الطعن على القرآن » تصدى له المعرى فبصق عليه كما يقول الرافعى دلوا من السجع ، وناهيك بسجع المعرى اذ يقول : بئس ما نسب الى راوند ، انما هتك قميصه ، وأبان للناظر خميصه ، أما كتابه فاف وتف ، وجورب وخف ، ثم قال فى وصف القرآن : واجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن المحجة ومقتد ، ان هذا الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب بهر بالاعجاز ، ولقى عدوه بالارجاز ، ما حذى على مثال ، ولا اشبه غريب الامثال ، ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجع الكهنة ذوى الارب ، وجاء كالشمس اللائحة ، نورا للمسرة والبائحة . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع ، او الوعول المعصمة لراق الفادرة والصدع . وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . وان الاية منه او بعض الاية لتعترض فى افصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلالىء فى جنح غسق ، والزهرة البادية فى جدوب ذات نسق . فتبارك الله احسن الخالقين.

مخطوط مجهول

ومع هذا كله وعلى الرغم من هذه الصورة الرائعة البارعة التى وضع فيها المعرى كتاب الله تمجيدا وتعظيما وايمانا وتقديسا فان بعض الحاسدين والمغرضين شنعوا على المعرى بتهمة الالحاد والشك وعدم التثبت باليقين . ولما اخرج المعرى كتابه « الفصول والغايات فيما اخرج من الكتب والمؤلفات » ـ ولقد ضاع هذا الكتاب مع العدد الكبير الذى ضاع من تراث المعرى وثمرات فكره ـ زعموا ان المعرى عارض بهذا الكتاب القرآن الكريم وايدوا به دعوى الحاده وكفرانه ، وتعاقب المؤلفون والكتاب والباحثون فى الادب وهم يقذفون المعرى بهذه التهمة ويزعمون ويؤكدون الزعم ان كتاب « الفصول والغايات فى معارضة السور والايات » .

وظلت هذه التهمة تاخذ بعنق المعرى حتى عام ١٣٢٧ للهجرة اذ كان المرحوم

الكاتب العالم محب الدين الخطيب قد ذهب لاداء فريضة الحج ، على عادته اخذ يفتش فى كتب الوراقين فعثر على ورقة كتب عليها « الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ » فاخذ يمعن فى التفتيش حتى عثر على أوراق تكون الجزء الاول من الكتاب وفى أوله خرم وفى وسطه خرم والجزء الاول الذى عثر عليه يقع فى ٢٠ صفحة كبيرة مضبوطة بالشكل الكامل وفى غاية الصحة والاتقان وفى آخره تم الجزء الاول من الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ بصنعة ابى العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخى واملائه والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبى .

والكتاب مؤلف من فصول على عدد حروف الهجاء اولها : «فصل غاياته همزة» ثم « فصل غاياته باء » الى آخر الحروف. وكل فصل مؤلف من قطع نثرية فى دقائق حكمة الله وبديع صنعه واسرار مخلوقاته



وعبر هذه الحياة وعيوب النفس البشرية وعجائب ما فى بعض حوادث التاريخ العربى من موافقات ومفارقات . وفيه كثير من المعانى التى تعرض لها المعرى فى ديوان لزوم ما لا يلزم وفى رسالة الغفران .

وسواء اكانت القطعة وجيزة ام مبسوطة فانها تنتهى بقافية الحرف الذى عقد له الفصل ، وهو يسمى هذه القافية «الغاية» ولذلك قال فى تسمية الفصول « فصل غاياته همزة ، وفصل غاياته باء ... الخ » ولذلك أيضا سمى الكتاب نفسه « الفصول والغايات » وفى آخر كل غاية تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة ودقيق الاشارات التاريخية وغيرها ..

ويقول صاحب كشف الظنون ـ نقلا عن ابن الجوزى ـ ان الفصول والغايات فى مائة كراسة» واحسب ذلك صوابا بالنسبة الى ما فى المجلد الاول من الفصول المرتبة على حروف الهجاء ولعل الكتاب فى جملته يبلغ خمسة اجزاء من حجم الجزء الاول. وبهذا ظهر ان خرافة معارضة المعرى للقرآن ظاهرة البطلان لكل من ينظر فى كتاب الفصول والغايات. وكيف يخطر لحكيم كالمعرى مثل هذا الخاطر السخيف وهو الذى سفه رأى الزنديق ابن الراوندى فيما زعمه فى الطعن على القرآن . وقد اشترى المغفور له احمد تيمور باشا النسخة التى عثر عليها محب الدين الخطيب وضمها الى مكتبته وقام بنشرها الشيخ محمود حسن الزناتى بعد ان قام بمراجعتها وتصحيحها ولكنه طبع متهاعدا محدودا ولهذا نفدت الطبعة بعد شهر من ظهورها ولم تطبع مرة ثانية الى اليوم ●

الدول الكبرى وفن الكذب

بقلم : د. نوال السعداوى

■ فى احدى المناسبات التى جمعتنى ببعض الاساتذة الجامعيين الاجانب رأيت أحدهم غاضبا وقد احمر وجهه . وعرفت منه أن سبب الغضب هو ان أحد الصحفيين او الكتاب المصريين قد كذب عليه وقال له انه لا يمانع فى السفر الى اسرائيل اذا وجهت اليه دعوة ، لكنه عاد فأنكر ما قاله وصرح لشخص آخر انه لا يوافق على السفر الى اسرائيل على الاطلاق . وكان معنا فى الجلسة أحد الرجال الهنود فقال الهندى مازحا : فى بلاد العالم الثالث يوجد الكذب فى حياة الناس كشىء طبيعى . ولم يعجبنى رد الرجل الهندى .

فقلت : أتعنى أن الكذب غير موجود فى بلاد العالم الاول ؟!

وانبرى أحد الاساتذة الامريكيين قائلا : من الصعب أن نكذب فى بلادنا فى مثل هذه الامور ، وعلى مستوى التعامل الفردى لابد من الصدق .

وقلت للرجل الامريكى : على مستوى التعامل الفردى فقط ؟

وماذا تعنى بالتعامل الفردى ؟ هل اذا كذب أستاذ جامعى على أستاذ جامعى يسمى ذلك تعاملا فرديا .. واذا كذب رئيس دولة على رئيس دولة يسمى ذلك تعاملا غير فردي مثلا ؟ .. أو تعامل



جونسون



محمود رياض

دولى ؟ وهل هناك فرق بين الكذب الفـردى وبين الكـذب الدولى أو السياسى ؟!

خطرت لى هذه الافكار وأنا اقرأ « مذكرات محمود رياض » وهو كتاب هام لابد أن يقرأه كل مصرى ليتابع بعض أسرار السياسة ، ويدرك أن العبـارة القائلة بأن « السياسة هى فن الكذب الاول » عبارة صحيحة تماما ٠

وكم يصاب المصرى بالغضب حين يقرأ فى كتاب محمود رياض عن تلك الكذبة السـياسية التى كذبها « جونسون» رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت على «جمال عبد الناصر » قبل حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ببضعة أيام ٠ اذ ارسـل « جونسـون الى « عبد الناصر » رسالة مؤكدا فيها حسـن نواياه نحو مصر وعن أهمية تجنب القتال بين مصر واسرائيل ٠ وحينما سأل « جمال عبد الناصر » « محمـود رياض » رأيه فى الرسالة وما اذا كان يعتقد انها تمثل موقفا حقيقيا من « جونسـون » قال « محمود رياض » لعبد الناصر : « بالتأكيد فأنا لا أتخيل أن يخدعنـا رئيس الولايات المتحدة فى خطاب رسمى يوقعه بامضائه » ٠ (ص ٤٢)

وقلت للاساتذةالامريكيين أيهما اشد خطرا الكذب على المسـتوى الفردى أم الكذب السياسى الـذى ينتج عنه أحيانا كوارث لشعوب أو جماعات من البشر ؟! وأطرقوا الى الارض صامتين ٠

العدالة وحقوق الانسان :

يتصور بعض الناس أن العدالة

الدول الكبرى وفن الكذب

وحقوق الانسان والقانون وغيرها أشياء سارية المفعول فى البلاد المتقدمة وحين تتدخل القوى السياسيةفى العدالة أو القضاء فى بلاد العالم الثالث ومنها بلادنا تحمر بعض وجوه الاجانب من بلاد العالم الاول وكأنما هذه الظاهرة غير العادلة تحدث عندنا فقط .

وكم يصاب المصرى بالغضب حين يقرأ قصة « زياد ابو عين » ذلك الرجل العربى الذى كان سجينا فى احدى السجون الامريكية ويحتم القانون الامريكى على استمرار محاكمته قانونيا لاثبات براءته أو ادانته وعدم تسليمه لاسرائيل . الا أن السياسة تدخلت فى القانون وانتهكته ، وفى ظلمة الليل ، دخل رجال المخابرات الامريكية السجن ، وحملوا « زياد أبو عين » الى مطار أمريكى سرى ، حيث حملته طائرة اسرائيلية الى تل أبيب .

هل سمعنا عن مثل هذه الحوادث العجيبة فى أى بلد من بلاد العالم الثالث أو حتى فى أكثر القبائل البدائية المتوحشة ؟ !

ان القراءة عن أحوال السياسة فى عالمنا الراهن تؤكد لنا ان السياسة ليست مجرد فن الكذب لانها أخطر من الكذب ، كما انها ليست فنا على الاطلاق بل انها نقيض الفن ، لان الفن هو الابداع الحقيقى من أجل الانسان والحياة ، وليس من أجل القتل أو الموت .

٣ - كيف يفهمون المرأة ؟

كثيرا ما تصيبنى الدهشة حين أقرأ قصيدة لشاعر متقدم أو مقالا لكاتب واسع الافق فاذا بالواحد منهم قد تقدم فى كل شىء الا فى نظرته للمرأة .

انه يكتب أفكارا انسانية متقدمة فى السياسة والمجتمع والادب والفن فاذا ما مس المرأة بكلمة أو عبارة عارضة جاءت هذه العبارة متخلفة كل التخلف ، تكشف عن أن نظرته للمرأة لم تتغير عن غيره خطرت لى هذه الفكرة وأنا أقرأ مقال نزار قبانى فى جريدة الجمهورية ٦ مايو ١٩٨٢ ، وكان يقول « قصيدته بلقيس » كانت ترد على كل الاشاعات الكاذبة التى تزعم أن الشعر قد مات وشبع موتا ، وأن القصيدة صارت امرأة عجوزا لا يقترب منها أحد ولا يتزوجها أحد ولا مكان لها فى الحياة العربية » .

وأنا لا أناقش هنا هل مات الشعر العربى أم لم يمت ، كما



جمال عبد الناصر

اننى لا أناقش أيضا ما اذا كانت قصيدة نزار قبانى قد أعادت الحياة الى الشعر أم لم تعده ،لكنى أناقش فكرة تشبيه الشعر الميت بامرأة عجوز لا يقربها أحد ولا يتزوجها احد ولا مكان لها فى الحياة العربية !

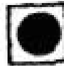
من قال ان المرأة العربية العجوز لا مكان لها فى حياتنا ؟! وهل الرجل العجوز له مكانة والمرأة العجوز ليس لها مكانة ؟! ومن هى المرأة العجوز اولا ؟ هل هى التى كفت عن الحمل والولادة ؟ هل هى التى لا يتزوجها أحد ؟ أو لا يقربها أحد ؟ وماذا يقصد نزار قبانى بكلمة يقربها ؟ هل يعنى يقربها جسديا أم فكريا ؟

ان هذه الفكرة عن أن المرأة بمجرد أن تتقدم فى السن او يذبل جسمها أو تتجعد بشرتها تصبح كالشيء الميت انما هي فكرة متخلفة لا ترى من المرأة الا قشرتها الخارجية أو جسدها ولاترى عقلها وانتاجها الفكرى ..

ان عقل المرأة كعقل الرجل يزداد نضوجا وتقدما كلما تقدم الانسان فى السن ونزار قبانى نفسه ،قد تقدم فنيا بتقدمه فى العمر ، هل يرضى أن نقول عنه انه مجرد رجل عجوزتكرمش وجهه ولم تعد له حياة فى المجتمع العربى؟ واذا كان نزار قبانى أو غيره من عجائز الشعراء والكتاب ما زالت لهم مكانة فى الحياة العربية فذلك يعود الى انتاجهم الفنى والفكرى وليس لشكلهم أو ملامحهم .كذلك المرأة .الا يوجد عندنا نساء عربيات عجائز أو فى سن نزار قبانى لازلن يعطين للحياة العربية فكرا وفنا ؟ أم أن الرجال العرب رغم ثقافتهم ما زالوا لا يعترفون الا بجسم المرأة ويتجاهلون أن لها عقلا يمكن أن يظل قادرا على العطاء الفكرى للمجتمع العربى وان بلغت من العمر أى مرحلة ●


جويس كارول

فى أمريكا الأطفال يشيخون



بقلم : محمود قاسم

● ليس فى الولايات المتحدة كاتبة واحـدة لها نفس الاهمية التى تتمتع بـها الآن هناك جويس كارول اوتس فاذا كانت الاسماء التى لمعت خلال السنوات الاخيرة قليلة . فاننا يمكن ان نقول أن جـويس تبرق .. تنير لكل ابناء جيلها طريقهم الذى عليهم أن يسـيروا



قبل الأوان

فيه .. والطريف ان هذه الكاتبة الشابة تلمع في أوروبا الآن اكثر من بلادها .

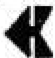
ولدت في عام ١٩٣٨ بمدينة لوكبورت بولاية نيويورك . متزوجة وأم لطفلين . تقوم حاليا بتدريس الادب الانجليزى فى جامعة وندسور بكندا .

نشرت ثمان روايات من ابرزها : « متأنقون » و « هم » عام ١٩٧٠ . و « افعل ماتشاء » عام ١٩٧٣ . ثم « أجساد » و « بلاد العجائب » عام ١٩٧٥ . ثم « حديقة اللذات » ١٩٧٦ . و « طفولة متقدمة » ١٩٧٩ . ثم « زهرة جميلة » عام ١٩٨١ .. ومجموعة قصصية بعنوان « زيجات وخيانات » .

يقول عنها الكاتب الامريكى كارسون ماكلورز : انظر الى وجه جويس كارول اوتس من ثلاث زوايا . انها تمتلك وجها اكاديميا وجها غامضا . له بصمة الرقة والمرية . لا يتحرك فيه سوى العينين اللتين تبدوان كأنهما عوينات صارمة » .

أما الناقدة الفرنسية فرانسوز فاجنر فتقول عنها فى جريدة لوموند ٢٦ يناير ١٩٧٩ : « هناك كاتبان امريكيان أحب ان التقيهما دائما . وهذا أمر عسير التدقيق . انهما لا يظهران . الاول ج . د . سالينجر الذى اعتبره أحسن أدباء امريكا . اما الآخر فهو الكاتبة الشابة التى تعتبر ظاهرة أدبية . هى جويس كارول اوتس » .

ويقول عنها جاك كابو فى مجلة لوبوان فى ٥ مارس ١٩٧٩ : « انها امرأة تشبه المظلة . ترتدي فوق وجهها قناعا منقوشا من كلمات الفراعنة » . وكابو



الأطفال يشيخون قبل الأوان

قام بنشر مجموعة من الدراسات حول جويس وذكر اكثر من مرة فى نفس المجلة ان للكاتبة نفس ملامح نفرتيتى الملكة المصرية . طول الرقبة . الشعر القصير . دقة ملامح الوجه . الانف الطويل .. والبساطة ..

وتنبع اهمية جويس فى انها تعبر فى رواياتها عن العنف الذى يجتاح الولايات المتحدة . واثر هذا العنف على سلوك الاطفال. ففى روايتها « متانتون » نجد انفسنا امام طفل يدعى ريتشارد فى الحادية عشرة من عمره. انه طفل عجوز يتسم بالذكاء والعصبية . هذا الصغير يعانى من الكثير من العقد النفسية تنساب داخله . اما امه ندا فهى امراة شابة جميلة . لا يعرف ابنها عنها اشياء كثيرة . فهى كثيرة الخروج او تذهب الى العديد من الاماكن. زوجها احد الاثرياء رجل اعمال امريكى يبحث دائما عن وقته الضائع . اما « ندا » فهى امراة تعانى من فصام نفسى .. فهى امام الجميع امراة مجتمع انيقة . حلوة الحديث . تتنقل بين المدن الكبرى فى الولايات المتحدة . اما حياتها الاخرى فهى تعشها فى اقبية نيويورك الفقيرة .. تمارس بوهمية الكتاب وتتصعلك هنا وهناك .. ملابس غيرمهندمة .. شعر اشعث .. وتصرفات صبيانية ..

والطفل ريتشارد يعيش وسط هذا الفصام الذى تعانيه امه.. يحاول كلا المراتين اللتين فى امه. يحاول ان يحلل هذا العالم الذى يحيطه .. يوصل دوافع امه ويحاول ادراك اسبابها ..

طبيب نفسى من هؤلاء الاطباء المنتشرين فى الولايات المتحدة . هؤلاء الذين ليس لهم سوى ان يفتحوا آذانهم لسماع مشاكل الآخرين . انه اشبه بالطفل الاسطورى بينو كيو . ولكن مع اختلافات كثيرة . فاذا كان بينوكيو يتسم بالبراءة والشطارة فان شطارة ريتشارد تنقصها البراءة .. انه أحد أطفال عصرنا الذين فقدوا براءتهم .. وبدأت ملامح الشيخوخة تكسو وجهه قبل أن يصل الى مرحلة الصبا.

ريتشارد ابن اديبة ناجحة ..



لعله هو احد ابناء الكاتبة جويس نفسها .. انه نتاج عصر القلق والتقنيات المعقدة فى كل مكان .. الازرار .. الآلام .. الافواه التى تتكلم هنا وهناك .. يذهب البشر الى رجل يسمى نفســه طبيبا نفسيا لا لشيء .. الا كى يسمع منهم مشاكلهم التى يعانون منها .. فيشعرون بالراحة ..

اما روايتها« طفولة متقدمة » التى نشرتها بعد تسع سنوات. فان الكاتبة تتناول أسلوب حياة اسرة اخرى من خلال افرادهـا الذين يعبرون عن اربعة اجيـال تعيش ابان الازمة الاقتصـادية فى الولايات المتحدة عام ١٩٢٩. انها مأساة لا يمكن لاحد ان يعيها



سوى من عاشها . هناك مزرعة قريبة من المدينة يسكنها اثنى عشر شخصا . الجد الاكبر رجـل بائس هاجر من ايرلندا وهـو معدم . هذا الرجل أورث ابناءه وأحفاده كل الفقر الذى جاء به من أيرلندا ..

هناك فتاة مراهقــة .. فى الرابعة عشر من عمـــرها .. تتصرف كالقطط البرية . امـها هى احدى النساء الكسولات . وهى دائمة الحمل .. والنساء فى هذه الرواية مثـــل نســاء جويس لهن حياتين .. الاولى لا تعنيهم كثيرا . والثانية هى كل معاناتهن .

واذا كان ريتشارد قد حاول تحليل سلوك أمه فان هنــاك شاب يحاول تغيير سلوك هــذه الام . انه يدرس فى الجامعة . يدرس فلسفة الشرق .. انـه يحب الفتاة مارتا . لكن بـدلا أن يساهم فى حل مشــاكل الاسرة فانه يدفع بالصغيرة الى الجنون .. وحول هذه الرواية تقول الناقدة كلير مالرو : «هذا السرير المتمدد مثـــل قصائد اشعار المراثى . حيث أصـوات

الناس تنسلخ من عبر الـزمن وتتداخل بين رغباتها وآلامها . اصوات الماضي التي تنساب داخل كل منهم قوة تنبثق منـها دون ان تكون لها نهاية » .

هذه الام التي تجمع من حولها العشاق والمحبين تسوق بسلوكها كل من ابنتها مارتا والشـاب الجامعي الى الجنون وتبقى هي تستقبل من جديد عشاق جدد .. لانها سريعاً ما تنسى ما اصاب ابنتها وتستمر في سلوكها .. وكما نرى فان هناك تشابها بين ام مارتا وليندا .. وتشـابه آخر بين مارتا وريتشارد .. فاذا كان الطفل قد اصـيب بالشيخوخة قبل الاوان .. فان مارتا تتخلص من مشاكلها بالجنون .. اصوات الماضي تنساب داخل كل منهما .. القلق يولد معهما وهما ينزلان من بطني امهاتهما . ولعل الام هي التي تؤدي الدور الرئيسي في تحريك شخصية ابنائها ..

ومثلما تنـاولت جويس في روايتها « طفولة متقدمة » أربعة اجيال تعيش متجاورة . فانـها من جديد تتناول حيـاة اسرة اخرى في روايتها الاخيرة «بلفورو» او « زهرة جميلة » التي نشرتها في العام الماضي .. تقـول الكاتبة ان ابطال هـذه الرواية تربطهم اشياء عديدة . حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم ووجودهم وبالفور امراة تقـوم بقيـادة سـيارتها الغريبة وهي تتذكر قصة حب قوية عاشـتها حتى الموت . وهذه المـراة تعيش في قصر لكنها ليست امراة سعيدة وهناك رجل يعمل في جوقـة موسيقية . يعشق الكمـان . وهناك قط مفتوح العيون يرقب كل ما يدور حوله .. لم يعـد يرقب الفئران ويجري وراءهـا ويطاردها . ولكنه عليه ان يعرف ما يحدث في هذا العالم .

وجويس تؤكد في هذه الرواية على العنف الذي اجتاح امريكا . واذا كانت لم تركز في روايتـها الاخيرة على بعض الاطفال الذين يعانون من قلاقل وآلام خاصـة لكن الكبار هنا يتألمون .. واذا كان من الطبيعي ان يتالم الكبار فان آلام الصغار هي اوزارنا .. ولعل الكاتبة قـد حاولت ان



تحمل صخرة سيزيت الثقيلة فقط فى روايتها هذه الى الكبار دون الصغار .

اشرنا فى بداية المقال ان شهرة جويس كارول اوتس ترجع الى روايتها . الا ان الكاتبة تكتب القصيدة الشعرية والقصة القصيرة . وفى عام ١٩٧٩ نشرت مجموعة الاقاصيص التى كتبتها فيما بين عامى ١٩٧١ و ١٩٧٣ . وقد ترجمت هذه المجموعة فى فرنسا بعنوان « زيجات وخيانات » فى نهاية عام ١٩٨٠ .. ابطال هذه الاقاصيص هم من الاطفال الذين يتسمون بانهم اسوياء يعيشون فى مجتمعات غريبة السلوك . احدهم يكتشف انه يعيش فى لغز ابدى لا يمكنه ان يفهمه . وان مفتاح هذا اللغز ليس فى يد احد .. ولا يعرفه شخص ممن يحيطونه .. واذا كان الاطفال الطبيعيون يرون ان النمو هو تخلص من عبء الآخرين فوقهم وتخلصهم من تحكم هؤلاء الآخرين فى سلوكهم فان اطفال جويس يرون ان النمو يشكل ثقلا لا يحتمل يرزخ فوق صدورهم . فهناك اب يقوم بضرب ابنته بكلمات قوية وهى جالسة بجانب النهر .. وامراة مات طفلها فى حادث تسكب مرارتها فى زوجها وتبدأ فى الاحساس بأن الفراغ افضل من زواجها الفاشل ..

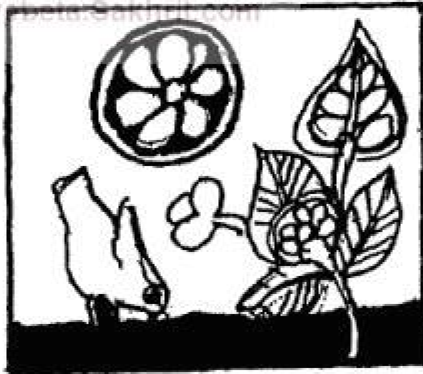
وفى اقصوصة « زواج مقدس » تبين الكاتبة كيف يمكن ان يتم الزواج وكيف تتم الخيانة الزوجية . لكن الاتصال مات وعلى الباقين على قيد الحياة ان يعيشوا حبا رائعا يكمن فى ذكرياتهم وفى سلوكهم الخفى .

هناك اقصوصة تصور فيها الكاتبة طفل صغير تسقط آنية من الفخار المكسيكى فوق راسه الآنية تتكسر . يفقد روى الذاكرة . يتمكن احد الاطباء من علاجه .. عندما يعود الطفل الى منزله تنهره امه لان الآنية كانت غالية الثمن . روى لا يمكن ان ينسى هذا الحادث حتى بعد ان ماتت امه .. ابوه رونالد رحل الى مكان بعيد لا يعرفه احد .. عندما يعود رونالد يكون روى قد كبر واصبح صبيا : «يجلس



الصبى امام المائدة . رأيته وجهه مبتسما وهو يتناول طعام غذائه. لم يكن يتوقع أن هناك حجرا سوف يكسر عنقه بعد قليل ». فنحن لم نر عاطفة مثل هذه يحملها أب تجاه ابنه الصغير . فهذا السلوك من الاب والام اصاب الصبى بانفصام شخصية تشبه تلك التى اصابت والدقر يتشارد.

ومن اسلوب الكاتبة فى هذه المجموعة يتحدث ميشيل برودو فى مجلة الاكسبريس فى اول نوفمبر عام ١٩٨٠ . « فى عالم جويس كارول اوتس » . لا الآباء . ولا الاطفال . ولا العشاق يتكلمون فيما بينهم . انهم يصرخون حتى قمم رؤوسهم



أو يتهامسون أو يتثاءبون لكن كل واحد منهم يعيش لنفسه سوء التفاهم فيما بينهم يعد بالنسبة لنا أشبه بسراب النهاية السعيدة .

اما فردريك فيتو فيقول فى مجلة نوفيل أو بزرفاتور فى ١٧ نوفمبر من نفس العام : « كم هى غريبة تلك الاقاصيص التى كتبتها كويس كرول اوتس . انها اشبه بالروايات الصغيرة التى لا نهاية ولا بداية لها . تترك أبطالها فى متاهات ، او بالاحرى خبل وجهل . تعيد اليهم الخوف والالم . يمكن ان نصدق اننا نشاهد فيلما ملىء بالحركة » .

وجويس نالت العديد من الجوائز الادبية مثل جائزة جو جنهيم عام ١٩٧٦ . وجائزة الكتاب القومى التى تعتبر أبرز الجوائز الادبية الامريكية .

بعد ان القينا نظرة سريعة حول الم ادبية فى الولايات المتحدة حاليا فلابد ان نتساءل .. هل هى احدى كاتبات الادب النسائى الذى انتشر اخيرا فى أوروبا .

لا شك ان جويس لا تعتبر امرأة تكتب أدبا نسائيا . لان الادب النسائي يناقش في ابسط صورة معاناة المرأة العصرية ازاء الكثير من قضايا العصر . مثل الاجهاض والعمل والمساواة بالرجل في الاجر والانتخابات وممارسة الحياة والطلاق والدفاع عن سلوك المرأة في مجتمع يحكمه الرجل . وشخصيات جويس النسائية اكثرهن كريهات أما عاهرات . او امهات يبحثن عن متعتهن الخاصة . يتركن أطفالهن يسبحون في دوامات تصنع منهم جيلا يحمل فوق كاهله الوان العقد النفسية . وبالتالي فاننا لا يمكن ان نضع جويس ضمن ما يسمى بالادب النسوي المنتشر في فرنسا اكثر من أي بلد أخرى في العالم بالرغم ان الحركة النسوية قد نزحت من الولايات المتحدة متجهة نحو اوروبا .. ●

السمكة المصباح

السمكة المعروفة باسم « ابو الشص » سمك يعيش في الاعماق البحرية ، ذو راس ضخم مسطح وفم عريض وعلى رأسه شبه طعم يغري به صغار الاسماك ومن فمه المفتوح ينبع ضوء يخدع به الاسماك الى دخوله فيتغذى بها

خسارة بسبب وردة !

اقليم كرايستشرش بانجلترا مع قلعته الكبيرة تم تأجيره الى الارل اوف ساليسبوري وذريته سنة ١٤٥٠ لقاء بدل سنوي قدره وردة واحدة . واتفق ذات سنة ان احد افراد اسرة الارل خسر الايجار هذا « بعد ٧٨ سنة كاملة » لانه لم يستطع العثور على وردة في الوقت المناسب لتسديد بدل الايجار !!

● كان رجال الحرس الوطني في فرنسا خلال الثورة التي حدثت سنة ١٨٣٠ مسلحين ببنادق مظلية لحماية انفسهم من المطر والشمس

قفول المتنبى إلى مصر

شعر: فولاذ عبد الله الأنور



يا كاتم أنفاسى ، يامترصد أحلامى
يا بوابات المصيدة المنتشرة حولى
هأنذا فى البرد اللافح والليل الفتاك أعود إليك ،
.. فلست أضاهيك ،
.. ولا أقدر أن أتطاول فأعاديك ،
.. ولا حتى أن يسنح لى حلم الهجرة عن واديك ،

اصطفقتْ فى وجهى أبوابُ العدلِ ،
.. فعدتُ إلى أبواب الجوْر المفتوحة فيك ،
انغلقت فى وجهى شرفات العشق ،
فعُدت إلى زنزانات المقت المزروعة فيكَ
ياكفُ الحقد المجهولة ،
.. تسحبنى من خلفى حينَ أدير إلى الحب عيونى
يا شبح الموت الواقف بينَ المجد وبينى
فلتهدأ ، ها جفَل الخيلُ ،
.. وحاصرنى الليلُ ،
.. وتلك البيداء ابتلعتنى ،
والسيفَ امتشقتهُ فى وجهى أطلال الربع العافى ...
فأنا لا يعرفنى إلاكَ ،
وهأنذا فى البرد اللافح والليل الفتاك أعود إليكَ ،
.. ولا أبغى إلا ركنَ المأوى ،
ولقيمات العصر ، وفضلَ الكأس ،
أجيئك بعصايَ فخذها ،
وسأحيا فى كنفكَ عبدا ،
مسرور الطلعة فى ظل سواد أياديكَ ،
.. وبطش لياليكَ ،
.. ونور الظلم الساطع فيكَ ،
.. أنا عبدك لست أضاهيكَ فخذنى ،
لست أضاهيك

الوسطية الإسلامية

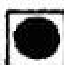
بقلم : د. محمد عمارة



محمد عبده



جمال الدين الافغاني



عندما استجاب الله ، سبحانه وتعالى ، لرغبة نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولشوقه وتطلعه في أن تتحول قبلة الاسلام والمسلمين من القدس الى بيت الله الحرام ، بمكة ، أوحى الى رسوله قرآنا يعلمنا مغزى هذا التحول ودلالة ذلك التحويل .. فهو الرمز والايذان بتسلم الامة العربية المسلمة لزمام القيادة الدينية من العبرانيين ، الذى ظلت فيهم هذه القيادة شبه احتكار ، لعدة قرون .. وهو اعلام بان المبرر لهذا التحول ، والمؤهل لهذه القيادة ، التى عقد القرآن لواءها لامة الاسلام ـ فضلا عن انها هى امة الرسالة الخاتمة ـ هو اتصاف هذه الامة «بالوسطية» اى بالعدل ، الذى يؤهلها ، لا للتميز على الامم الاخرى فقط ، بل يجعلها فى موقف « الشاهد » (العدل) على غيرها من الامم ، وبين مختلف الشعوب والاجناس ...

واذا كان مصطلح : «الوسط» و«الوسطية» قد اصيب بما يمكن ان نسميه : « سوء السمعة » ! من جراء المضامين السوقية التى الصقت به ، حتى غدا رمزاً للميوعة وانعدام الحسم وغياب الوضوح و « اللعب على مختلف الحبال » !؟ ... فان هذا المصطلح ـ عربيا

واسلاميا ـ برىء من كل هذه المضامين ... فالوسطية ، التى ارادها الله خاصية من خواص الامة الاسلامية تعنى : العدل ، الذى هو « وسط بين ظلمين » ، والحق ، الذى هو « وسط بين باطلين » ، والاعتدال ، الذى هو « وسط بين تطرفين » ، والموقف المتوازن ، الذى يؤلف بين أطراف الظواهر والقضايا ولا يقف عند جانب واحد منها فيسقط فيما نسميه «النظرة وحيدة الجانب» ! .. بل ينفذ ، بنظرة شاملة ، ليؤلف بين مايعتبره آخرون متناقضات لايمكن «تعايشها» فضلا عن التأليف بينها ؟! ..

تلك هى « الوسطية الاسلامية » التى مثلت واحدة من أبرز سمات حضارتنا العربية الاسلامية .. تلك الحضارة التى وازنت ـ بهذه « الوسطية » ـ بين «العقل» وبين « النقل » ، فعرفت العقلانية المؤمنة بالوحى ، وآمنت بالنقل الذى يحكم العقل فى النصوص والمأثورات ؟! .. ووازنت بين « المادة » وبين « الروح » ، فلم تعرف الغلو فى الطابع المادى الى حد تجريد الديانة من روحانيتها وروحها ـ كما صنعت أوربا مع المسيحية ؟! ـ ولم تعرف الغلو فى التصوص وكراهة الدنيا وتعذيب الجسد ، على نحو ماعرفت حضارة الهند ودياناتها ! ... ووازنت بين « الحكمة » ـ الفلسفة ـ وبين « الشريعة » ، فلم تعرف فلسفتها ذلك التيار المادى التاريخى الذى عرفته الفلسفة الاوربية منذ اليونان حتى العصر الحديث .. كما لم تتنكر شريعتها للفلسفة .. بل تدينت فيها الفلسفة ، كما تفلسف فيها الدين ؟! ... ووازنت بين « الدنيا » وبين « الآخرة » ، فجعلت الاولى الطريق الى الثانية ، واشترطت لسعادة الثانية عمارة الاولى وزخرفتها وزينتها ! .. بل وقررت شريعة هذه الامة أن صلاح الاديان مؤسس على صلاح الابدان ، وأن صلاح الدين ـ بالمعرفة والعبادة ـ مؤسس على صلاح الدنيا ـ بالامن واليسر فى ضروريات المأكل والمسكن والملباس ؟! ـ كما قال حجة الاسلام الغزالي « ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ـ ١١١١م » منذ نحو ألف عام ؟! ..

وكذلك وازنت حضارتنا العربية الاسلامية بهذه « الوسطية الاسلامية » ، بين «الفرد» وبين « المجموع » ، حتى لاينسحق الفرد لحساب المجموع ، ولا يستبد الفرد بالمجموع ؟! .. الخ .. الخ .. الخ .. فكانت خاصية « الوسطية الاسلامية » ، بما أثمرت من معيار « الموازنة والتوازن » ، من اهم القسمات التى اراد الله بها تمايز هذه الامة ، كى تكون جديرة بالقيادة ، عندما شرفها بالرسالة الخاتمة الخالدة ، ببعثة محمد ، عليه الصلاة والسلام ...

والامر الذى يؤكد هذه الحقيقة التى لفتنا اليها نستطيع أن نتلمسه حتى نلمسه من خلال تتبعنا للمسيرة الحضارية للامة العربية الاسلامية ..

● وعندما امتلكت هذه الحضارة تلك الروح .. روح « الوسطية » و « التوازن » عرفت هذه الامة العصر الذهبى لازدهار حضارتها العربية الاسلامية ...

● وعندما افتقدت هذه الحضارة تلك الروح .. روح « الوسطية » و « التوازن » .. وسادتها النزعات والنزعات التى تطرفت : « ففصلت » بين الدين وبين الدولة ، او لجأت الى « الكهانة » « لوحدتهما » جميعا ؟! ... وفصلت بين « المادة » وبين « الروح » فانحرفت الى الشهوات المادية او الى الرهبانية والصوفية التى اصابت القدرات المادية بالذبول ؟! .. وفصلت بين « العروبة » وبين « الاسلام » ؟! ... الى غير ذلك من مظاهر الانحراف عن هذه « الوسطية الاسلامية » ... عندما حدث ذلك كان التراجع والجمود ، فالانحطاط الذى أصاب أمتنا وحضارتها ... والذى استبد بأمتنا فى ظل سيطرة المماليك وتسلط العثمانيين !

والامر الذى يرقى بهذه الحقيقة الى مرتبة « القانون » الفاعل فى كل الميادين وعبر الاحقاب والقرون .. ان هذه الامة ، عندما تلمست طريقها الى اليقظة فى العصر الحديث ، كانت عين التيار التجديدى ... تيار الجامعة الاسلامية ـ الذى تبلور من حول جمال الدين الافغانى « ١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ » ـ كانت عين

الـوسطيـة الإسـلاميـة

هذا التيار على قسمة «الوسطية» و «التوازن» هذه ، فسعى الى نفض الغبار عنها ، وتقدم ليبعثها من مرقدها في تراثنا ، ثم نهض ليواجه بها تيـارات التطرف .. « يمينا وجمودا » كانت .. أم « تغريبا » وانفصاما عن روح الامة وثوابتها الحضارية !! ...



لقد كان واضـحا ان تيار « الجامعة الاسلامية » يمثل الموقف الثالث ، والوسط بين التيارين اللذين استقطبا جمهور الامة وقادتها في ذلك التـاريخ .. فعن يمينه اهل « الجمود » ، المتحصنون بالمؤسسـات العـريقة التقليـدية ، اولئك الذين توقف بهم « الفكر » عند نمط العصر « المملوكي ـ العثماني » في التفكير ... وعن يسارهم دعاة « التغريب » ، الذين بهرتهم حضارة اوربا ، وزادهم بها ايمانا وانبهارا نفورهم من الصورة التي يقدمها للاسلام وتراثه اهل « الجمود » ! .

والامام محمد عبده « ١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ ـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م » يحكي كيف بشر تيار « الجامعة الاسلامية » بهذا الموقف الوسطي الجديد ، فيقول وهو يترجم لنشـاته وتربيته ومذهبه : لقد نشات كما نشا كل واحد من الجمهور الاعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ، ودخلت فيما يدخلون ، ثم لم ألبث ، بعد قطعة من الزمن ، ان سئمت الاستمرار على مايالفون ، واندفعت الى طلب شيء مما لايعرفون ، فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه ، وناديت باحسن مما وجدت ، ودعوت اليه ، وارتفع صـوتي بالدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة ، قبل ظهور الخلاف ، والرجـوع في كسب معـارفه الى ينـابيعها الاول ، واعتباره من ضـمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانسـاني ، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم ، باعثا على البحث في اسرار الكون ، داعيا الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في ادب النفس واصلاح العمل . كل هذا اعده امرا واحدا .. وقد خالفت في الدعوة اليه رأى الفئتين اللتين يتركب منهمـا جسم الامة :

● طلاب علوم الدين ، ومن على شاكلتهم ...

● وطلاب فنون هـذا العصر ، ومن هو في ناحيتهم .. » .

واذا كان هذا التيار يدعو الى « السلفية الدينية » ، والى « فهم الدين على طريقة سلف الامة ، قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاول .. » .. فانه لايتطابق ، في هذا الموقف ، مع نمط السلفيـة « البـدوية » ، التي وقفت عند « النص » ، واتخذت من « العقل » موقفا غير ودي .. والتي ، لهذه « البداوة » ، لم تتعاطف مع « التمدن » والموقف المستقبل في الحضارة وشئون الدنيا .. فهذا التيار ينتقد ، صراحة ، هذا اللون من « السلفية النصوصية » ، بل ويرى ان اصحابها كانوا « اضيق عطنا (افقا) ـ واحرج صدرا من المقلدين ! .. فهم ، وان انكروا كثيرا من البدع ، ونحوا عن الدين كثيرا مما اضيف اليـه ، وليس منه ، الا انهم يرون وجـوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد ، والتقيـد به ، دون التفات الى ماتقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليهـا كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبـوة ، فلم يكونوا للعلم اولياء ، ولا للمدنية احباء .. » !!

وعلى حين اتخذت « سـلفية البداوة النصوصية » هذه موقفا غير ودي من «العقل» في « الفكر الديني » ، انعكس على موقفها من « العلم والمدنية » ، راينا تيار « الجامعة الاسلامية » يعلي من سلطان العقل في حقل « الدين » و « الدنيا » جميعا .. بل لقد اعتبر « الدين » « من ضمن موازين العقل البشري » التي وضعها الله لترد من شطط هذا العقل ، وتقل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ،

.. فالصلة بينهما ـ بين «الدين» و «العقل» ـ متينة ، والعروة بينهما وثقى ! .. فالدين : صديق للعلم ، يحرك الانسان للبحث في أسرار الكون ، ويحترم الحقائق العلمية الثابتة ، ويعول عليها في الاصلاح ..

واذا كان الدين ميزانا من موازين العقل البشرى ، فان هذا « العقل هو جوهر انسانية الانسان .. وافضل القوى الانسانية على الحقيقة ... وهو نقطة الافتراق التى ميزت الانسان عن غيره من الحيوانات ... جعلها الله محور صلاحه وفلاحه ! » ..

وبينما رفضت «سلفية البداوة النصوصية» الحكمة ـ « الفلسفة » ـ بل و « علم الكلام » ؟! تحدث تيار « الجامعة الاسلامية » عن « الحكمة » باعتبارها « مقننة القوانين ، وموضحة السبل ، وواضعة جميع النظامات ، ومعينة جميع الحدود . وشارحة حدود الفضائل والرذائل . وبالجملة ، فهى : قوام الكمالات العقلية والخلقية .. فهى أشرف الصناعات ! .. »

وهذا المقام الرفيع الذى احتله « العقل » في نهج تيار « الجامعة الاسلامية » ، لم يقف عند حدود فكر « الدنيا .. والحضارة .. والمجتمع » ، بل تعدى هذا الاطار الى ميدان « الفكر الدينى » .. فالنظر العقلى هو السبيل الذى يصل به المسلم الى اليقين باطلاق النظر في الاكوان ، طولها وعرضها ... وحتى يصل الى الغاية التى يطلبها بدون تقييد ... فالله يخاطب ، في كتابه ، الفكر والعقل والعلم ، بدون قيد ولا حد ... والوقوف عند حد فهم العبارة مضر بنا ، ومناف لما كتبه اسلافنا من جواهر المعقولات التى تركنا كتبها فراشـا للاتربة وآكلة للسوس ، بينما التفعت به أمم اخرى أصبحت الآن تنعت باسم : النور ! ..

والقرآن ـ وهو وحده المعجز الخارق ـ قد دعا الناس الى النظر فيه بعقولهم .. فهو معجزة عرضت على العقل ، وعرضته القاضى فيها ، واطلقت له حق النظر في انحائها ، ونشر ما انطوى في اثنائها .. فالاسلام لايعتمد على شىء سوى الدليل العقلى ، والفكر الانسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك باطوار غير معتادة ، ولايخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية ... والمرء لايكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به .. فمن ربى على التسليم بغير عقل ، والعمل ولو صالحا ، بغير فقه ، فهو غير مؤمن ، لأنه ليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه ان يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه ، فيعمل الخير لانه يفقه انه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر لانه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ! .. »

ولقد كانت هذه « العقلانية الإسلامية » عاملا من عوامل تميز تيار «الجامعة الاسلامية» لا عن « سلفية البداوة النصوصية » وحدها ، بل عن اهل « الجمود » ، الذين تصوروا توحيد الله وتفرده بالخلق مستلزما لانكار قيام المسببات على اسبابها الطبيعية ، ولانكار وجود القوانين الكونية والطبيعية الثابتة والحاكمة في الكون والمجتمعات ..

كذلك كانت عقلانية هذا التيار مميزة له عن تيار « التغريب » ، الذى تبنى نفر من اهله مادية الغرب الفلسفية ، تلك التى ظن اهلها ان التسليم بوجود السنن والقوانين الثابتة في الكون والمجتمع يستلزم نفى الالوهية والوحى والرسالات ! ...

فبهذه « العقلانية الاسلاميه » جدد تيار « الجامعة الاسلامية » نظرة الانسان المسلم للكون ، عندما اقام الموازنة والتوازن بين « التوحيد » ـ الالوهية وبين « الطبائع » ـ السنن والقوانين والعلية والارتباط الضرورى بين الاسباب والمسببات ـ ... وعندما ميز بين مهام الرسل والوحى وبين « عالم العقل وتطباله » .. ورأى ان « حاجة العالم

الوسطية الإسلامية

الانسانى الى الرسل هى حاجة روحية ، وكل ما لامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح ، اما تفصيل طرق المعيشة ، والحذق فى وجوه الكسب ، وتطاول شهوات العقل الى درك ما اعد للوصول اليه من أسرار العلم ، فذلك مما لا دخل للرسالات فيه الا من جهة العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه كى لايحدث ريبا فى الاعتقاد ولا يصيب احدا من الناس بشر فى نفسه او عرضه او ماله بغير حق ... فمثلا : حقيقة البرق والرعد والصاعقة ، واسباب حدوثها ، ليست من مباحث القرآن ، لانها من علم الطبيعة « اى الخليقة » ، وحوادث الجو التى فى استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ، ولا تتوقف على الوحى . وانما تذكر الظواهر الطبيعية فى القرآن لاجل الاعتبار والاستدلال ، وصرف العقل الى البحث الذى يقوى به الفهم والدين ... لا تقرير القواعد الطبيعية ، ولا الزاما باعتقاد خاص فى الخليقة ! ... »

فبهذه « العقلانية الاسلامية » تميز هذا التيار « السلفى » ـ العقلانى ـ المستنير » عن « سلفية البداوة النصوصية » ... وعن « أهل الجمود » ... وعن « دعاة التغريب » !

● فانصار « سلفية البداوة النصوصية » : قد نفضوا عن العقائد والتصورات والعبادات الدينية غبار البدع والخرافات ... لكنهم وقعوا اسرى لظواهر النصوص .. لم هم « لم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدنية احباء .. » ! ..

● و « أهل الجمود » ؟ « لايتعلمون ، فى الازهر ، من الدين الا بعض المسائل الفقهية وطرفا من العقائد على نهج يبعد عن حقيقتها اكثر مما يقرب منها ! . وجل معلوماتهم : تلك الزوائد التى عرضت على الدين ، ويخشى ضررها ، ولا يرجى نفعها .. وابناء الازهر ، المعروفون « بالعلماء » .. اقرب للتأثر بالاوهام والانقياد الى الوساوس من العامة ، واسرع الى مشايعتها منهم ! .. فيقاؤهم فيما هم عليه مما يؤخر الرعية ! .. » .. كما يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ..

● اما « دعاة التغريب » ، سواء منهم من درس فى عواصم الغرب ، فاندهش بحضارته ، واصبح داعية لتقليدها ، او من تعلم منهم فى المؤسسات التعليمية التى اقامها محمد على بمصر ، او العثمانيون بتركيا ، فان نهجهم ليس كافلا لاستقلال الامة حضاريا .. بل لقد اصبح هؤلاء بمثابة السبل والقنوات التى يتسلل منها العدو الى عقل الامة ووجدانها كى يثبت فى وطنها الاقدام ويحكم حول عنقها الاغلال ؟! ..

والافغانى يتحدث عن هذا الفريق فيقول : « لقد شيد العثمانيون عددا من المدارس على النمط الجديد ، وبعثوا بطوائف من شبانهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم مايحتاجون من العلوم والمعارف والاداب ، وكل مايسمونه « تمدنا » ، وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى ! .. فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لانفسهم من ذلك ، وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة ؟! . نعم ، وربما وجد بينهم افراد يتشدقون بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية ـ « القومية » ـ وما شاكلها .. وسموا انفسهم زعماء الحرية .. ومنهم آخرون قلبوا اوضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية ، وسائر الماعون ، وتنافسوا فى تطبيقها على اجود مايكون منها فى الممالك الاجنبية ، وعدوها من مفاخرهم ... فنقلوا بذلك ثروة بلادهم الى غير بلادهم ! ... واماتوا ارباب الصنائع من قومهم .. وهذا جدع لانف الامة ، يشوه وجهها ، ويحط بشأنها ! ... لقد علمتنا التجارب ان المقلدين من كل امة ، المنتحلين اطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الاعداء اليها .. وطلائع لجيوش الغالبين وارباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الابواب ، ثم يثبتون اقدامهم ؟! .. »



عبد الرحمن الكواكبي

فكما ان النهضة يعوقها « الجمود » عن فكرية عصر التراجع الحضاري وتخلف التمدن الاسلامي .. فان « التغريب » يفقدها استقلالها ، ويلبس الامة غير ثيابها ، ويجردها من امكاناتها وعوامل قوتها ، ويبدد طاقاتها فيما يفيد عدوها ، ليزيد ضعفها في مواجهة التحديات ! .. كل ذلك على وهم أن تصبح جزءا من حضارة الغزاة ...

والطريقان ـ « الجمود » و « التغريب » ـ كلاهما مرفوضان من تيار «الجامعة الاسلامية» الذي يستعين على النهضة بـ « الاصالة » وبـ « التجديد والتطور » .. فلا تقف حيث وقف «سلف» العصر «المملوكي ـ العثماني» .. ولا تبدأ من حيث انتهى الاوربيون .. ذلك « ان الظهور في مظهر القوة ، لدفع الكوارث ، انما يلزم له التمسك ببعض الاصول التي كان عليها آباء الشرقيين واسلافهم .. ولا ضرورة ، في ايجاد المنعة ، الى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التي جمعتها وسلكتها بعض الدول الغربية الاخرى ولا ملجيء للشرقي في بدايته ان يقف موقف الاوربي في نهايته ، بل ليس له ان يطلب



ذلك ، وفيها مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أوقر نفسه وامته وقرا اعجزها واعوزها ! .. » .

ففي « الجمود » .. وفي « التغريب » كليهما : « جدع لأنف الامة ، يشوه وجهها ، ويحط بشأنها » .. ويفقدها الاستقلال الحضاري ! ..

***

واذا كانت « السلطة السياسية » ، الممثلة في رأي الدولة ـ «الخليفة ـ الامام» ـ وفي مؤسسات « الدولة » ، فقد اكتسبت في العصر العثماني « قداسة دينية » ، غريبة عن روح الاسلام ، وهي قداسة ادعاها السلاطين العثمانيون ، وباركها فقهاء هؤلاء السلاطين من اهل « الجمود » ... ثم جاء دعاة « التغريب » ليرفضوها بـ « العلمانية » الغربية التي « تفصل » الدين عن الدولة ، على النحو الذي صنعته أوربا في عصر نهضتها واحيائها وتنويرها .. فان تيار « الجامعة الاسلامية » قد سعى الى تجديد نظرة المسلم الى المجتمع والدولة ، برفض « وحدة » السلطتين ـ الدينية والزمنية ـ وايضا برفض « فصلهما » ، وذلك عندما « ميز » بينهما ، واعتبر علاقاتهما ، التي لاترقى الى درجة « الوحدة » ، ولا تتدنى الى حد « الانفصال » !! .. وقال بتأسيس النهضة على الدين ، مع تجريد مؤسسات « الدولة » من « الصبغة الدينية » .. فالدولة اسلامية .. وكذلك المجتمع ، والحضارة .. لكن السلطة في هذه « الدولة » « مدنية » ، لان مصدر السلطات في المجتمع هي الامة ، والحاكم نائب عنها ، ومسئول امامها ، وخادم لها ، ومنفذ لشريعتها ـ المدنية ، المحكومة باطر الشريعة الالهية في ذات الوقت ـ .. وليس هذا الحاكم ظلا لله ولا سيفا مسلطا على رقاب عباد الله !! ..

فهذه الشئون « الدنيوية » : « بشرية » ، وليست « الهية » ، ومصدرها العقل الانساني والتجربة الانسانية ـ المحكومان باطر مقاصد

الشريعة وليس مصدرها الرسالة والرسل والانبياء ... وكما يقول الامام محمد عبده : فان كل « مايمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه ، لايطالب الانبياء ببيانه ، ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم واهمال للمواهب والقوى التى وهبه الله اياها ليعمل بها الى ذلك ... ولقد ارشدنا نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، الى وجوب استقلالنا دونه فى مسائل دنيانا فى واقعة تابير النخل ، اذ قال : « انتم اعلم بامور دنياكم » ... والاسلام لايرضى ، فضلا عن آن يسعى لمثل ماكانت عليه اوربا الكاثوليكية فى عصورها الوسطى والمظلمة عندما « كانت السلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية فى نظام واحد ، لا فصل فيه بين السلطتين .. فهذا الضرب من النظام هو الذى يعمل البابوات وعمالهم من رجال « الكثلكة » على ارجاعه ، لانه اصل من اصول الديانة المسيحية عندهم ، وان كان ينكر وحدة السلطة الدينية والمدنية من لايدينون بدينهم .. فليس فى الاسلام مايسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه ... ويقولون من يرمون الاسلام بانه يحتم قرن السلطتين فى شخص واحد ... ليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير والتنفير عن الشر ، وهى سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها أنف اعلاهم ، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من ادناهم ... وللذين يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الدينى ، افلا يكون للقاضى ؟ او للمفتى ؟ او شيخ الاسلام ؟ .. اقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء ادنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية ! .. ذلك ان اصلا من اصول الاسلام ـ وما اجله من اصل ـ : قلب السلطة الدينية ، والاتيان عليها من اساسها . لقد هدم الاسلام بناء تلك السلطة ، ومحا اثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من اهله اسم ولا رسم ؟! .. » .. كما يقول الامام محمد عبده ..

فلا « كهانة » اهل «الجموده و «سلطتهم الدينية » ... و «علمانية» دعاة «التغريب» وفصلهم الدين عن الدولة والمجتمع ... وانما « التمييز » بين الدين والدولة ، بتاسيس النهضة على الاسلام ، وتقرير « مدنية » السلطة السياسية فى المجتمع ، بجعل الامة مصدر السلطات والسلطان !



ولقد كانت « القداسة الدينية » لراس السلطة السياسية فى المجتمع تثمر ، ضمن ماتثمر : تكريس الاستبداد السياسى ، بل واضفاء بعض من هذه « القداسة » عليه ؟! .. فجاء فكر تيار « الجامعة الاسلامية » عن « مدنية » السلطة فى الدولة الاسلامية ليفسح المجال فى فكر هذا التيار للحديث عن « الشورى » ، كفلسفة للنظام السياسى الاسلامى ، ولتسليط الضوء ، بل والسهام على «الاستبداد السياسى» كعدو اول لنهضة العرب والمسلمين ... فالكواكبى « ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م » ، الذى ينفى ان يكون فى الاسلام سلطة دينية او نفوذ دينى فى غير مسائل اقامة شعائر الدين ... يقرر ان حكومة دولة الخلافة الراشدة كانت « مؤسسة على اصول الارادة الديمقراطية ، اى العمومية » .. وان سبب انحطاط المسلمين « هو تحول نوع السياسة من نيابية اشتراكية ، اى ديمقراطية تماما .. الى سلطة شبه مطلقة » ... وهو يرفض راى اهل « الجمود » الزاعمين بان سبب الفتور والانحطاط الذى طرا على المسلمين هو « التهاون فى امور الدين » ، ويقول : « ...والامر القريب أن كل الامم المنحطة ، من جميع الاديان ، تحصر بلية انحطاطها السياسى فى تهاونها بامور دينها ، ولا ترجو تحسين حالتها الاجتماعية الا بالتمسك بعروة دينها تمسكا مكينا ، ويريدون بالدين : العبادة ! . ولنعم الاعتقاد

لو كان يفيد شيئا ، ولكنه لايفيد ابدا ... ذلك أن الدين بذر جيد لا شبهة فيه ، فاذا صادف مغرسا طيبا نبت ونما ، وان صادف ارضا قاحلة مات وفات ، أو ارضا مغرقا هاف ولم يثمر . وماهي أرض الدين ؟! .. ارض الدين هي تلك الأمة التي اعمى الاستبداد بصرها وبصيرتها ، وافسد اخلاقها ودينها حتى صارت لاتعرف للدين معنى غير العبادة والنسك ، اللذين زيادتهما عن حدهما المشروع اضر على الأمة من نقصهما ، كما هو مشاهد في المتنسكين ؟! .. » .. لم يتحدث الكواكبي عن القوى التي تمكن للاستبداد السياسي في المجتمع ، فيحدد : « قوة الارهاب ، وقوة الجند ـ لاسيما اذا كان الجند غريب الجنس ـ وقوة المال ، وقوة الالفة على القسوة ، وقوة رجال الدين ، وقوة اهل الثروات ، وقوة الانصار من الاجانب ؟! »

اما الافغاني فان حديثه عن « الشورى » و « الحكم النيابي » وحكم البلاد باهلها « حكما دستوريا صحيحا » هو حديث واضح وحاسم ومستفيض ..

● ففي « الدين » : سلفية مجددة ، تتخذ من « العقل » اداة وحكما وسلطانا .

● وفي « الدنيا » : مشروع حضاري مستقل ، يبرأ من « كهانة » اهل « الجمود » و « سلطتهم الدينية » .. ومن « علمانية » دعاة « التغريب » وفصلهم الدولة عن الدين ... ويتبنى : تاسيس النهضة على الاسلام ، وجعله حافزا للانسان كي يطلب سعادته من « كل الابواب » ، شريطة أن يبقى للحضارة العربية الاسلامية طابعها الوسطي المتوازن ، الذي مثل روح هذه الحضارة في عصرها الذهبي ...

● وفي « الدولة » : يتبنى هذا التيار « مدنية » السلطة ، بما تعنيه وبما يترتب عليها من تاسيس الحكم على « الشورى » ، وتنقية الفكر السياسي الاسلامي من الشبهات التي تبرر الاستبداد ! .. ●



قصـــة قصـــيرة

لا يهم

بقلم : ســناء البيسى

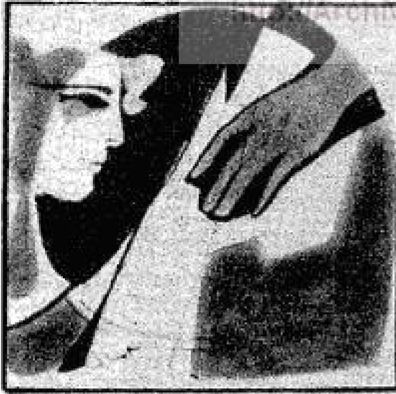
يستيقظ من فراشه لان جرس المنبـــه ضرب . يغسل وجهه لانه اعتاد في الصباح أن يغسله . يرتدي ملابسه لأنه لا يستطيع الخروج بالبيجاما . يتناول لقمة لان هناك افطارا على المائدة . يخرج نقودا من جيبه لان زوجتـــه تطلب المصروف . يسقط قبلة لان هناك خدا مصعرا لتلقى عليه . يغلق الباب لان يده تشده ، يهبط السلالم لانها وسيلة النزول الى الشارع . يشعل سيجارة بحكم العادة . يرفع الياقة لان لسعة برد شتاء تنفذ الى رقبته ، وقد يفتح الزرار لان قيظ صيف يكبس على تفاحة آدم .. يسير على الرصيف لانه الطريق الى عمله .. يعود للرصيف والسلالم البيجاما والمائدة لأنه بيته . متفرج . الدور الوحيد الذي يجيده . . يقف وحيدا في جزيرته بلا جسر أو قارب مشاركة . لا منتمي . . الاشخاص يخترقون دائرته ويخرجون منهـا دون أن يترك احدهم اثرا على جدران روحه .. يلفظه العـام الماضي لأحضان عام جديد فتمضي به الأيام بلا احتواء . الأحـداث ليس لديه تعليق عليهـا لا لانه يحتفظ برايه لنفسه ولكن لأنه لا يريد أن يكون له راى . الانقلابات . الاضراب . الكوارث . الفرحة . النصر . الانذار . التصويت .. مجرد حروف ضخمة حمراء في راس الصحيفة .. السياسـة تصنعها مجموعة تعيش هنـاك بعيدا عنه . الكرة لعبة حظ يتلقفه فريقان .. يده لا تحمل ساعة فمنطقه يقول وحتى اذا انقضت ساعة ما الجديد الذى ستحمله اخرى !! ..

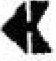
لا شيء يهم .. عندما يسير في الطريق وتزل قدمه في حفرة .. يرفع سماعة تليفون ليجـدها مشغولة قبل ان يطلب النمرة .. يسال عن سجائره المفضلة فلا يجدها .. يرفضه اكثر من سائق



تاكسي . تلكزه اكتاف الزحام ..
تلقي على راسه صفيحة قمامة ..
يخوض بركة ماء وطين . يصعد
سلم ناطحة لعطل الاسانسير ..
يتيبس فى صالة انتظار طبيب ..
يقرأ خبرا عن كبير اختلس ..
يدمى جلده لثغ حشرة .. يعطله
مسمار فى الكاوتش على الكوبرى .
يصرخ وليد .. يموت شاب .
تعلق مصابيح زفاف .. يعلو
صوت مقرىء فى مأتم .. يقام
ويفض مولد .. يختتم طابورا ..
يتحرش به بائع .. تنشل محفظته
أول الشهر .. يرى اخته مع
غريب .. ترتفع أسعار سلعة .
ينخفض مستوى معيشة .. يبتلع
العلاوة باكو بسكوت مستورد ..
تنهار عمارة جديدة مغشوشة .
تنعقد أو تنفك وزارة . يرتفع
صغير .. يذل عزيز قوم . ينقطع
التيار . تسرق فكرة أو يسلب
حق أو تخدش براءة أو يزور شاهد
او يسجن برىء أو يخلى سبيل
مجرم .. اى من كل هذا لم يكن
يحرك فيه خلجة . التبلد . تكسر
السهام فوق السهام على سطحه .
يدير ظهره ويمضى ..

استراح منذ البداية لان
المجموع حدد له الكلية التى دخلها
ولم يتركه على ابواب حيرة اختياره
لوظيفة مناسبة فهو يتعامل معها
كآلة وهي لا تتطلب منه سوى
ضغط على ازرار . الترقى يتم
دوريا تبعا لانقضاء المدة . الحب
لم يدخله فهو لا يعطى وليس لديه
رصيد .. يبدو هشا بصورة
مزرية . نظرة اخرى تجاهه تقول
انه صخرى وحديدى ومغلق
ضاعت مفاتيحه . لا تستطيع
ان تقطع حوله برأى .
تواجده فى نقطة البين بين ..
رمادى .. لا اسود ولا ابيض .
عندما تسأل عنه يكون الرد التلقائى
من زميل المكتب او بواب المنزل
« لا اعرف بالتحديد » .. لا
تستطيع ان تعطى اى عمل يقوم
به درجة اقل من مقبول او اعلى
من متوسط . !





اقام ايام الدراسة مع مجموعة من الطلبة وتفرق الجميع كل الى مسار وبقى هو فى نفس الشقة ليس بعامل الانتماء ولكن لاقتناع بانه ولماذا لا يكون نفس المكان .. ربما اعجبت به احداهن لكنـــــه مسطح .. عواطفه غائبة عن الوعى .. المرأة فى حيــــاته . تحضر وتتلهف وتمنح وتغضب وتتغير الوجوه لتؤدى كل منهن مهمـــة العاطفة من جانب واحد ..

سافر الى الخارج بلا هـــدف وارسلوا يقولون احضر حالا والده يحتضر فعاد . شدوا على يده بالعزاء فتمتم . واخذته امه بين احضانها وهتفت انت الآن رجلى فكان رده الصمت .. اشاروا الى ارض ورثها فنظـــر . نصحوه ببيعها فوقع العقد . طلب احدهم سلفة فأعطاه . فات الوقت فلم يسترد نقوده . قالوا له ارفــع قضية فلم يجد المستند . اختارته واحدة واخذته الى اهلها ولتاجر الوبيليا والمأذون وانجبت له ابنة تتعرف عليه وتظهر سنتها الوحيدة فى تجويف فمها عندما تشير اليه وتناديه بابا .. !

زوجته امها تحتضر . لاتستطيع فى سفريتها اصطحاب طفلتها حيث الكل هناك فى غفلة الانشـــغال وطبيعى الا تلقى الصغيرة اهتماما .. تتركها فى رعايته ليلة او اثنتين .. ارجوك .. مرة فى حياتك .. أمانة فى رقبتك .. مئات التعليمات .. سجل التوجيهات . مليـون مرة فتحت امامه درج الغيـارات وشرحت كيف يرج الزجاجة جيدا بعـــد اضـافة ثلاث ملاعق لبن متوسطة الامتلاء . قـامت امامه بتمثيل طريقة حمل الصغيرة الى الصدر والربت الخفيف على الظهر براحة اليد لتتجشأ فتهضم بالهناء والشفاء .. البودرة توضـــع فى الثنايا .. حاذر أن تبتـــل أو تتعرض لتيـــار هواء .. ثرثرت واغلقت الباب .

وحدهما فى البيت داخـــل الجدران والحياة .. المسئولية جبل ووحش وبحر ورمال تسحب الروح . صعبة المهمة .. هـــو وحده الحبل السرى لانســـان صغير لا حول له ولا قوة . قطعة لحم تتنفس لها رغبات .. أم تركت فى عهدته ابنتها . المواجهـــة . الارتباط . الفعل ورد الفعل ..

اطعمها .. بدل ملابسها . من

لابيهم

قراشها ترنو اليه بعينيها. هادئة ترقبه . تفيمه . تعجباو تهزابه. يرشوها بابتسامةويغادر الحجرة .. يسمره على الباب انفجارهافي البكاء . يعود اليها . تصفق . انتصرت . البراءة بلا مراحل انتقال . وسط دمعها تضج بالضحك وتظهر سنتها الوحيدة في تجويف فمها. تناغيوترفس برجليها وتلوح بيديها . عزفعلى شغاف القلب . يحملها . يهزها لتنام كما تفعل امها . تخبش نظارته . تسقطها. تدخل اصبعها في فتحة انفه . تلتوى ملونة بين ذراعيه . يعيدها . تصرخ . يستردها . تزن. يسقطهابجوار مقعده على السجادة . تحبو . تنشغل في الوان الفرش . تشده اليها . توقع فوتها بمنفضة السجائر ويلحق بالفازة المائلة في اللحظة الاخيرة . ترسل يدهافي الهواء تدعوه لحملها من جديد. يندهش لاصرارها . يضحك لخبثها . بكت .. ازداد بكاؤها كانها فطنت فجاة الى غياب امها . يحادثها لتسكت . تعجب من اين جاءته هذه الكلمات وكيف قالها بهذه الطريقة المضحكة .. لم ينفع ترديد مناغاته .. اعطاها المجلة لتلهو بها .. فجاة سكتت الضجة .. في ثوان نائمة بين شرائط الورق ..

الى جوارها تمدد وسط الظلام . لم يسمعها تبكي لكن شيئا مبهما ايقظه .. بين فوضى طبقات اغطية الكبار كتكوت صغير ينتفض من الحمى .. شعيراتها مبتلة يلصقها العرق الغزير بجمجمتها الصغيرة . فمهامفتوح يلهث .. سنتها الوحيدة تنغرس مع زفيرها في الشفة العليا تكاد تدميها .. البنت مولعة .. يسال نفسه عن الخطأ . قام بتنفيذ جميع تعليمات امها .. يناديها . غائبة . يهزها . ولا هي هنا . خطر يتربص داخل مخلوق صغير .. تمم القلق . الخطر تخطى الحاجز الحديدي للسرير وصار على الوسادة . ينبتحولها ابرا وشوكا .. يذرع الغرفة . يلف حول الجدران .. حولنفسه .. يفتح الادراج . يفتش عن لا شيء .. يرتدى قميصا . ينزعه. يفتح شباكا في آخر البيت . يود لو يتحدث الى انسان . يشكو ما به وبها عسى ان تخف لوعته . يمسح وجهه على غير وعي منه

مرارا . يستشعر غبـــارا على الوجه . يهرع اليها يحملهـــا . بعيدها . يغطيها . معدته فى فمه .. احد لم يكن بجانبه . وحدهما فى غرفة فى عز الليل . ماذا يقول لأمها . تركت الأمانة . اعطتـــه طفلة تضحك . ماذا يعيد اليها؟!. يدفع عمره ليتجنب المـــوقف . راغبا فى الفرار والسير حيث تقوده قدماه . أكثر من سيجارة مشتعلة فى الأركان . يفتح أنوارا ويغلقها.



يقرا فى روشتات قديمة . يصعد كرسيا لزجاجات رف علوى . يتلو آية .. يبتهل بدعاء .. يعد بصلاة وصوم . يتلاشى . شعاع فى ظلام النفس يبزغ . مـــن غيـــاهب سراديب طفولته يستميت لتذكر مشهد باهت لأمه تعصر فيــه قماشا تضعه على جبينه .. حتى الفجر على ركبتيه يبـــدل كمادات باردة على جبهتها . تهدأ الحرارة .. سحب مزمنة تتبدد . صـــدأ متراكم ينجلى . ذابت الصخرة . ابنته فتحت عينيها . القشـــة اصبح لها ارتكاز . تعـــرفت على وجهه . مدت كفها الصـــغيرة تحتضن اصبعه وتحتفظ بها ... يجاهد كى يتماسك فلا ينفجـــر بالبكاء .. تفر دمعة فتسقط من عينيه . داعب وجهها .. ابتسم . استشعر راحة لأنه ابتســـم . ضحكت بوهن وظهرت ســـنتها الوحيدة فى تجويف فمها. انتظمت انفاسها . نامت . جذب اصبعه برفق من تشبث يدهـــا . كانت تحتمى به . صغيرته . أوســـع الخطا الى الصالة حيث ارتمى على أحد المقاعد وترك لعـــواطفه الجديدة حرية التعبير عن نفسها.. أجتاز حاجز اللامبالاه !! ●

تختلف الاراء حول على ماهر باشا الذى تولى رياسة الوزارة قبل ثورة يوليو وبعدها..وفيما يلى يعرض الاستاذ احمد حسين رئيس مصر الفتاة سابقا رايه الخاص فى هذه الشخصية التى صارت فى ذمة التاريخ .

على ماهر

أعظم شخصية مصريّة عرفتها ولكنى أختلف معه فى الرأى

بقلم : أحمد حسين

● انا مدين بالشكر لمحرر الهلال ان هيأ لى فرصة كتابة هذه المقالات ، لأننى واجباً فى عنقى نحو بعض الشخصيات فى تاريخ مصر المعاصر وفى طليعتهم على ماهر باشا ..

لقد شاءت السياسة ان تسدل ستارا على رجالات مصر قبل الثورة ، مع أن على ماهر كان طليعة الثورة ، فهو الذى أقنع « فاروق » بوجوب التنازل عن العرش ومغادرة البلاد ، وهكذا بدأت ثورة يوليو الحقيقية ..

ولعلى ماهر موقف خالد فى ثورة ١٩١٩ فقد كان رئيس الهيئة التى اشرفت على اضراب الموظفين ، وقبض عليه وحكم عليه بالاعدام ، فقال لصاحب السجن ، الذى جاء يتلو عليه الحكم : حسن، هذا فيما يختص بى وهو ليس مهما ، والمهم هو مطالب مصر ماذا فعلتم بهذه المطالب ؟! ..

هذا هو على ماهر ودوره فى ثورة ١٩١٩ وهذا الذى تلقاه . هو ما سمعته بلاتى من فم على ماهر بعد أن اسست مصر الفتاة واتصلت به ، ولكنى منذ صباى المبكر وانا اسمع عنه وعن مواقفه الرائعة

وكان على ماهر يتولى الوزارة ، فى وزارات الائتلاف غير الوفدية ، ولكن سرعان ما كانت وطنيته - والمعيته تبرزه على السطح ، وعلى راس الوزارة

عين اول ماعين وزيرا للمعارف «التعليم» فى وزارة زيور ، ١٩٢٥ ، فاحدث ثورة فى التعليم فادخل اللغة الفرنسية لتنافس الانجليزية وادخل علم التربية الوطنية ..

وقبل ذلك كله ، وضع مفهوما جديدا لتاريخ مصر ، فبعد ان كان التاريخ يدرس على أساس ان مصر كانت مستعمرة طول عمرها ، فيجب ان يدرس هذا التاريخ على اساس شخصية مصر التى الفت غزاتها على



علی ماهر

مر الـــزمن وحققت ذاتهـــا فى مختلف العصـــور ، وكنت أنا من الرعيـل الذى شملهم هذا الاصلاح ، واحببت هـــذا الاتجاه ، وبالتالى احببت هذا الوزير الذى نادى بهذا الاصلاح .

اجرام فى اجرام

وسار على ماهر بهذا الاسلوب ، يصلح ويعمر اينما يحل فيتشىء المجالس الحسبية ومحكمة النقض عندما يتقلد وزارة العدل ويقف المواقف التى يستولى بها على اعجاب الجماهير ، ومن ذلك موقفه عندما استقال احتجاجا على قضية ، تعـــذيب البدارى ، وتتلخص القضية فى ان مامور البدارى عذب احد المتهمين عذابا قاسيا وشائنا ، فلما ان افرج عن المتهم ، قتل المامـــور ، واثبتت محكمة الجنايات تفاصيل وقائع التعـذيب لتصل من ذكرها الى اثبات القصد والنية لدى المتهم ، ووصفت محكمة النقض هـذه الاساليب بانها ، اجرام فى اجرام ، فكان ان استقال على ماهر فهـــزت استقالته الحكومة التى لم تلبث ان استقالت .

كان ذلك هو ما عرفته عن على ماهر قبل ان القاه فلما قابلتـــه ازداد تعلقى به لوطنيته والمعيته ، وقديما كانوا يســـمون رئيس الحكومة ، صاحب الدولة ، واحسب ان هذا اللقب صيغ فقط لعلى ماهر فقد اثبت انه صاحب الدولة فعلا فى كل مرة راس فيها الحكومة ، ومن رعاية الله لمصر ان جعل على ماهر براس الحكومة ، فى كل اللحظات المصـــيرية التى مرت بمصر ابان حياته ..

فكان على راس الحكومة ، عنـــدما مات الملك احمد فؤاد فلم يتردد ولم يســـتشر الانجليز ، بل اسرع ونادى بفاروق ملكا ، مطبقا لاول مرة : مات الملك عاش الملك .

وعند قيام الحرب ..

وعند قيام الحرب العالمية الثانية ، كان هو على راس الحـــكومة المصرية ، وكانت انجلترا تظن انه بموجب المعاهدة الانجليزية المصرية ، فان مصر تصبح فى حالة حرب مع اى دولة تعلن انجلترا الحرب عليها ، ولكن على ماهر فاجا الانجليز بل وفاجانا نحن المصريين ، بان المعاهدة لا تلزم مصر بذلك ، وكل ما تلتزم به مصر ان لا تتبع سياسة تخالف السياسة الانجليزية ، وعلى ذلك فقطع العلاقات الســياسـية واعتقال الرعايا الالمان ، هو كل ما تلزمنـــا به المعاهدة ، ونادى على ماهر بسياسة ، تجنيب مصر ويلات الحرب ، هذه السياسة التى التزمت بها ، كل الحكومات التالية حتى من كان منها شديد الاخلاص للانجليز .

طرد الملك فاروق

وكما شاءت الظروف ، ان يكون على ماهر رئيس الحكومة هو الذى ينادى بفـــاروق ملكا ، فقد شاءت كذلك ، ان يكون على راس الحكومة عندما يطرد فاروق من مصر

وتفصيل ذلك ان الثـــورة فى يوم ٢٣ يوليو رشحت على ماهر لرئاسة الحكومة ، وقبل الملك الترشيح وعين على ماهر رئيسا للحكومة ..

وفى يوم ٢٦ يوليو كان على ماهر يسلم الملك انذارا باسم الثورة ان يتنازل عن



العرش ويغادر البلاد في ذات اليوم ٢٦ يوليو » ..

هذا هو على ماهر في تاريخ مصر المعاصر، وقد كنت شديد الاعجاب والتقدير للرجل، وكان بيننا علاقة جد وثيقة، ومع ذلك فقد شاءت الظروف ان اختلف معه خلافا يؤدي الى القطيعة، من ناحيته، اما كيف حدث هذا، فاليك التفصيل :

علي ماهر رئيسا للديوان

كان علي باشا ماهر رئيسا للديوان عام ١٩٢٨ وعندما اخرج محمد باشا محمود كامل باشا البنداري من وزارته لينتدبه على باشا ماهر وعينه وكيلا للديوان الملكي.

حدث بعد ذلك، أن سافر علي ماهر على رأس وفد يمثل مصر، الى لندن، للتفاوض في حل القضية الفلسطينية، وقد ابلى علي ماهر في هذه المفاوضات، كما هي عادته. وصدر ما يسمى «الكتاب الابيض» وهو يتضمن تعهد انجلترا باعلان استقلال فلسطين بعد خمس سنوات، واقفال باب الهجرة اليهودية نهائيا بعد السماح بدخول مائة الف يهودي في هذه السنوات الخمس.

وبينما كان هذا يجري في لندن، كان الملك فاروق يسعى للتحرر من وصاية على ماهر عليه وهو الذي نادى به ملكا وله من سنه وتجاربه ما يؤهله لذلك.

وكان فاروق ينزع للتحرر، وساعده على ذلك، من قصد او غير قصد، كامل باشا البنداري الذي اصبح رئيسا للديوان بالنيابة في غيبة علي ماهر، وكان فاروق يحس بمذاق جديد، في عرض كامل البنداري شئون الدولة عليه، اذ كان يشعره انه صاحب الامر والنهي، حيث يشعره علي ماهر، بصغر سنه، وقلة تجاربه، لهذا يضيق بعلي ماهر، وكتبه «البغل»، خطابا ليلقيه في الاذاعة، يتحدث عن نفسه وانه مستقل الرأي، وهو وحده الذي يتخذ القرار، وانه سيعمل في المستقبل مع الشعب، وابرق الى علي ماهر في لندن يطلب منه الاستماع الى الاذاعة.

وعندما عاد علي ماهر الى مصر، سأله فاروق، اذا كان قد سمع الاذاعة والمقال «في صبيانية ورعونة»، انه يعني علي ماهر وهو يتحدث عن نزوعه الى الاستقلال، وراح فاروق يثني على كامل البنداري ويشيد به، فتصور علي ماهر ان كامل هو الذي دس له عند الملك، وانه هو الذي كتب الخطاب للملك وحرضه ضد علي ماهر.

وقد كنت في هذه الفترة قوي الصلة بالبنداري باشا، الذي اتسهل على براءته من كل ذلك، وانا اصدقه، وبدا الخلاف يستشري بين علي ماهر وكامل البنداري وكان ممكنا ان اقف على الحياد بين الرجلين فكل منهما صديقي، ولكني سرعان ما اخذت جانب كامل باشا البنداري، فقد كان علي ماهر عنيفا في خصومته، وبلغ الامر به الى حد استعداء السفير البريطاني على الملك فحدثني كيف دعا السير مايلز لامبسون لتناول الطعام معه، وقص عليه قصته مع الملك والبنداري، وعند هذا الحد لم استطع الوقوف على الحياد، بل اخذت جانب البنداري، ورحت في مجلة مصر الفتاة اندد بموقف علي ماهر واعيب عليه اشراكه



الملك فؤاد



الملك فاروق



لامبسون



محمد محمود باشا

الانجليز فى الموضوع وراحت جريدة « الوفد المصرى » تنقل مقالاتى فى هذا الصدد فتزيد النار اشتعالا ..

هل عادت المياه ؟

كان حنق على ماهر ، على شديدا جدا ، وولى الوزارة ، وكان هذا الموقف الرائع الذى وقفه فى مستهل الحرب والذى اشرت اليه ، واصبح عدو الانجليز رقم ١ فى مصر واعتقلوه وطاردوه ، فوقفت بجانبه وعدت الى اعجابى وتقديرى ، وعدت ضيفا على مائدة طعامه ولكن هل عدت فى نفسه ، الى المكانة التى كانت لى عنده ، الله اعلم ! ●

هذه الحياة

● لاتستطيع ان تتحكم فى طول حياتك على الارض .. ولكنك تستطيع ان تتحكم فى عرضها وعمقها

● ولا تستطيع ان تتحكم فى خلقتك .. ولكنك تستطيع ان تتحكم فى تعبيرات وجهك

● ولا تستطيع ان تتحكم فى الطقس .. ولكنك تستطيع ان تتحكم فى الجو الخلقى الذى يحيط بك !

○ ولا تستطيع ان تتحكم فى الازمات والايام السوداء التى قد تواجهك.. ولكنك تستطيع ان توفر جانبا من دخلك يمكنك من الصمود لها حتى تمضى

● ولا تستطيع ان تتحكم فى الفرص التى تعرض لك .. ولكن فى وسعك ان تظل يقظا تترقب الفرص المناسبة فتنتهزها .

فاذا شئت ان تحيا سعيدا هانئا فدع ما لا قدرة لك عليه ، واحرص على ما تستطيع ان تتحكم فيه !

عقاب

مصطفى درويش من اسكودارى فى تركيا ، عاقب نفسه لانه اغفى مرة اثناء احدى العظات ، بالجلوس على الارض بعد ربط شعره بخيط مشدود الى السقف كل ليلة ، طوال السنوات الاحدى والعشرين الاخيرة من حياته « ١٨٩١ - ١٩١٢ »

قصة قصيرة

لم أنته بعد

بقلم: محمد السيد سالم

اليوم الجمعة ..

الساعة تدق الخامسة ..

ينهض من فراشه الخشن متثاقلا، ينفض تعبا تكوم على ظهره ككتلة طين فوق محاره، يتأفف في صمت، يبتلع في حشرجة تحية الصباح، يرتدي في كسل ملابس العمل، يمضي في الطريق الخالي شبه المعتم وهو يحس في ضبابه بهموم ثقيلة، ينظر للسماء، تصطدم عيناه بذرات التراب فتنقلبا جمرتي نار، عواصف وغبار، يصل بعد سير طويل الى مكان عمله في تلك العمارة التي انتصبت كمارد جريح ضمدوه بالاخشاب والحديد والحبال.

عقارب الساعة تقترب من السادسة صباحا.

ليس في المكان أحد غيره، يشمل كومة حطب،



يضع فوقها (كوز) الشاى الاسود وينتظر ، يثبت ناظريه فى النار ، يسترخى قليلا ، يستسلم لافكاره ، تتطاير الشرارات لترتطم بيديه الباردتين .

يتوافد العمال واحدا بعد آخر ، هو لا يزال ينظر فى النار التى تشبه عينيه، يحمل مطرقته ويتسلق الجدار، يبدأ فى دق الخشب وهو يتمايل مع الهواء والنعاس ، ضربة على المسمار وضربة على أصبعه ، لكنه فى داخله لا يتوقف عن ذكره ، وهو الذى يئن الآن تحت آلامه المبرحة ، وملائكة الرحمة يصبحن جحيما اذا ما عكرت سباتهن .. كيف طاوع الظروف وسلمه لهذا المجزر البشرى بينما تقرير الطبيب الذى أشار فى النهاية بضرورة اجراء عملية ثانية جاء كصفعة أخرى بسبب حالة الشلل التى اصابته بعد العملية الاولى ..

هم دائما كطبيعتهم يقولون بسبب كذا وكذا .. صار كذا .

يضرب أصبعه ضربة حامية ، يصحو من أفكاره يكتشف بعد الجهد انه يدق الهواء ، والخشب أمامه أملس بلا ثقوب .

ليلة أمس عاد للبيت والساعة تدق الثامنة ، حاصره الارق ، حاول أن يقرأ كتابا ، فارجحت السطور فى عينيه ، القاه جانبا وهو يتذكر فى لحظة خاطفة وقوفه على باب الجامعة والشهادة الثانوية فى يده تهتز ، ظل مسهدا حتى الثالثة صباحا .

يلتفت للعمال ،الجميع منهمكون فى اعمالهم، اصوات الطرقات تدوى ، وتختلط بهدير الريح فى الخارج ، وصرخات تنهش صدره .. ولكنه يتنهد

(ينتظر قضاء ربه وحيدا)

يكرر هذه العبارة كثيرا ، لعله بحروفها يعبر عن قلقه ، ولكنه فجأة يتراجع عن العمل بعد أن بذل فيه ما استطاع ، لعله تراجع يشبه كثيرا ذلك الذى حدث يوم قرر أن يرسل برقية الى لجنة حقوق الانسان يطلب فيها معونتها فى حق انسان فى الحياة بلا آلام ، يومها



لم أنته بعد

وبعد أن اقتنع بالفكرة فوجيء بأنه لا يوجد في البيت قرش واحد •

يأتيه صوت صارخا من القاع :

ــ انزل يا عبده لتشرب الشاى

الشاى ! يسأل نفسه ويتذكر فجأة يوم أن تقدم بأوراقه للجامعة ، وطلبوا منه ثمن طابع تمغة ، يومها اسقط في يده ، ولكنه دس يده في جيبه فلم يجد غير ثمن تذكرة الاتوبيس ، فاضطر بعد أن الصق الطابع بالاوراق أن يعود ماشيا • ينزل كأنه يهوى الى قبر تسكنه الاشباح ، يجلس بينهم صامتا كحجر ، يدهمه أحدهم بسؤال :

ــ كيف الوالد

يعود نفس الصوت :

ــ ما بك يا عبده ما بالك لا ترد ؟

يوغل (عبده) في متاهاته ، وينظر اليه نظرة بلا معنى ، لكنه لا يرى سوى وجه طيني كأنه انتشل توا من قاع مستنقع ، فلا يستطيع أن يتكلم •

يترك الجميع بغته ويصعد ، يبدأ الدق من جديد ، ينهش الخشب الصلد نهشا يجب أن يدق •

مطالب البيت تحاصره ، لوازم الزيارة اليومية للمستشفى البعيد تخنقه ، اليوم سوف ينعم اخوته بعد حرمان باللحم على أمل أن يعوض هذا الاسراف بعد عودته •

الكل هناك ينهشه ، وهو هنا لا ينهش سوى الخشب •

يظل يدق بعنف ، والهواء حوله يدق اذنيه في ضراوة ، وانين أبيه يدوى في رأسه ،ويضاعف من دقات قلبه بين جدار صدره •

يصرخ به أحدهم :

ــ عبده ... هل انتهيت ؟

ينتصب كالملدوغ ، يجيب في صراخ :

ــ كلا .. لم انته بعد ●



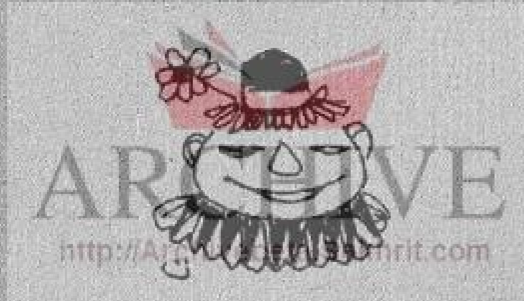
ابتسامات

● كان الشاعر الفرنسي « لافونتين » كثير النسيان ، وحدث ان نسى مرة دعوة كان الامير « كونديه » قد وجهها اليه لتناول العشاء معه ، فغضب الامير غضبا شديدا ، ولما ذهب الشاعر الى قصره كي يعتذر اليه رفض هذا مصافحته وادار له ظهره .. وهنا ضحك لافونتين وقال له : « شكرا لك يا مولاى لقد تحققت انك راض عنى ومازلت تعاملنى معاملة الاصدقاء ، الا لم يعرف عنك انك تدير ظهرك للاعداء !»

وهنا لم يسع الامير الا ان يصافح الشاعر وهو يبتسم

● خرج احد اثرياء الهند للصيد يصحبه خادمه .. فلما عادا بعد ساعات — ولم يكن السيد قد اصطاد شيئا — سئل الخادم عن نتيجة رحلتهما .. فقال: « كانت رماية سيدى فى غاية الدقة ، ولكن القدر كان شديد الرحمة بالطيور !»

● سأل متسول احد الوجهاء ان يعطيه قرشا ، فاعطاه الوجيه القرش وسأله: « ولكن ماذا تستطيع ان تفعل بالقرش فى هذه الايام ؟ »



فقال المتسول : « اننى لم اذق طعاما ياسيدى منذ ثلاثة أيام . ولذلك فاننى اريد ان ازن به نفسى !»

غلطة كلب

وقفت سيدة ارستقراطية تشترى فاكهة من احد المحال المخصصة لذلك ، وكان كلبها معها فاخذ من حيث لا تراه يلحس الفاكهة المعروضة ، فتضايق البائع وتلطف فى لفت نظر السيدة الى ذلك ، فالتفتت الى الكلب وضربته بشدة وهى تقول له : « ماهذه القذارة ؟.. الا ترى ان الفاكهة لم تغسل بعد » ●

الوجوه المألوفة

للشاعر الانجليزى :
شارلس لامب
ترجمة :
أحمد مصطفى حافظ

كان لى أصحاب لهو ، كان لى أقران
فى أيام طفولتى ، وأيام الدراسة البهيجة
وقد ذهب الكل :
كل أصحاب الوجوه القديمة المألوفة
كنت أقطع الوقت معهم
فى الضحك والسمر
وأشرب وأمرح
لوقت متأخر من الليل
وقد ذهب الكل :
كل أصحاب الوجوه القديمة المألوفة .
ومرة ، شغفت بفتاة حسن فريد
الا أن بابها



اوصد دونى
ولم يعد لى الحق فى رؤيتها
وكان لى صاحب
لا يوجد من هو اوفى منه
وتنكرت له ، تركته فجاة ..
لاستعرض متأملا :
اصحاب الوجوه القديمة المألوفة
وطفقت اطوف
كشبح خلفه الليل وراءه
بمدارج طفولتى
وبدت لى الارض .. كصحراء
لابد من عبورها
لابحث منقبا
عن اصحاب الوجوه القديمة المألوفة
يا صديقى الحميم ..
يا من كنت لى
اكثر من اخ شقيق
لماذا لم تولد
فى بيت ابى ؟!
حتى اظفر بمتعة الحديث معك
عن اصحاب الوجوه القديمة المألوفة :
كيف قضى بعضهم نحبه
وكيف فارقنى بعض آخر ..
وكيف انتزعت البقية الباقية منهم ..
ـ الجميع قد رحلوا :
أصحاب الوجوه القديمة المألوفة



كتب الرحلات

في الأدب العربي المعاصر

ترجمة وإعداد: حسن حسين شكري

● يضم الادب العربي للعصور الوسطى مؤلفات كثيرة كتبت نتيجة للسفر والترحال . وقد ثبت في كثير من الحالات ان هذه المؤلفات مصدر قيم للمعلومات عن الاحوال الداخلية للامبراطورية الاسلامية والبلدان غير الاسلامية . ولا يبدو أن هذا النوع من المعلومات متوفر في انماط أخرى للادب العربي . ففي العصور الوسطى كان يقوم بالترحال عادة افراد يسعون وراء المعرفة أو التجارة . وكان الجغرافيون اساسا هم اصحاب كتب الرحلات التى تشمل الى جانب الوصف الطبوغرافي القائم على المشاهدة والتجربة والرواية الشفوية معلومات قيمة عن الشعوب والعادات والمؤسسات الاجتماعية . ولعل اعظم كتب الرحلات في العصور الوسطى هو كتاب العلامة البيروني (ت ١٠٤٨) المسمى « تاريخ الهند » الذى كان ثمرة رحلته الى هذا البلد وهو زاخر بالمعلومات القيمة .

وفي العصور الحديثة ظهرت كتب الرحلات في تيار مطرد منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى وقتنا هذا . وعلى الرغم من قيمة كتب الرحلات كمصدر للمعلومات الا انها آخذة في الاضمحلال . ويعزى هذا أصلا الى ظهور وسائل اخرى للاتصال كالصحافة والاذاعة والتليفزيون والمدارس وقيام اعداد كبيرة من الافراد بالاسفار الخ .. وتعد باكورة كتب الرحلات وخاصة ما ألف منها في القرن التاسع عشر وفي العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن ذات قيمة كبيرة للغاية في اكثر من ناحية . لانها الى جانب ما تسجله من معلومات عن البلاد الاجنبية تتناول العلاقات الاجتماعية الثقافية ومواقف الرحالة العرب من الشعوب الجديدة والبيئات الغريبة عليهم وتسهم في ايجاد نوع من التفهم لطبيعة الزاوجة الاجتماعية الثقافية بين الشعوب المختلفة . وبالطبع تولد هذه الزاوجة نوعا من التفاعل (عملية الاخذ والعطاء) التى تنعكس في اكتشاف القيم والتجارب والعادات واستشراف المستقبل . وفي آخر الامر يؤدى هذا الاكتشاف الى تحليل الذات والانتهاء الى رفض او قبول قيم وعادات الشعوب الاخرى . ومن ثم نجد ان كتب الرحلات كانت وسيلة هامة لتعارف عدد كبير من الشعوب العربية مع العالم الخارجي ، وادت الى حدوث احتكاك مباشر بين العالم العربي واقصى اطراف الدنيا . ومجمل القول ، تضم كتب الرحلات الوانا من الوصف للبلد الذى ينزل به الرحالة ضيفا اى احوال البلد المضيف وعاداته وعجائبه . وتشمل في كثير من الاحيان معطيات تاريخية وتعد



سجلا متصلا لمشاعدات المؤلف وتجاربه وانطباعاته ومواقفه .

ولقد اتخذ الاحتكاك بين الشعوب الناطقة بالضاد وبين العالم الخارجي اشكالا متعددة في الازمنة الاخيرة . ففي الوقت الذي بدأ الغرب فيه غزو العالم العربي من خلال الانشطة السياسية والتجارية والبعثات التبشيرية والتعليمية، ومن خلال المؤسسات الاستعمارية في آخر الامر صار العرب بدورهم مهتمين بنفس القدر بالعالم الخارجي بحثا عن الفرص الاقتصادية او عن بيئة اجتماعية وسياسية اكثر تسامحا . ورحل كثير من العرب الى الغرب طلبا للمعرفة التي قد تمكنهم من تعلم الوسائل الديناميكية المتقدمة للمجتمع الغربي ليدخلوا هذه الوسائل في اوطانهم .

وبوجه عام ، كان وراء الهجرة العربية في بداية القرن التاسع عشر دوافع جعلتها تستمر بلا توقف منذ ذلك الوقت . بدأت هذه الهجرة بافراد كان الجزء الاعظم منهم يجهل لغات وعادات البلاد التي رحلوا اليها قاصدين استوطانها ، وكان حالهم كذلك بالنسبة للنظم الاجتماعية والسياسية السائدة فيها . دفعهم الى هذا الرحيل الرغبة في تحسين مواردهم المالية وهم لا يملكون شيئا سوى العزم والشجاعة والامل في حياة افضل.

فانتشروا في الامريكتين طولا وعرضا وفي افريقيا واوروبا واسيا . ولما زادت اعدادهم في المهاجر قويت صلاتهم باوطانهم الاصلية من خلال المراسلات بينهم وبين ذوي قرباهم وربما كانوا يبعثون به اليهم من مساعدات مالية رمزية في اغلب الاحوال . كانوا يسجلون لهم في هذه المراسلات انطباعاتهم وتجاربهم في المهاجر ويعبرون فيها عن الحنين الى الوطن ، او ما يلاقونه من صعوبات وتقلبات الحياة ، او ما يعيشون فيه من مسرات مع وصفهم لعجائب البلد الجديد الذي نزلوا به . وربما كان المهاجر منهم واقعا تحت تاثير ما تيسر له من موارد مالية كبيرة او منبهرا بجو الحرية وما اشبه . ومن المحتمل ان الرسائل المبشرة بالخير كانت من الافرازات الرئيسية التي دفعت الشباب الى الهجرة جريا وراء آفاق ارحب او بحثا عن فرص جديدة اكبر غير متاحة لهم في ارض الوطن . ولا يستهان بدور المهاجر في تعرف بني وطنه على عجائب وغرائب العالم الخارجي ، وفي عملية التبادل الثقافي المشترك بين المجتمعات المتباينة . ولم يدعم هذا التبادل الثقافي بالدراسات المتواصلة فحسب ، بل وبالزيارات التي كان يقوم بها كثير من المهاجرين لاوطانهم الاصلية . وفي الواقع ، كان لهذه

كتب الرحلات
فى الأدب العربى المعاصر




جرجي زيدان

الزيارات أثر كبير على اتجاهات وقيم بنى وطنهم خاصة فى لبنان حيث غير هذا التأثير الصرح الاجتماعى لهذا البلد . ولقد وصل عدد الناطقين بلغة الضاد وسلالاتهم فى البلاد التى لا تتكلم العربية الى عدة ملايين . ومع عدم وجود احصائيات دقيقة يمكن القول بأن مايزيد على نصف مليون منهم يعيشون فى الولايات المتحدة وكندا ، وان عددا اكبر من هذا فى كل من امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية . وناهيك بعدد من يعيشون فى افريقيا واوروبا وآسيا . وكان هؤلاء المهجريون يتمثلون عادة حياة الوطن الجديد الذى اختاروا الاقامة به ، بل ونجحوا فى تقديم اضافات لافتة للنظر . ففى امريكا الجنوبية نجح المهاجرون الاوائل نجاحا باهرا فى التجارة والصناعة ، وعمل كثير من ابنائهم واحفادهم فى مهن مختلفة وصار كثير منهم اطباء ومحامين وسياسيين وكتاب الخ ..

وفى القرن التاسع عشر كان باب اتصال الشرق بالغرب مفتوحا على مصراعيه على المستوى الرسمى . ففى مطلع هذا القرن استقلت مصر استقلالا ذاتيا من الباب العالى وارسلت حكومة محمد على كثيرا من البعثات التعليمية الى اوروبا لاكتساب المهارات الفنية الاوروبية .

واستمر هذا الاتجاه الرسمى بشكل مكثف واخذت بلاد عربية اخرى فى تقليده . وفى الوقت الحالى وصل الاتجاه الرسمى الى حد مثير للدهشة اضف الى ذلك العدد الوفير من الطلاب الذين يسعون الى التعلم فى البلاد الاجنبية . وكان لهؤلاء الطلاب ، وللطبقة المثقفة العربية اثر لا ينمحى فى البلاد العربية لا من حيث عدد المؤلفات التى كتبوها فحسب ، بل من حيث تأثرهم بالاقامة فى البلاد الاجنبية ومواقفهم من الحياة عامة والقيم الانسانية والمجتمع بوجه عام .

ومما هو جدير بالذكر ان اغلبية الطبقة المثقفة العربية قد تلقت تعليمها فى بلاد اجنبية وصارت على معرفة بالعالم الخارجى من خلال الرحلات او المؤسسات الاجنبية التى كانت تمارس نشاطها فى اوطانهم . ونجد كثيرا من الشخصيات البارزة فى دنيا الثقافة العربية من امثال : احمد فارس الشدياق ، ورفاعة الطهطاوى ، وجورجى زيدان ، ومحمد كرد على ، واحمد امين وطه حسين وبعض الزعماء العرب الوطنيين قد سافروا الى الغرب مرات عديدة وسجلوا انطباعاتهم فى كتب الرحلات وفى سيرهم الذاتية او فى مذكراتهم . وبلا شك اثرت تجاربهم فى الخارج فى مواقفهم من كثير من القضايا الهامة بالنسبة لهم . وكان لهم اضافات كثيرة فى توسيع الآفاق العربية الاسلامية ، وكان لهم الفضل فى ايجاد اهتمام واسع النطاق باوربا وبمؤسساتها التعليمية . ويعدون فى نواح كثيرة سفراء ودبين لبلادهم فى البلاد الاجنبية


رفاعة الطهطاوي


محمد فريد



وقدموا العالم الخارجي الى اوطانهم من خلال ما كتبوه من رحلاتهم بصورة مغرية للغاية .

رحالة القرن السابع عشر

ولقد انجب القرن السابع عشر اثنين من الرحالة العرب المشهورين هما : رجل الدين الياس بن حنا الموصلي ، مكاريوس بطريك حلب الاورثوذكس .وابن حناهو اول رحالة من المشرق يسافر الى امريكا . اذ قام في الفترة من ١٦٦٨ – ١٦٨٣ برحلة حملته عبر ايطاليا وفرنسا واسبانيا ثم امريكا الجنوبية وامريكا الوسطى وخلف لنا مؤلفا مفصلا تمام التفصيل عن رحلته هذه . وفي منتصف القرن السابع عشر سافر مكاريوس الى القسطنطينية وواصل رحلته الى دول البلقان وروسيا . وله مؤلف وصف فيه الاحوال السياسية والدينية للمدن التي زارها وقد ترجم الى الانجليزية والروسية.

وفي القرن الثامن عشر استمر السفر من العالم العربي الى اوروبا وامريكا بلا توقف . ومع ذلك يعد ادب الرحلات في اللغة العربية في ذلك القرن ضئيلا الى حد ما . وفي القرن التاسع عشر زاد عدد الرحالة العرب الى اوربا وامريكا وغيرها من بلاد العالم زيادة مطردة . وسجل كثير من الرحالة رحلاتهم . فللرحالة العراقي شهاب الدين محمود الالوسي (ت ١٨٥٣) ثلاثة مؤلفات عن رحلاته الى تركية هي « نشوة الشمول في السفر الى اسلامبول » ط بغداد ١٢٩١ هـ « نشوة المدام في العودة الى مدينة الاسلام » ط بغداد ١٢٩٣ هـ ، « غرايب الاغتراب ونزهه الاحباب في الذهاب والاقامة والاياب » ط بغداد ١٣١١ هـ وتعد مصدرا هاما للمعلومات حيث يصف فيها الاحوال الاجتماعية والسياسية للامبراطورية العثمانية مبتدئا بالقرن الثامن عشر ومنتهيا الى اوائل القرن التاسع عشر . ويحظى الرجال اللذين التقى الالوسي بهم بالقدر نفسه من اهتمامه في كتبه . وثمة رحالة آخر هو الطبيب اللبناني ابراهيم النجار (ت ١٨٦٣) الذي سافر عقب تلقيه التعليم الطبي في القاهرة الى استنبول وبيروت واوربا ، وبعد عودته الى بيروت نشر جزءا من رحلاته في كتاب يضم تاريخ الامبراطورية العثمانية وكثيرا من المعلومات الثقافية والتاريخية عن مصر وغيرها من البلاد التي قام بزيارتها ، اسماه (مصباح السارى) ط بيروت ١٢٧٢ هـ . كما سجل رجل الدين المعروف باسم حنا سكالا (ت ١٨٩٥) رحلته التي قام بها الى دمشق في ١٨٥١ . والف الرحالة ابراهيم عبد المسيح كتاب « دليل وادى النيل » ط القاهرة ١٨٩٢ وضمنه وصفا لمساجد مصر وكنائسها ومدارسها

كتب الرحلات

فى الأدب العربى المعاصر


احمد امين



بالحالة التى كانت عليها فى عامى ١٨٩١ – ١٨٩٢ .

وبينما نجد الجزء الاعظم من كتب الرحلات السابقة مهتما بالشرق الا أن هنالك عددا كبيرا من كتب الرحلات الموجودة حتى الان تتناول أوروبا التى اهتم بها الرحالة اهتماما كبيرا بسبب قربها من المنطقة .

رحلة الطهطاوى

ويعد الرحالة المصرى رفاعة الطهطاوى (ت ١٨٧٢) الممثل الاول لهؤلاء الرحالة المتقدمين . وهو من ابرز الشخصيات فى حركة الاحياء الثقافى فى مصر . عينه محمد على رئيسا لبعثة من الطلاب فى باريس . واستفاد من اقامته بالعاصمة الفرنسية على افضل وجه ويعد فى كتابه « تلخيص الابريز الى تلخيص باريز » شاهد عيان لحكم شارل العاشر الذى حرض على ثورة الايام الثلاثة فى عام ١٨٣٠ ، ويعرض فى كتابه هذا وصفا تفصيليا لهذا الحكم . اضف الى ذلك ترجمته للدستور الفرنسى ، وتناوله للدستور الفرنسى ، وتناوله للنظام النيابى ومساواة الفرنسيين امام القانون ، ومسئوليات وواجبات المواطنين الخ .. ونتيجة لذلك صار الطهطاوى واحدا من ابرز الناقلين للفكر الاوربى من خلال ترجماته الكثيرة للمؤلفات الغربية الى اللغة العربية ، وكان مثل واليه محمد على متأثرا بألوان التقدم الاوربى . فهو دائم الحديث فى اعماله عن وصف اوربا باعجاب شديد . ويتناول فى مؤلف آخر له معروف باسم « قلائد المفاخر فى غرائب عوائد الاوائل والاواخر » مجلدين ط بولاق ١٢٤٩ هـ عادات اهل اوربا ويضمنه ترجمة للمصطلحات الجغرافية والتاريخية من الفرنسية الى العربية .

ولقد وجد كثير من المثقفين فى تلك الفترة أن رحلاتهم جديرة بالتسجيل . فالشاعر الكاتب الحلبى فرنسيس بن فتح الله المراش (ت ١٨٧٣) قام بزيارة باريس عام ١٨٦٦ وسجل رحلته فى كتابه « رحلة الى باريس » ط بيروت ١٨٦٧ ووصف فيه عجائب هذه المدينة . وفى هذا الوقت نفسه تقريبا سافر القس فيليبوس النمير الى اوربا .

وعلى الرغم من ان مؤلف خير الدين التونسى (ت ١٨٧٩) المسمى « اقوم المسالك فى معرفة احوال الممالك » ط تونس ١٢٨٤ هـ لا يمكن ان يعد من كتب الرحلات الا انه كان من ثمرة اسفاره الى اوروبا وتجاربه فيها . وقد شغل التونسى عدة مناصب رسمية فى تونس والقسطنطينية وباريس وكان مدركا للفرق بين المؤسسات التعليمية فى البلاد العربية والاوربية . ويصف فى كتابه جغرافية الدول الاوربية واحوالها الاجتماعية والسياسية ويشير فيه الى السيطرة الغربية ويدعو اهل الشرق الى منافسة الغرب . وقام ابن جلدته وصديقه المصلح الاجتماعى محمد بيرم (ت ١٨٨٩)



محمد كرد



زكي مبارك



بزيارات فى الشرق والغرب وخلف مؤلفا فى خمسة مجلدات يصف فيه رحلاته الى اوربا ومصر وسوريا والحجـــاز والقسطنطينية ويضم بين دفتيه معلومات اجتماعية وتاريخيه على جانب كبير من الاهمية . واطلق على مؤلفه هــذا اسم « صفوة الاعتبار بمستودع الابصار (ط القاهرة بلا تاريخ .

ومن المعجبين بالغرب ايضا اثنان من اللبنانيين هما : يوسف حبيب باخوس (ت ١٨٨٢) وسليم بطــرس البيروتى (ت ١٨٨٣) فقد لبى باخوس الذى كان ضليعا فى الايطالية واللاتينية والسريانية دعوة الحكومه الايطـــالية للاشراف على اصدار صحيفة عربيه فى روما . وبعد اقامته لفترة وجيزة فى ايطاليا ســجل انطباعاته عن روما فى مؤلفه (عشرون يوما فى روما) ط بلا تاريخ . كما جال بطرس جولات عديدة فى اوربا وترك مؤلفا مطولا أسماه « الرحلة السليمية » ط بيروت ١٨٥٦ يصف فيه اوربا بعبــارات خلابة ويحث بنى وطنه على زيارة القـــارة الاوربية ، كما نجد الرحالة نخلة صالح يعبر عن انطباعات مماثلة فى مؤلفــــه المسمى «الكنز المخبأ للسياحة فى اوربا» ط القاهرة ١٨٧٦ .

ولعل اشهر رحالة القرن التاسع عشر هو العلم والكاتب المبدع احمد فارس الشــدياق (ت ١٨٨٧) الــذى اثر فى معاصريه تاثيرا عميقـــا . وكانت اكثر مؤلفاته نتيجة جولاته فى البلاد الاجنبية. نشـــا الشدياق فى لبنان ، وعاش فى القاهرة واستنبول ، وقام بالتدريس فى مدرسة البعثة الامريكية فى مالطة ، ثم قصد كمبردج تلبيه لمقترح جمعيه ترجمة التوراة فاشتغل بضبط عبارة الترجمـة العربية وتنقيحها وعاد الى باريس واقام فيها زمنا ، وقام بزيارات لبعض البلاد الاوربية الاخرى . وفى اثناء اقامته بمالطة الف كتابه « الواسطة فى احوال مالطة » ط مالطة ١٨٣٤ ذكر فيــه تاريخ تلك الجزيرة وجغرافيتها واخلاق اهلهـــا وعوائدهم وسائر شــئونهم السياسية والاجتماعية . ويعرض فى مؤلف آخر له أسماه (الساق على الساق فى ما هو الفارياق) ط باريس ١٨٥٥ سيرة حياته ورحلاته فى البلاد العربية وغير العربية ، ويتحــدث فى مؤلف ثالث هو (كشف المخبا عن فنون اوربا) ط تونس ١٢٨٣ هـ عن عادات اهل اوربا واحوالهم الاجتماعية باعجاب شديد . وفى عام ١٨٨٩ قـام ديمترى خلاط الطرابلسى برحلة سجلها فى كتابه « سفر السفر الى مراد المحضر » ط القاهرة ١٨٩١ وصف فيها وربا وصفا مفصلا . وحينما سافر امين فكرى مـع والده لحضــور مؤتمر المستشرقين فى استكهولم ١٨٨٩ سجل رحلته فى كتابه

كتب الرحلات
فى الأدب العربى المعاصر

« ارشاد الالبا الى محاسن اوربا » ط القاهرة ١٨٩٢ وعبر فيه عن انطباعاته تعبيرا سهيا .

الرحلة الى الاندلس

وشهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اثنين من اعظم الرحالة العرب العالميين هما : لويس صابونجي (ت ١٩٣٠) وله مؤلف باسم « الرحلة التحلية » ط استنبول بلا تاريخ ، وحنا خباز (ت ١٩٥٥) وله مؤلف باسم « رحلة حول الكرة الارضية » مجلدين طبع اولهما فى سنتياجو - شيلى ١٩٢٠ ، والثانى فى حمص سوريا ١٩٢٢ بعنوان « لطائف اخبارى فى متاحف اسفارى » . وقد قام كل منهما برحلات حول العالم . ولد صابونجي فى تركيا ووفد الى لبنان وهو فى الثانية عشرة من عمره وتلقى تعليمه الاولى فيها، ثم قصد روما وتخرج فيها . وبعد اقامته فترة فى لبنان هاجر الى الولايات المتحدة واستقر بها . وكان يفد الى مصر وغيرها من البلاد العربية والى اوروبا فترات متقطعة . وفى عام ١٨٧١ قام صابونجي برحلة حول العالم استغرقت ثلاث سنوات وسجل هذه الرحلة فى مؤلفه الذى ظهر بالتركية والعربية ويحتوى على اوصاف دقيقة ومصورات كثيرة . وفى العقد الثانى من القرن العشرين قام المعلم والكاتب السورى المبدع حنا خباز برحلة مماثلة وكان يشبه رحالة العصور الوسطى من امثال ابن جبير الى حد كبير .. كما ان محمود روحى الخالدى « ت ١٩١٣ » وهو اديب فلسطينى عمل موظفا فى ظل العثمانيين وخدم بالقسطنطينية بعد ان اتم تعليمه فى لبنان وسافر الى باريس للاستزادة من العلم وتعرف هناك على عدد من المستشرقين الذين دفعوه الى الاهتمام بالتراث العربى فقام برحلة الى اسبانيا سجلها فى مؤلفه « الرحله الى الاندلس » مخطوط . ولابد ان هذه الرحلة قد الهمته كما الهمت كثيرين غيره ان يفكر فى ماضى اسبانيا الاسلامية المجيد . وجورجي زيدان (ت ١٩١٤) الذى ركز اهتمامه فى التراث العربى سجل انطباعاته عن اوربا فى كتابه «رحلة جورجي زيدان الى اوربا » ط القاهرة بلا تاريخ وتناول فيه تاثير فرنسا فى تشكيل الحضارة الحديثة . ولم يكتف معاصره خليل بن الخطار سركيس « ت ١٩١٥ » مؤسس صحيفة اللسان - بتسجيل رحلته الى القسطنطينية واوربا وامريكا فحسب فى كتابه « رحلة مدير اللسان الى الاستانة واوربا وامريكا » ط القاهرة ١٨٩٣ ، بل قام بتسجيل رحلات القيصر ويلهلم الثانى الى المشرق فى كتابه « رحلة الامبراطور غليوم الثانى » ط بيروت ١٨٩٨ . وقد قام لبيب بك البتانونى بنشر كتابه المسمى « رحلة الصيف الى اوربا » ط القاهرة ١٩٠١ ، وسجل ايضا رحلة الخديو عباس حلمى الى الحجاز فى مؤلفه « الرحلة الحجازية





لولى النعم عباس حلمى باشا الثانى خديو مصر » ط القاهرة ١٣٢٧ هـ . والعلامة أحمد زكى باشا (ت ١٩٢٤) المعروف بشيخ العروبة والذى كان ضليعا فى الفرنسيه والانجليزية والتركية سافر مرات عديدة الى أوربا وتركيا وشبه الجزيرة العربية ومثل الحكومة المصرية فى المؤتمر الدولى التاسع للمستشرقين ووصف رحلتـه الى أوربا مع التركيز الشديد على اسبانيا . ومن ثمار هذه الرحلات كتابيه « السفر الى المؤتمر » ط بولاق ١٨٩٢ ، « الدنيا فى باريس » ط القاهرة .

الزعيم محمد فريد

ويعد الزعيم الوطنى المصرى محمد فريد (ت ١٩١٩) من بين الرحالة ايضا فقد صاحب مصطفى كامل فى اسفاره العديدة الى أوربا ، كما سافر فى الفترة من ١٩٠١ - ١٩٠٤ وزار اسبانيا والجزائر ومراكش وايطاليا وتونس وتركيا والنرويج وخلف سجلا كاملا عن رحلاته فى كتابه (رحلة محمد فريد) ط الاسكندرية بلا تاريخ . كما قام الرحالة السورى عبد الرحمن شاهبندر (ت ١٩٤٠) والذى كان عضوا بارزا فى الحركة الوطنية برحلات الى أوربا والولايات المتحدة ويصف فى كتابه المسمى « الرحلة العلمية » ط بيروت ١٩٣١ أحوال أهل أوربا الاجتماعية والصحية .

ومن المحتمل ان أعظم الرحالة العرب شهرة فى العقود القليلة الماضية هو

الاديب اللبنانى امين الريحانى (ت ١٩٤٠) الذى هاجر فى سن مبكرة الى الولايات المتحدة وسرعان ما أخذ يطوف بالمدن والبلدان - لندن ، باريس ، القاهرة ، بغداد ، السعودية العربية ، اسبانيا، شمال افريقيا ، لبنان وغيرها . وكان من ثمرة رحلاته هذه عدة مؤلفات (ملوك العرب - أو رحلة فى البلاد العربية) مجلدين ط بيروت ١٩٢٤ ، « قلب العراق » ط بيروت ١٩٢٥ ، «قلب لبنان» ط بيروت ١٩٤٧ ، « المغرب الاقصى » ط القاهرة ١٩٥٢ .

واخيرا الرحالة المصرى توفيق حبيب (ت ١٩٤١) وهو صحافى كان يكتب عمودا باسم مستعار « الصحافى العجوز » وله مؤلف يصف فيه رحلته الى أوربا « رحلة الصحافى العجوز سنة ١٩٣٥ - شهران فى أوربا » ط القاهرة ١٩٢٨ ، وله مؤلف اخر يحكى فيه عن رحلاته الى لبنان واليونان وشمال افريقيا اسمه « شهران فى لبنان وبلاد اليونان وطرابلس الغرب » ط القاهرة ١٩٢٨ . أضف الى ذلك مؤلف الاديب المصرى الشهير ابراهيم عبد القادر المازنى (ت ١٩٤٩) واسمه « رحلة الحجاز » ط القاهرة ١٩٢٩ . ومؤلف الكاتب الفلسطينى احمد سامح الخالدى (ت ١٩٥١) عن رحلته الى سوريا المسمى « رحلة فى ديار

الشام » ط القدس ١٩٤٦ ، وكتاب عبد المؤمن كامل الحكيم « رحلة مصرى الى فلسطين وسوريا ولبنان » ط القاهرة ١٩٢٤ . وللدكتور زكى مبارك (ت ١٩٥٢) عدة كتب للرحلات « ذكريات باريس » ط القاهرة ١٩٣١ ، (ملامح المجتمع العراقى) ط القاهرة بلا تاريخ ، « وحى بغداد » ط القاهرة ١٩٣٨ وهو ثمرة اقامته فى العراق ويصف فيه الاحوال الاجتماعية والادبية والوطنية لهذا القطر . وكذلك كتاب السيد عبد الرزاق الحسينى « رحلة فى العراق » ط بغداد ١٣٤٣ هـ .

حصيلة مائة عام

هؤلاء هم بعض الرحالة العرب فى المائة عام الماضية من الذين تركوا لنا سجلات لرحلاتهم . وبطبيعة الحال تضاعف عدد من اكتسبوا شيئا من المعلومات عن العالم الخارجى عدة مرات. لقد كان لهؤلاء الرحالة بصائر نفاذة وكان لهم تأثير لا يستهان به على بنى وطنهم لا من حيث المادة التى تضمها مؤلفاتهم بل بما اشتملت عليه من انطباعات من تقدير القيم ومن دلالات على الميول الفردية حيال الاتجاهات الجديدة . وعادة ما كان اتجاه الرحالة الى الغرب موضع الاعجاب والدهشة ، بل والتنافس فى كثير من السمات الاجتماعية . ويجب ان نتعرض فى هذا الصدد لموقف اثنين من كبار المفكرين اولهما العالم القدير محمد كردعلى (ت ١٩٥٢) الذى كان رحالة دؤوبا لم يسجل رحلاته التى قام بها هو نفسه فحسب ، بل سجل رحلات أنور باشا الى سوريا والحجاز فى كتابه « الرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية والشامية » ط بيروت ١٩١٦ ، ومن اللفتات الظريفة ان يجعل عنوان كتاب اخر من كتبه «غرائب الغرب » ط دمشق ١٩٢٣ وهو عنوان يكشف عن اعجابه الذى يتجلى بشكل اكثر فى مذكراته المطبوعة فى ثلاثة اجزاء بدمشق ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .

وثانيهما المفكر المصرى الكبير احمد امين الذى لم يكتب مؤلفا خاصا برحلاته ، ولكنه افسح لها مكانا فى سيرته الذاتية « حياتى » ط القاهرة ١٩٥٠ ، وكان مثل كردعلى من حيث الدافع والرغبة فى تحسين الاحوال الاجتماعية فى وطنه ويتوق حيثما ذهب الى اليوم الذى يتمتع فيه بنو وطنه بالتقدم الاجتماعى الذى شاهده فى بلاد اخرى . وقد ظهرت كتب اخرى لبعض الرحالة العرب فى العقود الثلاث الماضية من امثال : احمد حسانين باشا ، وكريم ثابت ، والدكتور حسين فوزى ، والاستاذ احمد الصاوى محمد ، والاستاذ انيس منصور وغيرهم ولم يتناولهم كاتب هذا المقال ونامل ان نتمكن من تناول مؤلفاتهم فى الرحلات فى مقال اخر . ●

على صهوة البصر

شعر: سيد احمد عثمان



لنسرج البَصَر !
ونعبُرَ الجدارَ ، فالسياجَ ...
للفسيح .. لا حَذَر
كضوئه .. القمَرَ
على الدروب سَالَ في نَهر
وفي العيُونِ شبَّ يافِعا
"عُشب" تأبَّطت نسيمةَ الصباح خصره
فَراح مثلَ طائر في عشّه
يَدس في الجناح .. رغبةَ السَّفر

***

لفُسحة يشدنا الفسيحُ فيه ساعة
تُقيم في الفؤاد واحَة
تشعُّ بالحضور طول موسم الفصول والحقب
تَشد من قبائل الحضور ، تزهر الطريق خلفها الأثر ؛
بمسرجَات لا تَموت !
وأنجم تؤانس المُسَافرين حتى آخر السَّفَر

***



نَعُود حاصِدين سُنْبله
نُعيد فرحة إلى مفازة
أضاعها العَصر
ومُزنة تَفِرِ بارقه
لوادِ حُلمه المطر

أجيال

فى التاريخ النفسى والوجدانى والاجتماعى للفئات المتوسطة

● من غير المجهول ماكان للمنفلوطى فى مطلع القرن من شهرة ، وما لاقاه فى العقود التالية من رواج لم يحظ به كاتب عربى آخر .

ومازالت أصداء هذه الشهرة تنعكس فى تجديد طبعات المنفلوطى وتعددها ، فهو من بين قلة من الادباء تتوفر مؤلفاتهم فى العواصم العربية على الدوام . وبين حين وحين تطالعنا أيضا أصداء تلك العصبية القديمة التى كانت للمنفلوطى . ومن جانب آخر يتساءل البعض فى عجب من علة هذا النجاح وهذا الصدى .

على أننا فى البداية ، على سبيل تقصى شهرة المنفلوطى ، نستعيد أولا مقوماتها أو أهم مقوماتها .

يشكل المنفلوطى ظاهرة متكاملة تشمل مؤلفاته « الموضوعة » و « المنقولة » ، ويبدو هذا بديهيا بحيث يغيب أو يكاد يغيب من الانتباه .. لم تعرف « مترجمات » المنفلوطى أو « منقولاته » الطويلة « الفضيلة » « الشاعر » ، « ماجدولين » ، « فى سبيل التاج » بأسماء مؤلفيها الفرنسيين ، وإنما لمت تحت اسمه . وقل من القراء ، بل أحيانا ومن دارسى الادب ، من تذكر أن سألته أسماء هؤلاء المؤلفين ، رغم أنها لم تغفل . « هذا على خلاف الترجمات المختصرة التى يضمها كتاب « العبرات » فقد أسقط المنفلوطى أسماء مؤلفيها ، ووضع لها عناوين من عنده تناسب مقاصده »

ارتبط أدب المنفلوطى من البداية بأسلوبه البيانى ، وبقدرته على اللهج بالعواطف وعلى اثارة الشاعر والشجون . وقد عبر عن ذلك أحد أعلام الحياة الادبية آنذاك ، وهو الشيخ عبد العزيز البشرى « ١٨٨٦ – ١٩٤٣ » فى تقريظه « مجدولين » بجريدة الأهرام فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، فقال :

« قرأت كتبا وأقاصيص لأعيان الكتاب والمؤلفين متقدميهم ومن تأخر منهم ، وليس شىء منها يقل من



العقاد



طه حسين

بقلم : د. ناجي نجيب

تنبض بالمنفلوطية

« مجدولين » غرابة حوادث ، وقوة خيال ، وصحة معان ، وفصاحة اسلوب ، ورشاقة لفظ ، وصفاء ديباجة . فلم ترَ من شجوني ، ولم تنل من شئوني بعض مانالت « روايتك » . فعمرك الله كيف صنعت حتى برعت هؤلاء جميعا ، وبلغت من نفوس القارئين ما تثلمت دونه كل اولئك الاقلام ؟! » .

وفي فترة لاحقة « نحو عام ١٩٣٨ » يصور احد النقاد اثر المنفلوطي فيقول :

« ومن المهم ان نقول ان اثار المنفلوطي تركت تأثيرا فوق المتصور في الادب العربي . لقد خفق قلب جيل كامل من دمشق بالشام الى فاس بالمغرب مع خفقات قلب ماجدولين » .

« اسماعيل ادهم ، الحوادث ١٩٢٨ » (١)

اما الجانب الاخر من شهرة المنفلوطي ، فيرتبط باسلوبه البياني ، الذي حرر به الكتابة الادبية من قيود « القوالب المحلوقة » ومن تحفظات الذوق التقليدي حتى عدت « نظراته » الثمرة الناضجة للعصر الكتابي الحاضر » « احمد لطفي السيد » النظرات الجريدة ، ٢ ابريل ١٩١٠ ، العدد ٩٣٠ ، ص ١ » واعتبرت كتاباته – لاجيال – اصابع «مرب لملكة الانشاء » (٢) .

ويؤيد هذا الراى ايضا سلامة موسى في مقال له عام ١٩٢٣ ، وان عد المنفلوطي من « احلاس القديم » الذين يخشون التغيير :

« والمنفلوطي يمتاز على جميع كتاب مصر باستطاعته ان يعيش بقلمه عيشا رضيا ، فان له مكانة رفيعة بين الشبيبة تجعل كتبه في رواج مطرد . وحسنا يفعل الاباء في تعويد ابنائهم اسلوب المنفلوطي » .

« الهلال » ، السنة ٣٢ ، نوفمبر ١٩٢٣ ، ص ١٥٦ » .

ويقدم احمد عبيد في مؤلفه « مشاهير شعراء العصر في الاقطار العربية الثلاثة مصر وسورية والعراق »

« هوامش »

(١) اسماعيل ادهم وابراهيم ناجي : « توفيق الحكيم » القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٢٤ ، نشر اسماعيل ادهم هذه الدراسة الشهيرة اولا عام ١٩٣٨ بمجلة « الحوادث » بحلب .

(٢) انظر مقالات العقاد من المنفلوطي ، بوجه خاص مقاله في « رجال عرفتهم » ١٩٦٢ ، « كتاب الهلال ١٥١ » ونشر هذا المقال من قبل في « المجلة » العدد ٢٧٠ نوفمبر ١٩٦٢

أجيال تنبض بالمنفلوطية

« المكتبة العربية فى دمشق ، ١٩٢٢ » للمنفلوطى فيصفه بأنه :

« صاحب القلم البديع الجذاب المتفوق فى جميع الأغراض والمقاصد حتى سمى بحق « أمير البيان » ولمؤلفاته وجميع كتبه الحظوة العظمى فى جميع الأقطار العربية ولأسلوبه تأثير خاص على نفوس القارئين كأنه يكتب بكل لسان ويترجم عن كل قلب . وقد صار أسلوبه المثل الأعلى الذى يحاول دائماً أن يحتذيه الناشئون والمتأدبون فى المعاهد العلمية والأدبية » « ص ٢٢٠ »

وربما كان من الطبيعى فى ظل قيود المجتمع العربى التقليدى أن يروج المنفلوطى بين النشء فى سن التفتح العاطفى والميل الرومانسى الطبيعى الأول ، ولكن شهرته لم تنحصر فى جيل من الأجيال ، وإنما امتدت الى الشباب والشيوخ ، وشملت الأزهريين وغير الأزهريين واقتحمت دور التعليم فى مصر وغيرها من الدول العربية ويذهب أحد معاصريه الى حد تسمية فترة من تاريخ مصر باسم « عهد المنفلوطى » وهى الفترة التى يبدو فيها أن التهافت على المنفلوطى قد بلغ مداه . وتتمثل بوضوح فى فترة الحرب العالمية الأولى (٣) ، وتمتد الى مابعدها (٤) ، ومن العسير أن نحددها بحسب بالفترة التالية على الحرب ، كما يذهب فتحى رضوان فى مراجعته لذلك العصر :

« على أن صورة هذا العهد لا تكمل إلا إذا وقفنا طويلا أمام شخصية أدبية كبيرة هى مصطفى لطفى المنفلوطى ، فلست أحسب أن النجاح كتب لكاتب مصرى مثلما كتب للمنفلوطى بل انى اعتقد أن الفترة التالية لنهاية الحرب العالمية الأولى يمكن أن تسمى عهد المنفلوطى . فلم يكن ثمة بيت يخلو من كتاب له ضم مقالاته هو « النظرات » أو من واحدة من الروايات الأربع أو الخمس التى عربها من الفرنسية فأقبل الشباب عليها إقبالا حماسيا ، وتخاطفوها ، وحفظوا فقرات منها عن ظهر قلب ، وطبعت بأسلوبها أسلوبهم .. وفى تاريخ الآداب ، يحدث أن يقبل الشباب ـ من الفتيان والفتيات ـ على كاتب ، بينما يظهر الشيوخ والرجال النقمة عليه .. ولكن هذه القاعدة لم تنطبق على المنفلوطى فقد أحبه الشبان والشيوخ معاً ، فقراه

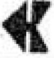
« هوامش »

(٣) انظر العقاد « رجال عرفتهم » ، ص ٦٢ ـ ٧٤ م

(٤) قد يبدو غريبا أن تستمر موجة المنفلوطية رغم قيام الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ، وعلى الرغم مما تفجره من اتجاهات واقعية .

ولكن ثورة ١٩١٩ ظلت ثورة ناقصة انحسرت موجتها بعد فترة ، ولم تتخط حدود الليبرالية الرومانتيكية وحدود الاعتزاز المعنوى بالذات ، وسرعان ما انحسرت التيارات الواقعية الأدبية الجديدة ، واتجهت ـ مع بعض الاستثناءات القليلة ـ الى الرومانسية والى ما سمى بالمثال الانسانية الأبدية أو العالمية « بتعبير محمود تيمور وتوفيق الحكيم فى هذه المرحلة » .

ويسجل المسرح فى مصر فى بداية العشرينات نجاحا كبيرا للمسرحية الرومانسية لبفضل هذا اللون المسرحى كونت فرقة مسرح رمسيس « فرقة يوسف وهبى » شهرتها الأولى وحققت أكبر مكاسبها المادية ، وان جمعت من البداية بين المسرحية الرومانسية وميلودراما الدم والدموع (« مناحات » يوسف وهبى الشهيرة) .



الاوائل فى اعجاب وحرارة ، وقراء الاواخر فى تقدير واحترام » .

« مصر ورجال » ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٠-٢١ .

معارضو المنفلوطى

من الطبيعى ان تثير « المنفلوطية » نقيضها ، وان لا يقتصر الميدان عليها . ولا تكتمل الصورة على اى حال دون شهادة معارضى المنفلوطى ونقاده . وجدير بالنظر ماسجله عبد الرحمن صدقى فى هذا الصدد .

كان عبد الرحمن صدقى من بين شباب المثقفين والادباء « كالعقاد والمازنى ومحمد حسين هيكل ومحمد السباعى وعبد الرحمن البرقوقى وكتاب مجلة « البيان » بوجه خاص » الذين اتصلوا بالثقافة الغربية ، واتجهوا وجهة مغايرة ، تمثل الطرف المضاد لتيار المنفلوطية ، اذ كان رائدهم — على مابينهم من تفاوت غير قليل فى الميول والقدرات والوسائل — هو اثبات الذات والتفرد والقوة والامتياز . وكانوا على الاغلب « ربما باستثناء هيكل الذى كان ينظر الى التعبير كرداء للافكار والمعانى فحسب » يميلون الى السمو فى التعبير ، ويتمثلون فى تصورهم للاديب ورسالته بدرجة او اخرى كتاب توماس كارليل الشهير « الابطال وعبادة البطولة » (٥) ، او صورة « الاديب البطل » الذى يوجه التطور ، بتعبير محمد حسين هيكل ، وهذا التصور هو الذى دعا هيكل الى ان يعنون مقالاته من الادب ب « ثورة الادب » حين نشرها فى مجلد . « الطبعة الاولى عام ١٩٣٢ انظر ص ١٠ ، ١٧ ، ٢٦ » ومهما يكن من امر فمعارضو المنفلوطى ينطلقون من تصور مغاير للادب ووظيفته ودوره (٦) ، ومن تصور اخر لما يسمى « بالادب الاصيل » او « الصدق الادبى » . هذه المفاهيم او الالفاظ من سمات هذه المرحلة الانتقالية فى تاريخ الادب العربى ، فباسمها قد تحدث ايضا المنفلوطى ووضع ادبه .

وجدير حين نقرا ماكتبه عبد الرحمن صدقى فى هذا الصدد ، ان نمعن النظر فى تلك العبارات التى يصف بها وسائل الاستبكاء عند المنفلوطى :

« كان معظم من هم فى سنى فى ايام الشباب واقعا تحت تاثير ذلك التشاجى والترفق العاطفى والحنـ



عبد العزيز البشرى

« هوامش »

(٥) ترجم كتاب توماس كارليل « الابطال وعبادة البطولة » محمد السباعى بعنوان « الابطال » . وقد ترجمه السباعى — كما يذكر فى المقدمة بتشجيع من الشيخ عبد الرحمن البرقوقى منشىء مجلة « البيان » . ونشرت الترجمة اولا على حلقات فى مجلة « البيان » اعتبارا من عددها الاول « ٢٤ اغسطس ١٩١١ » وحتى عام ١٩٣٠ طبعت هذه الترجمة كاملة ثلاث مرات .

(٦) انظر بوجه خاص مايقوله العقاد فى هذا الشان فى « الديوان » « ١٩٢١ » : « ليس اصلاح نماذج الاداب بالامر المحدود .. ولكنه من اهم انواع الاصلاح واعمقها » ص ١١ .

أجيال تنبض بالمنفلوطية



ابراهيم ناجى

الغائب فى كتابات « صاحب النظرات » المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى . وكان الكثرة من المتأدبين واساتذة البيان العربى فى المدارس الثانوية حريصين على ان يستظهروا ، ويستظهر تلامذتهم كل ما امكن أن تسعه حافظتهم من هذه الكتابات المنمقة العبارة، الموشاة بالتشابيه والاستعارة التى يظهر فيها كاتبها من التانق فى وصف الحزن والفاقة والحرمان ، مايشبه تانق السعداء من اصحاب الثروة الاغنياء فى ألوان الطعام وطرائف اللذات ، وكان احظى الآيات عند المعجبين « بالنظرات » هذه الآية عن « الرحمة » ومطلعها :

« ساكون هذه المرة شاعرا بلا قافية ولا بحر ، لانى اريد أن اخاطب القلب وجها لوجه ، ولا سبيل الى ذلك الا سبيل الشعر .

« ايها الرجل السعيد ، كن رحيما ، اشعر قلبك الرحمة ، ليكن قلبك الرحمة بعينها . ان الرحمة كلمة صغيرة ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مابين الشمس فى منظرها والشمس فى حقيقتها .. وليبك قلبك قبل ان تبكى عيناك فان الدموع الغزيرة التى تجرى على خديك انما هى سطور من نور تكتب على صفحة وجهك الشرق انك انسان .

ان السماء لتبكى بدموع الغمام ، وان الارض لتئن بحفيف الريح ، ونحن ابناء الطبيعة ، فلماذا لا نقلدها فى رحمتها ؟ .. »

هذه الطريقة التى قد يزعمونها قائمة على مايسمونه « الحزن الرومانتيكى » ، وهذا التناول المستضعف الباكى للحياة والطبيعة ، مع اصطناع هذا المنطق المتداعى والتفلسف الزائف السطحى ، هذا كله مجتمعا صدنى فى صباى عن متابعة انتاج المنفلوطى مؤلفا ومترجما ، وصرفنى عن التلمذة عليه والتأثر به .. »

« من مقدمة عبد الرحمن صدقى لمجموعة من مقالات محمد السباعى بعنوان « خواطر فى الحياة والادب » القاهرة ، بدون سنة ، ص ٣-٤ » .

نظرات فى النظرات

اشهر ماوجه من نقد للمنفلوطى وجهه اليه طه حسين والمازنى والعقاد . ويجمع هذا النقد انه لا يتطرق الى الاساس الاجتماعى للادب المنفلوطى والرواج المنفلوطى



يوسف وهبي

وان اقترب منه العقاد بعض الشيء . وربما كانت طبيعة هذا النقد الجدلية الجهيرة اكثر دلالة من مضمونه الحقيقي . فقد كانت من مؤشرات هذه المرحلة الانتقالية في تاريخ الادب العربي . وعلى اي فالحدة التي تميز بها هذا النقد تساوى مع ماكان للمنفلوطي من شهرة ومكانة .

حين بدا طه حسين « مسلسلته » النقدية الطويلة « نظرات في النظرات » في صحف « مصر الفتاة » ١٩٠٩ ، و « الشعب » ١٩١٠ ، و « العلم » ١٩١٠ « كان ذاته الى عهد غير بعيد ممن يتعاطون المنفلوطية ويستعذبونها كما يذكر في مذكراته « مذكرات طه حسين - بيروت ، بدون سنة ص ٣٧ » ، وكما يروى رفيقه احمد حسن الزيات :

وكان هذا النفر من الايفاع المتادبين يجلسون في اصائل ايامهم القريرة امام « الرواق العباسي » في الازهر يتقارضون الاشعار ، ويلهون باغفال الناس ، ويترقبون « مؤيد » الخميس ليقرؤوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع و « طه » مرهف الاذنيه ، و « زناتى » مسبل عينيه و « الزيات » ماخوذ بروعة الاسلوب فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون اسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الادب البكر ، وجعله الامام « الشيخ محمد عبده » لعميده المختار .... »

واذكر اننا كنا نقرا « غرفة الاحزان » و « اليتيم » وامثالها فنطرب للقصة على سذاجتها ، اكثر مما نطرب للاسلوب على روعته »

« وحي الرسالة ، الجزء الاول ص ٣٩١ ، ٣٩٥ . القاهرة ١٩٥٦ . ونشر في « الرسالة » اولا في ١٢ يوليو ١٩٣٧ » .

واياً كانت بواعث طه حسين الاولى على وضع مقالاته النقدية « كاغراء الشيخ عبد العزيز جاويش له » فقد امتشق قلمه وهو الفتى المغمور ليصارع صاحب « النظرات » ساعيا الى الخروج من عزلته الى الحياة العامة والى « الشهرة على حساب كاتب كبير معروف» ، كما صرح نفسه فيما بعد « الاقتباس الاخير عن « طه حسين بين انصاره وخصومه » تاليف جمال الدين الالوسى

أجيال تنبض بالمنفلوطية


عبد الرحمن صدقي

بغداد ١٩٧٣ ، ص ٣٢٧ » .

واذا تأملنا حملات طه حسين على المنفلوطي فاكثرها حدة وتوفيقا – من منظورنا – مقالته القصصية التي يعنون فصلها الاول : « بين العبرات والزفرات » والثاني : « الفجور بعد العلة » ، وفيهما يحاكي أسلوب المنفلوطي القصصي محاكاة ساخرة ، ويقلب منطق المنفلوطي القصصي والتربوي راسا على عقب ، أي انه يكتب فصلا من « التقليد الهزلي الساخر » .

يستهل طه حسين مقالته بمقطع ينسج فيه على منوال الشكوى والتأسي المنفلوطي ، ولكن في سجع لاهث وصياح لفظي يخرجه من القصد :

« يقضي ساعات الليل ومعظم النهار بين قلب يجف ، ودمع يكف . وجسم يرتجف . شهيق وحريق ، زفير وسعير ، ووجيب ولهيب من ساهرة ، وهموم ثائرة ، ونفس حائرة بين ماض مؤلم ، ومستقبل مظلم . صمتنا الا من كلمات متفرقات يسبقن الى قلبي فيثرن كمينه ، ويهجن دفينه ، يتلجلج بهن لسان لا يكاد يقوى على النطق .. أواه وبلاه .. ليتني .. لكنني »

ويتبع التأسي بالاستعطاف واستدرار الرحمة وبيان هول الخطب ، ولكنه يستهل ذلك بعبارة منفلوطية ، وهي : « رحماك اللهم » ويكررها بنغمة ونبر عال يحول الاستعطاف الى لون من التهويل والاستخفاف :

« رحماك اللهم بهذا الشاب ، ماذا جنى ؟

رحماك اللهم ! انه يقول ابوين واخوين .. »

« رحماك اللهم ! أيذوى هذا الغصن اللدن ؟ وتذبل هذه الزهرة الناضرة ؟ وتضم الارض هذا الشخص الكريم بعد ان كان مثال الكمال في الخلق والخلق » .

« كان بديع الصورة ، جميل الطلعة ، وضيء النظر .. طاهر النفس .. اللهم الا زلة هي أصل نكبته » .

ثم يتوجه الكاتب الى القارىء مباشرة ، محدثا اياه بانه خليق ان يبين له الاسباب والآثار التي ادت بهذا الشاب الطاهر الى الزلل .

والقصة – كما يرويها الكاتب الآن – ان هذا الشاب الكريم « كان قد التحق بخدمة « كبير تبناه واكرم مثواه واباح له بعد الاحتجاب حجاب حرمه .. » فــ ادته سيدة البيت عن نفسه . فاستجاب وغوى الى انقاعها

سيد البيت فى ليلة فاجرة ، فتفر الفتى هاربا فرماه الرجل بمدية اصابته فى فخذه . فلما قتل الى زوجه عنفته تعنيفا عظيما على ما اخذها به من الشك والريبة « فكانما صبت عليه جرة من الماء البارد فجلس يعبث بشاربه » . وتنتهى الامور الى « نهاية سعيدة » ، فيشفى الفتى ويعود الوصال بين الزانى والزانية مع « الدنانير والثياب الفاخرة » (٧) .

اما مقالات طه حسين النقدية فى « النظرات » فطابعها هو التعريض والتهكم والجدل اللفظى والاسهاب الذى يفصح من الافتعال وقلة الوسائل . وهذه جميعا من سمات الخصومات الادبية السياسية فى هذه الفترة .

ويرمى طه حسين خصمه بالادعاء والانتحال و « قلة المادة » وكثرة « اللحن » ، وكثيرا « مايلجئه الحرج الى سخف فى الاستعارة والتشبيه » ، « تكلفه ان يكون كلامه فخما سهلا وخفيفا جللا » .

والمنفلوطى الى جانب ذلك يكتب فى جميع الفنون من اجتماع ودين واخلاق وقصص وعلم وغير ذلك .

« النظرة الثانية » فى « الشعب » : ٢٠-٤-١٩١ ص ٢ » ●

« هوامش »

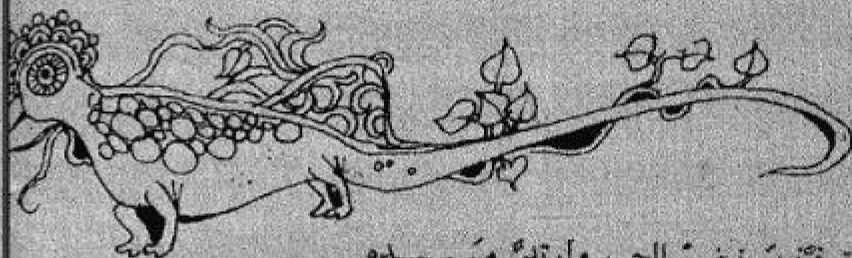
(٧) من الغريب مابذهب اليه محمد سيد كيلانى فى كتابه « طه حسين الشاعر الكاتب » « القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٨٢ » من أن طه حسين تحاول فى هذا المقال محاكاة المنفلوطى دون ان اكون له مراجعه ، وانه يقلده فى الالفاظ والعبارات والعنوان . ونعتقد ان عنوان طه حسين « بين العبرات والزفرات » و « الفجور بعد العفة » ليس من باب التقليد الساذج ، وانما من باب السخرية والتهكم والتحريف المتعمد . ثم ان هذا المقال يأتى مباشرة بعد مقالات ثلاثة يهاجم فيها طه حسين المنفلوطى على صفحات نفس الجريدة « مصر الفتاة » .

استهدف محمد سيد كيلانى ان يثبت عجز المقلدين ومنهم طه حسين فى مجاراة المنفلوطى ، صاحب « اللغة الاصيلة والموهبة الطبيعية » « ص ٨٢ » . فرأى مايريد وغفل عما لا يريد . واورد للقارىء الفصل الاول من المقال باكمله واسقط الفصل الثانى ، ولخصه حسب ما حفظت له ذاكرته ، مشيرا الى ان الكاتب قد دافع عن الشاب دفاعا حارا والقى اللوم كله على النساء العابثات . « ص ٨٢ » .

ومن الواضح فيمايكتبه كيلانى ان مدى الفهم وطريقة الاقتباس تحددهما المتطلبات والقناعات الايديولوجية الخاصة . وقد لا يستحق الامر الذكر ، ولكن البعض قد اخذ عنه دون مراجعة بالفصل المنون « مصطفى لطفى المنفلوطى » مثلا من كتاب سامح كريم : معارك طه حسين الادبية والفكرية « ط ٢ بيروت ١٩٧٧ » يعتمد تماما « من ص ٢٩٤ الى ٢٩٥ » على كتاب محمد سيد كيلانى وينقل عنه نفس الاضطراب .

نبض الحب

للشاعر: فريد قرنى



توقفَ نبضُ الحب وارتدَّ مَـــده
وأعقبَ حرَّ الوجـد فى القلب بَرْدهُ

ونامَ لهيب الشوق يخنقــه الـكرى
وأطفئ من بعد التوهـج زنـــده

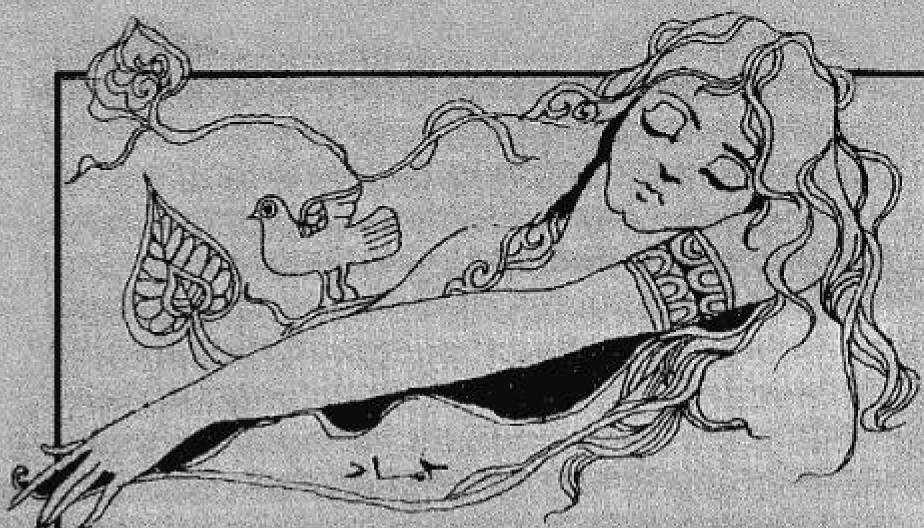
وغاضت ينابيـع الصبابة بعـدما
تقلص فى عمق الجوانح مـــده

وماتت تراتيـل الغرام حزينــة
وكان يدوّى فى الشرايين رعده

كؤوس الهوى جفت وأهرق خمرها
وأصبح يسـقينى المرارة شهده

واضت تباريحى الشجون وآدها
حنين خلق عذب الروح صـده

فلا حسرة يوما تعيد عهوده
ولا دمعة من مقلتى تردّه



تهاوت ليالى العشق فى قبضة الأسى
وولى زمان راح بالسعد عهده

وودعت الأحلام دنيا ربيعها
وقد كان يكسو القلب بالدفء برده

يعذبنى الحرمان .. آه .. فاكتوى
وتدمى المآقى والجوانح قيده

ويمضغ أيامى خريف محطم
تبعثر أزهارى مع اليأس جنده

تبخر ما قد كنت أرجوه وامحى
وهشم ما كان الخيال يعده

وخاب الذى أملت فى الغد كله
وطاب بسهم الغدر فى الحب وأده

لى الله من صب أضر به الهوى
هو الرب مولى الكل .. والكل عبده

مجرد تليفون

بقلم
عبد المنعم سليم

كنا قد تعودنا كل صباح ان نبدأ يومنا فى المصلحة بجلسة فى مكتب المدير العام لاننا لسنا موظفين صغارا .. بل على وشك ان نلحق بنفس المركز .. ولذلك كان طبيعيا ان يحدث هذا اللقاء الصباحى .. وكان طبيعيا ان نشرب قهوة الصباح معا .. ونتكلم فيما يتكلم فيه الناس عادة فى هذه الايام ..

ولكن فى هذه الايام حدث شىء جديد .

فجاة ونحن نتكلم رن جرس التليفون بجرس مرتفع جدا على غير ماتعودنا .. فقلنا فى نفس واحد : دبت الحرارة اخيرا فى الديكور التليفونى ..

رفع المدير العام السماعة ، وفجاة اخذ وجهه طابع الجد والخطورة وقال :

ـ ايوه يافندم .. ايوه .. ايوه يافندم .. موجود .

وبدون كلمة واحدة مد المدير العام يده الممسكة بسماعة التليفون الى ...

فنظرت اليه بدهشة : تليفون لى انا ؟!

ولكنه لم يرد على السؤال بل قال : تليفون خطير ..

فقلت بدهشة : خطير ..

وامسكت بسرعة التليفون .

ـ الاستاذ فتحى مطرجى ..

ـ ايوه يا افندم ..

ـ هنا ...

ـ ايوه ..

ـ سيادة فلان عاوز يكلم سيادتك ..

ـ آه .. ايوه ..

وابتسمت وانا انظر الى الزملاء الذين ابتسموا بدورهم بطريقة اوتوماتيكية .. ثم صرخت فى السماعة بانفعال وفرحة : اهلا .. اهلا .. سيادتك .. قطع فلان حبل الاسترسال وتكلم معى بطريقة رسمية :

ـ انا عاوز اشوفك ضرورى ..

ـ حاضر . انا تحت امرك .

ـ تقدر تيجى دلوقت ..

ـ آه طبعا ..



ـ طيب انا منتظرك . اسمك حيكون عل الباب وكمان نمرة عربيتك . وانقطع الاتصال .

ولكننى كنت مازلت ممسكا بالسماعة .. ثم فطنت الى ان الاتصال قد قطع فوضعت السماعة بهدوء .. وانا مستغرق ، اشد الاستغراق ، فى التفكير ..

نظر الى الزملاء نظرة استطلاع وخوف ، وفخر .. والاستطلاع والخوف مفهومان .. اما الفخر فاساسه ان احد الزملاء له علاقة وثيقة بهذا

الرجل الهام الخطير ، وأن اى مطلب لاى منهم يمكن ان يكون محل تقدير واعتبار .. وما اكثر طلباتهم التى اعرفها والتى لا اعرفها ..

مجــــرد تليفــون

بعد ان وضعت السماعة صاحوا جميعا فى نفس واحد : خير .

فقلت بهدوء مصطنع : خير ..

ثم بسرعة : انا لازم انزل دلوقت ..

قال المدير العام : آه طبعا .. اتفضل .. ومش مهم ترجع عشان تمضى .. احنا حنتصرف .

وخرجت .

ما الذى يريده منى فلان ؟ ..

انا اعرف فلانا منذ ســنوات .. قابلته بطريقة عابرة ، وتحدثنا وتقابلنا بعد ذلك مرات .. ببساطة لانه فتح امامى آفاقا لم أكن اعرفها .. وانا بالطبع فتحت له آفاقا لم يكن يعرفها . وهذا هو السر فى اننا التقينا بعد هذا اللقاء العابر مرارا .

ثم مرت السنوات وعرفت ان صديقى فلانا قد اصبح رجلا له شان وله قيمة كبرى فى بلدنا .. وانا بطبيعتى انفر من اصدقائى الذين يصلون الى مراكز كبرى ، ويمكن لاى انسان عاقل ان يفهم ما اعنى .

وهكذا لم اقابل صديقى فلانا منذ سنوات.. وصحيح اننى احتجت اليه من قبل خلال هذه السنوات .. ومع هذا فاننى لم أتصل به .. فقد كنت اخشى من شبهة شبك استغلال النفوذ .

حتى فوجئت بذلك التليفون .

انا اذن مطلوب ، وواضح من المكالمة ان الصديق ليس هو المطلوب !! ومع هذا فاننى قدرت : ربما دواعى وظيفته تتطلب منه ان يضع نفسه فى قالب معين .. بالرغم من اننى انكر هذا .. وادرك ايضا ان الانسان كل لا يتجزأ ..

فكرت فى كل ذلك وانا اقود عربتى الى مكتبه الذى لابد أن يكون فاخرا .

وكان مكتبه فاخرا حقا ..

وبالطبع لن ادخل اليه مباشرة . قادونى الى حجرة انتظرت فيها حتى يحين موعدى . قلت لا باس .. هذا طبيعى .. ولكنه لو تاخر عن استقبالى اكثر من خمس دقائق فسوف اغادر المكان .. فمهما كان الامر الذى يريدنى من اجله فانا صـــديق قديم ولابد ان اعامل بطريقة محترمة ..

لم يكن هناك اى معنى لكل هذه الهواجس ففى الساعة المحـددة بالضبط كان صديقى فلان يقف وراء مكتبه لاستقبالى .. وفى اقل من دقيقة كانت القهوة قد وصلت .

وبدانا نتحدث .

سالنى : هل كنت فى لندن مؤخرا ؟



قلت : نعم ..

ـ وقابلت ميم ؟

قلت : نعم ..

سألني : لماذا ؟

فسألت : لماذا ماذا ؟ ..

فقال : لماذا قابلته ؟

فقلت : تماما مثلما اقابلك الآن .

فسألني عما اذا كنت اعرف ان « ميم » هذا عدو للدولة ؟

فقلت : لا بالطبع لا اعرف ومع هذا فانني لا اظن انه عدو للدولة ..

فسألني : في أي شيء تكلمتما ؟ ..

في هذه اللحظة فقط ادركت انني لا اتحدث مع صديق لي بل مع رجل مسئول .. وان كل كلمة اقولها محسوبه علي ..

وتقابلت عيوننا . ادركت فجأة ان بيننا هوة عميقة . احساس او ادراك لم اعرفه من قبل مع صديقي فلان .

وبالطبع قد ادرك صديقي فلان كل هذا ، ومع هذا فقد قال لي وكأنه يتطوع لخدمتي :

ـ التقارير التي امامي تقول انك متهم ..

فصحت : انا !؟ .. متهم !؟ ..

ولكنه لم يتوقف واستمر ، ولانني اعرفك فقد اخذت هذه المسألة على عاتقي .

اخذت انظر اليه وكأنني لا افهم .. وكنت حقا لا افهم .. فقد كانت المسألة مفاجأة لي غير متوقعة ..

نظرت اليه . ماذا اقول له ؟ ..

وقبل ان انطق بكلمة انطلق هو بالكلام :

ـ يعتبروني مسئول عنك وماضمت انا مسئول عنك فارجوك انك تقول ايه اللي بينك وبينه ؟

فصحت باستنكار ودهشة وعدم تصديق :

ـ بيني وبين مين ؟ .

فابتسم .

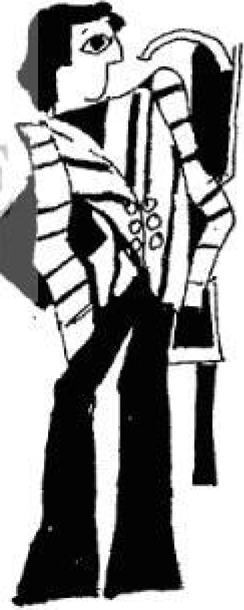
تلاقت عيوننا .. وظل الصمت مخيما للحظه ..

ـ بينك وبين ميم ؟

فقلت بطريقة عصبية مبنية على الصدق :

ـ مفيش حاجة بيني وبينه اكثر من اننا اصدقاء .

فتكلم مباشرة : انا عارف ان المسألة مفاجأة لك .. لكن معلش .. وضغط على احد الازرار الملونة التي بجانبه واستمر يتكلم : تقابل بعد يومين .. يمكن لما تفكر تلاقي حاجة ممكن تقولها لي .



ووقف فى نفس اللحظة التى دخل فيها سكرتير مكتبه ، فادركت اننى لابد ان اخرج •

وخرجت •

كان الوقت مازال مبكرا •• ومعنى ذلك اننى استطيع ان اعود الى مكتبى ، وهكذا قدت عربتى ، وخلال الطريق كنت افكر فى هذا الذى سمعته ، وما الذى يجب ان افعله •• وبطبيعة الحال لم اصل الى قرار •• ولكن كان تفكيرى مركزا على هذا الذى حدث ، وفى كل اتجاه كنت افكر •

انا متهم •• وحتى الصديق الذى تصورت انه يعرف كل شيء عنى •• لم يعد يعرف شيئا عنى •

انا اذن واقع فى مشكلة ولابد ان اجد لها حلا ••

ولكن لم تكن هذه هى المشكلة الوحيدة ، ذلك اننى عندما عدت الى مكتبى فوجئت بالاستقبال المدهش الذى استقبلنى به الزملاء •• ووراء هذا الاستقبال المدهش الواضح احسست احساسا خاصا مشوبا بنوع من الغموض بان لمحة من الخوف كانت مغلفة اطار الاستقبال المدهش وبدأوا يسالوننى ••

ـ ايه الحكاية •

ـ خير •

ـ كانوا عاوزينك ليه ؟

ـ دلوقت يا عم اى طلب لازم تخليه لنا •

ـ والله انا عندى فكرة لو تقدر توصلها •

ـ ياجماعة مش نسمعه اول ••

وما كنت بقادر على ان اسمعهم شيئا •• كنت استمع الى سلسلة اسئلتهم الكثيرة وسلسلة طلباتهم المتواضعة ولا استطيع ان اقول شيئا ••

وادركت اننى يجب ان ابتسم ذلك لان حالة الوجوم النفسى التى كانت تجثم على صدرى كانت خليقة بهم ان يتصرفوا معى بطريقة اخرى لو انهم احسوها • وربما يتصورون مثلا اننى مغضوب عليه ومن هنا سوف يبدا النفور •• ونحن شعب فى غالبيته يحاول ان يقترب كثيرا من هؤلاء الذين يقتربون من السلطة وتنفر منهم اذا تخلت السلطة عنهم ! ••

قلت لهم انه لا يوجد شيء جديد ، وان فلان هذا الذى طلبنى صديق قديم اراد ان يرانى ، فقالوا :

ـ والله لو انا منك احاول انقل عنده هناك •• مرتب احسن •• درجات احسن ••





ـ وفرص كثيرة ٠
ـ بس الشغل بقى على ودنه ٠
ـ ولكن عيبك انك مش بتاع شغل ٠٠
ـ فصرخت فيهم : يا جماعة دى زيارة ودية ٠٠

فرد احدهم : هو انت حتطلب حاجة دلوقت ٠٠ لا طبعا ٠٠ بس نزود الود شويه شويه لغاية ماتيجى الفرصة ٠

منذ ذلك اليوم والامور قد تغيرت تماما فى الادارة التى اعمل بها ٠٠ وبعد ان كان توقيعى للحضور والانصراف شيئا مقدسا اصبح هناك من يوقع لى ٠٠ واصبح ذهابى الى عملى فى اى وقت وانصرافى فى اى وقت بل حتى عدم حضورى اطلاقا ٠٠ مسالة عادية ٠٠ وبالطبع دون ان يصيبنى اى ضرر على الاطلاق ٠٠ بل بدات احصل على مزايا لم اكن احصل عليها من قبل اذا طلبتها ٠٠ الان احصل عليها دون ان اطلبها ٠

ولكننى كنت اعرف اننى سوف اطلب مرة اخرى بعد يومين او ثلاثة او اكثر ٠٠ ولذلك فقد كنت ابقى فى الادارة اكثر وقت ممكن ٠٠ حتى دق التليفون المنتظر ٠٠ وفوجئت بالمدير العام ينتقل الى مكتبه ويشير الى بادب شديد ان اتبعه ، فنهضت ٠ سبقنى الى حجرته وامسك بسماعة التليفون الملقاة على المكتب وتكلم :

ـ ايوه يا افندم ثانية واحدة ٠
ثم ناولنى السماعة وترك الحجرة لى ٠٠
ـ ايوه ٠٠
ـ سيادتك الاستاذ فتحى ؟
ـ ايوه ٠٠
ـ عاوزينك تتفضل عندنا شوية ٠٠
ـ حاضر ٠

ووضعت السماعة، ومباشرة دخل مديرى العام الذى اكتشفت انه كان ينتظر بجانب الباب ٠ وبلهفة سالنى :
ـ خير ٠
فقلت بلا وعى : خير ٠٠
فسالنى : عاوزينك دلوقتى ٠٠
فاشرت براسى موافقا ، فاشار بيده ان اتفضل ٠

ولم يخرج حديثى مع فلان عن حديثى معه فى المرة الماضية ٠٠ فلم يكن لدى حقا ما اقوله ٠٠ ولكن لابد ان هؤلاء الناس قد تدربوا تدريبا خاصا اساسه الصبر ذلك لانه طلب منى ايضا ان افكر مرة اخرى ونتقابل مرة اخرى بعد يومين ٠

وعندما عدت الى مكتبى بنفس وجومى الاول رأيت الزملاء جميعا يجلسون مع المدير العام فى شبه اجتماع ، وعندما دخلت قطع الحديث مباشرة ووقفوا يحتفون به ويقعمون لى مقاعدهم • ولم يتكلم منهم احد فى البداية بل ظلوا ينظرون الى وينتظرون كما لو كنت فى مهمة خاصة بالنسبة لهم وقد عدت بالخبر اليقين •

ولما طال الصمت تكلم المدير العام بلهجته التقليدية :

ـ خير •

ـ فقلت بنفس اللهجة : خير •

ـ ماتتكلم يا اخى ••

ـ اتكلم اقول ايه ؟

ـ قابلته ؟

فاوشكت ان اردد ساخرا اغنية عبد الوهاب : وياريت ماقبلته •• ولكننى تمالكت نفسى وقلت : قابلته ••

ـ هيه ؟

ـ هيه ايه ؟ ••

ـ عملت ايه ؟•

ـ ولا حاجة ••

ـ ايه ••

ولكى اريحهم قلت : ما انا يا اطبق الى قلتوه قبل كده •• ازود الود شوية شوية لغاية ما تيجى الفرصة •

فرد احدهم : بس ماتطولش •• انت لازم تقرب غربتك وتطلب منه تشتغل معاه •• وانا شخصيا مستعد اجى معاك •• اكون حتى سكرتير لك •• مادام علاقتك به قوية بالشكل ده ••

فنهضت منصرفا وانا اردد : ان شاء الله •• ان شاء الله ••

وفى بيتى لم استطع ان انام فى تلك الليلة •لقد كنت احس بقوتين هائلتين ضاغطتين لا قبل لى بمقاومتهما تضغطان على كل قطعة فى جسمى وكل شريان فى رأسى •• وانى بين هاتين القوتين العظيمتين عاجز تمام العجز عن الخلاص من أيهما •• فما بالك بالاثنتين معا •• كان لابد ان اجد تبريرا معقولا للقائى اللندنى بصديقى ميم الضمه أمام من كان صديقى والذى اسمه فلان • وهذا التبرير غير موجود اطلاقا •• لقد كان مجرد لقاء عابر فى مدينة بعيدة لصديق عرفته من زمن • خائن ؟ •• لا ادرى •• جاسوس ؟ •• لا ادرى ايضا •• حتى لو كان هذا او ذاك فما الذى يضيرنى ؟! • ما شأنى انا ؟ •• حتى لو اننى كنت اعرف فما علاقتى بهذا كله ؟! •• هل اخترع كذبة ما واضع نفسى فى

مازق لايمكن الخلاص منه ابدا بعد ذلك ؟ .. ولو تركت هذه المشكلة جانبا ما الذى اقوله لاصدقائى وزملائى فى العمل ؟! .. لو قلت لهم اننى فى مازق لن يصدقونى .. ولو صدقونى فان خوفهم الاكيد سوف يبدا من تلك اللحظة .. هذا الخوف الذى بدأت اراه فى عيونهم منذ ذلك التليفون الذى جاء على غير توقع .. ذلك الصمت الذى اصبحت اقابل به عندما افاجئهم وهم يتحدثون ويقطعون حبل الحديث .. هذا الخوف من أن أكون عينا عليهم..لمجرد أن « فلان » الرجل الهام الخطير قد اتصل بى أكثر من مرة واستدعانى اكثر من مرة وسوف يستدعينى بعد ذلك مرات .. هذا الخوف الذى جعلهم يتلقوننى ويطلبون منى ما لا أستطيع أبدا أن افعله ..

ما الذى افعله الآن ؟ ..

من المؤكد ان فلانا سوف يستنفد الصبر بعد قليل وماذا بعد الصبر ؟ الوعد ؟ الوعيد ؟ . سيراقبوننى ؟ .. حسنا .. هذه المراقبة سوف تفيدنى كثيرا لانه ليست لى صداقات مريبة من اى نوع .. ليتهم يكونوا حقا قد بداوا فى ذلك .. وعلى اية حال حتى سهرات الاصدقاء البريئة التى كنا نقضيها فى بيتى يجب ان اقلل منها او حتى الغيها .. وسهراتى فى بيوت اصدقائى يجب ايضا ان اتجنبها .. بل لا باس ان اقطع علاقتى بهؤلاء جميعا .. ولو لفترة ما .. ما الذى عاد الى من هذه الصداقات كلها ؟ .. لا شيء .. لعل هذه التجربة تجعلنى أعيد تقييمى للناس ولنفسى ايضا .. وساكون المستفيد فى النهاية .. وطبعا سوف يكتشف المراقبون انه لا غبار على .. وفى النهاية تماما ساكون بريئا لاننى مؤمن ايمانا اكيدا باننى حتى لو ظلمت الآن فان هذا الظلم سوف ينتهى طالما اننى انسان مستقيم .. ولا افعل شيئا يؤرق ضميرى او ضمير الاخرين .. ولكن ترى هل يفكر فلان ومجموعته بنفس الطريقة التى افكر بها ؟ .. هذا هو السؤال الذى لا أستطيع أن أجد له الان اجابة .. ولكن .. لكن .. نعم لكن .. الاغلب انه لا يفكر بنفس طريقتى والا لما بدا معى هذه البداية ..

ووسط هذا كله ما الذى افعله مع زملائى فى العمل ؟ .. انهم يتوقعون لى قفزات سريعة فى مجال العمل والترقى .. وطالما ان ذلك لن يحدث فان قيمتى سوف تقل فى عيونهم .. وطالما اننى لا استطيع أن افعل ابدا أى شيء لاى منهم .. فاننى سوف انعت بكل الصفات السيئة الموجودة فى مفردات اللغة ..

واذن فانا محكوم على لمجرد تليفون رن فى مكتبى ذات صباح ..

فما الذى افعله الآن ؟ ●



مزاعم عن أصل الإنسان

رغم كل ما تحت ايدينا من ابحاث حول نظرية تطور الاحياء ، فما زالت هناك العديد من الثغرات الاساسية التي لم يتوصل العلماء بعد الى سدها - هناك ثغرة تبلغ ما بين ٤، ٦ ملايين سنة تسبق ظهور القرود الحديثة، وكان هذه القرود قد هبطت من الفضاء، فلم يعثر العلماء على حفرية واحدة توضح مسار التطور الذى قاد اليها . ونفس الامر بالنسبة للانسان المتطور ، وهو الذى يسير على قدميه منتصبا ، ويخلو جلده من الشعر ، ويمكنه أن يصنع الآلات ، ويتمتع بمخ كبير الحجم ، ذلك الانسان ايضا ظهر فجاة ولم تزل مرحلة التطور التي قادت الى ظهوره لغزا امام العلماء .



وفى عام ١٩٦٠ ، أعلن عالم الاحياء البحرية الانجليزى سير اليستر هاردى نظريته الحديثة التى تقول الحلقة المفقودة فى سلسلة التطور والتى قادت الى الانسان الحديث قضاها الانسان فى البحر ، وان اصل الانسان قرد بحرى !.

وللتدليل على رايه يقول سير هاردى ان الانسان ينفرد من بين الثدييات بالجلد الخالى من الشعر ، وهو الامر الشائع بين الثدييات البحرية فى الطقس الحار . كما ان الباقى من شعر الانسان موزع بطريقة لا تسبب له مقاومة عند السباحة فى الماء ، كما ان شعر الراس الكثيف يقوم بحمى الراس الذى يكون خارج الماء اثناء العوم من حرارة الشمس الاستوائية . كما ان الانسان يتميز عن باقى الثدييات بطبقة الدهن التى تحت الجلد ، مثل التى عند الحوت ، والتى تحمى الكائنات البحرية من برودة الماء .

وقد لفت نظر سير هاردى ان الاطفال حديثى الولادة يكون لديهم استعداد تلقائى للعوم ، فوق الماء وتحته . وان الاطفال دون تدريب خاص يبدون قدرة على تنظيم التنفس اثناء السباحة ، ويغلقون افواههم عندما يغطسون تحت سطح الماء . وهو يرجع هذا الى عناصر وراثية قديمة ، عندما اضطر اسلافنا ، نتيجة للتنافس على اليابسة ، الى البحث عن الطعام فى مياه الشواطىء الضحلة ، وكان يفعل ذلك زاحفا فى اول الامر ، ثم تكيف بالتدريج الى ان تعلم العوم . وان مرحلة العوم هذه هى التى ساعدت الانسان على المشى منتصبا على قدميه ، نتيجة للدفع الذى يوفر الماء من اسفل ، ونتيجة لاضطرار الانسان الى اخراج راسه



خارج الماء اثناء البحث عن الطعام .

ومنذ عام ١٩٦٠ ، قام العديد من العلماء بتطوير نظرية سير هاردي . وهم يشيرون الى بقايا الغشاء الذى بين اصابع القدمين واليدين عند الانسان ، والى انف الانسان الذى تتجه فتحتاه الى اسفل يبدو كالفضل وضع للانف بين انوف الثدييات لممارسة السباحة ، وهو اكثر شبها بانوف الثدييات البحرية . كما ان دموع الانسان المالحة لا تشاركه فيها الا الحيوانات البحرية . ثم ضربات قلب الانسان وباقى عملياته الجسدية تبطىء عندما يعوم تحت الماء ، لتخفيض استهلاك الاكسجين .

وقد تحركت اخيرا حملة علمية الى المواقع التى يحتمل ان يجد فيها العلماء بعض الحفريات التى تؤيد نظرية سير هاردى القائلة بان اصل الانسان قرد بحرى ..

احلام القطط

جميع الثدييات من الفأر الى الحوت تمر بمرحلة من مراحل نومها يطلق عليها مرحلة حركة العين السريعة . وفى هذه المرحلة تتحرك مقلة العين تحت الجفون المدلاة حركة غاية فى السرعة ، الى اليمين والى اليسار ، والى اعلى والى اسفل . والمعروف ان هذه المرحلة عند الانسان هى مرحلة الاحلام الكثيفة .

فما الذى لا يجعلنا نتجاوز حد حركة مقلة العين كرد فعل للحركة التى نمارسها خلال احلامنا ؟.

فى مخ الانسان تجرى آلية خاصة ، تمنع الانسان اثناء النوم من ان تستجيب اطرافه لاشارات المخ خلال الحلم ..

وفى بحث لمحاولة معرفة ما يجرى فى احلام الحيوانات ، قام الباحث ادريان موريسون مع مجموعة بحث بجامعة بنسلفانيا فى الولايات المتحدة ، بالتوصل الى طريقة جراحية لاستئصال الشق من المخ الذى يمنع الجسم من تجسيد ما يحلم به . وقد جرت التجارب على مجموعة من القطط ، وتم تسجيل نتائج هذه التجربة فى فيلم سينمائى مثير ..

فالقطط اثناء نومها تلعب بلعب وهمية ، وتتحفز وتهجم على عدو وهمى . والمهم ان القطط اثناء هذا الهجوم الحالم ، كانت اكثر عدوانية وشراسة منهـا فى هجومها الواعى .

وعلى العموم ، يؤدى استئصال ذلك الجانب من الجهاز العصبى الى تصعيد الميول العدوانية عند الكائن الحى . وفى اثناء هذه التجارب ، كانت الاثارة تصل بالقطط الى حد ان تحاول القطة عض ذيلها . واثناء هذا كله ، كانت الاجهزة المثبتة الى القطط تؤكد انها نائمة تماما ، وانها تمر بمرحلة النوم المعروف بنوم حركة العين السريعة ..

ويتساءل المحرر العلمى لمجلة ساينس ديجست ، اذا كانت القطط وهى معتبرة من الحيوانات الجارحة تحلم بالتقناص فريستها ، فما الذى تحلم به الحيوانات الاليفة الاخرى ، مثل الارانب ؟ . هل تحلم الارانب بان هناك من يسعى الى اصطيادها ، فتتصرف اثناء نومها معبرة عن حلم الهروب من الصياد ؟!.



مع العلم الحديث

جهاز تحذير من تلوث البيئة

من المشاكل التى تعانى منهـا الدول الصناعية المتقدمة ، مشكلة « تلوث البيئة » . واصطلاح تلوث البيئة نقصد به ان الارض او الجو او البحر ، او كلها مجتمعة ، لم تعد مناسبة لصحة الانسان او الحيوان او النبات . ويكون هذا نتيجة للغازات التى تندفع من مداخن المصانع ومن عوادم السيارات ، ونتيجة لما نلقيه فى البحار من مخلفات وفضلات .

ففى اليابان مثلا ، ونتيجة لارتفاع نسبة التلوث ، تنتشر فى الاماكن المزدحمة بحركة السيارات، لوحات كهربائية تبين ما بلغته حالة التلوث فى الجو . ورجال المرور الذين يطول وقوفهم فى هذه الاماكن يراقبون اللوحات ، وعندما يرون ان التلوث قد زاد عن حد معين ، يمشون الى حجرة صغيرة خاصة « كشك » لاستنشاق الاكسجين النقى من جهاز بها حماية لصحتهم .

ونحن فى العالم العربى ، قد لا نشعر بخطورة تلوث البيئة ، الا انه مع التطور الصناعى الذى بدأت تظهر معالمه فى معظم الدول العربية ، سنجد انفسنا فى مواجهة هذه المشكلة خلال السنوات القليلة القادمة ..

وقد توصل علماء الغرب اخيرا الى انتاج جهاز صغير ، يحمله الانسان معه فى كل مكان . فاذا دخل مكانا يصل فيه التلوث الى حد الاضرار بصحته ، يتغير لون شاشة صغيرة بالجهاز ، وهذا يعنى التحذير ، والدعوة الى مغادرة ذلك المكان ..

تصوير فوتوغرافى بلا أفلام

المعروف ان الفيلم الذى نضعه داخل آلة التصوير لالتقاط الصور يعتمد فى صناعته على املاح الفضة . ونتيجة لارتفاع ثمن معدن الفضة بشكل مستمر ، بدأ العلماء يفكرون فى ابتكار افلام حساسة لا تعتمد على املاح الفضة ، او تعتمد عليها بشكل اقل .

وقد توصلت بعض الشركات الى ابتكار آلة تصوير لا تستعمل افلاما بالمرة . آلة التصوير الجديدة اسمها « مافيكا » وهى فى حجم آلة التصوير العادية ، وفيهـا يتم تسجيل الصور على قرص مغناطيسى صغير ، بطريقة شرائط التليفزيون « الفيديو » .

وعند الرغبة فى مشاهدة الصورة التى تم التقاطها ، يوضع القرص فى جهاز خاص ، يتصل بجهاز التليفزيون الذى فى البيت ، لتشاهد الصورة على شاشته . القرص الواحد من هذه الاقراص الصغيرة ، يمكن ان تسجل عليه ٥٠ صورة ملونة .

من مميزات هذه الطريقة الحديثة فى التصوير ، انها تسمح لنا بمشاهدة الصور التى نلتقطها فورا ، ودون انتظار لعملية تظهير الفيلم وطباعة الصور . كما يمكن مسح الصور التى لم نعد بحاجة اليها من فوق القرص ، واستخدامه مرة ثانية فى التقاط صورة جديدة . ومن مميزات هذه الطريقة انها تسمح لنا بالتقاط عدد من الصور المتتابعة دون توقف ، وبسرعة تصل الى عشر صور فى الثانية الواحدة .

ويبحث العلماء حاليا عن طريقة لتحويل هذه الصورة المغناطيسية الى صور ملونة



عادية وثابتة يمكن الاحتفاظ بها ، ومشاهدتها دون الحاجة الى جهاز التليفزيون .



حل مشكلة الاتصال بالغواصات

اذا هبطت الغواصة الى اعماق الماء ، يصبح من المستحيل الاتصال بها . وفي الحرب ، عندما تتلقى الغواصة الاوامر بضرب اهداف معينة فتهبط الى المياه العميقة لتتجه الى هدفها ، يصبح من المستحيل الاتصال بها لاسلكيا ، لالغاء الامر السابق او تعديله .

ولقد حاول العلماء الوصول الى حل معقول لهذه المشكلة ولكن دون جدوى. واغلب الحلول التي لجأوا اليها لم تكن ناجحة في جميع الاحوال .

واخيرا ، استطاع العلماء ان يجدوا حلا لهذه المشكلة باستخدام اشعة «الليزر».

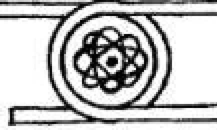
واشعة ليزر عبارة عن اشعة ضوئية ، تختلف عن الضوء العادي في انها اكثر دقة وانتظاما في انتشارها . فهي تسير في خطوط مستقيمة، وبتردد منتظم، ولذلك فهي تقدر على قطع مسافات طويلة، عبر اجواء مختلفة ، في الجو او البحر ، دون ان تتأثر بذلك ■

ولقد توصل العلماء الى طريقتين للاتصال بالغواصة في اعماق المحيط : اما بارسال التعليمات من الارض الى قمر صناعي بواسطة اشعة ليزر ، فيعكس القمر الصناعي الاشعة الى الغواصة ، او بان يجرى اطلاق اشعة ليزر من القمر الصناعي نفسه ، الى الارض والى الغواصة في نفس الوقت ، بحيث تحمل اشعة ليزر الرسالة المطلوب ابلاغها الى الغواصة ، وتحمل في نفس الوقت رد الغواصة على الرسالة التي تسلمتها .

لماذا كوب اللبن الدافىء؟

يعتبر كوب اللبن الدافىء ، اكثر الاساليب شيوعا لعلاج الارق ، هل يوجد سند علمي لهذا الاعتقاد الشائع بين ابسط المجتمعات ؟

المعروف ان اللبن يحتوي على مادة ل. تريبتوفان ، وهي من الاحماض الامينية التي لا يستغني عنها الجسم . ومن الناحية العلمية ، لا يكفي القدر من هذه المادة الموجود في كوب اللبن لدفع الانسان الى النوم مباشرة . لكن يبدو ان هذا القدر من المادة ، مع الاحساس الدافىء للبن، مع الاعتقاد الشائع ، هذه العوامل



مجتمعة هي التى تجعل الشخص اكثر استعدادا للنوم ..

وهناك بعض الابحاث العلمية الحديثة التى ترجح ان مادة سيروتونين تلعب دورا اساسيا فى المخ بفتح ابواب النوم. وتظهر اهمية كوب اللبن الدافىء ، اذا ماعرفنا ان مادة ل. تريبتوفان التى فى اللبن ، هى نفسها التى يعتمد عليها الجسم فى افراز مادة سيروتونين .

نهاية خبراء النبيذ

من الوظائف المروفة فى مصانع الدخان ، ذلك الخبير الذى يختبر جودة ما ينتجه المصنع عن طريق التذوق شخصيا ، ويعرف باسم « الخرمنجى » . ونفس الشىء بالنسبة لمصانع النبيذ والخمور . فان خبرة ذلك الشخص وقدرته على التفريق بين الانتاج الجيد والسيىء ، تفيد هذه الصناعات فى الارتفاع بمستواها ، والاحتفاظ بسمعتها لدى العملاء .

الجديد فى الامر ان مصانع النبيذ فى الخارج بدات تستغنى عن ذلك الخبير بعد الاكتشاف الذى اعلنه دكتور فيليب وايات العالم الطبيب بكاليفورنيا .
واكتشاف دكتوروايات يؤدى الى الاستغناء من الخبير البشرى باشعة ليزر . يقول الطبيب المكتشف « مذاق النبيذ » تؤثر عليه جزئيات البروتين التى به ، والتى تتكتل فى شكل جسيمات . وبسبب ما ، كلما زاد حجم هذه الجسيمات ، اصبح مذاق النبيذ اكثر سوءا .. !!



وباستخدام جهاز مصمم لتحديد مدى حساسية البكتيريا للمضادات الحيوية ، تمكن دكتور وايات من قياس حجم الجسيمات . ويعتمد هذا الجهاز على تسليط شعاع ليزر على انبوبة بها عينة من النبيذ مخففة بالماء بنسبة واحد الى عشرة . وبقياس كمية الضوء المنعكس وقدره يمكن معرفة حجم الجسيمات ..
وقد قام الباحث بالتاكد من سلامة التقديرات التى يقوم بها الجهاز، فاعتمد على عدد من خبرة الخبراء فى تذوق النبيذ ، وجاءت النتائج متطابقة .

مزبلة الفضاء

ما الذى تتوقع ان تجده فى الفضاء اذا قمت بجولة فى مسار حول الارض ؟ .. هل تنتظر ان تمر باقمار الاتصال الصناعية ؟.. ممكن .. هل سترى سفن الفضاء التابعة للمعسكرين ؟ محتمل . لكن الذى ستراه بالتاكيد ، وتراه اكثر من غيره ، حزام من المخلفات واجزاء سفن الفضاء والصواريخ التى اطلقها الانسان من الارض الى الفضاء .. مخلفات وفضلات واجزاء من الحطام ، تتزايد يوما بعد يوما .. فيتضاعف خطرها على الملاحة الجوية ..

ووفقا لتقرير حديث صدر عن مؤتمر من شئون الفضاء الخارجى نظمته الامم المتحدة ، يوجد حوالى عشرة آلاف عنصر

بسبع فى مدارات حول الارض . الكثير من هذه العناصر كبير الحجم، يمكن رصده ومتابعة حركته ، لكن معظمها عبارة عن اشلاء صغيرة ، اصغر من ان ترصد ، ولكنها من الكبر بحيث يمكنها ان تحدث اضرارا فى الاقمار الصناعية او فى سفن الفضاء لو ارتطمت بها ..

هذه الفضلات الهوائية تسبح بين الاقمار الصناعية مندفعة بسرعة تزيد على ستة اميال فى الساعة . فى بعض الاحيان تمر الى جوار السفن الفضائية مندفعة دون ان تحدث اضرارا ، ولكن الامر يختلف فى احيان اخرى . وقد سجل مؤتمر الامم المتحدة حالتين على الاقل من حالات تعطل الاقمار الصناعية نتيجة لاصطدامها بالمخلفات .

ورغم ان التقرير يؤكد ان احتمالات التصادم لا تزيد عن حالة واحدة كل عشرين سنة ، الا انه يشير الى ان تزايد معدل اطلاق الاجسام الفضائية من الارض عن معدله الحالى والذى يصل الى ١١٦ اطلاقا سنويا ، فان احتمالات التصادم تتصاعد . هذا بالاضافة الى ان الاجزاء الكبيرة من هذه المخلفات ، تميل الى التفتت اثناء دورانها حول الارض ، مما يزيد من الشظايا السابحة .

كيف يفكر العلماء فى حل هذه المشكلة ؟. بالنسبة للاقمار الصناعية التى انتهت فعاليتها واوشكت على انهاء مهمتها ، يقترح العلماء ان تستغل آخر ما لديها من طاقة فى دفع نفسها بقوة نحو الارض بحيث تتبخر اثناء هبوطها . والاجسام السابحة فى افلاك بعيدة يمكن ان تدفع الى مسارات ابعد ، لتدور حول الارض بعيدا عن حركة الاقمار الصناعية العاملة ..

اما بالنسبة للاجسام الصغيرة ، فلم يجد التقرير حيالها، سوى اسداء النصح بان يراعى فى تصميم المحركات الاضافية للصاروخ بحيث تضمن اقل قدر من الاجزاء التى يمكن ان تتحول الى نفايات فى الفضاء .. ●



فوق الحافة

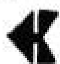
بقلم: ستيفن جونسون • ترجمة: أمين سلامة

« حدثت ماساة مفزعة وقصة بطولة رائعة فوق الجسر المحطم والمياه الثلجية اسفل ذلك الجسر »

في الساعة ٨ : ٩ من مساء يوم احد مطير في شهر يناير سنة ١٩٧٥ كانت سفينة النقل ليك ايلاوارا التى تبلغ حمولتها ٧٣٠٠ طن تشق طريقها اسفل جسر تاسمان الذى يربط مدينة هوبارت الاسترالية بضواحيها الشرقية . فاصطدمت هذه السفينة بعمودين من اعمدة ذلك الجسر . وكان الكونستابل وليم نير في بيت عمه في مونتاجوباى بجوار هذا الجسر تقريبا . فقفز الى النافذة الامامية في الوقت المناسب ليرى ١٤٠ ياردة من طريق الجسر ، والانوار الامامية لسيارة تسقط عمودية مسافة ١٥٠ قدما في المياه القاتمة لمصب نهر ديروتت .

جرى « نير » خارج سيارة البوليس وامسك بميكروفون الراديو وقال : « هنا السيارة ٧٦ ، تحطم الجسر وسقط في الماء » . وفي نفس الوقت تقريبا كانت هناك سيارة بوليس اخرى على شاطىء النهر من جهة المدينة ، فايدت هذا الخبر .

انتهى العمل في اقامة هذا الجسر عام ١٩٦٤ ، وهو اطول جسر فوق الماء في استراليا كلها اذ يبلغ طوله ستة اعشار الميل بين قاعدتيه على كلتا الضفتين . وقد اطلق سكان مدينة هوبارت على جسرهم هذا الاسم « أولد سيندلى لجز » ، اى « العجوز المغزلى الارجل » اذ يرتكز هذا الجسر على اثنين وعشرين عمودا طويلا . فبينما كانت السفينة الليك ايلاوارا تحاول المرور أسفل ذلك الجسر ، جرفها التيار جانبا



فاصطدمت بأحد الاعمدة ثم بعمود آخر ، فجعلت ثلاثة أجزاء من الجسر تتقوس الى اســـفل وتتداعى وتهوى ، فسقطت آلاف الاطنان من الصلب والخرسانة فوق تلك السفينة المشـــئومة فأرسلتها الى القاع يغوص مقدمها أولا ، فى أقل من عشر دقائق.

« ارجـــع الى الخلف ! »

قبيل ان تقوض السفينة ليك ايلاوارا قائمى الجسر ، بشـوان، أدار موراى لنج ، أحد ســكان بيلريف سيارته نحو المنحـــدر الموصل الى ذلك الجسر مـــن جانب المدينة ، يصحب معـــه زوجته وولديه الصغيرين .. كان يسرع عائدا الى البيت من مطعم شواء، كي يستطيع مساعدة ابنتيه فى اعداد وليمة عشــاء لزميلاتهما بالكنيسة .

بينما كان لنج عند أول المنحدر اذ بأنوار الجسر تنطفىء فجاة. فكان أول ما فكر فيه هو ابنتيه فى البيت وسط الظلام. فضغط بقدمه على مفتاح البنزين بالسيارة ولكنه لاحظ أن أنوار مدينـــة هابارت وضاحية لنـــديز فارم الواقعة على الشاطىء الشرقى ، كلها مضاءة ، فابطأ سرعتـــه بحذر .

وبينما هو يفعل ذلك مرقت سيارة بجانبه فى الطريق الخارجى فوق الجسر ، وانطلقت تهوى . وببساطة امام عينيه ، فضـــغط على الفرامل حتى توقفت السيارة تماما قبل حافة الهاوية بياردة واحدة .

شق السكون صوت هيلين لنج تصيح لزوجها قائلة : « ارجـع الى الخلف! ارجع الى الخلف!»

غير أن لنـــج أبصر فى مـــرآة النظر الى ما خلفه ، اضـــواء سيارة قادمة . فان أصطدمت به هذه السيارة من الخلف ســقط هو واسرته من على الحافة الى الماء .

صاح لنج بأعلى صوته يقول: اخرجوا من السيارة ! بسرعة !

وبينما جـــرى كل من هيلين وولديها الى طريق المشـــاة على جانب الجسر ذى الممرات الاربعة حاول موراى أن يشـــير الى السيارات القادمة من الخلف ، فهاله انها كانت تنتحى جانبـــا وتمرق منطلقة بسرعة فتســقط فى الهاوية .

فى تلك الاثناء حاولت هيلين أن ترفع ابنها آندرو البالغ مـــن

العمر خمسة اعوام وتضعه فوق السور الذى يحد طريق المشاه. وكانت على وشك تركه فوق السور لولا أن يبتر البالغ من العمر اثنتى عشرة سنة صاح فيها بأعلى صوته يقول: « لا ، يا أماه! ليس هناك شيء! » فقد انكسرت انبوبة ماء قطرها ١٨ بوصة ، واكتسح تيار الماء هذا الجزء من السور.

في الهواء: اقبلت سيارة اخرى من الخلف بها فرانك وسيلفيا مائلى وأبنتهما شارون التى كانت فى العقد الثانى من عمرها وشقيق سيلفيا ديك فيتزجيرالد. وحينما انطفأت أنوار الجسر اطلت سيلفيا برأسها



خارج نافذة السيارة فأبصرت من خلال المطر الخفيف ، ما حدث ، فصاحت تقول: « رباه! لقد تحطم الجسر . قف يا فرانك! الا يمكنك ان تقف ؟ »

ضغط فرانك بقدمه على الفرملة وقال: « لا يمكننى . فات الاوان! » فزحفت السيارة وارتفع صوت الاحتكاك عندما سقطت العجلتان الامامتيان فوق الحافة المسننة ، وكحت أسفل السيارة طريق الجسر . فتعلقت السيارة وهى فى هذا الوضع ، تهتز قليلا الى الخلف والى الامام .

نظرت سيلفيا الى الامام وقالت: « اتظن ان بوسعنا ان نرجع الى الخلف ؟ »

فقال فرانك فى رفق : « لا اظن ذلك »

خرج ديك واخته وابنتها من باب السيارة الخلفى الى الارض وفتح فرانك الباب الذى بجانبه وانزل قدما من السيارة فاذا بها فى الهواء! نعرف انه اذا ارتبك ذهب الى حتفه اكيدا . فرفع نفسه الى اعلى بكلتا يديه وأمسك بالحافة المعدنية المطليه بالكروم ، وأدار جسمه جانبا ،

ولكن نصفه ما زال في مقعده ، فاعمل يديه ورفع نفســه فوق ظهر المقعد الامامي ونزل امـــام المقعد الخلفي حيث فتح الباب ومد رجليه حتى لمستا الطريق، وعندئذ جلبنفسه من السيارة.

السور المحطم : بينمـا وقف اربعتهم على الجسر الذي ما زال يهتز ، صاح بيتر لنـــج مـن الطريق المجاور يقول : « باتى من الخلف مزيد من السيارات .. يجب أن نوقفها . »

بينما وقف مائلي ولنج عنـد الحافة المهشمة من الجسر كآخر خط للدفاع ، بقيت أسرتاهمـا عنـد قاعـدة الجسر . فمر بجانبهم أوتوبيس محمل وتجاهل صياحهم ، فجرى موراي لنـج الى الامام يلوح بذراعيه . ولكن الاوتوبيس ما زال يتقدم. فجرى لنج الى جانب نافذة السائـق وصاح بأعلى صــوته وقال : « ابتعد ! فقط سقط جزء مـن الجسر في النهر ! »

فوقف الاوتوبيس أخيرا ، ثم استدار عائدا ، ولاحظه موراي وهو يختفي سالما عنـد قاعـدة الجسر .

عند ذلك جاء البـوليس الى مكان الحـادث ، ورافق عائلتي لنج وموراي وسط المطر البـارد الى الطرف الغربي للجسر .

صوت ارتطام مدو : بفضـل لنج ومائلي وغيرهما ، نجـــا كثيرون من موت محقق فيتلك الليلـة . فقد كان تيـم وارك البالغ من العمر ٢٨ ســـنة وصديقته روزماري هيكمـــان متجهين نحو هوبارت ، فابصرا الجسر يهوى امامهما . فاستدار « تيم » بالسيارة ووقف بها في وسط الطريق ، ورجع عـلى قدميه يصيح ويلوح بذراعيــه محذرا ، بينما بقيـت روزماري داخل السيارة تطلق آلة التنبيه وتضيء الانوار وتطفئها .

كذلك نجا سائقا سيارتين من الموت احسن حظهما .

وبينما كانجون ماكنزي متجها بسيارته شطر المدينة ، اذا بـه يشعر بلفحة ريح ترتطم بجـانب سيارته . لم يفكـر فيها كثيرا حتى بلغ وجهته فعلم أن الجسر تحطم . وعنـــدئذ فقط ادرك السبب في لفحة الريح تلك .

ربما كان نورمان اوكس،آخر شخص يعبر الجسر ، فنـذكره يقول : « سمعت صوت ارتطام

مرتفعا ، واهتزت سيارتي بعنف. ففكرت لمدة لحظة ان سيارة مرت بجانبي فاصطدمت بسيارتي ، ولكنني عندما نظرت خلفي رأيت الانوار تسقط الى اسفل وتختفي عن الانظار ، وكان جزء من الجسر غير موجود . »

اما الدكتور توماس جونز فكان سيء الحظ ، فقد زار زوجته المحتضرة ، ذلك المساء في مستشفى هوبارت الملكي ، وتأخر معها بعد موعد الزيارة المحدد وهو الساعة التاسعة مساء . وبعدها اتجه شرقا عبر الجسر عائدا الى بيته ، وبعد ذلك لم يعد احد يراه هو ولا سيارته . لقد ابتلعه اليم . وماتت مسز جونز بعد ذلك باربعة ايام دون ان تعلم بما حدث لزوجها .

نداءات الاستغاثة : جاهد اسفل الجسر أناس شجعان ذوو ضمائر حية ، وهبوا لانقاذ الاحياء وسط المياه السوداء الثلجية . لم يمض على الحادث اكثر من ست دقائق حتى هرع الى مكانه الكابتن جيمس كوبر ربان القارب البخاري كيب بروني . وفي ذلك الوقت كان مؤخر السفينة ليك ايلاوارا ظاهرا فوق سطح الماء فاستطاع كوبر أن يرى أناسا يقفزون من على جانبها ، فانتشل من الماء ١٩ شخصا من الاحياء. وسرعان ما انضم اليه اسطول كامل من السفن الصغيرة والقوارب ، واسهموا في عملية الانقاذ .

وكان جاك ريد ، البالغ من العمر ستين عاما ، في حفل عشاء عائلي بضاحية روزني اسبلاناد ، على مسافة نصف ميل من الجسر . وكان يعجب بمنظر جسر « العجوز المغزلي الارجل » وفجأة هز البيت صوت اصطدام مروع ، واختفت المناظر من فوق الجسر .

اسرع ريد الى التليفون ، ولكن رقم بوليس النجدة كان مشغولا فصاح يقول لابنه البالغ من العمر ٣٦ سنة : « هيا بنا يا كيفين » .

واذ كانا من رجال اليخوت المتمرنين ، سرعان ماكانا يدوران تحت فتحة الجسر في يختهما ميرميروس البالغ طوله ٢٩ قدما .. سمعا نداء الاستغاثة ، فصوب كيفين مصباحه الكشاف على شخص يناضل وسط الماء .

لتعاون هو وابوه حتى رفعاذلك البحار الى يختهما .

كانا على مسافة لا تزيد على ٣٥ ياردة من ليمبك ايلاوارا عندما غاص مؤخرها تحت الماء محدثا موجة هائلة . فدفعت احدى الموجات اليخت ليصطدم باحد اعمدة الجسر . نظر ريد وابنه الى أعلى فشاهدا اضواء السيارتين المعلقتين فى الجسر فوقهما .

انبعثت صرخة خافتة من وسط الماء — رجل بغير حزام نجاة ، كان يضرب الماء بيديه ليبقى طافيا على سطح الماء ، فانتشلاه ، ثم انتشلا ستة رجال كانوا فى قارب اشتبك وسط الكابلات الكهربية غير ان لنش البوليس فيجيلانت هب الى النجدة .

انهك التعب العجوز ريد ، فوجد نفسه فى اليوم التالى راقدا على سرير بالمستشفى الى جانب جون بوش ، احد بحارة السفينة ليك ايلاوارا الذى اصيب بنوبة قلبية . فقال بوش : « انتم يا رجال اليخوت ذوو اعصاب من الفولاذ .. كانت تسقط حواليكم من كل جانب كتل ضخمة من الخرسانة ، ولكنكم لم تكترثوا لها » .

فاعترف جاك يقول : « اقول لك الحق ، اننا لم نلاحظ ذلك»

الصدمة والدموع : عرف ان خمسة من البحارة ، واربعة من قائدى السيارات لقوا مصرعهم فى مأساة جسر تاسمان .. ومن بين المفقودين : بحاران ، وقائد سيارة ، والدكتور جونز .. وفى التحقيق الذى عمل فى شهر ابريل ، وجد ربان السفينة ليك ايلاوارا مذنبا ، وادين بالاهمال فى الملاحة . وطرد من الملاحة التجارية .

وبعد ثلاثة ايام من وقوع هذا الحادث ، اخذت سيلفيا موراى تبكى بكاء حارا وتنتحب لعدة ساعات فى كل مرة . فنصحها زوجها لتسترىح وتستجم ، الى مكان على شاطىء البحر . ولكنهم وجدوا شاطئهم زاخرا بضحايا اعصار مدمر ، هدم بيوت مدينة داروين فى ليلة عيد الميلاد ، حتى صارت البيوت بمستوى الارض . فقالت سيلفيا : « جئت الى هنا لاريح اعصابى ، فاذا بى ارى هؤلاء المساكين الذين فقدوا بيوتهم وكل ما يملكون .. اثر فى هذا المنظر واحزننى ، فما اتعسنى انا واسرتى ! » ●

انتفاضة الأمل



شعر: مديحه أبو زيد



احس بالضياع فى الدروب
بدمعة الفراق للحبيب
بوحشة المكان للغريب
فالوهم والظنون
تبدد الاحلام والامل
هل اهجر الزمن
واهجر السماء والقمر
واهجر الانهار والشجر
فالنفس من كآبة السقم
تود لو تدور فى العدم

***

اسائل البشر
عن الذئاب والشرر
هل تغفرون ؟!
فقلبى الرحيم
مازال فى نقائه لا يرغب الكدر
لماذا ترغبون
ان تمسك الحبال معصمى ؟
لماذا ترغبون لعقلى الصدا
لا .. لا والف لا ،
فانتم قساة
اما انا فاعشق الحياة
احس بانتفاضة الامل
ببسمة الزهور فى الربيـع
ببهجة الرياض حين يسقط المطر
برقصة النجوم حين يطلع القمر
ببهجة الوجود حين يضحك الزمن
ساهجر الدموع والشجن
واهجر الظنون والوهن
واهجر الضياع والسام
وازرع الامـل

لورانس مانسون وديان فرانكلين مراهقان فى فيلم « اخر عـذراء امريكا »



أحلام المراهقين

تجارة السينما الأمريكية والإسرائيلية

بقلم : عبد النور خليل

●● نقاد السينما فى العالم كله ساخطون ثائرون على هذه الهجمة الشرسة من الافلام اللاخلاقية التى تستغل احلام المراهقين من شباب العالم .. هذه الافلام التى تتعقب انحرافاتهم وتجعل من مراهقى السن ابطالا يتخذها المراهقون ، اولادا وبناتا ، نموذجا يحتذونه فى السلوك. بل ان اساتذة الاجتماع وعلماء النفس فى الجامعات يشاركون فى توجيه النقد لهذه الموجة من الافلام ●●

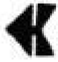




أحلام المراهقين

تجارة السينما الأمريكية والإسرائيلية

بيازدارو : زوجة سمسار اسرائيل ساندها بملايينه كبطلة لفيلم « الفراشة »



● أوربا بدأت تجارة أفلام المراهقين في السينما ولكن أمريكا تفوقت

● بداية هذه الهجمة السينمائية الشرسة من الافلام التى تعتمد على المراهقين من الاولاد والبنات كنجوم وكمادة درامية وسينمائية تستغل مشاعرهم وانفعالاتهم تجاه الحب والانجذاب العاطفى بين الجنسين ومحاولة التجربة وتجميع المعلومات عن العلاقة بين الشاب والفتاة ومراحل نموها وتصاعدها .. كانت بداية هذه الهجمة فى منتصف السبعينات، عندما استردت السينما الامريكية قواها واستعادت ثراءها وسيطرتها على الاسواق العالمية بعد كساد وتدهور شهدته الستينات وبداية السبعينات .. كانت البداية مفاجأة قاسية اذهلتنا نحن نقاد السينما فى مهرجان كان السينمائى الدولى عام ١٩٧٨ عندما جاء المخرج الفرنسى لوى مال الى المهرجان لعرض فيلمه «طفلة جميلة» وجاءت معه بطلة الفيلم بروك شيلدز ، الطفلة المرأة ولم تكن قد تجاوزت الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت تصطحبها امها .. وكانت الصدمة الحقيقية فى موضوع الفيلم الذى كان يدور فى مدينة نيو اورليانز الامريكية فى بداية العشرينات، وكانت بروك شيلدز، هذه الطفلة البريئة تمثل فيه دور طفلة ولدت فى بيت مشبوه لامرأة تحترف البغاء فى هذا البيت. وتكبر الطفلة وتنمو فى هذا الجو المشبوه ، وتصل بها الامور الى ان يقام مزاد بين رواد البيت على بكارتها وعفافها وهى لم تتجاوز الحادية عشرة . ووقفت جهات اجتماعية فى اوروبا وانجلترا ضد الفيلم وبطلته . لكن هذا لم يمنع على الاطلاق من تهافت الناس على رؤيته .

« كريستين ف » و « الاب الجميل »

وفتح فيلم « طفلة جميلة » الباب على مصراعيه لهذه النوعية من الافلام . وشجع السينما العالمية على المضى فى الاتجار باحلام المراهقين والمراهقات ، وتقدمت بروك شيلدز مجموعة من الفتيات الصغيرات، اصبحن نجوم هذه الافلام وحملن اسم « الطفلة المرأة » وتعددت هذه الافلام حتى اصبحت هجمة سينمائية شرسة ، لا يقل ما يقدم ان يعرض منها عن عشرة افلام سنويا .. وبدات طبقة النجوم المراهقات فى هوليود تطفو على السطح ، فالى جانب بروك شيلدز تالقت جودى فوستر - التى هام بها الشاب الذى حاول اغتيال رونالد ريجان - وتاتوم اونيل وغيرهن .. وفى اوروبا كان لابد ان تجد الهجمة السينمائية المتجرة بالمراهقين نهرا تتدفق من خلاله . ونجوما جددا من المراهقين - خاصة البنات - تطل بهن على جماهير المشاهدين

ولم تكن مفاجأة بعد هذا الابهر عام واحد ، على عرض « طفلة جميلة » فى مهرجان كان حتى يعرض لنا فيلمان من نفس الاتجاه . هما الفيلم الالمانى « كريستين ف» والفيلم الفرنسى « الاب الجميل » ، بل ان الفيلم الفرنسى هذا كان واحدا من الافلام المتنافسة على جوائز مهرجان كان.

وقصة الفيلم الالمانى « كريستين ف » اخذت من اعترافات حقيقية لعاهرة فى الخامسة عشرة من عمرها تعيش فى برلين. وكانت مجلة شتيرن الالمانية قد نشرت هذه المذكرات للفتاة المراهقة التى تحترف البغاء وتتعاطى حقن الهيروين . وكانت تتحدث من عالم غريب من الصبية الذين يدخلون عالم المراهقة كلصوص وبغايا او مجرمين صغار ينتهون دائما القتل برصاص رجال البوليس .. وكانت كريستين هذه - كما رايتها فى الفيلم - مصبوغة الوجه والشفتين طويلة الشعر ترتدى البلوزة المفتوحة على صدر بارز والجينز .. ان كريستين « ناديجا برنك هورست » تعود الى البيت

أحلام المراهقين

بعد ليلة رقص وعنف وخطيئة . وتمسح قناع الدماء عن وجهها ، وتحتضن قطتها الصغيرة وتنام انها مراهقة صغيرة مازالت تسلك سلوك الاطفال وتفتقد مرحلة الطفولة وتبحث عنها في حنان الامومة وأحضان أمها. وتتمنى أن تجد القدرة على الموت لترفض اية دعوات او رغبات الاثارة . لكنهـا لا تحصل على هذا او ذاك . وعنـدما تمضي كريستين مع صديقها المراهق«بتليف لا توماس هوشتين » وتغرق في الاعمـاق السفلى . يصبح الفيلم لونا من تقرير الواقع الذي خلقى التحلل لاعترافات مخجلة

كيم كارنيز : ملكة الروك المراهقة التي تتبناها هوليوود





إسرائيل مركز نشاطه!
سينما المراهقين الأمريكية

لفتاة مراهقة ، ويخلو من أي قيمة درامية او فنية .. لا مبرد للحياة ولا سبب . لا حماس ولا مستقبل . ويتحول الضحايا الى حيوانات آلية رمادية الوجوه ..الى موتى احياء .

اما قصة الفيلم الفرنسي «الاب الجميل» فهي تدور حول فتاة مراهقة لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها « آرلين بيسيه» ماتت امها في حادثة سيارة ، وفضلت ان تعيش مع زوج امها وحاولت آن تحتل مكان امها في حياته ، وتهرب من ابيهما لكي تعود اليه . وقد حاول الرجل ، زوج

بروك شيلدز : بدأت الموجة في « طفلة جميلة » وعادت تركيا في فيلم « الجنة »

أحلام المراهقين

الام ، ان يبعدها عنه ، حاول ان يجعلها تنغمس فى جو اللهو الصبيانى مع اترابها من المراهقين ، تشاركهم الرقص وتمارس نفس الحياة التى يحبونها ، لكنها لا تجد فى هذه الحياة ما يغريها وتعود اليه تتملكها رغبة جارفة فى اثارته ودفعه الى حبها وتملكها .. لكى تحل محل امها المتوفاة . ويتحمل الرجل من المراهقة فوق ما يطيق لكى يعبر بها التجربة حتى تقتنع فى النهاية ان هناك فرقا ساحقا فى السن والتفكير والسلوك بينهما فتتركه لمصيره

« الجنة »
و « البحيرة الزرقاء »

على ان هوليود ، عاصمة السينما الامريكية ، وقد كانت لها القيادة والسبق الى تقديم افلام المراهقين من البنات والاولاد ، لم تكن لتترك السينما الاوربية تركب الموجة او تنافس على التفوق فى هذه النوعية المثيرة من الافلام خاصة وقد اضافت الى نجماتها المراهقات اللواتى يحملن لقب « الطفلة المرأة » نجوما مثل الالمانية نستاسيا كمينسكى والايطالية

• كريستين فى « المراهقة التى تحولت الى بغى .. فيلم المانى نجح فى امريكا





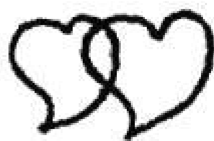
● الجنس والمخدرات "عقدة" الأفلام الأمريكيـة الجديدة

اورنيلا موتى ، بل وقد اجتذبت بروك شيلدز نفسها لكي تقوم ببطولة فيلم ايطالى اخرجه زيفريللى .

وضاعفت السينما الامريكية من هجمتها الشرسة ، فانتجت منذ شهور قليلة فيلمين جديدين هما فيلم « الجنة » وفيلم « البحيرة الزرقاء » وكلاهما قامت ببطولة المرأة الطفلة بروك شيلدز وشاركها البطولة نجم مراهق جديد اسمه كريستوفر اتكنس.

وقد صورت مناظر فيلم « الجنة » فى اسرائيل ، التى تجتذب الان النشاط السينمائى الامريكى للتصوير الخارجى والمشاركة فى انتاج الافلام الامريكية ، يساعدها فى هذا القاعدة الضخمة من اليهود والتكتلات الصهيونية فى هوليود وهى تكاد تسيطر تماما على رءوس الاموال المستغلة فى السينما .. وقصة فيلم « الجنة » تدور فى القرن الماضى . وتبدأ برحلة احدى القوافل من بغداد الى دمشق . وبين افراد القافلة تتعرف على فتاة اسمها سارة « فوبيه كاتس » تحرسها خادمها جيوفرى وتتعرف ايضا

« الولد الحديدى » فيلم المانى ايضا يروى انحرافات المراهقين



أحلام المراهقين

« جريس » كان بداية لأفلام المراهقين ..

على الفتى الامريكى الراهق ديفيد «موبلى آيمس» الذى يرافق عائلته فى الرحلة.. وخلال الرحلة هاجم قطاع الطرق القافلة، وذبحوا كل من فيها الا الفتى والفتاة اللذين حماهما حرس الفتاة ، وهرب بهما وجن جنون قائد قطاع الطرق الذى كان يرغب فى ضم الفتاة الى حريمه وجد فى المطاردة وظفر بالحارس جيوفرى فقتله.. لكن سارة وديفيد يواصلان الهـــرب ويتعرضان لعاصفة رمليـــة ويتوهان فى الصحراء ويصلان بعد أن تهدأ العاصـــفة الى واحة مجهولة وارفة الظلال والثمار ويعيشان حياتهما وفقا لما تمليه عليهمـــا غرائزهما الطبيعية وكأنهما آدم وحواء يوم هبطا الى الارض .

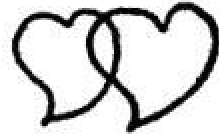
اما فيلم « البحيرة الزرقاء » الـذى مثلته بروك شيلدز مع كريستوفر اتكنس فهو ايضا يمثل اكتشاف الحياة فى ظــل الطبيعة بين فتى وفتاة فى سن المراهقة، يتحابان فى اندفاع ويكتشفان « حـــلاوة الحب » ولا يخجلان من عريهما أو رغباتهما ونزواتهما الجسدية التى يكتشفانها شيئا فشيئا .

ولم تقف السينما الامريكية عند هذا الحد ، لقد سعت الى ان تخلـــق نجمـــة اغراء مراهقة جديدة ، تمتلك كل صفات ملكتى الجنس والاثارة « ب . ب » الفرنسية و « م . م » الامريكية ، فقدمت فتاة يهودية انفقت طفولتها منـــذ

جون ترافولتا فى فيلم « حمى ليـــلة السبت » .



أحلام المراهقين





الراهق الضائع الذى يتعرض للقهر سلعة رابحة للسينما

السابعة فى الفهود عارية فى اعلانات التليفزيون ثم عملت فى بعض مسرحيات برودواى الغنائية والاستعراضية ، ثم انتقلت الى نوادى لوس انجلوس وتزوجت مليونيرا اسراليليا يشتغل بالسمسرة ، جند كل امواله لكى يجعل منها نجمة .. الفتاة اسمها بيازادارو ، قريبة الشبه من ملكة الاغراء الفرنسية المعتزلة بريجيت باردو ، ودقيقة الحجم ظهرت فى فيلم « الفراشة » كفتاة مراهقة عادت الى ابيها الذى يعيش فى منجم مهجور فى الغرب الامريكى ومضت تسيطر عليه بالاثارة والاغراء حتى دفعته الى ارتكاب الشرور والجرائم .. وقذفت هوليود ببيا زادارو هذه الى مهرجان السينما العالمية .. فى العام الماضى ظهرت وسط حملة ضخمة من الدعاية فى مهرجان « مونتريال » و « مانيلا » .. وجاءت هذا العام ايضا الى مهرجانى « برلين » و « كان » وظهرت على شواطىء الريفيرا عارية كما ولدتها امها امام عدسات المصورين .

واحدث هذه الافلام « المراهقة » فيلم « باركى » الذى تدور احداثه فى مدرسة ثانوية مشتركة طلبتها من الفتيات والفتيان فى سن المراهقة ، وهم بالطبع يكتشفون ما تفرضه هذه السن الخطرة من تحولات ويمارسون فى حرية ما تفرضه عليهم من رغبات ونزوات وسلوكيات جنسية فى حرية وبعيدا عن اية رقابة .

وفيلم آخر يثير الآن عاصفة من النقد

● ثورة نقاد السينما الأمريكية وأساتذة الجامعات على أفلام المراهقين



اوريا التقطت الخيط وخصصالت لنفسها نجوما مثل ارلين بيسيه فى « الاب الجميل »

والتباكى على الاخلاق هو فيلم « آخر عذارى امريكا » انه يعطى تفصيلات دقيقة عن الالام والمشاكل والمتاعب التى يتعرض لها الشباب فى سن المراهقة ، خاصة الفتاة كارين « ديان فرانكلين » اجمل بنات المدرسة التى يطاردها كل الشبان وتحاول رغم كل الاغراءات المحيطة بها الا تسقط .. ومن خلال هذه القصة ندخل عالم الشباب المراهق ، وتتعرف على سلوكيات البنات والاولاد وتعاملهم مع حقائق الحياة التى يكتشفونها عند البلوغ

لقد اجمع كل علماء النفس الامريكيين ، وسايرهم فى هذا نقاد السينما والمهتمين بسلوكيات الشباب ، على ان هذه الافلام تضع امام الشباب المراهق فى امريكا وفى العالم مثلا وانماطا يقلدونها ويحاكون ما يرون منها فى هذه الافلام ، وهذا التقليد يؤدى الى المزيد من الانحلال والفساد والتحرر الضار فى العلاقات بين البنات والاولاد فى سن المراهقة .. ويقول د. سيمون وردبل الاستاذ بجامعة نيويورك .. ان الشباب ، خاصة الفتيات فى هذه السن يجهلون الاخطار التى تترتب على هذه السلوكيات المتحررة المنحلة ، ومن هنا يجىء خطأ السقوط فى هاوية الجنس والمخدرات .. ويقرر د. وردبل ان الافضل للمجتمع والشباب المراهق العودة الى التعليم السليم الذى يقضى بنقل حقائق الحياة للاولاد والبنات على جرعات ومن سن مبكرة حتى تساعدهم على الصواب ●

موسم المسرح الإنجليزى

٨٢

غنيات اليوت على المسرح فى ايفيتا

الين بيج تمثل شخصية «جريزيلا» فى مسرحية «قطط ٢ الليل ايفيتا» المأخوذة عن كتاب ت.س. اليوت



هتلر حيّ وعمره ٩٠ عاماً

وإسرائيل تختطفه من الأمازون



• مصيدة الفئران لأجاثا كريستي مستمرة

يقول الناقد الانجليزى « كورانس كوبلاى لاو » ان كاهل المسرح اليوم فى لندن يبدو تحت ثقل عدد كبير من المرجات الهزلية والموسيقية والأخرى التى تتناول الفنون الخفيفة .. فعلى خشبات عدد كبير من مسارح العاصمة الانجليزية تهوى لقطة الدم ويقع الجنود صرعى وتتساقط القراصنة وتتصاعد دخان البخور .. انه موسم مسرحى لندنى يصل مداه فى شهور الصيف هذه .

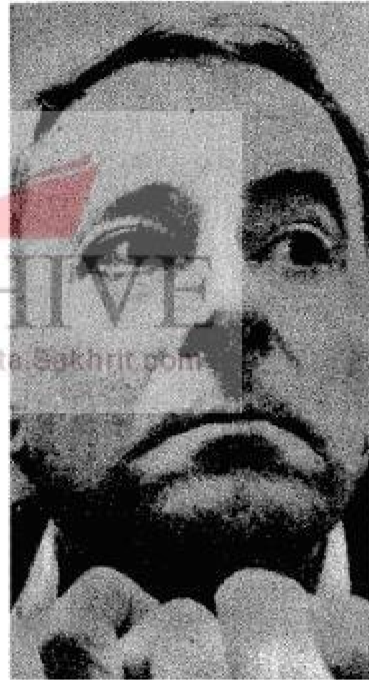
وبالفعل .. من الصعب تحديد ملامح وصفات موسم المسرح الانجليزى بكلمة واحدة . لكن من الممكن القول بأنه موسم [illegible] .. وعلى اية حال .. هناك عدد من العروض تستحق المشاهدة ، والبعض الاخر يخرج الى آفاق تتجاوز حدود لندن وتحوز سمعة دولية .

ان الإمتاع والخيال يتحقق بجرعة كبيرة فى مواسم هذا العام ، ورواد المسرح

موسم المسرح الانجليزى ٨٢

الانجليزى وعشاقه ، الذين يرغبون دائما فى اشباع نزعاتهم الحسية ، مطالبون بان يوقلوا ما قد يثور فى نفوسهم من عدم التصديق وهم يشاهدون مسرحية تقدم تحت عنوان « هتلر حى .. فى التسعين من عمره » .. لقد تم اختطافه من حوض الامازون ، بواسطة المخابرات الاسرائيلية بالطبع لكى تقوم صرعة رعب جديد فى اكسفورد وموسكو وكلونيا وباريس ..

. والمسرحية التى كتبها المؤلف الانجليزى كريستوفر هامبتون « ٣٦ سنة » ماخوذة عن كتاب جورج شتينر الذى حقق نجاحا داويا



اليك ماكسودان .. هتلر فى التسعين

« نقل ادولف هتلر الى سان كريستوبال » .. ويستمر عرضها على « مسرح ميرميد » منذ منتصف فبراير الماضى ويؤدى الدور الرئيسى فيها الممثل اليك ماكووان الذى سبق له القيام ببطولة مسرحية « اجراس سان مارك » وظهر فيها بمفرده طوال العرض على مسارح برودواى فى نيويورك . على ان ماكووان ، فى هذه المسرحية ، يجد فرصة صغيرة لكى يستثمر مواهبه التلقائية خاصة وان ادولف هتلر الذى يتقمص شخصيته يظل مكمما اكثر فترات المسرحية الا فى المشهد الختامى عندما يدافع عن نفسه فى خطاب يلقيه لمدة عشر دقائق .

وتسيطر على المسرحية ثلاثة احداث رئيسية هى :

ـ وصول المختطفين الى البرازيل .

ـ رد الفعل عند السياسيين فى العالم لخبر القبض على هتلر .

ـ الرحلة فى غابات الامازون وحالة هتلر وانهياره تحت وطأة المرض والارهاق.

وقد اخرج مسرحية هامبتون هذه المخرج المسرحى المشهور جون ديكستر الذى تعاقد مع مسرح الميرميد على اخراجها . والميرميد اكبر مسارح الوست اند « الحى الغربى فى لندن » الذى يمثل فى العاصمة البريطانية ما يمثله حى برودواى فى نيويورك . وكان مسرح الميرميد فى حاجة الى مثل هذه المسرحية المثيرة بالفعل بعد ان ظل مغلقا لمدة ثلاث سنوات لاسباب سياسية وبسبب الخسارة المالية والكساد .

● شكسبير ومركز باربيكان ●

انتقلت « فرقة شكسبير الملكية » فى الشهر الماضى لتعمل على مسرح خاص لها ، تم افتتاحه فى مركز باربيكان للفنون الذى تكلف ما يقرب من ٢٨٠ مليون دولار لكى يكون منافسا لمركز لينكولن للفنون فى نيويورك ومركز بومبيدو للفنون فى باريس ودار أوبرا سيدنى . وقد قام الان هيوارد

ـ الموهبة الشكسبيرية الجديدة فى انجلترا ـ بتمثيل الادوار الرئيسية فى عمليين لشكسبير هما « ريتشارد الثانى » و « ريتشارد الثالث » .. والان هيوارد ، عمه الممثل السينمائى المعروف لسل هيوارد ، وفى البرنامج ايضا مسرحية شكسبير « كما تهواه » ومسرحية الكسندر استروفسكى « الغابة » واخرج مسرحية شكسبير « هنرى الرابع » بجزئيها الاول والثانى من جديد .

وفى جنوب نهر التايمز ، تعمل فرقة « المسرح الوطنى » المنافسة التقليدية لفرقة شكسبير الملكية ، فتقدم لاول مرة مسرحية استعراضية امريكية هى « رجال ونساء » .. وعلى نفس المسرح يقدم موسم الحريقى « الاورستيا » تتضمن ثلاث مسرحيات منها « اجا ممنون » .. وفى مسرحيات « المسرح الوطنى » جميعا يرتدى ممثل ادوار الرجال الاقنعة ، وعلى الرغم من أن نقاد لندن المتخصصين فى كتابة النقد المسرحى يكرهون ارتداء الرجال للاقنعة الا أن هناك شبه اجماع على انها تجربة تستحق المحاولة .

● قطط الليل و « عن ايفيتا » ●

ويستمر النجاح الساحق فى العاصمة الانجليزية وكل بريطانيا ـ لمسرحية اندرو للويد ويبر « عن ايفيتا » .. وفيها يتحول الجزء الاكبر من مسرح « نيولندن » ومكان الاوركسترا فيه الى قطاع ضخم من العالم السفلى فى العاصمة ويكاد الديكور يكون هو البطل فى هذه المسرحية الماخوذة عن قصة ت . س . اليوت : كتاب باسوم للقانيات العمليات « قطط الليل » .

وما الذى يمكن ان يكون انجليزيا اكثر من مسرحية اجاثا كريستى « مصيدة الفئران » التى ما زالت مستمرة العرض .. وهناك عمل مسرحى اخر لاجاثا هو « الاوراق على المائدة » يمثل الدور الرئيسى فيها الممثل الانجليزى جوردون جاكسون الذى رايناه على امتداد شهر كامل فى القاهرة . فى القناة الثانية للتليفزيون يمثل دور رئيس الخدم فى المسلسل الانجليزى التليفزيونى « الناس اللى تحت .. والناس اللى فوق » .. والمسرحية يقدمها مسرح فودفيل

ومن المسرحيات التى يتوقع النقاد لها استمرارا طويلا فى العرض مسرحية جورج برنارد شو « الاسلحة والرجل » التى تقدم كقطعة شيكولاته بالقشدة ، ومسرحية « الشروط الاربعة » تاليف سيمون جراى التى يخرجها هارولد بنتر ، وهذه المسرحية تعتمد على الاداء التمثيل خاصة وهى تعتمد على حوار بطىء يلقيه بطلها ادوارد فوكس مدرس اللغات التى يوقعه حظه فى ناظر مدرسة متسلط هو زميله جيمس جروت .

وفى مسرح الانجارد تبث مسرحية داريو فو الهزلية الضاحكة « لا استطيع الدفع .. ولن ادفع » .. ومسرحية بيتر شافير المستمرة النجاح « اماديوس » ومسرحية « تثقيف ريتا » التى انتجها ويلى روسل لحساب فرقة شكسبير الملكية وكلاهما « كاملة العدد » هذا العام الماضى ومستمرة فى اجتذاب الجمهور .

● صوت الموسيقى من جديد ●

وفى لندن ، تواصل المسرحيات الاستعراضية التى تعتمد على الرقص والغناء والموسيقى نجاحها الذى يستمر احيانا لسنوات طويلة ، خاصة « قطط وايفيتا » التى اشرنا اليها وهى عادة وافدة من برودواى فى امريكا مثل انهم يعزفون اغنيتنا « والمسرحية الشهيرة لرودجرز وهامرشتين » صوت الموسيقى « التى يعاد تقديمها من جديد وتمثل دور » ماريا « فيها المطربة الانجليزية ذات الشهرة العريضة باتولا كلارك ●

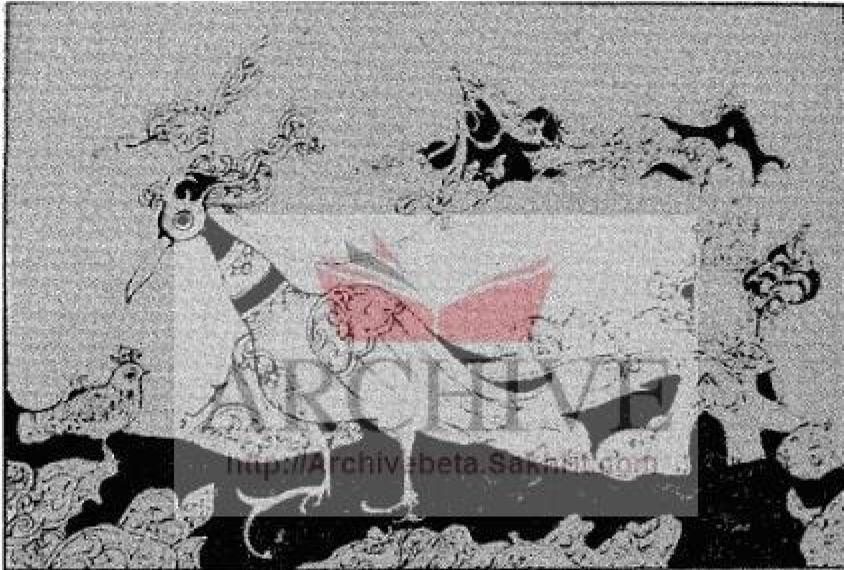
عبد النور خليل

حكايات من:

دار العلوم

من الوسيلة الأدبية إلى الأدب المقارن

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى



لما أنشأ على مبارك دار العلوم فى ربيع الثانى عام ١٢٨٨ هـ ٠٠ يولية ١٨٧١م ، للنهوض باللغة العربية وأدبها ، عنيت بدراسة الأدب ، وعهدت بتدريسه الشيخ الزهرى كفيف ، يحس الفرنسية ، ويقرأ بطريقة اللمس وتعلمها فى المدرسة التى أنشأها الخديو اسماعيل لتعليم العميان فى يناير عام ١٨٧٥ ، وهو الشيخ حسين المرصفى ، وبقى يدرس هذه المادة ثمانية عشر عاما ، الى ان توفى فى ٢٦ يناير ١٨٩٠ م ، وكان اسم المادة «العلوم العربية» ، وتشمل : النحو والصرف ، ورسم الحروف ، وحروف المعانى ، والعروض والقوافى ، والانشاء ، وعلم البلاغة ، وأدبيات اللغة ، والمنطق .



كانت طريقة المرصفي في [illegible] الأدب أن يأتي بالنص ، ويماثل [illegible] ، ويشير الى قائله ، مع تعريف [illegible] به وبعصره . وقد يتطرق الى مشهور من مشاهير الشعراء ليعين بيئته الادبية ، ويشير الى طبقات الشعراء حسب تاريخهم . وكان درسه ارهاصا بالطريقة التي سوف يسير عليها درس تاريخ الادب في المرحلة التالية . وألف لذلك كتابه : « الوسيلة الادبية الى العلوم العربية » ، وطبع اكثر من مرة . و « دليل المسترشد في فن الانشاء » ولا يزال مخطوطا .

وهو اقرب الى المبرد في كتابه « الكامل » ويعنى بالنحو ، ويستطرد اليه ما واتته الفرصة . ويروى عنه احد تلاميذه انه دخل الفصل اول السنة فسأل : من الاول ؟ . فرد عليه طالب يسمى الحناوي : انا . قال الشيخ : اعوذ بالله من قول انا ، ما اسمك ؟ ، فقال له : الحناوي . فأخذ الشيخ يسأل عن النسبة فيه : هل هي قياسية ام غير قياسية . ثم قال : الحناوي او الحنى ، نسبة الى الحنة . وشرع يتكلم عن نبات الحنة ، واثرها في الصناعة وتلوين الورق ، وفوائدها ، وغير ذلك ، وامضى اسبوعا كاملا في درس الحناء .

وخلفه في مكانه حمزة فتح الله ، المتوفى عام ١٣٣٦ هـ : ١٩١٨ م ، وينحدر من أصول مغربية ، ولد في الاسكندرية ، ودرس في الأزهر ، واصاب حظا عظيما

ورحل الى تونس ، وحرر هناك الرائد التونسي ، وعاد الى الاسكندرية وحرر فيها جريدة البرهان ، ومثل مصر في اكثر من مؤتمر علمي عالمي ، وعين في الالسن ، من بعد الثلاثة ، وله حظ من شعر ونثر ، ثم في دار العلوم ، وتولى بعدها رياسة تفتيش اللغة العربية . وألف كتاب « المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية » . ووصف طريقته في مقدمة كتابه :

« عمدت في علوم هذه اللغة الى تنسيق قلائده ، ونظم فوائده ، وضم شتيت ، وجمع مفترق ، وتقييد مطلق ، واصلاح خطأ ، وتكميل نقص ، غير مقيد بفن او علم من الفنون الادبية والعلوم العربية دون آخر ، بل انني استطرد الكلام في جميعها استطرادا ، واطلق من بنان البيان في ميادينه جوادا ، مع التحري ، وجودة الانتقاء في اختيار ما اتلوه من كتب او خطب ، او منظوم او منثور ، في ضروب شتى ، وانواع مختلفة من العلوم العربية » .

وكان في الدرس ، كما في التأليف ، يختار النص ويشرحه ، فاذا عرض له شاهد نحوي او بلاغي وقف عنده . وربما أورد سيرة صاحبه ، وقد يومئ الى الامثال القديمة او الاخبار السائرة المتصلة ، ولكن الكتاب كان خاليا من النقد الادبي .

الجديد في طريقة حسين المرصفي وحمزة فتح الله انهما تخطيا عصر التخلف الذي كان يظلهما ويعيشه الناس حولهما ،

حكايات من دار العلوم

وعادا الى عصور العربية الزاهية ، فجاء درسهما وتدريسهما جاريا فى جملته على الاساليب القديمة الرائعة ، كما نجدها فى الكامل،او الامالى،او البيان والتبيين .. وغيرها من كتب الادب الجامعة ، التى تاخذ من كل شىء بطرف ، فهى تجمع بين الشعر والنثر ، والملح والفكاهة ، والاخبار والامثال ، ولكن ايا منهما لم يقع على ما يجب ان يدرس عليه الادب ، فطرة وابتداعا او متابعة وتقليدا ، من بيان الخصائص الفنية ، وتفسير الاتجاهات الادبية ، وردها الى اسبابها ، طبيعية او اجتماعية او ثقافية .



تعود نشاة المناهج الحديثة فى تاريخ الادب ونقده ، فى مصر والعالم العربى اجمع ، الى رجل قلما يشير اليه الدارسون المحدثون ، وهو : حسن توفيق العدل ، وتخرج فى دار العلوم عام ١٨٨٧ م ، ثم ذهب الى المانيا ، وبقى فيها اعواما يدرس اللغة العربية فى جامعاتها ، وعاد وقد اتقن اللغة الالمانية ، والتقى عددا من مستشرقيها ، وربطته بهم صلات وثيقة ، حتى من غير الالمان ، والم بطريقتهم فى دراسة تاريخ الادب العربى ، وتاقت نفسه الى ان ينقل ما راى ، فاشار على صديقه محمد بك دياب المدرس بدار العلوم بان يضع فى تاريخ الادب العربى كتابا على النهج الذى راه فى المانيا ، فاستجاب لرغبته ، والف كتابا اسماه : « تاريخ اداب اللغة العربية » ، وصدر فى جزاين عام ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م ، وهو ، فيما اعلم ، اول من اتخذ هذه التسمية فى اللغة العربية ، وربما كان الاسم اقتراحا من حسن العدل نفسه ، لانه يطابق الاسم الذى اطلقه المستشرق الالمانى بروكلمان على كتابه .

وقد اوجز محمد بك دياب نهجه فى مقدمة كتابه : « شرحت فيه نشاة العلوم الادبية وسيرها فى مختلف العصور ، والكتب التى الفت فيها وازمانها ، وحياة مؤلفيها ، وذكرت فصولا من كل فن اقتضاها سير التاليف ، وغير ذلك » . ولكن الرجل وهو يبدا الخطوة الاولى على غير مثال راه ، لم يقع على تاريخ الادب كما نفهمه الان ، وكما يدرس فى الغرب على ايامه ، وانما ارخ لعلوم اللغة العربية فحسب ، وجاء كتابه فى صورة كتاب الفهرست لابن النديم ، مع التوسعة التى يتطلبها التاريخ لعصور تلت سابقه .

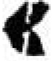
ويبدو ان حسن العدل لم يكن راضيا عن نهج صديقه كل الرضا ، فما ان عهد اليه نفسه بتدريس المادة فى دار العلوم عام ١٨٩٥ م حتى الف كتابا جديدا ، « حسن الترتيب ، منوع البحوث ، وادخل فى باب التاريخ الادبى » ، تناول فيه الادب من شعر ونثر منذ البداية حتى نهاية العصر الاموى ، وطبع هذا الكتاب على ايجازه عدة طبعات بمطبعة الصنائع ، وآخر طبعة له كانت عام ١٩٠٦ ، ولقيت



طريقته ، فيما يبدو ، استحسانا من الدارسين والمدرسين فى تلك الايام ، فاخذوا ينحون نحوه فى التدريس ، ويسيرون على هديه فى التاليف ، مع شيء من التفصيل او التعديل .

وهذا المنهج نلتقى به كاملا مستوفى فى كتاب الشيخ احمد الاسكندرى ، « تاريخ اداب اللغة العربية فى العصر العباسى » ، والفه لطلبة دار العلوم حين كان يتولى التدريس فيها ، وفى اروج كتب تاريخ الادب العربى على الاطلاق ، وهو : « الوسيط فى الادب العربى وتاريخه » .

وفى عام ١٩٠٨ م انشئت الجامعة المصرية الاهلية فوجهت عنايتها الى دراسة ادب اللغة العربية دراسة حرة غير مقيدة بمنهج وزارة المعارف ورسومها ، ولكى



تدفع بالدراسة الى الامام وتفيد من تقدمها فى الغرب ، استقدمت بعض المستشرقين للتدريس بهالى جانب النبهاء من المصريين ، فكان حفنى ناصف ، والشيخ محمد المهدى من بعده ، يدرسان الادب وشرحه ونقده ، وجويدى ، ثم نللينو وفييت من بعد ، يدرسون تاريخ الادب بمناهجهم الغربية الحديثة ، ويعلمون الطلاب كيف يبحثون ويقارنون ويستنبطون



حتى هذا التاريخ لم يكن احد فيها مصر .. وطبيعى ولا فى غيرها من العالم العربى ، يذكر الادب المقارن ، رغم ان الانظار كانت معلقة بالغرب لاقتباس المفيد فى تطوير الدراسة فى بلادنا ، وانه كان هناك فكرة جديدة ، يثور حولها الجدل ويحتدم الحوار،وتعقد المؤتمرات،ويبحث له العلماء عن هوية ، وحتى البعثاتالتى سوف نرسلها تجاهلت هذه المادة تماما .

لقد بدات الجامعة المصرية الاهلية ارسال بعثاتها الى الخارج فى العام المفتتح فيه ، وكان من بين طلابهالدراسة الفلسفة ، ومحمد توفيق الساوى لدراسة العلوم الانسانية منصور فهمى لدراسة الادبيات ، ومحمود عزمى لدراسة الاخلاق والسياسة والقانون ، وكلهم اتجهوا الى باريس ، وفى العام التالى ارسلت احمد ضيف ليدرس ادب اللغة الفرنسية ، وحصل على الدكتوراة ، كبقية زملائه ، وعاد الى مصر عام ١٩١٨ .

حكايات من دار العلوم

وكذلك ارسلت على احمد العناني الى برلين ليدرس تاريخ اللغة العربية واللغات السامية . وقد حصل على الدكتوراة وعين مدرسا في دار العلوم ، وكان اول عربي معاصر يؤلف في اللغات السامية كتابا

وبعد ذلك اوفدت الجامعة طه حسين ، في مايو عام ١٩١٤ ، الى مدينة مونبلييه في جنوب فرنسا ، قريبا من البحر الابيض وليدرس « العلوم التاريخية » ، ولكنه اضطر الى العودة بعد عام ، بسبب الازمة المالية التي تعرضت لها الجامعة ، ولكن طه تمكن من العودة ثانية الى فرنسا على نفقة السلطان حسين كامل ، بعد اسوأ ثلاثة شهور في حياته على حد تعبيره ، وفي هذه المرة سافر الى باريس ، حيث اكمل دراسته ، وحصل على دكتوراة الجامعة من قسم التاريخ في جامعة السوربون عام ١٩١٨ ، وبقي هناك عاما ، ثم عاد الى مصر ، وعهد اليه عام ١٩٢٠ بتدريس مادة التاريخ القديم في كلية الاداب ، واستمر يحاضر في هذه المادة حتى عام ١٩٢٥ حين تحولت الجامعة الاهلية الى رسمية .

ويقف الباحث هنا امام عدة ظواهر :

ان الدكتور على العناني والدكتور احمد ضيف ارسلا لدراسة تاريخ الادب ، واتجه الاول الى برلين وكان حظهما من العناية بالادب محدودا في تلك الفترة ، واتجه الثاني الى باريس وكانت يومها مركز الدراسات المقارنة ، وفيها الاعلام منهم ، وان طه حسين اتجه الى مونبلييه اولا . ثم باريس من بعد ، وان دراسته كانت تاريخية ، وبدهي الا يلقى اذ ذاك بالا الى الحوار الصاخب الذى كان يدور حول الادب المقارن اذ ذاك .

ولكن ما الذى جعل الدكتور احمد ضيف لا يعرض لهذا الادب ابدا ، لا داعيا مبشرا ، ولا كاتبا معرفا ، رغم انه كان يجيد الفرنسية ، وفيها كتب رواية جيدة ، ذائعة في الادب الفرنسي ، وان كنا في مصر لا نأتي لهما على خبر ، وهي : « الشيخ منصور » ؟ .

يمكن القول ان الدكتور احمد ضيف امضى الاعوام الاخيرة من حياته ، بعد عودته ، زاهدا ، فقد ارسل ليدرس تاريخ الادب ، وتخصص فيه ، وحصل على ارقى شهاداته ، وقدم لنا مؤلفين جيدين ، هما : « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » ، والثاني : « بلاغة العرب في الاندلس » ، وهو فيهما يستخدم مصطلح « بلاغة » بدل « ادب » ، وكلاهما لم يفقد جدته بعد رغم مضى اكثر من نصف قرن من الزمان على تاليفهما ، ثم وجد نفسه ضحية مؤامرة دبرت بليل ، اسهمت فيها عناصر عديدة ، بعضهم اجانب ليسوا فوق مستوى الشبهات ، اخرجته من مكانه وتخصصه استاذا للادب حين ضمت الجامعة الى الحكومة ، واحلت مكانه



د . غنيمي — منصور فهمي

الدكتور طه حسين ، ولم يكن قبلها يدرس الادب ولا تخصص فيه ، وانما كانت محاضراته عن التاريخ اليوناني والشرق الاوسط في العصر القديم .

ومع هذه المعادلة التي بها الف وكتب ، ووقف عند الحد الضروري من نشاطه استاذا وكاتبا . ولكنها قد لا تكون كافية وحدها في تفسير هذا الموقف ، لاننا نجد الدكتور منصور فهمي يمارس الكتابة الادبية ، ولكنه لا يتعرض لهذا المسلم الجديد .

ربما كان المناخ السائد يومها في مصر، من روح قومي عنيف ، ووطنية غالية متشددة ، يعمل الكل على الحفاظ عليها قوية حارة ، لمقاومة الاستعمار البريطاني الغاشم، والاعتداد بالتاريخ ، والماضي والعوائد ، لا تجعل المجال ممهدا لمسلم يدعو الى العالمية ، والى التخفف من غلواء القومية ، ويدرس ماذا اخذ الاخرون منا، وماذا اعطوا .



وربما لان هؤلاء الفتية العائدين كانوا يفتقدون روح المغامرة ، فهم درسوا ما ارسلوا له ، ويتحركون في نطاقه ، ويعملون في حدود المناهج المقررة ،وشغلوا انفسهم بالصراع الذى كان يملأ الساحة الادبية ، عنيفا صاخبا ، حول الجديد والقديم ، والتراث والمعاصرة ، والفرعونية والعروبة ، والخلافة والعلمانية ، او آثروا السلامة بعيدا عن اولئك وهؤلاء . ويمكن ان نستثني من بينهم طه حسين ، فقد كان المغامرة نفسها مجسمة .

ومهما يكن من امر فقد انشغلت الحياة الادبية في الثلاثينات بقضايا جوهرية تتصل بتجديد الادب ، شعرا ونثرا ، وتطويره مفهوما وبناء ، ولا يكاد احد يعرض لمصطلح الادب المقارن . فاذا اقتربنا من نهاية العقد الرابع من هذا القرن ، نجد المصطلح يتردد على لسان الشاعر فخرى ابو السعود ، وقد تخرج في المعلمين العليا عام ١٩٣١ ، واشتغل اياما بالصحافة ، ثم مدرسا بالتعليم الحر ، وفي عام ١٩٣٢ نجح في مسابقة اجرتها وزارة المعارف ، لاختيار عضوين في بعثة ، لدراسة اللغة الانجليزية في اكستر ، وعاد بعد عامين ليعمل مدرسا في العباسية الثانوية ، ثم الرمل الثانوية بعدها ، في مدينة الاسكندرية ، لينتحر عام ١٩٤٠ وهو في الثلاثين من عمره ●

في العدد القادم :
حكاية فخرى ابو السعود وزملائه





٢٣ عاماً على رحيل

المازني

بقلم: أحمد زكي عبد الحليم

... والتقى المتناقضان في شخصيته، فهو ساخر من الحياة، متعلق بأذيالها!

في يوم ١٠ اغسطس ، يكون قد انقضى ثلاثة وثلاثون عاما على رحيل كاتبنا الكبير الساخر ابراهيم عبد القادر المازني . فقد رحل عن هذه الدنيا يوم ١٠ اغسطس ١٩٤٩ . وكان هذا التاريخ هو اول يوم في عمره بعد بلوغه سن الستين اي انه قطع من عامه الواحد والستين يوما واحدا ، وتلك واحدة من سخريات الاقدار في حياة المازني ، ذلك الساخر الذي عبثت به الحياة فاشبعها سخريه !

والحقيقة ان الكتابة عن المازني لها جوانب متعددة ، ولها روافد كثيرة . فقد كان شاعرا ، واديبا ، وصحفيا ، وقصاصا ، وناقدا ، وروائيا . وقد اعطى في كل هذه الجوانب ما يحتاج الى دراسة وبحث وتاصيل ، وما يتطلب ان تلقى عليه الاضواء امام اعين الاجيال الادبية الصاعدة .

لكنني اعتقد ان قصة حياة المازني نفسها تحتاج اولا الى هذه الاضواء ، لنتعرف على الظروف التي نشأ فيها الرجل ، ولندرك المؤثرات التي اثرت عليه نفسيا والتي دفعت به من هذا الجانب الى ذاك . وعلى ضوء هذه الظروف وتلك المؤثرات ، يمكن ان نتناول فيما بعد ادب المازني وتعدد جوانب هذا الادب او تعدد مواهب هذا الاديب .

لقد ولد المازني يوم ٩ اغسطس ١٨٨٩ في حي الامام الشافعي بالقاهرة . وهو ذلك الحي الذي يقع على مقربة من المقابر في ذلك الحين ، والذي راى فيه فلسفة الحياة في الموت الذي يطوى الناس تباعا .

وكانت دهشته الكبرى ، وهو مازال صغيرا ، ان هذا الموت يمكن ان يمتد الى الزهور الصغيرة . وقد عبر عن هذه الدهشة عندما ماتت ابنة خادمتهم الصغيرة ، ثم تحولت هذه الدهشة الطفولية الى سخرية لاذعة بعد ان كبر ونضج .

ولقد ابى الموت الا ان يترك بصمته الواضحة على نفسية ابراهيم عبد القادر المازني ، عندما اختطف والده وهو مازال في التاسعة من عمره . وكان على الام ان تحمل العبء كله وبخاصة بعد ان استولى اخ له غير شقيق على الميراث ، فعرف المازني في وقت واحد : مرارة اليتم وقسوة الحرمان !

وقد التحق ابراهيم عبد القادر المازني بالمدرسة الناصرية ، ثم انتقل الى المدرسة الخديوية . وبعد ان انتهى من دراسته الثانوية ، رغب في دراسة الطب ، والتحق فعلا بمدرسة الطب ، ولكنه ماكاد يدخل المشرحة حتى سقط مغشيا عليه . وبطبيعة الحال كان هذا اليوم هو آخر يوم في العلاقة بينه وبين دراسة الطب .

هذا حلم تسرب من بين اصابع المازني . وكان هناك حلم آخر . فقد كانت مدرسة الحقوق في ذلك الوقت هي الحلم الكبير الذي يداعب خيال الشبان ، باعتبار انها المدرسة التي يتخرج فيها الزعماء والخطباء والمشاهير . ولكن الظروف المادية التي كانت فيها اسرته ، قد حالت بينه وبين الالتحاق بمدرسة الحقوق التي كانت تتقاضى مصاريف باهظة في ذلك الوقت ، فلم يكن امامه الا ان يلتحق بمدرسة المعلمين .

وفي عام ١٩٠٩ ، وكان دون العشرين من عمره ، تخرج ابراهيم عبد القادر المازني في مدرسة المعلمين ، وعين مدرسا للترجمة في المدرسة السعيدية . وكان ضئيل الحجم صغير السن ، فخشي ان يؤثر ذلك على احترام التلاميذ له ، فاكتسى بالجدية والصرامة ، حتى يستطيع ان يسيطر على تلاميذ بعضهم يفوقه عمرا وحجما . وعلى الجانب الاخر فقد كان على المازني ان يتولى شئون امه واخوته . وان يحمل الرسالة الملقاة على عاتقه بعد ان اصبح رب الاسرة .



المازني

وكان من حصاد هذا وذاك ان المازني لم يعرف انطلاقة الشباب ولهوه وعبثه . وانه كان عليه ان يبدو كبيرا ، وقورا ، صارما في كل الاوقات .

وكانما لم يكن يكفي المازني ماهو فيه ، فاذا به في عام ١٩١٣ يصاب بكسر في ساقه . وشاءت الاقدار ان يتم علاج هذا الكسر خطأ ، فتسبب ذلك في عاهة مستديمة لازمته مدى حياته . وقد اثرت هذه العاهة على حالته النفسية ، فانصرف الى القراءة والكتابة معتزلا الحياة والناس الى حد كبير .

وفي ذلك الحين ، كتب المازني مقالا انتقد فيه الشاعر حافظ ابراهيم . وكان حافظ على علاقة طيبة بوزير المعارف في ذلك الوقت ، فاوعز اليه أن ينقله . ورد المازني على قرار النقل بتقديم استقالته من وزارة المعارف كلها ، وكان ذلك في عام ١٩١٤ .

كان المازني يتصور انه يستطيع ان يملك اقداره . ولكن ظروف الحياة كانت اقوى منه ، وبخاصة تلك الظروف التى نتجت عن الحرب العالمية الاولى . وبذلك لم يكن امامه من سبيل الا أن يعمل بالتدريس في المدارس الاهلية . وقد ظل كذلك حتى قامت ثورة ١٩١٩ ، واصبح المازني عاطلا عن العمل . ولم يكن امامه الا ان يضحي بمكتبته ـ التي كانت على حد تعبيره ـ أعز عليه من نفسه . ولكنه امام الحاح لقمة العيش ، كان لابد أن يضحي بها ليواجه مسئولياته نحو اسرته .

وكان المازني منذ استقالته من وزارة المعارف يحاول بين الحين والاخر أن يكتب في الصحافة ، وان كان قد بدأ نشاطا ادبيا قبل ذلك ، وبالتحديد في عام ١٩٠٩ حيث كان يكتب في جريدة « مصر الفتاة » التي كان يصدرها «ابوبكر لطفي المنفلوطي» .

.. ولكنه لم يصبح صحفيا محترفا الا في اتون ثورة ١٩١٩ ، حيث برز ضمن الكتاب السياسيين في ذلك الوقت ، وكانت له تحليلات سياسية رائعة .

وقبل ان يبرز المازني كاتبا سياسيا ، كان قد اشتهر شاعرا وناقدا . وجاءت الثورة لتضمه في عداد الصحفيين المعروفين . وعندئذ تصور ان الدنيا قد دانت له ، وانها قد انهت مابينه وبينها من عداوة بدأت منذ طفولته ولكنه لم يلبث ان فجع بفقد زوجته الاولى عام ١٩٢١ .

كانت هذه الزوجة قد عاشت معه احد عشر عاما . وكانت حبيبة الى قلبه . عزيزة على نفسه ، اثيرة لوجدانه . ثم فجأة أصابها المرض . ولم تلبث الا اياما قليلة ذهبت بعدها للقاء ربها .

ويقول شقيقه الاستاذ أحمد المازني : « توفيت زوجته الاولى التي عاشرها احد عشر عاما ، لم يفتر خلالها الحب والتقدير والاحترام بينهما ، بل ان حبهما قد اشتهر في السنوات الاخيرة من حياتهما ، فكانت وفاتها الفجائية صدمة عنيفة اهتز من الرها كيانه ، بل لا اغلو اذا قلت انها كانت نقطة تحول في حياته وفي تفكيره » .

ولقد كتب في رثاء زوجته الكثير من الشعر والنثر . ومنذ وفاتها ، تطور تفكيره وازداد عمقا ، وراح ذهنه الخصب ينقل في مسالك الحياة ويتعمق في دروبها ، حتى وصل الى النتيجة التي اثبتها في قوله «الحياة عبث وباطل ليس يجدى » .

ومنذ ذلك الحين ، التقى المتناقضان في شخصية الكاتب ابراهيم عبدالقادر المازني . فهو ساخر لاذع مستخف بالحياة ، وهو محب لها متعلق بأذيالها ! .. وكان من نتاج هذا التناقض ماقدمه للمكتبة العربية من صور ساخرة تكشف حقيقة الحياة ، وتجعل

الناس يرونها كما هي دون أن تخدعهم وتغريهم، ودون أن تقعد بهم وتقصيهم.

وقد ارتبط المازني بصداقة أدبية عميقة مع العملاق الراحل عباس محمود العقاد ومع الشاعر عبد الرحمن شكري. وقد اسس الثلاثة مدرسة الديوان في الشعر، وهي التي تهتم بالمعنى وتنادي بوحدة القصيدة. ومن اجل ذلك كانت لهم معارك مع امير الشعراء احمد شوقي وشاعر النيل حافظ ابراهيم وغيرهما من الشعراء التقليديين.

والحقيقة أن لقاء المازني مع العقاد كان له اثر كبير في تحول المازني من التدريس الى الصحافة، وذلك منذ كان اللقاء الاول بينهما عام ١٩١٨. فقد أتاح له العقاد أن يلتحق بجريدة وادي النيل كاتبا ومترجما ثم قامت ثورة ١٩١٩ فكان مع العقاد من فرسان المنشورات السرية، وهي المنشورات التي دخل بسببها العقاد السجن لانه كان معروفا في مجال الكتابة السياسية في ذلك الوقت، بينما لم يلتفت احد الى الدور الخطير الذي كان يلعبه المازني في مجال هذه المنشورات، لانه كان معروفا كناقد وشاعر ومترجم، بعيدا عن مجال الكتابة السياسية.

وقد تنقل المازني بين كثير من الجرائد والمجلات، الى ان استقر خلال اعوامه الاخيرة في دار اخبار اليوم. وكان المعروف عن المازني في كل الجرائد والمجلات التي عمل بها، انه الفارس المنقذ. فقد كان على استعداد دائم لان يملأ اية مساحة خالية في الجريدة او المجلة، وبخاصة انه صاحب موهبة في اكثر من فن. ولذلك كان يكتب المقال السياسي والترجمات والقصص ومقالات الحياة اليومية والخواطر.

واذا كانت ظروف الحياة قد فرضت على المازني أن يعطي جانبا كبيرا من هذه الحياة وتلك الامكانيات للعمل في الصحافة، فان المازني الذي دخل الصحافة من باب الادب قد ترك ثروة ضخمة من المؤلفات الادبية، وفي مقدمة ذلك انتاجه في فن القصة والرواية.. واشهر هذه المؤلفات: ابراهيم الكاتب.. وابراهيم الثاني.. وثلاثة رجال وامرأة.. وعود على بدء.. وميدو وشركاه.

كذلك فقد ترك لنا المازني كتبا اخرى، مثل: حصاد الهشيم.. وقبض الريح.. وصندوق الدنيا.. وخيوط العنكبوت.. وعلى الماشي.. وبشار بن برد.

والمعروف ان المازني قد ترك حوالى ثلاثين مؤلفا ادبيا، فضلا عن انتاجه الصحفي على مدى ثلاثين عاما كاملة.

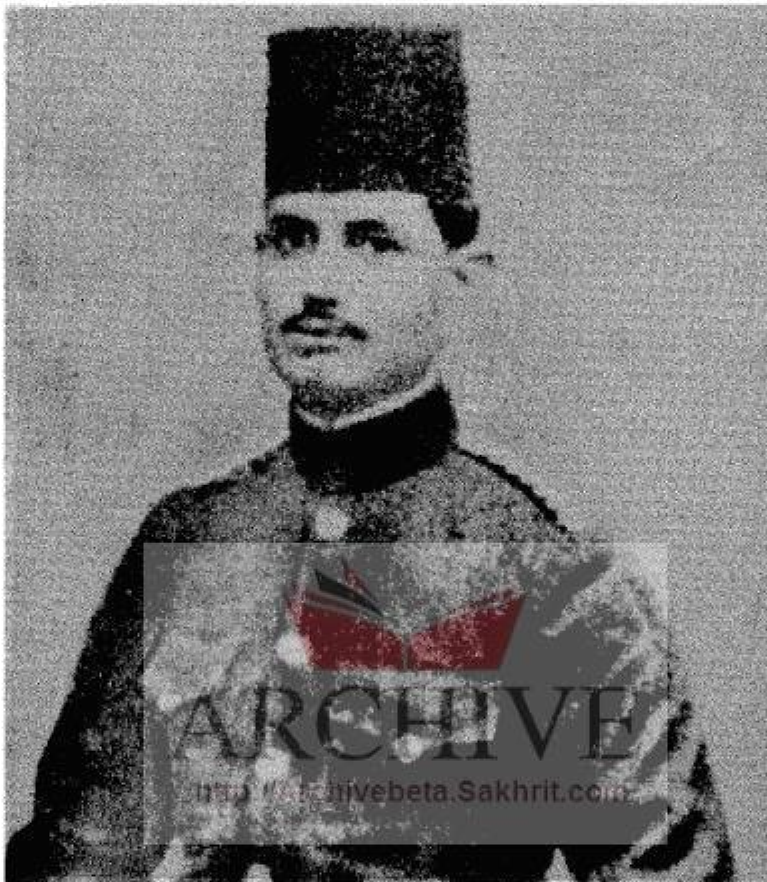
هذا هو المازني الذي رثاه صديقه العقاد بقصيدة طويلة، جاء فيها:

وقالوا المازني قضى فضلت
مقاصد قومهم او ضل رشدي
كان حديث ما زعموا خيال
بعيد في الحقيقة اى بعد
صحبنا العمر عاما بعد عام
على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهد مني ومنه
وبين تبسط هنا وجد
ونحن في المشيبة ملتقانا
اذا ذهب النهار بكل جهد
راينا كل صادعة فزالت
ايصدع ما راينا شق لحد

وفي النهاية يودع العقاد صديق عمره، فيقول:

سلاما ايها الدنيا سلاما
لانت احب لو ما عاش بعدي

وسلاما ايها الدنيا سلاما على ابراهيم عبد القادر المازني، الذي عرف حقيقة الحياة فاشبعنا سخرية منها، بعد ان شبعت عبثا به!! ●



عبد الحليم المصرى

وأحلام السيف والقلم

بقلم : علاء الدين وحيد

حلم رب السيف والقلم في ميدان القتال

● كان محمود سامى البارودى ، القدوة بالنسبة الى اجيال ادبية شابة كثيرة جاءت بعده .. تطلع اصحابها الى أن يكون الشاعر منهم بالذات هو الاخر .. « رب السيف والقلم » .. اى ضابطا واديبا فى وقت واحد ! وهكذا سار على نفس الدرب العسكرى والادبى ، حافظ ابراهيم وعبد الحليم المصرى وغيرهما . وقد ظهرت مواهب المصرى « ١٦ مايو ١٨٨٧ – ٢ يولية ١٩٢٢ » ، منذ وقت مبكر ، حتى انه وهو تلميذ صغير فى المدرسة المحمدية كما يقول دكتور محمد صبرى ، « كان حينذاك لشدة شغفه بالشعر ينظم فى بعض الاحيان موضوع الانشاء الذى كان يكلف بادائه فى المدرسة فغضب استاذه وعد ذلك عملا خارجا عن حدود اللياقة ، فما كان من صاحب الترجمة الا ان انقطع عن المدرسة نحو عشرين يوما » ! « شعراء العصر » – ج١ – ص ٢٢٤ » .

ولم يكن اعجاب عبد الحليم المصرى الكبير ، منذ صباه وشبابه بالبارودى ، يرجع فحسب الى أن الثانى باعث النهضة الشعرية فى العصر الحديث ، يستوعب فى آهابه عالم الحرب والشعر ، بل لان قصائده حوت الكثير من « ضروب الشجاعة والاقدام ، ومن الاشارة بمجد العرب والاسلام » . « محمد مصطفى الماحى – خمسة من شعراء الوطنية » – ج ١ – ص ٢١٧ » . وهذا المنهج نفسه انعكس بشكل قوى فى شعر المصرى .. فبالرغم من ان صاحبنا لم يدخل حربا ولم يشارك فى معركة الا أن نبض ابياته التى قالها على لسانه ، فى الحماسة والتفخر والبطولة ، تكاد تشى باسهام شاعرها فى المعارك الحربية الجسام !

يقول المصرى فى هذا المجال :

على حدها رزق الطيور مقدر
وفى صدرها سر القضاء محجب
فما الطير الا تحتها البيض شرع
وما البيض الا فوقها الطير تتعب

ولقد ظل الشاعر الشاب طوال عمره القصير « ٣٥ سنة » .. يتلهف على تحقيق احلام صباه ، ويرنو الى تجسيدها .. بعصبية فى كثير من الاحيان . ولكن القدر لم يستجب بالسرعة التى املها صاحبنا .

ويعين عبد الحليم المصرى فى السودان فى سنة ١٩٠٦ ، بعد تخرجه فى المدرسة الحربية ملازما .. بالاورطة السادسة عشرة المشاة فى كسلا .. ويظن انه سيجد هناك ، موطن بطولاته الاولى التى تمكنه من ان يكون رب « السيف » . ولكن تكوينه الفنى – اغلب الظن – افسد عليه امره . وجعله يشكو . ويضيع وقته فى استحضار ذكرياته فى القاهرة ، ويحطم اعصابه فى الشوق الى وطنه فى شمال الوادى . ومن الطريف ان هذا القلق والحنين واللهفة على الرجوع الى بلده ، لم تبدأ بعد وصوله الى السودان ، بل قبل أن يركب القطار من القاهرة !

سألتنى حتى يكون الرحيل
ان دمعى على الرحيل دليل
رب حال تكون خير جواب
وسؤال جوابه التعليل
اذا ذكرت مصر تسابق خاطرى
دموعى ، ودمع النازحين سخين



عبد الحليم المصرى

ويستمر المصرى فى شكواه ، متجاهلا، مؤقتا أحلام البطولة والحرب ! ومع ان شاعرنا قضى فى السودان ، عامين اثنين فقط ، الا أنه كما يقول عبد الفتاح ابراهيم « نظم خلالهما من شعر الشكوى ماتخاله لكثرته قد قيل فى عشرات الاعوام » .

لقد نظم عبد الحليم حلمى المصرى ، وهو اسم شاعرنا كاملا ، أول مانظم كما يقول عبد الفتاح ابراهيم فى كتابه « شعراؤنا الضباط » : « فى الفخر واكثر من ذكر العلم والسيف ، على ان صاحبنا وان لم يقل ان الخيل والليل والبيداء تعرفه ، ولم يذكر الصلة الوثيقة التى تربطه بالسيف والقرطاس فاخرا بسيفه وقلمه ، فانه اعتز بادبه ووثق من فروسيته فى اسراف غير مقبول ، والا فما بالك برجل لم يشهد الصراع الا فى الصور التى تلقن له فى المدرسة ولا يستطيع أن يصول بسيفه الا وسط الجدران الاربعة التى تحيط بفراشه ومع ذلك يقول من قصيدة غير طويلة :

الم تهزك اشعارى ولى قلم
اذا جرى هز تيجان السلاطين
وصارم فى الوغى لوهجته انبعثت
له المقادير بين الكاف والنون

« ويزعم الكثيرون أن هذه القصيدة اول ماقال عبد الحليم من الشعر وان كان قد عاد فاقتطع بيتيه اللذين تمثلنا بهما هنا وانشدهما فى نونيته التى جاء مطلعها :

لاترشدينى وخلى الشوق يهدينى
لعل يدنيهمو ما كان يقصينى

« ولكنى لا اعتقد ان هذه بداية شاعر» بل هى صرخة شاعر فحل قد اكثر من الصياح » . « ابولو — ديسمبر ١٩٣٤ — ص ٤٧١ — ٤٧٢ » .

ولا ريب أن عبد الحليم المصرى ، كان أكثر عشقا للحياة العسكرية ، ولعالم الضباط من حافظ ابراهيم الفنان البوهيمى وعبد الحليم بذلك أكثر اقترابا من تكوين محمود سامى البارودى . ولذلك كان احد بواعث لهفة المصرى على الاتصال بالقصر الخديوى ، لا أن يكون فحسب شاعرا لامير .. بل أن يكون أيضا ضابطا فى حرسه الخاص !

مع أن الحياة التى عاشها شاعرنا ، باعدت منذ البداية بينه وبين الحرب .. الا ان روحه ظلت حتى نهاية حياته القصيرة ، تتطلع بلا اطمئنان بعد ان انتهت عهود الحروب والثورات ، فى ايام محمد على واسماعيل وتوفيق ... الى المساهمة فى القتال وتجسيد الفروسية. ولكن حادثا هاما يقع خارج الحدود ، يبعث الدماء حارة فى عروق عبد الحليم المصرى .. ويلوح له بامكان تحقيق الامل الساحر ! هذا الحادث هو الحرب الايطالية الطرابلسية سنة ١٩١١ ..

« بعد أن رأت ايطاليا تقسيم انجلترا وفرنسا لافريقية واستئثار كل منهما بممالك وبلدان طويلة عريضة واحتلال فرنسا للمغرب واعطاء قسم منه لاسبانيا اسكاتا لها من الاعتراض قامت فطالبت فرنسا وانجلترا بحصة لها فى افريقيا واقترحت ان تتركا لها من طرابلس الغرب وبرقة وتم الاتفاق على ذلك بين هذه الدول الثلاث سرا . وبعد ذلك هاجمت ايطاليا طرابلس الغرب بغتة بدون أدنى سبب سوى أن فرنسا وانجلترا تقاسمتا افريقيا وانها هى ايطاليا دولة كبيرة فلا يمكنها ان تبقى بدون حصة من هذه القارة .





سامى البارودى

ولما هاجمت ايطاليا طرابلس الغرب ابلغت تركيا انها ان رضيت ان تتخلى عن طرابلس وبرقة تعوض عليها بعض تعويضات مالية وتبقى للسلطان العثمانى السيادة الدينية . ولكن العالم الاسلامى يومئذ ثار ثائرة لهذا الاعتداء الفظيع واضطر الدولة « العثمانية » الى المقاومة . نعم انه لم يكن للدولة قوة فى طرابلس اكثر من اربعة الاف عسكرى على حين ان ايطاليا جهزت لاحتلال ذلك القطر مائة الف عسكرى الا ان الاهالى ثاروا باجمعهم وراى الباب العالى انهم قوة قادرة على مقاومة الطليان فامدهم بما امكن من الاسلحة وجاء انور متنكرا ودخل الجبل الاخضر من الحدود المصرية وجاء على فتحى ودخل طرابلس من الحدود التونسية . وكان بلغ أهالى مصر وتونس استعداد اهالى طرابلس وبرقة للحرب فارسلوا اليهم بالارزاق وامدوهم بما امكن من الاموال وكانت الحمية الاسلامية فى ذلك الوقت غير ما آلت اليه بعد الحرب الكبرى فرات ايطاليا وراى العالم الاوربى كله من مقاومة الطرابلسيين مالم يخطر لهم على بال . ولقد كانت ايطاليا تعتقد أن احتلالها لذينك القطرين يتم فى خمسة عشر يوما . واتذكر أنى قرات بيانات للورد كتشنر أن هذا الاحتلال أصعب مما يظنون وأنه قد ياخذ مدة ثلاثة اشهر .. فكان من مقاومة الطرابلسيين ان استمرت الحرب بينهم وبين ايطاليا عشرين سنة تامة بدلا من ثلاثة اشهر ولم تنقطع الا فى السنة الماضية بعد اسر الشهيد عمر المختار » . « الامير شكيب ارسلان ـ هامش « حاضر العالم الاسلامى » للوثروب ستودار ، ترجمة عجاج نويهض ـ ج ١ ـ ٢ ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ » .

ويشتعل المسلمون غضبا فى كل بقاع العالم ، وفى مقدمتهم الشعراء والكتاب على الغرب ومايكن من عداء وحقد وتسلط على البلاد العربية . وتبلغ الثورة ببعض الشعراء ، ان يكتب سواء اكان مسلما ام مسيحيا .. أكثر من قصيدة عنيفة ، يندد بها بالحرب الصليبية الجديدة .. مثل احمد محرم « ثمان قصائد » ، وخليل مطران « أربع قصائد » ، ومحمد عبد المطلب « قصيدتان » .

واذا كان هذا موقف الفنان الاصيل الملتزم بمسئوليته ازاء قضايا شعبه ودينه .. فما بالنا اذا كان تكوين هذا الفنان متصل اصلا بالحرب ومعدلها ويتحرق شوقا الى خوض غمارها ، مثل عبدالحليم المصرى ! وهكذا يسارع شاعرنا الى المشاركة ، فيكتب ثلاث قصائد تتسم ابياتها بمعنى اخر ، لعلنا لا نجده فى غيرها . وهو يكون مايتنفس الشاعر ويستروح . اذا كان ضابطا فى القراب

عبد الحليم المصرى

المسلحة .. صناعته التي يحبها وحرم من مزاولتها الحقيقية في ميدان القتال وقد كشف هذا الاحساس في اعماق المصرى انه كان في ذلك الوقت بالذات يعاني اشد المعاناة من طموحاته ، ويلقى الفشل بعد الفشل في محاولاته حتى انه يبغض مقامه في مصر ، كما ابغضه قبلا في السودان . ويجد الشاعر الخلاص في ان يترك القاهرة التي لم .. عله يجد مساهمة في القتال الدائر تعترف بنبوغه وتقدر موهبته ، الى طرابلس مايحقق له حلم « رب السيف والقلم »

ومع انه لم يفعل .. ربما بسبب الوقف العدائي للحكومة المصرية اسما الانجليزية روحا وفعلا ازاء المقاومة الطرابلسية ضد الاحتلال الايطالي هذا الوقف الذي يتفق مع التعصب الاوربي ضد العرب ويختفي خلف اعمال المحتل البريطاني وعملائه من ناحية ومع المؤامرة السورية بين انجلترا وفرنسا وايطاليا ضد الخليفة العثماني وطرابلس التي كانت تحت حكمه من ناحية اخرى . وفي ذلك الحين كانت سياسة الوفاق سائدة بين الخديو عباس حلمي وبين المعتمد البريطاني . ولذا اتخذ الخديو نفس الوقف العدائي للجانب العربي ، بينما الشعب المصري على طرف نقيض ، وربما ايضا لان عبد الحليم المصري لم يكن مغامرا بدرجة كافية تجعله يقتحم الاخطار اقتحاما فينضم الى المتطوعين المصريين والعرب على غير ارادة الحاكم ، الذين تسللوا عبر الحدود المصرية الى ليبيا .



حافظ ابراهيم

وسواء كانت العلة هذه أم تلك ، فان بعض القصائد التي نظمها شاعرنا عن الحرب الايطالية الطرابلسية ، حملت تحليقه الى افاق ميدانها واللهفة على المشاركة في معاركها . تعبر احدى قصائده عن ذلك ومطلعها :

بالسيف بالرمح بالقرطاس بالقلم
صونوا حمى الملك واحموا حوزة العلم

ويقول فيها :

فيم الاقامة في مصر وتلك ربى
يضيق فيهن صدر الرحب بالرحم
سيفي ، جوادي نجادي عدتي ، زردي
قلبي ثيابي . اناتي سطوتي ، هممي
لا حبذا رقدة بالنيل ناعمة
وحبذا وقفة بالجيش من امم
لا خير في العيش يطويه الفتى الما
كم فرج الموت عن نفسي من الالم
استودع الله اهلي في كنانته
مستقصيا عنهم مستوصيا بهم

وفي قصيدة اخرى ، يدعو عبد الحليم المصري الشعوب العربية والاسلامية ، الى الجهاد ونصرة اخوانهم في طرابلس الغرب ..

سلام الله يا دار السلام
ليخمد فيك ملتهب الضرام
فسيف الله فى كف الامام
وجند نبيه ملء الاكام

ولقد ظل عبد الحليم المصرى ، يربط طوال عمره ، فى حياته وفكره ، بين السيف والقلم . وعندما يئس تماما من دور فى عالم الجندية ، واضطر آسفا الى التنازل المرير عن احد حلميه .. لم يملك الا الاعتراف بذلك .

اغمدت سيفى لا كرها ولا فرقا
وابتعته بيراع غير معمود

ولعل طموح عبد الحليم المصرى الذى سد عليه المنافذ .. بجانب تركيبة المجتمع المصرى وقتها ــ وللاسف لا تزال ــ التى تقيس الاشياء بمقياس غيرموضوعى فى تقدير المواهب .. اذ لا يكفى فى اغلب الاحيان ان يكون المرء صاحب موهبة وبجيد عمله او فنه ليحظى بحقه .. بل لابد له من « واسطة » او « ظهر » يحميه .. لعل هذه التركيبة هى المسئولة عن عدم وصول فناننا ، الى مايستحقه من منصب او مكانة . ولم يكن المصرى من الصنف القنوع الذى يكتفى بما لديه او وصل اليه .. او الحكيم ، الذى تساوى عنده .. تحققت امانيه او لم تتحقق ، بل كان شديد اللهفة على ان يصل بموهبته الى ماوصل اليه كبار الشعراء ، من مجد وشهرة وثراء . مما جعله يتنازل عن كثير من كبريائه ، ويلح ويتوسل ، ويصطنع العلاقات لتنيله ماربه فاذا لم تفعل ، اسرع بالغضب على اصحابها ومهاجمتهم ! كما صنع مع احمد شوقى فى حادث مشهور ، وصل الى الحاكم ! بعد ان كتب المصرى قصيدته،



التى آذاك فيها الخديو عباس حلمى وشاعره شوقى .. وهو يرمز الى الاول بابن الخصيب ، والى الثانى بابن هانى؛! وكان من شهود الاثبات حافظ ابراهيم ، ومحمد المويلحى ، ومحمود طاهر حقى، وحفنى ناصف ، ومحمد ابو شادى !
ولكن القضاء براه !
وينعكس هذا الاخفاق فى شعره ، فيقول المصرى فى احدى قصائده :

قالوا اشتكى الدهر وقد اسبغت
عليه كف الدهر رهو السحاب
والدهر لم يترك لنا بينهما
الا غنى النفس ثبت الجناب
لو أنصفتنى امتى بينها
لابصرت لى كل يوم كتاب
فرحمة الله على شاعر
قضى ولم يقض حقوق الشباب

ويخاطب عمره فى قصيدة اخرى .. شاكيا :

يا عمر اخشى أن تطو
ل وان يكون العيش مرا
فاتح لعينى أن ترا
جع فى الشبيبة منك سفرا
حتى ارى ما خط فى
صفحاته خيرا وشرا
فاذا وجدت الخير ار
جع من اخيه حفرت قبرا
ما احسن الدنيا اذا
صدقت لنا خبرا وخبرا

ويقول فى موضع ثالث :

قضت على املى الايام وانصرفت
فما عسانى من الايام انتظر

عبد الحليم المصرى

كأنما فرغت لى الحادثات ولم تجد سواى لها فى نفسه وطر

ومن الطريف ، ان الايام هادنت عبد الحليم المصرى ، بعد طول جفاء . وحققت له أمله الاكبر ، أن يتصل بالقصر الحاكم .. وأن يكون بشكل ما شاعر الامير ، كما كان شوقى . وذلك عندما قامت الحرب العالمية الاولى ، وعزل الخديو عباس الثانى .. وعين السلطان حسين كامل حاكما على مصر . فقد كان ناظر الخاصة السلطانية وهو محمد فهمى باشا ، صديقا للادباء .. فساعده بان أعاده الى وظيفته فى ديوان الاوقاف ، التى فصل منها اثر قضية شاعرنا مع شوقى . كما يسر له الاتصال بالقصر ، فارتاح البال وهدأ الخاطر واقبلت الدنيا واستمر ذلك حوالى سبع سنوات .

وقد كتب المصرى ، فى الكثير من القضايا والمجالات .

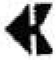
ومن اشهر الاعمال التى كتبها شاعرنا، وتستوجب اتجاهه الاسلامى المعروف .. « بكرية المصرى » ـ التى تستاهل بالطبع دراسة خاصة ـ وهى قصيدة طويلة نشرت فى ديوان صغير .. يصور فيها ابا بكر الصديق ومواقفه العظيمة . وقد نال هذا الديوان حظا كبيرا من النجاح ، حتى ان البعض فضله على « عمرية حافظ ابراهيم » ، التى ظهرت قبلها ..وتناول فيها شاعر النيل شخصية عمر بن الخطاب . وقد اسخط هذا التفضيل حافظ على المصرى ! .. » بدأ التنافس بين عبد الحليم وحافظ ابراهيم واتخذ شكلا بارزا ، بل حادا فى بعض الاحيان فقد كان عبد الحليم يطرق كما قدمنا ما يطرقه حافظ من الموضوعات الاجتماعية والانسانية ، كما نافسه فى حسن انشاد الشعر ، واتجهت الاندية والمحافل الى دعوة عبد الحليم لالقاء شعره كما كان يدعى حافظ .

« واشتدت المنافسة حين نظم عبدالحليم قصيدته « البكرية » التى وضعها فى سيرة اول الخلفاء الراشدين ، والقاها فى الجامعة المصرية القديمة ، متاسيا فيها قصيدة حافظ « العمرية » وكانت من مفاخر عبد الحليم من حيث الموضوع والانشاد ، فثار حافظ عليه » « محمد مصطفى الماحى » خمسة من شعراء الوطنية » ـ ج ١ ـ ص ٢٢٨ » .

ويمرض المصرى مرضا بسيطا،استدعى عملية بسيطة هى الاخرى .. ومع ذلك مرضته للموت . وهكذا توفى فى ٣يولية سنة ١٩٢٢ .

ورثاه كثير من الشعراء فى مصر والعالم العربى ، ومن هؤلاء حافظ ابراهيم واحمد محرم ومحمد مصطفى الماحى .يقول الاول فى احدى قصيدتيه التى رثى بهما المصرى ، مشيرا الى كتابته لديوان « البكرية » :

لك الله قد أسرعت فى السير قبلنا
وآثرت يا «مصرى» سكنى المقابر
وقد كنت فينا يا فتى الشعر زهرة
تفتح للأذهان قبل النواظر
ويا ويح للأشعار بعد نجيها
وويح القوافى ساقها غمّ شاعر
تزودت من دنياك ذكرا مخلدا
وذاك لعمرى نعم زاد المسافر
فلو تثو « عبد الحليم » بحفرة
ولكن بروض من قريضك ناضر
فديوانك الريان يغنيك طيبه
عن الزهر مطلولا بجود المواطر
فسامر « ابا بكر » هنالك فانه
سيظفر فى عدن بخير مسامر ●



من تراث
الهلال

قدم الهلال على امتداد تسعين عاما زادا عظيما من روائع الفكر والأدب والفن .. وفي باب "من تراث الهلال" نقدم لك كل شهر صفحات مختارة من هذا التراث



الآنسة مي عام ١٩٢٢



بقلم : الآنسة مي

(هذا المقال نشر في الهلال أكتوبر ١٩٢٢)

الآنسة مي أشهر أديبة عربية في القرن العشرين، اصلها لبناني، وعاشت حياتها كلها تقريبا فى مصر وكانت اعمالها الادبية مثار الاعجاب، ومازالت كذلك برغم انقضاء عشرات السنين على وفاتها ..
وهذا المقال كتبته منذ ستين عاما عن لبنان ـ وطنها الاول ـ وكأنها تتحدث عن لبنان الآن وهو يكتوى بنار الغزو الصهيونى .

عندما ذاعت أسماء الوطنيات
كتبت اسم وطني ووضعت عليه شفتي اقبله ،
واحصيت آلامه مفاخرة بأن لي كذوي الاوطان وطنا ،
ثم جاء دور الشرح والتفصيل فالممت بالمشاكل التى لا تحل
وحنبت جبهتي ، وانثنيت أفكر ،
وما لبث أن انقلب التفكير في شعورا ،
فشعرت بانسحاق عميق يذلني
لاني ، دون سواي ، تلك التى لا وطن لها

يوقظني في الصباح نفير الجيوش المودعة . ولدوى أبواق النحاس انغام تثقلها دموع الفراق ، واهازيج يجنحها طلب التفادى والاستبسال ، فامقت الظافرين وأود لحظة ان اتوحد واياهم لانسى فى ثروتهم فقرى، وفى بطشهم هوانى
واذ تمر مواكب الامم المظلومة منكسة اعلامها وراء نعوش الشهداء وهتاف الحرية والاستقلال يتغلب على أنين الشكل والتفجع منها ـ اعتز لانى ابنة الشعب فى حالة التكون والارتفاع ، لا تابعة شعب تكون وارتفع ولم يبق أمامه سوى الانحدار

ولكن الشعوب تهمس همسا يطرق مسمعى : فهؤلاء يقولون « أنت لست منا لانك من طائفة أخرى » . ويقول اولئك « انت لست منا لانك من جنس آخر»
فلماذا أكون ، دون سواى ، تلك التى لا وطن لها ،
ولدت في بلد ، وابى من بلد، وأمى من بلد ، وسكنى فى بلد،



واشباح نفسي تنتقل من بلد الى بلد ! فلأى هذه البلدان انتمي ، وعن اى هذه البلدان اداقع ؟

بمضى الموتى تاركين للاحفاد وراثات حسية ومعنوية ينعمون بها ، وشرفا قوميا يعززونه ، وتقاليد يحافظون عليها ، اما انا فلم يبق لى من آثار موتاى سوى الاثقال المعلقة فى يدى وعنقى . اثقال اذا حاولت طرحها والفرار جرت قدماى ما هو اثقل منها — فهبطت على طريق جلجلتى تشير نحوى اصابع المتشفين الساخرين ، ولمس من يد رحيمة تعين وتؤاسى

واما متاع موتاى فاستولى عليه أولئك الدخلاء . ولو تخلوا عنه لتحكم بى هؤلاء الاقربون الذين عيرتنى منهم القحة بصفات انقلبت عند صغارتهم عيوبا ، وانكر على الحسد منهم والخمول حق التمتع بما اشتريته بالجهود والعبرات

باى اللهجات اتفاهم والناس وباى الروابط ارتبط ؟ اتقيد بلغة جماعتى وهى ، على زعمهم ، ليست لى ولم توجد لامثالى ؟ أم اكتفى بلغة الغرباء وانا فى نظرهم متهجمة عليها ؟ اأصون عادات قديمة يحاربها اليوم الناهضون أم اتبل الاساليب الحديثة تاكون لسهام المحافظين هدفا ؟

اذا جاملت العتي توصلا لما لا غنى عنه قالوا عبدة تمرغ جبهتها فى التراب وتتزلف ، واذا جعلت لى من الصارحة سلاحا ومن الانفة حصنا سطت على اليد الحديدية ، ومزقتنى السنة « الاخوان » ، وانفض من حولى « المخلصون » لانهم انما خلقوا لمساعدة نفوسهم

فلماذا قدر على ان اكون ابنة وطن تنقصه شروط الوطنية فأمسى تلك التى لا وطن لها ؟

كل امة تحدث عن عظمتها وفضلها على المدنية ونبلها فى صيانة حقوق الضعفاء ، فبأى الامم اعجب !!

وكل امة — دون سواها — تحمى ذمار الحرية وتذود عن العدل والمساواة والاخاء ، — فلأى الامم استسلم ؟

وكل دين ـ دون سواه ـ احتكر لاتباعه الشرف والفضيلة في الحياة ، والسماء والالوهية بعد الممات ، فأى الاديان اعتنق؟
وكل حزب يدعى الصدق والعصمة ، وكل فرد صائب الرأى يضحى الخير الخاص للخير العام ، فأى الاحزاب اصدق واى الافراد اتبع ؟
ما سمعت وصفه بلاد الا سعى اليها اشتياقى
ولا حدثت عن بسالة أمة وسؤددها الا تمنيتها أمتى
ولا اصغيت الى صوت قوم الا خلته صوت يأسى وأملى
ولا تبينت عيوب شعب ومفاخره الا أدركتها صورة مفاخرى وعيوبى
ولا رمت طائفة بالتعصب والمغالاة الا وجدت فى هذه المغالاة وذاك للتعصب
ولا تخيلت مسافات الارض وابعاد الفلك والصحارى والبحار والكواكب والعوالم الا اهتاجنى الحنين اليها كأنها أوطان يردد هواؤها ترنيمة طفولتى وتنتظرنى فيها قلوب الاحباب والخلان
اما وقوى اعزازى تتوزع باستهتار وجنون ، فلماذا تتجمع قوى اكتئابى عميقة مرهفة أنا وحدى ـ وحدى فى الدنيا ـ تلك التى لا وطن لها ؟
بنسيم وطنى امتزج الوحى والنبوات
ومع اشعة الشمس فيه انتشرت سور الجمال
فكانت له حياة وهاجة متلظية وراء مظاهر الجمود والهجران ، وخيالات الآلهة تسير ابدا فيه متمهلة متأملة ،
من القمم والوديان ، من الصخور والينابيع ، من الاحراش والمروج تتعالى معانى بلادى فى الضحى ، وعند الشفق تتكامل أرواح الاشياء وتتجمهر كأنها تتذاكر فى انشاء عوالم جديدة
احب عطور تربة الجدود ورائحة الارض التى دغدغها المحراث منذ حين احب الحصى والاعشاب ، وقطرات الماء الملتجئة الى شقوق الاصلاد

واحب الاشجار ذات الظـــل الوارف أكانت محجـــوبة فى احشاء الوادى ام اسفرت مشرفة على البحر البعيد
واحب الطرق الوعرة المتوارية فى قلب الغاب ، وتلك الملتويـة على اكتاف الجبـــال كالافاعى البيضاء ، وتلك السبل الطويلة الممتدة ، وكأن الغبار الــذهبى منها ينتهى الى قرص الشمس
ولكن ايكفى ان نحب شــيئا ليصير لنا ؟ وهكذا رغـم حبى الافيـــح ارانى فى وطنى تلك الغريبة الطريدة التى لا وطن لها!
جربت من الوطنيات صنوفا : وطنية الافكار والاذواق والميول
وتلك الوطنية القدسية المثلى: وطنية القلوب
فوجدت فى عالـــم المعنى ما عرفته فى عالم الحس
الا بقعة بعيدة تغردت فيـــها الصور وتسامت المعانى ،
ثقفنى ابناء وطنى وادبنى ابنــاء الاوطان الاخرى
واسعدنى ابناءوطنى واسعدنى الغرباء ايضا
ولا ميزة لابناء وطنى فى انهم اوسعونى ايلاما
فقد نالنى من الغــرباء اذى كثير :
فباى الاقيــة انيس ابنــاء الوطن
ولماذا اكون انا وحدى تــلك التى لا تدرى اين وطنها ؟
أيها السعداء ذوى الاهـــل والاوطان ، عرفــوا لى ســعادتكم واشركونى فيها ! رضيت حينــا بانه ليس للعلم والفلسفةوالشعر والفن من وطن ، اما اليوم فصرت أعلم ان للعالم والفيلســـوف والشاعر والفنان وطنا . صرت أعلم صفر الانسان الذى اذامال الى النوم والراحة طلب مضجعا ناعما لجسمه المضنى لا مرجــا واسعا يتناوله منه الحر والبرد، ولا بحرا عرمرما تبتلعه منـــه اللجج .
انى اعبد تفطرك الصامت،ايها الفيلسوف القديم ، انت الــذى بعد ان اكتشفت آيات الفكـــروعجائبــه ، ارســــلت زفرة كانها شكوى الدهور فقلت :انما اريد صديقا لاموت من اجله
وانا احثو الآن خاشــعة امامذكرك مرددة ما يشــبه قولك ،
انما اريد وطنا لاموت من اجـلــه - او لاحيا به ! ●



من ذخائر الكتب العربية

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

تهذيب الأخلاق لابن مسكويه

١٣٦

- عند ابن مسكويه .. كما عند سقراط .. الفضيلة هي المعرفة
- نظر أبو علي إلى الذين يعيشون عالة على الناس .. نظرة ساخرة
- رجل عاش في العصر البويهي .. الذي ازدهرت فيه الثقافة
- كتاب يحفز الشباب إلى الارتقاء في الفضائل إلى أعلى عليين

ـ أ ـ

نحن مع حضارة العقل العربي المبدع في القرن الرابع والخامس وهما قمة عصور الابتكار والتجديد في التراث العربي .

مع عالم كبير هو الامام ابن مسكويه احمد بن محمد « ٣٢٠ – ٤٢١ هـ : ٩٤٢ – ١٠٣٠ م » ، الفارسي الاصل ، العربي النشأة والثقافة واللغة ، من ائمة الاسلام ، واعلامه الخالدين ، حيث عاش في القرن الرابع واوائل القرن الخامس الهجري ، وكان ميلاده بالري ، ووفاته في بغداد دار السلام ، وعاصمة الاسلام الكبرى .

وقد درس على المنهج الدراسي القديم المألوف في عصره في المدارس العربية .. فدرس اللغة والنحو والصرف والشعر والاخبار والفلسفة والطب وعلم العدد – الحساب – وشارك في علوم كثيرة ، حتى ذاع فضله ، وانتشر صيته في كل مكان ، وقربه اليه عضد الدولة البويهي ، فعينه خازنا لدار الحكمة ، فصار اثيرا عنده ، مقربا لديه ، ونشر علمه وفضله في آفاق ملكه .

عاش ابن مسكويه في العصر البويهي ، الذي ازدهرت فيه الثقافة والمعرفة ، فكان احد الذين جمعوا بين ثقافات الاسلام وثقافات الاغريق ، والموا الماما واسعا بطرف من حكمة اليونان والروم والهند والفرس ، الى حكمة العرب وتجاربهم ، وكان اتصاله بالوزير المهلبي المتوفى عام ٣٥٢ هـ – ٩٦٣ م ، ثم بابن العميد الوزير « المتوفى عام ٣٦٠ هـ : ٩٧١ م » ثم بابنه ابي الفتح « المتوفى عام ٣٦٦ هـ : ٩٧٧ م » ، ثم بعضد الدولة ابن بويه بعد ذلك ، من الاسباب التي انمت تجاربه وحكمته ، وساعدته على الاتصال بكل جوانب الثقافة العربية والمترجمة ، خاصة انه عاش في عصر انقسام الخلافة العباسية الى دويلات ، وظهور القوميات المستقلة ، وانه كذلك قد عمر طويلا ، حتى اتسعت خبرته بالحياة ، وزادت معارفه في شتى جوانب الثقافة .. وبخاصة الفلسفة . وكانت الفلسفة العربية الاسلامية قد نمت وتعددت مذاهبها ، وازدهرت حلقاتها العلمية وتوالى جيل الفلاسفة المسلمين ، جيلا اثر جيل ، واذا كان من ائمتها ابو اسحاق الكندي « – ٢٥٢ هـ : ٨٦٦ م » في القرن الثالث ، فقد نبغ فيها في القرن الرابع : المعلم الثاني الفارابي « – ٣٣٩ هـ » وابن سينا « – ٤٢٨ هـ : ١٠٣٧ م » ، وابن مسكويه وجماعة اخوان الصفا ، وسواهم من اعلام الفكر العربي ، وقرأ ابن مسكويه السالفين والاقدمين ، واطلع على اصول الفلسفة الاغريقية ، الى ثقافته الاسلامية الرفيعة ، حتى صار يشار اليه بالبنان بين الفلاسفة والحكماء ..



من ذخائر الكتب العربية

ومن مؤلفاته الفلسفية كتابه المشهور: تهذيب الاخلاق ، وكتبه : ترتيب العادات والفوز الاكبر ، والفوز الاصغر . والف في الطب ، وله في التاريخ كتاب قيم هو « تجارب الامم » .

وهكذا كان موسوعة في كل فن ، ومرجعا في كل علم ، وأستاذا كبيرا ، تتلمذ عليه ، وتخرج به اعلام الفكر الاسلامي في القرن الخامس الهجري وما بعده من قرون وأجيال .

— ٢ —

وكتاب « تهذيب الاخلاق » لابن مسكويه يعد اصلا فريدا من اصول الاخلاق الاسلامية ، وقد كتبه للعلماء ومحبي الفلسفة ، ليعالج به مشكلات الحياة والسلوك ، وليصل — كما كان يحلم — بالمطلع عليه الى السعادة المنشودة ، وقد تأثر في منهجه فيه بالمعلم الاول ارسطو في كتابه « الاخلاق » ..

وكان لابن مسكويه من التجارب الكثيرة في الحياة مايدفعه الى الكتابة في الاخلاق ، ليرشد الناس للفضيلة والسعادة والطرق التي تؤدي اليهما . ويتضح هذا من عهده الذي كتبه لنفسه وهو سطور في كتاب « المقابسات » للتوحيدي « — ٣١٢ هـ / ٩٢٥ م »

... وقبل ان نتعرف الى فلسفة الاخلاق عند ابن مسكويه يصح لنا ان نتساءل : ماهي الفلسفة ؟ وما هي الاخلاق ؟ وما الصلة بينهما ؟

والفلسفة هذه الكلمة المعربة عن اليونانية مأخوذة من كلمتي فيلوس بمعنى محبة ، وسوفيا بمعنى الحكمة ، فمعنى الكلمة اذن محبة الحكمة ، ومعنى الفيلسوف هو محب الحكمة ، وكان فيثاغورث «٥٨٢ — ٩٧» ق . م » أول من سمى حب الحكمة باسم الفلسفة ، يقول بارتلمي سانتهلير في مقدمة كتاب « الكون والفساد » لارسطو ترجمة استاذ الجيل احمد لطفي السيد: ان فيثاغورث لما ساله ليون طاغية سيقوتيا عن عمله ، اجاب بانه فيلسوف ، وهو اسم لم يسمع من قبل في اللغة اليونانية ومعنى الفلسفة عنده قديما تأمل اسرار الكون الالهية الابدية الخالدة ونواميسه الثابتة التي لا تتغير ، وكان الفلاسفة الاغريق طاليس : وانكسمندر ، وانكسمينيس يسمون انفسهم حكماء ، فانكر ذلك عليهم فيثاغورث ، ودفعه تواضع العلماء الى اطلاق اسم فلاسفة عليهم وعلى نظرائهم . وعلى الارجح كان سبب ذلك هو ايمانه بانه لايصح ان تنسب الحكمة الى غير الخالق الابدي ، فالحكيم وحده عنده هو الله ، ومن ثم استبدل كلمة حكيم بكلمة فيلسوف ، أي محب للحكمة ، وقد تطور معنى الكلمة تطورا كبيرا على مختلف العصور .

اما الاخلاق فهي كلمة جامعة تشمل الفضائل والمثل ، التي يعتنقها ويؤمن بها صفوة الناس واخيارهم ، والتي دعا اليها الانبياء والرسل من القديم ، وحضت عليها الكتب السماوية المقدسة ، واصطفاها المفكرون وسيلة الى السعادة في الدنيا والاخرة .

وفلسفة الاخلاق هي الاصول الاخلاقية التي يشرعها الفكر للسلوك الانساني ، مما يرجع الامر فيه الى فكر المفكرين والفلاسفة والحكماء . وذلك مما دعا اليه ابن مسكويه هذا الامام الكبير ، والمربي الروحي العظيم ، والاستاذ الرفيع المنزلة عند علماء عصره ، من مثل آرائه في الفضيلة ، وفي نواميس الاجتماع وفي أسس السعادة .



ومع أن شخصية ابن مسكويه شخصية فيلسوف مؤمن بنزعة الاختيار والتوفيق التلقائي في كتاباته، الا أنه اجتماعي يرى لعوامل كثيرة أن الانسان لا يمكنه أن يعيش وحده، وعملي كذلك لا يكتب في الاخلاق ليسجل آراءه فحسب، بل يكتب وهدفه الوصول عمليا لتعود الاخلاق الفاضلة، والتخلق بها..

واذا كان سبينوزا «١٦٣٢ – ١٦٧٧م» في كتابه «علم الاخلاق» قد مد الفكر والامتداد صفتين جوهريتين لذات الله، ونظر كذلك الى الحرية على انها عين ذات الله أو عين فعاليته اللامتناهية في نفوذها الى كل صور الوجود الممكنة حتى تبلغ ذروة اللاامتناهي وفقا لقوانين ضرورية، وجعل النفس الانسانية هيئة لصفة الفكر الالهي.. فانه نظر الى المعرفة الناتجة عن طريق الحواس على انها معرفة ظنية، اما المعرفة المحصلة بالعقل فهي عنده معرفة يقينية: فقد سبقه الى ذلك ابن مسكويه في كتابه ويتنهي سبينوزا بمذهبه الاخلاقي الى نهاية مشرقة اخص خصائصها هذه الصبغة الروحية التي تالقت بها جوانب عقله وقلبه وروحه.. وذلك هو ماسجله ابن مسكويه في كتابه.

واذا عدنا الى كتاب «مبادىء الاخلاق» لجورج مور «١٨٧٣ – ١٩٥٨م» وجدنا عنده ومضات كثيرة من فيلسوفنا ابن مسكويه ويعد كتاب «مبادىء الاخلاق» أول تطبيق عملي للمنهج التحليلي على مشكلات الاخلاق في الفلسفة المعاصرة، وبحوثه عن الخير والسعادة وغيرهما تجد جذورهما عند ابن مسكويه في كتابه الذي جعله ست مقالات متميزة..

ــ ٢ ــ

ويرى ابن مسكويه ان للنفس ثلاث قوى، كل واحدة منها قد يسوء أو يحسن استعمالها لظروف واسباب متباينة، فقد تجنح نحو الافراط، أو تهبط نحو التفريط فيكون ذلك شرا ورذيلة. وقد تكون وسطا معتدلة، لا الى هذا ولا الى ذاك، فيكون هذا خيرا وفضيلة.

واذن فالنفس عنده لها ثلاث فضائل رئيسية بعدد هذه القوى. وتنتظم كل فضيلة منها فضائل جزئية تعود اليها، وبانسجام هذه الفضائل فيما بينها تكون فضيلة اخرى، هي كمال الفضائل الثلاث السابقة، لذلك أجمع الحكماء على أن أصول الفضائل هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة. كما قرر ذلك ابن مسكويه في «تهذيب الاخلاق».

على أن عالمنا الكبير، قد تأثر في هذه النظرية بنظرية الاوساط المعروفة، التي شرحها أرسطو ثم الفارابي من بعده شرحا طويلا.

ورأى أبو علي بن مسكويه أن للنفس فضيلة اخرى هي أشبه بها، وهي التشوف



من ذخائر الكتب العربية

للعلم والمعرفة . والفضيلة عنـده هى المعرفة كما ذهب اليه سقراط ، والرذيلة هى الجهل . وقد ترك مذهب افلاطـون وارسطو فى ذلك .

ويوضح ابن مسـكويه رأيه فى ذلك فيقول : « ان من الناس من لا يـدرى كيف يحسن الى نفسه ، التى هى محبوسة فيقع فى ضروب من الخطأ ، لجهـله بالخير الحقيقى . اما من عرف لنفسه كرامتها ، واختار لها الخير الحقيقى الذى يناسب جزءها الالهى ، وهو العقـل ، فقد احسن اليها ، وأنزلها فى الشـرف الاعلى . واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات » .

ـ ٤ ـ

والسعادة عند ابن مسكويه هى الخير التام فى نفسه ، وهو متأثر فى نظـرته هذه اليها بآراء فلاسفة الاغريق . على ان السعادة عنده ليست فى المتع الحسية ، التى لا يطلبها الا الرعاع والعامة وطلاب التجارة والكسب حتى فى العبادات .

بل ان السعادة عنده هى فى امـر واحد هو الحكمة التى يستحق من يحوزها ان يسمى حكيما وفيلسوفا ، وأن ينال بذلك السعادة الكاملة المنشودة .

ـ ٥ ـ

ومع ذلك كله فقد كان ابن مسـكويه اجتماعيا ، عرف لجسمه حقه ، ولنفسه حقها ، ولمجتمعه حقه .

فدعا الانسان الى ان ينيل جسـمه مابه حياته ، وما يتفق مع المروءة ، وان يكمل نفسه العاقلة بالفضائل الخلقيـة ، وبالفضيلة الفلسفية .

والانسان عنده مدنى بالطبع ، وقـد نظر أبو على الى الذين يعيشون عـالة على الناس نظرة سخرية واستخفاف .

ـ ٦ ـ

وهكذا كان ابن مسكويه عمليا فى فلسفته الاخلاقية ، فى كتابه المأثور « تهـذيب الاخلاق » يبحث فى الفضيلة ويبينها ، وفى السعادة ويحددها . لم يتبع هذا وذاك برسم المنهج الذى يؤدى الى الظفر بهما .

ولم يكن هذا الامام الكبير متعصـبا لرأى ، ولا متحازا مع عصبية . فقد اخذ اصول مذهبه الخلقى من الاسلام الكريم ومع ذلك استفاد الكثير من الثقـافتين الفارسية والاغريقية .

لقد مضى على وفاة ابن مسكويه تسعة قرون ونصف ميلادية ، مع ذلك فلا تزال آراؤه فى الفضيلة والخير والسعادة وحرية الارادة وفى المسئولية الارادية وغيرها ، جديدة .

وياليت تراث هذا الامام الكبير يجد من يعنى به تحقيقا ودراسة وبحثا ، ويجد من ينشره فى طبعات جميلة تقربه الى اذهان شباب هذا الجيل .

وكتابه « تجارب الامم » من امتع الكتب التاريخية ، التى تجعل من فيلسوفنـا مؤرخا كبيرا فى عصر جيل الائمة الكبار من اعلام القرنين الرابع والخامس .

رحم الله ابن مسكويه ، فقد اسدى الى الفكر العربى الكثير من الايادى البيض وترك لشباب العـرب تراثا خالدا ، يهتدون به فى كل مشكلات حياتنا الفكرية والاجتماعية والسلوكية ، وفى كل جوانب تربية النفس الانسانية ، وحضـها على السلوك الانسانى الرفيع ، المقترن بالحب والطهارة والطموح والارتقاء فى مـدارج الفضائل الى اعلى عليين ●

قصة قصيرة

بقلم عبده جبير

سوق السيدة



سوق السيدة

خرجت السيدة « ام علي » من باب الحجرة واصبحت في المدخل المظلم في الساعة السادسة صباحا ، بعد ان حبكت الملاءة حولها وهزت يدها بسلسلة المفاتيح واغلقت الباب جيدا ، متجهة الى السوق ، كالعادة . في هذا الوقت المبكر وقبل اى شخص آخر ، وسرعان ما اصبحت في الحارة ونظرت الى النوافذ والشرفات . رات الغسيل « البايت » والمفارش المتدلية وقارنت بين نظافة هذه المرأة وتلك ، وتشربت غضبها على هذه الاشياء ، وفي الغالب كان الامر يبدو لها بتلك المعاملة التي تبديها احداهن لها في هذه المناسبة او تلك . ووجدت مبررات كثيرة لغضبها معتبرة ان المسالة تبدأ بالتجاهل الذى تلقاه من سكان الحي ، وفسرته على نحو خاص : بموت زوجها الذى ترك لها الدكان واضطرت لبيعه ووضعت عائده في البنك لتحصل على ربح تعيش به ماتبقى من العمر . فليس هناك حل آخر بعد ان تركها ابنها الوحيد وهاجر الى الدول العربية كما تقول هي . وان لم تكن تعرف اى بلد على وجه التحديد . لكنها ظلت تنتظر العربة التي سوف تقف امام البيت عدة سنوات . حتى نسيته . على الرغم من أنها عندما تبدأ في البحث « داخل بيتها المكون من حجرة وصالة ودورة » عن شخص تتحدث اليه ، تقول لنفسها ـ عندئذ : اريده ان يأتي حتى بلا شيء . اشعر بان قلبي يخفق وان الموت هناك . خشى الا .. وعند هـذا الحد يتوقف بها التفكير . على الرغم من أنها سمعت من احداهن « في الناحية الاخرى من السيدة زينب » تعفنت دون ان يعرف احد بموتها وتقزز الجميع « ماعدا الحانوتي الذى طلب مبلغا مضـاعفا لقاء غسلها وحملها » بعد ان اكتشفوا الحادث ورفعوا ايديهم بالمناديل الى انوفهم ، كما تفعل هي الان وهي تقترب من كوم الزبالة المكتظ بجثث الفئران والقطط ، ومشت بسرعة اكبر متحاملة على نفسها . ليس فقط لتصرف تلك التداعيات داخل نفسها ، بل ، وحقيقة ، لتبتعد عن تلك الروائح ، وحتى « وهذا بدوره يمحو داخلها دفعة واحدة » لاتتأخر عن الوقت المناسب لتكون في السوق . قبل ان تأتى جحافل النسوة من كل صوب فيقضين على كل ماتحتاجه .



وهاهوذا الغضب نفسه يجتاحها ، لكن بمعدل اكبر ، عندما بدت الصورة نفسها وقبل أن تصل الى الميدان « ميدان السيدة » وتدخل السوق : النساء غليظات جدا تتدلى مساحات ضخمة من صدورهن الغليظة خارج فتحة الصدر . يحملن الشنط البلاستيك والقفف ويمسكن باكياس

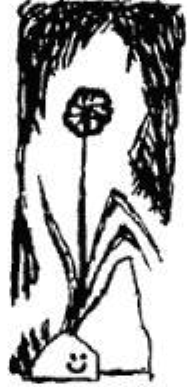


النقود في ايديهن ولا يبالين بالرأس الذى انكشف أو بالجلاليب التي غالبا ما انفكت عند المفارق أو تحت الابط لتبدو منهن مساحات اضافية . وكانت ، هي نفسها ، ترى الشرد يكاد يقدح من عيونهن ، وفي الصورة التي تراها قبل أن تتخطى الطوار الى الناحية الاخرى من الميدان « ميدان السيدة زينب » وجوه كثيرة متقاربة على مسافة من عينيها وهي ـ تراها جميعا متجاورة ودفعة واحدة . فاحست بالعداء . واجتاحتها قشعريرة أشعرتها بالخوف فاندفعت تركض بقدر ما استطاعت لتتخطى الميدان وتصبح على الطوار الآخر بالقرب من مدخل السوق .

كانت العربات الكارو محملة باقفاص الطماطم والخضروات الاخرى . الا ان أهم مايقلقها الا تجد الطماطم . او تجدها بالسعر الذى يعني تعدى الميزانية التي لاتستطيع ، وقد حسبتها بعمر الانسان ، تجاوزها ، او تستطيع الا انها تصبح في جو اكثر كآبة ووحدة . لذا فانها في الغالب كانت تلجأ الى الانتظار : حتى يحمل الرجال الاقفاص من فوق العربات الى الارض ، ثم تنتظر مرة أخرى حتى يفرغ التجار الاقفاص ويفرزونها فتشترى هي من تلك التي تباع ـ لعطبها ـ بسعر اقل ، وهي لكي تنتظر ولا يشعر بها احد ، فهي هناك دائما ، ويعرفها تقريبا ، كل الباعة ، كما انها تحسب بسرعة هائلة الوقت الذى تضيعه . تظل يقظة للنهاية ، ولكن : تمشي من بداية السوق الى نهايته وتدور في الشوارع المتقاطعة التي هي جزء من السوق لكنها متفرعة عنه ، حتى تدخل الحارة التي تنتهي ببائع الحصر ، وتفكر في أن تذهب اليه لتشترى واحدا ، لكنها سرعان ماتصرف الفكرة عن رأسها وتعود ، مرة أخرى ، لتمشي بأقل مايمكنها من السرعة . دون ان توقع عينيها عما يتم ، ودون أن تنقل الوقت ، تحسب حسابه ، قبل أن تأتي الجصاقل وهي بين هذا وذاك ، حيث تزداد مشاعر الوحدة ، تقول لنفسها : « الطماطم الدامعة . الطماطم التي تبكى » .

لكنها ، وغالبا ، بل ربما كل صباح ، وهي تذكر ذلك ، ولاتعرف ما الذى جعلها تحسبه بالوقت الذى مات فيه زوجها ، بتلك الايام ، وينتهي بها الامر امام ذلك الرجل ، الذى يظل عجوزا ومتجهما وهي تقف فيقول : « على مهل » دون أن ينظر اليها ، وتقول هي تلك الاشياء ، التي قد تخرج او لاتخرج من فمها ، فيرد عليها بان الامر هكذا دائما ، وانها من الافضل ان تتجنب شيئا ما ، وتظل تحرك يدها فوق حبات الطماطم بينما هو ايضا يحرك يده . لكنها هذا الصباح ـ بده تلك ـ

سوق السيدة



اصطدمت بيدها فاجتاحتها عاصفة : بل انه نظر فى عينيها ايضا . فتركت كل شىء . الكيس الورق الذى جاءت به معها . العلبة الصفيح التى كانت قد ملأتها واستدارت ومشت بسرعة ، بسرعة مشت . وحتى نهاية السوق لم تكن تستطيع النظر لا الى الجانب او الى الخلف .
ما ان وصلت البيت حتى دفعت يدها الى سيالتها العميقة واخرجت المفاتيح حاولت ، وهى التى تعرف مفاتيحها جيدا ، مع كل المفاتيح ، واعادت المحاولة مرة أخرى ، حتى انفتح الباب أخيرا ودخلت واستندت على الباب من الداخل ، وهى تتصبب بالعرق ، لتمنع احدهم من محاولة فتحه . وكانت حرارتها قد ارتفعت ، وعيناها تكادان الا تريا شيئا . كتلة من الظلام امامها تحوم كالســحابة . فانزاحت الطرحة من على راسها والقت بها الى الكنبة . لكنها لم تصل . وسقطت على البرش .
بعد فترة شعرت ببرد وخارت قواها تماما ، ولما تاكدت من انه لم يحاول ، حتى الآن ، أن يزيح الباب ، تقدمت ببطء واستلقت على الكنبة وراحت تبكى بلا صوت ، وقد ضمت الوسادة الى وجهها .
« لا . لن تستطيع ان تفتحه . لن تستطيع » .

قالت ذلك بصوت مرتفع ثم خافت . وبعد فترة شــعرت بالخجل والوحدة . هل تنادى اذن ؟ . بالفعل . دق الباب ثلاث مرات . لكن بهدوء . جلست وحدقت فى اتجاهه . كان يقف هناك فوق الدرج . يحدق للداخل . تملكتها رغبة عدوانية فذهبت الى الركن الاقصى وفتحت الصندوق . منذ زمن لم تفتحه . كانت قد احتفظت داخله بملابس زوجها . باشيائهما المشتركة . الرقى والتعاويذ . واخرجت بسرعة . حتى علبة الصفيح المتلئة بالحناء . والكيس البلاستيك المملوء بالخيوط الملونة .. كل شىء . حتى عثرت على الساطور فرفعته بيدها ، ووقفت ممسكة به بكلتا يديها خلف الباب . من جانب .

انتظرت طويلا غير ان الدقات لم تعد . وارتخت يداها تحت حمل الساطور . نظرت اليه فى الظــلام ، ومشت به ، واعادته الى قعر الصندوق ، واعادت الاشياء ، ومضت الى فراشها محلولة الشعر تهتز من التعب .

قبل ان تغمض عينيها تذكرت انها ، وربما لاعتقادها بأن ذلك يطرد الكوابيس ، تحتفظ منذ اعوام بسكين صدىء تحت وسادتها . فدست ذراعها وتحسست السكين ، وما ان اطمانت الى ذلك حتى كان النوم قد

غادر عينيها . بقيت هكذا . محدقة فى السقف . تتابع البقع التى كونتها الرطوبة والايام . ثم حولت عينيها فى الاتجاه الذى هناك يكون عنده الباب .

« لن تدخل »

قالت ذلك . على الرغم من انها كانت متأكدة من ان احدا لم يات . او على الاقل بان الدقات لم تتكرر .

ظلت هكذا طوال النهار : ممددة على الفراش وقد بدا الجوع يؤلمها . شعرت بالدوران وبان عليها ان تنقذ نفسها من اغماءة قادمة . كانت ذراعها اليسرى قد بدات تؤلمها وبداية الصداع تسرى وترتفع من عنقها الى اعلى . عند ذلك تأكدت من انها وحيدة للغاية وانه ليس هناك احد يمكنه ان يقدم لها المساعدة . فكرت ان تلجأ الى الجيران لكنها خافت ان تجده خلف الباب . وبما انها قاومت كثيرا وغالبت بداية الالم فى راسها وفكيها فانها تحركت بغريزية وذهبت تفتش عن شىء . بقايا طعام الامس فى الاناء . على جانب . بضع لقيمات جافة . جلست على الارض واخذت تمضغ ما استطاعت . جاءت بزجاجة الماء التى تحتفظ بها بجانب السرير وبلت الخبز . حتى استطاعت ان تلوك . وقد بدات تسترد الانفاس . وتشعر بان الالام تتسرب خارج جسدها كله . دفعة واحدة . وغلبها النوم .

تلك الليلة حلمت بما تم ولكن خلفية ماجرى كان فى حديقة . بجوارها نبع ماء ينساب وهى جالسة تأكل لسيقا وبصلا اخضر من طبلية امامها . بينما كان هو يحكى لها عن اشياء رآها فى الباخرة عندما كان راحلا . كما حدثها « تلك الكلمات » عن الشمس والعرق .

بعدها تغيرت صورة الحلم بينما كانا يمضيان بين الزحام وهو يشد على يدها بينما يدق بعصاه على الارض . وبعد خطوات تاه منها فى الزحام . وبعد وقت سقطت العصا بجوار قدمها فاستيقظت .

كان اذان الفجر ياتى متقطعا من النافذة . وشعرت برغبة جارفة فى ان تذهب وتغتسل ولكنها كانت متعبة الى حد انها لم تستطع تحريك يدها . فظلت هكذا حتى بدأ الضوء يطلع فغفت مرة اخرى .

لما استيقظت كان اليوم قد انتصف . قاومت كل شىء . وذهبت مرة اخرى الى السوق . لكنه كان مزدحما للغاية . فلم تكد تبين بين الناس ●

نحو أدب عربي عالمي

بقلم : عبد الفتاح البارودى

● كيف يرتفع مستوى الادب والفن عندنا - والثقافة عموماً - الى المستوى العالمي ؟! وقبل هذا السؤال سؤال آخر : لماذا لم يتطور انتاجنا الادبي والفني في نفس المراحل التي تطور فيها الادب العالمي والفن العالمي ؟! فمثلا لماذا لم يتطور الشعر العربي كما تطور الشعر العالمي من غنائي الى ملحمي الى « درامي » .. وما يقال في الشعر يقال في الموسيقى وفي كل وسائل التعبير .. لماذا لم تتطور ادوات التعبير عندنا حتى تصل الى المرحلة المسرحية ؟!

كل هذه الاسئلة تحتمل اجابات كثيرة ومتعددة ومتشعبة وهذه الاسئلة وهذه الاجابات تمثل مشكلة كبرى اريد ان اتجاوز تفصيلاتها واصل الى نقطة رئيسية لا يغيرنا اطلاقا ان ندرسها وهي نقطة « الدراما » وبكل اختصار وبكل وضوح اسأل : اذا كنا لم نصل بعد الى مرحلة « الدراما » فكيف نصل ؟!

ان اوضح ما يمثل التعبير الدرامي هو « المسرح » ، فتعالوا نبحث مشكلات التعبير الدرامي عندنا بحثا مقارنا بالتعبير العالمي من خلال مسرحنا ..

ولكي اتحاشى تمييع البحث بذكر تاريخ مسرحنا ، وكيف انتقل الفن المسرحي الينا ، وهل كان عندنا مسرح او اشكال مسرحية قبل هذا الانتقال ام لم نكن نعرف التفكير المسرحي اطلاقا .. بدلا من هذه الاستطرادات تعالوا نبحث مشكلات التعبير الدرامي عندنا من خلال بحث « نظرية المسرحية » وكيف نوجدها - ان لم تكن موجودة فعلا - في بيئتنا !

ومهما تختلف آراؤنا حول الادب المسرحي في بيئتنا من حيث ضعفه او قصوره او حتى انعدام قيمته الفنية فالمؤكد انه ليس من المستحيل ان يوجد ان قلنا انه غير موجود، وان يقوم ويدعم ان قلنا انه في حاجة الى تقويم وتدعيم ، وان يزدهر وينمو ان قلنا ان الازدهار والنماء ضرورة ادبية وحيوية ايضا ، وكل هذه الحالات والاحتمالات تتحقق ، بشرط واحد ، وهو ان تتهيأ لنا اسبابها !

فلماذا ؟! وكيف ؟!

الاسباب كثيرة .. والوسائل كثيرة .. ويكفي ان ندرك بعض الحقائق او - على الاصح - بعض البديهيات

منها - مثلا - ان « المحاكاة » غريزة .. وغريزة المحاكاة - وهي اصل المسرح - غريزة فطرية عامة لا يتميز بها شعب دون شعب آخر .. فلا يجوز مثلا ان نقول ان المحاكاة غريزة اوروبية او غربية ، وليست شرقية .. ولا يجوز بالتالي ان نستنتج ان هذا هو سبب ازدهار المسرح في الغرب



دون الشرق .. والصحيح ان نقول ان غريزة المحاكاة غريزة فطرية في الانسان حيثما كان .. وقد تجلت في انفعالات الانسان الاول في شتى اشكالها

وتأسيسا على ذلك ، وتطبيقا لذلك على الانتاج المسرحي نذكر - بدون اي تحفظ - ان « الاحساس التراجيدي » عند « اسخيلوس » رائد التعبير التراجيدي - هو نفس الاحساس التراجيدي عند شيكسبير وعند ابسن وعند كل مؤلف تراجيدي ايا كان عصره ، قديما او حديثا

وكذلك روح الكوميديا عند « ارستوفان » - رائد الكوميديا تتفجر من نفس الينبوع الذي تتفجر منه عند آخر كوميدي ايا كان عصره قديما او حديثا

ولكن من جهة اخرى نلاحظ بالاستقراء ان المسرح لم يصبح ادبا وفنا في يوم وليلة في اي امة من الامم التي ازدهر فيها ، وانما هو قبل كل شيء متشعب العناصر والاصول ، يستقيم وينمو ويتطور اذا توافرت ، ويضمر وينحرف ويموت اذا ضمرت او انحرفت او انعدمت كلها او بعضها .

ومن المهم ان ندرك ان هذه العناصر والاصول لا تتوافر على النحو المجدي الا في ظروف معينة وبكيفية معينة ايضا

والدليل على ذلك ان المسرح - عند الاغريق - ازدهر في القرن الخامس ق.م. وتجمد في القرن الثالث ق.م. في نفس البيئة .. وفي اوربا ازدهر في عصر النهضة تتداوله عوامل الازدهار والانخفاض في فترات مختلفة ، بينما البيئة هي ، هي !

اي ان البيئة المسرحية ليست بيئة جغرافية ، وانما هي - اولا واخيرا - بيئة فكرية .. هذه حقيقة تثبت ان المسرح « كائن حي » !

وهناك حقيقة اخرى تثبت ان المسرح « كائن حي » ، وهي اننا نجد تشابها في اشكاله وقوالبه الرئيسية التي تشكل فيها والمراحل الاساسية التي تطور خلالها في مختلف البيئات ..

فمثلا عند الاغريق بدأ في نشأته الاولى تعبيرا روحيا خالصا ، اي مجرد طقوس لعبادة الالهة الاغريقية - كما كانوا يعتقدون - او مجرد تمجيد للابطال - الذين كانوا يعتقدون انهم انصاف آلهة - ثم تطور الى تمثيل الحياة الانسانية ، فاصبح الجمهور يرى نفسه على المسرح ..

نفس هذا التطور المسرحي عند الاغريق نلمس شبيها له في التطور المسرحي في اوربا في عصر مختلف عن العصر الاغريقي وفي بيئات مختلفة تماما عن البيئة الجغرافية الاغريقية ..

نحو أدب عربي عالمي

فمثلا في فرنسا بعد العصور المظلمة تتمثل في القرون الوسطى مسرح احتفظ بالهياكل الخارجية للمسرح القديم ، وهذه الهياكل انتقلت اليه من الاغريق ثم الرومان ، وظهر في داخلها مضمون جديد .. وكما حدث في المسرح الاغريقي كان هذا المضمون في المسرح الفرنسي دينيا ، ثم اخذ يمتد الى الدنيويات بقدر ما ينقطع عن الطقوس الدينية ، حتى انفصل عن الكنيسة ، واصبح الجمهور يرى نفسه على المسرح ..

ومؤرخو المسرح يذكرون في جميع مراجعهم أن المسرح الفرنسي استمر طويلا في مرحلة الموضوعات الدينية يصور المعجزات والاسرار ، مستلهما في ذلك حياة القديسين والشهداء ، ثم في الفترة التي مهدت لعصر النهضة ، اتجه المسرح الى محاكاة الادب الاغريقي ، وابتعد تدريجيا عن استلهام الموضوعات الدينية ، ونتيجة لذلك وجد الادب الجديد المسمى بالادب الانساني ، فلا هو خاضع كل الخضوع لاساطير الاغريق ، ولا هو مرتبط كليا بالطقوس الدينية ، بل يستمد دوافعه وقيمه من الانسان وانفعالاته وتفكيره .

هذه المراحل الاساسية التي تطور خلالها المسرح الاغريقي والمسرح الفرنسي تطور خلالها ايضا المسرح الانجليزي ..

انا اريد ان ابرهن بذلك كله على أن المسرح ، كائن حي له مقومات معينة ينهض بها ، وله مراحل معينة يتطور خلالها ، وايضا هناك عوامل ومسببات معينة تسبب تجمده ، وقد تقتله كذلك ..

واريد من وراء ذلك ان ادعو الى بحث تفاصيل هذا كله لنعرف وسائل واسباب النهوض بمسرحنا - او ادب التعبير - الى المستوى او المستويات التي ارتفع اليها المسرح العالمي ..



شكسبير

في المسرح الانجليزي نجد ان جذور الدراما نبتت ووجدت منابعها ومصادرها ايضا في الطقوس الدينية خلال العصور الوسطى ..

وقتئذ - كما يقول مؤرخو الفن - كانت اماكن العبادة هي كل شيء في حياة الناس .. كانت راحة المتعب وعزاء المحزون .. كانت مكان الدين ومكان العلم ومكان الاجتماع ومكان الفن ايضا .. وكان الناس شغوفين بمشاهدة مضمون القصص



هنريك ابسن

الدينية مشاهدة مجسمة ، ومنها قصص حياة وكفاح القديسين والشهداء حيث كانت تمثل لهم في « مشاهدة متكاملة » .. ثم فصلت هذه المشاهد وكانت تقدم في رحاب دور العبادة كمشاهد مستقلة ، وسرعان ما تطورت ، بعد ان نما الحوار والغنى وتلونت الحركة وتنوعت .. وأيضا سرعان ما أدخلت اللهجات العامية في النصوص اللاتينية ..

هنا بدأت الدراما الدينية تقترب نحو الناس ونحو الدنيويات بقدر ما ابتعدت عن رجال الدين واماكن العبادة ، ومع ذلك ظلت تقدم في رحاب دور العبادة ..

فلما تزايد هذا التطور ، واصبح الحوار كله باللهجات العامية ، وضاقت دور العبادة بازدحام الناس وغوغائهم انتقل التمثيل كله الى خارجها ..

وهكذا القيت الدراما آخر الامر بين ايدي الناس وابتعدت عن الموضوعات الدينية ، ونتيجة لذلك انتقلت من « الرمزية » الى « الواقعية » بمعنى ان المجردات التي كان يدور حولها مؤلفو الدراما اصبحت تختلط بشخصيات ملموسة في عالم الواقع .

عموما ، هذا كله يرشدنا الى حقيقتين :

الحقيقة الاولى ان « الدراما » اشبه ما تكون بكائن حي ، له معالم معينة ، ويعيش في ظروف ـ او مناخ ـ معين ، ويتشكل باشكال خاصة به ، ويتطور تطورات معينة .. الخ .

الحقيقة الثانية اننا لكي نرتفع الى مستوى الادب العالمي والفن العالمي لا بد ان نسير في الطريق الذي يؤدي بادبنا وفننا الى المرحلة الدرامية

فماذا نفعل ؟!

اننا ننتج ادبا وفنا منذ فجر التاريخ ، ومع ذلك لم نصل الى المرحلة الدرامية ، فهل يستحيل ان نصل اليها ؟!

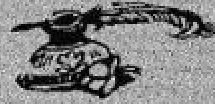
ام علينا ان نصل اليها باحتذاء التطورات التي حدثت في الادب الانجليزي والادب الفرنسي .. والادب العالمي كله .

ام نقتصر الطريق ونحاكي المراحل التي حدثت في الادب الاغريقي ما دام هو الاصل والمنبع ؟!

مرة اخرى اسأل كل ادبائنا وفنانينا وكل نقادنا وكل مفكرينا : ماذا نفعل ؟! ●

درس لبنان

قليل من الأفعال وكثير من الكلمات

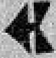


أعتقد أن الدرس الاول والشخصي جدا الذي خرجت به مما جرى على أرض لبنان مؤخرا كان هاما ، وهو درس لغوي بالدرجة الاولى . غزا جيش العدو الاسرائيلي أرض لبنان ، ووصل حصاره الى مدينة بيروت . ومنذ أن تم الغزو الوحشي البربري للبنان ، ومنذ أن أصبح الخطر الراهن يحيط بالمقاومة الفلسطينية ، حتى تحول عرب هذا الزمان الى عربين . عرب العوم في بحار الكلمات . وعرب الفعل . ومن السهل جدا تحديد المواقف هذه الأيام . عرب الفعل كانوا رجال المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية في زمن الحصار . سألوا المحاصرين من جهات الارض الاربع ، من الجو ومن البحر ومن باطن . الى متى تساومون .. وجاء الرد واضحا .. بعد الموت . قال المحاصرون : ان وضوء الدم لم يعد يكفي . ولابد من بعد وضوء الدم نفسه . سبحوا في بحر من الدماء ، مصبه ومنبعه واحد . الدفاع عن شرف هذه الامة في وجه الزمن القادم . والزمن بعد القادم .. عدد قليل من أمة العرب ولكنهم وقفوا وقفة رجال . في الخنادق ووسط الانقاض . داسوا على الارض بأقدامهم الثابتة . ورفعوا السماء فوق جباههم العالية . حضروا ولادة الشمس في الشرق . ودفنوها في الغرب بأيديهم .

بضعة الاف من أبناء العرب عرفوا الطريق الى الفعل المباشر . وأما الملايين الباقية ، فقد قدروا أن يناموا ويركنوا الى اللغة لكي تقوم بالمطلوب بدلا منهم .

كم كرهت في تلك الايام بعض تصرفات لغة العرب . ما من ورقة نظرت فيها الا وقرأت نشجب وندين ونستنكر ونرفض ، ونحمل المسئولية . كم كرهت كافة المنظمات الدولية التي لا عمل لها .. سوى رفع الظلم عن المظلوم . وكم رفضت عامدا متعمدا دعوات لحضور مؤتمرات ، أو التوقيع على بيانات وقد كانت كلها تشجب وتدين وتستنكر . لم أرفع الشعار القديم الذي يقول : ماجدوى كل هذا ؟ ولكني أدركت عمق المأساة . ان الذين لايفعلون .. لم يبق لهم سوى أن يناموا ويطلبوا من لغة العرب أن تقوم بالدور المطلوب منهم . وتلك هي الهزيمة الحقيقية التي بدأت في نفوسنا جميعا . ان نوقع على بيان او نوجه نداء . او نقول ان الاحساس بالهوان والعار وصل الى نخاع النفس البشرية وكفى ..

ان نحدق في الكلمات ونطلب منها أن تكون هي البطولة مادمنا قد عجزنا عن الفعل . أو مادمنا قد منعناه . ولم نتمكن من القيام بهذا الفعل . في اليوم الاول تحت ملعون هذا الصمت . ولكني في اليوم التالي





د . سيزا قاسم ومجلة الف

ادركت الخطا الذى وقعت فيه . ما جدوى الكلمات بلا فعل . ان المطلوب هو ان اقول ملعون هذا العجز وهذا الشلل . وتلك الحالة من العجز عن القدرة على الفعل .

يخيل الى ان لغتنا العربية هى المؤامرة الاولى علينا . ويخيل الى .. ان كافة كوارث هذه الامة تاتى من انعدام القدرة على التفرق بين الفعل والكلمة . بين الموقف وتخيل الموقف . واننا ـ نحن امة العرب ـ قررنا ان نتكلم . ان نقول . وان نخاصم الفعل وان يكون بيننا وبينه الف سد وسد . وان يكون الكلام هو بديل الافعال .

لو كان للمثقف العربى دور . اذن لقام على الفور وغربل من لغة العرب كل الكلمات التى قد تلعب دور المخدر ، وتحول دون الانسان العربى والفعل .

فى بداية الحرب العربية الاسرائيلية السادسة ، كنت أشعر بالعار الحقيقى . وكان الاحساس بالهوان قد وصل الى الحلق منى . ولكنى عندما شاهدت الصورة بحجمها الحقيقى ، وعندما حاولت النفاذ الى ماهو ابعد من اللحظة ، ادركت ان بضعة الاف من القاتلين اتقلوا شرف بضعة ملايين من تجار الكلمات الذين لم تعد لهم بضاعة سوى الكلام ..

رواية القرن العشرين بالعربية أخيرًا...

● شعر حزين . ولكنه حول الى .. مايخرج النفس من حزنها ، صدرت فى القاهرة الطبعة العربية الكاملة ولاول مرة لواحدة من اهم الروايات فى القرن العشرين كله ، وهى رواية عوليس للكاتب الايرلندى العظيم جيمس جويس . وكل من حاول ان يتعلم فن كتابة الرواية . وكل من حاول ان يكتب الرواية . وكل من جرى وراء تاريخ الرواية كان يقابل بعملين عظيمين على مستوى البشريه كلها . اولهما .. رواية عوليس لجويس . والثانية رواية البحث عن الزمن الضائع للكاتب الفرنسى مارسيل بروست . ورغم ان كل كتاب الرواية فى وطننا العربى لايدلون باى حديث صحفى ، ولايتكلمون فى الاذاعة او التليفزيون ، الا ويقولون ان هاتين الروايتين من الاسس التى قراوها وتعلموا منها فن الرواية ، الا انه من المؤكد ان الكثير من المثقفين لم يقراوا احدى هاتين الروايتين لان معظمنا ـ نحن كتاب الادب فى الوطن العربى ـ نبدو سجناء اللغة العربية . وحتى من يجيدون لغة اخرى لهم يتعاملون مع هذه اللغة الاخرى كنوع من المتجهه الاجتماعية ..

الان تصدر ترجمة البحث عن الزمن الضائع من سوريا . صدرت منها ثلاثة اجزاء حتى الان . تنشرها وزارة الثقافة السورية .. وفى القاهرة صدرت الترجمة الكاملة والدقيقة والامينة لرواية جويس وقد صدرت الترجمة فى جزءين يقعان فى ١٣٨٢ صفحة بالتمام والكمال وان كانت البحث عن الزمن الضائع . تقدم التلافيف الداخلية للعقل البشرى لحياة بطلها الذى هو المؤلف . فان عوليس تقدم يوما هاما وكاملا فى مدينة دبلن .





وراء هذه الترجمة جندى مجهول هو الدكتور طه محمود طه . أستاذ الادب الانجليزى فى جامعة القاهرة ، والمعار حالياً لجامعة الكويت . وهذا الرجل يستحق ليس مجرد وسام ، ولا جائزة من جوائز زماننا التى فقدت معناها . ولكن هذا الرجل يستحق تمثالا فى ميدان عام .

والدكتور طه محمود طه درس فى الجد والداب والمثابرة والكفاح وربما العناد . فقد قضى سنوات عمره ، وهو يجرى وراء هذا العمل الوحيد . أصدر منذ سنوات فى الكويت موسوعة جيمس جويس ، ومنذ سنوات أيضا وهو يترجم هذه الرواية ويعمل بها ، لدرجة ان جويس اصبح قضيه عمره الاول . والقضية عمره الاخيرة . وهو يقدم لنا نحن أبناء هذا الجيل الذى يلهث ويجرى ويريد أن يفعل كل شئ مرة واحدة ويريد الحصول على كل شئ مرة واحدة ـ المثال والنموذج ، فى ان الداب والمثابرة هما الطريق الوحيد الذى لا طريق سواه الى العمل الذى سيبقى .

من قبل قال كافكا . ان الكتابة نوع من الكفاح ضد الفناء . وانا اتصفح رواية جويس اشعر ان ترجمة الدكتور طه محمود طه لها نوع من الكفاح ضد الفناء . واشعر ان الجهد الذى قام به الرجل جهد ابداعى يساوى كتابة الرواية تماما ولا يقل عنها باى حال ..

الدكتور طه محمود طه عضو فى كافة الجمعيات الادبية الخاصة بجويس . ووراء هذا العمل العظيم جندى آخر مجهول هو الدكتور محمود الشنيطى صاحب المركز العربى للبحوث والنشر الذى تصدى لنشر مثل هذا العمل الضخم . وبالتاكيد فان نشر رواية كهذه وبهذا الحجم ليست عملا تجاريا باى حال من الاحوال .. ولن تحقق اى مكاسب . ونشرها دور ثقافى هام واصيل ، كان من المفروض ان تقوم به الدولة .. ولكن قام به الدكتور الشنيطى .



جيمس جويس

صوت للبلاغة العربية

صدر العدد الثاني من مجله «ألف» وهي مجلة جديدة للبلاغة المقارنة . يصدرها قسم الادب الانجليزى المقارن في الجامعة الامريكية بالقاهرة . والمجلة تصدرها مجموعة من الباحثين والدارسين هم الدكاترة والاساتذة : سيزا قاسم دراز ، نبيلة ابراهيم ، فريال غزول ، حسنا، مكداشي، ويقدمها : مسعد عبدالوهاب وعدد آخر من الاسماء الاجنبيه .

وصدور مجلة للبلاغة العربية المقارنة شيء جيد وجديد ، وممتاز .ومن يقومون بهذا الجهد من الاسماء البكر والجديدة والتى لم تستهلكها الحياة الادبية والثقافية . الدكتورة سيزا قاسم من الأسماء الجديدة كانت رسالتها من أجل الحصول على الماجستير حول كتاب « طوق الحمامه » لابن حزم الاندلسي . وكانت رسالتها من أجل الحصول على الدكتوراه حول ثلاثية نجيب محفوظ بين القصرين وقصر الشوق والسكرية . وتحاول الا تشارك في الواقع الثقافى الراهن لايمانها التام بتخلف هذا الواقع . الدكتورة فريال غزول ، عراقية الاصل . تقيم في مصر . وكانت رسالتها من أجل الحصول على الدكتوراه عن الجانب الانساني في الف ليلة وليلة . وقد قدمتها باللغة الانجليزية .. أما الدكتورة نبيلة ابراهيم سالم ، فقد حصلت على الدكتوراه من المانيا ، وكانت عن ذات الهمة وهي احدى سيرنا الشعبية الهامة . ولها العديد من الدراسات حول اشكال التعبير في الادب الشعبى .

في هذا العدد بعض المقالات بالعربية ، وبعضها الاخر بالانجليزية . في القسم العربى دراسة عن اتجاهات في التقييم الادبى . ويكتب الدكتور حسن حنفي عن مدرسة تاريخ الاشكال الادبية . ويكتب الدكتور عبدالمحسن طه بدر عن اهميه النسخة الخاصة بعبد الرحمن شكرى من ديوان ازهار الشر لبودلير . ويجرى الدكتور صبرى حافظ حوارا هاما مع ادوار الخراط .

وفي القسم الانجليزى من المجلة تكتب الدكتورة سيزا قاسم دراسة بعنوان : حديث العتامة ، وحديث الشفافية : دراسة مقارنة بين انسان السد العالى ونجمة اغسطس لصنع الله ابراهيم . ويقدم حاستن كاول ابن رشيق القيرواني في دراسته : القدماء والمحدثون . وتقدم مارجريت لاركن دراسة الجرجاني عن دلائل الاعجاز .

حتى الآن من المفروض ان المجلة تصدر مرة واحدة في السنة ، ولكن المشكلة ان العدد سعره جنيهان . وهذا المبلغ كبير بالنسبة للقدرة الشرائية للقارىء . وان كانت المجلة محاولة جيدة وجيدة بالنسبة للواقع الثقافي الذى يعانى من حالة خواء وفراغ شديدين .

نافذتان للحرية

أى دار للنشر هي في النهاية نافذة من اجل حرية الكلمة المكتوبة ، وحرية الإنسان في مصر . شهد هذا الشهر عودة دار الموقف العربى ، للعمل من جديد . وهي من الدور الجادة والجيدة ، والتي لعبت دورا .. للنشر الادبى . كانت صوتا عربيا في القاهرة في زمن خفتت فيه كافة الاصوات العربية الجادة والاصيلة . وكانت نافذة للادب الجاد .

اول كتبها في الاسواق دراسة الدكتور فؤاد مرسى الهامة التخلف والتنمية . ودراسة الدكتور نادر الفرجاني هدر الامكانية .. ولها في المطبعة الآن : الاعمال الكاملة ليحيى الطاهر عبد الله الذى رحل عن زماننا بصورة مبكرة .

وهي كلها بدايات جادة . في وقت نحن نحتاج فيه الى دور النشر الجادة اكثر من احتياجنا لاى شيء آخر .



وارد الكتب : قراءة فى كتاب الوطن

● كتاب صغير ولكنه هام وصلني بالصدفة ، أصدرته الثقافة الجماهيرية بمناسبة الجلاء الإسرائيل عن سيناء ، وأعده جلال الجميعي وأشرف عليه فؤاد عرفة ، أعطاه لي الصديق علي أبوشادي مدير ادارة السينما في الثقافة الجماهيرية .

والكتاب عبارة عن قراءة في كتاب مصر من أول تاريخها حتى الآن ، عبارة عن قراءات لابن خلدون ، والملك سنوسر الثالث ، وهيرودوت وسطور من كتاب وصف مصر ومن شكاوى الفلاح الفصيح ، فيه لمحات من كفاح الشعب المصري في العصور المختلفة التي مرت بمصر .

يحاول الكتاب الامساك بروح مصر العظيمة التي بقيت واستمرت رغم كل ماحدث لمصر . تنطلق الرحلة والاختيارات يحاول الكتاب استجلاء وجه مصر عبر كل العصور التي مرت بها .. فيه خطب عبدالله النديم ، وكلمات احمد عرابي ، وعبد الرحمن الجبرتي ، انها روح مصر جمعت في كتاب .

المشكلة الحقيقية ان هذا الكتاب لا يباع في مكان معين ، ويبدو ان الثقافة الجماهيرية أصدرته احتفالا بمناسبة ما ، ولكن المناسبة اخرجت لنا كتاباً فيه من المادة الخام عن مصر .. الكثير .. وتبقى مشكلة وصوله الى الناس العاديين في أماكن وجودهم .. اليومية .. ●

من الزاهد ؟

دعا الرشيد يوماً متصوفاً زاهداً كان في شبابه من الصعاليك قطاع الطرق ثم تاب وتصوف ، فقال له الرشيد : « ما أزهدك الآن ! » . فأجابه الصوفي : « انت ازهد مني يا أمير المؤمنين » فقال الرشيد متعجباً : « وكيف ذلك ؟ » فأجاب الصوفي : « لأني ازهد في الدنيا وانت تزهد في الآخرة ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية ! » .

فرحة النصر

● كان لاحدى نساء أسبرطه خمسة ابناء اشتركوا كلهم في الدفاع عن وطنهم ، ووقفت المرأة تنتظر انباء القتال ، واذا برسول عاد من المعركة ، فسألته عن النتيجة فقال : « لقد قتل اولادك الخمسة .. »

فقالت له : « ايها النذل .. لست اسألك عنهم ، وانما سألتك عن النتيجة » فقال : « لقد انتصرنا .. » . فلمعت لتوها فرحة بالنصر .

ارباح مركبه

كان « فولتير » يقرض أمواله بالربا مشترطاً على المدينين الا يعيدوا اليه المبالغ التى اقترضوها ، بل يدفعوا له سنويا ١٠٪ منها كارباح ما بقى على قيد الحياة . وكان يتعمد كلما زاره عميل جديد ان يسعل ويتظاهر بالمرض والالم حتى يظن الزائر ان فولتير سيموت بعد قليل فيرحب بالشروط !

ولكن فولتير عاش حتى الرابعة والثمانين من عمره بعد ان ظفر بارباح طائلة من هذا الربا الشيطاني !

تذكرة طبيّة

مرض أديسون

تقديم: د. السيد الجميلى

سيدة تبلغ من العمر ستة وخمسين عاما كانت تعالج من التهابات تحت حادة بالصدر بواسطة طبيبها الممارس العام منذ فترة .

ولقد لاحظ هذا الطبيب انها رغم توقف السعال والافرازات الشعبية الكثيفة ، الا أن الحالة العامة لها لاتزال سيئة ، وفي انحطاط مستمر .

وبعد مضي شهور ، الفت نفسها قد نقص وزنها ½ كيلوجراما مع آلام شديدة بالبطن لا علاقة لها بوجبات الطعام .

ولم توجد أية ملاحظات اخرى بالبطن او اى جهاز من الاجهزة الحيوية الاخرى بالجسم أو بالصدر بصفة خاصة . وتم فحصها اكلينيكيا ، وقد اجريت لها بعض التحاليل الطبية لاستقصاء حالتها هذه فوجد ان هناك هبوطا نسبيا فى ضغط الدم « ٩٠/٦٠ مم ز » والنبض = ٨٠/ دقيقة منتظم ، القلب والرئتان طبيعيان ، ولا توجد أية ملاحظات بالجهاز العصبى او الجهاز الهضمى .

نسبة الهيموجلوبين = ١٣٫١ ، الكرات الدموية البيضاء = ٦ × ١٠ ٩/لتر

نسبة الصوديوم بالبلازما = ١٣٦ مجم ، البوتاسيوم = ٥ مجم ، اليوريا = ١٥ مسمول . واشعة الصدر عادية تماما .

التشخيص والعلاج

هذه الحالة من هبوط الضغط وقلة معدل الصوديوم بالبلازما ونقص الوزن وآلام البطن مع الخمول الشديد والهبوط العام صورة اكلينيكية متكاملة مثالية لمرض « اديسون » .

ومن المتوقع ان تعصف نوبة هذه الحالة بشدة وعنف لقاء التهاب عرضى بالصدر او بالشعب الهوائية .

وهذا المرض ينجم عن ضمور الغدد فوق الكلوية على الجانبين وقد يكون سبب ذلك مرض السل « الدرن » او بعض الامراض الخبيثة الاخرى ولكنها نادرة جدا .

فى بعض الاحيان يصحب مرض اديسون بعض الحالات الاخرى مثل الانيميا الخبيثة المزمنة او الميكسيديما اى نقص افراز الغدة الدرقية . وفى ظروف قليلة جدا يصحب اديسون مرض السكر .

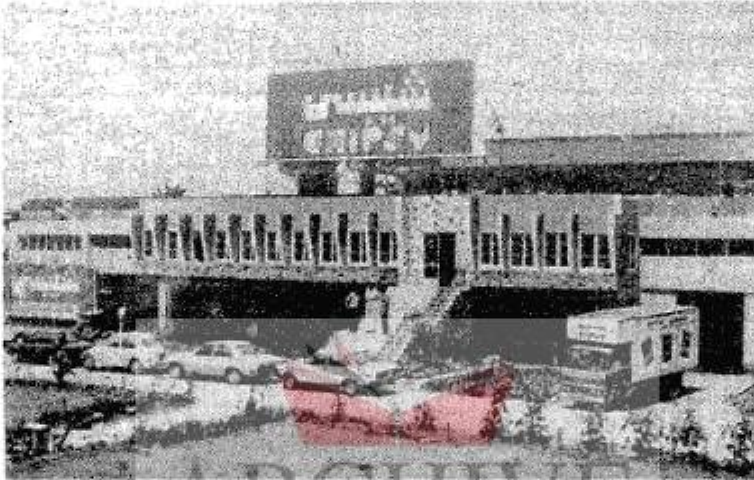
ويجب فى مثل هذه الحالة البحث عن معدل « الكورتيزول » بالدم ، حيث تؤخذ عينة وسط الليل ، وعينة اخرى فى الصباح الباكر

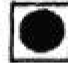
والهبوط فوق الكلوى من الممكن ان ينتج عن هبوط الغدة النخامية فى المخ ولذلك وجب ولزم التفريق بين هذا وبين الهبوط فوق الكلوى الناتج عن الدرن او الامراض الخبيثة الاخرى .

ويتم التفريق بحقن المريض ب A.C.T.H. ومراعاة تأثر الكورتيزول بالدم فان ازداد كان القصور بالغدة النخامية ، وان لم يتأثر كان لاسباب اخرى . ●

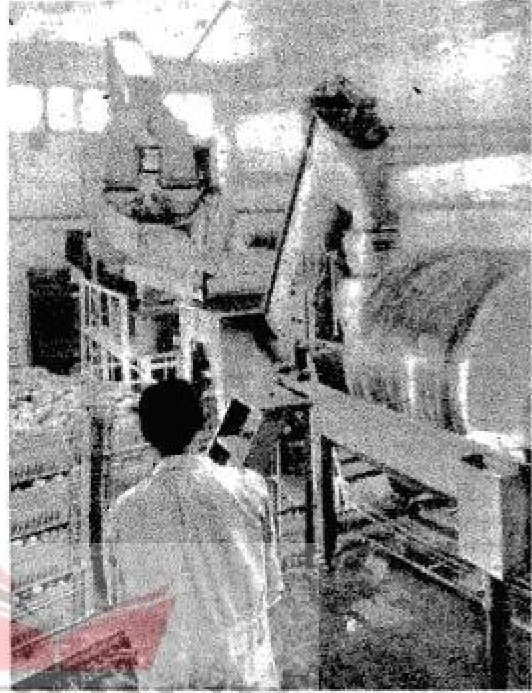
ماذا قالت أبحاث التغذية عن:

الشيبس ؟



 البحوث العلمية الحديثة تسخر اليوم من اجل تطوير غذاء الانسان وانتقاء الافضل منه صحيا بما يعود على الجسم بالصحة والفائدة .. وقد اثبت علماء التغذية في العالم وفي مقدمتهم الدكتور «ماكاى سميث» الاستاذ بجامعه كورنيل الامريكية ان الطبيعه قد وهبتنا عددا قليلا من الاطعمة المتوازنة والكفيلة بالحفاظ على صحة وحياة عدد كبير من البشر في العالم وتحتل البطاطس قمة هذه الاطعمة ..

● ولان البطاطس تعد من الاغذية العالمية التي ينتشر استخدامها كغذاء رئيسي في كل بلاد الدنيا وتنوعت استخداماتها كوجبة تضم اهم العناصر التي تعود على الجسم بالفائدة فقد توصلت البحوث العلمية الى اكتشاف اشهر واهم استخدام لهذا الغذاء الحيوي الهام وهو الشيبس او الشرائح الرقيقة من البطاطس التي انتشرت اليوم على كل مائدة فضلا عن مذاقها المتميز بالجودة فهي تضم اهم العناصر الغذائية اللازمة لجسم الانسان . .



ولكن ماذا يقول العلم عن الشيبس ؟ .. وما هي نتائج البحوث التي هدفت الى الكشف عن مكوناته الهامة .. لقد طرحت مجموعة من الاسئلة حول الشيبسي وكانت هذه الاجابات العلمية ؟

الشيبسي .. غذاء متكامل

● وكان السؤال الاول حول القيمة الغذائية للشيبسي كما اثبتتها البحوث العلمية وتقول نتائج هذه البحوث الهامة ان الشيبسي يحضر كشرائح رقيقة من البطاطس

وتعد البطاطس من الاطعمة المتوازنة لانها تضم عددا كبيرا من العناصر الغذائية وقد اثبت عدد كبير من المتخصصين في وزارة الزراعة الامريكية ان وجبة من اللبن والبطاطس تعد من الوجبات الكاملة لاحتوائها على العناصر الغذائية الصحية اللازمة للانسان ..

● هل اعداد البطاطس بطريقة الشيبسي يؤدي الى فقدها لعناصرها الغذائية ؟

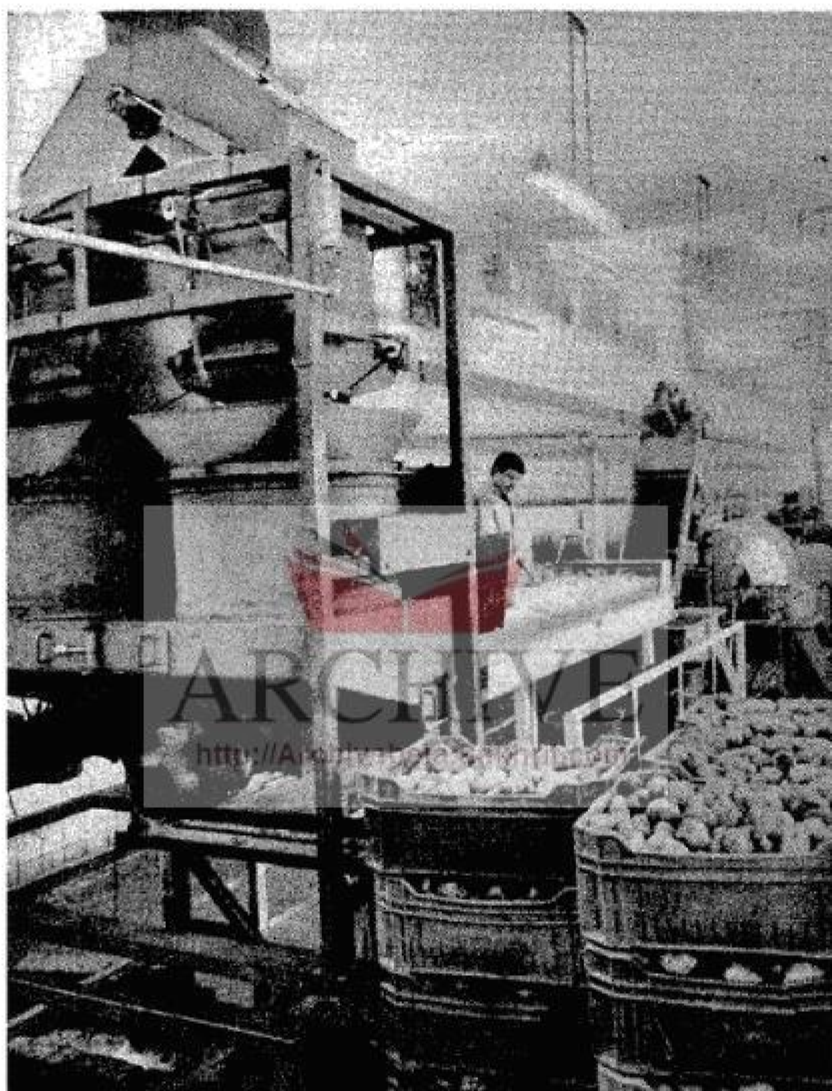
– من المعروف ان اعداد الخضروات وطهيها يفقدها جزءا من عناصرها وقيمتها الغذائية . فالبيض مثلا يفقد الكالسيوم الذي يحتويه بمجرد تقشيره. والبرتقال يفقد جزءا كبيرا من الفيتامينات والمعادن التي يضمها بمجرد عصره وكذلك التفاح عند تقطيعه الى شرائح وهذه الحقيقة العلمية تنطبق على كل الخضروات والفواكه تقريبا .

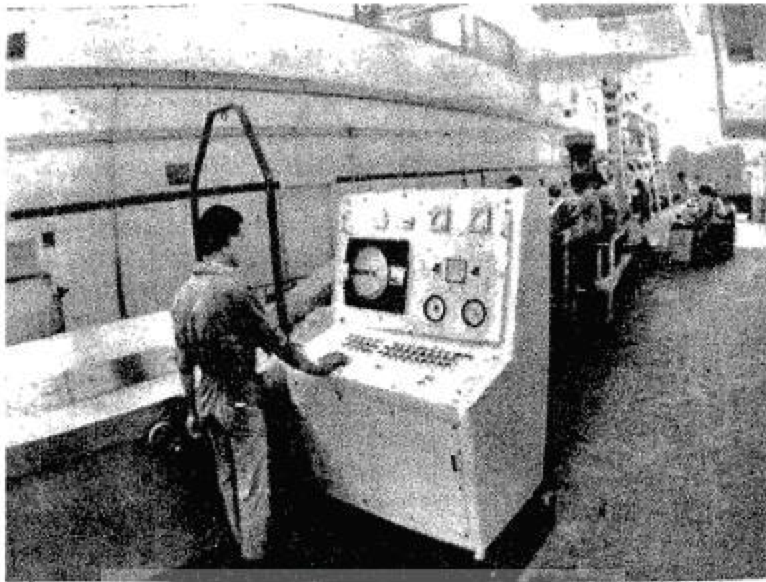
اما بالنسبة للبطاطس فان اعدادها بطريقة الشيبسي لا يستغرق وقتا فهي تحتفظ بعناصرها الغذائية فقد اثبتت الدراسات المعملية ان اعداد الشيبسي يؤدي الى فقدان البطاطس لقدر أقل من عناصرها الغذائية على عكس اعدادها بالطرق الاخرى مثل السلق وازالة قشرتها او طهيها كما هو الحال في بقية انواع الخضر .. ويهمنا ان نذكر ايضا ان اعداد الشيبسي يضيف موادا غذائية اخرى للبطاطس لان قليها في الزيت يضيف اليها الدهون كما يضيف اليها الملح ايضا

شريحة الشيبسي تساوي ثمرة بطاطس

● كيف يتم اعداد الشيبسي ؟

– اعداد الشيبسي يبدأ بغسل البطاطس جيدا ثم تقشيرها وتقطيعها الى شرائح رقيقة ثم تقلى لمدة دقيقتين في زيت الطعام . ويمكن ايضا عدم تقشير البطاطس وبذلك تحتفظ بكمية





جهاز الكمبيوتر الذى يتحكم فى تشغيل المصنع ..

اكبر من عناصرها الغذائية وذلك لان القدر الاكبر من المكونات الغذائية لثمرة البطاطس تتركز تحت القشرة مباشرة .. وبعد ان تقلى شرائح البطاطس يتم تمليحها وتحفظ فى اكياس خاصة وبذلك يكون لدينا مادة غذائية مفيدة ومعدة للاكل ويمكن الاحتفاظ بها لعدة اسابيع دون ان تفسد .. واذا قارنا هذا الشيبسى المعد مسبقا بمثيله الذى يجرى اعداده بالمنزل فسنجد ان عملية القلى فى حد ذاتها تستغرق على الاقل ٢٠ دقيقة اما اذا طهى بطريقة اخرى فسيستغرق طهيه حوالى ساعة وذلك يعنى فقدان العناصر الغذائية الموجودة فى الثمرة اتساقا مع الحقيقة العلمية التى تقول ان تعريض الخضروات او الفواكه للحرارة او الرطوبة لمدة طويلة يفقدها عناصرها الغذائية *

● هل يحتاج الانسان لتناول كمية كبيرة من الشيبسى حتى يحصل على قدر كاف من العناصر الغذائية ؟

— العكس هو الصحيح فشريحة الشيبسى الواحدة يمكن ان تعتبرها ثمرة بطاطس كاملة ولكنها مركزة فالثمرة الطازجة تحوى ٨٠٪ من وزنها ماء وفى حالة اعداد الشيبسى وقليه تفقد الشريحة ٩٧٪ من كمية الماء الموجودة بها ولا يتبقى منه الا حوالى ٢٪ تقريبا فتصبح الشريحة بذلك مثلها مثل ثمرة الخضر او الفاكهة مجففة كالعنب والمشمش والبلح . بل يمكننا ان نقول بان الشيبسى افضل من هذه الفاكهة المجففة لانها تحتفظ بما يقرب من ١٢ ـ ٢٠٪ من كمية الماء الموجودة بها .

كل العناصر الغذائية في الشيبسي

= وما هي اهم العناصر الغذائية التي يحتويها الشيبسي ؟

- يحتوى الشيبسى على كل من العناصر الاتية : البروتين وفيتامين ج ، والثيامين والنياسين . والحديد وفيتامين ب ٦ والفوسفور والمنجنيز . ولازالت تجرى بعض الدراسات المعملية لاثبات وجود بعض العناصر الغذائية الاخرى كما توجد مؤشرات على وجود فيتامين هـ وبعض المعادن مثل الكروم .

الشيبسي لايؤثر على الوزن

● هل يؤثر تناول الشيبسى على وزن الجسم ؟

- احتياجات الجسم من الطاقة تختلف من فرد الى اخر طبقا للسن والجنس وما يبذل من مجهود جسمانى وايضا حجم الجسم ودرجة الحرارة .. وكل زيادة يحتاجها الجسم تتسبب فى زيادة الوزن وكلما زاد حجم الجسم مع الزيادة فى الجهد الجسمانى كانت الحاجة الى السعرات الحرارية التى يستهلكها الجسم اكبر دون حدوث زيادة فى الوزن . والاوقية الواحدة من الشيبسى تحتوى على ١٥٠ سعرا حراريا اى ما يقرب من ٥٪ من السعرات الحرارية التى يحتاجها رجل وزنه ١٥٤ رطلا ، اى ٧٠ كجم .

● وهل يحتوى الشيبسى على الكثير



من الكربوهيدرات ؟

ـ بالتاكيد فالشيبسي يحتوى على اكثر من ٥٠ ٪ من وزنه كربوهيدرات و ٣٦٪ من الدهون والنسبة الباقية تتكون من البروتين والألياف والفيتامينات والمعادن .

● هل يمكن الاكتفاء بالشيبسى كوجبة سريعة متوازنة وكاملة ؟

ـ من الصعب أن تعتمد على نوع واحد من الطعام ليكون بمفرده غذاء متكاملا ـ ومتوازنا ولكن المهم أن يحتوى كل طعام على عناصر غذائية مفيدة وهو ما يتوافر فى الشيبسى .

الشيبسى .. وتوفيره للمستهلك

● ولكن كيف دخلت صناعة الشيبسى مصر كغذاء تتوافر فيه عناصر بناء الجسم الانسانى ؟ .. لقد كانت جولتنا فى مصانع .. «أيجبت تريد» التى تنتج شيبسى بترخيص من جولدن شيبس بانجلترا اطلالة على فكر وجهد مجموعة رائدة من الشباب المصرى استطاعت باخلاصها ان تفتح نوافذ اقتصادية جديدة من اجل دعم الانتاج وتوفير السلع الغذائية للمستهلك المصرى وذلك باحدث الاساليب العلمية المتطورة وباستخدام ما توصل اليه العالم من تكنولوجيا متقدمة فى مجال التصنيع الغذائى ●



اسعار : الهلال

البلد	السعر	العملة	البلد	السعر	العملة
سوريا	٣٥٠	ق.س	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
لبنان	٣٠٠	ق.ل	باريس	٨	فرنكات
الاردن	٣٠٠	فلس	لندن	٨٠	بنى
الكويت	٤٥٠	فلسا	ايطاليا	١٢٠٠	ليره
العراق	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣٫٥	فرنك
السعودية	٥	ريالات	اثينا	٥٠	دراخمة
السودان	٣٥٠	مليما	فيينا	٣٥	شلنا
تونس	٦٥٠	مليما	فرانكفورت	٣٫٥	مارك
المغرب	٨٠٠	فرنك	كوبنهاجن	١٠	كرونات
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	استوكهولم	١٤	كرونه
الخليج	٤٥٠	فلسا	كندا	٢٥٠	سنتا
غزة	٨٠	ليرة	البرازيل	٢٥٠	كروزيرو
الصومال	٥٠	بنى	نيويورك	٢٥٠	سنتا
داكار	٤٠٠	فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
لاجوس	٦٠	بنى	استراليا	٣٠٠	سنت
اسمرة	٤٥٠	سنتا	هولندا	٤	فلورين
اليمن الشمالية	٥٠	بنى			



والعالم يتطلع الى أن يأتى القرن الواحد والعشرون وقد أظلته حياة أكثر أمنا ورخاء .. والدول المتقدمة تأخذ بأسباب الرخاء والرفاهية ، فان مجموعة الدول النامية أو الدول المتقدمة تحاول ما وسعها الجهد للخلاص من أسباب تخلفها بالاخذ بالتخطيط أسلوبا لحياتها حتى تستطيع الخلاص من وهدة التخلف والفقر .. ومصر نموذج من هذه الدول التى تحاول الاخذ بأسباب التقدم ووضع الخطط التنموية التى ترفع من مستوى الدخل فيها .. ولكن !

ولكن مهما بلغ من خطط التنمية فان الزيادة فى الدخل تصبح غير ملحوظة ويصبح الرخاء غير ملموس نظرا للزيادة السكانية التى تبتلع جهود خطط التنمية .. ومن هنا كان محتما ان نعيد النظر فى الزيادة السكانية حتى تقترب سنوات الرخاء .



السيدة/عزيزة حسين



الاستاذ/علت رمضان

كيف تكونت الجمعية ؟

ـ تقول السيدة عزيزة حسين : في الواقع اننا نعمل في هذا المجال منذ فترة ليست بالقصيرة . ففي أواخر سنة ١٩٦٢ بدأ اهتمامي بتنظيم الاسرة مع زميلاتي المتطوعات في جمعية الخدمة الاجتماعية .. ولقد قمنا بدورنا كمتطوعات في مجال تنظيم الاسرة . ولقد قمنا في ١٩٦٣ بتجربة وممارسة هامة استطعنا من خلالها أن نصل أكثر مما نتصور في هذا المجال ولكننا لم نستطع بعد ١٤ عاما أن نضع استراتيجية مدروسة لهذه القضية وكيف لم نصل بدعوتنا لها الى كل الناس في مصر . في الحقيقة التي أعتبر ان هذا الذي لم يتحقق يعتبر نقصا في الدور الذي قمنا به وفي الواقع أود أن ألقي مزيدا من الاضواء على قضية تنظيم الاسرة وما الذي تعالجه .

وفي البداية أقول انها قضية تعالج الصحة وتعالج الام المصرية في نفس الوقت ومثل هذا السؤال لم يتم على المستوى القومي .. ولقد استطعنا منذ عامين اثنين فقط أن ننشيء مراكز لتنظيم الاسرة تتكلم بشكل واضح وصريح عن تنظيم الاسرة وقد أقبلت السيدات على استخدام وسيلة اللولب النحاسي التي لم تكن تتصور وزارة الصحة في مصر أن هناك واحدة من السيدات سوف تقبل على استخدامها . ولقد ساندتنا في مهمتنا هذه هيئة طبية مصرية وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد صادق فودة والدكتور كريم والدكتور ابراهيم كمال وهذا يعني ان الناحية الصحية والطبية لقضيتنا كانت أساسية بالنسبة لنا .

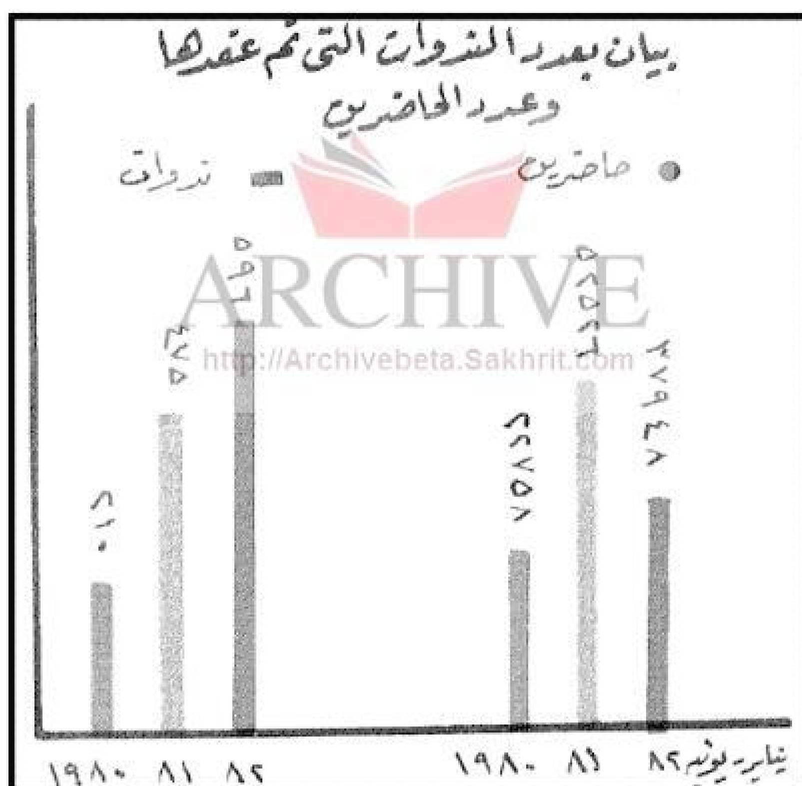
المشروع لم يات من فراغ

ويسؤال الاستاذ عفت رمضان ـ المدير التنفيذى لمشروع اسرةالمستقبل عن اهداف المشروع عند بدء التفكير فيه .. وهل تم اعداد الدراسة الكاملة بشانه أجاب ان هذا المشروع قد تم على أساس دراسة وافية وتقييم للتجربة خلال ماتم فى المرحلة السابقة .

ان مشروع أسرة المستقبل قد تبجح عن طريق شيئين مهمين هما : الاتصال المباشر بالجماهير والخروج من وراء المكاتب والاتصال المباشر بالاطباء والصيادلة هذا الى جانب اهتمام المشروع بالتدريب فهو يقوم بتدريب الاطباء والصيادلة على استعمال وسائل المنع بطرق مبسطة وميسورة .

مؤيدون للمشروع

وعلى الرغم من أن دعوة تنظيم الاسرة قد صادفت بعض المعارضة الا انه فى الفترة الاخيرة اكتسبت فكرة تنظيم الاسرة الى صفوفها بعض الصفوة من رجال الدين يعتد برأيهم وبذلك تبدأ فكرة تنظيم الاسرة السير فى منعطف جديد بعد أن أصبح لها هذا السند من رأى خيرة رجال الدين فى مصر والعالم الاسلامى .



الهلال

سبتمبر
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشا

صالون نازلي هانم

الملتقى الإسلامي في الجزائر

شخصيات ظلمها طه حسين

١٠٠ سنة بعد هزيمة التل الكبير



الهلال

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة التسعون ـ أول سبتمبر سنة ١٩٨٢ الثالث عشر من ذى القعدة سنة ١٤٠٢

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير
كمال النجمى
المستشار الفنى
محمد أبو طالب
سكرتير التحرير
موسى عيد



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان اربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى أو عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة ـ تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط



في هـــذا
العـــدد

فى ذكرى هزيمة كبيرة

بقلم : كمال النجمى

● هذه هى الذكرى المئوية لانكسار عرابى فى حرب الغزاة البريطانيين وحلفائهم من « المصرلية » و « العثمانلية » الذين ساقوا مصر الى الهزيمة وسلموا البلاد والعباد ووضعوا الحرث والنسل تحت سنابك ريتشارد قلب الاسد الصليبى الذى انبعث سنة ١٨٨٢ فى ثياب الجنرال البريطانى « ولسلى » ! ..

فى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ عاد عرابى مخذولا من ميدان المعركة الفاصلة فى « التل الكبير » .. متقلا بهزيمة تاريخية عجيبة بدأت وانتهت فى عشرين دقيقة ، ولم تجاوز خسائر الغزاة فيها سبعة وخمسين قتيلا .. هم كل الثمن الذى دفعوه لامتلاك مصر ، بقرة حلوبا ، سبعين عاما بعد ذلك ! ..

صحيح أن معارك اطول واشرس واضرى واحمى ، خاضها العرابيون قبل معركة التل الكبير بيوم أو يومين ، فى القصاصين ، وثبت على أرضها ثبات الابطال جنود وقادة مصريون .. ولكن هذه المعارك الباسلة الفاشلة ، فتحت الابواب للهزيمة النهائية : هزيمة التل الكبير ! ..

قال عبد الرحمن الرافعى فى تاريخه : « كانت ـ معركة التل



احمد عرابي

فى ذكرى هزيمة كبرى

الكبير ـ أشبه بمهزلة أو مأساة ، فهى صفحة محزنة من تاريخ مصر الحربى والقومى » .

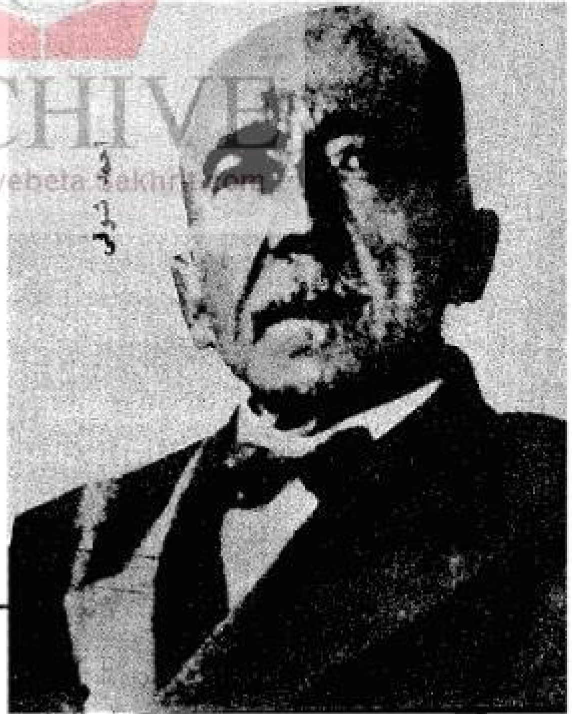
استسلم عرابى وزملاؤه مقهورين ونفوا الى جزيرة سيلان «سيريلانكا الآن » .. مات بعضهم هناك ، وعاد الآخرون الى مصر بين الموت والحياة .. كان عرابى آخر العائدين ، والوحيد الذى لم يرد اليه من أملاكه أدنى شىء .. فعاش معدما ضائعا فى غمار فقراء مصر، وهم الاغلبية التى استل سيفه فى ثورته سنة ١٨٨١ مطالبا بحقوقهم!

فى سبتمبر سنة ١٩١١ مات عرابى مسكينا محشورا فى قبور المساكين ، مفترى عليه من أناس « وطنيين » محدثين فى الوطنية بعد الاحتلال .. مكذوبا عليه من العملاء والجهلاء والمتسرعين الذين لمسوا قشرة تاريخه ولم يعرفوا شيئا وراءها ! .

فكان سبتمبر هو شهر الامل والالم فى حياته كلها : انتصر فيه على الخديو .. وانهزم فيه من الانجليز .. وعاد فيه من المنفى وسط صيحات الهزء والسخر .. ثم مات فيه غما وكمدا ..

لم يكد عرابى يرجع من منفاه الى الوطن فى سبتمبر سنة ١٩٠١ حتى انهال عليه بالسباب فى بعض الصحف ، شعرا ونثرا ، شعراء وكتاب وأناس مختلفو الاتجاهات، كان أبرزهم أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، والسياسى الوطنى مصطفى كامل باشا .. كلاهما أيامئذ فى الذروة فى مجتمع الخديو عباس حلمى الثانى والسلطان العثمانى عبد الحميد واللورد كرومر البريطانى ! ..

كان شوقى أشهر الشعراء ، وكان مصطفى كامل صوت الحركة



الوطنية التي نجمت بعد الاحتلال منادية بجلائه مع التمكين للعلائق التقليدية بين خديو مصر وسلطان تركيا .. لا ذلك أن الشعبين المصرى والتركى كانا مبعدين عمليا من كل علاقات بين الحكام فى استامبول والقاهرة » ! ..

ومنذ جلوس الخديو عباس حلمي على الاريكة المصرية بفرمان سلطاني وهيمنة بريطانية ، ظهرت ميوله « العثمانلية » ..

كان ذلك منذ سنة ١٨٩٢ ، أى قبل اشتغال مصطفى كامل بالزعامة الوطنية .. ومن يطالع مذكرات كرومر ، تدهشه المناقرات التى لم تنقطع بينه وبين عباس حلمى ، وفى ذلك الوقت كان مصطفى كامل ما زال تلميذا بالمدارس الثانوية أو العالية . ولا أثر له بطبيعة الحال فى توجيه الخديو نحو مخالفة الانجليز ولو فى الصغير من الامور ..

فالاصح أن يقال ان عباس حلمى لم يجنح الى مغاضبة اللورد كرومر أحيانا ، بتحريض من مصطفى كامل ، لان عباس حلمى كان عثمانيا بحكم تربيته ، عرفه الانجليز كذلك قبل أن يبزغ نجم مصطفى كامل فى السياسة ، فلما بزغ نجمه صار على غرار الخديو : وطنيا عثمانيا ..

فأى هذين الرجلين اذن كان المتأثر بأفكار صاحبه ؟! ..

التاريخ ينبئنا أن عباس حلمى كان أسبق من مصطفى كامل فى هذا المضمار ، وليس بين يدينا من الوثائق ما يدحض قول التاريخ !

الا انه يعنينا فى هذا المقام ، موقف أمير الشعراء أحمد شوقى من البطل المهزوم أحمد عرابى الذى أعادته الى مصر وساطة ولى عهد بريطانيا حين مر بجزيرة سيلان فكتب الى لندن يقترح اعادة عرابى الى مصر ..

ولما بلغ عرابى ميناء السويس ادلى بحديث الى جريدة التيمس منوها باصلاحات الانجليز فى مصر ..

من يتأمل هذا الحديث الذى ادلى به عرابى متحفظا مضطرا ، لا يجد فيه كلمة واحدة كاذبة ، ولكن المؤلم فيه انه كان ثمنا للعودة من عذاب المنفى .. ونقاد عرابى حينئذ يطالبونه بالبقاء فى منفاه حتى الموت .. أو « الانتحار » .. لكى يثبت لحضراتهم وطنيته ، ويستديم اعجابهم ، وهم الذين لم

فى ذكرى هزيمة كبرى

تثبت لهم وطنية يعتد بها الا فى مواقف الكلام ! ..

لو كان عرابى رضى الجلوس على كرسى رياسة الوزارة فى سالف الاوان وفتح على خزانته الخاصة خزانة الدولة ، ونهب عشرات الالوف من الافدنة ، وسبح بحمد الاوربيين والعثمانيين والسدة الخديوية الفخيمة وخليفة استامبول لدامت له تلك « النعم » الجليلة ، والفوائد الجزيلة .. ولما كانت بالانجليز أدنى حاجة الى محاربته وغزو مصر ، فانه بعمله هذا - لو تم - يكون قد غزا مصر للانجليز نيابة عنهم ، وفتحها لهم على مصاريعها بسيفه لا بسيوفهم ..

ولكن عرابى الساذج ثار على الفساد ، وقال فى خطبته : « فليرسلوا الينا جيوشا أوربية أو هندية أو تركية ، فانى ما دمت وبى رمق فانى سأدافع عن بلادى » ! ..

فحق على عرابى اذن أن يحل به ذلك العذاب الاليم ، وان يهاجمه الباشوات والبكوات الناعمون المترفون ، العثمانيون والاوربيون ، ويحملوه مسئولية الاحتلال ، ويبرئوا منها الجناب العالى الخديوى ومثله فى البراءة والطهارة خاقان البرين والبحرين سلطان بنى عثمان .. وأكثر من الخديو والسلطان براءة وطهارة ، جيش الاحتلال بقيادة الجنرال ولسلي ، ثم حكومة الاحتلال متوجة بفخامة اللورد كرومر !.

ماذا قال عرابى فى حديثه الى التيمس اللندنية بعد وصوله الى السويس مقهورا محسورا ؟! ..

بضع كلمات عن الاصلاحات الادارية الانجليزية فى مصر ، علق عليها مراسل التيمس قائلا :



مصطفى كامل

« يظهر ان مدة الثماني عشرة سنة التى اقامها عرابى فى المنفى قد صيرته صديقا لانجلترا » ..

تعليق من صحفي بريطانى مغرور جاهل ، لا شان لعرابى به، كأنما أراد هذا الصحفى الاستعمارى أن يقول شامتا : ان المنفى كان تأديبا وتهذيبا واصلاحا لعرابي الوطنى الثائر لوطنه ، المعادى لبريطانيا واستعمارها .. وان بطشك بعدوك ، يجعله صديقا لك ! ..

وهذا هو نفس المنطق الشيطاني الصهيونى الآن ، فهم يرفعون شعارهم القائل : اقتلوا العرب وأذلوهم وافتكوا برجالهم واهتكوا نساءهم ، ومزقوا أطفالهم بالقنابل العنقودية ، واحشدوا أسراهم فى المعتقلات : يصيروا أصدقاء أوفياء مخلصين لاسرائيل .. من الفرات الى النيل ! ..

نعرف الآن أن الاصلاحات والحقوق التى حارب عرابى من أجلها وضحى بكل شيء ، قد تم الكثير منها فعلا على أيدى الانجليز خلال عشرين سنة ، ظنا من الانجليز أن هذه الاصلاحات الادارية تنسى المصريين حرية وطنهم وتجعلهم أصدقاء للاحتلال ، يستديمون نعمته السابغة عليهم !

لم تكن تصريحات عرابي سنة ١٩٠١ — بعد عشرين سنة من الاحتلال — تقدم أو تؤخر ، بعد أن انتهى دوره الوطنى ، واختلفت الامور ، وصار الزعيم الثائر شيخا محطما فقيرا ، لم يساعده الانجليز أصدقاؤه المزعومون بدرهم، بل ساعدوا فى التضييق المادى عليه حتى اوشك أن يختنق مسغبة وذلا وعجزا .. وحتى بصق فى وجهه أطفال « الوطنية » فى تلك الايام، وصاحوا فى وجهه : يا خائن ! ..

كان عرابى يعرف كما يعرف الانجليز أنفسهم ما عبر عنه اللورد دوفرين بقوله حينذاك : «اننا نحن الانجليز لو رفعنا عن المصريين المظالم كلها ، وجعلنا بلادهم أكثر البلاد نظاما وثراء ، لم نجد منهم حيالنا ميلا ولا انعطافا ، ما دام احتلالنا لبلادهم ، لان الاستقلال لا يقدر بثمن » ! .

وكان للمرحلة التاريخية المضطربة غير الناضجة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، حين عاد عرابى الى مصر ، أثر واضح فى اضطراب أفكاره حيال الانجليز

فى ذكرى هزيمة كبرى

و « اصلاحاتهم » فى مصر .. وقد جاءت هذه « الاصــلاحات » بعد عهد طويل من الفساد المطبق ! ..

ولم يكن عرابى أيامئذ وحده ، مضطرب الفكر حائرا حيال هذه « الاصلاحات » ! ..

كان أشد منه اضطرابا وحيرة ، زعماء مصريون لامعون ، لم ينازلوا الانجليز فى ميدان حرب ، ولا فى ميدان سباق ! .. بل عقدوا معهم أوثق الصداقات ! ..

هؤلاء الزعماء كانوا يهاجمـون بعضهم بعضا ، وكل يتجه وجهـة يخصها بولائه ، أو بنصف ولائه ، مبقيـا على ولائه الحقيقى فى كل حال لجيش الاحتــلال ، وفخامة اللورد كرومر ! ..

لقد أدلى عـرابى بتصريحـاته الصحفية تلك سنة ١٩٠١ والامر مبهم فى عينيه ، والدنيا مظلمة ، الا أن آخرين من باشوات ما بعد الاحتلال تحدثوا بعد حديث عرابى ببضع عشرة سنة ـ وراية الاحتلال تخفق فوق رءوســهم ـ فحمدوا للاحتلال ما صنع بالبلد ، وأثنوا عليه بما قدروا ، ولم يكن أحد من هؤلاء الحامدين الشاكرين للاحتلال فى محنة ولا مسغبة ولا منفى حين حمد وأثنى وزعم تلك المزاعـم ، بل كانوا جميعــا فى بلهنية من عيشهم ، ينثــال عليهم الـذهب والفضة من حيث لا يحتسبون ! .

ولا نريد أن نذكر الآن أسـماء هؤلاء الباشوات ، فعلى رأسـهم رجال فضلاء حقا ، ابيضت صفحات تاريخهم بعد ذلك فى جهــادهم الصادق سنة ١٩١٩ وما بعدها .

الا انه لا يمكن نسـيان قول مصطفى كامل باشا ـ الذى أكن له اعجابا شخصيا ـ مخاطبا عرابى المسكين وهو عائد من المنفى يجرجر أذيال محنته الثقيلة : « بأى وجه تلاقينا وأنت الذى قضيت علينا ؟! .. الا يضــطرب قلبك ويدمى فؤادك ؟! » ..

ماهى التسمية الصحيحة لهذا الكلام الذى أرسله مصطفى كامل على عواهنه ؟! ..

سذاجة ؟!

طفولة وطنية ؟!

تجن على الابرياء ؟!

تجبر على الضعفاء ؟! ..

مداراة للاقوياء ؟!

تستر على الجناة الحقيقيين ؟!

جهل بالحقائق ؟!

ألم يخطر للباشا أن يوجه كلامه هذا الى الخديو عباس الذى كان والده « العظيم » توفيق باشا عميلا فارحا ، عاريا من كل ثيابه للانجليز ؟!

ولكن مصطفى كامل باشا كان في ذلك الحين صـــديقا للخديو عباس .. الشاب « الوطنى » .. وصديقا لسلطان « الباب العالى » في اسلامبول الذى ساعد ـ وهو أمير المؤمنين بزعمه ـ في احتـلال الانجليز لمصر ، وأصدر منشوراته المشهورة بتكفير عرابى الخارج على الخـلافة ! .. وكان على الانجليز « المؤمنين » أن يؤدبوا هذا الكافر الخارج على جماعة المسلمين وأمير المؤمنين ! .

ان الجهود التى بذلها الخـديو وسلطان تركيا في تأليب النـاس على عرابى ، كانت جيشا حقيقيـا ساعد الجيش البريطـانى على احتلال مصر وهزيمة عرابى ،ولكن مصطفى كامل باشا لم ير مشنقة المســئولية الا حول عنق عرابى وحده ! ..

وأرانى كلما جئت الى شـاعرنا شوقى في هذا المضمار استطردت عنه الى سواه ، فلنحاول أن نعـود اليه ونختم به القول ، ونجعـل التاريخ حكما بين عرابى وبينه ..

كان شوقى ـ مولى صغيرا من موالى البيت الخديوى الفخيم ، كما كان من موالى البيت الشـاهانى « الخليفتى » الاعظم في استامبول



اللورد كرومر

المحروسة ! ..

أليس شوقى هو الذى بعث من باريس ـ وهو طالب علم ـ قصيدة الى صحف القاهرة يمدح بها الخديو توفيـق بعد ادخاله الانجليز الى مصر ، قائلا :

قطعى في البلاد قوم ازيحـوا
فازيحت من جفنهـا الاقذاء

يشير بهذا البيت الركيـك الى عرابى والعرابيين الـذين كانوا ـ على حد زعمه ـ قذى في عيـون مصر فأزاح الخديو المعظم هـذا القذى بأسلحة الجيش البريطانى!

ثم ارسل شـوقى الى الخديو توفيق :

رعى الله يوما اشرقت فيه مصر من
ســنا وجه توفيــق بايمن غرة

فى ذكرى هزيمة كبرى

ويوما أمد الله فيه محمدا
باشرف نصر غب اشرف هجرة
على عصبة عمى القلوب تعوضوا
عن المالك ابن المالكين بسوقة

هكذا يمجد شوقى ـ وهو يومئذ ساذج فى العشرينات الاولى من عمره ـ ما يسميه « هجرة » الخديو توفيق من القاهرة الى الاسكندرية سنة ١٨٨٢ ليلحق فيها بالجيش الانجليزى الزاحف على القاهرة ٠

يزعم شوقى ـ سذاجة وتزلفا ـ ان انحياز الخائن الى الاعداء كان « هجرة » ٠٠ بل كان أشرف هجرة ، قام بها « محمد » يقصد الخديو محمد توفيق ـ والتلعب بالالفاظ هنا شديد القبح ، يثير الغثيان ، لان شوقى فى غمرة الملق ، تعمد أن يتمسح باسم « محمد » وباسم « الهجرة » ٠٠ وانما يقصد محمدا صلى الله عليه وسلم، وهجرته من مكة الى المدينة!

ولما كان فرار الخديو الى الانجليز فى الاسكندرية « أشرف هجرة » ـ يعنى أن غيرها من الهجرات أقل منها شرفا ـ فلا عجب أن كان النصر الذى أحرزه الانجليز للخديو صاحب « أشرف هجرة » ٠٠ هو « أشرف نصر » حققه الخديو وحلفاؤه على الشعب المصرى وزعيمه عرابى ! ٠

بعد ذلك كله ، يقال بالالسنة الفصيحة ان عرابى نوه بالاصلاحات الادارية للانجليز ! ٠٠ ويجىء شاعرنا شوقى فيهاجم عرابى ، تخوينا وتحقيرا وتشهيرا ، ويستقبله بقصيدة تنشرها جريدة « اللواء » لصاحبها مصطفى كامل باشا ، يقول شوقى ساخرا :

اهلا وسهلا بحاميها وفاديها
ومرحبا وسلاما يا عرابيها
وبالكرامة يا من راح يفضحها
ومقدم الخير يا من جاء يخزيها
وانزل على الطائر الميمون ساحتها
واجلس على تلها وانعق بواديها
وبض لها بيضة للنصر كاملة
ان النجاج عقيم فى نواحيها



الخديو عباس حلمى

ولكن « بيضة النصر » التي يطلب شوقي الى عرابي أن يبيضها لم تكن ممكنة ، بعد أن باض الخديو توفيق « بيضة الخيانة » .. وعززها السلطان عبد الحميد ببيضة اكبر منها .. وأحاطها الشركس والباشوات ببيض للخيانة لا يحصى ! ..

وبرغم ذلك البحر الطامي من الثرثرة المنظومة ، يبقى أحمد شوقي هو أحمد شوقي ، الشاعر العظيم ، لا جدال في ذلك ..

أما أحمد عرابي ، فقد أنصفه التاريخ ، وأنصفته أمته ، وفهمت مأساته ! ..

فهمت أمتنا أن « الدجاج » كان عقيما فعلا ، كما يقول شوقي ، فلم يستطع أحمدعرابي أن يحصل على بيضة النصر ! .. ولكن بقيت للامة « بيضة الهزيمة » الخديوية .. ورفضت الامة طوال سبعين عاما أن تأكل هذه البيضة الفاسدة! وموائد التاريخ لا تتسع لبيضة النصر وبيضة الهزيمة ! ..

وقد ظن شوقي انه كان ظريفا وهو يسخر من عرابي بهذا البيت، ولكن شوقي لو بعث حيا لغطى وجهه خجلا مما قال ! .. ولفعل مثله كل من رمى عرابي من لسانه بحجر ! .. ●

● وطنية عرابي ●

قال ويلفريد بلنت في كتابه المشهور: « التاريخ السرى الانجليزى لمصر » :

« رفض عرابي ان يصبح اداة في يد السلطان – عبد الحميد – مقابل تعيينه خديويا على مصر – بدلا من الخديو توفيق – ولما قال له ناظر الجهادية – الحربية – محمود سامي البارودى باشا : سننادى بك خديويا لمصر ، قال عرابي : لا يا محمود باشا ، فانني لا ابتغى الا تحرير بلادى ، وليس لي طمع في المنافع الذاتية ..

« ولما تأزمت الامور حول عرابي عرضت عليه فرنسا مرتبا قدره خمسمائة جنيه من الذهب شهريا بشرط مغادرة مصر والاقامة في باريس ويعامل كما يعامل الامير عبد القادر الجزائرى الاسير هناك ، فرفض عرابي وقال : واجبي ان ابقى في مصر وادافع عنها حتى الموت » !

بعد مائة عام :

الخيانة هزمت عرابى فى معركة التل الكبير

بقلم : مصطفى الشهابى



احمد عرابى باشا



اختلفت في شأن احمد عرابي آراء المعاصرين من الكتاب ، كما اختلفت آراء الذين كتبوا عنه بعد نفيه ثم بعد مماته ، ذلك ان حياته والثورة التي تزعمها انتهت بالاحتلال البريطاني لمصر . وهذا الحادث السيىء الذي انتهت به ثورة عرابي اطلق حول حركته الكثير من السحب والتأويلات .

وتساءل الكثيرون : ترى لو لم يكن احمد عرابي قد انتفض على السلطات القائمة بمصر يومئذ ، أكان الاحتلال البريطاني لمصر يقع ، ام انه كان واقعا حتما سواء قام عرابي بحركته ام لم يقم ؟

الرأي الغالب ان هذا الاحتلال كان من المحتم ان يقع ، فقد كانت الحكومة البريطانية شديدة الحرص على الهند ومن ثم وجب ان تضع يدها على منافذ الطريق اليها ، وكان انشاء قناة السويس محطة لا غنى عنها في هذا الطريق .

وقبل انشاء القناة بنحو قرن عقد الانجليز مع مماليك مصر سنة ١٧٧٥ اتفاقا بشأن مرور تجارتهم عبر مصر « من الاسكندرية الى السويس » في طريقها من والى الهند . ومرت بعدئذ سنوات تعرضت فيها التجارة الانجليزية عبر مصر للنهب على يد بدو الصحراء الغربية ، كما هوجمت بعض السفن الانجليزية في السويس ونهبت كذلك ، يضاف الى ذلك الضرائب الفادحة ، على ما كان يمر بمصر بسلام .

وكانت رغبة فرنسا في اضعاف النفوذ الانجليزي على الهند والاتصال بالعناصر الثائرة بها من مصر ، كان ذلك مشجعا لفرنسا على ارسال حملة نابليون المعروفة عام ١٧٩٨ والتي حطمت انجلترا عقبها



الملكة فيكتوريا



الخديو اسماعيل باشا

الخيانة هزمت عرابي

الاسطول الفرنسي في ابي قير وظلت انجلترا تجاهد حتى جلا الفرنسيون عن مصر لأنها تنبهت لخطورة مركز مصر الواقع بين الجزر البريطانية والهند • وعندما تحالفت تركيا وفرنسا بادرت انجلترا « خوفا من فرنسا » بغزو مصر ولكنها هزمت في رشـيد سنة ١٨٠٧ •

ومنذ ذلك الوقت نجد الانجليز يعتبرون مصر الطريق الاساسي للهند والحصن الذى يجب ان يكون في يدها اذا ارادت الاحتفاظ بالهند ، الثمن جوهرة في التاج البريطاني يومئذ •

وقد عرضت على محمد على والى مصر مقترحات بشأن فتح قناة السويس فرفضها، وكان يبنى الرفض على خوفه من الانجليز الذين يطمحون الى احتلالها ما دامت اقرب واسهل طريق الى الهند • وعندما انتصر محمد على على الجيوش العثمانية واوشك على احتلال دار الخلافة تدخلت انجـلترا وحطمت احـلام محمد على في انشـاء امبراطورية مصرية تضم مصر والسـودان والجزيرة العربية وبلاد الشام واجزاء من تركيا نفسها واضطر محمد على الى قبول تحدى الانجليز ، خوفا من تهديده للطريق الى الهنـد ، واقتصر حكمـه على مصر والسودان •

وعنـدما حاول ديلسبس حفر قناة السويس في عهد سعيد باشا حاولت منعه بكل قوة ولكنها اخفقت وافتتحت القناة في عهد اسماعيل سنة ١٨٦٨ واصبحت انجلترا امام امر واقع •

وعندئذ تغيرت سياسـتها وعملت على اغراق اسماعيل في الديون كما قامت بشراء اسهم مصر في القناة ليسدد اسماعيـل بعض تلك الديون وذلك عام ١٨٧٥ •

ولما تمت الصفقة نودى بالملكة فكتوريا « امبراطورة الهنـد » وفي نفس الوقت ازدادت الحالة المالية في مصر ارتبـاكا

وجرت محاولات لتسوية ديون مصر وضمانها وكان آخرها تكوين وزارة مسئولة بهـا وزيران اجنبيان اولهما انجليزى للماليـة وثانيهما فرنسي للاشـغال • ومن الطريف ان ايطـاليا طلبت تعيين ايطـالي وزيرا للحقانية « العدل » كما طالبت النمسا بوزارة المعارف !!

وبحجة الاقتصاد في المصروفات احيـل ٢٥٠٠ ضابط من الجيش على الاسـتيداع بنصف راتب ، بنـاء على اقتراح وزير المالية الانجليزى ، « ولعل ذلك كان مقدمة لاضعاف مصر عسكريا » وكانت لهـؤلاء الضباط مبالغ متاخرة دون دفع بلغت نحو ثمانية عشر شهرا

لذلك قام هؤلاء الضباط بمظاهرة انتهت بضرب واهـانة نوبار باشـا ووزير المالية الانجليزى واقالتهم ، وتعتبر هـذه المظاهرة اول نذير بالثورة العرابية •

وتتابعت الاحداث وانتهى الامـر باقالة الخديو اسماعيل وتولية توفيق وكان لهذا العزل اثره على توفيق الذى ادرك انه لابد من تكئة اجنبية تحول دون زعزعة عرشه ، كما فعلت انجلترا وفرنسا بعرش ابيـه عندما عارضهما •

لذلك لم يكن غريبا ان يسـير توفيق وفق رغبة الدول الاجنبية وخاصة انجلترا، بينما نزع المصريون الى حب الكفـاح وتخليص مصر من مظاهر الذلة والانصياع الى الاجانب •

لذلك تطور التدخل الاجنبي من تدخـل مالى الى تدخل سياسي الى احتلال وفي نفس الوقت نمت فكرة الكفـاح لدى الوطنيين المصريين حتى تلقفها الجيش ، بعد ان بدأ القلق يساور النفوس وخاصـة ازاء رفض توفيق للحياة الدستورية ، فتألفت الجمعيات السياسية العلنية وتألفت كذلك الجمعيات السرية من الضباط المصريين وذلك بسبب سوء معاملة الضباط المصريين وقصر الترقى على غير المصريين •



محمد سعيد باشا



محمود فهمى

وكان على راس هؤلاء احمد عرابى الذى قدم عريضة حرروها وفيها طلبوا عزل رفقى باشا وزير الحربية ، ودعى موقعو العريضة الى وزارة الحـــربية حيث قبض عليهم لمحاكمتهم ، ولكن زمـــلاء المقبوض عليهم هاجموا ثكنات قصر النيل واطلقوا سراحهم وعاد الجيش للمطالبة بعزل رفقى باشـــا فاستجاب الخديو لهذا الطلب . ولـــكن سوء تصرفات الخديو والوزارة دفع الجيش وزعماء الحزب الوطنى على المطالبه بعـــزل الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش وتم ذلك فى مظاهرة ٩ سبتمبرسنة ١٨٨١ التى رضخ الخديو لمطالبها .

وقام خلاف بين الوزارة الجـديدة وبين مجلس النواب بشـــان الميزانيـــة فانتهزت انجلترا وفرنسا الفرصـــة وعرضـــتا على الخديو تاييده واستقالت الوزارة وتكونت وزارة جديدة كان البارودى رئيسها وعرابى وزير الحربية ثم حدث خلاف جديد بسبب احكام صدرت على ضباط جراكسة تامروا على اغتيال عرابى ومحاولة الخديو تخفيفها بتاييد من انجلترا وفرنسا . وتوترالموقف وارسلت انجلترا وفرنسا اسطولا مشتركا وقدمتا انذارا طالبتا فيه بابعاد عرابى عن مصر مؤقتا واقالة الوزارة .

ولـــكن رجال الجيش والشرطة انذروا الخـــديو بانه اذا لم يعد عرابى وزيرا للحربية فانهم يصبحون غير مسئولين عما يحدث فاضطر الخـــديو الى اعادة عرابى وزيرا ، وتكفل بحفظ الامن والنظام .

واحس الاجانب باقتراب ثورة عـــارمة فبداوا ينزحون عن البلاد وشجعهم قناصلهم على ذلك .

وتمهيدا للاحتلال البريطانى دبر الانجليز مقتـــل احد المالطيين على يد حمار مصرى وقام رعاع المالطيين وامثالهم بمهاجمـــة المصريين بالاسلحة النـــارية واطلق بعض الاجانب النيران من نوافذ مساكنهم ،وبعد عدة ساعات تدخل رجال الشرطة والجيش فهدات الحال .

وعقد فى الاستانة « استانبول » مؤتمر دول قرر الاحتفاظ بحقوق السلطان والخديو وعدم التدخل فى شئون مصر « الا للضرورة القصوى » وباضـــافة هـــذه « الضرورة القصوى» اصبح لدى انجلترا مبرر للتدخل فى اى وقت بالتمال « ضرورة قصـــوى » .

واخيرا وجدت انجلترا ، فيما يجـــرى من ترميم وتحصين لطوابى الاسكندرية ، تلك « الضرورة القصوى » ولذلك ارسلت طلبا لقائد حامية الاســـكندرية بايقاف عمليات التحصين ، ولكن القـــائد المصرى افاد بانه ليس هناك اصلاحات او تحصين .

وفى يوم ١٠ يوليو ارســـل الانجليز انذارا الى الحكومة المصرية بانزال جميع المدافع من قلاع وطوابى الاســـكندرية وتسليم بعضها للانجـــليز والا ضربت الاسكندرية ، ولكن مجلس الوزراء برئاسة الخديو اجاب بالرفض والاحتجاج وتقرر ان تجاوب الطـــوابى المصرية على ضرب السفن الانجليزية بعد ان تطلق الثـــانية القذوفات الخمسة او الستة الاولى .

الخيانة هزمت عرابي

ضرب الاسكندرية

وفي صباح ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ اطلق الاسطول الانجليزي مدافعه على حصـون الاسكندرية واستمر في الاطـلاق حتى الخامسة مساء . وفي تلك الفترة تهدمت تلك القلاع القديمة بمدافعها العتيقة التي يرجع عهدها الى ايام محمـد على، ولذا لم تستطع اصابة سفن الاسطول الانجليزي اصابات مباشرة ، على الرغم من استبسال جنود تلك الحصون ، ثم احتل الجنـود الانجليز مدينة الاسكندرية بعد ان انسحب عرابي وجنوده الى كفر الدوار حيث وضعت الخطط واقيمت المتاريس وحفرت الخنادق لتحصين ذلك المكان تحصـينا كافيا لرد الانجليز اذا ما بدأوا سيرهم في طريقهم نحو القاهرة .

وفي ١٣ اغسطس وصلت الى الاسكندرية حملة انجليزية بقيادة « ولسلى » قوامهـا ١٨٢٤٠ انجليزيا ، عدا ٩٠٠٠ من الهنود جاءوا عن طريق السويس .

التحصن في كفر الدوار

وبفضل الاستحكامات التي اقيمت بين الاسكندرية وكفرالدوار استطاع المصريون ان يصدوا الانجليز ويحولوا دون تقدمهم نحو القاهرة بعد عدة معارك بقيادة طلبـة عصمت باشا ، وتراجع الانجليز صوب الاسكندرية .

والغلب الظن ان ما قام به الانجليز من قتال المصريين عند كفر الدوار انمـا كان خدعة لتوجيه اهتمام عرابي الى تلك المنطقة وحدها والبقـاء بها في انتظار مرور الانجليز ، بينما اهمل عرابي تحصـين الطريق الشرقي ، طريق قناة السويس .

وفي اثناء ذلك اخذت القوات الانجليزية تنتقل تدريجيا الى منطقة القناة ، ذلك لان القيادة البريطانية رات نفسها حيال طريقين للتقدم صوب القاهرة ، احدهما يبدأ من الاسكندرية وثانيهما من الاسماعيليـة .

واستقر الراي على تفضيل الطريق الثاني لاعتبارات شتى اهمها :

١ ـ قصره عن الطريق الاول .

٢ ـ ارض الصحراء بين القناة والقاهرة صلبة يسهل السير عليها .

٣ ـ وجود ترعة الاسماعيلية يمد القوات البريطانية بحاجياتها من الماء .

٤ ـ اجتناب اراضى الدلتا بترعهـا ومصارفها .

٥ ـ احتلال القاهرة من الشرق ايسر من الغرب ، نظرا لوجود النيل غربي القاهرة.

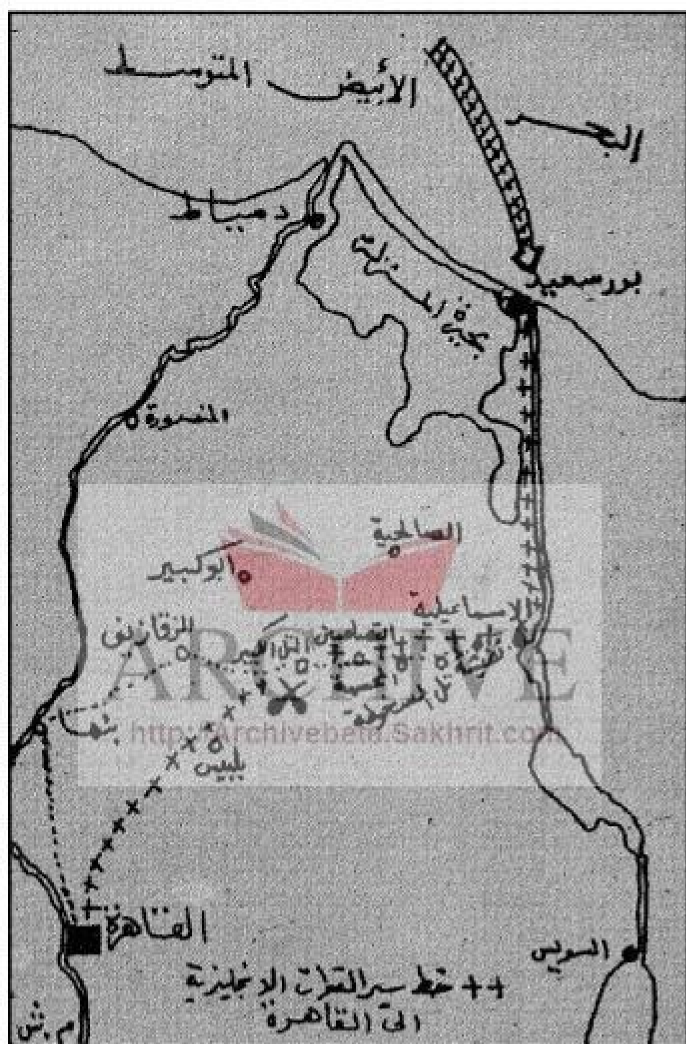
وجدير بالذكر ان القيادة البريطانيـة ـ حين وضعت خطتها ـ كانت قد استفادت جيداً من اخطاء قادة الحملات الصليبية على مصر ومن اخطاء نابليون .

وكان عرابي قد قرر ردم قناة السويس غير ان ديلسبس اوهمه ان الاتفـاقات الدولية تمنع انجلترا من ان تتخذ قنـاة السويس ميدانا للحرب وان الانجليز لن يستطيعوا انزال جندي من جنـودهم حتى يكون الى جانبه جندي فرنسي آخر .

ووصلت القوات الانجليزية الى بورسعيد في ٢٠ اغسطس ثم اخترقها ونزل الضباط والجنود بالاسماعيلية وكان بصـحبتهم سلطان باشا مندوبا عن الخديو توفيق

وكان عرابي قد ارسل في اللحظـة الاخيرة محمود فهمي باشـا رئيس اركان حربه وكبير مهندسيه الى منطقة القنـاة لاقامة ما يمكن من الخطوط والاستحكامات عند التل الكبير والصالحية ، ولم يصـل محمود فهمي الى منطقة القناة الا بعد فوات الوقت .

ثم انتقل عرابي والقـوات المصرية الى التل الكبير وهنا جاءت اليه الوفـود من العمد والمشايخ والاعيان ومعهم الهـدايا من الابل والمواشي والاغنام والارز واصناف الماكولات ، كما قدم كثير من رجال الصوفية واتباعهم ، وارسل بعض المديرين ما طلبه عرابي من مجنـدين وان كانوا غير مدربين تدريبا كافيا .



خريطة توضح أهم المعارك التي دارت مع الانجليز

الخيانة هزمت عرابى

بدء القتال

ولما اكتمل جمع الانجليز عند الاسماعيلية قصدوا الى نفيشة واحتلوها فى ٢٣ اغسطس فارتد عنها المصريون ثم دارت معارك المسخوطة فالمحسمة واضطر المصريون للتقهقر مرة اخرى واسر الانجليز محمود فهمى ثم التحم الجيشان فى موقعة القصاصين فى ٢٨ اغسطس وقد ابلى المصريون بقيادة الفريق راشد حسني باشا، المعروف باسم « ابو شنب فضة » ، فى هذه الموقعة بلاء حسنا فاوقعوا خسائر جمة بصفوف الانجليز وزحزحوهم عن مواقعهم وكادوا يظفرون بالنصر ، الى ان جرح راشد حسني جرحا بليغا فذاع الخبر بين المصريين وبداوا يتقهقرون . وحاول القائد المصرى على فهمى الديب استرجاع المواقع المصرية فلم يتمكن . وتعتبر موقعة القصاصين اعظم ما وصلت اليه جهود المصريين فى هذه الحرب .

نشر قرار عصيان عرابى

وفى اثناء ذلك كان الانجليز قد اتفقوا مع الباب العالى « تركيا » على اعلان عصيان عرابى ونشر قرار العصيان فى جريدة الجوائب بالاستانة « استانبول الآن» وجاء فيه : « بارادة سيدنا ومولانا السلطان المعظم امير المؤمنين خليفتنا الاعظم ، اشعارا لجميع المسلمين بان الافعال، التى اجراها عرابى واعوانه ورفقاؤه فى مصر ،مخالفة لارادة الدولة العلية السلطانية ومجحفة لصالحها ومضرة بمصر ومغايرة لصالح المسلمين ، وبناء على ذلك تقرر ان عرابى واعوانه عصاة « بغاة » ، وبهذه الصفه تجرى معاملتهم » .

واشترى سفير انجلترا بتركيا الوفا من هذا العدد وارسلها الى جميع البلاد الاسلامية وخاصة مصر حيث وزع هذا الاعلان بين افراد الجيش ، فكان له اسوا وقع بين الضباط والجنود ، الذين ما كانوا يعلمون بفحواه حتى ظهرت عليهم امارات الضعف والاستسلام ، لان المصريين كانوا يشعرون يومئذ باجلال كبير للسلطان العثمانى خليفة رسول الله ، كما تخاذل الكثيرون عن نصرة عرابى ومده بما استطاعوا من مؤن ورجال ، كما فعلوا من قبل .

اثر القرار فى عرابى

اما عرابى فقد وقع عليه الخبر كالصاعقة لان حجته فى مقاومة الانجليز كانت تقوم على اساس انه المدافع عن حقوق الدولة العثمانية والخلافة صاحبة السيادة على مصر ، فلما نشر القرار سقطت حجته وبدت عليه دلائل التشاؤم .

وكان اعلان عصيان عرابى بالنسبة لانجلترا بمثابه انضمام جيش قوى كان يحارب فى صفوف عرابى ، فما لبث ان انحاز اليها فاغناها عن هدر دماء الالوف من ابنائها .

وقد ذكر عرابى فى مذكراته ان بعض الضباط المصريين تذمروا على اثر اعلان العصيان وقالوا : « اننا عصاة على السلطان مخالفون لكتاب الله وسنة رسوله ومن مات منا عاصيا لا اجر له » . ونصحهم عرابى قائلا : « ان هذا المنشور مخالف لاحكام الدين الاسلامى لاننا انما نقاتل اعداء المسلمين الذين يريدون ان يستولوا على بلادنا الاسلامية لان الجهاد فى سبيل حماية الدين والمال والوطن فرض واجب علينا . ان سلطان المسلمين لا يسمح بمثل هذا المنشور وانما هو دسيسة انجليزية تمكنوا من انفاذها بواسطة الرشوة . ولو فرض وصدر مثل ذلك من سلطان المسلمين لوجب على المسلمين خلعه لمخالفته لاحكام الدين » .

ويستطرد عرابى فى مذكراته قائلا : « الا ان تلك النصائح لم تؤثر فى الذين

يجهلون احكام الدين .. ولكنهم اظهروا قبول ما اوضحناه لهم واسروا الغدر والخيانة .. » وذكر عرابى من هؤلاء الخونة بعض الضباط وعلى راسهم على يوسف المشهور باسم « خنفس » وكان قائد المصريين فى مقدمة خطوط الدفاع عن التل الكبير ، فاستماله الانجليز ودبروا معه خطتهم .

وكانت غالبية الضباط الخونة من سلالات شركسية او تركية ممن يحقدون على المصريين ولا ينسون موقف عرابى من زعيمهم عثمان رفقى وزير الحربية الذى حاول محاكمة عرابى اثر تقديمه « عريضة » يطالب فيها بعزله وتاليف مجلس نواب ثم تعديل القوانين العسكرية بحيث تكفل المساواة بين الضباط المصريين وغيرهم من الشراكسة والاتراك ، ولكنه فشل بل واقيل من منصبه وحل محله محمود سامى البارودى .

تكاتف عوامل الخيانة

وكان من آثار اعلان عصيان عرابى ان تشجع انصار الخديو فظهروا فى الميدان وعلى راسهم سلطان باشا وغيره ، ممن اغترفوا من ذهب الانجليز ، يدعون الضباط والجنود الى ترك عرابى والجيش ويقدمون لهم ثمن الخيانة ذهبا باسم السلطان والخديو .

وبهر بريق الذهب الانجليزى عيون مشايخ العربان فكشفوا للقوات الانجليزية اسرار الطرق المؤدية لمعسكرات المصريين ، بل كان منهم مرشدون لعرابى وجواسيس فى نفس الوقت عليه وعلى اخوانهم المصريين المجاهدين ، ومن امثلة هؤلاء ما ذكره المغفور له الامام محمد عبده فى مذكراته « كتاب الهلال صفحة ٢٠٢ ، العدد ١٢١ » واختار « سلطان باشا » الحاوى الطحاوى احد ثقاة عرابى ، وكان الحاوى يعظ اخوانه العربان بعصيان عرابى ودولة الجيش المحارب « الانجليز » ونحو ذلك . وكانت



احمد عرابى واسرته فى المنفى

الخيانة هزمت عرابي

القيم التي تدفع الى الافراد تتفاوت من جنيهين الى ثلاثة . ولم يكن عرابي يقتنع بخيانة العربان ، وكان الطحاوى مع ذلك يخبر عرابي ببعض حركات العدو «الانجليز» على وجه الصدق وكان عرابي يفضى له بجميع ما عنده . »

تجنيد مستشرق انجليزى

ورغبة في تحريك جميع « العوامل المناوئة لعرابي فقد استعان الانجليز بمستشرق انجليزى هو « ادوارد بالمر » أستاذ اللغات الشرقية في كمبردج اذ وجدوا فيه خير من يصلح لهذا العمل لمعرفته اللغة العربية ولهجات البدو ولخبرته السابقة بالمنطقة التي سيوفد اليها اذ كان من قبل عضوا في جمعية كشف فلسطين وعرف صحراء سيناء جيدا .

وحضر بالمر الى الاسكندرية حيث تشاور مع الاميرال سيمور الانجليزى في الخطة التي سيتبعها . واخيرا قصد بالمر الى يافا حيث اشترى الملابس العربية المطلوبة وتزود بمبلغ كبير من النقود الذهبية ثم بدأ رحلته الصحراوية متظاهرا انه من تجار الابل وتمكن من الاتصال ببعض مشايخ القبائل وبذل جهدا كبيرا في التقرب الى البدوحتى احبوه « عن حسن نية » واقبلوا عليه وكانوا يدعونه « عبدالله افندى » ، وذهب الى حد اسماعهم الشعر العربي والقرآن الذى كانوا يطربون له ، كما اكل معهم اللحم والخبز كعهد بينه وبينهم ان يحمى كل منهما الآخر حتى الموت .

وفي اول اغسطس وصل الى السويس ثم عاد الى صحراء سيناء ثانية ليعمل على قطع اسلاك التلغراف واحراق الاعمدة لتنقطع المواصلات البرقية بين عرابي وتركيا ، وبين القاهرة والاستانة » .

وفي السابع من اغسطس قتل بالمر والجليزيان آخران مصرعهم على ايدى بعض البدو الذى طمعوا فيما لديهم من مال .

موقعة التل الكبير

لم تكن خطوط الدفاع في التل الكبير متينة وحصينة كخطوط كفر الدوار لانها انشئت على عجل وقد قام بانشائها آلاف الفلاحين باشراف محمود فهمي باشا قبل اسره وكانت عبارة عن خنادق تمتد عدة كيلومترات .

وكان جيش عرابي لا يزيد على اثنى عشر الف جندى من الجنود النظامية ، وكانت بقية الفرق النظامية في كفر الدوار ثم في دمياط ، خشية ان ينزل الانجليز بها فرقا لتطويق التل الكبير .

وكان الطحاوى شيخ قبيلة الطحاوية لا يفتأ يلقى في روع عرابي ان الانجليز لم يعدوا العدة للزحف بعد ، وان امامهم اياما ، ويقبض ثمن هذا الكلام ، ثم يذهب الى المعسكر الانجليزى حيث يطلع الانجليز على كل ما يهمهم معرفته ويبسط يده لذهب الانجليز ولا ينسى نصيبه كذلك من سلطان باشا .

وفي اليوم الثاني عشر من سبتمبر اوصل على يوسف « خنفس » من مقدمة الجيش ، الى عرابي يقول ان الانجليز لن يتحركوا اليوم ، فركن الجيش المصرى الى الراحة بامر قواده ، ليتاهب للمعركة الفاصلة من بكرة الغد .

وفي مساء ذلك اليوم نفسه تاهب « ولسلى » للزحف ، واختار الليل كي يتقى حر النهار وكي يتخذ من الليل ستارا لخطته القائمة على المباغتة التي هيأ نجاحها الطحاوى وعلى خنفس .

وزحف الجيش الانجليزى في سكون بعد منتصف الليل بساعتين دون ان يرتفع صوت او توقد نار ، الا نار المعسكر الانجليزى التي تركت عمدا لتوهم الجيش المصرى ان الانجليز لا يزالون في خطوطهم دون تحرك .

وتقدم الجيش الانجليزى بارشاد فريق من عرب الهنادى ، لا يتهيب طلائع الجيش





نوبار باشا   محمود سامى البارودى

المصرى لان « عبد الرحمن حسن » قائدفرقة الاستطلاع السوارى ، والذى كان يحرس الطريق الصحراوى من الشرق ، انسحب بفرقته شمالا ليترك الجيش الانجليزى يمر فى سلام . اما على يوسف « خنفس » فانه لم يكتف بترك الجيش الانجليزى يمر بجوار قواته بل وضع له الفوانيس على المسالك التى يستطيع السير فيها فى يسر .

وقبيل الساعة الخامسة صباحا من يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هاجم الانجليز القوات المصرية ، بينما كان الجنود نائمين فى خطوطهم ، وكانت مفاجأة رهيبة اذ فتكت بنادق ومدافع الانجليز بالمصريين فتكا ذريعا ، ومن سلم من القتل فر هاربا .

الا ان ميدان القتال فى هذه المحنة ، لم يخل من نفر من المصريين الذين حفظوا شرف مصر من الانهيار ، فثبتوا فى مواقعهم، رغم ما كان يحيط بهم من هول وفتك ، وفى طليعة هؤلاء الابطال البواسل الشهيد محمد عبيد الذى صمد للانجليز برجاله السودانيين وقاتلهم قتالا عنيفا فنى فيه معظم رجاله .

ويليه فى البسالة حسن رضوان قائد الطوبجية « المدفعية » الذى كبد الانجليز خسائر جسيمة حتى سقط جريحا ولما حمل اسيرا الى « ولسلى » واراد ان يقدم له سيفه ، لم ياخذه منه احتراما له واعترافا ببسالته .

واستمرت المعركة نحو اربعين دقيقة قتل خلالها من المصريين نحو الفين اما الجرحى فقد فر معظمهم ولذا لم يمكن حصرهم . اما الانجليز فقد قتل منهم ٥٧ ، منهم ٩ ضباط وجرح ٤٠٢ منهم ٢٧ ضابطا . وغنم الانجليز مدافع الجيش المصرى ومهماته وذخائره ومؤونته جميعا .

اما عرابى فكان عند بدء الهجوم يؤدى صلاة الفجر فانتبه على صوت المدافع وبعد اتمام الصلاة ارتدى ملابسه العسكرية وركب جواده واتجه صوب موضع الهجوم فوجد محمد عبيد يقاتل مع رجاله ببسالة ، ولشد ما كان الم عرابى عندما راى كثيرا من الجنود الاخرين يلقون ببنادقهم ويفرون وعبثا كان يحاول حملهم على الثبات .

وراى عرابى نفسه على وشك الوقوع اسيرا فى يد الانجليز فوجد من الحكمة ان يذهب الى القاهرة .

ويقول من ايقضوا عرابى انه كان من الافضل له لو انه استشهد فى معركة التل الكبير . وهذا راى له وجاهته ، فلو ان عرابى قتل لتخلص من السجن والمحاكمة المهينة ثم النفى الى سيلان فضلا عن نسبة الفرار والجبن اليه كما حدث لنابليون عند نفيه الى سانت هيلانة حيث قاسى مرارة النفى وكان خيرا له لو انه قتل فى واترلو .

والواقع ان عرابى عجل بالذهاب الى القاهرة ليدافع عنها قبل فوات الوقت وقبل ان تؤثر أنباء الهزيمة على أعضاء المجلس العرفى الذى كان يدير شئون القاهرة ، وحاول استنهاض الاعضاء للدفاع عن القاهرة وكان فى مقدمة مؤيديه الامير ابراهيم باشا احمد ابن عم الخديو توفيق . واستقر الراى على انشاء خط دفاعى عند المطرية وعين شمس . وعندما توجه عرابى الى مركز الطوبجية لم يجد سوى الف رجل

الخيانة هزمت عرابي


محمد علي الكبير


ديليسبس

من خفراء البلاد بدون ضباط . وهنا ادرك عرابي تأثير اعلان عصيانه على السلطان العثماني « امير المؤمنين وخليفة المسلمين » ، بالاضافة الى ما قام به جواسيس الخديو من دسائس وما قدموه من رشاوى .

ورأى عرابي الا فائدة من القتال وان من الافضل حقن الدماء وحفظ القاهرة من الخراب والدمار كما حدث بالاسكندرية اذ ايقن أن المقاومة لن تجدى . وارسل عرابي عريضة . الى الخديو يعترف فيها بايقاف الحرب ويرجوه الوساطة لدى الانجليز بعدم دخول القاهرة حفظا لها من الخراب . ولكن الخديو رفض قبول تلك العريضة واجابة ما ورد بها من تقديم الطاعة للخديو والخضوع لاوامره .

وفي ١٤ سبتمبر وصل الانجليز الى العباسية ودخلوا القاهرة وفي عصر يوم ١٥ سبتمبر توجه عرابي ومعه طلبة باشا الى قائد خيالة الانجليز بالعباسية الذى عرض على عرابي ان يكون اسير حرب فقبل عرابي وسلم هو وطلبة باشا سيوفهما وقضيا تلك الليلة اسيرين لدى ذلك القائد .

وفي نفس هذا اليوم - ١٥ سبتمبر - دخل الجنرال ولسلى القاهرة بصحبة سلطان باشا نائبا عن الخديو ونزل ولسلى في سراى عابدين بأمر الخديو .

وفي عصر يوم ١٦ سبتمبر نقل عرابي وطلبة من العباسية الى عابدين حيث اقاما في غرفة مقابلة للغرفة التى كان يقيم بها حكمدار حرس ملكة الانجليز الذى احتل عابدين .

حدث كل هذا بينما افواج الجيش الانجليزى تفد الى القاهرة وتستولى على ما بها من معسكرات كقصر النيل . مكان فندق هيلتون وميدان التحرير . والقلعة وغيرها .

وعصف الغضب برؤوس بعض سكان القاهرة في حي باب الشعرية والحسينية وتهيأوا للثورة ، كما كان يحدث أيام نابليون وكليبر ، الا ان محافظ القاهرة اقنع الثائرين بان ثورتهم لن تجدى نفعا وليس وراءها الا سفك الدماء .

وحوكم عرابي وزملاؤه وقضى عليه بالاعدام هو وبعض زملائه . ثم استبدل بالحكم النفي المؤبد ، كما صودرت املاكهم وكان المنفى هو جزيرة سيلان « سريلانكا » وهناك امضى المنفيون سنوات عديدة بين مظاهر الالم والحزن وتوفى بعضهم . ثم عفى عن الباقين فعادوا الى مصر سنة ١٩٠١، وكانت وفاة عرابي في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١١ تغمده الله هو وزملاءه برحمته .

وعلى الرغم مما تواتر على مصر من اعباء ونتائج تلك الثورة فقد ظلت مصر محتفظة بمعنوياتها وقام من ابنائها من يندد بالاحتلال البريطاني وقامت ثورة سنة ١٩١٩ التى انتهت باعلان انجلترا استقلال مصر وكان في الواقع استقلالا اسميا وظلت مصر تناضل عن كيانها في الوجود وتسعى خلف حقها المسلوب ، حتى قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ المباركة ، ورأى احفاد ابطال الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩ تحقيق ما جاهد آباؤهم واجدادهم من اجله . فليذكر الجيل الحالى تلك الايام التى لا تنسى فبالذكرى تحتفظ الامم بقوميتها وتعتز بكيانها وتستمد روح الكفاح والنضال ●

المجلس الأعلى للثقافة

قطاع الفنون الشعبية وبرنامج صيف ٨٢

بالقاهرة

على مسرح البالون
الفرقة القومية للفنون الشعبية
أزياء : عبد الغني أبو العينين
أوركسترا : محمد إسماعيل
إخراج : محمود خليل

خيمة العجوزة
حاليا **سيرك الجيزة**
الأسود والنمور في قفص واحد
المدرب الشاب : إبراهيم محمد الحلو

بالإسكندرية

على مسرح محمد عبد الوهاب
فرقة رضا للفنون الشعبية
فريدة فهمي
أوركسترا : عطية شرارة
إخراج : محمود رضا

أرض المعارض بالشاطبي
حاليا **السيرك القومي**
البهلوانات والسيرك مع الأسود ومحاسن الحلو
الضبة الثالثة
والمدرب الشاب مدحت كوته

جولة بعواصم المحافظات

سيرك القاهرة
قطيع من الأسود مع
المدرب القدير : محمد محمد الحلو

جولة بمنيا السويس والإسماعيلية ومحافظة سيناء ومرسى مطروح
الفرقة القومية للفنون الشعبية
أزياء : عبد الغني أبو العينين
أوركسترا : محمد إسماعيل
إخراج : محمود خليل

في ذكرى الثورة العرابية

صفحات مجهولة من تاريخ مصر الحديث

بقلم : فتحي رضوان

في ٩ من سبتمبر سنة ١٩٨١ أتم الزمن دورة كاملة ، فانقضى على قيام الثورة العرابية مائة عام كاملة ، فتداعى في الرؤوس ، ذكريات كثيرة لهذه الثورة الخالدة ، التي وقعت على أرض مصر ، التي التقى بها وعندها ، أطماع الراغبين من ساسة الأمم وقادة الدول ، في الهيمنة على العالم ، كما التقت قارات العالم الكبرى الثلاث : أفريقيا وآسيا وأوروبا ، والتقت حضارات القديم والحديث ، ومدنيات الفراعنة والعرب والرومان والإغريق والفرس .

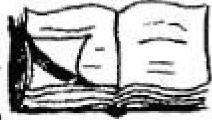
ولقد أربى عدد كثير في رصد وقائع ثورة عرابي ومصيب مصر ، وفي تحليل هذه الوقائع ، واستنطاقها ، ونقدها وتصويبها ، وكان من بين ما كتب : مجلدات ذاعت شهرتها ، وعرفت بأسمائها وأسماء محرريها ، كما وضعت رسائل ، جيدة عميقة ، ولكنها لم تظفر بما تستحق من بعد الصيت ، من هذه الكتب ؛ كتاب عزل خديو ، الذي كتبه الترجمان الإنجليزي ، النرجو ، أرنل عبوالم بيما .. وهو كتاب متوسط القطع والحجم ، لم تكمل صفحاته المائتين عدا ، إلا أنه حافل بالتعليقات والذكريات ، التي كتبها المؤلف بروح تكيف حيا لمصر أو عن الأقل عطفا عليها وتقدير حار لزعيم ثورتها عرابي ، حتى التمني - بعد طول الوقت - أن الكاتب إنجليزي ، والتوهم بأن كاتبه مصري .

عرابي في المنفى



وقفة عرابي التاريخية في ميدان عابدين





في ذكرى الثورة العرابية

وقد قدم المؤلف نفسه فقال انه قبل خمسين سنة من تاليف كتابه الذى تم في سنة ١٩٢٨ ، اعتاد ان يركب كل يوم حمارا صغيرا مليئا بالحيوية والمرح ، من فندق « النيل » في حي الموسكي ، الى القنصلية البريطانية العامة ، ليقوم بواجبه بوصفه المترجم العربي الاول فيها • ولم تكن هناك في ذلك الحين سيارات ولا خطوط ترام ، في حين لم يكن عدد موظفي القنصلية سوى مستر فيفيان القنصل العام وسكرتيره مستر « أورتشتين » والمترجم السورى السيد اورانجي • وقال المؤلف انه اعتاد منذ سنة ١٨٧٩ - أى قبل الاحتلال البريطاني بسنتين فقط ، لان الاحتلال البريطاني وقع في ١٤ من سبتمبر سنة ١٨٨٢ » ان يقيم في مصر منذ حين وآخر مددا متفاوتة الطول : محتفظا طوال الوقت باهتمام متجدد بالشعب المصرى ، ومجريات الامور ، وكل ما يتعلق بمصر • ومن لم استطاع ان يتابع تطور العلاقات البريطانية المصرية في كل المجالات •

واعترف المؤلف انه لم يعتمد الا في القليل النادر فيما كتبه عن مصر ، على الوثائق المكتوبة ، وعلى مصادر معلومات من الدرجة الثانية بل اعتمد تقريبا في جميع الاحوال على معلوماته الشخصية اى المعلومات التى استقاها بنفسه او من أناس عرفوها مباشرة ولم ترد لهم من آخرين ، وكل هؤلاء الاشخاص مصريين كانوا او انجليز تمتع اما بصداقتهم او بمعرفتهم ، وقد سمع منهم مباشرة آراءهم وقد تمنى مستر بيمان ان يمكن - بفضل كتابه - القارىء الانجليزى من الوقوف على حقيقة مشاعر المصريين بالنسبة لما جرى من الامور وما صدر من التصريحات عن السلطة البريطانية اى سلطة الاحتلال وعزا المؤلف الى نفسه فضيلة القدرة على نقد تصرفات واعمال السلطة البريطانية في مصر التى رآها في بعض الاحيان معيبة مع انه كان دائما شديد الاعجاب بما انجزته هذه السلطة البريطانية ذاتها من الاعمال العظيمة في مصر •

ويبادر بيمان بمواجهة جوهر مشكلة العلاقة بين مصر وبريطانيا، فيقول ان الاتجاه العام للسياسة البريطانية في مصر قائم على انكار ما قطعته على نفسها في بداية الاحتلال من وعود وعهود ، كانت كلها تؤكد للعالم ولمصر ، ان غاية دخول بريطانيا بجيوشها الى مصر ، هو لهيئتها لان تحكم نفسها بنفسها ، وان تقيم على ارضها حكما سياسيا حرا » • وليست هذه الطريقة بالطبع ، الاسلوب الامثل لتحسين علاقتنا مع القوم الذين اعلنا اننا نبغي ان يصبح المصريون بفضل حكمنا لهم سعداء وراضين ، ولا السبيل القيم للمحافظة على مكانتنا في مصر وفي الخارج • اذ ما لم يرض المصريون عنا الرضاء الكامل ، انطفأ اقل بصيص من الامل في ان بيننا وبينهم اتفاقية تبرم على الوجه الذى يرضى الطرفين » •

وانتقل بعد ذلك الى موضوع ذى حساسية وأهمية ، سماه « الكرومرية » • وهو اصطلاح لم اصادفه في كتاب انجليزى او عربي عن الحقبة السابقة لثورة عرابي سنة ١٨٨٢ ، ولا عن الحقبة التالية للثورة التى اعقبها الاحتلال •

و « الكرومرية » ، « التى تكتب باللاتينية « كرومرزم » تعنى بطبيعة الحال ، مجموعة الاساليب والاجراءات والاهداف التى اتبعها كرومر - مندوب الاحتلال البريطاني في مصر - والتى تمثل عقلية الانجليز حينما يحكمون بلادا غير بلادهم بصفة عامة ، وعقلية « كرومر »

الذى كان اسمه عند بدء الاحتلال « ايفلنج بارنج » حتى حصل على لقب اللورد كرومر .

و « ايفلنج بارنج » أو « كرومر » حسبما تشاء ليس مجـــرد معتمد بريطاني ، ولا قنصل عام او مندوب سام فى مصر ، بل هو مدرسة استعمارية كاملة ترى هذه المدرسة أن عليها أن تقوم بعدد من الإصلاحات الادارية وبعض المنشآت التعميرية فى مجال الرى والامن والتنظيم ، تضفى على الحكم الانجليزى صفات الاستنارة والرغبـــة فى التجديد ، مع لمسات توحى بالتقدم وتوفير الحرية العامة للمواطنين، ولكنها تعنى فى الواقع بأشياء أخرى اهمها حرمان الشعب من الحكم السياسى الحر القائم على ارادة الشعب لا الخطو نحو هذا الحكم ثم حرمان الشعب من التعليم المجانى الشامل لكل الطبقات ، ولا اتاحة الفرصة للشخصيات المصرية التى أتمت تعليمها العالى واتمت تدريبها فى الحكم والادارة على سبيل الاستثناء ان تشـــارك جديا فى حكم وطنها . ثم ان تحكم البلاد بيد من حديد فى قفاز من حرير ، حتى تختفى سمات بطش الحكم الاجنبى وعنفه .

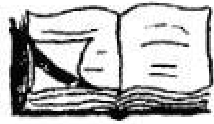
ويقول بيمان ان الشرط الاول الذى كان يجب ان تتحلى به الادارة البريطانية ان تقول الحق وكل الحق ، فلا تدعى لنفسها مقاصـــد واغراضا ، غير ما تعنيه وتقصده ولكن « الكرومرية » أوهمت المصريين انها ستمنحهم الاســـتقلال ، فى حين انهـــا منحتهم بدلا من ذلك « الاحتلال » فلم يعد فى مصر ، مواطن واحد يعتقد أن بريطانيـــا ستجلو عن بلاده .

وبعد اعلان الحقيقة هذا ، الذى يدل على مدى صـــدق وصراحة « بيمان » وأنه فعلا يضمر لمصر وللمصريين حبا وعطفا حقيقيين خاليين من الزيف والتمويه ، ينتهى الى حقيقة أخرى يعلن من خلالها أن الانجليز حتى احتلالهم لمصر فى سنة ١٨٨٢ ، لم يعرفوا شيئا جديا عن مصر، فى حين أن الفرنسيين كانوا لأكثر من سبب أشـــد اتصـــالا بمصر وأهلها ، وأكثر شعورا نحوهم ونحوها ، بالالفة .

وقد بقى الحال على هذا المنوال ، حتى تم فتح قناة السويس ، ثم عزل الخديو اسماعيل الذى تبع هذا الفتح بقليل ، وكان قد وقـــع بفضل تدخل الحكومتين الفرنسية والبريطانية بالتعاون مع عدد من الدول الاخرى . وقد أيقظ هذا الحدث الســـاسة البريطانيين ، فادركوا لتوهم أهمية مصر لبريطانيا .


الخديو توفيق باشا

وقد كان عزل الخديو اسماعيل ، سبيلا الى تخفيف معاناة المصريين لفترة مؤقتة من مظالم الخــــديو العظيم . وقد حل محل الخــــديو اسماعيل ابنه توفيق . وقد بدا ، لفتور شخصيته ، وضعف حيويته ، أنه خديو من طراز آخر ، أكثر عدلا وأقل ظلما ، ولكن الايام ـ فى رأى بيمان ـ اثبتت العكس ، لقد كان توفيق ، هو اسماعيل ، بفارق ان الابن كانت تنقصه مزايا الاب : من تدفق الحيوية ، والشجاعة . ولكنه لم تنقصه الرغبة فى ان يدعى لنفسه الحق فى ممارســـة اية سلطة يتيسر له الحصول عليها او الوصول اليها ، وقبـــل ان ينقضى وقت طويل ، نجح فى اثارة ضيق الجيش المصرى ، الذى كان يسخر ضباطا وجنودا فى أعمال لا تليق بهم . ولكن اكثر ما حـــرك حنق الضباط المصريين هو ما اريد لهم من تبعية لزملائهم ضباط الجيش المصرى الذين كانوا ينحدرون من أصل تركى أو شركسى . واستغلال الجنود فى كل عمل حتى ولو كان مهينا ، أو منزليا ، وبلا مقـــابل مادى ولكن الضباط المصريين نجحوا ، تحت قيادة العميد أحمد عرابى الذى



فى ذكرى الثورة العرابية

كان فلاحا وابن فلاح فى تحقيق اول نصر ، وذلك بازالة عثمان رفقى باشا وزير الحربية الشركسى الاصل ، من مكانه ثم تتابعت اصلاحات ثورية ، دون تدخل من جانب بريطانيا او فرنسا ، حتى تم اللقاء المثير فى التاسع من سبتمبر ١٨٨١ بين السير اوكلاند كلفن القنصل البريطانى فى صحبه الخديو توفيق من جانب ، وأحمد عرابى ومن خلفه الجيش المصرى من جانب آخر فى ميدان عابدين . وفى هذا اللقاء المثير الذى تم فى الهواء الطلق ، وعلى مرأى ومسمع من عدد غير قليل من فرق الجيش ، والوف من عامة المصريين من اهل القاهرة ، اصطفوا خلف صفوف الجيش ، طالب الضباط المصريون بامرين كلاهما كان مر المذاق فى فم الخديو ، الذى لا تبدو على وجهه ، ولا فى صوته حقيقة انفعالاته . وكان اول الامرين اقالة الوزارة باسرها ، اذ لم يكتفوا هذه المرة باقالة وزير واحد من اصل شركسى ، وكان الامر الثانى الدعوة الى عقد برلمان ، أى مجلس تشريعى نيابى .

وراى « بيمان » ، ان الامر الثانى كان اشد مرارة ، واقبح مذاقا ، فالخديو يفضل ان يواجه اثنى عشر عميدا وعقيدا من الضباط ، على ان يواجه برلمانا ، يكون من حق اعضائه ان يسائلوا الخديو ووزراءه عن اخطائهم وسوء اعمالهم ، ولكنه على كل حال اذعن ، واحسب ان « بيمان » لم يحسن تقدير الموقف ، فاقالة وزارة بامر الضباط ، مساو تماما لطلب مجلس نيابى تشريعى ، لان جوهر الامر ان الضباط المصريين الذين كانوا كما مهملا ، لا يؤبه به - اصبحوا يملكون ان يامروا ، بعد ان احسوا ان ذلك من حقهم . فان امروا بشىء واطاع الخديو ، فانه الطوفان فسيكون الامر كله لهم ، وهذا ما حدث بالفعل .

وفى هذه الفترة جاء مندوب من سلطان تركيا ، ليحقق فى اسباب تمرد الضباط المصريين وسخطهم ، وضايق هذا « عرابى » لان مصدر شكواه ان العنصر التركى فى الجيش والحكومة ، كان لا يطيق ان يتقدم المصريون نحو المناصب الاعلى ، او ان يزيدوا من نصيبهم من السلطة ، اما الخديو فقد غازل الجانب التركى لحظة ، ثم آثر بعد ذلك ان يكون فى الجانب المصرى ، حتى ضربت اساطيل بريطانيا مدينة الاسكندرية فى الحادى عشر من يولية ، عندها راى القوة العسكرية الغازية ، اقوى من عرابى والمصريين ، فاختار الجانب الاجنبى وبقى مواليا له حتى تم الاحتلال البريطانى .

ويقول بيمان أن معركة « التل الكبير » انهت الثورة العرابية ، وان عرابى حوكم وحكم عليه بالنفى مدى الحياة فى جزيرة سيلان مع ثلاثة من العمداء يتقدمهم محمود سامى البارودى الذى يقول عنه « بيمان » خطأ انه وزير حربية الثورة فى حين انه انهى حياته العامة رئيسا للوزراء .

ثم اعلنت بريطانيا احتلالها ، الى ان تستطيع مصر ان تدير شئونها بنفسها ، وتحفظ حقوق الاجانب المقيمين فيها من المساس بها او الاعتداء عليها . ولم يتم شىء من هذا قط على الرغم من ان بريطانيا بذلت فى راى « بيمان » ثلاثة وستين وعدا ، بالجلاء فى حين احصى المؤرخون المصريون من هذه الوعود تسعة وتسعين وعدا . ولكنه يلاحظ ملاحظة ذكية ويقول ان بريطانيا منذ سنة ١٩٠٤ توقفت تماما عن منح وعود بالجلاء ففى هذه السنة اتفقت بريطانيا وفرنسا

الاتفاق الودي الذي اطلقت فيه فرنسا يد بريطانيا في مصر ، في مقابل اطلاق يد فرنسا في مراكش .

الا ان بيمان يضيف سطورا ذات قيمة فيقول :

« ان عرابي هو الوطني الاول في تاريخ مصر الحديثة ، ولقد عرفته جيدا كما عرفت زملاءه زعماء الثورة ولما نفوا الى سيلان وقع اختيارهم علي ، وكيلا عنهم لارعى شئون عائلاتهم التي خلفوها وراءهم ، ومصالحهم التي كانت لهم في مصر ...

« ان وطنية عرابي ، ليس لها جذور عميقة . ومهما طالت فرعيات الماضي ، فقد بقيت نائمة في حاجة الى روح لتوقظها ولسنا ننكر ان رياض باشا » رئيس وزراء مصر لاول مرة بين ١١ يونية سنة ١٨٨٨ الى ١٢ مايو سنة ١٨٩١ » كان يكافح ليحقق لنفسه وللمصريين نفوذا للحكومة ، ولكن ذلك لم يكن عن وطنية ولكن رياض لم يستطع ان يظفر من الخديو في كفاحه في سبيل نصيب اكبر للمصريين من الحكم ، الا تاييدا فاترا او غير مؤثر ، دون اى تكوين او تشكيل مصري . وكان رياض لا يدخر وسعا في وضع حد لتدخل كرومر الذي يريد ان يستوعب كل نشاط في مصر » .

ويقول بيمان وهو يروى تاريخ الخطوات الاولى ، للحركة الوطنية التي انبثقت بفضل حركة عرابي وزملائه ، ان جهود كرومر في تطويق الحركة الوطنية كانت ساهرة لا تنقطع ، وبعزم لا ينثني ، وكانت من خلفها القوة التي لا ترد حجتها ، وهي قوة البنادق والبوارج .

ويشير » بيمان » الى فكرة اخرى نثبتها له في هذه الدراسة المتقطعة لميلاد الحركة الوطنية في اواخر القرن التاسع فيقول :

« يتردد احيانا كثيرة القول بان الخديو » توفيق » كان صديقا طيبا وامينا لبريطانيا ، وحليفا مخلصا للورد كرومر ، في اصلاحاته ، وارى - ايا كان موقف الخديو توفيق فيما بعد - انه الى ان بارحت مصر في سنة ١٨٨٩ » اى بعد بدء الاحتلال بسبع سنوات » كان يصارع دائما ، ليخلص نفسه - بطبيعة الحال - من براثن البريطانيين وان ينعزل كحاكم مستقل » ماوسعه الجهد » .

واحسب ان هذه الاخطاء مما يتفرد به » بيمان » ، فاني فكرى لم يقع علي شيء مثلها او شيء يؤيدها ، في كتب المصريين ولا الاجانب .

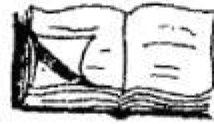
ثم يمضي بيمان فيقول :

« في تلك الظروف - ظروف الثورة والحرب والهزيمة والاحتلال - ولدت الوطنية المصرية وولدت في الحال ، وما لبثت ذكرى عرابي ان محيت . ولما عاد الى بلاده بعد نفي طويل ، لم يلحظ الكثيرون هذه العودة » .

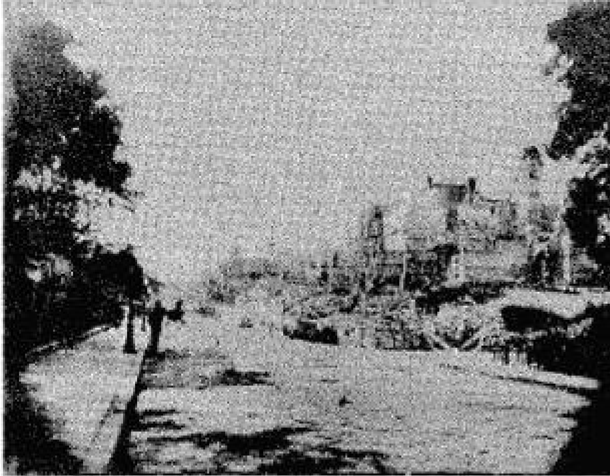
ويضيف » بيمان » بانه زار عرابي في بيت اقام فيه على حدود الصحراء في حلوان ولما قصد هذا البيت ، لم يجد احدا من جيرانه يعرفه ، فاهتدى اليه بمشقة مما يدل على انه حتى جيران عرابي الاقربين لم يحسوا بجواره ، ولم يحفلوا بالسؤال عنه فضلا عن زيارته .. وهكذا كانت نهاية الحاكم المطلق لمصر ، وبطل الجماهير الذي استولى على حبها . ولما تمت الزيارة ، راى بيمان عرابي رجلا هرما ضعيفا ، وقد كانت الزيارة قبل وفاة عرابي في سنة ١٩١١ بسنة او سنتين ، وقد اثبت بيمان في كتابه خطابا ارسله اليه عرابي ، كتبه بالحروف العربية بخط متوسط الجودة ، ولكنه مقروء وواضح، وقد وقعه بالعربية بامضاء » احمد عرابي المصرى » ثم اردف هذا الامضاء ، باخر باللغة الانجليزية بخط واسع واضح وكان الامضاء

اللورد كرومر





في ذكرى الثورة العرابية



حريق الاسكندرية ومعركة التل الكبير

بالانجليزية لرجمة للامضاء بالعربية فقد حرص في الحالين ان يضيف وصف « المصرى » لاسمه وكان الخطاب مرسلا من جزيرة سيلان لذلك كتب الى جانب الامضاء بالانجليزية اسم مدينة « كولومبو » عاصمة جزيرة سيلان وهي العاصمة التى قضى فيها عرابى مدة نفيه .

ويقول بيمان ان هذا الامضاء يروى قصة عرابى ، فقد كان اول مصرى احس بوقدة شعلة الوطنية في صدره . وقد كانت هذه الوطنية دفاعا عن مصر في وجه غزو وتدخل الفرنسيين والاتراك ، والشراكسة، والانجليز . ومن الحق ان يقال ان الوطنية المصرية التى شملت موجتها مصر بعد ذلك ، كانت ثمرة للبذور التى بذرها عرابى العميد البسيط الذى كان اعز ما يفخر به لقبه « المصرى » ومن ثم فانه يجب على مصر عندما تحصل يوما ما على استقلالها الامر الذى لا بد ان يتحقق ، فان اول تمثال يجب عليها ان تقيمه في احد ميادين القاهرة ، هو تمثال عرابى .

والغريب ان هذا التمثال الذى راى هذا الموظف الانجليزى منذ سنوات طويلة وقبل ان تحصل مصر على استقلالها ، وتطرد آخر جندى بريطاني ، يحمل متاعه ويغادر ارضها ، لم يقم حتى الان في القاهرة، وانما اقيمت تماثيل صغيرة في الزقازيق وفي اماكن اخرى لايراها الناس ، وهو امر لا نجد له تعليلا ، كما لا نجد تعليلا لعدم اقامة تمثال لبطل ابطال الاستقلال المصرى ، ورائد الكفاح الوطنى ، السيد عمر مكرم ، ولا للبشير الاول بالثقافة المصرية الجديدة ، رفاعة رافع الطهطاوى ، ولا لاستاذه ومعينه على مبارك ، وهكذا ..

وفي ١١من سبتمبر ١٨٨٣ جاء سير ايفلنج بارنج ، الذى عرف بعد ذلك باللورد كرومر ،ولم يكن مقدمه ليشغل منصب العميد للاحتلال البريطاني كما حدث بعد ذلك ، بل جاء بوصفه عضوا في لجنة صندوق الدين التى



الاحتلال البريطاني في مصر .. ضرب الاسكندرية

اقامها الانجليز والفرنسيون ، لبسط نفوذ اصحاب الديون الاجنبية من المرابين اليهود ، على مصر ، وليجهزوا في الواقع لمصاب اكبر ، وهـو الاحتلال البريطاني • ويقول بيمان ان كرومر ، حينما تولى عمله في مصر ، كان قد حصل على معرفة بالاحوال في مصر ، ولذلك فقد شرع في الحال ، في اصلاح حال الميزانية المصرية وذلك عن طريقـين : تخفيض المصروفات ، واستنباط موارد جديدة • وكان يعلم سلفا ان المنافسة الضارية التي شبت نيرانها بين الاســتعماريين : الفرنسي والبريطاني ، والغيرة المتبادلة بينهما ، والتي كان يثيرها اي ظفر لاحدهما على الاخر في شكل الحصول على مزيد من السلطة المادية او النفوذ الادبي في وادي النيل ومن ثم فقد كان طبيعيا ان تقيم فرنسـا وان يقيم رعاياها المقيمون في مصر او المتصلون بالاعمال او السياسة فيها ، كل عقبة ممكنة في وجه خطة كرومر ولم يجد كرومر عونا في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي واعوانه لا من الخديو ، ولا من وزرائه ، ولا من الشعب المصري كله • فقد الف كرومر ان يروي وقائع كفاحـه ، في تقارير سنوية يرفعها الى سادته في لندن وتنشر في مصر فتستفز الوطنيين المصريين •

وكان يزعم كرومر في تقاريره الاولى انه يرى ان مســتقبل مصر لا يعدو تطورين : ان تستقل ، او ان تندمج في الامبراطورية • وزعم ايضا انه يؤثر الخيار الاول ويعمل له •

ولكن كل ما قاله كرومر وفعله ، كان يؤكد عكس هـذا الزعم وينقضه • ويتساءل « بيمان » هـل نجحت الكرومرية ، ورد على هـذا التساؤل بان الكرومرية فشلت ، لانها واجهت وطنية المصريين التي اثارها وقادها مصطفى كامل ، والمعركة بين الكرومرية ، والوطنية، كانت محل حديث بيمان • وهو حديث جدير بان ينقل وبان يظفر منا بالتعليق •

فلنبقه الآن الى فصل تال في هذا الحديث باذن الله ●

محمود سامي البارودي



كان يجب أن يكون جمال عبد الناصر أحب شخصية عندى ولكنى اختلفت معه

بقلم : أحمد حسين

تقضى قواعد الحساب الدقيق والمنطق الصارم ان يكون جمال عبد الناصر هو أحب شخصية لدى ، فلست أحسب أن هناك من يداينني كما يداينني جمال عبد الناصر وذلك لسببين :

الاول : انه انقذ رقبتي من المشنقة وظل طول عمره يحميني من رجاله .

الثاني : انه ترجم أقوالى الى أعمال ، فاثبت اننى لم أكن خياليا ، أو انني كنت اضرب في الهواء ، ومع ذلك فقد اختلفت معه فى السنوات الاولى من حكمه .

واحسب ان الامر فى حاجة الى تفصيل :

انقاذ رقبتي من حبل المشنقة

قامت ثورة ٢٣ يوليو ، وانا رهين السجن بتهمة حريق القاهرة والحريق لا يؤدى الى الاعدام الا اذا تسبب الحريق فى موت اشخاص وكان من التهم الموجهة الى ، حريق بنك باركلز والتيرف كلوب وكلا الحريقين اسفرا عن موت عدد من الانجليز ، وكان القصر أو بالاحرى فاروق ، مصمما على اعدامى ، وتم الاتفاق بالفعل مع رئيس محكمة الجنايات حسين بك طنطاوى على أن يحكم علي بالاعدام ، وبلغ من لهفة حسين طنطاوى على طمانة القصر انه سيحكم على بالاعدام ، انه فى حديث اجرته معه مجلة المصور أبدى أسفه على ان القانون خال من عقوبة فوق الاعدام لتكون من نصيب المحرضين،وقد كانت تهمتى


احمد حسين


جمال عبد الناصر

« التحريض على حرق القاهرة » ولما كان حسين طنطاوى ، يبلغ سن الاحالة على المعاش (٦٠ سنة) في شهر يونيه أى قبل نظر القضية ، فقد طلب من الحكومة على وجه السرعة ، اصدار قانون برفع سن الاحالة على المعاش الى ٦٥ سنة ليتمكن حسين طنطاوى من نظر القضية والحكم على بالاعدام •

فاعدامى كان قضية مقررة ، لولا قيام جمال عبد الناصر بالثورة في ٢٣ يوليو وطرد الملك في ٢٦ يوليو •

ومدين له بعودتى الى الحرية

تصور على ماهر الذى رأس الحكومة فى أول الثورة أن الامور يمكن أن تجرى بمقاييسها القديمة وقد طلب منه الانجليز والامريكان ان محاكمتى على حرق القاهرة يجب أن تستمر ، وانصاع على ماهر الى رغبة الانجليز والامريكان، فاصبحت احاكم على طعنى فى الملك الذى طردته الثورة •

ورفضت هذا الوضع، وامتنعت عن الذهاب الى المحكمة واضربت عن الطعام ، وكان على ماهر قد ذهب واصبح اللواء محمد نجيب هو رئيس الحكومة فكان يرسل الى البكباشى انور السادات ، ليقنعنى بالعدول عن الاضراب ، وفى احدى المرات قال لى أنور السادات ، انه قبل أن يحضر الى ، توجه الى جمال عبد الناصر بسؤال صريح : هل ستفرج عن أحمد حسين ، فقال له نعم ،أبلغه ذلك وبالفعل افرج عنى فى اليوم التالى •

كان يجب أن يكون جمال عبد الناصر أحب شخصية عندى ولكنى اختلفت معه

واشهد لقد عشت فى ظل عبد الناصر ، ما عشت ، وكان يعلم اننى اخالفه فى وجهةالنظر ،ولكنه حال دائما بينى وبين التعذيب الذى كان يجرى فى أيامه .

تنفيذه لكل افكارى

ومن ناحية أخرى ، فان جمال عبد الناصر باعتباره كان عضوا فى مصر الفتاة ، من ذوى القمصان الخضراء ، فقد عمل طول حياته على تطبيق برنامج مصر الفتاة ، فى الكل والتفاصيل : فالغاء الرتب والالقاب ، والاصلاح الزراعى وتصنيع مصر وتأميمقناة السويس والقومية العربية ، وقبل ذلك كله اجلاء الانجليز ، كل هذا دعت له مصر الفتاة وكافحت فى سبيله ، ونفذه عبد الناصر، بل ان التنفيذ وصل الى أدق التفاصيل ، كاقامة تمثال رمسيس فى المحطة ، وهدم تمثال دىليسبس فى بورسعيد .

أى أن كل ما عشت من أجله ودعوت اليه قد تحقق على يد عبد الناصر ، فلم أكن اتكلم فى الهواء ولم تكن صرختى فى واد، بل كللت بالنجاح على يد عضو من أعضاء مصر الفتاة ، وطالما اخجل جمال عبد الناصر تواضعى بقوله : لو لم يكن أحمد حسين ما كان جمال عبد الناصر .

قواعد الحساب تفرض الحب والتأييد

فأنت ترى ان قواعد الحساب المجرد تفرض على الحب والتأييد المطلق لجمال عبد الناصر ، ومع ذلك فقد اختلفت معه ، ولا شك ان بقائى فى السجن رهن المحاكمة بضعة شهور بعد قيام الثورة كان له أثر فى ذلك .

لقد زارنى جمال عبد الناصر فى بيتى أكثر من مرة ، وكان ينصت لآرائى ويستجيب لها ، من ذلك اعلان الجمهورية فيبدو ان اخوانه كانوا يلحون عليه فى اعلان الجمهورية وهو يتلكأ ،فلما أن علم فى احدى الزيارات اننى اعجب لتأخر اعلان الجمهورية ، اذا بها تعلن فى بضعة أيام .

غياب الديمقراطية كان السبب

والذى لا شك فيه ، ان غياب الديمقراطية ، بمعنى حرية القول والحركة ، كان هو السبب فى خلق الحاجز بينى وبين الثورة ، فأنا بحكم كفاحى الطويل لاانشودة لى أغلى من الحرية ، والثورة لا تستطيع أن تحقق اهدافها ، الا على حساب الحرية ، وتصبح حرية الحاكم فى أن يفعل ما يشاء هى الاصل .

ولذلك فقد ساءنى جدا محاكمة



علي ماهر

الثورة للاخـــوان المسلمين ، وأن يترخص جمال سالم رئيس المحكمة في مسائل الـدين ، حتى ليطلب من بعض المتهمين (على سـبيل التعنت) أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب

وانتهزت فرصة وجـودي في (السعودية) عام ١٩٥٥ لكي اقرر ان لا أعود الى مصر ، وأن اتخذ من سوريا (دمشق) مقاما لي ، وفي سوريا عهد الى الاسـتاذ « أمين سعيد »مؤرخ العرب الحديث،أن اشرف على جريدته اليومية«الكفاح» وعلى صفحات الكفاح ، رحت أوجه خطابات مفتوحة لجمال عبد الناصر أشيد فيها بالثورة ،ولكنني اطالب بسيادة القانون ،باصدار الدستور قدسية الحريات العامة .

واشهد ان جمال عبد الناصر لم يغضب مني فعنـدما طلبت زوجي وأولادي لزيارتي في الشـام لم يتردد في التصريح لهم ، وزاد على ذلك ان حمل سفيره في سـوريا (محمود رياض) تحياته الطيبة .

ومن سوريا ، قصدت الى لنـدن ، فاقمت فيها بضعة شهور،وواصلت ارسال خطاباتي المفتوحة ، اطالب بالدستور وسيادة القانون .

سفري الى السودان

وفي هذه الفترة (١٩٥٦) كان الانجليز ، قـد جلـوا عن مصر والسـودان ، وقـد تألفت في السـودان حكومة وطنية برئاسة صديقي اسماعيل الازهري فدعاني للاقامة في السودان فلبيت الدعوة واقمت في السودان قرابة سـتة شهور ، اصدرت فيها كتابي « من وحي الجنوب » وهو حـديث عن رحلة نيلية ، زرت فيها جنـوب السودان .

وفي السودان واصـلت خطتي في المطالبة بالدستور .

صدور دستور سنة ١٩٥٦

وأخيرا صدر دسـتور سـنة ١٩٥٦ ،فعدت الى مصر ومرة أخرى اشهد ان أحدا لم يسـائلني عن

كان يجب أن يكون جمال عبد الناصر أحب شخصية عندى ولكنى اختلفت معه

حرف واحد مما كتبت ٠
واقدم جمال عبد الناصر فى هذه الايام ، على أمجد أعماله على الاطلاق ، وهو تأميم قناة السويس ثم مواجهة العدوان الثلاثى (انجلترا وفرنسا واسرائيل) ودحر هـذا العدوان ، أى هزيمة الاستعمار نهائياً ٠
كانت الثورة قد ألغت الاحزاب فلا عمل لى فضلا عن نشاط ، فعكفت على مكتبى فى المحاماة ٠
حتى اذا وصلنا لعام ١٩٦٠ عافت نفسى الحياة لغياب الديمقراطية ، فاعتزلت المحاماة ، ولزمت بيتى ، فارسل لى جمال عبد الناصر الدكتور نور الدين طراف ، يعرض على العمل ، فاعتذرت ، فأنت ترى أن جمال عبد الناصر ، ظل ثابتا على حفاوته واكرامه لى ، ومن هنا قلت ان قواعد الحساب تملى على ، الحب والشكر وعرفان الجميل لعبد الناصر ولكنى عشت فى خلاف معه بسبب غيبة الديمقراطية وعندما أصبت بالشلل عام١٩٦٩ ارسلنى جمال عبد الناصر للعلاج فى لندن على نفقة الدولة ، وباصابتى بالشلل الذى ما زال يفترسنى حتى الآن ، خرجت من الحياة العامة جملة وتفصيلا ●

جثث تدفع رسوم دفنها بنفسها !!

طوال ستمائة سنة كانت مقبرة اليسكام فى مدينة آرل الفرنسية مكان الدفن المفضل ، وكانت الجثث تلقى فى نهر الرون لكى تطفو على سطح مياهه وتبلغ مقبرة ارل، وقد وضعت نقود فضية فى افواه الاموات لتسديد الصيادين أتعابهم اذ ينتشلون الاجساد ويرسلونها الى المقبرة لمواراتها التراب ٠

١٧٩٢ : اسم عائلة فرنسية

ليس ١٧٩٢ رقما ، بل هو اسم احدى العائلات الفرنسية وتعيش فى كولوبييه ، وتضم هذه العائلة اربعة أولاد اطلق على كل منهم اسم شهر من شهور السنة الاثنى عشر : كانون الثانى ١٧٩٢ ، وشباط ١٧٩٢ ، وآذار ١٧٩٢ ، ونيسان ١٧٩٢ ، وقد توفى آذار ١٧٩٢ فى أيلول ١٩٠٤ .

قصائد قصيرة

شعر: عزت الطير



سيدتى الشمس
أنا زهرة عباد الشمس
إن غبتِ أموت

●

حينَ أحدق فى عينيكِ
لا أرغب فى أن أكتب أشعاراً أخرى

●

إن ضاقت فى عينيك الدنيا
هذا قلبى
ينفتح أمام عيونك حقلا وشموسا
وربيعا وحكايات طفوله

●

لماذا أحبكِ أنتِ
ودونَ البشر

●

قلبى طفل
وأنا أعلم أنك عاشقه الأطفال

صالون نازلي هانم

بقلم : د . السيد فهمي الشناوي

● اذا كان التاريخ – في مصر بالذات – له ضحايا او مظاليم فلعل نازلي فاضل هذه من مظاليم التاريخ .. بل ربما كانت شهيدة .

واذا كان من كتبن عن المراة المصرية الحديثة قد ذكرن هدى شعراوى وسيزا نبراوى ودرية شفيق ومنيرة ثابت وغيرهن فانما القليل جدا من تكلمن او تذكرن هذه السيدة .

واذا كان صالون مي قد صار موضوعا محببا ومثيرا تتدفدغ فيه اعصاب رجال مثل العقاد او لطفي السيد فان صالون نازلي فاضل لم يحظ باهتمام يذكر .

وقد حرت في هذا التجاهل : هل لان « مي » انتصر لها بنو جلدتها الشوام وكانت لهم سيطرة على الاعلام بينما نازلي هذه تنسب الى تركيا الشمس الغاربة وتنتسب الى الاسرة المالكة المكروهه ؟

لقد كونت نازلي هذه او طورت سعد زغلول الذى اصبح القيادة السياسية لهذا البلد فيما بعد وطورت او كونت قاسم امين الذى قاد التغيير الاجتماعي في هذا البلد وقد اثرت في الامام محمد عبده الذى قاد التغيير الديني وحقق التفاهم بين السلفية والتحديث .

ويكفي انها من اوائل من شاركن في الحركة الادبية والتنوير الفكرى وايقاظ الحياه المصرية العامة مع بعض نساء الاسر الراقية (مثل عائشة التيموريه ثم هدى شعراوى) وكان لمشاركتهن هذه – ان لم يكن لريادتهن – اثر كبير في وضع المراة المصرية وتغييرها من مخلوق انثوى فقط الى انسان كامل .

اصل نازلي فاضل

لم تكن وافدة من تركيا ، ولكنها مصرية منحدرة من اصول تركية شان الكثيرات من نساء الاسر الكبيرة في مصر . على ان الشخصية المصرية سواء من الرجال او النساء لم تكن وجدت بعد . فقد كانت الجنسية وقتئذ هي « عثمانلي » وغير عثمانلي في سائر انحاء الامبراطوريه العثمانيه .

وهي نفسها من اوائل من كونوا الشخصية المصرية الوليدة داخل صالونها هذا الذى احتضن سعد زغلول ومحمد عبده من رواد الثورة العرابية واللذين حكم عليهما فيها وايضا قاسم امين .

ويلاحظ ان رواد الادب العربي ربما حتى وقتنا هذا من اصل تركي . فمحمود تيمور وعائلته اثر الو وتوفيق الحكيم والدته تركيه كما ورد في مذكراته . وكذلك يحيى حقي صاحب قنديل ام هاشم وغيرهم وغيرهم .

والد هذه السيدة هو الامير مصطفى فاضل – اخو الخديو اسماعيل – الذى حول قصره الى مدرسة اصبحت المدرسة الخديوية القديمة . كان هو صاحب اكبر مكتبة خاصة في مصر اصبحت فيما بعد هي دار الكتب المصرية . ومعظم كتبها كانت من عيون الادب والتاريخ العربي .


نازلى هانم

انشأت هذه السيدة ـ الواقع انها الاسرة باكملها التى يرأسها مصطفى فاضل ـ هذا المنتدى داخل القصر فكان اول صالون ادبى فى مصر الحديثة . وكان رواد هذا المنتدى لا يكتفون بتعاطى الادب ولا بالتراشق بالشعر والحكم ولكن كانوا يتدارسون احوال البلاد ذاتها سياسيا وادبيا . يتصدون للكتب الاجنبية التى تصدر عن مصر فى الخارج وتهاجم مصر او الاحوال الاجتماعية فى مصر مثل كتاب داركور الفرنسى ـ القاضى بالمحاكم المختلطة ـ « سر تاخر المصريين » . فكانت نازلى فاضل تدفع رواد صالونها دفعا لتفنيد هذه المزاعم بالحجج السليمة وبالاسلوب الاوربى وعلى نفقتها الخاصة ايضا . كل هذا تم دون ان تتباهى او تمن على الشعب بما فعلت . بل نقول انها لقيت تجاهلا تاريخيا يكاد يكون كاملا . هذا فضلا عن ان كثيرين تعرضوا لها بالتشكيك لان بعض الانجليز كانوا من رواد هذا الصالون . او لان كلمتها كانت ذات وزن وتاثير لدى السفارة البريطانية . والواقع أن الانجليز كانوا يحترمونها ويقدرونها وكانوا يرون فى رواد صالونها هذا خلاصة الفكر الراقى من الوطنيين الذين كان الانجليز انفسهم حريصين على تعرف نبضهم ومحاولة استقطابهم ان امكن . ولكن هل يمكن الا ان نعترف بان امثال سعد زغلول وقاسم امين ومحمد عبده كانوا مخلصين لمصر وفوق اى شبهة عمالة للانجليز وان تقرب

واذا كانت قد خرجت الى الحياة العامة بعد الاحتلال البريطانى والذى بسببه كان الشعور الشعبى يضطرم بالكره للسراى فان والدها هذا كان محبوبا بين المصريين لموقفه من اسماعيل ولانصرافه للعلم والادب دون السياسه .

وقد انعكس الجو الادبى والفكرى الراقى الذى نشأت فيه فى افساحها مكانا فى منزلها لاولى العلم والادب والحجى من صفوة المصريين الخلص امثال فتحى زغلول وسعد زغلول . وابراهيم المويلحى وابراهيم الهلباوى والشيخ محمد عبده . ولو لم يكن هذا المنتدى يحتضن الفكر التحررى والتقدمى بل والثورى ما كان يغشاه الفيلسوف والثائر جمال الدين الافغانى . او الصحفى الثائر اديب اسحق .

الانجليز منهم انما كان كياسة وحسن سياسة .

لقد كتب رونالد ستورز عنها في تسعة مواضع من مذكراته المعروفة باسم « شرقيات » والتي كانت اشبه بتقرير رسمي وسجل دقيق له كسكرتير شرقي للسفارة في فترة كرومر . والسكرتير الشرقي هو اخطر واهم مساعدي المعتمد البريطاني . وستورز بالذات لعب اخطر الادوار في تاريخ الشرق الاوسط عندما خطط كمستشرق - مع فريق - في موضوع لورنس والثورة العربية الكبرى وغيرها من الاحداث .

وفي جميع ما ورد في هذه المذكرات الشبه رسمية عنها لا يمكن الشك في اي اتصال فكري او سياسي مع المستعمر بل فيه الكثير من الانتقاد السياسي لابن عمها توفيق ، خديو مصر و « للعلماء العملاء » من الشيوخ ولانصار البيت المالك .

***

عاد قاسم امين من فرنسا حيث درس الحقوق . وكتب عدة مقالات في جريدة المؤيد . ان اول ما يكتبه الشخص العام هو دائما التعبير الحقيقي عن فلسفته وفكره الكامن . فماذا قال قاسم امين في اول كتاباته . هاجم قاسم امين في هذه المقالات المراة المصرية وحط من قدرها بشدة . وطالب بالقبوع في المنزل . والاقتصار على شئون الدار وعدم الخوض في الحياة العامة باي شكل .

غضبت نازلي فاضل . يعني هذا انها قرأت هذه المقالات وانها كانت تتابع الحركة الثقافية والسياسية . وان عندها خلفية متوثبة ومترقبة ويقظة . طالبت هذه السيدة الشيخ محمد عبده ان يصحح لصديقه قاسم امين فكره وان يبلغه استياءها الشخصي وغضبها وانها مستعده ان تناقشه فيما زعم بالحسنى قبل ان تهاجمه علنا . فالمراة المصرية - في نظرها المتعاطف رغم ان الوقت كان قبل هذا القرن تقريبا - ليست بهذا السوء والضعف والتفاهه والانغلاق وان ما ينقصها هو اعطاؤها الفرصه فقط . وان حرمانها من الفرصة هو خطأ الرجال المصريين ليس الا . او هو ظلمهم لها .

حمل محمد عبده رسالة نازلي الى صديقه : ان المراة المصرية متمدنة . فهمها للامور هو نفس فهم الرجل . ومقدرتها هي نفس مقدرات الرجل . فقط اعطوها الفرصة وافرجوا عنها .. (لاحظ ان الشيخ الجليل كان متزوجا من امية لا تقرا ولا تكتب منذ كان صبيا !) ووجه الى صديقه دعوة لمقابلة نازلي في صالونها .

ذهب قاسم مع الشيخ الامام . فماذا وجد . سيدة تتقن العربيه والفرنسية والتركية كاباتها ، يؤم مجلسها قمم شامخة من رجالات مصر ويجدون في هذا المنتدى غذاءهم الذهني والنفسي . لا تجالسهم فقط ولا تواكبهم فكريا وحسب ولكنها لها رأيها المستقل الثاقب في الامور الداخليه والشئون العالمية .

ووجد قاسم امين - على حد قوله - نفسه امام امراة مصرية ! تدافع عن مصر ونساء مصر وحقوق مصر وكل ما يمت الى مصر . بل انها تجادل الكتاب الاوربين وتشدد النكير عليهم ان هم مسوا مصر . وتجادلهم عيانا وجهارا عندما يزورونها في منتداها هذا . وتفعل ذلك كله دون اي حرج وبلا مقابل تتوقعه ودون طمع في مركز سياسي او مكسب اجتماعي


قاسم امين


هدى شعراوى


سعد زغلول

او طنطنة اعلامية . هذه اصالة اذن . خرج قاسم امين من عندها ممسوسا . علم الان امرين ، كان جاهلا بهما . علم من ناظلى فاضل ان المراة المصرية لو تعلمت لاصبحت خيرا من المراة الفرنسية التى كان قد رآها وكتب متأثرا برقيها وتقدمها هذا الشنآن على المراة المصرية. وعلم من محمد عبده أن الاسلام نفسه يدعو ويوجب تعليم المراة المسلمة .

ولما كانت اداته فى التعبير هى الكتابة وكان قد استعمل هذه الاداة فى شجب المراة المصرية دفعته شجاعته الادبية ان يكتب ما يناقض ما سبق له كتابته ولم يصر على ما فعل .

نشر اول مقالة له بعد تحوله من النقيض الى النقيض فى المؤيد فى ١٥ مايو ١٨٩٩ والثانية فى ٢٠ مايو والثالثة فى ٢٨ مايو ثم جمعت فى كتاب سماه « تحرير المراة » . صدر فى نفس العام مما يبين نجاح واكتساح هذه المقالات للراى العام . والواقع اذن انه تحرير لفكر قاسم امين على يد هذه السيدة من خلال هذا الصالون فاذا قلنا انها كونت او طورت قاسم امين لا نكون مبالغين .

نحن اذ نستقى افكار هذا الكتاب انما نردد الافكار التى كانت تتردد فى حجرات هذا الصالون ويمكن ان نستشف ان كل فكرة لها صاحب .

١ ـ تعرض باوضح تمثيل لحال المراة المسلمة وتبنى ان الحالة السيئة التى اصبحت من مميزاتها هى السبب الاول لتاخر العالم الاسلامى الحاضر « لباب مقالة ١٥ مايو » ' لا اشك فى ان صاحب هذه الفكرة هو الامام محمد عبده وانه رددها فى الصالون ، ويبدو انه لم يكن يجاهر بها اطلاقا فى العلن . وربما كان زواجه الشخصى عاملا سيكولوجيا فى هذه الفكرة . هذه الفكرة أو النظرية تتفق تماما مع عقلانية محمد عبده وتتفق فى انه هو ـ من بين رواد الصالون ـ الذى كان يبحث فى مشكلة الارتقاء بالعالم الاسلامى . هذه النظرية ايضا فى غاية الاهمية . لانها تعنى ببساطة ان العالم الاسلامى كله سوف يتحرر ويعود الى ماضيه المجيد بمجرد تعليم كافة نسائه . نظرية قد تشجب النظريات الماركسية وقد تشجب

صالون نازلي هانم

الاسلام السياسي ذاته . وربما لهـذا كله لم يجاهر بها محمد عبده ولكنه القاها الى صديقه قاسم . وان كانت النظرية لم تتعرض لنوعية التعليم فانها تحمل في ثناياها ان تعليم المراة بالاسلوب الاوربي وبالتغريب النفسي انما يمحو شخصيتها الاسلامية ويمهدللغزو الصهيونية

العجيب ان هذه النظرية الخطيرة انتهت وتوقف الكلام عنها لدى المفكرين المعاصرين الذين تعرضوا لمسيرة الاسلام وتداولوا عنه آراء الجهـاد أو اليسارية أو العدالة أو الاقتصاد واهملوا هـذه النظرية . هل ماتت هذه النظرية بموت هذا الصالون ... ؟

هذه نوعية من الاعلام الهادف المتوار قارنوها باعلامكم اليوم وقد اعطيتموه من أسلحة التـكنولوجيا والمال ما لا مزيد عليه . ولكنه افتقر الى شخصيات محمد عبده وقاسم امين . وايضا نازلي فاضل وحل محلهم أصغر منهم .

٢ ـ عاب قاسم أمين على المصريين « اهمال عقولهم » حتى صارت عقولهم ارضا بورا لا تنبت . وهذه نظرية أخرى من آخطر النظـريات السياسية والانثروبولوجية وان صيغت فى اسلوب غاية فى البساطة والسهل الممتنع . وانا شخصيا أشتم فى هذه النظرية بهـذه البساطة الناعمة الاسـلوب الانثوى . واعتقد انها من ملحوظات نازلي فاضل . ولقد كانت هى فى وضع يسمح لهـا بمقارنة العقول عن كثب . فهى تستقبل فى صالونها عقلاء الانجليز المستشرقين ومن بينهم رونالد ستورز المفكـر والمفكر لكرومر . وكانت تستقبل كل الكتـاب الاجانب الذين يكتبون عن مصر ليشتموتها وكانت تتقن اتقانا يفوق الاساتذة اللغات الانجليزية والفرنسية والتركيةوتستمع الى العربية من مصادرها الصافية امثال محمد

عبده . فهى اذن اقرب الحضـور الى المقارنة والاستنتاج .

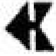
وهذه النظرية ايضا لها خطورتهـا الجسيمة . فهى تلخيص لفلسفة ديكارت فى الشك . وقد بنى طه حسين كل زحفه الثقافى على موضوع الشك هذا فى حديثه عن الادب الجاهلي وحديث الاربعاء وغيره .

والدعوة الى عدم اهمال العقل هى ثورة ثقافية اعمق من مجرد المطالبة بالتغيير والتنوير . وهو مذهب يصلح كدواء فى معالجة تخلف رجال الدين . وهى دعوة قد تلد ثورات سياسية وحركات اجتماعية خطيرة جدا .

قلنا ان محمد عبده هو الذى عرف صديقه قاسم امين بنازلى . وما كـان ليفعل ذلك لو لم يكن يحترم عقليتهـا ويرى فى صالونها هذا خيرا . ولم يجد الشيخ فى احترام هذه السيدة للانجليز عيبا يعتمه عنها ويثنيه عن صـالونها . فهو نفسه كان الانجليز قد « اكتشفوه » وهو فى السودان وتلقفوه ورعوا خطواته على السلم السياسى والاجتمـاعى . وظلوا يحتـرمونه حتى دعوه الى وستمنستر « البرلمان البريطـانى » واخذوا له صورة تذكارية هناك .

ويذكر رشيد رضـا فى تاريخه للاستاذ الامام قوله « لو انفقت الاميرة فاضل جهودها وجمعت المال من الاميرات وانشأن مدرسة لتعليم الفتيات وجلبت لهن مدرسـات من الشام لكان النفع اعم » .

لا يفهم من هذا انه كان يضيق ذرعا بالاميرة ولكنه يريد ان يحولها الى رائدة عملية بالفعـل وان لا تكتفى بمناقشات الصالون فقط ويامل فى قدرتهـا على التنفيذ العملى الوثاب . وقوله انهـا تجمع المال من الاميرات دون ان يقول من الشعب يعطى فكرة عن ان تعـليم




السلطان عبد الحميد


حسين رشدي باشا


عائشة التيمورية

البنات لم يكن له اى شـــعبية لدى الجماهير تجعله يؤمل فى اى مساعده مادية . وقوله انها تجلب لهن مدرسات من الشام يقطع بانه لم يكن فى مصر اى مدرسات مصريات وكانت الجهالة رانيه بالكامل على الجنس اللطيف فى مصر . وكان محمد عبده يريد ان يحدث ثورة فعلية حقا . وكان شديد الامل فى التعليم بصـــفة عامة انه يحقق ثورة تؤدى الى نجـــاح مز ان تحققه ثورة العسكريين امثال عرابى الذى شاهد هو بنفسه فشلها وعوقب بنفيه الى الشام .

سعد زغلول وناظلى

يذكر رونالد ستورز السكرتير الشرقى لكرومر وجورست والمستشرق الخطير ان سعد باشا كان محاميا لناظلى . ويقول فى مذكراته انها « نصحته او امرته — لانك من الصعب ان تفرق بين نصيحتها وامرها — ان يتعلم الفرنسية وان يدرس الثانوية بالفرنسية » . هذا يكفى لان ندرك تقدمية هذه المراة وطموحها .

ثم انهـا هى التى زوجتـه من صفية كريمة مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء لمدة ١٥ سنة . وكانت تزكيتها له هى جواز المرور للموافقة . فقد كان سعد فلاحا ابن فلاح وكان مصطفى فهمي تركيا والرجل الاثير عند الانجليز والسياسى المطلق الكلمة فى مصر . واذا كانت هى التى علمته الفرنسية ثم زوجته بابنتـه ادركنا كم هى قادرة على المساندة والبذل والتنفيذ . واهم من ذلك ادركنا مقدرتها الفائقة على حسن الاختيار وعلى صدق الفراسة من ناحية ناظلى ومبلغ الزعامة الكامنة فى سعد حتى يعرفى زعامته مبكرا على هذه الاميرة ذاتها .

يبقى بعد ذلك اهم مساعدة ادتهـــا لسعد زغلول ، فهى التى رشحته بقسوة وتصميم ليصـــبح وزيرا . اول وزير مصرى . وفى وزارة هى اهــم وزارة وقتئذ وزارة المعارف . وقد كانت منهى آمال سعد فى ذلك الوقت ان يصير مدير مكتب البعثات فى لندن فقط . صحيح ان تزكية ناظلى وخدها لم تكن لتكفى فى التاثير على المعتمد البريطانى لولا كفاءة سعد نفسه . وهاهو الصالون نفسه يعج بصفوة الصفوة من اهل الراى محمدعبده قاسم امين، الشيخ على يوسف، الدمرداش باشا وغيرهم . بل آن رونالد ستورز

صالون نازلي هانم



الشيخ محمد عبده



الآنسة مي



جمال الدين الافغانى

ينص فى مذكراته على ان فتحى زغلول اخا سعد كان اشد ذكاء وكان اكثر ميلا للانجليز — فهو الذى الف كتابا عن سر نجاح الانجلو سكسون — ثم يذكر انه مات محسورا لانهم لم يختاروه وزيرا ! !

ولعل فى كل هذه المساندة من نازلى لسعد زغلول تكفيرا لمن يقول بانها كانت انجليزية الهوى والميول فقد خدمت الوطنية — بقصد او بغير قصد — واشتركت فى الحركة الوطنية بغير قصد وبطريق غير مباشر بتكوينها من خلال صالونها لسعد زغلول . نعم . فكل سياسى او رجل عام يعرف تمساما ان اصعب خطوة فى حياته هى الخطوة الاولى التى يضع فيها رجله على اول السلم للظهور تحت الاضواء . وان كل ما يتبع ذلك يكاد يكون سهلا وتحصيل حاصل . وها هى نازلى بكل تاكيد كونت لسعد زغلول خطوة النجاح الاولى فى يسر وسهولة لا مزيد عليهما بتعليمه الفرنسية وتزويجه من بنت رئيس الوزراء واختياره وزيرا .

رونالد ستورز وصالون نازلى

خدم هذا الرجل كاستعمارى خطير فى مصر منذ ١٩٠٤ وكتب مذكراته بتفصيل وتطويل كامل لمدة ثلاثين عاما . واشترك فى صنع الوزراء والملوك والمؤامرات وثورة لورنس المسماة الثورة العربية الكبرى وادخال الصهيونية فى التاريخ بعد الفى عام . ولم تكن تفوته فى تدوين مذكراته — شان كل السفراء الانجليز واعوانهم — ادق التفاصيل . ولو اوردنا ما كتب عن صالون نازلى فاصل لضاق نطاق النشر . ولكننا نجمل ما قال فقط :

اخذنى زميلى جريفز الاسبوع الماضى الى الاميرة نازلى . وهى الاميرة الوحيدة فى البيت المالك المتكلمة والمتحررة . وقد دخلت علينا الساعة الثالثة وظلت تتكلم حتى الرابعة والربع فى انجليزية رائعة دون ان تعطى فرصة لاحد فى الكلام . لقد كانت جميلة يوما ما . ولكنها الان لاحة . ولها عينان فيهما نفاذ عنيف . وهى لا تخفى الاستهانة بملوك الاسرة واحدا وراء الاخر . وقد كانت تزوجت وهى صغيرة السن جدا فى اسطنبول وعاشت فى ضيعة وقصر منيف وكان سفيرنا السير لايارد يرعاها كاب ويحرص على ان يعرفها على الحضارة الاوربية .



وقد ظلت تحتفظ بعدد وفير من الخدم والعبيد الذين عاشوا داخل الاسرة احقابا طويلة . ولقد تعرفت فى مقابلات شخصية بالملكة فكوريا والملك ادوارد والسلطان عبد الحميد ومعظم رجالات السياسة البارزين فى عهدها .

ولا ادرى ان كان زوجها السابق مات او طلقها ولكنها عندما عادت الى القاهرة كانت تزوجت تونسيا هو بوحجاب بك عمدة المرسى . وهو زواج لاسكات الناس فقط اذ أنه يعيش فى تونس . ولكنها فى قصرها هنا خلف سراى عابدين - الذى يعج بالخدم - تستضيف صفوة من المصريين والاجانب الموجودين فى القاهرة .

تدخل قصرها حيث يوجد خلف البوابة اثنان من الاغوات . كل اغا فى مصر يسمى باسم زهرة او حجر كريم . ثم تدوس فى طرقات مفروشة بالظلط ومغروس فيها اشجار ظليلة وترقد تحتها قطط «ملكية» ثم تصيح يا ساتر او يا ستار (تذكر ان هذه هى احد اسماء الله » ومعنى ذلك ان رجلا فى الطريق وعلى نساء البيت ان يتبرقعن. وسرعان ما يجرى عبد او عبدان وهما يضحكان فى خفة ولطف على السلم امامك ليبلغا « البرنسيسة » بوصولك . ثم تدخل انت الى الصالون وتنتظر . لابد ان تنتظر ولو دقيقة . ولكن لابد من هذا الانتظار حتى لو كان الميعاد محددا من قبل . وحجرة الصالون لو تاملتها شعرت بخوف مضحك . ولكنها على كل حال تعبر بصدق عن شخصية هذه السيدة بخلاف صالونات حديثى النعمة فى هذا البلد حيث يحشرون اشياء لا يفهمونها ولا ارتباط بينهم وبينها لمجرد القدرة على الشراء . فلى صالونها هذا ترى قناديل الجاز معلقة من السقف ولكنها اوصلت اليها الكهرباء وتركتها كما هى . وكل المقاعد من طراز لويس الخامس عشر مذهبة الاطار ومنمية جدا فى الجلوس . وكل منضدة فى الصالون محمله باوساق من الصور الفوتوغرافية اللامعة وغير المبروزه . فقط صور عبد الحميد سلطان تركيا واعضاء اسرتنا المالكه البريطانيه واللورد كتشنر واللورد جرنفل واللورد كرومر هى المبروزه . وقد الصقت على الجدران صور من مجلات وجرائد بحيث انك تستطيع ان تتبع كل احداث العشرين سنة الماضية من التفرج على هذه الصور الاخبارية .

هذه الاميرة تناصرنا بقوة واحيانا هذه المناصرة نضيق بها ! ومثل باقى السيدات الافريقيات فهى تضيق ذرعا بابناء جلدتها . بل تضيق بنا احيانا لو حاولنا الاتصال والتفهم بالتيار المضاد لنا . فالنائب البرلمانى الحر روبرتسون الذى يناصر التطلعات الوطنيه المصرية الحديثة زار القاهرة فكتبت نازلى اليه مرتين لتدعوه ولكنه لما لم يجد وقتا للزيارة كتبت له تقول « بعد ان تلقيت اعتذارك الثانى عن زيارتى لضيق الوقت اعتقد ان اصدقائى كانوا على حق عندما اكدوا لى ان اصدقائك المصريين لن يسمحوا لك بالزيارة . وكنت اشك فى ان انجليزيا يمكن ان يقع فى تاثير المصريين . ولكن حبى للمصريين فاق حبى للانجليز ! وما كنت اريد مقابلتك الا لكى اناقشك فى شئون بلدى وشئون بلدك دون خوف من كلينا او تحرج وارجو قبل ان تغادر مصر ان تكون قد وصلت الى حقيقة تشكر عليها بلدك وهى انها حققت العدالة والرخاء لمصر » . ويقول روس انه مستعد ان يعطى نسخة مصورة من هذا الخطاب لكل من يتهم الادارة البريطانية بالاستبداد او بالتقصير فى مصر . (ولكن لا يفهم من هذا انها كانت عميلة او متامرة او منتفعة من الانجليز . ولكنه يدل فقط على ان ابعاد الاستعمار وحقيقة الاستعمار

صالون نازلي هانم

لم تكن في هذه المرحلة الجنينية قد تكشفت امام نظر المصريين عامة) .

ثم يتابع روس - في ترقب الصياد لفريسته - نازلي . فيقول في يوم الخميس التالي : رغم انها لا زالت انجلوفيل (مناصرة او مشابهة للانجليز) الا انها اصبحت ضد جورست ومع الخديو ! وقد كتب اليها كتشنر بسبب ذلك خطابا طويلا .. انظر دقة الاستعمار البريطاني ونعومته في المراقبة .

ثم يصف روس بعض من تعرف عليهم في صالونها وتدرك منه ان معظم السياسيين المصريين تكونوا هنا في هذا الصالون .

يقول انه قابل في الصالون مدير الاوقاف . واسمه حسين رشدى باشا . ثم يضيف ان لقبه النهائي هو طبوزاده وان معنى هذه الكلمة بالتركية « ابن المدفع » . وانه لاعبه الشطرنج ليرى مدى تفكيره . وانه لاحظ انه شخص قادر ذهنيا وليس فيه عيوب خلقية اطلاقا . وانه لايني التفكير . وانه يفرح في صخب معلن عندما يلعب لعبة ناجحة . (هذا الرجل اصبح فيما بعد رئيس وزراء مصر والقائم باعمال الخديو اثناء الحرب منذ عزلهم لعباس الثاني) .

ويقول انه قابل عندها رؤوف باشا المندوب السامي التركي وان رؤوف باشا كان يدعو بالتركية ضده وربما يشتمه بالتركية وانه لاعبه لعبة « تراك تراك » فهزمه رؤوف باشا .

وقابل ستورز هناك ايضا الشيخ على يوسف صاحب المؤيد . ويصفه بانه رجل الراى وانه اعطى ستورز ساعة من وقته امضاها في مناقشة ذهنية وان كان على يوسف يضمر دائما تحفظا نحوه .

وقابل رئيس التكية البكتاشية ويصف الطريقة البكتاشية بانها شيعية وقد زارهم في مغارتهم في جبل المقطم وزار قبورهم قبرا قبرا قائلا كلما مر على قبر : السلام عليكم اهل القبور ثم يرد على نفسه السلام عليكم اهل الدنيا . وان هناك تقليدا شائعا ان من لا يقول هذا يموت ابنه خلال ٣ شهور ويحترق منزله . وهذه الطريقة البكتاشية كانت وثيقة الصلة بنازلي فاضل وهي التي رتبت لهم زيارتها .

ويقول روس انه حاول ان يقيس مدى تدينها . فيقول انه اثناء عشائه هو وجريلز معها في صالونها ذكر دانتي (الشاعر الايطالي) . فهاجت هياجا شديدا وشتمت الطلاينة جميعا . لانه في هذا الوقت كانت الجالية الايطالية تريد عمل تمثال لدانتي في اسكندرية .

ومعروف ان دانتي وضع محمدا « صلعم » وعليا في جحيمه المزعوم معلقين . وقالت نازلي انها كانت تعيش في قصر في بلغاريا تركته بعد خمس دقائق بالضبط من سماعها هناك ان رجلا بالقصر يكتب كتابا ضد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويمضي رونالدروس يذكر تفاصيل عن ولائمها للوزراء والسلك السياسي وعن العشاء المفاجىء لضيوفها في الصالون يذكر ايضا الموسيقى التي كانت تدار عندها ويدخل في تفاصيل التفاصيل عن الموسيقى الشرقية مما لا يعبر على قراءته الا فنان موسيقى موله بالموسيقى . كل هذا في تقرير سياسي لانه لم يكن يفوته ان يقرر كل ما تقع عليه عينه . وقد ضمن هذا كله في كتابه شرقيات .

وبعد فهذه هي نازلي فاضل بشرها وخيرها . ومن منا بلا شر او بلا خير .

ولكنها قطعا اشتركت في صنع تاريخ مصر الحديث ولو من خلال سعد زغلول ومحمد عبده وقاسم امين وعلى يوسف وروناك ستورز وكتشنر . ومع ذلك لم تلق من مؤرخينا اهتماما يذكر ●

ابتسامات



من الدار الاخرة ..

أصيب أحد رجال الدين مرة بمرض خطير ، وكان يعتذر عن عدم مقابلة أصدقائه الذين كانوا يترددون على المستشفى للاطمئنان على صحته . وحدث أن طلب ملحد - عرف باستهتاره بالدين - رؤية الرجل ، فأذن له . فلما دخل الملحد الزائر ، حياه المريض وقال :

- عجبت كثيرا لسماحك لي بالزيارة ، بينما تضن بهـا على أصدقائك المؤمنين .

فقال رجل الدين :

- ليس هناك ما يدعو الى العجب .. انني واثق من رؤية اصدقائي في الدار الاخرة بعد حين ، لو قدر لي أن أموت ، اما انت ، فانني اخشى أن تكون هذه آخر مرة اراك فيها .

ناكر الجميل

يحكى أن فأرا ضاق يومـا بالحياة ، بسبب الذعر الذي تبعثه في نفسه القطط . وصادف ان تعرف على ساحر ، فشكا اليه حاله وتوسل اليه ان يجعله قطا . فرثا الساحر لحاله وأجابه الى طلبه .. ومرت أيام وأحس الفار الذي غدا قطا ، أن الكلاب تنزعه



وتنغص عليه عيشه ، فقص على الساحر قصته وطلب منـه ان يجعله كلبا . فلما اضحى كلبا ، بدا يخشى النمر .. فرجا الساحر أن يجعله نمرا . وتتابعت الأيام وإذا بالفار الذي امسى نمرا قد غدت حياته جحيما .. فالصيادون يطاردونه برماحهم وبنادقهم حيث ذهب ..

وعندئذ أسرع النمر الى الساحر وقال له :

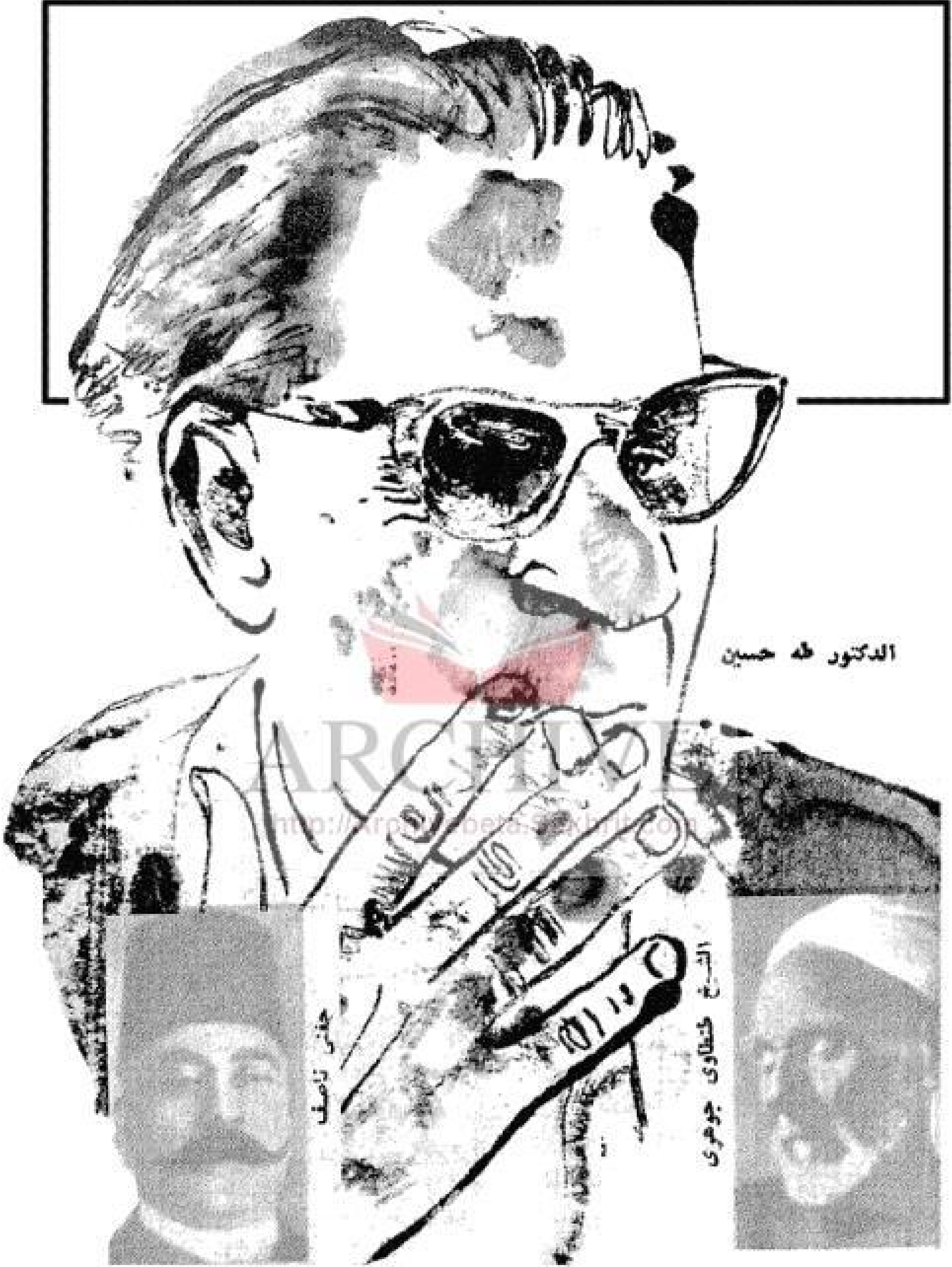
- بالله عليك اعدني فارا .. لم اعد اتمنى أن اكون قطا او كلبا او نمرا . لقد ادركت الآن اني كنت ناكرا للجميل الذي حباني به ربي !!

شخصيات مظلومة
في كتاب: "الأيام" لطه حسين

بقلم: د. محمد رجب البيومي

● قرر كتاب الايام – الجزء الثالث – على طلبة المدارس الثانوية ، وكان الجزء الاول ذا انتشار ذائع بين الطلاب لاعوام خلت ، وقد حل محله الجزء الثالث هذا العام، أو المختار من الجزء الثالث اذا أردنا الدقة ، لان بعض الابواب قد حذف ، وبقيت أبواب أخرى ، تحتاج الى تعليق جاد ينصف المظلوم ويبرىء المتهم ، اذ أن من الظلم البين أن يعرف التلاميذ أساتذة من أعلام العصر معرفة تسوء اليهم دون داع . وربما تدفع الى اهمال آثارهم الادبية على نفاستها المشهودة ، لا سيما اذا كان الدكتور قد صرح بالاسماء تصريحا لا يقبل اللبس ، لانه في الجزء الثالث قد خالف السرد الفني ذا القصص المحبوك الى الواقع التاريخي المحدد بالاسماء والايام والمناصب ، فهو كاتب مذكرات يتحدث عن وقائع مجردة ، وليس ذا فن يتخذ القصة اطارا زاهيا لصورته النابضة الحية كشأنه في الجزء الاول ، وبين الاتجاهين فرق واضح ، أشار اليه الاستاذ توفيق الحكيم في بعض أحاديثه حين قال :

« لا أستطيع أن أسمي أي عمل فني ترجمة ذاتية الا اذا كان مكتوبا بهذه النية ولهذا الغرض بالضبط أي أن يقول لنا المؤلف هذه هي مذكراتي ، أو هذه هي حياتي ، ويكتبها بأسلوب السرد المباشر لحياته (وكذلك فصل الدكتور طه حسين في الجزء الثالث) أما اذا صب هذه الحياة في قالب روائي أو فني أيا كان ، فانه في الحال يصبح عملا فنيا لا ينبغي لنا أن نسميه ترجمة ذاتية ، وان كان للناقد أحيانا أن يستشف من هذا العمل الفني بعض القرائن التي تعينه على رسم صورة ذاتية للمؤلف أو عصره ولكن على أن يكون ذلك مجرد


الدكتور طه حسين
حفني ناصف
الشيخ طنطاوي جوهري

شخصيات مظلومة



قرائن من اجتهاد الناقد أو الدارس وتحت مسئوليته الشخصية ، لانه متى دخلت يد الفن فى عمل من الاعمال لم يعد بوسعنا أن نفرز أو نميز بين ما هو حقيقى وما هو متخيل (كما فى الجزء الاول من الايام) فالفن هو الفن .

روح القسوة

على أن روح القسوة اللاذعة تشيع فى كتاب الايام بأجزائه الثلاثة ، وقد كان للمؤلف مندوحة عن أن يصف أباه فى الجزء الاول ص ٣٨ بالظلم والكذب والخداع ، والاب اذا ظلم فلن يتجه بظلمه الى فلذة كبده الضعيف عامدا ! ، كما كان له مندوحة عن أن يصف جده بثقل الظل ، وأن يستشعر بغضا له دون أن يؤذيه فى شىء ص ٢٦ أما مبالغته فى ذم فقيه القرية ، فتظهر بجلاء اذا قورنت بما كتبه أحمد أمين فى «حياتى»، ومحمد حسين هيكل فى « أوقات الفراغ » وأحمد حسن الزيات فى « وحى الرسالة » عن فقيه القرية ،وهؤلاء الثلاثة قد عانوا من الفقيه المتحكم ما عاناه الدكتور طه حسين ، ولكنهم لم يندفعوا فى سباب مغرق لا يلتمس العذر ، ولا يقدر ظروف الزمان والمكان ، ولم يكن فقيه طه مفردا فى سلوكه ، ولكنه ذو أمثال وأشباه ، ففيم هذا الاسراف ؟! وقد أحسن الدكتور حين لم يذكر اسمه ، وليته التزم ذلك فى الحديث عن غيره ، ولكنه جاوز الواقع فى الجزء الثالث اذ هبط بنفر من أساتذته عن مكانهم المشهود ، فأعطى الناشئة صورة غير حقيقية عن هؤلاء الاعلام ، مما نكشف عنه فى هذا المقال .

الشيخ طنطاوى جوهرى

كان الشيخ طنطاوى جوهرى من أعلام الفكر الاسلامى فى عصره وقد رشحه الدكتور على مصطفى مشرفة لجائزة نوبل تقديرا لمؤلفاته العلمية عن السلام العالمى ، اذ أصدر كتابين رائعين فى بابهما ، ترجما الى لغات العالم الحية ، قام فى أحدهما (أين الانسان؟) برحلة خيالية حول الفضاء ليثبت استقامة المسار الكونى ، وخضوعه لنظام دقيق يعتدل به ميزان المجموعة الشمسية ، منتهيا الى أن قيام هذا النظام المحكم فى الكون يثبت أن للانسانية نظاما مماثلا يجب أن تتبعه كيلا تتعرض لهزات الدمار ، أما الكتاب الثانى (أحلام السياسة) وقد كتبه باللغة الانجليزية أولا ، وترجمه الى العربية بعد ذيوعه فى

أوربا فقد أكد الدعوة الى السلام مستندا الى الناموس العام في الكون ، مما كان موضع تقدير المنصفين من المفكرين في أوربا ، فرأينا أبحاثا عميقة تدور حول هذين الكتابين ، وتقرنهما بأكبر آثار الفلاسفة من دعاة السلام في تاريخ الفكر الانساني بعامة ، وليس هذا البحث خاصا بالرجل لاسهب في تسطير ماسجله البارون (كرا دي فو) والسنيور«سانتيلانه» عن المؤلف ، وما كتبته « المجلة الاسيوية الملكية » من موازنة بين «كانت» و «طنطاوي جوهري» بقلم (مارغيلوس) فكل ذلك معروف غير منكور ، وقد عرضت له في كتابي : (النهضة الاسلامية جـ ٢ من ٢٠١ الى ٢٢١) •

أما تفسيره العلمي للقرآن فقد شغل الاذهان تأييدا ومعارضة في الربع الاول من هذا القرن حيث انتحى منحى علميا ، وجد المؤيد والمفند ، فأحدث دويا في المحيط الفكري ، ومفكر كبير من هذا الطراز العالمي النادر ، لم يجد الدكتور طه حسين ما يقوله عنه في الجزء الثالث من الايام غير قوله :

« كان يدرس الفلسفة الاسلامية بعد الاستاذ محمد سلطان والاستاذ سنتلانا خاصة ، وكان يتكلم كثيرا ولا يقول شيئا ، وكانت كلمات الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة أكثر الكلمات جريا على لسانه منذ يبدأ الدرس الى أن يتمه وكان لا ينطق بكلمة منها الا مد الفها وأسرف في المد وربما أخذه شيء من ذهول ، وهو يمد هذه الالف ، فيغرق الطلاب في ضحك يخافت به بعضهم ويجهر به بعضهم الآخر ، ويفيق الاستاذ من ذهوله على هذا الضحك ، فيلوم الطلاب لا على انهم يضحكون ، بل على أنهم لا يشاركونه الاعجاب بجمال الطبيعة ، وجلال الكون ، وبهاء القمر ، حين يرسل ضوءه المشرق على صفحة النيل ، ويمد ياء النيل ، فيسرف في مدها ويأخذه ذهول يرد الطلاب الى ضحك متصل » •

ويمضي الدكتور في مثل هذا الاستخفاف دون اقتصاد ، واذا كان من حقه وقد صور انطباعه الخاص نحو دروس الشيخ أن يقول ما يعتقد ، فان من الواجب العلمي عليه أن يقرن هذا التهكم المتصل ببعض ما يشير الى فضل الاستاذ في انتاجه العلمي المبتكر ، وفي تاليفه الموسوعي الذى ترجم الى عدة لغات ! أما أن يكون هذا التهكم الخالص كل ما يخص الرجل من تلميذه ، فذلك اجحاف صارخ ان أحس به الدارسون ، فلن يشعر به من يقرءونه من الطلاب •

ولو قرأ الدكتور طه حسين ما نشره الاستاذ طنطاوي جوهري في مجلة الرسالة عن نشأته في

شخصيات مظلومة



ريف الشرقية ، وانبهاره بجمال الطبيعة انبهارا دفعه الى البحث في نظامها الكوني ، حتى أثبت نظريته الخاصة في السلام العالمي مستندا الى سلام العوالم الكونية حين تسير كواكبها وفق النظام الدقيق ، لو قرأ الدكتور ذلك لعرف أن هيام الشيخ بجمال الطبيعة هو الحجر الاساسي في فلسفته الفكرية ، فاذا حاول أن يغرس هذا الهيام في نفوس طلابه ، فهو أمر طبيعي لا يحتاج الى رسم كاريكاتوري يضخم الحصاة كي تظهر ، وكأنها طود كبير .

الشيخ محمد المهدى

كان الشيخ محمد المهدى أستاذ الادب في عصره ، اذ عهد اليه تدريس النقد والموازنة وتاريخ الادب بدار العلوم والجامعة المصرية القديمة ،ومدرسة القضاء الشرعي حقبة ممتدة ، تبلغ عشرين عاما جعلت أكثر نابغي البلاد من تلاميذه وقد سافر الى الاستانة وسوريا ممثلا مصر في مهام علمية اداها على خير الوجوه ، وكان يكتفي بالقاء المحاضرات على الطلاب دون أن يطبعها ، فلم يترك للجيل الخالف ما يحيي ذكره الادبى ، ولكن تلميذه الوفى الاستاذ الدكتور زكي مبارك قدسجل كثيرا من آرائه البارعة في كتاب « النثر الفنى » وفي كتاب «الموازنة بين الشعراء» كما كتب عنه فصلا أدبيا ممتعا في كتابه (البدائع) وأعلن مذهبه في الموازنات الادبية في البحث الاخير من كتاب (الموازنة بين الشعراء) ص ٣٨٦ وما بعدها اذ سجل أن الشيخ الرائد في حقله الادبى كان في مجال الموازنات الادبية يلتفت الى عدة جهات ، حين يوازن بين الموضوع والعبارة الفكرية ، والحالة النفسية ، والسمة البارزة للخطيب أو الشاعر والاتجاه التأثيرى في الاستشهاد الشعرى والاقتباس من كلام الاوائل ، وله في الموازنات بين العصور الادبية اتجاه يعتبر به سابقا مبتكرا ، اذ فتح الطريق لتاليه ، بما ابتدع من اتجاه ، وقد ضرب الدكتور زكي مبارك أمثلة لما قال كان قد سجلها من دروس الاستاذ ، وهى من الجودة وسلامة النظر ، وعمق الاستشفاف بحيث تجعل صاحبها جديرا بقيادة الرأى الادبى في أكبر مدارسه ، هذا الشيخ الرائد السباق ، لم يحظ من الدكتور طه حسين في الجزء الثالث من الايام بغير قوله :

« كان أبعد ما يكون من العمق، وكان متكلفا متفاصحا لا يتكلم الا


توفيق الحكيم



العربية مغربا فيها ، يملأ بها فمه ، وربما أضحك منها طلابه ، وكان الفتى – يريد الدكتور طه نفسه – جريئا عليه ، يجادله في الدرس فيرهقه من أمره عسرا ، وربما أضحك منه الطلاب لانه كان لايحقق ما يروى من الشعر ، ولان الفتى كان يرده الى الصواب ، فيظهر عليه الاضطراب ، وقد حاول أن يصده عن الجدال وأن يصرف أترابه عن هذه الجراة ، ولكنه لم يلبث أن تبين انه لم يزد على أن اطمعهم فى نفسه ، وزادهم عليه اجتراء » .

ومضى الدكتور فى شبه ذلك ، ليعلن أن الاستاذ المهدى كان من الذين امتحنوه فى الدكتوراه ، وقد نقد رأيا له ، فضاق بهذا النقد ، وأبى فى أثناء المداولة أن يمنح الفتى درجة الامتياز ! هنا كشف الدكتور عن سر تحامله اذ اعتقد ان الشيخ أجحف به ، وهو اعتقاد لا يجد صداه الا فى نفس الطالب وحده ، وقد نوقش الدكتور بفرنسا فى درجة مماثلة ، واخذ من تقديرها دون ما أخذ من الجامعة المصرية ! فهل كان الشيخ المهدى هناك أيضا ؟!

كنا نود أن يكون الدكتور منصفا وكنا نود اذا جاوز الانصاف الا يكون حديثه مجال تصديق مطلق لدى من يدرسون الكتاب لطلابهم ، وفيهم من يملك قوة الحكم على ما يقدم ، كما أن فيهم من لم يعرف غلو الكاتب فسلم مدعنا ويبقى الطالب الصغير – بعد – هدفا للرأى غير سديد .

الشيخ محمد الخضرى

الاستاذ الشيخ محمد الخضرى أحد أعلام النهضة الفكرية المعاصرة وزميل الشيخ محمد المهدى فى التدريس بالجامعة ومدرسة القضاء الشرعي ، وصاحب المؤلفات الذائعة التى تعددت طبعاتها مثل نور اليقين ، وتمام الوفاء ، وأصول الفقه ، وتاريخ التشريع الاسلامى ومهذب الاغانى بأجزائه التسعة ، ومحاضرات التاريخ الاسلامى ، ومن هذه المؤلفات ما لا يزال يطبع للآن اذ بلغت عدة طبعاته الثلاثين مثل نور اليقين ، هذا العالم المؤرخ الاصولى الجاد ، قال عنه صاحب الايام :

« وقد سحر (الخضرى) الفتى (طه) بعذوبة صوته ، وحسن القائه ، وصفاء لهجته ، وأحب دروسه فى السيرة وفى تاريخ الخلفاء الراشدين ، وفتوحهم ، وفى تاريخ الفتن ودولة بنى أمية ، والصدر الاول من دولة العباسيين وكان يظن ان ليس فوق علم



الاستاذ علم ، ولكنه لم يكد يسمع دروس التاريخ في أوربا ، حتى عرف أن الاستاذ رحمه الله ، كان ينقل دروسه من كتب القدماء في غير نقد ولا تعمق وفي أيسر مايمكن من فقه التاريخ » .

وهذا القول أخف محملا ، وأهدأ لهجة ، وأطيب اعتدالا مما قاله المؤلف عن طنطاوي جوهري ومحمد المهدي ، ولكنه لم ينصف الاستاذ الخضري ، بل أجحف به حين ذكر انه كان ينقل دروسه من كتب القدماء في غير نقد ولا تعمق وفي أيسر ما يمكن من فقه التاريخ ، وموضع الاجحاف في هذه المقارنة بين منهج الخضري وأساتذة الاستشراق لان الشيخ كان يقوم بالتدريس الجامعي للتاريخ الاسلامي لاول مرة في البلاد العربية ، فكان عليه أولا أن يقدم خلاصة متماسكة متصلة الحلقات ينسجها مما تناثر في كتب السابقين من أمثال الطبري والمسعودي وابن الاثير من روايات تنقطع وتتصل ،وتتوافق وتتخالف وتعتدل وتشتط ، كان عليه أن يقوم بسرد متصل متماسك ينفي الزغل ، ويقدم الخالص المستساغ وهذه الغربلة الصامتة عمل مبدئي يتطلب جهدا لا سبيل الى انكاره ، وهو خطوة لا محيد عنها لمن أراد أن يمتد بالبحث التاريخي الى أوجه المنشود ،فالاستاذالخضري لم ينقل دروسه من كتب القدماء نقلا آليا، ولكنه انتخب واختار ، ووازن بين رواية ورواية ، وقدم قولا وأخر سواه ، حتى وفق الى بناء مطرد ، وطيد اللبنات ، وكان له نقده الموجز في بعض ما تناول ، اذ هو يضع الاساس الاول حين يقدم ما صح من الاخبار بعد موازنة صامتة ، ملتزما بمنهج دراسي مفروض عليه ،وما كان له أن يغفل بعض موضوعاته حتى يتسع في التحليل كما يشاء ! أجل لم يكتب الخضري التاريخ كما يشاء فيقف عند موضوعات يختارها ولا يتعداها ولكنه التزم بمنهج الجامعة ،فقدم الصحف التاريخية من ركام متناثر فاذا أخذ عليه انه لم يفسح مجال التعليل والربط وسد الفجوات ، فلذلك المأخذ ما يشفع فيه ، وكل رائد مثله قد وقف موقفه في الخطوات الاولى من البحث ، فكيف نقول انه كان ينقل كلام القدماء نقلا دون تعمق ! أفكان الدكتور طه حسين ينتظر من مؤرخ رائد كالخضري أن يتجاوزمنطق الاشياء ليكون مستشرقا يخضع لادق المناهج ! لقد رأينا من هؤلاء الذين يتمدح بهم المؤلف من يكتفي بالخبر



محمد حسين هيكل

الضعيف ليذهب في التفسير مذهبا يرضى نوازعه الخاصة ، ومن ينكر الخبر المتواترمهما تظاهرت الدلائل على تأييده لانه ينتج مالايرضي من توهين وطعن ، لا جرم أن الخضرى قد أحسن البحث التاريخى استيعابا وهضما ، ثم اختيارا وترجيحا ، ثم سردا وتوجيها،وهو فى موضعه الزمنى بين الباحثين عملاق كبير ، لان آثاره التاريخية ما برحت مرجع المتخصصين ، وما زالت مفضلةعلى كثير مما تلاها وهذا وحده دليل النجاح والتوفيق

حفنى ناصف

أما حفنى ناصف فقد ظفر بثناء الدكتور ومديحه ، والرجل الكبير أهل لكل ثناء حقا ، وقد كان طه حسين محقا حين قال عنه « انه كان ابتساما كله ، وفكاهة كله ، وتواضعا كله ، على غزارة فى العلم وأصالة فى الفقه بما كان يدرس من الادب العربى القديم ، وكان الطلاب يكلفون به أشد الكلف ، ويطمعون فيه أشد الطمع ، وكان أروع صورة عرفها الفتى لتواضع الاستاذ ، انه لم يتكلف قط ذلك الوقار المصنوع الذى يتكلفه بعض الاساتذة حين يرقون الى مجلسهم فى غرفة الدرس ،وانما كان يخلط نفسه بطلابه كأنه واحد منهم لولا انه كان يكبرهم سنا ، فقد كان بين طلابه من تقدمت به السن كثيرا » •

ثم استطرد الى قصة اشتراكه مع استاذه فى فحص بعض الآثار الادبية ، وسعى الاستاذ اليه فى منزله بدرب الجماميز ليشترك تلميذه طه معه فى الفحص ، وذلك كله رائع من حفنى ، ولكننا نعلم ان منهجه فى التدريس الادبى قريب من منهج الشيخ المهدى ، وبعيد عن منهج من رضى عنهم الدكتور من المستشرقين ، فكيف لعمرى قبل من حفنى كل شىء ، ورفض من المهدى كل شىء ؟فابدت المساوى عين السخط ،وكانت عين الرضا كليلة عما يعده طه عيبا ، وليس به !

سؤال حائر

لقد أباح الذين قرروا الجزء الثالث على طلاب المدارس أن يحذفوا منه أحد عشر فصلا وأن يكتفوا منه بتسعة فصول ، اذ أن مجموع الفصول عشرون ! فلم لم يسقطوا الفصل الذى تهجم فيه على اساتذته هؤلاء ، رعاية لمكانتهم العلمية الحقيقية ، ويستعيضوا عنه بفصل لا يسىء ؟ أرجو أن يتم ذلك فى الطبعة القادمة ، لكيلا نجبر الاحفاد أن يستخفوا بالاجداد معذورين • ●

أهل الخيال

« ترجمة : عامر محمد بحيرى » عن الشاعر وليم شكسبير .. فى مسرحية : حلم ليلة صيف ... فى الفصل الخامس من المسرحية يصف شكسبير المجانين بانهم ثلاثة : الشاعر ، والمتهوس ، والعاشق .. فى هذا الحوار بين تسيوس دوق اثينا ، وخطيبته هيبولينا .. غادة الامازون .. كما يلى :

ترجمة : عامر محمد بحيرى

إنى لأعجَب .. ثيسيئوس .. لما يقول القائلونَ

هيبولينا : ماذا يحدث عنهُ حقًا .. هؤلاء العاشقون ؟

ثيسيوس : محضُ الخيَال .. فلن أصدّق ما ادعاه الأقدمُون

وحَديث هذا الجن .. راحُوا يلعبون ، ويعبثُون

عقل المحبّ .. كصنوة المجنون .. يغلى كالأتون

تركَ الخيال مجسدا وكأنه الحق المبين

« العاشقون ، وعُصبَة الشعراء والمتهوسون »

أهل الخيالِ .. تزاحمت فيه الخواطرُ والشجون

فمخبّلٌ .. شهد الجحيم ... بكلّ شيطان لعين

هذا هو المجنون .. أمّا صاحب الحبّ الحنُون

فمهوس .. هبَلته غادة مصر .. غرّاء الجبَين

عن ذلك الوجه الذى جمع المفاتن .. من هيلين(١)

---

(١) يقصد انه يحب المصرية ويترك اليونانية ، ابنة جنسه وهيلين هنا هى غادة طروادة فى قصتها المعروفة .



وتدور عين الشاعر المجـــول .. تبحث فى سكون
فمن السماء إلى الثرى راحت تجوب العـالمين
وكما يشكل خاطر الإنســان شيئا .. لا تبيـن
يبنى يشكل فى الهواء المحض .. عالمه المكين
حيل الخيال .. إذا التقت فيما تسر به العيـون
كانت هى السبب الذى يحيى المباهج والفتـون
أو أنه فى الليل .. وهـــو يغالب الخوف الدفين
سرعان ما يجد الشجــيرة .. تشبه الدب الكمين؟

هيبوليتا : لكنهم .. مهمـا يكن من أمـرهم ما يفعلون
فلقد حكوها قصـــة فى الليل عالية الرنين
وتغيرت هيئـــاتهم فيها .. كمـا يتخيلون
فغدت بحق .. وهى أروع .. من خيال الحالمين

ثيسيوس : ها قد أتى العشـاق فى مرح .. وهم يتراقصون

في الملتقى الإسلامي في الجزائر

بقلم: أنور الجندي

● كان الملتقى الاسلامي السادس عشر الذي عقد في مدينة تلمسان بالجزائر هذا العام حافلا بالرجال وبالقضايا المثارة ثريا بالحوار والمناقشة حول مكانة السنة في الاسلام من القرآن الكريم ومن التشريع ومن العلوم الاسلامية المختلفة كالتفسير والفقه ايمانا بان «السنة» هي بمثابة الحصون والاستحكامات القوية القائمة حول العقيدة الاسلامية والتي يهدف الغزو الفكري والاستشراق والتغريب الى ضربها باثارة الشبهات حولها ولذلك فقد كان هذا الملتقى بدراساته وتجمعاته بمثابة العمل المركز للحفاظ على تراث هذه السنة والى التماس المفهوم الاصيل للعقيدة الاسلامية ودعوة المسلمين الى العودة الى المنابع «القرآن والسنة» والعمل على نشرهما . ولقد كان الملتقى مجتمعا واسعا لشباب الجزائر في احدى عواصمها يقدم فيه العلماء وجهة النظر الحقة وتوجيها حيا للصحوة الاسلامية ليدفعها الى الوجهة السليمة والقضاء على الانبهار من الحضارة الغربية ، ولقد كان لهذه الملتقيات التي تعقد في كل عام في حواضر الجزائر شرقا وغربا اثر طيب تجاوز الجزائر نفسها الى مختلف اجزاء العالم الاسلامي فقد كان فرصة طيبة لالتقاء العلماء والباحثين من مختلف الاتجاه لتبادل علومهم وثقافتهم ولقد كان عبير «السنة النبوية» العطر الفواح بارزا على مدى ساعات الملتقى فقد عرضت عشرات الاحاديث التي كانت مذخورة في بطون كتب السنة تحت شعار قرآني صريح :

«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» .

العلماء المشاركون

عشرات من علماء العالم الاسلامي في مقدمتهم : علماء من تركيا والاتحاد السوفييتي والسنغال والهند الاسلامية والباكستان وايران وافغانستان وبريطانيا : الشيخ ابوالحسن الندوي ، الدكتور محمد حميد الله ، محمد الغزالي ، يوسف القرضاوي ، محمد ابوشهبة ، عبد الله عبد المحسن التركي ، محمد سعيد البوطي ، عبد العزيز الخياط ، الشاذلي النيفر ، سليمان داود بن يوسف . حجة الاسلام التسخيري ، شكري فيصل ، فاضل الجمالي ، معروف الدواليبي وعشرات من علماء تونس والجزائر في مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن شيبان وزير الشئون الدينية الذي قال ان هذا الملتقى يبدأ من جمعية العلماء التي هي امتداد للنهضة التي قام بها جمال الدين ومحمد



الشيخ عبد الرحمن وزير الشئون الدينية يفتتح الملتقى الاسلامي السادس عشر ..

عبده ورشيد رضا وقد برزت جمعية العلماء بقيادة الامام عبد الحميد بن باديس الى الوجود بعد مرور مائة سنة على احتلال الجزائر ، وبعد ان اعلن حكام الجزائر الفرنسيون ان الجزائر اصبحت مسيحية الى الابد ، واقيم احتفال رهيب في هذه الوقت لهذا الغرض فجاء « ابن باديس » يجدد للجزائر دينها فاقام خمسة وعشرين عاما يدرس القرآن ويفسره ثم ختم كتاب الموطأ في الحديث للامام مالك وجاء من بعده الشيخ البشير الابراهيمي الذى سار على نفس النهج والذى انشأ في « تلمسان » دار الحديث ، ومن هنا فان النهضة الاسلامية التى تريد ان تحققها انها تقوم على كتاب الله وسنة رسوله وان هذه الحركة امتداد لحركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا

اهمية السنة

وقد تتابعت الابحاث حول اهمية السنة وقد تلخصت في معالم اساسية واضحة اهمها :

اولا : وضع القرآن الكريم الاصول والقواعد وفصلت السنة ما اجمل القرآن ، فالسنة منهاج تفصيل . والسنة تتابع المسلم من الولادة الى الوفاة .

ثانيا : السيرة جزء من السنة وليست السنة مصدرا للتشريع فحسب ، بل هى مصدر لتوجيه الحياة الاسلامية كلها ، وهى صالحة الاداب الاسلامية كلها ، ولا يمكن الاستغناء عن السنة في منهاج الحياة الاسلامية ، والقرآن لايمكن ان يفهم بدون السنة ، والسنة والسيرة لاينفصلان اطلاقا

ثالثا : الاخذ من السنة يحتاج الى من تكون لديه القدرة على فهم هذه المعاني وان يكون من اهل الاجتهاد الذين يتوفر فيهم الفهم للغة العربية ، والاطلاع على كثير مما كتبه العلماء وان يدرك ان العمل بالسنة ينبغى ان يكون على الوجه الواجب ان تكون به السنة .

رابعا : السنة النبوية تابعة للقرآن مصدقة له لاحقة له لا تسبقه. يتقدمها ولا تتقدمه ، ولا فقه بغير سنة ، ولا سنة بغير فقه ولا اسلام بغير سنة .

خامسا : لكل كتاب من الكتب الستة في السنة منهج منفرد ، والبخارى هو شيخ مسلم وشيخ الترمذى ، وقد تفرد منهج التلاميذ عن منهج الاستاذ ، وهكذا منهج ابى داود ومنهج النسائى . كل كتاب اختط خطا معينا ، وما اختاره البخارى من الرجال والاسلوب غير ما اختاره مسلم ، وقد التزم البخارى بالبحث عن الطرق والاساليب قبل المتون والاحاديث وقد انفرد البخارى بموضوع

في الملتقى الإسلامي في الجزائر



وجوه من الملتقى الاسلامي السادس عشر «يولية ١٩٨٢»

التراجم اما مسلم فقد تفرد بجمع الروايات في الباب الواحد .

سادسا : كان علم مصطلح الحديث هو اساس المنهج العلمي الحديث في التاريخ والبحث وهو علم الوثائق وقد اتخذ الدكتور اسد رستم من مصطلح علم الحديث منهجا لعلم اصول التاريخ وقال انه من عجائب العلوم الانسانية وعلم اصول الحديث موجه في هذا العصر الى الشباب ليعصمهم من الفتن ولو درس شبابنا التراجم التي قدمها البخاري لما وقعوا في شيء من التطرف فقد وضع في تراجمه ما يصون الشباب المسلم من الخنوع في فكره .

كما ان هذا العلم مسئول عن وحدة الامة الاسلامية ، وقد اخرج الاسلام في سبيل التحقيق العلمي ، علم الجرح والتعديل وعلم الرجال واذا كان المنطق علم توزن به المعقولات فان علم اصــول الحديث علم توزن به المنقولات وعلم الحديث علم اسلامي لحما ودما ، قام على اساس الاية الكريمة «يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »

وقال العلماء انه لم يكن اسناد او جرح وتعديل قبل الاســلام وان علماء النقد التاريخي اقتبسوا النقد والرواية من المسلمين

سابعا : علم الحديث رواية علم يشتمل على نقل ما اضيف الى النبي من قول او فعل او تقرير او صفة ، اما علم الحديث دراية فهو علم يشتمل على مايتعلق بالسنة والمتن من حيث القبول والرفض « الراوي والمروي » وعلم الجرح والتعديل للبحث عن الرواة من علم يزينهم او تجريح يشينهم ومن منهم « ثقة » والراوي الثقة هو الذي يجمع بين عنصرين ان يكون موثوقا في دينه « العدالة » وان يكون موثوقا في روايته « الضبط » وقد حصر اصحاب هذا العلم وضاعي الحديث في قوائم سوداء ، ووضعوا كتبا تشتمل على الاحاديث الموضوعة .

ثامنا : لقد اقام الله تبارك وتعالى لدينه حراسا في كل عصر ، ولا تخلو الارض من قائم بالحجة وقد قام الجهابذة في كل عصر ازاء هذه الاحاديث الموضوعة ، وقد وردت اسباب كثيرة أدت الى وضع الحديث منها

الاسباب السياسية وعداوة اليهود والمجوس للاسلام . قال حماد بن زيد وضعت الزنادقه عن النبي « ١٤ الف حديث » ووضع عبد الكريم بن ابي العوجاء ٤ الاف حديث » وكلها كشفها العلماء حفظا لدين الله ومن اسباب الوضع العصبية للجنس والاختلافات المذهبية والتزلف للحكام .

تاسعا : الحديث الضعيف غير الحديث الموضوع . فالحديث الضعيف فقد شروط القبول ، وفرق شاسع بين ذلك وبين الحكم عليه بالبطلان والحديث المحكوم ببطلانه هو الحديث الموضوع .

عاشرا : كان علماؤنا يختلفون في بعض النقاط فلا يصل ذلك الى السباب اوالخلاف بل يقوم عملهم على قاعدة « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه .

المغرب العربي والسنة

اشار الباحثون الى دور المغرب في حماية السنة واحيائها وتحقيقها ، وان لهم في العلوم الاسلامية آثارا جمة منها ما يتعلق بكتاب الله عز وجل من حيث الاداء والتفسير وكذلك لسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد خدموا الامهات التي عليها الفقه الاسلامي كله ، وهذه الخدمات متسلسلة طوال القرون وكان اعظم عنايتهم بصحيح مسلم ، هذه العناية تتمثل في امرين :

١ ـ تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري وبالطبع تفضيله على كل الكتب الصحيحة .

٢ هو ما ابرزه الامام المازري « المعلم بفوائد مسلم » وقول مسلمة بن القاسم القرطبي : انه لم يؤلف كتاب في الصحيح مثل صحيح مسلم وقد اراد الامام النووي ان يخصه بناحية خاصة هي ناحية الصناعة من حيث ان الامام البخاري يفرق الروايات والاحاديث بينما يجمعها » وقال ابن حزم ان صحيح مسلم يفوق البخاري من حيث الاحاديث المسندة وهذا ماقال به المغاربة دون المشارقة وقد سار على هذا الاتجاه كثيرون في مقدمتهم القاضي عياض .

وكان هذا الاتجاه قائما على الاعجاب بمسلم عن طريق الامام مالك وبطريقة المغاربة في تدريس الحديث ، وكان اول من فتح هذا الباب الشيخ العلامة الشاذلي النيفر كبير علماء تونس .

مساجلة بشأن البخاري ومسلم

وقد اثارت هذه الابحاث اهتماما كبيرا من علماء المشارقة وفتح باب واسع من المساجلات حول البخاري ومسلم فقد دافع علماء المشرق عن البخاري وطريقته

وقال الشيخ محمد ابوشهبة : ان الاحاديث التي انتقدت على مسلم اكثر من الاحاديث التي انتقدت على البخاري ، وقد وجد في صحيح مسلم لكل مسالة دليلا ، وطالب اهل المغرب أن يظهر مثل هذا الاعتزاز بمسلم في الاهتمام بالبخاري وان يشرحوه شرحا واسعا .

واشار بعض الباحثين الى اهمية البخاري ومسلم معا ، وان العلماء عنوا بهما جميعا فقد عكف العلماء على الصحيحين استدراكا وجمعا ووضعت فهارس المخطوطات للجمع بين الصحيحين وقدم الاستاذ محمد احمد بدوي بحثا عن جمع الصحيحين معا وتناول العلماء بالبحث اولئك الائمة الكرام : مالك « موطا مالك » احمد بن حنبل « مسند احمد » البخاري « صحيح البخاري » مسلم « صحيح مسلم » وقد اشار العلماء الى أن هناك اتفاقا على ان كتاب البخاري من ادق الكتب وان كتاب مسلم يليه .

لا سنة بغير فقه

وتحدث الشيخ محمد الغزالي عن محاذير دراسة السنة منفصلة عن الاسلام ، وقال ان بعض رجال الحديث قد تقوقع داخل فكره .. وقال ان هناك امورا ينبغي أن يعرفها المشتغلون بالسنة وهي أن يتعاون المتخصصون مع غيرهم حتى يقدموا خدمة للاسلام ، اما ان ينحصر كل متخصص في

مادته العلمية وينسى غيره فهو بذلك يسيء الى الاسلام ، فعلى علماء السنة أن يتعاونوا مع علمـــاء الفقه والتفسير وعلماء الثقافة الاسلامية في ضبط ماعندهم وما عندنا وعلى الثقافات الفقهية والاثرية أن تتعـاون على ضبط الدين .

ترجمات السنة

وتناول البحث في ترجمات السنة الدكتور محمد حميد الله فتكلم عن انترجمة هوداس التي قدمها للاحاديث في الغرب قبل الحرب العالمية الثانية . وقد علق على هذا فقـدم مجلدا كاملا في ستمائة صفحة للكشف عن هذه الاخطاء .

وقال الاستاذ العربي مدير المركز الثقافي الاسلامي في باريس ان خبراء الغزو الفكرى قاومونا في باريس وقالوا انكم لستم اهلا للتعقيب على العالم الفرنسى ، وهم حريصون على ان تبقى هذه السموم داخل الترجمات ويقرؤها المسلمون الذين لايعرفون العربية وقد زارت سيدة مسلمة الشيخ حميد الله وقالت له هل يجوز السـحر ، وقالت ان ترجمة البخارى تذكر ان السحر جائز في الاسلام وأخرج الشيخ النص العربي فوجد العكس ، وقال انا يجب أن نتعقب المعاني المحرفة . واننا اذا تركنا هذه الترجمة في السوق من غير تعقيب عليها فسيقال كثير من الناس يرددون هـــذه الاخطاء عن جهل وغيرها عن عمد ، وقد زاد المستشرق الفرنسى الذى ترجم الاحاديث كلمات في النص نقلها عن بعض المفسرين ولا يوجد صحيحا في هذه الترجمة الا القليل القليل . وقال ان هوداس يغلب عليه الجدل والتعصب ، وقد قال في مقدمته ان المنهج التــاريخى غريب عن المسلمين وقال ان الشريعة غير مرتبة وان كلمة الحقوق غير مرتبة وان الاسلام لايميز بين الامور بينما الاوربيون المعـاصرون قد فعلوا ذلك وهو بكل ماكتبه يحاول اثارة الشك في عقل القــارىء المسلم وهو في نقل الحديث تارة يحذف كلمة واحدة أو يضيف كلمة من شأنها ان تغير المعنى .

الاخطار التي تواجه المسلمين الجدد

وتتمثل اخطار هذا فيما قدمه احمد فون دانفر عن الاخطار التى تواجه المسلمين الجدد فى الغرب ، فهم فى حاجة الى ترجمـــات صحيحة للاحاديث النبوية فاذا كان مايقدم لهم مثل عمـــل هوداس فان الخطـــر يكون شديدا ، واشد منه ما أشار اليه من محاولة بعض رجال الصوفية فى احتواء المســلمين الجدد فى حلقات تستعمل فيها الات الرقص والتمايل اثناء الذكر وان مثل هذا الاسلام المزيف الذى يقدم اليهم من اخطر الاشياء على فهم المسلم الجديد فى الغرب فان هناك كثيرا مما ينسب الى الرسول مما ليس له به أى صلة وهناك بين جماعة المسلمين الجدد التحفظ فى اتجاه مالم يصدر عن القرآن وان هنالك من الناحية الاخرى التقبل الاعمى للسنة ، ويطالب باظهار السنة والحياة فى الفرد والمجتمع وتوفير السنة بلغة المســلم الجديد .

الشيعة والتصوف والاباضية

وتناولت الابحـاث عديدا من المواقف : واهمها موقف الشيعة والمتصوفة والاباضية من السنة النبوية وقد تحدث حجة الاســلام التسخيرى عن الحديث عند الشيعة وأشار الى ابحاث علماء الشيعة الواسعة فى هذا الصدد ، وماكتبه الامام على باملاء من الرسول صلى الله عليـه وسلم وقال ان كثيرا من الكتب الاســـلامية لاهل السنة يترجم الى الشيعة ويقرؤها شبابها وفى مقدمتها « فى ظلال القرآن » وجرى الحديث عن ادعيـاء التصــــوف الذين يقوم عملهم على الرقص والتغنى وضرورة ان يكون تزكيـــة النفس قائما فى ضوابط من كتاب الله تبارك وتعالى

وتحـــدث رجال المذهب الاباضى باعتبار السنة بعد القرآن مصدرا للتشريع ومايثبت بالسنة لايقل عما يثبت بالقــرآن . وقال الباحثون ان على المذاهب الاسلامية ان تقترب وتتلاقى حتى لاتكثر العناوين التى يختلف

حولها المسلمون وان نعمل كما عمل السلف الصالح لنقف جميعا تحت راية السنة المطهرة وان على مدارس الفقهاء والكلاميين والحديث والمتصوفة أن تلتقي تحت اسم السنة .

وتحدث علماء المسلمين في بخارى « سمرقند » عن كتب الحديث التي اعيد طبعها في العصر الحديث مترجمة الى اللغة الأزبكستية وانه قد احتفل عام ١٩٧٤ بمرور ١٢٠٠ سنة على وفاة الامام البخاري .

فتنة الاكتفاء بالقرآن

وتحدث كثيرون ومنهم كاتب هذه السطور عن مؤامرة الاستشراق في الدعوة الى الاكتفاء بالقرآن وخطر الشبهات المثارة حول السنة وخاصة ما اثاره المستشرق اليهودي جولد زيهر وقال : ان فصل السنة عن القرآن هي محاولة خطيرة ترمي الى تاويل القرآن فيما بعد تاويلا يخرجه عن الاصول الصحيحة التي طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمله وقوله فهو بمثابة التطبيق الحقيقي للقرآن . وقد اشار الباحثون الى ان هذه الفتنة قامت من قبل في القرن الثاني الهجري وقد قدم باحث من الباكستان دراسة عن الشيخ المودودي وفتنة الاكتفاء بالقرآن .

وتحدث الشيخ ابوالحسن الندوي عن الفارق العميق بين منهج الانبياء ومنهج الزعماء وجرى الحديث عن الاعمال التي يقوم بها الباحثون في الانتفاع بالعقل الالكتروني في مراجعة وتصنيف الاحاديث النبوية « الكتب الستة » ●

مادح

قال شاعر لعبد الله بن مروان : اني اريد أن أمر اليك شيئا .. فاجاب عبد الله : قل ما شئت فانت في حل .. فقال الشاعر : والله اني اريد ان امدحك .. فقال عبد الملك: قف لا تمدحني فانا اعلم بنفسي منك، ولا تكذبني فانه لا رأى لكذوب ، ولا تغتب عندي أحدا ، فان المغتاب عند الله زنيم .. فقال له الشاعر : والله ما تركت لي موضعا لكلمة .

عامرة

وقف ابو دلامة الشاعر بين يدي السفاح فقال له: سلني حاجتك.. فقال ابو دلامة : اريد كلب صيد .. فقال الخليفة : اعطوه اياه .. فقال ابو دلامة : وغلاما يقود الكلب ويصيد به .. فقال الخليفة : اعطوه غلاما .. فقال ابو دلامة : وجارية تصلح الصيد وتطعمنا منه .. فاستجاب له ايضا وقال : اعطوه جارية .. فقال ابو دلامة : هؤلاء يا امير المؤمنين عبيدك فلابد لهم من دار يسكنونها .. فامر له الخليفة بدار تجمعهم .. فقال ابو دلامة : وان لم يكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ فأجاب الخليفة : قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشرا غامرة.. فقال ابو دلامة : وما الغامرة يا امير المؤمنين ؟ .. فأجاب الخليفة: ما لا نبات فيها .. فقال ابو دلامة : قد اعطيتك يا امير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني أسد .. فضحك الخليفة وقال : اجعلوها كلها عامرة.

قصة قصيرة



للكاتب الايطالى :
لويجى بيرانديللو
ترجمة :
حسن حسين شكرى

كان على الركاب الذين غادروا روما بقطار الليل السريع ان يمكثوا حتى الفجر في محطة « فابينو » الصغيرة لكي يواصلوا رحلتهم بالقطار المحلى العتيق الذى يربط الخط الرئيسي ببلدة « سولمونا » . وعند الفجر وصل القطار ، وكانت عربة الدرجة الثانية مكتظة بالمسافرين ، يملأ الدخان جوها ، وكان بها خمسة من الركاب الذين قضوا ليلتهم فيها ، وبينهم سيدة بدينة تشبه حزمة لا شكل لها ، حزينة حزنا عميقا ، وتبعها زوجها ينفخ ويئن وهو رجل نحيف مهزول ، وجهه شاحب شحوب الموت ، يشع من عينيه الصغيرتين بريق ، والخجل والقلق باديان فيهما . وبعد أن جلسا اخر الامر فى أحد المقاعد ، شكر الركاب الذين عاونوا زوجته وافسحوا لها مكانا بطريقته المهذبة ، ثم التفت الى السيدة محاولا أن يسحل ياقة معطفها على جيدها وسألها فى أدب جم . « هل أنت على ما يرام يا عزيزتى ؟ » .

وبدلا من أن ترد الزوجة عليه جذبت الياقة الى اعلى مرة ثانية حتى اقتربت من عينيها ، وكأنما كانت تحاول ان تخفى وجهها .

وتمتم الزوج « يا له من عالم كله كدر » ، وهو يبتسم ابتسامه حزينه ، واحس ان من واجبه ان يشرح لرفاقه من المسافرين ان السيدة المسكينه تستحق الشفقه ، لان الحرب قد باعدت بينهما وبين ابنها الوحيد ، وهو شاب فى العشرين ، كانا يكرسان له حياتهما كلها ، لدرجة انهما تركا منزلهما فى « سولمونا » ليتبعاه الى روما حينما ذهب اليها وهو طالب ، ثم سمحا له بالتطوع فى الحرب ، بعد ان حصلا على توكيد بانه لن يرسل الى جبهة القتال الا بعد ستة اشهر على الاقل .

والان ، وقعت الواقعة فجأة . فقد استلما رسالة برقية جاء بها « انه سيغادر روما الى الجبهة خلال ثلاثة ايام، ويتعين عليهما التوجه الى روماللتوديعه» . وكانت السيدة القابعة تحت المعطف الكبير تلوى وتتململ ، وتزوم احيانا وكأنها حيوان مفترس . وتأكد الاحساس لديها بان كل التفسيرات لم تلق اى ظل من التعاطف من هؤلاء المسافرين الذين يبدو ان معظمهم فى محنة تماثل محنتها . وقال أحدهم ، وكان يستمع للزوج بانتباه شديد :

« يجب ان تشكر الله ان ابنك ذاهب الى جبهة القتال الان ، فقد ذهب ابنى



انا منذ اليوم الاول للحرب ، وعاد جريحا مرتين ، وارسل اليها مرة اخرى »

وقال راكب اخر : « وماذا تقولون عني ؟ ان لي ولدين ، وثلاثة من ابناء اختي في الجبهة » .

واجاب الزوج ـ ربما ـ ولكن الامر بالنسبة لنا يتعلق بولدنا الوحيد .

فاجاب الرجل : « اى فرق هنالك ؟ انك قد تفسد ولدك بهذه العنـــاية الزائدة ، ولكنك لا تستطيع ان تحبــه اكثــــر من اولادك الاخــــرين اذا كان لديك اولاد اخر . فالحب الابوى ليس مثل الخبز الذى يمكن تقسيمه انصبة متساوية بين الابناء . فالاب يمنح كل حبه لكل واحد من ابنائه دون تفرقة سواء كانوا ابنا واحداً او عشرة ابناء .



الحرب

واذا كنت اعاني الان من محنتي في ولدي الاثنين فانني لا اقسم اساي نصفين ، نصفا لكل منهما ، ولكن هذا الاسى يتضاعف » .

وتنهد الزوج الحزين المرتبك قائلا : « حقا وصدقا ، ولكن اذا افترضنا (وتأمل جميعا ان لا تكون حالتك بالطبع ابدا » ان والدا ما ، له ولدان في جبهة القتال ، وفقد احدهما ، فسيبقى له ولد يجد فيه عزاءه ... بينما ... واجاب الرجل الاخر ، نعم ، اذا ابتلى هذا الوالد بفقد واحد من ولديه ، فسيبقى الاخر ليعزيه ، وسيعيش الاب من اجل هذا الابن ، بينما في حالة الاب الذى له ابن واحد ، فانه اذا مات هذا الابن ، يستطيع هذا الاب ان يموت ايضا ويضع نهاية لاحزانه ، فاي الحالين اكثر سوءا ؟

« الا ترى الان ان حالتي اكثر سوءا من حالتكما ؟ »

وقاطعهما مسافر اخر ، وهو رجل بدين احمر الوجه ، يكاد الشرر يتطاير من عينيه الرماديتين الكالحتين كان يلهث وهو عاجز عن مقاومة مشاعره ، وبدا من عينيه المتنفختين ان عنفه الدفين نابع من حيويه لا يستطيع السيطرة عليها ، ولا يقدر جسمه الضعيف ان يحتويهـا . وانفجر قائلا : « كلام فارغ » ، وكرر هذه العبارة محاولا ان يغطى فمه بيده ليخفى اثنين من قواطع اسنانه المفقيدة « كلام فارغ .. هل ننجب اطفالنا لفائدتنا نحن ؟ » . نظر اليه المسافرون الاخرون في اسى .

وتنهد المسافر الذى ذهب ابنه الى جبهة القتال منذ اليوم الاول للحرب قائلا : انت على حق ان اولادنا ليسوا ملكا لنـا ـ انهم ملك للوطن .

وعقب المسافر البدين « صه » هل نفكر ونحن ننجب اطفالنا في الوطن ؟

ان اطفالنا يولدون لان .. حسنا .. لانهم لابد ان يولدوا ، وحينما ياتون للحياة ، فانهم ياخذون حياتنا معهم . هذه هي الحقيقة . فنحن ننتمي اليهم ، ولكنهم لا ينتمون الينا ابدا . وحينما يبلغون العشرين يكونون مثلنا تماما حينما كنا في هذه السن ، فقد كان لنا نحن اباء وامهات .

ولكن ثمة اشياء كثيرة اخرى .. ايضا : البنات ، لفائف التبغ ، الاوهام، الروابط الجديدة ، والوطن بالطبع ، الذى كنا سنلبى نداءه لو كنا في سن العشرين ، حتى لو ان الأبوالام قالا .. لا .

والان ونحن في هذه السن ، فلا يزال حبنا لوطننا عظيما بطبيعة الحال ، ولكن حبنا لاولادنا اقوى منه . هل بيننا هنا رجل واحد يمكنه ان يحل محل ابنه في ميدان القتال اذا استطاع ؟

وساد الصمت ارجاء المكان واوما كل واحد من المسافرين كما لو كانوا جميعا موافقين على هذا الكلام . وواصل الرجل البدين حديثه . فلماذا اذن ، لا نضع مشاعر اولادنا وهم في سن العشرين في الحسبان أليس من الطبيعي، وهم في هذه السن ان يضعوا حبهم لوطنهم موضع الاعتبار ؟ انني اتحدث عن الاولاد المهذبين بالطبع حتى لو كان حبهم للوطن اكبر من حبهم لنا ؟

أليس من الطبيعي ان يكون الامر على هذا النحو ، حيث انهم قبل كل شيء ، لابد ان ينظروا الينا كما ينظرون الى

اطفال كبار ، واننا لا نستطيع ان نتحرك اكثر من ذلك ، ولابد لنـــا أن نبقى فى المنازل ، فاذا وجد الوطن ، واذا كـان ضرورة مثل الخبز الذى لابد لـكل واحد منا ان ياكله لكيلا يموت جـــوعا ، فلا بد اذن ان يذهب كائن ما ليـــدافع عنه . واولادنا هم الذين يذهبون لهذه المهمة وهم فى سن العشرين وانهم ليسوا فى حاجة الى الدموع ، لانهم اذا ماتوا ، فانهم يموتون ، وهم مشتعلون حماسا بل وهم سعداء (اننى اتحـــدث عن الاولاد المهذبين بالطبع) . والان فان الانسان اذا مات شابا وسعيدا دون ان تدركه الجوانب الكئيبه للحياة والملل منها ، وقبل ان يستحق الشفقة ، والتحرر من الوهم ، فماذا نبتغى له اكثر من ذلك ؟ . يجب ان يكف كل واحد منا عن البكاء ، يجب على كل واحد منكم ان يضحك مثلى او يشكر الله مثلى على الاقل . فقد ارسل لى ولدى رسالة قبل ان يموت يقول فيها انه سيموت راضيا ، لانه سيلقى الموت فى افضل سبيل كان يتمناه » فلم هذا البكاء .. واننى ـ كما ترون ـ لم ارتد حتى ملابس الحداد . وهز معطفه الاصفر الداكن كما لو كان يعرضه عليهم ، وشـــفته الجميلة ترتعش فوق قواطعه القلينة ، وعيناه مغرورقتان بالدموع ، لا تتحركان ، وسرعان ما انهى حديثه بضحكة مثيرة ربما كانت نتيجة حالة تشنج . ووافق الاخرون على قوله .. تماما ، تماما .

اما السيدة التى تكومت تحت معطفها فى احد الاركان ، فكانت تستمع . لقد حاولت طوال الاشهر الثلاثة الماضية ان تجد فى كلمات زوجها واصـــدقائها اى شىء يعزيها عن احزانها العميقة ، شيئا ما يريها كيف يجب على الام ان تروض نفسا على ان ترسل ابنهـــا .. لا .. للموت ، بل حتى الى حياة محفـــوفة بالاخطار ، فلم تجد هذا الشىء ولم تجد الكلمة المنشودة ، وقد تعاظم حزنها لانها ـ كما ظنت ـ لم تجد انسانا يشاركها مشاعرها .

والان ، قد ادهشتها كلمـات هؤلاء المسافرين واذهلتها ، وعرفت انهـــا هى التى لم تستطع ان تسمو سمو اولئك الاباء والامهات الذين يرغبون فى ترويض انفسهم على محنة كهـــذه بلا تحيب او بكاء . ورفعت رأسـها ، وتزحزحت من ركنها محاولة ان تنصت باهتمام شديد الى التفاصيل التى كان يدلى بها الرجل البدين لرفاقه عن السبيل التى سقط ابنه فيها كبطل من اجل مليكه ووطنه وهو سعيد غير اسف .

وبدا لها انها قد اقحمت فى عالم لم تحلم به . عالم مجهول عندها تماما . وسرها ان تسمع كل انسان يشارك فى تهنئة الوالد الشجاع الذى استطاع ان يتحـــدث من موت ابنه وهو رابط الجاش . وفجاة ، وكانها لم تسمع شيئا مما قيل ، او كانها استفاقت من حلم ، التفتت الى الرجل العجوز وسالته : هل مات ابنك حقا ؟ وحملق الجميع فيها ، والتفت الرجل العجوز البدين لينظر اليهـا ، مثبتا عينيه المتقلصتين المرعبتين ، وقد اغرورقتـــا بالدموع والكآبة تشـــع منهما ـ وكانه يتفرس وجهها . وظل برهة وهـو يحاول الاجابة عن سؤالها ، ولكن الكلمات خانته ، فظل ينظر اليها ويكرر النظر ، وكانما هـذا السؤال الابله هو وحده الذى جعله يدرك ان ابنه قد مات بالفعل .

لقد ذهب الى الابد .. الى الابد .. وتقلص وجهه وكانما صار مشوها مرعبا وجذب منديله من جيب معطفه بسرعه . ومما ادهش الجميع .. انه انفجر بعول من اعماق قلبه ، واجهش فى بكاء لم يجد سبيلا للسيطرة عليه ●

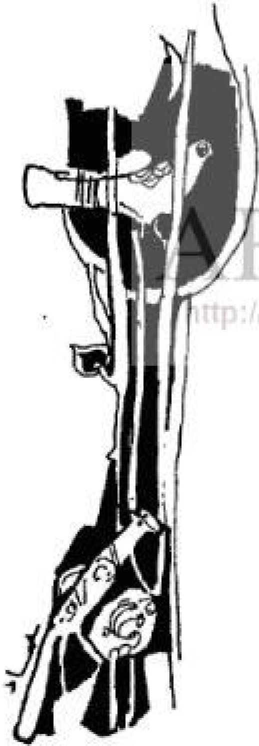
نفثة شاعر

شعر : د. عزت شندى موسى

سَيذكرنى قومى إذا غالنى الردَى
وغبْت عن الدنيا وطَالَ بىَ المدَى
يرجوننى ـ والموتُ بينى وبينَهم
وفى حلكة الظلماء يرجُون فرقدا
فيبكى دما أهلى فقد كنتُ عنهمو
أذودُ عوادى الدهر إن جاروا العِدا
وعشت لهم كالطير زمّتْ فراخها
ويذكرنى الخلانُ إذ كنتُ إن كبا
صديق وناداني .. سددت له يدا
ويشهد لى الأعداءُ أنى لم أهِن
ولم أك ممَّن قد أهان أو اعتدى
وسَوف يقول الناس قد كان عاشِقا
وقد عاشَ للحسْن البديع ممجِّدا
وقدّس فى الخلق الجمال وسحره
وهام به بينَ الورى وتوجدا
وكَم زهرة قد باتَ يستافُ عطرها



ويهفو لطير في الخمائل غرّدا
وكم من جفون راحَ يرنو للحظها
ولو كانَ سهماً في الأضالع أغمدا!
وأغراه في سود العيون كحيلُها
وفي وجنات البيض ما قد توردا
وسوف يقول الناس ما زاغ أو غوى
وما ضلّ يوما أو أسفّ وعربدا
ولم يأت ذنباً دون توب وأوبة
ومازلّ يوما عامداً متعمداً
وما يشهد البهتانَ طولَ حياته
وما طاقَ في محياه للزور مشهدا
ولم يتسلق متن زيد وخالد
ولكن سعى في حلبة العيش مفردا
ولم ينس طول العمر نكرانَ ذاته
وإلا لعاشَ العمر أغنى وأسعدا
وكم سهرتْ عيناهُ في الكدِّ والعنا
وآن له أن يستريح ويرقدا
فلله ماقاسى ولله ما شكا
ولله قد آوى ولله أخلدا
.. فيارب أكرمهُ وخففْ حسابه
وبيِّضْ من الألواح ما كان سوّدا



فلاديمير نابوكوف

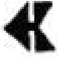
أديب.. قضية الحب الفاشل

بقلم: محمود قاسم

من منا لا يذكر لوليتا.. تلك الصغيرة الساحرة التى بلغت الرابعة عشرة من عمرها فعشقت زوج امها .. ثم تركته لتهرع مع رجل اخر يقتله زوج الام ويدخل السجن كي يكتب منها كتابا .. من منا لا يرى في نفسه ذلك الرجل الذي شغف بفتاة تصغره بسنوات طويلة .. تذكره بشبابه . وتجدد له سنوات عمره .. تغسله .. توحله .. تؤلمه .. وتسعده .. ان لوليتا - شئنا أم أبينا - تسكن داخل كل منا مهما رفضنا او قبلنا هذا النموذج .

واذا كانت اوليتا - تلك الفتاة الصغيرة - هى أشهر النماذج التى قدمها الكاتب الامريكى - الروسي فلاديمير نابوكوف فان هذا الرجل قد قدم نماذج اخرى لا تقل اهمية . وسوف نلقي حولها الاضواء من خلال عرضنا لاهم اعماله الروائية .

فلاديمير نابوكوف هو احد القلائل الذين يغوصون في اعماق الشخصية الانسانية ليكشف في كل منها عن شخصيتين . احداهما ظاهرة واضحة لنا مسموعة الصوت - ظاهرة الحركة اما الثانية فانها تتوارى خلف الاولى . تتحدث فلا نسمع لها صوتا لكنها هى التى تتحكم في الحدث وتوجهه حسبما تشاء .. ومن هنا تنبع أهمية هذا الكاتب الذى نزحت أسرته من روسيا بعد قيام الثورة





البلشفية متجهة نحو أوروبا .

ولد نابوكوف فى عام ١٨٩٩ فى بطرسبورج في اسرة من عائلات روسيا العريقة وبعد ان رحلت أسرته الى أوروبا أتم تعليمه فى جامعة كمبردج الانجليزية ..ثم انتقل الى بعض البلدان منهـا المانيا التى هرب منها بعد ان اشتدساعد النازيين فيها..فعاش فى فرنسا ثم رحل الى الولايات المتحدة الامريكية فى فبراير عام ١٩٤٠ .. واتخذ البلاد موطنا له .. فعمل مدرسا للادب الروسى بجامعة ستانفورد .

ونابوكوف يكتب رواياته باللغتين الروسية والانجليزية .. كما انه يتكلم الفرنسية والالمانية .. وقد بدأ نشاطه الادبى وهو فى الخامسة عشرة من العمر .. ومن اهم اعماله الاولى التى كتبها رواية « ماشينكا » التى كتبها باللغة الروسية . وفيها يبرز لاول مرة تلك النماذج التى سنشهدها فيما بعد فى كل اعماله .. نحن فى بنسيون فى احد احياء برلين حيث مجموعة من المهاجرين الروس الذين يعيشون فى بؤس شديد . منهم شاعر قديم وراقصون مصابون بالشذوذ الجنسى . وشاب يعمل بالتأليف الادبى . ثم جانين الذى ينتظر عودة زوجته ماشينكا التى تعتبر بالنسبة له بمثابة حبه الاول الضائع .. انها ايضا تتمنى لقاءه

وان تبدأ صفحة جـديدة .. لا يكفيها سوى ان تقضى معه ليلة بيضاء ولن تغلق هدبيها كى تتخيل كل صور الماضى .

اما روايته الثانية الهامة فهى « الاحتقار » نشرها عام ١٩٣٩ .. ثم جاءت روايته « ضحكة فى الظلام » كى تكلل لـه النجـاح ويعبر فيها عن كل فترة عاشها فى المانيا وهنا نرى رجـلا يدعى البينوس يعيش حياة سعيدة مع زوجته . والمؤلف يبدأ الرواية بهذه الفقرة التى تلخص الحـدث كله . « كان يعيش فى برلين فى وقت ما . رجل يدعى البينـوس .. وكان ثريا ومحترما وسعيـدا الا انه ذات يوم هجر زوجتـه من اجل عشيقته فى ربيع العمـر ، احبها .. لكنها لم تحبـه . ثم انتهت حياته بكارثة ! هذه هى القصة ولعلنا كلنا خليقون بـأن نكتفى منها بهذا القدر ، لولا أن فى سردها متعة وفائدة .. »

وهذه الرواية تدور حول امرأة لعوب ورجل ضعيف ينسـاق وراءها .. فتودى به الى الهلاك .. فهى تغريه حتى يترك منزله . ويطلق زوجته كى يعيش معها .. لكن بعد فترة من الوقت ، ترتبط بشاب على شاكلتها .. وتصـدم هذه العلاقة االرجل فيصاب فى حادث ويفقد بصره .. لـكن مارجوت لا تكف عـن ملاحقـة عشيقها لدرجة أنه يأتى ويعيش معها فى نفس المنزل الذى تعيش فيه مع البينوس . وفى الـوقت الحاضر فان دفتر الشيكات يؤدى المهمة على خير وجه انه يوقـع على كل شىء وكانه الآلة ، ولكن حسابه فى البنك لا يلبث أن ينفد ، فيجب أن نسرع نحن أيضـا . ولسوف يكون بديعا ان نتركه فى الشتاء .. وقبل ان يذهب ، سنشترى له كلبا ، كتذكار صغير لعرفاننا بالجميل » .

وقد اخرجت السينما هـذه الرواية عام ١٩٦٩ فى فيلم من اخراج تونى ريتشاردسـون وبطولة نيكول ويليامسون وأناكارينا ولم يلق الفيلم اى نجاح .

واذا كانت هذه هى مارجوت فان لوليتا الصغيرة لا تختـلف كثيرا عنها فى سلوكها . و « لوليتا » رواية بها الكثير من العبـارات الفاضحة المكشوفة . وفى الحقيقة فان هذا الوضوح لم يجذب وحده الشهرة الى نابوكوف .. فقـد اصبحت الاداب الحديثة مليئـة بمثل هذه الاشـياء .. الا ان نابوكوف يمزج هذه العبـارات

بانفعالات أبطاله التى تجىء صادقة غير مفتعلة . وفى هذه الرواية نرى هامبيرت الذى دخل السجن بعد ارتكابه جريمة قتل .. وهناك يتكلم عن فتاة صغيرة احبها : « لوليتا » ضياء حياتى نيران شرايينى . خطيئة روحى لو لى تا طرف لسانى ينطقها ببطء كى تخرج مثلثه . كأنى ارطم أسنانى لو لى تا .

لقد صدر الحكم بشنقه .. وعلى الرجل ان يتكلم من هذه الشيطانة الرائعة التى أحبها .. انه مهاجر من اوروبا .. مثقف



يتكلم من الصحة العقلية التى وضعوه بها .. يتحدث عن شبابه المبكر الذى قضاه فى الريفيرا .. كان ابوه يدير فندقا .. أحب يوما فتاة تدعى آنابل . لكنها ماتت وتركت له نموذج الفتاة التى عليه أن يحبها فيما بعد . فهذه الصغيرة لم تكن مجرد فتاة عادية . انها حورية من الجنة .. انها بياتريس الرائعة التى احبها دانتى وصورها فى مطهره .. تلتصق بفكره . ومشاعره .. لذا فانه عندما يحب الفتاة لوليتا فانها تجسد فتاته التى أحبها يوما .. انها تعيد الى دمائه نبضاته القديمة التى تستيقظ الان مرة اخرى وتنبعث فيه الحياة ويجرى الدماء .. يشعر ان هناك احساسا صادقا نقيا يعود الى الظهور مرة اخرى فى حياته .

ويتحدث هامبيرت امام المحكمة عما حدث مع لوليتا وامها .. فبعد ان مر بتجربة فاشلة مع زوجته فاليرا فانه يفضل أن يتقوقع داخل نفسه فى بنسيون تديره أرملة تدعى شارلوت هايز وهى ام لوليتا .. يحب الصغيرة . يشتعل بها ولها .. يقرر ان يتزوج من الارملة العجوز البدينة كى يحوز على الفتاة بعد ان يقتل امها .. لكن المرأة تموت فعلا بعد

ان تتزوج من هامبيرت .. يتحقق له مايود دون ان يسيل نقطة دم واحدة .

ويكتب هامبيرت قصيدة حب طويلة فى حبيبته الصغيرة يقول فيها .

تظل عيون لوليتا الرمادية مفتوحة دائما .
عندما ألثم فمها الفاغر ..
حدثنى . هل تعرف رائحة الشموس الخضراء ..

يطوف هامبيرت الولايات المتحدة مع صغيرته .. ينتقلان من مدينة لاخرى .. من فندق لاخر .. لكن يكتشف فى اول ليلة لهما معا انها فتاة تنز بالفساد وعبق الخيانة والغدر .. فهى متقلبة تفكر فى هذا وذاك تهرب مع كاتب مسرحى شاب وتهجر هامبيرت بعد ان اذلته واهانته .. فيقرر ان يقتل الرجل ويدخل السجن الذى يدون فيه مذكراته .

ويكتب نابوكوف فى مجلة « القوس الامريكية » فى عام ١٩٥٨ مقالا طويلا حول لوليتا يقول فيه وبعد نشر كتابى فى باريس عام ١٩٥٥ اعلن كاتب امريكى ان لوليتا هى ثمرة عشقى للحب الرومانسى وهذه التركيبة اللغوية كانت فى محلها . فانا اشعر ان صوتى يبوح باشياء تكمن فى داخلى . فلم يقرأ احد من اصدقائى الامريكيين أعمالى المكتوبة باللغة الروسية . وكل هذه المشاعر العميقة التى تبدو فى اعمالى المكتوبة باللغة الانجليزية ليست سوى موجة ناقصة ، اعمالى المأسوية لا يمكنها أن تهم شخصا ما . ولكن يجب ان أضع تعبيراتى الضيقة . ولغتى الادبية الروسية المليئة بالفن والحرة من كل التناقضات . وبها كل روعة الواقع . فهى تختلف عن الانجليزية التى تلزمها ايضاحات كى تصبح مثل المرآة المباغتة ، والستار الذى يوضع فى الاعماق . المصنوع من القطيفة السوداء .

واذا كانت لوليتا قد انتشرت وذاع صيتها داخل كل بلدان العالم بعد الفيلم الرائع الذى قدمه ستانلى كيوبريل عام ١٩٦٢ وقام ببطولته جيمس



ماسون وسيوليون وبيتر سيللرز وشيللى ونترز .. فان هنـاك شخصية رائعة صنعها نابوكوف فى روايته « آدا ـ الوهـج الساخن » . فنحن من جـديد امام قصة حب او لنقل قصة فشل وآدا التى تعنى بالروسية « الوهج الساخن » هى نرفـانا غاص بوذا بداخها وهو يجلس تحت شجرته ثلاثة ايام باحثا عن الخلاص السرمدى . . وفى هذه الرواية التى نشرت عـام ١٩٦٢ نرى ايضا البطل الاديب الـذى يكمن داخل المؤلف .. واذا كان هامبيرت قـد كتب اشـعارا حول لوليتا فان الجـزء الاول من « آدا » هو قصيـدة طويلة سطرها شاعر حول حب ضـاع منه .

يسخر نابوكوف من خلـقـة النقاد الاكاديميين وغرورهم الذى لا حد له .. فيمزج موانفـه بكوميديا سوداء .. ويتحـدث جاك كابو فى مجلة الاكسبريس فى ٩ يونية ١٩٧٥ :«كل الاعمال العظيمةهى قصص حول السحرة و « آدا » هى أحد هذه الاعمال حيث روى فيـهـا نابوكوف أقصوصة حول « هيكل الروح » الذى يسـكنه . فقـد وضع نابوكوف رسوماته فى مسـتوى الفـن الرفيـــع .. ولانـه لم يحصل على جائزة نوبـــل فعلينا ان نقدم يوما لنا بوكوف جائزة نوبل التى يستحقها ».

وتقول نفس المجلة فى عددها الصـادر فى ٣٠ يونية من نفس العام « انه يحب الآن روب جرييه الذى اكتشف زوجته ، ويحتـرم سولجنستين فى شخصية الرجـل البطل صاحب لحية البحار الذى لا يهـاب أو يخشى شيئا . رجل عظيم يبدو منفصـلا دائما . فمن بين الادباء الروس المعاصرين فان فلاديمير نابوكوف يحتفـظ بكل وقاره من خلال ما نشره سـيرين خلال عشرين عاما لم يكف خلالها عن الكتـابة . وعندما أصـبح نابوكوف كاتباامريكيا فانالكثيرين لايعرفون أن سيرين ونابوكوف هما نفس الرجل . فهو اسم ابيـه . لقد اختار نابوكوف طريقه » .

وفى رواية « شفافية الاشياء » نجـد نفس الكـاتب مـع اولى الصفحات .. انه يهتم باللغـة ويبرز الادباء فى عالمهم الخـاص حيث العزلة .. بيرسون الكاتب الذى يعيش فى سـويسرا . انه نابوكوف جديد .. يتحدث حول جوليا ـ زوجته السـابقة ـ التى رحلت الى موسكو باحثة عن شاعر تحبه .. لقد تعلم منها كيف يقول « أحبـك » باللغـة الانجليزية ..

وهذه الكلمة لها معناها العميق حين تسمعها منه .. ويفضل بيرسون ان يعيش فى منفاه بسويسرا منتظرا أن يسمع يوما خبرا حول زوجته ..

ولعل اعجاب نابوكوف بالان روب جرييه وبمدرسة اللارواية فى فرنساقد دفعه أن يكتب بشكل جديد يختلف عن اسلوبه السابق الذى اعتاد عليه .. فنحن أمام عالم متداع ينساب داخل عقل البطل كلما خطرت زوجته بافكاره .. وهذا الامر يحدث كثيرا .

ونابوكوف ـ كما اشرنا ـ كتب الشعر والاقصوصة فضلا عن مجموعة من الدراسات حول التاريخ وعلم النفس .. وقد نشرت له اقصوصة طويلة بعنوان « بنين » حاول أن يتقلد فيها باللارواية فلا تسلسل منطقى للاحداث ولا العبارات أو الجمل . أو حتى للمشاعر الانسانية .. واذا كان كتاب الرواية الجديدة قد قتلوا عنصر الحدوتة ، فان نابوكوف لا يزال يهتم بها الى حد ما .. فهو يتتبع حياة استاذ جامعى روسى غريب الاطوار ترك بلاده وهاجر الى الولايات المتحدة .. وهناك وجد نفسه ـ مثل نابوكوف ـ بين شقى رحى ثقافتين متضاربتين .. ومن جديد يضع كل مشاعره المتضاربة من خلال مزيج غريب بين خيال المؤلف الاسود القاتم والضحكات المنطلقة المجلجلة ... بين اشياء متناقضة . متضادة فالبطل انسان يتسم بغرابة السلوك وشذوذه مثل الكثير من الابطال الذين يصفهم كاتبنا.

أما القصة القصيرة المسماه « دفاع لوجين » فقد كتبها باللغة الروسية فى عام ١٩٢٩ . وبطلها احد ابطال لعبة الشطرنج . وهو انسان يتسم بغرابة السلوك وتفرده .. فهو يتصرف مثل العجائز .. شارد الذهن .. غير قادر على التركيز الا فى اللعبة التى يجيدها ويتفوق فيها .. لكنه لا يستطيع ان يواجه مجتمعه .. يرى أن الكون ليس سوى لعبة شطرنج بكل ما تحمله من قوانين باردة لا حياة فيها .. ولا تقيم للمشاعر الانسانية أية اعتبار .. فعلى اللاعب أن يستخدم عقله وحده كى يحطم كل هذه الادوات الخشبية ويسقطها الواحدة تلو الاخرى .. كى يفوز فى النهاية . وفى هذه النهاية يحدث مزج بين النصر والهزيمة .. فالبطل ينهزم

بصورة أو باخرى .. ثم تبقى الاشياء غير محدودة المعالم .

وقد نشرت لنا بوكوف مجموعة اقاصيص بعنوان « جمال روسى » وضع فيها مجموعة من أجمل اقاصيصه .. وحول هذه المجموعة يتحدث الكاتب الفرنسي فرانسوا نورسييه: « قد لانعرف انه لايوجد شيء صعب قدر صعوبة الحديث حول هذه المجموعة . هناك عطر يجب أن نشمه . صراخات طويلة نقف امامها في صمت نتأمل لوحة رائعة في معرض . ونشعر ان وحدة التعادل لا تساوى قراءة مثل هذا العمل الفسيح » .

وقد قام نابوكوف بترجمة مجموعة من الآداب الروسية الى اللغة الانجليزية . منها ديوان الشعر الذى نشره بوشكين بعنوان « اوجينى اونجين » الذى يقع فى قرابة الفى صفحة . معلقا على أشعار بوشكين بعد أن قام باعداد مقدمة طويلة حول اثر هذا الشاعر فى الادب الروسى بصفة خاصة ثم فى الشعر العالمى بصفة عامة .

وفى نوفمبر عام ١٩٨١ نشرت الترجمة الانجليزية للكتاب الذى اعده فلاديمير حول «نصوص من الادب الروسى » وفيه يتناول بالدراسة ستةمن النصوص كتبها كل من تشيكوف ودوستويفسكى وجوجول وتولستوى وتورجنيف . فيقدم لتولستوى : « موت ايفان الليش » و « المعطف » لجوجول والبادى فى هذين الكتابين ان نابوكوف شغوف جدا بالادباء الروس الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر « اذا كانت لديك فكرة ما داخل أعماقك حول روسيا ..واذا كنت من المهتمين بالافكار والسمات البشرية فعليك أن تقرأ جوجول » ..

فلاديمير نابوكوف الذى ترك بلاده روسيا ليعيش فى الغرب حيث أجواء الابداع أفضل لاينسى بلاده .. ولا ترابها .. فبصرف النظر عن الايديولوجيات فان الكاتب مرتبط بارضه .. مهما كانت تملؤها التناقضات .. ولذا فانه يشعر بذاته من خلال أرضه .. فهو أديب ومفكر ينتمى الى ذاته .. قضيته هى الحب الفاشل .. او الطموح الفكرى بينه وبين اشياء قليلة حوله .. وعلى كل فهو صورة من صور كثيرة تعبر عن عصرنا ●

قصــة قصــيرة

الهندية الحمراء

بقلم : ابيت كتلر
ترجمة : حماد أحمد صبح

الحقيقة انها لم تكن تنطوي على قدر كبير من المأساة ، اذ انها لم تستحق من جريدة « مونتريال ستار » اكثر من اربعة اسطر ، وذلك بعد يومين من وقوعها . الا انها كانت من اكثر الحوادث التي خبرتها اثارة ، وهذا بفضل السيدة داي . كنت اغير ملابسي بعد ان انتهيت من السباحة حينما اندفعت امي نحوي صائحة : حادث غرق !

وعندما وقفنا خارج البيت نمعن النظر في الماء ، راينا على البعد عددا كبيرا من زوارق التجديف .

قالت امي : انهم عائدون بالجثة الان ، انها جثة شخص مقيم بالفندق قرب المحطة .

ولم يكن ثمة من يعرف الغريق الذي كان قد وصل الى هنا في قطار الظهيرة ، واخبر صاحب الفندق انه يريد ان يسبح في البحيرة قبل تناول طعام الغداء . فكان ان اخذ زورق تجديف ومضى . ولما لم يرجع ، ارسل صاحب الفندق اليه ابنه الذي وجد الزورق قرب النقطة خاليا الا من منشفة وحقيبة سفر وساعة يد .

قالت امي : سنذهب الى السيدة داي ، فهي ستكون ملمة بكل شيء عن الموضوع .

وعندما وصلنا الى بيتها اخبرتنا ابنتها انها في المحطة . كان ثمة حشد من الناس على الرصيف ، فهبطناه لنلقى السيدة داي تتناقش مع ناظر المحطة ، فتوقفت عن النقاش لتشرح لنا قائلة :

رفض صاحب الفندق ادخال الجثة الى فندقه ، وقد جرى اتصال هاتفي مع والدي الميت في المدينة ، وهما قادمان الان في قطار المساء ..

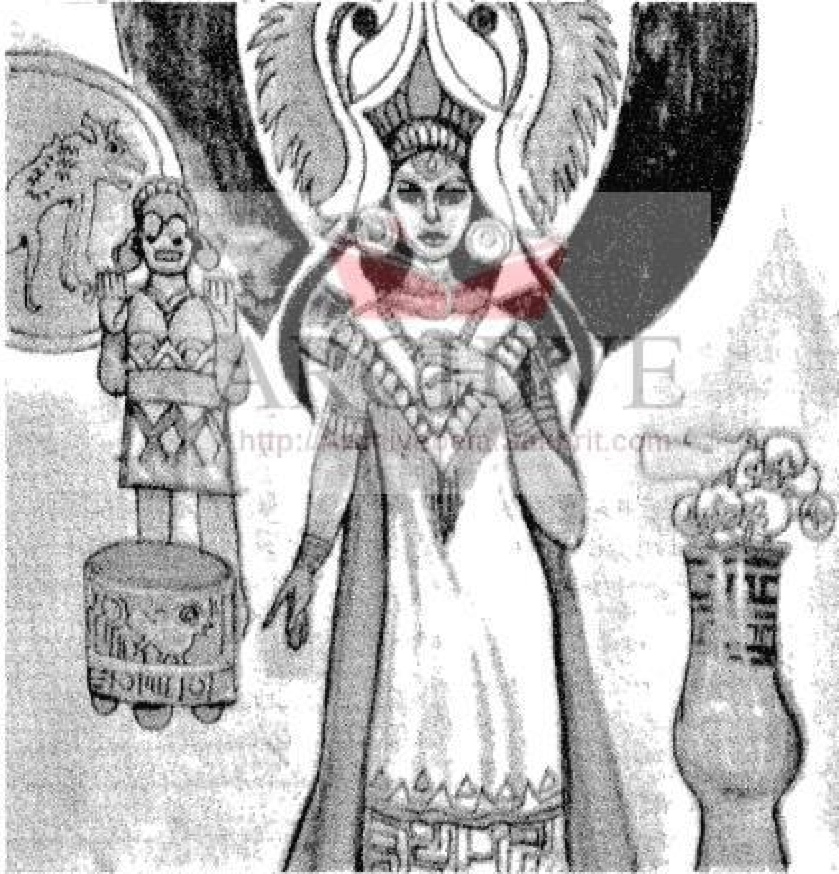
واستطردت السيدة داي شاكية : ليس لهم ان يتركوه على هذه الحال ، ليأتي ابواه ويجداه هكذا !

وعلى مبعدة اقدام قليلة راينا ما كانت تعنيه : اذ كانت الجثة العارية الا من بنطال السباحة القصير ملقــاة في عربة عفش ، وكانت غمص الموت التي عاناها

لاتزال واضحة فى العينين المحملقتين والفم المتشنج . وبدا ان المنظر الوحشي لحديد العربة الضاغط على لحمه انما يضاعف من شعور الناظر اليه بالرعب . ومثلما يحدث من الجمهور عند وقوع حادث ما ، فان الناس ـ وقد سيطر عليهم الشعور بالعجز والاضطراب ـ راحوا يتساءلون فيما بينهم: لماذا لا يدخله صاحب الفندق الى فندقه ؟ هل اخبروا راعى الابرشية ؟ الا يستطيع راعى الابرشية ان يتحدث الى صاحب الفندق ؟

ويبدو ان احدهم قد ذهب الى راعى الابرشية ، الا انه ـ الراعى ـ لم يظهر .

ورات امي الملك « لقب ساخر لاحدى الشخصيات » وسط الجمهور فمضينا اليه ، كان يقف جانبا ، يرقب المشهد وقد وضع ابهاميه تحت حزامى الكتف لبنطاله .



الهندية الحمراء

قالت له امي : صاحب الفندق لن يدخل الجثة عنده !

فعلق الملك قائلا : يمكن لاقاربه ان يقاضوهم على ذلك .

فقالت امي بتردد : قد يدخلونه لوذهبت انت وقلت لهم ذلك !

فهز الملك كتفيه وقال : هذا ليس من شاني !

واخيرا – وفى حال من ياسه – دفع ناظر المحطة العربة الى مكتب المفتش وامر الجميع بالانصراف .

صعدنا التل مبطئين مع السيدة داى ، قاصدين بيتها .

قالت مرارا وتكرارا : ليس لنا ان نترك الفتى على هذه الحال ، ليجده ابواه هكذا !

وعندما وصلنا الى باب بيتها ، توقفت فجاة واعلنت : ساحضره الى هنا !

فقالت امي مشدوهة : لا تحضريه !

قالت : ساحضره .

فتبعناها عائدين الى المحطة وقد نومتنا خطتها تنويما مغناطيسيا . هز ناظر المحطة كتفيه وقال لها : خذيه ان شئت !

ثم فتح الباب وعاد الى مكتبه . نظرت السيدة داى للميت ومدت يدها واغمضت عينيه بقوة . ثم رفعت يدى العربة ودفعتها خارجة بها ! فظهر ناظر المحطة مرة اخرى على الرصيف ! ان العربة ملك للخط الحديدى ، وهو لا يمكنه ان يجعلها تخرج من نطاق هذه الملكية . فنظرت اليه السيدة داى كما لو كانت تريد ان تتذكر محياه . ثم انحنت على الجثة ورفعتها من العربة ، فاعترضت عليها امى قائلة : لا تستطيعين حملها ! للبيلة جدا !

فقالت : اذهبى للبيت ياسيدتى ! انا على صواب تام .

فراقبناها مشمولين عن كل كلام او فعل .

تحركت فى بطء ، شكل بنى ضخم ، بينما رأس الميت وذراعاه تتخبط اسفل ظهرها بصورة مرعبة . وهنا عاود الجمهور التجمع دون ان يتحرك احد منه لمساعدتها . وعندما وصلت اخيرا الى باب بيتها بدا عليها انها تنفست تنفس الراحة .

***

سرنا الى بيتنا صامتين ، ثم ذهبت الى حجرتي واستلقيت فى فراشى احدق فى السقف الى ان خيم الظلام . ولم اسمع صوت دخول امي الى حجرتى حتى قالت : ساعود الى السيدة داى ، أتاتى معى ؟!

لم يكن مفتوحا من بيت السيدة داى –

ونحن نصعد اليه في الدرب ـ الا الباب الايسر ، وفي الداخل ، جرى تحويل حجرة كي الملابس الى شيء آخر ، اذ غطيت المنضدة بملاءة بيضاء وسجي عليها الميت كامل اللباس .

واني لاذكر الان كرمشة بنطاله بعد ان سويت ولمعان حذائه الاسود . كانت ذراعاه مضمومتين على صدره ، وكان فمه مغلقا ، وبدا عليه انه وسيم الى حد ما وفي ميعة صباه . وعند راسه استقر شمعدانان طويلان من النحاس جعل نورهما باقي الحجرة غارقا في الظلال ، وكان قد ازيل منها كل الاثاث ما خلا مقاعد المطبخ .

وعندما دخلنا ، ابتسمت لنا السيدة داي ابتسامة خفيفة ، وبدت في الشال الذي يغطي راسها شبه ارملة عظيمة يلفها الحداد . ولم نعرف حتى اليوم التالي كيف جرى الامر ، وهو ان الفندق رفض اعطاءها ملابس الغريق فهددت بالخبار والديه ليرفعا دعوى ما لم تتسلم لها الملابس . وكان ان كوت بدلته ولمعت حذاءه قبل الباسهماله. وقد مثل قميصه بالنسبة لها مشكلة ! فهو لم يكن يملك الا القميص الذي جاء به من المدينة ، وهذا كان متسخا ، لذا كان عليها ان تقوم بغسله وكيه ، وهذه مهمة بطيئة الى حد يثير الغضب .

اما بخصوص الشمعدانين فقد ارسلت ابنتها اماند الى راعي الابرشية للحصول عليهما ، قالت :

قلت لها ان تخبره بانه في حال رفضه اعطائي بعض الشمعدانات ، فانني ساذهب بنفسي الى الكنيسة واسرقها من هناك !

الا ان راعي الابرشية لم يعرهما لها فحسب ، بل طلب من مديرة شئون بيته ان تنظفهما اولا ، كما انه اعطاها الشموع البيض .



وعندما وصل القطار ، ازدحم رصيف المحطة اكثر من ذي قبل ، بعد ان سمع المصطافون حول البحيرة بالقصة . ولما اطلت السيدة داي ، انفتح عليها طريق عريض صامت . وتوقف القطار فتقدمت منه ، وراقب الجمهور الحرس في هدوء وسكون وهو يساعد في نزول امراة متوسطة السن تضع على وجهها منديلا ويتبعها رجل في ملابس المدينة تبدو على سيماه الحيرة. تقدمت منهما السيدة داي في بطء ، شبه من يقوم بطقس من الطقوس . فنظرا اليها وفي عيونهما تساؤل . انحنت انحناءة خفيفة وبدا صوتها وكانه آت من مذبح الكنيسة وهي تقول بالفرنسية : ولدكما عندي .

ثم راقبناهم وهم يصعدون الرابية الى بيتها وقد ارتسمت ظلال اشباحهم الثلاثة ازاء الاضواء المنبعثة من الفندق والدكان . وصل ثلاثتهم الى الباب المفتوح، وفي الضوء المنبعث من الداخل راينا راس المراة يسقط على كتف زوجها ورايناه وهو يطوقها بذراعه . وحين دخلت السيدة داي، بدا للحظة ان جرمها الضخم قد حجب الضوء كله ، ثم اوصد الباب عن العيون المتطلعة ●

دار العلوم من الوسيلة الأدبية للأدب المقارن

حكاية فخري أبو السعود والآخرين

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

تحدث الدكتور الطاهر احمد مكى فى العدد الماضى عن بداية قصة الادب المقارن فى كليـة دار العلوم .. وهنا يكمل بقية القصة .. عن الكاتب الشاعر فخري ابى السعود الى بقيـة الباحثين

كان فخري ابو السعود يجيد اللغـة الانجليزية لانه اعـد لتدريسها ، ولـكن اصوله العربية كانت قوية ، فهو متمكن من الادب العربى ، يعرف مصادره ، ويحفظ شعر البارودى كاملا لا يند عنه بيت ،ومع ذلك كان عزوفا عن الناس ، منطويا على نفسه ، وفى المدة القصـيرة بين عودته وانتحـاره ترجم كتاب « تس » لتوماس هاردى، وامد المجلات المختلفة كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة ، بسيل من ابحاثه الجديدة واشعاره .

يهمنا من بين مقالاته ما نشره منها فى الرسالة فى النصف الثانى من عام ١٩٣٦، تحت عنـوان جانبي ثابت : « من الادب المقارن » ، وتحته قدم عددا من الموازنات بين جوانب من الادب العربى وما يقابلهـا فى الادب الانجليزى ، مثل : الخيـال ، والمـرأة ، والادب المكشـوف ، واطوار الثقافة ، والفكاهة ، واسباب النبـاهة والخمول ، والطبيعـة ، واثر الدين ، والخرافة ، واثر الفنون ، وشخصيات الادباء ، واثر البيئـة ، والنقد ، واثر نظام الحكم ، وغرض الادب ، واثر الترف ، والاثر الاجنبى فيهما .

ويرى « ان العرب الذين قبلوا الاعاجم اندادا فى دينهم ، ولغتهـم ، وادبهم ، ترفعـوا عن آداب تلك الامم . ولم يروا بانفسهم – وهم معادن البلاغة ، وفحول الخطابة ، ولغتهم لغـة الدين والدولة والقرآن – حاجة الى الاطـلاع على آداب غيرهم ، فنظروا الى الادبين الفـارسى واليونانى وغيرهما شزرا ، وخسروا بذلك



.. وضاق افق ادبهم كثيرا ، لاختزاله غيره » .

ورغم ان فخرى ابا السعود اتخذ عنوانا لابحاثه : « من الادب المقارن » ، الا ان فكرته عن الادب المقارن كعلم كانت محدودة .. ولم تكن موازناته تعتمد على شيء من مناهج الادب المقارن على ايامه ، وربما لان الجامعات الانجليزيه حيث درس كانت آخر من احتفى بالادب المقارن ، فجاءت الوانا من الموازنات بين موضوعات متشابهة فى الادبين العربي والانجليزى، دون ان يكون بينها تأثير وتأثر ، او علاقة اخذ وعطاء ، الى جانب انه كان يجهل تماما ان العرب عرفوا الادب الفارسى ، وتأثروا به ، وترجموا منه .

لم يكن لمقالات فخرى ابو السعود صدى فى الحياة الادبية على ايامه ، ولم تفتح الباب امام اى دارس آخر ، ولكن بعد عامين من نشرها صدرت لائحة جديدة لتنظيم الدراسة فى دار العلوم عام ١٩٣٨ ، واستحدثت دراسة الاداب الاجنبية ، مادة مستقلة عن اللغة نفسها ، ساعة اسبوعيا لكل فرقة ، وكان الدكتور ابراهيم سلامة يدرس « بعض روائع الادب الفرنسى مع مراعاة اتصاله بقدر الامكان بالادب العربي» ويدرس « بعض روائع الادب اليونانى فى انواعها وفى مظاهرها ، مع التنظير بقدر الامكان ايضا بما يمكن ان يكون بين هذه الانواع وبين انواع الادب العربى من مشابهه ، ان لم ترجع فى اصلها الى اخذ واختلاف فهى راجعه حتما الى ما فى الامم الحية من تشابه فى النزعة والتكوين

حكاية
فخري أبو السعود

والاتجاهات ، من الناحيتين الشعورية والادبية » .

ولم يقف الامر عند حد الادبين الفرنسي واليوناني ، ولما كانت تعرض على طلاب دار العلوم الوان من الادب الاسباني والايطالي في العصر الوسيط ، واضطلع آخرون غير الدكتور ابراهيم سلامة بتدريس شيء « من تاريخ وروائع الادب الانجليزي » ، وكان هذا هو العهد باول دراسة للاداب الاجنبية القديم منها والحديث .

ومن الواضح ان الذين وضعوا الخطة كانوا متأثرين بالنظم الانجليزية في التربية ، وكان سلطانها طاغيا على مؤسساتنا التربوية قبل آن يزيحه النفوذ الامريكي ، ويصدر عن رافدين مهمين ، اولهما : الاثر الذى غرسه القس الاسكتلندى دنلوب ، وكان يعمل مستشارا لوزارة المعارف ، وتلاميذه الاوفياء الذين خلفوه وراءه ، والثاني : الحرص على أن يذهب اوائل خريجي دار العلوم الى انجلترا ، لدراسة اللغة والتربية لمدة عام او اثنين في اكستر ، وقبل ذلك كله لتقع قلوبهم وعقولهم على ما في بلاد الانجليز من حضارة وتقدم ، فيفتنون بها ، وينسحقون امامها مستشعرين صغارهم ، آن كانوا من اصحاب الارادات الضعيفة . اما الاقوياء ، وهم الاغلبية لحسن الحظ ، فكانوا يفلتون من هذه النزعة ويدرسون في الجامعات علما ، ويعودون وهم يحملون شيئا هاما من الشهادات . ويرجع هذا الاحتمال عندى ان الادب المقارن دخل الجامعات الانجليزيه والامريكية عن طريق دراسة الاداب الاجنبية اولا .

وفي ٢٤ من ابريل عام ١٩٤٦ صدر القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٦ ، بضم دار العلوم الى جامعة القاهرة ، بعد موافقة دار العلوم ، « على ان تحتفظ بكيانها ، وطابعها الاسلامي الخاص ، وباسمها التاريخي المجيد » ، وتضمنت خطة الدراسة التي تضمنتها اللائحة الداخلية للكلية دراسة الادب المقارن ، باسمه صريحا لاول مرة في اية جامعة عربية ، وخصته بساعتين اسبوعيا في الفرقة الثالثة ، ومثلهما في الفرقة الرابعة ، وهي خطة سوف يصيبها التعديل في المستقبل لتصبح ساعتين في الفرقة الرابعة فحسب .

كان الموضوع جديدا على الحياة الجامعية ، والادبية ان شئت ، وبداهة تعثر تدريسه منهجيا في الاعوام الاولى ، وكان استاذنا عبد الرزاق حميدة ، الدكتور فيما بعد ، يدرس لنا في الفرقة الثالثة موضوعات ضمها كتابه « في الادب المقارن » ، وصدرت طبعته الاولى في القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، وحين اتصفح الكتاب الان ، وقد درسته طالبا ، وشدتني يومها طرافة موضوعاته ، واخذت باسلوبه العذب ، الى جانب ما كان عليه الاستاذ نفسه من روح فكهة ، وتفاؤل بشوش ، واتامل موضوعاته بعد اعوام طويلة رفقة الادب المقارن ، اجد ان الدكتور عبد الرزاق حميدة قد ألمع في مقدمة الكتاب الى الخطوط الرئيسية للعلم في دقة لا بأس بها ، وانه يهدف الى « دراسة العلاقات بين الاداب ، وان هذه العلاقات واسعة المدى ، تشمل تأثير ادب في ادب ، وتأثر اديب باديب ، واخذ عصر عن عصر ، وتشابه حركات ادبية وتباينها ، ونهوض مدارس ادبية مختلفة او متشابهة ، في ازمنة ولغات متعددة ، وسيطرة بعض العوامل ، وتأثيرها في الاداب على اختلاف عصورها او بيئاتها ، ومدى هذا كله » . وان هذه العلاقات تحتاج الى براهين وشواهد ، وان من يتصدى لها لا يستغني عن الوقوف على فعل البيئة والدين والعلوم والسياسة والاقتصاد والحروب ، والاتصال التجاري والعلمي ، وخصائص الامم وطبائع الاجيال ، وتطور الافكار في الاداب ، وتوجيهها وتلوينها .

لكن هــذه الافكار ، وهى فى مجموعها تمثل الخطوط العريضة لمنهج الادب المقارن فى المدارس الاوربية والامريكيـة ، ظلت كلها نظرية ، ولم تجد لها صدى او اثرا فى مجال التطبيق ، وانتهى الامر باستاذنا الدكتور حميدة الى عدد من الموازنات يجد بعضها سندا له من اتجاهات المقــارنة الامريكية ، وبعضها الاخر لا تسنده اية مدرسة اخرى . فهو مثلا يوازن بين المتنبى فى وصفه شعب بوان ، وحمدونة بنت زياد الاندلسية فى وصفها واديا اندلسـيا ، لانهما « متشابهان فى الموضوع ، وعمدة الكلام فيهما وصف مكان ظليل نزل به الشاعر لاجئا ، أو مجتازا عابرا » . ومثل هذا العمـل ادخل فى باب الموازنة ، لان المقارنة لا تتم بين نصوص ادبية كتبت فى لغة واحدة ، وقد ادرك الباحث ذلك عفويا .. فاستخدم اثناء البحث لفظ الموازنة وقام بذلك فيما يتصل بالمعانى والافكار ، وفى جانب اللفظ والتصوير فى كل منهما .. وتحدث اخيرا عن الوزن والقافية ، والاسس التى تقوم عليها الموازنة فى كل منهما ، وشخصية الشاعر .

واوقف فصلا على الموازنة بين الادباء ، عرض فيه تنظيرا بايجاز لمنهج الموازنة ، خاصة وعامة ، وتجاوزه الى التطبيق فوازن بين بشار وابى العلاء خاصة ، وتتبع تأثير العاهة فى كل منهما ، وانتهى منهما الى موازنة عامة بين مكفوفى البصر ، واضاف الى الشاعرين العربيين الشاعر الانجليزى ملتون ، ودرس بعض قصائده : «الفردوس المفقود ، والفردوس المردود ، وشمشون ودليلة » ، ورد هذه القصـة الاخيرة الى اصلها العبرى فى سفر القضاة . ووازن بين بشار وابى العلاء والشاعر الانجليزى السكندر بوب فى الهجاء ، وطول اللسان وذم الجماعات

ووازن بين جميل بثينة وعمر بن ابى ربيعه ، وعرض لموقف الشعراء من البحيرات .. فتحدث عن قصيدة البحترى التى يصف فيها بركة المتوكل ، وقصيدة المتنبى التى يصف فيهـا بحيرة طبرية ، واسترعت انتباهه قصيدة لامرتين بعنوان « البحيرة » .. وهذا التشابه ، فيما يرى ، يستدعى الموازنة بين ما جادت به عبقرية كل واحد منهم ، والشعور الذى استولى عليه عند انشاد القصيدة .

ووازن بين رسـالة الغفران لابى العلاء المعرى والكوميديا الالهيـة لدانتى ، وهى موازنة جمالية لا تدخل فى الادب المقارن ، ولو فعل كما فعل المستشرق الاسبانى اسين بلاثيوس بان بحث عن الاصول العربية فى عمل الاديب الايطالى ودانتها ، لكانت من صميم المقارنة .

ثم تحدث عن اصول الموازنة بين عصرين وما تتطلبه ، ووازن بين الادب العربى فى العصر الجاهلى وفى العصر الاموى ، وهو امر خارج عن نطاق المقارنة قطعا ، ودرس الشعر الذى قيل فى صيد الذئاب عند الفرزدق والبحترى والشريف الرضى والمتنبى وش لنى ، وادب الصيد بعامة ، والسلم المسرحيات فى مصر واليونان ، ووازن بين فنى الشعر والنثر ، وانهى كتابه بفصل عن صعوبات المقارنة ، والطـريق الى تيسيرها ، واجمل هذه الصعوبات واباز



حكاية
فخري أبو السعود

طريق التغلب عليها ، وانتهاء بصفحات عن فائدة المقارنة .

كان الدكتور عبد الرزاق حميدة يتولى تدريس هذه المادة دون سابقة له ، ودون تقاليد لها في مصر او الكلية ، شابا لما يحصل على الدكتوراه ، من اوائل دفعته ، وارسل في بعثه الى انجلترا لدراسة التربية واللغة الانجليزية ، ومن الواضح ان فكرته عن المقارنة كما ارسى منهجها الفرنسيون لم تكن واضحة تماما ، ومن هنا جاءت دراسته التطبيقية مزيجا من الموازنات الجيدة ، عذبة وجديدة ، ولكنها لاتنتمي الى عالم المقارنة .

وكان يضطلع معه بتدريس الادب المقارن في الفرقة الرابعة الدكتور ابراهيم سلامة ، وكان اسبق منه سمتا ، فرنسي الثقافة ، متدفق الكلمة ، رائع الاسلوب ، يأخذ بمجامع القلوب حين يتحدث ، تطاوعه اللغة في يسر ، وتستجيب له الالفاظ في سهولة ، وتغلب عليه النزعة الخطابية في محاضراته ، ولم يكن به صبر على التاليف ، ويؤثر ان يواجه طلابه محاضرا على الدوام ، يفجر بينهم عددا من القضايا ، ويحسرك فيهم خامد الفكر ، وهم معه أسرى بلاغته ، فاذا انتهت المحاضرة لم يشعروا بان الوقت قد انتهى ، فاذا فتشوا في رؤوسهم عن شيء لم يجدوا فيها غير القليل مما سمعوا

كان الدكتور ابراهيم سلامة تاليا في محاضراته للدكتور عبد الرزاق حميدة ، ومن ثم كانت دراسته تطبيقية بالضرورة ، لم يقف معها عند تاريخ العلم ، ولكنه الح الى شيء من مناهجه ، غير انه كان محاضرا خطيبا اكثر منه كاتبا مؤلفا ، ويجمع الى تعمقه في الثقافة العربية القديمة معرفة واسعة بالثقافة الفرنسية ، الى تمكن من علوم البلاغة والبيان ، والنقد الادبي في صورتيه العربية القديمة والاوربية الحديثة ، ودرس التربية وعلم النفس ، وكانت رسالته للدكتوراه الدولة في باريس عن « الثقافة الاسلامية في مصر واثرها في الثقافات المدنيه وتاثرها بها » ، وتقدم بها عام ١٩٣٨ ، وعرف كتاب فان تيجيم عن الادب المقارن ، قرأه وافاد منه ، واورده في مصادر كتابه ، وهذه الثقافة الواسعة المتعددة تركت صدى قويا في كتابه .

يبدا الدكتور سلامة دراسته موضحا مكانة الادب المقارن بين الادب وتاريخ الادب ، ويمضي مع المصطلحين في القديم والحديث ، في العربية وبين الاوربيين ، مبينا ما يراد منهما ، وعلى اي شيء يصدقان ، عبر صفحات طويلة ، وهو يدلل بالبيت من الشعر على ما يقول ، ولكنه لا يقف عند التدليل ، وانما يتناول مافيه من بلاغة وحدة الى ان ينتهي الى تعريف الادب بانه : «فكرة مصورة مزجاة لعاطفة» ويعرض في فصل خاص العناصر الدافعة الى تكوين الادب المقارن ، ثم يعود الى مناقشة تعريف الادب من جديد ، ويرتدي ذلك الى عبد القاهر الجرجاني ، ويفرق بين اللغة العادية واللغة الادبية ، ليعرض بهما للترجمة من لغة الى اخرى ، والصعاب التي تواجه مترجم النص الادبي ، لان لغة الادب ليست الفاظا محددة المعاني ، وانما صور وخروج عن دلالات الالفاظ مفردة ، ولا يكون ادب الا بهذا الخروج ، فايهما نترجم : المعاني الاصلية التي جرت بها الفكرة ، ام المعاني الاصلية التي جرى بها الاسلوب ؟

وبعد ان بين ان الادب المقارن ليس هو الادب المحض ولا تاريخ الادب ، وان ايا من المادتين لاتغني عنه ، وان له منطقة نفوذه الخاصة التي يعمل فيها متاثرا بهما ومؤثرا فيهما ، اخذ يبحث لهذا العلم عن نظرية يقوم عليها ، ورأى ذلك صعبا في علم ناشىء كالادب المقارن ، وانزلق من هذه القضية ليتحدث عن العلمية والذاتية في النقد الادبي ، والاولى تفرض وجود القوانين والثانية تاباها متناولا دور مدام دي ستال في نقدها التوضيحي ، وتقريرها العلاقة بين الادب والحالة الاجتماعية ، ومحاولات



سنتبيف في تحديد الناقد ، ونظرية تين القائمة على السلالةوالبيئةواللحظة ،ونظرية تطور الانواع عند برونتيير ، ونظرية عبد القاهر الجرجاني في الترجمة ، ويطنب في هذه الاخيرة كثيرا ، وتناوله لهذه القضايا عميق وجاد ، وجيد الاستشهاد ، ولكن صلتها بالادب المقارن بعيدة ، ومكانهـــا النقد الادبي الحديث دون جدال .

ويأتي حديثه عن «قوانين التقليد» ومدى تطبيقها على الادب المقارن مقحما ، لان الادب المقارن يعرض للتأثير والتأثر ، وهمــا يختلفان تماما عن التقليد لان هذا ليــد يعوق ، وذلك تمثل يتمي وجاه في حديثه عنه عالة على العالم الاجتماعي الفرنسي تارد في كتابه الضخم عن « قوانين التقليد » ، وهي دراسة تتصل بعلم الاجتماع ، موجهة الى علمائه في المقام الاول ، ومضى يطبــق هذا القانون على تلاقي المدنيتين « تعلو احداهما الاخرى ، فتكون منهما قوية هي الموجبة ، او المعطية ، وتكون منهما ضعيفة هي السالبة او الآخذة » ، وكان هـــذا الفصل ، في مجمله ، اقتباسا من رسالته للدكتوراه وفيها عرض لتلاقي مدنيــــة البطالسة في مصر بمدنية اليونان وتلاقي المدنيتين اليونانية والرومانية ، والعــبرية اليونانية، والفارسية، والعربية، وتحدث عن الاثر الفارسي في الشعر العربي ، وعن دور ابن المقفع ، وما كان يهدف اليه من ترجمة كليلة ودمنة ، وكتـــابيه «» الادب الصغـير » و « الادب الكبير » ، واوجــز غايته في ثلاثة اهداف : نقد الواقع ، والحكم والنصائح ، وسياسة الحكم ، وختم الفصل بالحديث عن تلاقي المدنيتين الغربية والعربية ، في عصرنا الحديث ، وعوامـل التأثير الاوربية منذ حملة نابليون ١٧٩٨-١٨٠١ ، وما ادت اليه من نتائج عـــلى الصعيدين الفكري والثقافي ، وعرض لموقف محمد علي الكبير من المدنية الاوربية، وتتبع الخطوط العريضة لحركة البعثات ، ودور المبعوثين في حركة البعث العــربي بعامة والمصري بخاصة ، ثم انتهى الى ملاحظة بالغة الذكاء ، وهي :

« ان الذين عنوا بتراثهم من اعضـــاء البعثات التي ارسلت الى اوربا منذ فجر النهضة هم الذين تثقفوا قبل طلب العلم باوربا بالثقافة العربية ، وبعبارة اخـــرى هم حملة التقاليد الذين تزودوا بالثقافة الاسلامية القومية قبل سفرهم ، وهم الذين كانوا يشعرون بالميل الى تجديد ادبهم من امثال الشيخ رفاعة ، اما غيرهم فقد اتجهوا اتجاها علميا محضا ، ومع ذلك لم يسلم انتاجهم من الاخطاء ، الا بعد ان عرضوه على ارباب الثقافة العربية ، يصلحون منــه ما اخطأوا فيه ، ويحذفون منه مالا يتفق مع عادات البلاد وتقاليدها ، وكانت البعثـات تضم فريقا ثالثا لايعرف شيئاعن ثقافة بلاده ويعرف اشياء من الثقافة الاوربية ، هـذا الفريق كان من المتمصرين الذين اتخذوا مصر وطنا ثانيا ، ووسعتهم سماحة محمد عـلي ، من امثال : « اسـطفان » و « ادكين » و « حكاكيان » . « هذا الفريق الثاني من المتمصرين لم يترجم كتابا الى العربية ، لانه لايعرفها ، ولم يدل على كتاب من تراثهــا لانه يجهله تمام الجهل ، اما علمه باللغة الاجنبية فكان يستحق التقدير والاعجاب ، لذلك فرحت بهم فرنسا لانهم متصلون بلغتها اتصال ابنائها ، وفرح بهم الحكام لانـهم كانوا بحكم تبعيتهم الاولى لتركيا يعرفون لغتها ، ومع هذه المعرفة باللغتين الفرنسية والتركية لم يكن لهم من الاثر في النهضة ما كان « لرفاعة » و « الرشيدي » و «البقلي» من اعضاء البعثات من « الفلاحين » ، او بعبارة تتفق مع منطوق قانوننا لم يكن لهم

حكاية
فخري أبو السعود

من قبل ثقافة عزيزة عليهم حتى يعملوا على ارجاعها ، كما عمل ابناء العرب من اخوانهم » .

اما الفصل الذي اورده عن العوامل المؤثرة في الادب وهي : الطبيعة ، والبيئة ، والسياسة ، متناولا مظاهر هذه العناصر في الشرق والغرب ، ومدللا عليها من الادب العربي والاداب الاوربية ، فيمكن ان نعدها من النقد المقارن ، ولكنها ليست من الادب المقارن في شيء ، والقول نفسه يصدق على الفصلين القصيرين اللذين جاءا آخر الكتاب عن « العلوم والادب » و « رسالة الادب » . فهما من مباحث النقد الادبي .

ومع ان الكثير من المباحث التي اومانا اليها تجرء على هامش الادب المقارن ، لكن الدكتور ابراهيم سلامة، في سعة معارفه، وفخامة اسلوبه ، وتدفق بيانه ، يمضي بك في كل سطر الى جديد من المعرفة ، او يلقي عليك مفارقات من الفكر ، فلا تحس معه بالملل ، او بانك تقرأ شيئا غير مفيد .

وبينما دار العلوم تدرس وحدها الادب المقارن ، وتعنى به ، وتجاهد في لفت النظر اليه ، اصدر الدكتور نجيب العقيقي كتاب « من الادب المقارن » عام ١٩٤٨ وعنوانه مضلل للغاية ، فليس ثمة صلة بين مضمون الكتاب والادب المقارن من قريب او بعيد ، رغم ان مؤلفه يقتبس كثيرا من الادب الفرنسي ، ويحيلنا في الهامش على اعلامه ، ومع ذلك ليست لدية اية فكرة عن المقارنة وانما يعرض لموضوعات من صميم النقد الادبي، كالشعور، والجمال، والمثال والخيال والالهام والكلام . ويوازن قليلا بين شعراء العرب عندما يعمون على افكار متقاربة ،او اوصاف متشابهة ، وحتى تناوله لقضايا النقد يجري على طريقة القدامى ، ولو انه عرضها باسلوب العصر ، ووشاها ببعض الاسماء الاجنبية ، ونثر بينها ملتقطات من موازين النقد الاجنبي ، والكاتب الذي جهل كيف يضع لكتابه عنوانا مناسبا ، يهدي الى مادته في دقة ، ملاء بالطعن على سابقيه من دراسي الادب .



كان احتفاء الجامعة بدار العلوم عند ضمها اليها كبيراً ، وشملتها بكثير من الرعاية والتقدير ، وتجلي ذلك واضحاً في العديد من البعثات التي خصت بها النابهين من طلابها ، في شتى فروع المعرفة ، وكان نصيب الادب المقارن احدى هذه البعثات ، وهي اول بعثة تخصص لهذا العلم على مستوى العالم العربي كله ، وكانت من نصيب محمد غنيمي هلال ، واختيرت لها جامعة السوربون ، فقد كانت فرنسا،ولاتزال مركز المقارنة العالمية ، وكان المبعوث من خيرة الطلاب ، واقام في فرنسا حتى عام ١٩٥٢ ، تمكن فيها من اللغتين الفرنسية والفارسية تمكنا تاما ، وعرف اللغتين الانجليزية والاسبانية ، وبذلك تمكن من الاداة الاولى للمقارن ، وهي اجادة عدة لغات ، وعندما عاد من الخارج وكلت اليه دار العلوم تدريس الادب المقارن ، الى جانب النقد الادبي الحديث .

وكما هو متوقع منه ، دفع في العام الاول من عودته الى المطبعة بكتابه « الادب المقارن » ، وصدر عام ١٩٥٢ ، ووقفه على تاريخ العلم ومناهج البحث فيه ، في ايجاز غير مخل ، وكسره على قسمين : شرح في الاول منهما معنى الادب المقارن وتاريخ نشأته ، والوضع الحالي لدراسته في اوربا ، والدعوة الى اقرار منهج منظم له بالجامعات المصرية . وخصص القسم الثاني لفروع الدراسات في الادب المقارن وطرق البحث فيها . واتكأ فيه على كتابي فان تيجيم وجويار الفرنسيين ، متمثلا لهما خير تمثيل ، ومضيفا اليهما تجاربه ، في لغة صافية وفكرة واضحة . وكنت اتمنى ان يبقى الكتاب على هذا النحو ، لان المبادىء والمناهج عدة كل مقارن ، اما التطبيق فيختلف ويتعدد ويتطور ، ويجد فيه كل يوم جديد ، وان يجعل تطبيقاته بمنأى عنه ، كما صنع في دراسته : « ليلى والمجنون

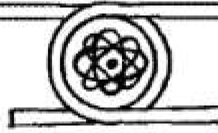
في الادبين العربي والفارسي » ، وتضمنت عنوانا جانبيا : « من مسائل الادب المقارن » وصدرت طبعته الثانية تحمل عنوان: «الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية » ، وصدرت عام ١٩٦٠ ، اما الاول فـكانت بلا تاريخ ولكنها على التأكيد بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٦

غير ان الطبعة الثانية من كتاب « الادب المقارن » ، وما تلاها من طبعات لم تتوقف حتى يومنا - رغم وفاة المؤلف في عنفوان عطائه ، واوج نضجه ـ تختلف تمـاما عن الطبعة الاولى ، ذلك ان المؤلف ، وقد اصدر بعد « الادب المقارن » كتابه الرائع « مدخل الى النقد الادبي » او « النقد الادبي » في طبعة اخرى ، لم يقاوم الرغبة في الافادة من المادة الجديدة التي عاشها ،فاضاف الى الادب المقارن صفحات طوالا ، ومباحث جمة ، هي من صميم النقد الادبي الخالص ، وصلتهـا بالادب المقارن هامشية ، اوليست لها صلة على الاطلاق ، كالحديث عن المذاهب الادبية الكبرى من الكلاسية والرومانسية والواقعية والرمزية» وبقية المذاهب الاخرى» كذلك اقحم عليه موضوعات تطبيقية ، لايتسع لها المجال ، واقحامها في كتاب اوقفه صاحبه على تاريخ العلم ومناهجه مجافاة للمنهـج نفسه اولا ، لانها اصبحت رءوس موضوعات لم يستطع أن يوليها حقها الكافية ، كالموشحات والازجال وتأثيرها في شعر التروبادور ، او التأثير المتبادل في العروض والقافية في الادبين الفارسي والعربي ، او القصة في الاداب الاوربية والعربية وغيرها . ومن هنا فان القارىء غير المختص يتوه في صفحات الكتاب ، ولايدري أيقرأ كتابا يقدم منهجا او تطبيقا يدرس قضية ، وهل هو مع كتاب في الادب المقارن او في النقد الادبي الحديث

كان تأثير الدكتور غنيمي هلال في تحديد مسار الادب المقارن حاسما ، فمعه بدأ علما واستقر منهجا ، واخذ يتناول بعض جوانبه في ابحاث مستقلة ، كالمواقف الادبيـة ، والنماذج البشرية ، وبشر به في المنتديات والكتابة في المجلات ، وبدأت الـكليات الاخرى تحذو نهج دار العلوم فدخل مناهج قسم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة عين شمس ، وكان الدكتور غنيمي نفسـه يتولى تدريسه ، وشـيئا فشيئا دخـل مناهج كل اقسام اللغات العربية فـي كل كليات الاداب ، ولو ان تدريسه فيها ليس بمستوى واحد من الجدية ، لان توفر الاستاذ المتخصص في هذه المادة عسير جدا ووجود الطالب المسلح بخلفية ثقافية متنوعة مستحيل ، ومن هنا فان الاستاذ ، ان وجد يقوم بعمل بالغ الصعوبة ، حتى يوقـف الطلاب على التأثيرات المتبادلة بين الاداب المختلفة وفي احايين كثيرة تفتقده الكليات الطالب والاستاذ على السواء ، ويصـبح الامر مجرد اسم في قائمة الدروس لا يعني شيئا في واقع الحال .

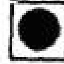
لم يقدم أحد حتى الساعة كتابا في مستوى كتاب الدكتور غنيمي هلال ، وكثرة من مدرسي الادب المقارن تسطو عليـه ، وتقتبس منه ، وينشرونه في مذكرات او كتب وكثيرا مايشوهون فكرته حين يحاولون ان يهزبوا بما حملوا ، وهناك نكتة تتداولها اوساط المثقفين عن عالم الف كتابا في الادب المقارن من جزءين ، اوقف الجزء الاول منهما على شتم الدكتور غنيمي ، وسرق كتابه في الجزء الثاني !

لكن ذلك لايعني ابدا ان ليس في الامكان ابدع مما كان ، فقـد مرت على تأليف الدكتور غنيمي هلال ثلاثون عاما كاملة ظهر فيها جديد ، وتغيرت آراء ، تستحق ان تعرف وان تناقش ، فضلا عن ان الدكتور غنيمي وقف ببحثه عند آراء المدرسـة الفرنسية وحدها ، على حين ان المقـارنة الامريكية لها راى يختلف تماما ، وكذلك الالمان والايطاليين ، ويأمل كاتب هـذه السطور ان يجمع تجربة خمسة عشر عاما مع الادب المقارن ، في كتاب سوف يصـدر قريبا عن دار المعارف ، بعنوان : « الادب المقارن : اصوله وتطوره ومناهجه » ، وان يسهم بجهد جد متواضع ، في دفع حـركة الدكتور غنيمي هلال الى الامام ●



مع العلم الحديث

ثورة فى بطارية السيارة



حلم السيارة التى تستغنى عن البنزين بالكهرباء ، والتى تحمى البشرية من تلوث البيئة الذى تسببه عملية احتراق الوقود .. ذلك الحلم القديم قد اصبح على وشك التحقق ، بعد تذليل العقبة الاساسية التى كانت تقف امام تحقيقه ، اعنى بذلك البطارية القوية الخفيفة التى يمكن ان يعتمد عليهـا فى تسيير السيارة .

فى جامعة بنسلفانيا، اعلن عن اكتشاف خلايا خافة مصنوعة من البوليمرات العضوية الموصلة للكهرباء ، والتى يطلق عليها اسم البلاستيك المعدنى . هذه الخلايا الجديدة يمكن ان توفر عشرة اضعاف الطاقة التى توفرها البطاريات الحالية ، بالاضافة الى انها لا تحتاج الى اى نوع من الصيانة فى عملها . كما ان البطارية المصنوعة من هذه المادة يمكن ان يعاد شحنها الف مرة .

والمادة الجديدة لها ميزة اخرى ، فانها تسمح بتشكيل البطارية فى اشكال مرنة، كان تكون على صورة الواح ، يسهل توزيعها فى انحاء السيارة ، فى السقف والابواب ، بحيث تزود السيارة بالعدد الكافى من الالواح التى تحتاجه السيارة فى عملها . والبطاريات المصنوعة من البلاستيك المعدنى تكون مأمونة الجانب فى حالة تصادم السيارة ، لا تتسرب منها اية ابخرة او مواد كيميائية ضارة .

يقول العالم الكيميائى آلان ماكديارميد احد الذين اكتشفوا البوليمرات الموصلة للكهرباء .. لقد كانت السيارة الكهربائية فى انتظار بطارية المستقبل .. وكانت المشكلة تتركز فى وزن البطاريات اللازمة، اما بطارية البلاستيك فهى خفيفة جداً ..!!

كما يقول العالم الان هيجر احد المشاركين فى ابحاث البطارية الجديدة ، ان تركيب البلاستيك المعدنى شبيه بتركيب البلاستيك العادى ، وان كان له شكل المعدن ،بالاضافة الى القدرة على توصيل الكهرباء بنفس كفاءة الرصاص المستخدم حاليا . وعلى عكس الحال فى البطارية القديمة ، يمكن للبطارية الجديدة المشحونة ان تترك لازمان طويلة دون ان تطرأ عليها اى تغييرات كيميائية ، تسرب مخزونها من الكهرباء .

والبطارية الجديدة لن يقتصر استخدامها على السيارات ، بل ستحل محل البطاريات الحالية فى كافة الاستخدامات المتباينة ، نظرا لقوتها ورخص ثمنها . والشركة التى حصلت على حق استغلال هذا الاكتشاف الجديد ، تتوقع ان تظهر هذه البطاريات فى الاسواق خلال السنوات العشر القادمة .



أنثى النحل وزعيم القبيلة الهنــــدية



ما الذى يمكن أن يجمع بين أنثى النحــل . وزعيم قبيــلة كراو الهندية ؟ ..

هذا هو السؤال الذى يطرحه جــون هارتنج استاذ علم دراسة المجتمعــات البشرية فى جامعة هارفارد . وهو يقول ان أنثى النحل تحرص على رعاية شقيقاتهــا الصغار أكثر من حرصها على رعاية نسلها الخاص ، وكذلك يفعل زعماء قبائل كراو الهندية الذين يورثون كل ممتلكاتهــم لابناء الاخت ولا يتركون لابنائهم شيئا . ويقول هارتنج ان مبدا انتخاب الانساب من المبادىء الشائعة فى عالم الحشرات ، الا انها المرة الاول التى يرى تطبيقا له بين البشر .

النظريات الحديثة فى التوالد تقول ان كل كائن يحاول أن يضمن انتقال اكبر قدر من عناصره الوراثية « جيناته » الى الجيل التالى . وعادة ما يتحقق هذا من خلال الابناء الا انه فى حالات نادرة ، تكون علاقة الكائن الحى بأبنائه اضعف من علاقتــــه ببعض اقربائه .

من نماذج هذه الندرة اناث النحــــل ، فلاسباب خاصة فى نظام انجابها تشترك النحلة مع أختهــــا فى ٧٥ فى المائة من الجينات ، بينما لا تشترك مع ابنتها فى اكثر من ٥٠ فى المائةمن الجينات . ومن عجائب الطبيعة انالنحلة تبدو وكانها تدرك هــذه الحقيقة فتحرص على حياة شقيقاتها وتهتم بتغذيتها ، أكثر مما تهتم بابنائها .

ويقول الاستاذ هارتنج انه من الغريب أن يسود هذا المنطق بعض البشر ، كمــا هو الحال فى قبائل كراو الهندية التى تسكن جزائر كروبريانه ، فيحكم تقــاليد وراثة الممتلكات بينهم . ونساء هذه القبــائل يتمتعن بحرية جنسية واسعة رغم روابط الزواج فلا تجد المرأة ما يمنعها منانشاء علاقات خارج اطار علاقتها الزوجية ، خاصة وان الأزواج لا يعارضون هذا . الا أن هذا الوضع يجعل من الصعب على الزوج ان يتأكد بشكل قاطع من ان الاطفال الذين يرعاهم هم من سلالته هو .

ويقول الاستاذ هارتنج ان الرجل منهذه القبائل يتصرف وكأنه يستطيع اجراءحساب معقد لاحتمالات المشاركة فى الجينات ،ولهذا فهو يختار ورثته من ابناء اخته ، وحقيقة الامر انه بهذا يختار من هم بالتاكيــــد يشاركونه فى خصائصه الوراثية بأكبــر قدر مضمون .



اشجار بلاستيك لنقار الخشب

يميل طائر نقار الخشب الى حفر عشه في خشب الاشجار الميتة ، التي تكون جذوعها متحللة وهشة وهو بهذا يسبب مشكلة لرجال حماية الغابات الذين يقومون بين الحين والاخر بقطع هذه الاشجار الميتة ، حتى يمكن افساح المكان لاستنبات اشجار جديدة . وبهذا يضطرون طائر نقار الخشب الى البحث عن اماكن اخرى .

ونقار الخشب من الطيور النافعة ، فهو يتغذى على حشرات الخشب وبذلك يعمد الى الحد من انتشارها . فاذا اضطرت طيور نقار الخشب الى الهجرة من الغابة ، تكاثرت الحشرات التي تعيش على لحاء الخشب ، وانتقلت من الغابة الى المدن القريبة لتمارس مهمتها التخريبية في اثاثات المنازل .

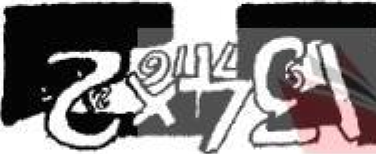
لمواجهة هذه المشكلة قامت مجموعة البحث من جامعة ولاية اوهايو باجراء تجربة لتشجيع طائر نقار الخشب على البقاء في الغابة . وكانت التجربة تقتضي اقامة ٥٠ شجرة من البلاستيك اللين الشبيه بالاسفنج ارتفاع كل منها ثلاثة امتار ، وذلك قبل البدء في قطع الاشجار الميتة ، حتى يلجأ اليها نقار الخشب كبديل للاشجار المقطوعة

وجد الباحثون ان طائر نقار الخشب قد جازت عليه الحيلة ، فبعد عدة اشهر كان يحتل حوالى ٨٠ في المائة من حيز الاشجار الصناعية ذات الكساء البني اللون ، وينقر في جذوع الاشجار لبناء اعشاش جديدة .

الا ان طائر نقار الخشب ما لبث ان انصرف عن هذه الاشجار ، ويعتقد العلماء ان السر في انصرافه عن هذه الاشجار ، هو انها لم تصدر ذلك الرنين المعتاد الذي الفه نقار الخشب عندما ينقرها بمنقاره .

وينصرف جهد العلماء حاليا الى اضافة قشرة من خامة رنانة حول جذع الشجرة الصناعية ، حتى يقتنع نقار الخشب ببناء عشه فيها .

عندما تخطىء الآلة الحاسبة



الثابت ان الآلة الحاسبة يمكن ان تخطىء .. والسؤال المطروح : هل نستطيع ان نكتشف هذا الخطأ اثناء استخداماتنا الكثيرة الواسعة للالات الحاسبة ؟ .. هل نثق بالآلة الحاسبة اكثر مما نثق بانفسنا ؟

الاستاذ روبرت رايز الاخصائي في تدريس الرياضيات ، يرى أننا اصبحنا اسرى الآلة الحاسبة نتقبل ما تقدمه من نتائج دون ادنى شك او تساؤل ، لاننا فقدنا القدرة على اجراء التقديرات التقريبية للعمليات الحسابية ، التي تفيدنا في مراجعة العمليات التي تقوم بها الآلة الحاسبة . وهو يقول « اعترف ان الآلة الحاسبة وجدت لكي نعتمد عليها ، ولكي نستغني بها عن عناء تدريس القسمة المطولة مثلا .. لكن يجب ان نستعيض عن ذلك العناد بتعليم التلاميذ

كيف يقومون بجهد عقلي في اجراء التقديرات التقريبية التي يختبرون بها نتائج الالة الحاسبة » .

وقد توصل رايز الى هذا بعد الاختبارات التي اجراها على مجموعة من الاشخاص على اجراء تقدير تقريبي لعملية حسابية بسيطة مثل مجموع الكسرين ١٣/١٢ ، ٨/٧ والذي يقرب من ٢ .

الذين يبلغون من العمر ١٣ سنة اعطوا الاجابة الصحيحة بنسبة ٢٤ في المائة ، والذين يبلغون من العمر ١٧ سنة اعطوا الاجابة الصحيحة بنسبة ٣٧ في المائة .. والذين اخطأوا في التقدير كان قدر الخطأ عندهم كبيرا ، كان يقولوا ١٩ او ٢٠ .

الجانب الهام في هذه التجربة هو ما اثبت به رايز انه حتى القادرين على اعطاء نتائج تقريبية سليمة ، كثيرا ما يشكون في تقديراتهم هذه ، اذا ما اعطت الالة نتيجة خاطئة تختلف عن تقديراتهم .

في هذا المجال قدم رايز ٧ مسائل حسابية ، وكان على كل شخص ان يدون تقديره التقريبي لكل مسألة . ثم اعطى لكل منهم آلة حاسبة لاستخراج النتيجة الدقيقة لكل مسألة . وكانت الالات الحاسبة التي قدمها ، قد سبق برمجتها بحيث تعطي اجابات خاطئة في حدود ١٠ في المائة بالنسبة للمسائل الثلاث الاولى ، وفي حدود ٢٥ في المائة للمسألتين الرابعة والخامسة ، وفي حدود ٥٠ في المائة للمسألتين السادسة والسابعة .

وكانت النتيجة ان النسبة العظمى ممن اجريت عليهم التجربة ، شكوا في اجاباتهم الصحيحة لمجرد اختلافها عما اعطته الالة الحاسبة . وبهذا ، فقد وضع الاستاذ رايز منهجا لتدريس الحساب التقديري للمسائل ، يمكن ان يدخل في منهج الدراسة للتلاميذ .

الامثال الشائعة وأمراض القلب

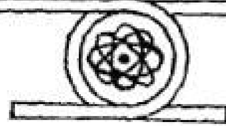
● هل يتأثر القلب بنوع الامثال الشائعة التي نعتاد على ترديدها ؟ دراسة اخيرة تقول ان الذين يرددون المثل الشعبي « اللي سبق أكل النبق » وغيره من الامثال التي تحض على الاسراع للحاق بالفرص ، يكونون اكثر تعرضا لامراض القلب .

يقول العالم النفساني ليو روتان ان المثل الذي تردده هو عبارة عن فلسفة مضغوطة ، او فلسفة جيب ، تؤثر على مجرى حياتنا جسمانيا ونفسيا . لذا ، فقد قام بدراسة واسعة حول اثر الامثال الشائعة على صحة من يرددونها .

جرت الدراسة على عدد من الرجال تتراوح اعمارهم بين ٣٠ و ٧٠ سنة ، وكان هدفها معرفة مدى الارتباط بين ترديد امثال شائعة معينة وامراض الجهاز الدوري . بعض الذين جرت عليهم الدراسة كانوا يعانون من امراض القلب ، بينما كان الباقي من الاصحاء .

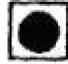
وجد روتان ان الذين عانوا من ازمات قلبية ، اعتاد ٨٠ في المائة منهم على ترديد الامثال التي تحض على الدأب والتفاني وبذل المزيد من الجهد في العمل ، والاصرار على تحقيق النجاح . وعلى العكس من ذلك وجد ان الاصحاء ممن لم تسبق اصابتهم باي مرض من امراض القلب قد اعتادوا على ترديد الامثال التي تحض على اخذ الحياة بيسر وسهولة ، والتي تنادي بالتاني في السعي للحصول على المكاسب .

يقول روتان .. ان المثير في هذه النتائج انها تساعد في تحديد الاشخاص الذين يمكن



ان يتعرضوا لامراض القلب مستقبلا ...
ويرى ان الذين يكثرون من ترديد الامثال التي تحض على السعي الدءوب يجب ان يوضعوا تحت الملاحظة الطبية الدقيقة ، اكثر من اولئك الذين يرددون الامثال التي تحض على اخذ الحياة بيسر وسهولة .
وينادي الدكتور روتان في نهاية حديثه بان يراعي الاباء عدم ترديد الامثال الضارة بصحة الاطفال حتى لا يلتقطونها منهم .كما يدعو الى حملة تخلص الكبار من اثر هذه الامثال التي زرعت في عقولهم منذ الصغر .

البن يبدل فصيلة الدم



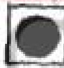
بعض الانزيمات المستخلصة من حبوب البن يمكنها ان تغير فصيلة الدم من الفصيلة « ب » الى الفصيلة « او » ، دون ان تتأثر وظائف الدم بعد تغيير فصيلته . هذا ما اكتشفه عالم الكيمياء الحيوية جاك جولديشتين ، والذي يعمل في مركز الدم بمدينة نيويورك .

ورموز فصائل الدم المختلفة مثل « ا » و « ب » و « او » تشير الى التركيب الخاص للغلاف الخارجي لخلية الدم الحمراء . وقد اكتشف جولديشتين ان احد الانزيمات التي استخرجها من حبوب البن تزيح القشرة الخارجية لخلية الدم من فصيلة «ب» فتكشف عناصر الخلية ، مما يحولها الى خلية دم حمراء من فصيلة « او » .

وقد اجرى العالم الامريكي تجاربه على الخلايا التي تم تحويلها الى فصيلة « او » فوجدها تؤدي جميع الوظائف الحيوية التي تؤديها الخلية الأصلية من فصيلة « او » .

تكمن اهمية هذا الاكتشاف في انه يوفر لبنوك الدم وفرة من الامدادات التي تحتفظ بها . فمن المعروف ان الطلب على الدم من فصيلة « او » يكون كبيرا ، وان بنوك الدم كثيرا ما تعدم كميات دم من فصيلة « ب » لا تحتاج اليها ، ومضى زمن صلاحيتها للاستعمال . ووفقا لهذا الاكتشاف ، يمكن لبنوك الدم ان تحول فائض الدم من فصيلة « ب » الى فصيلة « او » لاستخدامه .

بكتيريا من الارض تعيش على القمر

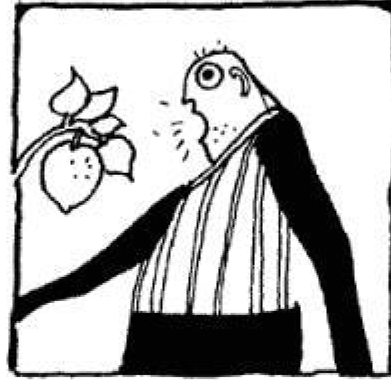


استطاعت بكتيريا من الارض ان تعيش في ظل الظروف الغريبة عليها فوق سطح القمر من ابريل ١٩٦٧ وحتى نوفمبر ١٩٦٩ .

فقد جاء في احد تقارير وكالة الفضاء الامريكية « ناسا » ان رواد الفضاء في السفينة الفضائية ابوللو ١٢ عادوا من القمر بآلة تصوير تليفزيوني ، كانت سفينة الفضاء سيرفييور ٣ ، قد وضعتها على سطح القمر قبل ذلك بحوالي سنتين ونصف .

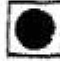
عندما عادت آلة التصوير الى الارض ، اكتشف العلماء اثناء عملية تنظيفها ، مادة رغوية محبوسة بين اجزائها . وعندما تم عزل هذه المادة ، ووضعها في مزرعة ، نما في هذه المزرعة نوع من البكتيريا الارضية .

ويرجع العلماء ان هذه البكتيريا كانت موجودة داخل سفينة الفضاء سيرفييور ٣ قبل اقلاعها من الارض عام ١٩٦٧ .



الطريف ان هذا العلاج ، يلجأ الى ما يشبهه سقاة الخمر فى الحانات عندما يصاب السكارى بالفواق .

الجحيم فوق زحل

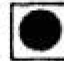


الذين يفكرون فى الحياة فوق كواكب مجموعتنا الشمسية ،يجب عليهم ان يستبعدوا كوكب زحل من حساباتهم .

ثبت ان سرعة الرياح عند خط الاستواء فى ذلك الكوكب تصل الى حوالى الف ميل فى الساعة . ولكى تعرف معنى هذا الرقم تكفى الاشارة الى ان اقسى الاعاصير التى مرت فوق سطح الارض كانت سرعة رياحه لا تتجاوز ٢٨٠ ميلا فى الساعة ●



علاج جديد للزغطة



تم اكتشاف طريقة جديدة لعلاج الفواق « الزغطة » ، وقد نجحت هذه الطريقة بنسبة ٨٨ فى المائة .

عند حدوث حالة الزغطة المتكررة التى لا تتوقف ، يقتضى العلاج الجديد اسراع الشخص باكل قلب ليمونة ، أى دون قشرها ، بعد ان يكون قد تم نقع قلب الليمونة فى مادة خاصة تسمى انجستورا بيتر .

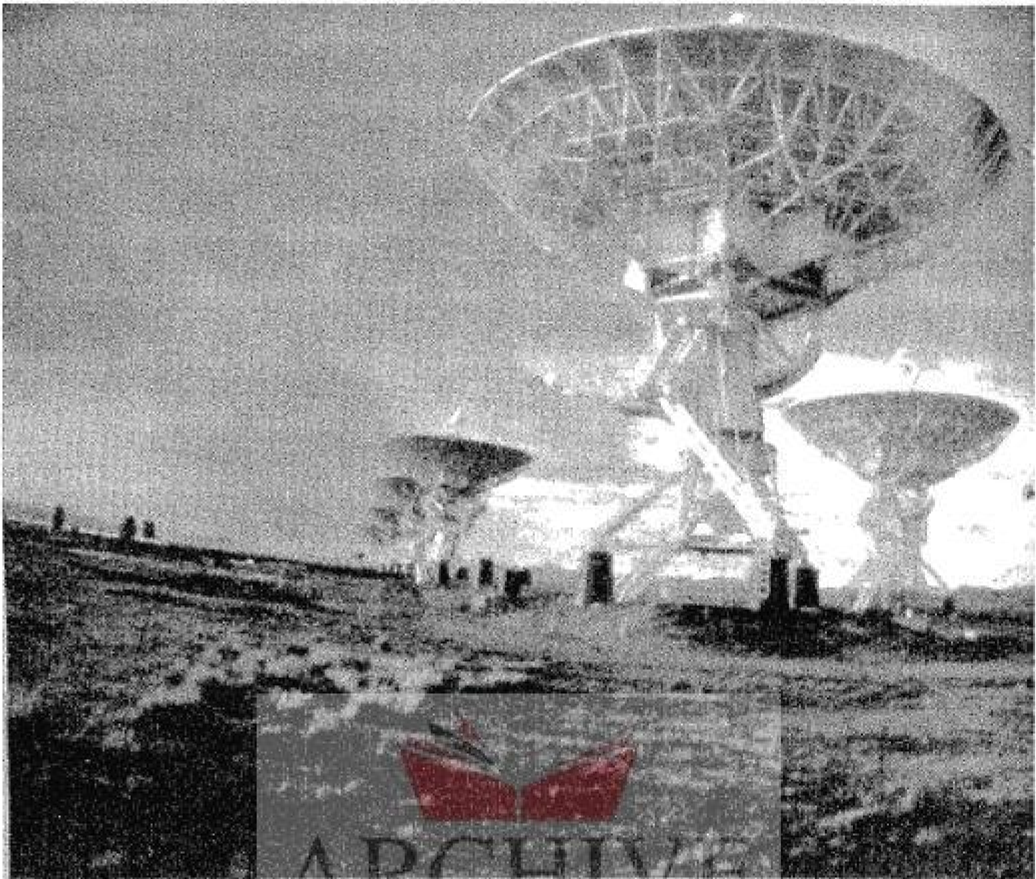
هذا العلاج يوقف الفواق لمدة ساعتين على الاقل ، ويبدأ اثره بعد دقيقة واحدة من تناول العلاج .



محطة رصد تحمل جوا بالطائرات

أطلقوا عليها: معارك «ضد الضد» ووصفوها بأنها معارك فيما وراء الأفق - وهى فى الحقيقة معركة حتمية لابد منها لجميع الدول - كما هى أيضا معركة لا تنتهى أبدا بمهزوم ومنتصر، أو بتوقف اطلاق النيران او بانتهاء الحرب !

● انها معركة ذات طابع علمى تستمر فى السلم والحرب معا، تضاف اليها بين فترات قصيرة متجددة نظم الكترونية مضادة لالكترونات مطبقة على الواقع وتكنولوجيا أكثر فعالية ، حتى أصبحوا فى أسلحة الدفاع الجوى بالدول الكبرى والصغرى أيضا، يستخدمون الآن أجهزة مالكة لحواس الشم الادمى ، والسمع، الى جانب كاميرات الرصد متعددة



محطات الاتصالات والاستقبال ومسح طبقات الجو العليا

العدسات فى محطات التفتيش الدائم عبر طبقات الجو العليا وانحاء الارض – المحطات المعروفة بالانذار المبكر – المحمولة جوا ، والثابتة والمتحركة حول الاوطان.

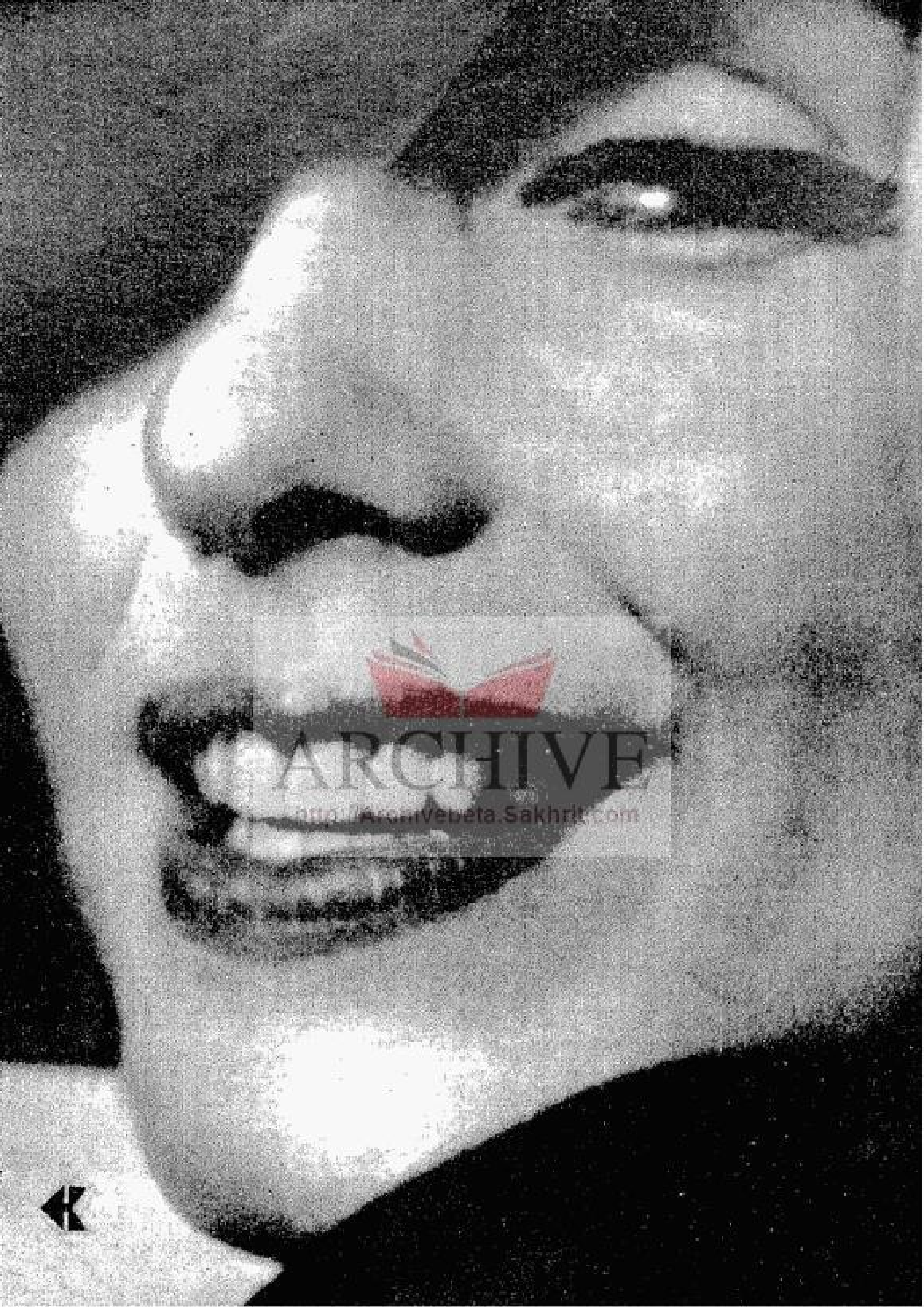
● ان معارك الرصد والانذار تأخذ شكل المهام المتجددة باستمرار .. معركة ضد الضد، او معركة كل يوم ذات الالف وجه ومجساتها الالكترونية التى تستخدم حواس الانسان ، كما أخذ الخبراء يعملون الان على تجاوز حواس « الشم » القويه لدى بعض الحيوانات كالكلاب مثلا فمعارك حماية اجواء الاوطان اصبحت تستخدم الان هذه الحاسة فى مجالات الانذار المبكر .

حمدى لطفى

تحطمت أساطير النجوم

بقلم : عبد النور خليل

●● الدكتور احمد امين ، رحمه الله ، كان يسمى الهوس بنجوم السينما ((العشق النجمى)) .. ومنذ ايام حلت الذكرى العشرين لرحيل فاتنة السينما مارلين مونرو - قتيلة او منتحرة - ولقد كانت مارلين آخر ((نجوم الظهر)) الذين احاطت بهم الاساطير ، وتحطمت اسطورة الهوس والعشق التى كانت تخلقها وتغذيها مكاتب الدعاية ووكلاء النجوم ومديرو اعمالهم ورعايتهم .. لم يعد هناك نجم أسطورى ، ولم تعد هناك نجمة يعشقها ملايين الشباب والرجال فى العالم ، ولم يعد الامر يزيد على نجمة لفيلم واحد او عام واحد .. ●●




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





بيالي دارو . قادمة بفيلم واحد هو « الفراشة » لتحل محل بريجيت باردو روبن شيروود « على الصفحة المقابلة »



في منتصف الشهر الماضي اكتملت عشرون عاما على رحيل ماريلين مونرو .. ورغم هذه السنين لم تستطع نجمة غيرها ، من نجوم هوليود ، ان تكون معبودة جماهير او عشاق السينما في العالم . بل ان رحيل ماريلين مونرو عن عالمنا ـ منتحرة أو قتيلة ـ قد انهى بكل تأكيد نظرية « نجم الشباك » والاساطير التي كانت اقسام الدعاية في شركات السينما ومديرو دعاية النجوم الخصوصيون يختلقونها ويروجون لها لكي تحيط باسم النجم او النجمة هالة تجعله او تجعلها محط انظار العالم ، ومعقد احلام المراهقين والمراهقات .

كانت ماريلين مونرو ، الحلقة الاخيرة ، في قصص « عشق النجوم » الذي ارتبط

تحطمت أساطير النجوم

باسماء عديدة منذ نشأة السينما وتطورها وطغيانها على كل ماعداها من فنون اخرى .. اسماء كلارا بو وجيد هارلو وماريلين ديتريش وماى وست وريتا هيوارث ولانا تيرنر وآفا جاردنر واليزابيث تايلور وعشرات من النجوم الرجال مثل رودلف فالينتينو وكلارك جيبل وتايرون باور وروبرت تايلور وجيمس دين ومارلون براندو ومونتجمرى كليفت والفيس بريسلى والان لاد .

كانت ماريلين مونرو ، كما كان جيمس دين ، هما نهاية اسطورة « نجم الشباك » وكانت هذه النهاية ايذانا بان تهوى نجوم اخرى وتحترق كالشهب ، لا فى هوليود وحدها ، بل عبر المحيط فى السينما الاوربية ، التى نافست وساهمت فى نظرية نجم الشباك الى حد بعيد .. كانت السينما الايطالية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية قد استطاعت ان تسرق اعجاب جماهير السينما لنجمتين كبيرتين هما جينا لولو بريجيدا وصوفيا لورين وقفت بعدهما كلوديا كاردينال ، واستطاعت السينما الفرنسية باسلوبها المتجدد ان تدفع الى المجال بممثلة جديدة هى بريجيت باردو ، اعتبرها الجنرال ديجول ذات يوم اهم ماتصدره فرنسا الى العالم .. وساهمت بريجيت باردو فى السينما الفرنسية على خريطة العالم ، وبزت بريجيت كلا من جينا لولو وصوفيا وكلوديا حتى اصبحت النجمة الاوربية الوحيدة التى وقفت على قدم المساواة مع ماريلين مونرو

• عشق النجوم •

وعلى الرغم من انقضاء عشرين عاما على رحيل ماريلين مونرو ، فاننا نجد انها لاتزال تشغل اذهان الناس فى العالم ، فلا تكاد مجلة عالمية تخلو من حديث عن هذه الذكرى والاسرار التى احاطت بها ، بل ان هناك من بين عشاق ماريلين من ينفق وقته وجهده فى جمع نسخ افلامها واقاصيص ملايين الصور والمقالات وافيشات الافلام والكتب التى كانت تتناول حياتها او عملها .. وهذا العشق مازال باقيا فى نفوس جمهرة وفية لهؤلاء النجوم الذين رحلوا يحملون اطنان الزهور يلقونها فوق شواهد ونصب مدافنهم المرمرية فى مقبرة النجوم فى بيفرلى

تمثال من النايلون للفاتنة ماريلين مع رئيس جمعية عشاقها





هيلز ضاحية هوليود فى ذكرى رحيلهم ، بل ان من بين هؤلاء العاشقين عاشقة لتايرون باور ، ظلت على امتداد العشرين سنة الماضية تذهب الى مقبرته مجللة بالسواد ، وتقيم طقوس الحداد كل عام بلا انقطاع .

وعلى الرغم من ابتعاد بريجيت باردو عن السينما واعلانها اعتزال العمل منذ عام ١٩٧٣ فهى مضطرة الى كهربة اسوار قصرها فى سان تروبيز واستئجار الحراس الخصوصيين لابعاد العشاق والمعجبين والمهووسين عن الاسوار، بل انها لاتستطيع الان الظهور على بلاج سان تروبيز او التردد على مطاعم البلدة الصغيرة فى حضن الريفييرا الفرنسية دون حماية حرسها الخاص ... وما يحدث لبريجيت يحدث لجينا لولو على الرغم من تحولها من التمثيل الى احتراف مهنة التمثيل ولصوفيا لورين وغيرها ممن لازلن محط « عشق » رواد السينما .

● فاتنات على الارض ●

اختلفت الصورة تماما .. لم تعد « نجوم الظهر » من فاتنات السينما يتنقلن بسحب من الاساطير .. ولم يعد « عشق النجوم » اسلوبا لائقا بعصر الفضاء والصعود الى القمر والدوران حول الكواكب .. واصبح « العشق الارضى » او عشق « الفتنة » التى تدب على قدمين هو الشىء الذى يقنع رواد السينما فى العالم .. ولهذا اتجهت السينما الى الواقع والتصقت بالارض ، ولم تعد تهتم بان تروج الاساطير او تبنى اسما من الاسماء تحتكره او تستثمره كالدجاجة التى تبيض الذهب .. بل اننا نستطيع القول بان القصة

● مارلين مونرو كانت آخر الفاتنات من "نجوم الظهر"

او الموضوع السينمائى اصبح هو الاصل واصبحت براعة المخرج وفطنته وسمعته عند الناس هى « البضاعة » التى تروجها السينما .. يقينا قد طرا تطور ضخم على القصص التقليدية التى تتناسب ومواهب النجوم الكبار ، وفرض النصف الاخير من القرن العشرين على الفيلم السينمائى ـ فى هوليود وفى غيرها من عواصم السينما فى العالم ـ كل احزانه وكل قسوته المادية وانهياراته الاخلاقية ، ومشاكله الاجتماعية المرتبطة بسلوك الشباب وتحطم المثل ، وشيوع الرذيلة والضياع فى عالم مليء باسباب الضياع ، فرض ماديته فى قسوة ضارية على ماتنتجه السينما من افلام .. ومن هنا كان من الضرورى ان يختفى العشق الساذج الذى يتصور فيه العاشق محبوبته كملاك باجنحة نورانية .

ومن هنا ، تخلق السينما كل يوم ما يمكن ان نسميه « بطلة الفيلم الواحد » او « نجمة العام الواحد » التى يرتبط نجاحها السينمائى بفيلم او فيلمين على الاكثر ، ثم


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لونى اندرسون « على الصفحة المقابلة » سفراء للسينماوليندا ى جراى نجمة مسلسل « دلاس ».

تمضي لتترك المكان لوافدة جديدة غيرها ، أكثر فتنة ، وأكثر اغراء او اكثر قدرة على ابهار ملايين المراهقين والمراهقات فى العالم .. ملايين تتغير اهتماماتهم ومثلهم ومبادئهم اذا كانت عندهم مبادىء يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر .. وما يحبه الواحد منهم اليوم من ممثلة جديدة شابة ،ينصرف عنه غدا ..

وقد ساعد التليفزيون بشعبيته الطاغية فى العالم ، وواقعيته التى تتمثل فى نقل الحوادث والاحداث من أطراف العالم الى الجالس امام شاشته ، فى ان يطعم نظرية « النجوم » وأساطيرهن .. بل انه بما يقدم من مسلسلات روائية خيالية مثل « رجل بستة ملايين دولار » و « الرجل الأخضر » و « رجل من الاطلنطيق » وخلقه نجوما مثل « ستيف أوستن » أوسواه ،او مسلسلات تعتمد على نقل السلوكيات الاجتماعية المرتبطة بطغيان المادة وسقوط المثل يخلق أبطالا مثل « ج . آر » و « سو آلين » فى مسلسل « دالاس » او ماشابهه من مسلسلات .

تحطمت أساطير النجوم

• مئات من الساحرات •

لايمكن ، مع هذا السيل الجارف ، من الافلام السينمائية ومسلسلات التليفزيون الفيلمية حصر كل الوافدات الجدد من الفتيات الجميلات الفاتنات على الشاشة فى السينما والتليفزيون .. وكما قلت قد تنجح واحدة منهن فى فيلم او اثنين فتثير زوبعة عالمية لمدة وجيزة ، ثم تختفى دون ان تترك اثرا .. وكلنا يذكر تلك الضجة العالمية التى احاطت بظهور النجمين جون ترافولتا واوليفيا نيوتن جون بعد فيلمهما «حمى ليلة السبت» وكان من آثار هذا «الهوس» بين الشباب بهما معا ان جمعت السينما بينهما مرة اخرى فى فيلم «جريس» لكن الضجة لم تستمر طويلا ، ولان الشباب كما قلت ملول سريع الانصراف كطبيعة العصر نفسه، اتخفضت بسرعة اسهم ترافولتا واوليفيا نيوتن جون ، وعندما بدا المخرج الذى قدم ترافولتا واوليفيا فى فيلم «جريس» يستعد لاخراج الجزء الثانى منه تحت اسم «جريس ٢» اقام مسابقة لاختيار نجمة جديدة ونجم جديد يستعيض بهما عن ترافولتا واوليفيا .. واختار فعلا وجهين جديدين .. الفتاة هى ميشيل بيفناار والفتى هو ماكسويل كولفيلد .. وما أصاب ترافولتا واوليفيا اصاب كثيرين وكثيرات غيرهما من نجوم السينما والتليفزيون .. من الشبان والشابات الجدد .. فعندما قدم رومان بولانسكى لاول مرة الممثلة الالمانية الشابة نيستاسيا كينسكى بطلة لفيلم «تيس» صاحبت ظهورها ضجة عالمية استمرت عامين منذ بدء تصوير الفيلم وحتى نهاية عرضه ، ثم تخافتت الضجة حول النجمة الجديدة ، وتخلى عنها بولانسكى فانتقلت الى روما لكى تبحث عن فرصة جديدة ، واتيح لها الظهور امام مارشيللو ماشيروياني قبل ان يختارها المخرج فرانسيس كبولا لفيلم يصوره فى هوليود ، لكن الحماس لها قل وبدات تظهر اخريات على السطح .. بيازدارو التى مثلت فيلما واحدا هو «الفراشة» طافت به هى وزوجها المليونير السمسار ريسكليس مهرجانات العالم ، فقط لكى تثبت انها يمكن ان تكون بديلة لنجمة الاغراء الفرنسية بريجيت باردو ، لكنها اضطرت ان تكون نجمة فضائح ، كما تفعل اى ممثلة جديدة تبحث عن الشهرة ، وتقف امام المصورين بلا ثياب فى مهرجان كان الاخير .. وتحاول امريكا الان ان تجتذب الى الاضواء ابنة ممثلة الاغراء السابقة جين مانسفيلد واسمها ماريسكا هارجيتاى وقد اتمت ثمانية عشر

كريستينا وابونن سويدية غزت هوليود لتمثل حياة « جاربو ».



وبيعا وانتخبت ملكة للجمال في بيفرلي هيلز ضاحية النجوم في هوليود وتنوى ان تنافس هذا العام على لقب ملكة جمال العالم ... تحاول هوليود ان تفرش امام ماريسكا طريقا مفروشا بالورود لتغرى الفتاة الجميلة الفاتنة ، بان تسلك نفس الطريق الذى سلكته امها كنجمة اغراء .

● حتى الموهوبات .. قلة ●

ومن الممثلات الجدد احيانا بعض الموهوبات .. اللواتي يتمتعن فعلا بموهبة حقيقية .. وقد يحدث ان تثبت ممثلة جديدة جدارتها وموهبتها في التليفزيون وتكتسب لنفسها شعبية بعد جهد وافر ، فتنتقل الى السينما في النهاية فاما ان تستمر استمرارا بطيئا واما ان تحيط بها هالة ضخمة من الدعاية والاثارة مثلما حدث مع نجمة الاغراء الامريكية فرح فاوشيت التى انتهت الى مجرد نجمة يستغل اسمها لترويج « شامبو » الشعر .. ومن النماذج الموهوبة فعلا ، التى استطاعت ان تخط لنفسها طريقا في السينما بعد النجاح التليفزيونى .. جاكلين سميث التى مثلت اخيرا حياة جاكلين كيندى في فيلم يعرض الان عرضا عالميا ، وكانت قد بدات مع فرح فاوشيت في المسلسل التليفزيونى « ملائكة شارلى » .. ومن هذا النوع الموهوب الممثلة الجديدة لويز ارانو .. بل هى ابرز الوافدات الفاتنات الجدد منذ ظهرت امام جين فوندا وروبرت ردفورد في فيلم « الفارس الاليكترونى » ثم مثلت دور البطولة المطلقة في فيلمين كبيرين امام روجر مور وبيرت رينولدز ثم امام بو بريدجز ..



● بريجيت باردو تبعد العشاق بكهربة أسوار فيللتها في "سان تروبيز"

و« سوالين او « زوجة ج . آر » في مسلسل « دلاس » اسمها ليندا جراى تبدأ هى الاخرى بعد الشهرة التى حققتها داخل امريكا وخارجها ، تجربة سينمائية قد تحملها الى القمة .. وحملت الممثلة السويدية الجديدة كريستينا وايبورن لقب « فتاة جيمس بوند ٨٢ » اكتشفها في الاصل المخرج السويدى الكبير انجمار برجمان ورشحها لتمثل دور جريتا جاربو في مسلسل تليفزيونى امريكى اكتسب لها شهرة عند المشاهدين ، رشحتها لان تقف نجمة امام روجر مور في احدث افلام جيمس بوند .

وتقف وراء الممثلة الشابة لونى اندرسون مجموعة من الادوار في افلام مثل « لاترسل لى زهورا » و « اى اربعاء » و « الموهشة » و « الحياة السرية لوالتر ويتى » و « كان كان » .. ولونى شقراء يرشحونها لتكون خليفة لماريلين مونرو او جين مانسفيلد لكن لا اتصور انها يمكن ان تعيد آية اساطير مما دارت حول كلتيهما .

تحطمت أساطير النجوم



اليانورا جيورجى الايناليمولوبز ارانو ((على الصفحة المقابلة)) بطلتا امام ماستروياني وجين فوندا .

وعندما نجح فيلم شارلز برونسون « حادثة الموت » ذلك النجاح الذى اغرى منتجيه أن ينتجوا جزءا ثانيا منه ، فازت بدور البطولة امام شارلز برونسون الممثلة الشابة روبين شيروود .. انها فتاة شاطىء تملك بيتا عل الشاطىء وتشبه سمكة تعيش فى الماء .. ورشحها للشهرة مشهد واحد .. مشهد الاغتصاب الذى تتعرض له عل يدى برونسون .

وعلى الجانب الاخر ايضا .. فى بلاد جينا لولو وصوفيا وكلوديا .. تجدد السينما وجهها الذى تطل عل الناس به .. هناك اليانورا فالونى بنت الممثل الكبير راف فالونى وارنيلا موتى واليانورا جيورجى التى قدمتها ليليانا كفانى نجمة امام مارشيللو ماستروياني «خلف الابواب» الذى صور فى مراكش ●



موسم المسرح الفرنسي ٨٢

- جزيرة .. يتحول فيها السادة إلى عبيد والعبيد إلى سادة
- جاك لاسال : العجوز يحب المراهقة في قرية

● الصيف في فرنسا موسم المسرح، وعادة يبدأ الموسم بحدثين بالغي الاهمية .. ففي اعقاب انتهاء مهرجان كان السينمائي الدولي عادة يبدأ - في الاسبوع الاول من يونيو - مهرجان مسرحي في المدينة التي اصبحت علما على الريفييرا الفرنسية هو مهرجان « مسرح المقهى » .. وهو مهرجان لفرق الهواة التي تتخذ من جمهور رواد « المقاهي الصغيرة » والمارة في الطرقات هدفا تتجه اليه بعملها الفني .

والحدث المسرحي الثاني يقع في نفس الفترة تقريبا ، في قلب باريس .. وهو مهرجان للفرق الاقليمية من فرنسا وخارج فرنسا ، اذ يقام مسرح متحرك على مياه بحيرة صغيرة في قلب حدائق التويلري لتعرض فيه هذه الفرق مسرحياتها ، وهي احيانا لكتاب فرنسا المشهورين في المسرح ابتداء من موليير وانتهاء بجان بول سارتر والبير كامي .. والمرة الوحيدة التي شاركت فيها مصر في هذا المهرجان منذ سنوات ، عندما عرض المسرح القومي مسرحية راسين المترجمة الى العربية « فيدرا » بطولة سميحة ايوب واخراج مخرج فرنسي .. وبعدها بمدة عرضت مسرحية « لعبة الموت » بطولة سناء جميل وجميل راتب في اطار هذا المهرجان للفرق

استعراض موسيقى على مسرح قصر شايو بباريس



فرقتان .. رومانية .. ورقصا مصرية على مسرح قصر الامم

الاقليمية والفرق الزائرة من دول اوربا المجاوره لفرنسا .

جزيرة العبيد

ومهرجانا المسرح ، في يونيو ، هذان، وعلى كثرة ما فيهما من مسرحيات ، الا أنهما في العادة مجرد « فتح شـهية » لجمهور المسرح الفرنسي ، بل الجمهور الاوروبي الذى يضع في اعتباره عادة ارتياد العاصمة الفرنسية اثناء الموسم الثقافي والمسرحي بشكل خاص .

وتشهد باريس الان مسرحية الكـاتب الفرنسي الشهير ماريفو التي تحمل اسم « جزيرة العبيد » .. تقدمها فـرقة « الساجيتير » على مسرح «اللوكيرنار» .. وهذه المسرحية ، رغم ما تثيره الان في الاوساط الثقافية الفرنسية من ضجيج، فشلت في ان تثير الانتباه عندما عرضت لاول مرة في ايطاليا عام ١٧٢٥ ربما لانها وقبل قيام الثورة الفرنسية بحوالي ستين عاما ، كانت تنتقد سلوك السادة والاغنياء والطبقة الراقية ، وتعمد ماريفو ان تكون الفاظه التي يتحدث بها عامة الناس عن السادة والصفوة شديدة السخرية وشديدة القسوة .. وفي المسرحية .. فوق احدى الجزر يتبادل السادة والعبيد المراكز في الحياة الاجتماعية حتى يكتشف كل فريق الصعوبات التي تواجه الاخر ويجدون حلا يحقق المساواة والعدل الاجتماعي .. وهو بالطبع حلم البشرية الذى لم يتحقق وقد مر عليه قرنان من الزمان واكثر .. بطلان في هذه المسرحية يتركان علامة بارزة في المسرح الفرنسي اليوم .. هما رونالد جافمان «الوصي على الجزيرة» وكريستيان لوكاتز .. « العبد المتمرد » ..

وعلى مسرح « جان فيلار » ايضا يعود المخرج جاك لاسال بمسرحية من تاليفه تناقش قصة الحب بين رجل طاعن في السن وفتاة في شرخ الشباب .. يتحابان بعد عداوه تقليدية من خلال الحب في قرية صغيرة وقد اعطى لاسال البطولة لموريس جاريل ولورانس ماير . والمسرحية هي استمرار لاسلوب الارسال المعتمد على الاطالة في بناء الحدث الدرامي وتشويق المتفرج بحوار شيق ممتع كما فعل من قبل في مسرحياته « اعترافات مزيفة » و « عطلة الاسبوع المثيرة في حياة آن » ..

● راقصون من الفضاء ●

وفي الاسبوع الاخير من اغسطس ، ولاسبوعين كاملين في سبتمبر ، يستقبل مسرح قصر شايو في باريس « قصر الامم» مهرجان الفرق الموسيقية وفرق الفنـون الشعبية وتتحول حياة باريس كلها الى صخب مسرحي موسيقي راقص ، يفوق كل ما درجت عليه العاصمة من الصخب الاستعراضي في « الليدو » و « الطاحونة الحمراء » اشهر ملاهي باريس .. وفي هذا المهرجان ، يظهر الراقصون والفنون على المسرح في صورة غزاة للارض هابطين من المريخ ، وتتبارى فرق « الجـاز » والزنوج مع راقصات الفودفيل الفرنسيات وفتيات زجفيلد من راقصـات لوس انجلوس ..

ومن المثير بالطبع .. ان يجيء الشتاء وتبـدا دار اوبرا باريس اعادة عرض مسرحية « دون جوان » التي استضافت دار الاوبرا المخرج الانجليزى جوزيف لوزاى لاخراجها ، او يعيد روجرهنيه تقـديم مسرحيته « دانتون » التي قدمها منذ عامين متخذا من باريس القديمة ديكورا طبيعيا لما كان يحدث ايام الثـورة الفرنسية والصراع الدموى بين دانتون وروبير ●

« عبد النور خليل »

النظرة المسيحية إلى:

قصة أرض الميعاد

بقلم الأنبا غريغوريوس

● ترجع قصة ارض الميعاد الى زمن ابى الاباء « ابراهيم الخليل » خليل الله ، الذى كان يتقى الله الواحد الاحد ، اله السماوات والارض ، والديان لكل الارض ، ويعبده بامانة وورع ، سالكا فى مخافته تعالى بقلب مستقيم وضمير نقى ، بينما كان اهل مدينته « اور » ـ وهى احدى مدن الكلدانيين ، ومكانها حاليا خرائب تدعى المقير فى منتصف المسافة بين بغداد والخليج ، وعلى مسافة عشرة اميال شرقى مجرى الفرات ـ وثنيين يعبدون الكواكب ، وعلى الاخص « القمر » وكان يسمى عندهم « نانار » . وكان لابد لاهل مدينته ان يبغضوه ويضطهدوه ، حتى اضطروه ان يرحل هو وزوجته سارة وابوه تارح ، ولوط ابن اخيه ـ الى مدينة اخرى من بلاد الاراميين « ولذلك سمى ابراهيم آراميا » فى بلاد ما بين النهرين ، تسمى « حاران » وكانت تقع على نهر بليخ ، احد فروع نهر الفرات على مسافة ٢٨٠ ميلا الى الشمال الشرقى من دمشق ـ وهى الآن قرية صغيرة لا تزال محتفظة باسمها « حاران » ـ وكان اهـل هذه المدينة ايضا وثنيين يعبدون « نانار » اله القمر .

ورأى الله تعالى ما كان يعانيه ابراهيم الخليل من مضايقات اهل زمانه ، فامره بالاعتزال عنهم ، ومغادرته لهم ، وقال له الرب : « انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التى اريك ، وانا اجعلك امة كبيرة وابارك واعظم اسمك ، وتكون بركة . وابارك مباركيك . ولاعنك العنه . وتتبارك بك جميع قبائل الارض » « سفر التكوين ١٢ : ١ ـ ٣ » .

فاطاع ابراهيم الله خالقه وسيده ، واخذ زوجته سارة وابن اخيه لوطا ، وعبيده وكل مقتنياته ومواشيه ، وعبر نهر الفرات ورحل الى ارض كنعان « بن حام بن نوح » المعروفة اليوم بارض فلسطين ، التى اطلق عليها العبرانيون اسم ارض اسرائيل ، والارض المقدسة ، وارض الموعد ، وارض العبرانيين . وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران « التكوين ١٢ : ٤ » .

وتزل ابراهيم اول ما نزل فى مدينة « شكيم » وهى التى تسمى اليوم

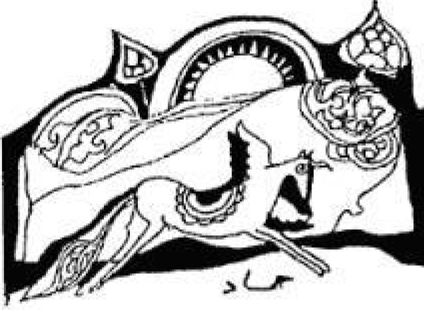


قصـــة
أرض المـيعـاد

« نابلس » . وتجلى الرب لابراهيم وقال له : « لنسلك اعطى هذه الارض » ثم انتقل من هناك الى الجبل القـائم بين « عاى » و « بيت أيل » فى الشمال الشرقى من « شاليم » التى صارت تعرف فيما بعـد باسم « اورشليم » اى « مدينة السلام » . واخذ بعد ذلك يتوغل جنوبا فى ارض كنعان . وقال الله لابراهيـم مكررا وعده « ارفع طرفك وانظر من الموضع الذى انت فيـه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . ان جميـع الارض التى تراها لك اعطيها ولنسلك الى الابد . واصير نسلك كتراب الارض حتى ان امكن ان يحصى الانســان تراب الارض فنسلك ايضا يحصى . قم فامش فى الارض طولها وعرضها فانى لك اعطيها » . «التكوين ١٣ : ١٤ ـ ١٧ » .

فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم عهدا قائلا : « لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفـرات » « التكوين ١٥ : ١٨ » « واقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك عهدا ابديا .. واعطيك ارض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع ارض كنعان ملكا مؤبدا » « التكوين ١٧ : ٧ ، ٨ » » ثم كلم الله موسى وقال له : انا الرب . انا الذى تجليت لابراهيم واسحق ويعقوب الها قادرا على كل شىء... واقمت معهم عهدى على ان أعطيهم أرض كنعان » « الخروج ٦ : ٢ ـ ٤ » .

على ان الله تعالى كشف فى عطائه لابراهيم ونسله عن مبدا مهم هو ان السبب فى منح ابراهيم ونسله ارض كنعان هو ان يصون ابراهيم ونسله من ان يشقوا بعشرة الاشرار من تلك المدن والشعوب التى اجلى ابراهيم منها ، اعنى اور الكلدانيين ومدينة حاران



وما اليهما ، فلا يختلط بهم ولا ينتقـل عنهم ، ويجعل من ابراهيم وذريته عينة مصونة يحوطها برعايته ويسوسها بتدبيره فتصير بذلك نموذجا وامثولة بين الشعوب والاجناس لمعاملة الله مع البشر .

ومع ذلك اعلن الرب فى أكثر من موضع فى الكتاب المقدس ان بنى اسرائيـل لم يصونوا العهد ، ولم يكونوا امناء لله ، بل انحرفوا عن المسار الصحيح الذى تطلبه الرب منهم ليحفظ عهده مع أبراهيم واسحق ويعقوب ، فاستحقوا الغضب الالهى عليهم لغلاظة قلوبهم وشراســتهم وميلهم الى الشهوات والشرور وعبـادة الاصـنام المحرمة

قال النبى موسى : « اسمع يا اسرائيل ، انت اليوم عابر الاردن لتدخل وتملك امما اكثر واعظم منك ومدنا عظيمـة ومحصنة الى السماء .. لا تقل فى نفسك اذا طردهم الرب الهك من بين يديك ، لاجـل برى ادخلنى الرب لامتلك هذه الارض . ولاجل اثم هؤلاء الامم طردهم الرب من بين يديك انه لا ببرك واستقامة قلبك انت آت لتمتلك ارضهم ، ولكن لاجل اثم اولئك الامم طردهم

● فى الكتاب المقدس أن بنى إسرائيل لم يصونوا العهد
● المسيح ترك اليهود للعقاب الإلهى

الرب الهك من وجهك ، ولكي يفي بالقول الذى اقسم الرب عليه لابائك ابراهيم واسحق ويعقوب . فاعلم انه ليس لاجل برك اعطاك الرب الهك هذه الارض الصالحة لتملكها لانك شعب قاسي الرقاب . اذكر لا تنس اسخاطك للرب الهك في البرية ، فانكم منذ يوم خروجكم من ارض مصر حتى جئتم هذا المكان لم تزالوا تعاصون الرب . وفي حوريب اسخطتم الرب فغضب عليكم وكاد يفنيكم .. وكلمني الرب قائلا : قد رايت هذا الشعب فاذا هو شعب قاسي الرقاب . دعني فابيدهم وامحو اسمهم من تحت السماء واجعلك انت امة اعظم واكثر منهم » سفر التثنية ٩ : ١ - ١٤ » .

وفضلا عن هذا ، فانه قد انساق بعض ملوك بني اسرائيل الى شر عظيم وانحرف وراءهم بنو اسرائيل الى عبادات الامم الوثنية التي اختلطوا بها ، وقعوا في خطايا الزنى والفسق والفساد الاخلاقى ، فاستوجبوا غضب الله عليهم .

جاء في الكتاب المقدس : « وتكلم الرب على السنة عبيده الانبياء قائلا : لاجل ان منسى ملك يهوذا صنع هذه الارجاس وفعل اسوا من جميع ما صنعه الاموريون قبله وجعل أيضا يهوذا يخطىء باصنامه ، لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل : هانذا جالب على اورشليم ويهوذا شرا ، كل من سمع به تطن اذناه ، وامد على أورشليم مطمر السامرة وشاقول بيت آخاب ، وامسح اورشليم كما يمسح الصحن ، يمسح ويقلب على وجهه ، واخذل بقية ميراثي واسلمهم الى ايدي اعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع اعدائهم ، من أجل انهم صنعوا الشر في عيني واسخطوني منذ يوم خرج اباؤهم من مصر الى هذا اليوم » « ٢ . الملوك ٢١ : ١٠ - ١٥ » . « لان للرب يوم الانتقام وسنة الجزاء من اجل دعوة صهيون . وتنقلب انهارها زفتا ، وترابها كبريتا ، وتكون ارضها زفتا مشتعلا ، لا تنطفىء ليلا ولا نهارا ، ودخانها يصعد مدى الدهر . ومن جيل الى جيل تخرب الى ابد الابدين ، لا يجتاز فيها احد ويرثها القوق والقنفذ ، ويسكن فيها البوم والغراب ، ويمد عليها خيط الخواء ومطمار الخلاء .. ويطلع الشوك في قصورها ، والقراص والعوسج في حصونها . وتكون ماوى لبنات آوى ومسرحا لبنات النعام . وتلاقي وحوش القفر بنات آوى ومعز الوحش .. هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلا » . اشعياء ٣٤ : ٨ - ١٤ » . وجاء أيضا في الكتاب المقدس عن بني اسرائيل « اقام شهادة في يعقوب . ووضع شريعة في اسرائيل اوصى فيها آباءنا ان يعلموا بها ابناءهم .. لم يحفظوا عهد الله وابوا ان يسيروا في شريعته ، ونسوا اعماله ومعجزاته التي اراهم ... لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب ، وسخط أيضا صعد على اسرائيل . لانهم لم يؤمنوا بالله ولا اتكلوا على خلاصه .. فصعد عليهم غضب الله ، وقتل السمان منهم وصرع مختاري اسرائيل . مع هذا كله عادوا يخطئون ولم يؤمنوا بمعجزاته فافنى ايامهم بالباطل وسنيهم بالرعب ... فخادعوه بافواههم ، وبالسنتهم كذبوا عليه اما قلوبهم فلم تكن مستقيمة معه ، ولم يكونوا امناء في عهده .. كم تمردوا عليه في البرية ، واسخطوه في القفر .. وتمردوا على الله العلي ، ولم يحفظوا شهاداته بل

قصة
أرض الميعاد

ارتدوا وغدروا مثل آبائهم .. سمع الله فغضب ، ورذل اسرائيل جدا .. وسلم للسبي عزه وجلاله ليد العدو ، وسلم للسيف شعبه ، وغضب على ميراثه .. جعلهم عارا ابديا » مزمور ٧٧ : ٥ - ٦٦ » .

« اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا ويا سكان اورشليم ، هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل : هاأنذا أجلب على هذا الموضع شرا ، كل من سمع به تطن أذناه ، لأنهم تركوني .. وبخروا فيه لآلهة اخرى لم يعرفوها هم ولا اباؤهم .. لذلك ها انها تأتي ايام يقول الرب .. واجعل مشورة يهوذا واورشليم في هذا الموضع فارغة ، واسقطهم بالسيف امام اعدائهم ، وبأيدي طالبي نفوسهم ، وادفع جثثهم أكلا لطيور السماء ولوحوش الارض ، واجعل هذه المدينة خرابا وصفيرا . فكل من يمر بها يدهش ويصفر على جميع ضرباتها ، واطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم ويأكل كل منهم لحم صاحبه في الحصار والضيق الذي يضايقهم به اعداؤهم وطالبو نفوسهم » . ارميا ١٩ : ٣ - ٩ » . لذلك هكذا قال الرب : هاأنذا ادفع هذه المدينة ليد الكلدانيين وليد نبوخذ نصر ملك بابل فيأخذها . فيأتي الكلدانيون الذين يحاربون هذه المدينة فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها .. لأن بني اسرائيل وبني يهوذا انما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم ، اذ اسخطني بنو اسرائيل بعمل ايديهم يقول الرب .. لأن هذه المدينة كانت عرضة لغضبي ولغيظي من اليوم الذي فيه بنوها الى هذا اليوم ، حتى امحقها من امام وجهي . لأجل جميع شر بني اسرائيل وبني يهوذا الذي صنعوه ليسخطوني هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم .. ورجال يهوذا وسكان اورشليم » « ارميا ٣٢ : ٢٨ - ٣٢ » .

وفي العهد الجديد كشف السيد المسيح بمثل توضيحي عن شر اليهود وتفاقهم ، هم وقادتهم ، وعصيانهم وتمردهم . ولذلك كان لابد من معاقبتهم بالتخلي عنهم ورفضهم ، ورفع الحماية عنهم وقطع الشركة معهم ، وتركهم فريسة للغضب الالهي ، فيهلكون ويتبددون .

قال الانجيل : « ثم اخذ يخاطب الشعب بهذا المثل قائلا : غرس رجل كرما وسلمه الى كرامين ، ورحل زمانا طويلا . وفي اوان الثمر ارسل الى الكرامين خادما ليعطوه من ثمر الكرم ، ولكن الكرامين ضربوه وصرفوه فارغ اليدين ، فعاد وارسل خادما آخر فضربوه ايضا واهانوه وصرفوه فارغ اليدين . ثم عاد فارسل ثالثا ، فطرحوا هذا ايضا في الخارج جريحا . ومن ثم قال رب الكرم ماذا افعل ؟ ارسل ابني الحبيب فلعلهم اذا رأوه يهابونه . ولكن الكرامين حين رأوه تآمروا فيما بينهم قائلين : هو ذا الوارث . هلم نقتله فيصبح الميراث لنا . ومن ثم طرحوه خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل بهم رب الكرم ؟ انه يأتي فيهلك اولئك الكرامين ويعطي الكرم لآخرين . فلما سمعوا قالوا معاذ الله » .. قال له المجد لليهود « لذلك اقول لكم ان ملكوت الله سينتزع منكم وتعطاه امة تؤدي ثماره .. فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون امثاله عرفوا انه انما كان يعنيهم بكلامه . فهم رؤساء الكهنة والكتبة في تلك الساعة بأن يقبضوا عليه ، ولكنهم خافوا من الشعب اذ ادركوا انه قال هذا المثل عليهم » « لوقا ٢٠ : ٩ - ١٩ » « متى ٢١ : ٣٣ - ٤٦ » . ●



نذرة طبية

لكل داء دواء

تقديم:
د. السيد الجميلى

سيدة فى الثانية والثلاثين من عمرها مريضة بالسكر وتعالج بالانسولين منذ بضع سنين ، وقد اعتادت أن تأخذ ١٦ وحدة دولية من الانسولين المائى + ١٢ وحدة لنتى انسولين كل يوم وهى الان حامل فى الاسبوع الخامس والثلاثين ، وفجاة انتابتها حالة غيبوبة ذات مساء، منذ أقل من اسبوع بالرغم من انها قللت من جرعة الانسولين بعض الشىء منذفترة يسيرة ، وتحاليل البول اليومية تشير الى وجود سكر جلوكوز بنســـبة ١ ٪ فقط وبفحصها وجدت جميع اجهـزة جسمها طبيعية تماما تعمل بكفاءة واستواء.

التشخيص والعلاج

هذه السيدة تشكو من مضاعفات مرض البول السكرى الى جانب مضاعفـــات الحمل ، ومن المتوقع أن يكون ســبب نوبات الاغماء التى لاحقتها انما هو نقص معدل السكر فى الدم ، على الرغم من نزول كميات قليلة جدا من الســكر فى البول والتى نراها عادية فى احيـــان كثيرة من الحمل ، وهذا العرض المرضى مثير مدهش جدا الا أن حساسية المرضى لمادة الانسولين تزداد فى الشهور الثلاثة الاولى للحمل ، اما فى الثلاثة اشهر التالية ثم الثالثة يجب ان تزيد جرعة الانسولين شيئا فشيئا .

مثل هذه السيدة عندما تتابعهـــا النوبات لابعمن ادخالها المستشفى فى اقرب فرصة بل فوراً للفحص وتقدير كميـــة السكر ونسبتها فى الدم فضلا من اشراف متخصص فى امراض النساء والولادة فربما ينصح بانهاء الحمل بناء على درجـــة تطور الحالة المرضية ●

البداية كانت دائماً من الصفر

بقلم : أحمد زكي عبد الحليم

خرجت من تجارب الحياة بنظريتين : الاخاف ان اغامر بان اغير عملي في اى وقت .. وان اعتبر نفسي تلميذا يجب ان يتعلم مادام يعيش

● عامان بعد الرحيل . ومشهد الوداع كان في مطار لندن . قبل ان تقلع الطائرة بلحظات ، انفصل ذلك الشيء الغامض والخالد عن الجسد . واصبح الذي كان يكتب ويصنع الاخبار .. خبرا . مات الاديب والكاتب والفنان والمذيع والصحفي والباحث والمدرس .. احمد رشدي صالح .

ولقد كانت بيني وبينه حوارات طويلة . قبل ان تغرب شمس الربيع ، وفي امسيات الصيف ، وفي نهار الخريف ، وفي ضحى الشتاء . واغلب الاحيان كان يختار مائدة الحديث في نادي الصيد ، يحرص على ان يكون بين الناس . يتحدث اليهم بعينيه ، ان لم يكن الحوار موصولا ومتصلا .

ومن عادة الكاتب الكبير الراحل احمد رشدي صالح ان يفعل كل شيء بجدية واخلاص . كان يجذب نفسا عميقا من غليونه غالبا ما يصيبه بالسعال . وكان يتحدث بكل خلجاته حتى تنفر عروقه . وكان يضحك ضحكة طفولية نابعة من اعماق القلب ، فتتصور نفسك امام انسان لم يعرف من الحياة الا هذا الوجه الضاحك .

ماذا يمكن ان يقول الحديث عنه في


رشدى صالح

ذكراه ؟ افضل ما يمكن ان يقال هو كلمات الرجل . افكاره . اسراره . ذكرياته . وجهة نظره . ولا ادرى لماذا سجلت شيئا كثيرا من هذا فى اللقاء الاخير ، ولكني احتفظت به . افضل ما يمكن ان افعله الان فى ذكرى مرور عامين على رحيله هو ان انفض الغبار عن هذه الاوراق ، وان نعيش مع الرجل ، لنتذكر كيف كان الرجل .

● يقول احمد رشدى صالح : الكتاب الذى تعلمت منه كثيرا هو كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى . لسبب بسيط جدا هو انه اول كتاب من كتب التراث العربى القديم كنت اقرؤه وانا صبى صغير على والدى ، فيصحح لى طرائق النطق والنحو والالقاء . وقد افادنى هذا التصويب اعظم فائدة فى مختلف مراحل عمرى ، بحيث احببت اللغة العربية النقية ، واصبحت بعض مراجعها الصعبة سواء فى الادب او الفلسفة الاسلامية من اقرب اصدقائى .

هناك كثيرون يظنون اننى خريج لغة عربية ، بينما انا خريج لغة انجليزية . ولذلك فقد كنت مذيعا لا اخطئ . وعندما اصبحت كاتبا ، ظلت اخطائى اللغوية من القليل المباح للكاتب .

● وعن الكاتب الذى تأثر به ، يقول : الحقيقة انه اثر فى اكثر من كاتب . فمن المعاصرين اثر فى الدكتور طه حسين قبل غيره . ومن القدماء اثر فى شمس ابن الرومى قبل غيره . ومن الكتاب العالميين اثر فى ارنست هيمنجواى ، ورجل آخر نقيض لهيمنجواى ولعله يثير دهشتى الخاصة واعنى به د. هـ. لورانس .

وبالطبع فاننى قد تأثرت بتورجنيف ومكسيم جوركى وديستويفسكى اكثر من غيرهم .

● اما الموقف الذى كان نقطة تحول فى حياة رشدى صالح ، فانه يحكى عنه فيقول : بعد تخرجى فى الجامعة ، كان امامى ان اشتغل موظفا حكوميا وبالتحديد مدرسا او ان اختار الطريق الاصعب وهو ان اشتغل

بعمل حر . وقد فضلت ان ابتعد عن الوظائف الحكومية بالرغم من اننى كنت خريجا فقيرا وقد كلفنى اختيار الاعمال غير الحكومية ان ابذل جهدا مضنيا عصبيا وجسميا ، فى عدد من الاعمال بداتها جميعا من الصفر . فقد اشتغلت مذيعا وانا لا املك جهاز راديو ولا اعرف شيئا عن الميكروفون . وانتقلت صحفيا وانا لم اكن قد دخلت اية مؤسسة صحفية قبل ذلك ولا تعرفت حتى على حروف الجمع . واشتغلت بالفنون الشعبية المؤداة ـ مشرفا على الفرقة القومية للفنون الشعبية عند انشائها ـ وانا لا اعرف كيف اعزف على

آلة موسيقية او اؤدى جملة راقصة اوارسم اسكتشا لزى مسرحي . ووجدت نفسى اقوم بدراسة ميدانية على نطاق واسع فى سبع دول عربية تحت اشراف اليونسكو ، ولم اكن قد زرت هذه البلاد . وكل ما كنت اعرفه عنها كان حصيلة قراءات اى حصيلة غير حية . والامر الغريب انه فى كافة هذه الميادين سرعان ما استطعت ان الف على قدمى فيها ، وان اترك بعض البصمات التى بقى شيء منها حتى الآن .

ولقد خرجت من هذه التجارب بنظريتين .. الاولى أننى لا اخاف ان اغامر بان اغير عملى فى اى وقت . والثانية هى اننى اعتبر نفسى تلميذا يجب ان يتعلم ما دام يعيش .

فلو ان الانسان سار فى طابور واحد كطوابير الوظائف الحكومية ، لحرمت نفسى من اكتساب التجارب المختلفة والعديدة الموجودة فى ميادين اخرى خارج تخصصى .

● كان الكاتب الراحل رشدى صالح مدرسا وباحثا وصحفيا ومذيعا وكاتبا . فماذا استفاد من كل موقع من هذه المواقع ؟

يقول : استفدت من الكتابة ان اراجع نفسى باستمرار لاصحح اخطائى ، لانى اعتقد ان الكاتب الذى يتوهم انه استاذ بالنسبة لقرائه يكون قد وصل الى نقطة التجمد ، وهى مقتل رهيب للكاتب .. اما الكاتب الذى يحترم القارىء ، فلا مفر امامه من ان يراجع نفسه باستمرار بحثا عن التناول الافضل للموضوع الذى يكتب فيه ، والاسلوب الافضل الذى يليق بهذا الموضوع . والكتابة فى اعتقادى هى اشرف مهنة فى الوجود كما قال اجدادنا الفراعنة .

واستفدت من الصحافة ان اتعلم انها صاحبة الجلالة فعلا ، كلما اتيح لها ان تجلس على عرشها . وانها ليست صاحبة الجلالة كلما جلست على الارض . وان هناك طريقا واحدا لان تتربع على عرشها ، وهذا الطريق يبدأ بان يمارس الصحفيون التقاليد المستقرة البناءة لنقوة الصحافة ، وان يتحملوا كرجال حقيقيين مسئولية الكلمة المطبوعة . اما الذى اضفته الى الصحافة ، فهو محاولة ان اقنع اكثرية غير قليلة من رجالها بان وظيفة الصحافة ان تنشىء رايا عاما نابها ، وان مادة الادب والفن والعلم جزء لا يتجزأ من المواد البناءة للنفس البشرية التى يجب ان تنال حقها الكامل فى كل صحيفة ومجلة .

واستفدت من البحث ان اصبر واصبر جريا وراء حقائق لا اعرفها او مصادر علمية موثوق بها لم تكن متاحة لى . وان احاول باستمرار ان الاحق الزمن والعصر الذى نعيش فيه . ومثال ذلك ان دراساتى فى المأثورات الشعبية قادتنى الى علم الانسان فقرات فيه قدر استطاعتى ، ثم وجدتنى استاذا زائرا فى قسم الانثروبولوجى فى جامعة الاسكندرية احاضر فى علم الانسان الثقافى . بل ان علم الفولكلور كان غائبا تماما عن دراساتى الجامعية ، وقد تعلمته بعد تخرجى فى الجامعة بسنوات . واعتقد ان ما اعطيته فى مجال البحث هو محاولة الربط بين العمل الميدانى فى الدراسات الانسانية وبين استخلاص النتائج النظرية.

وقد علمنى الميكروفون الا اخاف من مواجهة المجهول . ففى المرة الاولى التى سمعت صوتى فيها من خلال السماعات ارتج جسمى كله لان الصوت المذاع والمكبر لم يكن صوتى اللذى اعتدت ان اسمعها باذنى . كان صوت انسان غريب عنى تماماً ، ثم اعتدت هذا الصوت الغريب والذى كان مجهولا لى ، وكذلك اعتدت ان اواجه المجهول فى اشياء كثيرة اخرى ، كانت ستوديوهات الاذاعة هى ساحتها .

واعتقد اننى اضفت الى برامج الاذاعة اضافة صغيرة ولكنها هامة لانها كانت بداية ما نسميه الآن بالبرامج الدينية . وتلك البداية كانت عبارة عن قراءات شعرية كنت اشترك فيها انا وصديقى عبد الحميد يونس . وقد اخترنا اشعار الصوفيين كابن الفارض وابن عربى وقدمناها امام الميكروفون باعتبارها جسرا

بيننا وبين من يحبون الادب ، وايضا بين من يحبون الاستماع الى البرامج ذات الطابع الديني والتي تشتمل على معاني روحية .

وتعلمت من التدريس ان هذه المهنة من اصعب المهن اذا اخلص لها القائم بها ، لانها تفرض عليه ان يقرا اكثر مما يقوله لطلابه . وان يعيش معهم ليس فقط بالنسبة للعلم الذي يلقيه عليهم وانما ايضا بالنسبة للحياة على اتساعها . واعتقد ان اي استاذ يضيق صدره باسئلة طلاب في اية مسالة ينبغي له ان يعتزل مهنة التدريس . واعتقد انني افدت في هذا المجال بان شاركت في تطبيق تقاليد هذه المهنة التي تتلخص في ان يصبح الطالب الممتاز في علمه واخلاقه صديقا لاستاذه .

● والمعروف ان الاستاذ رشدي صالح قضى السنوات الاخيرة من عمره في محنة مرض طويل ومتصل ، اصاب منه شرايين القلب . وقد سالته يوما عما استفاده من محنة المرض ، فقال :

ـ تعلمت منها ان ارفع عيني دائما الى السماء ، وان يزيد ايماني بان المرض امتحان لايمان الانسان .

ان الانسان يولد ويموت . وما بين الميلاد والموت ، عليه ان يستقبل الحياة بمنتهى الامل في كل الظروف ، لانه لا تدري نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي ارض تموت . وكل ما يملكه الانسان هو ان يعيش حياته معترفا بان الحياة في ذاتها نعمة عظمى ، وانها تستحق من الاحياء كل تقدير وخير وعطاء .

● وعن مفهوم السعادة ، يقول كاتبنا الكبير الراحل : هناك سعادة زائفة وهناك سعادة حقيقية . اما السعادة الزائفة فقد نصنعها لنهرب فيها من احزان اوهموم حقيقية لنمثل دور السعداء . واعتقد ان المراة اكثر براعة في تمثيل هذا الدور من الرجل ، لان المراة ممثلة بطبيعتها !

اما السعادة الحقيقية فهي فن الاستمتاع بالحياة استمتاعا لا يشعر معه الانسان بالندم ، وبحيث يكون مطهرا من الشر بكل مستوياته وانواعه . وهذا يتطلب الصدق مع النفس قبل الصدق مع الاخرين .

● ورايه في المال انه شر لا غنى عنه . ويضيف : واتمنى ان ينقلب الى خير لا مفر من التعامل معه . والمال في ذاته لا قيمة له ، وانما قيمته تتوقف على فضائل استعماله . واكتناز المال لمجرد الاقتناء شر ، اما استثمار المال فيما ينفع الانسان وينفع غيره فهو خير . واستخدام المال لتحقيق متعة شخصية جائز بشرط ان تكون هذه المتعة نقية . والمال في المأثور الشعبي يوصف دائما بانه الشيء الزائل . واحيانا تجعل المواويل والامثال والقصص الشعبية من المال وسيلة تفريق وليس وسيلة تجميع .

● واخيرا ، نقف عند رايه في المراة . حيث يقول : المراة هي اللغز الذي فشل الرجل في معرفة اسراره حتى الان . فهي تخفي داخلها اكثر مما يظهر على السطح . والعباقرة الذين تعمقوا النفس البشرية استطاعوا ان يصوروا بدقة متناهية اعماق الرجل ، لكن تقلبات المراة ظلت ارضا مجهولة تحتاج الى اكتشاف مستمر من هؤلاء الادباء . ولذلك فان شخصية الكترا مثلا او كليوباترا تناولتها اقلام كبار الادباء والشعراء ، وهي تحاول ان تتعرف بالدقة دوافع سلوك المراة التي تمثلها الكترا او كليوباترا او جوزفين .

ان المراة تدفن داخل اعماقها اهم اسرارها ، ولا تبوح بها حتى في لحظات الضعف . واذا حدث ان افشت سرا من اسرارها ، فثق بانها تتعمد الوصول الى تحقيق شيء جديد لم تستطع ان تحققه من قبل ! ..

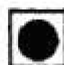
وربما كانت هذه السطور قادرة على ان تكشف عن بعض جوانب شخصية الكاتب الراحل احمد رشدي صالح . وبذلك تكون مساهمة متواضعة في مناسبة الذكرى الثانية لرحيله ●

دراسة فى التاريخ النفسى والاجتماعى للفئات المتوسطة

أدب القوة و أدب الضعف

بقلم: د. ناجى نجيب

يواصل الدكتور ناجى نجيب فى هذا الصدد حديثه عن ادب الكاتب الكبير المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى واثره فى الاجيال المصرية المتعاقبة ، ونقد كبار ادباء عصره لاتجاه الحزن والضعف فى ادب المنفلوطى



جاء نقد ابراهيم عبد القادر المازنى للمنفلوطى تحت عنوان « ادب الضعف » فى الجزء الثانى من كتاب « الديوان » « ١٩٢١ »

كان هدف هذا الكتاب ، كما يقول مؤلفاه العقاد والمازنى فى المقدمة ، هو الفصل بين « القديم » و « الجديد » «واقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما » ، وتمهيد الطريق للجديد يتطلب « تحطيم الاصنام الباقية ». « الديوان » ط ٢ ص ٦ .

كان المنفلوطى من حظ المازنى فى مادبة تحطيم الاصنام هذه . ومن البديهى ، ووجهة الناقد هكذا ، ان ينصب اهتمامه أولا على التقييم والموازنة لا على التحليل والشرح ، وعلى بيان مراتب الادب وماهو تصوره للادب .

على أن المازنى يعقد فى النهاية فصلا من « اسلوب المنفلوطى » ، هو من باب « النقد التطبيقى الدقيق » ، بتعبير الدكتور محمد مندور « النقد والنقاد المعاصرون » القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٢ » .



مصطفى لطفي المنفلوطي



ابراهيم عبد القادر المازني

ويبدو من الوضوح بمكان أن المازني جار في مقاله بمنهج العقاد النقدي ومفاهيمه ، وعلى الخصوص نظرته الى الكاتب وكتاباته كوحدة تامة او كوجهين لشيء واحد .

والمنفلوطي في تقييم المازني من « الادعياء المقلدين » ، ولكن للمنفلوطي جمهورا واسعا من القراء والمعجبين ، وليس بوسع المازني أن يتغاضى عن ذلك أو يتناساه ، كما ليس بوسعه أن يفسره فلا مندوحة اذن من أن يعرض بالمنفلوطي وجمهوره ، وأن ينهال بمعوله عليهما معا :

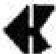
فلي مصر – كما يقول – « يظهر الدعي فيستولي على الميدان ويخر الناس له سجدا الى الاذقان ويباهون به الامم والأزمان » « ص ٧٦ » .

لم يعلن في نهاية هذه الفقرة: «وهاكم صنما آخر من معبودات الفشل نهدمه ونلقي به بين الاطلال » « ص ٧٩ » . وفي فقرة تالية يصف قراء المنفلوطي بأنهم مرضى في نفوسهم وأذواقهم ثم يضيف قائلا : « ولكن لكل كاتب قراء على شاكلته منسوجين على منواله » « ص ٩٧» .

وهذه العبارات جميعا من باب تفسير الشيء بالشيء وترديد بعض المقولات السهلة التي تبدو واضحة الدلالة دون أن تحمل اية دلالة . وخلفيتها هوالبحث عن مفهوم جديد للادب .

وملخص نقد المازني للمنفلوطي هو ان طابع ادبه « النعومة والانوثة » والاسراف العاطفي والابتذال ، وعدم التلازم بين « الحادثة » و « الاحساس » فهومتكلف متعمد يتصنع العاطفة كما يتصنع العبارة ويقابل المازني بين هذا الادب الذي يصفه « بادب الضعف » وبين تصوره هو لوظيفة الادب أو بمعنى ادق لذلك التصور الذي يخول للادب دوراً قياديا حيويا وأثرا بعيدا . وقد استقطب المذهب بوجه خاص هيكل والعقاد ، أو لما كان يسمى « بادب القوة » :

« فبالله مالهذا الحانوتي النـدابة



والادب الذى هو حياة الامم وباعث القوة فيها ونافث الحرارة في عروقها وحافزها الى اجل المساعي ؟ » « ص ٩٧ » .

ويهتف المازنى في فترة اخرى مفصحا عن تخيله لصورة الادب الحق : « جيته — تلك الصخرة القائمة في لج الحياة تناطحها كل موجة وتلطمها كل ريح وهي وطيدة لا تلين .. هو مثال الرجل الخليق بالحياة ، هو البطل الذى قرت عنده ثورة « كارليل » الهائج في ميادين الفكر لا يعرف السكون ولا يذوق طعمه الا بالتملي .. » « ص ٩٨ » .

وجاذبية جوته « جيته » — عند المازنى وعند الكثيرين من جيله — لا تعود الى معرفة بهذا الاديب وباعماله بقدر ما تكمن فيما وصل اليه هذا الاديب الالمانى من شهرة ومكانة ونفوذ ، وما حيك حوله في هذا الصدد من اساطير ، وهو شيء يراود خيال الاديب العربى في مرحلة تحرره من التبعية « لارباب النعمة والسلطة » وفي سعيه الى اثبات ذاته ، ويشكل ماتفصح عبارات المازنى السابقة في انفعالها من ذلك .

« أدب الطبع » و « أدب الصنعة »

خص العقاد المنفلوطى بمقالين في جريدة البلاغ عام ١٩٢٥ ، اى بعد وفاة المنفلوطى بنحو عام ، فلم يرد كما يقول — ان يعرض له « بالنقد » و « التشريح » « في موقف التشييع والتابين » « مراجعات في الاداب والفنون » القاهرة ١٩٢٥ ، بيروت ١٩٦٦ ص ١٥٥ » ، ويمهد العقاد لنقده فيقول :

« لاشك ان المنفلوطى قد كان صاحب « مكان » في هذا الادب يعتد به ولا يحسن اغفاله » ، فقد كان من اولئك الادباء القلائل الذين ادخلوا « المعنى والقصد » في الانشاء العربى بعد ان خلا من المعنى والقصد ، وبعد أن كانت الكتابة اسجاعا وامثالا و « قوالب محفوظة تنقل في كل رسالة ، ويزج بها في كل مقام» « ص ١٥٦ » فكان المنفلوطى باسلوبه المرسل « ادنى الى الكتابة الحديثة الطلقة » « ص ١٥٨ » فالعقاد بمعنى آخر يحسب للمنفلوطى ماساهم به من تيسير الكتابة والانتقال بها الى روح العصر وذوق القارىء الجديد .

بهذا التقدير العام لدور المنفلوطى يتفق العقاد مع نظرة مؤلفي تاريخ الادب العربى الحديث الى المنفلوطى .

بعد ذلك يضع العقاد المنفلوطى في ميزانه النقدى الشهير الذى يقوم على التفرقة بين « أدب الطبع » و « ادب الصنعة » او بين الادب الصادق وادب التقليد والتكلف ، فيقول :

« ان المنفلوطى « منشيء وليس بكاتب او هو يحسب مع اصحاب الانشاء اذا قسمنا الادباء الناثرين الى كتاب ومنشئين»

وبقية المقال يعقده العقاد لبيان مضمون هذه التفرقة ، وهو وان كان — كالمالوف في القسم الاكبر من كتاباته — يتحدث عن نفسه وقناعاته اكثر مما يتحدث عن المنفلوطى ، غير ان حديثه لا يخلو من دلالة كتعبير عن الطرف الاخر الراديكالى المضاد للمنفلوطية ، وجدير بالاحظة ان العقاد لا يناقش قضايا ادبية ملموسة او عملية ، وانما يتحدث من منظور تاملى فلسفى ذاتى .

ينظر العقاد الى الفن نظرة شبه دينية ، ويعلى الكاتب « الشاعر » الى مصاف الفرد المتميز ، او « الانسان » المختار الذى اوتى من القدرات مايمكنه





عباس محمود العقاد

من اختراق الحجب وكشف الستار عما يخفى على غيره من سواد الناس ،ويذهب العقاد فى هذه النظرة الباطنية بحيث يرى الكاتب متوحدا مع كتاباته :

« ان الكاتب « انسان » قبل ان يكون حامل قلم وصانع كلام وفضيلته فضيلة نفس شاعرة مدركة لا فضيلة لسان وعبارة .. وأنت تعجب بالكاتب لصفة تأنسها فى نفسه وملكة ثم تعجب باسلوبه لانه وسيلة الى ابراز تلك الصفة فى الصورة التى توائمها ، فاذا سئلت ان تفصل بين الكاتب وكتابته فى تقديرك لم تدر كيف تفصل بينهما لانك تحس أن كتابته جزء منه ، وعضو من أعضائه ، بل هى ألصق به من جميع أعضائه وجوارحه ...

وفى كل كاتب شىء من طبيعة النبوة ، لانه يحمل رسالة « خاصة » من لدن الحياة الى اخوانه فى الحياة ، ولهذا كان لابد للكاتب من عبة خارقة يحس بها ملا يحسه سواد الناس ويفهم بها ما لا يفهمون من أسرار هذه الدنيا وعجائب الغيب والشهادة » « ص ١٥٩ » .

اما المنشىء فهو ـ بطبيعة هذا التعريف ـ من لم يؤت هذه الصفات فانك تقرؤه فتشعر أنه يخدعك ويحاول ان يبيعك الشىء الزهيد الذى تراه فى كل مكان باسم غير اسمه « ص ١٦٠ » . « وليس للمنشىء رسالة خاصة يؤديها من لدن الحياة ، « فليست فضيلته فضيلة « انسان » يخاطب جميع الناس بلغة الحياة ولكنها فضيلة حروف لاحياة فيها» « ص ١٦١ » .

الآلام الرفيعة والآلام الوضيعة

فى مقاله الثانى « المنفلوطى والنفس الانسانية » يدعم العقاد مقولاته السابقة وان تفرقت فى الظاهر مفاهيمه والفاظه.

يرى العقاد انه ليست هناك صفة « أبعد عن الحقيقة وادل على الجهل بالنفس » من وصف المنفلوطى بانه «الكاتب النفس الانسانية » « ص ١٦٣ »

أليس المنفلوطى اذن مؤلف العبرات والمراثى والوجدانيات ؟

لا ينكر العقاد ذلك ، ولكنه يقيم حكمه على أساس ميزان آخر من موازينه ، وهو التفرقة بين « الآلام الوضيعة والآلام الرفيعة » بين « غزارة الدموع وبين الاحساس بمصائب النفس الانسانية بين « ليونة الطبع ودمائته » وبين «صدق الاحساس وسرعة العطف » كما يقول .

ويديهى بعد هذا ابن يندرج المنفلوطى « وما ظنك بقلب لايستقر العطف على المصاب حتى يجمع عليه بين ضنك الفاقة وتبريح السقم ويأس الحب ووحشة

العزلة وذلة اليتم وسائر مايحيق باشتات المعذبين فى الارض من صنوف الشقاء وضروب الهوان والحرمان ؟ » « ص ١٦٦ » .

ولا خلاف فى ان هذه الالام تلح على المنفلوطى ، وحولها يعقد الكثير من نظراته وعبراته . ولكن الاهم هو تقييم العقاد لهذه الالام ، فهى فى عرفه آلام هابطة او قل انه يربأ بالادب ان يهبط الى هذه المدارج :

« ... وهكذا وهكذا بحيث ترى ان ليس للناس عند المنفلوطى مصائب غير هذه المصائب الجسمية واشباهها التى يبصرها الاعمى ويسمعها الاصم ويجتمع فيها الجوع والداء والذل والموت بلاافتراق ولا تنويع ، وهى على فداحتها وثقل وطأتها ليست مما يسمى بمصائب «النفس الانسانية » الام الضمائر الحية لانها مصائب وآلام يشترك فيها الانسان والحيوان .. » « ص ١٦٧ »

مقابل هذه الالام الارضية يضع العقاد آلامه الفوقية او الرفيعة ، تلك الالام التى تميز - كما يقول - « الانسان الشاعر » من غيره . ويفرق بينهما كما لو كان هناك حد فاصل يفصلهما :

« وانما مصائب النفس والام الضمير تلك التى يتفرد فيها « الانسان » الشاعر وهو تام المآرب من طعام وشراب ومتاع وسلطان ، وهى تلك التى تجلبها لتوافل الكمال التى يعلو بها عن الاحياء الدنيا ، وعن بنى آدم الذين يشبهونه فى المطالب والهموم » . « ص ١٦٧ » .

« وربما كانت خلاصة هذه الالام الرفيعة الما واحدا يتخللها جميعا وترى فيه كأنما



جوته الشاعر الالمانى

« الانسانية » تشتاق الى مرتبة فوق مرتبتها وسعادة فوق سعادتها وحاجات من العيش والوجود فوق حاجتها ، فهو ألم التشوف الى ماوراء الانسانية من حظ الحياة والحنين الى المجهول الذى لايحده الحس ولا تحيط به الافكار ، وذلك هو الم لم يعطف عليه المنفلوطى قط ولم يجعل للانسانية نصيبا منه فى كل ماالف او ترجم » . « ص ١٦٧ - ١٦٨ » .

لا حاجة الى الاشارة الى ان العبارات السابقة اكبر دلالة على العقاد منها على المنفلوطى ، فمصدر التفرقة بين الالام الوضيعة والالام الرفيعة هو مفهوم الادب الراقى او الرفيع الذى قال به العقاد بمعنى ان للادب الرفيع ايضا موضوعاته الخاصة الرفيعة التى ترتفع به عن قضايا الحياة المادية او اليومية اوالدنيا هذه هى على اى حال وجهة العقاد ، وان

كان من البين أن جميع ألوان الادب ، من أعلى المراتب حتى أرخصها ، قد تشترك في الموضوعات ، بل وقد تلجأ الى نفس الوسائل الفنية عن طريق التأثر والتقليد وعلى الرغم من ذلك تظل الفروق بينهما واضحة للعيان ، فالموضوعات والوسائل الفنية تكتسب ماتكتسب من مضمون ومعنى أولا في اطار العلاقات الداخليـــة التي يشكلها العمل الفنى ، ومن خلال عـلاقة هذا العمل الفنى بالموقف الاجتمـــاعي التاريخي .

وغير خفي أن منظار النظر الى «الالام» هــذا ، والتفرقة الثنائية بين الالام ، منظار جمالي فلسفي في المقام الاول ومنظار متعال ذو طابع ايديولوجي .

ينهي العقاد مقاله الثاني عن المنفلوطي بفقرتين وجيزتين لعلهما اهم ماجاء به .. في الفقرة الاولى يصف نظرة المنفلوطي الى الاخلاق والسلوك بانها نظرة احـادية لا تعرف غير الابيض او الاسود ، ولا تميز الا بين الخير والشر ، ومرجع ذلك ــ كما يعتقد العقاد ــ انه « يحكم على الاخلاق والطبائع باسمائها وتعريفاتها لا بما يحسه من العطف عليها وعلى اصحابها » ص ١٦٨ » .

وفي الفقــرة الاخيرة يشير الى دور المنفلوطي ككاتب وارتبــاط هـذا الدور بحاجات جمهور كبير من القراء ، ومــن الواضح انه يعني جمهورا جـديدا مـن القراء العاديين أى من غير فئات «الخاصة» :

« فلابد لنا أن نقول أن النفوس التي يهمها ويعطف عليها اكثر عـددا واحوج الى التثقيف والتعليم من النفوس التي لا عهد له بها ولا صلة عطف بينه وبينها ، وان نظرته الى الاخلاق والشعور أهون أن تفيد قراءة وتحظى لديهم من كل نظرة سواها ، ولعلها .. أصلح زاد لهم مــن غذاء الفكر والعاطفة ، بل لعلهم كانوا في حاجة الى منفلوطي يظهر لهم لو لم يظهر لهم هذا المنفلوطي الذي عرفوه واقبلوا عليه » « ص ١٦٩ » .

ومضمون الفقرة الاخيرة أن جمهــور المنفلوطي فنوع بتلك الآفاق المحدودة التي يطرقها ، بل أن الانتاج المنفلوطي يمثــل غذاء فكريا وعاطفيا يناسب حاجات هــذا الجمهور الواسع الذي لا عهد له بالثقافة كما يرى العقاد . وان لهذا الانتاج ، وان لم يتفق مع مقاييس العقاد الفنية ، جذوره الاجتمــاعية التاريخية ووظائفه ، وان المنفلوطية تمثل ظاهرة أبعد من المنفلوطي وكتاباته ، وهذا هو مدار الحديث في الابواب التالية .

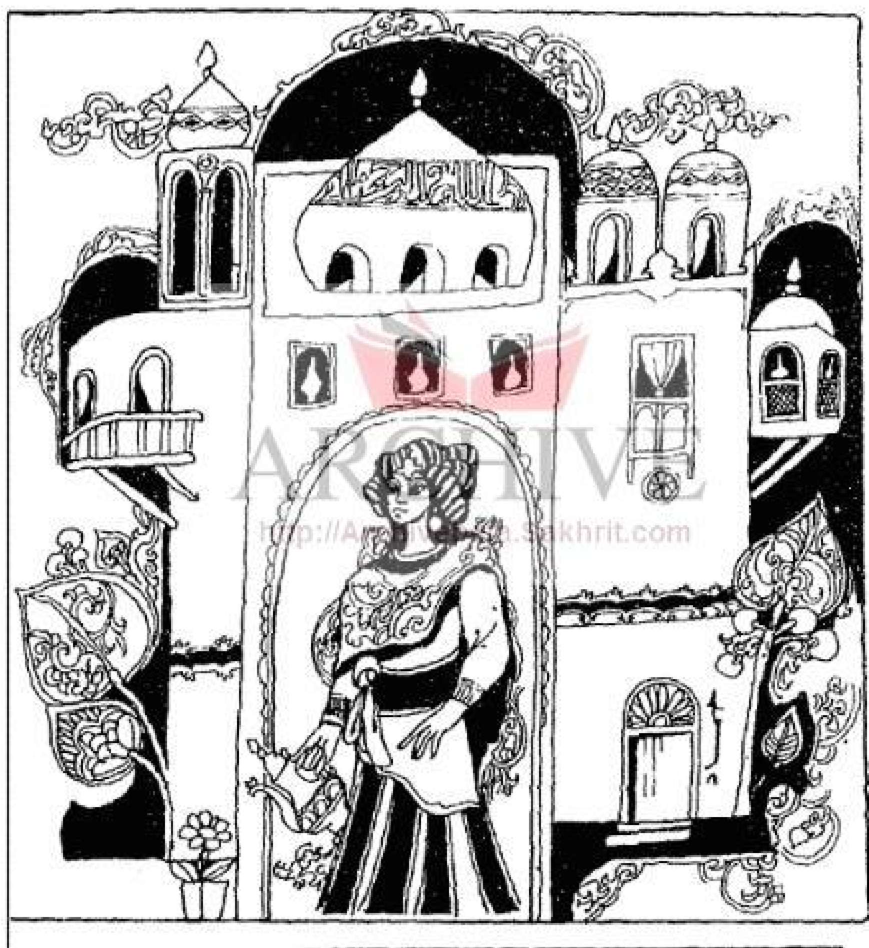
ولكن فلنحذر الاخذ بمنظار العقاد في رؤيته لجمهور القراء العام ، فقــد امتاز هذا الجمهور ، أيا كانت حدود آفاقــه بميوله الادبية وبتعلقه بالقيم الادبيــة اللغوية . لعله لم يكن جمهورا مثقفــا بالمعنى الاصطلاحي المتشدد ولم يعــرف القراءة العريضة أو التوسعية ولكنه كان جمهورا ادبيا .

ومهما يكن من أمر ، فلا يمثل المنفلوطي والعقاد طرفي نقيض فحسب ، وانما يجمعهما أيضا تلك الرابطة التي تربط بين مستويات الرومانسية ، أو بتعبيــر أدق ، بين « الرومانسية الدنيا » و « الرومانسية العليا » ، وسنعود الى تفصيل ذلك فيما بعد ●

عميد المؤرخين المصريين

عبد الرحمن بن عبد الحكم

بقلم: جمال الغيطانى





« .. فى ٦٤٠ هـ ، دخل العرب مصر ، ومن قبل عـرفت مصر اقواما كثيرين جاءوا اليهـا فاتحين ، واستقروا فيها مددا متفاوتة ، ولكن لم ينجح احدهم فى فرض لغته ، او ثقافته ، كان هناك الرومان ، وقبلهم اليونان ومن قبل الفرس ، ولكن مصر بقيت هى مصر ، لقد كان تأثر المصريين احيانا فى الغزاة والفاتحين اشد مـن تأثرهم هم ، كانت مصر كالبوتقة تصهر ولا تنصهر ومع مجيء العرب الى مصر بدت ظاهرة جديدة فى التاريخ المصرى ، لقد استقرت القبائل العربية فى مختلف الاقاليم المصرية ، واختلط العـرب بالمصريين ، وكانت الثمرة ، هى تعريب مصر ، وتمصير العرب ، ذابا معاً ، وانتشر الاسلام ، وبعد قرنين ونصف من الزمان كانت الملامح العربية لمصر قـد ترسخت واتضحت ، بل ان مصر اصبحت القاعدة الكبرى التى تخدم الثقـافة العربية والاسلامية فى اندفاعها تجـاه الغرب والاندلس ، والجنوب فى اتجاه بلاد النوبة وبقية الاقطار الافريقية ..

فى هذه المرحلة الزمنية عاش عبـد الرحمن بن عبد الحكم ، اقدم المؤرخين المصريين ، عن نهم ، واول من دون ملامح مصر العربية ، وبدايات العصر العربى الذى كان قريبا نسبيا منه ، من المصادر التاريخية نعرف انه توفى سنة ٢٥٧ هـ بالفسطاط ، ودفن الى جوار الامـام الشافعى ، كان عمره عند وفاته حوالى سبعين عاما ، اى ان مولده كان فى سنة ١٨٧ هـ تقريبا .

كانت اسرة بنى عبد الحكم على حظ وافر من الثراء ، لكن الاهم من ذلـك هو اشتهارها بالعلم ، خاصـة رواية الحديث وتحقيقه ، ورواية الحديث كانت تقتضى توفر شروط معينة فى صاحبها . اذ لابد ان يكون ملما بكافة الاسانيد ، ومعرفة الرواة الذين ينقل عنهـم ، والقدرة على المقارنة ، وبشكل عام كانت رواية الحديث هى المدخل الطبيعى الذى بدأ منه المؤرخون الاسلاميون ، كـان والده مؤرخا واخوته من كبار المحدثين ، وبالطبع نشأ عبد الرحمن بن عبد الحكم فى هذه البيئة العلمية ، وتأثر برواية الحديث ، وانتقل بسهولة الى رواية الاخبار ، وهكذا كان اول مـؤرخ فى مدرسة التاريخ العربى لمصر ، ولكـن هذا لا يعنى ان الظروف كانت سـهلة ممهدة امامه ، لقد نزلت محنة قاسية على الاسرة بعد وفاة والده اثناء الفتنة التى تسبب فيها الخليفة العبـاسى الواثق بالله ، فتنة خلق القرآن ، لقد رفض الابناء الاعتراف بمذهب خلـق القرآن كما رفضـه غيرهم المتمسـكون بالاصول وبسبب ذلك عـانوا عـذاب السجن ، ومات احد الاخوة فى سجن يزيد التركى معذبا بالسوط . والشوى بالنار ، كما اصيبت الاسرة بمحنـة مالية واجتماعية عندما عهد اليها ان تكون حارسة على اموال احد الـولاة الذين صادرت الدولة اموالهـم ، وعندما ارسلت الدولة من يحاسبهم لم

● كتاب يحفظ للزمن نضارة وجه مصر العربى فى زمانه الأول

● هل كانت الأهرام مغطاة كلها بكتابات محاها الزمن ؟

● أول مؤرخ سجل تفاصيل الخطط التى بلغت قمتها على يدى المقريزى

تستطع الاسرة تسديد حساباتها فزج بهم فى السجون ، وصودرت املاكهم ، فى ظل تلك الظروف الوعرة نشأ مؤرخنا ، اتجه فى مسيرة دراسته الى التاريخ ، ولا شك أن المضمون التاريخى لمصر ، سواء المتناقل ، او المتمثل فى الاثار القديمة كان مصدر وحى له على الاحساس بالتاريخ وتدوينه ، وهكذا يفتتح كتابه بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبط اهل مصر ، ثم يذكر بعض فضائل مصر ، ومحاسنها ، والايات القرآنية التى ذكرت مصر ، او الاحاديث النبوية ولاول مرة يقدم مؤرخ مصرى على تدوين تاريخ البلاد كتاريخ وطن محلى ، ليس جزءاً من تاريخ بلدان اخرى ، او ليس مذكورا عرضا ، ومن خلال هذا الوطن العربى الجديد ، يرصد ابن عبد الحكم تاريخ الوطن الاشمل الممتد غربا حتى المحيط وشرقا حتى فارس والصين ، ولاول مرة تصبح مصر العربية هى بؤرة كتاب مستقل لمؤرخ دقيق ، يدون ، ويسجل ، وهنا نجد شكلا جديدا للتدوين التاريخى ، لقد ساير المحدثين فى رواياتهم الاسانيد ، وخالف المؤرخين فيما اتبعوه من تصنيف ، مثل البلاذرى المتوفى سنة ٢٦٩ هـ ، او الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، والدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، لقد نهج منهجا فريدا فى كتابة التاريخ المفصل للاسلام والعرب فى مصر من مصادره الشفوية والتحريرية ، وتتمثل الاخيرة فى مخطوطات المؤرخين الذين سبقوه مثل يحيى بن عبد الله بن بكير ، وابن لهيعة ، والليث بن سعد ، ويزيد بن حبيب ، كان ابن عبد الحكم دقيقا الى حد انه كان يهتم بمصدر الحدث اكثر من اهتمامه بالمضمون نفسه وبالاضافة الى ذلك تبدو رؤيته الشخصية ، وملاحظاته ، والروايات المتناقلة ، ومعاينته للاماكن وهذا ما اعتمد عليه بشكل اساسى فى الجزء الخاص بخطط الفسطاط ، لقد كان ابن عبد الحكم اول من سجل تفاصيل الخطط التى ازدهرت فيما بعد على ايدى القضاعى ، والمسبحى ، وبلغت قمتها على يدى المقريزى ، ومن المتاخرين على مبارك ، يقول ابن خلكان فى وفيات الاعيان ، ان ابن عبد الحكم كان من اهل الحديث والتاريخ ، وكان اول من انفرد من مؤرخى جميع الاقطار الاسلامية بكتابة التاريخ المحلى لبلد معين ، ان المادة التى جمعها ساعدت على اظهار دور مصر فى فجر تاريخها العربى ، ودورها فى خدمة العروبة والاسلام .



ماذا في تاريخ ابن عبد الحكم ؟؟

يتكون « فتوح مصر والمغرب » من سبعة اقسام ، نلاحظ الرقم سبعة السحرى هنا الجزء الاول يختص بفضائل مصر ، انه الرحيل مع الاسطورة كان التاريخ القديم لمصر قد اصبح موغلا في البعد ، نائيا ، غامضا تقوم الاثار أو « البرابى » كما كانوا يسمونها ، ولا يدرى أحد سر القلم الغريب الذى كتب هذه النقوش ، يذكر المقريزى ان الاهرام كان مغطى بأكمله بالكتابة ، لقد انمحت فيما بعد ، ولنا ان نتصور مدى ما كان سيكشف لنا من اسرار لو وصلت الينا هذه الكتابة الهيروغليفية ، لكن نفس هذه اللغة كانت تحير المؤرخين القدامى ، من هنا اوجدوا تاريخا بديلا ، تاريخا أسطوريا كبديل للتاريخ الواقعى ، ويعد هذا التاريخ هو الاساس الذى نقل عنه المؤرخون الذين جاءوا بعد ابن عبدالحكم ولا توجد اى علاقة بين التاريخ الاسطورى لمصر ، والتاريخ المدون الذى عرف بعد اكتشاف اسرار اللغات الفرعونية ، فيما عدا بعض النقاط المحددة ، كذكر الصراع بين الفرس والروم .

في الجزء الثانى من الكتاب ينتقل ابن عبد الحكم الى الفتح الاسلامى لمصر بقيادة عمرو بن العاص ، وهنا يعتبر ابن عبد الحكم من اقدم المؤرخين الذين وصلتنا كتاباتهم عن تاريخ مصر في العصر العربى الاول ، وهو اقربهم الى عصر الفتح ، يورد حركة الجيش العربى في مصر حتى فتح الفسطاط ، ثم فتح الاسكندرية ، وعند حديثه عن تاريخ الاسكندرية يقول ان الذى اسسها هو ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر ، وبه سميت الاسكندرية ، ولكن سرعان ما يورد أساطير حول الاسكندرية ، ويذكر معلومات دقيقة حول عدد السكان ، ويحصى عدد السكان بمصر ويقدرهم بستة ملايين نفس ، وكانت الجزية المقررة على كل منهم دينارين ، وتؤيد المراجع العلمية الحديثة تقديره لعدد سكان مصر ، ولكنها تختلف من حيث تقديره للمبالغ المتحصلة من الخزينة ، ويذكر انه عندما خرج الوالى ابن رفاعه الى الريف ، احصى حوالى عشرة الاف قرية ، ويستمر في رسم صورة دقيقة للادارة العربية ··ـدة ، من حيث جباية الخراج ، ونظام الضرائب ، والادارة ، ومن خلال

الاحداث يروى ترحيب المصريين بالفتح العربي ؟

« انه كان بالاسكندرية أسقف يقال له ابوبيامين « بنيامين » فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص الى مصر كتب الى القبط يعلمهم انه لا تكون للروم دولة ، وان ملكهم قد انقطع ، ويامرهم بتلقى عمرو ، فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ أعوانا لعمرو »

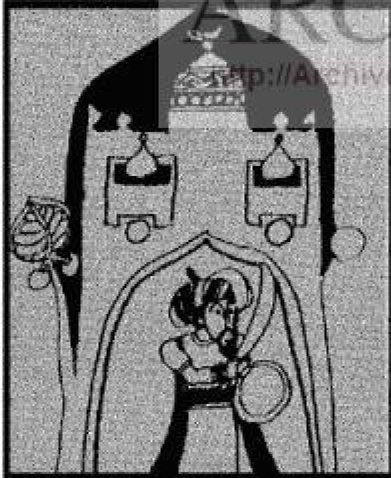
ثم يقول انه خرج مع عمرو :

« جماعة من رؤساء القبط ، وقد اصلحوا الطرق واقاموا لهم الجسور والاسواق ، وصارت لهم القبط اعوانا على ما ارادوا من قتال الروم » .

ويذكر ان عمرو بن العاص اهتم بالاستفسار من اهالي البلاد انفسهم عن افضل سبيل للادارة ، وقد اجابه الاسقف بنيامين قائلا :

« تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، ان يستخرج خراجها فى ابان واحد عند فراغ اهلها من زروعهم ، ويرفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر كرومهم ، وتحفر فى كل سنة خلجها وتسد ترعها ، ولا يقبل محل اهلها يريد البغى ، فاذا فعل هذا فيها عمرت ، وان عمل فيها بخلافه خربت » .

وقد نفذ عمرو بن العاص وصية الاسقف بنيامين بحذافرها ، واستطاع بذلك تقليص حد المظالم ، وتطهير الاجهزة الادارية من الفساد ، وانتقلت العاصمة الادارية من الاسكندرية الى الفسطاط وعندما استقر عمرو بن العاص فى الفسطاط بنى دارا للامارة وارسل الى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ، فكتب اليه عمر بن الخطاب قائلا : « انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ؟ » وامره بان يجعلها سوقا للمسلمين ، وكان ذلك يتفق مع حرص عمر بن الخطاب على البساطة ، ثم انشا « الديوان » الذى يضبط الاموال ويقرر العطاء المفروض للجند واسرهم ، طبقا للاسس التى وضعها عمر بن الخطاب ، ويذكر ابن عبد الحكم جهود عمر من اجل التنسيق بين الادارة الاسلامية الجديدة ، واشكال الادارة القديمة ، ويذكران عمرو بن العاص كان حريصا على شرح التنظيمات الادارية الجديدة للناس عن طريق الخطب العامة ويورد نصا لخطاب مطول ألقاه عمرو بن العاص فى يوم جمعة من ايام عيد الفصح سنة ٦٤٤ م ، ويعد من اقدم الوثائق التى توضح اسس التشريع الاسلامى فى مصر ، وركز على اهتمام عمرو بن العاص بتعمير مصر حتى انه كان لا يرسل الخراج الى الخليفة الا بعد اقتطاع كل ما تحتاج اليه البلاد من اجل « حفر خلجانها واقامة جسورها ، وبناء قناطرها وقطع جزائرها » وذلك عملا بنصيحة بنيامين ، ويقرد ابن عبد الحكم



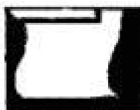
فصلا كاملا يورد فيه الكتابات التى تم تبادلها بين الخليفة عمر بن الخطاب ، وحاكم مصر عمرو بن العاص بسبب تأخر وصول الخراج ، وعنوان الفصل « ذكر استبطاء عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فى الخراج »

اما الجزء الثالث فيضم الخطط ، وعرض فيه ابن عبد الحكم للخطط والارباع التى اقامها العرب فى الفسطاط والجيزة ، لقد اوضح خطط مصر الاولى ونزول القبائل بالفسطاط وقيام المساجد والمنازل الاولى ، كذلك خطط الاسكندرية ، وتتبع نموها فى عهد حكامها العرب ، وفى هذا القسم يعتبر ابن عبد الحكم هو الواضع الاول لاسس الخطط المصرية ، ومنه استفاد كافة المؤرخين الذين جاءوا بعده ..

فى الجزء الرابع يصف ادارة مصر تحت امارة عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن سعد ، ويذكر فتح الفيوم ، وبرقة، وطرابلس ، بقيادة عمرو بن العاص ، ويذكر فتح النوبة وشمال افريقيا بقيادة عبد الله بن سعد ، وثورة الاسكندرية، وفتحها الثانى ، وينتهى هذا الجزء بوفاة فاتح مصر عمرو بن العاص .

اما الجزء الخامس فيخصصه لفتح شمال افريقيا واسبانيا ، حتى سنة ١٣٠ هـ تقريبا ، وتبدو فتوح المغرب هنا وكأنها تكملة طبيعية لفتح مصر ،وسوف نلاحظ فيما بعد أن مؤرخى مصر العربية نظروا الى المغرب على اساس انه امتداد جغرافى طبيعى لمصر ، وتكمن اهمية ابن عبد الحكم كمصدر فى تاريخ الفتوحات العربية فى المغرب الى انه مصرى ، وان القوات العربية كانت تخرج من مصر ، واليها كانت تعود بالغنائم ، وتصعد روايته اقدم واكمل رواية فى هذا الموضوع وحتى القرن الثالث الهجرى ، والملاحظ أن رواية ابن عبد الحكم تستند الى مصادر محددة ولم تخلط الواقع بالاسطورة ، ويحوى الجزء السادس تاريخا مختصرا لقضاء مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ ، اى قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات .. ويضم الجزء السابع مختارات من الاحاديث والروايات النبوية لاصحاب رسول الله الذين وفدوا على مصر ، وقد ذكر ابن عبد الحكم اثنين وخمسين صحابيا .

عرف كتاب « فتوح مصر والمغرب » بدءا من القرن الخامس الهجرى ، حين بدأ بعض المؤرخين يروون عن ابن عبد الحكم ، ثم بقيت نسخ الكتاب مخطوطة يتناقلها الرواة والمؤرخون ، وعرف الكتاب طريقه الى المطبعة فى القرن التاسع عشر سنة ١٨٥٦ م ، عندما نشر جزء من الكتاب ، ثم نشر جزء آخر سنة ١٨٥٨ ، ثم نشر جزء ثالث عام ١٩١٤ ، وتم نشره كاملا لاول مرة على يد المستشرق الانجليزى شارل تورى عام ١٩٢٠ وطبع فى جامعة « ييل » ، ثم نشر الجزء الخامس عام ١٩٤١ فى الجزائر ، وهو الخاص بفتوح المغرب والاندلس ، وفى سنة ١٩٦١ نشر الاستاذ عبد المنعم عامر جزءا من الكتاب وضع له عنوانا « القسم التاريخى » ، ولكن لم ينشر القسم الثانى ، أى ان الكتاب لم يطبع كاملا حتى الان فى اللغة العربية ، غير ان اهم ما تم بخصوص ابن عبد الحكم تلك الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية التاريخية سنة ١٩٧١ وخصصتها لدراسة « ابن عبد الحكم »، ثم صدرت مجموعة الدراسات فى كتاب عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٧٥ ، ليتنا نقرأ عن تحقيق ونشر الكتاب كاملا ، ذلك الكتاب الذى يحفظ للزمن نضارة وجه مصر العربى فى زمانه الاول ! ●



من ذخائر
الكتب العربية

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأمالي لأبي علي القالي

● ماهى قصة تلقيبه بالقالى ؟
● رحلة القالى من بغداد إلى قرطبة
● "الأمالى" من مصادر الأدب العربى
● كان القالى شمساً طلعت فى المغرب

– ١ –

نحن امام شخصية بغدادية اندلسية، امام عالم واديب كبير من اعلام القرن الرابع الهجرى ، هو ابو على القالى البغدادى الاندلسى (٢٨٨ – ٣٥٦ هـ : ٩٠١ – ٩٦٧ م) .

والقالى من اشهر اعلام الادب العربى القديم ، وهو امام فى اللغة وعلوم الادب، وله مؤلفات حجة مشهورة مأثورة ، ويقول الزبيدى فى كتابه « الامالى » : « ما نعلم احدا من المتقدمين الف مثله » (٢ : ٢٥٢ معجم الادباء لياقوت) .

وكان القالى احفظ اهل زمانه للغة ، وارواهم للشعر ، واعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين ، واكثرهم تدقيقا فى ذلك ..

وولد ابو على اسماعيل بن القاسم القالى بمنازجرد من اعمال ديار بكر (٢١٨ بغية الملتمس للضبي وهو احد اجزاء موسوعة المكتبة الاندلسية) . وكان جده الاعلى سليمان مولى لعبد الملك ابن مروان الخليفة الاموى ، ولذلك كان القالى يعد نفسه امويا ويدين بالولاء لبنى امية ، والى الخلافة الاموية فى الاندلس كان يولى وجهه دائماً ، بل وقلبه وعقله كذلك .

ونشأ القالى فى بلده ، وحصل اطرافا من العلم ، ثم رحل الى العراق لطلب العلم . وفى طريقه الى بغداد دار السلام كان فى رفقته جماعة من « قالى قلا » ، وهى قرية من قرى " منازجرد " ، وكانوا يكرمون – كما يقول القالى – لكانهم من الثغر . فلما دخل بغداد نسب اليهم ، لكونه معهم ، واطلق عليه من ثم لقب القالى ، واحيانا كانوا يسمونه « البغدادى » لطول اقامته فى بغداد ، وكانت رحلة القالى هذه الى بغداد عام ٣٠٢ هـ / ٩١٦م ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره (١ : ٢٥٢ معجم الادباء لياقوت) .

وفى بغداد تتلمذ القالى على فحول العلماء وائمة العلم والثقافة ، وجهابذة الرواة .

وبما نبغ القالى فى علوم اللغة والادب لاساتذته ، واخذت شهرته تزداد فى حلقات العلم والثقافة فى بغداد ، وجلس للتعليم والافادة ، وظل نحو ربع قرن مقيما فى دار السلام ، متعلما ومعلما ومفيدا ومحققا .. حتى جاءت سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ، فكانت حدا فاصلا بين حياتين .

كان القالى ينتمى الى بنى امية ، وكان هواه معهم ، وكان الوزراء من بنى العباس شبه معروف للقاصمه من ارائه ولدآته . وكان لبنى امية دولة فى الاندلس اسسها عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨ هـ : ٧٥٦ م ، وظلت قائمة حتى عصر القالى وبعد عصره ..

وكان الحكم فى الاندلس ابان ذلك –



من ذخائر الكتب العربية

اى عام ٣٢٨ هـ للخليفه الاموى المشهور عبد الرحمن الناصر الذى تولى الحكم فى الأندلس خمسين عاما (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) رفع فيها منار العلوم والاداب فى هذه البلاد ، ووطد فيهما دعائم الدولة ، ونهض بمملكته وشعبه نهضة كبيرة . وحارب خصومه وانتصر عليهم فى مواقع عدة . وكان يساعده فى حكم البلاد ابنه وولى عهده الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة بعد ابيه ستة عشر عاما (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ) ، وكانت عاصمة الخلافة الاموية فى الاندلس هى قرطبـة ، منذ اسس عبد الرحمن الداخل مملكة اموية فيها. وفى عهد الناصر وابنه الحكم اسست المكتبات ، وانشئت الجامعات والمدارس ، وازدهرت الحركة العلمية فى الاندلس ازدهارا لم يحدث له نظير من قبل .

وكان من الممكن ان يسمع الامويون فى الاندلس بعـالم كبير ينتمى الى بنى امية ، ويعيش فى بغداد شبه مغضوب عليه .

وفى لحظة حاسمة فى حياة القالى وصلته رسالة من الناصر خليفة المسلمين فى الاندلس ، يرغبه فيهـا فى الوفود عليه ، لنشر علمه . ولبى القالى الدعوة وسافر الى قرطبة ، مودعا بغـداد ، ومهده فيها ، وحياته بها .. وكان ذلك هو التطور الـكبير فى حياة ابى على القالى البغدادى .

— ٢ —

فى احد ثغور الاندلس وصلت سفينة صغيرة تقل عالمنا الكبير ابا على القالى . وتلقاه بامر ولى العهد الحكم بن الناصر فى الميناء ابن رماحس ، وهو احد رجال البلاط ، فى وفد من العلماء والوجهاء.. تكريما لعالم جليل ، له ميول انتمائية اصيلة الى بنى امية ، والى الخـلافة الاموية فى الاندلس .. وسـاروا وسار معهم القالى فى موكب نبيل الى قرطبة ، يتذاكرون الادب ، ويتناشدون الشعر .

دخل القالى قرطبه لثـلاث بقين من شعبان عام ٣٣٠ هـ : ٩٤٢ م كمـا يقول ابن خلكان ، فاكرم الناصر وفادته ، واعلى فى دولته مكانته ، واثره بتاديب ولى عهده الحكم وتثقيفه ثقافة ادبية وعربية عالية ، فكان استاذ ولى العهد . واستوطن قرطبة واخـذ يلقى محاضراته ودروسه فى حلقات مسجده الجامع ، فاورث ابو على اهل الاندلس علمـه ، واقبل عليه الطـلاب للافادة والتعلم والتادب ، ولازموا دروسـه التى كان يلقيها من روايته وحفظـه فى كل يوم خميس بقرطبة ، فى المسجد الجـامع بالزهراء .

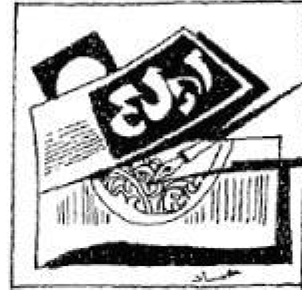
وكانت قرطبـة انذاك من العواصم الكبرى فى العـالم ، وقـد بلغت من الحضارة منزلة تضـارع المنزلة التى بلغتها بغداد ، وكان سكانهـا اكثر من مليون نسمة وقد انشا الناصر على مقربة منها مدينة الزهراء الجميله .

وكانت قرطبة كما يقول « سيديو » : « تصيح مضيئة ، وحاراتها مطيبة ، بما يلقى فيها من الزهود ، والالحـان الطربة تسمع فى المتنزهات والميـادين العامة » .

وكان القالى واسع العـلم ، كثير الرواية ، طويل الباع فى علوم الادب واللغة ، مما شهد به علمـاء عصره ، فسمع الناس منه، وقراوا عليه، وعظمت استفادتهم منه .. وصاروا له تلامذة ومريدين ، وكان القالى شمسا بدت من المغرب ، وخلا مكانها فى المشرق كمـا قال الرمادى الشـاعر الاندلسى فى مدح القالى :

وكانه شمس بدت فى غربنـا
وتغيبت عن شرقهم بافـول

عاش القالى عشرين سنة فى الاندلس فى ظل الناصر ، وستة اعوام فى خلافة



ابنه الحكم بن الناصر ، الذى شمله بالعطف والعطاء . وكان بين ابى على وعلماء الاندلس وادبائها مداعبات كثيرة ، وكان من معاصريه فى هذه الفترة : ابن القوطية ، والزبيدى وغيرهما . وارتفعت مكانته فى الدولة ، واحتل منزلة سامية فيها ، حتى صار عميد العلماء والادباء فى زمنه ، كما كان امام الادب وشيخ اللغة فى عصره .

ـ ٢ ـ

ومن اجل ما الف القالي كتابه المشهور « الامالي » الذى صار من اشهر مصادر الادب العربى القديم ، ويعد من اصول الثقافة الادبية الشامخة ، وقد اشاد به العلماء والادباء والنقاد ، على امتداد العصور ، يقول فيه ياقوت فى « معجم الادباء » : انه كتاب معروف بين الناس ، كثير الفوائد ، غاية فى معناه » ، ويقول فيه ابن حزم : انه يبارى كتاب الكامل للمبرد ، وان كان الكامل اكثر نحوا وخبرا ، فان الامالي اكثر لغة وشعرا (٢ : ٣٥٢ معجم الادباء لياقوت) . والامالي حقا دائرة معارف واسعة فى الادب والنقد والشعر واللغة ، وعده الكثيرون فى مقدمة امهات كتب الادب العربى ، ويقول القالي فى مقدمته : « اودعته فنونا من الاخبار ، وضروبا من الاشعار ، وانواعا من الامثال ، وغرائب من اللغات . على انى لم اذكر فيه بابا من اللغة الا اشبعته ، ولا ضربا من الشعر الا اخترته ، ولا فنا من الخبر الا انتخلته ، ولا نوعا من المعانى والمثل الا استجدته ، ثم لم اخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول (ص) .. » ويقول فيه محقق كتاب « الامالى » : ان ائمة اللغة والادب طالما تجدهم يتقلمون فى كتبهم من درره ، ويغترفون من بحره ، وهو تاليف جزل الفائدة جم النفع لمن يريد التعمق فى اللغه ، والآداب العربية ، والاخبار المنتخبة ، والاشعار المختارة ، والامثال المستجادة .

والامالى مطبوع فى دار الكتب المصرية فى جزءين ، ومعه كتاب ذيل الامالي والنوادر للقالي ايضا . وكتاب « التنبيه على اوهام (اخطاء) ابى على فى اماليه للبكرى » .

ومقدمة كتاب « الامالي » سجل ثمين يكشف لنا الوانا من حياة القالي وادبه، فهى تمثل نثره الفنى اصدق تمثيل ، وهى تصور لنا البواعث النفسية لتاليف الكتاب . والقالي فيها ، يشيد بفضل العلم ، ويثنى فيها على الناصر ، وعلى ولى عهده الحكم .. وعلى تشجيعهما للاداب .. ويذكر فيها انه املى «الامالي» فى أيام الخميس بقرطبه ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة .

وثقافة الكتاب اللغوية واضحة لكل من يقرا « الامالي » . وثقافته الادبية ينطق بها ما احتوى عليه الكتاب من روائع الاثار الادبية المرويه من العصر الجاهلى



من ذخائر الكتب العربية

والاسلامى والاموى وصــــدر دولة بنى العباس ، وهى نصوص ادبيه رفيعة قد لا توجد فى كتاب اخر ، سواء ما سجله القالى منها من النثر ام الشعر .. وفى الكتاب كذلك اراء واحكام ومجالس فى النقد ، وهى ذات اهميه كبيرة فى ثقافة الاديب والتذوق للادب .

والنصوص التى احتوى عليها الكتاب تفسر لنا بعض الجوانب الغــامضة من حياة العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام وعصر بنى امية .

واكثر روايات القــالى هى من ابن دريد ، ويظن ان مجــــالس ابن دريد الواردة فى « الامالى » هى النبعة الاولى لظهور فن المقامة فى الادب العــربى ، ومنها مثلا حديث البنات الثلاث اللاتى وصفن فيه ما يحببن من الازواج .

والقالى يمزج الشعر بالنثر ، والخطب بالامثال ، والحكمة بالوصية ، والنقــد بالشرح ، ويأتى مع ذلك بالطــــرائف المستجادة ، والفوائد المستحسنة ، ممــا يروح به عن السامع والقارىء .

وبين بحوث الكتاب اللغوية يعقــد القالى مطالب يذكر فيها ما قال الشعراء فى الحديث اى السمر ، او فى البكاء ووصف الدموع ، او فى العناق او غير ذلك . ويذكر كثيرا من القصائد المشهورة ويلم بطــــرائف كثيرة منوعة . وكثيرا ما يستروح الى شىء من النقد ، فيذكر مثلا سؤال بعض الخلفاء الامويين لجرير عن اشعر الشعراء . او يروى مفاضلة بين عمر وجميل فى الغزل ، او يذكر ما يستحسن ويستجاد من شعر شاعر ، مما يدل على روح النقد الاصيلة عنــد القالى .

اما ملاحظات البكرى على القـــــالى فبعضهــــا يرجع الى تصحيح اسم من الأسماء ، او كان يصحح شرحا لنص من النصوص ، او غير ذلك .

والكتاب بحق دائرة معارف فى الادب القديم ، وهو ثمرة من ثمرات الرجوله ، وهو صورة واضــــحة لاداب المشرق فى مختلف العصور الى اخر القــرون الثانى الهجرى ، وهو اللون الذى كان يعشقه الاندلسيون من الاداب ، اذ كانت اداب المشرق فى الاندلس من الطرف الجميلة ، التى يحتفل بها ، وتروى وتذاع . وليس فى الكتاب شىء من اداب الاندلسيين ولا من ماثوراتهم ، انما هو صورة واضحة مشرقه للذوق ادباء المشرق وشعرائه ونقاده فى العصر القديم .. وهذا الصنيع هو نفسه صنيع ابن عبد ربه الاندلسى حين الف كتابه « العقد الفريد » فاختار فيه روائع اداب المشرق ، ولم يلم فيه بشىء من اداب الاندلسيين .

الامالى حقا مملحة ادب ولغة ونحــو وسير ، واخبار طريفة ، لا يستغنى عنها مثقف ، ولا يتجاهلها اديب .. وهــو النموذج الفنى الاول لكتب الامالى .

وفى قرطبة كانت وفاة القالى فى ربيع الاخر من عام ٣٥٦ هـ : ٩٦٧ م .. رحمه الله . ●







تقديم : رجاء عبد الله

الغجر

رسالة دكتوراه : للدكتور نبيل صبحي حنا

مدرس علم الاجتماع والانثروبولوجيا بكلية الآداب جامعة القاهرة



الغجرية العجوز تدمن التدخين



يقول الدكتور محمد الجوهري رئيس قسم الاجتماع بجامعة القاهرة في مقدمة الدراسة ..

« هذه دراسة جديدة طريفة عن موضوع قديم لدى كل منا تصورات خاصة متوارثة ومتضاربة حوله ،وهي دراسة علمية رصينة تأخذ بكل أسباب المنهج العلمي . وتحاول ان تضع ايدينا على الحقيقة وسط هذا التيه الكبير من الاوهام والتخيلات التي تملأ نفوسنا وعقولنا عن الغجر .

فالغجر منذ القدم شعب فريد متميز ، ولذلك أصبح محورا للدراسات والكتابات والتأويلات ، التي تقترب احيانا قليلة من الحقيقة ، ولكنها تجافيها وتتجنى عليها في أغلب الاحوال ، فمعلوماتنا عن الغجر فيها من نسج الخيال اكثر مما فيها من صلب الحقيقة وصلابتها ، وقد آن الاوان لكي نعدل من تلك المعلومات بحسب ما تزودنا الدراسة العلمية المتأنية .

وقد اهتم صاحب الدراسة منذ بداية عهده بالبحث العلمي بدراسة الجماعات الهامشية من منطلق انساني متحضر ،مركزا على دراسة الوسائل الكفيلة بتحقيق اندماج تلك الجماعات الهامشية في جسد المجتمع الكبير ..

● وقد قضى الباحث ست سنوات في القراءة والاطلاع الموسوعي لتحضير رسالة الدكتوراة عن الغجر ، قضى منها سنتين في جامعة حلب .. مما دعاه الى تقديم دراساته المتكاملة في كتاب شامل عن جماعات الغجر في العالم مع اشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية .. وهي هذه الدراسات التي نقدمها في هذا العدد .

من هو الغجري ؟

● تستخدم كلمة جيبسي Gypsies في انجلترا ودول الكومنولث والولايات المتحدة الامريكية لتدل على جماعات الغجر . وقد ظهرت هذه الكلمة لاول مرة في اللغة الانجليزية سنة ١٥٣٧ ..

واذا كانت هذه الكلمة هي الاسم الشائع الذي يطلقه الناس عليهم ويطلقونه على انفسهم ، فان هناك اسم « روماني » ويطلق على جماعات كثيرة في أوروبا ، كما يطلق عليهم في فرنسا اسم « البوهيميين » . وفي شمال اوروبا اسم « التتر » .

العدد والجماعات الاساسية واللغة ..

تباينت الآراء حول تعداد الغجر نظرا الى طبيعة ترحالهم التي تمكنهم من الهروب من الاحصاءات .. وان كان هناك من يقدر عددهم في أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية بحوالي مليون أو مليون ونصف ، ولكن تناقص العدد بسبب الحرب ، فقد قامت حكومة النازي بعزلهم وابادتهم ، وقد ادى ذلك الى انقاص عددهم في المانيا وحدها ـ حسب التقديرات ـ من ثمانية عشر الف غجري الى خمسة أو ستة آلاف .

وطبقا للبحوث التقديرية فان عدد الغجر الشرقيين يتراوح بين ٦٠ الى ٢٠٠ الف غجري ، وفي الولايات المتحدة مائة الف نسمة نصيب مدينة نيويورك وحدها يتراوح بين سبعة آلاف واثنى عشر الف غجري .

وبصفة عامة فان هناك اتفاقا بين الدارسين على ان اعدادهم تصل الى ستة ملايين نسمة موزعة في مناطق متفرقة من العالم .

ويخبرنا الشـــاعر الايراني

● ان البرنس بهرام جور ، قد ادرك في سنة ١٩٣٦ قبل الميلاد ، حاجة العمال الى نوع من التسلية ، فارسل الى مهراجا الهند يطلب منه أن يختار من بين الافراد من يتميزون بشيء من المواهب ، بحيث يمكنهم الترفيه عن الرجال وتخفيف عبء العمل عنهم ، فارسل له احد عشر الفا من المتجولين المغنين الرجال والنساء ، فحدد لهم بهرام الطـريق ، وزودهم بالقمح والدواجن لكي يرفهوا عن شـعبه بدون مقابل ، وعندما انتهت السنة الاولى نسي هؤلاء الزراعة ، واسـتنفدوا القمح ، ولم يعد لهم مصدر للقوت ، وغضب برهام وامر بمصادرة املاكهم وأدواتهم الموسيقية وكان عليهم أن يطوفوا البلاد وأن يكسبوا قوتهم من طريق الغناء .. ونتيجة لهـذا يطوف هؤلاء المتجولون من «قبيلة اللوري» بحثا عن العمل ويصـطحبون معهم كلابهم وذئابهم ويسرقون ما يجدونه في طـريقهم سواء كان ذلك في الليل او النهار .

وقد أيد كثير من الرحـالة الربط بين اللوري والنجر ، لهم يتكلمون لغة خاصة ولكل قبيلة منهم ملك ، ويشتهرون بالسرقة والاحتيال ، وهوايتهم المفضلة هي السكر والرقص والغناء ، وبالاضـافة الى ادواتهم تملك كل جماعة عددا من الغزلان والقـردة المدربة على عمل حيـل والاعيب غريبـة ، ويتخصص عدد من الافراد في كل جمـاعة في رؤية الطالع بطرق مختلفة .

ومن الصعب عندما نقرأ الوصف السابق الا يتبادر الى ذهنـنـا المألوف لدينـا عن الغجر .

والمؤكد ان القبائل الغجرية الاصـيلة ما زالت تعيش في الهند ،ولكن لسوء الحظ لم تجر عليهم أية دراسـات .. وان كان الرأى القائل بان الهند خاصة شمالها هي مهد شعب الغجر ، أصبح يلقى قبولا كبيرا لدى المهتمين بتاريخ الغجر ..

واذا كنا لانعرف التاريخ الدقيق لخروج الغجر من الهند ، فان من المحتمل انهم قد انقسموا الى فرعين ، اتجه أحدهما الى مصر وشمال افريقيا ، والآخر شمالا الى اوروبا وبلاد البلقان .. حتى وصـلوا الى المانية وبولونيا عام ١٤١٧ وعسكروا على ابواب باريس سنة ١٤٢٧ ، وفي سنة ١٧١٥ عبر تسعه من الغجر الاسكتلنديين الى فرجينيا وكانوا اول غجـر يدخلـون امريكا .. واستطاع ابناء احدهم ويدعى « فا » أن يحصلوا من جيمس الخامس ملك اسكتلندا على مرسوم يخول لهم الحق في كثير من الامتيازات ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين .. دخلوا المكسيك واستراليا .

حياة الغجـــر الاجتماعية والثقافية

يتفق معظم الباحثين على ان البداوةوعدم الاستقرار هما الطابع الذي يتصف به نمط حياة الغجر ، لهم يتجولون ليتقابلـوا مع اقربائهم الذين لا يعرفونهم ، ولكي يبحثوا عن زوجات مناسـبات لابنائهم بحيث يتم الزواج من داخل القبيلة ، وفي نفس الوقت يتجنبون التزاوج بين الاقارب القـريبين ، وهم يعتبرون انفسهم جزءا من عملية انتقال ثقافي ، ويرون ان بداوتهم تمثـل قوة متدفقة متجددة .

وتتعدد وسائل الانتقال التي تستخدمها الجماعات الغجرية ، ففي القرن السـادس عشر كان كثير منهم يرحلون سـيرا على الاقدام ، واحيانا على ظهور الخيل ، واحيانا اخرى كانوا يصـطحبون بعض العربات الخشبية التي يضعون فيها أدواتهم الخاصة بحرفهم ، وكانت بعض الجماعات تصطحب معها ما يشبه المسرح المتنقل .

ويظهر اثر البيئة في تحديد وسـائل

الانتقال بجلاء بالنسبة للغجر فى بنجلاديش فالغجر هناك يستخدمون الزورق متوسط الحجم الذى يحتوى على عدة مقاصير لتخزين مصنوعاتهم اليدوية التى يحتجزون فيها الافاعى ، كما يوجد فى الزورق ايضا اماكن لنومهم وراحتهم .

ويسافر الغجر فى بنجلاديش فى صورة قوافل تقسم نحو عشرين زورقا اواكثر ويتزعم المجموعة شخص يدعى السردار ، وهو صاحب السلطة الادارية والقضائية ، وهو الذى يحدد القرية التى ينزلون فيها ، ومدة الاقامة وموعد الرحيل .. واذا احب شاب فتاة ، فعلى السردار ان يتحقق من الامر ، ويعقد الزواج بينهما ، ويامرهما بالمعيشة فى زورق مستقل يصنعه الزوج ..

ويقوم الغجر المتنقلون بطهى الطعام على النار الموقدة .. وما زالت ادوات الطهى البدائية وغلايات الشاى تعلق على خطاف حديدى يثبت فى الارض وتقتصر ادوات المائدة على السكاكين والملاعق الخشبية .

وما زال معظم الغجر اميين ، وهم يتهربون من تعليم الصغار ، وبالتالى فالامية منتشرة جدا ولا يعرف الغجرى مجرد القراءة والكتابة ..

وتمارس النساء اعمالا متعددة ، ولكن اشهر هذه الاعمال العرافة ، وقراءة الطالع فهى المهنة التى تشتغل بها الغجرية فى معظم انحاء العالم .. ويشاع عنها انها تملك قوة خفية ، وتملك علاج المرأة العاقر .. أو ارجاع الزوج الهارب ..

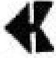
وتعتمد بعض جماعات الغجر اعتمادا اساسيا على السرقة فى الحصول على المال اللازم للحياة ، وتنظر الى عمليات السرقة او النصب او الاحتيال على انها اعمال تهدف الكسب مثلها مثل اية اعمال اخرى يقوم بها الناس للحصول على ما يمكنهم من الاستمرار او البقاء .. ويشتهر الغجر بالكذب لحماية انفسهم او لتنفيذ خطط الاحتيال ، وعلى سبيل المثال فهم احيانا يطلبون الى فلاح ساذج ان يخفى نقوده فى مكان ما ويتركها لفترة من الزمن على امل انها تزداد ،وعندما يعود الفلاح لياخذ نقوده فى الوقت المحدد يكونوا قد سرقوها وهربوا !

وترتبط بظاهرة السرقة والاحتيال ظاهرة تغيير اسماء الغجر ، او ان يكون للغجرى اكثر من اسم .. الاسم الاول معروف به داخل الجماعة ، والاسماء الاخرى مستعارة ينادى بها الشخص اثناء القيام بعمليات السرقة ، وقد اتفقت احدى الجماعات على اطلاق اسم واحد هو « مرزوق » على جميع الافراد القائمين بعملية السرقة ، فكل فرد ينادى الاخر بهذا الاسم فلا يتمكن غير الغجر من التعرف عليهم .

معتقدات خاصة غريبة

● يسود بين الغجر الكثير من المعتقدات التى تختلف باختلاف الجماعات الغجرية . فهناك اعتقاد فى وجود الروح العظمى او الروح الجيدة ، وهى التى تسيطر على الطقس ويلجأ اليها الناس وقت الحاجة ، وهناك ايضا روح غير نظيفة عدوة للغجر ، ويحمل الغجر الكثير من المشاعر للقمر والنجوم ، ولكن لا تصل هذه المشاعر الى مستوى العبادة .

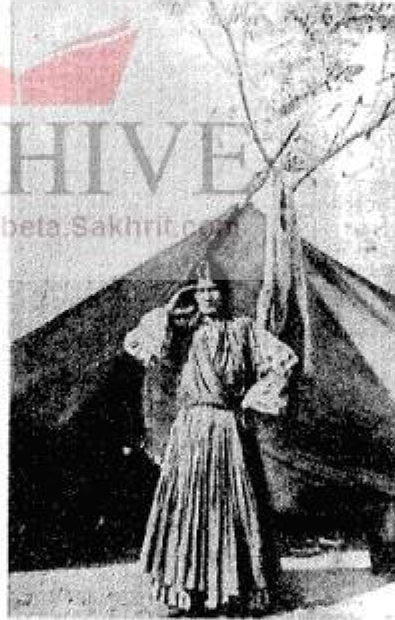
والغجر يعتقدون فى وجود عفاريت وارواح فى العالم ، وهى فى الغالب اناث، ولا تسكن الارواح والعفاريت الاشجار او الصخور ، وهى تزور الاطفال بمنولادتهم وتكون مسئولة عن حماية حياتهم الجديدة وفى الجنازات يسير الكاهن او الشخص الذى يساعد الاسرة عادة ، ويقومون بدفن الميت فى القبر عاريا بعد الجنازة ،ويكسرون له اصبعه الصغيرة ويثبتون بها قطعة من النقود فى شريط احمر حتى يستطيع الميت ان يدفع اجرة سفره فى نهر الظلام الى بلدة الاموات ، ويقومون بوضع كل الاشياء العزيزة لديه معه فى القبر،بمافيهاالكمان



ونظرا لانهم يعتقدون ان الموتى يمكنهم ايذاء الناس ، فهم يلقون الاشواك او اغصان الشجر في القبر لتمنع روحه من العودة الى ارض الاحياء ، ولا يذكر اسم الميت على السنة الغجر بعد يوم وفاته .

ولا يأكل غجر انجلترا الارانب الوحشية لانهم يعتقدون انها مصاصة للدماء ، ولا يسمحون لاطفالهم بأكل ارجل الدجاج لئلا يصبحوا كاذبين ، ولا يأكل الطفل قلب اى حيوان طالما أن الأب على قيد الحياة ، كما تقفز الارملة الغجرية الانجليزية داخل قبر زوجها حيث تمكث به عدة دقائق .

الغجر في اسبانيا



التنظيم الاجتماعي والسياسى

معظم قبائل الغجر امومية، فغالبا ما تكون هناك ام للقبيلة وهى تعرف بـ « بورى داى » وتعتبر حارسة للقانون الاخلاقى للقبيلة ويسود بين بعض القبائل الغجرية شكل بدائي من اشكال الحكم ، فلكل قبيلة رئيس يختار بالانتخاب ، وبجانبه توجد ام القبيلة ، والرئيس هو الذى يحدد الرحلات والطرق التى تسلكها ، وهو يقوم بدور فعال في الزواج ، على الرغم من ان المراسم تقوم بها ام القبيلة .

وللغجر قوانينهم ومحاكمهم الخاصة ، وتعتبر اجراءاتها سرية ، ولايشارك فيها الا كبار السن ، والجرائم الرئيسية لديهم هى سرقة غجرى من غجرى آخر ، والخيانة الزوجية ، والاكل من طبق لمسته سيدة بطرف ثوبها ، واكل لحم الكلاب او الخيل والقسم او الكذب في وجود ميت .

ويعاقب المذنب بالابعاد عن القبيلة وهى اقصى عقوبة تخيف الغجرى ، ويقال ان الحكم بالموت باعطاء الشخص سما عشبيا يبدأ مفعوله داخليا في المعدة ، ويعتبر هذه اقصى حكم بالموت . ويعكس الغجر في اوروبا ـ ما عدا غجر انجلترا ـ اليوم بقايا تنظيم سياسى يرتكز على الجماعات القرابية حيث يختار رئيس القبيلة بالانتخاب عن طريق الجماعات .. ويعتبر وسيطا بين شعبه وبين السلطات في حالة الانتهاكات او الاخطاء ، وينتخب هذا القائد الاعلى بفضل ما يمتاز به من حكمة ونزاهة وقوة بدنية ، ويتم الانتخاب في اجتماع بمحكمة الغجر .

فولكلور الغجر

يشير مصطلح الفولكلور الغجرى الى الفولكلور الذى ابتدعه الغجر وايضا الى الفولكلور الذى ابتدعته الشعوب التى عاش الغجر بينها ويدور حول الغجر .

والغجر يعرفون السـحر ويتنبـأون بالمستقبل ويرون الطالع ، وقد اشتهروا بمهارتهم في التعامل مع الخيل وعلى الرغم من ان المؤرخين كتبوا الكثير عن حياة الغجر في الالف سنة الاخيرة في أوروبا ، وفي العصور المبكرة في منطقة الشرق الاوسط ، فان الغجر انفسهم لم يحاولوا ان يسجلوا شيئا من تاريخهم وتراثهم ..

ومن نماذج الفولكلور الغجري ، هـذه الاساطير التي تنتشر بينهم ،وتتعلق اغلبها بنشأتهم واصولهم وتاريخهم المبكر ، مثل الاسطورة التي تصور الغجر على انهم ابناء نوح او اسطورة « المسمار الرابع » وهي تصور قصة الجندي الذي ذهب لشراء اربعة مسامير لصلب المسيح .. ولم يرض أحد ان يصنعها له الا غجري، صنع ثلاثة مسامير اما الرابع فقد ظل متوهجا رغم انه اخذ يصب عليه الكثير من الماء ، وان وضع المسمار اخفاه الصحراء ، فهرب الغجري مذعورا ،ولكن المسمار ظل يطارد الرجل في كل مكان .

ويظهر هذا المسمار في خيام اولئك الذين ينحدرون من صلب هذا الرجـل . ويهرب الغجر كلما رأوا هذا المسمار، وهذا هو سر تنقلهم ورحيلهم الدائم ..

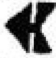
الموسيقى

يشتهر الغجر بموسيقاهم ورقصهم في شرق وجنـوب أوروبا ، وفي بعض الدول لا يكاد يخلو حفل من فرق الغجر الموسيقية والراقصـات الغجريات .. وتعتبر المجر ورومانيا واسبانيا من اهم البلاد التي اسهم الغجر في تراثها الفني ..

ولكن على الرغم مما يقال عن موسيقى الغجر فلم يكن الغجر مبدعين ، اذ اخذوا الموسيقى عن البلاد التي وجدوا فيها مايتفق مع شخصياتهم ،واضافوا اليها بعض القوى الابداعية ، فقد توارث الغجـري

الام غجرية ، والأولاد ينشأون في الجو الغجري





المتجول بكمانه وجيتاره فى نهاية العصور التراث الموسيقى القديم ، وفى القرن الثامن عشر سيطر الغجر سيطرة كبيرة على الموسيقى واصبح الكمان اعلى الالات منزلة .

● والقصص الغجرى منحدر من الفولكلور الهندى ، كما تعكس العادات والتقاليد ثقافة الغجر وتأثرها بثقافات اخرى .. وان كانت هناك ممارسات تقتصر عليهم فقط ، وعلى سبيل المثال الاحتفال « بزواج الدم » او « بمزج دم العروسين » ، وفى هذا الاحتفال يجرح معصما الفتى والفتاة ويلصقان ببعضهما البعض لكى تختلط دماؤهما .

● وقد دلت الدراسات التاريخية على انهم شعب حامل لثقافة شعوب اخرى ، ويقال ان افضل نظرية لتفسير الفولكلور الغجرى تلك التى تقول انهم لم يأتوا بشيء ولم يخلقوا شيئا ، ولكنهم تبنوا فى كل بلد ما وجدوه فيها ، فقد اخذوا العادات والمعتقدات والقصص والموسيقى من البلاد التى عاشوا بينها او التى مروا بها خلال ترحالهم .. ولكن يبدو ان هذا التفسير غير كاف خاصة اذا عرفنا ان هؤلاء القوم لهم طريقتهم المتميزة فى الحياة . ولهم القوانين التى تحكم السلوك والقيم الروحية الخاصة بصرف النظر عن القرون التى احتكوا فيها بثقافات وقوانين اخرى ، والتى واجهوا فيها اضطهادات ، ولكنها لم تستطع ان تغير الغجر او تبعدهم عن نمط الحياة الغجرية، ويحمل المثل القائل (انك اذا قطعت الغجرى الى عشرة اجزاء ، فانك لن تقتله ، بل فقط صنعت عشرة غجر) معنى عدم قابلية هذا الشعب للاضمحلال .

الغجر فى مصر ..
والبلاد العربية ..

يرجع وجود الغجر فى مصر الى ما بين سنة ١٥٤٦ وسنة ١٥٤٩ ، وقد اعتبروا غرباء فى ارض مصر فى ذلك الوقت .

وتعنى كلمة غجر كل جماعات الغجر فى مصر .. باقسامها الثلاثة ، وهم الغجر والحلب ، والنور .

اما عن عدد الغجر فى مصر فهو غير معروف ، فقد واجهت الصعوبات كل من حاول احصاءهم ، وقد ارجعوا ذلك فى بعض الاوقات الى ان بعض حكام مصر كانوا يجبرون الغجر على دفع ضريبة الرؤوس ، مما شجع الغجر على اتباع طرق الخداع للتهرب من الضريبة .. فكانوا يفرون سرا الى القرى واطراف الصحراء ..

على ان السبب الاساسى الذى ظل معوقا اساسيا ، هو انهم شديدو الشك فى الناس ، ولديهم رغبة جامحة فى ان يحتفظوا بكل جوانب حياتهم سرا خاصا بهم . رغبة فى التقليل من اعدادهم للتنصل من الاصل الغجرى ، ورغبة فى عدم اظهار جماعة الغجر كجماعة قوية مما قد يثير امامها المتاعب .

قصة الغجر
والزير سالم

● ومن اهم معالم تاريخ الغجر ارتباطهم بشخصية « الزير سالم » ، وقصة الزير معروفة لدى جماعات الغجر المختلفة فى مصر ..

وتحكى القصة الصراع الذى ثار بين « الزير سالم » وابن عمه « جساس » حول رئاسة القبيلة ، ويعتقد الغجر ان قائدهم كان « جساس » ولذلك فهم يدعون انفسهم « عرب جساس » ـ ولكنهم لقوا الهزيمة على يد الزير الاقوى الذى انتصر عليهم بخداعه ثم لعنهم بان يركبوا الحمير الى الابد .

ويلاحظ ان غجر مصر يخجلون عندما يذكر لهم اسم الزير سالم ، وكأنهم يشعرون بالعار والهزيمة .. ولذلك فان غير الغجر يثيرونهم بمجرد ذكر كلمة « الزير » .

● ويعيش الغجر في مصر اليوم في شكل تجمعات ، حيث يضم كل تجمع عددا من الاسر ، تتراوح اعدادها بين مئات الاسر او تجمع صغير قد يضم اسرة او اثنتين .. وطابع الغجر المصريين هو الترحال والتجوال .. كما ان هناك بعض التجمعات المستقرة او شبه المستقرة التى تمارس التنقل الموسمى ، ويكون لها مكان تستقر فيه بعد الترحال بين عدد من القرى يطلق عليها اسم « قرى العبور » ومن نماذج الجماعات المستقرة .. غجر قرية الروبيات ، والتى اتخذوها مقرا اساسيا لهم وذلك لوقوعها فى موقع متوسط بين خمس قرى اخرى .

● ومن الملاحظة الميدانية ، وجد الباحث أن الغجر المستقرين يعيشون فى مساكن تتناسب مع المنطقة التي يعيشون فيها ومع مستواهم المادى .. وقد تكون المنازل مشيدة من الطوب الاحمر .. او من الطوب اللبن او القش والبوص . ويتوسط مساكنهم حوش متسع به الاغنام والكلاب .. اما محتويات المنزل فلاتزيد عن المعدات الضرورية .. وبعض الاغطية شديدة القذارة ..

ويلاحظ ان هذا المظهر الذى يتصف بالفقر لا يرجع الى الفقر فى حد ذاته بقدر ما يرجع الى عدم تأصل فكرة الاستقرار عند هذه الجماعات على الرغم من استقرارهم منذ عدة سنوات .

والظاهرة المميزة للغجر بصفة عامة هى الميل للسكنى فى أطراف القرى وذلك لعدم رغبتهم فى الاختلاط بالاهالى ، او ابعاد الانظار عن انشطتهم وتحركاتهم .

العمل عند الغجر

يعمل الغجر فى صناعة المناخل من شعر الخيل ، وعمل المسامير والرقص الشعبى وتدريب القرود ـ خاصة من يسكنون منطقة الازبكية ـ واعمال البهلوانات فى الموالد ، وتعمل نساء الغجر فى قراءة الطالع .. وتعيش هذه المجموعه فى منطقة تسمى « حوش بردق » كما يقومون بعملية الوشم .. ومن اشهر الاعمال التى يقومون بها الاستجداء .. وتقوم النساء بالتسول بينما ينتظر الرجل عودتها الى البيت بالنقود والمؤن .

وتقوم جماعة « النور » خاصة بالسرقة بطرق متنوعة ، واشارت دراسة اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية حول قرية طهواى بالدقهلية ، والتى يعيش فيها الغجر ، الى ارتفاع نسبة جرائم السرقة التى ابلغت للشرطة فى محافظة الدقهلية والمحافظات المجاورة ، دون ان يتم التعرف على مرتكبيها ، مما جعل رجال الشرطة بها يعترفون بانهم اوشكوا ان يعلنوا عجزهم عن مواجهة الموقف البالغ التعقيد الناشىء عن وجود من يسمون بالغجر « النور » الذين يتخذون السرقة حرفة لهم واجادوها لدرجة جعلت ضبطهم من الصعوبة بمكان .. ولم ينجح رجال الشرطة فى الحصول على اى دليل يكفى لاثبات التهمة عليهم ..

الغجر فى البلاد العربية

افرد الباحث بابا كبيرا لغجر البلاد العربية والذين تذكر الدراسة انهم انتقلوا من الهند الى العراق فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى ،وان العرب كانوا يسمونهم « الزط » بضم الزاى .. وما زال هذا الاسم يطلق عليهم فى بعض البلاد العربية مثل عمان ونجد . كما يوجد الغجر ايضا فى دارفور والسودان..وفى العراق حيث يسمون « عرب المستنقعات » نسبة الى الاماكن التى يقيمون فيها ،ويبنون اكواخهم من البوص ، ويرحلون وقت الفيضان .. كما يكثر الغجر فى سوريا .. وحلب على



ابتسامة هادئة على ملامحها اما قلبها ففيه نار تحرقها وتجعلها ترقص في عنف

الاخص .. وفي الجزائر حيث تذكر الدراسة نبوءة غجرية جزائرية لطفل انجليزي في عامه الثاني .. رأته امرأة وتنبأت بموته وهو في الرابعة من عمره ، وبالرغم من جميع الاحتياطات التي اتخذتها الام .. فقد سقط الطفل ميتا اثناء اللعب في نفس اليوم التي ذكرته الغجرية ..

وهذا النوع من القصص يساعد على شيوع الاعتقاد في امتلاك الغجر لقوى غير طبيعية ..

وقد افرد الباحث وصفا خاصا للنور في فلسطين ، وذكر انهم جماعة محتقرة ، لهم لغة خاصة بهم بالرغم من انهم يتكلمون العربية بطلاقة ، ولكنهم يضيفون دائما حرف « ك » الى الكلمة .. وهم رحل لا يستقرون في مكان ، وهم يتحفظون جدا من جهة الغرباء ، ويحيطون أنفسهم بسرية شديدة ، ويمكن لاى شخص ان يلاحظ وجود الوشم على ذراع المرأة النورية او على الرجل في اى جزء من الجسم ..

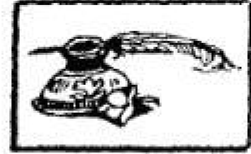
وترتدي المرأة النورية السوارات والاقراط ، وتعلق الحلقات المعدنية في انفها ، ونساء النور يتميزن بحركة فريدة للارداف اثناء مشيهن ولهذا يطلق على السير مع تحريك الارداف يمينا ويسارا « مشية الغجرية » .

واذا كانت المرأة الفلسطينية تحمل الطفل على كتفها ، فان المرأة الغجرية تحمله على مؤخرتها وتنحني بطريقة معينة ، بحيث يأخذ جسمها شكل زاوية لكي تجعل مؤخرتها مقعدا مناسبا لطفلها ..

ويقدم العريس النوري المهر لعروسه عددا من الحمير كمهر لزواجه منها . ويعتقد غجر فلسطين في الارواح الخيرة والشريرة ويخافون خوفا شديدا من « البومة ذات القرنين » اذ يعتقدون ان لها قدرة سحرية شريرة .. ويخافون على اطفالهم منها ، ويرفعون اعلاما بيضاء على خيامهم ليمنعوا قدومها الى معسكراتهم .

● والدراسة طويلة .. طويلة .. يعجز هذا الحيز الصغير عن استيعاب الجهد الرائع الجذاب المبذول فيها .. وان ظلت الاسئلة الحائرة حول هذه الجماعة الهامشية الغامضة .. بلا اجابة .. فلم يعرف بعد ، وحتى الآن ـ بطريقة حاسمة متفق عليها ، من اين اتى الغجر في البداية .. والى اين تنتهي بهم الايام في النهاية ؟؟

ولعل هذا الغموض المثير الذي يحيط بهم ، هو السر في الفضول والاثارة التي تدفع الدارسين لمعرفة المزيد عنهم ، والتي تجعل الانسان ينظر الى الغجري دائما بمزيج من الخوف والاعجاب ، وتجعل حياتهم المغلقة بالاسرار ، الهاما رائعا يثري الادب والفن بمزيد من الروايات الادبية واللوحات الفنية .. والموسيقى الشجية .. على مر السنين ! ●



أنا أحارب إذن أنا موجود

●● عدت في هذه الايام . الى كتاب احتفظ به في مكتبتي . الكتاب عبارة عن مذكرات مناحيم بيجين رئيس وزراء الجيش الذي يقود اسرائيل . والكتاب عبارة عن مذكراته الشخصية . والتي ترجمت الى اللغة العربية سنة ١٩٧٨ ، وصدرت في كتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، كأول عمل يصدر في سلسلة نصوص ودراسات في الصهيونية . اما المذكرات فعنوانها : التمرد : « قصة الارجون » . وقد اشرف على الترجمة . وقدمها اللواء حسن البدري .

عدت الى هذا الكتاب . الذي يقع في حوالي خمسمائة صفحة من القطع الكبير . لأن شاهد ما يجري في هذه الايام . على ارض لبنان . ذكرني بالعديد من الكلمات الجمل والفقرات الواردة في هذا الكتاب . بت ابحث عن الجذور الاولى .. التي تخرج منها هذا الرعب ، والتدمير غير الانساني . الغريب والمذهل ، ان بيجين يتكلم بقدر الصراحة المدهشة عن اعماله ، ويكشف ما في هذه الاعماق . دون لف او دوران .

وتعالوا نقرا العناوين فقط ..

تقوم مذكرات بيجين على اسس ثلاثة التفوق العرقي ، التوسع لتحقيق اسرائيل الكبرى . اعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا التوسع .

يقول بيجين ، وكل ما سأذكره هنا . منقولا عن بيجين . انما قاله بالحرف الواحد . ونقلته من الطبعة التي اشرت اليها . يقول بيجين موجها حديثه الى الجنود اليهود : ومن يمت منكم وهو يحارب العرب فسوف يبقى خالدا في مخيلة اليهود .

ويقول : بالدم والنار والدموع والرماد سوف يظهر عرق بشري جديد ، وهو عرق اليهود .

ويقول مخاطبا الجنود الاسرائيليين : انتم يجب الا تاخذكم شفقة او رحمة عندما تقتلون عدوكم يجب ان تقضوا عليه حتى تدمر ما يسمى بحضارة العرب . التي سوف تشيد على انقاضها حضارتنا اليهودية .

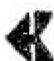
ويكشف مناحيم بيجين . عن نوع جديد من الوجودية عندما يقول :

« انا احارب . اذن انا موجود » .

ويقول : « نحن اهل والا التلتك » . وهو لا يكتفي . بمجرد الحديث عن العنف والارهاب . ولكن يتحدث عن ضرورته . ويبرره . يقول : ان الاساليب الارهابية قد اشبعت رغبة جارفة مكبوتة لدى اليهود . ويكمل ذلك بقوله : فعنصر العنف والقوة جزء لصيق بالحركة الصهيونية . والعدوان مسالة جوهرية وليست عارضة .

ثم يؤكد : لن يكون هناك سلام لشعب اسرائيل . ولا في ارض اسرائيل . ولن يكون سلام للعرب ايضا ، ما دمنا لم نحرر وطننا باكمله . حتى لو وقعنا مع العرب معاهدة صلح .

وعندما يصل الى مذبحة « دير ياسين » فانه يفاخر بها ويقول : « لقد اسهمت مذبحة دير ياسين مع غيرها من المجازر في تفريغ



● بامكاننا متابعة هــذه المفاوضات في أضواء الشموع ..

ايريل شارون

● كل يوم يمر تحت الحصار، هو انتصار جديد ..

ابو عمار

● بامكان الجيش الاسرائيلي قتل جميع الفدائيين . لكن ذلك لا وثن يحل المشكلة .

ريتشارد نيكسون

● في البداية ، امرونا بالتوجه الى منطقة حــدود الجليــل . لتنظيف مساحة ٤٠ كيلو مترامن خطر الكلاشينكوف الفلسطيني نفذنا الاوامر، بعد اسبوع جاءتنا اوامر جديدة بالتوجه الى مراكز تجمعات الفلسطينيين في بيروت واظن ان الامر الثالث سيكون بالتوجه الى اي مكان ما ، لضرب مصانع الكلاشينكوف ..

جندي اسرائيلي

● الاولوية الآن لدفن الموتى ..

قائد القوات الاسرائيلية

● عندما دخلت الى صيدا مع الفــوج الاول ، من الدبابات وشاهدت الابنية تتساقط شعرت وكانني اشاهد فيلما سينمائيا . حــول ابادة مدينة باكملها من الوجــود . واذا كانت آثار بعض الجدران . ما تزال واقفة



ياسر عرفات

البلاد من ٦٥٠ الف عربي » . ويقول : « لولا دير ياسين لما قامت اسرائيل »

ويقول : « ان الهجوم على العرب لا يعتبر عدوانا وانما دفاع عن النفس »

وفي الصفحة الاخيرة من كتاب التمرد يقول مناحيم بيجين : « ان الاسلحة العبرية هي التي ستقرر حدود الدولة العبرية . ولا يمكن ان نشــتري السلام من اعدائنا بالمفاوضات ، فهناك نوع واحد من السلام يمكن ان يشترى هو سلام القبور » .

لا يعتقد احد ان هذه الشهادات في حاجة الى تعليق ! ..

شهادات اخرى

● نرجو اعادة الماء والكهرباء الى بيروت من أجــل استمرار المفاوضات فقط ..

رونالد ريجان



في صيدا فان حدودها اختفت من الوجود . ولم يبق فيها الا الدمار

جندي اسرائيلي

● كان الوقت المعطى الينا للهرب قصيراً جداً . فلم نستطع مغادرة البيت : قنبلة أصابت منزلنا . والملجأ الذي هرعنا اليه لم يستطع الصمود امام القصف العنيف ، كنا خمسين شخصا . انا وامرأة اخرى أصبنا بجروح . الاخرون كان مصيرهم الموت . في الملجأ الذي تحول الى مقبرة .

فتاة لبنانية فقدت كل اهلها

●في صور لم يعد هناك مكان للجرحى ، خلال ثلاثة أيام . جلبوا لي يوميـا ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ شخص مصاب. أمي كانت واحدة منهـم . ما زلت حتى الان في غيبوبة . اضـافة الى المرضى والجرحى هناك عدد لا يحصى من المعتقلين .

طبيب في مستشفى صور

فلما كان ميلاد ياسر عرفات :

●● كان الوقت مساء . وكان سعد الدين وهبة الكاتب المسرحي المعروف ورئيس اتحاد النقابات الفنية يقف في قاعة النيل ، وكان يفتتح اسبوع مناصرة الشعبين الفلسطيني واللبنـاني . وكان اليوم يوافق عيد ميلاد ياسرعرفات الثالث والخمسين . وكان ياسر عرفات في نفس الوقت محاصرا في بيروت ، ولكن هامته كانت في السماء السـابعة ، عاليـة ، شامخة ، عملاقة . في اليوم الاول رأينا توفيق صالح المخرج المصري العائد من غربة السنوات التي دفعت بالفعل ابناء مصر الى الغربة ، وكانت المرة الاولى التي يعـرض فيها فيلمه العظيم « المخدوعون » المأخـوذ عن رواية غسان كنفـاني : « رجال في الشمس » . عروض السينما كانت وجهـا واحدا . كان هناك معرض كتب فلسطينية ، وملصقات فلسطينية . وصور لآخر ماجرى في بيروت ، وآخر البيانات العسـكرية الصادرة هناك .

من الصعب الحديث عن كل ما جرى . وكثير من الجهـد البشري الذي تم بذله هناك . لن تتسع المساحة له . لكن واحدا من الذين خططوا لهذا الاسبوع مع سعد الدين لم يكن هناك ، وهو الناقد السينمائي سمير فريد لظرف خاص وهو وفاة والده المفـاجئة . ولكـن كـل من استطاع القيام بشيء فعله على الفـور . لتحية الصمود . وزعت الدعوات . وعرفت معنى المشي على الاقدام في شوارع القاهرة الحارة ، والمخرجة السينمائية نبيهة لطفي . جمعت العديد من الافلام من كل مكان لكي تعرض في أسبوع القيم من اجل فلسطين . كان المعنى الاساسي لهذه المحاولة . ان هذا العدد اجتمع حول كلمة واحدة فقط : « فلسطين » وحول معنى اساسي : هو كفاح وصمود الشعبين الفلسطيني واللبناني .. وفي وسط هذا الحضور الانساني . يخرج الانسان من فرديته . يعانق الاخـرين . ويلتقي معهم في منتصف المسافة ، ومـع الاخرين ، وفي وسـطهم . تكون اولى الخطوات نحو حقيقة العصر الفلسطيني ، بكامل الساعة في الزمان والمكان .

كان الوقت مساء . وكان الصـمود اللبناني والفلسطيني يفك اول رموز هذا العصر . وكان سعدالدين وهبة يتكلم . وكان حمدي غيث يقول الشعر . شعره هو . من تأليفه هو . ولا يكتفي بالقاء شعر الاخـرين .. وكانت الاكف تلتهب من



التصفيق . وكنا نسبح في بحار عرقنا . وكنا سعداء . وكان البعض يقول : ان ما نفعله هو الحد الادنى . ولكن البعض الاخر كان يقول : اننا لم نضع الممكن طلبا للمستحيل . وهذا هو الممكن ..

وفي قاعة النيل . كانت فلسطين حاضرة . وكان سعد الدين وهبة ، يجلس في مدخل القاعة . وفي بساطة مذهلة كانت تجلس بجواره على الارض نادية لطفي . وبالقرب كان يقف المخرج على بدرخان .. وكان ابناء مصر هناك كلهم كلهم ..

سميح القاسم



اشعار وقصص من الارض المحتلة

●● ياتي هذا الكتاب في وقته تماما . يصل والجرح ينزف ، يصل والاحداث تتلاحق . الكتاب عنوانه : مختارات فلسطينية اشعار وقصص من الارض المحتلة . وتنشره مطبوعات خطوة . وهي المجلة . التي شارك في تاسيسها المرحوم يحيى الطاهر عبدالله . وتحولت ـ علاوة على المجلة الى مطبوعات تحمل نفس الاسم ويصدرها الان : الدكتورة امينة رشيد .. وسيد البحراوى ، وبدرالرفاعي ، وعزالدين نجيب .

في هذا الكتاب نتاج ادبي لاسماء لم نقرا لها من قبل ، باستثناء الشاعر سميح القاسم ، والقاص يحيى خليف فباقي الاسماء بالنسبة لنا هنا في القاهرة ، اسماء جديدة يقرا الانسان لها للمرة الاولى . فمعظم هذه الاسماء تعيش في الارض المحتلة . تعمل وتنتج وتبدع .

تقول مقدمة الكتاب الهام . والصادر في قاهرة هذا الزمان : انه رسالة تحية ومساندة للشعب الفلسطيني البطل الذى يخوض المعركة وحده ـ حتى الان ـ ضد الاستعمار الامريكي والصهيوني . ويعمل ويغني في نفس الوقت بثقة اكيدة في النصر .

اما الرسالة الاخرى . من خلال هذا الكتاب فهي ان كسر الحصار الحديدى المضروب حول الفن والفكر الفلسطيني وتلك اصبحت مهمة ملحة من مهام المثقفين الوطنيين العرب . في مواجهة ما تمارسه النازية الصهيونية من سلب وتشويه لتراث وقيم الشعب الفلسطيني . وفي مواجهة الصمت والتعقيم المتعمد من اجهزة الثقافة في العالم العربي .

متابعات أدبية



أخبار أدبية :

●● عاد الدكتـــور جابر عصفور من الغربة ليواصل عمله فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، ومجلة « فصول » كنائب لرئيس تحريرها ، ودوره العام ، كناقد أدبي جاد وموضوعي ..

●● الشاعر اللبناني جورج شـحادة المولود سنة ١٩١٠ ، والمقيم في باريس ، والذى يعد من وجوهها الادبية ، المعروفة، نال مؤخرا « الجائزة الكبرى للادب » ، التى تمنحها جمعيـة أهـــل الادب في فرنسا .

وهو يكتب اشعاره بالفرنسية .

●● فى الاسواق الفرنسية الان كتاب يحتوى كل مراسلات الروائي والكاتب : مارسيل بروست ، جمعها وعلق عليهـــا فيليب كولبا .

هذا الكتاب عبارة عن الجزء التاسع من مراسلات الروائي الفرنسي الشهير ، وهو يعكس الفترة من سنة ١٩٠٩ وهى الفترة التى عاشها بروست فى عزلة تامة ، بعد وفاة ابويه ، وانصرافه الى الكتابة ، فكتب قصته الطويلة : البحث عن الزمن المفقود ، وهى الرواية التى تقع فى ١٦ جزءا ، وهى الرب الى الترجمة الذاتية ، وهى مع رواية : عوليس لجيمس جويس ، تعدان من اهم روايات القرن العشرين .

وقد صدرت فى دمشق ، ترجمة عربية ، للاجزاء الثـلاثة الاول من الرواية ، اصدرتها وزارة الثقافة السورية .

●● عبد الفتاح الجمــل ، صاحب الخوف ، ووقائع عمر الفيل ، وآمون وطواحين الصمت ، والرجل الذى احتـضن جيـــلا كاملا من الادباء ، هم ادباء الستينات ، نشر لهم ، ووقف بجوارهم ، عبد الفتاح الجمل ، قام مؤخرا بتسوية معاشه ، وترك العمل الصحفي ، هل يريد التفرغ للكتابة والتأمل .. ؟

لست ادرى .

●● محمد البساطي ، كاتب القصــة القصيرة المميز ، شد الرحال مؤخـــرا ، سيعمل فى ديار العرب فترة من الوقت ، تجربة جديدة تضاف الى رصيده ..

وارد الكتب :

●● سياحة فوق الرمال .

جولة صحفي داخل المجتمع العــربى ، عبد الرحمن سليمان

●● اقوى حب ..

مجموعة من القصص القصيرة ، احســان كمال .

● هذا النوع من النساء ..

قصص قصيرة جدا .. زينب صادق .

● شراع وراء المدى ..

قصص قصيرة لشعبان القناوى .

مطبوعات الكلمة الجديدة ـ السويس .

● متابعات ادبية

دراسات نقدية ، محمد صالح الشنيطي .. جمعية الثقافة والعلوم ، السعودية .

● اربع قصص قصيرة :

تاليف محمود الوردانى ، تقديم فريدة النقاش ، سلسلة كتابات التقدم .

القصص هى : المواسم ، يوم طويل ، صورة للخروج ، مدفأة تعمل بالكيروسين .

● من منشورات هيئة الكتاب :

● قوس فى التاريخ الاسلامى ، محمد عبده الحجاجى .

● مع رواد الفكر والفن ، محمد شلبى

● العزلة والمجتمع .

تاليف : نيقولاى بردمائيف ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز ، مراجعة : على ادهم .

اعتذار لا بد منه :

● لسبب لا اعرفه حتى الان ، جــرى اختصار للباب ، وبالتحديد كلمة عن دارين للنشر هى دار الموقف العـــربى ، ودار المستقبل العربى ، وهذا الاختصار جعلنى ابدو وكانني لا اســتطيع التفرقة بين الدارين ، وما صدر منهما من مطبوعات .. لذلك وجب الاعتذار ●

كتاب الهلال القادم

يصدر في ٥ سبتمبر



تأليف: محمد ياسر شرف

الأجنبى

للكاتب الأمريكى : فرنسيس ستيجمولر
ترجمة : عبد الحميد سليم

لو لم تمطر السماء عند مغادرتى دار الخيالة لمشيت عائدا الى دارى اذ ان شقتى قريبة والطريق اليها معقد .. فهى بعيدة عن الميدان ، وعليك ان تعبر شارعين وتعود الى اليمين عند الثالث وهو شارع « د جرينيل » ، بمقدار نصف « بلوك » تقريبا . ومع ذلك فقد اضطرنى الامر ان انادى على سيارة اجرة ، وبعد ان ركبتها اكتشفت ان السائق رجل عجوز احمر الوجه عصبى المزاج . عندما بدا يستدير مع الشارع الاول ، شارع « سنت دومينيك » ، صحت عليه قائلا : « كلا كلا ، بعد ذلك ببلوكين » فهمهم بشىء ثم استدار حول الميدان مرة اخرى ، وفى لحظة ثانية دخل الشارع الثانى ، شارع « لوس كازيس » ، فصحت فيه ثانية : « كلا كلا ، الشارع الاخر من فضلك ! .. الشارع التالى هو الشارع الذى اقطن فيه ، شارع « د جرينيل » ! » .

عند ذلك استدار ونظر الى شزرا ثم انطلق بسيارته ولم يعرج على شارعى بالمرة واستمر فى سيره بسرعة متجها الى الميدان كما لو كان سيره الى مالا نهاية ، فصحت فيه قائلا : « ولكنك الان تركت الشارع الذى اقطن فيه وكان من الواجب عليك ان تستدير الى اليمين كما قلت لك ! .. ارجو ان تلف وتوصلنى الى شارع د جرينيل ، المنزل رقم ٣٦ .. »

اصابنى هلع عندما اصدر الرجل العجوز صوتا اشبه بالزمجرة ، واستدار بسيارته دورة فى شكل حرف « يو » على الطوار الزلق ورجع الى الخلف بسرعة وعبر الميدان وفى رجة عنيفة اوقف سيارته عند ركن من الشارع الذى اقطن فيه ، وصرخ فى قائلا : « اترك السيارة ! »

وازداد وجهه حمرة من الغضب واستطرد قائلا : « اترك السيارة فورا ! انتى ارفض تماما ان اقودك لابعد من هذا ! لقد عاملتنى معاملة الابله ثلاث مرات ! لقد اهنتنى ثلاث مرات اهانة بالغة ! .. سيارتى ليست للاجانب ، هذا ما اقوله لك ! اترك السيارة فورا ! » .

صحت فيه غاضبا : « فى هذا المطر ؟ اننى لن افعل شيئا من هذا القبيل .. اننى لم اوجه اليك اساءة ولو مرة واحدة يا سيدى وليس ثلاث مرات .. انك تعلم جيدا اننى لم افعل شيئا سوى حثك بلا جدوى لكى توصلنى الى دارى ، والان ، ارجوك ان تفعل ذلك . ساعطيك بقشيشا سخيا » .

واضفت فى صورة ودية : « وسنفترق فى مودة ! »

انتظر حتى انهيت كلامى ثم صرخ قائلا : « اترك السيارة ، اترك السيارة ، اقول لك لقد اهنتنى كثيرا وستترك السيارة ! »

تطلعت الى المطر وقلت : اننى فى



الأجنبي

الواقع لن اغادر السيارة » .

هذا بعض الشيء هدوءا يتلو بحماسة ، ثم قال : « اما ان تغادر السيارة او الوحلة الى مخفر الشرطة ، وهناك ساطالبك بتعويض عن مثل هذه الاهانات التي وجهتها الي ، ولك الخيار ! »

فاجبته قائلا : « في مثل هذا الجو ليس لي خيار ، توجه بي الى مخفر الشرطة » .
والى المخفر توجهنا ..

كان المخفر على بعد بضعة بيوت من منزلي ولم يكن مأمور المخفر بغريب عني . لقد ترددت عليه عدة مرات في امور شجار اقل من ذلك .. دخلت انا والسائق غرفة المأمور الخالية من كل اثاث ، وما ان رآني المأمور ، وكان يجلس في الغرفة وحده خلف مكتبه حتى نهض وحياني باعتبار انني احد معارفه ، قائلا : « مساء الخير يا سيدي » وهو يناديني باسمي ، واستطرد قائلا : « هل استطيع ان اقدم اي عون ؟ ماذا تريد ؟ »

ولكن السائق العجوز الذي اوما للمأمور بالتحية فحسب ، لم يترك لي فرصة للحديث وصاح قائلا : « بل انا الذي اريد ! » ثم استطرد قائلا : « انني انا الذي اريد ان اشكو هذا الاجنبي ! لقد عاملني ثلاث مرات كما لو كنت ابله ! ثلاث مرات يهينني اهانة بالغة ! انني اطلب العدالة ياسيدي !! »

تطلع اليه المأمور دون ان يرتسم على وجهه اي تعبير . لقد احسست انه مثلي ، يتعجب من الحالة التي كان عليها السائق العجوز ، ثم التفت الي ورجاني لو تفضلت مشكورا وادليت بشهادتي . امسك بقلمه وفتح دفترا ابيض كبيرا ، وبينما كنت اتحدث اخذ يدون روايتي بيد سريعة : اعطاني عنواني للسائق ، والاستدارتين الخاطئتين ، وهمهمات السائق وتعمده ترك شارعي وثورته ، وقراره الاخير ، كل هذا دونه المأمور بالاسلوب الذي يطلق عليه في الفلسفة اسم الاسلوب التركيبي ، وقاطعني مرة او مرتين ليمنع السائق عن همهمته على اجزاء مختلفة من شهادتي . وعندما انتهيت من روايتي ، استمر المأمور في الكتابة لمدة دقيقة ثم انتهى من الكتابة وجفف اخر سطر كتبه وشكرني ، ثم التفت الى السائق وقال : « والان ، ادل انت بشهادتك ايضا حتى استطيع ان احسم هذه المشكلة الصغيرة » .

لم يكن لدى السائق ، مع ذلك ، مايشكوه سوى ترديده الكلمات : « ثلاث مرات ! » وكان يرددها في صوت غليظ غاضب وهو يلوح بيديه امام المأمور ومسددا بصره الي : « ثلاث مرات يا سيدي ! ثلاث مرات يعاملني كما لو كنت ابله وثلاث مرات هذا الاجنبي يهينني ! هذا امر لا يمكن احتماله يا سيدي ! »

ورفع المأمور رأسه بغضب من الدفتر الذي دون فيه ثلاثة اتهامات ، وقال : « ولكن الظروف ؟ صف بالتفصيل ما حدث بينما كان معك هذا السيد ، ولو كانت الظروف التي رواها غير صحيحة » . قال هذه الكلمات وهو ينظر الي نظرة اعتذار ، ثم استطرد : « فلك ان تصححها » .

ولكن كل ما ردده السائق من اتهام كان قوله : « ثلاث مرات » . فما كان من المأمور



الا ان وضع قلمه بسرعة وقال فى صوت قاطع : « ان الامر واضح تمام الوضوح » ثم وجه كلامه الى قائلا : « انك انت ايها السيد الذى وقع عليك الضرر فى هذا الموضوع ، وساكون سعيدا بان اصدر قرارى بان يتولى السائق توصيلك الى باب دارك دون ان يتقاضى اى اجر ، ولو تنازل السيد وسمح لى بان القى نظرة سريعة على بطاقة هويته . وهو اجراء مطلوب طبقا للقانون فى مثل هذه الحالات فانتى ساتهى الموضوع على الفور . بطاقة هويتك يا سيدى من فضلك » ..

سقط قلبى مثلما تسقط رصاصة . لقد تراءى لى مكتبى وقد وضعت عليه بطاقة هويتى التى يطلب من الاجانب المقيمين ان يحملوها طوال الوقت طبقا للقانون الفرنسى . وعلى الفور جال بخاطرى ان اقول : « نظرا للمطر الذى يخترق ملابسى ، تركت بطاقة هويتى بمنزلى يا سيدى ، خشية ان تبتل من هذا المطر الذى ينفذ الى كافة ملابسى والذى ربما جاء عليها تماما . واعدك ان آتى بها لك فى الصباح يا سيدى . واكون بذلك ملتزما ومحترما قرارك الذى اعلم انه حازم ونافذ » .

اما وقد اقترفت امرا لا يغتفر ، اذ بكل شىء يتبدل ، اذ قال المأمور فى صرامة وقد صار وجهه اشبه بالصخر : « ان هذا لايتمشى مع التعليمات . حقيقة انك ستاتى ببطاقة هويتك غدا صباحا ، ولكن بالنسبة للظرف الراهن ، فانني مضطر الى ان اعدل الحكم فى هذه القضية نظرا لحقيقة ان اشياء تمطر ، فاننى ساطالب السائق بان يوصلك الى باب دارك ولكننى ساطالبك بان تدفع له ليس فقط اجر الرحلة كاملة من البداية الى النهاية بل ايضا عن الوقت الذى اضاعه بالمجىء الى هذا المكتب » ثم قال موجها حديثه الى السائق : « اعتقد ايها السيد انك تركت عدادك يسجل ؟ »

فاومأ السائق مؤكدا ذلك ، ونهض المأمور واقفا وقال لى ، وقد اختفت الابتسامة من على وجهه : « الآن ، الى اللقاء ، ايها السيدان ، وارجو الا ينسى سيدى ان يأتى ببطاقة هويته غدا صباحا » . وغادرنا المخفر انا والسائق جنبا الى جنب مثلما دخلناه .

لقد شاهدت بريقا يتلألأ فى عينى السائق الذى وجه الى الاتهام ، عندما وجد ان الحكم قد تحول لصالحه ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يبد اية دلالات على الانتصار ، واوصلنى الى دارى دون ان يتفوه بكلمة ، ولم يتكلم الا عندما بلغت وجهتى وناولته اجره ، فاخذ يعده بعناية ، ثم تحدث الى قائلا : « لا شك ان السيد قد نسى وعده لى بان يعطينى بقشيشا سخيا ، وانا ساغترق فى عودة ●

روايات الهلال
تصدر في ١٥ سبتمبر
مرقص المجوهرات
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

اسعار : الهلال

سوريا	٣٥٠	ق.س	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
لبنان	٣٠٠	ق.ل	باريس	٨	فرنكات
الاردن	٣٠٠	فلس	لندن	٨٠	بنى
الكويت	٤٥٠	فلسا	ايطاليا	١٢٠٠	ليره
العراق	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣ر٥	فرنك
السعودية	٥	ريالات	اثينا	٥٠	دراخمة
السودان	٣٥٠	مليما	فيينا	٣٥	شلنا
تونس	٦٥٠	مليما	فرانكفورت	٣ر٥	مارك
المغرب	٨٠٠	فرنك	كوبنهاجن	١٠	كرونات
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	استوكهولم	١٤	كرونه
الخليج	٤٥٠	فلسا	كندا	٢٥٠	سنتا
غزة	٨٠	ليرة	البرازيل	٣٥٠	كروزيرو
الصومال	٥٠	بنى	نيويورك	٢٥٠	سنتا
داكار	٤٠٠	فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
لاجوس	٦٠	بنى	استراليا	٣٠٠	سنت
اسمرة	٤٥٠	سنتا	هولندا	٤	فلورين
اليمن الشمالية	٥٠	بنى			

مصر للطيران

علم مصر في كل مكان



مصر للطيران

٥٠

عاماً من الخبرة

اليوبيل الذهبي

١٩٣٢ - ١٩٨٢

فرصة

للمواطنين والعائدين من الخارج

بنك القاهرة الشرق الأقصى

يسره أن يعلن عن بيع كمية محدودة من قطع الأراضي بمدينة المقطم

الأراضي كاملة المرافق والخدمات

الأراضي المعروضة للبيع

المقطم

نوري

- سحر هدوء جمال
- جو صحي مجتمع متكامل

بالسعر المحدد من قبل محافظة القاهرة طبقاً للقرار رقم ٣١ لسنة ١٩٨٢ الذي يتراوح من ٥٠ - ٦٠ جنيهاً للمتر المربع

- مساحات القطع من ٥٠٠ - ٦٠٠ متر مربع .
- المباني على ٦٠٪ من مساحة القطعة
- عرض الشوارع يتراوح من ٢٠ - ٤٤ متراً .
- البنك يخصص القطعة عند دفع ٥٠٪ من القيمة الإجمالية ويضمن التسجيل فور انتهاء سداد كامل القيمة .





على بعد ٣ كيلومترات من قلب القاهرة
زيارة يومية للموقع للمعاينة
عدة مداخل للمدينة (مدينة نصر - المعادي - صلاح سالم)

للاستعلام والبيع :
بنك القاهرة الشرق الأقصى
١٠٤ شارع النيل بالعجوزة

أكتوبر
سنة ١٩٨٢

الهلال

الثمن
٢٥ قرشاً



شوقي وحافظ

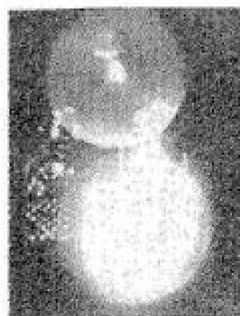
جزء خاص بذكرى خمسين

يهود الخزر في الأرض العربية

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن
دار الهلال .. أسسها
جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
.. السنة التسعون ـ
أول أكتوبر ١٩٨٢ ـ ١٣
من ذي الحجة ١٤٠٢





الغلاف من تصميم محمد أبو طالب عن صورة للفنان صبحي سعد الدين من معرضه الأخير الذي أقيم في مجمع الفنون بالزمالك .

الأسعار

سوريا	٢٥٠	ق.س	غزة	٨٠	ليرة	اثينا	٥٠	دراخمة
لبنان	٣٠٠	ق.ل	الصومال	٥٠	بنس	فيينا	٢٥	شلنا
الأردن	٣٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	٣ر٥	مارك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بنس	كوبنهاجن	١٠	كرونات
العراق	٤٥٠	فلسا	اسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤	كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥٠	بنس	كندا	٢٥٠	سنتا
السودان	٣٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا	البرازيل	٢٥٠	كروزيرو
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	٨	فرنكات	نيويورك	٢٥٠	سنتا
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	٨٠	بنس	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	ايطاليا	١٢٠٠	ليرة	استراليا	٣٠٠	سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣ر٥	فرانك	هولندا	٤	فلورين

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى — ١٢ عددا — في جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصري بالبريد العادى وفي بلاد اتحادي البريد العربى والأفريقى وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفي سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى أو عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة — تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



في هذا العدد

عزيزي القارئ

في هذا الشهر تمر بنا الذكرى الخمسون لرحيل أمير الشعراء احمد شوقي، وقد مرت قبلها الذكرى الخمسون ايضا لشاعر النيل حافظ ابراهيم .. فقد توفي حافظ في ٢١ يونيو سنة ١٩٣٢ ثم لحق به شوقي في ١٣ اكتوبر من تلك السنة، كأنهما كانا على موعد للرحيل فيها ، بعد ان ملأت شهرتهما الدنيا وشغلت الناس أربعين عاما ، منذ نضجت شاعريتهما في أواخر القرن التاسع عشر ، الى وفاتهما وهما في قمة النضج الفني والشهرة .

كان عصر شوقي وحافظ امتدادا عميقا لعصر أحياء الشعر العربي واللغة العربية بعد التدهور أربعمائة سنة ، أوشكت فيها الامة العربية ان تستعجم وتنسى لسانها ووجدانها وكيانها ! ..

وكان أحياء اللغة العربية وعلومها وآدابها ، واولها الشعر، ارهاصا بعودة هذه الامة الكبيرة من غيابها الطويل عما جرى ويجرى في الدنيا ، ومنذئذ بدأت سعيها في سبيل الحرية والاستقلال ، وما زالت حتى يومنا هذا تسعى دائبة ! ..

لهذا بلغ شعراء عصر الاحياء ـ واولهم محمود سامي البارودي ـ مكانة رفيعة وشهرة عظيمة ، وكانوا وما زالوا في قلب كل عربي يعرف امته ولغة امته ! .. وحسبك بعد البارودي بشعراء عظماء امتد بهم عصر الاحياء في الشعر العربي ، من طبقة اسماعيل صبري باشا واحمد شوقي واحمد محرم وولي الدين يكن وحافظ ابراهيم وخليل مطران.. وآخرين يعرفهم الناس او يجهلونهم ، ولكن لهم شأنا عظيما، ومقاما كريما.. بعضهم مصريون، وآخرون متمصرون ، وكلهم من مفاخر هذا البيان العربي المبين، ولهم نظراء وانداد في الاقطار العربية الاخرى .

والهلال يقدم في ذكرى شوقي وحافظ ، طائفة من المقالات والبحوث الطريفة ، مع صور كثيرة تمثلهما وجيلهما في مراحل الحياة .. وينشر الهلال قصيدة لشوقي عنوانها « الله » .. يمكن اعتبارها من قصائده « المجهولة » لانها لم تنشر في ديوانه ذي الاجزاء الاربعة وكان شوقي قد خص بها « الهلال » فنشرها سنة ١٩٢٤ .

وميزة قصيدة « الله » التي سميت « مجهولة » لعدم نشرها في ديوانه ، أنها لا تثير شبهة في نسبتها الى شوقي ، لانه مهرها بتوقيعه ، معترفا ببنوتها، بعكس الكثير من قصائده المجهولة الاخرى فانه كان ينشرها بدون توقيع ..

كان منصب شوقي في قصر الخديو يضطره الى نشر بعض شعره ، بل كثير من شعره ، بلا توقيع ، حتى أنه نشر بدون اسمه ، قصائد كبيرة رنانة ، مثل القصيدة التي رثى بها مدينة « أدرنة » العثمانية عند سقوطها في يد البلغار ، ومطلعها :

يا أخت اندلس عليك سلام   هوت الخلافة عنك والاسلام

وقد اطلعت على هذه الشوقية الرائعة في مجلد سنة ١٩١٢ من جريدة « المؤيد » منشورة في الصفحة الاولى باكملها وليس في الصفحة كلها اسم شوقي ، وان كان اسمه باديا لمن يعرف الشعر واسلوب شوقي فيه ، فيراه باكيا على الاندلس ، وعلى أخت الاندلس ، وعلى خلافة بني عثمان .. حزينا على الاسلام والمسلمين !.. غير أن هذه الدموع الحارة التي تملأ غورا عميقا ناضبا في الصحراء ، انسكبت من عيني شوقي بدون توقيع !..

وستقرأ هنا آراء متنوعة، لان للادباء نظرات مختلفة الى شوقي وحافظ، ولكن جميعهم يسلمون بأنهما كانا اشهر الشعراء منذ خروج البارودي منفيا من مصر . وكثيرا مايتلازم اسمان في هذا الفن العظيم : فن الشعر ، فيكونان في طبقة واحدة من الشهرة ، لكنهما — كشوقي وحافظ — يتباعدان فنيا في طبقة الشعر ، فقد كان شوقي الوريث الاكبر لاسرار فن الشعر العربي ، ولم يكن حافظ من طبقته في هذا المجال ، لكنه مع ذلك كان في مثل شهرته!. ولعلنا وفقنا في الملاءمة والتنسيق بين بحوثنا ومقالاتنا عن شوقي وحافظ ، وبين بقية المواد المعتادة في الهلال !..   « المحرر »

القضية الهامة فى ذكرى شوقى وحافظ

الصمم الموسيقى وجيل الشعراء القادم

بقلم: كمال النجمى

هذا الحلم المزعج الذى يؤرق محبى الشعر، كتبنا فيه من قبل كثيرا، على امتداد ثلاثين عاما. ونرى انفسنا مضطرين الى الكتابة فيه مرة بعد أخرى، بنفس الالفاظ او بما يشبهها، لانه موضوع يتجدد، فيتجدد فيه الكلام، وان بقى الكلام عنه احيانا بنصه وفصه، لان المشكلة لم يتعتعها حتى اليوم ما قيل عنها ويقال، ومازالت تصول وتجول بقضها وقضيضها! ..

فلنعد اليها.. نقول فيها ما قلنا من قبل او مثلما قلنا .. فانها ما زالت بحاجة اليه .. ومازلنا!.

والذكرى الخمسون لاشهر شاعرين مصريين: شوقى وحافظ .. فرصة ننتهزها، ننقش على هامشها، بل فى صميمها، هذه الكلمات ..

فاذا صدقت نبوءة أطلقناها منذ الخمسينات فى غير دعوى للتنبؤ - فان شعراء سنة ... ٢، وما يتلوها .. لن يكون فى مقدورهم معرفة الفرق بين شعر شوقى وحافظ، ونثر طه حسين والعقاد - مثلا - لان اولئك



الشعراء الاحفاد الاعزاء المساكين ، سوف يصيبهم ما دعوناه منذ بداية « نبوءتنا » بالصمم الموسيقى .. ومعناه انهم ـ وا اسفاه ـ سوف يكونون عاجزين تماما عن تبين الفرق بين الشعر والنثر ، كأنهم اصيبوا باشعاعات قنبلة ذرية اذهبت حواسهم وملكاتهم ، فهم لا يسمعون موسيقى الشعر ولا يعرفونها ! .. وبارحمتا لهم من ضحايا ابرياء ! .

الصمم الموسيقى كما تحدثنا عنه طيلة السنين ، هو العجز المطبق عن معرفة الفرق بين لحن ولحن ، او بين اغنية واغنية ، او بين ايقاع وايقاع ، او بين نبرة ونبرة ، وربما احترف مصاب بالصمم الموسيقى حرفة الغناء ، او لحقته ـ على الاصح ـ « حرفة الغناء » كما تلحق اديبا مسكينا « حرفة الادب » ويقول اللغويون ان « الحاء » في كلمة « حرفة » بضم الحاء لا بفتحها ، ومعنى هذه الكلمة المضمومة الحاء ، قريب من معنى « الشقاء » .. او هو ذات الشقاء ، بأوسع معانيه ! ..

هذا الذى لحقته « حرفة الغناء » المضمومة الحاء ، يعجز حتما عن اداء اغنياته ، اعجزه فى الاصل عن التمييز بين اغنية واغنية ،، شأن عدد غير قليل من المطربين والمطربات فى ايامنا ،ومن عجب انهم لايشعرون بأنهم صم لا يسمعون انفسهم ،ولا الناس يسمعونهم! يعنينا فى هذا المقام الشعر ، فللحديث عن الغناء مجال اخر .. غير ان الشعر غناء وموسيقى ،وقد اصيب عدد من شعراء جيلنا بالصمم الموسيقى ، فلايفرقون بين اوزان الشعر المختلفة ، ولا يميزون بحر « الكامل » من بحر الظلمات ! ..

والصمم الموسيقى يشبه عمى الالوان ، فمن لايميز بين لحن ولحن ، يشبه من لا يستطيع التمييز بين لون الليل ، ولون النهار .

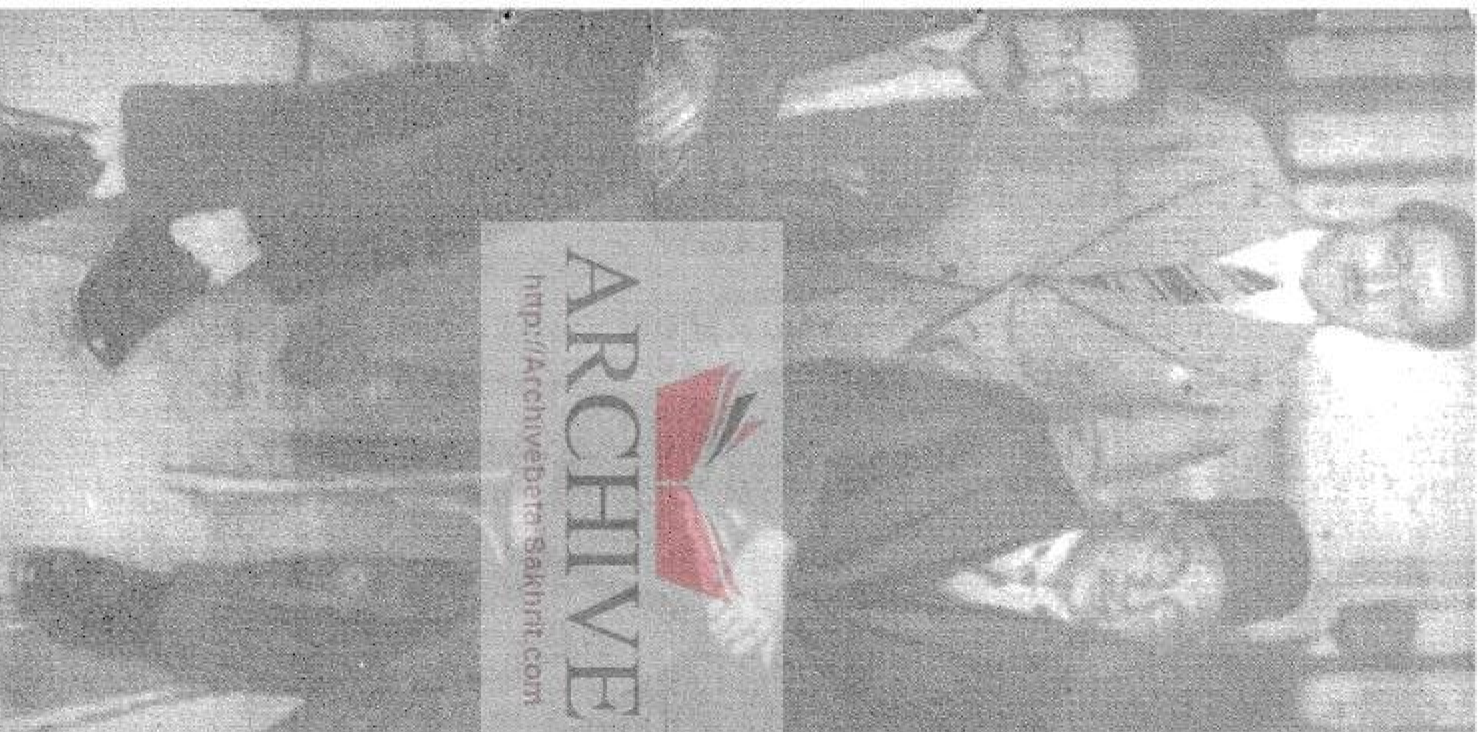
وهذا هو الان حال بعض شعرائنا الشبان والناشئة الصغار ! .. أصابهم الصمم الموسيقى فاختلطت فى



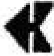


اسماعهم البحور والاوزان والتفعيلات ،وامتزجت فى عيونهم الالوان ، فالاخضر كالازرق ، كالاصفر ، كالبنفسجى ، كالاسود !.. لافرق بين لون ولون!.. لاحاجز بين النور والظلام .. لاشواطىء تمسك ماء البحار والمحيطات ان تغرق وجه الارض!.

لا امهد بهذه الكلمات لهجوم على الشعر التفعيلى ، او اى لون جديد من النظم ، فليس من الرأى كما قلنا غير مرة ان ننهى عن النظم بالتفعيلة او باى نبرة ذات توزين مهما ضؤلت ، لان حرية الشعراء كبارا



حافظ ابراهيم والى جانبه خليل مطران ويقف وراءهما عازف الكمان سامي الشوا والتقطت الصورة سنة ١٩٢٨ اثناء زيارة حافظ للشام والصورة تجمع بين معني الشعر والموسيقى ! ! . . .



وصغارا ينبغي ان تبقى لهم دائما كاملة غير منقوصة ، يتصرفون بها على حسب طرائقهم ومقتضى احوالهم وآرائهم الفنية وغير الفنية ، حتى لو كانت مجرد شطح ونطح ! ..

لكن حرية التعبير الشعري بالتفعيلة ، على اى مذهب من مذاهب القول ، قد افقدت الشعراء الشبان حصانتهم ضد الصمم الموسيقى فى الشعر .. هذا الداء الوبيل الذى يستشري يوما بعد يوم ، حتى ليتساءل المشفقون على موسيقى الشعر ـ مهما يكن شكلها ـ عن مصير فن الشعر العربى كله بعد جيلين او ثلاثة اجيال أو اكثر ..

لو استمر الحال على هذا المنوال ، لنشأ جيل من شعراء الامة العربية ـ بين المحيط والخليج ـ مصاب بالصمم الموسيقى الشعرى ،عاجز تماما عن نظم الشعر بالتفعيلة ـ مجرد التفعيلة الواحدة وليس البحر بجميع تفعيلاته ـ لان من لايعرف البحور المتكاملة لا يمكن ان يعرف تفاعيلها. وتصبح البحور والتفاعيل عندئذ الغازا غامضة محيرة ، وطلاسم رهيبة ، لايحلها الا الجهابذة من علماء التاريخ القديم المختصين بحل النقوش الهيروغليفية وماتركته الايام فى الكهوف من من نبش الأولين الاقدمين ! .

وتتساوى فى اسماع شعراء المستقبل ، موسيقى التفعيلات البسيطة ، لانها على بساطتها ذات فروق دقيقة ، وانما يتم تمييز هذه الفروق الدقيقة ، بانطباع الاوزان وتفعيلاتها انطباعا فطريا ، او انطباعا عميقا يقوم مقام الفطرة التى كانت لشعراء الايام الماضية ..

ولا يكون انطباع الاوزان الا بالاستعداد الفطرى ثم بالمرانة والممارسة والمعرفة التامة بالاسرار التقنية لصناعة الشعر وصناعة موسيقاه .. فليس فى العالم شيء ليس له « تكنيك » .. و « اسرار » .. حتى صناعة الطوب الاحمر من تجريف طمى النيل فى حقولنا البائسة ! ..

وفي النهاية يصبح الصمم الموسيقي سيد الموقف في الشعر العربي .. وترتفع في ذلك اليوم الكالح اعلام سود فوق رءوس الشعراء بل الشعارير الادعياء ، ويزعق هؤلاء بأعلى اصواتهم كما يفعل المصابون بالصمم ، مطالبين بالغاء « التفعيلة » المفردة، بل وما هو اقل منها ، بعد ان تم لهم الغاء البيت المتعدد التفعيلات ، المتساوي المصراعين ، فاذا استجيب يومئذ لزعيقهم ذاك ، صار الشعر العربي كلاما مرسلا ، يسقط عن منزلة النثر المرسل ! .. دعك من منزلة الشعر ، فان الشعر ـ بجميع الوانه واشكاله ـ سوف لا يكون عندئذ في الحسبان ! .. بل اظن النثر ايضا سوف يكون كذلك ! ..

وفي كتابات كثيرة لنا سلفت ـ نعيد بعض معانيها والفاظها هنا ـ حاولنا تنبيه من يعنيهم الأمر الى خطر الصمم الموسيقي على الشعر العربي التفعيلي الجديد، فضلا عن خطره على الشعر العربي المتكامل البحور .. اما خطره على اللغة العربية فلا يحتاج الى بيان ، فهل تكون عاقبة الصمم الموسيقي الا اسدال الستار على فن الشعر العربي العظيم العريق المرتبط بجوهر اللغة وسويداء قلبها ؟! ..

وهل يكون بعد ذلك الا موت اللغة العربية نفسها ، وقد مات قلبها ، وتفتت كبدها ، وعجز بنوها الجدد الذين هدموا اساسها ، عن مجرد تذوقها ، بل عن مجرد تفهمها ، بل مجرد الاقتراب منها ، في عصر يصنع فيه الصهيونيون ويلفقون لغة وادبا وشعرا لهم من لاشيء .. بل من سرقة اشياء الشعوب الاخرى وفي مقدمتها الشعوب العربية .. وفي طليعتها شعب فلسطين ! ..

هذه النتيجة الجهنمية يعمل لها اناس لا يعرفون امرها ، وآخرون يعرفونه من الفه الى يائه! .. ويتم ذلك كله في عصر المد العظيم للقومية العربية ! ..

قد يقال ان الشعر العربي يتجه نحو حرية الحركة، فاذا ترك الشعراء البحور ، انفتح لهم باب التفعيلات،

واذا انسد هذا الباب انفتح امامهم باب آخر لا يدرى الان احد كيف يكون شكله ولونه وصوته .. فالحركة تغيير دائم ..

ونعم .. نقول لهم ! .. وحرية الشعراء ، كحرية سائر المشتغلين بالادب والفن والفكر يجب ان تكون مقدسة ، ولكن يجب كذلك ان يقدس الشعراء هذه الحرية فلا تتحول حرية الاوزان الشعرية الى صمم موسيقى لا يمارى الان احد فى انه قد بدا يعبث بمسامع الجيل الجديد الصغير ممن ينظمون الشعر ، وان ضحاياه يزداد عددهم يوما بعد يوم ، كأنه سفاح متربص بهم يقتلهم فى الظلام ! ..

لهذا نتفاءل قليلا ، ولو استطعنا لتفاءلنا كثيرا ، بأن مصر تذكرت شاعريها احمد شوقى وحافظ ابراهيم فى ذكراهما الخمسين ، عسى ان ينظر الشعراء الصغار السن فى شعر هذين الاستاذين وفى اشعار غيرهما من جيلهما العظيم : محمود سامى البارودى واسماعيل صبرى واحمد محرم وخليل مطران ، وسائر ارباب هذا الفن الباذخ ، فمن هؤلاء وامثالهم يعرف ناشئة الشعراء ولو القليل مما يجهلون من أوزان الشعر ـ مجرد الاوزان ـ فى هذا الزمن الذى استعجم فيه قومنا ، وصار اقل « خواجه » قادم من وراء البحار ، اقدر من اكثرهم على فهم شعر أمرىء القيس وزهير بن ابى سلمى ! ..

ومنذ اكثر من خمسمائة سنة قال ابن خلدون ان انقطاع وزوال فن الغناء من اية أمة ، دليل على ارتطامها بخطر حضارى يتهددها ، او قرب ارتطامها بهذا الخطر ! ..

ونسى ابن خلدون ان ينبه الى ان انقطاع فن الشعر ملازم دائما لانقطاع فن الغناء بمعناهما الرفيع ! ..

ونرى الان منظرا كبيرا يبعث القلق ! .. فان هذين الفنين عندنا يهويان كالشمس الغاربة وهى تغرق فى البحر العميق ! ●

ماذا بقى من :
أمير الشعراء
بعد خمسين عامًا ؟!

بقلم : أنور الجندى

ان القاعدة التى تقول « ان المعاصرة حجاب » يمكن أن تبدو أكثر وضوحا بتطبيقها على شعر شوقى بعد مرور خمسين عاما على وفاته اليوم ، فقد ظن كثيرون أن شعر شوقى لن يثبت على الزمن وأنه يمكن أن يوصف بشعر المناسبات لاحتوائه على الرثاء ومتابعة الأحداث، ولقد هاجم هذا الشعر كاتبان من أكبر كتاب العصر هما طه حسين والعقاد على اختلاف منهجيهما فى نقد الشعر، فقد كان أحدهما يتابع نظريات النقد الفرنسية والآخر يتابع نظريات النقد الانجليزية ومع ذلك فقد خالف الزمن بين رأييهما وعارض توقعاتهما ولبث شوقى للزمن نصف قرن ولاتزال آثاره تؤكد قدرته على الثبات بعد ذلك قرونا ، فان عوامل كثيرة ثبتته فى الأفق الأدبى الأسمى « أصالة » الأداء العربى البليغ وكشفت عن قدرة « الفن الشعرى » الذى قدمه شوقى على الثبات فى وجه التيارات الوافدة التى كانت تحاول أن تقيس الشعر العربى بموازين وافدة ، وتأكد ان حصيلة شوقى الخصبة الوافرة التى أتاحت له ظروف التفرغ من التوفر عليها حين قرأ أعظم كتب التراث العربى ، هـذه الحصيلة أمدت شعره بالجزالة والمرونة وحسن الأداء مع وفرة الفهم وعمق الاتصال بالأحداث المعاصرة له ووقائع التاريخ ، كل هذا أعطى شعره تلك الخاصية العجيبة فى الأداء التى لبثت على الزمن ، والتى ازدادت قوة وقيمة بعد موته ، حيث جرى شعره على ألسنة الكاتبين والباحثين واستشهدوا بكثير من أبياته الحكمية والفنية فى مواقف عديدة لم يجدوا أجود منها أداء وحسن بيان .

ويقتضينا الانصاف أن نذكر أن معظم نقاد شوقى وفى مقدمتهم المازنى والعقاد وطه حسين قد غيروا رأيهم فيه بعد أن توفى : يقول المازنى « أصدرنا ـ العقاد وأنا ـ كتابا فى النقد أسميناه «الديوان» وكان الغرض من هذا الكتاب أن نشرح للناس مذهبنا الجديد فى الأدب بنقد المعاصرين وقد تولى العقاد نقد شوقى والرافعى وتوليت أنا نقد المنفلوطى وطارت اشاعة مضحكة خلاصتها انى أنا ناقد شوقى والرافعى والعقاد ناقد المنفلوطى وأننا تبادلنا التوقيع وصدق شوقى هذه الاشاعة وأشار المازنى الى أنه دعى الى تناول الغداء مع أمين الرافعى وعبـد



شوقى وولداه على وحسين فى المنفى باسبانيا

ماذا بقي من أمير الشعراء؟

العزيز جاويش ولم يعرف الا عندما بلغت السيارات بهم كرمة ابن هانيء انهم فى ضيافة شوقى . يقول:واحتفى بى شوقى وقال لى الشيخ جاويش فى الطريق ونحن عائدون : لعلك الان غيرت رأيك فى شوقى فقلت ببساطة : « بأكلة ؟ » فقال معاذ الله : ولكنك رأيت كيف يكرمك الرجل وانا ارى انه من الخير ان تكف عن نقده فدهشت ، فما كنت نقدت شوقى قبل ذلك فلما افضى الى بالاشاعة ضحكت وقلت : هى اذن اكلة على حساب العقاد ولم يذكر اللازنى انه هاجم شوقى فى عدد السياسة الخاص بتكريمه ، ثم تحدث اللازنى عن رأيه الجديد فى شوقى فقال : ان شوقى كان من انفسح شعراء طبقته وكان ادقهم تعبيرا وابلغهم ، ومازال رأيى فى شعره كما كان وهو انه كان فى صدر حياته اشعر منه فى اخرياتها ولكنه فى العهد الاخير كان ابلغ عبارة واعلى بيانا ، وانه كان ذا حيوية عجيبة، ومع ذلك اقتنع فى شيخوخته بان نظم القصائد على الطريقة القديمة التقليدية عبث وباطل فتحول الى وضع الروايات الشعرية التمثيلية وطمع فى ان يكون فى الادب العربى كشكسبير فى الادب الانجليزى » اما الدكتور طه حسين فقد عاد فانصف شوقى حين قال انه – اى شوقى – بعد أن عاد الى مصر من المنفى تحول تحولا خطيرا حقا لا تكاد نعرف له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه الى ادبنا العربى وتحول فى ناحيتين خطيرتين : فاما احداهما فهى

شعره التقليدى تحرر من التقليد بظروف السياسة فانطلق وكادشعره يصبح صورة لأهواء الشعب من حوله ، هذا الشعب بكل قوة وبكل حرية ، كان الشعب انما كان ينطق بلسانه .

والناحيةالثانية هى انه فجاة استكشف نفسه ، واذا هو شاعر قد خلق ليكون مجددا ، فاقبل على التجديد فى السنين الأخيرة من حياته ، فادخل فى اللغة العربية وفى الشعر العربى خاصة فنا جديدا لم يسبقه اليه احد وهو فن التمثيل الشعرى ، ومهما يكن من شيء فحسب شوقى انه رد الى الشعر العربى قوته ورصانته ومتانته . وحسبه انه بعد البارودى الشاعر الذى ردالشعر العربى الى حياته الاولى .

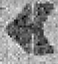
كذلك فقد عدل العقاد رايه فى شوقى فقال بعد وفاته :

هو امام مدرسة تستطيع آن تسميها بمدرسة التقليد المبتكر ، أو التقليد المستقل ، لم يكن شوقى من المقلدين الاليين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولا يزيدون ، ولم يكن مع المجددين الذين يسطون من عندهم كل ما اعطوه من معنى وتعبير ، ولكنه كان يقلد ويتصرف ، وكان تصرفه يخرجه من



د . طه حسين

● معظم نقاد شوقي غيروا رأيهم بعد رحيله



زمرة الناقلين الناسخين ، ولكنه لايسلكه فى عداد المبدعين الخالقين الذين تنطبع لهم «ملامح نفس مميزة » على كل ماصاغوه من منظوم او منثور فهو قد نشط بالشعر من جمود الصيغ المطروقة والمعانى المكررة ولكنه لم يستطع ان ينتقل به من شعر القوالب العامة الى شعر الشخصية الخاصة التى لا تخفى معالمها ، ولاتلتبس بغيرها ، وخلاصة القول فيه انه مقلد مبتكر او انه مبتكر مقلد ، فلا هو يقتفى آثار الاقدمين ولا هو ينفرد بملامحه الشخصية فى التعبير عن نفسه او التعبير من سواه .

وكتب الدكتور هيكل فى ذكرياته مع شوقى فقال : ان شوقى كان يضيق بالنقد ولا يطيقه ولعله كان يحسبه عيبا فى ذات امير الشعراء كالعيب فى الذات الملكية ، وكان شوقى يقول لهيكل كلما تقدم طه حسين فى السياسة وهو رئيس تحريرها : ما الذى يقصد صديقك طه حسين من توجيه النقد الى فى كل مناسبة ايظن انه قدير على ان يهدمنى . قال له انني « مجد تكون» ومن المستحيل هدم مجد تكون ، وانه ينطح صخرة ولا تستجيب له.ولم اعجب بهذا الكلام وانما كان عجبى لان شوقى كان يسرع فى مقاطعة من ينقدونه ثم كان يسرع الى استرضائهم بكل وسيلة مستطاعة ، نعم لقد كان شوقى يعلم انه أوتى الموهبة الشعرية اساسا وانه حفل بهذه الموهبة أشد الاحتفال واهتم بها فنماها بثقافة واسعة تحققت له بالدراسة فى الغرب ، ثم جاء المورد الثالث وهو الاطلاع الوافر على ذخائر الادب العربى حيث قال شوقى من بعد : انه خلال هجرته الى الاندلس لم يدع كتابا من امهات الادب العربى الا قراه واستوعبه وبذلك احرز العناصر الثلاثة المكونة لاى عبقرية ادبية ، ثم انه كان بعد ذلك غيورا على شعره، يدافع عنه ، وكان يوجه حياته على النحو الذى يجعل شاعريته مصقولة ابدا ، فكان من مثال ذلك هربه من الاحداث المؤلمة والمحزنة اذا المت بالبيت ، كمرض ابن اوزوجة، وكان كالطائر الحلق الذى ينطلق دائما الى مرابع الطبيعة ، فاذا واتته متنزلات الوحى ، سجلها فى سرعة ، ثم ذهب ينميها ويسترجعها ، ويفسح لها حتى تكتمل ، وذلك ما أشار اليه الاستاذ احمد عبد الوهاب سكرتيره ، ولقد عاش شوقى منذ مطالع حياته فى قصيدته المطولة الاولى التى القاها ١٨٩٤ حتى وفاته ١٩٣٢ فى قصيدته الاخيرة عن مشروع القرش خلال نصف قرن متابعا للاحداث فى مصر والشرق ، ما يفوته حدث . وراثيا لاعلام مصر والشرق،متابعا أحداث الدولة العثمانية التى كانت لصيقة به من حيث جذوره ومن حيث ارتباطها باحداث مصر ، وفى نفس الوقت لم يغفل عن رياح الوطنية والقومية وجهاد المجاهدين فى سبيل الحرية والتخلص من النفوذ الاجنبى فى مصر والشام ، وكانت تهزه احداث دمشق فقد افرد لها عديدا من قصائده ، وفيها قال شعره التى سار على السنة الاجيال .

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

ماذا بقى من أمير الشعراء ؟


مصطفى كامل


محمد فريد

وقوله :

فى مهرجان الحق او يوم الدم
مهج من الشهداء لم تتكلم
لابد للحرية الحمراء من
سلوى ترقد جرحها كالبلسم

وقوله فى نكبة دمشق :
سلام من صبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يادمشق

وقوله :
قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم احداث وازمان

وقد حفل كثيرا بنابليون وتوت عنخ آمون وذكرى دنشواى وبنك مصر وترجمة ارسطو ولكن الجانب الخالد الذى أزعم انه بقى على الزمن هذا النصف قرن فهو جانبه الاسلامى ، وهو على ضآلة حجمه سار فى الناس خلال هذه الفترة مسار الاناشيد وجرى على كل الالسنة وخاصة قصيدة « نهج البردة » التى عارض بها بردة البوصيرى وبردة البارودى وتفوق عليهما « ريم على القاع بين البان والعلم، احل سفك دمى فى الاشهر الحرم » .

وكانت كذلك قصيدته « الى عرفات الله » من القصائد التى هزت النفوس فاذا اضفنا اليها قصيدة المولد « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » ، وجدنا أن شوقى قد كون جناحا اسلاميا عامرا فى شعره جرى على السنة الناس واشاع فيهم المفاهيم الاسلامية باسلوب عربى بليغ .

ولقد هزت كلماته فى قصيدته « الرحلة الى الاندلس » النفوس :

اختلاف النهار والليل ينسى
اذكرا لى الصبا وايام انسى

فاذا اضيف اليها قصيدته فى مسجد

إسلاميات شوقي وأهميتها في شعره


محمد عبده

ايا صوفيا ، تكشفت تلك العارضة القوية في المضامين الاسلامية .

وتستطيع ان نضيف الى هذا رثاءه لاعلام الاسلام : محمد عبد المطلب ومحمد عبده ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش، والمنفلوطي وعاطف بركات والمنشاوي باشا واسماعيل صبرى ، ومصطفى كامل ، وامين الرافعي وعلى بهجت .

وهناك قصيدته الرائعة في رثاء عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

غير ان هناك قصيدته الخالدة عن سقوط الخلافة والتى تهز الناس أبياتها ولطالما استشهد بها الخطباء والكتاب المسلمون في هذه الفترة :

عادت اغاني العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الافراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه
ودفنت عند تبلج الاصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك
من كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكي عليك بمدمع سحاح
الشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الارض الخلافة ماح

هذا الجانب الاسلامى في شعر شوقي هو الجانب الذى عاش بعد خمسين عاما اليوم من وفاة شوقي ومازال يقدم اسمى الشعراء للناس في قضايا كثيرة من اهمها قصيدته عن الاسراء :

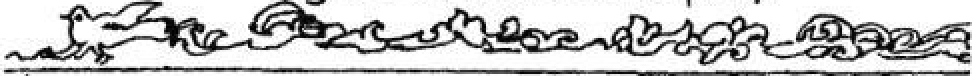
يتساءلون وانت اكرم مرسل
بالروح ام بالهيكل الاسراء

لم يجيب فيقول « بهما سريت » ومنها رد على الذين قالوا ان الاسراء بالروح فحسب واذا كانت لنا كلمة نقولها في هذا الصدد فان شوقي يتجدد مع الايام ويزداد قوة وثباتا بعد ان انقطع عن الادب العربي مثل هذا اللون الرفيع اذ لم يبق منه الا القليل امثال : عمر ابو ريشة والجواهري والقروى وبعد أن توفى البدوى الملثم وبشارة الخورى وآية ذلك اعادة طبع ديوانه على نسق جديد وترتيب جديد قام به الدكتور أحمد الحوفي ومايقوم به اليوم الأستاذ ابراهيم الابياري وما قام به الدكتور محمد صبرى السربوني في كتابه الضخم « الشوقيات المجهولة » حيث جمع لشوقي من بطون الصحف اكثر من ثلاثة آلاف بيت .

رحم الله شوقي فقد كان كما قال عنه الاستاذ الزيات : تعويضا عادلا للعربية خلال الف سنة كاملة بعد المتنبي ●

الشعر السياسي عند شوقي وحافظ

بقلم: حافظ محمود




حافظ ابراهيم


احمد شوقي



فليقولوا ما شاءوا فى الاحتفال بالذكرى الخمسين للشاعرين شوقى وحافظ يوم تقام هذه الذكرى فى السادس عشر من شهر اكتوبر .. أما أنا فارى رأيا آخر .. ارى أن التفوق الحقيقى لهذين الشاعرين كان فى غرض جديد قديم من اغراض الشعر ، هو الشعر السياسى .

لقد كان الشعر السياسى فى الادب العربى قبل شوقى وحافظ مجرد ملاحق باشعار المدائح والهجاء، او مجرد تعبير عن مواقف ذاتية فى معارك الحياة .. أما الشعر السياسى منذ انبرى له شوقى وحافظ فقد تطور الى ملاحقة للمعارك السياسية يصفها ويقضى باحكامه فيها ، وهو الجانب الذى انصرف عنه النقاد انبهارا منهم بمسرح شوقى ومرثيات حافظ وما كان لهما فى هذين الجانبين من بلاغة مرموقة ليقل فيهما المحتفلون ما شاءوا فان مجال القول فى هذين الجانبين من شعر الشاعرين مجال فسيح .. لكننى اريد أن افسح لما هو اخطر فى تقديرى من تراثهما ، وهو الشعر السياسى :

لقد تغنى شوقى بشعره السياسى وهو يخاطب مصطفى كامل بقوله :

لواؤك كان يسقيهم بجام
وكان الشعر بين يدى جاما
من الوطنية استبقوا رحيقا
فضضنا عن معتقها الختاما
غرسنا كرمها فزكا اصولا
بكل قرارة وزكا مداما

وربما لمسنا فى هذا القول شيئا من ارستقراطية الفكر التى يمتاز بها شوقى .. اما حافظ فحين يشير الى هذا المعنى فى شعره ، فانك تشعر فى اشارته بالروح الشعبية التى كان يمتاز بها اذ يقول :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى
فى حب مصر كثيرة العشاق
انى لاحمل فى هواك صبابة
يا مصر قد خرجت عن الاطواق
لهفى عليك متى اراك طليقة
يحمى كريم حماك شعب راقى
كلف بمحمود الخلال متيم
بالبذل بين يديك والانفاق

ورغم ارستقراطية الفكر بل وارستقراطية الطبقة عند شوقى فاننا نجده فى شبابه الباكر وهو يشغل وظيفة من وظائف القصر ـ نجده يهاجم شيخا من شيوخ الارستقراطية وهو مصطفى رياض باشا رئيس مجلس الوزراء، لانه خطب سنة ١٩٠٤ خطبة امتدح فيها اللورد كرومر فيقول :

كبير السابقين من الكرام
برغمى ان انالك بالملام
مقامك فوق ما زعموا ولكن
رأيت الحق فوقك والمقام



الشعر السياسي عند شوقي وحافظ

غمرت القوم اطراء وحمدا
وهم غمروك بالنعم الجسام
رأوا بالامس انفك في الثريا
فكيف اليوم اصبح في الرغام
خطبت فكنت خطبا لا خطيبا
اضيف الى مصائبنا العظام

ولشوقي موقف سياسي قديم آخر قد يكون اروع من هذا الموقف .. ففي خريف سنة ١٩٠٦ رقي المستشار احمد فتحي زغلول وكيلا لوزارة العدل ، وكان فتحي احد اعضاء محكمة دنشواي ، لكن فريقا من الموظفين نظموا حفلة لتكريمه بمناسبة ترقيته ودعوا « شوقي » كصديق لفتحي ، لالقاء قصيدة في هذه الحفلة ، فلم يترهب وارسل رسولا يحمل الى المحتفلين هذه الابيات :

اذا ما جمعتم امركم وهممتموا
بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعري عليه فحسبه
من الشعر حكم خطه بيمين
ولا تقرأوه في شبرد بل اقرأوا
على ملأ في دنشواي حزين

مواقف تسجلها الاشعار

ارأيت الى اي حد كان الشعر السياسي يزحف على كل الوان الشعر في عصر شوقي وحافظ .. ان ما قاله حافظ ابراهيم في اشعاره عن حادث دنشواي شيء يجل عن الوصف . وما احسب ان شوقي في « تكريم » فتحي زغلول الا كان متأثرا بقول حافظ غداة الحادث :

ايها المدعي العمومي مهلا
بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر
وضمنا لنجلك الاسعادا
فاذا جلست للحكم فاذكر
عهد «مصر» فقد شفيت الفؤادا

لا جرى النيل في نواحيك يا
(مصر) ولا جادك الحيا حيث جادا
انت انبت ذلك النبت يا(مصر)
فاضحى عليك شوكا قتادا
انت انبت ناعقا قام بالامس
فادمى القلوب والاكبادا
ايه يا مدرة القضاء ويا من
ساد في غفلة الزمان وشادا
انت جلادنا فلا تنس انا
قد لبسنا على يديك الحدادا

هنا موقف سياسي اشتهر به الزعيم مصطفى كامل في حملته على المعتمد البريطاني في اعقاب حادث دنشواي حتى الزت هذه الحملة على الحكومة البريطانية ذاتها فسحبت المعتمد اللورد كرومر من مصر .. وانا ازعم ان لمصطفى كامل شركاء في هذه الحملة في مقدمتهم الشاعران شوقي وحافظ ، اقول هذا واليك الدليل مما قالاه في اللورد كرومر :

يقول شوقي في كرومر يوم وداعه :

ايامكم ام عهد اسماعيلا
ام انت فرعون يسوس النيلا
ام حاكم في ارض مصر بامره
لا سائلا ابدا ولا مسئولا
يا مالكا رق الرقاب ببأسه
هلا اتخذت من القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت
فكأنك الداء العياء رحيلا

ولقد تفوق حافظ على شوقي في هذا الموقف حين قال :

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى
فلا تكذب التاريخ ان كنت منشدا
لقد حان توديع العميد وانه
حقيق بتوديع المحبين والعدا
تناديك قد ازريت بالعلم والحجا
ولم تبق للتعليم يا « لورد » معهدا
وانك احفيت البلاد تعمدا
واجدبت في مصر العقول تعمدا

غضبت على ام اللغات وانه
قضاء علينا او سبيل الى الردى
ووافيت والعطران في ظل راية
فما زلت بالسودان حتى تمردا
فطاح كما طاحت « مصوع » بعده
وضاعت مساعينا باطماعكم سدى
واودعت تقرير الوداع مغامزا
راينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي وانتما
لتغضب ان اغضبت في القبر احمدا
تناديك اين النابغون بعهدكم
واى بناء شامخ قد تجددا
فما عهد اسماعيل والعيش ضيق
باجدب من عهد لكم سال عسجدا
تناديك وليت الوزارة هيئة
من الصم لم تسمع لاصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من فتى
ابى اذا ما اصدر الامر اوردا



اعتقد انه ما من شاعر استطاع ان يصف موقفا سياسيا كهذا الوصف الدقيق . فكرومر كان يفخر بانه معنى بالزراعة في مصر وواضح ان حصيلة الزرع كانت تصدر مباشرة الى بريطانيا ، لكن حافظا قد تناول هذه القضية من زوايا اخرى اهمها ان « كرومر » المعنى بالرخاء كان خصما لتعليم المصريين ، وكان الرخاء الذي يدعيه لا ينال منه شيئا الا افراد الطبقة المتعاونة مع اللورد ، اما سائر افراد الشعب فكانوا في املاق شديد . ولعلك لاحظت هذه الالتفاتة الذكية من الشاعر وهو يشير الى اختيارات كرومر للوزراء الى غير هذا وهذا من اللفتات .

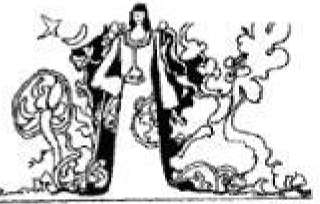
قضية الدستور

ربما يظن احدهم ان هذه الاهتمامات السياسية عند الشاعرين كانت في بواكير حياتهما وظهورهما ، وهذا غير صحيح ، فقد تابع الرجلان بشعرهما احداث ثورة سنة ١٩١٩ وما تلاها من تقلبات سياسية .. حسبك انهما قد تحدثا عن مشروع ملنر وتصريح ٢٨ فبراير سنة١٩٢٢ والانتخابات البرلمانية والدستور وما اصابه من عدوان .. اننا نجد لشوقي شعرا يتحدث فيه عن الدكتاتورية مهاجما يقول :

زمان الفرد يا « فرعون » ولى
وزالت دولة التجبرينا
واصبحت الرعاة بكل ارض
على حكم الرعية نازلينا

اما حافظ فانه بروحه الشعبية يلتمس غضب السماء على الديكتاتور فيقول :

ودعا عليك الله في محرابه
الشيخ والقسيس والحاخام
لا هم احيي ضميره ليذوقها
غصصا وتنسف نفسه الالام



الشعر السياسي عند شوقي وحافظ



مصطفى رياض باشا

هذا كلام قاله الشاعران في المرحلة الاخيرة من حياتهما بعد مشاركة بالشعر في كل شئون البلاد السياسية ، وكان الدستور في مقدمتها بطبيعة الحال ، فاذا بشوقي يقول :

وتفيئوا الدستور تحت ظلاله
كنفا أهش من الرياض وانضرا
لا تجعلوه هوى وخلفا بينكم
ومجر دنيا للنفوس ومتجرا

فلما تعطل الدستور قال :

احتل حصن الحق غير جنوده
وتكالبت أيد على المفتاح
هجرت آرائكه وعطل عوده
وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج العنكبوت فزاده
كالغار من شرف وسمت صلاح

ثم يتجه الى الشباب يناديهم بالجهاد الى ان يقول :

صوت الشعوب من الزئير مجمعا
فاذا تفرق كان بعض نباح

وعلى هذا الدرب يسير حافظ ابراهيم قائلا :

يا طالبي الدستور لا تسكتوا ولا
تبيتوا على يأس ولا تتضجروا
أعدوا له صدر المكان فانني
أراه على أبوابكم يتخطر
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
ولا ناله في العالمين مقصر

ويتطرق حافظ ابراهيم من قضية الدستور الى سائر قضايا المجتمع فيربط بين هذه القضايا جميعا في قوله :

وان لم يدرك الدستور مصرا
فما لحياتها أبدا قوام
حمونا وردماء النيل عذبا
وقالوا : انه موت زؤام



وما الموت الزؤام اذا عقلنا
سوى « الشركات » حل لها الحرام
لقد سعدت بغفلتنا فراحت
بثروتنا واولها « الترام »

الى ان يقول :

فيا ويل « القناة » اذا احتواها
بنو « التاميز » وانحسر اللثام
لقد بقيت من الدنيا حطاما
بايدينا وقد عز الحطام
وقد كنا جعلناها زماما
فوالهفى اذا قطع الزمام

لقد تناول حافظ فى هذه القصيدة مجموعة المشاكل السياسية التى كانت قائمة فى حينها ، فتحدث عن سيطرة الشركات الاجنبية على المقدرات الاقتصادية فى مصر ، واشار الى ما كانت شركة الترام تغتاله من اموال عمالها ، ثم ركز على ما كانت السلطات البريطانية تبيته بالنسبة لادارة قناة السويس فى محاولة لقطع الصلة بين مصر وبين حقوقها فى القناة .. اى انه استطاع ان يصور بالشعر موقفا سياسيا بكل تفاصيله . وما احسب ان شاعرا نجح فى هذا الا ان يكون شوقى فى قصيدته التى يقول فيها :

الام الخلف بينكمو الاما
وهذى الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض
وتبدون العداوة والخصاما
واين الفوز لا مصر استقرت
على حال ولا السودان داما

الوحدة الوطنية

ولقد كان الشاعران من اقوى الالسنة فى الدفاع عن الوحدة الوطنية ، وفيها قال شوقى :

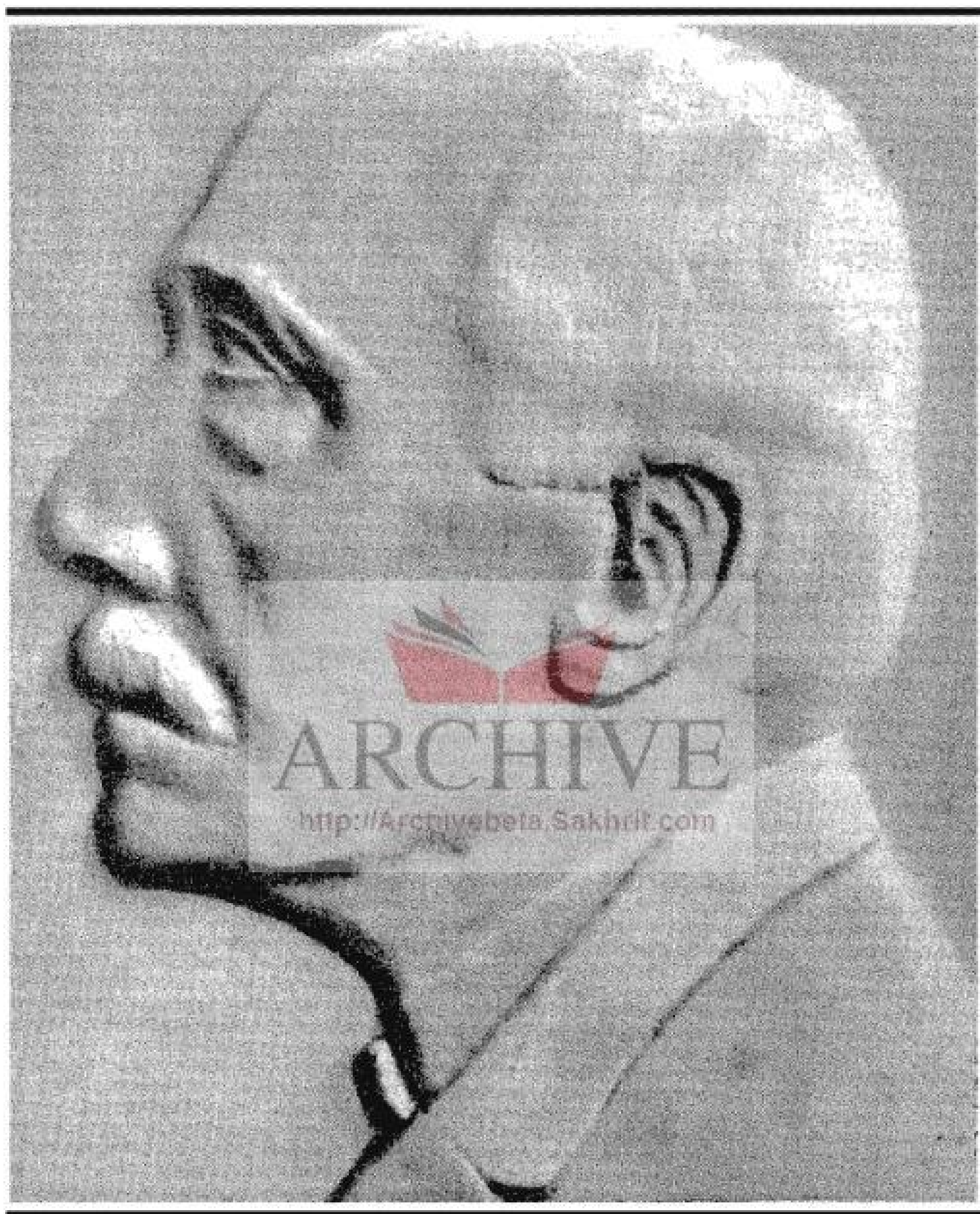
اعهدتنا والقبط الا امة
للارض واحدة تروم مراما
نعلى تعاليم المسيح لاجلهم
ويوقرون لأجلنا الاسلاما
الدين للديان جل جلاله
لو شاء ربك وحد الاديانا

لقد ذكرت هذه المواقف كلها لشوقى وحافظ بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاتهما فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، واننى اضع هذه النماذج القليلة من شعرهما السياسى امام كتاب الادب ونقاده من ابناء هذا الجيل الذين يقرأ أو يكتب بعضهم بغير علم ..

وفى هذه الذكرى تعود الذاكرة الى الاناشيد الوطنية التى كنا ننشدها على عهد الصبا من شعر الشاعرين الجليلين .. فهذه الاناشيد تحتل مكانتها من نهضتنا المعاصرة ، وفى مقدمتها قول شوقى فى بداية نشيده الوطنى :

بنى مصر مكانكمو تهيا
فهيا مهدوا للمجد هيا
خذوا شمس النهار له حليا
الم تك تاج اولكم مليا
لنا وطن بانفسنا نقيه
وبالدنيا العريضة نفتديه
اذا ما سيلت الارواح فيه
بذلناها كان لم نعط شيا
نقوم على البناية محسنينا
ونعهد بالتمام الى بنينا
نموت فداك مصر كما حيينا
ويبقى وجهك المفدى حييا

لقد كان الشعر السياسى عند شوقى وحافظ جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية فى عصرهما ، وبعض هذا الشعر كبير الصلاحية لكل العصور ●


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكريات عن شوقي

بقلم : فتحي رضوان

● من حقي ان اتيه على زملائي ولداتي ، من ابناء جيلي ، في فترة شهر اكتوبر سنة ١٩٣٢ . ففي هذه الفترة ، تسلمت من يد احمد شوقي ، امير شعراء العرب ، آنذاك ، آخر ما امتع به اهل لغته ، وبني عشيرته من شعره الذي اطربهم ، وهز اعطافهم ، وأبهجهم ، وواساهم في الملمات ، وارتفع بهم في المحن والحادثات ، وملأهم زهوا ، عند جلائل المواقف والانتصارات . وكان ذلك بمناسبة اقامة مصنع اقامه شباب الجامعات والمدارس في مصر من قروش جمعوها من مواطنيهم ، بعد دعوة وجهها اليهم الطالب احمد حسين بكلية الحقوق ، عرفت بعد ذلك بمشروع القرش ولقيت نجاحا عظيما واقبالا واسع النطاق .

فكنت قد مضيت الى كرمة ابن هاني ، على ضفاف النيل الغربية ، حيث لقيت الشاعر العظيم ، وكنت قد ترددت عليه من قبل مرارا ، واصبح يعرف اسمي ورسمي ، ثم التمست منه ان يخلد ذكرى اقامة هذا المصنع الفريد في شارع اسمه (برج الظفر) ناحية العباسية ، فلبى الدعوة ولم يتردد ، كعادته معي من قبل ان تتوثق علاقتي به ، ويزداد اطمئنانا الى ، وفي الموعد المحدد بالضبط لتسلم القصيدة المرجوة ، اعطاني الشاعر العظيم ، ورقة منزوعة من كراسة مدرسية ، طبقت مرارا ، فافتقدت رواءها ، وبدت ورقة مهملة ، بسطتها من يدي فالفيت فيها بضعة ابيات ، من شعر ليس فيه شيء من طلاوة شعر شوقي ، ولا رنينه ، وحلاوة جرسه ، بدأت بمعنى دارج فحواه « ان الملك بالمال والرجال » وقد نسيت هذه القصيدة ، حتى ان جامعي ديوان شعر شوقي الرابع ، اخطاوا فقالوا ان آخر قصيدة لشوقي هي القصيدة الرائعة التي مطلعها : « فتية الوادي عرفنا صوتكم » التي تجدها في الصفحة السادسة عشرة من الجزء الرابع من ديوان شوقي المخصص كما أسماه جامع الديوان « متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع » وهو الديوان الذي جمع بعد وفاة شوقي بعشر سنوات .

وقد كان اول عهدي بشوقي ، في ذات ليلة ، كنت فيها مع خال بسينما كان مقرها المكان الذي يشغله الآن ، مسرح الريحاني ، وكانت تعرف باسم (سينما راديوم) ولم تكن من دور السينما الرائجة فرغنا من مشاهدة « الفيلم » وتهيأنا لمغادرة المكان ، فاذا بخالي يصرخ : « ها هو ذا شوقي » ، ونظرت الى حيث اتجهت اشارة يده فاذا بي ارى انسانا قصير القامة ضئيلا يرتدي معطفا ، ويرفع اطرافه العليا اذ كان الوقت شتاء ، والبرد قارسا ، وفي ثوان اختفى هذا الانسان الضئيل ، وكأنه شبح سار ، وقد ذكرت هذا كله فيما بعد ، حينما عرفت من شوقي بعض عاداته ، وكان منها ، انه لا يحب من مقاعد السينما الا ما كان منها ، قريبا غاية القرب من الشاشة ، وهي ارخص المقاعد واقلها شأنا ، فقد كان قصر نظره يمنعه من تبين الصور ، اذا جلس في المقاعد الممتازة في الصفوف الخلفية من القاعة .

وذهبت الى قصر شوقي لاول مرة لاطلب منه قصيدة لمشروع القرش وقد شاء الحظ الحسن ان اراه في الحديقة ، يسير مطرقا بخطى قصيرة متلاحقة ، كأنه على موعد حال ، وهو لا يعدو ان يكون قد اسلم نفسه لخواطره ، وراح يمشي مستمتعا بالوحدة ، وخلو المكان من الناس . ورأيت نفسي ،

وجها لوجه ، في هذه الحديقة الانيقة ، امام هذا القصر الجميل ، والنيل تبدو لنا صفحته ، ومن بعد ، تنعكس عليه شمس دافئة ، وتتراقص عليها ، قوارب صغيرة ، ذات شراع ابيض ، وصفها شوقي في احدى اغانيه فاحسن وصفها – ومد لي الشاعر العظيم يدا ، فاذا هي يد طفل ، صغيرة دقيقة نحيلة ، لو ضغطت عليها ، لانكسرت • ونظر الي ، بعينيه الصغيرتين اللتين كانتا تتراقصان ، فذكرت آنذاك ما كنت قرأته من انه ولد بهذه الآفة التي كانت تحول بينه وبين خفض نظره الى اسفل • وكانت جدته وهي احدى جواري الخديو اسماعيل ، قد حملته الى الخديو ، وهو بعد طفل في المهد ، وقالت له انه لا يملك ان ينظر الى الارض ، فاخرج الخديو من جيبه لتوه بضعة دنانير ، والقى بها على السجادة ، فخطف بريقها ، عينه فنظر الى السجادة وما فوقها :فقهقه السلطان الكبير ، وقال للجارية : عالجيه بهذا الدواء ، فانه جدير بان يتماثل للشفاء • فاجابت الجدة على الفور ، قائلة :يا افندينا هذا دواء لا يجده الا في صيدلية سموك !

ووقفت امام الشاعر ، في حديقة قصره ، وقد اشتد علي ، ضغط الهدوء المطلق ، والصمت الشامل ، وخيل الي انى اسمع وجيب قلبي ، وقد كنت في اضطرابي ، فرحا ان كتب لي ان اجتمع بهذا الشاعر الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس وحدنا ، والا يكون بيني وبينه حائل من شخص او شيء •

وتمالكت جاشي وقدمت نفسي لرب الدار وقد غصصت بريقي • ولا اذكر ما اذا كان قد رحب بي أم سكت ، ولكنني اذكر انى اندفعت اتحدث في شيء من العصبية عن غايتي من الزيارة ، فمضى امامي في خطى بطيئة وانا اتبعه واتكلم ، ثم ادار لي نصف وجهه ، فثابت نفسي الى السكينة فلقد احسست انه اطمأن الي ، وسره الشأن الذي حفزني للمجيء اليه • واستوضحني عن المشروع ، وشملت وجهه الصغير ، ابتسامة لا تعرف لها موضعا من قسمات الوجه ولكنك تحسها • ووعدني بانه سينظم لنا قصيدة ، فحييته مودعا وشاكرا ، ومد الي يده الصغيرة النحيلة ، فبدا لي انها اكثر حرارة وانصرفت ، وانا اكاد اقفز من السرور والبهجة •

ومضت ايام ، وذهبت الى الموعد ، وقيل يومها لي انه خرج من داره ، وانه ذهب الى مكتبه ، ووصفوا موضع هذا المكتب ، وكان قريبا من شارع زكريا

الخديو اسماعيل



احمد وادخلت الى المكتب، ورايت الشاعر جالسا على مقعد ذى مسندين ، ومن حوله شبان عديدون اذكر منهم الدكتور سعيد عبده الطبيب الاديب الزجال القصاص ، وكامل الشناوى ، وربما يوسف حلمى ايضا المحامى الذى اشتغل بالسياسة ، واختير امينا عاما لحركة السلام العالمى فى مصر .

ثم ذهبت اليه للمرة الثالثة فى كرمة ابن هانىء ، وكان فى مكتبه فى الدار ، ولكنه خرج الى الحديقة ، وكانت سيارته تنتظره على الباب ، وخيل الى انه لن يتحدث الى ، بحجة انه لا وقت لديه للحديث ، ولكن ادهشنى انه سار الى جانبى فى الحديقة ، بخطى بطيئة وودودة ، واعنى بالخطى الودودة ، هى تلك الخطى التى توحى اليك ان صاحبها ، يقول عن طريقها لك : لا تطل على . دعنى امضى ، فلدى ما يشغلنى غيرك . وانت تؤخرنى . سار شوقى ، متمهلا ، وسرت معه حينا ، وخلفه حينا ، فى مماشى الحديقة ، وانا سعيد بانه لا يتجه الى الباب حيث يأخذ سيارته .. ولم اكن قد اكتشفت ان ملابسة غير قليلة الاهمية قد وقعت ، هى ان مجلة الصور ، كانت قد اصدرت عددا خاصا عن مشروع القرش ، اشرفت انا على جمع مادته ، واصداره . وكان قد ضم آراء لعلية القوم حقا فى المشروع ، وكانت ضمن مواده قصيدتان احداهما لخليل مطران والثانية لعباس العقاد . وكانت القصيدة الثانية هى مدار كلام شوقى معى ، فقد قال كلاما لم افهم المقصود منه اذ قنع بقوله : « يجب ان تميزوا وانتم تختارون الذين يكتبون لكم ، وينصحونكم ، ويشرفون على مشروعكم .. ابتعدوا عن الاراذل » !

ولم افطن من يعنى بلفظ الاراذل ، ولكنى اصغيت الى نصيحته ، بكل اهتمام فراقه ذلك منى ، واقبل على ، واطال سيره فى الحديقة ، وانا بصحبته ، استمتع بهذا القرب ، ولا اقاطعه بشىء . ثم توقف فجاة ، وفى يده مبسم سيجارته الذى لا يفارقه يعبث به ، ويدسه فى جيب معطفه ، ويخرجه ، ويدنيه من شفتيه ثم يبعده ، ثم قال لى بلا تمهيد ، وقد احسست ان الشاعر قرر ان يسقط ما بينه وبينى من حجاب الكلفة : « هل تعرف انى احسن من حافظ ومن مطران ؟! » ..

وهزنى ان اسمع هذا من الشاعر الخجول ، الذى لا يطيق صحبة الناس ، ويضيق بهم ، واحيانا يفر منهم ، فقد راى انه يستطيع ان يجعلنى موضعا لسر من اسراره ، او لهم من هموم عظمته . ولكنى لم اقاطعه فقال :

« حافظ شاعر .. ولكن تنقصه المعانى . ويسىء اليه كثيرا انه محدث عظيم . يخرج من بيته فيرتاد المجالس ، فيخلب لب السامعين بطرائفه وخفة ظله وحلاوة حديثه .. ينتقل من مجلس الى مجلس ، وفى جميع الاحوال هو المتحدث ، والناس يسمعون . لا يسمح لاحد غيره ان يتكلم فبدل ان ياخذ من كل زهرة رحيقها ، يعطى للناس اجمل ما عنده .. فاذا عاد الى بيته ، افرغ كل ما فى جعبته ، وشعر بالحاجة الى الراحة ، وسعى للنوم ..

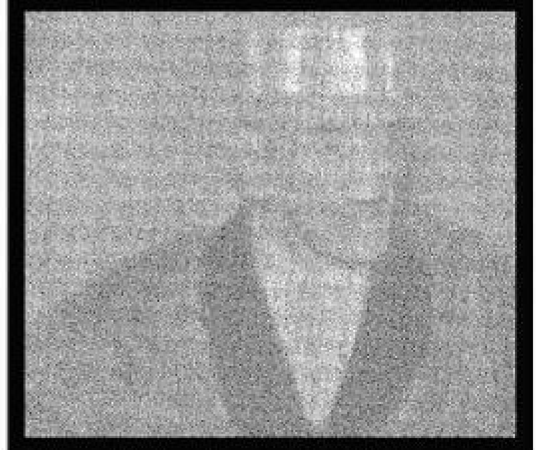
« اما انا فلا احب الكلام واهرب من الناس ، وثقلاؤهم كثيرون ، ويطاردوننى ولا اجد منقذا لى الا الشعر ..

« اما مطران فمتعلم ، على عكس حافظ ، ويقرا كثيرا ، خصوصا فى الادب الاوروبى ، والشعر الاوربى ، ولذلك عنده معان ، ولكن هذه المعانى فى حاجة الى لفظ جميل مثلها ، ولكنه يشتغل فى النقابة الزراعية ، فيقضى سحابة نهاره ، فى شئون لا تمت الى الادب ولا تجلو صدا النفس ، فتاتى الفاظه خالية من الحرارة والجمال .

« لو وضعت حافظا على مطران ، لخلقت

ذكريات عن شوقي

احمد رامي



منهما شاعرا .. » وسكت ثم قال : « انا هذا الشاعر .. »

وتركني واسرع نحو السيارة ، وانا ماخوذ اللب بهذا الكلام الصريح البسيط المباشر ، وانا لا اكاد اصدق . قبل ان يدخل الى السيارة ، وقف عند بابها وقد استدار نحوى وهو يقول : متى تعود ؟! ..

فصحت : متى تريد سعادتك ؟

فلوح بيده وهو يقفل باب سيارته : يومين او ثلاثة ..

تحرك الشاعر ، بعد ان قرا كلام الادباء والشعراء ، مى ، والمازنى ،والعقادومطران، ورامى ، ووعد بان يكتب قصيدة . وساخذ هذه القصيدة ، وساذهب بها الى جريدة البلاغ التى كان يصدرها المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، وترددت على دار الشاعر ورايته فى مكتبه ورحب بى حينا ، وبدا عليه الذهول ، والانصراف عنى حينا ، وان كان يتدارك اثر سوء استقباله ، فيعود مجاملا . وعلمت آخر الامر ان القصيدة اوصلها شوقى بنفسه الى صديقه صاحب البلاغ ، وظهر البلاغ وهى على صدره ،

واسفت ان القصيدة افلتت من يدى ، وذهبت الى الجريدة على طول ترددى على الشاعر ..

وراعتنى القصيدة ، فقد كانت مطلعا ومتنا ، اثرا عظيما من آثار الشاعر العظيم.

وقد ابهجنا ، واسعدنا مطلع القصيدة .

لا يقيمن على الضيم الاسد
نزع الشبل من الغاب الوتد
كبر الشبل وشبت نابه
وتغطى منكباه باللبد
اتركوه يمشى فى آجامه
ودعوه عن حمى الغاب يذد
واعرضوا الدنيا على اظفاره
وابعثوه فى صحاريها يصد

واذكر اننا زكى مبارك وانا ـ عرضنا لهذه القصيدة ، وكنت احفظ هذا المطلع ، فرويته للدكتور زكى ، فترنح وقطار (المترو) يحملنا على متنه الى القاهرة ، فاستعاد هذه الابيات مرة ومرتين وثلاثا . وهو ثمل بخمر الفاظها ، ولكننى لم البث حتى استوقفنى المصراع الثانى من البيت ، فصدمنى التشبيه فيه، فشوقى هبط بالاسد الى مرتبة الحمار حينما قال ان الشبل نزع من الغاب الوتد ، ولا يشد الى الوتد الا حمار او ما يشبهه من الحيوانات ، ولكن بقيت القصيدة آية من آيات نبوغ شوقى، وعظم شاوه ، ولعله قد بلغ الغاية حينما تحدث عن الشبل ، فطلب من الجيل القديم ان يتركوا الشبل يمشى فى الاجام ، وان يجرب قوته فى حماية الغاب والذود عنها ، ثم ان يعرضوا الدنيا على اظفار هذا الشبل يعنى يفسحوا فرصة النزول الى ميدان المعارك ، وان يذهب فى اعطاف الصحراء واطرافها ، يبحث عن الصيد . لم يكن هذا شعرا جميلا فحسب ، وانما كان ايضا دعوة

الى التجديد ، ودعما للجيل الجديد .

ووجه الخطر في هذه الابيات ، انها كانت من آخر ما نظمه شوقي ، والمألوف في الكتاب والمفكرين والشعراء ، انهم حينما يتقدم بهم العمر ، يؤثرون القديم ويميلون الى المحافظة ، وشوقي وهو على عتبة الدار الاخرى ، يتحدث عن المستقبل بروح التفاؤل ويعلن ثقته بالشباب ويقول فيما قال :

سيرى الناس عجيبا في غد
يغرس القرش ويبني ويلد
ايها الجيل الذي نرجو لغد
غدك العز ودنياك الرغد

زكي مبارك



وقد قلت ان المرحوم سعيد العريان جامع الديوان ظن ان هذه هي آخر قصائد شوقي ، في حين ان القصيدة التي تسلمتها منه وسلمتها لجريدة الاهرام ، كانت خاتمة المطاف ، وكنت انا آخر من تلقى ابيات الهام الشاعر .

غير انني بقيت على صلة به ، فقد دعوت الى فكرة « مؤتمر الطلبة الشرقيين » وكانت الغاية من هذه الدعوة ، العمل على تأييد ودعم الرابطة بين شباب الشرق على مدى اتساعه ، وترامي آفاقه ، بحيث يجمع الشباب المنتمي الى هذا العالم الفسيح من اليابان والصين على المحيط الهادى حتى المغرب على المحيط الاطلسي وعلى الرغم من ضخامة الفكرة ، وصعوبة او استحالة تنفيذها ، الا ان طموح الشباب ، وخياله، قرب البعيد ، وذلل الصعب ، او اوهم بذلك . وقد تحمس لهذه الفكرة من بين أساتذتي في كلية الحقوق ، المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، فكان يمنحها من وقته وجهده ، ما زادني تعلقا بالفكرة وحبا له ، واعجابا بمثاليته . ولقد رأينا ان نعد لهذه الفكرة اعدادا من المجلات الرائجة في مصر ، فاخرجت عددين اولهما كان من مجلة السياسة الاسبوعية اكبر المجلات الادبية آنذاك واعظمها رواجا، والثانية من مجلة الاثنين التي كانت تصدر عن دار الهلال ، وقد نجحت في حشد عدد من اكبر اقلام العربية في مصر والشرق العربي والمغرب العربي ، وترددت من اجل الحصول على قصيدة من شوقي ، لهذه الفكرة ، وكثر ترددي ، وجلوسي معه منفردين حينا . ومع آخرين من محبيه ومريديه ، احيانا . وكنت ادخل احيانا الى مكتبه في كرمة ابن هانىء ، فلا اجده فيها وانما ارى مجلدات ، معظمها من التراث العربي مثل الاغاني والامالي، والمعارف ودواوين كبار الشعراء، كالمتنبي وابي تمام اراها رصت

ذكريات عن شوقي

بعضها فوق بعض ، واراها مقلوبة عند الصفحات التي وصل اليها الشاعر في قراءته ، ثم اجدها كثيرا ملقى بها على الارض ، هنا وهناك ، بغير ترتيب ولا احتفال . وكنت المح بينها اجزاء القواميس الكبرى كتاج العروس ، والمحيط ، والمصباح المنير . ولم ار في كل هذا ولو لمرة واحدة كتابا بالفرنسية التي تعلمها الشاعر في مستهل عمره بمصر ، ثم اتقنها حينما ارسله الخديو توفيق ليدرس القانون ، فتركه ودرس الآداب .

وقد عرضت مناسبة حملت الشاعر على ان يتحدث الي عن محمد عبد الوهاب المطرب الشهير ، والذي كان اقرب الناس الى



محمد عبد الوهاب

شوقي ، واحبهم اليه . وكان يصحبه الى دور الصحف حيث يقابل رؤساء التحرير وكبار الادباء ، فقد عرضت على امير الشعراء ، ان يقنع محمد عبد الوهاب بان يؤدي في حفلة نقيمها (لمشروع مؤتمر الطلبة الشرقيين) ، ونزود من دخلها ، خزانة المشروع الخاوية . وقد حدثت شوقي في هذا الشان ، في مكتبه ، وكنت واقفا، وكان هو كالمضطجع على اريكة من ارائك الحجرة ، فاعتدل في جلسته وصاح باعلى صوته الضعيف : (يا محمد) وجاء عبد الوهاب ، ووقف بين يدي الامير في ادب ، ورد عليه في صوت خفيض ثم انصرف ، فاتجه الى شاكيا ، ان عبد الوهاب يغني في سرادقات تقام لحفلاته في الليل وفي الشتاء ، فيدخل الهواء البارد من خلالها ، وصحة عبد الوهاب لا تتحمل هذا العناء ولا ذاك البرد ، وقد احسست عندها ، مدى حب الشاعر ، لمن يغني له قصائده وازجاله فيشدو شدو البلبل حقا ، فيستخف بصوته آلاف المستمعين .

وقد سمعت المطرب يروي بعض ذكرياته مع شوقي ، فقال انه علم من خادم الشاعر، وكان سودانيا يدعى احمد ان سيده عاد من الخارج كعادته متأخرا في الليل وطلب من تابعه ان يحضر ابريق الماء والطست ، ليغسل وجهه وراسه قبل ان ينام ، وبينما يحضر احمد هذه الادوات ، يحضر الموت ، ويشتد الم الشاعر في صدره ، فيامر خادمه ان يدع ما بيده ويدعو ابنه ليعطيه حقنة ، تصرف عنه الم الصدر ، ثم يدرك الشاعر انها الخاتمة فيقول لخادمه :

« لاتدع احدا . انها النهاية . سلملي على محمود »؟ ثم اغمض عينيه وترك دنيانا . ليبقى شعره مقروءا ودائما يتغنى به الشباب ، ويتغذى به الرجال والشيوخ ، ويجدد من شباب لغة العرب ، ويزيدها على الايام جمالا وبهاء ●

مقدمة شوقي

أهملها الدارسون والناشرون

يبدو ان شوقي نفسه هو اول المسئولين عن اهمال هذه المقدمة الهامة التي كتبها لاول طبعة من ديوانه الشوقيات ، تلك التي صدرت من مطبعة الاداب والمؤيد عام ١٨٩٨ وكان شوقي وقتها يخطو الى عامه الثلاثين .

ثم اعاد شوقي نشر مقدمته هذه في الطبعة الثانية من الشوقيات عام ١٩١١ ، والتي كانت صورة مطابقة للطبعة الاولى دون اضافة او نقصان .

وفي عام ١٩٢٦ قرر شوقي ان يكون للشوقيات تقسيم وتبويب جديد ، فاصدر الجزء لاول منها وقد تصدرته مقدمة بقلم الدكتور محمد حسين هيكل ، وجعله وقفا على السياسة والتاريخ والاجتماع واسقط شوقي مقدمته في تلك الطبعة ، وكانت هذه هي البداية لكل ما حاق بهذه المقدمة من اهمال ونسيان ، ثم صدر الجزء الثاني من الشوقيات سنة ١٩٣٠ ، ولم يصدر الجزءان الثالث والرابع الا بعد وفاة شوقي : في عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٣ على الترتيب .

وتوقفت طبعات الديوان بعد هذه الطبعة الرباعية الاجزاء التي عرفت بها الشوقيات ، اللهم الا بضع طبعات مسروقة صدرت من بعض دور النشر في لبنان، حرفت فيها بعض القصائد وحذفت فيها بعض المقاطع مما يتضمن اشارات الى اسماء اعلام أو احداث ومواقف سياسية واجتماعية مما كان يشغل الناس في عصر شوقي ، وظن هؤلاء الناشرون ان اسقاط هذه القصائد والمقاطع يروج لطبعاتهم المسروقة والمشوهة في مصر المعاصرة ، مصر ما بعد عام ١٩٥٢ .

وظل امر الشوقيات على هذه الصورة الغريبة والنادرة المثال : اشهر ديوان لاكبر واعظم شعراء مصر والعربية – في عصرها الحديث – مفتقد او مفقود ، لا يوجد منه الا هذه الطبعات الدخيلة ، وحتى لو وجدت طبعته الاصيلة الصحيحة فانها خالية من مقدمة شوقي التي حلت محلها مقدمة الدكتور هيكل ، حتى فاجأ الدكتور احمد الحوفي الحياة الادبية بنشر ديوان شوقي في مجلدين ضخمين عن دار نهضة مصر ، خلال العامين الاخيرين، بعد ان غير اسمه الذي عرف به من البداية وهو « الشوقيات » الى اسم جديد غير مألوف هو« الديوان شوقي». والطريف ان شوقي في مقدمته الهامة والخطيرة – التي تدير من حولها هذا الكلام – يفسر لنا السر في تسمية ديوانه بالشوقيات ، يقول شوقي :

« جمعتني باريز في ايام الصبا بالامير شكيب ارسلان وانا يومئذ في طلب العلم، والامير حفظه الله في التماس الشفاء ، فانعقدت بيننا الالفة بلا كلفة وكنت في

بقلم: فاروق شوشه

اول عهدي بنظم القصائد الكبرى ، وكان الامير يقرأ ما يرد عليه منها منشورا في صحف مصر ، فتمنى ان تكون لي يوما مجموعة ، ثم تمنى على اذا هي ظهرت ان اسميها الشوقيات . ثم انقضت تلك المدة فكأنها حلم في الكرى او خلسة المختلس او هي كما قلت :

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها
سواى على ان الصحاب كثير
حرصت عليها آنة ثم آنة
كما ضن بالماس الكريم خبير
فلما تساقينا الوداد وتم لي
وداد على كل الوداد اميـر
تفرق جسمي في البلاد وجسمه
ولم يتفرق خاطر وضمير

ثم يقول شوقي :
هذا أصل التسمية سبقت به اشارة لا تخالف ، ودفعت اليه طاعة واجبة ، وانا بين هاتين هدف للقبل والقال ، يظن بي نسبة الاثر الضئيل الى الاسم القليل »
لكن القيمة الحقيقية لهذه المقدمة التي كتبها شوقي ، تكمن في كشفها النقاب عن ذوق شوقي الشاعر ، وعن وقفاته مع شعراء التراث العربي ، وحماسه الجارف للشعر العربي ، ووضعه من نفسه في منزلة الاكبار والتكريم في مواجهة شعر الغرب والاداب الاجنبية ، و« الملك » الذى ينبغي للشاعر ان يتحرك فيه ويعبر عنه ويكون صوته الحقيقي ، وموقف شوقي من التجديد ، والدور الذى يمكن ان يقوم به الشعر والشاعر في رايه ، والادوات التي يجب توافرها للشاعر حتى يتقن فنه ، وتفاصيل عن سيرة شوقي فيما يتصل باصله وحقيقة اسرته ونشأته وكيف انه عربي تركي يوناني جركسي ينحدر من هذه الاصول الاربعة التي تجتمع في فرع واحد ، تكفلها له مصر كما كفلت ابويه من قبل ، بالاضافة الى كشف هذه المقدمة عن جوانب من علاقته باسماعيل والقصر ورحلته مع التعليم .

وهي كما نرى جوانب لها من الاهمية التاريخية والادبية والفنية ، ما يجعلها واجبة الالتصاق « بالشوقيات » دون ان تغني عنها مقدمة اخرى مهما كانت ضافية ، حتى ولو كانت بقلم اديب وباحث كبير كالدكتور محمد حسين هيكل ، ذلك ان هذه المقدمة تمثل الافضاء شوقي نفسه ، كما انها تقدم الينا - نحن قراء ومتذوقي فنه الرفيع ودارسيه ونقاده - وثيقة حية عن فكره وتصوراته وارائه والمؤثرات العميقة في نفسه ووجدانه ، ورصدا امينا لعلاقة شوقي بالشعر وتدرج هذه العلاقة في مراحلها المتعددة والمتعاقبة حتى الاوان الذى كتب فيه شوقي مقدمته وهو - كما قلنا من قبل - في سن الثلاثين .

ولعل اكثر جوانب هذه المقدمة الهامة دلالة على تفرد شوقي وعظمة شاعريته ، تلك السطور التي يتحدث فيها عن المجال الحقيقي لحركة الشاعر ، بعد ان استعرض شوقي حال اولئك الذين جنوا على الشعر العربي - حتى وان كانوا من الفحول - لانهم دخلوا في مضيق اللفظ والصناعة وآثروا ظلمات الكلفة والتعقيد على نور الابانة والسهولة اولانهم وقفوا بالقريض عند القول المأثور : القديم على قدمه .. وسقط الجميع في هـوة الاحتراف ، حين اتخذوا الشعر حرفة وتعاطوه تجارة اذا شاء الملوك ربحت واذا شاءوا خسرت ..

مقدمة شوقي .. أهملها الدارسون والناشرون



محمد حسين هيكل

وبعد أن يحمل شوقي حملته الشعواء على شعراء الحرفة والتجارة والتكسب ، الذين أنزلوا الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقــوم بغيره ، وكيف يتبرأ الشعر من موقف هؤلاء ، يقول :

« الا أن هناك ملكا كبيرا ما خلقوا الا ليتغنوا بمدحه ، ويفتنوا بوصفه ، ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بكل نصيب ، وهــذا الملك هو الكــون ، فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى ، يقلب احدى عينيه في الماء ، ويجيـل أخرى في الذوق ، يأسر الطير ويطلقه ، ويكلم الجماد وينطقه ، ويقف عــلى النبات وقفة الطل ، ويمر بالماء مرور الوبل ، فهناك يتفسح له مجال التخيل، ويتسع له مكان القول ، ويستفيد من جهة علما لا تحويه الكتب ولا تسعه صدور العلماء ، ومن جهة أخرى يجد من الشعر مسليا في الهم ومنجيا من الغم ، شاغلا اذا أمل الفراغ ومؤنســـا اذا تملكت الوحشة، ومن جهة ثالثة لا يلبث أن يفتح الله عليه ، فاذا الخاطر أسرع والقول أسهل ، والقلم أجرى والمادة أغــزر ، بحيث لا تمضي السنون حتى تــتداول الايدي مؤلفاته ، واذا مات أكبر الناس من بعده مخلفاته ، أو لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية أن يحيـــا المتنبي مثلا حياته العالية التي بلغ فيها الى أقصى الشباب ثم يموت من نحــو مائتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لممدوحيه والعشر الباقي وهو الحكمــة والوصف : للناس . »

ويروي شوقي في ثنايا مقدمته الهـامة ما يطلعنـــا على موقفه من التجديد... فهو يطلب العلم في أوربا ، ويجد فيها نور السبيل من أول يوم ، ويعلم أنه المسئول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤليها سواه ، وأنه لا يؤدي شكرها حتى يشاطر الناس خيراتها .. يقــول شوقي :

« فجعلت ابعث بقصائد المديح من أوروبا مملوءة من جديد المعاني وحديث الاساليب بقدر الامكان، الى أن رفعت الى الخديو السابق « توفيق » قصيدتي التي أقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء
والغواني يغرهن الثنـــاء

والتي غزلها في أول هذا الديوان .. وكانت الوقائع الخديوية تنشر يومئـذ في الجريدة الرسمية ، وكان يحررهـا أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان ، فدفعت القصيدة اليه وطلبت منـه أن يسقط الغزل وينشر المدح ، فود الشيخ لو أسقط المدح ونشر الغزل ، ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر . فلما بلغني الخبر لم يزدني علمـا بأن احتراس من المفاجأة بالشعر الجديد

دفعة واحدة انما كان في محله وان الزلل معي اذا انا استعجلت .

ثم نظمت روايتي على بك الكبير او «دولة المماليك» ، معتمداً في وضع حوادثها على اقوال الثقاة من المؤرخين الذين رأوا ثم كتبوا ، وبعثت بها قبل التمثيل بالطبع الى المرحوم رشدي باشا ليعرضها على الخديو السابق ، فوردني كتاب باللغة الفرنساوية يقول في خلاله :

« اما روايتك فقد تفكه الجناب العالي بقراءتها ، وناقشتني في موضع منها وناقشته ، وهو يدعو لك بالمزيد من النجاح ويحب الا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها وانت في بيتك بمصر عن التمتع بقبس تستضيء به الاداب العربية » .

والغريب ان هذه السطور التي يحكي فيها شوقي قصة كتابته لاولى محاولاته في المسرح الشعري وهي مسرحية على بك الكبير — اثناء طلب العلم في بعثته الى فرنسا — ورسالة الخديو اليه ، قد فسرت من بعض دارسي الادب ونقاد شوقي على انها حض لشوقي على الانكباب على العلم والانصراف عن مثل هذا الشعر — الذي رآه الخديو وحاشيته غريبا غير مالوف — وكيف ان هذا الموقف كان سببا في ان يطوى شوقي صفحة المسرح الشعري ولا يعود اليه الا في سنوات عمره الاخيرة عندما عكف على كتابة مصرع كليوباترة ومجنون ليلى وعنترة وقمبيز واعاد كتابة على بك الكبير ، وعندما اطمأن الى استقرار مكانته الشعرية والاطمئنان الى مبايعته بامارة الشعر . وهو تفسير مناقض للمعنى الصريح في سطور رسالة الخديو الى شوقي ، والتي تحضه حضا على الا تشغله دروس الحقوق عن الانتاج من مدينة النور بقبس تستضيء به الاداب العربية ، ولن يكون هذا القبس الا المزيد من التجديد ، والمزيد من المغامرة في رحاب الفن الشعري وآفاقه ، وهو ما دفع شوقي الى ترجمة قصيدة « البحيرة » للامرتين ، التي ترجمها من بعده كثيرون من ابرزهم علي محمود طه وابراهيم ناجي ، والى نظمه لحكايات الاطفال الشعرية محاكاة لاسلوب لافونتين ، والى الاعجاب بشاعر القطرين خليل مطران الذي هو — في رأي صديقه شوقي — صاحب المنن على الادب ، والمؤلف بين اسلوب الافرنج في نظم الشعر ونهج العرب ، والمأمول اننا « شوقي ومطران » نتعاون على ايجاد شعر للاطفال والنساء وان يساعدنا سائر الادباء والشعراء على ادراك هذه الامنية .

وبعد :

فقد قصدت بهذه السطور ان انبه الى اهمية هذه المقدمة التي كتبها شوقي للطبعة الاولى من الشوقيات ، والتي اهمل شوقي نفسه ثم اهمل الناشرون من بعده وضعها في مكانها ، بعد ان حلت محلها مقدمة الدكتور هيكل ، التي لا تغني عنها ، ولا تسد مسدها ، فضلا من انه ليس هناك ما يحول دون اجتماع المقدمتين ووضعهما معا في صدر الشوقيات جنبا الى جنب .

والامل معقود — والدولة مهتمة الان بالعيد الخمسيني لامير الشعراء — ان يكون بعض الجهد والمال متجها الى وجهته الصحيحة ، لاصدار طبعة جديدة من الشوقيات تسد الفراغ الراهن في مكتبة الشعر العربي الحديث ، وتضم مقدمة شوقي التي صاغها بقلمه ، وذوب روحه ووجدانه لتكون مدخل القارىء والدارس والمتذوق الى عالم شوقي الرحيب الحافل بالكنوز . ●

العذوبة والعذاب

دخل على صاحبي على غير موعد — كما هي عادته — فوجدني — كما هي عادتي — اطالع في كتاب ، فقال لي وهو يضع ساقا على ساق :

— من صاحبك اليوم ؟ ..

وقبل ان اجيبه استطرد :

— ما اظنه الا شاعرا .

فقلت في اقتضاب :

— احمد شوقي ..

فارتفع حاجباه قليلا ، ثم قال :

— ما عهدته ممن تدمن صحبتهم .

فقلت وانا اطوى « الشوقيات » :

— ليست الحياة كلها ادمانا .. فقد تشوق المرء بين الحين والحين نزهة في مكان لا يرتاده في كل يوم ..

فافتر فمه عن ابتسامة ، وهو يشعل سيجارته ، وقال :

— اختيار دقيق ..

— اى اختيار تعني ؟

— اعني اختيارك لفظ « النزهة » للحديث عن شعر شوقي . فابرز ما يمتاز به شعره هذه العذوبة الصافية ..

فقلت وانا اتنهد :

— صدقت . عذوبة طاغية على كل شعره تقريبا .. عذوبة ليس فيها شائبة من عذاب !

فضحك وقال :

— وهل ينشد « المتنزه » « الموت من » العذاب ؟ أم هي خصلة فيك .. ان تستعذب العذاب !

فقلت :

— بل تعني انه مسرف في نفسي . فاستعذاب العذاب آفة نفسية . كلا . انا لا اعني هنا لواعج العذاب الحسي .. بل ذلك النوع من المعاناة الفكرية والروحية والوجدانية ، الذي تعرفه النفوس العظيمة التي تمتلىء بما اسميه انا « الهموم الكونية » .. كما هو الحال في شعر شيخ المعرة ابي العلاء مثلا . او ما قد اسميه الاحساس العميق النادر ، فاذا عاطفة كالحب لا تتراءى في شعر الواحد من هؤلاء « ليلة انس » ولا « جلسة متعة » ولا « مناجاة طالب متعة » .. بل بركانا هادرا من المعاناة والعذاب العبقري ، لان عاطفة الحب هنا تستولي على المحب وتملكه فلا يملك عدلا ولا صرفا وانك لتجد في مثل هذا العذاب عذوبة ، ولكنها « العذوبة العليا » . عذوبة الفن الذي يسمو بك الى آفاق شاهقة ، ويطلعك على اعماق نادرة ، وكأنك هبطت الى جوف بركان هادر !

— كأني بك تعني عذابا مثل عذاب قيس ابن الملوح ، مجنون ليلى ؟

— اجل ..

— لاتنس ياصديقي ان شوقي هو صاحب « مجنون ليلى » .

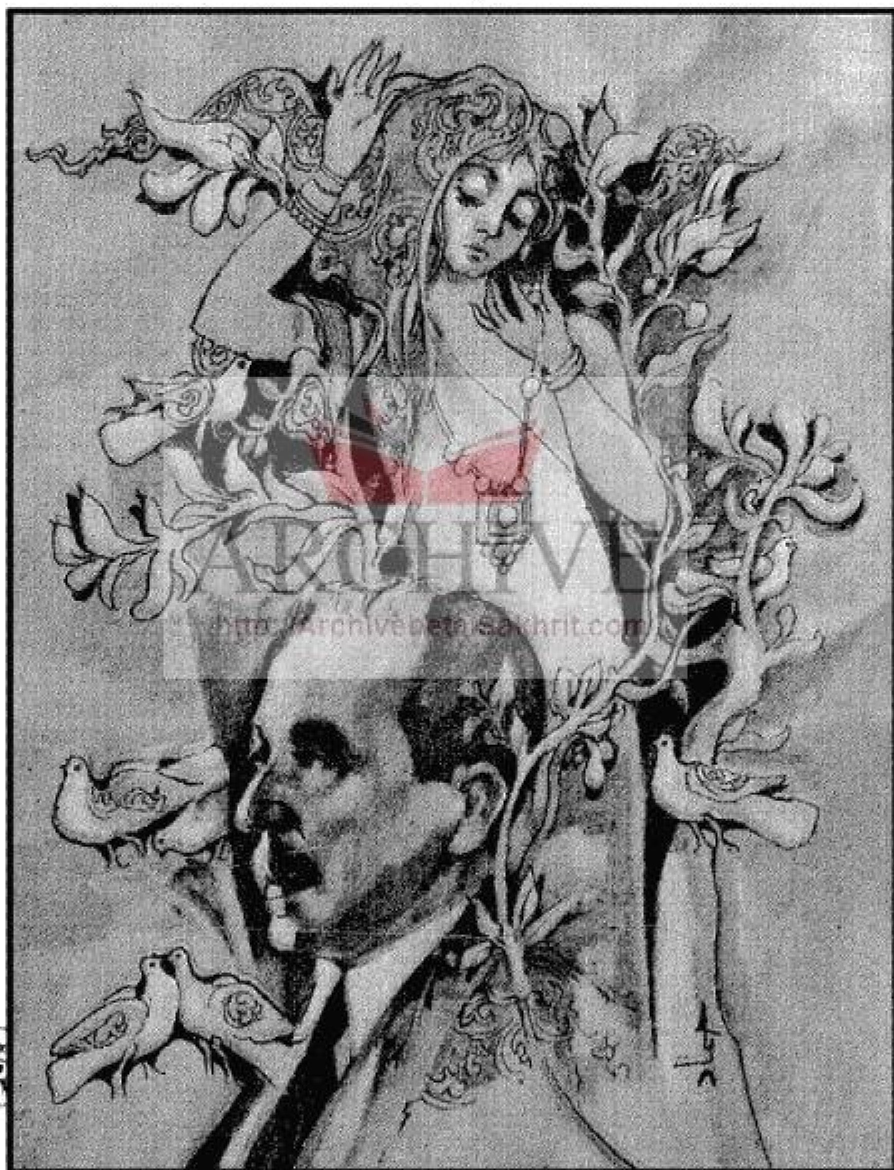
— وهل هذا مما ينسى ؟ ولكن هذه الرواية — لحسن الحظ — تتضمن مقطوعات من شعر المجنون . ادخلها شوقي عامدا في نسيج روايته البديعة .. فكان ذلك معرضا ميسرا لمن يحسن التمييز بين العذوبة والعذاب !

— زدني ايضاحا !

— في شعر المجنون تعبير رائع عن عذاب هذا العاشق ، يصور لنا ذلك الاحساس

فى شعر شوقى

بقلم: د. نظمى لوقا



العذوبة والعذاب فى شعر شوقى

النادر في ضخامته وجبروته .. فالحب ها هنا جد مكرب ، ولكن التعبير الصادق الامين عنه فيه عذوبة علوية .. لانها عذوبة الفن الذى يبث فيك احساسا نادرا في عمقه وضخامته .. وفى تصوير شوقي للشاعر المجنون ، عذوبة وشجو تحس امامه انك تشاهد ، من الخارج ذلك الاحساس الجبار ، ولا تعيشه وتتجاوب في شعاب نفسك لواعجه ، كما هو الحال في شعر المجنون . ففى شعر المجنون عذاب وعذوبة مهيبة جليلة .. كذلك الجمال المهيب الجليل الذى تحسه في فوران البراكين . وفى شعر شوقي - وهو يتحدث عن الحب - عذوبة تعرض عليك العذاب ، وانت بنجوة منه .. فاحساسك به اقرب الى الانس لا البؤس بيثه وشجوه !

- اراك تظلم شوقي . لما جن شوقي عشقا ، حتى نطالبه بان يكون شعره في الحب مثل شعر المجنون . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها !

- بالصواب نطقت . فكل ماعون بما فيه ينضح ..

- إنك لتحس في [illegible] مرمى بعيدا ..

- ليس بعيدا جدا كما تتوهم . فانت واجد في شعر شوقي - ما تجده في شعر اى شاعر - صورة نفسه وابعادها . فالفن هو التعبير عن وقع الوجود على وجدان الفنان : اليس كذلك ؟

- بلى ! الى هنا نحن متفقان .

- وما اكثر ما يتحدث شوقي في شعره الكثير عن الهوى ، وعن الحب ، ولكنه حديث السيد المترف الذى يشوقه الحسن في الصبايا الملاح ، ويستهويهن بكلامه الجميل الشديد العذوبة عن محاسنهن . اما احساسه بهذه المحاسن فهو واحد ، لا يتغير بتغير الحسان . [illegible] عن الاستنداء ، ويشرن عن المشاعر والصبوات . انه الغزل ياصاحبى ، ومتاع الحس والانس والطرب الناعم ، وليس لواعج العشق الذى تنفرد به امراة بعينها ، هى ، الكون كله ، عند عاشقها ، بصرف النظر عن ، مواصفات ، الحسن التى تسبي الحواس ، ولا يكاد يكون لها بالقلب شان في كثير او قليل . ولكن تعبيره عن هذه الاحاسيس الصغيرة رائع في عذوبته وجماله بلا مراء ! فهى عذوبة باهرة لا تصور آفاقا واعماقا ترضي من يشوقه ارتياد الآفاق وسبر الاعماق ..

- ولكن سواد الناس ليسوا طلاب آفاق واعماق !

- بالضبط ! سواد الناس طلاب متاع سهل وعذوبة لا عناء فيها ، فتطرب نفوسهم اشد الطرب ، لانهم يجدون في هذا الفن من فنون الشعر صدى صادقا لنفوسهم ، هو حسبهم ، لان نفوسهم لا ترتفع الى مافوق هذا ، ولا اعماق فيها اكثر من تلك البحيرة القليلة الغور ، التى تنعكس عليها في الليلة الصافية القمراء صورة السماء ، والريح رخاء .. فلا مطلب وراء هذا المتاع العاطر والرونق الساحر ! وهل يمكن ان تعثر على صورة شعرية ابهى وانضر من قصيدة شوقي ، ياجارة الوادى ، ؟ .. انها احاسيس شائعة سهلة لا غورة فيها .. وذلك مثل اعلى لسواد الناس . واستمتاعهم به لا زيادة وراءه لمستزيد ! انه شعر عبقري العذوبة ، ولكن ...

- ولكن ماذا ؟

- ولكنه ليس عبقري الشعور ! .. وكل ميسر لما خلق له !

- دع عنك الحب والعشق . فلو نظرت الى استبداد العشق بالعاشق - كحال صاحبك قيس بن الملوح ، او ديك الجن الحمصى ، او جنادة العذري - لرايته مصدر غرد على الفن من بعض الجوانب .

- وكيف كان ذلك ؟

- ان استبداد العشق بالعاشق ، يستقطبه ، - كما يقول كتاب السياسة في هذه الايام - فلا يكاد يلتفت الى غرض آخر من اغراض الحياة الكثيرة . ولولا هذا ماكانت لشوقي هذه الاهتمامات الموضوعية

في شعره الذي كان ابهى مرآة فنية لعصره، فيما اعتقد ، وفيما يعتقد الكثيرون !

– لست اشك في هذا ، فنفس الرجل بآفاقها كانت صورة صالحة لنفوس الجماهير العريضة في عصره ، بل وفي سائر العصور، في شرقنا العربي . وليس من ريب لدى منصف ان في حساسية شوقي الجمالية عبقرية نادرة ، انتجت عددا لا يستهان به من « الدرر » النادرة في عبقرية التعبير والتصوير . وهل يمكن ان يغفل احد عن تلك الصورة العبقرية التي جاءت في قصيدته عن اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون – على سبيل المثال لا الحصر ؟

– أي هذه الصور تعني ؟

– قوله عن المكتشف المجدود :

« ألفى الى ختم الزمان ففضه
ومضى الى التاريخ في محرابه
« رجع القرون القهقرى حتى اتى
فرعون بين طعامه وشرابه ! »

– الله ! الله ! رحم الله شاعر النيل !

– اتعني « حافظ ابراهيم » ؟ وماذا ذكرك به :

فابتسم صاحبي ابتسامة خبيثة وقال :

– حدثني من لا اشك في صدقه انه زار شاعر النيل يوم نشر هذه القصيدة العصماء في الاهرام ، فوجده مكروبا محزونا مكتئبا فسأله ماذا اهمه ، فذكر له هذين البيتين ، ثم اردف « من لي بهذين البيتين ، في مقابل نصف شعري ؟ » فاخذ الزائر يهون عليه ويذكر له محاسن اشعاره في « حريق ميت غمر » وفي رثاء محمد عبده ، وغير ذلك ، فصاح به حافظ : « اتخدعني عن نفسي يافلان ؟ اتستكثر ان اقوم هذين البيتين بنصف شعري ؟ فاعلم اني ارضى بهما في مقابل شعري كله ! »

وضحكنا مليا ، ثم قلت :

– ماذكرت هذين البيتين ، الا وجدت شوقي – بهما وبامثالهما من جواهر شعره التصويري – يقف الى جانب البحتري ، وتقفز الى ذاكرتي رائعته في ايوان كسرى وقوله :

« يغتلي فيهمو ارتيابي حتى
تتقراهمو يداي بلمس ! »

فهذا الطراز من التصوير الحسي البارع عبقرية قائمة بذاتها ، هي عبقرية العذوبة والصفاء . بلا عذاب ولا عناء !

فقال صاحبي :

– وهل تنسى براعته العبقرية في « حسن التعليل » ؟

فقلت له وانا اداري ابتسامة :

– احسبك تومىء الى قصيدته في الهرم، وقوله :

« هو من بناء الظلم ! الا انه
يبيض وجه الظلم منه ويشرق ! »

– اجل !

– حسن تعليل عبقري فعلا ، وهو مجال للتمييز بين « الصدق الفني » و « الصدق الواقعي » : ففي الواقع لم يكن بناء الهرم بالسخرة ، بل تطوع له الناس زلفى لفرعون لانه ابن الاله . وكان تبرعهم – مقابل الطعام – اثناء موسم الفيضان الذي يتعطلون فيه عن العمل ! فكان عملهم فيه عبادة لا ظلما . ولكن يبقى ان « الصورة الفنية » لها ابعادها ومقاييسها التي تختلف كل الاختلاف عن « الواقع الحرفي » .

– أكل شيء عندك يتحول الى موضوع للتأمل ؟

– أليس كل امرىء ميسرا لما خلق له

فابتسم صاحبي وقال معابثا :

– بلى ! ولكنني احب شوقي كما تعلم ، واحب ان التقي في امره عند نقطة وسطى . أليس حسبك منه ان تجد لديه هذا الأنس النادر للعذوبة المطلقة ، وهذه العبقرية في التعبير والتصوير كما يتردد في نفسه ، كما سوى الله هذه النفس ، فاذا هي مرآة للكثرة من الناس نادرة الصفاء والبهاء .. بحسبك ياصاحبي ان تجد فيه الانيس المؤنس الفذ ، وان لم تجد فيه مرتاد المجاهل

– صدقت . ما اشد الانس بصحبته العذبة .. في غير عذاب ●

شوقى ودوره السياسى

كان شوقى كما قال عن نفسه « انا عربى تركى يونانى جركسى » . اى انه مواطن عالمى بالتعبير المعاصر، قبل ظهور المؤسسات العالمية كعصبة الامم والامم المتحدة واليونسكو والفاو وغيرها . والتى فشلت جميعـــا حتى الان فى خلق المواطن العالمى بل فى ازالة الفروق ومنع الحروب بينهم .

وصف نفسه بالعبارة الســابقة لان اباه من اصل كردى عربى . وامه تركية . وام ابيه شركسية وام امه يونانية . والواقع ان هذه الاخيرة ـ واسمها تمـــراز وكانت وصيفة لدى الخديو اسماعيل ـ هى التى تكفلته منذ كان فى المهد بعد ان افلس ابوه المبذر المتلف !

وهذه المواطنة العالمية لاحمد شوقى ليس له فيها فضـــــل . هى من افراز الدولة العثمانية القائمة وقتئذ والتى كانت تكون الجنسيات المختلفة خيوطا فى نسيج واحد لم يسبق له مثيل ولم يتكرر فيما بعد فى اى من الامبراطوريات السابقة او اللاحقة . انعكست هذه المواطنة العالمية على شعر احمد شوقى . حتى لتجعله شاعرا للعالم كله لا لوطن محدود ولا لقومية ضيقة .. حتى ان ايطاليا تحس بذلك فتقيم له تمثالا فى قلب عاصمتها .

وللتاريخ عند شوقى قداسة . والتاريخ عند شوقى منبع غزير يغترف منه . وقليل نادر هم الشعراء الذين يعرفون التاريخ فعلا . اما شوقى فاستمع اليه عندما يقول « الشعر ابن ابوين : التاريخ والطبيعة » . وعندما تقرأ اشعاره السياسية ورواياته التاريخية تحس كانه شــخصية من خارج الكون ترقب التاريخ من اوله حتى نهايته وتعزف على ارغول لكل سكان الكون الصغير هذا . وهو لا يتعامل مع التاريخ كما يتعامل مؤرخونا او كما يتعاطى النـــاقد فيلمـا سينمائيا دون ان يقدر هو على التمثيل السينمائى . ولكنه يتعامل مع التـــاريخ منغمسا فى السياسة نفســـها . فهو اذن

■ لماذا كان شوقى يؤيد السلطان عبد الحميد .؟

■ دور شوقى فى طرد كرومر من مصر



احمد شوقى

شاعر سياسى او شاعر وسياسى • فهو ينفى الى اسبانيا عندما يخلع الانجليز عباسا • وهو يطلع على السياسة وخفاياها من داخل القصر ومن اختلاطه بكل الزعماء وسنرى فى آخر المقال كيف كان يمارس السياسة سرا حتى لا تطغى على شاعريته • واقعا هو استفاد من سامى البارودى فائدتين • مهد له سامى البارودى ان يكون الشاعر سياسيا • واستفاد من درس سامى البارودى ان السياسة ان طغت على الشعر تؤدى بصاحبها الى المنفى وتصادر ثروته •

التكوين السياسى

قلنا ان الجينات المكونة لخلايا احمد شوقى هى اصلا بولى كروم متعددة الالوان واسعة الطيف خالية من عقد التعصب •

ثم ناتى الى نشاته وتربيته فنراه يتدرج فى مراحل التعليم جميعا من ابتدائى الى ثانوى الى كلية الحقوق الى الدراسة فى الخارج فى كلية الحقوق الفرنسية • ومتى هذا • فى عصر كان حامل الابتدائية فيه يصل الى اعلى المراتب • ويحصل على الباشوية •

لقـد درس وهو تلميذ ابتدائى على يد محمد البسيونى وكان الاخير شاعرا • وكانا يتبادلان الرأى : الاستاذ والتلميذ ذو البنطلون القصير – فى القافية واستبدال الالفاظ • ثم تتلمذ بعد ذلك على المرصفى صاحب الوسيلة الادبية والذى وصفه كثير من المستشرقين بانه احد مكونى الفكر العربى الحديث ، ثم انه فى اوربا اختلط باسكندر ديماس الابن وموباسان وسارة برنار وهوجو • اختلط وهو قادر على العب عبا من كنوزهم • ثم ان اسماعيل صبرى باشا جالسه لينتفع له اللفظ والمعنى •

وبعد هذا كله فقد ساح فى العالم القديم المعروف وقتئذ : كان يصطاف كل سنة فى اسطنبول ، الى ان سقطت الدولة

شوقي ودوره السياسي



الشيخ على يوسف

العثمانية فاقتصر على لبنان .. حتى اصطياله كان سياسيا فى الاعماق » . وعاش فى فرنسا خمس سنوات . وعاش فى اسبانيا منفيا طوال الحرب الاولى . وزار سويسرا ممثلا لمصر فى مؤتمر مستشرقين وزار بلجيكا .

وكان يتقن لغات ثلاثا : العربية والتركية والفرنسية .. وكان اتقانه للعربية تملكا لناصيتها . وكذلك اتقانه للفرنسية والتركية .

دوره السياسى

كان الاعلام وقت شوقى مقصوراً على الشعر . وكانت الصحافة وليدة تحبو .

فكان الاعلام متمركزا فى الشعراء . وكان قبله محمود سامى البارودى وعبدالله النديم هم الذين اشعلوا الثورة العرابية ودفعوا امامهم بالبلاغة ضباط الجيش ثم فئات الشعب نحو الثورة .

وكان الاعلام اقوى اثرا من الجيش ومن الدولة . فالجيش منزوع السلاح ومقيد العدد بعد الاحتلال . والدولة لا تمارس اى سلطات فى السياسة الخارجية ولا حتى فى السودان وتقتصر على الادارة الداخلية كمجموعة من العمد والمأمير ومفتشى الداخلية وبعض القضاة وبعض رجال فى الجمارك ومهندسى الرى ومعظمهم لا يتجاوز تعليمه مراحل بدائية .

يمكن ان يقال ان جهاز الحكومة كان هو الخديو شخصيا ومستشارى الاشغال والحقانية والداخلية الانجليز فقط لا غير . هذه هى كل الدولة السعيدة . فيكون اذن دور الاعلام فى مثل هذه الدولة أضخم من دور الاعلام فى مثل دولتنا .

ولك أن تتخيل احمد شوقى بشدوه وشعره وقد حل محل الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى الدعاية والاعلام الان . ولك أن تتخيله لو حدثت احداثنا المعاصرة من تاميم القناة وهزيمة ٦٧ ونصر ٧٣ وغزو لبنان وكفاح فلسطين وتخيل كيف كان يعلق على هذه الاحداث بسحر شعره .

ولكن دوره السياسى الثانى هو انه تقلب من شاعر السراى الى شاعر الشعب بقيام ثورة ١٩ . والانتقال الى صف الرعية امر قد تفرد به شوقى فقد اعتدنا فى حياتنا السياسية ان ينشق ممثلو الامة واحدا وراء واحد وينتقلوا من صف الشعب الى الصف المعادى . محمد محمود . صدقى . ماهر . النقراشى . عبد الهادى . عباس العقاد . التماسا للراحة وللمنصب. وتقلبه هذا الى صف الشعب اشبه بتقلبه ايضا من الشدو بملذات الحياة الى التصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا معنى اصيل وسيطرة كاملة على النفس .

موقفه من تركيا والسلطان

لشوقى موقف سياسى مستقل وسابق لعصره بخصوص الخلافة يجب تسجيله . لقد بدات الكتابات التاريخية الان تنصف السلطان عبد الحميد . وتذكر له انه


احمد شفيق باشا


حسين رشدى باشا


محمود سامى البارودى باشا

وقف بصلابة منقطعة النظير فى وجه الصهيونية ورفض كل الضغوط التى كانت تهدف الى انشاء وطن يهودى فى فلسطين. كانت الضغوط صادرة من هرتزل فى ٤ مقابلات وصادرة من قيصر ألمانيا غليوم وصادرة من طبيب عبد الحميد الخاص . وقد رفض عبدالحميد كل هذه الضغوط بشدة رغم التهديدات من ناحية والاغراءات بتعويض نقص الميزانية وانشاء اسطول جديد لتركيا . ووصل به الرفض لدرجة انه رفض مجرد انشاء جامعة ـ سميت الجامعة العبرية بعد ذلك ـ ورفض بقاء اليهودى اكثر من ٦ شهور فى قرية واحدة .

رفض عبد الحميد كل هذا العرض وهو يعلم انه يقامر بعرشه ويعلم ايضا انه انما يقامر بالعرش فى سبيل العرب لا الترك وان العرب يكرهونه ويحيطونه بألقاب السلطان الاحمر والطاغية وينسجون عنه قصصا خيالية كالقائه الناس احياء فى البوسفور وانه يرتشى الخ الخ . ولم يبدأ العرب ينصفون هذا الرجل الا الان بعد ان ضاعت فلسطين وبعد ان اصبح الانصاف فى غير موضعه . « الحقيقة كانت هناك مؤلفة ألمانية هى التى بدأت حركة الانصاف، ثم تبعها فلسطينيون » . ولكن شوقى يكتشف هذا الاكتشاف قبل موعده بنصف قرن ويسجل هذه النقلة فيقول :

سهرت ونام المسلمون بغبطة
وما يزعج النوام والساهر الاب

وهو فى هذه المعركة النفسية بين العرب والترك يأخذ جانب الترك رغم انه امير البيان العربى ورغم ان كل عائلة محمدعلى كانت تنفصل تدريجيا عن تركيا وتخشى اى عودة لسلطان تركيا . وكان هذا خطأ سياسيا واضحا من اول محمد على ثم اسماعيل ثم توفيق ثم عباس الثانى ثم فؤاد وفاروق .. فمحمد على هاجم تركيا بجيوشه واسماعيل فصل مصر عن تركيا ليجعلها قطعة من اوربا وفضل النفى الى ايطاليا عن النفى فى تركيا وعلم ابنه « فؤاد » فى ايطاليا لا فى تركيا . وعباس الثانى فضل النفى فى اوربا حتى يبعد عن نفسه اى شبهة اتصال بتركيا . وحرص فؤاد وفاروق على نفى اى شبهة تركية عن اصلهما واثبات علاقاتهما مع ايطاليا .

اما شوقى فيخلد وبشعر عربى متميز هذا الموقف انتصارا للاخلاق فقط

قال العذول خرجنا من محبتكم
عن الوقار فيا صدق الذى زعما

فما على المرء فى الاخلاق من حرج
اذا رعى صلة فى الله أو رحما

نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطنا
ولا سريرا ولا تاجا ولا علما

موقف اخلاقى منه .. استعاض فيه بالاخلاق عن الشعب وعن العزيز الذى هو شاعره . وهو موقف سياسى لم يتنبه له العرب الا الان بعد اجتياح الاستعمار لبلادهم وبعد ضياع فلسطين .

شوقي ودوره السياسي



عبدالله النديم



قاسم امين

موقفه من ثورة عرابي

يتلخص موقف شوقي من عرابي في قصيدته عند عودة عرابي من المنفى ..

صغار في الذهاب وفي الاياب
أهذا كل شأنك ياعرابي ؟

وهو نفس الموقف الذى وقفه ايضـــا مصطفى كامل من عرابي هجاه في ثلاث مقالات في المؤيد . ويتلخص هذا الموقف في انهم نظروا الى الثورة العرابية كمسئولة عن فصل مصر عن الدولة العثمانية . هـــذا الفصل الذى كان حلقة اول في سلسلة تخطيط الاستعمار العالمي والتي كان هدفها الكامل هو دخول الاستعمار الى كل شبر من الشرق الاوسط واقامة اسرائيل كقلعة مسلحة له في المنطقة . وهي نظــرة اثبت الواقع بعد ذلك صحتها وان كانت في وقتها معماة عن الكل .

واذا كانت هــذه هي بصيرة شاعرنا السياسية وحاسة شمه السياسية فهو اذن يتمتع بموهبة سياسية جنى عليهـا الشعر ! بل انني اعجب كيف ان شاعرا ـ والشعراء يهيمون في كل واد ـ تصــل به الحساسية السياسية الى قراءة المستقبل بهذا الوضوح .

ولا يجوز الاحتجاج بان شوقي انما وقف من الثورة العرابية هذا الموقف لانه شاعر العزيز . كلا . لان شوقي لم يتخــذ اى موقف الا عند عودة عرابي فقط ولو انه كان صادرا في موقفه من شعوره نحو مليكه لكان احرى به أن يهجوه قبل ذلك . ولو انه كان يحس فعلا انها ثورة شعبية لاندمج فيها .

وهناك تفسير واحد يعمل قاسما مشتركا اصغر يفسر لنا هذه الظواهر المتعددة ـ وهي اعتزازه بنفسه . وموقفه من عــرابي وموقفه من الاتراك ومن عبد الحميد ـ وهي قولته « ان الشعر ابن ابوين : التــاريخ والطبيعة » وفكرته عن قدسية التاريخ . كل هذا قد جعله يأخذ الجانب الصحيح الذى غاب عن جمهرة الناس ربما حتى هــذه اللحظة .

ولو انه كان مع الملك لكان مع الانجليز من باب اول لانهم هم الملك الحقيقي وسنرى فيما بعد انه كافح بل تآمر سرا ضــدهم باستمرار .

انما كان مع عباس الثاني لانه تربى معه في القصر ولاتجاه عباس الوطني وتعاطفـــه مع تركيا وهو في مواقفه كلها مع جميع افراد بيت محمد على لا يتخــذ موقفـــا شخصيا ولاتكتيكيا في غير صف وطنه اولا واخيرا . ولقــــد خلد نفسه بالبيت الخالد :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخــلد نفسي

موقفه من النظرية الايديولوجية

في زمن شوقي كانت الشيوعية لم تظهر بعد في ثورة اكتوبر الروسية . وحتى بعد أن ظهرت كان هناك « تابو » نحــوها .



احمد لطفي السيد

يكفي ان تعرف ان لطفي السيد فيلسوف الجيل وزعيم حزب الامة ثم الاحرار الدستوريين وصاحب الجريدة يكتب في مجلة الهلال في ١ نوفمبر ٢٦ يشرح فلسفته فيقول حرفيا « انه يستفرد بكره الاشتراكية بكل انواعها . وانه يدعو الى محاربة فكرة ادخال الاشتراكية او الشمولية الى مجتمعنا لانها تلغي الفرد في الحكومة . ويرى ان تقوية المجتمع سبيلها « الوحيد » هو تقوية الفرد فقط . ويحذر من تكليف الاغنياء بالتصرف في اموالهم على هوى الفقراء او هوى جماعة الناس لانه تكليف هو ضد طبائع الاشياء ويفسر ذلك بان اساس اي تشارك هو الثقة وانه يستحيل ان تقوم ثقة بين الغني والفقير . ثم يصف نفسه بعد هذا بانه من الحزبين اي انصار الحرية والمحافظين على الحرية . وانه لذلك ضد الحماية الجمركية للصناعات الوطنية مثلا وضد مساعدة المدارس الاهلية الخ .. في هذا الجو الذهني نرى شوقي يتحرر شيئا فشيئا فيقول :

جبريل هلل في السماء وكبر
واكتب ثواب المحسنين وسطر
سل للفقير على كرمه الغني
واطلب مزيدا في الرخاء الوسر

ثم ينتقل الى المجاهرة بالاشتراكية . بل يتجاوز مرحلة المجاهرة بالاشتراكية الى دمج الاشتراكية في الدين « وهي المرحلة التي يحاول الاشتراكيون المعاصرون عبثا القيام بها ويفشلون » . يصل الى ذلك عندما يقول قصيدته المشهورة : « الاشتراكيون انت امامهم » ! وهي جرأة شديدة جدا . وناجحة جدا ولكن ـ او بفضل ـ اجلاله للتاريخ يدرك ان مسالة الاشتراكية ليست الا فصلا واحدا لا يجوز الوقوف عنده فقط وادارة معركة حولها فقط كما يفعلون الان . وهي حقيقة لم يتوصل اليها المفكرون والسياسيون المعاصرون .

موقفه من النظرية الدينية

كان في شبابه يتاسى بابي نواس حتى يسمى داره « كرمة ابن هانئ » نفسها ، وكان له في ذلك عذر الشباب والفراغ ونشاته في قصر العزيز وزواجه من ثرية ومخالطته للاثرياء . وكل هذا يفسد الناس ويحولهم الى مدنين وسكارى ومنحلين . ولكن مع شوقي ماذا حدث ؟ .. يقول :

ومن يغتر بالدنيا فاني
لبست بها فابليت الثيابا

ان جل ذنبي عن الغفران لي امل
في الله يجعلني في خير معتصم

وهذا التحول الواضح لم يتم على يد مرشد او رائد . ولكنه المعدن النفيس الكامن فيه بعد ان نفض عن نفسه التراب والغثاء .. هذه القدرة على « الصعود من الهاوية » مقدرة نادرة جدا . وتعود الى ضمير حي لايموت وان غفا احيانا . وهذه القدرة على الصحو التي يملكها ضميره تبدو عندما يرثي عزيزا فهو لا ينوح ولا يبكي ولايعدد ولكنه يخاطب ما بعد الموت دون ان يخاف الموت او يهلع :

رهين الرمس حدثني مليا
حديث الموت تبد لي العظات
سالتك ما المنية ؟ اي كاس
وكيف مذاقها ؟ ومن السقاة

ماذا وراء الموت من سلوى ومن
دعة ومن كرم ومن اغضاء
اشرح حقائق ما رايت ولم تزل
اهلا لشرح حقائق الاشياء

كم من الناس يطلب الحديث عن الموت . لم يطلبه مليا . ثم يتوقع ان يكون هناك « دعة » و « كرم » واغضاء !

شوقي ودوره السياسي

● موقفه من ثورة عرابي بين الخطأ والصواب

● السر وراء نفي شوقي إلى أسبانيا

وهو لا يقول هذا لعجز فيه عن الرثاء • فرثاؤه لمصطفى كامل لا يباريه رثاء وكذلك لحافظ ابراهيم ••

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما في مأتم والداني •

قد كنت اوثر ان تقول رثائي
يامنصف الموتى من الاحياء

هذا التغير من لهو الشباب الى تصوف الشيوخ ومن ابى نواس الى البوصيرى كان ايضا واضحا فى مسائل اخرى • وكمثال فى موقفه من تحرير المراة •

فكان يدعو الى الحجاب فى اول حياته• والجدير بالذكر ان قاسم امين نفسه كان كذلك فى اول امره • ثم بعد مناقشات فى صالون نازلى فاضل اقتنع بالعكس وكتب مقالات جمعت فيما سمى « تحرير المراة » كان شوقى اول الامر يقول :

حرصي عليك هوى ومن
يحرز ثمينا يبخل
ان طرت عن كنفى .
وقعت على النسور الجهل

ثم اقتنع بالعكس وبرفع الحجاب فقال :

هذا رسول الله لم
ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة
لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسياسة
والشئون الاخريات

موقفه من السياسة المصريه

كانت مشاكل السياسة المصرية ولا زالت الى اليوم وستظل دائما هى ثلاثة امور : الدستور والاحزاب والعرب •

وقد كان موقف شوقي هو تعدد الحزب بشرط عدم التناحر • سجل ذلك للتاريخ بقوله :

الام الخلف بينكمو الاما
وهذى الضجة الكبرى علاما

اما عن العروبة فيقول أفراحها افراحه واحزانها احزانه• وهو مع المجاهدين للحرية فى كل قطر عربى :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

كان شعري الغناء فى فرح الشرق
وكان العزاء فى احزانه ••

دوره السرى فى السياسه

لم يكن شوقى مجرد معلق على الاحداث • لانه كان يعيش داخل السراى ويختلط بصناع الاحداث وكان له دوره السرى فى بعض الاحداث مما يوجب علينا الاجتهاد فى كشفه والنظر اليه كرجل سياسى •

لفت نظرى ولا بد انه لفت نظر الكثيرين امران متضاربان فى شوقى :

الاول : انه عندما وقعت فارعة دنشواى سكت ولم يؤلف قصيدة ولا بيتا واحدا فلما





الشاب احمد شوقي في باريس

انقضى عام ، كانه دهر على شاعر حساس مثل شوقي » واخرج كرومر من مصر قال شوقي :

يادنشواى على رباك سلام
ذهبت بانس ربوعك الايام

نيرون لو ادركت عهد كرومر
لعرفت كيف تنفذ الاحكام

الثاني : انه بعد سنوات عندما منع الانجليز عودة عباس حلمي من تركيا الى مصر عشية الحرب العالمية الاولى اصروا على اخراج احمد شوقي من مصر منفيا الى اسبانيا . ولم ينفوا او يعتقلوا كل سياسيي مصر ووجهائها من خصم سوى احمد شوقي .

كيف يستقيم تهادنه معهم بعد دنشواى مع موقفهم منه في خلع عباس ؟

من هنا قلنا - ونقول - انه من واجب السياسيين دائما ان يحتفظوا بمذكرات مسجلة اولا باول لكشف مثل هذه المواقف الغامضة . وعلى الدولة والمجتمع ان تنشر مذكرات كل سياسي . وفي هذا العصر الذى نذكره يجدر نشر مذكرات الخديو عباس على الاقل لكي تدحض ما يذكره كرومر او رونالد ستورز عن هذه الفترة .

يتضح من المذكرات القليلة المنشورة واهمها مذكرات شفيق باشا الاتي :

● في يوم ٢٥ مايو ١٩٠٧ ، بعد دنشواى بشهور ، لاحظ شفيق باشا ان عباسا مضطرب ومهموم بشدة فذهب الى بطرس باشا غالي كبير النظار ليجتلي الامر . وكان بطرس غالي لا تخفى عليه خافية . فقال له ان سبب هم الخديو وغمه امران اولهما انه في ورطة مع الانجليز بسبب مقالات نشرها كاتب انجليزى في صحف بريطانيا ضد كرومر والاستعمار البريطاني . وان هذا الكاتب عنده دليل خطي من عباس بالتحريض على ذلك اى تحريض من عباس لهذا الانجليزى بالكتابة ضد كرومر .

اما الامر الثاني فان عباسا متورط مع الباب العالي بسبب نزاع على شراء ارض في تركيا ورفض الباب العالي لبيعها له . ورجع بطرس باشا ان لا يسافر عباس هذا الصيف الى تركيا . « ولكنه في الحقيقة سافر » . ثم اثناء هذه المقابلة بين بطرس باشا رئيس النظار وشفيق باشا رئيس ديوان عباس لام بطرس باشا شفيق باشا على انه هو اى شفيق الذى وثق ما بين عباس واحمد شوقي بعد ان كانا قد انفصلا . فقال شفيق ان ذكاء شوقي ونشاطه ومقدرته على الترجمة وحاجة المعية الى خدماته جعلته يسيطر على السراى لدرجة انه وشى بشفيق باشا نفسه عند عباس .

وبعد ذلك تحرى شفيق باشا عند مدير القسم الاجنبي بالسراى دومرتينو باشا عن نشاط شوقي بالذات فذكر دومرتينو باشا ان رجلا انجليزيا كان قد حضر الى مصر وقت ان كان جورست مستشارا ماليا وطلب الحصول على امتياز كبير الفائدة في مشروع تجارى ورفض جورست اعطاءه هذا الامتياز ، وبعد ذلك قامت حملة عنيفة ضد اللورد كرومر في صحف بريطانيا وظل سر الحملة على كرومر غامضا رغم بحث كرومر الواسع . وظلت حملة هذا الرجل الانجليزى ، واسمه مونل ، تتصاعد في صحف بريطانيا حتى آتت اكلها وتقرر استدعاء كرومر من مصر وتعيين جورست بدلا منه .

وتجمع كل المصادر على ان خلع كرومر بعد ٣٥ سنة من الحكم المطلق وبعد كل الاصلاحات التي اجراها في مصر من الناحية

شوقي ودوره السياسي

المالية والعمرانية والامنية انما ترجـع الى هذه الحملة الصحفية الاجنبية في عقر دار كرومر ذاته فيكون الفضل في خلع كرومر الحقيقي يعود الى احمد شوقي بالدرجة الاولى لانه هو الذى جند موزلى هذا لعباس حلمى

وكان تآمر شوقي السرى الصامت مع موزلى هذا هو الذى جعله يقيد لسـانه ويحبس شياطين شعره الى ان خلع كرومر فتماه وتشهد : قيد لسانه عاما كاملا من التآمر الصامت الفعال والناجح والذى اتى ثمرا أكثر من الشعر لم لما رحل كرومر عن مصر انشد شوقي مترنما :

لما رحلت عن البلاد تشهدت
فكانك الداء العياء رحيلا



عباس حلمى

وقد لعب شوقي دورا هاما في منـع شخصيات كثيرة جدا من اعيان البلاد وكبار الموظفين ورجال السراى من حضور حفلة توديع كرومر في الاوبرا .

وانصافا للتاريخ لابد ان نذكر ان الشيخ على يوسف قد شارك شوقي في هذه المؤامرة الناجحة التي يرجع اليها وحدها الفضل في تطويح كرومر بعد فشل كل الحركات الوطنية وفشل عباس ومصطفى كامل لعل يوسف ذهب الى لندن واعدا ومتابعا موزلى هذا في حملته سرا حتى آلت كلها .

وظل هذا الانجليزى موزلى العميل خبيثا في تصرفاته . فقد ظل يهدد الخديو عباس بعد خلع كرومر بكشف كتابات من عباس اليه وطلب ثمنا لعدم كشفها ١٠٠ الف « مائة الف » جنيه . ولما عرضوا عليه خمسين الفا رفض واصر على المبلغ كله . وفعلا قبضه .. مسكين عباس !

ومما يثبت خطورة شوقي السياسية انه بعد خلع عباس وعندما تولى رشدى باشا قائمقامية الخديو اشترط على الانجليز اخراج شوقي وحامد العلايلي ويوسف صديق .

على ان هناك دورا آخر لم يحظ بالكشف الكامل وقد شارك فيه شوقي وهو موضوع بيع الرتب .

فقد نسب الى عباس « كرومر هو الذى اتهمه بهذا » بانه يبيع الرتب . وان سماسرته هم مصطفى كامل باشا والشيخ على يوسف واحمد شوقي بك وابراهيم المويلحى بك وحسين بك زكي ومصطفى الحصرى . وان ثمن الرتبة الثالثة ٢٥٠ والثالثة مع لقب بك ٣٠٠ والثانية ٤٠٠ جنيه والتمايز « باشا » ٥٠٠ جنيه .

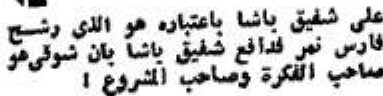
وقد ذكر شفيق باشا ان شوقي طالما اشتكى إليه من ان الشيخ على يوسف وحسين بك زكي طالما الحا كثيرا ممن اوصل اليهم شوقي الرتب بانهما هما اللذان جلباها لهم !

والغموض يكتنف موضـــوع الرتب . فجميع « السماسرة » المذكورين اغنياء بحمد الله ونابهون ومن اعلام المجتمع . وقد قيل ان مصطفى كامل كان يصرف على الحركة الوطنية من هذه الحصيلة وقيل ان كثيرين من البــــاشين كانوا يصرفون على الدعاية للخديو . فما هو موقف شوقي ياترى ؟ نحن نعرف انه كان يتمرغ في الثراء وان زوجته كانت ثرية جدا . فهل ياترى كان ينفق على سياسة تحت الارض .

وقد ابدى كثير من رجال المعية اعتراضا على فوضى الرتب هذه . اعترض عليهـــا احمد خيرى باشا وعزت بك وتحادث شفيق باشامع بطرس غالى ليكلم الخديوفي شانها فرفض بطرس باشا فذهب شـــفيق باشا واستجمع شجاعته وكلم عباسا فقال عباس «ياشيخ انا عارف مافعله . وليس لاحد في المعية ولا غيرها دخل . وانا لي فئة خاصة يبحثون على مســـتحقي الرتب وانا امنحهم » . وهي اجابة لا تشفي غليـــلا ولكنها تزيد الموضوع غموضا .

ووصل الامر في فوضى الرتب هذه ان كان ينعم عباس على عمدة مثلا . فيرفض الانجليز الموافقة . وبعد مدة يتضــح للانجليز ان هذا العمدة يستحق التكريم فيطلبون منه الرتبة فيرفض عباس مرتين وثلاثا . بل وصل الامر الى عكس هـــذا ايضا . منح عباس فارس نمر صـــاحب المقطم رتبة الباشوية . فرفض فارس نمر تقبل الرتبة ! وذهب فارس نمر الى شفيق باشا ثم مصطفى فهمي باشا « في ٢١/١/١٩٠٥ » طالبا من كليهما ان يتصلا بالطبعة الاميرية لمنع نشر هذا الانعام ، واتصلا فعلا بها ومنعا نشرها فعلا .

وفي ٢٣ يناير قابل مصطفى باشا فهمي الخديوعباس ووجده متهيجاجدا على فارس نمر لانه اتهم فارس نمر بقول بان السراى تحاول استمالتهم بهذه الرتبة وهو يرفض استمالة السراى . وصب عباس جام غضبه



على شفيق باشا باعتباره هو الذى رشح فارس نمر فدافع شفيق باشا بان شوقي هو صاحب الفكرة وصاحب المشروع !

هكذا كان شوقي يريد ان يجرد كرومر من داعيته ووسيلةاعلامه الرئيسية في مصر وهو فارس نمر باشا . اذا قرنا محاولة شوقي تجريد كرومر من اعلام فارس نمر صاحب المقطم وقرنا هذا باستخدامه انجليزيا هو موزل في عملية اعلام رهيبة داخـــل المجتمع البريطاني نفسه اطاحت بكرومر ادركنا اى دور سياسى خطير لعبه شوقي في التاريخ الحديث وغطى على اهتمامنـــا بهذا الدور عبقريته الشعرية الساحرة .

وفي تقديرى ان دور شوقي السياسى وان لم يلتفت اليه احد لا يقـــل عن دوره في الشعر . وان نجاحه التكتيكي في خـــلع كرومر وتخوفه من انهيار الدولة العثمانية وقيام اسرائيل على انقاضـــها ونظرته الاجتماعية الى الاشتراكية في اطار ديني هي كلها تنبؤات وتطلعات ووحى والهـــام شخص بعيد النظر رقيق الاحساس مكشوف البصيرة .. جدير بالتخليد

اما دوره في الفصـــل بين فارس نمـــر وجريدة المقطم من ناحية وبين المعتمـــد البريطاني من ناحية اخرى ثم دوره في تجنيد عميل انجليزى – موزل – في الكتابة ضد كرومر داخل الجزيرة البريطانية نفسها حتى انتهى الامر بخلع كرومر .. ذلك الخلع الذى استحال على عباس وعلى مصـــطفى كامل اى استعصى قبلا على الخديو وعلى الشعب . ثم نجح فيه شوقي فهـــو الدور السياسى السرى لاحمد شـــوقي الجدير بالتسجيل وبالاشادة ..

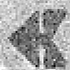
هذا الدور الناجح ظل مغمورا ومجهولا وضحية لشهرة شوقي الادبية .

وهكذا قدر شوقي الشـــــاعر سياسيا على ما لم يقدر عليه ابنـــاء السياسة نفسها ●

حافظ أشهر وهؤلاء أشعر

مرت ذكرى حافظ ابراهيم فى « يونيــو » الماضى ، لا احتفال بها ولا احتفاء ، ولا تذكار ولا ازهار .. حتى اذا حلت ذكرى أحمد شوقى فى هذا الشهر « اكتوبر » جاء المحتفلون ــ رســميين وغير رسميين ــ فوضعوا اسم حافظ بجوار اسم شوقى ، لانهما عاشا متجاورين أو متلاصقين طوال حياتهما .. لا يذكر اسم شوقى الامقرونا باسم حافظ ، ولا يقال فى كل مجال للشعر والشعراء الا : « شوقى وحافظ » ! .. دائما : « شوقى وحافظ » ..

كان حافظ شاعرا مصقول الديباجة ، عارفــا باساليب الشعر ، لكن كثيرا من الناظرين اليه والى شوقى نظرا ثاقبا ، يقولون : لم يكــن حافظ ندا لشوقى ، ولا كان الشاعر الثانى بعده فى عصره .. ولو عددنا شعراء مصر فى ذلك العصر لسبق حافظا الى المكان الثانى ، ستة أو سبعة من الشعراء المصريين والمتمصرين .. بله شعراء البلاد العربية وفيهــم ايضا ثلاثة أو اربعة اشهر منه ، ولكنه بذهم جميعا بالشهرة الفائقة .. وأخملهم ، كما بذ واخمــل من هم أشعر منه فى مصر ..



حافظ أشهر
وهؤلاء أشعر


اسماعيل صبري

كان يعاصر حافظا فى مصر شعراء من أعلى طبقة أمثال احمد محرم واسماعيل صبري وولى الدين يكن وخليل مطران ، ناهيك بعبد المحسن الكاظمى الشاعر العراقى نزيل مصر الذى أقام بها حتى تمصر أو عده معاصروه مصريا ..

يلحق بهؤلاء الشيخ محمد عبد المطلب وكانوا يسمونه « الشاعر البدوى » .. ولم يكن بدويا كما زعموا ، ولكن هكذا قالوا ، ولا يتسع المجال هنا لتفنيد قولهم ..

ومن النقاد المحققين العالمين بالشعر والشعراء علما واسعا ، مع ذوق مرهف ، والتزام شديد بالعدالة والانصاف ، المرحوم الدكتور محمد صبرى المعروف بالسربونى ، رحمه الله واثابه على جهده الكبير فى تتبع قصائد شوقى التى سقطت من ديوانه والتنبيه اليها أو نشرها كاملة فى كتابه الرائع : «الشوقيات المجهولة » .. وكان للسربونى رأى دقيق يضع حافظا متخلفا عن شوقى بضع درجات ..

ولكن حافظ ابراهيم كان شاعر المحافل ، ونجى السهرات ، وسمير النخبة ، فذاع صيته ، وارتفع اسمه فوق أسماء معاصريه هؤلاء ، وسبقهم فى المضمار ، بل غبر فى وجوههم ، وتركهم وراءه ، كأنه البحترى الذى أخمل ــ كما قيل ــ سبعين شاعرا مجيدا فى عصره ، حسبك منهم ابن الرومى العظيم !..

على أن البحترى كان أشعر من معاصريه حقا ،




الكاظمي

أما حافظ فكان معاصروه الذين ذكرناهم اشعر منه .. وهاتوا ـ أيها النقاد المتضلعون في نقد الشعر ـ أشعار معاصريه هؤلاء ، وهاتوا شعره .. ثم احكموا بالعلل والقسطاس، ولا تجعلوا للشهرة تأثيرا في حكمهم ! ..

على انني ما أردت الغض من حافظ ، ولا تعظيم هؤلاء .. وانما هذه خاطرة جاءت فسجلناها ! .. فعن أي شأن من شئون حافظ كنا نريد ان نتحدث ؟! نعم .. اردنا ان نقول ان حافظا عاش اكثر من خمسة وستين عاما .. كان شعره في اول امره ، خليطا من شكوى الزمان والقول في شئون الوطن ومحنته بالاحتلال ، فضلا عن المدح وغيره من الاغراض.

وبعد أن تعب حافظ من مجاهدة الزمان ، وجاوز الاربعين من عمره ، عينه الوزير احمد حشمت باشا موظفا كبيرا في دار الكتب سنة ١٩١١ ، فالتزم الابتعاد التام عن شعر الوطنيات الا ابياتا او مقطعات لم ينشرها في حينها .. وله سقطة او سقطات يعتبرها ناقدوه تنويها بالاحتلال البريطاني ، وان كان له من الشعر في التنديد بالاحتلال ، ما يعرفه قارئوه .

وقد أنالته وظيفته الكبيرة رتبة البكوية ووساما ، فضلا عن الراتب الذي كفل له حياة طيبة بعد عناء خمسة واربعين عاما قضاها متعطلا عن العمل الا سنوات متقطعة احترف خلالها اعمالا لم يحالفه فيها التوفيق ، واحتمى من جور الزمان بجاه هذا أو ذاك من السادة الكبراء .

ابتعد حافظ في العقدين الاخيرين من عمره عن قول

حافظ أشهر
وهؤلاء أشعر

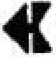

خليل مطران

الشعر السياسي والوطني ، وقصر شعره على مناسبات الرثاء والمدح والمداعبة ، فلم يمت في مصر احد من سراة عصره وعظمائه ممن يعرفهم ، الا رثى وبكى ، وبالغ في الرثاء والبكاء ، بعد ان يكون قد بالغ في الثناء عليه في حياته، وأسبغ عليه من أوصاف الشمس والقمر والغيث ما شاء ..

كان ذلك عنوان وفاء حافظ لمن شملوه بعطفهم ومواساتهم وصداقتهم في حالتي بؤسه ونعمته ..

ولكن حافظا حين نأى بشعره عن المشاكل «الوطنية» الا عندما تلى الحكم وزارة الوفد مثلا - انقلب من شاعر وطني ، الى مشيع للموتى ، يندبهم بنظمه.. فاذا مدح لم يمدح الا الكبراء والعظماء وحدهم ، فهم الذين يفتحون له بيوتهم ، يسامرهم على موائدهم باظرف لسان ، غزير التدفق باللطائف والظرائف والمداعبات والمطايبات .. ! و « كل لقمة بنادرة » .. على حد تعبير الاديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي وهو يصف مادبة عظيمة صنعها مدير طنطا « محب باشا » وحضرها حافظ ، فاشترط عليه الباشا الا يضع بين ماضغيه لقمة الا روى نادرة او نكته ، فوفى حافظ بالشرط ، واكل من اللقم بقدر ماروى من النكت والنوادر ، وكانت المائدة حفيلة مديدة ، بارعة الطعام والكلام ..

لم يكن ذلك « عيبا » في مجالس ذلك العهد ، ولا كان حافظ متطفلا على موائد الباشوات ، بل كانوا يطلبونه ويكافئونه ، فكانه بقية من الشعراء المداحين القدماء ، وفيهم - كما تعرف - بعض فحول العربية على امتداد الزمان ! .




ولي الدين يكن

ومن قرأ شاعرا فحلا واحدا هو ابن الرومي، وجد له في أوصاف الطعام والموائد مئات الابيات .. فهل اسقط هذا ابن الرومي عند القراء والنقاد ؟!

دعك من الشعارير الذين ارخصوا انفسهم على موائد « الكبراء » في عصور الانحطاط .. ولا تلتفت الى شعارير العصر العثماني - مثلا - الذين نظموا في « الاكل » ما يشبه المعلقات ! .

ازدهرت في المرحلة الاخيرة من حياة حافظ « ١٩١١ - ١٩٣٢ » طبيعته المرحة الفكهة ، وطابت نفسه ، ونفض الفقر الثقيل عن كاهله ، ونعم بالستر والغنى عن مسالة الكرام واللئام جميعا.. وتقدم على جميع اعلام الشعر في مصر الا احمد شوقي .. واثمرت حياته هذه المريحة الطيبة ، كمية ضخمة من النوادر واللطائف رويت عنه ، وتناقلتها المنتديات فكان حافظ - الشاعر - مشهورا محبوبا لفكاهته ، لا لشعره ، او بفكاهته قبل شعره .. وربما اختلطا في اذهان بعض من لا علم لهم،فكانت فكاهته وشعره عندهم شيئا واحدا ..

ارتفع اسم احمد شوقي امير الشعراء ، وجمد حافظ في موضعه ذاك يروي النوادر والطرف ، او يخترعها اختراعا ، وينظم المدائح والاخوانيات والمراثي ، وصار شوقي شاعر النهضة المصرية والشرقية منذ عاد من منفاه في اسبانيا سنة ١٩٢٠ وانفرد بالميدان ، حتى اتسع الفرق في المكانة والهيبة - فضلا عن الشعر - بين شوقي وحافظ ، اتساعا كبيرا ، وظهر شعر حافظ في هذه الفترة ، متخلفا واضح التخلف عن شعر شوقي في الصياغة الفنية ،


احمد محرم

الى تخلفه فى موضوعه ، وفى الموقف الوطنى او السياسى ، والموقف الفكري .. ثم صعد شعر شوقى خشبة المسرح ، وبقى حافظ متكئا على ارائك الانس والاستجمام ! ..

وارتفعت فى ذلك العصر اصوات احمد محرم وولى الدين يكن وخليل مطران ، والكاظمى وغيرهم وخفت صوت حافظ ، بل اختفى ، لكنه احتفظ بشهرته ـ كما قلنا ـ ولم ينافسه احد على المكان الثانى فى الشهرة بعد شوقى ، وتمتع طوال حياته بلقب « شاعر النيل » .. والكلام فى اسباب ذلك يطول ، وحسبنا منه هنا ما المنا به..وقدنعود اليه يوما فنطيل الكلام ! ..

كان حافظ لا يخدع نفسه عن حقيقة موضعه فى الشعر بين شوقى ومعاصريه الشعراء الكبار ، فوقف سنة ١٩٢٧ على مسرح الاوبرا فى حفل شعراء العرب الذى اقيم لمبايعة شوقى بامارةالشعر،يقول مخاطبا امير الشعراء :

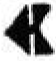
امير القوافى قد اتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

***

وبعد ...

فهل يخلو ديوان حافظ ابراهيم من شعر يرفعه الى الدرجة الاولى بين شعراء عصره ؟!

كلا ! .. ان له شعرا من أحسن طراز ، ان لم يتفوق به عليهم ، فانه يجعله كواحد منهم ، ولا يعيبه ذلك ، بل هو حسبه اذا عددنا الشعراء الكبار فى ايامه ..





محمد عبد المطلب

ثم نقول بصراحة .. ان كل ما أشرنا اليه من حياته بين المحافل والموائد فى اخريات حياته لاينبغى للمنصفين ان يحسبوه عليه ، فقد كانت صورته تلك هى صورة « ابن البلد » الفصيح ، الالمعى الذرب اللسان ، الحاذق الفهامة العلامة بكل شىء ! .. لم يتعلم فى الازهر ، ولا فى المدارس العالية ،ولم يضع على راسه عمامة ، لكنه كان فصيحا بالفطرة،وبالحفظ الذكى الكثير المتنوع !.. ظريفا كامل أوصاف الظرف والظرفاء ، كأحسن مايكون الصفوة من أولاد البلد القاهريين الاصلاء ، مع انه من مواليد الصعيد، وقضى بعض شبابه فى الوجه البحرى وفى السودان

كان خبيرا بصيرا بطرائق السادة وذوى المروءة وشرائطهم وعاداتهم فى الصحبة والمنادمة والمسامرة فى مجالس لهوهم واسترخائهم واستمتاعهم بصفو الحياة !..

بالشعر الرنان المحبوك ، وبالفصاحة المدربة على الارتجال والرواية والاتساع فى القول عربيا وعاميا ، نظما ونثرا .. وبالظرف المتعدد الابواب فى سهرات الاعيان وصفوة الخلان ، أنتزع حافظ ابراهيم مكانا فريدا لايزاحمه فيه احد .. وهز منابر الشعر فى كل ملتقى للرثاء،او منتدى للاحتفاء ، او مجلس للصفاء ! ..

وعاش معروفا لكل ناطق بالضاد فى عصره ولم تفتنه الشهرة ، بل كان يعرف قدر نفسه .. وقد حاول بعض النقاد أعداء شوقى انينفخوا فى حافظ ليتقدم الى عرش الشعر ،فوقف حافظ من محاولاتهم هذه موقف متفرج على معركة يعلم عاقبتها ، لانه يعرف نفسه ويعرف شوقى .. وكان فى موقفه

حافظ اشهر وهؤلاء أشعر

هذا منصفا لنفسه ، منصفا لشوقي ، مخيبا لخطط اولئك الذين حاولوا هدم شوقى باهون المعاول تأثيرا فى صخرته الشماء !..

ولم ينتفع حافظ بعد ان توفاه الله بما كتبه اعداء شوقى ، ولم ينتفع بما كتبوه فى حياته وحياة صاحبه ..

ولا ينفع حافظا ولايجدى الشعر العربى الآن ان يحاول أحد تقديمه للناس اكبر من حجمه الحقيقى ، او يرسم له صورة الشاعر الذى لا يشق له غبار ..
وكل كلمةعنه قائمة على المبالغة ،او عدم الانصاف، فان حقها اللامبالاة او الاستخفاف ! ..

وقد كان حافظ ابراهيم شاعرا كبيرا بمقاييس عصره ، ومقاييس عصور الشعر العربى التى سبقته ، وما زالت فى شعره بقية ، سوف تظل باقية ! ..

كمال النجمي

دموع حافظ ابراهيم

بعد حفل التكريم الذى اقامه المجمع العلمى السورى لحافظ ابراهيم عند زيارته لدمشق سنة ١٩٢٨ ، كتب فى سجل المجمع هذين البيتين :

شكرت جميل صنعكم بدمعى ودمع العين مقياس الشعور
لاول مرة قد ذاق جفنى على ماذاقه ، دمع السرور



صورة نادرة لحافظ ابراهيم سنة ١٩٢٤

شوقي
ورجال صنعوا التاريخ

بقلم : أحمد زكى عبد الحليم

ظل احمد شوقي ، امير شعراء العصر الحديث ، مثار الجدل والمناقشة في كل مواقفه، ومن ذلك انه عندما يكتب الشعر المسرحي ، يكون مدفوعا في الاصل الى محاولة التعبير عن حالة عاطفية عاش فيها ، واراد ان يعبر عنها من خلال قصة حب خالدة ومتداولة ، فهو في مسرحية مجنون ليلى لا يتحدث عن قيس ولكنه يتحدث عن نفسه . وهناك وجه شبه بعيد وعميق بين ما كتبه شوقي وتصوره من مواقف عاطفية حارة ، وبين ما كانت عليه طبيعة حياته وتصرفاته . فاذا كان قيس يهيم على وجهه في البادية ، فان شوقي كان يقضي الليال وهو يركب عربة حنطور تلدرج به شوارع القاهرة الى ان تشرق شمس الصباح . ولقد كانت مسرحياته نوعا من صور الجنون الذى عاش فيه قيس ، بعد اذ ضاع الحب من بين يديه ، واصبح يقبل ذا الجدار وذا الجدارا . وعلى اية حال فان هذه القضية في حاجة الى دراسة اكثر تأنيا ونضجا من ناحية ، وفي حاجة ايضا الى مصارحة من جانب الذين عايشوه في هذه الفترة من ناحية اخرى . ولعلنا نعود الى هذه القضية في وقت لاحق ، وقد ادركنا هذا الجانب وذاك .

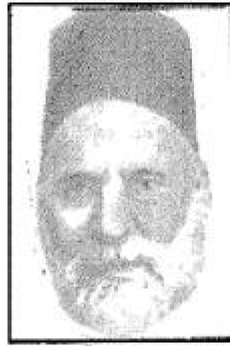
والحقيقة ان شوقي لا يثير الجدل والمناقشة في المواقف العاطفية وحدها ، ولكن مثل هذا الموقف يمتد الى صورته الوطنية . ولقد تبلورت هذه الصورة من خلال راى شوقي في كثير من شخصيات عصره ، وبخاصة تلك الشخصيات التى كان لها دور في صنع الاحداث وكتابة التاريخ.

ومن هنا فاننا نتساءل في وقفة مع شوقي ورجال صنعوا التاريخ . على اننا قبل ان نفعل ذلك ، يجدر بنا ان نبدد بعض الحقائق التى تنير الطريق امام مثل هذه العلاقات، فنحن - اولا - يجب ان ندرك ان المواقف لم تكن تنبعث عن اسباب موضوعية ، ولكنها كانت وليدة اجتهادات بل اكثر من ذلك كانت وليدة علاقات شخصية . وليس ادل على ذلك من ان شوقي قد اتخذ موقف العداء من احمد عرابي ، لان هذا كان موقف صديقه الزعيم الوطني مصطفى كامل .

ونحن - ثانيا - يجب أن نضع في الاعتبار ان الطبقة الاجتماعية التى كان ينتمي اليها شوقي وعلاقته بالقصر ، كان لهما اثر بعيد في مواقفه من الناس والاحداث . بل أن هذه المواقف كانت تتغير بتغير الظروف والاحوال ، وبخاصة فيما يتعلق بالصلة بين القصر والمعتمد البريطاني .

ونحن - ثالثا - يجب ان نضع شوقي


مصطفى كامل


احمد عرابى


سعد زغلول



حيث يجب أن يكون . فان جذوره ليست ممتدة وأصيلة فى قلب هذا الشعب . وانما كان هو الذى صنع لنفسه تاريخا من خلال اب كانت له صلة بالقصور . ثم انه لم يعرف تلك المعاناة التى عرفها شعراء عصره ، وفى مقدمتهم حافظ ابراهيم .

وبعد ذلك يكون علينا ان نقف عندمواقف شوقى من هؤلاء الذين كان لهم دور فى تاريخ مصر فى زمانه ، سواء كانوا منابناء هذا البلد او من المسيطرين عليه من الاجانب .

● شوقى وعرابى ●

كان عرابى هو الرجل الذى استطاع ان يقف فى وجه الخديو الطاغى المتغطرس توفيق ، ويصيح فى وجهه قائلا : ان الله قد خلقنا احرارا .

وقد ارتجف الخديو من صيحة الحرية ، وتضاءل على نفسه صغيرا . ولكن الاستعمار كان قد قرر ان يخوض الجولة ، وانينتهز الفرصة ليحقق الهدف الذى سعى اليه طويلا . وكان ان حدثت تلك المعارك الضخمة التى دارت بين الانجليز والمصر من جهة والقوى الوطنية من جهة اخرى . فقد انضم الخديو الى جانب الانجليز واعانهمعلى دخول البلاد .

وذهب عرابى الى المنفى . وظل يحاول استجداء العفو الى ان صدر له فعاد الىمصر عام ١٩٠١ . وبعودته استيقظت فىالنفوس ذكرى ثورته من جديد ، تناولته الاقلام والالسن ما بينمادح وقادح . وكان اغلب الكتاب والزعماء ساخطين على عرابى وعلى ثورته . ومن ذلك ما كتبه مصطفى كامل فى جريدة اللواء الصادرة بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٠٩ تحت عنوان « عرابى » ، حيث قال : ما عار الاحتلال وعار الجهالة والتأخر وعار الفقر بشىء يذكر ، اذا قورن بالعار الذى يحمله عرابى . ويقرا علىوجهه أينما سار وحيثما رحل . واى عار أكبر واشهر من عار رجل تهور جبانا ، واندفع جاهلا ، وساق امته الى مهواة الموتالادبى والاستعباد الثقيل ، ثم فر هاربا منميادين القتال ، وتوسل الى عدوه المحارب ان يعفو عنه وينعم .

والمعروف انه كانت هناك صداقة كبيرة بين شوقى ومصطفى كامل ، مبعثها الاعجاب المتبادل ، فضلا عن ان كليهما كان صديقا لعمر سلطان بن محمد سلطان باشا صاحب لتاريخ من الثورة العرابية .

وقد اثبت الاستاذ الدكتور احمدالحوفى ان شوقى قد انشأ ثلاث قصائد حول عرابى . وان القصيدة الاولى قد نشرت فى المجلة المصرية لصاحبها ومنشئها خليل مطران بعنوان « عاد لها عرابى » . وقد

اعادت جريدة اللواء نشرها وقدمت لهـا بأنها « قصيدة غراء لشـاعر من اكبر الشعراء ، بل اكبرهم بلا نزاع ، فأحببنا نقلها اظهارا لشعور امير القريض والبيان فى عودة عرابى الى مصر ».

ويقول شوقى فى هذه القصيدة :

صغار فى الذهاب وفى الايـاب
اهذا كل شـانك يا عـرابى ؟
عفـا عنـك الاباعـد والادانى
فمن يعفو عـن الوطـن المصاب

اما القصيدة الثانية فكان عنـوانها : « عرابى وما جنى » . وقد نشرها باللواء دون توقيـع ، وان كانت اللواء قد علقت بقولها : « ولئن اثارت عودة عرابى خواطر الكتاب ، فقد اثارت عواطف الشعراء . ومن ذلك قصيدة فريدة فى بابها جادت بها قريحة ابلغ الشعراء واشدهم اصابة للمقـاتل بسن يراعه ».

وفى هذه القصيدة يقول شوقى :

اهلا وسـهلا بحاميها وفاديـها
ومرحبـا وسـلاما يا عرابيـها
وبالكرامة يا من راح يفضـحها
ومقدم الخير يا من جاء يخـزيها
وعد لها حين لا تغنى مدافعـها
عن الزعيم ولا تجدى طوابيـها
وارجع اليها فيا لله فاتحـها
يوم الاياب ويا لله غازيـها
وانزل على الطائر الميمون ساحتها
واجلس على تلها وانعق بواديـها

والقصيدة الثالثة نشرتها جريدة اللواء بغير توقيع ، وان كان قد جاء فى التقديم ما يدل على ان شوقى قائلها . وعنـوان القصيدة « صوت الظلام او عـرابى امام قتل التل الكبير » . والمقـدمة تقول : « فان خير ما جادت به قرائح شعراء مصر والعرب والاسلام ، قصيدة انشـاها ابلغ البلغـاء ، ننشرها اليوم عبرة للمعتبرين وغير المعتبرين ».

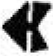
وفى هذه القصيدة الثالثة يردد شوقى ما قاله فى قصيدتيه السابقتين ويزيد عليه. فيقول :

عرابى كيف اوفيك المـلاما
جمعت على ملامتـك الاناما
فقف بالتل واسـتمع العظاما
فان لها كما لهمـو كـلاما
سمعت من الورى جدا وهـزلا
فانصت الآ تقول القول فصـلا
كانك قائـل والحكـم يتلى
عليك وانت تنتظـر الحمـاما

ويبقى على موقف شوقى من عرابى اكثر من ملاحظة . فهو قد اتخذ موقف الهجـوم على عرابى عندما كان هـذا موقف القصر وموقف صديقه صاحب اللواء . ولكن عندما تغيرت المواقف ، عاد شوقى نفسه ليمجد الثورة العرابية ، ويقارن بينها وبين ثورة ١٩١٩ وهو يتحدث عن الدستور والبرلمان ، فيقول :

بنيان آباء مشـوا بسلاحهم
وبنين لم يجدوا السلاح فثـاروا
فيه مـن التل المـدرج حائط
ومن المشـانق والسجون جدار

والملحوظة الثانية ان شوقى تكلم وحده، فى الوقت الذى لزم فيه الشعراء الاخرون



جميعا موقف الصمت ، فلم يقـولوا فى عرابى كلمة خير او كلمة شر .

والملحوظة الثالثة ان شوقى اذا كان قد عاد وانصف الثورة العرابية ببعض الانصاف، فانه لم ينصف عرابى مثل ذلك الانصاف، وانما ظل على موقفه منه .

● شوقى وكرومر ●

كانت مشانق دنشواى هى عنوان الصبر الذى فاض فى قلـب كل مصرى . وكانت شرارة الثورة على الاوضاع الفاسدة حيث اصبح البلد لغير اهله ، وحيث اصبح ابن مصر مهددا فى حياته وحريته وكرامتـه لاهون الاسباب ، وحيث اصبح خصـوم الوطن هم القضاة والجلادون معا .

وقد حمل مصـطفى كامل على اللورد الاستعمارى كرومر فى طول البلاد وعرضها ، بل انه نقل صورة هذا الموقف اللاانسانى الى بلاد العالم الاخرى دليلا على مساوىء الاستعمار الانجليزى ومخازيه، وكان يقدم من هذه المخازى مثالا واضـحا يبرز فى فضيحة دنشواى الكبرى . وازاء ذلك لم يكن امام بريطانيا بد من ان تنقله من مصر . وقد اقام له مصـطفى فهمى رئيس مجلس النظار « الوزراء » فى ذلك الوقت حفلا ، فاذا باللورد كرومر يمتدح اصحابه ويهاجم مصر والمصريين .

والمعروف ان القصر لم يكن على وفاق مع المعتمد البريطانى فى ذلك الوقت . ولذلك فقد كان من الطبيعى ان يحمل شوقى على كرومر بقوة وشدة . وان يهـاجم الامير حسين كامل وبعض المصريين الذين حضروا الحفل وشـهدوا تهجم اللورد على مصر ، دون ان يحرك احد منهم ساكنا .

يقول شوقى :

أيامكم أم عهـد اسـمـاعيلا
أم انت فرعون يسـوس النيلا



محمد فريد

أم حاكم فى ارض مصر بامـره
لا سائلا ابدا ولا مسـئولا
يا مالكا رق الرقاب بباسـه
هلا اتخـذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البـلاد تشهدت
فكأنك الداء العياء رحيـلا

ولم تكن هذه هى القصيدة الوحيدة التى حمل فيها شوقى على لورد كرومـر ، ففى القصيدة عن « دنشواى » ، يقول :

عشرون بيتا اقفرت وانتابـها
بعد البشـاشة وحشة وظلام
يا ليت شعرى فى البروج حمائم
أم فى البروج منية وحمـام
« نيرون » لو ادركت عهد « كرومر »
لعرفت كيف تنفذ الاحكام !

● شوقى ومصطفى كامل ●

يقول التاريخ ان هنـاك قصة مودة وصداقة وطيدة كانت تربط منذ الصغر بين

الزعيم مصطفى كامل والشاعر احمدشوقي. ويقدمون الدليل على ذلك بما يقال من ان مصطفى كامل الف رواية وهو طالب في الحقوق ، ثم جعل اهداء هذه الرواية الى والد الشاعر شوقي .

ويقول شوقي انه كان مع مصطفى كامل، وشاركه الراى حينما كان يختار شعاره . اذ اقترح مصطفى كامل ان يكون « لا حياة مع اليأس » ، فما كان من شوقي الا ان اقترح عليه ان يضيف اليه « ولا يأس مع الحياة » . فخرج الى الناس ذلك الشعار والمعروف المشهور عن مصطفى كامل .

وحينما انشـأ مصطفى كامل جريدة « اللواء » ، اتسع من صدر جريدته لكتابات شوقي واشعاره ، حتى يمكن ان يقال ان بذرة الوطنية وشرارتها الاولى بدات منذ ذلك الحين في صدر شوقي .

وكان مصطفى كامل يصف شعر شوقي بانه « القدير الصافي في اللفظ اللباب ، يسقي الارض ولا يبصره الناظرون » .

وكان الموقف الجديد بالنسبة لشوقي انه عندما ادار القصر ظهره لكفاح مصطفى كامل ، وبدأ مصطفى كامل يحمل على الخديو حملات حارة ، فان شوقي - على غير عادته - ظل على صلته القوية بمصطفى كامل . وكان يزوره في بيته في ايام مرضه الاخير الى ان مات .

لكن الشيء العجيب انه بعد ان مات مصطفى كامل ، لم يرثه شوقي فور مماته كما فعل الشعراء الاخرون . واختلفت الاراء حول ذلك الموقف ، فيقول الدكتور شوقي ضيف ان شوقي جبن لان سيده لم يكن راضيا عن مصطفى كامل . وانه لم يرث مصطفى كامل الا بعد مرور عام على وفاته .

ولكن الدكتور احمد الحوفي يقول ان شوقي نشر مرثيته بعد وفاة مصطفى كامل باثني عشر يوما ، وانها نشرت في اللواء بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٠٨ . وهو أيضا ما اثبته المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي ، حيث قال ان قصيدة شوقي الخالدة «تعد اكبر مرثاة في تاريخ الادب العربي ، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والالم بابيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان » .

قال شوقي يرثي صديق عمره مصطفى كامل :

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما في مأتم والداني
يا خادم الاسلام اجر مجاهد
في الله من خلد ومن رضوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الاسى
في الزائرين وروع الحرمان

وجاءت ذكرى مصطفى كامل عام ١٩٢٥، وكان الخلاف قد ساد بين الزعماء ، فانتهز شوقي هذه الفرصة ليشيد بذكرى زعيم الوطنية الأول مصطفى كامل . وكانت قصيدته بعنوان « شهيد الحق » التي يقول فيها :

الام الخلف بينكمو الاما
وهذي الضجة الكبرى علاما
. . . .
شهيد الحق قم تره يتيما
بارض ضيعت فيها اليتامى
اقام على الشفاه بها غريبا
ومر على القلوب فما اقاما
سقمت فلم تبت نفس بخير
كان بمهجة الوطن السقاما
ولم أر مثل نعشك اذ تهادى
فغطى الارض وانتظم الاناما
تحمل همة ، واقل دينا
وضم مروءة ، وحوى زماما

ثم كانت ذكرى مصطفى كامل في عام





١٩٢٦ ، فنظم فيها قصيدة رائعة جاء فيها :

يا أخا النفس في الصبا
لذة الروح في الصغر
وخليلا ذخرته
لم يقوم بمدخر
حال بيني وبينه
في فجاءاته القدر
كيف أجزي مودة
لم يشب صفوها كدر

● شوقي وسعد زغلول ●

على غير ما كانت عليه العلاقة بين شوقي ومصطفى كامل ، كانت العلاقة بين شوقي وسعد زغلول . فان التاريخ يقول لنا انها لم تكن علاقة صافية خالصة من مبدأ الامر ، وانما كان قد اعتراها نوع من البطء والفتور ، فظلت العلاقات بينهما متقطعة غير موصولة فترة من الزمن ، الى ان استطاع المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الجديلي ان يقوم بدور الساعي في الصلح ، حيث وفق اخيرا الى تحقيق تلك الغاية التي كانت تتوق اليها نفسه ، اذ كان يحب الرجلين ، ويود ان يكون ما بينهما صافيا .

وحينما عادت المياه الى مجاريها ، عادت الصداقة اشد قوة وارتباطا . واصبح كل من الرجلين يحمل للاخر كثيرا من الود والتقدير والثناء ، حتى انه حدث ان التقط مصور صورة لهما في احدى المناسبات ، فنظر اليهما الاستاذ الجديلي ـ وسيط الصلح ـ وقال : هذه صورة الخالدين . فاشار سعد نحو شوقي قائلا : هذا الخلود .

وعندما مات سعد زغلول ، عبر شوقي عن حبه وتقديره في تلك القصيدة التي رثاه فيها بعد رحيله ، والتي يقول فيها :

اين من عيني نفس حسرة
كنت بالامس بعيني أراها
كلما اقبلت هزت نفسها
وتواصى بشرها بي ونداها

ولم تكن هذه هي القصيدة الوحيدة التي قالها شوقي في سعد ، فقد حدث ان كان سعد على رأس الحكومة ، وسافر الى انجلترا للمفاوضة ، فترصد له احد الشبان يريد قتله ، ولقد نجا سعد من شر الاعتداء ، فانشد شوقي قصيدة رائعة بهذه المناسبة يقول فيها :

نجا وتماثل ربانها
ودق البشائر ركبانها
وهلل في الجو قيدومها
وكبر في الماء سكانها
تحول عنها الاذى وانثنى
عباب الخطوب وطوفانها
نجا ((نوحها)) من يد المعتدى
وضل القاتل عدوانها

● شوقي ومحمد فريد ●

ونقف اخيرا عند خليفة مصطفى كامل .

شوقي .. ورجال صنعوا التاريخ

والمعروف أن درجة الصداقة بين شوقي ومحمد فريد لم تبلغ الحد الذي بلغته ما بين شوقي ومصطفى كامل ، بل ربما كانت نوعا من الوفاء والذكرى أن يظل شوقي على حبه للحزب الوطني ، وأن يحب في فريد خليفة مصطفى وتلميذه في الوطنية .

وعندما مات محمد فريد في ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، وهو غريب شريد في فرنسا ، رثاه شوقي بقصيدة جليلة يقول فيها :

كل حي على المنية غادي
تتوالى الركاب والموت حادي
ذهب الأولون قرنا فقرنا
لم يدم حاضر ولم يبق بادي
هل ترى منهمو وتسمع عنهم
غير باقي مآثر وأيادي
. . . .
مصر تبكي عليك في كل خدر
وتصوغ الرثاء في كل نادي
لو تأملتها لراعك منها
غرة البدر في سواد الحداد
منتهى ما به البلاد تعزى
رجل مات في سبيل البلاد

ثم كانت الذكرى الخامسة للزعيم محمد فريد عام ١٩٢٤ . وفيها أنشد شوقي قصيدة أوفى فيها فريدا حقه من التمجيد والاشادة بالوطنية والتضحية وبذل النفس والنفيس . وفي هذه القصيدة يقول :

نجدد ذكرى عهدكم ونعيد
ونُدني خيال الامس وهو بعيد
وللناس في الماضي بصائر يهتدى
عليهن غاو أو يسير رشيد
اذا الميت لم يكرم بأرض ثناؤه
تحير فيها الحي كيف يسود
فريد ضحايانا كثير وانما
مجال الضحايا أنت فيه فريد
فما خلف ما كابدت في الحق غاية
ولا فوق ما قاسيت فيه مزيد ●

شوقي .. وضرب بيروت

في عام ١٩٢١ ضرب الاسطول الأيطالي بيروت . فصور شوقي الابطال الذين قتلتهم القنابل أسودا ماتوا غدرا في غير معركة. قال :

بيروت مات الأسد حتف أنوفهم
لم يشهروا سيفا ولم يحموك
سالت دماء فيك حول مساجد
وكنائس ومدارس وبنوك

روايات الهلال تقدم

ليلة خريف

تقدم : مجموعة كتاب عالميين • ترجمة : محمود مسعود

تصدر في ١٥ أكتوبر ١٩٨٢

الثمن ٣٠ قرشا

شاعر النيل في أوربا

قام شاعر النيل حافظ ابراهيم برحلة سياحية الى اوربا سنة ١٩٢٤ وخص الهلال بهذا الحديث عن رحلته في ذلك الحين .. ونعيد نشره في ذكراه الخمسين .

قال محرر الهلال يسأل حافظ ابراهيم :

ـ اى الممالك زرت ؟ وأى المدن والقرى شاهدت؟

ـ زرت شمالى ايطاليا والتيرول النمسوى . ثم اخترقت فرنسا الى باريس . فقضيت فى نابولى أربع ساعات . وفى جنوى يوما . وفى ميلانو ثلاثة أيام . وتنقلت فى قرى التيرول الايطالى . ثم ألقيت عصا التسيار فى التيرول النمسوى ، فمكثت عشرين يوما فى مدينة ميران وهى أجمل المصايف الاوربية فى شهرى سبتمبر واكتوبر . وقضيت ٢٥ يوما فى باريس . ومنها قصدت الى جنوى رأسا حيث أبحرت على الباخرة « اسبريا » عائدا الى مصر

ـ هل كنت تعول فى زياراتك على كتب الارشاد ، ام على الاصدقاء والادلاء ؟

ـ كنت فى ايطاليا أعول على المرشدين المأجورين . وكذلك فى التيرول النمسوى . اما فى باريس ، فكان معولى على الاصدقاء

ـ من اى انواع الاطعمة تلذذت ؟ وباى الفنادق اعجبت ؟

ـ كانت الاطعمة صحية . تؤمن فيها التخمة . ولا اذكر اننى قمت عن الطعام ممتلئا قط . وقد لذتنى

أطعمة باريس فى بعض المطاعم الخاصـــــــة التى تطهى فيها أنواع البط والسمك والاســــــكارجو « الحلزون »
وقد أعجبت كثيرا بفنادق النمسا ونظامهاونظافتها وحسن القيام بالخدمة فيها
ـ ماذا لفت نظرك من مشاهد الطبيعة ؟
ـ التيرول الايطالى والتيرول النمسوى . وقــد شهدت فيهما تكون السحب وسقوط البرد . وراعتنى مناظر الجبال البهجة وكلها كأنها حدائق للفاكهـــة والكروم
ـ ما هي الأنصاب والصور التى لفتت نظرك أكثر من غيرها ؟
ـ كان اعجابى عظيما بالآثار القديمة والمؤســـــات الحديثة على حد سواء
وقد زرت يوما كنيسة على قمة جبل مونتى كاتينى على ارتفاع ٤٠٠٠ متر من سطح البحر . وشــهدت فيها تماثيل للرهبان ظننتها من الأحياء حتى هممت أن أخاطبها . وأعجبت بمقبرة جنوى المشهورة باسم كامبو سانتو « الحصن المقدس » . وكذلك جميــع التماثيل والأنصاب التى وقع نظرى عليها . فقــد بلغت كلها حد الاتقان . فوصفتها فى قصيدتى بقولى :
قد أقيمت من الجماد ولكن من معانى الحياة فيها سطور
وزرت قبر نابليون فى باريس ، فراعنى ما عليــه من الجلال ..
وزرت بيت هوغو الذى مات فيه ، فأخــــــذنى ما رأيته من آثاره وأثاثه الذى حافظوا عليه كمـــا كان فى أيام حياته
وزرت متحف جريفين « تماثيل الشمع » فأثر فى نفسي تمثال لوس السادس عشر وهو فى السجن وتمثال مارى انطوانيت « زوجته » وهى تحـاكم . وجماعة المسيحيين الذين القوا بهم الى الســــباع تفترسهم على مرأى من أولادهم الصغار فان منظرهم يفتت الأكباد . وراعنى كذلك منظر لاندرو قاتـــل

شاعر النيل فى أوربا

النساء وهو يحاكم

ـ هل درست امورا اقتصادية او ادبيـــة او غيرها يمكن ان نستفيد منها ؟

ـ لقد عنيت بالنظر فى الاخلاق . وقارنت بينها وبين ما عندنا اليوم . ولا سيما الاخلاق العمليةالتى تؤدى الى رقى فى المجموع وذكرت ذلك كلــه فى قصيدتى فقلت :

كلهم كادح بكور الى الرزق ، ولاه اذا دعاه السرور
لا ترى فى الصباح لاعب نرد ، حوله للرهانجم غفير
لا يبالون بالطبيعة حنت ، امتجنتام احتواهاالنفور

ـ هل هناك فروق فى عادات اهالى البلاد التى زرتها ؟

ـ لاحظت أن الترتيب والنظام يشملان الجميعفى كل مكان . كانهم فى قشلاق واحد . والعاداتتكاد تكون واحدة . ولكن أهل النمسا أودع اخــلاقا وارق طباعا واقل خيلاء

ـ ما رايك فى الحالة الاجتماعيــة والاخلاقيــة بباريس ؟

ـ باريس هى ام العجائب . انتهت اليها غايــة الحضارة والمدنية والعلم والصناعة والفنون . كما انتهت اليها غاية الخلاعة والفسق والفجور والحرية المطلقة فى كل شىء . فترى فى باريس العالــم والصائم والفاسق الذى لا يبالى ما يفعل . وقــد زرت فيها جميع محال الملاهى . فرأيت ما ينــدى جبين الادب من ذكره

وأما اخلاق أهلها فهم قد اثملتهــم خمــرة النصر . فامتلأوا انفة وخيلاء . حتى ان خــادم القهوة ليرى نفـه فى مصاف عظماء العالم . فلايكلمك الا وهو يرى انك دونه . وهم فى مجالسهم رقــاق الحواشى ، ظراف المعانى

ـ هل اطلت النظر فى حالة المراة ؟

ـ المراة فى باريس مجموعة خلاعة وظرف ودلال ورشاقة وحرية تخرج عن الحدود . ولكنى لم ار

باريس هي أم العجائب وغاية الحضارة

امراة تلوح عليها مخايل الصحة ولو كانت في شبابها ، للانهماك في اللذات والسهر والتجمل الكاذب والتزين الخادع بصنوف الطلاء والمساحيق . حتى لا تكاد تظهر من وراء ذلك معارف وجهها الطبيعية . ولكنهن الد النساء حديثا واقدرهن على اختلاب العقول . وقد ترى منهن المتعلمة والمتأدبة والمحيطة باحوال العالم كلها

ـ ما هي ملاحظاتك على من قابلتهم من المصريين في اوربا للرياضة والعلم ؟

ـ اما السائحون منهم المتنزهون ، فلا هم لهم الا النزهة . واما المقيمون منهم للتعلم ، فكثير ممن في فيينا وبرلين وباريس تحجب الملاهي بينهم وبين العلم لا سيما بعد الحرب . اما في انكلترا فعلى العكس من ذلك . فقد يدفعهم غلاء المعيشة والنظام القاسي الى الانصراف للعلم

ـ هل تشعر بانك حصلت على فوائد من هذه الرحلة؟

ـ نعم استفدت صحة وسعة اطلاع على احوال العالم الغربي

ـ هل تنظر الى مصر بعد رحلتك بالعين التي كنت تنظر بها قبل هذه الرحلة ؟

ـ انا شرقي . ربيت في الشرق . وشببت على اخلاق وعادات شرقية لا يروق نفسي سواها . فلا تعجبني الاخلاق الغربية لاول وهلة . لانه من الصعب ان يخرج الانسان عن اخلاقه وعاداته دفعة واحدة . فلعلى اذا مكثت في الغرب زمنا طويلا وسكنت الى عادات القوم اغير رايي بعض التغيير . اما الان فلا تعجبني الا الحياة الشرقية وان كانت لا تزال في حاجة الى العلم والنظام

ـ ما هي نصيحتك لمن يزورون اوربا ؟

ـ اذا كانوا يقصدون الاستشفاء فعليهم بسكنى القرى والضواحي . وان كانوا يقصدون العلم فيطلبوه في المدن الصغيرة . لان في العواصم والمدن الكبيرة ما يدعو الى اللهو والانصراف عن العلم ●

سطور من حياة شوقي

● ولد احمد شوقي وهو ابن علي شوقي سنة ١٨٦٨ ولكن تاريخ ميلاده في الوثائق الرسمية سنة ١٨٧٠ ، ووالده علي شوقي كردي الاصل ، ووالدته نزار هانم يونانية الاصل ، والدتهما اسيرة حرب كانت جارية في قصر الخديو اسماعيل ثم اعتقت وصارت وصيفة في القصر ، وكانت من الجميلات

● ولد احمد شوقي في حي الحنفي بالقاهرة ، وحملته جدته طفلا الى الخديو اسماعيل الذي نثر عليه بعض العملات الذهبية ليلفت عينيه اليها ، وكانتا تترجرجان كالزئبق دائما ولا تستقران على شيء ، ولزمت هذه الحالة عيني شوقي طيلة حياته!

● اتلف والده « علي شوقي » ثروته ، فعاش احمد شوقي بداية شبابه في رقة حال ، حتى شملته عناية الخديو توفيق فعين والده في وظيفة بالقصر .. ثم الحق الشاعر بوظيفة اخرى .

● درس الحقوق في مصر وباريس ، ونشر اول شعره في مدح الخديو توفيق سنة ١٨٨٨ وهو بعد طالب في مصر وفرنسا .. ولما تخرج وعاد من فرنسا رفع الخديو من قدره في قصره

● مدح الخليفة العثماني عبد الحميد وزار تركيا مرات عديدة ، وكان شاعر الدولة العثمانية بوصفها ممثلة الاسلام والمسلمين في ذلك العصر ، ورمز « الجامعة الاسلامية » ..

● لما تولى الخديو عباس حلمي الثاني بعد والده الخديو توفيق ، صار شوقي شاعر الخديو الشاب الجديد لا ينازعه في ذلك احد وقربه اليه الخديو عباس حلمي وانعم عليه انعامات كثيرة وكان موضع ثقته ..

● تزوج شوقي سنة ١٨٩٥ من ابنة ثري تركي الاصل هو المرحوم حسين شاهين ، وسكن دارا انيقة في حلوان ، ولدت له فيها ابنته « امينة » ومات والده المرحوم علي شوقي يوم ولادتها ..

● لما عاد الشاعر العظيم محمود سامي البارودي من منفاه في سيلان سكن في حلوان انتجاعا للصحة والراحة ، فكان جارا من جيران شوقي هناك ، وكانت حلوان ضاحية صغيرة

حينذاك ..

● فى سنة ١٩١٤ نشبت الحرب العالمية الاولى وكان الخديو عباس يزور تركيا فانحاز اليها فى حربها ضد الانجليز فخلعوه ، ونفى شوقى الى اسبانيا سنة ١٩١٥ ولبث منفيا حتى عاد الى مصر سنة ١٩٢٠ فاستقبلته الدوائر الثقافية بحفاوة .

● تغيرت الاتجاهات الفنية والاجتماعية والسياسية فى شعر شوقى بعد عودته من المنفى فصار شاعر مصر والاسلام والعرب وحركة الشرق للتحرر من الاستعمار ، وبناء الكيان السياسى والاجتماعى والاقتصادى الجديد .. وارتفع صوته الشعرى فوق أصوات جميع الشعراء ، وصاروا جميعا تبعا له ..

● فى سنة ١٩٢٧ اجتمعت فى القاهرة وفود من معظم الاقطار العربية ، وبايعوا « شوقى » أميرا للشعراء وكان على رأس مبايعيه بالامارة حافظ ابراهيم ، واقيمت حفلة تنصيبه اميرا للشعراء فى دار الاوبرا ـ التى احترقت فى السبعينات ـ تحت رعاية الملك فؤاد وعناية الزعيم سعد زغلول باشا

● شوقى هو مكتشف ومشجع اكبر مطرب وملحن فى عصرنا : محمد عبدالوهاب .. وكانت خطوات عبد الوهاب فى الفن بطيئة قبل ان يعرفه شوقى سنة ١٩٢٤ فلما عرفه طلب الى منيرة المهدية سنة ١٩٢٦ أن تسند اليه بطولة احدى رواياتها الغنائية وكانت منيرة يومئذ « سلطانة الطرب » وقد كانت هذه الرواية بداية الصعود الفائق لعبدالوهاب والهبوط السريع لمنيرة .. ولذلك قصة ليس هذا مكانها . .

● توفى شوقى فى ١٣ اكتوبر ١٩٣٢ ، وترك زوجته وولديه « حسين وعلى وابنته «أمينة » واحفاده .. وثروة من العقارات والاموال

● طبع بعض شعره فى ديوانه خلال حياته ، ثم طبع مرة أخرى بعد حذف قصائد واضافة اخرى .. وفى السوق الآن طبعة له من اربعة اجزاء مليئة بالاغلاط المطبعية ، وكذلك رواياته الشعرية ●

سطور من حياة حافظ إبراهيم

● ولد حافظ ابراهيم في ستينات القرن التاسع عشر ، وسجل في شهادة « التسنين » عند تعيينه موظفا بدار الكتب سنة ١٩١١ انه ولد سنة ١٨٧٢ فأتاح هذا «التسنين» لحافظ ان يمكث في الوظيفة عشرين عاما .

● كان مولده في « ذهبية » راسية بالقرب من قناطر ديروط في صعيد مصر لان اباه ابراهيم فهمي كان مهندس ري ، وكانت اقامته في هذه « الذهبية » ..

● حصل على الشهادة الابتدائية القديمة في أواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، فالتحق بالمدرسة الحربية وتخرج وعين ملازما ثانيا ثم رقي الى ملازم أول ، وعاش فترة من حياة الجندية ضمن القوة المصرية في السودان .

● كان مثله الاعلى في الحياة العسكرية الشاعر العظيم محمود سامي البارودي باشا ، ولكن الفروق الاجتماعية واسعة بينهما ولذلك نجح البارودي في حياته العسكرية وفشل حافظ بمقاييس ذلك الزمن ، لانه دخل المدرسة الحربية في ظل الاحتلال البريطاني في عهد الخديو توفيق .

● قامت حركة الجيش المصري ضد الانجليز في السودان سنة ١٩٠١ فقبض الانجليز على ضباط مصريين من بينهم حافظ ابراهيم ، واحيلوا جميعا الى التقاعد ، وكانت رتبته حينذاك ملازما أول ..

● تعطل عن العمل منذ ذلك الوقت ، وعاش حياة الحاجة الشديدة في كثير من الاحيان ، ولم يكن له مورد الا من صندوق التقاعد لا يزيد على أربعة جنيهات شهريا ..

● أعيد « ضابطا » مرة أخرى بعد التعطل ، ولكن في سلك « البوليس » ـ الشرطة ـ لا في الجيش .. ولم يستطع أن يتأقلم في هذا الجو ، فاستقال بعد أن عمل في وظيفة ملاحظ بوليس » مركز بني سويف ، ثم في وظيفة « معاون بوليس » مركز الابراهيمية . . وعمل

حافظ مدة محاميا فى طنطا ولم يكن يشترط فى العمل بالمحاماة حينذاك شهادة فى القانون ..

● عين سنة ١٩١١ موظفا فى دار الكتب بمسعى من الوزير احمد حشمت باشا الذى كان يرعاه ، وظل فى هذه الوظيفة الكبيرة حتى أحيل الى المعاش فى فبراير سنة ١٩٣٢ لبلوغه سن الستين ، على حسب « شهادة التسنين » !..

● تلقى حافظ من الخديو عباس حلمى رتبة البكوية من الدرجة الثانية سنة ١٩١٢ باعتباره رئيسا للقسم الادبى بدار الكتب ، وكانت تعتبر من الوظائف الكبيرة .. ومرتبها يزيد على ثمانين جنيها

● تزوج حافظ ابراهيم مرة واحدة سنة ١٩٠٦ واستمر زواجه اربعة أشهر فقط ، ثم طلق زوجته ولم يعقب منها ، ولم يتزوج مرة أخرى بقية حياته ..

● شهد بيته الصغير فى ضاحية الزيتون نهاية حياته الحافلة ، ففى صباح ٢١ يونيو ١٩٣٢ توفى - رحمه الله - بعد احالته الى المعاش بأربعة أشهر.

● لم يطبع ديوان حافظ كاملا فى حياته ، وطبعته دار الكتب سنة ١٩٣٧ بتحقيق الشاعر الراوية العلامة المرحوم احمد الزين والاستاذ الكبير احمد أمين .. وقد صورت احدى دور النشر فى بيروت هذه الطبعة بعد ذلك وسرقتها وطبعتها وهى الموجودة الآن فى الأسواق وتباع بسعر فاحش .

● كان حافظ ابراهيم يلقب بشاعر النيل ، ويعتبره كثير من معاصريه الثانى بعد أمير الشعراء أحمد شوقى . ومن الشخصيات التى لها أثر فى حياته الشيخ محمد عبده والوزير احمد حشمت باشا .. وكان حافظ معروفا بخفة الظل والفكاهة والساع الحفظ للطرائف والنوادر والاشعار ، محبوبا من أصدقائه ، مشهورا طوال حياته .. ولم يترك ثروة ولو ضئيلة لورثته .. ولم يكن له ورثة بالمعنى الحقيقى ! ●



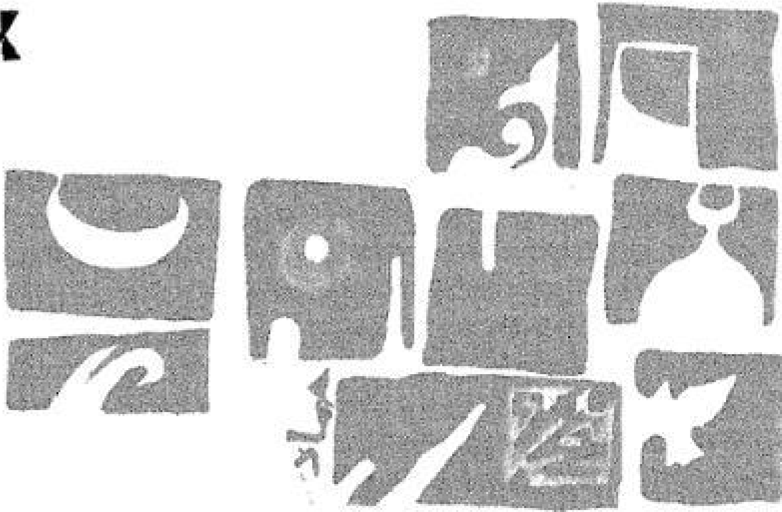
قصيدة مجهولة لشوقي

قصيدة « الله » لأمير الشعراء احمد شوقي ، خص بها « الهلال » فنشرها في عدد مايو سنة ١٩٢٤ ولكن هذه القصيدة لم تنشر في ديوان شوقي فاعتبرت من الشوقيات المنسية او « المجهولة » .. وهذه القصيدة من روائع شوقي ، ننشرها تحية لذكراه الخمسين، راجين ان تضم الى ديوانه في طبعاته القادمة ..



احمد شوقي





الحقُّ حجتُه هي الغـبراءُ ... هيهات في فلقِ الصباح مِراءُ
لا يطلبن الغايةَ الشعراء ... لو نال كُنهَه جلالك الكبراءُ
آيت به (سيناءُ) و (الاسراءُ)

الوهم يبعدُ في الظنون ويقرب ... والعقل فيكَ مسافر متغرب
والفكر يهربُ حيث أنتَ المهرب ... والنفس غايتها إليك تَقرُّب
وقصارُها في عفوك استذراءُ (١)

العقل أنتَ عقلته وسرحته ... وأحرت فيكَ دليله وأرحته (٢)
آيته الحجر الأصمُّ وتحته ... والنجمُ يبعد فوقه أو تحته (٣)
ما توهمُ الغبراء والخضراءُ (٤)

---

١ ـ قصارها : آخر امرها ، واستذراء : التجاء .
٢ ـ احرته بالشك ، وارحته باليقين .
٣ ـ النجم هنا بمعنيين ، النبت لا ساق له ، والكوكب باستخدام ، فيعود الضمير في « فوقه » الى النبت ، ويعود في « تحته » الى الكوكب .
٤ ـ الخضراء : السماء .



قصيدة مجهولة لشوقي

(بالهند) هلكى في الهياكل سُبَّح (٥)   و (بمنف) كهّان لكنهك سَبَّحوا
والرومُ غرقى في المجيّة سبح   (سقراط) مغدوٌ عليه مُصبّح

فيكَ الزعاف ومنه الاستمراءُ

حيرانُ يذهبُ في السماء ويبحث (٦)   ويثير وجه الأرض عنك ويبحث (٧)
ويلوذ بالانواء حين تحشحِث (٨)   ويحس ما هالوا التراب وما حثوا

يد تميت العالمين وراءُ (٩)

سلك السماءَ إلى سنائك مَعرّجا   والأرضَ نحو كريم سرك مُدرجا
والوهمُ فيك إلى الحقيقة مخرجا   علمتَه أخذ الأمور تدرجا

أصلُ الحقائقِ كلها استقراءُ

في الدّهر إذ هو ناهض لم يشرخ (١٠)   وإذ القدامى في حلوم الأفرخ (١١)
لمحَ الشقي يد العناية والرّخى   خفضا الجناح لمستغاث مُصرخ (١٢)

يشكي البلاءُ إليه والضراءُ

موسى على (سينينَ) أعشى أرمدٌ   هو والجبالُ وأرضُ (مدين) همّد
ودنا فخرّ إلى الجبين محشّد   ومضى سليمانٌ ووجهك سرمدٌ

يعنو له الأملاك والأمراءُ

---

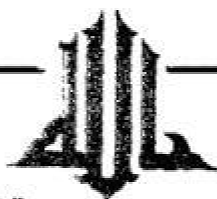
٥ – سبح : جمع سابح ، وهو في البيت الاول بمعنى نائم ساكن ، وفي الثاني بمعنى عائم . والمراد من الجزء الاخير ان سقراط قد حكم عليه بالسم في سبيل الايمان بك فاستساغه .
٦ – يفتش ، والمراد العقل .
٧ – يحفر .
٨ – يضطرب فيها البرق .
٩ – يحس يد وراء العالم تقبض الارواح كلما دفن الناس ميتا .
١٠ – لم يشب .
١١ – لم تشتد .
١٢ – المصرخ : المغيث .



بجلاله أضحى الجمالُ تموذا   وغدا الجمال على الجلال استحوذا
يأوي إلى سبُحاته (١٣) هذا وذا   وتطيف أصناف المحامد لوّذا
ماذا ينال المدحُ والاطراءُ
بيمينك الملكُ الذي لا يحصَر   خلت الممالكُ دونه والأعصرُ
وصحا الملوكُ من الغرور وأقصروا   كسرى وهارونُ الرشيد وقيصر
تحت التراب أذلة فقراءُ
ولك القضاء غرارُه (١٤) ومحزه   لاشيء في هذا الوجود يحزّه (١٥)
ترمي به ركنَ الثرى فتنفزه   تتناثر التيجان حين تهزه
وتمزق الشهباءُ والخضراءُ (١٦)
أما الملائكة الكرامُ فقبّس   لبسوا الحلى الحسنى وأنت الملبس
وعلى التحية والثناء تحبّسوا   خشعوا فلم يتجرّوهنا أو ينبسوا
إلا كما يتخافت القراءُ
ينزون (١٧) بين مجنح ومرنّش   نزوَ الفراش وماهمُ بالطيش
حولَ الضياء الحاشد المتجيش (١٨)   ويجررون من الغلائل مايشي (١٩)
سير النعيم وتنسج السراء
عرش على إمّ العُلى منصوصه (٢٠)   من جوهر الحق المبين فصوصه

---

١٣ ـ السبحات : الأنوار .
١٤ ـ الغرار : الحد
١٥ ـ يحزه : يقلبه .
١٦ ـ الشهباء : الكتيبة العظيمة الموفورة السلاح ، والخضراء : الكتيبة التي يعلوها سواد الحديد .
١٧ ـ يثبون
١٨ ـ المتوهج .
١٩ ـ وشي الثوب يشيه : نقشه ونمنمه .
٢٠ ـ مرفوعة .



قصيدة مجهولة لشوقي

جبريلُ وهو بهِ القديمُ خصوصةً (٢١)   مُلقى الجناح إزاءه مقصوصهْ
والرسل من آنٍ يدعوه براءْ
في منزلٍ فوقَ الحساب وفَرْضه   عالٍ على مَسرى الخيال وقرضه (٢٢)
في طوله يَفْنَى المكانُ وعرضِه   ما في سماء الكون أو في أرضِهِ
مرداء (٢٣) تشبيهٌ ولا شَجراءُ
وكأنَّه نونٌ يَراعُك خطَّها   قد وُفِّيَتْ من حُسنِ صوغِك قِسطَها
لما أرادَ لكَ ابتداعك نقطها   أعلاك في السمت الأتم وحطَّها
قلمٌ فأنت النقطةُ الزهراءُ
العلمُ ثمَّ ضنائنا وحفائظا   والعز ثم حقائقا وحفائظا (٢٤)
مجدٌ أماتَ بك الأكابرَ غائظا   فأتاك مبذولَ المقادةِ فائظا (٢٥)
حيرانَ ليس لدائه إبراءُ
عن هذه الأنوار يعشى يوشعُ   فمن الرئيسُ (٢٦) وعلمه المتشعشع
أو من أرسطو والمشاةُ (٢٧) الخشَّعُ   عَصَفَتْ بهم ريحُ البلى فتقشَّعوا
وتمحَّتْ رِحاها فيهم الغبراءُ
لبسوا النبوغَ من العناية مُسبغا   فتخيَّلوا وزها الذكاءُ النبَّغا (٢٨)

---

٢١ ـ الهالة الخاصة .
٢٢ ـ قرض قرضا : سار يعدل في سيره يمنة ويسرة .
٢٣ ـ المرداء : الأرض لا شجر فيها .
٢٤ ـ الحفائظ : جمع حفيظة ، وهي أولا بمعنى الحرز ، وثانيا بمعنى الذود عن الحرمات
٢٥ ـ فاظ : مات
٢٦ ـ ابن سينا .
٢٧ ـ تلاميذ أفلاطون المعروفون بالمشائين
٢٨ ـ جمع نابغ .



ماتَن أدلّ بما وهبت كمن بغَى　　　والناس ذو رأى وآخر يبّغا
تحكى وتنتقل عندها الآراء

يارب بعدتُ من حماك مشتّف(٢٩)　　　ورهين إذن دون بابك مشتّف
حارا من السر الخفي بنفنف (٣٠)　　　سر جلالك صانه فالسين فى
يمنى يديه وفى الشمال الراء

بحرُ المحبة فوق باع الزورق　　　والفلك إن تذهب ذراعا تخرق
فاجعل شراعك فيه عينك وافرق　　　كم فى تراقى الموج من يد مغرق
قبلت وأخرى حظها الاعراء

كم آية لك لم يجدها المشرك　　　غراء بالبصر المجرد تدرك
فلك منوط فى الفضاء محرك　　　هل ثار فيه من الثوابت مبرك(٣١)
أم عن سيار به سراء

ذو الرمح فيه على وداد الأعزل (٣٢)　　　والفرقدان عن التداد بمعزل
ويد الغزالة فوق أشرف منزل(٣٣)　　　والبدر كل مُلاوة (٣٤) فى منزل
حتى تحلّ شراكه الغراء (٣٥)

النمل يجد فى المعاش ويتهم(٣٦)　　　عن أى رأس أو فؤاد يفهم

---

٢٩ ـ المشتف : المحل ، والغرض هنا القرب الموهوب .
٣٠ ـ النفنف : البيداء المتسعة .
٣١ ـ مبرك : ثابت .
٣٢ ـ ذو الرمح والاعزل هما السماكان ، والمراد ان هذه النجوم كلها تسير بنظام واتفاق .
٣٣ ـ المراد بالنزل هنا ارسال الاشعة .
٣٤ ـ برهة من الدهر .
٣٥ ـ الغراء : الليلة الثالثة عشرة من الشهر .
٣٦ ـ يعلو وينخفض .



قصيدة مجهولة لشوقي

لُبٌ يَضِل مكانه المتـــوهمُ — لولا يد تَحدو وهـــاد ملهمُ
لم يبدُ منه الحزم والنكراءُ (٣٧)

والرزق سر لم ينل مكنـــونه — ضنّت به كافةُ السماح ونونـــه
كذَبَ الحريص وحِرصه وفنونه — ستَعُوده ســـو داؤه وجنونه
مادامت البيضـــاءُ والصفراءُ (٣٨)

فرعونُ لم يَخـــلد ولا أشباهه — لم يُغنِ عنه من البناء تَباهه (٣٩)
مثلاً آتاكَ عتيهُ وسَباهه (٤٠) — نزلتْ على حـــكم التراب جِباهه
وكذا يـــكون الحـــكم والاجراءُ

بالموت أذلّتَ النفوسَ وبالهَوى — وقصرتَ من وطءِ التراب ومن هوى (٤١)
والنجمُ لو سرت الحياةُ به هَوى — وانحطّ عن أوج الهواء إلى الهَوَى
يبـــكى عليه الأهل والعشراءُ

لم يألُ داودُ الصـــلاة مثـــانيا — ويسوعُ دمعـــا والبشـــيرُ مثانيا
وتنوّرَ الوادى رُبَى ومثانيا (٤٢) — فســـا الكليمُ فمـــا توســـم ثانيا
أنّى لك الشركاءُ والنظراء

---

٣٧ ـ النكراء : الدهاء والفطنة .
٣٨ ـ السوداء هي « المالنخوليا » . والبيضاء والصفراء : الفضة والذهب .
٣٩ ـ التباه : الرفعة .
٤٠ ـ الرجل السباه : المتكبر .
٤١ ـ هوى : علا وارتفع .
٤٢ ـ مثانيا . الاول : مزامير داود ، والثانية : آيات التنزيل ، والثالثة : معاطف الوادى .



ابتسامات

اختبار

حينما كان « فرانكلين روزفلت » محافظا لمدينة نيويورك ، توجه الى مكتبه يوما مع صديق له ، فرأى في انتظاره عددا كبيرا من الزائرين ، فحياهم وراح يروي لهم نادرة « قديمة » لا طرافة فيها .

فلما دخل مكتبه قال له صديقه : « اسمح لي أن اقول لك ان دعابتك قديمة وتافهة » فضحك روزفلت وقال : « اعرف هذا .. وقد تعودت ان اقص هذه الدعابات السخيفة لارى من يقهقه عاليا لها فاعرف انه قد حضر ليتملقني او ليطلب مني شيئا لا حق له فيه » !

الارمل

نقش على ضريح : « ههنا ترقد زوجتي . آه ، ما احضنها ، من اجل راحتها ومن اجل راحتي » .

الكسي بيرون « ١٦٨٩ – ١٧٧٣ »



هدية الاستاذ

وضع احد طلبة الهندسة بجامعة ميتشيجان بامريكا في كراسة اجابة امتحان احدى المواد ظرفا كتب عليه عنوانه وضمنه مذكرة يرجو فيها المصحح ان يثبته بدرجته في الامتحان في اقرب فرصة . ووضع فيه قطعة من الحلوى كمكافأة له على تعبه . وبعد ايام ، وصل الطالب الظرف وبه مذكرة برسوبه في هذه المادة ، وقد استبدلت الحلوى بعدد من اقراص الاسبرين !!

الشهادة

شهد رجل عند سوار القاضي فقال : ماصناعتك ؟ قال : معلم . قال : فانا لا نجيز شهادتك ، لانك تاخذ على التعليم اجرا . قال : وانت تاخذ على القضاء بين المسلمين اجرا ، قال : اكرهت عليه ، قال : فهبك اكرهت على القضاء ، فمن اكرهك على اخذ الاجر ، والرزق على الله !؟ فقال : هلم شهادتك .. فاجازها !

عادة

كان عبد الله بن جعفر كريما الى حد الاسراف فقال له معاوية : يا عبد الله .. الى متى هذا الاسراف والافراط والايام مقبلة مدبرة ..؟؟ فاجاب عبد الله بقوله : يا امير المؤمنين ان الله تعالى عودني عادة وعودت عباده عادة فاخشى ان قطعت عادتي عن عباده ان يقطع عادته عني ●

موضوع تسجيلي

أسرة صغيرة = حياة أفضل

فى زمن يرحل فيه الانسان الى آفاق جديدة يستكشف عوالم أخرى فى الكواكب الاخرى .. وتصبح فيه وسائل الاتصال شيئا كالحلم ، أو هى الحلم ذاته .. فى هذا الزمن الذى أصبح عالم الاقوياء، وأصبحت القوة فيه ليست قوة عضلية أو عددية ، أصبح لزاما على الانسان فيه ان يغير نظرته الى الخلف « العزوة » الذى يباهى بهم بين الناس ... فليس معقولا فى زماننا هذا ان يباهى احدنا بأبنائه كثيرى العدد الذين لا يجدون عملا على الاطلاق ، أو يعملون اعمالا لا قيمة لها .. فان ولدا واحدا او اثنين يشغلان أعمالا ذات قيمة هما اجدى واكثر نفعا .

هذه هى النظرة الجديدة للابناء « العزوة » الذين نفاخر بهم فى زماننا هذا .. هذه هى النظرة للأسرة فى المجتمع الحديث مجتمع الاقوياء ، فاذا طبقنا هذه النظرة على الامم ، نجد ان الامم القوية لا تقاس قوتها بعدد أفرادها بل تقاس قوتها بمدى ما يتوفر فيها من تقدم علمى وتكنولوجيا متطورة ومدى ماتحققه من رخاء لافرادها .

والعالم الان يعيش بالتخطيط ويأخذ به ، ولا يترك المستقبل نهبا للظروف او للصدفة وحدها تتحكم فيه .. والدول النامية ومن بينها مصر مطالبة هى الاخرى بالتخطيط لمستقبلها حتى تستطيع ان تسرع بخطى التقدم لتلحق بركب الحضارة الحديثة .. ولا يمكن لنا ان نلحق بركب العصر دون ان نخطط للمستقبل ، فان الزيادة السكانية الرهيبة مع قلة الامكانيات المتوفرة تعرقل خطى التقدم .. اذ لا يعقل اطلاقا أن ننجب اطفالا لا تتوافر لهم أسباب الحياة الكريمة .

ان الطفل فى عالمنا يحتاج الى الرعاية الطبية والصحية .. كما يحتاج الى

التعليم وفرصة العمل التي يحتاج اليها في مرحلة الشباب .. كما يحتاج الى مسكن ومكان في وسيلة مواصلات .. هذه هي الضروريات التي يحتاج اليها الانسان لكي تستمر حياته .. ناهيك عن وسائل الترفيه من سينما ومسرح وحديقة عامة وكتاب وصحيفة .. و .. و

هذه هي نظرة الدولة للطفل الذي يولد .. انها تحتاج الى تخطيط قوي وسليم نعمل جميعا على نجاحه حتى نلحق بركب الحضارة ونصبح كيانا صالحا في عالم الاقوياء فاذا نظرنا الى الاسرة المصرية .. ما الذي نجده أمامنا الآن ؟

ان نظرة على غالبية الأسر المصرية تدعو الى الأسى والحسرة .. ان متوسط عدد الاولاد في الاسرة المصرية يزيد على خمسة في كل اسرة .. هؤلاء الاطفال يحتاجون الى الرعاية والى المسكن والى الطعام والتعليم والرعاية الصحية والى وسائل المواصلات ، ناهيك عن الترفيه اللازم لهم .

دعنا نتساءل .. هل يتوفر المسكن الذي يسع هذا العدد من الاطفال ويوفر لهم الراحة والانطلاق ؟ وهل تتوفر وسائل الرعاية الصحية لهم اذا ألم بهم المرض او بأحدهم ، او هل تتوفر وسائل التعليم بما يجعل التعليم عملية تربوية صحيحة مثمرة ؟ .. ثم وبعد كل هذا .. هل هناك فرصة للعمل المنتج يلتحقون بها في مرحلة الشباب ؟

واذا كان كل ذلك غير متوفر ، فهل الانجاب بهذه الصورة هو انجاب لابناء أصحاء أقوياء يشغلون أعمالا منتجة نباهي بهم أم لا ؟ .. بالقطع لا .. اذن ماهي الحكمة من انجاب كل هذا العدد من الاطفال !!

ان أسرة صغيرة قليلة العدد تعطي فرصة لك لكي توفر لابنائك الرعاية الصحية والتربوية التي يحتاجون اليها .. كما تعطي الدولة فرصة لان توفر لابنائك الخدمات والعمل المنتج الذي نباهي به عندما نتحدث عن ابنائك كما يوفر للام الصحة التي تستطيع بها أن ترعى الابناء

تعال نلق نظرة على أم ترعاك وترعى خمسة أطفال معك .. هل هي بمستطيعة ذلك وقادرة عليه أم أنها دائما متعبة مريضة تعلو وجهها صفرة المرض والارهاق ؟ .. ماذا لو ان هذا الحمل الثقيل قد انخفض وأصبحت ترعى طفلا أو طفلين .. سيتغير الحال قطعا .. وستصبح هذه الام قادرة على ان ترعى الاطفال وتجد الوقت الكافي لترعاك ..

واذا كان الدين يااخي يبيح منع الحمل للمرأة حفاظا على جمالها وصحتها .. واذا كان الدين يبيح منع الحمل حتى لايجهد الرجل .. أفلا يستحق ذلك منا لحظة تفكير واذا كان الرسول الكريم يقول « تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة » فان معنى ذلك أن تتواصل هذه الامة والا تنقطع .. وأن تكون هذه الامة أمة صالحة تأخذ مكانها بين الامم وترفع راية الله ..

أخي .. يجب أن تؤمن معا ان التخطيط السليم هو الوسيلة المثلى لأن نصل وبسرعة الى عالم الرخاء والرفاهية .. وأن التخطيط العلمي يقول ان الزيادة الرهيبة في عدد السكان تبتلع كل ناتج التنمية وزيادة ، فاذا كان هذا على مستوى الدولة فانه ينعكس بالضرورة على الاسرة التي يتشكل منها المجتمع .. فالتخطيط ضروري للاسرة أيضا .. والاسرة الصغيرة دائما تتمتع بحياة أفضل ●

يهود الخزر يستوطنون البلاد العربية

بقلم : عبد الرحمن شاكر

لاشك أن حالة من الأسى والحيرة، قد استولت - وما تزال - على الضمير العربي ، بعد الاحداث الاخيرة في لبنان ، التي أسفرت عن خروج قوات المقاومة الفلسطينية من بيروت ، وتوزيعها على عدد من البلدان العربية ، ولم يعد السؤال المطروح هو : هذه القوات الى أين ؟. بل الوطن العربي بأسره الى أين ؟!.

ذلك أن « اسرائيل » قد أملت كلمتها - بأقوى وسائل الفتك والدمار - في تلك القضية - على الامة العربية بأسرها، وليس على منظمة التحرير الفلسطينية وحدها ، التي صمدت ما وسعها الصمود - أطول من مختلف النظم العربية في الحروب السالفة ؛ وقبلت الخروج من بيروت انقاذا للعاصمة اللبنانية من الدمار التام ، ولسكانها المدنيين من الابادة الشاملة : وشتى قدر الاعجاب والاعتزاز بصمود المقاومة الفلسطينية ، كانت الحيرة الخانقة على العجز من تقديم أى عون عربي لهم في ذروة المحنة ، والمعركة ، سوى الكلمات !.

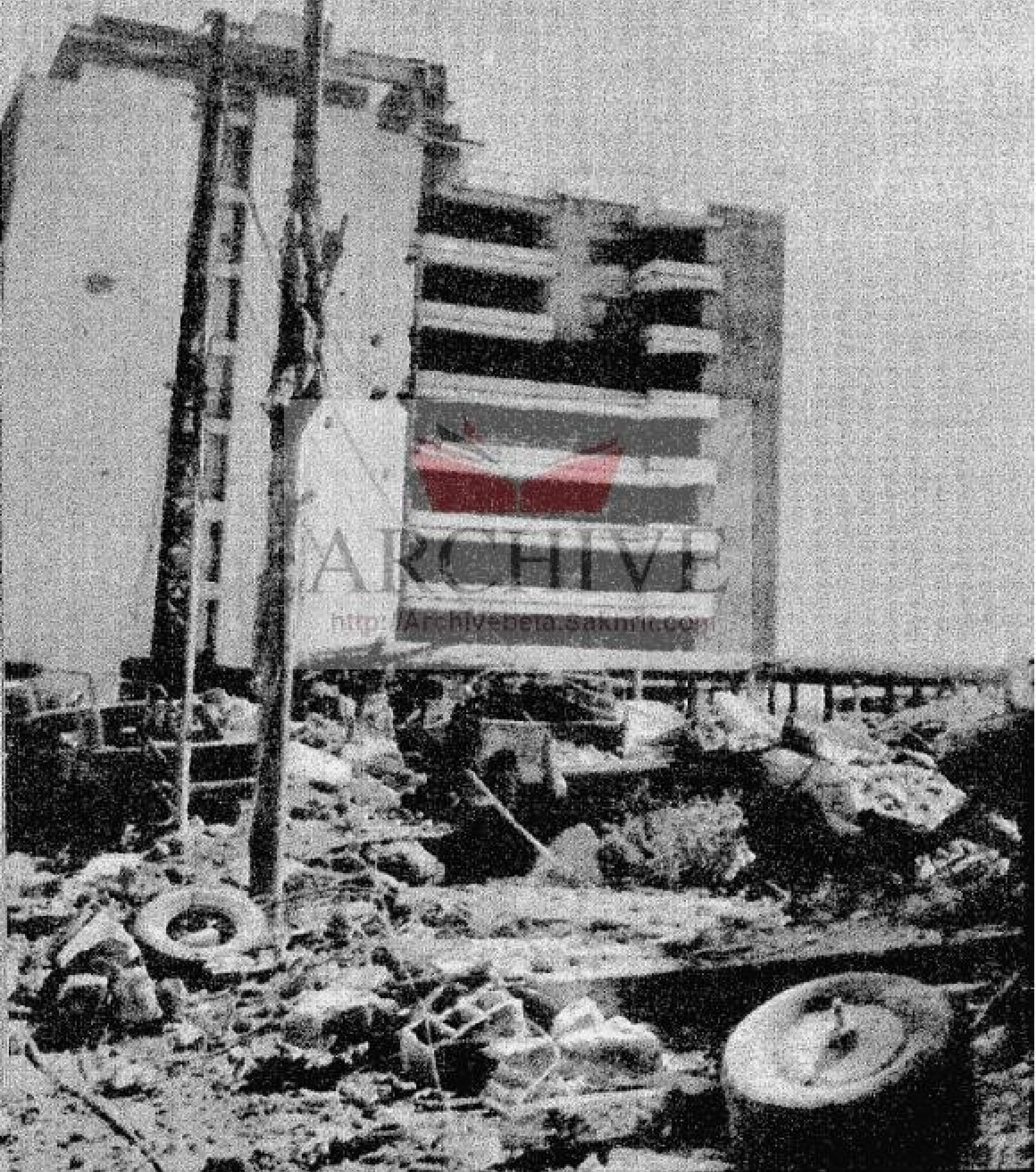
المستقبل الفلسطيني الآن لم يعد وحده المكتنف بالغموض ، في ظل القهر الصهيوني المتغطرس ، بل المستقبل العربي كله : القاتلين الفلسطينيين ، قيل لها - وقبل القاتلين الفلسطينيين ، قيل لها - وقبل أن يصل هؤلاء اليها : انها سوف تقدم حسابا لاسرائيل ، لو استخدم القاتلون أرضها منطلقا لعمليات ضد اسرائيل !. ودرس بيروت وجنوب لبنان ما يزال ماثلا في الأذهان !! هل تتعهد الله على أن مصر قد أعفاها ساستها من هذا الحساب ؟!.

على أن ذلك ليس هو الخوف الوحيد، فالأرجح أن تقوم الدول العربية التي استضافت القاتلين الفلسطينيين ، أو معظمها ، بدور الحارس الأمين على عدم تقديم الحساب ! ولكن مخاوف أكبر تظل مما ينتظر الساحة اللبنانية ذاتها ، وما يحيط بها ، بعد رحيل الفلسطينيين .

هناك خطران متمائلان متقاطعان مثل حدى المقص على تلك الساحة ، هما :

● الأول : خطر الصدام بين القوات الاسرائيلية والسورية ، كل مع حلفائه من اللبنانيين أنفسهم ، حالة اصرار

آثار الهجوم الصهيوني الاخير على مدينةبيروت



يهود الخزر يستوطنون البلاد العربية



هتلر

الاسرائيليين على ان يكون انسحاب السوريين من البقاع وشمال لبنان سابقا على انسحابهم هم من بيروت وجنوب لبنان .

● والثاني : وهو الأخطر - قيام حليف « رسمي » في الساحة العربية، لاسرائيل ، متمثلا في دولة مارونية ، يتزعمها امثال بشير العميل وسعد حداد، اللذين كانا حليفين فعليين لاسرائيل في المراحل السابقة . وضياع الصيغة اللبنانية التي كانت قائمة على وحدة الطوائف لحساب صيغة طائفية ، من نوع الصيغة الاسرائيلية ذاتها ، وعلى هواها، ولحسابها . ويتوارى خلفها الاسرائيليون للبلا ، لتتولى المهمة نيابة عنهم في ضرب « المسلمين » ، وانصار العروبة ، ليس في لبنان فحسب ، بل فيما يجاورها أيضا ، بحكم الوعود ، التي اعطيت ونفذ بعضها فعلا ، بتسليح هذا الحليف، على نفس المستوى ، ومن ذات الترسانة الامريكية ، التي يأتي منها التسليح الاسرائيلي ذاته !.

هناك خطر الن ، من ان تنشب الحرب القذرة مرة اخرى ، على ساحة «الشام» كلها ، على الاقل ، حرب يكون الشعار غير المعلن فيها ، او المعلن هو « دولة لكل طائفة » ، للموارنة والشيعة ، والدروز ، وهلم جرا ، على غرار الدولة « اليهودية » ، المسماة اسرائيل !.

ولا شك ان تطورا من هذا النوع ؟ لن يكون ضربة موجهة لفكرة « القومية العربية » وحدها ، من حيث كونها دعوة الى الوحدة العربية ، او الصف العربي على الاقل ، بل لفكرة « القومية » ، والدولة العلمانية ، من حيث هي ، من يوم سقوط الخلافة العثمانية ، التي كانت هي الدولة الكبرى الاسلامية ، الحاكمة لهذه المنطقة قبل مرحلة الغزو الأوربي، ومخلفاته ؟.

والواقع ، ان العرب ، قد عانوا من اكبر قدر عرفه التاريخ من التدليس والنفاق ، على يد الغزو الاوربي ، في تلك القضية بالذات . ففي الوقت الذي كانت فيه النزعة القومية ، وعلمانية الدولة ، استجابة للاغراء الفكري ، واحيانا للتحريض السياسي المباشر ، والحث على نبذ « التعصب الديني » ، الذي كثيرا ما رميت به حركات مناهضة الاستعمار الاوربي في المنطقة العربية ، نقول في هذا الوقت بالذات ، تفعل المجتمعات الاوربية ، وما تولد عنها كالمجتمع الامريكي على سبيل المثال ، في الهين ، امرا شبيها بما فعله عمرو بن العاص بابي موسى الاشعري ، حين اغراه بخلع صاحبه علي ، اولا ، ثم قام من



بعده ليقول : اخلع صاحبك كما خلعته، واثبت صاحبي ، يعنى معاوية !. فالافراء الاوربى كان شديداً جداً للعرب والمسلمين عامة لطرح فكرة الدولة الدينية المتمثلة انذاك فى الخلافة العثمانيـــة ، واتباع الطريق الاوربى التحضر فى اقامة الدولة على الاسس القومية ، وحدها ، ثم شهدنا عبر الحركة الصهيونية ، التى احتضنها ذلك العالم المتحضر ، وادا مثالها للفكرة القومية ، بدءا من اقامة دولة اسرائيـل ذاتها على أساس الديانة اليهـــودية ، وانتهاء ، كما يتوقع ويتوجس ، الى سلسلة من الدويلات الطائفية حولها ، تكون اهمها هى الدولة المارونية الجـارى تشكيلها ، لتمثل - والعياذ بالله - تحالفا يهوديا صليبيا ، يحظى بكل التأييـد العلنى ، او المستتر ، من جانب القلوب الغربية، التى تحسس فى قاع ضمائرها، وتطفو على السنتها احيانا ، مشاعر العداوة والبغضاء ، لشىء كان يسمى العالم الاسلامى ! تريد له الان ان يكون مجرد « الشرق الاوسط » الكل سكانه فيه هم العرب المسلمون !.

ولا يخلو - لكى تكون صرحاء - من النفاق الاوربى ، ومواقفه ، المعسكر الذى كان يبدى صداقة للعرب فى بعض مراحل نضاله ، وهو المعسكر الاشتراكى بزعامة الاتحاد السوفييتى فى قبوله لفكرة الدولة الدينية فى فلسطين ، من حيث تعارضها اول كل شىء مع تطرفه العلمانى، تحت اسم الاشتراكية العلمية ، وقيام دولته الكبرى ، الاتحاد السوفييتى ذاته على الوحدة بين خليط هائل من الكيانات القومية والعرقية والدينية .

بيد ان عنصراً خاصـــاً ، يضاعف من مسئولية الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى فى اوربا الشرقية ، وهو ان « المادة البشرية » للحركة الصهيونية قد اتت ، وما تزال تأتى من هناك ، من اول تشكيل جمعيات « احبـة صهيون » فى روسيا القيصرية ، منذ مائة عام تقريبا. وذلك بعد ان بدأ القياصرة الروس فى اضطهاد الاجناس غير الروســية لاقامة « الدولة القومية » فى امبراطوريتهم المترامية الاطراف ، وكان من ضحايا الاضطهاد مسيحيون اوكرانيون وبولنديون، وتتر مسلمون ، وخزر يهود ، حيث كانت الشروط الثلاثة « للروسى الحقيقى » هو التكلم باللغة الروسية ، والقبول بالحكم الاوتوقراطى للقياصرة ، واعتناق العقيدة الارثوذكسية . وهكذا كانت مخالفة تلك الشروط كلها او بعضها داعية للاضطهاد فى تلك الدولة قبل قيام الثورة فيهـا عام ١٩١٧ .

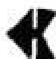
وعند ذكر الخزر اليهود ، الذين كانوا يعيشون فى جنوب روسيا ، وما يزال عدد كبير منهم هناك ، وفى شرق اوربا ، وفى الولايات المتحدة الامريكية حيث يشكلون الجالية اليهودية الكبرى فى العالم ، بعد ان فروا اليها فى اواخر القرن الماضى واوائل القرن الحالى ، نقول اننا فى هذا الصدد نعانى من مستوى آخر من الكذب والتدليس ، مضافا الى موقف الفكر الغربى من قضية القومية ، كما تقدم ذكره . فهناك ما يشبه الاصطلاح العالمى ، على اخفاء الهوية القوميـة الحقيقية لهؤلاء الناس ، بادعاء ان كل يهود العالم ، يشكلون قومية واحدة ، حيث انهم كلهم ســاميون ، من بنى اسرائيل ، من الذين تشتتوا فى الارض بعد زوال ملكهم القديم فى فلسطين منـذ الفى عام . والحقيقة الصارخة ان الغالبية يهـود العـالم ، هى من ذلك الجنس الخزرى ، الذى كان يعيش فى القوقاز ، على ضفاف نهر الفولجا ، وعند بحـر قزوين ، الذى كان يعرف باسم بحـر

يهود الخزر يستوطنون البلاد العربية

الخزر ، وقد اعتنقوا الديانة اليهودية في عصر متاخر جدا عن زوال اسرائيل القديمة التاريخية في فلسطين ، بل اعتنقوها بعد ظهور المسيحية ثم الاسلام ، حيث خشى ملوكهم من ضياع ملكهم بين الدولة العباسية المسلمة ، ودولة بيزنطة المسيحية ، فقرر ملكهم المدعو بولان — طبقا لما تذكره المصادر العربية واليهودية على السواء ، فضلا من مؤرخى الغرب — اعتناق الديانة اليهودية ، ليتميز عن هاتين الدولتين ، ثم خلفه ملك آخر تسمى باسم عبرانى ، هو « عبديه » ، فقرر ان لايتولى ملك الخزر ، الا من يعتنق الديانة اليهودية ، فتهود البلاط كله . ثم تابعه شعب الخزر باجمعه طبقا لقاعدة « الناس على دين ملوكهم » ، وبقيت دولة « خزريا » هى الدولة الكبرى فى المنطقة التي تعرف باسم روسيا حاليا ، وجزء من شرق اوربا لمدة قرنين تقريبا ، حتى قضى عليها تدريجيا الغزو التترى ، ثم قيام القياصرة المسيحيين على انقاض الفريقين ..

نحن اذن امام كذب ابلق ، حينما يدعى الصهاينة ان كل يهود العالم هم قومية واحدة لانهم جميعا من بنى اسرائيل ، وعليه فمن حقهم العودة الى ارض الميعاد فى فلسطين ولو بطرد اهلها وتقتيلهم ، فنسبة بنى اسرائيل الى يهود العالم المعاصر لاتزيد عن ٥٪ ، هم بعض وليس كل اليهود الشرقيين الذين يعرفون باسم « السفارديم » ، وربما كان معناها اهل « السفر » ، او اهل الكتاب ، كما كان يسميهم المسلمون . والغالبية يهود العالم هم من « الاشكنازيم » وتقدر نسبتهم دائرة المعارف البريطانية بحوالى ٨٨٪ من يهود العالم ، والذى اطلق عليهم هذه التسمية هم اليهود السفارديم الذين كانوا فى الاندلس حينما بلغهم اعتناق الخزر للديانة اليهودية . ارادوا اعطاءهم « نسبا » فى التوراة ، فنسبوهم الى اشكناز ابن جومر بن يافث بن نوح الوارد ذكره فى اول الاصحاح العاشر من سفر التكوين فى العهد القديم للكتاب المقدس ، واشكناز هذا طبقا للمعتقدات اليهودية هو ابو الاجناس التى توالدت فى القوقاز ، لذلك فان بعض الكتاب اليهود الذين يجدون فى انفسهم الامانة للاعتراف بالحقيقة ، مثل آرثر كوستيلر مؤلف كتاب « امبراطورية الخزر » او « القبيلة الثالثة عشرة » ، يصف اليهود الاشكنازيم وانتسابهم الى اسرائيل ، عن طريق اعتناق الديانة اليهودية ، بانهم ابناء « يافث فى مضارب سام » . وسام هذا هو ابو بنى عابر الذين منهم ابراهيم واسحق ويعقوب الذى هو اسرائيل . ويعلق ذات الكاتب على ذلك بان كلمة « معاداة السامية » ، لا معنى لها حينما يقصد بها معاداة هؤلاء اليهود الاشكنازيم ، من ابناء اشكناز بن جومر بن يافث .

واذا كان اليهود الاشكنازيم ، او قادة الصهيونية على الاقل ، قد استمراوا نسبة كل اليهود الى اسرائيل ، رغم مخالفة ذلك للواقع التاريخى ، فان الاغراض السياسية كان لها دور بارز فى ترويج تلك الاسطورة .. فنظرية « الشعب المختار » توجد جاهزة فى الديانة اليهودية ولا تحتاج الى صياغة فلسفة لها كما فعل هتلر وحزبه النازى ، بل ربما كان هتلر عالة عليهم فى اصطناع تلك النظرية العنصرية وتسخيرها لاغراضه السياسية . وبالمناسبة فالخزر اليهود الاشكنازيم ، هم ابناء عمومة ذات الجنس الارى الذى نادى هتلر بتفوقه ، وليسوا بالطبع ابناء عمومة العرب كما يدعون بانتسابهم الى اسرائيل . واذا كان لهم فى الماضى ابناء عمومة فى الشرق فقد كانوا



● اليهود الاشكناز ليسوا ساميين



ركز الصهاينة في هجومهم على النساء والاطفال والرضى والشيوخ

المماليك الذين كانوا يجلبون من ارضهم ، حيث كان الخزر قبل تهودهم يبيعون ابناءهم لتجار الرقيق من العرب والبيزنطيين . كما انهم من ابناء عمومة الترك الذين حكموا المنطقة العربية باسم الخلافة العثمانية ردحا طويلا . وربما حلم الخزر انفسهم في فترة تدهور وسقوط الدولة العثمانية بان يرثوا هم تلك السيطرة عن طريق اقامة دولة يهودية في فلسطين يكونون هم الجنس الغالب فيها .

والجنس الغالب حاليا بالطبع على دولة اسرائيل هم اليهود الاشكنازيم ، فهم الجنس الاوربي الذي يوصف بانه متحضر ، ومعاملتهم لليهود الشرقيين ، بمن فيهم من قد تصح نسبتهم الى اسرائيل تشي بذلك ، وهم من في ايديهم مقاليد الحكم والادارة والتجارة والجيش ، وبتشجيد فريد من خطط الاستيطان التي يمارسونها في الارض العربية المحتلة يصبحون هم الجنس الغالب من الناحية العددية ايضا .

وبالرغم من ان هؤلاء الخزر من بني اشكناز يلوكون علنا فكرة الشعب المختار على انها تشمل كل يهود العالم ، فان موقفهم العنصري من رفض هجرة اليهود الزنوج الامريكيين الى اسرائيل ، واضطهادهم من حيث اتوا في الفلاشا ، تدل على انهم فيما بينهم يصرفون معنى الشعب المختار الى جنسهم هم من الخزر ، ادعياء اسرائيل ، وربما كان شعورهم بتلك الهوية الخاصة هو المصدر الاساسي للرابطة العميقة بين الخزر في دولة اسرائيل والغالبية الخزرية بين الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية . ولا تعدم ان ترى فيلما امريكيا ، ترى فيه شخصية « القوقازي » محاطة بهالة من التبجيل ، لبراعته وشجاعته و « انسانيته » رغم انه قد يكون « مقلها » في اغلب الاحيان ! كذلك قد تسمع ان « كلمة السر » التي تفتح الابواب في عالم السينما في

يهود الخزر يستوطنون البلاد العربية

دولبرود ، هو ان يكون المتقدم اليها من اصل « روسي » ، وتندهش حينما تاخذ بظاهر العداوة السياسية بين روسيا وامريكا ، ولكن المعنى يتضح لك حينما تلتفت الى ان من يتوقون الى حكم العالم بما فيه منطقتنا العربية هم من ابناء مثلث الخزر ، الموزع حاليا بين الولايات المتحدة الامريكية ، ودولة اسرائيل والبقية منهم في المهجد الاصلي الذي جاءوا منه في جنوب روسيا ، اي منطقة القوقاز ، وامتدادها الجغرافي المباشر عبر شرق اوربا ، وبولندا اساسا ، حتى اواسط المانيا ، حيث كان « الخزري » حاييم وايزمان اول رئيس لدولة اسرائيل ، يقول « ان القرب بالنسبة لنا كان هو ماوراء نهر الراين » .

واذا كان سلوك « خزر » دولة اسرائيل في الحرب الاخيرة في لبنان قد اتسم بالوحشية ، التي ذكرت الناس في ارجاء العالم بالفظائع الهتلرية في حقهم هم ، فهم يلتمسون في الولايات المتحدة الامريكية ليس مجرد العون المادي والعسكري والتاييد السياسي فحسب ، بل التاييد « الفكرى » او « الايديولوجي » ايضا ، وذلك حينما يردد بعض « اقربائهم » من الخزر الامريكيين ان المطالبة بحقوق الفلسطينيين بعد ان استوطنها اليهود تشبه المطالبة بحقوق الهنود الحمر بعد ان استوطن الاوربيون امريكا ! وتلك واحدة من مشاعر الغطرسة يمارسها هذا الجنس هنا وهناك ، مضافة الى الاحقاد الدينية التي يزاولون احياءها بصورة مروعة .

نحن اذن بازاء مسرحية بشعة ، يجرى تمثيلها على الارض التي اعطت العالم حضارته الروحية ، وعقائده الكبرى . فالخزر اليهود ، هم جنس قوقازي اعتنق اليهودية ، مثله في ذلك مثل ابناء عمومتهم الاديين الذين اعتنقوا المسيحية ، وابناء عمومتهم الترك الذين اعتنقوا الاسلام . و « الحق الطبيعي » لهؤلاء جميعا في الديار المقدسة ، لم يكن يتجاوز حد « الحج » الى مزاراتها الدينية . ولكن كما فعل الصليبيون في الماضي يحاول اليهود الخزر السيطرة على المنطقة من خلال دولة اقاموها على ارضها بادعاء انها تجمع بني اسرائيل من شتاتهم . ولكن من ذهب اليها من بني اسرائيل فعلا لا وزن لهم من الناحية العددية او السياسية او العسكرية ، اكثر من اعطاء « الديكور » المطلوب ، بينما الاستيطان الخزري هو الحقيقة الاساسية . وباعادة تمثيل التوراة ، على يد تلك الفرقة الخزرية المدججة بالسلاح ، قد يكون من بين ضحاياهم الفلسطينيين او سواهم من العرب ، سليل حقيقي لاسرائيل النبي ، ثم اعتنق اجداده الديانة المسيحية او الاسلام في عصور لاحقة ! وهكذا يوضع العلم والتكنولوجيا المتفوقة في خدمة خرافات لاتقوم على اساس من الحقيقة او التاريخ بل تعاديهما . لذلك لم يكن من المستغرب ان بعض ذوي النيات الطيبة وهم حوالي اربعين الف يهودي « اشكنازيم » يعيشون في القدس العتيقة من قديم ، وجاءوا اليها بدافع الصهيونية الدينية وليس السياسية ، ويطلقون على انفسهم جماعة « نيوتوري كارتا » ، هذه الجماعة لا تزال حتى الان ترفض الاعتراف بدولة اسرائيل بل ترى في اقامتها على هذه الصورة ، وبمثل تلك الاساليب ، كفرا واساءة في حق الرب !! ●

أحزان الفلسطيني

شعر : حسين أحمد



وهبت ريح ملعونة
تشتتنا بارض الله من بلد الى بلد
وانياب اليهود تغوص فى دمنا
تشتتنا وضاعت ارض اجدادى
وعاشت فى نسيج القلب كالسكين
واضحى القلب مشطورا ومقهورا
وملتئما على وطنى
وعاش الجسم مغتربا
وظل القلب فى قدسى

***

جراح الارض تسكننى
وبيت الاهل والاجداد فى وطنى يطاردنى
بليل الحزن يسلبنى بريق النوم والراحة
واشجار من الزيتون والليمون فى يافا
وفى حيفا تطاردنى
وتسلبنى بريق النوم والراحة
بلاد الله اشقتنى كما الزمن
فلا راحة ، ولا واحة ، ولا درب الى سكنى

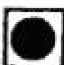
وشمس اشرقت يوما على حقلى قد انطفات
وعاشت فى نسيج القلب احلاما
واقمار بليل رائق صاف
واعناب على بيتى
ولبلاب بنافذتى وعصفور بصفصافى
واحباب قد افترقوا
وعاشوا فى نسيج القلب ايلاما
فاضحى العمر اشواكا واظلاما
ولكنى زرعت الفجر فى قلبى
واغصانا من الزيتون انسام من القدس

***

واحكى عن صباح سوف ياتينا
سيولد الف الف من دماء قد نزفناها
ومن سرب الحمام
ومن سرب الغمام جنود
ومن ريح الظلام سهام
ومن ليل الفنـاء وجود

عصر ذهبي جديد للكوميديا الموسيقية في السينما

بقلم : عبد المنعم حلمي



الى أعوام قليلة كانت الارض قد انشقت تماما تحت اقدام الفيلم الموسيقى الغنائى الراقص فى امريكا .. كانت هوليود من منتصف الستينات الى منتصف السبعينات قد افلست وتركت مجال الانتاج للتليفزيون، وتحولت كل ستوديوهاتها الى الانتاج التليفزيونى ذى العائد المادى المضمون ، بل وتركت نجومها الكبار مثل شيرلى ماكلين وجيمس ستيوارت وغيرهم « لقمة سائغة للتليفزيون .. واصبحت امجاد الفيلم الموسيقى الغنائى الاستعراضى ، مجرد ذكريات يتحدث عنها نقاد السينما بين الحين والحين .. اصبحت الافلام مثل « جنوب الباسفيك » و « صوت الموسيقى » و « سيدتى الجميلة » و « قصة الحى الغربى » ذكريات عزيزة على نفوس جمهرة من رواد السينما فى امريكا .. تسترجعها فى مجال الحديث عن الفخامة والضخامة الانتاجية لافلام كانت ميزانيات انتاجها تزيد على الثلاثين مليون دولار فى وقت لم يكن التضخم المالى فى امريكا قد بلغ مداه وضاعف من قيمة هذه الميزانيات خمسة اضعاف على الاقل .. بل ان بعض شركات هوليود ، كانت مازال تعيش على ريع هذه الافلام من توزيع نسخها او بيعها للتليفزيون او طبع نسخ منها على «الفيديو كاسيت » .

محاولة لاحياء الفيلم الاستعراضى

على ان هوليود لم تلبث ان استردت انفاسها ، وفتحت خزائنها لكى تكتظ بارباح طائلة من المسلسلات الروائية الفيلمية للتليفزيون التى قصرت استديوهاتها الشهيرة نشاطها فى ايام « الفقر » على انتاجها مثل « رجل بستة ملايين دولار » و « المرأة الخارقة » و « حرب الكواكب » و « الرجل الاخضر » ، ومن هنا بدات محاولة جديدة لاحياء الفيلم الغنائى الموسيقى الراقص .. خاصة وقد اتاح التليفزيون ظهور نجوم جدد مثل « جون ترافولتا » وأوليفيا نيوتن جون وعلى ملمس ، وبنوع



عصر ذهبي جديد للكوميديا الموسيقية في السينما

برناديت بيترز في «هبة السماء» نجمة استعراض جديدة ومعها كرستوفر والكن كمؤلف استعراضي





من الحظر ، جربت هوليود أن تنتج فيلما موسيقيا استعراضيا راقصا حمل اسم « حمى ليلة السبت » جمع بين ترافولتا واوليفيانيوتين جون .. وكانت النتائج .. تتابع شباك التذاكر والاقبال على الفيلم والنجاح العالمي للفيلم ونجومه شيئا مذهلا أعاد الى هوليود وعمليائها السينمائية ثقتها بامكان رواج الفيلم الموسيقي الغنائي الراقص ، خاصة وقد اتجهت دول أخرى منتجة للسينما - أقل أهمية ومكانة من امريكا - الى انتاج هذه النوعية من الافلام فانتجت البرازيل فيلم « وداعا برازيل » وانتجت كندا « فانتستيكا » وقد قدر لهذين الفيلمين ان يعرضا في مهرجان كان السينمائي الدولي عام ١٩٨٠ في منافسة مع الفيلم الامريكي الغنائي الراقص « كل هذه الموسيقى » الذي كان فوزه بجائزة احسن فيلم في المهرجان هو علامة استرداد هوليود للثقة الكاملة بالفيلم الاستعراضي ، وعودتها بكل ثقة وكل ثقل الى انتاجه والاعتماد عليه .

جائزة احسن ممثلة لراقصة

في نوفمبر الماضي ، حدثت دلالة خطيرة على بدء عودة العصر الذهبي للفيلم الغنائي الموسيقي الراقص في هوليود .. فقد اجتمعت رابطة نقاد السينما في نيويورك لكي تعطي جوائزها السنوية لاحسن فيلم واحسن ممثل واحسن ممثلة واحسن مخرج ، واهمية هذه الجوائز تجيء في انها تسبق توزيع جوائز الاوسكار وتعتبر عادة مؤشرا حقيقيا على اتجاه الريح في توزيع جوائز الاوسكار كل عام .. وحدث في نوفمبر الماضي كما قلت ان اعطيت جائزة احسن ممثلة في العام لنجمة استعراضية جديدة هي برناديت بيترز بطلة الفيلم الموسيقي الغنائي الراقص « هبة من السماء » وقد ظهرت في هذا الفيلم مدرسة تحب موسيقيا يؤلف الاغاني والاستعراضات الراقصة ويتصور أن الحياة يمكن ان تكون جميلة زاهية ، تماما مثل الاستعراضات التي يقدمها ، والتي تلاحقه في احلام يقظته منذ فشل زواجه ، ويروح يبحث عن هذه الاحلام في الواقع اليومي .. وكان يردد دائما القول : «اريد أن اعيش في عالم تتحول فيه الاغاني الى واقع» .. وعندما يلتقي آرثر باركر « ستيف مارتن » هذا الموسيقي الحالم بالفتاة ايلين « برناديت بيترز » يجد المرح والحب بين احضانها، وتحاول في خجل ان تنهي اليه انها تنتظر مولودا فيهرب منها ويظلها فتهرب الى المدينة حيث تقع بين براثن توم «كريستوفر والكن » الذي يحولها الى فتاة تذرع الطرقات ويدفعها الى الهاوية .. وعندما يعود آرثر الى ايلين مرة ثانية ، يصبح عليهما أن يهربا من الواقع الجديد فقد اتهم آرثر بقتل فتاة عمياء ، وعلى الرغم من براءته فقد حوكم وادين وشنق فعلا . لكن لانه يؤمن بأن الحياة يجب أن تكون كالخيال الذي يصوره في اغانيه واستعراضاته الموسيقية ، فهو يعود لكي ينتهي الفيلم نهاية سعيدة تجمع بينه وبين ايلين .

تقع القصة في الثلاثينات . وهي كدراما مجرد اطار لمجموعة من الاستعراضات الراقصة والاغاني الموسيقية ، وتجيء كالالبوم الجامع لكل النوعيات الاستعراضية التي اعتادت هوليود ان تحرص على تقديمها في الاربعينات والخمسينات والتي خلقت نجوما مثل جنجر روجرز وبيتي جرابل وبيتي هاتون وريتا هيوارث واستر وليامز وماريلين مونرو وديك هايمز وجاك هايمز وفرانك سيناترا وفرد استير وجين كيلي والفيس بريسلي .

في فيلم « هبة السماء » تغنى برناديت بيترز وترقص لتفوز بجائزة نقاد السينما التى ترشحها للاوسكار



تومى تون .. يقولون انه يكـــرر اسطورة جين كيلى كمخرج استعراضى

اوبرا فاجنر الموسيقية بارسيفال
نقلها سايبر بيرج للسينما





جيل جديد من نجوم الاستعراض

ان هوليود لا تتوقف الآن عن خلق جيل جديد من نجوم الرقص والغناء الاستعراضي لكي تتمكن من اعادة العصر الذهبي لما تعورف على تسميته «الكوميديا الموسيقية» وهي تختلف بالطبع عن افلام البوب والجاز التي تعتمد على فن نجم مثل ألفيس بريسلي أو جون ترافولتا ..

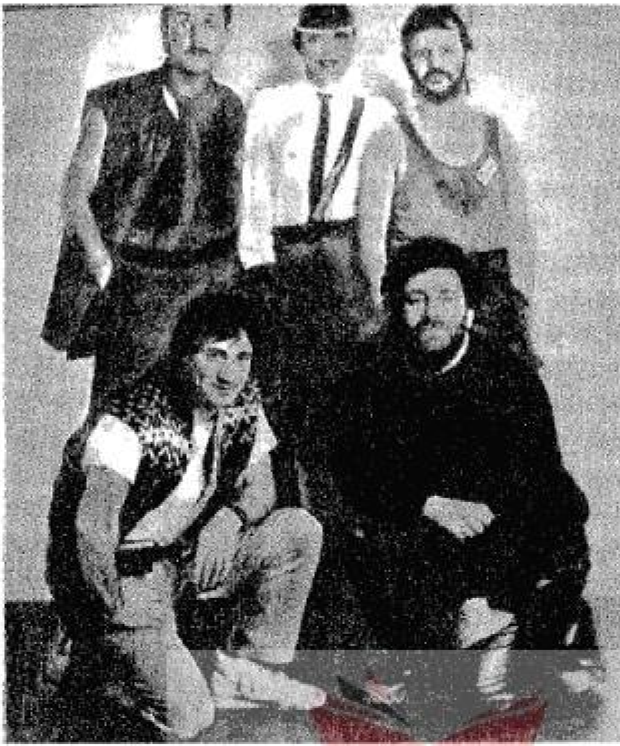
وفي فيلم « هبة من السماء » باقة من جيل جديد موهوب يجيء اليوم في مقدمة اهتمامات هوليود لكنه بالتأكيد لم ينبت من فراغ .. اذ نجد ستيف مارتن .الممثل الكوميدي المطرب الذي يكتب « نمره » واستعراضاته واغانيه ، يتمتع بشهرة تليفزيونية عريضة من خلال برنامجين استعراضيين هما « الاستعراض اللامع » و « حياة ليلة السبت » .. وقد ولد ستيف في « واكو » وانتقلت اسرته الى جنوب كاليفورنيا وهو في الخامسة ، وفي صباه كان يبيع النشرات السياحية في المتنزهات بعالم الفرايوم ويستعرض براعته في اعمال الحواة .. والتحق بجامعة كاليفورنيا ثم انتقل منها الى جامعة « اوكلا » وخلال دراسته الجامعية تمتع بشهرة عريضة كممثل كوميدي وكمطرب ، وعمل في كل النوادي الليلية المعروفة في كاليفورنيا . وكان من الطبيعي أن يلقى شعبية واسعة في التليفزيون وله كتاب تحت عنوان « الاستعراضات الحية » اعتبرته جريدة « نيويورك تايمز » أعظم الكتب رواجا .

وبرناديت بيترز . لم تلتفت اليها هوليود الا بعد نجاح متصل على مسارح برودواى . وقد ولدت في كوينز بولاية نيويورك ، وبدأت ترقص وهي في الثامنة في برنامجين تليفزيونيين هما « القرن » و « ساعة الاطفال » وكان اول ادوارها المسرحية في نيويورك كممثلة في مسرحية « أسعد رجل في العالم » وفي سن الثالثة عشرة قضت ثمانية شهور تتنقل بين مدن ولايات امريكا كنجمة في مسرحية « غجرية » . وكان دور البطولة في مسرحية « نساء في البحر » التي قدمتها في برودواى عام ١٩٦٩ هو الخطوة الاولى الى النجومية ، ورشحت مرتين لجائزة « توني » « اوسكار المسرح الامريكي » قبل أن تنتقل الى السينما لكي تمثل ثلاثة افلام متتابعة امام كريس كريستوفرسن وكليف روبرتسون ورودستيجر .. وفي موسم ٧٦ ــ ٧٧ التليفزيوني قفزت الى القمة امام ريتشارد كاريتا في البرنامج التليفزيوني « معرض للجميع » واصبحت وجها بارزا في كل البرامج الموسيقية الاستعراضية في التليفزيون ، بل وتغني بلا انقطاع في اشهر النوادي الليلية التي تشتهر بالاستعراضات الغنائية في المواسم الامريكية .

دون جوان وأوبرا فاجنر

وعلى الجانب الاخر .. في السينما الاوربية ، لم تتوقف محاولات منافسة الفيلم الاستعراضي الذي تجيد هوليود صناعته وتعتمد فيه على الابهار الضخم في الاستعراضات الموسيقية الراقصة مستخدمة حرفية آلية ومعتمدة على البذخ الضخم في الانفاق على هذا النوع من الافلام .. حاول المخرج الايطالي فيدريكو فيلليني منذ ثلاثة اعوام ان يقدم استعراضا على الطريقة الهوليودية في فيلمه « مدينة النساء » لكنه كان يسخر من هوليود وهو يجعل بطله ماستروياني يحلم بانه نجم تهالت عليه النساء وتقاتلن وهن تلتف به في جلاء يصورون فيه فيلما راقصا .

عصر ذهبي جديد للكوميديا الموسيقية في السينما



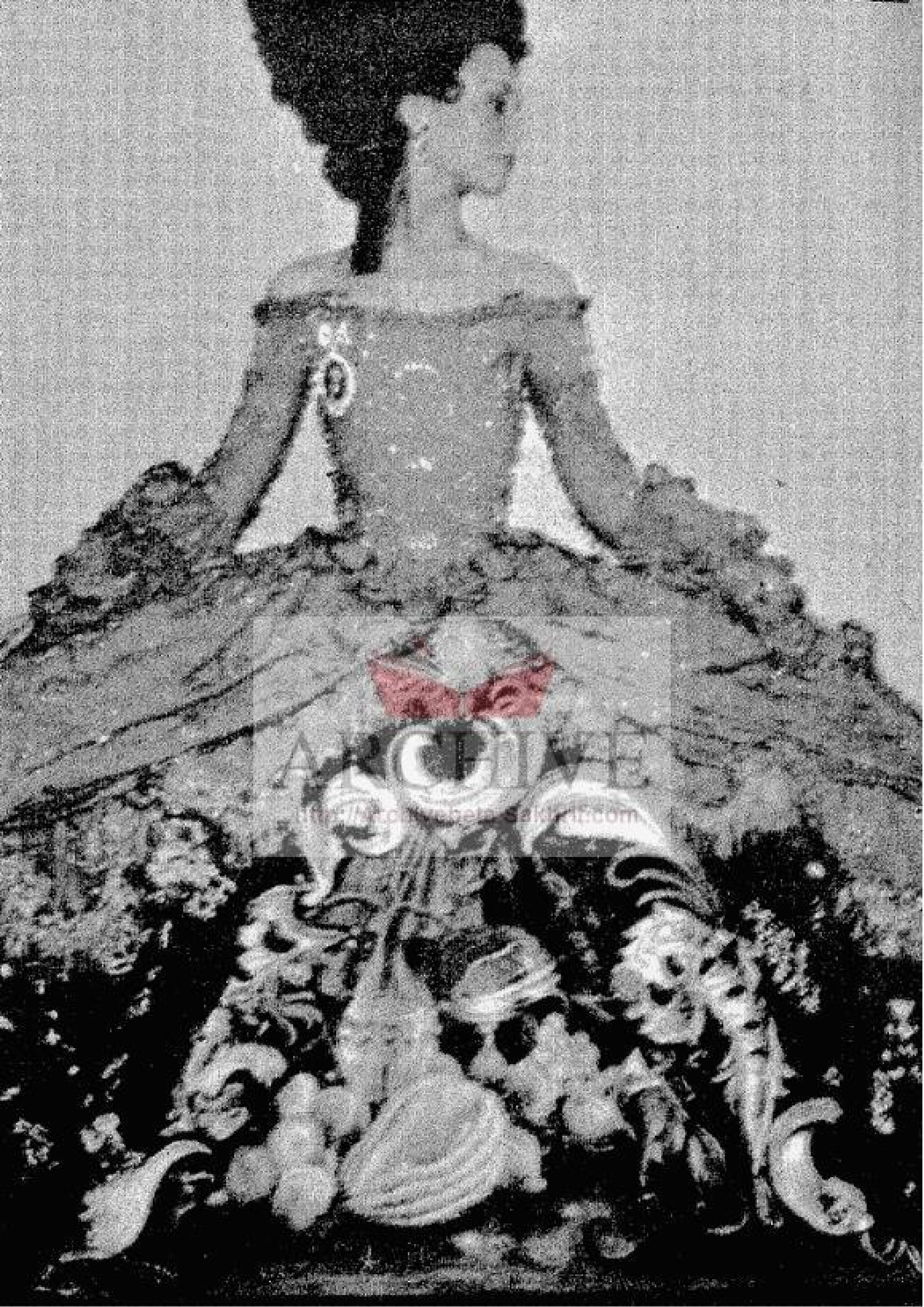
نجوم الفيلم الغنائي الاستعراضي القصير « الزنزانة » الذي يقدم اغنية للمغني رنجو ستار · ولقطة « الليساو » في فيلم « ٩ »

وكانت محاولة المخرج الانجليزي جوزيف لوزاي اكثر جدية عندما اختار اوبرا « دون جوان » لكي يقدمها في فيلم .. وشهدت في هذا العام ، في مهرجان كان محاولة للمخرج الالماني هـ · ج · سايبربرج وقد اختار اوبرا موسيقية للموسيقار ريتشارد فاجنر هي « بارسيفال » لينقلها الى الشاشة .. وفي نفس الوقت اشتركت بريطانيا رسميا في مهـــرجان كان بفيلم غنائي استعراضي قصير اخرجه كيفن جودلى ولول كريم مدته ٢٠ دقيقة باسم « الزنزانة » .. كان فيلما يعبر عن اغنية مشهورة للمطرب رنجوستار ، الذى ظهر بطلا للفيـــلم ، وشاركته البطولة الممثـــلة بربارا باخ ومعهما بول وليندا ماكارتيني ·

«٩» سخرية راقصة من فيلليني

وفي هوليود الآن يعمـــل تومي تون في اخراج كوميديا موســـيقية راقصة اطلق عليها اسم « ٩ » وهي محاولة لاعادة تناول فيلمي المخـــرج الايطالي الكبير فيلليني « ٨½ » وبجو قريب من جو فيلم فيلليني الاخر « كازانوفا » .. ولكنه تناول ساخر مضحك . اذ ان فيلم « ٩ » يحكى لنا عن مخرج ايطالي - المقصود هنا هو فيلليني طبعا - يحكى عن تجـــاربه ومغـــامراته وحكاياته ، من خلال الاغاني والرقصات .. يحكى اسرار احدى وعشرين امراة .. كل منهن تختلف تماما عن الاخرى ·

وتومي تون - المولود في تكســـاس - اشتهر كمخـــرج برائعتين موســـيقيتين استعراضيتين هما « البيت الصغير المشبوه في تكساس » و « السحابة التاسعة » .. ودور المخرج يمثله راوّل جوليا ، والادوار الاخرى بالطبع كلها وزعت على النســـاء ، حتى دور المنتجة اعطي لراقصة الفول برجير الباريسية ليليان مونتيفتشي ●



عالم المسرح الالماني

هاينر هولر ... فى مسرحية

"رباعيه"

يجدد الماركيز دى ساد



لم يزل « الماركيز دي ساد » الفرنسي الذي عاش في منتصف القرن التاسع عشر ولم تزل كتاباته وتحليلاته للنفس البشرية ومآقيها من نزوع الى القسوة والمبالغة في ارواء النزوات والنزعات الدنيا في الانسان تلقي ظلالها الكثيفة على الكثير من الاعمال الادبية والفنية خاصة في المسرح المعاصر - ولهذا السبب لم يكن غريبا ان يكون الحدث المسرحي الرئيسي في المانيا الشرقية اوائل الغربية بعدها هو مسرحية ماخوذة عن مذكرات دي ساد « والسادية » والاستمتاع بتعذيب النساء واهدار بشريتهن وانسانيتهن من جانب ، والاستمتاع بتعذيب النفس على ايدي الرجال بوسائل القهر والايلام الى حد الضرب والجلد والتقييد بسيور من الجلد على ايدي النساء .

على ان المخرج الالماني الشرقي هاينر موللر يلتقط « الماركيز دي ساد » لكي يسبغ عليه مدلولا سياسيا عصريا في المسرحية التي اخرجها في مدينة « بوخم » تحت اسم « رباعية » .. والسؤال الذي

عالم المسرح الألماني

يمكن أن يوضع كأساس للبحث في فلسفة تجديد « دي ساد » أو تمصيره وربطه الى اهاب العصر : هل يمكن ان تكون تعليلات دي ساد وتحليلاته النفسية والبشرية والجسدية اساسا لما يحدث اليوم في عالم مضطرب يحكمه الارهاب العصرى وتتلاطم فيه وتتناحر قوى تسعى الى السيطرة على مقدرات الانسانية جمعاء .. قوى سياسية مختلفة ومتضادة في اهدافها ، وتستغل كل ماهو متاح من مقدرات الانسان لكي تنفذ هذه الاهداف .. المضمون الواضح الذى يريده هاينر موللر في مسرحيته «رباعية» هو ما يحدث تحت « الجلد » .. جلد البشرية ، وليس فقط جلد الانسان .. وفي الحوار « المستفز » في هذه المسرحية وفي تبرير تصرفات أبطاله السلوكية ، في متراكمات دي ساد الموروثة عنه تتطاير عبارات « المخابرات المركزية الامريكية » « ومخابرات الروس » وصراعات الاحلاف مثل « شمال الاطلنطي » و «وارسو » .. وتتردد أيضا الاشارات الى الجماعات الارهابية التى تمارس العنف في أوروبا وغيرها من قارات العالم ..

وتبلغ مسرحية « رباعية » قمة الذروة ، في ذلك المشهد الذى يستلقي فيه البطل نصف استلقاء على خشبة المسرح ، وامرأتان تشدانه بالسيور الجلدية في قيد يلف جسده تقيدانه .. وهو لايعاني من هذا القيد ، بل هو كما تقول احداث المسرحية قد سعى اليه ، مدفوعا بالمرض الانساني والنفسي الذى يجعله عبدا لهذه الصورة من تحقيق الرغبات الخفية عنده .. لايعاني من القيد ، لكنه يستعذبه ففي ذات اللحظة التى تدور السيور الجلدية حول جسده في قسوة عارمة ، تهوم في ذهنه الاحلام الناعمة الوردية ، فيرتاد آفاقا خيالية .. يحلم بالعروس في ثياب بيضاء ملائكية ويحلم بالرؤى والخيالات الجميلة التى تهفو اليها رجولته وتتوق اليها انسانيته .. مما لايتناسب مع ذلك الموقف الارضي المنحط ، عندما يسقط ذات البطل على ركبتيه أمام امرأة تستعبده رؤيتها في ثوب معين أو لفتة سريعة من ساقها العارية

ان هاينر موللر ... يقول بوضوح .. من خلال رؤيته الدرامية في تمصير « دي ساد » ان العالم يرتد الى الوراء فصعود الانسان الى القمر وارتياده الفضاء ليس الا ارتدادا الى عصر الكشوفات والغزو في نهاية القرن السابع عشر .. عندما ارتحلت قوافل المستكشفين مثل ماركوبولو وكولومبس وماجلان لتكتشف عوالم قديمة جديدة ، ويكون هذا سببا في الحروب والارهاب والاستغلال والقهر « والسادية » للانسان ●

عبد النور خليل



هذا الموقف ليس غريبا على مذكرات « دي ساد » لكن موللر يفسره تفسيرا عصريا الموقف بين فريتز شديدي وليجارد شوارتز ..

الراحل بين المداخل المزدوجة

شعر: رمضان الصباغ



خرجت من مدينتي المتجهه
أبحث عن منجم الطفولة
وعن بلابل تغنى في انتشاء
ركبت في تلهفي جوادي الاصيل
سخرت من ظواهر القنوط والافول
لانني أردت أن أكون فاتحا
أردت أن اعــود
وفي يدى باقة الورود
أردت أن أكون مانحا
فأحمل البشاره
أكون بادئا
تفجر الشراره
فيخرج النيام من وكورهم وترجع الطهاره

●●●

دخلت في المدينة الجديده
وفي دمي ترقص رغبتي الوليده
وفي عظامي
تراشقت مقاطع القصيده

●●●

الصخرة السوداء فوق الدرب
والعاشق المهموم
يركب الرياح --
يعزف النشيد
والقمر الاسود في عينيه قد تمت بلور
فأكلت في وجهه المراءه
نامت بجسمه العليل ميدان الهزيمه
فأكلت ايقاعه المعجون بالنيران والحليب
وتركت فؤاده بلا وجيب



واستخلصت من دمه رائحة الحناء
والعاشق المهموم
يركب الرياح
يعزف النشيد
والصخرة السوداء
تحجب الضياء
تغلق الطريق
والفارس المغوار
بسيفه البتار ..
يعبر الفلاه
والشبح الضائع فى عينيه تورق الدماء
تحيل غيلانا ، وغربانا ، وبوم
والعاشق المهموم ..
لا يسقط ..
او يقوم ..

●●●

لا تعصر الاحزان
فى زمن الجدب الكئيب والكهوله
لا تحفر الجدران
تبحث عن براءة وعن طفوله
فالزيف فى الدماء

●●●

أمضغ طين الارض ، أشرب النزيف
أبكى على الرصيف
والنار فى الضلوع ، والاسفلت يقطـــر الــدماء
أضيع فى مداخل الليل ، وفى مخارج النهار
يرسم وجهى للعـــار
يصرخ فى صمتى البرىء :
كيف قبلت أيها المجرح المجىء .. ؟

في أغطس الماضي
.. بحرية الإرادة
وحرية الاختيار
وبإدراك حقائق الدين
وواقع الدنيا

أكثر من
٤٠٪

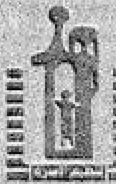
من الزوجات المصريات
اللواتي في سن الإنجاب
يمارسن تنظيم الأسرة

● هذه النسبة اثبتتها دراسة أخيرة قام بها الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء والهيئة العامة للاستعلامات وكانت دلالة على الارتفاع الملحوظ في الوعي بما يمثله تنظيم الأسرة من معنى يحتمه علينا الخلل الخطير بين معدل الزيادة الهائلة في اعداد السكان وبين معدلات التنمية.

العالم كله... باغنيائه قبل فقرائه
يمارس عملية تنظيم الاسرة لوقف الانفجار
الطاقي الزاحف على الكون.

● في بعض الدول الغنية مثل بلجيكا وصلت النسبة بين السيدات في سن الانجاب
ويستخدمن وسائل منع الحمل ٨٧٪، تشيكوسلوفاكيا ٩٥٪ في فرنسا ٧٩٪
وفي ايطاليا ٧٨٪، في انجلترا ٨٦٪، في امريكا ٧٠٪
● وفي بعض الدول الفقيرة وصلت النسبة في بنجلاديش ٨٪، في نيبال ٢٪، باكستان ٥٪، وفي سريلانكا ٣٢٪

بحرية الارادة... وحرية الاختيار
كل أهدافنا ستتحقق
بتنظيم الأسرة



توجهوا الى... أقرب وحدة أو مركز لتنظيم الأسرة أو عيادة أو صيدلية لتحصلوا على المعلومات والارشادات مجاناً.
مع تحيات الهيئة العامة للاستعلامات
مركز الاعلام والتعليم والاتصال

قوس قزح

للشاعر الانجليزي : ورد زورث
ترجمة : عامر محمد بحيري



يخفق القلب ... إذا ما بصري
في السما .. أبصر قوس المطر
هكذا أعهده منذ الصبا
مثلما أشهده في كبري ...

***

أودعوني أعتنق فيه الردى
إنما الطفل .. أب للرجل !
ليت أيام حياتي ارتبطت
بصلاحي .. في رباط الأجل

أنا ييس نين :
من أعلام الأدب العالمي المعاصر

إمرأة تكتب .. على المكشوف !

بقلم محمود قاسم

من هي انثى القرن العشرين ؟! .. هناك العديد من النساء ظهرن على الشاشة ، او رقصن فوق المسارح وفي الصالات .. أو عبرن عن مشاعرهن الفياضة نثرا وشعرا .. هناك مارلين مونرو وجريتا جاربو وهيدي لامار .. وايزادورا دنكان وبوديرك .. لكن الادباء يجمعون أن انايس نين هي « جوهرة » كل النساء اللاتي عرفهن القرن العشرون ، قال احدهم انها الفكر الانثوي الذي يلمع في محلات الازياء ، وانها ذات طبيعة هشة لم تتمتع بها امراة اخرى من قبل .. ولها نرجسية نرسيس وانوثة كل نساء الارض قاطبة .

وانايس هي اشهر كاتبة امريكية في القرن العشرين .. هي اشهر من جرترود شتاين وجويس كارول اوتس واريكا جونج .. بالرغم انها لم تكتب سوى مجموعة قليلة من الروايات .. لكنها اشتهرت وذاع صيتها من خلال « يوميات » نشرتها في مجموعة أجزاء هي سبعة باللغة الفرنسية .. واربعة عشر جزءا باللغة الانجليزية .

في هذه اليوميات تتحدث امراة عن نفسها بصورة لم يفعلها احد في يومياته حتى « روسو » و « كازانوفا » تغلغلت داخل كل العالم الذي تعيشه .. صادقت الادباء ورجال الفكر والسياسة .. ارتبطت فكريا بالكثير من مشاهير عصرها .. كتبت عن خباياهم وعن علاقتها ببعضهم .. وجاءت كتاباتها صادقة اشد ما يكون الصدق .. وكتبت دون أن تضع اية حدود لقلمها .. فجاءت رواياتها ويومياتها اكثر جراة مما كتب صديقها الحميم هنري ميللر .. واعتبرت اكثر الكتاب اباحية سواء بين النساء والرجال .

ولدت انايس في ٢١ يناير عام ١٩٠٣ في احدى ضواحي مدينة باريس من اب اسباني يعمل عازفا للبيانو والذي عاش مرحلة من حياته مع زوجته الكوبية روزا كولمل . وعن ابيها تتكلم في يومياتها : « طيلة حياتي احاول الا اتقلد بابي . وربما لانني كنت احبه اكثر مما يجب . لكنه كان رجلا يحب المظاهر والتباهي وسط المجتمعات التي يعيش فيها .. اما انا فلا ابحث سوى عن القيم الحقيقية للاشياء » .

وفي سن التاسعة انفصل الابوان .. فعاشت الى جانب امها التي رافقتها فيما بعد الى الولايات المتحدة وبصحبتهما شقيقاها



انابيس نين

الصغيران .. وفي السادسة عشرة عملت كعارضة للازياء .. ثم تعلمت الرقص الاسبانى من امها كي تقوم بالرقص في بعض الصالات وذلك هروبا من عمل المنزل الملىء بالاثاث الذى تحكمه امها .

فى تلك السنوات المبكرة بدات انابيس فى كتابة بعض القصص القصيرة والحكايات والمقالات وتنشرها فى المجلات الامريكية . وكانت تعيش فى منزل فخم دهنت كل حجرة من حجراته بلون مختلف .. تقول ان الاحمر من اجل الاحساس بالثورة .. والتركواز للاحلام .. والرمادى للعمل .. وانها تؤمن باختلاف الالوان فى حياتها حتى بعد ان تزوجت .. فقامت بدهن غرف منزلها الجديد ايضا بنفس الالوان المتقاربة ..

تزوجت انابيس وهي فى العشرين من عمرها من موظف باحد البنوك يدعى هوج جويلر . وعاشت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى اوروبا .. حيث كتبت اول كتبها . وبدات تصادق مجموعات من الفنانين والادباء القادمين من الولايات المتحدة الى اوروبا .. ولكن عندما بدات الحرب عادت مرة ثانية الى بلادها وبدات تعمل محررة فى العديد من المجلات المصورة التى كان يساعد زوجها فى عملية اخراجها ..

وقد عاشت انابيس اكثر سنوات حياتها الاخيرة وحيدة حيث اقامت فى المكسيك ونيويورك وبدات تكتب يومياتها التى اعتبرها هنرى ميللر اكثر صدقا من اعترافات « روسو » و « سان اجوستين » .. وقد ظلت تكتب يومياتها حتى وافتها المنية فى يناير عام ١٩٧٧ .

ومن اهم الكتب التى قامت بتاليفها هناك « تحت رنين الجرس » و « زعيم النيران » و « جاسوس فى منزل الحب » و « رؤية المستقبل » .. وعن ادبها يقول الناقد الفرنسى جان شالو ان « رواياتها مثل « مرايا فى الحديقة» او «جاسوس فى منزل الحب » قد رفضها الناشرون فى اول الامر لانها كانت اعمالا تتسم بالشاعرية المرهفة للغاية . هذا الاحباط دفعها ان تكتب الرسائل تلو الرسائل حتى استطاعت ان تنشر رواياتها » ..

اما عن « يوميات » فقد تناولت فيها حياتها التى عاشتها .. وتحدثت عن الناس الذين عرفتهم فى مختلف المجالات والميادين .. وسوف نتناولها من خلال الاجزاء الخمسة التى نشرت باللغة الفرنسية عن سلسلة « كتاب الجيب » . فى الجزء الاول تتناول مرحلة حياتها الاولى منذ ان بلغت الحادية عشرة من عمرها فى عام ١٩١٤ وحتى عام ١٩١٩ . تتحدث عن طفولتها قائلة « انا ما يسمونه البعض فجة . فانا انسانة لا جدوى منها . واعرف انى كريهة . واتساءل . لماذا اعيش ؟ » .. وتقول « كنت اود الا يعرفنى احد . اود ان اعيش حياة معزولة وحيدة . كم ارغب فى ان احيا مثل هذه النفوس التى تتسم السلام . واجد المتعة فى ان تكون وحيدة . فى احدى رواياتى اظهرت متعة هذه الحياة



انابيس نين

اكثر مما يتصور الناس . لماذا ؟ لان الناس مصابون بالمرض . وهم دائما مرضى بفقدان البصيرة » .

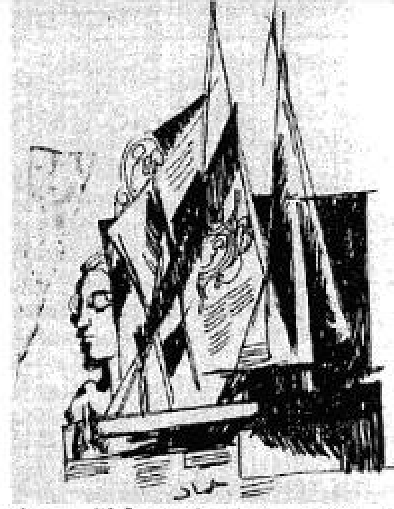
وتتحدث انابيس بتفاصيل دقيقة عن طفولتها من خلال يوميات عاشتها .. وليس حديثها اشبه بحديث آن فرانك ولكنه حديث امراة تختلف : « آه يا ابي . متى ستأتي . متى سيمكنني ان اقبلك كابنتك » . و « ليس الطلاق وحده هو الذي يجعل الاطفال تعساء .. ولكنه ذلك الجو الذي يعيشه الاطفال » .

اما الجزء الثاني من اليوميات فيتناول فترة حياتها التي عاشتها منذ عام ١٩٢٠ وحتى بداية الحرب العالمية الثانية . وعلاقتها بعالم السينما حيث بدأت تعمل ككاتبة سيناريو لبعض الافلام . وتتحدث عن باريس ابان تلك السنوات والشخصيات التي تعرفت عليهم واصبحوا اصدقاءها مثل لورانس داريل وهنري ميللر وانطونين ارتو ..

اما الجزء الثالث فيتناول حياتها من عام ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٤ . خلال سنوات الحرب .. كانت انابيس تعيش في نيويورك ثم انتقلت الى قرية جرينيتش حيث تعرفت على مجموعة جديدة من الشعراء والكتاب والرسامين لعل ابرزهم سلفادور دالي وادموند ويلسون .. وقد دفعتها هذه الصداقات ان تزيد من التصاقها بعالم الفن .. وقد نشرت الكاتبة في هذا الجزء من اليوميات مجموعة من الرسائل المتبادلة بينها وبين هنري ميللر وعن الظروف التي مرت بها قبل نشر رواية « تحت رنين الجرس » التي نشرتها عام ١٩٤٤ . وتقول: « كي تفهم قصصي فعليك ان تقدمها في اطار من ضوء عصرها .. فهي قد كتبت قبل الحرب . وانا احكيها كانني اروي قصص الجنيات للكبار . والاعمال الخيالية لا تعني انني اسبح في بحر دون هدف » .

« عليك ان تعتبرني كاتبة تعيش في محنة اسمها الكتابة . ومثلما يمثل التاريخ للكاتب بانه دائما في حركة . فانني لست سوى امراة تعيش داخل العالم الذي تصنعه » .

اما الجزء الذي نشرته عن الفترة بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٧ ففيه تتناول حياتها في قرية جرينتش حيث تعرفت بمجموعة



من الفنانين والكتاب الشبان أمثال جرومان كابوت وريتشارد رايت وآخرين أقل شهرة .. وتتحدث بدقة شديدة عن عالم الفنانين في الولايات المتحدة ابان الاربعينات ثم عن رحيلها الى المكسيك لعدة سنوات ..

وانابيس لا تعتبر ان سنوات حياتها بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٥ فترة ثرية . ولكنها تؤكد انها قد تحررت من سلطة والديها وبعض اصدقائها وبدأت تجرب حياة جديدة . فلا مانع ان تتناول عقار الهلوسة (ل س د) وهي تجربة لم تكررها بعد ذلك قط . لانها ترى ان الكتابة سحر أروع من كل ما تسببه أشد أنواع العقارات تخديرا .. بل وكل أنواع المخدرات التي ليست هي في أية حاجة اليها

ولانابيس ثمن كتاب بعنوان « فينيسيا اباحية » تقول فيه « لقد بدأت احس انني امرأة « برانية » وكاذبة . ولا احقق دائما ما افكر فيه سوى انه شيء ملح أشبه بملامح الكاريكاتور الجنسي . لكن هذا لا يجعلني احتج قط .. فقد قضيت اياما اقرأ - في المكتبات - لدراسة مذهب الكاما سمعت عن مغامرات اكثر اباحية قام بها اصدقائي » .. وتحكي انابيس بجرأة علاقات بعض من اصدقائها القائمة على الجنس .. » في العديد من الفقرات .. استخدمت لغة امرأة تعرف التقارير الجنسية مثلما تعيشها المرأة .. انها تمثل الجهود الاولى لامرأة تحاول أن تتكلم عن عالم ظل الى سنوات وقرون طويلة محجوزا للرجل .

وبالرغم من ذلك فان انابيس لم ترتبط برجال عديدين مثلما فعل هنرى ميللر حيث تزوج أكثر من خمس مرات من فتيات يصغرنه سنا .. واحيط دائما بالحسناوات في كل مكان .. اما انابيس فانها تتحدث عن الجنس بنفس الاسلوب الذي تتحدث به عن كل شيء في حياتها من خلال ما تكتب فهي في يومياتها تتحدث عن ادق تفاصيل الاشياء .. كيف تأكل .. ؟ كيف تتكلم ؟ كيف تشرب ؟ .. لكنها لم تتحدث عن كيف مارست الحب .. لكن في بعض رواياتها تصف هذه الممارسات بدقة خالية من أى اشمئزاز .. وتقترب من د . هـ لورانس بشاعريته .. فاذا كان ميللر يكتب لها عبارات مفتوحة في خطاباته فانها لا تفعل:

« اسمعي يا انابيس . عندما نرغب . فاننا نود أن نتداعب او أن نداعب بقوة .. حين (زوجته الاولى) وعلينا ان نفعل مالا يفعله الآخرون .. كلمات جريئة لايقولونها .. والفاظ تنفجر في نشواتنا و .. و ... »

لكن انابيس ترد باسلوب رقيق شاعرى تملؤه الانوثة وتثير خيالات الرجال دون ان يمكن لاحد منهم أن يتصور انه الوحيد في هذه الارض .. او انه كل رجال الارض ..

لكن هل يحق للمرأة أن تكتب ادبا اباحيا ..

لا يمكن أن نحكم أن أدب انابيس اباحي .. فهو احاسيس امرأة تحس وتشعر وتعبر عن كل احاسيسها على الورق .. وعلى القارىء أن ينظر الى هذه الاحاسيس بمفهومه الخاص ●

علاقة العروبة بالإسلام

بقلم : د. محمد عمارة



جمال الدين الافغانى

● عندما كانت حضارة امتنا العربية الاسلامية مزدهرة ، تمر عصرها الذهبى ، كانت العروة وثقى والصلة عضوية مابين «العروبة» و «الاسلام»!.

● فالاسلام الدين : هو الذى وحد هوية الاشتات القبلية العربية ، فتوحدوا - من ثم - قوميا ، وغدوا خير امة ، تسلمت زمام قيادة الشرق ، ونهضت باعباء « التحرير » و « التعمير » و « التحضير » !.

● وعندما اهتدت امم غيرعربية الى دين الاسلام ، كان العرب - كافة - هم الطليعة التى نهضت بعبء الهداية الى هذا الدين الجديد .. فظلت لهم مكانة الرائدفى المحيط الاسلامى الكبير .

● والقرآن الكريم - وهو معجزة الاسلام ورسوله ، عليه الصلاة والسلام - قد ارتبطاعجازه بعروبته ، فاقتصر الفقه فيه ، والاجتهاد فى شريعته على الذين بلغوا فى علوم العربية شاوا بعيدا الامر الذى ربط بين «الاسلام» و «العروبة» و «التعريب» برباط وثيق ، حتى وجدنا اماما مثل الشافعى ، محمد بن ادريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م) يقول بعروبة الاسلام والشريعة كليهما !! .. كما قال من بعده الامام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) بعروبة الاسلام والعلم جميعا فى عصر ازدهار حضارتنا العربية الاسلامية !!..

لكن هذه الحقيقة - حقيقة العروة الوثقى بين « العروبة » و « الاسلام » - قد شكك فيها البعض عندما اصاب الضعف حضارتنا ، فتوقفت ، ثم جمدت ، ثم دخلت فى طور الانحطاط ..

ففى ذلك الطور ، الذى مثل فى تاريخنا « العصر المظلم » ، حين ساد سلطان المماليك وتسلط العثمانيين ، انعدمت الرابطة القومية - رابطة العروبة - التى تجمع بين الحاكم والمحكوم ، وظلت رابطة « المعتقد الدينى » هى الجامعة بينهما ، والمبررة ان تحكم امة عربية من قبل الفرسان المماليك والانكشارية العثمانيين !.. فاخلت دعاوى التناقض بين « العروبة » و «الاسلام» فى الظهور ، مستهدفة نفى العامل القومى ، زاعمة رفض « الاسلام » له ، وذلك حتى يامن الحاكم - الغريب عن الامة قوميا - من تاثير هذا العامل القومى فى استنفار الامة كى تنهض فتحرر نفسها وسلطانها من هذا الاستبداد الغريب !..

ولقد ظلت هذه المزاعم سائدة فى الساحة الفكرية ، حتى تلمست امتنا طريقها الى اليقظة والتنوير والاصلاح فى العصر الحديث .. تلك اليقظة التى تمثلت فى الاطروحات الفكرية والممارسات النضالية لتيار

(الجامعة الاسلامية) الذى تبلور من حول جمال الدين الافغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) .. ففى فكر هذا التيار وممارساته عادت العروة وثقى والعلاقة عضوية - مرة اخرى - بين « العروبة » و « الاسلام »!.



وبعض الناس لا يستسيغون القول بان لتيار (الجامعة الاسلامية) موقفا « قوميا عربيا » ، أبصر تميز العرب ، قوميا ، في المحيط الاسلامي الاوسع ، بل وعقد لهم لواء القيادة في هذا المحيط !.. لا يستسيغون هذا القول ، ويتساءلون ، منكرين ومستنكرين: انى يوجد للفكر القومي مكان عند دعاة الجامعة الاسلامية ؟! .. والا يدخل ذلك في باب الجمع بين المتناقضات ؟! ..

لكننا نقول : أن هذا الرأى لا يعدو ان يكون ثمرة من ثمرات النظرة السطحية للامور ، النابعة من الكسل العقلى ، الذى يمنع هؤلاء من فقه الفكر والمواقف التى بلورها تيار « الجامعة الاسلامية» حول هذا الموضوع .



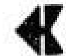
الشيخ محمد عبده

فالافغاني الذى قال : « لقد علمنا ، وعلم العقلاء اجمعون ان المسلمين لا يعرفون لهم جنسية - (اى قومية) - الا في دينهم واعتقادهم».. والذى دعا المسلمين قاطبة الى الاعتصام « بحبال الرابطة الدينية ، التى هى أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربى، والفارسى بالهندى ، والمصرى بالمغربى ، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية » .. هو ذاته الذى يقول : « انه لا سبيل الى تمييز امة عن اخرى الا بلغتها .. والامة العربية هى عرب قبل كل دين ومذهب . وهذا الامر من الوضوح والظهور للعيان بما لا يحتاج معه الى دليل او برهان !.

وفي الوقت الذى مارس فيه الافغاني الدعوة لقيام رابطة(للجامعة الاسلامية) بقيادة السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ - ١٨٤٢ - ١٩١٨ م) لتجمع عالم الاسلام ضد التدخل الاستعمار الاوربي ، كان صوته يعلو بنقد الدولة العثمانية لرفضها الاستعراب وتحويل الترك بواسطة اللغة والحضارة ، الى « جزء من الامة العربية». فكتب عن هذا «الخطأ العثماني القاتل» يقول : « لقد اهمل الاتراك امرا عظيما .. وهو اتخاذ اللسان العربي لسانا للدولة .. والسعى لتعريب الاتراك .. وانما فعلت العكس ، اذ فكرت بتتريك العرب ، وما أسفهها سياسة واسقمه من رأى ؟! .. فكيف يعقل تتريك العرب ، وقد تبارت الاعاجم في الاستعراب وتسابقت ، وكان اللسان العربي لغير المسلمين ، ولم يزل ، من أعز الجامعات واكبر المفاخر ؟! .. انها لو تعربت لانتفت من بين الامتين النعرة القومية ، وزال داعي النفور والانقسام ، وصاروا امة عربية » واحدة !..

والامام محمد عبده ، وهو المهندس الاعظم لمدرسة التجديد الاسلامي ، وروح تيار (الجامعة الاسلامية) هو القائل عن الاسلام، عندما كانت السلطة والدولة في اهله عربية : « كان الاسلام عربيا، ثم لحقه العلم فصار عربيا ، بعد ان كان يونانيا » !..

لكن ... هل هى «المتناقضات» التى يستحيل اتساقها ؟! .. واذا



علاقة العروبة بالإسلام

لم يكن الامر كذلك ، فكيف يستقيم الحديث عن أن المسلمين «لا جنسية لهم الا فى دينهم واعتقادهم» الدينى ، مع الحديث عن ان «الامة العربية هى عرب ، قبل كل دين ومذهب » ، والدعوة الى تعرب الترك ، ليصبحوا جزءا من «الامة العربية » .. بل والحديث عن « الاسلام دينا عربيا » ؟!..

انها ليست « متناقضات » .. بل هى الفكر المتسق ، الذى وازن به تيار (الجامعة الاسلامية) بين « الخصوصية القومية للعرب »، كأمة ، بالمعنى القومى ، فى محيط اسلامى ضم امما تدينت بالاسلام الدين ، وبين « عموم » الرابطة والجامعة الاعتقادية والملية التى جمعت كل من تدين بهذا الدين .. وفى هذه الموازنة تكمن عبقرية هذا التيار فى هذا الميدان !..

فبين « الاقوام المسلمين » رابطة مؤسسة على عقائد الاسلام ، ومتمثلة فى آدابه .. وهى بالنسبة لهم جميعا بمثابة « الجنسية الاسلامية » .. لكن هذه الشعوب الاسلامية تسكن اقاليم متعددة ، وتنتمى الى قوميات تميزها لغات مختلفة ، الامر الذى اثمر تمايزا فى العوائد والاخلاق .. « وتحت هذه المؤثرات ـ الاقليم ، واللغة ، والاخلاق ، والعوائد ـ كما يقول الافغانى ـ تحصل للاقوام ميزة ، وتتأصل فيهم محبة البقاء على مألوفهم ، والذود عنه ، واعتبار من خالفه أنه ليس منهم ، بل هو غيرهم بمعنى الغربة المطلقة ! » .

وهذه « الغربة » القومية ، التى تمثل واقعا قائما فى المحيط الاسلامى ، الذى تجمعه رابطة الاسلام ، هى التى جعلت الافغانى ينبه على أن مطلب تيار (الجامعة الاسلامية) لا يرقى « للوحدة السياسية » للامم الاسلامية ، « فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكنى ارجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فان حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه ! »

فهى رابطة « التضامن الاسلامى ، والنصرة الاسلامية » ، تشد الامم الاسلامية ، التى تقوم وحدة كل منها ، سياسيا ، وتتأسس على رابطتها القومية التى تميزها فى المحيط الاسلامى الاكبر والاوسع .. انها «امة» اسلامية ، و «جنسية» ـ (قومية) ـ اسلامية ، قوامها رابطة الملة والاعتقاد .. وفى محيطها تتميز وتتمايز «أمم» و «قوميات» ، بالمعنى القومى الاخص ، تتأسس على السمات القومية المتميزة فى اطار المحيط الاسلامى الكبير ..

وعند ابن باديس (١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م) وهو امام الجناح المغربى لتيار (الجامعة الاسلامية) ـ نجد وضوحا كاملا فى تصوير العلاقة بين « الامة العربية » ، المتميزة قوميا ، وبين « الامم الاسلامية » غير العربية..

... فالعرب : امة فى القومية .. وفى السياسة .. والوحدة السياسية ، بمعنى وحدة الدولة ، أمر وارد ، بل واجب بين من يتمتعون منهم بالاستقلال عن مناطق نفوذ الاستعمار وسيطرته .. اما الامم التى تجمعها رابطة الملة والاعتقاد الدينى ، دون رابطة العروبة القومية ، فان رابطة الدين تثمر لها وحدة فى النواحى الادبية والاجتماعية ـ دون السياسية ـ ومن ثم دون الدولة الواحدة .. وبعبارة ابن باديس : فنحن « اذا قلنا : العرب ، فاننا نعنى : هذه

الامة الممتدة من المحيط الهندي شرقا الى المحيط الاطلانطيقي غربا، والتى تنطق بالعربية ، وتفخر بها، وتتغذى من تاريخها ، وتحمل مقدارا عظيما من دمها ، وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى اصبحت امة واحدة . هذه الامة تربط بينها ــ زيادة على رابطة اللغة ــ : رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الالم ، ورابطة الامل . فالوحدة القومية والادبية متحقق بينها لا محالة .. وبين الشعوب العربية المستقلة تمكن الوحدة السياسية ، بل وتجب ..

اما المسلمون الذين تتوزعهم عدة قوميات ، فان علاقتهم شاملة لناحيتين :

● ناحية سياسية دولية ..

● وناحية ادبية اجتماعية ..

فاما الناحية السياسية الدولية، فهذه من شان اممهم المستقلة ، واما الناحية الادبية الاجتماعية فهى التى يجب ان تهتم بها كل الامم الاسلامية .. انها مهمة جماعة المسلمين ، وهم اهل العلم والخبرة الذين ينظرون فى مصالح المسلمين الدينية والادبية ..

هكذا وضحت الرؤية ، وتحددت العلاقات ، والتصورات ..


عبد الرحمن الكواكبى

ولقد برىء تيار (الجامعة الاسلامية) من شبهة تاسيس التمايز القومي الأمة العربية فى المحيط الاسلامى على أسس عرقية أو عنصرية .. فالعروبة ، عند اعلام هذا التيار ، مؤسسة على ثمرات التميز فى اللغة ، والاقليم ، والعادات والتقاليد .. وعندهم ان اللغة « لها آداب ، ومن هذه الآداب تحصل ملكة الاخلاق ، وعلى حفظها تكون العصبية ! » ... وللغة « تاثير ــ معنوى ــ علاوة على التاثير المادى ــ يجعلها من اكبر الجوامع التي تجمع الشتات، وتنزل من الامة منزلة اكبر المفاخر» حتى لتصبح طوق النجاة للامة ، تجمع شملها القومي اذا غالتها وحاولت اغتيال وحدتها التجزئة المفروضة على وطنها القومي من قبل الغزاة ! « فكم رأينا دولا اغتصب ملكها الغير ، فحافظت على لسانها ــ (لغتها) ــ محكومة ، وترقبت الفرص ، ونهضت بعد دهر ، فردت ملكها ، وجمعت من ينطق بلسانها اليها ، والفاضل فى ذلك انما هو اللسان قبل سواه ، ولو فقدوا لسانهم لفقدوا تاريخهم ، ونسوا مجدهم ، وظلوا فى الاستعباد الى ما شاء الله ! » ..

واعلام هذا التيار يؤصلون « المعيار اللغوى للعروبة» بحديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم، الذي يقول فيه : « ايها الناس، ان الرب واحد ، والاب واحد . كلكم لادم، وآدم من تراب.وليست العربية باحدكم من اب ولا ام ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

وهم لا يقفون ، فقط ، عند تقرير حقيقة تميز العرب قوميا فى المحيط الاسلامي ، بل ويتبنون الدعوة الى دور قائد للامة العربية فى هذا المحيط !.

● فالافغانى قد دعا الى تعرب الترك ، ليصبحوا جزءا من «الامة العربية » الواحدة !.

● والامام محمد عبده رأى ان عظمة هذه الامة قد تحققت عندما « كان الاسلام عربيا » .. فلما تغلب الجند غير العربي « من الترك والديلم وغيرهم » على الخلافة العربية ، « هناك استعجم الاسلام

وانقلب اعجميا» فكان الانحطاط!.

• والكواكبي (١٢٧٠ – ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ – ١٩٠٢ م) وهو امام الجناح المشرقي لتيار (الجامعة الاسلامية) – يعقد للعرب لواء القيادة في تجديد عالم الاسلام والشرق فيقول : ان « العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية ، بل الكلمة الشرقية .. وهم انسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين ، حيث كان بقية الامم قد اتبعوا هديهم ابتداء ، فلا يأنفوا عن اتباعهم اخيرا » !.

● وابن باديس يرى ان «العرب قد رشحوا لهداية الامة ، وان الامم التي تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام ، وهو لسان العرب ، فينمو عدد الامة العربية بنمو عدد من يتكلم لغتها ، ويهتدون مثلها بهدى الاسلام » .. فالعروة وثقى بين الاسلام والعروبة .. ونمو الاسلام يعني نمو الامة العربية .. ولذلك فان رسول الاسلام ، صلى الله عليه وسلم، كان «الرسول الانسانية .. ورجل القومية العربية ، والامة العربية ، في آن واحد .. نهتدي بهديه ، ونخدم القومية العربية خدمته ، وتوجهها توجيهه ، ونحيا لها ، ونموت عليها .. » كما يقول ابن باديس !..

هكذا تميز موقف تيار (الجامعة الاسلامية) من قضية العروبةوتميز العرب قوميا ، ومن علاقة هذا الكيان القومي العربي بالمحيط الاسلامي .. فاعلام هذا التيار لم يقفوا عند العروبة » رافضين لروابط الملة والاعتقاد الديني – كما صنع « القوميون العلمانيون » – .. ولم ينحازوا الى الرابطة الاسلامية ، زاعمين تناقضها مع التمايز القومي ، الذي هو اخص منها – كما صنع فريق من العاملين في الحقل الاسلامي – ... وانما وازنوا بين الرابطتين ، ودعوا الى دور قائد للامة العربية في المحيط الاسلامي ، سواء في تجديد الدين او في النهضة التي تجدد للعرب والمسلمين دنياهم ، وتعيد لهم استقلالهم الحضاري الذي ميزهم تاريخيا من امم وحضارات اخرى.

كما وازنوا بين « السلفية الدينية» وبين النزوع الى«التمدن» المؤسس على «الثوابت»الاسلامية والتفاعل مع الحضارات الاخرى، من موقع الراشد الرافض للتبعية والتقليد .. وامانهم على تصور هذا التوازن وتحديد معالمه : « عقلانية » رفضت « الجمود » ، وتجاوزت « سلفية البداوة النصوصية » ، فجعلتهم يبصرون في « التمدن الاسلامي » ما يغني هذه الامة عن الذوبان – «بالتغريب» – في حضارة الغزاة !.

فتمثلت في هذا التيار الفكري اكثر محاولات النهضة والتجديد تحقيقا لشروط النهضة ، المؤسسة على الاستقلال الحضاري لهذه الامة ..

وهي « محاولة فكرية » ارتاد ميدانها اعلام تيار (الجامعة الاسلامية) ، فتبلورت في عقل فريق مؤثر من ابناء الامة ، ورسخت معالمها في واقعنا الفكري والعملي .. الامر الذي اعانها على الصمود امام هجمات اهل «الجمود» .. واصحاب « سلفية البداوة النصوصية » .. ودعاة «التغريب» جميعا !! ..

وهي اليوم بانتظار من يطورها، منطلقا من معالمها الرئيسية، ليكمل مسيرتها .. ويضعها في الممارسة والتطبيق ..! ●



تذكرة طبية

عندما يرتفع سكر الدم

تقديم:
د. السيد الجميلى

منذ بضعة اعوام وفى صورة منتظمة تقريبا تناولنا بالتحليل والبحث والدراسة كثيرا من الامراض الباطنية وامراض القلب المختلفة ، وبناء على توجيهات الاستاذ الفاضل رئيس التحرير ، قمنا بتطوير هذه التذكرة الطبية فتوخينا ان تبرز المعلومات الطبية الدقيقة فى صورة اكلينيكية مجسمة مجسدة حية ، على هيئة حالة مرضية معقدة ثم نتناولها بالبحث والتحليل والتفصيل على سبيل المثال : مريض بالسكر وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وقصور فى الكليتين تداهمه نوبة غيبوبة مفاجئة ، ونجد انفسنا امام مشكلة مركبة معقدة ربما يؤدى اى خطأ فى التعامل معها بل لابد ان يؤدى الى كارثة محققة. وفى هذا العمل الكبير المتصل نستعين بالله وباحدث واقيم المراجع الطبية والعالمية فى مضمار البحث الطبى المتطور .

سيدة اسكتلندية فى الخامسة والستين من عمرها ادخلت الى قسم جراحة الطوارىء تشكو من قىء مستمر منذ اربعة ايام مع اسهال شديد ، مصحوب بالم حاد اعلى البطن ، ولم تكن هذه السيدة تشكو قبل ذلك شيئا على الاطلاق غير نقص فى الوزن وخمول وهبوط عام ، وتم فحص السيدة اكلينيكيا وجد تلون جلدها باللون الاسمر فى بقع سوداء منتشرة فى اقطار الجلد ، مع بعض البقع البيضاء من منطقة لاخرى ، وجفاف فى اللسان وفى الاغشية المخاطية الاخرى بالفم ، وسرعة النبض مع آلام شديدة فى البطن جميعها .

وباجراء بعض التحليلات وجد : نسبة الهيموجلوبين ١٤٫٥ جم ٪ كرات الدم البيضاء ١٨٠٠٠/مم٣ ، نسبة الصوديوم بالبلازما ١٣٧ ممول / لتر . نسبة البوتاسيوم ٨ م ٠٫١ / لتر . نسبة السكر بالدم = ٦٠٠ مجم ٪ اليوريا = ١٣٢ مجم/ل ، وباجراء بعض صور الاشعة ظهرت عادية تماما . وتحسنت الحالة باعطاء بعض المحاليل ، والانسولين والمضادات الحيوية والهيدروكورتيزون ..
فماذا كان التشخيص يا ترى ؟؟

التشخيص

نلاحظ ان هذه السيدة دخلت قسم الجراحة لاشتباه الاطباء فى قرحة المعدة كتشخيص مبدئى ، ولكن التحاليل استبعدت ذلك وبالتأكيد بعد اجراء الاشعة على المعدة الامعاء .

وهى بالقطع كانت تعانى من ارتفاع نسبة السكر فى الدم كما انجلى ذلك من التحليل المرفق ، مع فقدان كميات من السوائل « جفاف » ، مع فشل كلوى .

ومصاحبة الالوان او تلون الجلد بالوان مختلفة مع هبوط الضغط الشديد مع الم مسبق بالبطن ، يزيد من احتمال وجود مرض « اديسون » وقد تحدثنا عنه سلفا ، ويؤكد هذا نقص معدل الصوديوم بالدم .

من ثم ننتهى الى ان هذه السيده تعانى من ارتفاع معدل السكر بالدم ، وانتكاسة اديسون ، وفشل كلوى حاد . وتسمم دموى .

ونقترح فى مثل هذه الحالة اجراء اختبارات اضافية لاستقراء نشاطات الغدة فوق الكلوية لاسيما معدل الكورتيزول

قصـــــة قصـــــيرة

عريس المقعد الشاغر

بقلم: سناء البيسى

كل فوله ولها كيال وانالوزةمقشرة .. على الاقل هذا ما تقوله مرآتى . النصيب عاندنىوتركنى انسة بلا زوج اتحرك معه واحلم معه وتدب بيننا خناقة فيترك لى البيت غاضبا ويعود بهدية صلح وتمضى بنا الحياة . زهقت من اسمى مجردا . من حقى ان يقال منى المدام راحت والمدام نامت . آن الاوان من زمان لاقول الاستاذ غير موافق والبيه منعنى والافندى حالف على يمين .. حجرة البيت الوحيدة تقيم معى فيها امى بعرضها الذى اقعدها عن الحركة منذ سنوات بلا حراك ، نظرتها كانت تلفه الزبونة وانا اقيس لها البروفة . كنت استشعر توترها عندما تصطدم بعيون امى الزجاجية فى مرآة الدولاب .. لكنها امى ..

اعشق صنع فستان الزفاف ، قد ارفض الكثير من الاقمشة الاخرى لضيق الوقت وتكدس العمل لكنى ضعيفة امام ثوب فرحة العمر .. ابدا لا استطيع ان اقول لا لفستان زفاف .. هواية بل متعة كبرى ان انتقى الموديل والعب بثنايا القماش وانثر فوقه الورود واملأ الفراغات واطرزها بالبرق والماس وابتكر لمسة جديدة فى الطرحة فتغدو اعجوبة وتشهق العروس بل ويكذب الاهل ويدعون ان الفستان جاهز جاء خصيصا من باريس . لكن . لم تكن اية عروس هى اول من ترتدى فستانها . دائما كان يسبق فرحها احتفال سرى آخر اقيمه فى بيتى . العروس انا والمعازيم امى . ارتدى الثوب الغالى واوقد الشموع



عـريس المتعد الشاغر

واجلس على احد مقعدين امام المرآة وربما انحنيت اهمس بدلال الى وهم عريس جالس فى الكوشة فى المقعد الآخر . اتخيل انه دكتور وباشمهندس وضابط وجميع من حكت لي عنهم عرائس البروفات . ادير شريط المخطري يا حلوة يا زينة واسير لاصطدم بالمرآة . اعود لواقعي وتقابلني نظرات امي الزجاجية فاتذكر وجودها . اطلب منها فى هستيرية ان تفقع زغرودة . عندما لا ترمش ولا تجيب ارتمى فى حضنها الخشبي .. حتى انفاس امي وكدت .. اكتمل عدم وجودها .. أصبحت وحيدة تماما عندما تأخذ كل عروس ثوبها وكأن عزيزا آخر يذهب بلا عودة .

لماذا لا يكون لي ثوب زفاف ، قال خير قريبا بعد الانتهاء منه يأتى العريس .. كل المهارة جمعتها لاجله صبر ايوب ادخرته لاخرجه فنا .. تتلاقى اطراف فستونات الدانتيل ثقبا وراء ثقب بغرزة باليد الحنون لا بالماكينة الجافة . اطرز الوردة من الخارج باللؤلؤ واملؤها بخرج النجف واضم قلبها على خرز دمع العين واشبكها مع صاحبتها بدورين تلي واكسو الارضية بالترتر البراق وانثر الماس صفين . تحفة . عندما اكتمل لم ارتده . علقته على دولابي من الخارج .. اخاف ان يتكسر الذيل .. كنت اذا جاء الليل اريحه بجوارى على السرير . احادثه . اربت عليه . احتضنه . أصلح من وضع ذراعيه .. ثوبى يلفت الانظار . تشتد عليه المساومة . ارفض بيعه بوحشية .. محال . اكذب . صاحبته عروس فى غيبة ستأتى على موعد الفرحة . فى جلستى فى الصالة أمام ماكينة الخياطة افتح الباب بيننا لاطل عليه . يطالعنى بريقه كلما رفعت عينى وانا الضم الابرة او اعقد الفتلة ..

كذبت عيني . الاطار النحاسى الذى يحيط بحبات الماس فى وردات صدر الفستان أصبح لونه مغايرا بل يعلوه الصدأ . تشاءمت . انتزعت الحبات برفق وعالجت المكان بحبات جديدة . الدانتيل أيضا لونه

يتغير . يشوبه الاصفرار . يداخله القدم أم هي عيوني المتعبة !! كل شيء له أجل . كان شاغلي . العناية تحفظه بينما الكسرات تزحف على رقبتي والغضون أصبحت مروحة في ثنايا ضحكة عيوني والحسنات السوداء تبرز على سطح جلدي وشعيرات بيضاء تتفجر في مفرق رأس وأعلى أذني وجفوني أكياس رمل .. قال الطبيب النصيحة ارتداء النظارة طوال الوقت . اللوزة لم تعد حتى فولة. عريس المقعد الشاغر تغيرت أوصافه فلم يعد شابا ولا طويلا ولا مقتدرا . الزبونة التي انحنيت أضبط لها الذيل وهي طفلة غدت صبية وفتاة وعروسا ، وتسربت من بين أصابعي أكوام من فساتين الفرح صاحباتها تزوجن وحملن وأنجبن وأرسلن الأنجال للحضانة والابتدائي والثانوي والعالي وأنا هنا أداوم على انتزاع الماسة الصدئة وأتروى بحذر في تثبيت البدائل ..

لي اليوم الذي وجدت عيونه تتطلع معي الى الفستان فوق ضلفة الدولاب فكرت طويلا .. قريب أمي الذي يحمل سمات البلاهة .. الرجل الوحيد الذي يزورني . يعرف يوم راحتي يدق الجرس فأقوم لأفتح ونتبادل غمغمة تحية وأعطيه كشف الطلبات فيشرب كوب الشاي الذي يصنعه بنفسه في المطبخ وينزل ليحضر لي التموين وأقمشة الكلفة والزراير وعلبتين سجائر واحدة له وواحدة أحزم بها على الزبائن .. أعطيه ما فيه النصيب وبين وقت وآخر يقصدني في خياطة طاقية أو بيجاما ويطير من الفرح اذا تجمعت تلال القصاقيص فيلمها يصنع منها سجادة يقول انها في الشتاء تغني عن أعظمها بطانية .. زحف الصدأ على قماش الفستان. أبدا لا يطرق الباب عريس الغفلة. لم لا يكون ذلك القريب قسمتي. !



لا قيته بتهليل زاد من حدة بلاهة وجهه. سألني عن كشف الطلبات فقلت له بعد الغداء. قام ليساعدني

فاقسمت الا يتعب روحه .. مع فنجان قهوة مضبوط من صنع يدى ساعة العصارى سألته لماذا لم يفكر فى الزواج حتى هذه الساعة ضحك كمن استمع الى نكتة عندما استأذن لينزل قلت له بدرى اقعد لنرى المسلسل معا علقت على طيش سن البطلة وعلى الحب مع العشرة وعلى رأسين فى الحلال. استندت على كتفه وأنا اقف على الكنبة أملا ساعة الحائط .. فى اليوم التالى اخذته للسوق واشتريت له غيارات وقماش بدلة غامقة فصلتها له بسرعة وقلت له يقص اظافره ويحلق راسه ويترك سوالفه واعطيته هدية ساعة يد ودستة مناديل حرير ومحفظة جلد وارتديت الفستان والتاج وخلعت النظارة وتزوجته. اوقفه المصور فى المحل فوق صندوق خشبى غطاه بطرف الطرحة لاستطيع ان اسند راسى على كتفه فى الصورة ، وتعمدت أن تؤخذ لى أكثر من لقطة بمفردى حتى لا يقلل العريس من قيمة الفستان المتكلف ..

لم يتغير الحال كثيرا منكفئة على ماكينة الخياطة مازلت .. وهو يحضر الطلبات من السوق ويعمل القهوة للزبونة وينقر على الزجاج فآخذ منه الصينيه أوامرى أن يتوارى تماما حتى لاتخجل منه زبونة اعتادت ان تجدنى وحدى بالشقة . مذهولة لم اصدق نفسى كان شبحه منطبعا على زجاج الباب وهو ينحنى على ثقب المفتاح يطل على الزبونة شبه العارية التى اقيس لها البروفة .. تغاضيت كذبت روحى قلت يمكن حاجة وقعت منه امام الباب وانحنى يبحث عنها .. مرة والثانية والحاجة تقع منه أمام الباب بالضبط وزبونة وأخرى وانا ادعى الغفلة وافكر .. غضب . غيرة . قلة ادب الرجل الجنن اطلقه اقتله . اطرده . رضينا بالهم والهم لم يرض بنا .. قلت موسى طلع فرعون .. كتمت لكن انفجرت واجهته . رايت العجب المستكين الغلبان الغلطان هاج وثار وقال: كرامتى ..:

لا يمكن دقيقة واحدة بعد الان صوته الغاضب أزاح تماما سمات البلاهة من وجهه . رجل ملو هـدومه يملي ارادته ويقول كلمته ويعلن النهاية. اهبط عن ارتفاعات كثيرة ليصعد هو يحتل وضعا جـديدا .. يتركني أعود للوحدة ! قلبت الحكاية ضحك وهزار لكنه أخذها جد وخرج يخبط الباب .

طالت غيبته كنت أشعل نارا فى هدوم الزبائن المقابلة والهيصة ومعاملة الزبونة على كفوف الراحـة والصبر على دلعها وقلة ذوق اختيـارها وتربسـة نافوخها وقصر رقبتها وغلاظة ذراعها وترهل صدرها مع سمنة وسطها وعضـلات اكتافها وانبعـاج قامتها وسلاطة لسانها واستعجالها . كل ذلك رفضته. روحى طالعة. كلمة وردفطاها. اخذت اجازة من الشغل. حقى. المستعجلة تروح لخياطة غيرى. أنا من دم ولحم. والله ولا بالف جنيه. الفلوس ليست كل شىء. تأتى وتروح لكن المهم راحة البال . سمادته هاجرنى ليحسن تربيتى! المعايير انقلبت غلطانه انا ! . زهقانه . نافوخى لا يتابع المسلسل. كل اغنية تقول هاجرنى وظلمنى وغـدار وتخونوه تيجى على الوجيعة فتسقط الدمـوع انهارا تحت نظارتى ..

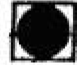
ابعث مراسيل واكتب جوابات . ولا امل الانتظار. خبط ودخل .. اهلا .. ياقاسى حقك على . لم اهن عليك العيب على النظر .. وقتها كنت خالعـة النظارة مؤكد كانت تهيؤات .. صامت لا يتكلم بـلا اهتمام قال كأنه تذكر شيئا تافها ان فرح أخته هذا والاسورة الثعبان لترتديهما فى فرحها. خلعت لـه والاسورة الثعبان لترتديهما فى فرحها . خلعت له الاسورة .. فردت ملاءة بيضاء ووسدت الفسـتان ولمت اطرافه فى بقجة وغطيت حسرتى بابتسامة وقلت له سلم لى على أختك وقل لها الف مبروك وعقبـال البكارى ! ●





جاليليو لاكتشاف كوكب المشترى

« جاليليو » لاكتشاف كوكب المشـــــترى



وكالة الفضاء الامريكية « ناسا » تخطط الان لغزو اكبر الكواكب السيارة فى مجموعتنا الشمسية ، المشترى . سيتم هذا الغزو فى اواخر عام ١٩٨٩ ، اذا ما نجح العلماء فى حل بعض العقبات المتبقية فى سبيل المشروع ، واذا لم يتم أى تخفيض على الميزانية المرصودة للمشروع .

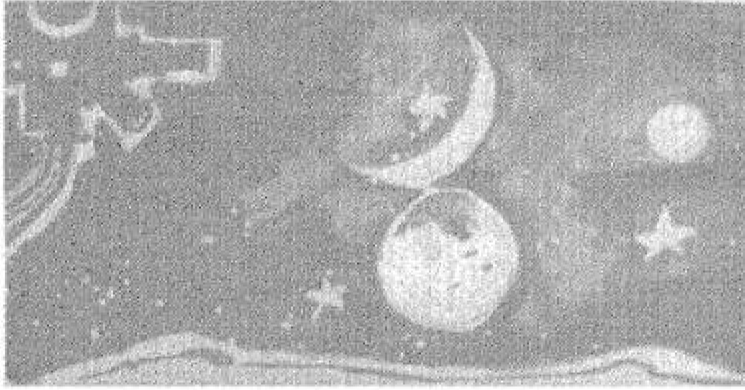
المشروع يتضمن ايفاد سفينة الفضـــاء « جاليليو » ، التى تمضى بلا بشر عليها ، لتكتشف اسرار ذلك الكوكب الضـــخم ، الذى يختفى وراء ستار من طبقة الغازات التى تحيط به . ستنطلق السفينة الفضائية الى المشترى وحوله بسرعة هائلة ، تتيح لها على سبيل المثال ان تقطع القارة الامريكية فيما لايزيد عن ١٥ دقيقة .

عندما تصل « جاليليو » قريبا من كوكب المشترى ، يخرج من باطنها جهاز خاص لدراسة طبيعة الغــلاف الجوى المحيط بالكوكب ، ثم تطلق صواريخها القوية التى تساعدها على ضبط مسارها ، لتتخذ مدارا مناسبا حول المشترى . ثم تبدأ بعد ذلك فى التقاط المعلومات الدقيقة عن ذلك الكوكب الضخم المجهول .

وتعتبر مهمة السفينة الفضائية جاليليو مهمة فريدة لعدة اسباب . اهمها الثروة الهائلة من المعلومات التى يمكن ان تحصل عليها ، ثم القدرة المتميزة التى تنفرد بها ، فى اتخاذ المسارات والتحكم فى حركتها .

المرحلة الاولى فى رحلة السفينة جاليليو ستكون اسهل المراحل . وفيها تصـــل الى مدار حول الارض فوق مكوك لفضـــاء خاص سيتم صنعه عام ١٩٨٥ . بعـــدها تنطلق السفينة متحررة من مكوك الفضاء ، بعيدا عن الجاذبية الارضـــية ، بادئة رحلتها الى المشترى والتى تستغرق ٤٥ شهرا .

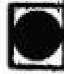
عنـد الوصول قريبا من المشترى تطلق



السفينة جاليليو جهاز استطلاع أوتوماتى ، او ذاتى التسيير ، لدراسة الغلاف الجوى للكواكب . يستطيع جهاز الاستطلاع ان يتحكم فى حركته ليصل بهدوء الى الكواكب ، مستخدما المظلات المحققة للسرعة . وعلى الفور يبدأ الجهاز فى ارسال المعلومات عن كوكب المشترى الى السفينة جاليليو . وكل معلومة من هذه المعلومات ستكون باهظة الثمن ، لان ذلك الجهاز الاستطلاعى سيتوقف عن العمل بعد اقل من ساعة واحدة ، نتيجة للحرارة الحارقة لجو المشترى ، ونتيجة لارتفاع الضغط عند سطح الكوكب .

بعد ان تنتهى جاليليو من استقبال وتسجيل النتائج التى يبثها الجهاز الاستطلاعى ، ستدور حول المشترى فى عدد من المسارات المختلفة ، التى يتراوح عددها بين ٨ ، ١٠ مسارات وسيستغرق هذا ٢٠ شهرا . واحد اهم اهداف هذه المرحلة من مهمة جاليليو هو اختيار الاقمار التى تسبح فى الفضاء حول المشترى . وستعتمد جاليليو على قوانين الجاذبية الارضية فتترك لهذه الاقمار امر قيادتها الى اقرب مدار ممكن ، دون ان تخترق الغلاف الجوى للكوكب . وسيتيح هذا للسفينة ان تكون قريبة جدا من هذه الاقمار الصغيرة الحجم ، والتى يبلغ قطر الواحد منها حوالى ٦٠ مترا ، فتسهل دراسة سطحها الظاهر بوضوح . واذا اجتازت السفينة هذه المرحلة بسلام ، اوكل اليها العلماء مهمات جديدة .

الابقار ترفع درجة حرارة الارض

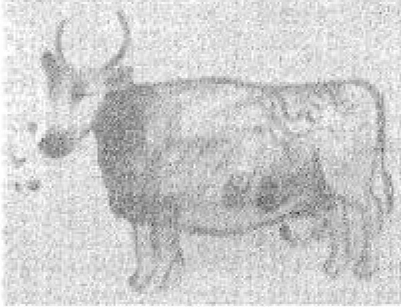


يتنبأ العلماء بارتفاع متواصل فى درجة حرارة الغلاف الجوى للارض نتيجة لتزايد نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو ، والذى يتولد عن احتراق الوقود كالفحم والبترول . ويقول العلماء ان هذه الزيادة ستكون ملحوظة ومؤثرة عند نهاية هذا القرن .

الا أن جيمس هانسن العالم المتخصص فى المناخ ، والذى يعمل فى معهد جودار لدراسة الفضاء يقول «ستظهر اول العلامات القاطعة فى سخونة الطقس قرب اواخر ثمانينات هذا القرن » ، ويضيف هانسن ان اللوم فى هذا يوجه الى تلك الزيادة الطفيفة الحثيثة فى عدد من الغازات الاخرى مثل غاز الكلوروفلورو كربون والميثان واكسيد النيتروز .

وتقدر الاثار الضعيفة جدا لهذه الغازات فى الجو بما يبلغ « من عشرة الاف جزء فى كل مليون جزء من الهواء » ، بينما تصل نسبة تركيز ثانى اكسيد الكربون الى ٣٤٥ جزءا فى المليون . ومع ذلك تشير الابحاث التى اجراها هانسن حديثا الى ان مجموعة الغازات الاولى لها قدرة عالية على تصعيد الحرارة وحفظها ، مما يتطلب ادخالها فى الحساب مع ثانى اكسيد الكربون . فقدرة الميثان على حفظ الحرارة اعلى ٢٠ مرة من ثانى اكسيد الكربون ، وقدرة اكسيد النيتروز تبلغ ٣٠٠ ضعفا ، اما قدرة غاز الكلوروفلورو كربون فتصل الى ٢٠ الف ضعف بالنسبة لقدرة ثانى اكسيد الكربون

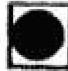
فمن اين تاتى هذه الغازات ؟ النتائج ان اكسيد النيتروز ينتج عن الاسمدة والمخصبات النيتروجينية ، اما الكلوروفلورو كربون فينتج عن الزيادة فى استخدام السوائل المعلبة النفاثة « سبراى » ، كالروائح والمطهرات والمبيدات الحشرية والثلاجات . اما غاز الميثان فالمعتقد انه ينتج عن غازات وفضلات الماشية . فى هذا يقول هانسن « الابقار بصفة خاصة مؤثرة فى زيادة نسبة الميثان فى الجو ، ذلك لان عددها يتزايد بمعدلات عالية » . كما ان اول اكسيد الكربون الذى تزايدت نسبته فى الجو خلال القرن الحالى ، يرفع نسبة الميثان فى الجو ، لانه يحول دون تحول



الميثان الى مركبات اخرى .

ويقول العلماء ان ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوى للارض ، بدا يفعل فعله من حولنا . ومحطات قياس مستوى المد والجزر تفيد ان مستوى البحر قد ارتفع اكثر من اربعة بوصات على مدى المائة عام الماضية ، نتيجة لارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوى ، الذى قاد الى ذوبان الطبقات الثلجية .

لحاء الشجر لعلاج الضعف الجنسى



خلال التجارب التى قام بها كل من ألفارو موراليس من جامعة كوينز ، ودافيد ساريدج من جامعة انتاريو ، لاختبار أثر عقار « يوهمبين » على مرضى السكر ، وبصفة خاصة اختبار أثره على ما يصاحب مرضى السكر من ضعف جنسى واحساس دائم بالوخز فى النصف السفلى من الجسم ، اكتشف العالمان الاثر الفعال لذلك العقار على حالات الضعف الجنسى عند غير المصابين بالسكر .

وعقار يوهمبين يستخرج من لحاء شجرة افريقية تسمى « شجرة يوهيمبى » ، ولحاء

هذه الشجرة معروف بقدرته على التنشيط الجنسي بين القبائل الافريقية . ورغم هذا ، ورغم سابق معرفة العالمين بأثر عقار يوهمبين كمنشط جنسي ، الا انهما فوجئا بالنتائج التي حققها العقار بين الذين اجريا عليهم التجارب .

على اثر ذلك قام العالمان ببحث دقيق لاختبار اثر العقار على ٢٣ رجلا من الذين يشكون من الضعف الجنسي ، والذين سبق ان تم تشخيص ضعفهم على أنه ضعف عضوي وليس شعوريا عارضا . من بين هذا العدد استجاب عشرة رجال ، بل واستعاد ستة منهم كامل قدراتهم الجنسية . وعندما توقفوا عن تعاطي الدواء ، عادت اليهم مشاكلهم السابقة .

ورغم ان دراسة العقار مازالت مستمرة ، الا ان العلماء قد صنفوا عقار يوهمبين ضمن مجموعة العقاقير التي تعرف باسم « كابحات الفا » . وهي مجموعة عقاقير تساعد على توسيع الاوعية الدموية بالقرب من الجلد ، باعتراضها طريق بعض الهرمونات التي تعمل على تضييق الاوعية الدموية .

الا ان العقار الجديد يتميز عن غيره من « كابحات الفا » في علاج حالات الضعف الجنسي ، فهو يتيح للدم أن يتدفق بسهولة الى عضو التذكير ، كما يساعد على افراز هرمون نيروفينيفرين الذي يعمل على مرونة عضلات العضو .

ورغم النتائج المشجعة الاولى لاستخدام العقار الجديد ، الا ان موراليس ومارينديج يصران على ضرورة استكمال الابحاث قبل تعميم العقار على الجماهير ، وخطوتهما التالية هي دراسة اثر العقار على ١٢٠ رجلا ممن يعانون من الضعف الجنسي ، وبصفة خاصة اولئك الذين يرجع ذلك عندهم الى مشاكل نفسية .

ذبابة النار من معجزات الهندسة الحيوية الطبيعية

في المناطق ذات المناخ الاستوائي ، اعتاد الاهالي الاحتفاظ بمئات الحشرات المضيئة المعروفة باسم « ذبابة النار » ، يضعونها في وعاء للاعتماد على ضوئها ليلا عندما ينفد زيت القنديل في عملية اعادة ملئه بالزيت . ومن النساء من يضعن بعضا منها في اكياس شفافة من القماش ، يزين بها شعورهن . وبعض مكتشفي الغابات ، يعمدون الى تثبيت الحشرات المضيئة على احذيتهم العالية مساء ، لتنير لهم طريقهم في ظلام الغابة . والعلماء قد انشغلوا بالبحث عن اجابة لسؤال هو : كيف ولماذا تصدر هذه الحشرات ذلك الضوء ؟

المعروف أن هناك مايزيد عن الفي حشرة مضيئة ، بعضها يطير والاخر لايطير ، بعضها يصدر ضوءا ثابتا ، فيما يكون ضوء البعض الاخر مترددا . وهي كذلك تختلف فيما بينها في لون الضوء الذي تصدره ، احمر أم برتقالي ام اخضر عادي . ومع كل هذه الاختلافات فقد اكتشف العلماء ان آلية اصدار الضوء عندها جميعا واحدة تقريبا .

مصدر الضوء عند هذه الحشرات يوجد عادة تحت مؤخرة جسم الحشرة . وعملية اصدار الضوء من جسم الحشرة تعتبر معجزة من معجزات الهندسة الحيوية



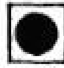
الطبيعية . فمصدر الاضاءة يتكون من ثلاث طبقات ، طبقة خارجية من الجلد الشفاف كالنافذة ، تليها صفوف من الخلايا المنتجة للضوء التي تسمى فوتوكيتس ، ثم مجموعة خلايا عاكسة للضوء . وخلية الضوء « فوتوكيت » تحتشد فيها حبيبات تحتوى على المواد الكيميائية اللازمة لعملية توليد الضوء ، وتتخلل خلايا الضوء اعصاب وقنوات هوائية دقيقة للغاية .

عندما تقرر الحشرة أن تصدر الضوء ، تقوم الاعصاب باعطاء اشارة البدء . هذه الاشارة تدفع المواد الكيميائية المولدة للضوء الى العمل . وخلال هذا تعمل القنوات الدقيقة على امداد الخلايا بتيار متصل من غاز الاكسجين ، الضرورى لعملية انتاج الضوء . والغريب أن عملية تحويل الطاقة الكيميائية الى طاقة ضوئية بكفاءة كاملة ، فلا يضيع اى جانب من هذه الطاقة على شكل حرارة . ولون الضوء الصادر يتباين وفق تركيب خلايا الضوء في كل حشرة .
لكن ، ماهو هدف الحشرة من اصدار الضوء ؟

الشائع ان الحشرة تصدر الضوء لجذب الجنس الاخر . فخلال شهور الصيف ، تمضى الحشرة نهارها مسترخية ، تلتهم طعامها من النبات ، ثم تبدأ تحليقها عند انقضاء النهار مصدرة ضوءها . ويكون على الحشرة من الجنس الاخر ان تبحث عن جنسها وسط هالات من الضوء متباينة ، تصدرها الانواع المختلفة من الحشرات المضيئة . ولحسن الحظ تكون لكل نوع من الانواع شفرة ضوئية خاصة ، يمكن للجنس الاخر أن يتعرف عليها .

كما أن هناك نظرية اخرى تقول ان الضوء له وظيفة دفاعية بالنسبة للحشرة ، فهو يخيف الكائنات الحية الاخرى التى تسعى الى التهامها ، ويبعدها عنها .

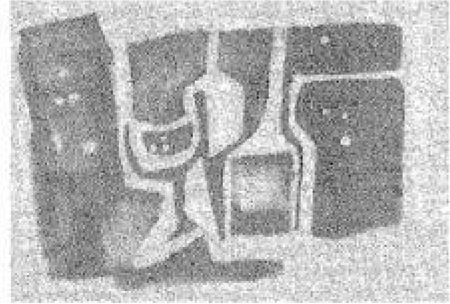
العلاقة بين الخمر وسرطان الثدى



يربط الاطباء بين تعاطى الخمر وبين مجموعة من الامراض والمتاعب الصحية . واخيرا قدموا اضافة جديدة منشأئمة للقائمة القديمة هى : سرطان الثدى عند النساء .

ففى تقرير حديث نشر فى مجلة «لانست» العلمية ، جاء أن مجموعة من الباحثين الذين ينتمون الى ست جامعات والى بعض مراكز البحث العلمى قد افادوا أن المرأة التى تحتسى البيرة او النبيذ او المشروبات الكحولية الاقوى ، تكون اكثر تعرضا للاصابة بسرطان الثدى من النساء اللاتى لايشربن الخمر ، بنسبة تتراوح بين ٤٠ و ٩٠ فى المائة .

وهذه النتيجة جاءت ثمرة لدراسة اشرفت عليها كلية الطب بوستون . وقد جرت الدراسة على ٤٣٧٢ امرأة من نزيلات المستشفيات بالولايات المتحدة وكندا واسرائيل . من بين هذا العدد كان ثلث النساء مصابات بسرطان الثدى ، اما الباقيات فكن يعانين من امراض اخرى .
ورغم النتائج الايجابية الاولى التى حققتها هذه الدراسة ، فان مجموعة البحث مازالت متحفظة حول اقرار النتائج واعتمادها ، باعتبار ان الارقام ايضا كثيرا ماتقود الى نتائج خاطئة ! ..
والحقيقة ان مجموعة البحث تريد ان تصل الى علاقة سببية مباشرة من الناحية



الفسيولوجية بين تعاطي الخمر وسرطان الثدي .

وسر هذا التردد ، يكمن في رغبة الباحثين في التأكد من أن سرطان الثدي لايحدث لسبب آخر في الحالات التي يدرسونها ، والتأكد من ان سرطان الثدي يجيء نتيجة لتعاطي الخمر وليس العكس . فمن المحتمل ان تعمد النساء المصابات بسرطان الثدي الى المزيد من تعاطي الخمر لمواجهة الموقف . كذلك من المحتمل أن تكون الاصابة بالمرض نتيجة لتعاطي اللحوم الحمراء بكثرة ، الامر الذي يشجع عليه احتساء الخمر . ويقول احد الباحثين انهم قد وصلوا الى المأزق المنطقي التقليدي : ايهما يسبق الاخر ، البيضة ام الدجاجة ؟!

ويقول آخر . لايمكننا أن نستبعد احتمال أن معرفة المرأة بأنها مصابة بسرطان الثدي ، وخوفها من هذا ، يدفعها في بعض الاحيان الى مضاعفة ماتتناوله من خمر ..

اى أن يكون تعاطي الخمر نتيجة وليس سببا ..

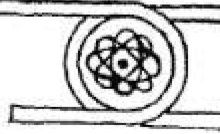
لهذا يسعى الاطباء الى وضع خطة تجعل النتائج اكبر تحديدا او دقة ، باستبعاد العوامل الاخرى التي تسبب الاصابة بسرطان الثدي .

خلايا المطاط البهلوانية

● المطاط يقف موقفا وسطا بين السوائل والاجسام الصلبة . فهو كالسوائل قادر على اتخاذ شكل الوعاء الذي يصب فيه ، وهو كالجوامد يمكنه ان يحتفظ بالشكل الذي اكتسبه . فما السر في هذه الخاصية السحرية التي يتمتع بها المطاط ؟ ..

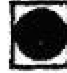
المكون الاساسي في المطاط هو « المونوميرات » او احاديات الجزيء . عندما يختلط اثنان من المونوميرات ، لاتمتزج جزيئاتها بحرية ، انما يرتبط جزيء المونومير الاخر على شكل شرائط او خيوط يطلق عليها اسم « بوليميرات » . عندما تجذب طرفي قطعة المطاط المخلوط يزداد طولها ، وهذه هي الخاصية التي تسمح للمطاط بان ينسحب على اشكال مختلفة . الا ان البوليميرات ليست كاملة المرونة . فالمطاط حديث الصنع لايختلف كثيرا في تماسكه عن الصلصال ، قد يمتد او ينبسط او يتكرر بسهولة ، لكنه لايعود ثانية الى شكله الاصلي .

ولكي تضاف الى المطاط خاصية المرونة ، يجب أن يدخل في عملية الفلكنة ، اى اضافة الكبريت وبعض المواد الكيميائية الاخرى الى المطاط مع التسخين . وعملية الفلكنة تعمل على ان ترتبط شرائط او



خيوط البوليميرات بعقد جزيئية محكمة . ولهذا يعود الى شكله الاصل بعد ان تجذبه .

اشعة ليزر لشفاء الصداع النصفى



تم اكتشاف تطوير جديد للاسلوب الصينى القديم فى تخفيف الالم بالاعتماد على الوخز بالابر فى مناطق معينة من الجسم .. ذلك الاسلوب الذى يرجع تاريخه الى اربعة الاف عام التطوير الجديد ، تستغنى فيه عن الابر ونستعيض عنها باشعة ليزر .

يقول وللجانج بوارمايستر مدير مركز التحكم فى الالم ، بمستشفى بارك وود بولاية ماساتشوسيتس « الاسلوب الجديد شبيه بالعلاج الصينى التقليدى «اكوبانتشر» لكن النتائج المتحققة افضل . فشعاع الليزر اكثر امنا وسهولة فى الاستخدام عن الابرة ».. فشعاع الليزر الخفيف القوة لايمكن ان يضر بالاعصاب او بالاوعية الدموية ، ولا يترك آثارا او جروحا على الجلد ..

ويعترف بوار مايستر انه لايعرف بالضبط الآلية التى يستاصل بها شعاع الليزر الالم عند الانسان ، وذلك بالرغم من ان النتائج التى يحققها تكون مبهرة . وهو يقول انه استطاع ان يحقق نجاحا يتراوح بين ٨٠ و ٨٥ فى المائة باستخدام اشعة الليزر لاستئصال آلام الروماتيزم والصداع النصفى ومتاعب الجذع والظهر .. وقد تبين له ان اولئك الذين لم يسبق لهم العلاج بوخز الابر التقليدى ، يستجيبون ايضا للعلاج باستخدام اشعة ليزر .



اذا كان المريض يشكو من الصداع النصفى مثلا ، يتم تسليط اشعة ليزر على نقط الاكوبانتشر عند الاذن او فى الراس لمدة تتراوح بين ١٥ ، ٣٠ ثانية ، وفى نفس الوقت يجرى قياس نبض المريض . ويؤكد بوارمايستر ان اشعة ليزر يجب ان يتم اطلاقها فى شكل ومضات قصيرة ، فالشعاع المتصل لايفيد ، كما ان درجة تردد الشعاع تختلف فى اثرها العلاجى . عندما يتصاعد نبض المريض اثناء توجيه ومضات اشعة ليزر ، فهذا يعنى ان العلاج قد اصبح مؤثرا ، وان اشعة ليزر تصيب النقطة المنشودة بالضبط . ويزول الالم بعد خمس جلسات علاجية متتالية . ويرى بوارمايستر ان اشعة ليزر تنبه المناطق التى تفرز كابحات الالم فى الجسم من المواد الكيميائية .

ويعتقد العالم الطبيعى الالمانى ان اشاعة استخدام هذا العلاج فى ايقاف الالم سيدفع الاطباء الى مزيد من الدراسة لاسلوب الوخز بالابر الصينى الاصل ، والى اضعاف التيار المعارض للاعتماد على ذلك الاسلوب التقليدى خاصة بعد استبدال الابر باشعة ليزر ●



شوقي وحافظ
نصف قرن من عُمْر الشعر

متابعات أدبية
شوقي وحافظ

● في السادس عشر من هذا الشهر تحتفل مصر بمرور نصف قرن من الزمان، على رحيل امير الشعراء احمد شوقي. وشاعر النيل حافظ ابراهيم معا. احتفالات تستمر أسبوعا. ومن المفروض ان يشارك فيها عدد من الشعراء والباحثين والدارسين العرب والاجانب.

ولأن احمد شوقي وحافظ ابراهيم علامة هامة في تاريخ الشعر: فكم كنت اتمنى لو ان هذه الاحتفالات الضخمة تضمنت وقفة نقدية مع نصف القرن الاخير من عمر الشعر العربي المعاصر. ماذا جرى خلال هذه السنوات العديدة للشعر، لقد مرت بالمجتمع العربي خلال النصف القرن الاخير تغييرات اساسية على كافة المستويات. اجتماعية وثقافية وسياسية. خريطة الحياة نفسها تغيرت تماما. والواقع لم يغير جلده فقط. وتطور الواقع. ولكن من المؤكد انه في مواجهة كافة هذه التطورات، فان الشعر. قد بدا يتراجع في الفترة الاخيرة من حياتنا..

وتراجع الشعر جزء اساسي من ازمة حادة تعيشها الكلمة المكتوبة، ولكن تراجع الشعر على كافة المستويات يعد من ابرز ظواهر هذا التراجع.

تراجع الشعر قولا. وتراجع الشعر نشرا، وتراجع الشعر نقدا ومتابعة، وتراجع الشعر في النهاية تلوقا. ان كل اطراف العملية الشعرية مشاركة في هذه الحالة التي وصل اليها الشعر. ومن قبل اطراف العملية الشعرية. هناك المناخ السائد العام. فنحن نخرج من زمن اختلت فيه كافة المقاييس وتمكنت العملة الرديئة من طرد العملة الجيدة من الاسواق. واحتلت مكانها بكل قوة.

وحتى اخر اصوات الشعراء الكبار في زماننا اصابها الشحوب. رحل عن عالمنا من رحل. وهاجر من هاجر. والفترس





احمد شوقي



حافظ ابراهيم

المرض من الترس ، ولم يبق سوى مجموعة من « نظامي الكلمات » . وفق ايقاع معين دون أن تقدم هذه الكلمات تجربة شعرية جديدة .

وحتى هذه الحالات الفردية لا تلغي ما اقوله ولكن تؤيده . فعندما انزل الى المكتبات الآن باحثا عن عمل شعري عربي جيد ، اجد انني مجبر على الرحيل الى الجيل الذي بدأ في نهاية الخمسينات ، أو اجدني أمام بعض الظواهر الفردية في العالم العربي .

اتمنى لمن سيحضرون مهرجان شوقي وحافظ سواء كانوا من الشعراء او النقاد او الباحثين الا يصرفوا كل وقتهم في الحديث من الماضي التام . لان الخروج بجديد من هذا الماضي سيكون امرا صعبا . ولكن أن يحولوا هذا اللقاء الى وقفة موضوعية . مع ذلك الشيء الانساني العظيم المسمى الشعر ، ليقولوا لنا ماذا جرى بالضبط خلال هذه السنوات :

اننا نعيش زمنا قاسيا . تناقضاته حادة لدرجة الصراخ ، فيه من يموت من الغنى والتخمة . ومن يموت من الفقر والجوع . فيه الثوار لدرجة أن رءوسهم تلامس السماء . وفيه ايضا الراضخون لدرجة أن الجباه تساوى بتراب الارض فيه من يلقوا الكلمة المكتوبة بالثلاث ، ومن لا يزالون يعتبرون أن عناق الكلمة المكتوبة دليل وحيد على التحضر وعناق هذا العصر .. ومثل هذه العصور الحادة في تناقضاتها .. هي التي يخرج لنا منها الادب العظيم . والشعر في مقدمة فنون القول العربية .

اعرف أن ثمة برنامجا ضخما اعده الدكتور عز الدين اسماعيل رئيس هيئة الكتاب . هذا البرنامج الذي يغطي مساحة زمنية تصل الى ستة أيام .

ويتمدد في المكان من الاسكندرية حتى اسوان . ويتغير في شكل التعبير ابتداء من القاء القصيدة وتقديم الدراسة الى اقامة معرض كتب لكافة دواوين الشاعرين المحتفى بهما ، الى تقديم مسرحيات شوقي على المسرح ، الى زيارة معالم مصر ، الى حضور شعراء من الوطن العربي

يحضرون الى مصر لأول مرة منذ سنوات مضت تصل الى السنوات الست . وكل ذلك جيد ويتمنى الانسان ان يحرك ذلك الركود الذى لا نهاية له فى الواقع الثقافى المصرى . ولكن ذلك كله يبقى مجرد سطح خارجى . يجب ان ننفذ منه الى الازمة الحقيقية . ماذا جرى للشعر والشعراء فى الفترة الاخيرة . على الاقل فى مصر باعتبارات ان الابداعات الادبية الشعرية العربية لا يصلنا معظمها تنفيذا لمؤامرة فصل مصر عن وطنها العربى .

القدم لن سيلتقون مثالا محددا عشته فى الشهرين الماضيين .

من المعروف ان الشعر من اكثر الفنون انفعالا باللحظة الراهنة . وان استجابته تكاد ان تكون فورية فى بعض الاحيان . ولكن فى مواجهة ماجرى فى بيروت مؤخرا واجهه شعراء مصر » بالصمت . تلفعوا بالصمت . وقفوا خلف حاجز وجدار الصمت ، ووجدوا ان امان الصمت افضل الف مرة من مغامرة القول ..

حتى تلاموا الكلمات ، فوالوا المناسبات المديرون العظام الذين يحولون التبرير الى ابيات من الشعر فى كل مناسبة عامة .. حتى هؤلاء صمتوا ايضا ، وخالفوا القاعدة الاساسية التى يتحركون على اساس منها فى مواجهة اى حدث طارىء ..

كثير من الحالات تقول بوضوح ان ثمة خللا أصاب العملية الشعرية فى هذا الزمان العصيب . ان السؤال الذى اطرحه على يوم السادس عشر من هذا الشهر : هل تحول الاحتفال الى لقاء فكرى؟ وهل نخرجه من اطار المناسبة الى رؤية متكاملة لقضية الشعر والشعراء ؟ .. وهل نخرج



من ايامه الستة ولياليه الست . ونحن اكثر معرفة بواقع الشعر العربى . وظروفه وبآفاق المستقبل امامه ..؟ ان السؤال الاخير هو : هل يشغلنا الماضى عن الحاضر ؟ هل نتوقف امام مامضى . اكثر من ان نحاول ان نستشرف ماهو آت ؟

هذه المعركة حول طـه حسـين

● غريب ومضحك حتى الرغبة فى البكاء .. هذه المعركة الدائرة حول الدكتور طه حسين فى مجلة الاذاعة والتليفزيون . كل هذا الغبار المثار من جديد حول الدكتور طه حسين ليس له مايبرره . ابدا . وهى تعكس ازمة حقيقية من ازمات واقعنا . وهى عدم وجود قدر كاف من العلم بالامور عند بعض من يكتبون من الامور فى بلادنا .

مجلة اسبوعية يعمل فيها ـ بالصدفة وحدها ـ عدد من الكتاب والادباء . المفروض انهم يتابعون مايجرى على الساحة الادبية فى مصر . ثم تأتى المجلة وتحضر كتابا قديما ، مر على نشره وصدوره عدد من السنوات . وصدرت اكثر من طبعة منه . واثار وقت صدوره العديد من التعليقات والردود .

الذى حدث مؤخرا . ان المجلة حصلت على الكتاب القديم ، واعادت عرضه او نشر اجزاء منه مؤخرا خلال هذه الاسابيع ولا يدرى الانسان ماهى الحكمة فى اعادة النشر بعد هذه السنوات ؟ هل هى حالة من الافلاس تدفع البعض الى العودة الى الدفاتر القديمة ، واعادة نشر مافيها ..

من المؤكد ان الكتاب قديم . سبق



نشره . وسبق الرد عليه . وعلى سبيل المثال . فقد تولى رجاء النقاش فى مجلة المصور الرد على هذا الكتاب فى سلسلة مقالات استمر نشرها أكثر من شهر .

ويبقى السؤال ماهو المبرر ؟ هل هناك جديد فى الامر يبرر اعادة نشر مثل هذا انه نفس الكتاب القديم . ولا يوجد جديد فى القضية .

الا يعلم أحد فى المجلة ان الـكتاب قديم ، وحتى فى حالة أن يكون هنـاك جديد ، كان لابد من قوله ولو اشـارة اليه ، وتبرير اعادة نشره .

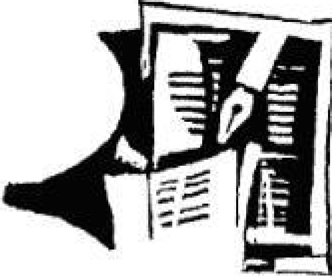
ان افتعال المعارك لا يفيد ويبدو مضحكا لانه يبدو مثل الولادة المتعسرة . اوالولادة القيصرية . وما أسهل ان يعود الانسان الى المعارك القديمة ويخرج أوراقهـــا ويعيد نشرها ، كما هى .

لا يتصور أحد انه من الممكن خلق معارك ادبية من لا شىء . وحتى فان العودة الى هذه المعارك يبدو محيرا ..

درس ماركيز

اقرأ هذه الايام الرواية السابعة لجارثيا ماركيز ضمن أعمـــاله المترجمة الى اللغة العربية . على مدى ثلاثة أعوام فقط . وبعض هـــذه الاعمال صدرت منها أكثر من طبعـــة واحدة . اقرأ هذه الرواية وفى ذهنى الدرس الذى يجب ان نتعلمه جميعا من ماركيز . ومع هذا لم يتعلمه أحد .

دروس ماركيز كثيرة . لكن دروسه الاول تتمثل فى ان الممثل العالمى انتونى كوين ذهب اليه . يصافحه باليـــد اليمنى . وفى اليد اليسرى شيك بمليون دولار . ثمنا للحصول على حق تقـديم



روايته الشهيرة « مائة عام من العزلة ». الى فيلم سينمائى . يقوم كوين ببطولته .

رفض ماركيز العرض دون مناقشة وعندما سئل عن سبب رفضه . قال انه لا يحب ان يعدى اهل الفن انفسهم فى حياته . فيفقدونه العزلة .

والبعد عن الاخرين . كى يواصـــل تجربته الابداعية فى صمت ..

مليون دولار رفضها ماركيز الذى لايعمل منذ سنوات . والذى يعيش على عائد كتبه فقط . والمثقل بالديون يرفض مليـون دولار لكى يحتفظ بهذا القدر الغامض من وحدته وبعده عن الاخرين .

يحدث هذا فى الوقت الذى يلهث فيه الاخرون .. وراء أى جهاز اعلامى . حكى لى المستشار مصطفى درويش النـــاقد السينمائى العظيم انه عندما عين رقيبـــا للسينما ذهب اليه كاتب مصرى طـــويل وعريض . ومعه علبة فيها اعماله الادبيـــة كلها . وقال انه يهديها له من أجـــل أن تتحول الى السينما . ولم يفهم الرجـــل يومها العلاقة بين عمل الرقيب وتحـــويل هذه الاعمال الى افلام سينما ..

ثم ابعد عن الرقابة فترة من الوقت . وعاد اليها بعد ذلك ليذهب اليـــه نفس



الكاتب . في نفس المكتب ومعه .. العلبة التي تحتوي كل اعماله الادبية ويهديها له من اجل ان تتحول الى افلام سينمائية .

نصف من يكتبون الرواية والقصـة القصيرة في مصر الان .. يكتبون اعمالهم واعينهم على السينما والمسرح والتلفزيون وكل واحد منهم . يتصور ان لحظة تقديم عمل له هنا او هناك هو ليلة القـدر التي شاهدها بنفسه في لحظة غافلة من الزمان ..

كم تبدو اقدامنا مغروسة في طـين الامنيات الصغيرة وكم تبدو هاماتنا محنية نحو الارض عندما يلتقي الانسان . بواحد فقط رأسه مرفوعة . نحن نجري ونلهث ونضرب بعضنا البعض من اجل سـفرية واحدة . الى اي دولة . وماركيز منـذ عامين فرضت عليه دولته ان يصبح ملحقا صحفيا وثقافيا متجولا في كل دول اوروبا فرفض بسبب بسيط وهو انه لا يوافق على سياسة بلاده . فكيف يدافع عـن موقف سياسي لا يوافق عليه اصلا .

مع انجزءا ضخما من معاركنا مع بعضنا البعض هنا . تكون في بعض الاحيـان بسبب الصراع على رحلة لدولة قريبـة او بعيدة .

والنتيجة هي ان هذه القامة المرفوعة تقدم لنا ادبا من النوع النادر فالانحنـاء لا يقدم في النهاية اي شيء . والـكاتب الذي يعتز بصفته ككاتب يبقى دائمـا كاتبا كبيرا ..

في المكتبة العربية سبعة اعمال مترجمة لماركيز وكتاب واحد عبارة عن حوار طويل معه . هذا الكتاب عنوانه : عزلة جابرييل جارثيا ماركيز . وهو عبارة عن حـوار طويل معه . اجراه ميجيـل فرناندير



عز الدين اسماعيل

وترجمته نادية ظافر شعبان وراجعته انعام الجندي ونشرته دار الكلمة للنشر سـنة ١٩٨٢ .

اقرأ في هذه الايام روايته السابقة ، « في ساعة نحس » التي ترجمها كامـل يوسف حسين . واصدرتها دار الرشيد للنشر في بغداد وهي احدى الدور التابعة لوزارة الاعلام العراقية . احضره لي من هناك الصديق جمال الغيطاني . ذهب الى العراق فوجدهم رغم الحـرب ، والدفاع عن ارضهم ودولتهـم ينشرون الثقافة والادب .

وكان صديقي سمير فريد . قد ذهب منذ شهرين او ثلاثة الى بيروت واحضر لي بعض اعمال ماركيز كهدية لي من هناك . من بينها روايته : عاصفة الاوراق التي ترجمها مصطفى عبود واصدرتها دار ابن خلدون . وروايته : « قصة موت معلن ». التي ترجمها صالح علماني . واصـدرتها



دار الحقائق . وروايته : الوقائع الغريبة والحزينة لارانديرا الطيبة ووحدتها الشيطانية . وترجمها الدكتور محمود موعد . ونشرتها دار ابن رشد فى بيروت.

وكنت قد حصلت على بعض رواياته من القاهرة . مثل : ليس لدى الكولونيل من يكاتبه ؟ والتى اصدرتها دار الفارابى وضمن سلسلة الادب العالمى . ترجمها صالح علمانى . وراجعها : سعيد حورانيه. وهى من ارق واعظم اعمال هذا الكاتب على الاطلاق .

وروايته : حكاية بحار غريق . التى نشرتها دار ابن رشد فى بيروت من ترجمة محمد على اليوسفى . ورواية .خريف البطريرك . التى اصدرتها دار الكلمة من ترجمة : محمد على اليوسفى.وصدرت الطبعة الاولى منها : فى يونيو ١٩٨١ . والطبعة الثانية فى اكتوبر من نفس العام .

وكان عمله الاول ، الذى ترجم الى العربية هو روايته الكبيرة « مائة عام من العزلة » التى ترجمت سنة ١٩٧٩ . وترجمها الدكتور سامى الجندى وانعام الجندى . وقد صدر لها اكثر من طبعة .

هذا هو الرجل الذى قرأت له ، هذا الاسبوع . روايته اللاحقة . فى ساعة نحس مؤخرا ، وانا اتمثل فى الذهن هذا الدرس العظيم الذى قدمه لنا اخر رهبان فن الرواية فى قرننا العشرين . الرجل الذى قدر من البداية ، ان يعتزل هذا العالم بكل من فيه . من اجل ان تعانق هذا الفن العظيم ، فن كتابة الرواية . ان الوظيفة قد تناسب الروائى بشرط ان تكون لديه شجاعة فى الوقت المناسب ، لكى يترك هذا العمل ويتفرغ للادب . والابداع الروائى ..

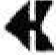
انها دروس جارثيا ماركيز .

مسرح صلاح عبد الصبور

اكتمل العام الاول على الرحيل المفاجىء والدامى لصلاح عبد الصبور . وفى ذكرى رحيله الاولى .. اصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب . كتيبا صغيرا . للناقد المعروف فؤاد دوارة ، حول مسرح صلاح عبد الصبور الشعرى . ورغم دور فؤاد دوارة طوال السنوات الماضية . الا انها المرة الثانية . التى اقرأ له فيها كتابا . كان كتابه الاول عبارة عن لقاءات مع عشرة من كبار ادبائنا وكتابنا . وكان عنوانه « عشرة ادباء يتحدثون » . وهذا هو كتابه الثانى بالنسبة لى على الاقل .

من يرى كتاب فؤاد دوارة فى الاسواق قد يتصور انه كتاب « مناسبة » . يصدر فى الذكرى الاولى . لرحيل صلاح الذى خطفه الموت منا فجاة منذ عام . خاصة وان حجم الكتاب الصغير . قد يوحى بهذا الانطباع ..

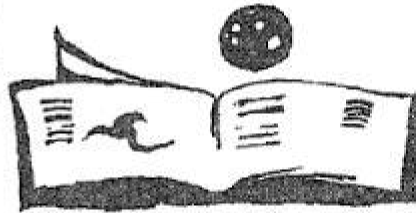
ولكن الكتاب يعكس احدى مزايا فؤاد دوارة . حيث تشى كلماته وكتاباته بحالة من البساطة على السطح وان كانت هذه البساطة تخفى تحتها قدرا من التحليل والرؤيا العميقة . الكتاب الصغير . الصادر فى سلسلة شعبية يتكون من مدخل وخاتمة وستة فصول . المقدمة عن الشعر والمسرح المعاصر . والفصول الستة . الاول منها عن مسرح صلاح عبد الصبور الشعرى . لم يدرس مسرحية من كل فصل . ومسرحيات عبد الصبور الشعرية



هي : ماساة الحلاج ومسافر ليل والاميرة تنتظر وليلى والمجنون واخيرا : بعد ان يموت الملك .

وهو يحلل كل مسرحية :• ويورد اراء النقاد في هذه المسرحية . والكتاب يلعب دورا هاما في انصاف صلاح عبدالصبور فالكل ينظر اليه باعتباره من رواد التجديد في الشعر الحديث . ويقدمونه باعتباره قد لعب دورا في تجديد القصيدة . ولكن لا احد يتكلم عن دوره ككاتب مسرحي شعري . حاول ان يطور المسرح الشعري العربي . وقدم خمس مسرحيات شعرية تعد اضافة هامة الى هذا اللون من الادب العربي .

واهمية صلاح عبد الصبور ان هذه البذور الدرامية لم تكن مفاجئة . ولكنها تبدو واضحة في اتجاهه الشعري العادي فقصيدته « رحلة في الليل » والتي نشرها في ديوانه الاول : « الناس في بلادي ». والمنشور في نهاية الخمسينات . هذه القصيدة . فيها من الامكانيات الدرامية مايرقى الى مستوى العمل المسرحي . فليها حوار داخلي . وتنقلات درامية . وهذا الاتجاه نجده في قصائده . « شنق زهران » . والناس في بلادي . ونجده ايضا في قصيدته الطويلة اقول لكم . والتي جعلها عنوان ديوانه الشعري الثاني



لقد صدر هذا الكتاب الجميل بعد وفاة صلاح عبد الصبور بيوم . ومن قبله صدر كتاب « وداعا فارس الكلمة » . ولم تحدث اي محاولة لتقييم شعره بهذه الصورة في حياته . صحيح انه نوقشت عنه اكثر من رسالة جامعية . وصدرت عنه دراسات في دوريات كثيرة . ولكنها لا ترقى الى مستوى الدراسة الشاملة . وطبعا لاننا نعيش في الشرق . فلا كرامة لاحد في حياته . ومطلوب فيه ان يموت اولا . لكي نتولى تكريمه والكتابة عنه بعد ذلك . ومع هذا . فالكتاب يعد تحية من النوع النادر . لانه يتوقف امام مساهمة يعتز بها صلاح عبد الصبور كثيرا . وهي مساهمة تصل الى حد الاعجاز . فالمسرح الشعري يعاني من ازمة اثبات وجوده المستقل على مستوى العالم كله اليوم . ومشكلة المسرح الشعري . انه ينتمي الى عالمين مختلفين . المسرح والشعر . وانه لا يستطيع الوقوف على مساحة من الارض تخصه وحده .

وربما شاب محاولات صلاح عبدالصبور بعض القصور هنا او هناك . ولكنه حاول . وكانت محاولته في طريق وعر .. وصعب وشائك . وكتاب فؤاد دوارة . ذلك الناقد المقل . يعد تحية كان الشاعر الكبير في امس الحاجة ان يسمعها في حياته .

لا باس . ان جرى هذا . ولكن بعد فوات الاوان .. المهم انه حدث . فلي بمصرنا كل الامور الجميلة . تاتي ولكن بعد فوات الاوان فعلا .

كافكا ماساته واعماله

هذا هو الكتاب الاول من فرانز



كافكا ، فى مصر ، والكتاب يأتى بعد نشر عدد من أعماله المترجمة من قبل الى العربية . وقرأ أعماله معظم الكتاب العرب وهناك من تأثر به . وظهر هذا التأثر واضحا فى أعمال أدبية مصرية وعربية بصورة واضحة

الكتاب الصغير كتبه الدكتور مجدى وهبة ، الاستاذ بجامعة عين شمس ، وفيه يتتبع أمرين فى حياة كافكا ، حياته الخاصة ومأساته . وأعماله الادبية . وتلك العلاقة القريبة بين الأمرين معا ..

وكافكا من الكتاب القلائل . الذين ارتبطت حياتهم بأعمالهم . وكانت العلاقة مابين حياته الخاصة واضحة فى أدبه .

قرأنا له من قبل القضية ، والقلعة ، وامريكا ورغم أن الكتاب صغير الحجم . الا أنه يحتوى على كل شىء عن كافكا وأعماله الادبية سواء التى ترجمت أوالتى لم تترجم الى العربية بعد .

فى الكتاب قدر من الصور النادرة لكافكا ومخطوطات لصفحات بخط يده ، لن أقول ان هذا الكتاب سد فراغا كان قائما وموجودا فى المكتبة العربية من قبل .. ولكنه هام لكل مثقف ـ مصرى أو عربى يريد ان يعرف شيئا ما . عن الأزمة الراهنة .. للانسان المعاصر .

غرفة المطالعة

اوراق مصطفى كامل

● فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، يعمل هذا المركز فى تقديم المادة الخام لوثائق التاريخ المعاصر لمصر . وهو يقدم فى هذا الكتاب الجزء الاول من تراث وأوراق مصطفى كامل وهو واحد من زعماء الوطنية المصرية ، فى فترة مبكرة جدا ..

من المفروض أن ينشر المركز ، والذى يشرف عليه حاليا نجيب رشدى . وكان يشرف عليه من قبل لمعى المطيعى ، مدير النشر الآن فى الهيئة . أوراق ووثائق مصطفى كامل فى جزئين . صدر الجزء الاول من هذه الاوراق وفيه رسائل مصطفى كامل . الخاصة والعامة . ومن المفروض أن يصدر الجزء الثانى قريبا . وفيه خطب ومقالات مصطفى .

فى هذا المجلد مراسلات مصطفى كامل مع عبد الرحيم أحمد ، والخديو عباس حلمى ، وفؤاد سليم الحجازى ومحمد فريد ، وعلى فهمى كامل . «الشقيق مصطفى كامل » . وأحمد حلمى ، وجولييت آدم . ومستر جلاد ستون ومستر بلنت ..

ومستر بلنت واحد من الاوربيين القلائل الذين تعاطفوا مع الثورة العرابية . وله كتاب قيم وممتاز هو التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ، كذلك فان جولييت آدم هى تلك الفرنسية التى وقفت بجواره ومع قضية مصر وقدمته الى الاوساط الفرنسية . عندما ذهب الى فرنسا شارحا قضية مصر فى كل مكان .

هذه الرسائل تقدم الوجه الاخر لنضال مصطفى وتقوم حقيقة علاقاته برجال مصره ، خاصة علاقاته الخارجية والداخلية معا . فى الخارج كانت له علاقات خاصة مع تركيا وفرنسا . وفى الداخل كانت له علاقات بمحمد فريد الذى رأس الحزب الوطنى من بعده .

مركز دراسات تاريخ مصر المعاصر فى هيئة الكتاب يقدم هذه الدراسات كمادة

امام الباحثين والدارسين . لتنشر ربمـا لاول مرة . قد يجدون فيها ما يهديهم الى معرفة التاريخ المعاصر .. خاصة من خلال تجربة انسانية وهي تجربة مصطفى كامل .

● ٨٨٧ رسالة كان قد كتبها الشاعر والكاتب المسرحي والروائي الالماني برتولد بريخيت في حياته نشرت مؤخرا . وقد جاء نشرها بعد ٢٥ سنة من وفاته . وهذا العدد الذي نشر مؤخرا لا يشكل سوى ثلث الرسائل التي تركها بريخيت . في حياته .

صدرت هذه الرسائل في باريس تحت عنوان : « برتولد بريخيت » رسائل .

اهم مافي هذه الرسائل . هي الرسائل الموجهة من بريخيت الى المعنيين بالمسرح. وتصحيح بريخيت لكل محاولاتهم اخراج مسرحياته او نقلها الى السينما , سواء في غرب المانيا او في شرقها .

هذه الرسائل تسلط الاضواء على حياة بريخيت افضل من كل المحاولات السابقة لكتابة قصة حياته . كما انها وثائق هامة من حياته الخاصة . التي لم يعرف منها شيء من قبل . وعن حالة السأم والملل التي اصابته بسبب الحياة في المنفى .

من اهم هذه الرسائل . رسائل كتبها الى توماس مان والى الممثلة هيلينا فانجل والى رفيق صباه كاسبر الذي اصبح فيما بعد اشهر مصمم لديكور مسرحياته وهناك ايضا مجموعة من الرسائل الى كتاب عصره .

ولد بريخيت سنة ١٩١٣ . وتوفي سنة ١٩٥٦ . وتعرض لحياة النفي خارج بلاده طويلا .

●● ظاهرة جديدة افرزها الواقـع الثقافي العربي مؤخرا . وهي ظاهـرة الابداع الجماعي . فقد فاجأ الشاعران الفلسطينيان محمود درويش ومعين بسيسو الواقع الثقافي العربي بقصيدة مشتركة. هي : رسالة الى جنود اسرائيل كتبـاها تحت الحصار في بيروت . من ارضية ان الحاصر الفلسطيني الاخير . يحـاول مخاطبة الحاصر الاسرائيلي الاخير .

وبعد ذلك اعلن الروائيان عبد الرحمن منيف . وجبرا ابراهيم جبرا . انهمـا يكتبان .. رواية معا .. هذه المرة . يبدو الوضع اكثر اثارة ؛ فالاول روائي من اصل سعودي ؛ يعيش في العراق ؛ وهو رجل متخصص في قضايا البتـرول والتنمية . والثاني من اصـل فلسطيني يعيش في العراق . الاول روائي فقط اصدر حتى الان حوالي سبع روايات . وقد بدأ الكتابة مؤخرا ؛ وفي سن متقدم اما الثاني . فرغم اصداره لعـدد من الروايات . الا ان اهتماماته متعددة . له دواوين شعر . ومجموعات من القصص القصيرة ، ودراسات نقدية واعمال ادبية مترجمة .

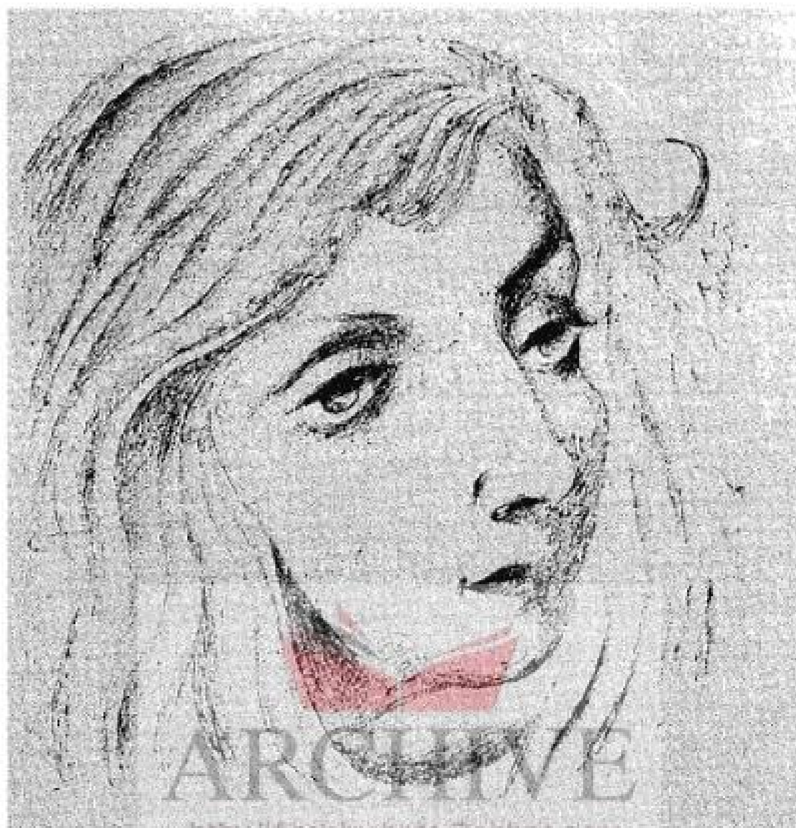
بل انه يمارس الرسم . واخرج مـن فترة سابقة فيلما سينمائيا تسجيليا . وهو يعيش ايضا في العراق .

الدكتور عبد الرحمن منيف . من اعماله السابقة الاشجار واغتيال مرزوق . قصة شرق المتوسط ، اما جبرا ابراهيم جبـرا فله : السفينة رواية . صراخ في ليـل طويل . قصة . عرق اشعار . وهـذا يؤكد ان التجربة القادمة ستكون اكثر من مثيرة . ●

قالت أحبك .. لكن !!

شعر: سعيد فياض

قالتْ . أُحبكَ .. لكنْ ... أخافُ بُعْدَ الحبيب
فاجْعَلْ لبُعدك حدا ... أو غِب وعُدْ كالغريب !
.. فقلتُ يا نَبْضَ قلبي ... بَراهُ وَخْزُ الوَجيبِ
ما قيمَةُ الحبِّ إنْ لمْ ... يَنصهرْ بحَدس مُريبِ
لنكتوي بلظاهُ ... على هَزيج اللهيبِ
طوْرا يبينُ شعاعا ... في ثغر فجر مَهيبِ
وتارةً بَوح عِطْر ... في هَيْنَمات الطيُوب
صمتا يلفُ جُسودا ... على هشيم كئيب !
... فأجْفَلَت من كلامي ... كخائِف منْ رقيبِ
وارتاع في أصغريها ... أمْنُ الهُيام السَّليب
واستَسلمَت في ضلوع ... لجَمْر دَمع حَبيب !
لكنَّها بعدَ حين ... في لهجةِ المَغلوب
قالتْ : أعِيذُ هوانا ... منَ الغرام الكَذوبِ
إنَّ الهَوى حينَ يغدو ... أسيرَ نهج رَتيب



يمشي كمرهج سراب ... تطويه عبر السهوب !
... وطوقتني بدل ... وزال ظل الشحوب
عن وجهها ، ثم قالت ... في غنة العندليب :
ما دمت تدرك فعلا ... سر الهوى .. يا حبيبي
فأنت متعة قلبي ... مغناك صفوي وطيبي
نواك مشهد جراحي ... والقرب يشفي ندوبي ! !

وجبة مختصرة

بقلم : سومرست موم
ترجمة : حسن حسين شكري

وقعت عيني عليها وانا اشاهد احدى المسرحيات ، اشارت الى بطرف اصبعها • تركت مكاني أثناء الاستراحة ، جلست بجوارها • لقد مضى زمن طويل على آخر مرة رايتها فيها • ولولا ان البعض كانوا يذكرون لى اسمها لصعب على ان اعرفها •• خاطبتنى بلهجة ساحرة « حسنا ، لقد تقابلنا اول مرة منذ بضع سنين • ما اسرع مرور الزمن ! ، لم نعد صغارا كما كنا ، أتذكر المرة الاولى التى رايتك فيها ، وطلبت منى تناول الغداء معك ، الا تذكر ذلك ؟ » •

كان هذا منذ عشرين سنة ، كنت حينئذ أعيش فى باريس ، فى شقة صغيرة بالحى اللاتينى تطل على احدى الجبانات ، واكتسب من المال ما يكفينى الحفاظ على جسدى وروحى معا • كانت قد قرأت كتابا من كتبى ، وبعثت لى رسالة بشأنه ، وارسلت لها الرد شاكرا • تلقيت منها بعدئذ رسالة أخرى قالت فيها انها ستمر على باريس وترغب فى الحديث معى ،وان وقتها الضيق لن يسمح لها بلقائى الا فى يوم الخميس التالى • واذا كان لى رغبة فى هذا اللقاء ، يمكننا تناول الغداء معا فى مطعم « فيوت » •

ومطعم « فيوت » هو المطعم الذى يتناول فيه أعضاء البرلمان الفرنسى طعامهم ، ويتجاوز كل حدود امكانياتى ولم أفكر قط فى مجرد الذهاب اليه ولو بمفردى ،



ولكننى كنت من الغرور وصغر السن ، ولم أتعلم بعد ان اقول لا ـ لاية امرأة (قلة من الرجال هم الذين يستطيعون قول لا ـ لاية امراة مهما كانت) . كان معى ثمانية عشر فرنكا تكفينى بشق الانفس حتى آخر الشهر الذى كنا فى اوله ، وأى وجبة غداء متواضعة لن تتكلف اقل من خمسة عشر فرنكا فاذا استطعت الامتناع عن شرب القهوة فى الاسبوعين التاليين ربما أدبر أمرى .

رددت على رسالتها بأننى سأقابلها فى مطعم «فيوت» يوم الخميس الساعة الثانية عشرة والنصف . لم تكن شابة كما كنت أتوقع ، ولكنها كانت جذابة مهيبة من حيث المظهر . كانت فى سن الاربعين (السن الساحرة ، ولكنها ليست من النوع الذى يثير الرغبة المدمرة فجأة أو من أول نظرة) . أعطتنى انطباعا بأن لها أسنانا كبيرة ناصعة لا عوج فيها . كانت ثرثارة ، ولكننى حين وجدتها مصرة على أن تحدثنى عن نفسى أعرتها أذنا واعية

انتابنى الفزع حين قرأت قائمة أسعار مطعم «فيوت» التى كانت أكثر ارتفاعا عما توقعت بكثير جدا ، ولكنها طمأنتنى قائلة « اننى لا أتناول شيئا يذكر فى وجبة الغداء » فأجبتها مظهرا كرمى « مستحيل لا تقولى هذا » فأجابت « لن آكل سوى صنف واحد ، الناس فى أيامنا هذه يسرفون فى الطعام ، لا باس ان اتناول سمكة صغيرة ، أترى عندهم أى نوع من السلمون ؟ » .

الحمد لله ، لم يكن هذا الوقت موسم السلمون ، ولم يكن مدرجا بالقائمة ، ومع هذا سألت الجرسون عنه ، فقال ، عندنا نوع ممتاز للغاية ، وصل الينا توا . واضاف ان هذه هى المرة الاولى التى يكون عندهم سلمون . طلبت لضيفتى طبقا من السلمون . وسألها الجرسون ، اتريدين شيئا من المشهيات لحين طهى السلمون ؟ لست أحب منها سوى صنف واحد ، أليس

عندكم كافيار ؟ واردفت اذا لم يكن عندكم كافيار ، فلا داعي للمشويات »،وانقبض قلبي قليلا ، لن احتمل ثمن الكافيار ، ولكنني لم اقل لها ذلك ،وطلبت من الجرسون أن يحضر لها الكافيار ، واخترت ارخص صنف في القائمة لنفسي ـ شريحة من لحم الضان ٠ قالت « ليس من الحكمة ان تأكل أي نوع من اللحوم ، واضافت ، لست ادرى كيف تتوقع القيام بأى عمل بعد ان تتخم معدتك بمأكولات ثقيلة كشرائح لحم الضأن » ٠

وبعدئذ جاء دور المشروبات ٠ فقالت « لست أشرب شيئا ـ ما عدا النبيذ الابيض ، الانبذة الفرنسية البيضاء خفيفة ، ومدهشة في المساعدة على الهضم » ٠ وسألتها بطريقة تنم عن الكرم « ماذا تريدين منها ؟ » وظللت ساكنا غير مظهر اى علامة تفصح عن البهجة ٠ فأبدت لمحة براقة من أسنانها الناصعة وهي تقول « لقد منعني طبيبي أن أشرب شيئا سوى الشامبانيا » ٠ فسرح خيالي وشحب لوني ، وطلبت نصف زجاجة ، وذكرت لها أن طبيبي قد حرم على شرب أى نوع من الشامبانيا ، فقالت « ماذا ستشرب اذن ؟ ٠٠ الماء ! »

التهمت « الكافيار » و « السلمون » ، وهي تتحدث مبتهجة عن الفن والادب والموسيقى ٠ ولكنني كنت مشغولا بالتفكير في فاتورة الحساب ٠ وحينما وصلت شريحة لحم الضأن الهتني عن التفكير ٠فخاطبتني « أرى انك اعتدت على تناول غداء ثقيل ، انني واثقة ان هذا خطأ ٠ لماذا لا تسير على نهجي ، وتأكل صنفا واحدا وبكل تأكيد ستشعر أن ذلك أفضل لك بكثير ؟ »

قلت لها « سأفعل ذلك ، سآكل صنفاً واحدا من الطعام » وحضر الجرسون في هذه الاثناء ومعه فاتورة الحساب ، فنادته ، وهي تقول ٠ « لا ٠ لا لست آكل سوى صنف واحد في وجبة الغداء ـ وجبة مختصرة ـ لا يمكنني تناول المزيد من الطعام الا اذا كان عندكم

« كشك الماز » سأندم على مغادرة باريس دون أن أتذوقه هذا حتى لا يكون الحديث بيننا مملا لا أكثر ولا أقل .

وانقبض قلبي مرة أخرى ـ فقد سمعت عن كشك الماز ورأيته في المحلات ، وأعرف ان ثمنه رهيب .وكان لعابي يسيل عند رؤيته .

وسألت الجرسون « المدام تريد ان تعرف .. هل عندكم كشك الماز ؟ » محاولا بكل قوتي ارغامه على ان يقول ـ لا ..

وارتسمت ابتسامة سعيدة على وجهه العريض الذي يشبه وجه الكاهن مؤكدا لي ان عندهم منه انواعا مدهشة للغاية . فتنهدت قائلة « لست جائعة لهذه الدرجة ، ولكن مادمت مصرا ، فلا ارى مانعا » . وطلبت طبقا من « كشك الماز » وسألتني ((هل ستأكل منه ؟)) فاجبتها، « لا .. انني لم اذقه في حياتي قط » . « هناك كثير من الناس لا يحبونه .وفي الواقع انك تفسد حاسة تذوقك بما تأكله من اللحوم » .

وانتظرنا حتى يطهى ((كشك الماز)) . سيطر الذعر علي . فالمسألة الآن لم تصبح كم سيبقى من النقود معي لانفق منه حتى آخر الشهر ، ولكنها مسألة ، هل مامعي سيكفي دفع فاتورة الحساب ام لا .. فقد يزعجني انه لا يكفي واضطر الى الاقتراض من ضيفتي ، وليس بوسعي أن افعل ذلك . كنت أعرف ما معي من النقود تماما . فماذا سأفعل لو ان فاتورة الحساب كانت بمبلغ اكبر .

فكرت في الامر .. أضع يدي في جيبي ، أبدأ في الصراخ بطريقة مثيرة .. لقد نشلت نقودي . وبالطبع سيكون الموقف مخزيا اذا لم يكن معها ما يكفي لدفع فاتورة الحساب . وحينئذ لن أملك سوى ترك ساعتي في المطعم حتى أعود لدفعها .

وظهر « كشك الماز » غارقا في العصير، مثيرا للشهية

واخترقت رائحة الزبد المنصهر فيه فتحات أنفي وأخذت أرقب المرأة الشريرة وهي تحشر « الكشك » باتساع فمها بطريقة نهمة ٠ وأنا أحدثها بطريقتي المؤدبة عن أحداث احدى المسرحيات ٠٠

وأخيرا ، بعد أن أتت على طبق « الكشك » قلت لها : اطلب لك قدحا من القهوة ؟ » فأجابت ، لا بأس ، من علبة آيس كريم وقدح من القهوة » ٠ والآن كان اليأس قد بلغ بي ما بلغ ٠ فطلبت لنفسي قدحا من القهوة ، وطلبت لها علبة آيس كريم ، وقدحا من القهوة ٠٠ قالت وهي تلتهم الآيس كريم « صدقني ٠٠ أنا لا أعتقد تماما سوى في شيء واحد ـ هو أن الانسان يجب أن ينهض بعد تناوله أى وجبة من الطعام وهو يشعر أن بامكانه أن يأكل شيئا قليلا » ٠

فسألتها ، وقد شحب وجهي « أما زلت جائعة ؟ » قالت « ماذا تقول ، أنا لست جائعة ، انا لا أتغدى أبدا أشرب قدحا من القهوة في الصباح ، ولا آكل شيئا حتى العشاء ، آكل صنفا واحدا في الغداء ليس الا ، لقد كنت أتحدث معك » ٠ قلت « نعم ، أنت على حق ! » ٠

ثم حدث شيء مفزع ، فبينما كنا ننتظر القهوة اذا برئيس الجرسونات يتهادى وعلى وجهه ابتسامة زائفة ،وهو حامل سلة مليئة بالخوخ الكبير الحجم أحمر اللون كخدي فتاة بريئة ، تراه كالمناظر الطبيعية الايطالية ! ٠٠

وبالتأكيد لم يكن هذا أوان الخوخ والله وحده يعلم كم سيكون ثمنه ٠٠ غبت عن وعيي بضع لحظات عرفت بعدها ان ضيفتي قد أكلت منه واحدة أثناء حديثها ٠٠ وعلقت بقولها « ألست ترى أنك اتخمت معدتك بكمية اللحم التي أكلتها (شريحة اللحم الصغيرة الوحيدة) ولن تستطيع الآن أن تأكل شيئا آخر ٠٠ أما أنا فقد تناولت وجبة خفيفة ، وسأستمتع بأكل الخوخ ٠٠

وأتت على سلة الخوخ في بضع ثوان !

وصلت فاتورة الحساب ، وبعد دفعها لم اجد معي ما يكفى دفع « بقشيش » مناسب ، ووقعت عيناها على الثلاثة فرنكات التى تركتها للجرســـون ، وعرفت من نظرتها انها عدتنى حقيرا • وحينما غادرنا مطعم «فيوت» كان امامى شهر باكمله وليس في جيبى بنس واحد ! وصافحتنى وهي تقول « سر على نهجي ، لا تاكل سوى صنف واحد في الغداء ! » فاجبتها توا « ســـيدتى » سأفعل ما هو أفضل من ذلك ، لن آكل شيئا البتة منذ الليلة وحتى آخر الشهر ! » •

فصاحت من الفرح « يالك من ســـاحر ! » وقفزت لتركب احدى العربات ، وهى تردد « يا لك من ســـاحر حقا ! » ●



صحب طفيلى رجلا في سفر ، فلما نزلوا ببعض المنازل قال الرجل : خذ درهما وامض فاشتر لنا لحما .. فقال الطفيلى : قم انت والله انى لتعب فاشتر انت .. فمضى الرجل فاشتراه ثم دار بينهما الحوار الاتى : الرجل: قم فاطبخه .. الطفيلى : لا احسن فقام الرجل فطبخه ثم قال للطفيلى قم فاثرد .. الطفيلى : والله انى لكسلان .. فثرد الرجل ثم قال : قم فاغرف .. الطفيلى : اخشى ان ينقلب على ثيابى .. فغرف الرجل حتى ارتوى الثريد فقال : قم الآن فكـــل .. الطفيلى : نعم ، الى متى هذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك.



من ذخائر الكتب العربية

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

الإمتاع والمؤانسة

ـ ١ ـ

الجاحظ الثانى ابو حيان التوحيدى من اعلام القرن الرابع الهجرى ، ومن رواد الحركة الادبية فيه وائمتها . عاش حياته بائسا مكدودا يشكو البؤس والحرمان ، وكانما ادركته حرفة الادب او صبت عليه هذه الحرفة كلكلها حتى كادت تطحنه طحنا .

يصف حال نفسه فى مقدمة كتابه « الاشارات الالهية » الذى حققه وقدم له د. عبد الرحمن بدوى فيقول : (ص ١٨ ط القاهرة ١٩٥٠)

« اما حالى فسيئة كيفما قلبتها ، لان الدنيا لم تواتنى لاكون من الخائضين فيها ، والاخرة لم تغلب على فاكون من العاملين لها . واما ظاهرى وباطنى فما اشد اشتباههما ، واما سرى وعلانيتى فممقوتان بعين الحق ، لخلوهما من علامات الصدق ، ودنوهما من مواقع الرق ، واما سكونى وحركتى فآفتان محيطتان بى ، لانى لا اجتنى احدهما حلاوة النجوى ، ولا اعرى فى الاخر من مرارة الشكوى ، واما قرارى واضطرابى فقد ارتهننى الاضطراب حتى لم يدع فى فضلا للقرار ، وغالب ظنى انى قد علقت به لانه لا طمع لى فى الفكاك ولا انتظار عندى للانفكاك »

ولقد عاش عصره وحياته فى شقاء دائم كان العصر البويهى (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ) عصر اضطراب سياسى كبير ، شمل العالم الاسلامى كله ، وخضعت فيه الخلافة العباسية للملوك البويهيين ، الذين استلبوا من الخلفاء كل سلطانهم ، وحكموا العالم الاسلامى باسمهم ، وبدات تنشا الامارات المستقلة ، والدويلات المتحررة من نفوذ بغداد والبويهيين ، ونشا من ذلك ضعف عام شمل جميع ارجاء الخلافة وكثرت الحروب ، وعم الفقر ، وساد البؤس والحرمان كل مناطق الولايات الاسلامية . ووجد الادباء انفسهم اشد طبقات المجتمع خصاصة ، واكثرها فاقة ، واذيعهما شكوى ومرارة والما ، وكان ابو حيان التوحيدى ظاهرة من ظواهر هذا المجتمع العجيب ، ووجدنا طبقة من الادباء تحترف الكدية ، واتخذت لنفسها لقب « الساسانيين » وقد صورهم ابو دلف الينبوعى الخزرجى فى قصيدته الدالية المشهورة وكذلك البديع الهمذانى فى مقاماته ، تصويرا واضحا ..

ومع ان التوحيدى عاش قريبا من بلاط الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ، فقد هجاهما ، والف فيهما كتابا سماه « مثالب الوزيرين » ، واثر ان يعيش مع « الغرباء والمحتدين الادنياء الاردياء » ـ (ج١ ص ٧ الامتاع والمؤانسة ط القاهرة ١٩٣٩ » ـ وكما يقول محقق كتاب « الاشارات الالهية » د . عبد الرحمن بدوى نقلا عن ياقوت فى « معجم الادباء » : « لقد عرف الشقاء الذى لا يستحقه ، ولقى الاهوال من الاحياء ، بينما وجد التافهين يرتفعون الى اعلى مراتب الرياسة والشرف فى الدنيا ، وسعى ما استطاع لطلب الشالة بين الناس ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولد الجاه عندهم » . ولكنه حرم من ذلك

كله ، وزاد من شعوره بالالم انه طلب المجد عند اناس مهنتهم مهنته ، اعنى حرفة الادب ، لكنهم بلغوا مرتبة الوزارة، وهو لم ينل الا البؤس والحرمان (ى من مقدمة كتاب « الاشارات الالهية »

وكان صديقه ابو بكر القومسى الفيلسوف مثله، ويقول عنه التوحيدي: كان بحرا عجاجا وسراجا وهاجا ، وكان من الضر والفاقة ومقاساة الشدة بمنزلة عظيمة ، فهو عظيم القدر عند ذوى الاخطار ، منحوس الحظ منهم ، وقال له التوحيدى ذات يوم : ما ظننت ان الدنيا ونكدها تبلغ من انسان ما بلغ منى ، ان قصدت دجلة لاغتسل منها نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لاتيمم بالصعيد عاد صلدا املس (ى من مقدمة «الاشارات» — عن ياقوت فى معجم الادباء ص ١٠ ج ١٥)

وكم كان يكرر: « معاناة الضر والبؤس اولى من مقاساة الجهال ، والصبر على الوخيم الوبيل اولى من التظر الى محيا كل ثقيل » ، وعاش مترفعا على الفقر وعلى الناس وعلى السادة فى عصره

ان التوحيدى كان شاهدا على عصره، وعلامة واضحة من علامات بيئته ، فهو يعيش حياته غريب الروح والفكر ، غريب الدار والوطن لا يستقر به قرار ، ولا ينعم بان يؤويه سكن او دار ، ولكنه غنى النفس ، غنى الفكر ، غنى الادب . يشعر بعظمته وبنفسه وبقيمة ادبه وفكره فى الحياة ، ويقول مثل هذه العبارة الرفيعة : « استشعر العظمة ، فانك بهذا الاستشعار تستحق التكرمة » — ص ١٠٤ الاشارات الالهية

وهكذا عاش التوحيدى حياة البائسين، وحياة المفكرين ، حتى ليعد الفيلسوف الاديب المعبر عن ثقافة النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، كما يقول عنه د. زكى نجيب محمود — تراث الانسانية العدد العاشر من المجلد الاول .

— ٢ —

« الامتاع والمؤانسة » حققه ونشره احمد امين واحمد الزين فى ثلاثة اجزاء، وقالا عنه : انه مجموع مسامرات فى فنون شتى من الادب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة ، حاضر المؤلف بها الوزير ابا عبد الله العارض فى اربعين ليلة

واقول ان التوحيدى عرض فى هذا الكتاب الجليل كل مشكلات الثقافة والفكر والادب فى عصره ، فى ندوات ادبية كان يعقدها فى امسيات جميلة فى دار الوزير ابى عبد الله العارض

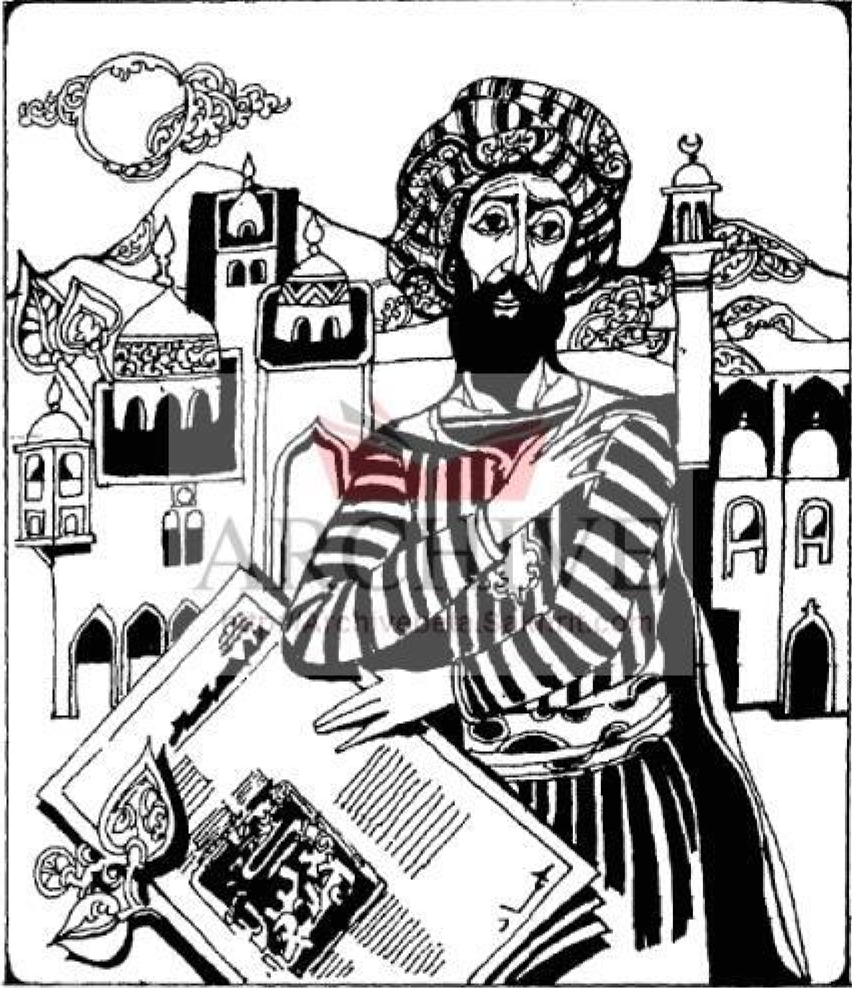
ان الكتاب حديث متصل عن كل التيارات الفكرية والادبية فى عصر التوحيدى ، مما كان موضوع سمر ومنادمة وحوار فى مجلس هذا الوزير

وكما الف بعض الادباء فى هذا العصر فى باب السمر اصول كتاب الف ليلة وليلة ، فقد الف التوحيدى لذلك هذا الكتاب الممتع الرائع ، الذى نقص علينا فيه كل ما كان يعنيه من مشكلات الفكر والثقافة والادب فى ادب رفيع من ادب السمر والحوار ، فى مجلس وزير جليل ويتشابه « الف ليلة وليلة » مع كتاب « الامتاع » فى ان كلا منهما تتوزع السمر والحديث فيه فى ليال متعاقبة ليلة بعد ليلة

والكتاب موزع على اربعين ليلة، وان كانت الليلة العاشرة والحادية عشرة جعلتا فى ليلة واحدة ، وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب

وينتهى الجزء الثالث من الكتاب بالليلة الاربعين وكان الحديث فيها عن ابى تمام والبحترى شاعرى القرن الثالث الهجرى العظيمين ، وعن تباين الافكار والمذاهب وتخاصمها ، وعن بعض الاثنين الذين ذهبوا الى ان الله عز وجل لم يخلق السباع الضارية ولا الهوام ، ولا

● التوحيدى كان شاهدًا
على عصره وبيئته
وكبار الحكام والأدباء





من ذخائر الكتب العربية

سلطها على الناس ، ولم يضرب الناس بالاوجاع والاسقام - ص ١٩٠ ج ٣ الامتاع ، ويرد عليهم التوحيدى هذا الراى .

ثم ينقل التوحيدى عن بعض المتكلمين ببغداد قوله : اذا كان الله عدلا كريما، جوادا عليما ، رؤوفا رحيما ، فانه سيصير جميع خلقه الى جنته .

ثم يقول الوزير للتوحيدى : هات ملحة المجلس ، فيقول التوحيدى عن ابى همام : لو كان النخل لا يحمل بعضه الا الرطب ، وبعضه الا السر ، وبعضه الا الخلال ، وكنا متى تناولنامن الشمراخ بسرة خلق الله مكانها بسرتين، ما كان بذلك باس ، ثم قال : استغفر الله ، لو كنت تمنيت بدل نواة التمر زبدة كان اصوب

ويذكر التوحيدى كذلك بعض المانورات عن أم المؤمنين عائشة ، رضى اللهعنها، فيصفها الوزير بفصاحة اللسان ، وشجاعة الجنان

كما يذكر مانورات اخرى لادباءمتعددين

وفى آخر الكتاب يخاطب التوحيدى صديقه أبا الوفاء المهندس فيقول :

واما ما قلت لى ايها الشيخ انهينبغى ان تكتب رسائلك الى الوزير ، حتى الف



على مقاصدك فيها ، وأستبين براعتك وترتيبك بها ، فانا افعل ذلك فى هذه الورقات

ثم يلحق بالليلة الاربعين رسالتين كتبهما الى الوزير

وفى الرسالة الاولى يتحدث التوحيدى الى وزيره فيقول :

كنت وصلت الى مجلس الوزير وفزت بالشرف منه ، وخدمت دولته وتصرفت من الحديث بالآئه فى شجونه وفنونه ، كل ذلك آملا فى جدوى اخذها ، وحظوة احظى بها ، وزلفى اميس معها ، فتقبل ذلك كله ، ووعد عليه خيرا ، ولم يزل اهله ، وانقلبت الى اهلى مسرورا ، بوجه مسفر ، ومحيا طلق ، وأمل قد سد ما بين افق العراق الىصنعاء اليمن، حتى اذا قلت للنفس : هذا جناب الوزير ومحضره، فاطمئنى راضيةمرضية، حصلت من ذلك الوعد والضمان ، على بعض فعلات الزمان ، ولا عجب فى ذلك من الزمان ، فهو بمثله ملىء . وبقيت محمولا بينى وبين الاذكاره، حيران لاارائش ولا أبرى ، ثم رفعت ناظرى ، وسددت خاطرى ، وفصلت الحساب لى وعلى ، فوضح العذر المبين ، المانع من استزادة المستزيد ...

وليس بعد هذا الاسلوب اسلوباامعن فى التهكم ، ولا ابلغ فى السخرية ، منه ...

وتمضى الرسالة الثانية كذلك جامعة بين الجد والهزل ، والسخرية والتهكم ثم يلحق التوحيدى بهاتين الرسالتين رسالة ثالثة فى شكوى الناس وجه بها الى ابى الوفاء المهندس الذى كتب له التوحيدى هذا الكتاب ، وختم كتابهبها .. وفى هذه الرسالة يقول التوحيدىلابى الوفاء الذى قربه الى الوزير :

خلصنى ايها الرجل من التكفف ، انقذنى من لبس الفقر ، اطلقنى منقيد الضر ، اشترنى بالاحسان ، اكفنىمؤونة الغداء والعشاء

ويسترسل في كلامه قائلا :

الى متى الكسيرة اليابسة ، والقميص المرقع ، الى متى التادم بالخبز والزيتون قد والله بح الحلق وتغير الخلق ، الله، الله في امرى اجبرني فانني مكسود ، اسقني فانني صد ـ ظمآن ـ اغثني فانني ملهوف ، حلني فانني عاطل ، شهرني فانني غفل . قد اذلني السفر من بلد الى بلد ، وخذلني الوقوف على باب باب ، ونكرني العارف بي ، وتباعدعني القريب مني .. ايها الكريم .. ارحم، والله ما يكفيني ما يصل الى في كل شهر من هذا الرزق القتر ، الذي يرجع بعد التقتير والتيسير الى اربعين درهما مع هذه المؤونة الغليظة ، والسفر الشاق، والابواب المحجبة ، والوجوه المقطبة ، والنفوس الضيقة ، والاخلاق الدنيئة.

ثم يقول في هذه الرسالة : وانا الجار القديم ، والعبد الشاكر ، ولكنك مقبل كالمعرض ، ومقدم كالمؤخر

ان التوحيدي يعرض في هذه الكلمات قصته مع الوزير ، عرض الساحر البليغ الذي لا يجاري بيانه بيان

والوزير العارض الذي وصله ابو الوفاء المهندس به من وزراء الدولة البويهية استوزره ـ كما يقول احمد امين ـ صمصام الدولة البويهي عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٤م لما تقلد الامور بعد وفاة ابيه عضد الدولة ، وكان له ندوة يجتمع فيها العلماء والمفكرون والادباء ، ومن بينهم: التوحيدي ، وابن زرعة الفيلسوف ومسكويه وابو الوفاء المهندس، وسواهم.

وهذا الوزير هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن سعدان.. اما ابو الوفاء (٣٢٨ـ ٣٧٦ هـ) فهو من كبار المهندسين في العصر البويهي

ـ ٣ ـ

وكتاب « الامتاع » يحتوى اعظم الوثائق الادبية والفكرية ، التي تمخض عنها القرن الرابع الهجري العظيم ، قرن الثقافات الرفيعة والادب المزدهر ، والفلسفة الدائمة .

والكتاب احد كتب التوحيدي الرائعة، التي نعرف منها : الاشارات الالهية ، الهوامل والشوامل الذي حققه احمد امين والسيد احمد صقر : والمقابسات ، والصداقة والصديق، والذخائر والبصائر

في كل ليلة من ليالي « الامتاع والمؤانسة » الاربعين ، يجري الحوار والسمر حول موضوع محدد ، يعينه ابن سعدان الوزير، وان كان عقل التوحيدي الواسع الثقافة ، المحيط بجوانب شتى من المعرفة ، كثيرا ما يسلك سبيل الاستطراد فينتقل من طرفة الى طرفة ، ومن فكرة الى فكرة ، ومن شيء الى آخر شبيه به ، حتى ليتناول موضوعات عدة ، ويختتم الليلة غالبا بملحة وداع ، اى بطرفة يختتم بها الامسية الادبية .

ـ ٤ ـ

ان كتاب " الامتاع والمؤانسة » لهو خلاصة رائعة لمشكلات الفكر والثقافة والادب في القرن الرابع الهجري ، وهو زاد رفيع من المعرفة ، وكما نجلس في عصرنا الراهن في انديتنا الادبية لنتحدث ونتناقش ونتحاور في مختلف مسائل الثقافة ، كان ابو حيان التوحيدي الجاحظ الثاني ، باسلوبه البليغ ، وبيانه الرفيع ، وكلامه العذب ، يجلس في مجلس هذا الوزير البويهي الكبير ، ليتحدث في مختلف مسائل العلم والمعرفة والفلسفة ، حديث الانسان المثقف الداهية ، البليغ الاديب ، فيملك الاسماع ، ويستولي على الالباب ، ويثير الدهشة من كل مكان ، ويتصل الحوار بينه وبين اعلام عصره ندوة الوزير ، ويحتج كل لرايه ، وتكون نتيجة ذلك كله ثراء ما بعده من ثراء للفكر والعقل وللانسان .

رحم الله ابا حيان شيخ المفكرين وشيخ الادباء ، في عصره ، والجاحظ الثاني ، الذي خلف للعربية زادا رفيعا من الثقافة ، مازلنا ننهل من ينابيعه العذاب ●

تأملات الصفحة الأخيرة

● لاتقل ان الصهيونيين ذبحوا فى صابرا وشاتيلا ثلاثة الاف لاجىء اعـزل ! .. هـذه اقاويل معادية للسامية ! .

● القبلات تنشر الميكروبات على اوسـع نطاق ، ولكن لايمكن للدول الكبرى ان تستعملها فى الحروب الميكروبية !.

● حيث توجد الاغنام ، يحتمل ظهور الـذئاب فجـاة !..

● خير علاج للقلب الذى تحطم فى الحب ، اعادة سبكه من جديد ، توطئة لتحطيمه مرة اخرى !..

● العقـل الة جبارة لاتكف عـن العمل ، الى ان يتزوج صاحبها ..

● كلمات المجامله تسر المرأة كثيرا ، الا اذا قلت لها : انت عاقله جدا ، بدلا من قولك : انت جميلـة جدا !..

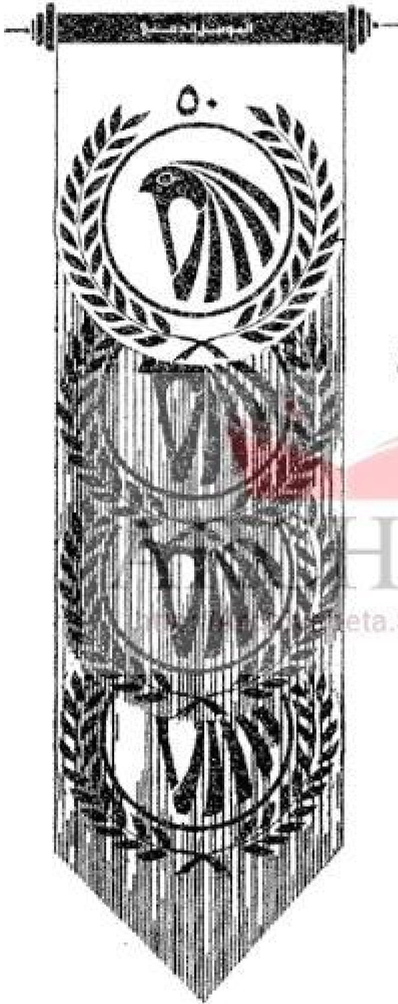
● قد يبذل احدهم المستحيل بحثا عن منصب ، فاذا جلس على كرسيه لم يبذل اى جهد فى البحث عن عمل ! ..

● قال لها : احب ان اسكن فى قلبك !.. قالت بفزع : هل بلغت ازمة المساكن هذا الحد الفظيع ؟!.

((. . ..))

مصر للطيران

علم مصر في كل مكان



مصر للطيران

٥٠

عاماً من الخبرة

اليوبيل الذهبي

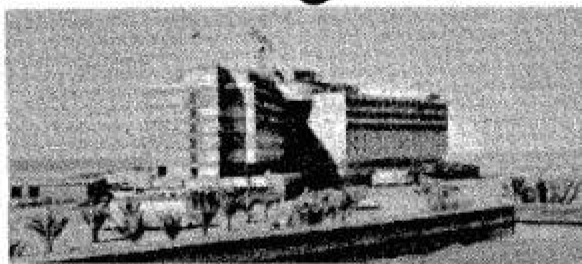
١٩٣٢ - ١٩٨٢

مدينة المقطم

تعلن الشركة عن فتح باب البيع

مرافق كاملة

مياه - مجاري - كهرباء
شوارع مرصوفة



أراضي للعمارات

مساحة القطعة ٨٠٠ متر
سعر المتر ٥٥ جنيها
والنواصي ٦٨ جنيها



أراضي للفيلات

مساحة القطعة ١٠٠٠ متر
بأسعار تبدأ من ٧٧ جنيها
إلى ١٠٣ جنيهات

يدفع المشترى ٥٠ ٪

عند توقيع العقد الابتدائى
ثم ٢٥٪ بعد ٣ أشهر
والباقى ٢٥٪ بعد ٦ أشهر

المعاينة والحجز والبيع
يوميا حتى الواحدة
بعد الظهر بمقر الشركة
بمدينة المقطم
ميدان النافورة

للاستعلام : تليفون ٩٢١٩٥٩/٩٣٩٩٢٥/٩٢٠٢٥١

الهلال

نوفمبر
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشا

التكنولوجيا في مذبحة اللاجئين



اتصالات فاروق وهتلر في الحرب العالمية

الديوان الشفوي المجهول حافظ إبراهيم

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن
دار الهلال .. أسسها
جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
عدد [illegible] السنة التسعون
أول نوفمبر ١٩٨٢ ـ ١٥
من محرم ١٤٠٣

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير
كمال النجمي
المستشار الفني
محمد أبو طالب
سكرتير التحرير
موسى عبيد



الغلاف من تصميم محمد أبو طالب عن تمثال من معرض الفنان د. صبحي جرجس الذي أقيم في مجمع الفنون بالزمالك .

الأسعار

سوريا	٢٥٠	ق.س	غزة	٨٠	ليرة	اليونان	٥٠	دراخمة
لبنان	٣٠٠	ق.ل	الصومال	٥٠	بني	فيينا	٢٥	شلنا
الأردن	٣٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	٣٫٥	مارك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بني	كوبنهاجن	١٠	كرونات
العراق	٤٥٠	فلسا	أسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤	كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥٠	بني	كندا	٢٥٠	سنتا
السودان	٣٥٠	مليما	أديس أبابا	٢٥٠	سنتا	البرازيل	٢٥٠	كروزيرو
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	٨	فرنكات	نيويورك	٢٥٠	سنتا
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	٨٠	بني	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	ايطاليا	١٢٠٠	ليرة	استراليا	٣٠٠	سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣٫٥	فرنك	هولندا	٤	فلورين

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى وباكستان أربعة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى أو عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



في هذا العدد

عزيزي القارىء

● عاش امير الشعراء احمد شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم اجمل ايامهما بعد موت خمسين عاما ، فقد تذكرتهما انت ياعزيزى القارىء، وتذكرهما معك الكثيرون : من كليات الآداب واللغة العربية ، الى أصغر « قصر ثقافة » فى الريف المصرى .

ان حفاوتنا بهما ، بعد خمسين عاما من رحيلهما ، معناها أن الرجال الذين يخدمون بلادهم بالعمل أو بالكلمة ، يعيشون بعد موتهم ، لان عملهم الذى انقضى برحيلهم ، مستمر فى عملنا ، واقوالهم التى اناروا بها طريقنا القديم ، لم تنطفىء ، فمصابيح الفكر والادب والفن لا يطفئها مر السنين .. !

وفى هذا العدد من «الهلال» تجد بقية من الكلام عن حافظ ابراهيم ، لان شوقى ظفر بنصيب الاسد فى كلام القائلين والكاتبين طوال الشهر الماضى ، كأنما لحقت بحافظ ابراهيم « حرفة الادب » حتى فى حفاوة قومه بذكراه .. ! وهنا يحاول الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف والدكتورة نعمات احمد فؤاد ان يقدما بعض العون لحافظ - رحمه الله - فيما لحقه فى حياته وبعد مماته ، من هذه الحرفة المؤذية ..

ويطلع « الهلال » هذا الشهر مع هلال شهر المحرم سنة ١٤٠٣ الهجرة ، نسأل الله ان نكون عام خير وبداية نصر لامتنا العربية التى احاطت بها الحوادث الجسام من كل جانب ووقفت بها فى مازق تاريخى اشبه بمازقها فى غزوة هولاكو وتيمورلنك ، ومن قبل هذين غزوات الصليبيين المستعمرين .

وقد كان هلال المحرم وما زال مصدر وعى سياسى وقومى ودينى والهام أدبى .. وهذا هو المعنى فى مقال الدكتور محمد رجب البيومى الذى تراه فى هذا العدد ..

ان الانسان العربي هو انسان القرن العشرين الذى تتحكم فيه تكنولوجيا أناس آخرين امتلكوا زمام القرن العشرين امتلاكا تاما ، فتحكموا فى الانسان العربى ، وفى كل انسان افريقى او آسيوى لا يملك من التكنولوجيا شروى نقير ، على حسب التعبير القديم ! ..

وتجد هذا المعنى فى مقالة عبد الستار الطويلة : «السبرناطيقا القاتلة فى مخيمات اللاجئين العرب » ! ..

ويواصل الدكتور ناجى نجيب فى هذا العدد بحوثه عن اديب الرومانسية المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى ، وهى بحوث تمتاز بالذكاء وسعة الافق ..

وتثير ظروف التطرف الدينى الان هذا السؤال : ما هى الصلة بين الاسلام والسيف ؟!

يجيب الدكتور محمد عمارة عن هذا السؤال الهام ، اجابة تنفى عن الدين كل اتجاه الى التطرف والتشدد ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، وليس القتال من غايات الاسلام والمسلمين ، ولكنهم اذا قوتلوا وديست ارضهم من عدو اجنبى قاتلوا حتى يفتح الله عليهم !..

وستجد فى هذا العدد حادثين من التاريخ المصرى لهما دلالة وعبرة ، احدهما فى مقال الاستاذ فتحى رضوان عن الخديو عباس حلمى الثانى والآخر فى مقال الدكتور السيد فهمى الشناوى من الاتصالات التى جرت بين فاروق والمخابرات الهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية ..

ثم ندعك وما تحب من مواد هذا العدد التى نرجو أن يكون فى تنوعها مايرضى كل الاتجاهات فى الادب والعلم والفن ..

ويسعدنا دائما ان نلتقى برأيك، وستجد ابتداء من العدد القادم بابا خاصا نلتقى فيه برسائلك، أو نلتقى بك - على الاصح - ومرحبا بك واهلا ..

« كمال النجمى »

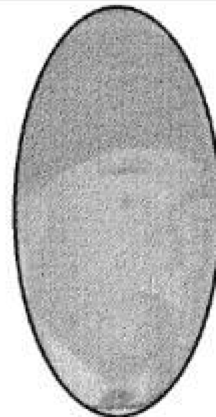
بمناسبة العام الهجرى الجديد

هلال المحرم

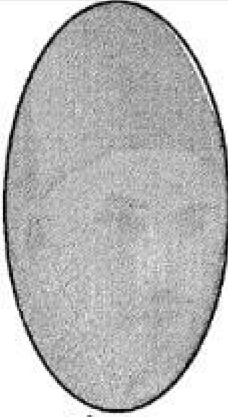
مصدر وعى سياسى وإلهام أدبى

بقلم: د. محمد رجب البيومى

● مصر اول دولة اسلامية احتفلت رسميا بالعام الهجرى، فجعلت مطلعه اجازة عامة فى البلاد، واقامت الاحتفالات الكبرى بمقدمه، فشرع كبار الشعراء والادباء ينشئون روائعهم فى تمجيد الهجرة النبوية، واطراء صاحبها المناضل، حتى وجد فى الادب العربى الحديث فن خاص بهذا الموسم المبارك، وتعددت منابر الحديث الادبى عن الهجرة، وعرف من زعماء الادب من اشتهروا بادبهم الهجرى - ان صح هذا التعبير - ففى الجمعيات الاسلامية برز ادباء كبار ممن تكرر احتفالهم بالهجرة من امثال منصور فهمى وعبدالله عفيفى ومحمد الهيهاوى ومحمود رمزى نظيم ومحمد احمد جاد المولى، وفى المجلات الدائمة، جعلت أعداد الهجرة تصدر تباعا فى مطلع كل عام، ومن أبرز هذه المجلات مجلتا الفتح والرسالة حيث عرف من شعراء مجلة الفتح احمد محرم ومحمد حسن النجمى وصادق عرنوس واحمد على باكثير ومن شعراء الرسالة الخفيف ومحمود غنيم وامجد الطرابلسى ومحمد عبد الغنى حسن ومحمود حسن اسماعيل وانور العطار، أما الكتاب فهيهات أن يقفوا عند حصر، ومعنى ذلك كله ان لدينا موسوعة ادبية كبرى ذات أجزاء تمثل أدب الهجرة قيلت فى مطالع المحرم، وانها جديرة برسالة علمية تعدد الخصائص الادبية.


منصور فهمى


عبد الله عفيفى


محمد الههياوى

لهذا الغرض الادبى الجميل ..

يذكر الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه الرائع عن محمد فريد ان طلبة المدارس العليا والثانوية هم أول من دعوا الى الاحتفال بالعام الهجرى « سنة ١٣٢٦ هـ » « ١٩٠٨ » فاقيمت حفلة جامعة بدار التمثيل العربى ، خطب فيها ثلاثة عشر طالبا ذكر الرافعى أسماءهم ، كما أنشد الشاعر محمد امام العبد قصيدة عن العام الهجرى ، فامام العبد اذن هو أول شاعر عربى معاصر احتفل بالعام الهجرى ، وهذا ما يصحح قول الدكتور زكى مبارك ان حافظ ابراهيم هو الذى ابتكر فن الحديث الشعرى عن الهجرة لان شاعر النيل بدأ هجرياته فى العام التالى « ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩م » كما اوضح الرافعى ذلك حين تحدث عن اهتمام البلاد بالموسم الهجرى ، واحتشاد الطلاب للاحتفال الدينى الرائع برعاية نادى المدارس العليا ، تحت رئاسة الاستاذ احمد لطفى بك وكيل الحزب الوطنى ، وتكرر الاحتفال فى سنوات عدة تحت رئاسة هذا الوطنى القدير ، وقد رات الحكومة منذ « ١٩٠٩ - ١٣٢٧ » أن تجعل يوم الهجرة عطلة رسمية استجابة لعواطف الجمهور ، فاقيمت الاحتفالات الكبرى فى عواصم المديريات والمحافظات ، واذا كان حافظ وشوقى ومطران هم كبار الشعراء لذلك العهد ، فمن

المناسب ان نشير الى بعض ما قالوه فى هذا الموسم الرائع، دون ان ننكر ما قاله زملاؤهم الكبار من أمثال عبد الحليم المصرى وأحمد محرم وأحمد نسيم وأحمد الكاشف وعبدالمطلب اذ حفلت صحف الامس بكثير مما أبدعوه ، ولكل مقامه الملحوظ ..

حافظ ابراهيم المؤرخ

اشتهرت قصائد حافظ اكثر من صاحبيه فى هذا المجال ، لان صياغته الشعرية من السهولة والاشراق بحيث تصافح القلوب دون حجاب ، وقد سلك مسلك المؤرخ فيما نظم فى استقبال العام الجديد ، فأخذ يحصى ما كان من الاحداث فى شتى ربوع العالم الاسلامى ، فتحدث عن تركيا وفارس والافغان والهند وجاوة ومراكش والجزائر وتونس قبل أن يتحدث عن مصر ، لان الشعور الاسلامى الحميد قبل أن يبتلى الله العرب بما يسمى بالقومية كان ينتظم المسلمين جميعا فى سلك متماسك لا انفصام به ، وكانت جرائد اللواء والمؤيد والدستور تفرد الصفحات يوميا للعالم الاسلامى فتعمل على أن يكون المسلمون جسما واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعى له جميع الاعضاء بالسهر والحمى ، كما قال نبى الاسلام ، وقد ابتدأ شاعر النيل القصيدة الاولى بقوله :

أطل على الاكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا


عبد الرحمن الرافعى


عبد الحليم المصرى


خليل مطران

تجلى لهم فى صورة زاد حسنها
على الدهر حسنا أنها تتكرر
والمع الى حديث الهجرة اذ كان رسول الله مهاجرا يماشيه
جبريل وفى يده كتاب الله
فكان على أبواب مكة ركبه
وفى يثرب أنواره تتفجر
ومضى يتحدث عن ربوع الاسلام مجيدا غير مطيل ، حتى ألم بمصر فتذكر أن طلاب المدارس هم دعاة الاحتفال واكثر خطبائه فصاح بهم :
رجال الغد المأمول انا بحاجة
الى قادة تبنى وشعب يعمر
وجعل يكرر الشطر الاول فى سبعة أبيات تتالت ، فكان خطيبا يلهب الاحساس ، ويوقد المشاعر ، وجاءت قصيدته نمطا يحتذى لمن يقفون فى الصف الثانى من الشعراء ، فكلهم يتحدث عن هلال المحرم ليفيض فى أحداث العام الماضى ،وليضع أمله فى العام الجديد .
وفى السنةالتالية « ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ » أقيم احتفال مماثل كان حافظ نجمه المتألق ، فاستقبل الهلال آملا يهتف بقوله :
لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله ان يتحققا
أشرق علينا بالسعود ولا تكن
كأخيك مشئوم المنازل أخرقا
وعلى البيت الثانى مدار القصيدة اذ أخذ حافظ يعدد ما نزل بالعالم من خطوب ، وبخاصة مصر اذ أصرت الحكومة على مد أجل الامتياز لقناة السويس دون ثمن مجز ، كما لجأت الى اصدار قانون المطبوعات لتقيد حرية الانتقاد ، واذا كان الحفل حفل الشباب من الطلاب فقد اتجه اليهم الشاعر قائلا :
أهلا بنابتة البلاد ومرحبا
جددتم العهد الذى قد اخلقا
لا تيأسوا ان تستردوا مجدكم
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
عار على ابن النيل سباق الورى
مهما تقلب دهره أن يسبقا
وفى بعض ما قال حافظ ارتقاء وسمو ، وأنا أرى أنه لو صبر على النظم مدققا لكان خيرا مما كان ، لان ضيق نفسه ، وتأزم أعصابه كان يدفعه الى أن ينتهى من القصيدة فى يومه ، ولم يكن اخا استعداد للتؤدة والتمهل كشوقى ومطران فجاء دونهما ، وما برع به من الابيات النادرة على قلتها يدل على أنه مهيأ للاجادة لو ملك الطمأنينة وراوح القول وغاداه ..

(أحمد شوقى الشاعر)

تسمع من شعر حافظ ما تتوقعه من المعانى ، فانت معه لدى جليس يؤنس خاطرك بمثل ماالديك دون أن يدهشك بعجيبة تبعد عن ذهنك ، اما شوقى فيفاجئك بما لاتفكر فيه ، لانه يرسل خياله محلقا الى افق تشتاق أن تصل اليه لترى مابه من اضواء ، لقد نظم شوقى قصيدته فى تحية العام الهجرى لا لتلقى فى احتفال رسمى، فانه لسان القصر، وكل معنى سياسى يقوله ينسب الى سواه ابعازا وتحريضا ، فليتحدث بلسان الشاعر المصور ، اذ يحيى المحرم فى مطلع عام ١٣٢٩ هـ فيتجه الى هلال السماء مستلهما اياه حين يراه متواضعا وقد اتخذ مجلسه بين الشمس والكواكب ،

ومتوددا بتقرب ، وهو من سمائه فى موئل عزيز ، وقد رضى الوفاء شيمة لجارته (الزهرة) فرعى عهدها كما رعى السموءل عهد من ائتمنه ، واذا كان البدر عون السراة فى الليل الموحش ، فهو امين السر لدى الاجنه لايشى بموعد ، وقد شك فيه المرجفون « هلال الشك » فترفع وقورا متعاليا على الظن،لا يهمه ان يستريب به شاك بل يطوى الى أوجه السموات ، فيفل عزائم الريح ، ويدك جبال الموج فاذا دلف الى الخمائل والربى تسلسل بين زهورها رقيقا شفيفا ، كل هذه المعانى الرائعة لاتفد على ذهنك قبل أن تقرأ قول شوقى عن الهلال :

متواضع والله شرف قدره
بالشمس ندا والكواكب آلا
متودد عند الكمال تخاله
فى راحتيك ، وعز ذاك منالا
واف لجارة بيته يرعى لها
عهد السموءل عروة وحبالا
عون السراة على تصاريف النوى
امنوا عليه وحشة وضلالا
ويصان من سر الصبابة عنده
مابات عند الاكثرين مذالا
ويشك فيه فلا يكلف نفسه
غير الترفع والوقار نضالا
ساءت ظنون الناس حتى احدثوا
للشك فى النور المبين مجالا
والظن يأخذ فى ضميرك مأخذا
حتى يريك المستقيم محالا
يطوى الى الاوج السموآت العلا
ويشد فى طلب الكمال رحالا

ويفل من هوج الرياح عزائما
ويدك من موج البحار جبالا
ويضيء أثناء الخمائل والربى
حتى ترى اسحارها آصالا
ويجول في زهر الرياض كأنه
صيب الربيع مشى بهن وجالا

ولابد أن يتحدث عن امم الهلال ، وهم المسلمون فماذا يقول ؟ انه ينتحى سبيل المقارنة بين الماضي والحاضر، وهو سبيل متسع الابهاء لشتى المعاني ؛ اذ يضم المجد الأثل في حضارته الزاهرة ، وما أثمرت من عدل وصدق وعلم وهداية وعرفان ؛ وما أنتجت من بيان حي، ورسمت من مثل راقية ؛ ان أمير الشعراء يفيض في هذه الخواطر فيقول ناصحا :

من عادة الاسلام يرفع عاملا
ويسود المقدام والنعالا
ظلمته السنة تؤاخذه بكم
وظلمتموه مفرطين كسالى
هذا هلالكم تكفل بالهدى
هل تعلمون مع الهلال ضلالا
سرت الحضارة حقبة في ضوئه
ومشى الزمان بنوره مختالا
وبنى له العرب الاجاود دولة
كالشمس عرشا ، والنجوم رجالا
رفعوا له فوق السماك دعائما
من علمهم ، ومن البيان طوالا
الله جل ثناؤه بلسانهم
خلق البيان ، وعلم الامثالا
وتخير الاخلاق احسنها لهم
ومكارم الاخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة
والاسد بأسا والغيوث نوالا

وتمضي القصيدة في هذا الوادي المزهر الناضر ، فيعجزك ان تختار شيئا وتترك سواه .

(خليل مطران المفكر)

لمطران قصائد يقولها لنفسه ، وقصائد يلقيها في المناسبات ، وهو في الاولى شاعر مصور مجدد ، ينفحه وجدانه ، وترفده قريحته ، ويبدع في ابتكاره ابداعا رائعا ، ولكنه في الثانية مفكر ، يكتب القصيدة كما يكتب الناثر موضوعا تعد عناصره ، وتهيا مقدمته ممهدة للعرض ، مكتملة بالخاتمة ، وله في الاولى والثانية معا مستوى لاينحدر عنه ، وقد اسهم في تحية العام الهجري اسهاما ما فتح به المقال لطائفة من فضلاء المسيحيين وبخاصة في المهجر الامريكي اذ قرانا لهؤلاء من القصائد النبوية ما كان موضع المباهاة والتقدير، ففي القصيدة الاولى من هلالياته

يخاطب مطران هلال المحرم قائلا :

يا أيها الرمز تستجلي العقول به
لحكمة الله معنى غير محدود
كان حسنك هذا وهو رائعنا
حسن لبكر من الاقمار مولود
لله في الخلق ايات واعجبها
تجديد روعتها في كل تجديد

وتسلسل حديث الشاعر ، يخاطب الاهلة من فتيان مصر طلبة المدارس المحتفلين ، فيدعوهم الى ان يأخذوا طريقهم للكمال كما يأخذ الهلال طريقه للابدار ، ويتحدث عن رسالة الله التي لو نزلت على جبل لاندك ، ولو تحملها بحر لشب لظى ، فليس بدعا ان يضيق بها رسول الله في مكة لينتحي يثرب بالهدى المبين ، ويبدع في حديث الغار والحمامة والصديق والافعى ابداعا حلوا على ايجازه ، ويبلغ الذروة حين يتأمل مطران المفكر في رسالة محمد فيراه قد بلغ الغاية في وجهتين خطيرتين عناهما مطران بقوله :

أعاد ذاك الفتى الامي امته
شملا جميعا من الغر الاماجيد
صعبان راضهما توحيد معشرهم
وأخذهم بعد اشراك بتوحيد
لتلك تالية القران في عجب
بل اية الحق اذ يبغي بتأكيد
وراد في الارض تمهيدا لدعوته
بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
ما شاءه الله من عدل ومن جود

والقصيدة حية متماسكة اللبنات ، آسرة البناء ، وقد عاد الى حديث الهلال في قصيدة تالية القاها وفي احتفال نال فاحسن بداها بقوله الرائع :

الا أيها الطالع المتبسم
هدى وسرور نورك المتوسم
سلام على ذاك الهلال من امرىء
صريح الهوى ، والحر لا يتكتم
هويتك اكبارا لما انت رمزه
من المأرب العلوي او كان يفهم
وعلما بان الشرق ينمو ويرتقي
بان يتصافى عيسوي ومسلم
فان نال مني كاشحون ولوم
ففي كل حب كاشحون ولوم
ابى لي عقلي ان اخالف حكمة
ولو فزت من قوم بما لا يقوم

ثم مضى يستبشر بالعام الجديد ويثني لاحداث العام الماضي معددا رزايا مصر وفارس وتركيا كما فعل حافظ موضوعا لا شكلا ، ثم لجأ الى التفاؤل كعادته فقال :

دعوني من ذكرى امور تسوءنا
وذا يوم عيد بالمسرات مفعم
ارى بينكم امال خير طوالعا


احمد شوقي


محمد فريد


زكي مبارك

تهل وراء الافق ، والليل مظلم
رجالا تحلوا بالفضائل وارتقوا
بأنفسهم عن كل خلق يذمم
شبابا اذا عفوا فان النهى نهى
وان يطلبوا الغايات فالعزم يعزم

وتشقق الحديث في هيلدا المنحى عن روائع مبدعة ، يضيق المقام الموجز عن تحليلها ، وهي تذكرنا بقول : حافظ (أهلا بنابتة البلاد) وقوله (رجال الغد المأمول) وان ارتفع بها مطران عن الخطابية الشافهة الى التدبر المطمئن ذي النظر السديد .

(رجيع الصدى)

كان لهذه القصائد ولامثالها مما قال محرم والكاشف وعبد الحليم المصري ومحمد عبدالمطلب في المناسبات الاسلامية رجيع بعيد الصدى في العالم العربي فرأينا شعراء الاقطار الشقيقة يهتفون بذكرى الهجرة محتشدين وقرأنا لفؤاد الخطيب ومحمد البزم ، ومحمد بهجة الاثري وأمين ناصر الدين وخليل مردم ومحمد سعيد العامودي وعمر أبي ريشة وعلال الفاسي وعبدالله عبد الرحمن من نفحات النبوة ما يعد تراثا رائعا للاجيال الوافدة ، بل قرأنا لشعراء لايهمهم أن يذكروا بين دعاة الاسلام مناجاة للهلال ، فقد حرص جميل صدقي الزهاوي في بعض شعره على أن يتشكك في مقررات دينية لا مجال للشعر في الحديث عنها ، ولكنه يستجيب لدعوة الزيات فيبعث للرسالة قصيدة في استقبال

المحرم ، فيصور مشــاعر الناس أمام العام الجديد ما بين متفائل بمقدمه يثني ويمدح ومتشــائم يذم ويقدح ، ثم يلجأ الى الموازنة بين قدوم العــام الجــديد في الشرق ، وقدومــه في الغــرب مستحثا الهمم ، ومثيرا العزائــم حين يقول :

وللغرب اعوام وللشرق مثلـها
ولكنما الاعوام في الشرق تسئم
شقيقان هذا ليل ابنائه بهــم
مضيء وهذا يوم اهليــه مظلــم
وتختلف الاخــلاق الا اقلهــا
ويختلف التفكير والعــرق والدم

ويمضي مناشدا بني وطنه أن يدافعوا عــن حقوقهــم ، وان يستغلوا ثــروة الارض دون أن يتركوها لاعــدائهم وان يأنفوا الضيم ، ويهبوا للنضال ، ثم بأسى لابناء العروبة حين يقول :

وما بال أبناء العروبة أصــبحت
على الذل أشتاتا تشــب وتهرم
وما بال أبناء العــروبة ســلمت
وقد كان عهدي انهــا لاتســلم
لامال قومي الصــيد نفسي تألمت
لك الويل يانفسي التي تتألــم
وماخفقان القلب ما انت سامع
ولكنه امــال قــوم تحطــم

هذه لمحة عابرة تتحدث عــن بعض ما أبدع الرواد ، وقد يكون وراءها حــديث يلمع الى بعض ماهتف به التالون ، وهم كثــير كثير .. !

وواضح اننا نتحــدث عــن استقبال مصر المعاصرة لهــلال المحرم ، اما حديث التاريخ عن استقبال المحرم في مصر الفاطمية فلهمجال آخر ، وانهلفسيح ●

لقد ارحتني ! ..

قال عمر رضي الله عنه لحذيفة بن اليمان: كيف اصبحت يا حذيفه ؟ فقال حذيفه : اصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، واصلي بغير وضوء . ولي في الارض ما ليس لله في السماء.. فغضب عمر ودخل عليه علي كرم الله وجهه فقال له علي : علي وجهك اثر الغضب يا امير المؤمنين .. فقص عليــه ما اغضبه من حذيفه فقال له علي : لقد صدق حذيفة .. اما حبه للفتنة فهو يعني المال، لان الله تعالى يقول : « انما اموالكم واولادكم فتنة » .. واما انه يكره الحق ، فهو يكره الموت .. واما صلاته بغير وضوء ، فيعني بها صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم .. واما ما له في الارض ما ليس لله في السماء ، فهو يعني ان له زوجة وولدا .. وليس لله زوجة ولا ولد .. فقال له عمر : والله لقد انعشتني وارحتني .

كتاب الهلال

يصدر ٥ نوفمبر

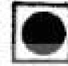
عش شاباً طول حياتك

تأليف : فيكتور بوجومولتز

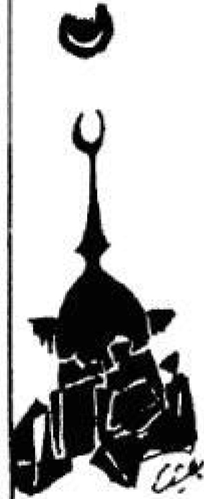
الإسلام والسيف

ليس القتال من غايات الاسلام والمسلمين

بقلم: د. محمد عمارة



في البدء، وخلال السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها الرسول، صلى الله عليه وسلم، بمكة داعيا الى الدين الجديد، لم تكن «الدولة» الاسلامية هدفا من أهداف الرسول والدعوة الاسلامية، ذلك أن بناء «الدولة» ليس ركنا من أركان «الدين»، ولا هو بالقضية الدينية التي جاء بها الوحي الى رسول الله، عليه الصلاة والسلام .. ولكنها قضية سياسية نشأت بعد أن استفرغ الرسول وصحبه جهدهم السلمي، كجماعة مؤمنة، في دعوة مشركي قريش الى التدين بالاسلام، أو حتى ترك الذين تدينوا به وحريتهم في التدين والاعتقاد .. فلقد تجاوز المشركون موقع «الرفض» للاسلام الى حيث أمعنوا في ايذاء المسلمين وتعذيبهم، فضلا عن سلبهم حرية من آمن في أن يدعو الى دينه الجديد، الامر الذى جعل الرسول، صلى الله عليه وسلم، يجد في السعي كي يخرج بالايمان والمؤمنين من «مرحلة الاستضعاف»، وذلك بهجرة بعض المسلمين الى الحبشة حينا، وعرض دعوته على أهل «الطائف» حينا آخر .. وأيضا بعرض الاسلام على العرب القادمين الى مكة حاجين الى بيتها العتيق ..





الاســلام والســيف

فلما أن فتح الله للاســلام قلوب نفر من عـرب « يثرب » ـ من الاوس والخزرج .. كانت بيعتهم له « بالعقبة » على الاسلام ، وعلى أن يهـاجر الى بلدهم ، ليقيم بها « **السلطة** » التى تحمى حرية الدعوة الاسلامية وتنهى « دور الاستضعاف » الذى عاشه المسلمون ثلاث عشرة سنة .. **وبهذه البيعة ولدت « الدولة » العـربية الاسلامية الاولى ، كضرورة اقتضتها ملابسـات نشر الدعوة وليس كركن من أركان الدين الجديد!؟ ..**

ولقد كان طبيعيا ، مع « ظروف الاستضعاف » التى عاشها المسـلمون بمكة قبل الهجـرة الى « يثرب » ـ (المدينة) ـ ، أن لا يكون القتال أمرا واردا فى التكليف الالهى لنبيه وللمؤمنين ، تشهد بذلك الآيات والسـور المكية للقرآن الكريم ، ففيها نقرأ قول الله ، سـبحانه وتعالى للرسول **عليه الصلاة والسـلام** : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة ،نحن أعلم بما يصفون) ـ «المؤمنون: ٩٦ » ـ .. وقوله : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تسـتوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) ـ « فصلت : ٣٣ ـ ٣٥ » ـ .. وقوله : (فذكـر انمـا أنت مذكـر . لست عليهم بمصيطر) ـ « الغاشية : ٢١ ، ٢٢ » .

وحتى بالمدينة المنورة ، ولحين من الدهر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين اليها ، وقيام نواة « الدولة » العربية الاسلامية فيهـا ، كانت آيات القرآن الكريم تؤكد على « **الجهاد** » غير القتالى فى الصراع بين المؤمنين والمشركين ، فلقد أصبح للاسلام كيان متميز واتخذ هذا الكيان لنفسه من المدينة مجالا حيويا ، غدت لاهله فيه حرية الدعوة الى الدين الجديد .. ففى هـذا المناخ ، ورغم انتهاء مرحلة « الاستضعاف » بالنسـبة للمسلمين ، نجد الله سبحانه يوحى الى رسوله قوله : (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا . وذرنى والمكـذبين أولى النعمة ومهلهم قليـلا) المزمل : ١٠ ، ١١ » ـ .. وحتى عندما كان اليهود يمارسـون مع



الرسول خلقهم العريق واللصيق ، وهو نقض العهود وخيانة المواثيق ؟! كان الوحي ينزل من السماء فيقول : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) ـ « المائدة : ١٣ » ـ .

لكن الهجرة ، وقد أنهت « دور الاستضعاف » نراها مصاحبة لتطور هام فى أدوات الصراع « المأذون » بها ، من الله سبحانه ، للمسلمين ، ضد أعداء الدين الجديد .. فيها ، وبالدولة التى أقاموها بالمدينة قد أصبح بالامكان أن يتجاوزوا تلك المرحلة التي كانوا يواجهون فيها العنت « بالعفو » و « الصفح » و « الهجر الجميل » ومن ثم فلقد أحل الله لهم النهوض الى الصراع ضد أعدائهم ، متخذين أدوات أشد وأدخل في باب «العنف» من هذه الادوات ..

وعندما كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مهاجرا مكة الى المدينة ، نزل الوحى بآيات تتحدث عن دور « الصراع » فى انتصار الحق على الباطل ، وحق المظلومين الذين أخرجهم الظالمون من ديارهم وأموالهم ، فى الدخول الى هذا الميدان .

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز) ـ « الحج : ٣٨ ـ ٤٠ » .

وقال المفسرون لهذه الآيات ، التى صاحب نزولها تمام حدث الهجرة ، انها قد أعطت المسلمين « الاذن »فى القتال .. وان كان التأمل في نصها والفقه لكلماتها لا يجد بها أكثر من الاذن والتوجيه الى « الصراع » ضد الاعداء ، أيا كانت أدوات هذا الصراع ، وأيا كان مكانها من أدوات « القتال » ! ..

وفيما بين السنة الاولى من الهجرة والسنة السابعة،

التي اعقبت « صلح الحديبيه » والتي تمت فيها « عمرة القضاء » في هذه السنوات السبع شهد المسلمون أكثر من عشرين غزوة ، مارسوا القتال في عدد منها .. ومع ذلك فلقد ظل قتالهم هذا ، طوال هـذه السـنوات ، محكوما « بالاذن » الالهي للمظلومين في أن يستخدموا أدوات « الصراع » في ردع الظالمين الذين أخرجوهم من الديار ! .. فلما كانت السنة السـابعة من الهجرة ، وتجهز المسلمون للسفر من المدينة قاصـدين مكة لاداء « عمرة القضاء » ، وفقا « لصلح الحديبية » الذى أبرموه مع قريش في عامهم المنصرم ، توجس المسلمون خيفة من غدر المشركين بهم عند أدائهم لمناسك العمرة .. فهم سيدخلون مكة معتمرين ، وليس معهم من السلاح سوى سلاح المسافر .. ثم أن الوقت في الاشهر الحرم التي لا يحل فيها للمسلمين القتال ، والمكان هو الحرم الآمن الذى لا يجوز فيه للمؤمنين قتال .. فما الضـمان من غدر المشركين وأخذهم المسلمين على غرة في هذاالتوقيت وذلك المكان وتلك الملابسات ؟! ..

وأمام خشية المسلمين هذه من غدر المشركين ونقضهم عهد الحديبية ، نزل وحى الله بآياته التي « تأمر » ــ بل ان شئت الدقة « تأذن » ــ « بالقتـال » اذا ما نقض المشركون العهد ، وتطلب الحال من المسلمين قتـال أعدائهم المشركين ، حتى ولو كان العدوان في الشـهر الحرام والبيت الحرام (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتـدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ،ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جـزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرامبالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) ــ «البقرة: ١٩٠ ــ ١٩٤ » ــ .

فأمام عـدوان المشركين .. ونقضـهم العهـد ..



واستحلالهم حرمة الشهر الحرام والبيت الحرام .. على المؤمنين قتال الذين أخرجوهم من ديارهم ، واجتهدوا فى فتنتهم عن دينهم ، دونما تحرج من « الحرمات » ، ذلك أن (الحرمات قصاص) ، وفى القصـــاص حياة لاولى الالباب !

بل وأكثر من ذلك .. فاننا عنـدما نتـأمل آيات « القتال » فى سورة « براءة » ـ (التوبة) ـ تلك التى يرجف المغرضون فيزعمون أنها تشرع لنشر الاسـلام بالسيف ، وانها لذلك قد خلت من « البسـملة » ، حتى لا تفتتح بذكر « الرحمن الرحيم » ؟! **حتى آيات القتـال فى هذه السورة نراها تأمر المسـلمين من نقض العهد وغدر بالمواثيق ، دون الذين استقاموا على عهدهم ، رغم انهم مشركون ؟! .. فهى تشرع للفتح ، حتى يعـود المهاجرون الذين اخرجوا من ديارهم ، ظلما وعـدوانا ، الى تلك الديار .. وحتى ينـال الناكثون للعهـود مايستحقون من تاديب .. وحتى تامن الدعوة الاسلامية غدر هؤلاء الناكثين .. فما فيها من عنف مشروع لاعلاقة له « بالعدوان » ولا بنشر « الدين » عن طريق القتال .**

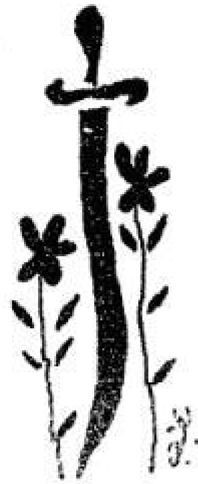
(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهرواعلموا انكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين . واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلـوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفـــور رحيم . وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه وأمنه ،ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله **الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب**

المتقين .. وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم) « التوبة : ١ ـ ٧ ، ١٢ ـ ١٥ » ـ .

فرغم أن المناسبة كانت محاطة بنضج الظروف السياسية لفتح المسلمين لمكة ، وهو الفتح الذى يمثل « عودة » المهاجرين الى الوطن الذى « أخرجوا » منه قسرا وظلما وعدوانا .. ورغم ما يمثله هذا « الفتح » من شرط ضرورى لتأمين الدعوة الاسلامية وضمان حرية دعاتها فى شبه الجزيرة العربية ، بالقضاء على البؤرة المشركة المحركة للقوى المناوئة للدين الجديد .. رغم كل ذلك فلقد ظل الامر الالهى بالقتال ، فى سورة التوبة ، محكوما بالنهج الاسلامى الاصيل : أن لا عدوان الا على المعتدين الظالمين الناكثين للعهود ! ..

ولم يكن ذلك بالامر الغريب على أهل دين رسم لهم دينهم ذلك النهج .. فلم يكن القتال الاسلامى غاية للاسلام ولا للمسلمين ، وانما كان سبيلا لكسر الطوق الظالم عن المستضعفين الذين يئنون تحت وطأة المشركين(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) ـ « النساء : ٧٤ ـ ٧٦ » ـ .

فهو قتال فى سبيل الله ، ولتحرير المستضعفين ، يجابه به المسلمون جبروت الطاغوت ، الذى يعنى : الطغيان والعدوان والتطاول ومجاوزة الحدود .. ولم يكن ، بحال من الاحوال ، وما كان له أن يكون قتالا لادخال الناس فى دين الاسلام ، ولا سبيلا لقهر القلوب



على التدين بالدين الجديد .. ذلك أن العلاقة منبتة والصلة مقطوعة بين « الايمان » وبين « الاكراه » ، ومن ثم فانها منبتة ومقطوعة بين « القتال » وبين انتشار الاسلام .. فلم تكن لغزوات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولا لحروب المسلمين وفتوحاتهم تلك الصبغة والفلسفة « الدينية » ، التى تجعل نشر العقيدة هدفا من أهداف الجهاد الاسلامي وغاية من غايات القتال فى سبيل الله ! .. ذلك ان « الايمان » ـ كما استقر الرأى على تعريفه في الفكر الاسلامي ـ هو التصديق القلبى الذى يبلغ اليقين .. ومن ثم فمحال ان يكون هذا التصديق القلبى اليقيني ثمرة من ثمرات « الاكراه » الناجم عن العنف والقتال ؟! ..

وصدق الله العظيم اذ يقول لرسوله الكريم :

● (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) ـ « النحل : ١٢٥ » ـ .

● (فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر) « الغاشية : ٢١ ، ٢٢ » ـ .

● (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟!) ـ « يونس ٩٩ » ـ .

وصدق ، سبحانه ، اذ يقول :

● (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) ـ « البقرة : ٢٥٦ » .. ●

اجابة مفحمة

● قال احد القادة البروسيين يوما لنابليون على سبيل التفاخر : « نحن البروسيين انما نقاتل فى سبيل المجد اما انتم معشر الفرنسيين فتقاتلون فى سبيل المال » . واجاب نابليون عندئذ قائلا : «نعم، فكل انسان يقاتل فى سبيل ما ينقصه »!!

● التحكم التكنولوچى
فى إنسان القرن العشرين ●

"السبرناطيقا"
فى مخيمات اللاجئين العرب

بقلم : عبد الستار الطويله

● « السبرناطيقا » هى علم التوجيه والتحكم .. وهذا العلم هو واحد من «افرازات» الثورة التكنولوجية فى العالم .. وبدوره هو يؤثر فى مسار وتطوير هذه الثورة وفقا للقاعدة ان الكل يؤثر ويتأثر بعضه بعضا .

والتوجيه والتحكم فى « السبرناطيقا » هو المسئول عن التطور الهائل فى توجيه سفن الفضاء وتوجيهها فى ذلك التيه اللامتناهى حتى لتحط على سطح كواكب بعيدة جدا مثـــل المشترى وبلوتو بل يستطيع العلماء بفضل السبرناطيقا اصلاح اجهزة سفن الفضاء وهى على بعد اكثر من مائتى مليون ميل من « مركز التوجيه والتحكم » على ظهر الكرة الارضية .

واحدث الطائرات المقاتلة .. والصواريخ الموجهة .. والغواصات فى باطن المحيطات وتحت كتل الجليد عند القطبين .. انما تعمل بفضل قوانين علم السبرناطيقا .. حتى الطائرة « ف ١٥ » الامريكية مجهزة بجهاز « توجيه وتحكم » يستطيع تحديد ثلاثة مواقع لاهداف فى وقت واحد بدقة محكمة على بعد سبعين ميلا من الطائرة « اى دون ان يرى الطرفان بعضهما » .. ولا يبقى امام الطيار سوى ضغط ازرار ثلاثة فيصيبها فى وقت واحد .

على ان « السبرناطيقا » لا تتنـــاول فقط التوجيه والتحكم فى الالات ، وانما تتناول التوجيه والتحكم فى الرأى العام ، اى فى الشعوب واتجاهاتها .!

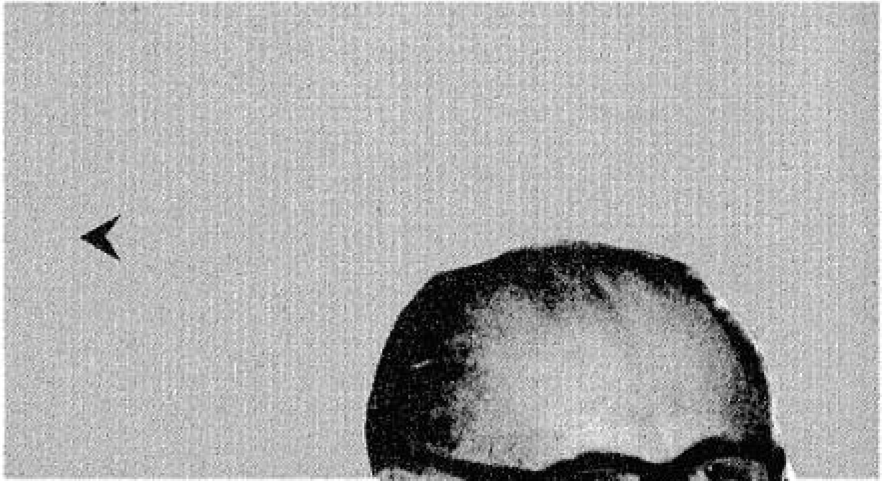
واذا كانت نظرية رد الفعل المسلسل هى واحدة من المبادىء التى تشكل علم السبرناطيقا تطبق مثلا فى التفجير الذرى .. او الهيدروجينى .

فانها ايضا تطبق فى عملية توجيه الرأى العام واثارة اهتمامه بقضية معينة يتداعى بعدها اهتمامه بقضايا متتالية .

مثلا اثارة الاهتمـــام بقضية الاجـــور والمرتبات تثير على الفور من ورائها قضايا ارتفاع الاسعار واحترام التسعيرة الجبرية او عدم احترامها ودور اجهزة الامن فى تحقيق هذا الاحترام وهكذا .

واذا كان علم السبرناطيقا يساعد على تجميع المعلومات الاحصائية والارقام عموما وتغذية العقول الاليكترونية بها حتى يمكنها من تقديم حلول متعددة او ما يســـمى بالبـــدائل ، فان نفس العلم يمكن من تغذية العقول الاليكترونية بما يســـمى بالمعلومات الانســـانية حتى تستطيع تلك العقول طرح بدائل فكرية واجتماعيـــة على السائلين من بنى البشر فى مواجهة مشاكل العصر !.

واذا كانت اليابان قــد استطاعت ان تصل الى ذروة التقدم فى اختراع العقول الاليكترونية بما يسمى بالانســـان الالى الذى يتبادل التحية والحـــديث ولعب



بيجين

الشطرنج مع بنى الانسان ويتصرف ازاء كثير من المواقف المختلفة تصرفاتهم ايضا .. فان ذلك يعد احسن استخدام وتطبيق لمبادىء علم السبرناطيقا سواء من الناحيتين التكنولوجية الالية ومن الناحية الاجتماعية !.

وقس على ذلك سائر قواعد ذلك العلم مثل نظرية الاحتمالات ومبادىء علم الاحصاء .. الخ .

وما يهمنا هنا هو مناقشة دور « السبرناطيقا » فى توجيه الرأى العام والتحكم فى اتجاهاته .

المستشارون السريون

والواقع انه فى كل البلاد المتقدمة وان لدى كل مؤسسة حاكمة مجموعة متخصصة من علماء السبرناطيقا لا يعرفهم احد .. ووظيفتهم تطبيق مبادىء السبرناطيقا فى المجال الاجتماعى . ثم يقدمون مشورتهم للحاكمين فى شكل دراسات علمية عميقة تنتهى باقتراح توجيهات محددة مختصرة تستطيع الدولة ان تضعها موضع التطبيق فى آلة الاعلام والاتصال الهائلة التأثير والنفوذ محليا وعالميا الان.

وقد اكتشفت هذه الحقيقة عندما زرت الولايات المتحدة لاول مرة عام ١٩٧٥ ..

كما اكتشفت انه فى بلاد امريكا اللاتينية الخاضعة للنفوذ الامريكى بشكل واخر يوجد مستشارون امريكيون متخصصون فى مسالة السبرناطيقا هذه بالتعاون مع بعض علماء الاجتماع والاعلام المحليين .. ذلك لان هذه البلاد نتيجة نمو الحركة الوطنية فيها الى مستوى الكفاح المسلح قد حتم على الولايات المتحدة والمؤسسات الحاكمة فيها ان تستخدم احدث وسائل التكنولوجيا لا فى مجال السلاح فقط بل فى توجيه الرأى العام وحشده بعيدا عن تأثير الثوار .

ولا يخطرن ببال احد ان تكنولوجيا التحكم والتوجيه للرأى العام « السبرناطيقا » تعتمد على وسائل معنوية فقط ؛ بل انها تعتمد ايضاً على وسائل مادية ربما تكون بشعة للتوصل الى



التحكم والتوجيه وهما هدفان معنويان .. وابسط مثل على ذلك وان كان قد استخدم عادة منذ فجر التاريخ .. هو الوسيلة التى تتبعها عصابات وجيوش بعض دول امريكا اللاتينية فى مواجهة شعوبها لتخيفها وتصرفها عن تأييد عصابات الثوار ..

انه من المتصور ان يدخل جيش قرية فلاحين ويقتل الناس فيها رميا بالرصاص، حتى يرهب سائر القرى عن تأييد الثوار.

لكن السبرناطيقا هنا تتدخل .. ان التاثير يكون اكبر فى تخويف الناس العاديين اذا ما جمع الجيش اهل القرية جميعا .. واقام عدة مقاصل فى الطريق العام او الميدان العام واخذ يقطع رؤوس السكان امام بعضهم البعض لمدة ساعتين او ثلاث من الزمان .

ان بشاعة طريقة القتل ومناظر الرؤوس تتطاير والاجساد تتلوى والدماء تسكب انهارا على الارض .. وصراخ النساء والاطفال .. كل هذا يمكن ان يخلق تيارات خوف رهيبة تمثل ضغوطا نفسية هائلة تكبح جماح الناس من ان يمدوا يد العون لعصابات الثوار باى شكل .. بل قد يضاف الى ذلك بعد المذبحة فكرة « سبرناطيقية » ايضا مؤداها ان رجال العصابات هم السبب فى ما جرى للفلاحين .

ومذبحة معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فى بيروت هى نموذج لتطبيق «السبرناطيقا» باساليب بشعة .

ان اسرائيل توجه رسالة هى واليمين اللبنانى للشعوب وللشعب الفلسطينى انه من المستحيل ان يعيش اربعمائة الف لاجىء فلسطينى داخل لبنان .. ذلك لانهم « مفرخة » للثوار الفلسطينيين غدا وبعد غد ..

تماما مثلما كانت مذبحة دير ياسين التى نفذها الارهابى بالامس واليوم مناحم بيجين عام ١٩٤٦ ليؤكد للعالم استحالة اقامة دولة عربية يهودية واحده فى فلسطين .

كما ان المذبحة كانت بمثابة « توجيه» وتحكم فى عملية هجرة الشعب الفلسطينى من بعض ارضه !.

وفى كل بلد فى العالم تجد الحاكم يحتاج الى تمهيد الرأى العام لصدور قرارات سياسية او اقتصادية معينة ..

ولقد بدأ اثر السبرناطيقا فى الحياة السياسية المصرية بابراز بعد ثورة ٢٣ يوليو وبالذات بعد عام ١٩٥٤ حيث يروى بعض الضباط الاحرار ان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر استحضر او استقدم عددا من الخبراء الالمان والامريكيين فى علم السبرناطيقا للعمل كمستشارين فى وزارة الاعلام ، ولكنهم فى الحقيقة كانوا يعملون سرا باتصال مباشر مع جمال عبد الناصر نفسه .

ولكن بقاءهم لم يستمر طويلا فى مصر اذ رحلوا بعد عام ١٩٥٦ عندما اثبت رجال ادارة الاجهزة الاعلامية الذين جاءوا من اجهزة المخابرات كفاءتهم وقدرتهم على التوجيه والتحكم فى اتجاهات الرأى العام المصرى ..

بين عبد الناصر والسادات

ويروى فى هذا الصدد عمليات التمهيد المستمرة للرأى العام لاجراءات التأميم.

فقد بدأت اثارة واسعة ضد تخاذل البنوك المصرية فى تمويل عمليات التنمية وخاصة مصنع الحديد والصلب ..

ثم تقديم قضية تواطؤ وتلاعب بين المقاولين واثارة ضجة حولها .. بعد شهور امم بنك مصر والبنك الاهلى ..

ثم امم جزء من قطاع المقاولات ..

ولم يمض عام حتى صدرت قوانين التأميم فى يوليو ١٩٦١ ..

ومن ابرز عمليات التوجيه والتحكم فى الرأى العام .. هى عمليات التمويه الاعلامية التى قام بها انور السادات لتغطية تخطيطه لحرب ١٩٧٣ ..

فقد تحدث عن عام ١٩٧١ كعام للحسم .. ولم يحسم شيئا .. مما جعل الناس فى مصر والخارج يعتقدون طوال عام ١٩٧٢ انه عاجز عن الحرب وانه يطلق



جمال عبد الناصر



انور السادات

وعودا جوفاء لا قيمة لها ..
ثم السماح بنشر مقالات توضح صعوبة ان لم يكن استحالة عبور قناة السويس.
وهكذا حتى بوغت العالم بالحرب بعد ان كان السادات قد استطاع ان «يتحكم» حتى في الرأى العام عند العدو حكومة وشعبا ان مصر عاجزة عن الحرب ولن تحارب !.

تجارب مصرية

وعندنا نموذج بارز آخر .. هو بناء السد العالي ..
ان كل قواعد السبرناطيقا قد طبقت فيه .. بكلمة واحدة حتى السد ..

فقد ألهب الجانب الوطني باستغلال رفض الغرب تمويل المشروع عام ١٩٥٦ .. وماتتبع ذلك من قيام العدوان الثلاثي في نفس العام ..
اى أن السد يبنى بدماء .. سالت بسبب اعتداء من دول كبرى عليه ..
وأثير ايضا الجانب التفاؤلي لدى الجماهير من احتمالات الرخاء في الكهرباء ومساحات الارض الشاسعة الجديدة التي ستزرع والمحاصيل الثلاثة بدلا من المحصول الواحد في ارض الحياض ..
وأثيرت في الجماهير ايضا روح الجماعة. جنبا الى جنب الحوافز المعنوية والمادية ..
واستخدمت كل وسائل «السبرناطيقا» المطبقة في البلاد الاشتراكية .. لاثارة حماس لا العاملين في السد فقط بل شعب مصر كله .. حتى طريقة استخدام الارقام والمعلومات الجافة لتطوير البناء استخدمت ..
وكانت النتيجة باهرة .. رغم ان النظام المصري لم يبخل في عملية بناء السد العالي عن يقظته في حصار الحركة الجماهيرية أن تفلت من تحت ابهامه الى اتجاهات لا يريدها هو ..
فقد لا يعلم معظم الناس أن الحكومة المصرية منعت وحرمت تماما اقامة عمال السد لأى نقابة أو اى شكل من اشكال التنظيم لهم .. من عمد واصرار وكان امرا مثيرا للدهشة ان حوالي ١٥ الف عامل يعملون في مجالات نشاط السد المختلفة ويحرم عليهم عمل نقابة ..
وأى عامل كان يحاول الخروج عن هذا الخط كان يفصل ويبعد عن منطقة العمل في هدوء وصمت كاملين .
الامر الثاني انه في وسط زحام «الزيطة» عن الصداقة المصرية السوفييتية باعتبار ان مئات الخبراء السوفييت كانوا يعملون تحت الشمس المحرقة في أسوان كما ان الالات كانت مستوردة من الاتحاد السوفييتي ..
في هذا الاطار كان هناك مكتب امن سرى مهمته منع تأثير الخبراء السوفييت ايديولوجيا في زملائهم الخبراء والعمال المصريين ..

مترو الانفاق :
والواقع ان تجربة التحكم والتوجيه في

السبرناطيقا

بناء السد العالى يجب ان تكون نموذجا يحتذى – حتى مع بعض التعديلات – تجاه مشاريعنا العمرانية الكبرى ..

ولكن يبدو أن التفكير العملى قد استبعد من حياتنا السياسية والاقتصادية لسنوات طويلة الى حد كبير .. واقتصر فقط على مجال المناورات فى اطار حل المشكلة الوطنية مع اسرائيل وما يرتبط بها من علاقات دولية ..

لقد تم انجاز اعمال ضخمة وعظيمة فعلا فى مجال العمران .. مثلا هناك النفق تحت قناة السويس .. هو تغير جغرافى هائل يربط قارتى افريقيا وآسيا برباط برى بعد ان كانت قناة السويس قد عزلت بين القارتين .

وسيكون لهذا المشروع آثار حضارية بل واستراتيجية هائلة فى المستقبل بعد ان ارتبطت سيناء بأرض الوادى ..

مع ذلك فان اى توجيه وتبصير للرأى العام بقيمة هذا المشروع لم يحدث .. بل الراسخ فى اذهان الناس حتى اليوم ان هناك تلاعبا حدث فيه وان بعض الناس قد اثروا من ورائه اثراء فاحشا .

وربما كان ذلك صحيحا لكن المسألة الاساسية فى قيمة المشروع نفسه غير معروفة تقريبا .

مثل آخر مجمع الالومنيوم فى نجع حمادى ..

لقد كان انور السادات يفخر دائما بذلك المجمع الصناعى الحضارى الذى لا مثيل له حقيقة فى مصر .

ولكن المشروع بنى فى صمت دون استخدام قواعد «السبرناطيقا» فيه فنشأ مغمورا .. حتى انه لما بدا الاعتداء عليه بهدف تجميده بحجة عدم توافر الطاقة لا تحرك الجماهير اصبحا للدفاع عنه

ويبدو المشروع برمته غريبا على الرأى العام ولا يستحق منه اى اهتمام ..

وهذا يدفعنا للتأمل فى مشروع انفاق العاصمة .. الذى بدأ تنفيذه هذا العام .. ان « السبرناطيقا » مدعوة للتدخل فورا ..

فهذا المشروع سيستغرق تنفيذه عشر سنوات على الاقل وربما عشرين اذا ما امتد وتشعب فى قلب القاهرة ليشكل شبكة انفاق كاملة مثل اى مدينة كبرى فى العالم ..

ومن المؤكد انه سيترتب على تنفيذ المشروع ارتباك او زحمة فى حركة المرور ستتزايد عاما بعد عام .

كما انه من المتوقع ان تتقطع من حين لآخر اسلاك المرافق وشبكات المجارى مما يثير ضيق الناس ..

بل من المتوقع ايضا انهيار بعض المساكن والشوارع .. بل ومصرع بعض العاملين فى المشروع .. وهذا كله جرى فى جميع الانفاق التى شقت فى مدن العالم رغم استخدام احدث الوسائل التكنولوجية فى البناء والامن الصناعى ..

اذا لم يكن الشعب « موجها » ومعبئا فى اتجاه الحماس للمشروع .. وادراك اهميته .. فان مثل هذه الاضرار الجانبية المتوقعة خلال تنفيذ المشروع ستثير غضب الناس وتذمرهم بل وستظهر افكار من عدم جدواه اصلا .

فى جميع بلاد العالم .. رأسمالية او اشتراكية يعتبرون مشروع مترو الانفاق حدثا خطيرا يثيرون به حماس الناس ..

فعند شق مترو موسكو بدأ ستالين ورفاقه ضرب المعاول الاولى لمدة نصف يوم « لتوجيه » الناس للعمل بهمة ونشاط ..

وعند شق مترو الانفاق فى فرانكفورت بعد الحرب العالمية الثانية بدأ كونراد اديناور مستشار المانيا الغربية حينذاك ومعظم اعضاء وزارته ضرب المعاول الاولى ايضا .. وهكذا ..

المبادرة السبرناطيقا

ومما سبق يتضح ان « السبرناطيقا » شأن اى علم يمكن ان تستخدم لتوجيه الرأى العام الى مصلحة له .. او الى اتجاه لمصلحة الحاكمين انفسهم او فئات

اجتماعية معينة دون اكتراث بمصلحة الشعب عموماً .

ومن امثلة الاستخدام السيىء للسبرناطيقا .. هو ما نفذته اجهزة الاعلام الغربية المحكومة بالصهيونية عموماً ازاء مبادرة الرئيس السادات لزيارة القدس ..

لقد كانت عملا جريئاً .. وسليما حينذاك لاعادة الحياة فى قضية الشرق الأوسط ..

لكن اجهزة الاعلام الغربية ضخمت من المبادرة تضخيما هائلا .. وضخمت من دور صانعها .. وكان ذلك مقصوداً ومستهدفا .. وساهم فى تحقيق اغراض الصهيونية واسرائيل فعلا ..

فقد اصاب الغرور انصار المبادرة وخيل اليهم انهم قاب قوسين او ادنى من حل مشكلة الشرق الاوسط وجوهرها قضية فلسطين .. فجعلهم لا يبالون كثيرا لا ببقية العالم العربى ومحاولة استمالته .. ولا بسائر القوى السياسية العالمية .. بل وضعوا البيض كله فى السلة الامريكية .. فكان ان قصرت اتفاقيات كامب ديفيد عن حل شامل للقضية وحققت اهدافا جزئية وان كانت اساسية طبعا .. وما زالت القضية الفلسطينية تنزف حتى الآن دما كثيرا .

بل ان الاستخدام السبرناطيقى البارع للمبادرة جعل انصارها فى مصر يبتلعون الطعم السام وهو ان المستر بيجين رجل السلام مثله مثل انور السادات الذى كان رجل سلام حقيقى .. وحصل السفاح بيجين على نصف جائزة نوبل للسلام بمباركة من مصر ..

الطفيليون يستخدمون السبرناطيقا

ومن امثلة الاستخدام السيىء للسبرناطيقا .. وان كان يبدو ذلك حاصلا بشكل تلقائى غير مخطط .. هو التهاون فى مواجهة أشكال التهليب المختلفة فى المجتمع من رشوة ومن أجور عن اعمال وهمية ومن شحاتة ومن ضغط والحاح يقارب الابتزاز .. ومن القيام بدور «الالاحنيش» والاتباع للاغنياء الجدد ..

ان السماح بنشر هذه الآفة الاجتماعية يسمح بتوسيع قاعدتها حتى ان التهليب « اى كسب المال دون عمل » اصبح ذا طابع شعبى .. هناك فى المجتمع عشرات الالوف من الناس يعيشون عليه .

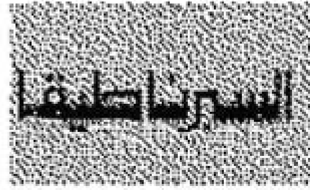
اتساع هذه القاعدة يسمح بوجود قاعدة شعبية تتالم او تغمض العينين عن التهليب الذى يقوم به بضعة الوف من الناس من تهليب بالملايين وممن يسمون بالرأسماليين الطفيليين .. المطلوب ان يصبح التهليب شيئاً من طبيعة الاشياء فى المجتمع لا يثير استنكار أحد ..

وهذا هو التفسير العلمى المقبول الوحيد لاغضاء الطرف عن هذه الظاهرة واتساع قاعدتها كل يوم ..

خذ عندك مثلا آخر .. فى بداية كل موسم لنوع معين من الخضار او الفاكهة يتحدد سعر عال .. سكوت الحكومة على ذلك السعر العالى .. هو نوع من التطبيق السبرناطيقى .. ذلك انه عندما يكتسى المحصول فى السوق وتاتى الحكومة لتحدد سعره فتخفضه الى الثلث مثلا .. يكون التجار هم الكاسبون اذ الجمهور لن يرفض التسعيرة الجديدة رغم ارتفاعها اذ سيتنفس الصعداء ان الكيلو اصبح بجنيه بعد ان كان بثلاثة ويحمد الله على ذلك رغم ان سعره الحقيقى لا يزيد عن خمسين قرشا !.

ومثل هذا التطبيق السبرناطيقى يحدث كثيرا فى السوق عندما تختفى سلعة من السلع « فى الغالب تخفى عمدا » .. ثم عندما تشتد حاجة الناس اليها كثيرا تعود الى الظهور بسعر اعلى مما كانت


ستالين



على ظهورها بأى سعر لاشباع حاجاتهم. عليه قبل الاختفاء .. فيحمد الناس الله

بل أحيانا يكون من مصلحة الدولة شغل الناس بتوجيه الرأى العام تجاه الاهتمام بنقص معين لسلعة او سلع معينة او غلاء .. حتى يمكن تمرير قرارات هامة تلهى انغماس الجماهير فى مشاكلها اليومية عن الالتفات اليها وتقدير خطورتها.

فى اسرائيل

واسرائيل بلد بارع جدا فى استخدام السبرناطيقا .. فى توجيه الرأى العام لا داخل اسرائيل بل فى العالم كله ..

ولم يحدث أن استخدمت دولة ما خطا كما استغلت اسرائيل شعار القضاء على اسرائيل ..

ان تطبيق السبرناطيقا فيه كان ٢٠٠٠٪ لا مائة فى المائة !.

وآخر تطبيق للسبرناطيقا فى اسرائيل هو هذه المعركة الديمقراطية الواسعة بين الحكومة والمعارضة حول مذبحة معسكرات اللاجئين فى بيروت .

رغم حرج موقف حكومة بيجن ازاء هذه الحملة التى تشنها المعارضة .. فان الصهيونية تستغل هذه المعركة لتوجيه الرأى العام العربى بالذات الى مظاهر الديمقراطية الغربية على المواطن العربى الذى يعيش معظم سنى حياته تحت نظم شمولية معادية للديمقراطية ..

فليس مألوفا أن تقوم ات تعادى حكومة فى حالة حرب .. بل ذلك موصوف فى عالمنا العربى بانه خيانة .. فلا يوجد المواطن العراقى الذى استطاع ان يقول عندما هاجم الجيش العراقى ايران منذ سنتين لماذا ؟..

ولكن المواطن العربى يقرأ ويسمع من جنرالات وجنود اسرائيليين يعارضون الحرب ويستقيلون ويعقدون المؤامرات الصحفية ويشتركون فى مظاهرات ضد الحكومة رغم ان الحرب مسألة قومية ..

كما ان الصحف والاذاعة والتليفزيون فى اسرائيل تتبارى فى كشف اسرار المذبحة فى معسكرات اللاجئين .. بل ان مذيع التليفزيون فى اسرائيل ظهر على شاشته ليقول للمستمعين انه شاهد بعينيه المذبحة فى شاتيلا فجرى الى اقرب تليفون حيث كلم شارون فى منزله وأخبره بخبرها .. لكن احدا من حكومة اسرائيل لم يحرك ساكنا ..

ولا يتصور القارىء العربى أن مذيعا عربيا يجرؤ على أن يفعل شيئا كهذا مخاطبا وزير الاعلام فى بلده لا وزير الجيش !.

ما السبب فى ابراز هذا كله ؟.

تكسب اسرائيل كثيرا من ذلك .. لان حكامها يحكمون بطريقة علمية ويستخدمون السبرناطيقا ..

ان نشر وابراز تفاصيل هذه المعركة الديمقراطية يجتذب انتباه واعجاب القارىء العربى ودهشته .. وهذا يخفف من اثر سخطه على مجزرة المعسكرات الفلسطينية ..

ثم ان المقصود توجيه المواطن العربى الى السخط فالانقلاب على حكوماته العربية الشمولية التى لا تمارس الديمقراطية التى يمارسها اليهود العنصريون التوسعيون .. الخ .

ان كل شىء محسوب .. وتوجد بدائل وخطط مدبرة لمواجهة اى تغيير فى الظروف ..

وما احوجنا نحن فى العالم العربى الى استخدام « السبرناطيقا » فى مجال توجيه الرأى العام .. ولكن استخداما جيدا فى صالح الجماهير فعلا .. وليس ضد مصالحها .. كما كانت تفعل النازية فى المانيا على يد جوبلز .. وكما تفعل الصهيونية العالمية واسرائيل فى أيامنا هذه ..

وسيأتى يوم يناقش فيه علماء الاجتماع والكتاب .. السبرناطيقا من اجل السبرناطيقا .. أم السبرناطيقا من اجل الشعب .. مثل الخناقة الشهيرة عن الفن للفن .. ام الفن للحياة !! .. ●

رائحة الوطن

شعر

محمد الشحات

خذ من طين النيل عجينا
واصنع للرأس المتخم عنقي .. وذراعا
ومن أعواد الحطب الصيفي لسانا
وانتل من تربك .. من لعوك
من خير حروف الله
وبعض حروف الكفر
وسرد الأسماء سيصبح .. أو سوف يكون
ومن تحريك الكف اذا ما عجز التعبير
ومن تعريض الحرف على التلوين بعض
الا تجعل ما بين حروف الكلم النهال
حروفا لا يفهمها غير المتبحر في الأدغال
سألتك ياشيخي العارف !!
كيف أعيد الى الوطن عيون مدائنه
وكنت أردد في حصص الجغرافيا
بعض تضاريس الوطن
وأعرف أن الوطن الجبل النهر الواحة
أعرف أن الوطن الصيف المطر
وأن الوطن نسيم يدخل في دمنا
ويكور أحمره والأبيض
وأن الوطن طفولتنا ياشيخي العارف
ترتيل أبي في سورة «يس»
وأمي حين تهدهدني الأصحاب
وأعرف يا شيخي العارف
ما كان الوطن الخنجر والزلزلة
ما كان الجالس في حجرات اللهو
نهمل في قربك ونحذر
هذا الوطن؟
نعمل في قولك وأتحسس هذا الرأس الأزعر
كي ما أصلح شأنك
مر العام علينا والأعلام تهادت في مشيتها
وانخرطت في زخم الأشياء
وتمنيت قليلا
أن أملك بيتا وحديقة
حتى حين أعود مساء
من شرفتي المعتمة
ارمي نحو الأفق الى الوطن الشوق ..
وأقرئه سلاما ..
سلاما يا رائحة الطين
ورائحة الرمل
ورائحة الأبناء الفقراء يمد لنا النيل
جنودا في ساعات القيظ
ورائحة العمال أمام الأفران العالية
وسلاما يا وطني



أيام طه حسين

بين الرواية والترجمة الذاتية

بقلم: د. طه وادي

● يعد كتاب «الايام» للدكتور طه حسين اهم سفر فى تراثه الواسع، وذلك لان هذا الكتاب لا يترجم لحياة صاحبه باسلوب ادبي ذى طابع خاص متميز فحسب، وانما لانه يتجاوز ذلك الى ان يكون «شهادة» على العصر كله، حيث يعطينا الكتاب صورة واضحة لكثير من ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي.

والكتاب يقع فى ثلاثة اجزاء صدرت فى فترات متباعدة فالاول نشر كتابا سنة ١٩٢٩ والثاني سنة ١٩٣٩، والثالث والاخير سنة ١٩٧٢ قبيل وفاته «١٩٧٣». وهذا التباعد بالنسبة لنشر اجزاء الكتاب لم يجعل الكتاب ذا طابع واحد فى طريقة التعبير، وانما اختلفت أساليب التعبير فى كل جزء كما سوف نشير الى ذلك بعد تحليل الكتاب.

الجزء الاول

يتناول هذا الجزء طفولة الكاتب فى القرية – قرية مغاغة فى محافظة المنيا – حتى سنة ١٩٠٢ اى وهو فى الثالثة عشرة من عمره حيث ودع القرية الى الازهر فى القاهرة.

ومنذ البداية يوحي اسلوب الكاتب بانه يبدأ حديثه مع اللحظة التى بدأ يفقد فيها بصره، لذلك يفتتح الجزء الاول بلحن حزين يمهد به لمأساة سوف يحكي فصولها فيما بعد فيذكر: «لا يذكر لهذا اليوم اسما ولا يستطيع ان يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع ان يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه وانما يقرب ذلك تقريبا».

ويمضي الكاتب بعد ذلك ليعزف لحن مأساته التى بدأت وهو شبه أعمى، لذلك فقد كان ادراكه لما حوله ليس ادراك البصير بقدر ما هو وصف السامع.

ويبدأ فى ذكر عالم القرية الذى كان يعيش فيه والاطار الطبيعي والانساني اللذين كانا يحيطان به، فيصف السياج الذى كان يحيط بالبيت حتى الترعة التى تحد القرية مرورا ببيت العدويين حيث يقيم سعيد الاعرابى وزوجه كوابس وما يملكون من كلاب عظيمة لا ينقطع نباحها. ثم يصف ايضا مجالس شاعر الربابة الذى كان يحن الى سماعه ويهرب اليه حتى تعيده اخته الى البيت. كما يصور احساسه بعالم القبيات





د. طه حسين

من الجن والعفاريت الذين كانوا يحيطون بالقرية والترعة .

وكان هذا الصبي « سابع ثلاثة عشر من ابناء ابيه وخامس احد عشر من اشقته وكان يشعر بان له بين هذا العدد الضخم من الشباب والاطفال مكانا خاصا يمتاز عن مكان اخوته واخواته » .

وهذا العطف كان نتيجة فقده البصر ولكن هذه الآفة علمته منذ الصغر ان يحترز في تعامله مع المبصرين حتى مع اخوته ، فقد اكل معهم مرة ولكنه فكر في ان يغمس اللقمة بكلتا يديه ، وهنا سخر منه اخوته « من ذلك الوقت تقيدت حركاته بشيء من الرزانة والاشفاق والحياء لا حد له . ومن ذلك الوقت عرف لنفسه ارادة قوية .. » .

واستمر بعدها لا ياكل مع الناس الا بعد ان تزوج ، ونتيجة لانه لم يكن يخرج كثيرا فقد تعلم من امه واخواته الكثير سواء من غناء الاخوات او تعديد الام او اوراد اجده الضرير . وحين بلغ التاسعة «كان قد وعى من الاغاني والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والاوراد والادعية والاناشيد الصوفية جملة صالحة .وحفظ الى ذلك القرآن الكريم » . واما كيف حفظ القرآن في طفولته قبيل التاسعة فذلك امر يصفه الكاتب بدقة وروعة واعجاز ، فقد ذهب الى الكتاب الذى كان يديره المعلم « سيدنا » وهو يرسم له صورة كاريكاتورية تجعله اقرب الى السخرية والاستهزاء سواء من حيث التكوين وضخامة البنية او وسوء السلوك والشراهة في التعامل مع البشر .

ويبدو ان الكاتب كان يريد ان يجسد فيه مساوىء طائفة من البشر كانت تقوم بالدور الاساسي في تعليم الاطفال . وبعد التاسعة صار يلقب بالشيخ بعد ان كان يدعى بالولد . ولكنه بعد ان حفظ القرآن بدا يمارس مع العريف « مساعد سيدنا » الضغط على اطفال الكتاب لكي ياخذ منهم بعض قطع السكر النبات واقراص النعناع والفول السوداني واللب . وقد اخذ ايضا نوعا مخصوصا من الرشوة لم يكن يدور بخاطر سيدنا او العريف وهو القصص والحكايات فمن قص عليه قصة عن الزير سالم او ابي زيد الهلالي او غيرهما تهاون معه في تسميع المطلوب منه ، ويبدو انه في هذه السن عرف رعشة العاطفة لاول مرة مع « صبية مكفوفة البصر يقال لها نفيسة ارسلها اهلها الى الكتاب لتحفظ القرآن بحفظته واتقنت حفظه فوكلها سيدنا الى العريف ووكلها العريف الى صاحبنا ،واخذ صاحبنا يسلك معها مسلك العريف معه » .

وقد ادى هذا اللهو الى ان ينسى القرآن حين امتحنه ابوه ثانية فيه مما احرجه مع والده ، وجعله لا يسمح بعودته الى الكتاب .. وفي هذه المدة رجع شقيقه الازهري من القاهرة واشار عليه وهو في العاشرة من عمره ان يستعد لدخول الازهر ، وطلب منه ان يحفظ كتابين : هما الفية ابن مالك في النحو ومجموع المتون وهو كتاب مختصر يجمع تعريفات لاهم علوم اللغة والدين التي كانت تدرس في الازهر .

وبدا الطفل يشتاق الى ان يدخل الازهر وان يصبح عالما من علمائه . وقد راى

احتفاء القرية باخيه الازهري . والكاتب لا يبالغ في العلم كقيمة مجردة عند اهـل القرى - وهو منهم - حيث ان العلم يعطي صاحبه الى جوار المكانة الادبيـة امتيازات اجتماعية فيقول « للعلم في القرى ومـدن الاقاليم جلال ليس مثله في العاصمة ولا بيئاتها العلمية المختلفة وليس في هـذا شيء من العجب ولا من الغرابة ، وانمـا هو قانون العرض والطلب يجرى على العلم كما يجرى على غيره مما يباع ويشترى » . وهكذا تنتهي السنوات الاولى من حياة طه حسين حتى سنة ١٩٠٢ وقد تثقف كل ثقافة القرية وعرف معظم ما يدور بين اهلها . كما حفظ الى ذلك القرآن والالفية ومجموع المتون واستعد لكي يبدأ حياة جديدة في الازهر ليصبح « مجاورا » . وقد مضى اليه مع اخيه وبدأ يتحلق حول المشايخ وبدأ في التعلم . ولكن يبدو ان الكاتب وهـو ينهي هذا الجزء لا يشعرنا بان الرحلة الى العلم في الازهر كانت سعيدة الوقع عليه .

الجزء الثاني

يتناول هذا الجزء من حياة طه حسـين الفترة من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٨ تقريبا اى وهو على مشارف العشرين ، ويصف فيه بالتفصيل الشديد حياته وتجربتـه غير السعيدة في التعلم . وبما ان الكاتب يحكي عن مرحلة متاخرة نسبيا عن الطفولة فلا شك ان وعيه بها سيكون اكثر وضوحا ، خاصة اذا كانت التجربة ايضا غير سارة . والكاتب يتحدث عن فساد التعليم في الازهر وخيبة امله فيه ، ويقرنه بفساد البيئة الاجتماعية التي كان يسكنها وغيره من الطلاب وكيف كان الربع او البيت الذى يسكنون فيـه ماوى لسكان اقرب الى ان يكونوا من ادنى المستويات الاجتماعية ، خاصة عمال اليومية وطلبة الارياف الازهريين. ويبدأ في وصف طريقة التدريس بالازهر ناقدا لها مبينـا مساوءها ويرى ان الشيوخ وهم يلقنـون الشباب العلم كانوا يسيئون ايضا اليهم اخلاقيا وعقليا وجسديا . ومن هنا بدأت خلافاته مع المشايخ حول دروس النحو وما يوجد بها من تفاصيل وقواعد لا فائدة منها ولا اهمية لها ، من هنا بدا يميل الى دروس الامام محمد عبده التي كان يسمعهـا من اخيه كما مال الى دروس الادب التي كان يلقيها الشيخ سيد المرصفي .

وهناك شيء اخر مما يصفه الكاتب في هذه المرحلة وهو الوحدة المريرة التي كان يقاسيها في الليل ، حيث كان يتركه اخوه الكبير ويخرج مع زملائه ، الى ان حضر معه ابن خالة من الريف ليلتحق بالازهر . وحين عاد الى القرية في هذه السنة بدأ يتمرد على المشـايخ الذين هم اهم زوار والده ، وبالتالي اهم رجال القرية . كما بدأ يعارض « سيدنا » الذى تعلم من قبل على يديه وجلساء البقال محمد عبد الواحد بل تعدى الامر الى مناقشة قاضي المحكمة الشرعية الذى يعد اعلم اهل القرية . ثم يعود بنا الكاتب الى الازهر علماء وتلاميذ وكيف انه قد ساء ظنه بعلماء الازهـر وجهلهم وبتلاميذه وما كان يشيع بينهـم من عادات لا يرضى عنها . من هنا يثور على الازهر بعـد أن خاب أمله فيه وبـدأ يتطلع الى الجامعة وبدأ يذهب اليها في المساء ، لكي يعوض ما لم يجده في الصباح بالازهر . وقد زاوج في هذه المرحلة بين التعليم في ناحيتين وظل هكذا تتجـاذبه الرياح او بعبارته هو ظل « موضعا للصراع بين القديم والجديد » .

الجزء الثالث

هذا الجزء الذى صدر في فترة بعيـدة عن الجزء الثاني « سنة ١٩٧٢ » يكمـل الحلقة السابقة ويستمر في وصف حيـاة صاحبه في الفترة من سنة ١٩١٠ الى سنة



١٩٢٢ ، اى وقد تجاوز الثلاثين بعد ان عاد من بعثته فى الخارج . وفى البداية يتحدث الكاتب عن رحلته الشنية مع الازهر وكيف سقط فى امتحان العالمية ، ومع ذلك ظل يجاهد بمساعدة الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ رشيد رضا الى ان حصل عليها ونجح فى امتحان العالمية وانتهت علاقته بالازهر . وفى هذه المرحلة يشيد بفضل أستاذين عليه وهما الشيخ سيد المرصفى



واحمد لطفى السيد الذى بدا يشجعه على الكتابة فى صحيفة « الجريدة » ويربطه بالصحافة التى سوف يصبح علما من اعلامها بين الحربين وبعد العودة من فرنسا .

وبعد ان انتهى من الازهر لم ينقطع عن الجامعة ، وانما اخذ يتردد عليها مستفيدا من دروس الشيخ احمد الخضرى والشيخ مهدى والشيخ طنطاوى جوهرى وبعض الاساتذة الاجانب . وقد بدا فى هذه الفترة يتعلم الانجليزية والفرنسية ثم بدا يستعد للسفر الى فرنسا لكى يدرس الدكتوراه بعد ان حصل على شهادة العالمية التى تعادل الدكتوراه فى الخامس من مايو سنة ١٩١٤ برسالة عنوانها « ذكرى ابى العلاء » . وهذا النجاح هو الذى مهد السبيل لكى ترشحه الجامعة لدراسة الدكتوراه فى فرنسا بعد ان اجتاز الامتحانات التمهيدية لذلك .

وفى فرنسا بدا مرحلة جديدة من حياته حيث قضى مدة طويلة فى الحى اللاتينى ، وبدات اثناء الدراسة قصة حب قوية بينه وبين سوزان التى تزوجها فيما بعد ، والتى يعقد عنها فصلا بعنوان « المراة التى ابصرت بعينيها » . وقد حصل على الدكتوراه من السوربون فى رسالة عنوانها « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » . وعاد الى مصر فى سنة ١٩٢١ ليعمل استاذا بالجامعة .

وليس غريبا ان يعود صاحبنا الى وطنه مؤمنا بالثورة « ثورة ١٩١٩ » التى شبت فيه ، ومؤمنا فى الوقت نفسه بان « عبئا خطيرا من اعباء هذه الثورة سيقع على العلماء والمثقفين من ابناء هذا الوطن » . وربما كان هذا هو الواقع الذى جعله يشترك فى حزب الاحرار الدستوريين ويكتب فى صحيفته « السياسة » ابتداء من سنة ١٩٢٢ .. على انه لم ينفق فى مصر شهورا حتى يتبين انه كان واهما فى كل ما قدر وان العلماء والمفكرين ناس من الناس يتاثرون بالجماعات التى يعيشون فيها فيخطئون مثلها

ويسيئون ، بل هم قد يرون الخطر ويمضون اليه متابعين للجماعات التى يذهبون مذهبها او يرون رايها ، وهنالك تبين ان ذلك الشعر الجاهلي انما صور حقيقة خالدة من حقائق الجماعات حين قال :

امرتهم امرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
فلما عصونى كنت منهم ، وقد ارى
غوايتهم او اننى غير مهتدى
وهل انا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد »

وهكذا بدا طه حسين حياته العملية ليس مدرسا في الجامعة فحسب وانما مشاركا بجسارة في السياسة والفكر والصحافة . ولا شك ان هذه الامور هي التي اعطته من السمعة وبعد الصيت وسمو المكانة ما تعجز الجامعة عن تقديمه ، وعلى هذا فقد كان طه حسين دائما متحازا لراى ما ، فمن يتصل بالجماهير لا يمكن ان يكون مسطحا او محايدا وانما ينتمى الى ما يظن انه صحيح او اقرب الى ما يرى انه الصحيح من هنا اصاب واخطا ومدح وذم ، وهو نفسه يقر بذلك حين ينهي الكتاب بقوله : « كان يعرف نفسه حين يشقى في سبيل ما يرى انه الحق ، وينكرها اشد الانكار بل يبغضها اشد البغض اذا نعم بالخفض واللين لانه صانع او داجى او جهر بغير ما يسر او آثر رضا السلطان على رضا الضمير » ، وكان شعاره دائما الشعار الذى كان ينادى به من يخاصمه كما كان ينادى به من يغريه قول ابى نواس :

وما انا بالمشغوف ضربة لازب
ولا كل سلطان على امير

الايام .. بين الرواية والترجمة الذاتية :

تلك كانت الخطوط الاساسية التى تربط قصة كفاح طه حسين من خلال كتابه « الايام » وهى قصة كفاح ونبوغ للفرد اقل من عادى استطاع ان يصبح اكثر من عظيم . لقد تغلب طه حسين على ظروفه الخاصة ولا سيما آفة العمى ذلك ان البصر مفتاح هام للبصيرة .

ولا شك ان فقد البصر يحرم الانسان من التعرف على كثير من عالمه الانسانى والطبيعى وهو يشير الى ذلك في معرض دراسته لأبى العلاء بقوله « اثر هذه المصيبة من الحزن عظيم يلزم صاحبه فى جميع اطوار حياته لا يفارقه ولا يعدوه ، ذلك لانه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة ، وكلما ناله من الناس خير او شر ، بل كلما لقيهم فى مجمع عام او خاص » .

ويمكن ان تتلمس اثر غياب هذه الحاسة فى ادبه الابداعى ولا سيما فى الرواية ، فهو حين يصور شخصية سواء كانت لرجل او امراة لا نجده يهتم بوصف الملامح الجسدية او رسم الشكل المادى لها قدر اهتمامه بالوصف المعنوى الذى يجعلنا نحب او نكره هذه الشخصية . كما نجد ذلك بوضوح فى روايتيه « دعاء الكروان » و « شجرة البؤس » .

بل ان هذا الجانب نلمسه فى كتاب « الايام » حيث لا يتعرض بالوصف او التصوير الحسى لاى من الشخصيات التى مرت عليه فى ايامه مهما كانت قريبة منه مثل الاب او الام او الاخ او الزوجة .

وكما استطاع طه حسين ان يتغلب على هذه الآفة الخاصة حيث استبدل البصيرة بالبصر ـ لذلك نجده على طول الكتاب لا يتقبل ما يصادفه فى الحياة تقبلا سلبيا ، وانما كان دائم المعارضة والنقاش والحوار ، مما سبب له كثيرا من الازمات ولا سيما فى الازهر ـ فقد استطاع ايضا ان يتغلب على ظروف واقعه العام : الفقير الجاهل الذى تحركه الخرافات والغيبيات وعالم الجن والاساطير ، باكثر مما يحركه الفن والعلم وهنا يبرز التفرد الذاتى الذى يجعل من

العظيم عليها ، فالانسان ارادة واعية ومريدة بشرط ان يعرف الانسان سبيله الصحيح ويسير نحوه .

من هنا فان سيرة طه حسين كما عرضها في كتابه « الايام » يمكن ان تكون قدوة حسنة لمن ينشد فيها المثال ولا شك انه هو نفسه كان واعيا بذلك لهذا نجده يختتم



الجزء الاول بحديث مباشر الى ابنته ، والثاني بحديث مباشر الى ابنه حيث يقول له « وها انت ذا يا بني تهجر وطنك ومدينتك ودارك وتفارق اهلك واصدقاءك ، وتعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس فدعني اهدي اليك هذا الحديث لعلك ترتاح اليه » .

الايام ترجمة للذات وللواقع

كتاب « الايام » باجزائه الثلاثة كما عرضناها يتناول حياة صاحبه بالوصف والتصوير واحيانا بالتقرير والتسجيل فهو شهادة على عصره اي انه لا يغني لنا جوانب في حياة طه حسين فحسب وانما يكشف عن بعض اسرار الحياة الاجتماعية في مصر في الفترة التي يتحدث عنها ، وهذا الجانب يشكل احد الاسباب التي تجعل الادباء والنقاد يقدرون هذا العمل .

اما من الناحية الادبية لهذا الكتاب حينما نحاول تحديد مكانته فلا شك ان الامر معح لعدة اسباب :

اولها : تعدد اجزاء الكتاب وصدور كل جزء في مرحلة متباعدة عن الاخرى .

وثانيها : ان كل جزء يصف مرحلة مختلفة وفترة مغايرة في حياة طه حسين ، من هنا تتعدد بيئة كل جزء : فالاول يدور في القرية والثاني في حي الازهر والثالث بين القاهرة وباريس .

وثالثها : نتيجة لكل ما سبق ان اسلوب الكاتب متعدد النغمات ، فالجزء الاول والثاني يغلب عليهما سمة التصوير القصصي ، اي ان الكاتب وهو يتحدث عن طفولته وشبابه كان يترجم لنفسه بطريقة اقرب الى اسلوب القصة ، يعتمد على سرد الاحداث وحكي ما وقع له ، من ذلك ـ على سبيل المثال ـ حديثه عن الحاج فيروزالبقال في الجزء الثاني :

ـ حانوت الحاج فيروز الذي يبيع لاهل الحي اكثر ما كانت تقوم عليه حياتهم

من الغذاء : يبيع لهم الوان الفول المدمس اذا اصبحوا . وكان الفول عنده كما عند غيره الوانا مختلفة ، ولكنه كان يمتاز باتقانه ويغالي بثمنه ، فقد كان يبيع الفول صرفا ، وكان يبيعه بالزيت على اختلاف الوانه وكان يبيعه بالسمن وكان يبيعه بالزبد ، وكان يضيف اليه عند الحاجة فنونا من التوابل ترغب فيه وتغرى به وتدفع طلاب العلم الى ان يسرفوا على انفسهم اذا طعموا منه ، ثم ينتقلون بعد ذلك عن درس الضحى ويناموون اثناء درس الظهر » .

واذا كان الجزءان الاول والثاني يغلب عليهما اسلوب القص وطبيعة الرواية منهجا للترجمة عن حياة طه حسين فان الجزء الثالث يميل بشكل واضح الى اسلوب التقرير والمقال الصحفي فهو من حيث الشكل ينقسم الى عدة فصول لكل منها عنوان يتحدث فيه الكاتب بشكل تقريرى عن موضوع بعينه ، مثل : على باب الازهر ـ كيف سقطت في امتحان العالمية ـ اساتذتي ـ كيف تعلمت الفرنسية ـ الفتى في فرنسا ـ قصة حب ... الخ .

وعلى هذا فاذا كان الجزءان الاولان اميل الى الادب فالاخير اقرب الى المقال الصحفي الذي يهتم بالتأريخ المباشر للاحداث .

كل هذه الامور تحير من يحاول ان يحدد الفرع الادبي الذي ينتهي اليه كتاب الايام خاصة وان بعض الباحثين درسه على انه رواية ترجمة ذاتية ، ولكن بما ان الكتاب كله يدور حول شخصية واحدة هي شخصية طه حسين متتبعا حياته من القرية الى القاهرة الى باريس ومن الطفولة الى الشباب فالرجولة .. فالكتاب كله اذن يدور حولها مترجما لحياتها متتبعا مسارها الانساني وكيف استطاعت أن تشق طريقها في الحياة .. وعلى هذا يعد الكتاب ترجمة ذاتية لطه حسين .

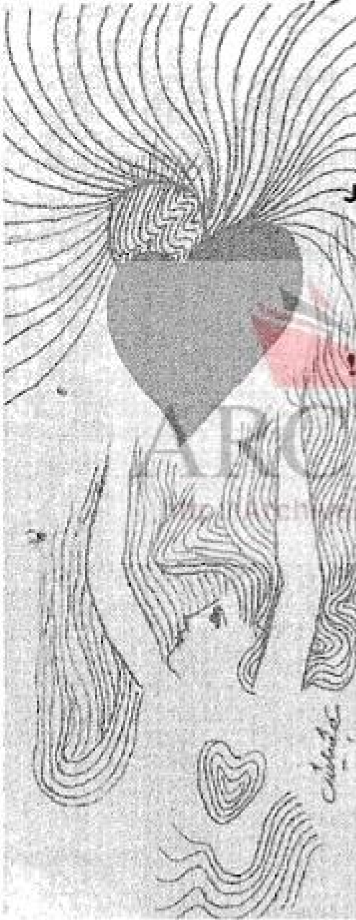
وحين نبعد الكتاب عن مجال الرواية ونجعله ترجمة ذاتية فان ذلك لا يغض من قيمة الكتاب الادبية او الفكرية لانه لا يؤرخ لمواطن وانما لوطن في مرحلة من مراحل نهضته وتقدمه .

ويضاف الى هذا أن كتاب الايام كتبه الاديب والاستاذ استعان بكلتا الصفتين وهو يسجله ويملى حلقاته . من هنا نحس ان اسلوبه يحمل بين ثناياه عذوبة الادب وواقعية فكر يصور الحياة ناقدا لها ، مسجلا كل خواطره ازاءها . من هنا يجمع كثير من الدارسين على ان الايام يعد من اهم ما تركه عميد الادب العربي طه حسين .. يؤكد هذا ما قام حوله من دراسات نقدية واجتماعية في مصر والعالم العربي . كما يؤكد اهتمام « الايام » ايضا ترجمته الى اكثر من لغة .. لانه ترجمة ذاتية لاديب تحدى ذاته وعصره .. واثبت قدرة الانسان على النجاح اذا استعان بعزيمة قوية وقدرة خلاقة ●



القلب المهاجر

شعر : سالم حقى



لا تسافر !
أيها القلب الذى دوما .. يهاجر
يقطع العمر ،
على ظهر البواخر !
يعبر الايام شطآنا ..
وريحا .. وعبابا .. وجزائر !
وبحارا شاسعات ..
ما لها فى الافق آخر ..
لا تراه الارض ،
الا .. وجه زائر !
عاد يجتر المناظر !
والمشاعر !
او غريبا ..
لاهث الانفاس .. عابر !!
لا تسافر !
خطوك المجنون ،
فى قلبى .. اظافر !!

أقصوصة

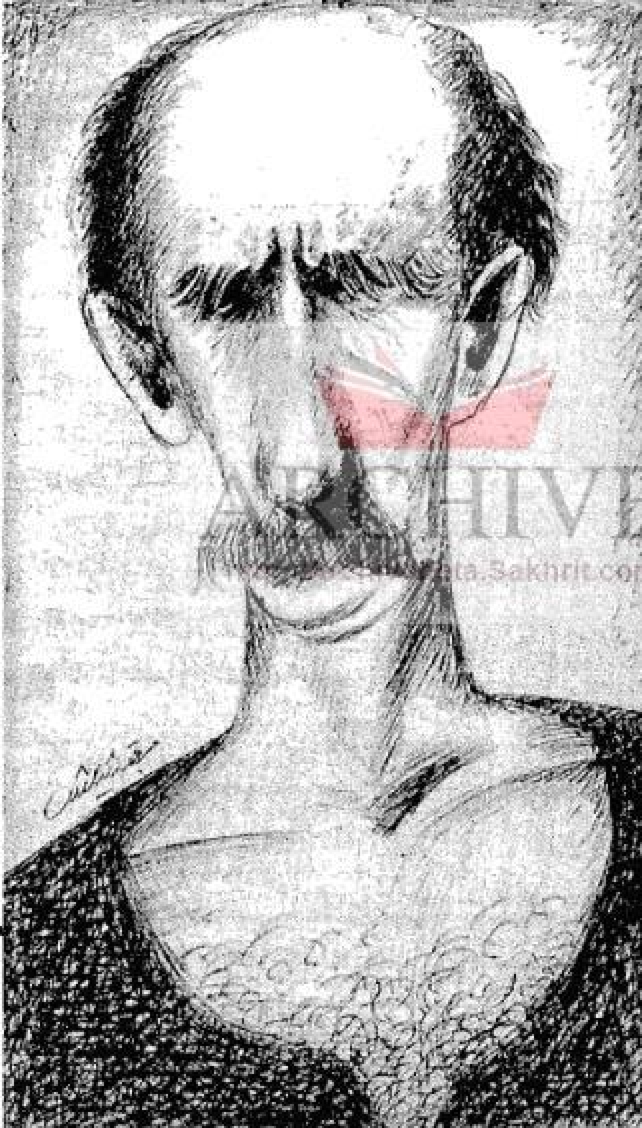
الذى رفض الميراث

● قال : الناس للناس ..

فقالوا له : يالك من ساذج وعبيط ! ..

صرخ الاب فى غضب شديد : اذهب الى البحـر واشرب منه اذا اردت ..

ونصحته زوجته بأن يشرب ــ فعلا ــ من البحـر المالح .. فقد يفيق من جنونه اللدى ..



بقلم :
حسن
محسب

ثم .. اتصل بحبيبته - السرية - التى كانت .. فانكرته .. اخذ يذكرها بالذى كان وكان بينهما .. ضحكت ساخرة من ســـذاجته .. والقت على مسامعــه كلاما كثيرا طويلا يتكرر كثيرا فى افــلام « حسن الامام » .. فاغلق التليفون فى وجهها وهـو يلعن امثالها من الحبيبات اللاتى هن .. و.. واطفأ سيجارته .. وعاد الى بيته .. أراد ان يقنع والــده بالامر .. لكن الاب صـــاح : « اذا كنت تـزوجت وانجبت وصار لك اولاد اطـول منى .. فليس معنى هـذا انك خرجت عن طوعى . انكتم وتعلم الادب ».

● حاول هو ان يرتب الامر بدقة .. أعاد أجترار القصة كلها .. من الالف الى الياء .. من البـداية الى الوسط الى النهاية.. وجد ان الامر كله يتلخص فى انه قرر رفض الميراث .. قال لوالـــده باصرار : « لا اريد حقى فى التركة » .

قال الاب بغضب : « بل لابد ان تأخذ حقك .. »

قال « هو » أنا متنازل عن كل حقوقى فى المـيراث .. واطال الله عمرك .

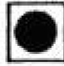
شـحب وجه الاب .. ارغى وازبد .. ثم نهض وامسك ابنه من ثيابه وجذبه بعنف الى صدره ..

أسرع « هو » فرحا سعيدا منتشيا الى صدر ابيه .. فقد طال شوقه الى حنان ابيه وعطفه لكن .. قبل ان يصل الى صدر ابيه كانت يد أبيه ترتفع وتنفرد فى اصبعين كبيرتين طويلتين حادتين كالمسامير .. و جذب الاب ابنه الى صدره وانطرح الابن - فرحـا سعيدا منتشيا الى حنان أبيه . لكن اصابع بدأبيه انغرستا فى عينيه .. وانغرست وانغرست وتحركت حتى فقأت عينى الابن واسالتهما دما ودموعا .. وزعق الابن مذهولا مصعوقا مجنونا « لا أريد ميراثك يا أبى .. ثم اختنق صراخه واظلمت الدنيا وامتـــزجت بلون الدم ●

من أسرار الحرب العالمية الثانية :

اتصالات فاروق بمخابرات هتلر

بقلم : د . السيد فهمى الشناوى



بدات المانيا الحرب العالمية الثانية عندما هاجمت بولندا واحتلت نصف اراضيها فى خريف سنة ١٩٣٩ ..

وفي سنة ١٩٤٠ هاجمت جيوش هتلر الالمانية فرنسا واوقعت بالجيش الفرنسى والبريطانى هزيمة ساحقة واحتلت نصف فرنسا ، واقامت فى النصف الاخر حكومة تابعة لها ..

وقبيل سقوط فرنسا فى يد هتلر بايام قلائل دخل موسولينى زعيم ايطاليا الحرب الى جانب هتلر ، ليفوز بنصيبه من غنيمة هذه الحرب الكبرى .. وزحفت قواته على جنوب فرنسا ، ثم زحفت على مصر ، فلقد كانت ايطاليا تحتل ليبيا ولها فيها قوات كبيرة ..

ومنذ ذلك الحين بدات اتصالات الملك فاروق بوكلاء هتلر من رجال المخابرات الالمانية وغيرهم ، لانه كان يراهن على انتصارهم فى الحرب ، ويحاول ان يحفظ لنفسه مكانا خاصا عندهم بعد انتصارهم الذى لم يكن يخامره فيه شك ..

وهناك مراجع كثيرة كشفت هذه الاتصالات ، ولكن الذى وقع فى يدى فقط كتاب الاستاذ لوكاس هرسزوسك بالالمانية . ومؤلفه هو استاذ مادة الشرق الاوسط فى جامعة وارسو . وكذلك بعض كتابات الاستاذ



الملك فاروق



هتلر



روميل

العراقي الاصل مجيد خدوري بالانجليزية وهو استاذ الدراسات الدولية بجامعة جون هوبكنز في امريكا . وكذلك ورد في مذكرات شيانو وزير خارجية ايطاليا ريبنتروب وزير خارجية المانيا عنها . ولكن اهم من هذا كله هو الوثائق النازية التي استولى عليها الحلفاء بعد هزيمة المانيا والتي اعادتها روسيا الى حكومة المانيا الغربية . وهناك بعض النتف التي وردت في مذكرات كتبها الانجليز والالمان والطليان واليهود .

اما ما يكون قد ورد في مذكرات شخصيات عربية فانها تكاد تكون معدومة لان السياسيين في مصر لا يكتبون مذكراتهم وان كانوا في العراق او سوريا يكتبونها فعلا . ولا يوجد في المصادر المصرية شيء الا ما ورد في مذكرات صليب سامي باشا الوزير في وزارة حسين سري في بدايات الحرب العالمية الثانية .

يفرد صليب سامي في وضوح قاطع ودقيق واشبه بالاحكام القضائية في حسمها لثلاثة وقائع عاصر هو بنفسه كل واقعة منها ومن ثم لا نرى اي محل للشك في روايته ..

● واقعة محطة الارسال : قال انه كان هناك محطة ارسال في قصر عابدين . وان الانجليز طالبوا حسين سري رئيس صليب سامي في الوزارة بانتزاعها بنفسه من القصر مهددين بمهاجمة القصر وانتزاعها بالقوة فاضطر حسين سري لنزعها بنفسه .

فكان ذلك من عوامل الجفاء بين الانجليز والملك وبين الملك وحسين سري . هذا ويبدو لنا ان بدء فكرة مهاجمة القصر بالدبابات نشأت من هذه اللحظة ، فكان حادث ٤ فبراير المشهور بعد ذلك ..

● بدويان في الصحراء : شكا فاروق لحسين سري من انه لا يدري شيئا عن شئون الحرب بينما هي تدور في بلاده وهو سيد البلاد . نقل حسين سري هذا الى الانجليز كمحاولة للتقريب بينهما وازالة اثر واقعة اللاسلكي السابقة واقترح حسين سري ان يكاشفوا الملك بخطط الحرب . قابل الملك بعد ذلك قائدا من الانجليز واذاع له انهم شرعوا في القيام بهجوم كبير عام يوم كذا . وبعد بضعة ايام عثر الانجليز في الصحراء الغربية على اثنين من البدو يحملان كتابا من سفير فرنسا في مصر « وكانت خاضعة لهتلر » يشير فيه الى هذا الهجوم وموعده طبعا كان الهجوم مفتعلا من الانجليز وبقصد اختبار الملك . ويفهم من الواقعة انه سرعان ما صدق الخبر وافشاه لسفير فيشي المتعاون مع الالمان والاخير اراد توصيله الى رومل فارسله مع بدويان في الصحراء .

● واقعة قطع العلاقات مع حكومة فيشي في غيبة الملك : هذه هي اهم الوقائع التي اوردها صليب سامي لانه هو وزير الخارجية وقتئذ ولانه هو وحده لفظ الذي

اصطلي بالواقعة واهم من ذلك انه يعطيها تفسيرا لما حدث في ٤ فبراير ٤٢ .

يقول ان سري باشا استدعاه وقال له ان الانجليز طالبوه مرارا بقطع العلاقات السياسية مع فيشي لانها حكومة المحور تابعه لالمانيا وحكومة معادية . وان الملك رفض على الدوام هذا القطع . وان السفير البريطاني اطلع سري باشا على برقية ايدن طالبا فيها من السفيران يبلغه في ظرف ٢٤ ساعة بان العلاقات مع فيشي قد قطعت .

وينص صليب سامي على « كنا نخشى اذا بلغ الخلاف أشده في هذا الموضوع ان يصر الانجليز على خلع الملك وتنصيب امير من العائلة يميل اليهم بل كنا نخشى اعادة اعلان الحماية البريطانية على مصر بحجة انها ضرورة حربية . كما فعلوا في الحرب الاول . ولذلك وافقت سري باشا على عرض الامر على مجلس الوزراء حتى اذا اصدر قرارا بقطع العلاقات اخذت الوزارة على عاتقها تنفيذ هذا القرار قبل الملك اخلاء لمسئوليته اتقاء للاخطار التي قد تهدد الوطن ومراعاة لمصلحة الملك بالذات . وقد وافق مجلس الوزراء بالاجماع . والوضع في تنفيذه . وابلغت زملائي انني سأتخذ من خطوات مراعاة للظروف حتى اخفف وقع القرار على الملك بقدر الامكان ثم مراعاة لمصلحة الفرنسيين الذين لا ذنب لهم في تصرفات حكومة فيشي الخاضعة للالمان، ثم اقترح على السفير البريطاني ان يكتفوا بجعل حكومة فيشي تستدعي سفيرها . فقال السفير لا يكفي الاستدعاء هم لا يريدون اى سفير لفيشي في مصر لا هذا ولا من ياتي بعده . فسجل صليب سامي عليه قوله هذا . والتي بان يكون الحل هو وقف العلاقات السياسية بين مصر وفيشي لا قطعها . والفارق الذى افتى به هو ان الوقف يعني ايقاف التمثيل الدبلوماسي دون اعتقال الفرنسيين او الاضرار بهم كاعداء . ولما قيل له ان القانون الدولي لا يعرف وقف علاقات ولكن يعرف القطع فقط قال ان القانون الدولي هو حصيلة ممارسات دولية وان الوقف ممارسة جديدة يمكن ابتداعها واضافتها وتصبح من القواعد فيه .

وانتهز صليب سامي فرصة غياب الملك عن القاهرة في رحلة في البحر الاحمر وقام بتنفيذ قرار مجلس الوزراء . وعاد الملك غاضبا واستدعاه ودافع عن فرنسا بانها عاونت مصر منذ ايام محمد علي وهي اول دولة ساعدت مصر على نشر التعليم وردد حججا كان قد كتبها سفير فيشي بالاشتراك مع محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ يومئذ فرد صليب سامي بان فرنسا هي التي سحبت اسطولها عند ضرب الاسكندرية عام ٨٢ وهي فرنسا نابليون التي احتلت مصر وحاربها جدكم وهو لويس التاسع الذى احتل مصر في الحروب الصليبية . وهي فرنسا التي حطمت في نفارين اسطول جدكم .. وقال صليب سامي انه تعهد اتخاذ القرار وتنفيذه في غيبة جلالته ودون علمه وذلك لمصلحته .

فقال له الملك لو كنتم في بلاد دكتاتورية لعرفتم كيف يكون مصيركم ! ثم قال له لا تخافوا من الانجليز ليس في وسعهم في ظروف الحرب هذه ان يقوموا على امر خطير مثل خلعي الذى تشير اليه .

ثم يذكر صليب سامي ما هو اخطر من كل ذلك بكثير وربما كان فيه التعليل الحقيقي لحادث ٤ فبراير . يقول انه منذ وقف « او قطع » العلاقات مع حكومة فيشي والملك يجتمع في عوامة في النيل لاحد كبار رجال الدين « هل هو يقصد المراغي ويتحرج عن ذكره بالاسم » يجتمع فيها مع اثنين هما علي ماهر ومحمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ ويخطط لطرد حسين سري واسناد الوزارة الى محمود خليل اسما وفعلا الى علي ماهر وينسق بينهما على ذلك .



سعيد ذو الفقار



حسين سرى

ومحمود خليل كان شخصية تقبل ان تلعب دائما الدور لاسمى فكان مثلا وفديا بالاسم للتكتلة السياسية وها هو يجتمع مــــع الملك .

وكان الانجليز فى نفس هــذه الفترة يراقبون الملك بشدة وذعر معا . فهم فى الصحراء الغربية يتلقون اللطمات من روميل ثعلب الصحراء حتى اصبح اسطورة وشبحا مرعبا للجنس العاص . وها هو الملك او بالادق على ماهر يطبق عليهم من ظهرهم . وكان واضحا ويتــداول بين وزراء سرى وغالبا بين جميع سياسيى البلد ما ذكره صليب سامى من ان الانجليز يخططون لخلع الملك واسناد العرش الى الامير محمد على الموالى لهم ويخشى الكثيرون منهم اعــلان الحماية للمرة الثــانية فى تاريخ مصر . وكان سبق لهم من مدة قصيرة اقتحام القصر فى عابدين ليس باشخاصهم ولكن بواسطة حسين السرى وبالاكراه .

وكان فاروق بطبعه مقامرا . وكانت هذه المرة مقامرته على ان الانجــليز لا بد من انهــزامهم وانه واثق لدرجة ان يراهن بالعرش على ذلك . وكان احمد حسنين باشا كبير الامناء يوحى للملك وللسياســيين ولخاصة الصحفيين بان الوضع العســكرى الضعيف للانجليز ضمان فى عجزهم عن أن يمسوا الملك . وكان هذا صحيحا الى حـد كبير جدا فقد خلع عباس حلمى الثانى لما هم اقله من ذلك كثيرا جدا . ولم تبك عليه عين واحدة رغم انه كان يساند بالشــعور والمال والعمل التيار الشعبى الوطنى متمثلا فى مصطفى كامل . رغم أنه ملأ القــاهرة منشآت عمومية من مستشفيات ومــدارس وبنى حى العباسية وخلافه . والحقيقة انه كان يستصغر شأن الشعور الشعبى لدرجة انه قال لمصطفى كامل . اى شعب هذا اللى تتكلم عنه . آنا لو لبست برنيطة وشيت فى وسطه ما انتقدنى احد ولصفقوا لى ! . وسبق لهم خلع الخديو اسماعيل وهو اللى انشأ امبراطورية مصرية شملت الســودان وكينيا وزامبيا واوغندا ومالى والنيجر وكل وسط افريقيا . وايضا لم تبك عليه عين واحدة .. ولو انهم خلعوا فاروق ما بكى عليه مخلوق . ولما كان ٤ فبراير قد اتخذ هذه الاهمية ولا اثار هذه الضجة . ولكنها القربة التى لم تكتمل اســتغلها المغروب اللى لم يضرب وهو فاروق احسن استغلال ربما فى تاريخ الدعاية والاعلام العالمى .

هكذا اذن يبدو ان على ماهر اللى تولى الوزارة عند وفاة فؤاد وعند اعلان الحرب وعند حريق القاهرة وعند قيام ثورة يوليو كان يحلم ان يتولاها فى مناســبة اكثر بريقا وهى عند دخول رومل مصر ! واحلام هذا الرجل كانت واسعة وكان دائما يحققها من خلال الملك . الملك اسهل له من الشعب ومن الانجليز . فبعد ثورة يوليو كان من وثائق عابدين التى ضبطت تخطيطا منه يبين انه يزمع تزويج شقيقات فاروق من ملوك المنطقة المحيطين بمصر . ولاشك عندى ايضا فى انه هو صاحب فكرة مؤتمر انشاص اول مؤتمر قمـــة عربى » . ولكن تدبيره فى استقبال رومل هذا لم يفشل فقط ولكنــه اعتقل بعد أن احيط به فى داخل مجلس الشيوخ . وظل معتقلا فى تفتيش السرو فى محافظة دمياط طوال الحـــرب العالميــة الثانية .

كشف التفاصيل

قلنا ان الكتب والابحاث الاجنبية من هذا الموضـــوع اكثر كثيرا جدا عن الكتب العربية . ولكن لا شك عندى ان وثائق

عابدين ـ التي لم تنشر حتى الآن ـ لا بد ان يكون فيها القول الفصل، وهذه مهمة المصريين .

أسماء عملاء الملك في الاتصالات : تحدد المراجع الاجنبية بان رجال الملك الذين كلفوا بان يكونوا حلقة الاتصال هم القائم بالاعمال المصري في برن في سويسرا عسل بك . والبرنس محمد ابراهيم . والقنصل المصري في اسطنبول حافظ عمرو . وسفير مصر في طهران وهو حمو الملك ـ ذو الفقار باشا وشقيقه ايضا .

وكان هؤلاء الاشخاص في هذه المراكز في طهران واسطنبول وبرن يتصلون بالمراكز الدبلوماسية الالمانية في نفس المدن وجميعها بلاد محايدة . ويرجع تاريخ الاتصال الى حتى ما قبل هجوم المانيا على روسيا .

اما سمير بك ذو الفقار حمو الملك فقد كان اتصاله مباشرة مع فون بابن في تركيا عن طريق البعثة الدبلوماسية المصرية في فيشي .

● اهم الاتصالات : عندما قابل ذو الفقار باشا سفير مصر في طهران فون اتل رئيس البعثة الدبلوماسية الالمانية في طهران وصف ذو الفقار هذا الاجتماع بانه اجتماع رسمي وانه بتكليف من فاروق وانه يجتمع معه باسم الملك فاروق وبتعليمات مباشرة منه .

وانه اي فاروق يشكو اليهم انين فاروق من الضغط البريطاني المتزايد يوما بعد يوم والذي لا يعوضه اي عطف من الشعب كله مع الوفد . وان فاروق الذي لا يجد جهة ولا شخص يؤمل فيها وينتظر منها ويحترمها الا المانيا وهتلر . وانه يتمنى النصر لالمانيا وواثق من قدومه . وانه في هذه النقطة بالذات نقطة النصر للالمان فان كل الشعب المصري رغم شعوره السلبي نحو الملك الا انه يتقد حماسة للالمان . وانهى كلامه بان « الملك والشعب يتمنى وينتظر رؤية جيوش هتلر قادمة لتحرير مصر وباسرع ما يمكن »

في ابريل ٤١ تلقى ذو الفقار باشا رد المانيا على الرسالة السابقة . وكان « ردا رسميا » . سلمه اتل رسميا الى ذو الفقار باشا وهو « ريبنتروب » ـ وزير خارجية المانيا ـ يؤكد للملك باسم هتلر ان حرب المانيا ليست موجهة ضد مصر ولا ضد اي دولة عربية ولكن فقط ضد انجلترا . وان خطة المانيا صريحة وهي خلع بريطانيا من اوربا ومن الشرق الاوسط . ثم اقامة نظام دولي جديد مبني على احترام حقوق الشعوب . واقترح ريبنتروب ان يكون الاتصال بين فاروق والالمان اما عن طريق تركيا او رومانيا . لانه طبعا كان يتوقع تمزيق ايران بين روسيا والغرب .


صليب سامي


على ماهر


مصطفى النحاس

ولكن ذو الفقار باشا كان يريد لنفسه ان يكون هو وهو وحده الواسطة وحلقة الوصل بين مصر والمانيا دون غيره .

وظل فاروق على اتصال مستمر مع الالمان طوال عام ٤١ . ففي ٢٩-٦-٤١ أرسل يحذر ألمانيا من ان الانجليز سوف يحتلون آبار بترول ايران .

ولكن طوال هذا الوقت كان الالمان يضعون ثقة كبيرة في الوفد ويحاولون الاتصال به. كان الوفد في هذه الفترة هو المعارض القوى لحكومة حسين سرى . وكانت حكومة حسين سرى تبدو عميلة للانجليز وكان الوفد يبدو كأنه يزلزل الارض تحت اقدام الانجليز . وكان الالمان يرون ان هذه القوة الشعبية الموجهة ضد الانجليز هى التي يبحثون عنها . بل ظلت هذه الرغبة لدى الالمان حتى بعد تولى الوفد الحكم بعد ٤ فبراير عام ٤٢ . « انظر وثيقة فلشر رقم ١٧٣٦٢٨/٣٦٦ - ٣٠ برلين . من وثائق الخارجية الالمانية . وانظر مقال ولتر ساكر في ٢/٩/٤١ في صحيفة دوتش الجمين ماشتغل » .

في ٢/٧/٤١ قابل اتل سفير المانيا في طهران ذو الفقار باشا سفير مصر حاملاً من حكومة المانيا استفسارات عن مصير ومكان عزيز المصرى وعبد الرحمن عزام وعلى ماهر .

في اكتوبر ٤١ قابل الدكتور سمير بك ذو الفقار شقيق حمو الملك قابل بابن في تراكيا متكلماً باسم وبأمر فاروق ووصف نفسه بانه مندوب ثلاثة احزاب هى الوفد والحزب الوطنى والاحرار الدستوريين طالباً تأكيداً رسمياً بتمام استقلال مصر وانها لم تضم الى منطقة نفوذ ايطاليا ، وطالب بوقف الغارات على القاهرة واعطى معلومات عن الجيوش البريطانية وبعض التحشدات في مصر .

هذه المقابلة خطيرة جداً . هل عندما احس فاروق ان الالمان يأملون ان يتصل بهم الوفد او هم يتصلون به جعل مندوبه يزعم انه الى جانب كونه المندوب الشخصي لفاروق فانه مندوب هذه الاحزاب جميعاً .

ام هل فعلاً كلفته هذه الاحزاب بهذه الرسالة او على الاقل هل حدث اية اتصالات فعلية مع الوفد . ان ظهور المقال الذى ذكرناه في ٢ سبتمبر ٤١ باسم ولتر ساكر يتمنى الاتصال بالوفد . ثم حدوث هذا الاتصال في اكتوبر يوحى اما بحدوث اتصال فعلاً او بان الملك اسرع بجعل مندوبه يزعم للالمان انه ايضاً مندوب الوفد .. للاسف لم يكتب رجال الوفد او الاحزاب مذكراتهم !

اما خشية مصر من ان تضم الى املاك ايطاليا التى وردت في رسالة هذا الاجتماع فتجعلني ارجح انه فعلاً كان هناك اتصال تم مع الوفد . لان ايطاليا كانت دائماً ذات علاقات متصلة مع السراى . فالخديو اسماعيل نفى واختار منفاه في ايطاليا وليس في تركيا . وابنه احمد فؤاد - الملك فؤاد - تعلم في المدرسة الحربية في تورينو بشمال ايطاليا . وملك ايطاليا امبرتو عندما خلع من العرش جاء الى مصر بلا وطن في مصر . ومعظم حاشية الملك من مهندسين ومربى الخيل وسياس الخيل كانوا طليانية وكانت تصريحات موسوليني نفسها صريحة في انه يطمع في مصر للدرجة انه اعد حصاناً ابيض مخصوصاً ليدخل به الى شبرد في ميدان الاوبرا في القاهرة .

● الاتصال بالمصريين في اوربا : معنا يجعلنا نرجح وجود اتصال فعلى من الالمان مع الاحزاب في مصر انه كان هناك اتصال فعلى بين الالمان وبين المصريين في اوربا . كان هناك جمعية طلبة يرأسها الدكتور الطبيب ناصر . وكان اسمها الجمعية المصرية الوطنية بل وجعلوا ايطاليا تناصر هذه الجمعية بشدة . وكان هناك اتصال مع شخصية مصرية خطيرة تعيش في اوربا هو عباس حلمى الثاني ، فهل كان يمكن

ان تحدث هذه الاتصالات الهامشية ولا يحاولون الاتصال بالاحزاب خاصة الوفد .

اتصالاتهم بعباس حلمي الثاني لها طابع خاص واهمية خطيرة . هذا الخديو خلعته بريطانيا العظمى عام ١٤ ومن ثم فهو عدو جاهز ضد الانجليز . ثم انه هو نفسه كان صديقا شخصيا لرجال الصناعة الالمان ولقيادات النازي وكان نشطا وطموحا وهو الاب المؤسس للحزب الوطني . ولكن آراءه كانت خليطا من الراقعية السياسية والغرور الارستقراطي . ورغم ان وجوده في اوربا كان يقلق باستمرار فؤاد ثم فاروق الا انهم ارضوه ماديا حتى كف عن المطالبة بالعرش عام ٣١ لنفسه ولكنه ظل يطالب به لابنه الامير عبد المنعم زوج الاميرة نعل شاه . وطبيعى أن يتصل الالمان بهذه الشخصية الهامة والخطيرة والكارهة للانجليزوالحاملة ثارا لهم والمطالبة بالعرش والتى تعيش فى وسط أوربا ربع قرن كامل بعد الخلع .

ظلت الاتصالات به قائمة بين سفارة المانيا فى باريس وبينه . وزار هو برلين حيث الرياسة العليا من يوم ٢٥ سبتمبر الى ٢٨ سبتمبر ٤١ . وقد سببت هذه الزيارة قلقا بالغا لدى القصر الملكى فى القاهرة .

وكنتيجة لقلق فاروق البالغ من هذه الاتصالات امر ريبتروب بعدم اجراء اى اتصالات به ولكن قوى صديقة لعباس حلمى الغت هذا الحظر ولكن ايضا ظل عباس حلمى يلاقى صعوبات فى محادثاته مع الالمان ويبدو ان فاروق كان يراقب اتصالات الالمان بعباس وكذلك كان عباس يراقب اتصالاتهم بفاروق واحس الالمان انهم قد يفقدوا الاثنين معا . فقرروا فى النهاية عدم ترشيح احد لعرش مصر عند دخول مصر الا فاروق .

● ٤ فبراير : صمم الملك على اخراج صليب سامى من الخارجية رغم أنه اقتنع به فى مناقشته عما جنت يداه من قطع العلاقات مع فيشى فى غيبة الملك . ولكنه صمم على اخراجه حتى يستقيل حسين سرى نفسه . وهو يريد اخراج حسين سرى حتى يعهد بالوزارة الى على ماهر فعلا ولكن تحت اسم محمد محمود خليل . سير على ماهر مظاهرات من الطلبة الذين كان يتصل بهم من عناصر الاخوان ومصر الفتاة تهتف الى الامام يا روميل وكان الجو مهيئا فى ان يردد هذا الهتاف آلاف الناس خلف اى واحد يؤدى الهتاف لان حسين سرى مفصول فلن يتعرض للمظاهرات ولان الغضب يغلى بالشعب بسبب صعوبات التموين ولان أنتصارات الالمان فى ليبيا وهزائم الانجليز والامريكان فى الشرق الاقصى كفيلة بكتم انفاس الانجليز .

استقال حسين سرى فى ٢ فبراير . والسفير البريطانى زار الملك فى ٣ فبراير طالبا تكوين وزارة يراسها مصطفى النحاس وهو يعلم تماما ان النحاس يرفض رياسة اى وزارة ائتلافية كمبدأ منذ سنوات . والملك ايضا يعلم شرط النحاس هذا . تلكأ الملك فى الرد على السفير بحجة انه يجرى اتصالات . وعندما اجرى الاتصالات اوحى للاحرار والسعديين بالمطالبة بوزارة ائتلافية وهو يعلم ان النحاس يرفضها . كان الملك يتلكأ توقعا لانتصار المانى جديد يحدث ويخرجه من الازمة بطلا .

والوفد نفسه كان الى هذه اللحظة يطالب بجعل القاهرة مدينة مفتوحة والحياد بين الانجليز والمحور ويوجه انتقادات عديدة للانجليز تتزايد يوما بعد يوم . ولم يكن فى موقفه اى تضاد ضد الالمان لو دخلوا . ولو ان الالمان دخلوا وتعاونوا مع الوفد بدلا من الملك لما كان عجيبا وربما كان عباس حلمى يعاد الى العرش . وكانت هذه هى ارجح الاحتمالات .

بعد ظهر ٤ فبراير انذر السفير البريطانى ملك مصر بان يتحمل النتائج اذا وصلت الساعة ٦ دون ان يتولى النحاس الحكم .

لم يستجب الملك • حضر السفير بنفسه ومعه الجنرال ستون وفرقة مشاة و ٣ دبابات خفيفة • بعد ساعة اخطر الملك الاحزاب عن عزمه بتكليف النحاس بالحكم •

● موقف المحور من الملك والوفد :

١ ـ ايطاليا كانت تعتبر الوفد عدوا منذ عقد معاهدة ٣٦ • وانحازت في التعليق على حادث ٤ فبراير مع الملك عن طريق وكالة انبائها ستيفاني وكانت العلاقات العائلية بين قصر عابدين وروما اقوى من الاحزاب في البلدين •

● المانيا : كانت تعتبر انه من السابق لاوانه قبل دخول جيوشها مصر اتخاذ اى موقف في النزاع من الملك والوفد ولكن مذكرات مثشر في برلين في ٩/٢/٤٢ ٥ • ايام بعد الحادث ، تقول ان حكومة الوفد حكومة وطنية وحكومات الاقليات حكومات انجليزية حتى لو كانت خارج الحكم وحتى لو ادعت معاداتها للانجليز •

رفضت المانيا موقف ايطاليا المعادى الصريح ضد الوفد • هذا رغم اتصال الحكومة الايطالية بسفيرها ماكنزن ، سفير المانيا في روما ، ورفضت نشر الوثائق التى قدمتها ايطاليا لالمانيا للنشر ضد الوفد •

كاد الموقف ينفجر بين ايطاليا والمانيا بسبب الوفد : الايطاليون يطالبون سفير المانيا في روما ماكنزن والمندوب الخاص لون بسمارك بنشر الوثائق كاملة • وذلك لان ايطاليا كانت حساسة جدا في الشئون الافريقية وتعتبر ان افريقيا هي مجالها الحيوى • اما مجال المانيا الحيوى فهو اوروبا • ولقد كان لقدهم للحبشة ثم هزائمهم في شمال افريقيا له تأثير شديد على الشعب الايطالى • كان موسولينى متعصبا يريد اعتبار الشرق ميدانا خاصا لايطاليا دون المانيا لدرجة انه عارضه طويلا في اشتراك الالمان في حرب شمال افريقيا وكلما زاد دور المانيا وزادت انتصارات روميل كلما زادت شكوك موسولينى وغيرته •

وزاد غيظه هذا موقف الالمان من الوفد والنحاس •

● التخطيط المحورى لمستقبل مصر : ظل هتلر يعلن ان مصر وقنال السويس يجب ان يكونا من نصيب ايطاليا • بل انه قرر ان تكون روما هى مركز البروباجندا الموجهة لمصر والغرب جميعا ولكن هذه الاذاعة ، مقرها بارى بجنوب ايطاليا ، تجاهلت اى اعتراف باستقلال مصر في حالة الغزو •

صدرت تعليمات من وايز ساكر في برلين الى فون نورات في قيادة روميل بانه في حالة الغزو يجب اعطاء فاروق صورة ومركز الصدارة في اول الامر ثم بعد ذلك يعاد تشكيل الصورة . واصدر هتلر اوامره الى اخلوة « اوسوارتيج امت » باتخاذ احتياطات ضد خطف الانجليز للفاروق وحملهم له معهم عند انسحابهم •

ثم ارسل وايز ساكر ، وكان سكرتير هتلر الخاص ، تعليمات بان النحاس والوفد هم اعداء للسراى ولايطاليا فقط وليس لالمانيا • وانه رغم انه حزب وطنى الا انه في حالة الغزو سوف يأخذ في اعتباره ـ اى الوفد ـ مدى القوة الالمانية الرادعة كما هو يأخذ الان مدى القوة الرادعة البريطانية داخل بلاده • وان كل المطلوب الان هو ضمانة ان يظل الوفد وكذلك الجيش المصرى سلبيين في النزاع بين المانيا وايطاليا •

في يوم ٢ يوليو ٤٢ صدر اعلان من المحور بالحاح من ايطاليا على المانيا يقول « في هذا الوقت الذى تتقدم فيه قوات المحور المنتصرة نحو مصر يهم المحور ان يحترم ويؤكد استقلال مصر • ان قوات المحور داخل مصر ليست قوات في ارض معادية ولكنها قوات تهدف الى طرد الانجليز وتحرير الشرق من نفوذ انجلترا • • ان سياستنا هي مصر للمصريين » • واضح ان هذا الاسلوب اسلوب ايطالى وليس المانيا • ويلاحظ انه خلا من نص الاستقلال الكامل

والسيادة التامة لمصر وهو النص الذى كانت تحرص عليه الدوائر المصرية والذى كانت قد وجهت ألمانيا مثيله للعراق أثناء ثورة الكيلانى ، كما لم يحتوالاعلان شيئا عن آمال العرب ولا عن وحدة مصر والسودان وهى من أساسيات السياسة المصرية .

ولما كان ريبنتروب فى توجيهاته للدعاية الالمانية كان يركز دائما على ضرورة الاشارة الى الوحدة العربية والوعد بها من جانب المانيا فلنا الحق ان نعتبر الاعلان السابق الصادر فى ٢ يوليو هو من وضع ايطاليا اساسا . ومعنى هذا تنازل من الدعاية النازية الى الدعاية الايطالية .

هذه التنازلات توقفت حالا . اذ ان الالمان كانوا قد بداوا اتصالات مباشرة مع مصر بعد ان كانت هذه الاتصالات قد توقفت بفشل تهريب عزيز المصرى على يد الضباط الاحرار . فلقد اسقط الالمان جاسوسين قرب الفيوم ومعهما جهاز لاسلكى قام بتشغيله أنور السادات .

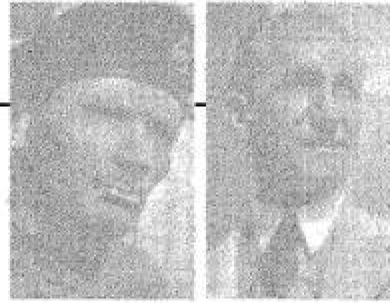
وطوال شهر يوليو واثناء تقدم الجيش الالمانى فى الصحراء حاولوا تجديد الاتصال بفاروق ذاته لنقل رسالة من هتلر وريبنتروب اليه محذرين اياه من مؤامرات انجلترا لخطفه معهم عند انسحابهم وداعين اياه الى الهرب من مصر الى القيادة الالمانية فى كريت . وطالبوا باقامة وسيلة اتصال دائم مع الملك واقترحوا استعمال الاذاعات الخاصة بكل من البلدين فى هذه الاتصالات . طلبات الالمان هذه جميعا كانت من وراء ظهر الطليان !

هذه الاتصالات الالمانية مع فاروق اعلم بها واشترك فيها كل من الحاج امين الحسينى ووكيل القمصان الخضراء « مصر الفتاة » الدكتور مصطفى الوكيل . كانت موجة القمصان الملونة هى طابع النشاط الشبابى المتعاطف مع النازية فى العالم كله . تفاصيل هذا الدور لمصطفى الوكيل هو انه فى ٣٠ يوليو ٤٢ طار حاملا باسبور باسم كورت هوفمان صادر من ادارة اوسوارتيج امت ومعه العميل الالمانى شريتر ومعهما رئيس البعثة الدبلوماسية الالمانية فى طهران وهو الشخص الرئيسى فى موضوع اتصالات فاروق واسمه ايتل . طاروا جميعا من برلين الى صوفيا .. ثم من صوفيا بالقطار الى اسطنبول . حيث وصلوها يوم ٢ يوليو . قابلهم هناك زوج اخت المفتى واسمه اسحق درويش ونصحهم بمقابلة قنصل مصر امين بك زكى . بعد هذه المقابلة مباشرة طار امين زكى الى القاهرة عن طريق انقرة القاهرة وفى طائرة بريطانية ! حيث انه كان يحمل توصية خاصة بريطانية تسمح له بركوب الطيران الحربى البريطانى وهو الطيران الوحيد الشغال . هل كانت هذه غفلة من الانجليز ام كان تغافلا لمراقبته وتغافلا مقصودا .

وصل امين زكى القاهرة يوم ٥ يوليو . وقابل فاروق . يوم ٩ يوليو كان امين زكى فى اسطنبول يحمل رد الرسالة ومؤدى هذا الرد ان فاروق تلقى الاشارة المرسلة اليه ووصلته فعلا . ثم فى يوم ٢٣ يوليو طار ايتل من طهران الى اسطنبول وقابل امين زكى حيث نقل اليه هذا الاخير رسالة فاروق الشفوية ومضمونها هو « فاروق يشكر هتلر على اعلان المحور بخصوص مستقبل مصر . ولهذا فانه يرفض مغادرة مصر الى مقر روميل او الى كريت . وانه فى اللحظة الحرجة بالنسبة للانجليز عند انسحابهم سوف يختفى فاروق بحيث لا يمكنهم اختطافه ولن يكون عندهم وقت كاف للبحث عنهم بينما هم فى عجلة من امرهم . وكل ما يطلبه من الالمان فقط ان يعطوه انذارا مباشرا صريحا قبل هذه اللحظة الحرجة » .

« فاروق قصد ان ينبئوه بموعد الضربة القاضية ضد الانجليز ! »

فى نفس هذا الشهر يوليو الساخن وفى



احمد حسنين باشا   مونتجمري

يوم ٦ يوليو بالذات هرب ضابط طيار هو احمد سعودى حسين من مصر الى قيادة روميل بتخطيط من فاروق . ولكن مدافع روميل اسقطته ميتا . ومع ذلك ففى اليوم التالى مباشرة ٧ يوليو هرب صول الطيران محمد رضوان ونجح فى اجتياز المدفعية المضادة للطيران لدى كل من الانجليز والالمان . لاحظ ان هذه المدفعية كانت بدائية جدا على مستوى العالم كله لدرجة ان البكباشى عبد المنعم رياض المعار للانجليز اثناء الحرب كان هو احسن مدفعجى ضد للطيران فى الجيش الانجليزى كله .

حمل الالمان صول الطيران محمد رضوان من شمال افريقيا الى برلين يوم ٢٠ يوليو، ولكن وثائق الولهمستراس تقول ان سؤال رضوان كشف انه لا يحمل اية معلومات سياسية او حربية ذات قيمة .

ولكن رضوان قرر لهم انه عضو فى تنظيم سياسى سرى فى مصر يعتمد على خلايا كل خلية من ٥ افراد . وطالب فى تقريره الموجود فى ادارة « اوسوارتيج امت » . نصا الاتى « لابد من اعطاء العمال والفلاحين فى مصر وسيلة تعبر عن انفسهم . ووصف فاروق بانه تركى ولا يهمه مصر ولكن تهمه ثروته الخاصة فقط . ثم عارض الوفد جميع الاحزاب القائمة ونادى بان يقوم حكم عسكرى . » وهناك تعليقات بخط يد محرر المحضر مع رضوان تبين انه لا يوافق على اراء رضوان لان خط المانيا السياسى هو استخدام فاروق والطبقة الحاكمة المصرية ».

اعيد رضوان الى افريقيا . وعمل مع الفيلق الالمانى كمترجم . بعد نجاح ثورة يوليو دلت بعض الدلائل على ان سعودى ورضوان كانا مبعوثان من الضباط الاحرار. وان الضباط الاحرار كانوا على اتصال بالقيادة الالمانية فى ليبيا طوال عام ٤١ ولكن قطعت الاتصالات بعد فشل هروب عزيز المصرى .

● **الاتصال بالاذاعات** : عندما عاد امين بك زكى قنصل مصر من مصر الى اسطنبول قابل اتل وحمل اليه رسالة من فاروق . رسالة شفوية تقول ان فاروق امر طيارا وصولا بالطيران بالهرب سرا الى روميل ؟! وان معهما خرائط هامة وطلب فاروق فى حالة وصول سعودى ان تذيع اذاعة الرايخ الموجهة للعرب فى افتتاح الصباح سورة الاخلاص . واذا وصل رضوان تذيع سورة الفلق . ولكن من المهم الذى تؤكده الوثائق الالمانية ان الالمان لم تصلهم اى خرائط . وان الالمان ساورهم شك شديد حول سعودى ورضوان . وقد اذيعت سورة الفلق يوم ١٣ اغسطس وبعد عدة تأجيلات . ويبدو ان فاروق كان عنده مندوبين خلاف سعودى ورضوان . وما زال سرا غامضا هل هو فعلا الذى ارسلهم . ام كانت حيلة منه ليعرف من الالمان اسماء اى مصريين يكونون على اتصال بالالمان بعد ان قوجىء هو بهروب هذين الشخصين . هل كان يراقب الضباط الاحرار او يراقب الاحزاب .

● **التخطيط للاحتلال** : كان هناك تجهيز لاحتلال المحور . وهنا رفض الالمان اعطاء اى تنازلات للطليان . بل رفضت برلين اعطاء روما اى تصورات عما تنويه . كانت المانيا قوية فى شمال افريقيا وكانت هى التى تحتمل عبء المجهود الحربى كله فى عملية الغزو المزمع .

كانت القيادة العليا معقودة لروميل . ولكن لا احد يعرف حقيقة غريبة وهى ان روميل كان عليه رئيس ايطالى اسمه باستيكو . كان باستيكو مكتفيا بالادارة الالية فقط ! وكان الالمان واثقين بانهم بعد

الغزو سوف يكونون متمتعين بحرية كاملة في التصرف دون الطليان . وكان الالمان يزعمون ان يتركوا الادارة وشئون المال للطليان بعد غزو مصر ولكن تظل الشئون الحربية في يدهم وحدهم . وكان تقدير الالمان ان تغذية الشعب المصرى والانفاق عليه تحت ظروف الحصار البحرى الذى تفرضه الحرب مسالة صعبة تترك لايطاليا لتوحل فيها .

وكان الطليان يدركون هذه الصعوبة . فلقد عقد موسوليني مع شيانو يوم ٢٣ يوليو اجتماعا لدراسة هذه المشكلة . وكان موسوليني يستعجل الغزو يوميا بل كل ساعة وكان يتوقع دخوله شخصيا كانه يوليوس قيصر الروماني القديم وفي صورة اكثر تفوقا وبريقا .

قرر موسوليني وشيانو في هذا الاجتماع ان يظل روميل قائدا عاما بعد الغزو ولكن يظل خاضعا لباستيكو هذا . وقررا ان تؤلف حكومة مدنيـــة خاضعة لادارة الـ « دلجانو بوليتكو » . وان يراس هذه الاخيرة الكونت مازوليني سفير ايطاليا في مصر ويكون معه ضابط اتصال الماني ليتفاهم مع روميل . ارسلت هذه القرارات الى هتلر . رفض هتلر هذا باعتباره سابقا لاوانه . ولكن ظلت ايطاليا تضغط الى ان وافق ريبتروب عليها جميعا .

كان ترتيب الالمان أن يتولى روميل القيادة وأن يكون فون نوراث ضابط اتصـــال بالطليان ولكن رفض الالمان ذكر بند فون نوراث هذا حتى يظل روميل الممثـــل الوحيد . كان هذا راى هتلر . وكان يرى ان اية مشاكل بين الالمان والطليان تحل عن طريق واحد هو السيطرة الحربية . اما من الناحية السياسية فكان لا يعارض في اعطاء ايطاليا دورا بارزا وربما الدور الاول ليس في مصر وحدها ولكن في كل البلاد العربية ايضا .

● توزيع الغنائم : كانت المفاوضات بين المانيا وايطاليا بخصوص توزيع الغنائم ليس فقط على المستوى الحكومى ولكن كاتفاقيات محلية بين ضباط وجنود كلا الجيشين مع بعضهما البعض . كان راى الطليان ان غنائم مصر لهم وان غنائم الشرق الاوسط خارج مصر للالمان . وعندما عرض هذا على هتلر قال ان القاعدة العملية هى ان الغنيمة ملك من تقع في يده ! اما روميل فقد رفض اى رقابة اقتصادية عليه من ايطاليا . ولكن ايطاليا احتجت بان هناك اتفاقية رسمية منذ شهور « ١٤ مارس ٤٢ » طبقت على الفرق الايطالية التى شاركت هتلر في غزو روسيا وكانت السيطرة الاقتصادية عليهـــا في يد الالمان . وبالتـــال طالبوا ان تكون السيطرة الاقتصادية على الالمان بصفتهم مشتركين في الغزو مع ايطاليا تحت قيادة ايطالية « باستيكو » . المهم ان الطليان ذكروا الالمان بانهم لا يتقنون الادارة المدنية والمالية وذكروهم بمجاعة اليونان بعد الغزو وحذروا من تكرارها في مصر .

● فاروق ينقلب على الالمـــان : بدا مونتجومرى هجومه يوم ٢٣/١٠/٤٢ وكانت المعركة الفاصلة يوم ١١/١ . فقد روميل ٤٥٠ دبابة من ٦٠٠ وعشرة الاف قتيـــل وخمسة عشر الف جريح وثلاثين الف اسير ويوم ١١/٨ تمت حركة الكماشة المسماة تورشن التى سحقت روميل . بعد ١٨ يوما فقط من بدء هجوم مونتجـــومرى اى يوم ١١/١٩ هاجم الروس هتلر وسحقوه .

تقوضت امال فاروق . بل انه ارتعش وانتابته حالة نفسية . ادرك ان هتلر لم ينهزم في شمال افريقيـــا فقط ولكن في روسيا وداخل اوربا . بدا يمالىء الانجليز في ذلة . قدم لهم قصر راس التين ليكون مستشفى . فتح كل قصوره لجرحاهـــم وجنودهم . رقص مع جنودهم . نقـــل اتصالاته الى تشرشل بل الى المخــــابرات البريطانية نفسها

وهذا حديث اخر ●

بين شاعرة وفراشة

للشاعرة الإنجليزية
اجنس سميث
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ



يا طفلة شعاع الشمس
التى تتداح بين الزهيرات الحلوة
لتحسو عبير كل تفتح متاح
وتنشق الشذا
فى شتى الارجاء
وترف بجناحيها الناعمين الزاهيين . .
مرحة طروبا
طوال يوم الصيف ..
. الا تتوقفين
وتقولين لى
لماذا انت منطلقة بلا مبالاة
لماذا لا تلمح هيئتك
الا حيثما وجد شعاع الشمس ؟
لماذا لا تعرف روحك الخوف
ولا يقض مضجعك
وشك حلول فصل الشتاء ؟
.. اتدرين كم تساوى حياتك
وكم هى جد قصيرة
فترة اقامتك على وجه البسيطة ؟
يا اجمل حشرة
بين صنوف الجنس الحشرى ..



ماريو فارجاس

حكاية كاتب من أمريكا اللاتينية

بقلم: محمود قاسم



الادب في امريكا اللاتينيــــة يعيش الآن في قمة ازدهاره .

تلك هي العبارة التي استهلت بها مجلة نيوزويك حديثها عن الادب في امريكا اللاتينية في ١٥ مارس ١٩٨٢ ..وفي الحقيقة فان هذه العبارة ليست فيهـا مبالغة قط ففي امريكا اللاتينية تزدهر الحركة الادبيـة الآن ، ففي المكسيك يلمع خـوليوماكا وفي البرازيل جورج امادو وفي شيلي خــوزيه دونوزو وبابلو نيرودا .. ثم جابرييل جارسيا ماركيز وجورج لويس بورجيس في الارجنتين .. وفي بـيرو

يلمع الكاتب الشاب ماريو فارجاس للوزا الذي ترجمت رواياته الى كل لغات اوروبا والولايات المتحدة الامريكية واصبحت له نفس الاهمية التي يتمتع بها ماركيز وبورجيس .

في اوائل هذا العام - ١٩٨٢ - صدرت الترجمة الانجليزية لاحدث روايات للوزا - المولود عام ١٩٣٦ - « زمن البطل » . وقد انتابت للوزا حركة من النشاط الرائع في الاعوام الاخيرة فاصدر مجموعة من الروايات . وعمل بعض المسلسلات التليفزيونية وذلك بعد ان عاد من منفاه الاختياري الى بلاده في عام ١٩٨٠ .

اصدر للوزا سبع روايات من اهمها : « المدينة والكلب » عام ١٩٦٧ و « الصوبة » ١٩٧٠ .. وحديث في الكاتدرائية ، ١٩٧١ « بانتليون وزوار السيدة ، ١٩٧٥ . ثم « العمة جوليا والكاتب » ١٩٧٨ ، « حرب نهاية العالم » ١٩٨١ ، « زمن البطل ١٩٨٢ .. ثم اصدر اخيرا رواية جديدة في الشهر الماضي بعنوان « قصة الاندز » .. كما قدم كتابا في النقد بعنوان « بين سارتر وكامي .. »

ومن المعروف أن النظم السياسية في تلك البلاد تسجن كثيرا من الادباء .. فاذا كان خوزيه دونوزو قد عاد الى بلاده شيلي بعد منفى دام اكثر من عشرين عاما .. فان للوزا قد نفى نفسه ايضا . وظل كل من الكاتبين يكتبان خارج وطنهما باللغة الاسبانية .. ثم عادا الى بلادهما ليمارسا من هناك موقفهما .

يقول لاري روهتر : أن المرء يشعر ان « للوزا » يسكن الآن منزلا يخص فنانا نموذجيا .. فهناك لوحات للفن السريالي منتشرة فوق جدران منزله .. نفس اللوحات التي يضعها فوق اغلفة كتبه .. أما دونوزو فيقول عن هذا المنزل : كان « فارجاس للوزا » يعيش فيما قبل عيشة قاسية وظروفا مؤلمة . فقد كان يعيش في غرفتين ضيقتين . وكان يعمل مع زوجته او مع اطفالهما . فقد كان الجميع ينشغل بصيد الفئران » .

•

عاد للوزا الى بلاده بعد ان تغير نظام الحكم هناك وعادت الديمقراطية مرة اخرى . « أود أن أعيش في بلادي . فدوري هو أن أشارك في بنائها » .

في روايته المشهورة « العمة جوليا والكاتب » يتعرض للوزا لتجربة ذاتية عاشها خلال ◄

حكاية كاتب
من
أمريكا اللاتينية

الخمسينات فنحن امام العمة التى تحب ابن اخيها بيدرو كاماشو بطل مسلسلات الاذاعة الذى يكتب روايات ينشرها على الناس من خلال الراديو .. لا تزال المرأة فى قمة نضجها .. والشاب يود ان يتزوجها فهى تجربته الاولى .. ولكن لان الدين يمنع هذا والعرف الاجتماعى .. فقد بذل الاب كل ما وسعه ان يبعد ابنه عن عمته ..

وهذه التجربة مر بها للوزا فعلا وهو فى الثامنة عشرة من عمره . فبعد أن طلقت العمة جوليا وهى فى الخمسين من العمر دخلت حياته . ويشبه الكاتب علاقته بجوليا بنفس العلاقة التى ارتبط بها جان‌جاك روسو بالسيدة فرارتس .

وفى حديثه لمجلة الاكسبريس فى ٢ فبراير ١٩٨٠ يقول : « اعتقد أن الادب يبدأ حيث تنتهى السيرة الذاتية . بمعنى انه لا يمكن ابدا ان نضع وثيقة حول الواقع من خيالنا . علينا ان نمزجها بالواقع .. وفى بعض الاحيان علينا أن نذهب بعيدا . وأنا لا أعتقد ان الخيال الخالص موجود . فما دام لا يلقى الضوء على الجسد والعظم فهو ليس بخيال .

« بالنسبة لهذه الرواية فقد فكرت فى كتابتها منذ فترة طويلة . فيما بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ .عندما كنت أعمل فى احدى محطات الاذاعة في ليما. هناك قابلت رجلا يكتب مسلسلات اذاعية . انه أول كاتب اتعرف عليه . ويعامل المسلسلات الاذاعية بمنتهى الجدية . ومع هذا فقد كان اشبه بكاريكاتور كاتب حيث لم يكن يمتلك اية ثقافة ادبية . لكنه فى نفس الوقت يميل الى الحديث عن الادب . كان‌الهاتف يدق ويتحدث المستمعون فى أنهم لم يفهموا شيئا من قصصه التى يكتبها . وفيما بعد فهم الرجل مشكلته وبدأ فى العمل المتواصل : بدأ يعد أعمالا اخرى . هذا الشيء دفعنى الى التعلم والثقافة اكثر » .

وحول سؤال عن مدى مطابقة هذه الرواية للواقع تكلم للوزا قائلا انه قد اجرى الكثير من التغيير على احداث واقعية .. فعندما بدأ فى كتابة هذه الرواية فكر فى أن يمزج

بين عالم الخيال الذى لم يعشه وعالم الواقع الذى انغمس فيه .. « فى البداية . تساءلت : لماذا لا نروى هذه التجربة الخاصة لاول انسان يقابلنا ؟ فلنحاول لن تكون واقعيين . فالتجربة التى استمددت منها هذه الرواية من الممكن أن تكون واقعا . فعندما تكتب يجب ان تكون لك لغة خاصة تعمق بها ما ترويه » .

وقد واجهت هذه الرواية العديد من الصعوبات عند نشرها فى بيرو لاول مرة . فقد أصدر فيدل كاسترو قرارا بمنع هذه الرواية ومنع كل اعمال الكاتب من دخول البلاد .. أما الارجنتين فقد أصدرت قرارا بمنعها لان الرواية تضم العديد من النكات حول الارجنتين . »

ويقول الكاتب : « ليست هذه اول مرة تمنع أعمالى فى بلاد أمريكا اللاتينية . فكتابى « حديث فى الكاتدرائية » كان ضد الديكتاتورية . ومع ذلك فقد وزع فى الارجنتين دون مشاكل . أما « بانتليون وزوار السيدة » فهى مسرحية ضد البيروقراطية العسكرية . ولكنها وزعت فى الارجنتين بسهولة . لكن كتبى منعت لبعض الوقت ابان حكم بينوكيه ، اما الان فانها توزع فى كل مكان . من ناحية أخرى فهى ممنوعة كلها فى كوبا . ليس من أجل الكتب نفسها . ولكن لصفتى الشخصية ..

ويقول « للوزا » ان وضعية الكاتب قد تحسنت كثيرا فى السنوات الاخيرة فى بيرو . وان الكاتب قد أصبح يقول بعض ما يريد قياسا الى ما كان يحدث فيما قبل .. وما يكتبه كل من أوكتافيو باز وارنستو ساباتو .

ويقول « للوزا » فى حديث الى مجلة الاكسبريس :

« وفى الكثير من بلاد العالم الثالث . نرى حرية أدبية . وهذا شىء طبيعى . أما فى أمريكا اللاتينية وفى عصر الديكتاتورية فهناك العديد من الكتاب الذين سجنوا او نفوا خارج بلادهم .. لكن كتبهم موجودة فى كل مكان . فأعمالهم موجودة فى كل البيوت .. ولكن هذا الموقف قد تغير الان . فهناك ديكتاتوريون أيديولوجيون . والكتب بالنسبة لهم شىء خطير .. فى الارجنتين يقتل العسكريون الكتاب ويمنعون كتبهم . لقد تعلموا هذا من النظم اليسارية الشمولية .. وهذا شىء فى منتهى الخطورة » .

وعن دور الجامعة فى بيرو يقول : « الجامعة الوطنية فى

حكاية كاتب من أمريكا اللاتينية

بيرو تشبه مثيلتها فى العديد من بلاد أمريكا اللاتينية . فهى دائما مركز هام للمعارضة ومقاومة الديكتاتورية . وهى الجهة التى تصل اليها كل الافكار المستحدثة والتى تبث منها . هى الجهة التى تكون فيها ديمقراطية فى بلد ليس فيه ديموقراطية . هذه الجامعات الوطنية قد « قيدت » وانا اضع الكلمة بين قوسين . أما الان فقد أصبحت الجامعة فى بيرو فى وضع افضل » ..

يقول جان كو فى مجلة لوبوان فى ٤ فبراير ١٩٨٠ ان « ماريو فارجاس للوزا » قد غير مكان بندقيته من فوق كتفه الى داخل راسه كى يتمكن من ممارسة تمرينات فكرية رائعة تكون بمثابة مناورات كبرى لموهبة عليها أن تشارك فى انقاذ البلاد » .

ولان للوزا قد بدأ حياته كمذيع ثم كاتب لبعض المسلسلات الاذاعية . فانه لم يقصر نشاطه على كتابة الرواية فقد اثار مسلسله التليفزيونى « سيدة تاكنا » السخط عندما عرض فى بعض بلاد أمريكا اللاتينية .. كما انتهى الكاتب من اعداد مسلسل حول تاريخ البرازيل . فمنذ اعوام طلب منه المخرج البرازيلى راى جويرا أن يخرج فيلما حول ثورة كاندوس فى البرازيل خلال عام ١٨٩٣ . وطلب منه اعداد سيناريو حول ثورة الفلاحين فى شمال البلاد ضد الديكتاتور . مما سبب فى اندلاع حرب اهلية ..

وقد استمد للوزا خطه الدرامى من خلال مهندس عسكرى شاب ينتمى الى الفرقة العسكرية الرابعة التى تتولى مهمة تحطيم الثورة .. وهو لا يشعر باى تعاطف مع الفلاحين .. فهو يراهم قوما بدائيين يحاولون تحطيم الارستقراطية . وعند رحلة العودة يكتشف ان هؤلاء الفلاحين كانوا يناضلون ضد الشيطان فيتغير موقفه وينضم الى الثورة .. ويقول الكاتب : هذه هى قصة كل امريكا اللاتينية .. وفى كل بلادنا لدينا هذا النوع من سوء التفاهم . فيجب أن نجتاز الحياة . حتى يتسنى لنا أن نجتاز سوء التفاهم ..

الطريف ان للوزا قد استغرق فى كتابة سيناريو هذا المسلسل اكثر من خمس سنوات . بينما تم اخراجه فى أقل من عام ●

ابتسامات

نكتة وطعام

● اجرى الزوج مكالمة تليفونيـــة معزوجته واعلمها بانه دعا رئيسه الى تناول طعام العشاء في المنزل ، ثم وصل الزوج منفردا . فسالته زوجته التي ارتدت الملابس المناسبة لاستقبال الضيف الكريم :

ـ اين رئيسك ؟

ـ انني آسف لقد كانت نكتة ، ولكني ساجد ولا شك عشاء طيبا للمرة الاولى في



الرد ! ..

● التقت نجمتان سينمائيتان تقدم بهما العمر فاخذتا تتبادلان الحديث حول حياتهما .. قالت الاولى :

ـ اتذكر الفيلم الذى مثلته عام ١٩٢٨ ولكنني لم اشاهد فيلمك السابق ، فقد كنت آنذاك في روضة الاطفال !

قالت الممثلة الثانية :

ـ أصحيح ما تقولين ؟ لم اكن ادرى انك كنت معلمة في روضة الاطفال ! ..

عقاب ! ..

● في فترة عودة الملكية الى فرنسا بعد الثورة حول بانثيوم باريس «مدفن العظماء» الى كنيسة ، وراج الحديث حول اخـــراج جثمان فولتير المعادى للكنيسة من هناك . لكن الملك لويس الثامن عشر امر بابقائه قائلا : دعوه يقاسى من سماع القداس كل صباح ! ..

عمل مشترك ! ..

● سئل كاتب السير والمذكرات السير هارولد نيكلسون مرة اذا كانت له اعمال مشتركة مع زوجته الروائيـــــة فيكتوريا ساكفيل ويست ، فاجاب : « نعم لدينا ولدان !! » .

إمرأة خلف عجلة القيادة

للكاتبة النمساوية:

جرترود فوسينجر

ترجمة: الدسوقي فهمي

ليس صحيحا ببساطة مايزعمه فيديا دائما من أنني انما يتلبسني الشيطان في اللحظة التي اجلس فيها خلف عجلة القيادة ! لنسلم بأنني اقود مسرعة!، مسرعة لكن ماهرة ، فهل يمكن للمرء أن يقود بمهارة عندما يكون مسرعا ؟

كانت الامسية صافية بعد المطر، وفي الغرب ، بعيدا هناك ، كان الضوء الاصفر الشاحب ، وكانت السماء قد اغتسلت تماما ، وتبدت في مثل برودة حجر اليشم . وكانت المدينة ، تتراجع مبتعدة الان خلف المنحدر . فأية جسارة تلك التي يصعد بها الطريق منحنى . هناك في اسفل وسط بقع الضوء يتراجع منزلانا فيديا وانا ، مبتعدا . انه يجلس الان في المنزل يقرأ ، يقرأ ويفكر ، ولا يتفوه بكلمة . وتتتابع دقات الساعة ، وعقرباها يزحفان في دائرة ، ومن وقت لآخر ينفض فيديا رماد سيجارته ، ولسوف يرتفع الرماد في المنفضة .

هنالك في المرآة الخلفية ، ما هذا ؟ كرة برونزية مسطحة الشكل ، برونزية بنية آه ، القمر ، انه يبزغ في الشرق ، ضوء كئيب يلمع ، قمر سبتمبر . انهم يدعونه قمر الصيادين ، ذلك ان سبتمبر هو موسم الصيادين على ما اظن . هيا ، هيا انطلقي

يا كلاب الصيد فوق الاراضي البور وفوق الحقول وعلى صوت عويل البنادق ، بينما يختبىء الغزال مرتعدا فى داخل الغابة .

ما الذى تريده ايها القمر العجوز البائس ! ، ان ضوءه لا يعد شيئا ، هو لا شيء الآن فى ليالينا التى تتألق بأضواء أخرى اشد قوة . انك لم تعد بعد نصيا كما كنت ذات مرة ، لم تعد بعد عصيا على متناول ايدينا يا قمر العشاق العجوز ، يا صديق الشعراء المتنهدين ، لقد اصابك الصاروخ ، وشق جرحا مافى جلدك الثلجى ، فى جلدك الموشوم بفوهات البراكين .

بالامس فقط كنت اتحدث الى فيديا عن ذلك ، وقال فيديا : وما الذى يمكن ان نجنيه من هذا كله؟، انه ليصعب علي فهم البشر ! .

فأجبته قائلة : حتى انا ؟ ، الا تفهمنى انا ايضا يافيديا ؟

فضيق عينيه ، وتطلع الى لفترة طويلة ، واخيرا قال :

ــ انني لست افهمك دائما ، يابربارا !

لست تفهمني ؟ الحقيقةانك لم تفهمنى قط يافيديا، وعلى الاخص عندما انطلق بسيارتى فى المساء ، بلا اتزان او سبب ، عندما انطلق بسيارتى كما انطلق بها الآن ، لمجرد الانطلاق فحسب ، لكى اتجنب الجلوس معك فى الحجرة ، حيث تتتابع دقات الساعة ، وتمتليء منفضة السجائر بالرماد . حيث صمتك هو دعوة صامتة الى الجدران كي تزحف الى الداخل ، تزحف اكثر الى الداخل ، مزيدا من الزحف ، حتى لاشعر بها وكانها تنوى ان تسحقنى . عندئذ يكون على ان انطلق بعربتى يا فيديا . انني



لاتعوزنى اعذار اخرى ، طالما انك لم تعد تصدقها ، لم تعد تصدق تلك الاكاذيب الواهية . لقد كذبت عليك اليوم مرة اخرى ، قائلة لك اننى قد رغبت فى زيارة اختى روث المريضة وانا المريضة بالفعل ولكننى على الرغم من هذا لم اقم بزيارتها ، وانت تعلم ذلك ، انت تعلم اننى لا اطيق روث ، اننى حقيقة لا اطيـــق اى شخص ، ولا حتى ـ انت !

آه ، منطقة مبان ، انتبهى ! ، ان الطريق ليضيق هنا ، باللعنة ، لكم اكره هذه الطرق الضــيقة التى تغص ، براكبى الدراجات ، وبالمشاه ، والاطفـــال والكلاب . تلك الطرق المعتمة ، الثقيلة على النفس . ان مركبة ما لتستدير الآن عند المنحنى ، جوادا عربة، محملة بالدريس يجب منع هذه العربات من الســير فى طريق كهذا الطريق .

عربتى العتيدة ، فلتصبرى يا عربتى الجميـــلة العجوز . نعم ، صبرا ، فلسوف نفرغ من هـــذا كله الآن ، سرعان ما تصبحين حرة مرة اخرى،وها هو ذا الآن اخيرا ، ها هو ذا الطريق الخالى . ذلك اننا قد تركنا البيوت ، وتركنا الناس خلفنا ، وها هو ذا الطريق ينشق فى مواجهتنا ، والريح ، بصوتها ذلك العذب المتنهد ، وهى تجرف اوراقها الى النـوافذ . اسرعى ، اسرعى ، ان الخط الابيض ليجرى امامنا ، وكذلك الاشارات الحمراء كعيون القطط فوق علامات الطريق الحجرية . ان العلامات لتومض خاطفــة فى عكس اتجاهنا الآن اسرع فأسرع : مفترق طــرق ، ثم منحنى ، بل منحدر ، ولوحات الاعلانات تصرخ دوما : خطـــر ! خطر ! ، فمن ذا الذى تدفعه الرغبــة فى القيادة الا انطلاقه سعيا الى الشعور بالخطر ؟

كل ما يندفع ناحيتنا يرف فى لمحة مندفعا خلفنـا

كاشباح شيطانية ، كل ما امامنا يجرى اقتناصه،وقد بوغت ، ثم ينمحى فى مكان ما خلفنا . « فلا يحسب احدهم ان بوسعه ان ينطلق بعربته اسرع منى ، وليغرب حتى مجرد التفكير فى ذلك عن اذهانهم جميعا ،ذلك انه ليس سوى امراة واحدة فحسب هى من تجزؤ على الانطلاق بعربتها على هذاالنحو ! » .

فلو انك كنت بجوارى الآن يا فيديا ، لكنت قد شرعت فى اطلاق لعناتك على قائلا : — هل انت مجنونة ؟ ترددها مائة مرة وزيادة — لكنك لست هنا الى جوارى . انك تجلس الآن فى منزلنا ، بداخل الحجرة ، تقلب صفحات كتبك ، تغزل نسيج عنكبوت مخبول من الذكريات او خطط المستقبل . خططنا وذكريات : انهما معا لهما نسيج العنكبوت نفسه ،وقد صمم كى يقتنص حياتنا . الحياة على نحو ما تفهمتها انت .

على اننى لست اريدها تلك الحياة فى شرك . اننى لاريد الهنا ،الآن ، هذه الهنا التى اراها بالفعل امامى هناك ، تلك التى اراها طريقا خاليا ، ممتدا الى مدى ما يمكن ان تبلغه دوما ، ودونما توقف ، اضواء مصباحى عربتى الاماميين . هيا ، هيا انطلقى ياكلاب الصيد على الطريق طريق القنص والمطاردة! فاية مطاردة تلك التى اطاردها فى ليلة كليلتى هذه !

كان زمن المطاردة هو ذلك الزمن الذى كان فيه الصيادون يطاردون فرائسهم فوق ظهور الجياد . وعندما تعوى قذيفة بندقية الصيد ، فان ما يعنيه عواؤها ذلك ليكون عندئذ : كرة من الفراء ، واللحم المرتعش ، والعيون المزججة ، اللثة الساكنة التى لم تعد ترى ، وفيما بعد تقدم الوجبة ، تئز ساخنة ، ويكون هذا هو كل شىء .



اما الآن فنحن نخرج للصيد ممتطين صهوة سياراتنا، لتصبح المطاردة : طيفا ووهما ، ممتطين صهوة الاضواء ، راكبين صهوة مخروط الضوء الابيض المنبعث من كشافات عرباتنا الامامية، متوجعين في ظلمة الليل الاسود بلون السناج ، بينما يشق تنوير ضوئي ابيض اللون امامنا طريقه عبر الظلام ، حزام ناقل للمشاهد، غابات ، صخور كالنفايات تندفع نحونا متتابعة لتنحرف خلفنا ، ومناظر ، وجدران ، واسيجة ـ وفي مكان ما تتدافع سيول جبلية جارفة ، وفي مكان آخر تدوى دوامة قرار ما ، وخارجا من هوة سحيقة اخرى تهب جرة ماء ، لتتناثر رذاذا بلا لون في الهواء ان كل الاشياء لتنحل في رذاذ لالون له في الهواء.

نعم ، هذا حقيقي ، لكن ما هي طبيعة هذا الفراغ؟ اليس لهذا الفراغ وجه ما ؟ واليس وجهه انما هو وجهنا ؟ لا .

انه شيء آخر يخالفنا ، شيء غريب، قاتم .. وبعيد من متناولنا .

اخيرا ــ كيف امكن لهذا ان يحدث ــ بينما اقود ــ سيارتي على هذا النحو ، او لعلني ان اكون قد حلمت بذلك ؟ نعم، لقد حلمت به فحسب ، هذا الانطلاق بسيارتي صاعدة الى اعلى الجبال ، وكما هي حال الاحلام دائما ، كان كل شيء اكبر من الحياة وخياليا، مشاهد مهولة ، وكان الليل يبدو لي كعملاق ، والطريق صاعد الى اعلى دائما ، الى اعلى بلا نهاية ؛ مدو ما ، جسورا كأنها اصابها الدوار ، يقوم احدها مرتفعا فوق الآخر ، وفي مواجهتي تبدت سيارة زرقاء ، ترى من يكون بداخلها ؟ لا احسب من بداخلها ممن اعرفهم . لعله يكون غريبا من احدى البلاد الاجنبية ، اجنبي على طريقي ، ظل يسير امامي طوال

الوقت ، مسرعا ،ثم اكثر سرعة ، منطلقـــا فى سرعة بالغة حتى ليصعب اللحاق به ، مهما ضغطت بقـدمى على البنزين بغاية ماأملكمن قوة . هل هو يحـاول الهرب ؟ لا ، سوف ادركه لابد !

ولخوفى من ان يهرب منى ، خوفى من افلاته لان الطريق كان قد اخذ يزداد ضيقا ، وينزلق فى دوائر اضيق فاضيق ، حول منحنيات راحت تزداد ضـيقا وذلك الشيء الغريب ـ ذلك انها لم تكن سـيارة على الاطلاق ـ كان قد فرد اجنحته الفضية ، وابتسم من خلف حافة خوذته ..

واختفى الطريق الآن بعد ان استحال الى هــواء شفاف ، الى فضاء لاقرار له ، يبتلعنى !

وعلى حافة الطريق كان ثمة شارة تمثل اطـارا ، وكان شاب يركب . دراجته وقد تأخر فى عودته من العمل الى منزله ،كان قد شهدما حدث ، وابلغ عنه.

وفى الصباح التالى كان ثمة تقدير فى الصحيفة : وقتيلة اليوم على الطريق ، وما الى ذلك .

وما الى ذلك الى الابد تحت قمر الصيادين ●

ما يدمر الانسان

سياسة بلا مبادىء ..
لذة بلا ضمير ..
ثروة بلا عمل ..
معرفة بلا خلق ..
تجارة بلا فضيلة ..
علم بلا روح انسانية ..
عبادة بلا تضحية ..

من أجلك..

شعر: جليلة رضا

من أجلك قضيت حياتي وانا في الاسر .
اقتلع الاحجار الصلبة ، احملها فوق الظهر
الموت العشرون اتاني وانا حيه ..
امشي بين الاطلال .
ابلع في نهم وشهيه ..
العسل المر .. وارفل في الاغلال .
فالقيد بلا كره حريه .
ولاجل امانيك القصيه ..
اطبقت عيونا وشفاه .
وكتمت الآه ..

***

من اجلك هاجرت الى ارض المنفى والنسيان .
ورفعت العلم الابيض في الميدان .
ووقفت بآخر صف للشعراء ..
اتجنب ضوء الاضواء ..
اتجنب زهو الفن .. غرور الفن .
بالبعد من النبرة والظن .
وتلفعت بشال مغزول من وبر الاغنام .
وحلبت الابقار واوقدت الافران .
وملأت الابطن والافواه .
وبلا اكراه ..

***

من اجلك صاحبت الغربه
ابرمت معاهدة لصلح مع الاعداء
ولكيلا تطفو فوق السطح
ولكيلا انبش فيك الجرح
اخفيت عليك شعور الام مع الابناء
ولبست قناع الصحة .. وبريت الاشه
ومنحتك في العش الهادئ كل الحنان
ورضيت بما قسم الله ..
لكن الله ... !



حافظ إبراهيم بين الحزن والفكاهة

بقلم الدكتورة :
نعمات أحمد فؤاد



حافظ ابراهيم

● حافظ ابراهيم او شاعر النيل كما اصطلحنا أن ندعوه هو الشاعر الذى احاول اليوم ان استشف نفسه من شعره أو قل افسر شعره على ضوء نفسه ، وابين مقدار دلالة هذا الشعر عليها وما يتنزى فيها من آلام وآمال .

وانه ليطيب لى قبل ان احمل المصباح من شعر حافظ ليكشف لى نفسه او اقبس من نفس حافظ مشعلا اتهدى به الى تفسير شعره — يطيب لى قبل هذا أن ارسم لحافظ صورة واضحة المعالم تبرز بها الخطوط الرئيسية التى حددت اتجاهات هذه الحياة الشاعرة المتوفرة التى ترف مستجيبة لما يدور حولها ومايدور داخلها من مثيرات .

فاليك الصورة كما رسمتها ريشة استاذنا الدكتور احمد امين فى صدر ديوانه ، فاذا فرغت من الصورة عرضت عليك اقباسا من شعره ووقفت بك عندها وقفات تنم — غير ملموحة — عليه وتميط من النفس التى وراءه اللثام ، وهو شفيف .

. . . .

كان اول ماجرى على لسان حافظ من الشعر هذان البيتان اللذى تركهما لخاله الذى ضاق ذرعا به :

ثقلت عليك مئونتى انى اراها واهيه
فافرح فانى ذاهب متوجه فى داهية

شعر ساذج فى سن الصبا ، ولكنه يكن عاطفة قوية حزينة . موقف اليم فى بيت خاله يذكره دائما بيتمه ، ويصور له دائما بؤسه وشقاءه ، وهذا يفسر لنا ماكان فى نفس حافظ من حزن عميق ، والم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

لقد انتاب حافظ كثير من الشدائد منذ حداثته ، فمات عنه والده صغيرا ولم يورثه ثروة . وكان بائسا فى بيت خاله ، ولم ينجح فى المحاماه ، واصيب فى منصبه فاحيل الى الاستيداع ، ثم الى المعاش فى مقتبل عمره ، وكانت له الى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فاثر كل ذلك فى نفسه أثرا بليغا ، فهو ناقم على الدهر ، ناقم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن ابت الطبيعة الا ان تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعدا فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شيء ، وكان له ذوق بارع فى اختراع النكتة من كل مايدور حوله ، فما يسمع حديثا او يعرض امامه شيء حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من اعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ، فكان فى مجالسه موضع اعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ثم قد تعود فى حياته الا يقيم للمال وزنا ، فهو كريم ، واسع العطاء ، ذاق طعم البؤس ، فعرف موقعه من الناس ، فسخت كفه ، ونديت راحته ، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها فى يوم واحد ، قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما فى يده ، وهو احوج مايكون اليه لسد رمقه وتفريج همه .

ومع هذا فلم يكن سخيا بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه فى عمله بدار الكتب اشد الحرص ، ضنين به اشد الضن ، فهو لايقول شعرا يغضب به احدا من ذوى السلطان خشية ان يزحزحوه من منصبه ، أو ينالونه باذى فيه . وان قال شعرا سياسيا اخفاه ولم ينسبه الى نفسه .

ولعل ايام بؤسه الاولى روعته وافزعته حتى قامت شبحا دائما امام عينه تنذره بالويل والثبور وعظائم الامور ، ان هو اصيب فى منصبه أو مس فى مرتبه .

ثم هو واسع الصدر فى نقدك شعره ، اذا كنت وهو على انفراد ، فاذا نشرت نقدك فى صحيفة أو على ملا من الناس

حافظ إبراهيم بين الحزن والفكاهة

فهو غضوب اشد الغضب ، ناقم اشد النقمة ، حريص على منزلته فى فنه اكثر من حرصه على شخصه ، حتى هون عليه ان تهجره من ان تهجر شعره .

وثقافته الرسمية - ان جاز هذا التعبير - ثقافة محدودة فهى لا تعدو دراسته فى مكتب او مدرسة ابتدائية ثم دراسة فنية وما تستلزمها فى المدرسة الحربية .

ولكنه اكمل ثقافته ووسع معارفه من نواح متعددة فقد اكثر من قراءة كتب الادب وكان يطيل النظر فى دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم فاذا جلست اليه اخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك . ولم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرا قراءة مستفيضة فى عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها فى الدراسة وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، انه كان ملول الطبع كما يدل عليه تاريخ حياته .

وشىء اخر يعد مصدرا من مصادر ثقافته وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الراى فى الامة ، فقد اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وعد نفسه فتاه وكان يحضر بعض دروسه التى يلقيها على نخبة من الفضلاء فى منزله بعين شمس ، ويجلس فى مجالسه ، وقد يصحبه فى اسفاره ، ثم يغشى مجالس امثال سعد زغلول ، وقاسم امين ، ومصطفى كامل ونحوهم . ولعل هذا كان اكبر منبع استقى منه حافظ افكاره التى صاغها فى شعره .

ثم كان له مجالس مع الادباء فى المقاهى والمنتديات امثال : خليل مطران والبشرى وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الادب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

واخيرا كان مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد اتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النوادر كما مكن له ظرفه وادبه ان يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ويسمعون لادبه ، وان يتصل برجال النهضة الوطنية فياخذ عنهم ، ويتلهب حماسه من حماستهم ، ويمتلىء وطنية من وطنيتهم .

وميزة حافظ الكبرى انه تبلورت فى شعره آمال امته اولا ، وامال الشعب العربى ثانيا . كان حقا شاعر الوطنية وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره احد فى ذلك من شعراء عصره .

وكان فى شعره يضطرب بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الامة بين اليقظة والنوم ، والعمل والتواكل ، والاصابة والخطا ، فهو صدى لها فى حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى ياخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

كان فى شعره ، سجل الاحداث ، يسجلها بدماء قلبه ، ووهج روحه ويصوغ منها ادبا صادقا يستحث النفوس ويدفع الى النهضة ، سواء اضحك فى شعره ام بكى ، وامل ام يئس .

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية اشد اتصال ، شعره فى الرثاء ، فقد اكثر منه ، كما فى ديوانه وقد قال فى ذلك من نفسه .

اذا تصفحت ديوانى لتقرانى
وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

وقد اجاد فيه كل الاجادة ، واحسن كل الاحسان ، وسبب ذلك انه استطاع فى كثير من الاحيان ان ينقل الرثاء من مسالة فردية الى مسالة اجتماعية ، فموت الاستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الاسلامى ، وموت مصطفى

كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في سهولة وجذالة مابرع فيه وفاق اقرانه .

وشيء آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان والحنق عليه .

فالزمان قد فعل بحافظ الافاعيل ، فرماه بالبؤس والفقر ، ورمى امته بالتفرق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورمى العالم الاسلامي بالغرب يمتص دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فما هو الا ان يموت ميت من اصدقائه حتى ينكأ جرحه ويتفجر ألمه .

وثالث ، هو أنه رحمه الله شديد الخوف من الموت ، دعاه ذلك الى ان ينعى نفسه ويتألم كثيرا لشيخوخته ، ويتوهم المرض في كل عضو من اعضائه ، فاذا مات قرين له او صديق او نديم راعه ذلك ، لأن موته انذار بموت حافظ ، وما اشد وقع ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية ، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه ، ومن اشفاقه على نفسه رثاء يمس القلب ولولا هذه مجتمعة مابلغ في الرثاء مابلغ .

لم نعرف شاعرا عربيا قبله ولا معاصرا له فاقه في العاطفة الوطنيةوالاجتماعية الفاضته . قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع - فلا تجد كثيرا منشعره في جمال الطبيعة ، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي . كان مظهره الخارجي ضحوكا مرحا ، لايراه الرائي حتى يضحك من ضحكه ، ولا يكون في مجلس حتى يملاه سرورا وضحكا ولكنه في اعماق نفسه حزين، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا مايعلل ايضا ضعف الفكاهة في شعره ، وقوتها في مجلسه وهذا مايعلل ان نصف شعره رثاء كما يقول هو .

ومن اجل هذا ايضا اجاد حافظ في احد وجهي الوطنية ، اكثر مما اجاد في وجهها الاخر، ذلك أن الشعر فيالوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم . والترغيب والترهيب والمدح والتشجيع ، واللوم والتقريع ، فاجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي التقريع اكثر مما اجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع لأن الضرب الاول انسب لحزنه ، واقرب الى نفسه ، والثاني يحتاج الى مقدار كبير من الامل والامل يحتاج الى سرور ، وهو قليل في نفسه .

هذه هي الصورة التي رسمت لحافظ في صدر الديوان .« لقد انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثته » وهذه الشدائد التي صدمته احدثت عنده كبتا شديدا ينفس عنه بشعر في شكوى الزمان والناس . وماله لا يفعل ؟ الم يجرعه الدهر مرارة اليتم صغيرا ؟ الم يحرمه وليفا القلب الذى ينهل منه والساعد الذى يتكىء عليه ، والصدر الذى يدفن وجهه فيه ؟ اللهم الله اولئك الذين يفقدون آباءهم في سن اولاد الخطيئة الراغ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر .

« ولكن ابت الطبيعة الا أن تجسد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ومن الشقاء ، ومن كل شيء » .

كان المنتظر من حافظ أن ينفس عن نفسه بالدمع ولكنه عوض بالضحك . الضحك من كل شيء حتى البؤس والشقاء ومما يدل على تكييف نفسه لمواءمة الوضع التعويضي انه كان بارعا فياختراع النكتة من كل مايعود حوله ليستخرج ضحك سامعيه ويحملهم على مشاركته

حافظ إبراهيم بين الحزن والفكاهة

وجدانيا ليغرق ذاته في موجة الضحك والسرور .

« وقد تعود في حياته الا يقيم للمال وزنا ، فهو كريم ، واسع الصدر فقد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده ، وهو أحوج مايكون اليه فيسد رمقه وتفريج همه . » .

ارايت كيف ربا حافظ بنفسه عن الاسقاط فهو لم ينهر سائلا ولم يمنع محروما لانه ذاق طعم البؤس فعرفموقعه من الناس . لم يعامل احدا بمثل ماعومل به صغيرا ، لم يجرد السيف الذى طعن به لانه ترك في قلبه ندوبا يجرى منها الدم فهو يجرد السيف في وجه البؤس لا البائسين ، هو يحاربه وحده كلما عرض له في شخص بائس او تمثل له في صورة مكروب لانه ينتقم منه من طول ماعاني . ان حافظا في موقفه هذا يذكرني بالامام علي كرم الله وجهه الذى نزلت فيه هذه الاية الكريمة « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا » .

« ومع هذا لم يكن سخيا بمنصبه سخاءه بماله ولعل ايام بؤسه الاولى روعته وافزعته . »

لاظنه ان لم يضن بمنصبه فان ايام الشقاء الاولى عملت عملهافي نفسهوالقت ظلها على شعره فطبعته بطابع وجداني واحد هو « الالم » .

« وهو واسع الصدر في نقده شعره، اذا كنت وهو على انفراد ، فاذا نشرت نقدك في صحيفة او على ملا من الناس ، فهو غضوب اشد الغضب . »

وهذا طبيعي حتى مع الانسان العادى بله الفنان . ان النقد على انفراد نصيحة لا نقد ومن ثم تتقبله النفس راضية . والناصح في كل حالاته رفيق بك ،يحب لك الخير وهو مرآة ترى فيها مالم تره من نفسك . وحافظ احوج الناس الى صدر حنون يوجه وينصح ويبصر بالصواب فهو يستمع الى ناقده وكانما يجلس الى والده يتلذذ في الخير خطاه، ويخفق قلبه له وصه ..

« وكانطول الطبع كما يدل عليه تاريخ حياته » ان القل هذا منشؤه عدم استقرار اعصابه بسبب مايعانيه من كبت ، لقد اشتغل بالمحاماه فلم ينجح ، واصيب في منصبه فاحيل الى الاستيداع ، ثم الى المعاش في مقتبل عمره له الله فما كان لرجل ان يحمل ماحمل وينهض به !

« ومن مصادر ثقافته كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقاده الراى في الامة ، فقد اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وعد نفسه فتاه » .

بم تعلل كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الراى ؟ انه يريد ان يعوض مافاته من تحصيل المعرفة .

« وكان في شعره يضطرب بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الامة بين اليقظة والنوم » اما شعره التفاؤل فذاك لسان « الشعور » . اما « اللاشعور » فمازال يكبت فيه تلك الالام التي سحدت الى قلبه سهمها لايطيش فهو ينفث شعر التشاؤم وهو لا يدرى .

« وقد اكثر من شعره في الرثاء واجاد فيه كل الاجادة » والشجى . انه برثائه ينفس عن نفسه لقد عاش يتيما مللا معذبا لم يرض غرائز الوالديه والتملكوالسيطرة فيه فما ان ياخذ في الرثاء حتى يفطر قلب القاسي ، وهو يستريح الى البكاء لانه يشفي شجي بلابله وتحضرني الان عبارة رثى بها الاستاذ الزيات ابنه رجاء :

« كنت اسكن الى من يباكيني عليه لانه يكبره ، وانفر ممن يعزيني عنه لانهيصغره واستريح الى النادبات يندبن القلب الذى مات ، والامل الذى فات ، والملك الذى

دمع . « يالله للقلوب الحزونين !

« وكان رحمه الله شديد الخوف من الموت » لم لا يخشى الموت ؟ أليس هو أمضى الأسلحة التى حاربه الزمن بها ؟ من الذى اختطف والده ؟ ومن الذى سيخرجه من الدنيا بعد حين ؟ الموت هو مصدر شقائه كله ، والموت هو أول نازل بساحته من احداث . فلا عجب أن يرهبه ويقشعر منه .

« ولا تجد كثيرا من شعره فى جمال الطبيعة » وانى لنا ذلك ؟ ان الطبيعة فى مهرجان فهى مبتهجة دائما فالزهر رفيف ، والشجر حفيف ، والريح زفيف والماء فوق الحصى هسيس ، والاصيل وشى وحلى واصباغ ، والفجر روعة والصبح اشراق ؛ والشمس بهجة والطل على ثغر الورد جمال حبيبات اللؤلؤ المنظوم ، والبنفسج افتتاحاته والسوسن الابيض فى صفاء القلب الذى لا يعرف الاثم ولا الخطيئة ، والليل يضم هذا كله فى صدره وينشر عليه جناحا مسبلا خفيا ، والبدر من فوق هذا كله يسلسل النور شعاعا راقصا فضيا .. هذه الاغنية العذبة التى تشدو بها الطبيعة بصوت الزهر والنهر والفجر والبدر تخطاها

الشيخ محمد عبده



زغاريد طيور الفرد البدعة هذه الاغنيات يلتفت اليها حافظ لانه مشغول عنها بما يؤرقه .

ما خطبه عجبا وما خطبى به
مالى أشاطره الوجيعة مالى

« كانت طبيعة حافظ مخالفة تمام المخالفة لظهره الخارجي ضحوكا مرحا ولكنه فى اعماق نفسه حزين ، وهذا ما يعلل ايضا ضعف الفكاهة فى شعره ، وقوتها فى مجلسه » .

اسمعت انه كان فى اعماق نفسه حزين ؟ .. فلا تخدع بضحكه وفكاهته فما ضحكه الا تعويض هذا الحزن بصيغة مبالغة ومن اجل ان هذا الضحك لايصدر من القلب لم يظهر فى شعره ، وحافظ كما حدثك عنه نفسه المرحة غير نفسه الجادة .

. . . .

والان انتقل الى نماذج من شعره نسمعه معا :

يطيلون الكلام حتى اذا ما
اقبل الصبح يطيلون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحر
ولا عنهم ترد الغبارا
ايها الرافلون فى حلل الوشى
يجرون الذيول افتخارا
ان فوق العراء قوما جياعا
يتوارون ذلة وانكسارا
قد شهدنا بالامس فى مصر
عرسا ملأ العين والفؤاد ابتهارا
سال فيه النضار حتى حسبنا
ان ذاك الفناء يجرى نضارا

ايها الرافلون فى حلل الوشى
يجرون الذيول افتخارا

البيت يصور نزوع الشاعر الى ايقاظ الاغنياء ولا تخفى السخرية منهم فيه .

وبعد ان وصف حافظ حال البائسين وصف طعم انتقل الى عرس الرافلين فى حلل الوشى . وذلك لانك لا تجد حالة نفسية منفردة امام بؤرة الشعور بل ان الحزن والالم والفرح كلها كالوكب فى النفس يلى بعضها بعضا ، وينصهر بعضها فى بعض .

حافظ إبراهيم بين الحزن والفكاهة

قد شهدنا بالامس فى مصر عرسا
ملا العين والفؤاد ابتهارا

كان يكفى ان يقول « ملا العين » وهنا يتضمن ان الفرح ملا الفؤاد لان العين رسوله توصل اليه كل مايقع من رؤى ومشاهد ولكنه ينص على الفؤاد هنا لان الفؤاد عنده حزين ويريد أن يشركه هنا فى السرور ويعلن عنه ، كانه لا يصدق ان الفرح بلغه واذا علمنا ان لفظة « ابتهارا » من البهر وهو احساس الدهشة او دهشة الاعجاب ثبت عندنا ان حافظا غريب على الفرح ومظاهره ، فهو ينبهر او يبتهر لرؤيته كمن يفتح عينيه على الشىء الجميل اول مرة !

وقال بمناسبة زواج الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ينعى فيها علينا بعض العيوب الاجتماعية ومايراه من فوضى الراى وقلة الشباب فيه :

حطمت اليراع فلا تعجبى
وعفت البيان فلا تعتبى
فما أنت يامصر دار الاديب
ولا أنت بالبلد الطيب
فلا تعذلينى لهذا السكوت
فقد ضاق بى منك ماضاق بى
ايعجبنى منك يوم الوفاق
سكوت الجماد ولعب الصبى
وكم غضب الناس من قبلنا
لسلب الحقوق ولم تغضب
أيا أبنة العصر ان الغ...
مجيد بمصر فلا تلعبى

وبعد ان عدد المساوىء عاوده حنين الحب الغاضب :

على الشرق منى سلام الودود
وان طالما الشرق للمغرب

لقد كان خصبا بجدب الزمان
فاجدب فى الزمن المخصب
حطمت اليراع فلا تعجبى
وعفت البيان فلا تعتبى

الشاعر يبدا ساخطا وهذه حالة وجدانية مرضية لاننا لم نعرف سبب السخط بعد .

« حطمت اليراع » انفعال ثائر ولكنه لا يخلو من تنظيم السلوك بدليل قوله « فلا تعجبى » .

ايا ابنة العصر ان الغريب
مجد بمصر فلا تلعبى

يوحى الى الشباب ايحاء موجبا ان يهبوا لنصرة مصر . اعرفت ان قوله « ما انت يامصر بالبلد الطيب » كلمة غضب قالها بلسانه فقط كقسوة الحازم التى ينزلها بمن يرحم فرط غيرة على صالحه وفرط اشفاق؟ انه يحز فى نفسه ان يتخذ الاجنبى من مصر مرتعا عريض الكلا يسرق خيرها ويرتق صفوها ونحن لاهون !

على الشرق منى سلام الودود
وان طالما الشرق للمغرب

« وان طالما الشرق للمغرب هذا هو الحب العاطفى الذى يجل المحبوب بمحاسنه وعيوبه والمثل يقول « كل فتاة بابيها معجبة » وحافظ يتخذ من مصر اما ومن الشرق ابا لما اعوزه الوالدان الحقيقيان .

ومن اصدق ماقال حافظ يصف فتاة بائسة هنا يجلى فى ميدانه الاصيل :

شبحا ارى ام ذاك طيف خيال
لا ، بل فتاة بالعراء حيالى
امست بمدرجة الخطوب فمالها
راع هناك ومالها من والى
ما خطبها عجبا وما خطبى بها
مالى اشاطرها الوجيعة مالى
دانيتها ولصوتها فى مسمعى
وقع النبال عطفن اثر نبال
وسالتها من انت ؟ وهى كانها
رسم على طلل من الاطلال
فتململت جزعا وقالت : حامل



الشيخ علي يوسف

لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت امها
ومضى الحمام بعمها والخال
فعلمت ماتخفي الفتاة وانما
يحنو على امثالها امثالي

فكانه يرجع بذاكرته القهقرى الى طفولته بعد ان اخترم الموت والده وبعد ان هجر خاله فهو يسقط ماضيه في حاضر الفتاة التي القتها المقادير في طريقه .

ماخطبها عجبا وما خطبي بها
مالي اشاطرها الوجيعة مالي

ادراك لخطبها يليه وجدان « ما خطبي بها » ثم نزوع لمعرفة سبب مشاركته الوجدانية لها .

دانيتها ولصوتها في مسمعي
وقع النبال عطفن اثر نبال

دانيتها هذا هو انفعال الحنان الذي طالما تلمسه فما وجده . وكما حارب البؤس في غيره ، يحارب هنا الوحدة والاحتياج في شخص فتاته . ان الحنان الذي تمناه يسكبه هو الان للاخرين وهذا ما نسميه « تحويلا » في العاطفة ولايعرف قيمة الشيء كمن حرم منه فلا غرو يسخو بالحنان لانه يعرف قدره ويقدر اثره .

وسالتها : من انت ؟ وهي كانها
رسم على طلل من الاطلال

هنا وجدان ثم نزوع ثم ادراك .شاطرها ثم اندفع اي نزع فسالها فادرك انها كرسم على طلل من الاطلال .

فتململت جزعا وقالت : حامل
لم تدر طعم الغمض منذ ليال

ان كلمة « تململت » بتجانس حروفها وترتيبها على هذا النسق وجرس الفاظها بفضل تكرار الميم واللام وهما حرفا الالم البارزان ترسل الى سمعي انينا مكبوتا « وكانها » وكاني اراها تتمزق .

قد مات والدها ، وماتت امها
ومضى الحمام بعمها والخال

آه ، هنا جرحه . الا ليت الفتاة لم تقابله فان تعذيب الذبيحة لا يحل .

والى هنا حبس الحياء لسانها
وجرى البكاء بدمعها الهطال

« حبس الحياء » هذا اسلوب الشعر ولكنه ينم عما تعانيه الفتاة من كبت شديد نفست عنه بالبكاء الصامت .

فعلمت ماتخفي الفتاة وانما
يحنو على امثالها امثالي

« علمت ماتخفي الفتاة » هنا يسقط مابه فيها . « وانما يحنو على امثالها امثالي » اظنك بعد الذي قصصته عليك من تاريخ حافظ تعلم السر في حنوه .

نفس حافظ هنا جمرة تتلذع
ياعين سحي ، يا قلوب تفطري
يا نفس ذلي يا مروءة والي

الشاعر هنا يوحي الى الاخرين بالعطف على هذه البائسه فهو يستثير مجموعة انفعالات لتتمركز حول هذه البائسة .

هذه نماذج من شعر حافظ تترجم عنه وتلك صورة حافظ مقتبسة من تاريخ حياته . فهي تدل عليه فان بدا معها قصور في ناحية او اخرى ، فاعذروه . لا تعذلوه فقد ضاق بكثير .. وبعد هذا اعطى الكثير ●

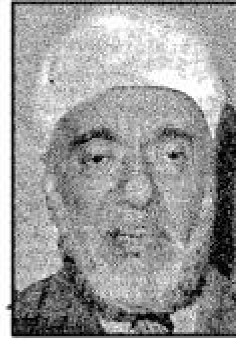
الديوان الشفوى
لحافظ إبراهيم

بقلم : محمد فهمى عبد اللطيف


حافظ ابراهيم

رحم الله حافظا فما أحسب الذين تحدثوا عنه قد انصفوه ، وقدروا له مكانته فى الشعر والادب ، ذلك لانهم يعتمدون فى حديثهم عنه على تلك القصائد والمقطوعات التى يضمها ديوانه المطبوع والمعروف بين الناس ، وانما هناك جانب خفى من حياة حافظ ابراهيم وعبقريته الشاعرية كان يتمثل فيما يسميه اخوانه واصحابه بالديوان الشفوى ، ويعنون به القصائد والمقطوعات والنوادر والغمزات الشعرية التى ينشدها حافظ فى مجالسه الخاصة ، ويتحدث بها الى اخوانه واصحابه تنديدا بالانجليز واستعمارهم ، وتقريعا لاولئك المصريين الذين يحكمون البلاد بسيف الاستعمار ، والذين يتسلطون على الشعب بالتنكيل والاستعباد .

وكان حافظ يخشى أن يذهب ضحية هذا الشعر ، وأن يأخذه بالانتقام أولئك الطغاة من رجال الاستعمار واعوانه .. فكان حريصا على الا يسجل هذا الشعر والا يتجاوز فى روايته


الشيخ على الغاياتى


عباس العقاد


توفيق دياب

حدود المشافهة ، والا يخرج من دائرة الحديث فى المجلس بين الاخوان والأصحاب ، وكان حافظ يضحك من هذا الصنيع ويقول ان الانجليز حكموا على الزعيم محمد فريد بالسجن وحملوه على ان يقضى بقية عمره منفيا من وطنه لانه كتب مقالا فى مدح شعر الشيخ على الغاياتى الوطنى ، فكيف يكون امرهم اذا كان الشعر شعر حافظ ابراهيم .

قال لى العقاد : ان شعر حافظ ابراهيم الذى كنا نطلق عليه اسم الديوان الشفوى هو أروع مما قال حافظ ، وأبدع مما تضمنه ديوانه المطبوع ، لأن حافظا كان ينطق فيه على سجيته وحريته ، لان عبقرية حافظ كانت لا تتجلى فى قوتها وروعتها الا فى مجال الصراحة والانطلاق على السجية . حيث لا يضطر الى المداراة والاحتيال على استكراه الالفاظ فى سبيل المجاملات الاجتماعية ومجاراة الظروف الجارية ، ولكن شعر هذا الديوان طوى بموت حافظ ابراهيم وموت اخوانه واصحابه الذين سمعوا منه هذا الشعر وتناقلوه فيما بينهم وما جاوزوا باذاعته اكثر من هذا القدر

ولقد أشار حافظ ابراهيم الى قصة هذا الديوان الشفوى ، أو الديوان السرى ، وكيف أجبره على الأسرار بالشعر ترصد الطغاة له وتربصهم به ، فقال فى قصيدة يخاطب بها مصر أثناء ثورة الشعب سنة ١٩١٩ :

ولت بشاشة دنيانا ودنياك
وفارق الانس مغنانا ومغناك
حماك دونى أسود لا يطاولها
شاكى السلاح فكيف الاعزل الشاكى

الديوان الشفوى لحافظ إبراهيم

وجشموني على ضعفي وقوتهم
أن امسك القول حتى عن تحاياك

وارصدوا لي رقيبا ليس يخطئه
همس الفؤاد اذا حاولت ذكراك
يحصي تردد انفاسي ويمنعني
نفح الشمائل ان جاءت برياك
منعت حتى من النجوى وسلوتها
وكم تعللت في البلوى بنجواك
ما كاد ياتي على نفسي ويوردني
موارد الحتف الا حبك الزاكي
وظن اهلك بي سوءا وارمضني
قول الوشاة ودعوى كل افاك
قالوا سلا عنك غدرا وابتغى بدلا
وكان بالامس من اوفى رعاياك

ثم يشير الى شعره الثوري الذي لا يسمو اليه قائل ، ويعتقد انه عندما تنجلي الغمرة سيعرف كل شيء ، وسيعرف الناس ماذا صنع الشاعر من اجل مصر

فيقول :

كم لي احاديث شوق لا تنافحها
زهر الرياض ولا يسمو بها الحاكي
ان تنكريها فكم طار الرواة بها
الى حماك وكم قد عطرت فاك
ستعلمين اذا ما الغمرة انحسرت
من صد عنك ومن بالنفس فداك

ولكن الغمرة مع الأسف لم تنحسر ، ولم يكن الامر كما قال شاعر من قبل « هنة الغمرات ثم ينجلين » بل بقي الطغيان على عهده ، والشاعر حافظ ابراهيم في أسر الوظيفة الحكومية ، يراقبون كل حركاته وكل نبضات روحه ، وخلجات قريحته ، ومع هذا فهو يعيش بوجدانه مع مصر في ذلك الشعر الشفوى . الذى يعتبر بحق اروع ما قال من الشعر ، واجرا ما نظم من اوابد القصيد . وهل هناك اجرا مما قاله حافظ ابراهيم الى الملك فؤاد الذى . اجلسه الانجليز على عرش مصر

يا ملكا برغمه يلبس التاج
ويرقى بعرشه مملوكا
ان اتمت يداك اخراب مصر
فلقد مهد الخراب ابوكا
ابق شيئا اذا امضيت وفيما
عن قريب ، ياتي عليه بنوكا

وتلك ابيات من الديوان الشفوى لحافظ ابراهيم ، او عينة من تلك البضاعة كما يقول اهل التجارة ، وقد رواها احد اصحاب حافظ بعد مماته ، وضمت الى ديوانه في طبعته الثالثة .

ومن الشعر الشفوى او السري لحافظ ابراهيم ملحمة

تقع فى زهاء ثلاثمائة بيت قالها حافظ فى عهد صدقى باشا وطغيانه واستبداده بالشعب استبدادا لم يكن عند حد على امتداد ثلاثة أعوام ، وكان حافظ قد أحيل الى المعاش وخرج من الوظيفة ، وعاد الى قيثارة الشعر يضرب على وتر الوطنية والكفاح فى سبيل الوطن ، وقد نشرت له عدة مقطوعات من هذا الشعر فى الصحف ، ولكنه لم ينشر هذه الملحمة التى قالها فى عهد صدقى لأنه كان يعرف ان صدقى فاجر فى تصرفاته ، وأنه يحكم بدون ضمير ، فليس ببعيد أن يبطش به كما بطشوا بتوفيق دياب والعقاد ، ولقد سمعت هذه الملحمة من حافظ وهو ينشرها فى مجلسه لجماعة من اخوانه ، وكان قد كتبها فى عدة ورقات ويقول انه سيطبعها اذا ماأزال حكم صدقى وهو قريب ، ولكنى علمت انها سرقت منه ، ولم يبق منها فى ذكراه للناس وحديثهم الامطلعها الذى يقول فيه :

قد مر عام ياسعاد وعام
وابن الكنانة فى حماه يضام
صبوا البلاء على البلاد فنصفهم
يجبى البلاد ونصفهم حكام
اشكو الى قصر الدبارة ما جنى
صدقى الوزير وما جنى علام

وفى هذا البيت اهانة لساكن قصر عابدين لان الشكوى تكون اليه من وزير مصرى ، ولكن حافظ يتوجه بالشكوى الى قصر الدبارة مقر المندوب السامى البريطانى اشارة الى أن الانجليز هم الذين جاءوا بصدقى باشا الى الحكم .

ثم يقول حافظ مخاطبا الانجليز الذين كانوا يزعمون أنهم على الحياد فى شئون مصر :

قل للمحايد هل شهدت دماءنا
تجرى وهل بعد الدماء سلام

ثم ينذرهم ويحذرهم :

ان المراجل شرها لا يتقى
حتى ينفس كربهن صمام
انا جمعنا للجهاد صفوفنا
سنموت أونحيا ونحن كرام

تلك كانت آخر صيحة للشاعر الكبير فى سبيل وطنه ، ودعوته سنموت أو نحيا ونحن كرام! ●



حافظ ابراهيم

السطور الأخيرة في

قصة عبّاس

بقلم : فتحى رضوان

● السنة التي تجري فيها أحداث هذه القصة ، هي سنة ١٩١٤ . وفي هذه السنة كان خديو مصر عباس حلمي الثاني ، يصطاف في باريس ، لا يدري ماذا سيصيبه بعد شهور قليلة ، غير مدرك ان لقب « الثاني » يحمل في طياته لعنة الذى يتحلى به . فغليوم الثاني امبراطور المانيا ، ونقولا الثاني قيصر روسيا ، وعبد الحميد الثاني سلطان تركيا ، وفؤاد الثاني ملك مصر ، وعشرات غيرهم سقطوا من عروشهم ، احياء ، او سقطوا موتى .

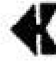
كان الخديو عباس حلمي الثاني في فرنسا ، في تلك السنة كعادته كل سنة ، يتلقى علاجه في مدن المياه ، ويجدد نشاطه ، ويلقى من النساء والرجال من يحب ان يلقى بعيدا عن انظار اصحاب الفضول ، وان لم يكن بعيدا من أعين الرقباء من ادارات المخابرات التابعة لبريطانيا وتركيا وفرنسا وربما المانيا ..

وكان من عادة الخديو ، بعد ان يستحم ويستجم في فرنسا وباريس ان يسافر الى استانبول ، حيث يلقى والدته « ام المحسنين » في قصرها المطل على البوسفور في ضاحية « بيبك » . وكانت الاميرة الوالدة تمضي الى شواطىء الاستانة على ظهر اليخت « المحروسة » ومعها حاشيتها ، ويذهب ابنها الخديو الى عاصمة الخلافة الاسلامية ، دار السعادة ، في القطار ..

ولم يكن قد نشب حتى تلك الايام ، خلاف يستحق الذكر بينه وبين الخليفة سلطان تركيا ، السلطان عبد الحميد ، ومع ذلك فقد تلقى الخديو تحذيرات كثيرة وجدية ، من ان حكومة استانبول تفكر جديا في التخلص منه ، الا انه لم يحفل كثيرا بهذه التحذيرات ، وان كان يعلم يقينا ان ابن عمه الامير سعيد حليم رئيس وزراء تركيا ، ينفس عليه ان يكون خديو مصر ، وانه كان صاحب الحق في وراثة عرش هذه البلاد ، لولا ان الخديو اسماعيل ، نجح في تغيير نظام وراثة العرش ، بفضل ما بذله من رشاوى ضخمة لوزراء الخليفة ..

وقد شاء القدر ان يبقى في باريس حتى بعد يوم ١٤ يولية سنة ١٩١٤ ، مع انه كان معتزما تركها قبل ذلك اى في اوائل ذلك الشهر ، لولا ان رئيس جمهورية فرنسا ، دعاه الى حضور احتفالات ١٤ يولية السنوية ، اى احتفالات العيد القومي الاكبر لفرنسا ، ولذلك لم يصل الى استانبول الا في يوم ٢٣ يولية ، التى كانت تحتفل بدورها باليوم الاول من يومي عيد قومي تركي ، وهو عيد الدستور الذى أعلن في ذلك اليوم سنة ١٩٠٨ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذى لم يلبث حتى عزل في سنة ١٩٠٩ لما بدا منه من نوايا السوء ضد النظام الدستوري الذى أجبر على اعلانه .

ولما كانت العادة تقضي باحتجاب الصحف



الثـــانى



عباس حلمى الثانى

التركية عن الظهور فى أيام الاعياد ، فقد بقى وصول الخديو الى العاصمة التركيـــة مجهولا الا من الدوائر الرسمية • وبعد ان قام الخديو بتحية والده ، ذهب الى عدوه اللدود ، ومنافسه الامير سعيد حليم الصدر الاعظم اى كبير الوزراء فى مقر رياســـة الدولة التى كانت تسمى « بالباب العالى » . فقد ارسلت الحكومة الى الخديو حرســـا صاحب موكبه من مقر الوالدة الى مقـــر الدولة ، فسارت عربة يحف بها الخيالة .

وما كادت هذه العربة تدلف الى مدخـــل الحكومة ، حتى اندفع شـــاب الى الامام مرسلا الى الخـــديو اربع رصـــاصات • فاصابته الرصاصة الاولى فى خده ، فى حين استقرت الرصاصات الثلاث ، فى كتفـــه وذراعه ، وقد وقف الخديو بصفة تلقائية فى العربة ، وحاول رمزى باشا طاهر ، كبير ياوران الخديو اى كبير حرسـه ان يقفز من عربة الخديو ليلحق بالقاتل ، الا ان ضابطا من الحرس التركى حال بينـــه وبين تنفيذ رغبته واطلق الرصـــاص على القاتل ، فقتله فى مكانه ، وبذلك انعـدم الامل تماما فى معرفة الذين خلف الفاعل الاصلى من محرضين وشركاء • وقد كانت هذه هى العادة المألوفة فى بلاد البلقـــان جميعا • يقتل الفاعل او يهرب ، فتقفـــل ملفات التحقيق ويخرس كل صوت •

وقد نقل الخديو الى المستشفى ، حيث رقد تحت العلاج ، وقد مضت ايام طويلة والامل

السطور الأخيرة في قصة عباس الثاني

في نجاته ضعيف الى ابعد حد ، لان الاصابة كانت جسيمة . ولم يكن – بطبيعة الحال – في وسع الجريح ان يستقبل زوارا ، ولكنه تماثل للشفاء ، فاستاجر عدد من كبار الموظفين والاعيان في مصر ، باخرة حملتهم الى استانبول ليقابلوا ولى الامر ، وتهيأ الخديو للعودة الى بلاده ، حيث كانت الحاجة الى وجوده شديدة ، فقد كانت الحرب العالمية الاولى ، قد بدات تدق ابواب العالم بشدة ، ولم يكن وجود صاحب الدولة حسين رشدى كنائب للخديو او قائم مقام له ، يغنى عن الحاكم الاصيل . والحق ان المعلومات التى كان يرسلها نائب الخديو فى مصر ، لسيده فى استانبول قليلة ، مما اقلق هذا الاخير ، لقلة ثقته فى شجاعة وولاء نائبه حسين رشدى ، والحق انه حامت حوله امانة رشدى ، وحسن ادائه لواجبه كنائب للخديو شبهات كثيرة ، حتى لقد قيل انه لو ادى واجبه فى تلك الايام على وجه طيب ، لما تطورت الاحداث الى عزل الخديو ، واعلان الحماية البريطانية على مصر . ولقد طمأن الخديو اول الامر الى سلامة مصيره ، فقد تلقى وهو على فراش المرض وبعد ابلاغه من المستر « يومو » القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة تاكيدات بانه لا خوف على عرشه ، ومن ثم فانه لا داعى لسرعة عودته الى مصر . الا ان الخديو لم يلبث ان تلقى – بغضب اكثر من الدهشة – فى ٢٧ من سبتمبر ان السفير البريطانى « السير مالت » نفسه يريد ان يقابل الخديو فى ضاحية « بيك » حيث قصر الوالدة ، وكان السفير قد عاد من اجازته فى بريطانيا ، وتمت المقابلة ، فلم يضيع السفير وقتا كثيرا فى عبارات المجاملة اى فى السؤال عن صحة الخديو ، اذ انهى الى مضيفه فورا بان الحكومة البريطانية ترجو من الخديو ان يترك البوسفور ، ويسافر الى اوربا ، حيث اعدت له بريطانيا « فيللا » فى مدينة نابولى ، وقد تشاءم الخديو من هذا الطلب ، وكان هذا من حقه . فنابولى كانت موضع اقامة جد الخديو ، اعنى الخديو اسماعيل باشا ، عند عزله عن عرش مصر فى يونية سنة ١٨٧٩ ولم يكن السفير البريطانى مجاملا فقد اضاف الى طلبه الجاف ، طلبا زاده جفافا ، مؤداه ان يسافر الخديو الى ايطاليا ، باقصى سرعة ممكنة حالما تسمح له صحته بذلك .

ورد الخديو عباس على هذا الطلب بقوله انه لا يريد من اية حكومة ان تبحث له عن مسكن ، وانه فى وسعه ان يدبر لنفسه محل الاقامة الذى يرضيه ، وانه على اية حال ، لا يقوى ، ولا يريد ان يقيم فى نابولى . والحق ان الخديو تاق الى قضاء بضعة اسابيع فى مصر ، حيث كان اهلها ينتظرون عودته ، بوصفه الحاكم الفعلى لمصر ، ان لم يكن قد صدر بعد ، اى شيء يسقط عنه هذه الصفة .

ودوى فى الحجرة التى ضمت الخديو المصرى والسفير البريطانى قول السفير – كفرقعة عنيفة – انك لن تعود الى مصر بعد اليوم .. ومن ثم يمكن اعتبار عزل الخديو عن عرشه قد تم على النطق الذى صدر عن السفير البريطانى فى ذلك اليوم: السابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩١٤ فى مدينة الاستانة او استانبول او القسطنطينة ، كيفما شئت .

ولم يفقد الخديو عباس حضور ذهنه عندما سمع بهذا التصريح الصاعق حتى حينما عاد السير « ل . مالت » الى تكرار طلبه : يجب ان تسافر فورا الى « نابولى » ، فقد طلب ان يسمح له بالسفر الى سويسرا ، لانه لا يطيق العيش فى ايطاليا ، بيد ان هذا الطلب رفض فى الحال ، من جانب السفير الذى اعلن ان ايطاليا وحدها هى المكان المناسب فى نظر السلطات البريطانية . وقد راى الخديو انه لا يليق بمقامه ان يدخل فى جدال مع السفير ، فسكت وهو ينوى ان يبقى حيث هو ، مادام



اسماعيل صدقي



كتشنر



الملك فؤاد

أنه لا يطيق فكرة السفر الى ايطاليا ، ولا سيما انه كان لا يزال فى دور النقاهة . والظاهر ان بريطانيا لم تبذل جهدا آخر لارغام الخديو على تنفيذ أمرها. على انه لم تمض سوى ايام قليلة ، حتى دخلت تركيا فى الحرب ضد بريطانيا ، وحليفتها فرنسا ، فى بداية الحرب ، ثم ايطاليا بعد المرحلة الأولى من تلك الحرب.

ولما كان الخديو ايضا غير راغب فى ان يرتبط باحد طرفى الحرب ، لقد قرر السفر الى سويسرا ، باعتبار انها دولة محايدة وقد اتخذ مقرا له بعد ذلك فى برن وجنيف، فراح يتنقل بينها حتى سنة ١٩١٧ .

والطريف ان اكثر المؤرخين ، تأثروا بالقرار البريطانى الذى صدر فى ١٨ من سبتمبر سنة ١٩١٤ باعلان الحماية البريطانية بما اعلنه ذلك القرار من ان الخديو انحاز الى جانب الاعداء ، ولذلك استحق ان يعزل عن عرشه . من ذلك ما قاله السير فالنتين تشيرول فى كتابه « المسألة المصرية » الصادر سنة ١٩٢٠ ، وهو يعتبر مرجعا متداولا : « ان الخديو ترك بلاده ، وانه وضع حدا لدوره كخديو بخلعه القناع عن وجهه ، بعد ان لبسه بنجاح زمنا طويلا ، منحازا انحيازا صريحا مع الاعداء حينما اندلعت نيران الحرب » .

ويدافع المستر « بيمان » فى كتابه « عزل خديو » عن عباس حلمى بقوله ان الخديو كان مريضا وملازما فراشه لمدة ستة أسابيع ، وفى هذه المدة اتهم انه انحاز صراحة للاعداء ، فى هذا الوقت الذى لم يكن فى وسعه ان يأتى بحركة ذات قيمة .

والواقع انه لم يذكر اى اسباب لخلع الخديو ، سوى هذا الذى ذكرناه من انه انحاز للاعداء ، ولكن قيل بعد ذلك ان خلعه كان بناء على نصيحة من اللورد كتشنر الذى كان مندوبا لبريطانيا فى مصر مباشرة قبل حرب سنة ١٩١٤ ، ثم قيل بل كان هذا العزل بناء على مشورة اللورد كرومر ، المندوب البريطانى السابق على مصر . والمعروف ان الرجلين - كرومر وكتشنر - كانا من الد اعداء عباس حلمى، وانهما ضاقا به ولطموحه وميوله الاستقلالية ابان وجودهما فى مصر .

ويعود « مستر بيمان » الى القول ان تحرياته ومجهوداته فى كشف السبب المباشر لعزل الخديو عباس ، فلم يجد اثرا ، لصلة كرومر او كتشنر بهذا القرار ، وان كان الرجلان - كما سبق القول كانا يسيئان الظن بميول الخديو عباس ، ضد بريطانيا ، واعجابه بالمانيا ، وامله فى ان تعين على تحرير مصر ، او تشارك فى هذا التحرير .

لكن « بيمان » يقول ان الكثيرين من بطانة الخديو ، كانوا يختلفون معه فى الرأى ، ولكن لم يتهمه احد من هؤلاء ، بانه مأفون او قصير النظر ، ويفهم ان « عباس » كان يعلم ان بلاده فى حاجة الى من يحميها من العدوان الخارجى ، وانه قرأ الكثير عن اساليب الحكم الالمانى المنبلة بحيث لا يمكن ان تفكر فى ان يستبدل بالرعاية البريطانية الابوية ، طريقة سوق العبيد الالمانية .

السطور الأخيرة في قضية عباس الثاني

وهذه شنشنة نعرفها من المؤرخين الاوربيين الذين درجوا على القول بان الحاكم المصرى ، لا بد ان يقارن بين دولتين اوربيتين دون ان يفكر قط في استقلال بلاده انتفاعا بتنافس الاقوياء وخلافهما .

وقد استرسل بيمان بعد ذلك في دفاع مجيد عن « عباس حلمى » واستنكار شديد لقرار عزله الذى كان يراه بلا سبب ، ودون ان يعود حتى على الحكومة البريطانية باى نفع . وفي رايه ان التهمة الوحيدة التى الصقت بالخديو منذ عهد كرومر لم كتشنر كونه « صانع مؤامرات » وقال ان سند هذه التهمة لا يقوم على صحتها ، بل على انها تهمة عائمة ، لا نعرف لها حدودا ، بل قد لا نعرف لها معنى . فما هو المقصود بالمؤامرات ، ومتى تلقيت هذه المؤامرات ، وماذا حققت من خير .. واشتدت حماسة مستر بيمان فقال ان كرومر كتشنر لم يكونا فوق شبهة التآمر ، فان الشائع عند الغربيين ان الشرقيين يميلون الى الدسائس ، وحبك المؤامرات .

فالانجليز عزلوا اميرا محترما لا عند المصريين وحدهم ، بل عند امراء المنطقة امثال آل سعود في نجد ، والامام يحيى في اليمن ، وامير المحمرة ، وبعض الامراء في آسيا ، ولو استمع الانجليز لنصائحه لكانت اغلى من الملايين من الجنيهات الذهبية .

ولقد شمل الخديو عباس الازهر ، هذه الجامعة العريقة بعطفه ، وعنايته ، بعد ان تسلمها فقيرة ، فقدت مكانتها ، فبذل لها غير قليل من ماله ، واستحث غيره من الاعيان والاغنياء المصريين ، على التبرع لها ، فاستعادت رداءها القديم ، واهتم بها الراى العام المصرى .

ونفى الكاتب ما اسنده الانجليز الى الخديو من انه كان مكروها للجماهير ، وقال انه بالعكس كان المصريون متعلقين به ، ولو قيض له ان يعود الى مصر ، لاقيمت لعودته الافراح في كل مكان من القاهرة الى الخرطوم . ولعل الكاتب لا يعرف ان المصريين عاشوا اجيالا يسمعون من افواه اطفالهم غناء ، يبدأ بعبارة « عباس جى » .

وقد بقى الملك فؤاد وهو عم عباس حلمى ، والذى حل محله على العرش بعد وفاة السلطان حسين الذى كان ايضا احد اعمام عباس حلمى . بقى هذا الملك في خو :

حسين رشدى



مصطفى كامل



كرومر



عودة ابن اخيه عباس ، ويتصور في كثير من حركات بعض الاعيان الذين كانوا يعرفون ، مؤامرة لخلعه .

ولذلك كان لا بد من ان تعمل بريطانيا ويعمل الملك فؤاد كل ما في وسعهما لحمل الخديو عباس على الاقرار بالنظام الملكي القائم ، وبولى عهد الملك ، وان يتنزل عن كل حق له في ميراث العرش . ويحدثنا بيمان طويلا عن المفاوضات التي دارت بين ممثل بريطانيا الذين يقومون بالوساطة بين الملك وابن اخيه المعزول ، لينتزعوا من هذا الاخير وثيقة النزول عن حقوقه في الملك والعرش ، وعن كل ما كان يملكه من اطيان شاسعة وعمارات وعقارات في مصر ، واستمر ذلك طويلا دون ان يتحقق شيء ، حتى جاء اسماعيل صدقي باشا ورأس الوزارة ، وكانت السن قد تقدمت بالخديو عباس ، واستقر الملك فؤاد على عرشه ، وتضاءل الامل في ان يعود الخديو الى وطنه ، وان يعلو ثانية عرشه فاصبح ممكنا الحصول على الوثيقة المطلوبة . وقد تم ذلك في وثيقة اعلنت في ١٢ مايو سنة ١٩٣١ ، ننقل منها :

قال الخديو عباس في بداية الوثيقة :

« اني مؤمن باني خدمت بلادي بامانة واخلاص ، واني كرست لها مدى ثلاث وعشرين سنة ، بالرغم من دقة الظروف ، كل قواي وخير أيام حياتي ، واني اتمنى من صميم قلبي سعادة مصر ورخاءها .

« وقد تتبعت عن كثب ما احرزته البلاد ، وما لا تزال تحرزه من أسباب التقدم في جميع النواحي ، واني مغتبط بما اراه من خطاها الثابتة في سبيل توثيق استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسي ، وبين حاجاتها وامانيها .

واورد مني في تحديد موقفي حيال نظام مصر السياسي وتأكيد اخلاصي نحو ذات مليكها المعظم ، فاني اعلن اتباعي الدستور المقرر بالامر الملكي رقم ٧ لسنة ١٩٣٠ ، واصرح اني ساتوخى في جميع الظروف خطة مطابقة للنظام المقرر لقوانين البلاد ، وعلى وجه الخصوص اعلن التزامي الامر الملكي الصادر في ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ بوضع نظام لتوارث عرش المملكة المصرية وللقانون نمرة ٢٨ لسنة ١٩٢٢ الخاص باقرار تصفية املاكي وهما جزآن لا يتجزآن من الدستور المصري ، وللقانون التضمينات نمرة ٢٥ لسنة ١٩٢٢ واعلن اتباعي لها جميعا

وختم الخديو هذه الوثيقة باقراره بان الملك فؤاد الاول ابن اسماعيل ملك مصر الشرعي ، وانه لذلك يعلن تنازله عن كل دعوى على عرش مصر كما اعلن تنازل عن كل مطالبة ناشئة عن اني كنت خديو لمصر ايا كان وجهها سواء عن الماضي أم عن المستقبل » .

وانتهى الى الدعاء للملك بصالح الدعوات وان يحيط ولي عهد المملكة الامير فاروق بعين عنايته ، وليزيد في اسعاد مصر في حاضرها ومستقبلها .

وبهذا الكلام ، اسدل الستار على حقبة من تاريخ مصر استمرت اكثر من ثلاثة وعشرين عاما لعب فيها الخديو دورا كبيرا جدا ، كاد يكون في بعضه دعما وطنيا ، حين وضع يده في يد مصطفى كامل ، وايد كفاحه الوطني واصطدم بكرومر وكتشنر ، ثم انقلب بعد ذلك مواليا للانجليز بعد اتفاق سنة ١٩٠٤ التي ابرمت بين بريطانيا وفرنسا ، والتي عرفت بالاتفاق الودي والتي اطلقت بمقتضاها يد بريطانيا في وادي النيل ، بدون معارضة ولا منافسة من فرنسا . وقد عبر كرومر في كتابه « عباس الثاني » عن ..

ضيقه بنشاط عباس وحيويته وقال بصراحة لقد « حيرني هذا الشاب » .

الا ان ما ساقه لنا « بيمان » في كتابه ، يرينا كيف يهون الملوك على الدول الاستعمارية ، حتى يستطيع سفير الدولة المستعمرة ان يعزل الملك عن عرشه بكلمة واحدة ، في حين انه لو فكر في عزل احد خدمه ، لتحرج وتردد ، وخجل من ان يملته بالفصل . وهو درس ، يرينا ان هذه الدول ، ليس لها صديق تحرص على مودته ، او تراعي اعتبار كرامته ، فمن كان في خدمتها ، تغدق عليه من الالقاب والمال ، ومن قامت الشبهة بلا دليل في ولائه ، يطرد في غير رحمة ●

دراسات فى التاريخ النفسى
والوجدانى والاجتماعى للفئات المتوسطة

(٣)

الرومانسية العليا والرومانسية الدنيا

بقلم : د. ناجى نجيب

كان المنفلوطى يعرف جيداً انه لا يكتب « للخاصة » ولا يكتب لنخبة او صفوة ، وانما « العامة » القراء فى عصره . وكان يحس الكثير من الحرج والهيبة قبل حملة الذوق الادبى الرسمى ، ويدرك ان فاصلا ما يفصل بينه وبين خاصة الادباء والمتادبين وان سهامهم قد تصيبه . وافضل تعبير لذلك هو مقاله « الحياة الذاتية » ، وفيه يتحدث عن نفسه واهدافه ، وان ادعى ان الكلام لاديب صديق .

والمنفلوطى فى هذا المقال وغيره « مثلا فى مقدمة الجزء الاول من « النظرات » حين يتحدث عن نفسه وادبه ، انما يعلم





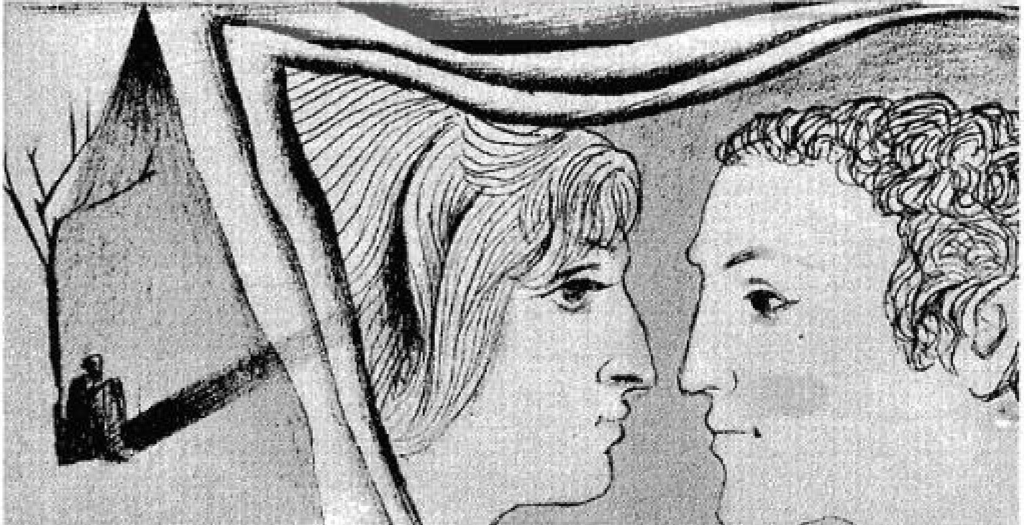
جماليات التوافق بين الكاتب وقرائه

جيدا ماله من مكانة بين القراء ، ويحاول أن يرى نفسه فى ضوء هذه المكانة وان يدعم هذه المكانة وينظر لها او يبررها . هذا على خلاف العقاد والمازنى مثلا فى مقدمة « الديوان » « ١٩٢١ » فهدان يشرحان تصورهما للادب ليمهدا لانفسهما الطريق ، وينظران « للادب الجديد » من اجل اقتحام ميدان الادب وتصدره .

وبتعبير آخر : حديث المنفلوطى عن نفسه وأدبه اشبه برجيع الصدى وتأكيد الذات . فى حين أن العقاد والمازنى ينظران لاحداث الصدى .

هدف الادب عند المنفلوطى ـ كما يرى، أو كما يجب أن يرى ـ هو منفعة القارىء وتربيته ، بل اصلاح شؤون الناس والامة وليس هذا الهدف ـ على السطح على الاقل ـ بجديد او غريب ـ فمنذ مطلع النهضة الحديثة « الطهطاوى فى «تخليص الابريز » ١٨٣٤ وفى « مناهج الالبـاب المصرية » ١٨٦٣ وعلى مبارك فى « علم الدين » ١٨٨٢ وعبد الله النديم فى « التنـكيت والتبكيت » ١٨٨١ وفى « الاستاذ » ١٨٩١ ، والمويلحى فى «حديث عيسى بن هشام « ١٨٩٨ ـ ١٩٠٠ » تستهدف الكتابات الادبية غايات تعليميـة وتربوية ، ولكن الجديد آن المنفلوطى يطبع هذه الغاية بطابع ذاتى او شخصى ، أى يحولها الى علاقة خاصة بينه وبين القارىء وينقل الاغراض التعليمية التنويرية لرواد النهضة فى القرن التاسع عشر الى المجال النفسى والعاطفى . يقول المنفلوطى فى مقال « الحياة الذاتية » :

« انى ما اقدمت على الكتابة للنـاس فى اصلاح شؤونهم ، وتقويم معوجهم ، الا بعد ان عرفت انى استطيع ان انزل منهم منزلة العلم من التعلم ، أما خاصتهم فلا شأن لى معهم ، ولا علاقة لى بهم ، ولا دخل لكلمة من كلماتى فى شـأن من شؤونهم ، فلا افرح برضاهم ، ولا اجزع لسخطهم ، ولانى لم اكتب لهم ، ولـم اتحدث اليهم ولم اشهدهم امـرى ولم احضرهم عملى ، بل انا اتجنب جهـد المستطيع ان استمع منهم كل مايتعلق بى





الرومانسية العليا والرومانسية الدنيا



المنفلوطي

من خير او شر ، لانى راض عن طريقتى التى اكتب بها اياها ، فلا احب ان يشككنى فيها مشكك ، ولم يهبنى الله من قوة الفراسة ما استطيع ان اميز به بين مخلصهم ومشوبهم .. واما نامتهم : فهم بين ذكى قد وهبه الله من سلامة الفطرة وصفاء القلب وسلامة الوجدان مايعده لاستماع القول واتباع احسنه ، فانا احمد الله فى امره ، وضعيف قد حيل بينه وبين نفسه فهو لا يرضى الا عما يعجبه ، ولا يسمع الا مايطربه، فاكل امره الى الله واستلهمه صواب الراى فيه حتى يجعل له من بعد عسر يسرا ، فانا انما اكتب للناس لا لاعجبهم بل لانفعهم ، ولا لاسمع منهم انت احسنت بل لاجد فى نفوسهم أثرا مما كتبت ..

اتدرى لم عجز كتاب هذه الامة عن اصلاحها ؟ لانهم يظنون .. انهم جالسون بين أيدى اساتذة اللغة يتلقون منهم دروس البيان ، فترى واحدا منهم يكتب وهمه المالىء قلبه أن يعجب اللغويين او يروق المتشدقين .. ولا يدخل باب الفراسة ومقاصده ان يتفقد المسلك الذى يجب ان يسلكه الى قلوب الذين يقول انه يعظهم أو ينصحهم او يهذبهم او يثقفهم ليعلم كيف ينفذ الى نفوسهم وكيف يهجم على قلوبهم وكيف يملك ناصية عقولهم .. »
النظرات ٢/٥٧ ـ ٥٨

تحـول كبير

من منظار تاريخ الادب تعبر هذه السطور عن تحول كبير . فلم يعد الهـدف من تطوير اساليب الكتابة التقليدية هـو التيسير على القارىء ، او « ترغيب » القارىء ، او تقريب عالم «الفنون والعلوم الحديثة » اليه ، كما هو الحال عند الطهطاوى وعلى مبارك والنديم . وانما هو تفقد المسالك الى نفس القارىء وامتلاك ناصيته . هدف المنفلوطى ـ كما يعبر عنه ـ هو التواصل على مستوى الخبرة الذاتية والشعورية والفردية .

وجماليات التعبير التى تتراءى له هى جماليات التعبير النفسى وجماليات التوافق بينه وبين القراء ، لا جماليات الاجناس الادبية وتقاليدها ، او جماليـات ادب التنوير او ادب المعارضة .

ليس البيان ـ كما يرى المنفلوطى بحكم هذه النظرة ـ هو اتقان الوان البيـان والمحسنات اللفظية ، وانما هو القـدرة على التعبير عن النفس وعلى التواصل مع القارىء او المستمع ، او كمـا يقول المنفلوطى .

« ليس البيـان الا الابانة عن المعنى القائم فى النفس وتصويره فى نظـر



القارىء أو سمع السامع تصويرا صحيحا لا يتجاوزه ، ولا يقصر عليـــه .. » « النظرات ٦/٢ » .

ويقيم المنفلوطي موهبة الكاتب بمقدار قدرته على التواصل مع القارىء :« الكلام صلة بين متكلم يفهم وسامع يفهم، فبمقدار تلك الصلة من القوة والضعف تـــكون منزلة الكاتب من العلو والاسفاف ... » « « النظرات » ٧/٢ » .

ويعني هذا ـ من حيث النظـرية على الاقل ـ رفض جماليات النماذج والقوالب الادبية المتوارثة ، والتحرر من اساليب التعبير عن الشخصية كما تتجلى في المقامة وفي الرسائل الاخوانية وفي التـــرنم بالمحسنات البديعية ، وفي السجع اللفظي والاوزان اللغـوية ، وفي غير ذلك من اساليب الكتابة التي تعيش على التقليد والاقتباس والتضمين .

فالانجاز المنفلوطي ، أو الجديد الذي استحدثه المنفلوطي يكمن في اســتجابته لجمهور القراء الجديد وفي انتقاله باساليب التعبير من المســتوى غير الشخصي الى المستوى الشخصي أو الذاتي ، ومــن مستوى اللغويات الخارجية الى المستوى الوجداني الشعوري .

نعم ان المنفلوطي يستخدم الكثير من اساليب البيان التقليدية ـ رغم نقده لها ـ لكنه ينقلها من المستوى اللغوي الى المستوى الوجداني العاطفي . ولا يستغني المنفلوطي عن الغريب من الالفاظ والتعابير التي يشرحها في الهوامش ، ولـــكن القارىء ليس في حاجة الى التوقف عند هذه الشروح ، فانه يستوعب الالفـاظ والمقاطع بوقعها النغمي الوجداني وبمعناها الاجمالي الايحائي الذي يوحي به السياق فهذه الالفاظ لن تعوق مساره .

في اطار الاسلوب المنفلوطي يغني رنين اللفظ الغريب عن معناه ، والمنفـــلوطي كثيرا ما يغرب من أجل الرنين والوقـع الايحائي .

ويسترجع يحيى حقي « من مواليد عام ١٩٠٥ » كيف استوعب جيله نصـــوص المنفلوطي فيقول :

« كان « المنفلوطي » من أعز الناس لدى الجيل الذي أنا منه .. ان سحره لا يقاوم وفضله علينــا عظيم .. ولو انه رحمـــه الله أكبر مســئول عن دموع ماقينا وزفرات صدورنا . ونحن نقرأ له « العبرات » و « مجدولين » او « تحت ظلال الزيزفون » . لم نبال أن نسأل «مامعنى الزيزفون » . مهما يكن معناها يكفي أن لها رنينا جميلا له طعم حلو في الفــم ويغمرنا بلذة رقيقة توحي بالاحلام . الا ترى انها تصلح اسما لآلة موسيقية ؟ » .

« يحيى حقي « خليها على الله » ـ كتاب الهلال ١٩٥٦ ط ٢ ، الكاتب العربي بدون سنة ، ص ١٢٧ » .

رومانسية عليا ودنيا

حين يربط المنفلوطي مفهوم الادب والبيان « بالصدق » ، فانه يعني التعبير عن الذات والشعور ، ومشاركة القارىء في مشاعره واحزانه او في بؤسه وشقائه ، كما يقول في مقدمة « العبرات » ، ويعبر عن ذلك في مقدمة « النظرات » فيقول :

« كان أشعر الشعراء عندي واكتـــب الكتاب .. اوصفهم لحالا ت نفسه او اثر



الرومانسية العليا والرومانسية الدنيا



العقاد

مشاهد الكون فيها ، والقدرة على تمثيل ذلك وتصويره للناس « ص ١٠ » اما من يصف في حالات نفسه ، فقد يكون « عالما » او انسانا « ذكيا » ، « ولكنني لاأعده كاتبا او شاعرا » ص ١٦ » .

وعلى نحو مماثل يفرق المنفلوطي في مقال اخر بين « الشاعر » و « الناظم » فميزان الشعر هو « التأثير » ، وقدرة الشاعر على « رفع ذلك الستار المسبل بينه وبين السامع » « النظرات » ٢/ ٢١٠ » .

وحين يربط المنفلوطي مفهـوم الادب الجديد بالذات والشعور والصدق فانه يعكس مطلبا عاما من مطالب العصر عند مطلع القرن ، فهذا المطلب من دعـائم المنفلوطية والجبرانية « نسبة الى جبران خليل جبران » ومن مفاهيم التيـارات الادبية المغايرة ، اذ هو في الجوهر تعبير عن شيء مشترك الا وهو بزوغ شعور الفرد بذاتيته وبحريته واستقلاله ، وان تفاوت هذا الشعور من حيث الوضوح والوجهة ، وان اتسم - بحكم نشأته التاريخية المتاخرة في مجتمع مستعمر - بالغموض وعـدم وضوح الوجهة « ولعل افضل تعبير عن هذه الصعوبة هو مصطفى كامل ، في عاطفته الوطنية الرومانسية وفي مسالكه الكفاحية » .

وقد لا نتصور وجهة راديكالية مغـايرة للمنفلوطية كوجهة العقاد ، الذى ادرج المنفلوطي في عداد « المنشئين » لا « الكتاب » وبالرغم من ذلك فمحور مفهوم « الادب » عنده « مفهوم « الادب الرفيع » بطبيعة الحال » هو الصدق ، والشـعور والتعبير عن النفس . كتب العقاد عشرات المقالات شارحا ماهية الادب والشـعر ، والحب في هذا المجال . ومهما اجتهدنا في تفسير ماكتب ، فلن نخرج في النهاية الا بحصيلة واحدة ، معيار الادب والشعر هو الصدق بمعنى قدرة الشاعر على التعبير من نفسه وعن سريرته وعلى الترجمة عن عالمه وعصره الذى يراه في نفسـه . فالاحساس « هو اللهب المودع في خزانة النفس وهو الثروة الشعرية التى يقاس بها سراة الكلام . »

« العقاد : « ابن الرومي ، حيـاته من شعره » ، ١٩٣١ ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٧ » وان خرج الشاعر عمـا يحس ويشعر فهو مقلد ، « صناع او ناظم » ، وليس شاعرا مهما اجاد « « الديوان » ١٩٢١ » .

● نظرة المنفلوطى الذاتية ونظرة العقاد العلوية

ليس الفارق كبيرا بين مايقوله العقاد، وما يقوله المنفلوطى ، بل هما يتفقان فى النظر الى « الشعر » على انه اعلى مراتب البيان ، ولكن ليس الشعر كقالب ادبى وانما كتعبير شعورى ويعتبر المنفلوطى « نظراته » و « عبراته » من هذا الباب من ادب « الحياة الشعرية » . الخلاف هو أن العقاد يتجه – منظرا – بمفهوم « الاحساس » و « الشعور » الى افق عليا ترفع الشاعر أو الاديب الى مرتبة « الكشف » و « النبوة » او « التفرد » فى حين يقنع المنفلوطى – كاتبا – بالتعبير عن ما سماه الام الناس واحزانهم . الفارق بينهما بتعبير اصطلاحى هو الفارق بين « الرومانسية العليا » او « الرومانسية الدنيا » ، والاصطلاحان هكذا ماخوذان من تاريخ الادب العربى الحديث .

حين يعيب العقاد على المنفلوطى انحصاره فى تصوير الام الفاقة والجوع و « المصائب الجسمية » ، لا يعيب عليه قصور رؤيته الاجتماعية وجهله بالبنى الطبقية اواغفاله التام للمجال السياسى ، وانما يقارن فحسب بين هذه الالام المحدودة ، وبين « الام التشوق الى ماوراء الانسانية » والام التطلع الى المجهول .

فالعقاد يواجه نظرة المنفلوطى الذاتية المحدودة بنظرته الفردية المثالية الرومانسية او العلوية الرومانسية غير المحدودة .

وبالمثل يواجه اللازى ذلك الانسان الباكى المستضعف الذى يمثله المنفلوطى بالشاعر الالمانى جوته « ذلك البطل الذى ثرت عنه ثورة كاليل » كما يقول . ولا يحتاج الى بيان ان العقاد يتحدث من مواقع التفرد وبعصبية النخبة المتعالية التى تحرص على بيان الحدود التى تفصلها عن الاخرين ، والتى تخشى الهبوط الى مدارك العامة واحاسيسها وشواغلها او قل انها تخشى ملامسة الواقع المتاخر « الوضيع » . ولم يتكلف العقاد عن وصف عامة الناس « بالغوغاء » او « الدهماء » لكن هذه فى النهاية هى قضية العقاد ، ودراما اللاهبية الفردية المتطرفة . اذ كيف يستطيع الاديب والشاعر ان يحس ويشعر مع هذا الترفع ومع الخوف من ملامسة الواقع ؟ فالانحصار فى الذات وشموخ التفرد يؤديان بالضرورة – ان اجلا او عاجلا – الى تفريغ الذات من المحتوى ومن ثم الى اضرام نيران التعالى والتجبر

وقد نسب هذا الموقف عن حق الى نشاة العقاد وعصاميته وتكوينه النفسى ، ولكن ايا كانت المنابع الذاتية لهذا التعالى العقادى ، فانه يصدر ايضا فى الاعماق عن شعور العجز ازاء الواقع المتاخر المتردى مثله فى ذلك مثل الاستبكاء المنفلوطى ، ومن ثم كان الانكباب على مملكة الادب فى الحالتين . ومن ثم كان « تمجيد الفن » واللغة كقيمة فوق الانسان، وطغيان الادب فى هذه الحقبة على ماعداه ، وتغلغله فى الفكر السياسى والاجتماعى والتاريخى . وتشترك الرومانسية المنفلوطية والرومانتيسية العقادية معا فى انهما دون وجهة ثورية ودون منظور تاريخى ●

الدكتور البهيّ

مفسّراً للقرآن ومفكراً

بقلم : أنور الجندى

● عبر الدكتور محمد البهى الى العالم الاخر خلال شهر ذى القعدة ١٤٠٢ وافضى الى ما قدم وترك من ورائه ثروة علمية ضخمة فقد توفر خلال العقدين الاخيرين من عمره على دراسات واسعة فى الفكر الاسلامى « السياسى والاجتماعى والاقتصادى » من وجهة نظر اصيلة جامعة لمفهوم الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وعمد مثل الاستاذ الامام محمد عبده الى « القرآن الكريم » فانطلق من تفسيره يقدم منهجه ويكشف من حقائق جديدة عن المادية والوثنية التى جاء الاسلام للقضاء عليها وواجه حقائق المجتمعات العالمية اليوم الغارقة فى مذاهب التفسير المادى للتاريخ والنظرية المادية فى مقارنة عميقة واضحة وعرض فى سبيل ذلك الى عديد من القضايا والمواقف خاصة فى شأن « العلمانية » و « الواقع الايدلوجى » ومشاكل المجتمعات الاسلامية ونظم الحكم ، والاقتصاد والاسرة ولم يدع قضية من القضايا الثائرة فى العصر الحديث وخاصة فى المجتمعات الاسلامية الا كشف وجه الحق فيها فى اصالة واقتدار ومن خلال مفهوم الاسلام الصحيح وفى جراة العالم المسلم الذى لا يخشى فى قوله الحق لومة لائم وقد حاولت ان استكشف نفسية هذا الباحث العامية لاعرف العوامل التى مكنته من هذه القدرة الواضحة والصراحة الصريحة ، والجراة فى كلمة الحق واعتقد ان مرد ذلك الى عدة عوامل منها :

اولا : ان الدكتور محمد البهى قد تعلم فى الازهر على النظام القديم الجامع الذى كان ينتظم حول المواعيد والحلقات فاستطاع ان يدرس علوم الازهر دراسة جامعة كمفهوم الاسلام نفسه لا على النحو الذى ابتدعته الدراسات الحديثة «توحيد ـ لغة ـ شريعة » والذى كانت له مقابيله الخطيرة فى الازمات التى واجهها العالم الاسلامى فى هذا العصر من حيث التخصص فى العقائد او فى اللغة او فى الشريعة على نحو ما كنا نسمع عالم الازهر يقول : انا متخصص فى كذا ولذلك فان معلوماتى فى كذا قاصرة ، كان علماء الاسلام فى عصور ازدهاره معتمدين على فهم اصيل جامع للاسلام كله عقائده وشريعته ولغته



الدكتور محمد البهى



وقبل أن يتخصص أحد العلماء فى فرع من فروع الشريعة كان يصبح ملماً بكل الفروع وكان يعامل هذه المادة على انها قطاع من الفكر الاسلامى ليس مستقلاعنه ومن هنا كانت سلامة نظرة الدكتورالبهى لتكامل الاسلام فضلا عن توفره على كتب الامهات الازهرية التى ربت أجيالا على القدرة التمكنةمن الجدلودحض الشبهات. هذه المناهج التىكان يخشاها المستشرقون والتى حرم منها الأزهر فى انظمته الحديثة القائمة على كتب الملخصات والمختصرات وقد برز هذا النهج فى مختلف دراساته

ثانيا : ان دراسة الدكتور البهى فى الغرب وخاصة دراســـــته لعلوم النفس والفلسفة كانت عاملا هاما فى فهم الرجل لقضايا الاستشراق ودوافع التغـــريب وللسموم التى حاولت المنـــاهج الغربية ادخالها الى الدراسات الاسلامية ـ ولذلك فقد كان ذهاب الدكتور البهى للغـــرب كسبا للاسلام على النحو الذى كسب به الاسلام الاستاذ محمد المبارك والشـــيخ عبد العــــزيز جاويش ومالك بن نبى والدكتور يحيى الدرديرى وغيرهم من الذين كانت اماناتهم للاسلام قوية قبل سفرهم ثم جاءت معرفتهم لمناهج الغرب عاملا من عوامل القوة فى كشف هذه الســـموم وتعريف المسلمين بهذه المحاولات الخفية ويظهر ذلك واضحا فى المقــــارنة بين الدكتور محمـــد البهى وبين الدكتور طه حسين أو على عبد الرازق مثلا هـــؤلاء الذين احتواهم الغرب وجعلهم من اوليائه

ومن يطالع الفصول التى كتبها الدكتور محمد البهى فى كتابه الفكر الاســـلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى يجد هذا الاتجاه واضحا كذلك فقد كان على اقتدار واضح فى معرفة مفاهيم الغـــرب فى : العلمانية والاشتراكية والديمقراطية والراسمالية وقد اشترك الدكتور البهى فى عديد من الملتقيات وكان بارز الحجة واضح الاداء ملفتا للنظر باقتداره وجرائه

ثالثا : هناك ظاهرة واضحة فى كتابات الدكتور محمد البهى : تلك هى تدفقه وحماسته وايمانه الذى يوحى بالشـــباب فى العقد الثامن من العمر وهـــو تدفق وحماس وايمان محكوم بالعقـــل والمنطق وليس من نوع الحماسة المندفعة ولكن فى



غيرة صادقة ضئيلة على الدعوة الاسلامية وعلى التحديات التى تواجهها

والحق اننى ما رايته مرة « رحمه الله » الا واحسست انه فى قمة شباب النفس والروح ، مبتسما جزلا ، هادىء البال ، طيب النفس منطلقا يتحدث فى احاطة بموضوعه قادرا على العطاء فى آفاق الفكر الاسلامى ، مليئا بالامل فى مستقبل الاسلام ولكن هذا السراج مالبث ان انطفأ فجأة فى سن التاسعة والسبعين بعد حياة عريضة حافلة فى ميدان الفكر والبحث وترك مجموعة ضخمة من الآثار العلمية التى تتميز بطابعها التحليلى حيث تركز على كشف الزيف حول «الايديولوجيات الوافدة » وقد اولى عناية كبرى نحو : المنهج الاقتصادى الماركسى وتوجيه الاقتصاد الاسلامى نحو منهج الاسلام

ولقد عنى الدكتور البهى منذ وقت باكر بالتربية الاسلامية وكشف زيف منهج « ديوى » المادى وابان من اخطائه وقصوره وعدم صلاحيته للمجتمع العربى الاسلامى وكان ذلك وهو فى موضع المسئولية عن الثقافة فى الازهر .

رابعا : فرغ نفسه فى السنوات الاخيرة لتفسير القرآن الكريم ليكشف عن جذور الفكر المادى ، وعنى بتفسير السور المكية قبل الهجرة لدراسة المجتمع الجاهلى وقضاياه وتحدياته المتشابهة مع المجتمع العالمى اليوم .

يقول : ان التفسير الموضوعى ليس تفسير جملة من الايات لاستخلاص مضمونها فى وحدة قرآنية واحدة وانما هو استخلاص مضمون الكتاب ككل من نظرة موضوعية شاملة او استخلاص موضوع محدد ، كمنهج القرآن فى تطوير المجتمع او موقف القرآن من المادية او استخلاص هدف السورة الواحدة وما عنيت بابرازه فى اطار الدعوة كلها مرة ثالثة .

وعنده ان هدف القرآن ككل هو «1» مقاومة الشرك المادى او الوثنية المادية « ٢ » تصحيح ما وقع من تحريف اهل الكتاب فى رسالة الله السابقة « ٣ » بناء المجتمع الاسلامى طبقا لتطوره بعد قيامه بيثرب على اساس : التكافؤ فى الاعتبار البشرى والتكافل فيما بين افراد المؤمنين جميعا ، فيما يحقق بينهم العدل الاجتماعى بالبعد من الاسراف فى الاستمتاع بالمتع المادية المتاحة فى محيط الناس »

وهكذا امضى الدكتور سنوات عقديه الاخيرين فى تفسير القرآن فى ضوء التحدى الذى يواجه المجتمعات العالمية اليوم وهو الفلسفة المادية ففسر خمسا وعشرين سورة مكية وكانت احاديث الصباح فى الاذاعة العامة ايام السبت هى قطع مختارة من هذه التفاسير ، وكانت ردوده على اسئلة « راى الدين » نوعا آخر من الاجابات وكانت ردوده على اسئلة بريد الاسلام نوعا ثالثا يتعلق بالقضايا الاجتماعية . ولقد كشف الدكتور البهى كل الشبهات التى اثارها خصوم الاسلام ودحضها وقدم وجهة نظر الاسلام فى قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة على نحو خالص صادق مجرد من كل مطمع او هوى او غرض .

وحرص على ان يدحض فكرة من يقول: ان الاسلام ثورة اذ الثورة شىء موقوت

اما الأسلام فهو دعوة عامة جامعة خالدة قائمة الى يوم البعث .

ان الدكتور محمد البهى هو نموذج صادق للنتاج الطيب الذى قدمته حركة اليقظة من خلال تطور مفهوم الاصلاح الاسلامى الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده والذى قامت به مدرسة « رشيد رضا ، مصطفى عبد الرازق ، المراغى » هذه المدرسة التى مهدت الطريق لظهور هذا الجيل من الباحثين الرواد الذين صدقوا الله فى فهم الاسلام وقدموه على نحو صحيح ومنذ بدات كتابات الدكتور محمد البهى فى مجلة الرسالة ١٩٣٧بعد عودته من المانيا وحصوله على الدكتوراه كان واضحا ذلك الاتجاه العميق الصادق الملىء بالامل فى دراسة الفكر الاسلامى دراسة علمية صحيحة ، غير أن الدكتور البهى شغل نفسه خلال فترة طويلة بالأعمال الادارية فى الازهر ووزارةالاوقاف وهذه مرحلة ليس هذا مجال تقييمها حتى اتيح له أن يتفرغ مرة اخرى الى العمل الثقافى الخالص عام ١٩٦٥.وليس اصدق من عباراته تصوير الاسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى : « انالاسلام ابعد القبلية وابعد العنصرية » وابعد الشعوبية فى تلاحم الافراد ، وفى قيام المجتمع ، وارتفع الى مستوى الهداية الاسلامية التى جاءت من الله سبحانه وتعالى وجعلها الرباط بين الافراد جميعا، فالاخ المسلم بايمانه اخ للمسلم وان كان غريبا فهو الترابط جعل التماسك اكثر « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا» فى الدين ، فى الله ، فى الايمان به سبحانه وتعالى مضافا الى هذا المبدأ وهو الاساس ، وهو الارتفاع او الغاء القبلية والغاء الشعوبية »

من هذا المنطلق عمل الدكتور البهىحتى اتم رسالته على النحو الذى قدره الله تبارك وتعالى له فبقى حافظا هاما فى قاعدة اليقظة الاسلامية المعاصرة وهذا اجمال له تفصيل : رحمه الله رحمة واسعة ●

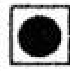
تقدير كاريكاتيرى !

قال رئيس تحرير احدى الصحف لافضل رسامى الكاريكاتير فى صحيفته : « انت ثانى اعظم رسام كاريكاتير فى العالم » • وكان احد المحررين واقفا ، فسال رئيس التحرير عمن يكون اعظم رسامى الكاريكاتير فى العالم ، فرد رئيس التحرير « لا اعرف ، ولكنى اقول له ذلك حتى يحاول على الدوام ان يحسن انتاجه » •

الفنان عبد العزيز درويش

هل الحيّ أبقى من الميّت ؟!

بقلم : محمود بقشيش



حدثت ولا تزل الموسم التشكيلي في بدايته بعض المواقف البيروقراطية التي يجب التنبيه الى اخطار الاستمرار فيها ، كما حدث أيضا ان ابتدأ الموسم بداية جيدة من حيث مستوى الأعمال الفنية وتأمل ان نلتقي خلال الموسم ما يدعونا الى التفاؤل . واول هذه المواقف هو موقف اخلاقي سببه من معرض استاذ لاجيال من الفنانين منهم على سبيل المثال كل اساتذة قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة الآن . فلم يفكر مسئول ان ينشر خبر في الصحافة قبل الافتتاح ، ولم ترسل دعوات ولم يطبع كتالوج حتى نهاية الاسبوع الاول وربما طبع بعد ذلك !. ولم يكتف الموظفون بهذا الاهمال بل ابدعوا ما يستحقون عنه جائزة في التألق . فالطبيعي ان توضع في مدخل المعرض لوحة باسم الفنان صاحب المعرض ، ولكنهم رأوا ان « الحي ابقى من الميت » فوضعوا اسم الفنان مصطفى عبد المعطي بدلا من الفنان عبدالعزيز درويش صاحب المعرض ، باعتباره رئيس الهيئة كدعاية لمعرض له في قاعة اخناتون ، لكنهم رغم ذلك لم يحققوا الدعاية الكافية حيث لم يشاهد الافتتاح سوى خمسة اشخاص كان الفنان مصطفى عبد المعطي واحدا منهم !.

كان الفنان الراحل عبد العزيز درويش استاذا حقيقيا ، طيبا ، امينا ، محبا لطلبته ، وعلى الرغم من أن المجموعة المعروضة لا تمثله تمثيلا دقيقا الا انها مع ذلك تفصح عن حساسية فائقة ، وقدرة على بث عجينة اللون مكنونات الفنان .

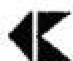
كان عاشقا للطبيعة ، واشتمل معرضه على : المنظر الطبيعي ، الطبيعة الحية والصامتة ، والبورتريه . ضم المعرض مناظر من اسبانيا حيث سافر للدراسة عام ١٩٤٢ ، ومناظر من الطبيعة المصرية كانت اكثر توفيقا .. ربما للفروق التجريبية . تميز بعضها بذكاء وحساسية في التحليل . فتحليله للاعشاب والزهور كان تحليلا موسيقيا ، فالمسات راقصة ، حية . وقد ينتمي الفنان عبدالعزيز درويش الى التأثيريين الا انه يبدو مستقلا عنهم في كونه عاشقا للكتل الملونة ، فلم يشغله مثل



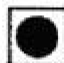


اغلبهم الاستغراق فى اصطياد الضوء الملون على حساب الكتلة . ولمساته - غالبا - لا تفتت الأشكال الى نقاط او بقع لونية ، ولكن لمساته لمسات بنائية اقرب الى لمسات سيزان ، وان لم تفقد شحنتها الانفعالية ، وتوترها . ولا تخلو لوحاته من روح الدعابة التى كانت تميز شخصيته ، ففى لوحة عباد الشمس يضع لعبة فى شكل ارنب الى خلف بورتريه جاد .. وهكذا . ويظهر حنوه الشديد عندما يتناول الوجه الانسانى ، ففى لوحة « السيدة العجوز » ، تظهر السيدة متاملة فى حزن وانكسار يحرك فيك الشفقة نحوها ، وفى هذه اللوحة يقترب من الرؤية التسجيلية الا انه يفاجئنا بلمسات صريحة تحد من المحاولة الاكاديمية .

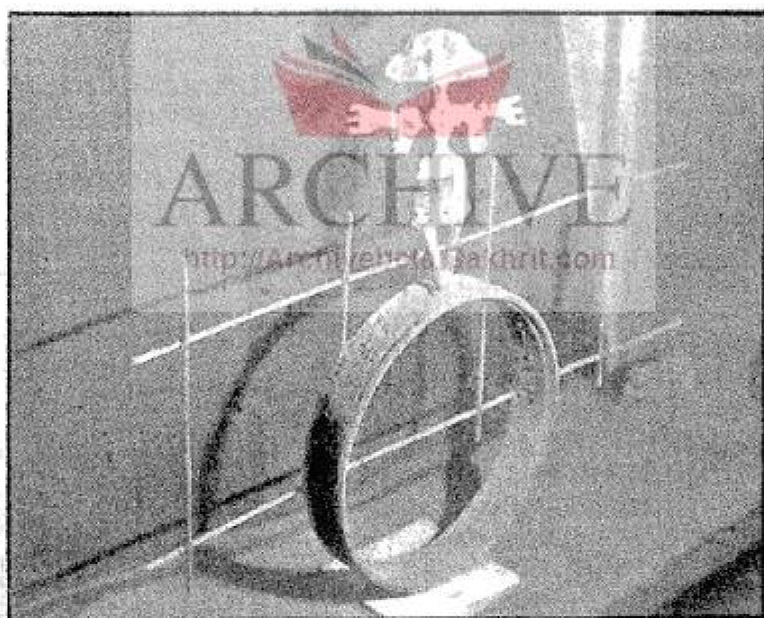
نرجو أن تعمل وزارة الثقافة على اقامة معرض شامل له ، ويقدم بالطريقة اللائقة لفنان واستاذ صنع فنانين عديدين تفخر بهم مصر .



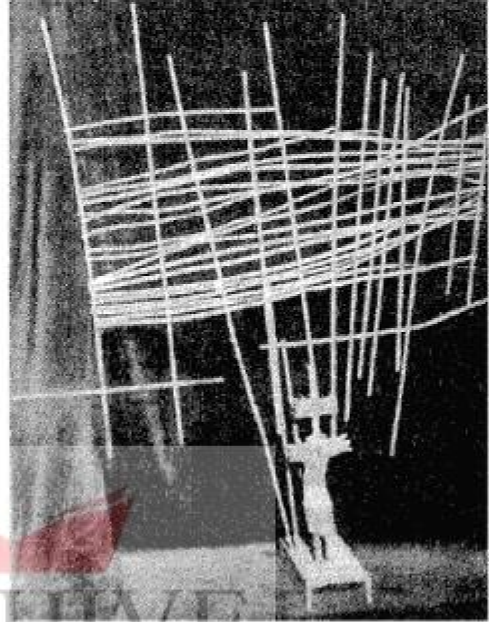
الفنان صبحي جرجس
والمصالحة مع الفراغ



اقام الفنان المثال صبحي جرجس رئيس قسم النحت بكلية الفنون الجميلة معرضا بقاعة اخناتون بالزمالك . واقام معرضه الاول بقاعة اخناتون الاولى بجوار سينما قصرالنيل، وقوبل المعرض فى ذلك الوقت بما يشبه الرفض وتساءل بعض النقاد ان كانت الاعمال المعروضة تستحق الانتماء الى فن النحت ، فهى اقرب الى العرائس الخشبية ، او العرائس العجين او الورق التى كانت تصنعها الامهات ضد الحسد . وان تلقائيتها وخشونتها ،



جولة المعارض



تتسق مع استاذ للنحت بكلية الفنون ، غير أن اصرار الفنان على المضى فى طريقه، ووجوده فى كل المعارض العامة بالاضافة الى معارضه الخاصة ، قد أوقف الشعور بالصدمة التى حدثت فى اللقاء الاول ، واعتاده الجمهور والنقـــاد ، وتذوقوه واعجبوا بعالم البراءة التى تعكسها اغلب اعماله ..

ان اشكال الفنان « صبحى جرجس » تبدو متخففة من الجـــاذبية الارضية ، تمارس توازنها فوق اشكال غير مستقرة ، مدافعة عن كيانها من خلال مسامير حادة فى خلفيتها ، وتبدو اشكاله طويلة الرقبة او تقف على رأس عمود طويل ، وهـو يعمد الى ذلك ليترك — على حد تعبيره — مجالين مطلقين للفراغ من اليسار واليمين ليلعبا دوراً فى المصالحة بين الشـــكل والفراغ . ويرى الفنان «صبحى جرجس» أن هذا هو الجديد الذى يقدمه ، فاذا كان « هنرى مور » قد قدم الكتلة فى حالة صراع مع الفراغ ، حيث يقتحم كلا العنصرين العنصر الآخر ، وقـــدم « جياكومتى » اشكالا متآكلة بفعـــل الفراغ ، فان الفنان « صبحى جرجس» قد قدم — حسب تعبيره — الصلح الفراغ .

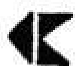
ان منحوتات صبحى جرجس تبـــدو متخففة من البعد الثالث الا ان الفنان ابرزه من طريق طيات سطح المعدن ، او حركة رقائق المعدن فى الفراغ ، او وضع خلفية خلف « الشخص » واحاطته بتنويعات من معدن البرونز ذات سمك وحجم متباين .

يقول الفنان : اليست خيوط العنكبوت اشكالا فى الفراغ ؟ ..

انن هى تصوير أم نحت ؟! لقـــد استلهمتها فى اعمالى ، فانا اريد للضوء ان يسقط دفعة واحدة على الشـــكل كله .

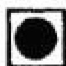
ان اعماله تبدو متأثرة برسوم الاطفال، والفنون الفطرية ، وعندما سألته من ذلك انكر تأثره بذلك ، ولكنه يرى اعمـــاله هكذا مجسدة .. بشكل غريزى !.

ان العالم الذى تعكسه اعمال الفنـــان « صبحى جـرجس » هــو عالم البراءة الدائمة ، رغم القلق العارض ، والمسامير الحادة ، والملامس التى تبدو احيـــانا خشنة .. ومتحدية !■



الفنان أحمد شيحه

العرض الأول بعد عروض الغربة



وفى قاعتى عرض اتيليه القاهرة للفنانين والكتاب اقيم معرض الفنان « أحمد شيحه » والفنان كان يقيم فى بيروت اكثر من عشر سنوات الى ان اضطرته ظروف الحرب الهمجية التى شنتها اسرائيل فى لبنان الى العودة . وهذا هو معرض الفنان الاول فى وطنه ، وعرض من قبل العديد من المعارض فى بعض الدول العربية والاوربية ، وقوبلت اعماله باستحسان



جـولـة المعـارض



النقاد والجمهور الذى اقبل على شراء لوحاته . والفنان احمد شيحة فنـــان عصامي . علم نفسه الفن ، وقدم العديد من المستنسخات لكبار الفنانين الكلاسيكيين

في معارضه جنبا الى جنب مع محاولاته التجريبية .

يمكن اجمال مراحل الفنان في ثلاث مراحل انتقل خلالها من الاحتفال بالقضايا العامة الوطنية الى الانشـغال بمـا هو انساني عام ، ثم الخروج من كل هذا الى الطبيعة البكر يحاول استلهامها . ففى المرحلة الاولى كان يعبر عن قضية النضال الفلسطيني واللبناني ضد اسرائيـــل ، انشغل بعد ذلك بموضـــوع « المرأة » واستلهم اشعار شاعر الغزل نزار قباني في العديد من اللوحات . ثم ها هــو اخيرا يلوذ بالطبيعة والارض ، والنبات وربما كان حسن الحف لانه لم يتلق في البداية دراسة اكاديمية تشكل ضـــغطا عليه ، لهذا فقد اتسمت مراحله المختلفة بالتلقائية . يبدو الفنان في مرحلتــه الاخيرة متجهـــا الى اختزال الطبيعـــة وتجريدها والاكتفاء بما هو ضروري منها . اشكال نباتية بلون واحد او اكثر تتحرك على ارضية بيضاء . تبدو كما لو كانت قطعا خزفية .

ان المعرض ـ على المستوى العاطفي ـ يعكس حماسا ، ورغبة في احتلال موقـــع طيب في الحركة التشكيلية ، وعلى مستوى الفن يعكس محاولات تامل لها ان تقيم حوارا حيا مع الاتجاهات الفنيـــة الاخرى ●

روايات الهلال تقدم

أربع مسرحيّات ضاحكة

من شدّة الحُزن

بقلم: على سالم

تصدر في: ١٥ نوفمبر ١٩٨٢

ساحرات جيمس بوند فى السينما

بقلم: عبد النور خليل

● تقمص الممثل الانجليزى شــون كونرى شخصية رجل المخابرات الجاسوس المتوقد الذكاء المنتصر دائما « جيمس بوند » .. الشخصية التى ابتكرها الكاتب الانجليزى ايان فليمنج ونسج حولهـا مجموعة من الأساطير والمغامرات الخارقة التى تجمعت فى واعيته من حصيلة سنوات عمله كجاسوس انجليزى « فى خدمة جلالة الملكة » وتنقله فى مناطق مختلفة من العـالم .. أعطى فليمنج بطله « جيمس بوند » هذا « رخصة القتل » وأسبغ عليه صفة الذكاء والتفوق واخرجه دائما منتصرا من كل مغامرة يخوضها مع أعتى العقول وأخطر أجهزة المخابرات والجاسوسية فى العالم .. وأحاطه دائما بمجموعة من أجمل نساء العالم ، ومن كل الجنسيات ، أغرمن به وكان هذا الغرام نقطة الضعف الثانى الذى يفتح له دائما طريق الانتصار .. وعرفت السينما العالمية شون كونرى

كيم بلسنجر « دومينو » فى فيلم بوند الجديد « لا تقل لا مرة أخرى » ..



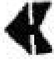


ساحرات جيمس بوند



نستاسيا كينسكى .. اختطفتها هوليود لتحيطها بكل فرص النجاح ورشحوها ساحرة لبوند

وشخصية جيمس بوند فى سلسلة من الافلام المثيرة التى حققت رواجا تجاريا عالميا مثل « دكتور نو » و « من روسيا مع حبى » و « فى خدمة جلالة الملكة » « وكازينو رويال » و « الجواهر تدوم للابد » .. والى جانب العدد الكبير من ساحرات جيمس بوند ، اللواتى ملأن الشاشة فتنة وسحرا مثل دانيلا بيانكى وميلين دومنجو ، كانت هذه الافلام تعتمد فى تنفيذها احيانا على بعض الخدع العلمية الصغيره التى تثير خيال المتفرج، فضلا عن الهدف الموضوع بعناية فائقة لها كافلام جاسوسية ذات مضمون سياسى استغل دائما لعبه السباق بين اجهزه المخابرات فى الدول الغربية والدول الشيوعية ، والتى تقول دائما انمخابرات الغرب بفضل جيمس بوند وسواه أكثر ذكاء وتفوقا ..



تمرد جيمس بوند

وعلى الرغم من الشهرة الضخمة التي حققها شون كونري عالميا من وراء شخصية جيمس بوند ، ضاق كونري باسار هذه الشخصية ، واقتنع بينه وبين نفسه انها لا تضيف على الاطلاق اية أبعاد انسانية لعمله كممثل سينمائي طموح ، يريد لنفسه البقاء والاستمرار ، ويريد ان يندرج في سلك من يرشحون للاوسكار ويحصلون على جوائز المهرجانات الدولية ، لا ان يقال عنه فقط « الجاسوس ٠٠٧ » والرقم والصفران تعني عند فليمنج «رخصة القتل» وانه يمثل الوجه القبيح للانسانية ، ويلعب دورا حقيرا وتافها في مخططات سياسية تدعو لتفوق الجواسيس وسيادتهم على كل معنى انساني نبيل .

كره شون كونري الشخصية وتمرد عليها ، واعلن انه قد خطط لنفسه مستقبلا سينمائيا يحرره من شخصية «جيمس بوند» الكريهة هذه .. وانفصل شون كونري بالفعل عن الدور وعن افلام جيمس بوند ليمثل فيلما اسمه « التل » .. واضطر منتج افلام جيمس بوند ومحتكر قصصه بعقد مع ورثة الكاتب الانجليزي الراحل إيان فليمنج الى ان يختار ممثلا انجليزيا آخر هو روجرمور الذي كان قد اشتهر بدور « القديس» في مسلسلة تليفزيونية ناجحة اكسبته شهرة عريضة .. وخلال السنوات الخمس الاخيرة اصبح روجرمور هو « جيمس بوند » وكان اول افلامه هو « الجاسوسة التي احبتني » امام ساحرة جديدة ، مليئة بالاغراء والفتنة هي بربارا باخ الانجليزية التي عاشت في روما وبدات رحلتها في السينما من هناك .. وفي آخر الافلام التي مثلها روجرمور لشخصية جيمس بوند وهو فيلم « من اجل عنيك فقط » احاط المنتج روجر مور باكثر من ثماني فاتنات من اجمل ممثلات العالم ، بل ان المنتج عندما قرر ان يقيم «افيشا» للدعاية للفيلم اثناء انعقاد مهرجان كان السينمائي الدولي في العام الماضي على مدخل فندق الكارلتون .. اقام مسابقة لممثلاته ليختار اجمل ساقين يصور بينهما روجرمور مقيدا على الارض ، بينما الفتاة ذات الساقين الجميلتين تسحب عليه مسدسها ونصب الافيش « الاعلان » بارتفاع فندق الكارلتون .. وفي الوقت الذي استمر فيه روجر مور في اداء شخصية جيمس بوند ، استمر شون كونري في تمثيل افلام اخرى ، مثل دور رجل البوليس القاسي المتحجر السريع الانفعال الذي لا يتوانى عن اطلاق مسدسه لكي يقتل ، لكنه مع الاسف وجد نفسه ينحدر من فشل الى آخر ، ولم يسجل اي تقدم كممثل عاش ، يمثل ادوارا عادية ، وبدأ يعيد ترتيب حساباته .

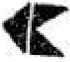
عودة الذئب العجوز

وفي نفس الوقت ، لم تحقق مجموعة افلام « جيمس بوند » الاخيرة التي مثلها روجر مور النجاح التجاري الذي اعتادته هذه النوعية من الافلام في الفترة الاولى التي كان يمثل فيها شون كونري شخصية « بوند » .. فقد كان كونري بالفعل قد ترك بصمات شخصية على « بوند » وكان بوجهه الايرلندي الملامح ، الخشن التقاطيع ، اكثر اقناعا من روجر مور الوسيم الازرق العينين .. وبدات المفاوضات من جديد ليعود شون كونري الى تقمص شخصية جاسوس بارنيج الجري ، الذي لا توقفه عقبة : جيمس بوند .

وفي اواخر سبتمبر الماضي بدا شون كونري تمثيل احدث افلام « جيمس بوند »



باميلاسيو مارن



وهو فيلم « لا تقل لا مرة اخرى » في اعقاب نجاح المنتج جاك شوارتزمان في اقناع شون كونري بالعودة الى تمثيل الشخصية التي حققت شهرته عالميا ،وبدأ المخرج ارفين كير شنر في تصوير الفيلم في هوليود لحساب شركة وارنر ، ولن يعرض فيلم العودة هذا الا في صيف عام ١٩٨٣ .

ساحرات جيمس بوند

على عادة مؤلف روايات «جيمس بوند» الكاتب الانجليزي ايان فليمنج ، تمتلىء قصصه بمجموعة من الفاتنات الساحرات اللواتي يصادفن بوند في مغامراته ..

وهاته الساحرات دائما وابدا يقفن في الجانب المعادي لبوند ، لكن الواحدة منهن ـ لا تلبث ان تتابعه ، وتحاول ايقاعه في حبائلها وشباكها ساعية بالطبع الى سلبه الاسرار التي يحصل عليها ، او افشال العملية التي يقوم بها ، فاذا بها ضحية له ولرجولته وتقع في غرامه ، فيسهل له الانتصار عليها وايقاعها في حبائله واستغلالها لتحقيق مآربه .. ومن الطبيعي جدا ، ان تكون كل واحدة من فتيات بوند ، على استعداد لان تفعل اي شيء للوصول اليه وسلبه قوته وتفوقه .. وفي بعض الاحيان يجد بوند نفسه امام سلاح فتاك تشهره الفاتنة منهن ، مسدس قاتل مزود بكاتم للصوت او

تان كامبون .. واحدة من ثمانية ساحرات حول روجرمور في « من اجل عينيك » ..



ساحرات جيمس بوند

شرك لفتاك كمصيدة الاسود تقوده اليه مخدرا بالحب ، هذا الى جانب سلاح الفتاة الطاغية .

دومينو وساحرات بوند الجديد

وترتبط عودة شون كونرى لتمثيل شخصية « جيمس بوند » باحاطته بمجموعة من الفاتنات الجدد ، اللواتى حققن بعض النجاح على الشاشه فى فيلم او فيلمين ، او من خلال بعض المسلسلات التليفزيونية التى اثارت بعض الاهتمام العالمى وحققت لممثلاتها خاصه الفاتنات الصغيرات منهم بعض الشهرة .

تمثل دور البطولة المطلقة امام شون كونرى فى احدث افلام بوند التى تصور الان فى هوليود « لا تقل لا مرة اخرى » . الممثلة الجديدة كيم باسنجر .. تلعب

اماندا لير .. مطربة الاغراء الفرنسية .. رشحوها نجمة امام شون كونرى



امام شون كونرى دور « دومينو » الجاسوسة الحسناء التى تحاول ان تقهر جيمس بوند بالحب وتوقعه فى شباك فتنتها لكى تسلبه اسراره وتوقف تفوقه .. وقد اختيرت كيم باسنجر بعناية فائقة لتناسب دور « دومينو » وهى بالفعل قد كسبت شهرة فى البداية من خلال مجموعة من مسلسلات التليفزيون الامريكى ثم بدات عملها السينمائى امام الممثل جان ميشيل فنسنت فى فيلم « مناطق وعرة » واستطاعت ان تقفز الى القمة عندما ظهرت بطلة امام شارلتون هستون فى فيلم « الام لود » .

واذا كانت كيم باسنجر ، قد قضت بالفعل حتى الان ما يزيد على شهر تمثل امام شون كونرى فى ستوديوهات وارنر بهوليود ، فعودة شون كونرى الى تمثيل ادوار « جيمس بوند » قد احدثت ما يشبه الدوامة فى السينما العالمية .. لانها ببساطة متناهية تعنى ان فرصة الرواج التجارى والكسب المادى حليفة شون كونرى الذى لم يستطع روجر مور رغم شخصيته الجذابة الساحرة فى دور « القديس » ان ينسى جماهير الشاشة كونرى « جيمس بوند الاصلى » .. ومن هنا بدات مشروعات افلام بوند تدرس الان بعناية ، داخل هوليود وفى السينما الاوربية .. وبدات ترشيحات النجوم يلعبن امامه ادوارا نسائية من الفاتنات الجميلات اللاتى اللواتى تميزن بالجاذبية مثل نستاسيا كنيسكى ، الالمانية التى انتقلت الى هوليود لتمثل فيلم « القطط » من الانشطار النفسى الذى يؤدى الى ازدواج الشخصية ، والمغنية الفرنسية الشقراء اماندالير التى سبقتها الى امريكا شهرة عريضة كامراة مثيرة فاتنة واعدت لها رحلة غنائية فى الربيع القادم .. وهناك ايضا فى قائمة « ساحرات جيمس بوند » جنيفر لى التى اشتهرت فى محطات امريكا التليفزيونية كبطلة لمسلسل افضل فتاة صغيرة فى العالم واثارت العالم كله عندما ظهرت فى البرنامج التليفزيونى « فيلم الاسبوع » وفى حلقة منه بعنوان « مدينة الملائكة » وهى تتعرض للاغتصاب .. وتصنع الجميلة باميلاسيو مارتن التى اصبحت فتاة مفضلة عند ربات البيوت فى امريكا بعد نجاحها التليفزيونى الضخم فى « البحث عن رجل » الذى مثلت فيه دور مراهقة حامل « واسرار نانسى درو » و « باستر وبيلى » وفى المسلسل الاخر الذى يحاول ان يحطم نجاح «دالاس» وهو مسلسل « ديناستى » .. تصنع باميلا منافسة خطيرة لكل المرشحات لادوار ساحرات جيمس بوند ..

فليمنج .. والتاليف بعد موته

ان ايان فليمنج ، مبتكر شخصية « جيمس بوند » ، لم تمتد به الحياة لكى يكتب اكثر من سبع روايات كانت هى المادة الاساسية للافلام الاولى التى مثلها شون كونرى .. وبعد موته ، فى ظل نجاح افلام « جيمس بوند » كون المتحمسون هيئة من كتاب قصص الجاسوسية وكتاب السيناريو ليواصلوا تاليف ما بداه ايان فليمنج ويزودوا السينما بالمزيد من مغامراته الاسطورية الخيالية فى دنيا الجاسوسية .

ان ايان فليمنج الذى قضى حياته فى خدمة جهاز المخابرات والدبلوماسية البريطانية ، اتجه الى التاليف بعد ان اعتزل الخدمة ، ولم يكتب القصص مثلما فعل سومرست موم الذى كان يماثله عملا ، لكنه كان يمارس التاليف وهو يعمل .. ومن هنا لم تزد قصص ايان فليمنج الاصلية على سبع قصص بطلها « جيمس بوند » ثم وافته منيته لكن النجاح السينمائى للشخصية وللافلام السبعة التى اخذت عن قصصه الاصلية ، اغرت السينما بان تستمر فى استعارة شخصية بوند واسم فليمنج حتى تستمر فى تقديم سلسلة افلام بوند الناجحة تجاريا ●



لقطتان من المسرحية الموسيقية « حياة وحب جون لينون » على مسارح برودواى

● في برودواي ●

حياة وحب وموت

چون لينون

في النصف الأخير من الستينات حققت على سقف العالم فرقة الخنافس « البيتلز » الانجليزية .. حققت شهرة عالمية خارج الجزر البريطانية ، والرباعي التي تكون منه يتفرد بأسلوب عميق متجدد في الغناء والتأليف ، واحدثت تطورا في عزف موسيقى « الجاز » و « البوب » و « الروك آند رول » وسحب هذا النجاح السجادة من تحت أقدام الفرق الأمريكية الشهيرة مثل « الرولنج ستونز » وأثر في شهرة ملوك « الروك آند رول » الأمريكيين مثل ألفيس بريسلي وغيره .. وبلغت شهرة فرقة الخنافس علياء المجد التي جعل الملكة اليزابيث تسعى الى تكريم أفراد الفرقة وتنعم عليهم بالأوسمة وتمنح كلا منهم لقب سير .

لكن كما يقولون : البقاء على القمة أصعب من الصعود اليها .. ففي بداية السبعينات بدأ عقد الفرقة ينفرط ، وبدأت عوامل الضعف والتفسخ والانهيار تحطم تماسك أعضاء الفرقة الأربعة ، فتفرقوا ، وأصبح كل منهم يهتم بنشاطه الفردي ، ويبني حياته على أسس جديدة .. بل ان بعضهم مثل « رنجو » و « جون لينون » سلك سلوكا متطرفا ، وترك الوطن الأم بريطانيا في رحلة عالمية متنقلة بين أوربا وأمريكا وغيرها من القارات ..

وكانت قمة المأساة ان أطلق مجنون النار على جون لينون فأرداه قتيلا في العام الماضي .. ومات لينون كان المثل الأعلى في الخنافس والنجم موهبة في التأليف والتلحين ، وقد تغير هذا كله في الأيام الأخيرة التي سبقت ان تلاشت الموسيقى أجمعها على ان الموسيقى قد انتهت بموت جون لينون ، الا ان موت لينون المأساوي على هذا النحو الذي أفرغ الفرصة التي لحياته وعشاق الخنافس يولد بالذكرى الشوق واصدار ألبوم غنائي جديد في ذكرى لينون اسمه « لمسة الحرب » .

وفي نيويورك .. في برودواي .. أشهر أحياء المسرح في العالم ، افتتحت منذ أسبوعين .. في الذكرى الأولى لجون لينون مسرحية غنائية استعراضية عن حياته وأغانيه وآماله ومأساة حبه بعنوان « حياة وحب جون لينون » ..

أدى دور جون لينون الممثل والمغني وكان يتسم بوسامة ورومانسية ، وكان في الأيام الأخيرة قد أحب وتزوج فتاة من أصل أسيوي ، وتألق حبهما في خلاف متحرر من العالم ، حيث بدأت مجموعة من أغاني السعادة ، وحتى كتبت نهاية القصة والمأساة التي أنهت تلك الرصاصة الغادرة التي أنهت حياته على هذا النحو المأساوي .. والمسرحية تعتمد على نحو تجاري بارع ، فهي تقدم الأغاني مع الخنافس والأغاني المسرحية بعد أن تركت الفرقة ، وانفرد هو بالتأليف والتلحين والغناء الفردي .. وهي تتألق تماما ، كتلك الأفلام التي انتجتها هوليود عن « حياة وآلام ألفيس بريسلي » بعد موته بعام واحد وقد اختير لها مطرب ناشئ وسيم قريب الشبه من جون لينون ليعيش حياته على المسرح . وهي مسرحية مبهجة تعيد الحديث مرة ثانية ..

« عبد النور خليل »

قصة قصيرة

زهر هيرقليطس

بقلم: شاكر هيكل

– ١ –

ترك احمد القرية بعد انتهاء عمله فى الريف وترك صديقته هدى بعد ان ضغط على يديها بعنف فتاوهت والقت بنظرها فى وجهه ..

– لا تكن عنيفا بهذه الدرجه ..

– الحب هو العنف ..

– ٢ –

نزل من القطار وغاص فى زحام البشر وذهب الى اخته ، فاستقبلته بود وترحاب ودموع

– خالى احمد ... خالى احمد ..

وربت بيده على خد الصغير وائل ..

– خالى .. بابا وماما متخاصمين ..

ونظر الى اخته فى حنان واكمل وائل ..

– لا تنس يا خالى بكره عيد ميلادى .. بقى عندى عشر سنين ..

– ٣ –

– هل من الممكن ان يحب الفرد مرة ثانية بنفس حرارة واخلاص المرة الاولى ؟

– لا اعتقد ..

واكمل صديقه فاروق – وهو ممددا على فراشه ولفافة التبغ بين اصابعه – سؤاله .

– ولم لا .. ؟

وتلقى نظرات صديقه المتسلطة عليه وامسك يده ..

يبدو يا فاروق انك مريض ؟

– هل اول مرضاك يكون انا ؟

– ٤ –

– ها انذا حضرت الى القاهرة ..

اريد ان اعمل نصف الوقت فقط ..

– والنصف الثانى ..

– سافتح عيادة ..

– لا ، احد يعرفك ، والقاهرة مملوءة بالاطباء المشهورين ..

– وهل بداوا مشهورين .. ؟

– ليس فى استطاعتى عمل شىء لك ..

– كيف وانت كل البلد تعرفك .. ؟

– ٥ –

دهاليز المستشفى طويلة وقذرة ، طوابير العيادة الخارجية لا نهاية لها المرضى فوق الاسرة وتحتها وبجانبها ، يتحرك زملاؤه باستمرار ، قسم العمليات مشغول ..

– لاجدوى غير البتر ..

– وسال الدكتور احمد بهدوء ؟

– الاتوجد وسيلة آخرى . ؟

– حاولنا لافائدة ..

– ٦ –

ملعون هذا العالم ، سخيفة هذه الدنيا . لكننى مازلت فى بداية حياتى . ماذا يشدنى لها او اليها . بالتاكيد لا شىء مطلقا ، لا عاطفة ، لا قلب ، لاعقل لا روح – حياه مملة رتيبة بلا معنى ، نعيش لنقابل تحديات لا نهائية ، للخوف من كل شىء من الفشل من الحروب من الحب من الاحتياج من الخوف نفسه ماذا يشدنى ؟ ، قلت الف مرة لا شىء ..

– ٧ –

انتهى من قراءة خطاب هدى ، اشعل سيجارته ووضع رجليه على كرسى امامه ، قريتنا تتنظر ، اضاءتها الكهرباء ، سنبنى مكان



الجرن القديم ، الغجر يحتلون نصف الجرن ..

مزق الخطاب .. القى به في قناة الغرفة ، علق نظره في السقف ، مريتنا في احتياج الى حبيب ، ومن الافضل ان يكون من ابنائها ، ولم لم اكون انا ؟

– ساحاول ..

– ٨ –

مدخل القرية مقبض للنفس ، اول ما يستقبل الوافدين الطريق الزراعي، لم اقابل احدا .. ماذا يشغلهم ؟ اعمدة الكهرباء منتصبة على جانب الطريق .. الجرن منتصب فيه مخيمات الغجر .. حضرت همى :

ـ هل اتيت من مدة ؟
ـ الآن ـ اين عمى ؟
ـ فى منزل الشيخ امين يناقشون موضوع الغجر ..

ـ ٩ ـ

فجاة وجدنا الغجر يحتلون نصف الجرن الشرقى لقريتنا ، لم تفلح معهم اى محاولات لازالتهم او التفاهم معهم ضربوا الخيام ، ونصبوا الاوتاد ، وسرحوا النباتات ، وملاوا القرية بعبثهم هذا ما حدث يا دكتور احمد ..
ـ وماذا فعلتم يا شيخ امين ؟
ـ منذ حضورهم ونحن فى اجتماعات هل نستخدم القوة؟ هل نستخدم اللين ؟ واذا تشاجرنا معهم نجد العمدة فى صفهم .. فماذا نفعل ؟
ـ على ما اعتقد ان عدد قريتنا عشرة الاف فرد .. اليس كذلك ؟
ـ وماذا يعنى هذا ؟

ـ ١٠ ـ

ـ لا تنس يا هدى ان الناس مجموعة من الذئاب الملعونة ، غالبا ـ احيانا
ـ اننا نصدقهم بانهم حملان وديعة ، وتتضايق عندما يفترسونا ..
ماذا بك يا احمد .. ؟
ـ لا شىء .. لكن هل اضرك وجود الغجر بالقرية . ؟
ـ بالتاكيد ..
ـ انت كاذبة . الا تخرجين .. ؟
الا تنامين ؟ الا تاكلين .. ؟ الا تسمعين اغانى الحب .
ـ كلى حدثنى عن المدينة ..
ـ ليست باحسن حال من القرية ..
ـ كيف اختك هى وزوجها . ؟
ـ كما هى وكما هو ، لاتتغير ولا امل فى ان يتغيرا ..

ـ وصديقك .. ؟
يوشك ان يجن ..
ـ وقريبك .. ؟
ـ انسان وصولى .. ليست فيه فائدة ..
ـ وحبك لى .. ؟
ـ هو الشىء الوحيد الذى لايتغير..

ـ ١١ ـ

شهر سبتمبر ، شهر الشحوب والاوراق المتساقطة والنفوس المتهاوية ، احب سبتمبر وشحوبه واكره النهاية ، شىء مروع ان ترى العالم يفنى او الحياة تنتهى ، الا تنتهى الخيمياة عند فقد عزيز ، او عدم الوصول الى هدف كلنا يؤمن بالموت وكلنا يخشى الحرب ، عالم وصفه بالغربة لا يكفى .. وصل الى غيط ابن خالته محمود . وجلس بجوار الساقية ومد ساقه فى الترعة ..
ـ دكتور احمد الترعة فيها بلهارسيا ..
ـ اصدق ذلك يا محمود . ااريد ان اعود .. اين حمارك ..
ـ احترس فان حمارى عنيد .

ـ ١٢ ـ

اضطجع على الوسادة وارتشف الشاى .. ودلكت له هدى ساقيه
ـ كيف حدث هذا .. ؟
ـ كما تحدث كل الامور ..
ـ لكنه مستحيل ..
ـ لكنه حدث ..
ـ ماذا تقول .. ؟
ـ اقول لك هل تصورين ان الحمار يقول لا .
ـ دكتور احمد هل انت بخير ؟.
ـ انسه هدى اعتقد ذلك .. ●

شركة النيل العامة للنقل الثقيل



حوار صريح مع السيد رئيس مجلس الادارة

شركة النيل العامة للنقل الثقيل ، احدى شركات القطاع العام التى استطاعت أن تحقق تطورا ملحوظا خلال السنوات الثلاث الماضية .. فقد استطاعت ان تقفز بأرقام انتاجها مما حقق فائضا فى الربح ساهم فى دعم الاقتصاد الوطنى .. ولم يكن ذلك الا نتيجة ملموسة لمدى الجهد الذى بذله العاملون بالشركة وايمانهم بالدور الوطنى الذى تؤديه شركتهم على المستوى القومى .

ان شركة النيل العامة للنقل الثقيل تعمل فى قطاع النقل .. وهذا القطاع عليه دور كبير فى خدمة الاقتصاد حيث يحتاج الى الدقة والكفاءة والقدرة على الانجاز .. والشركة تدار بأسلوب الفريق المتكامل المتفاهم ... واذا كانت الشركة قد حققت فى السنوات الثلاث الماضية هذا الانجاز الهائل من العمل .. وحققت فائضا فى ارباحها اضيف الى الاقتصاد القومى ، فان ذلك يعود بالضرورة الى الكفاءة التى يمتاز بها سير العمل . وهذه الكفاءة تحتاج بالضرورة الى جهاز ادارى ناجح ، وعقل مفكر خلف هذا النجاح .. وقد تحقق ذلك بفضل الجهود التى يبذلها السيد رئيس مجلس الادارة المهندس فتحى عبد العزيز ..

والمهندس فتحى عبد العزيز هو أحد أبناء الشركة الذين بدأوا العمل فيها واستمر فى الترقى الى ان أصبح رئيسا لمجلس ادارتها .. يعرف العاملين بها .. يشاركهم آمالهم وطموحاتهم .. يعرف همومهم وآلامهم . ولذلك فقد كانت قيادته الواعية المدركة تقف خلف هذا النجاح .

وكان لنا هذا اللقاء مع السيد رئيس مجلس الادارة نستوضح منه الدور الذى تقوم به الشركة فى خدمة الاقتصاد القومى :

وأجاب سيادته : يسعدنى أن اذكر ان شركتنا فى المقام الاول شركة قطاع عام وانها لا تهدف الى الربح بالدرجة الاولى ، ولكنها تضع فى اعتبارها الارتباط بالخطة القومية والحفاظ على السياسة العامة للدولة .. فعلى سبيل المثال فاننا نقوم بنقل القمح اللازم لصناعة رغيف الخبز .. ونتقاضى عنه « نولون » ينخفض فى سعره كثيرا عن سعر السوق حتى نحافظ على سعر تكلفة الرغيف ، وهذا يرتبط بالدرجة الاولى بسياسة الدولة .. وعلى ذكر رغيف الخبز فاننى اذكر أن شركتنا تقوم بنقل المواد التموينية وتعطيها الاهتمام الاول .. كما نهتم بالعقود الحكومية والقومية



الامن الغذائى ..

● ما هو دور الشركة فى تهيئة سبيل النقل فى مجال الامن الغذائى بموارده المختلفة ؟

ويجيب سيادة المهندس فتحى عبدالعزيز
ـ اننى اؤكد لكم انه لا توجد شركة تلتزم بتحقيق اهداف الامن الغذائى كشركة النيل العامة والتى تقوم بنقل المواد التموينية ومنها الاعلاف والخراف والماشية الحية . سواء المحلى منها والمستورد وغير ذلك من احتياجات الأمن الغذائى التى قمنا بعمل تعاقدات لنقل تلك المواد اليها . وقد جهزنا لذلك اسطولا ينقل ٧٥٠ طنا يوميا ويستطيع ان يتصدى لمشاكل النقل فى زمن قياسى .

واذكر على سبيل المثال اننا قمنا بنقل ٣٦ الف رأس من الخراف فى اربعة ايام الى الجهات المختلفة .. وتم وصولها فى حالة جيدة وبكفاءة شهد بها جمهور المستهلكين

فى مجال الصناعة ..

ويستطرد السيد رئيس مجلس الادارة المهندس فتحى عبد العزيز فيقول :

ان من دواعى فخرى اننا اول شركة قامت بالمساهمة الحقيقية فى انشاء مجمع الحديد والصلب من الاسكندرية الى حلوان .. وكذلك مجمع الالومنيوم .. حيث قمنا بنقل جميع المعدات لهذين المصنعين ومازالت الشركة تقوم بتنفيذ هذه العقود فى نقل احتياجات وانتاج هذه المصانع حتى الان .

كذلك فقد قمنا بنقل جميع معدات مصنع القومية للاسمنت فى فترة وجيزة جدا . اى فى مدة شهرين

كما ساهمت الشركة فى الانشاءات الثقيلة فقامت بنقل المعدات اللازمة لخط انابيب البترول من راس شقير الى السويس ومن البحر الاحمر الى سيدى كرير وقد تم نقل المعدات والمواسير اللازمة للخطين فى فترة وجيزة تتمشى مع سياسة وسرعة التنفيذ والانجاز .

وقد قمنا بتجهيز العربات تجهيزا خاصا مما وفر علينا الكثير من الوقت والمال .

الشحن والتفريغ ..

● وسألت السيد المهندس رئيس مجلس الادارة عن الدور الذى تقوم به الشركة فى مجال الشحن والتفريغ .. فاجاب :

ـ لم تهمل الشركة اهمية الشحن والتفريغ ولذا فقد قمنا بتوفير الاوناش حتى حمولة ٤٠ طنا ولدينا الان منها ١٢ ونشا ٠واسياتا تقوم بتأجيرها عند الحاجة .. ولقد اشتانا

الشركة تقوم بدور وطني في خدمة الاقتصاد القومي



ادارة الشحن والتفريغ تؤدى دورها بكفاءة في جميع المواقع وفي ميناء الاسكندرية ، وله ادارة تباشر انشطته .. ولقد فكرنا في انشاء هذا الفرع حتى لا نلجأ الى القطاع الخاص كما كنا نفعل في الماضي .

تطور الشركة ...

● لا شك أن التطور الذي وصلت اليه الشركة اصبح شيئا ملموسا وهذا بفضل الجهود المبذولة فما الذي ينتظر الشركة من تطور ؟

ـ لقد تضاعف اسطول الشركة ثلاث مرات بفضل جهود العاملين بها والسادة المسئولين تحت رعاية المهندس سليمان متولي وزير النقل والمواصلات والنقل البحري .

وما زالت الشركة تهدف ان تصل طاقتها الى عشرة الاف طن يوميا .

ولقد اصبح للشركة الآن فرعان في القاهرة وفرع بالاسكندرية وفرع بنجع حمادي ومكاتب بالسويس وبورسعيد . وهذه الفروع تؤدي خدماتها التي تغطي كافة انحاء الجمهورية وتم اعتماد مليون دولار للوحدات الثقيلة التي يمكن للوحدة منها ان تحمل ٢٥٠ طنا كما تم دعم الشركة بوحدات اللاسلكي التي تعمل على تسهيل الاشراف والاتصال السريع بالادارات الفرعية للشركة .

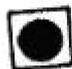
وتركت السيد المهندس فتحي عبد العزيز رئيس مجلس ادارة شركة النيل العامة للنقل الثقيل .. تركته يفكر بهدوء ويخطط في صمت ليصل بجهاز الشركة الى مستوى من التقدم يساهم في خدمة الاقتصاد القومي ويعمل كما عمل دائما على تحقيق الامان لجميع العاملين ●

« فكرى عبد المهيمن »

باحثة البادية
ظلمها التاريخ



باحثة البادية


حتى التاريخ أيضا يحابي بعض الناس ، فيذكرون في كل وقت ، بينما يتجاهل آخرون ، فتمر أعوام وأعوام دون أن يذكرهم أحد !..

ولقد كانت المقارنة معقودة في الشهر الماضي بين أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ ابراهيم . وكان من الواضح أن شوقي قد نال من التقييم والتقدير أضعاف أضعاف ما نال حافظ ابراهيم .

ونفس الصورة نجدها في المقارنة بين باحثة البادية السيدة ملك حفني ناصف وبين الاديبة مي زيادة التي وفدت الى مصر ، فنالت من الخيال والهبت من المشاعر اكثر مما تركت من تراث ادبي .

ولا اريد بهذه المقارنة أن انتقص من قدر مي زيادة أو من مكانتها ، ولكني اردت في الحقيقة ان نشترك معا في رفع القلم عن اسم مصري عريق ، كانت له مقدرته ، وكان له دوره في الحياة



لطفى السيد

بقلم: أحمد زكى عبد الحليم



الادبية والثقافية . بل اكثر من ذلك ان باحثة البادية كانت محاضرة جامعيـة فى بداية انشاء الجامعة الاهلية التى اصبحت فيما بعد الجامعة المصرية ، والتى هى الآن جامعة القاهرة .

ولقد اتيح لى ان اتعرف على جانب من تاريخ باحثة البادية وعن دورها ـ قبل عامين ، عندما كنت اقوم بالصياغة الصحفية لمذكرات رائدة المرأة العربيـة الحديثة السيدة هدى شعراوى . فقـد جاء على لسان هدى شعراوى فى الفصل الرابع عشر من مذكراتها : اريد قبل ان اتحدث عن الحياة السياسية فى مصـر فى الفترة التى اعقبت الحرب العالميـة الاولى ، وما ترتب على ذلك من احـداث ادت الى قيام ثورة ١٩١٩ .. اريد قبل ذلك ان اتحدث عن واقعة حدثت فى تلك الايام ، وكانت ذات اثر ومـدلول على نفسيتى وتفكيرى .

فقد حدث فى صبيحة يوم ٢١ اكتوبر ١٩١٨ ان جاءتنى احدى المربيات فى ثياب سوداء تعودت ان تزورنى بها مجاملة لى فى حزنى على شقيقى . وقـد بادرتنى بصوت متهدج قائلة : لقد ماتت الباحثة! وشعرت بهزة حزن فى نفسى لهـذا الخبر ، وماكنت اظن ان شيئا فى الحياة بعد فقدان اخى يستطيع ان يهز شعورى هذه الهزة العنيفة . وقد عجبت لذلك اذ كنت قد قطعت كل صلة بالحياة ، وحسبت انه لم يبق فى شعورى متسع لغير حزنى على اخى . وكدت اثور عـلى نفسى وعلى تلك التى احدثت هذا التأثير فيها . ما الذى يعنينى انا ان الباحثة قد ماتت ، وان البلاد نساءها ورجالها قد خسروا فى نهضتهم عضوا هاما بوفاة تلك السيدة الفاضلة !!

وفى تلك اللحظة انفردت فى مخيلتى صفحة بيضاء ذات اطار اسود لهذه السيدة وخيل الى اننى اسمع صوت باحثـة البادية وهو يدوى فى قاعة المؤتمر الذى عقد عام ١٩١٠ مطالبا بحقوق عشرة للنساء

لقد تجسم خيالها امام ناظـرى فى محاضراتها بالجامعة المصرية وهى تلقى على اترابها دروسا فى الاخلاق والواجبات . ومرت بخاطرى مناقشاتنا فى السـفور والحجاب فى الاجتماعات التى كنا نعقدها قبل الحرب . وكانت تنظر الى اقوالنـا ونشاطنا بابتسامة ممزوجة بشىء من الشك والاستغراب .

وعلى الفور قمت فارتديت ثيـابى ،

باحثة البادية ظلمها التاريخ

وخرجت قاصدة دار الراحلة . واذا بنعشها يختصر علينا الطريق ، ويقابلنا ملفوفا بالعلم المصرى وتسير خلفه جماهير المشيعين . وتبعتهم حتى مقرها الاخير حيث واروا التراب ذلك الجسم النشيط واغلقوا القبر على شعلة الذكاء المتقدة .

ولما عدت الى منزلي واختليت باحزاني، شعرت ان الاموات اكثر تمسكا بحقوقهم منا . فقد القوا على عواتقنا تراثا مقدسا يطالبوننا باحترامه واستغلاله في كل فرصة . لذلك لما راينا نحن النساء ان الرجال قد سبقونا لتكريم ذكرى فقيدتنا ، لم استطع الا ان اتجرد من انانية احزاني، واطالب زميلاتي بالواجب عليهن نحو الباحثة ، فقمنا بدورنا باقامة حفل تابين لها بالجامعة المصرية الاولى . وارادت السيدات أن يكون تحت رئاستي فاعتليت المنبر لاول مرة في حياتي .

وبعد ذلك كنت ابحث عنها في الايام العصيبة التي اجتزناها ابان الثورة وبعدها . وكنت اناديها في نفسي ،فكان لا يتردد صوتها الا في ضميري .

●● هكذا تحدثت هدى شعراوى عن ملك حفني ناصف التي اشتهرت في الحياة الادبية والثقافية باسم « باحثة البادية » ، حيث كانت التقاليد تفرض على المرأة ان تعيش بعيدا عن بؤرة الحياة العامة .

ولقد اردت ان اثبت هذا الرأى بالتحديد ، لاسباب كثيرة . اهمها في مقدمتها ان هدى شعراوى هي رائدة النهضة النسائية الحديثة ، فلاذا كانت تعترف بدور باحثة البادية ، سواء كمشاركة في الحياة العامة التي كانت توقد في تلك الايام ، او كمحاضرة في الجامعة تحاول ان تاخذ بيد المرأة وتعلو بها على طريق التنوير .. فان هذا الاعتراف يؤكد ان الباحثة كانت سابقة وكانت ايضا سباقة .

كانت سابقة لانها كانت اول من آمنت باهمية التنوير في حياة المرأة ، وسعت لذلك سواء في مقالاتها التي كانت تكتبها في « الجريدة » تحت عنوان «النسائيات» او في محاضراتها في الجامعة .. وكانت سباقة لانها رغم كل الظروف التي كانت تحيط بها في حياتها الخاصة ، فقد حرصت على المشاركة وعلى ان تكون عنصرا ايجابيا .

وكل هذه المعاني تتضح بجلاء فيما كتبه عنها استاذ الجيل أحمد لطفي السيد في « الجريدة » عام ١٩١١ ، حيث قال: ان نبوغها ليس عاملا من عوامل الصدفة، بل هو قضية عالية مقررة ، لان هذه الكاتبة نشأت في بيت علم وادب . وهي اكتب سيدة في عصرنا الحاضر ، بل هي تعطينا صورة الكاتبات الغربيات » .

ولقد كان هذا النبوغ مبكرا ، وقضت عليه الاقدار البائسة مبكرا ايضا . ذلك ان باحثة البادية لم تعش اكثر من ثلاثة وثلاثين عاما . ولقد قضت فترة طويلة من

هدى شعراوى — قاسم امين



العمر القصير فى صراع بين حياة كانت فيها وحياة أصبحت عليها . فهى ابنة الكاتب والشاعر حفنى ناصف ، وقد ولدت وعاشت فى القاهرة . وفتحت عينيها على بيئة علم وأدب وثقافة .وكانت رقيقة المشاعر والاحاسيس ، وكان لديها طموحها الانسانى والادبى . ولكن ذلك كله لم يعفها من ان تقع تحت سيطرة التقاليد التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فقد وجدت نفسها وهى صغيرة السن مسوقة للزواج من احد شيوخ البادية فى الفيوم لتكون الزوجة الثانية . وعندئذ تفجر الصراع فى أعماقها ، سواء بالنسبة لكونها زوجة ثانية ، وايضا بالنسبة لكونها قد انتقلت من حياة المدينة الى حياة البادية .

ويرى الكاتب انور الجندى أن هذا الانتقال قد انعكس على حياتها ،فاضطربت نفسها لهذا التحول ، وانتابها القلق ، وحاولت أن تربط بين مطالب الروح وواقع الحياة فلم توفق كثيرا ..

« وكانت مقالاتها « النسائيات » التى كانت تنفث فيها آلامها ، وترسلها عبر الصحراء الى « الجريدة » هى النافذة الوحيدة التى تطل منها على العالم . وكانت تتناول فيها صور الحياة بالنقد والتوجيه ، وان ظلت مؤمنة بالحجاب فخاصمت قاسم امين واختلفت معه فى الراى . وقد صورت فى مقالاتها الصراع بين الحياة الجديدة والبيئة البدوية وكانت اشبه بصرخات روح ظامئة » ..

لكن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن « باحثة البادية تعتبر أول تلميذة لتعاليم قاسم امين ، لكن دعوتها لم تكن جريئة مثل دعوته . فقد توخت هى الاعتدال ، ووضعت فى الاعتبار العادات المتوارثة . وكانت وسيلتها فى نشر دعوتها ان تزور السيدات فى منازلهن وترجوهن ادخال بناتهن الى المدرسة ، وتقدم اليهن الوعود بالعناية بهن .

وقد هاجمت باحثة البادية كثيرا من العادات السيئة ، ومنها عدم السماح للمراة بابداء الراى فى شئون زوجها والتزام الصمت فى حضرته . كماهاجمت تعدد الزوجات وقالتفى ذلك «انه لاسم فظيع تكاد انامل تقف بالقلم عند كتابته فهو عدو النساء الالد وشيطانهن الفرد

ونعتقد أن مثل هذه الصورة تحمل نظرة متطورة وموضوعية للمسائلالاجتماعية وللمشاكل الاسرية ، وفى مقدمتها مشكلة العلاقة بين الرجل والمراة . وقد انتقدت باحثة البادية هذه الاوضاع ، وكتبت ذات مرة تقول : ان طريقة الزواج طريقة معوجة مقيم نتيجتها فى الغالب عدم الوفاق بين الزوجين . يقيم الرجل معالم العرس أياما ويتكبد مصاريف جمة لعروس لم يرها عمره ، ولم يتأكد من حسن اخلاقها او جمال نفسها ، انما سمع عن بياضها وسمنتها او مالها من الخاطبة »!.

مثل هذه الكلمات الحارة ، كانتبداية يقظة المراة المصرية الجديدة ، وهى اليقظة التى اتاحت للمراة ان تشارك ايجابيا فى ثورة ١٩١٩ ، وان تشارك بعد ذلك فى الحياة العامة .

ولعله من الانصاف الآن أن نقول ان باحثة البادية كانت رائدة قديمة وعظيمة وانها سبقت كثيرا من الاسماء التىحاباها التاريخ بعد ذلك . ولكنها الاقدار التى جعلت باحثة البادية مجهولة للكثيرين ، وكانها تفى دينا لم تتسع حياتها القصيرة للوفاء به ! .

ان هذه الكلمات تأتى فى ذكرى مرور ٦٤ عاما على رحيل باحثة البادية .ولعلها تكون بردا وسلاما . ولعلها تدفع المرأة العربية والمصرية التى تجنى الآن ثمار ماازرعت الباحثة ، لكى تحتفل بها فى مقتبل الايام ، فتذكر وتتذكر والدة ، ومفكرة ، وانسانة ، وروحا محلقة فى سماء الاداب والثقافة برسالة الخلاص والتفاهم والتجاوب ●

الرواية وأشكالها الجديدة

تحليل وتعليق :
عبد العزيز الشناوي

● تمر الرواية الآن في انحاء الوطن العربي بأزمة عناء . ولعل ذلك يرجع الى ان الرواية تحتاج الى درجة عالية من المعاناة والتحمل والمعايشة بصورة ذهنية وفنية مركبة .. فالرواية اعقد واطول اساليب التعبير الادبي واكثرها على الاطلاق .. فهي كيان ادبي متكامل .

والمتتبع لاعمال الروائي الناشىء عبد الفتاح رزق يدرك ان النزعة الانسانية غالبة على قصصه . ببساطته في التعبير وعمق التحليل . فتحس في كتاباته ان الادب وسيلة السمو بالحياة . ادراك مأساتها بصورة اكثر عمقا ووضوحا وفهما

وفي رواية عبد الفتاح رزق الاخيرة . « الجنة والملعون » تجد من الوهلة الاولى انه تمكن من تحقيق اضافة جديدة الى حركة الرواية الحديثة . اتسع بجوع الانسان . وقد يصحبه الرفض . يتحمل الالم . لكنه لايطيق ان يعيش الا في احضان الطموح . الانطلاق الحرية فهو يبحث عنها . تعيش على ذبالة شمعتها التي تلوح له من بعيد . وحرية الانسان هي حرية المجتمع الذي يعيش فيه .. ورواية الجنة والملعون تتناول هذه القضية العصرية

الموضوع الروائي

تدور احداث الرواية « الجنة والملعون » حول صابر الموظف المتزوج والذي له اولاد — يتصعد صديق بالذهاب الى شارع الفردوس فيلتقي هناك بجماعة اعادة حقوق الذين تضيع حقوقهم .. ويتعرف على اربع فتيات .. يقضي معهن ليالي ممتعة . يعود الى بيته في كل مرة وجيبه متخم بالاوراق النقدية .. تكتشف زوجته الحقيقة . وتطلب الطلاق .. لكنها تعود الى بيتها مرة اخرى بفضل مساعي هذه الجماعة .. يعرض صابر الزواج على احدى الفتيات يعرض صابر الزواج على احدى الفتيات الاربع . ولم يقتنع بخلاص الانسان الجديد . لكنه القلب ظمآنا يريد ان يسهر ويحول الثقافة .. ولا يدرك الا بعد فوات الوقت انه لا يعرف اي شيء من الحكمة .. وانه القلب ثوريا يريد العودة الى الزوجية .. ولا يريد ان يقرأ كتابا . ولا يريد سماع موسيقى ويزهد في رؤية فراشات الباليه البيضاء .. كما يريد ان يقبع في كسل بحجة الاطمئنان الى احضان العائلة .. ثم ينتهي به الامر كما انتهى بابليس الملعون .. بالطرد من الفردوس .

الشكل الروائي

يحاول الاديب السكندري عبد الفتاح





عبد الفتاح رزق

رزق دائما اكتشاف اشكال جديدة فى البناء الروائى .. فدخل الميدان من باب الاصالة والنضج
استخدم الكاتب ضمير المتكلم .. الراوى ... والشكل الانسيابى . تيار الوعى والمونولوج الداخلى كعناصر تكنيكية فى البناء . كما استخدم الرمز بصورة فنية موحية احكم بناء الرواية وسيطر على خطوطها من البداية حتى النهاية . تمكنت الكاتب من التعبير من نوازع الانسان من عبث . انطلاق . تمرد . ضيع وصمود فى وجه الحياة وغيرها من التوجهات الايجابية التى تقف انسان هذا العصر وتهشه من الداخل والخارج

الاسلوب

شاعرى متدفق يفيض بالاحساسات الرقيقة . مفعم بالحيوية واللمحات الجمالية والتعبيرات الدقيقة الصادقة وقد بدأت فلسفة الكاتب تلوح من اسلوبه

● اكلت من اللحم . منها . لم اعد اعرف اى جوع . المرأة التى تعطى أحسن من المرأة التى تأخذ . المرأة التى تعطى وتأخذ تروع الرائين ص ١٠

● لأول مرة اذوق التفاح بالفداء وانا التى كانت لا تطوله يداى
ص ٢١

● كيف يتعامل العاشق مع الزوج ؟
ص ٢٢

● الترقية خطوة واسعة فى طريق الاحالة للمعاش ص ١٣٨

● القناعة الايجابية هى ان تعرف الوقت المناسب لكى تعطى بدلا من ان تأخذ
ص ١٤٠

الحوار

نقطة ارتكاز تستقطب حولها فكرة الرواية ومضمونها العميق . ويستطيع الحوار بكثافته الموضوعية ان يكشف من جوانب نفسيات الشخوص . وقد تردد حوار رواية الجنة والملعون بين العامية والفصحى . وهذا من مثالب الحوار الفنى

– مش ده حى الانفصال ؟

قال وهو يهز رأسه :

– عمرى ما سمعت عن حى بالاسم ده ص ٥

– كنتم بتعملوا كده مع وكيل القسم اللى قبل منى ؟

– ما هو الصدق .. حضرتك عارف

– يعنى ايه القصد ؟ يعنى انا كمان كنت بافعل كده ؟ ص ٨٤

– يعنى حضرتك ده كلامهم حلوات لن الصدق :

ـ بالعالج من ايه ؟ ما أنا قدامك اهه ؟ ص ١٢٢

ـ علشان انا الساعي بتاعك حاولت ان اتماسك :

ـ انت تقعد عند الباب .. ومالكش دعوة .. فاهم ؟ ص ١٢٣

اما بقية حوار الرواية على الرغم من انه جرى على السنة نفس الشخوص .. الا انه تم باللغة العربية الفصحى . ويشم القارىء من نبض الحوار رائحة رمزية • ايحاء كثيرا ومضمونا انسانيا عميقا •

الشخوص

يقول برناردى فولو : كلما قل عدد الشخصيات فى الرواية .. امكن حبكها حبكا قوى، وكانت امتع للقارىء وامتلات بالتشوق والحيوية . ويبدو ان عبد الفتاح رزق يدرك هذا فجاءت شخوص روايته تعد على اصابع اليد اختارها بدقة ومهارة . اتقى لها الحركة اللائقة . البسها ثوب هموهه .. اسقط عليها فلسفته . أحاسيسه ومعاناته .

صابر بطل الرواية

● حكمة الامل الشفاف . الرشيقة الحركة التى هى اشبه بقصيدة شعر

● نوال « واو العطف » هى الحماس لان يفعل الانسان شيئا من اجل نفسه ومن اجل الاخرين

● معال هى النور الذى يطل به على عقول الاخرين

● صديقة المستحيل لانهـا تطالب بالصدق البحت . وفى الوقت نفسه تتغاضى عن كذبها هى

ولد تمكن الكاتب من تحريك شخوصه ببراعة لتساهم فى خلق الحدث ولتخلق هى من خلاله. وكل شخصية تنمى احداث الرواية وتحركها وتتحرك معها مما جعل القارىء يلتهم صفحات الرواية التهاما . وقد وفق عبد الفتاح رزق فى اختيار شرائح ونماذج حية من الوجود الانسانى من خلال الاصوات التى قدمها الينا .. على الرغم من تنافرها .. الا انه ربط بينها مما جعل الرواية تفوق كل ما كان منتظرا منها . وقد بدا تفوق هذا العمل الادبى فى اكثر من موقف مما جعل الرواية تترك اثرها فى ذهن القارىء . بل تصبح جزءا من شخصيته

● كيف استانست جماعة اعادة حقوق الذين تضيع حقوقهم .. صابر ؟ ؟

قالوا لى فى اول ليلة عندما عبرت نصف الدائرة الخضراء .. لا تصدع راسك بالتفكير .. اسمع تمتع ولا تسأل ص ٥٠

ـ انت متعب .. انا اعرف هذا جيدا .. يبدو اننا اخطانا فهمك . كان لابد أن يحدث كل شيء بالتدريج . جرعة السعادة كانت اكثر من اللازم . اعلرنا .. يبدو انك من طراز مختلف ص ٥٠

● اعرف كل الاسئلة التى تدور فى راسك . لقد الغينا الحفلة التى كنا ننوى فيها ان نقدمك لكل الذين يعملون معنا . وكلهم كما قلت لك منذ اول لقاء يعملون من اجلك ص ٥١

ـ هل انت مثلهما متطوعة ؟

● كلف غاب عن ذهنى انهم يعرفون كل شيء ؟ ص ٧٣

ـ هل اصبحت لعبة فى ايديكم ؟ هل هذا هو العون الذى تقدمونه لى ؟ لا .. انا ارفض ان اكون لعبة فى يد احد ص ٨١

● هل سيماودون العراقى بالاموال ويقولون انها من حقوقى التى ضاعت انا لا اعرف ماذا يريدون منى بالضبط ص ٩٢

● ليتنى لم اذهب الى شارع الفردوس .. هذا اغرب شارع رايته فى حياتى لو ذهبت اليه مرة فيجب ان تعود اليه وان لم تذهب اليه يجره اليك ص ٩٦

● يبدو انه لا مهرب لى من شارع الفردوس ص ١٠٧

● وهذا حوار بين صابر وصديقة .. نعرف من خلاله ماذا كان يجرى فى الجنة

ـ اريدك

تجاوبت ضحكتها العالية قبل ان تقول :

ـ انا اعرف ولكن ليس الان وامام هؤلاء الناس ص ١١١

قلت دون تردد :

ـ تذهب الى حجرتك

قالت :

وبعد ان تذهب الى حجرتى

ـ انت تعرفين



قالت :

ـ وبعد ان يحدث الذى اعرفه ؟

قلت :

ـ نعيد ثانية الذى تعرفينه

قالت :

ـ وبعد ان نعيد ثانية الذى اعرفه؟

فقلت فى نفاد صبر :

ـ اترك هذا المكان لاعود اليك فى الليلة القادمة ص ١١٢

● القارىء المتسرع الذى يرى سطح البحر فقط . لا تغوص عيناه فى اعماقه .. لا يبصر ما يدور فيه .. فانه اذا قرأ الجنة والملعون .. فسيقول ان عبد الفتاح رزق امتداد لاحسان عبد القدوس .. لكن القارىء المثقف الذى يكتسب له الادب السكندرى .. سيعرف ان قلم عبد الفتاح رزق ليس معولا لهدم القيم الانسانية لكن خلال القبح نرى الجمال من خلال التفسخ والرذيلة نبصر الفضيلة

كما بدأ عبد الفتاح رزق روايته بالسؤال عن شارع الفردوس .. انهى الرواية بطرق الباب الوحيد الذى سعى اليه

ـ انا استاذ الكل .. انا رئيس مجلس ادارتكم .. ابشروا .. لن استقيل ـ لماذا لا تلحون .. انا تغيرت .. انا اعد لكم مفاجأة جديدة .. لماذا لاتصدقون ص ١٩٠

واخيرا

يكفى لهذه الرواية انها تؤكد اصالة عبد الفتاح رزق وتؤكد الاحساس الصادق بتجربته الذكية وانه صاحب رؤية جديدة للحياة المعاصرة التى تنمو وتتعمق فى مختلف اعماله ●

أرسطو

هل كان مسئولاً عن

تشويش الفكر العلمى خلال عشرين قرنا ؟!

بقلم : د. محمد على اللقانى

الذين يقولون ان العلم قد بدأ بارسطو يظلمون العلم ويظلمون ارسطو .. يظلمون العلم ، لان العلم كمعرفة وكمنهج وكتراكم لا يبدأ فجاة ولا يبدأ من فراغ . ويظلمون ارسطو لانهم يحملونه اكثر مما تحمل واكثر مما انجز فى مجال العلوم الطبيعية ، وهو مجال حديثنا . كان العلم موجودا قبل ارسطو ، فقد قام الانسان فى كل مكان وخاصة فى المدنيات القديمة بمحاولات عملية ولكنها كانت محاولات مرتبطة بالنواحى الدينية فى الغالب . كان الناس قبل اليونان يفسرون كل ظاهرة طبيعية غامضة عليهم بتفسيرات دينية خارقة ، وبذلك نجد الآلهة المتعددة فى كل مكان . واذا تتبعنا حركة العلم وتاريخه ، سيظهر لنا ان اليونانيين فى « ايونيا » كانوا هم اول من حاولوا تقديم تفسيرات طبيعية لاحداث الكون وظواهره .. والامثلة كثيرة :

ـ نجد « طاليس » فى القرن السادس ق.م يقول لسكان « ملطيا » ان الشمس والنجوم ليست سوى كرات من نار ، وينبغى الا يعبدونها . ونجد « الكسمندر » تلميذ طاليس يضع خرائط جغرافية وفلكية لاول مرة ، ويقول ان العالم قد بدأ من كتلة متشابهة ، وان الاشياء مستمدة كلها من عنصر اول ، وان التاريخ الفلكى يعيد نفسه فى اوقات دورية ، وان الارض تقوم فى الفضاء بفضل توازن الدوافع الداخلية ، كما يقول ان الحياة قد اخذت شكلها الاول فى البحر ثم خرجت الى البر مع رسوب الماء ، وان بعض الحيوانات الساحلية تطورت فيها قدرة تنفس الهواء واصبحت اسلافا وجدودا لجميع الاحياء التى تناسلت منها على الارض .

ـ ونجد « آنا كسمانس » من ملطيا ايضا فى القرن الخامس قبل الميلاد ، يصف اصل حالة الاشياء على انها كتلة لطيفة رقيقة تكاثفت تدريجيا الى هواء ثم غيوم فماء فتراب فصخور . وان الاشكال الثلاثة للمادة وهى الغاز والسائل والجامد كانت مراحل للتكثف . وان الزلازل تنتج عن تجمد تراب مائع الاصل ، وان الحياة والروح واحدة .

كتب ارسطو حوالى الف كتاب فى مجـــالات المعرفة المختلفة ، وتبوا اعلى مكانة فى تاريخ المعرفة، ومع ذلك قيل ان تاثيراته فى مجملها قد شـوشت الفكر وعرقلت التقدم العلمى لفترة عشرين قرنا .. لماذا ؟ !





ارسطو

— ونجد « انا كسجوراس » فى القـــرن الخامس ق.م يقدم تفسيرا صـــحيحا لكسوف الشمس وخسوف القمر ، ويكتشف طرق التنفس فى النباتات والاسماك .

— ونجد « هيرقليطس » ما بين القـــرنين السادس والخامس ق.م يتحول بالعلم من الفلك الى الارض ، ويقول ان جميع الاشياء تجرى وتتدفق وتتغير ، وان تاريخ الــكون يجرى فى دورة متكررة تبدا كل منها وتنتهى فى نار ، ويقول ان كل شيء يوجد ويفنى ، وحيث لا يوجد صراع يوجد فناء ، فالتربع الذى لا يرج يفسد ويتحلل . وفى هـــذا التدفق من الصراع والتغير يوجد شيء واحد ثابت وهو القانون . وهذا القانون او النظام يسرى على الجميع ، ولم يصنعه احد ، وكان موجودا وسيظل موجودا .

— ونجد « امباذ قليس » فى القـــرن الخامس ايضا ق.م يدفع بنظرية النشوء الى الامام فيقول ان الاعضاء تنشأ بالاختيار لا بالوضع ، وان الطبيعة اجرت الكثير من التجارب والاختبارات على الاعضاء ، وعندما تواجه هذه الاعضاء الجديدة حاجات البيئة فانها تعيش ويستمر امثالها ، وعندما يفشل هذا التركيب العضوى او ذاك فى مواجهة البيئة فانه يزول . ومع مرور الوقت تتكيف التركيبات العضوية بنجاح مع البيئة المحيطة بها .

— واخيرا نجد المرحلة الذرية القائمة مابين القرنين الخامس والرابع ق.م حيث ظهر كل من « ليوسـيبوس » و « ديموقريطس » .

فالاول يقول كل شيء مدفوع بالضرورة ، والثانى يقول كل شيء مدفوع فى الحقيقة ، وكلاهما يقول انه قد وجد ويوجد وسيوجد عدد غير محدود من العوالم ، وفى كل لحظة تصطدم اجرام بعضها ببعض وتفنى ، وتظل عوالم جديدة من ذلك الخضم المضطرب من مجموع الذرات الاختيارى التى لهـــا ذات الحجم والشكل المتماثل ، وليس هنـــاك تصميم او تخطيط وراء هذه العـــوالم ، والكون يسير بطريقة آلية مثل الماكينة .

خطان فى الفكر اليونانى

هذه مقدمة موجزة عن العلم اليونانى قبل ارسطو ، وارجو ان تحاول القوص وراء افكار وعبارات هذه الطليعة من العلماء او المفكرين التى قد تبدو لنا — بالمعايير الحالية ساذجة .. حتى ندرك مدى اصالة انجازاتهم التى كانت اساسا قامت عليه بدايات العـــلوم الطبيعية .

كما ارجو ان نتذكر ان هذه الطليعـــة الرائدة كانوا يعملون مع حجم محـــدود للغـــاية من المعـــدات والآلات اللازمة والضرورية للتجارب والاختبار . فجمـــود وركود الصناعة اليونانية تحت نير نظام الرق قد حال دون التطور الكامل لهـــذه البدايات العلمية الهامة . كما ان تعقيد الحياة السياسية فى اثينا قد حول اهتمام الكثير من المفكرين وســـقراط والافلاطون بعيدا عن البحث فى مجال الطبيعـــيات ، وركز اهتمامهم الى النظرية السياســـية والاخلاقية .

الظروف الاجتماعية والسياسية

فى القرن الرابع قبل الميلاد — وهـــو القرن الذى ولد فيه ارسطو — كان فيليب والد الاسكندر الاكبر ، هو ملك مقدونيا ، وكان ينظر الى الامور حوله بنظرة خاصة .. فلم يكن يتعاطف مع الفلاتيـــة التى غزت الفن والعقل فى اليونان ، وكان يرى انها قد ادت ايضا الى تمزيق نظامهـــا الاجتمـــاعى ، ولم يكن يرى ما فى عواصم الدويلات الصغيرة من ثقافة او تمدن بقدر ما يرى ما فيها من فساد تجـــارى وفوضى

سياسية . فالتجار واصحاب المصارف قد استبد بهم الجشع والشره ويمتصون موارد الشعب . والسياسيون عاجزون والخطباء يضللون الناس ويسوقونهم الى المؤامرات والحرب . والطبقات تتآكل وتتمزق . فقال فيليب عبارته المعروفة .. « ان هذا ليس شعبا ، بل هو خليط من الافراد .. عباقرة وعبيد » . كما قال انه سيحيل هذا الاضطراب الى تناسق ، ويوحد اليونان ويقويها ويجعلها مركز العالم وقاعدته . وقد تم له ما اراد باستخدام الفلاحين الذين كانوا يمتازون بالخشونة والقدرة الحربية ، ولم تفسدهم حياة المدينة بترفها ورذائلها . لقد تمكن فيليب من اخضاع حوالى مائة من دويلات المدن الصغيرة وتمكن من توحيد اليونان سياسيا ، ولكنه توحيد قام على العنف والبطش وعلى الاذلال .

علاقة ارسطو بقيمة السلطة

فى هذه الظروف ومن خلالها ظهر ارسطو الذى قام بربط الشكل معا فى التفكير اليونانى .. الخط الفيزيقى « الطبيعى » والخط الاخلاقى ، اللذين يعودان الى معلم معلمه افلاطون . لقد اصبح ارسطو مرة ثانية يحيل التطور العلمى الذى اتخذ طريقه فى اليونان فى الفترة السابقة على ايام سقراط وافلاطون ، وواصل اعماله بمزيد من التفاصيل ومزيد من الملاحظات والاستشهادات المتنوعة وحاول جمع كل المعارف المتراكمة فى هيكل من العلم المنظم .

ولد ارسطو عام ٣٨٤ ق.م فى ستاجيرا ، بلدة صغيرة على الساحل الشمالى الغربى لبحر ايجه ، وكان والده طبيبا فى بلاط الملك « مينتاس » المقدونى .. جد الاسكندر الاكبر . وتعلم ارسطو على يدى والده والمدرسين الخاصين بمنزله ، فاشتهر اهتماما خاصا بالعلوم الطبيعية ، وجمع فى صباه كل عينات الحياة البحرية من شواطىء بحر ايجه المجاورة لبلدته . وفى حوالى السابعة عشرة من عمره بدأ تعليمه العالى بأكاديمية اثينا حيث كان الفيلسوف والمعلم العظيم افلاطون .. الذى احس بعبقرية ارسطو ، فكان يقول عنه انه « عقل الاكاديمية » . واستمر ارسطو بالاكاديمية عشرين سنة كما يقولون حتى مات افلاطون . ثم دعا الملك فيليب المقدونى ارسطو ليصبح معلما لابنه الاسكندر الذى كان صبيا فى الرابعة عشرة . وظل ارسطو يدرس لتلميذه فى مقدونيا بضع سنين حتى تولى التلميذ العرش واصبح « الاسكندر الاكبر » . فعاد ارسطو الى اثينا حيث انشأ مدرسته الخاصة . وهى من مستوى الجامعات الحالية . فى « الليسيوم » ، التى عرفت باسم « مدرسة المشائين » ، لان ارسطو وزملاءه من العلماء والفلاسفة كانوا يمشون فى حدائقها وممراتها جيئة وذهابا خلال مناقشاتهم فى الموضوعات المختلفة . لقد انفق الاسكندر الاموال على ارسطو التى سخرها لنشاطه العلمى والفكرى ، كما كلف الاسكندر رجاله فى طول الامبراطورية وعرضها بتقديم كل الخدمات التى يطلبها ارسطو ، فجمعوا له العينات من الحياة الحيوانية وكتبوا له التقارير عن مشاهداتهم فى ارجاء الامبراطورية الواسعة ، وعلى اساس من هذه المشاهدات الميدانية والعينات اسس ارسطو علم البيولوجيا .

وعندما مات الاسكندر الاكبر تلقى ارسطو رسالة من صديق يقول له فيها : « هناك ثورة فى اثينا ، وسوف يثير اعداؤك عامة الناس ضدك بسبب علاقتك السابقة بالاسكندر . تذكر كيف اتهموا سقراط بشكل غير عادل وكيف اعدم . عليك بالهرب من اثينا فورا » .

وهكذا ترك ارسطو ـ وقد تعدى الستين من عمره ـ مدرسته التى بناها وعشقها وعاش لها مع اعظم الدارسين والمفكرين فى زمانه . وهرب الى جزيرة صغيرة تدعى « ايوبيا » ، حيث مات عام ٣٢٢ ق.م حبيسا وحزينا .

فيض من الانتاج .. ولكن

تضاربت الآراء حول عدد مؤلفات ارسطو .



ارسطو

فهي مئات من الكتب قد تصل الالف كتاب ولكن غالبيتها قد فقدت . والاعمال المحدودة التي بقيت تقوم على مذكراته ومؤلفاته ومحاضراته التي قدمها وناقشها في مدرسته « المشائين » . ويمكن تركيز اهم اعماله فيما يأتي :

● اسس علم المنطق . فقد وضع اصول التعليل المنطقي المسمى « القياس » . فالتسلسل في هذا التعليل يبدأ بمقدمات يفترض صحتها وينتهي باستنتاج اخير يقوم على هذه المقدمات . فلو كانت هذه المقدمات خاطئة ستكون النهايات خاطئة ايضا . وهنا تكمن نقطة الضعف في هذا التعليل . لقد شرح ارسطو منطق القياس في كتاباته تحت عنوان « الاورجانون » .

● وضع بدايات علم النفس بتحليل بعض العوامل مثل : الشعور ، الذاكرة الانعكاس ، الاحلام .

● وضع اسس علم المعرفة « ابيستيمولوجيا » ، وعلم الاخلاق في كتابيه « الميتافيزيقا » و « الاخلاق » . حيث اماط اللثام عن المفهوم الديناميكي للحياة فقد كان يرى ان الحياة عملية نشوء ونمو في اتجاه تحقيق هدف كامن . وهنا يبدو مستفيدا من المفكرين الذين سبقوه في « ايونيا » . وقد ظهرت هذه النظرية الديناميكية ايضا في آرائه السياسية التي جاءت بكتابه « السياسة » . كما عرض ايضا نظرية النمو او النشوء في كتابه المسمى « الفيزيقا » .

● اسس ارسطو علم البيولوجيا بتصنيف الكائنات الحية حسب تعقيدات تركيبها وحسب طريقة تكاثرها وحسب مميزات وسمات الدم . وهو بهذا قد سهل لمن جاءوا من بعده دراسة ومقارنة الانواع وظلت تصنيفاته دون تغير حتى اعمال « ليناوس » في القرن الثامن عشر . لقد جاءت اعماله في كتابين .. الاول بعنوان « حول اجزاء الحيوانات » ، والثاني بعنوان « تاريخ الحيوانات » . وكانت آراؤه فيهما قائمة على المشاهدة القريبة والعديدة وباسلوب علمي فبقيت قوية وصحيحة . كانت آراؤه قائمة على العينات العديدة والمشاهدات والتقارير التي بعث بها رجال الاسكندر من انحاء الامبراطورية .

● اما في دائرة الفلك والفيزيقا فلم تكن آراء ونظريات ارسطو في مجملها قائمة على التجريب او على النهج العلمي السليم ، بل كانت قائمة على تحليلات فلسفية لفروض ضعيفة وعلى مشاهدات محدودة والامثلة التالية هي بعض مما يدل على ذلك :

١ ــ آراء آرسطو في الاجسام الساقطة ، فهو يقرر ان الجسم الاثقل يسقط نحو الارض بسرعة اكبر من الاجسام الاخف . وظل هذا الراى سائدا حوالي عشرين قرنا من الزمان .. من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى السادس عشر الميلادي ، عندما جاء جاليليو وقام بتجربته الشهيرة للاجسام الساقطة لاختبار مدى صحة راى ارسطو ، فوجد ان الاجسام كلها تسقط نحو الارض في نفس الفترة الزمنية اذا سقطت من نفس المكان مهما كانت اثقالها متفاوتة . وقد استخدم جاليليو برج بيزا المائل في التجربة .

٢ ــ قال ارسطو ان الحالة الطبيعية للجسم هي السكون ، واننا نحتاج الى قوة محركة لتجعل الجسم يستمر في حالة الحركة . ومرت عشرون من القرون عندما دحض نيوتن هذا الراى بالتجربة ، واثبت ان الجسم المتحرك يستمر متحركا .. « القانون الاول لنيوتن » .

● معلومات أرسطو أصبحت أساسًا ونصوصا للمعرفة

٣ ـ افترض ارسطو ان الارض موجودة في موقع ثابت بمركز الكون ، كما افترض ان الدائرة تمثل الشكل الهندسي المثال ، وأن الاجرام السماوية تسير في مدارات مثالية « دائرية » كما قال ان القمر يشع ضوءه الخاص . وفي القرن السادس عشر الميلادي اثبت جاليليو وكيبلر وكوبر نيكوس أن هذه الفرضيات خاطئة .. فالارض ليست في مركز الكون ، والاجرام كلها تتحرك في مسارات بيضاوية ، والقمر يعكس فقط ضوء الشمس .. وهكذا .

ارسطو والاجيال

كان ارسطو أكثر تلامذة افلاطون تميزا وشهرة ، ولكن كان هناك اختلاف اساسي بين تفكير الاستاذ وتفكير تلميذه . فافلاطون كان اكثر اهتماما بالافكار المجردة والرياضيات ، وكان يقول بأن العالم « كل استاتيكي » أو وحدة ثابتة . اما ارسطو فكان أقل اهتماما بالتجريد واكثر واقعية ، فهو معني بمراقبة مايراه وبتصنيف الاشياء الحية مثلا .. كان عالم ارسطو اقل جمودا واكثر ديناميكية وتطورا

يقول فرانسيس بيكون ان عادة ارسطو قد جرت بان يبدأ اقواله بعرض تاريخي مركز عما قيل من قبله عن الموضوع الذي يتحدث عنه ، ثم هو يضيف عليه ما يريد من اضافة او نقد . ومن هنا فنحن مدينون لارسطو بالكثير من معارفنا عن الفكر العلمي اليوناني السابق عليه .

جاء في السطور الاولى من كتابه « الميتافيزيقا » : ان كل الناس بطبيعتهم يرغبون في المعرفة . وما من شك في ان ارسطو نفسه يعتبر في مقدمة الراغبين في المعرفة التي راح يجد وراءها في كل اتجاه ولكن ارسطو كان الى حد كبير كغيره من المفكرين الاغريق الذين تركز اهتمامهم في قضية « لماذا » اكثر من قضية «ماذا» . فهم يغرقون في محاولاتهم الفنية للاجابة على السؤال : لماذا تحدث هذه الظواهر او تلك ؟ اكثر من اهتمامهم بالمشاهدة عن قرب وبالتجربة لمعرفة ماذا يحدث فعلا .

لم يكن ارسطو وغيرهم من المفكرين الاغريق يهتمون بالتجربة لسببين : الاول لان التجربة عمل يدوي ، والاعمال اليدوية كانت محتقرة ومقصورة على العبيد . اما المفكرون فهم من السادة .. يجلسون على الارائك الوثيرة ويتاملون لم يخرجون بارائهم ونظرياتهم . والتاملات وحدها لا تكفي لاكتشاف قوانين الطبيعة ولا تكره الطبيعة على ان تبوح باسرارها . واما السبب الثاني فهو عجز الادوات والالات الضرورية للتجربة وللبحث نتيجة لركود الصناعة اليونانية تحت نظام الرق كما سبق ان اشرنا . لقد تخلفت اليونان كثيرا في مجال الاختراعات الصناعية والتقنية عن المستوى العام الذي وصلت اليه في المجالات الاخرى ، بسبب احتقار الاعمال اليدوية وابتعاد الناس ـ فيما عدا العبيد ـ عن الارتباط المباشر بعمليات الانتاج ومن ثم بتطوير الالات وازدهار المخترعات . ولماذا الجهد في هذا الاتجاه فعضلات العبيد متوافرة وهي ارخص من الالات .

هكذا ابتعد ارسطو عن التجربة وعن الاختبار الا في بعض الحالات القليلة . وكل ما امكنه القيام به هو الاعتماد على المشاهدة . ومع ذلك فان المعلومات الواسعة التي جمعها هو ومساعدوه وتقنها ، والاراء التي قال بها قد اصبحت نصوصا واساسا للمعرفة لالفين من السنين .. صحيحة كانت ام غير صحيحة .



ارسطو

ان من اهم مآثر ارسطو انه ربط ما بين المنطق .. الفيزيقي . الطبيعي . والاخلاقي من الفكر اليوناني . كما اشرنا من قبل . بل لعلنا لانغالي. اذا قلنا ان رغبة الاسكندر وطموحاته نحو الوحدة . وحدة العالم سياسيا تحت قيادته . قد استمدت جانبا من قوتها وحماسها من معلمه الذي يعتبره . ديورانت . وغيره اعظم مفكر تركيبي في تاريخ الفكر . فالنزوع السياسي من جانب التلميذ . والنزوع العلمي والفلسفي من جانب المعلم هما جانبان مختلفان لشيء واحد او هدف واحد يحتويهما مقدوتيان كبيران بتوحيد عالمي يسوده الفكر ويعمه النظام. ولو ان الامر كان اكبر مغالاة . فليس من شك في ان معارف ارسطو وفلسفته كانتا غزوا للعالم افضل من غزو الاسكندر المنتمي له .

ان الهيبة العلمية لارسطو في عالم المعرفة والمكانة العالية التي تبوأها . قد جعلت اراءه ومعلوماته مقبولة ومسلما بها من الجنس البشري كله خلال اكثر من عشرين قرنا من الزمان كما اسلفنا . دون ان يحاول احد مناقشتها او نقدها .. ما كان منها صحيحا وما كان منها خاطئا على حد سواء . وبعض الكتاب في مجال تاريخ العلم والفلسفة يقولون ان افكار ارسطو الخاطئة قد شوهت الفكر العلمي وعوقت تقدمه خلال عشرين قرنا . وكأنها مسئولية ارسطو فعلا . فليس هو بمسئول عن قبول الناس لارائه دون مناقشة . وعن تسليمهم له في جمود وخوف . ولو انهم كانوا قد قرأوا واستوعبوا سطوره الاولى من كتاب . الميتافيزيقا . عن الرغبة في المعرفة، لقاموا بمراجعة اسهاماته وارائه ومناقشتها ونقدها بدلا من قبولها كأحكام واراء نهائية . من اجل معرفة الحقيقة . ولكنهم كانوا دائما يستندون الى : « قال ارسطو... وكفى » .

هناك مثل يقول : « كلمات الكبار كبيرة » . ولو كان هذا المثل صحيحا . فانه ينبغي ان يدرك العلماء والمفكرون الكبار من المعاصرين والقادمين مدى مسئولياتهم نحو الاجيال القادمة عندما يتكلمون او يكتبون او يعملون .

وكلمة اخيرة .. هل يمكن ان نعتبر هذه المقالة درسا في الشجاعة للمناقشة والنقد في الرأي .. حتى لو كان صاحبه ارسطو آخر .. في العلم او الفلسفة ؟ انه الدرس الاول في الحرية .. وفي العلم ●

من حكمة العرب

اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، واصلك الذي اليه تصير . وانك بهم تصول وبهم تطول ، وهم العدة عند الشدة . اكرم كريمهم ، وعد سقيمهم ، واشركهم في امورك ، ويسر عن معسرهم .

علي بن ابي طالب

لايقبل الله تعالى صدقة من احد ، وذو رحمه جائع .

حديث شريف

ثلاث في المعروف لوجدته لايقوم الابثلاث : تعجيله وستره وتصغيره .

جعفر الصادق

تلك الأيام

شعر: حسين علي محمد

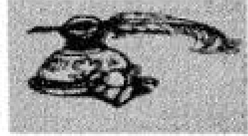


\- ١ -

انتشر الليل على طرقات القرية
والمارد أصبح قزما
والقزم تمطى في المقهم
فانكسرت صدفات البحر
عن رجل فارس
يركب أمواج المد وأمواج الجزر
والحارس في البر الشرقي
يلهو بسلاسل قارب
عبثت ريح المغرب
فانكسر على زبد البحر ـ الليل ـ القارب
والصدفات
والقزم ـ المارد .. مات

\- ٢ -

انتع صدري ـ للنسمات القادمة من البر
الغربي
الهو في قمصان الليل الشتوي !
والنسمات تجرح صدري
تأكلني ..
تصعقني ..
ومعاطف زوجي .. الفرو القطبي
ملقاة في الشارع تحت الأقدام
آه من تلك الأيام ..
تلهو فيها بالأصواف الأغنام



الكتاب يتراجع

● وقفت هذا الشهر طويلا امام تقرير صادر لهيئة اليونسكو عن حال الكتاب العربي . وهذا التقرير يعد مؤشرا هاما لحالات المد والانحسار في نشر الكتاب العربي . وانتقال المركز الاساسي في نشر هذا الكتاب من عاصمة عربية الى عاصمة اخرى .

ابدا اولا بتقديم حقائق هذا التقرير بصورة محايدة دون ان يكون هناك رأى وراء هذا . وبعد الحقائق ، نتكلم عن دلالاتها .

تقرير اليونسكو يقول :

اخرجت المطابع العربية سنة ١٩٦٥م ٥١٩٩ كتابا جديدا

وفي سنة ١٩٨١ اخرجت المطابع العربية ٢٨٥٠ كتابا .

والمفارقة الاولى في هذه الارقام ، ان نسبة النقص في عدد المؤلفات العربية وصلت الى : ٤٥ر٩٪

مع ان اليونسكو في عام ١٩٦٥ ، كان يتوقع أن يصل عدد الكتب المنشورة في الوطن العربي الى عشرة الاف كتاب . على الاقل . وذلك كانعكاس طبيعي لامرين .

الاول الزيادة الطبيعية في عدد السكان العرب . وهي والحمد لله زيادة مستمرة ، ومطردة .

والامر الثاني : الزيادة المتوقعة في عدد المتعلمين من العدد الذي يوجد اصلا .

للاسف ان عدد المؤلفات العربية لم يزد . ولا حتى ثبت على المعدل البسيط الذي كان قد وصل اليه .

عندما نترك الرقم العام ، وندخل في بعض تفصيلات هذا الرقم بالتحديد من ناحية الدول التي تقدم هذه الكتب ، لا يملك الانسان الا ان تصيبه حالة من الذهول امام لبنان . فمن المعروف ان هناك حالة من الحرب مستمرة منذ سبع سنوات مرت . ورغم هذا فالتقرير اليونسكو يقول انه في سنة ١٩٨١ . فان ٦٠٪ من الكتب العربية التي خرجت الى النور كانت من لبنان . فقد اصدرت مطابعها في ذلك العام الذى كان من الاعوام الدامية في لبنان ١٦٥٠ كتابا ، من كل الكتب الصادرة في هذا العام على مستوى الوطن العربي كله وعددها ٢٨٥٠ كتابا .

ولقد وصلت بيروت الى هذا المكان



د. طه حسين — محمود درويش

الارتفاع ، رغم انها في سنة ١٩٦٥م كانت العاصمة العربية الثانية بين عواصم العرب في نشر الكتاب العربي .

في عام ١٩٦٥م . كانت القاهرة هي العاصمة العربية الاولى . كانت تحتل رأس القائمة .. طبعت القاهرة في ذلك العام ٢٢٨٥ كتابا . كانت تليها دمشق التي نشرت ٤٥٨ كتابا ثم بيروت التي نشرت ٣٢٣ كتابا . وبغداد نشرت ٢٦٩ كتابا . وتونس نشرت ٢٠٠ كتاب وعمان : ١٦٢ وفي الرباط بالمغرب كان المنشور ١٦١ وفي الجزائر ١٣١ . وفي الكويت ١١٢ وفي الخرطوم ٨٢ كتابا .

تلك كانت خريطة الكتاب العربي في منتصف الستينات . والتي تغيرت بصورة اساسية . وتقدمت بيروت خلال هذه السنوات لتحتل القيادة الفعلية وتحصل لنفسها على حوالي ٦٠٪ من الكتب العربية الصادرة على مستوى الوطن العربي كله ،

يتساءل تقرير اليونسكو عن الاسباب التي دفعت الى هذه الحالة من الانحسار والتراجع للكتاب من حياتنا . وهنا فانه لابد من الاختلاف مع التقرير على طول الخط .

يقول التقرير ان انتشار التليفزيون هو السبب الوحيد لتراجع الكتاب من الحياة العربية . وقد يكون ذلك سببا ، ولكنه ليس السبب الرئيس ولا الهام . فالى جانب انتشار اجهزة الاعلام مثل المسرح والتليفزيون والسينما ، هناك عوامل اخرى تخص الكتاب نفسه مثل ارتفاع سعره الى ارقام فلكية .

لابد من القول ان مبدعي الثقافة ومؤلفي هذه الكتب ينتهي دورهم عند نشر الكتاب ولا يلعبون اي دور في ايجاد القارىء .

لقد لعبت اجهزة الاعلام دورا سلبيا بدون شك . ولكن المتعاملين مع الكتاب ابتداء من المؤلف وانتهاء بالقارىء . لعبوا دورا لايقل اهمية عن اجهزة الاعلام .

ان نشر الكتاب مقياس حضاري . والتعامل معه واحد من اهم هذه المقاييس وكان يهمني لو ان تقرير هيئة اليونسكو تعدى الامر من مجرد دراسة نشر الكتاب الى توزيعه والاقبال عليه وقراءته . واعتقد ان ارقام التوزيع تكون لها دلالات هامة . في هذه الحالة ..

ذكرى طه حسين :

قابلت الدكتور طه حسين لاخر مرة قبل وفاته بعدة اشهر . وذهبت اليه بعد هذه المقابلة مرة اخرى . في المرة الاولى . ذهبت اليه لاجراء حديث صحفي معه . ورغم تقدم عمر الرجل ، وكبر سنه . الا انه كان يقظا حاضر الذهن متوقدا . وبدلا من ان اوجه اليه الاسئلة . اذا هو ناصية



الحديث ووجه الاسئلة الى . سألته من اللغة العربية فى حياتنا ، وتراجع الاهتمام بها فى حياتنا . وبدلا من الاجابة عن السؤال ، سأل هو بدوره :

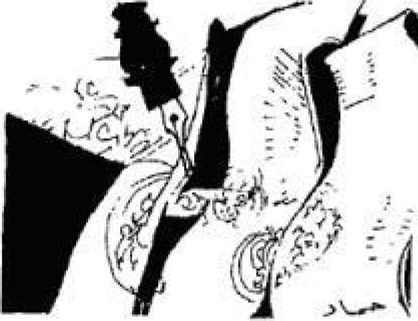
– الى اين وصلت نسبة الامية فى مصر ؟!

كانت لديه حالة من الفزع ، بسبب الزيادة المستمرة فى اعداد الاميين .

ذهبت اليه مرة أخرى . زيارة دون ان يكون من ورائها عمل صحفى ما .. وفى هذه المرة حاولت معرفة خريطة حياتنا الادبية فى ذهنه . وعندما تكلم معى . اكتشفت أن الخريطة الادبية التى فى ذهنه . غير الخريطة التى نعيشها .. كنا فى سنة ١٩٧٣ . وكان يتحدث عن واقع أدبى آخر . وكان أحدث كاتب فى ذهنه من شيوخ الكتاب ، ولم يكن قد سمع عن اى كاتب من ابناء جيلى ، فالرجل معذور ..

فى الثامن والعشرين من اكتوبر من ذلك العام رحل الدكتور طه حسين عن دنيانا . كان آخر العمالقة الذين عاصرناهم . رحل بعد العبور بأيام معدودة . وبعد رحيله . أقيم مهرجان فى جامعة القاهرة عنه ، ومهرجان فى جامعة المنيا . واعلنت الدولة عن الكثير من المحاولات لتكريمه ، وتسربت الايام . واكتشفت اننا نتعامل مع ذكرى هذا العملاق بالطريقة الشرقية .

فى جامعة القاهرة مشروعات ، وفى محافظة المنيا باعتبارها المحافظة التى خرج منها . حيث كان يعيش والده . واسرته . عن مشروعات لتخليد ذكراه . وكان هنالك مشروع لتحويل فيللا « رامتان » الى متحف يضم اشياءه الخاصة . وفى مجلس مدينة مغاغة ، قالوا لى عندما ذهبت الى قرية طه حسين « عزبة الكيلو » ابحث عما بقى من



طه حسين فيها ، اكدوا لى ان هنالك اكثر من مشروع لتكريمه . وفى جامعة المنيا اكثر من مشروع . وكانت هنالك نية لتخصيص جائزة تحمل اسم الرجل . وتمنح كل عام. وكثيرا مافكر الدكتور محمد حسن الزيات – تلميذه قبل ان يكون زوج ابنته الوحيدة – فى جمع كل ماكتب عن طه حسين . وضمه الى متحفه . الذى كان يحلم باقامته ..

بعد وفاته قابلت زوجته وابنته والدكتور الزيات . وذهبت الى قريته فى الصعيد . ولكنى اكتشفت اننا لا نبدد الحاضر فقط. ولكننا نبدد ماضينا وكافة رموزه . واول رموز هذا الماضى هى رجال هذا الماضى العظيم .

لن اقول ان من ليس له ماض . ليس من حقه ان يكون . ولكنى اقول انه كلما تدهور الحاضر . قد نجد فى الماضى مانعود اليه . نأخذ منه الزاد والزواد .

منذ ثلاثة ايام فقط مرت تسع سنوات على وفاة الدكتور طه حسين . الرجل الذى يجسد كبرياء العقل العربى فى النصف الاول من القرن العشرين . والذى يشكل مع غيره من ابناء عصره . وزملائه . عصرا من العصور التى لم تتكرر فى القرن

العشرين حتى الآن . تسع سنوات مرت . ولم يخرج الى النور مشروع واحد . من كافة المشاريع التى اعلن عنها .

اخشى ان يتسرب هـــذا الرجـل من ذاكرتنا ، وان يصبح الرجل مجرد ذكرى باهتة . تزداد بهوتا مع الايام والسنوات. وان نبدد نحن بذلك جزءا حيا من ماضينا . الهام .

هذا العـــام ، ربما تكون ذكرى مرور خمسين عاما على رحيل احمد شـــوقى وحافظ ابراهيم . من الدوافع لاهمـــال ذكرى طه حسين . ولكن السؤال . هـــل نستعد من الآن العام القادم ، ان نحتفل بالرجل فى ذكرى مرور عشر سنوات على رحيله . بعضا من المشروعات التى تكلمنا عنها كثيرا .

هل نفعل ذلك ؟! ●

ليلة العشق والدم ..

■ هذه هى الرواية الثالثة لابراهيم عبد المجيد . كانت روايته الاولى: هى فى بطـــن الارض . وكانت روايته الثانية هى : فى الصيف السابع والستين . وله تحت الطبع رواية رابعة هى : المـــطرودون . ومجموعة من القصص القصيرة هى : مشاهد صغيرة حول ســـور كبير .

تقع هذه الرواية القصيرة والتى تقع فى حوالى سبعين صفحة فى ليلة واحدة فقط . يلتقى أبطالها معا . والقلق يبدأ من وقت الغروب . وحتى مجيء الليـــل . وهذه المساحة المحدودة من الزمن مليئة بذكريات الماضى . الذى يحاصر الحاضر ويحاول خنقه ومنعه من التحرك .

وعلى لوحة هذه الليلة فى العـــادية يتحرك فؤاد الراوى ووردة وحسين العلوى خضر فؤاد ليلة وفاة والده . ووردة يقتل حسن العلوى احد لصوص الشـــعب المصرى . كانت تقف بينهما وردة . ذلك اللحن الغزالى القادر على النبع والنبع . والتى تضحك فيتحرك العالم كله بالقرب منها .

هذه الرواية تعتبر هامة واساسية جدا بالنسبة لابراهيم عبد المجيد . وفيهـــا يضع الاساس لبناء عالم روائى خاص به. وفيها لغة خاصة جدا .. ساخنة وحيـــة وطازجة وتقدم تجربة الرواية النهائية . وهى تجربة شـــديدة الاختلاف عن عمليه السابقتين . سواء عمله الاول او الثانى .

وفى الرواية اجتهاد لغوى واضـــح . فهو ينحت مفردات خاصة ، ويلعب بتركيب الجملة . ويحاول ان يقول من خـــلال التقديم والتأخير . وبعلاقة الفعل والفاعل الكثير . لذا فيها دراما حيـــة . قوية وشديدة التأثير فعلا .

والقتل فى هذه الرواية له قوة تشد الانسان وفيها موقف شديد الوضـــوح . يقف مع الانسان بعنف . لكن يبقى السؤال الذى الح على نفسى وانا اقرؤها : لماذا كل هذا الحزن ، وهذا الاحساس بالغربة والمأساوية معا . ان الذين تضمهم الرواية يبدون هكذا : وردة تنتحر . وفؤاد يعتدى عليه الاوغاد فى السجن . وحسن العلوى اللص شلا ومنحل الى حد لايصـــدق ووردة ، يهتك حسن العلوى كرامتـــه هتكا شنيعا . عالم بأكمله ينهار . يضيع ، يتلاشى . صحيح ان الكاتب قدم هذا كله بشكل فنى يصل الى حد الابهار . وان الرواية تجعلك لاتســـتطيع تركها دون ان تكملها . ولكن لماذا كل هذا السقوط ؟! لقد تحولت الرواية الى معرض التشـــوه البشرى بدون حد ..

عموما هذه رؤية الفنان . ومن حقـــه



ان يقدمها بالصورة التي يراها مناسبة . ولكن الغريب ان كل هذا العالم المخرب من داخله قد قدمه الفنان بصورة فنية متكاملة تصل الى حد الذهول .

تدور أحداث الرواية فى الاسكندرية . المدينة التى يعشقها ابراهيم عبد المجيد، ويكتب عنها بدرجة نادرة ومذهلة من الصدق والحساسية الفنية .

قرات هذه الرواية . وأنا اقول لنفسي: هذا هو نص روائي غير عادى . يتوه فى زحام تفاهات كل يوم . يضيع فى مواجهة هذه الاشياء الغثة والتى تسمى نفسها نصوصا روائية . عمل جاد وعمل مبهر وعمل جيد يقف وراءه فنان موهوب . فهل نتوقف امام نصه الروائى الثالث . والذى سيعد من المحاولات الروائية الجادة . ومن العلامات الاساسية فى تطور الرواية العربية .. ؟! ●

لمحة عامة الى مصر

● هذا كتاب من الكتب النادرة التى تمنيت طويلا اعادة طبعه مرة أخرى . الكتاب هو « لمحة عامة الى مصر » . ومؤلفه هو الدكتور كلوت بيك . الطبيب الذى حضر الى مصر . ولعب دورا هاما . من اجل ان يكون فى مصر صحة عامة . ثم الف كتابا ضخما سماه : لمحة عامة الى مصر . قرات من قبل الطبعة الاولى التى صدرت من هذا الكتاب فى أوائل هذا القرن . لاأقول اننى قرات الكتاب ولكن شربت حروفه . ووصلنى جيدا كل معنى من المعانى فيه . وتمنيت يومها ان يقراه غيرى . ولكن الطبعة كانت قديمة ، ومن الصعب وجود نسخ أخرى منها . ولابد من اعادة طبعه مرة أخرى . ولكن من يقوم بذلك ؟ فى العام الماضى . أصدرت دار الموقف العربى الجزء الاول من هذا الكتاب الضخم . فرغم أنها دار قطاع خاص . الا انها دار جادة . تلعب دورا قوميا من اجل الثقافة والكلمة . ولكن بعد صدور هذا الجزء من الكتاب ، مرت الدار بظروف صعبة . وقد تمكنت الدار من العودة للعمل مرة أخرى مؤخرا . وكان العمل الاول الذى نزل الى الاسواق هو الجزء الثانى من هذا الكتاب الهام .

والكتاب من ترجمة محمد مسعود . جاء كلوت بيك الى مصر بعد الحملة الفرنسية وبداية عصر محمد علي . الذى يعد من العصور الاساسية فى نهضة مصر الحديثة . وهذا الجزء الثاني خاص بسكان مصر في ذلك الوقت ، ودياناتهم وتشريعات هذه الديانات كما يتعرض للسلوك الاجتماعى لسكان مصر . ويصف بشكل دقيق الطبقات الاجتماعية فى مصر سواء من خلال تصميم المساكن . أو ممارسات الناس لحياتهم اليومية أو من خلال تعاملهم بأدق التفاصيل حتى على مستوى المتجر والمقهى .

والكتاب يعرف بالقرى والمدن المصرية وعدد القرى وعدد المدن . فى كل من الوجهين القبلى والبحرى . وتاريخ كل مدينة من مدن مصر . ويتناول الكتاب المسائل الدينية فى مصر . وتناوله يبدو خاصا . لانه يركز على قضايا الحق والبعث والحساب والوحدانية والملائكة .

ويتابع مسالة القضاء والقدر وعلاقة المرأة بالرجل ولان الرجل فرنسى قادم من فرنسا . فلا يتوقع الانسان ان تتطابق آراؤه معنا . فله وجهة نظر قد لا يقبلها الانسان حول الديانات فى مصر . وحول دور الانسان المصرى الايجابى فى الحياة .

وان كان من المؤكد ان الرجل ليس سيىء



النية . وان هناك حالة من حسن النية لديه . فربما كانت هذه هى نظرته الفعلية . الى مصر والمصريين فى الوقت الذى عاشه .

ولكن وسط هذه الحالة من الاتفاق والخلاف فالكتاب يعكس حالة من الحب لمصر دفعته الى تدوين هذا الكتاب الضخم عن مصر والمصريين .

الوجه الفلسطينى

● « كتابات » كراسة ثقافية يصدرها الشاعر رفعت سلام ، عددها السادس فى الاسواق الان . وكتابات كراسة من كراسات الفقراء فى الامكانيات الاغنياء فى الامكانيات . اصحاب اكثر الاصوات علوا فى الثقافة المصرية . كتابات مطبوعة بطريقة التصوير التى لم تعد جديدة ، حيث وفد فى الثقافة المصرية ، مايمكن أن يسمى بكاسيت الكتاب المصرى . الذى يحاول أن يخترق الحصار المفروض على الثقافة الجادة . والثقافة الوطنية الشريفة . شارك فى تحرير هذا العدد الشاعر جمال القصاص . وقد خصص رفعت سلام العدد كله عن فلسطين سماه : ارجعوا للوجه الفلسطينى .

مقدمة الكراسة تقول : لايحتاج الامر الى تبرير نظرى ، فربما كانت التبريرات الواقعية اكثر من أن تحصى واكثر ايلاما من القدرة على الاحتمال . ولكن يكون اولها الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية فى فلسطين وسوريا وقد امتد ليشمل الان بيروت . ولكن يكون اخرها وافدحها ارتفاع راية قوة الاحتلال العسكرى . ارتفاع العلم الاسرائيلى فى زمن الاحتلال . ولن يكون اخرها محاولة نزع الوجه الفلسطينى من الذاكرة المصرية . ان ما يجرى الان فى لبنان « المأساة » هو اكتمال الاسئلة التى ظلت على مائدة الصمت العربى دما باردا .

فى هذا العدد قصة وقصيدة . القصة لغسان كنفانى . وهى ورقة من الرملة . والقصيدة هى قصيدة بيروت لمحمود درويش . وهذه هى المرة الاولى التى تنشر فيها هذه القصيدة العظيمة داخل مصر . فهى من اكثر اعمال محمود درويش درامية . وقدرة على تفجير الطاقات الشعرية فى القصيدة . ابراهيم عبد المجيد يكتب فى العدد من اميل حبيبى من السداسية الى المتشائل : هم العودة وطريق العودة . ويقدم أحمد عمر شاهين سجلا احصائيا للقصة القصيرة والرواية الفلسطينية من ١٩٧٠ الى ١٩٨٠ . ويقدم رضا الطويل الناقد الادبى العظيم والجاد دراسة عن رواية بير الشوم لفيصل حورانى . ويقدم فاروق عبد القادر نظرة الى العالم الروائى عند جبرا ابراهيم جبرا . وربما كانت المرة الاولى منذ سنوات التى يقدم فيها فاروق شيئا . ولا اعتقد انه كتب هذه





غسان كنفاني

الدراسة خصيصا للمجلة . واعتقد ان المشاركة افضل الف مرة . من التلفع بعبارة الرفض الشامل والمطلق الذى يأكل نفسه مثل النار تماما . وكم من الطاقات الطلبة المهدرة لدى الكتاب الشرفاء والجادين على ارضك يا مصر . وكتب احمد عمر شاهين نظـرة فى الأدب القصص الصهيونى .

واخر مافى العدد كله كلمة عن الشاعر خليل حاوى . الوطن العربى الوحيد الذى انتحر احتجاجا على ما يجرى فى المنطقة العربية . الكلمة التى يبدو أن صاحبها رفعت سلام نفسه تقول عن هذا الانتحار : ماذا تصنع الكلمات وقد صمتت كل الحروف . ماذا يملك الجهد النهائى امام هذا الموت . واى حـوار يتبدى وشلالات الدم وجثث النساء والشيوخ والاطفال تكتظ بهم الشوارع . والخرائب والانقاض .

رفعت سلام شاعر شاب . له ديوان من الشعر ، نحن فى انتظاره من الآن . عنـوانه : وردة الفوضى الجميلة وكان يمكنه ان يعرف كافة اهتماماته الى اعماله وينشرها . ولكن احساس هـذا الشاب بالهم العام . يأتى قبل احساسـه بالهم الخاص والهدف الخاص . وتلك كلهـا مقدمات الشعراء الكبار .

ان أى وطنى لايملك سوى الانحناء امام هذا الجهد العظيم . كتابات .

بريد المتابعات :

● وصلتني هذه الرسالة من الزميل الكبير فؤاد دوارة ، أنشرها كما هى . معترفا من البداية بالتقصير فى متابعة ماصدر له من أعمال نقدية من قبل .

عتاب من الناقد (الأقل)

« ارجو أن تتقبل شكرى الخالص على تنويهك الجيد الواعى بكتابى الصغير « صلاح عبد الصبور والمسرح » فى متابعاتك بهلال الشهر الماضى .. واسمح لى ان احييك بصفة خاصة الى انتباهك الى ماقيه بساطة « تخفى تحتهـا قدرا من التحليل والرؤية العميقة » .. فهذه بالضبط ما احاول ان احققه فى كل ما اكتب من مقالات ودراسات نقدية ، ايمانا منى بأن اعمق الافكار من الممكن التعبير عنها بأبسط الاساليب ، مادامت هـذه الافكار واضحة فى ذهن كاتبهـا ، وبأن المهمة الأولى للناقد الأدبى هى تقريب الاعمال الأدبية من القـراء ، واغراؤهم بقراءتها ، لا تنفيرهم منها باصطناع الاساليب المعقدة المتعالية التى يلجأ اليها بعض دارسينا ـ للأسف ـ فى نوع من استعراض العضلات واصطناع العمق والتخصص ..

ولى بعد ذلك عتاب هو الذى دفعنى للكتابة اليك ، فاذا كنت انت الكاتب « التابع » لم تقرأ لى سوى كتاب واحد

من بين سبعة عشر كتابا مطبوعة ومتداولة، فماذا يقول القارئ العادى ؟!

قد يكون عذرك أنه لم تصدر لى كتب فى السنوات الاخيرة ، وليس ذلك لتقصير من جانبى ، بل لتقصير من هيئة الكتاب ، فلى بها اربعة كتب كبيرة تنتظر دورها فى النشر منذ أكثر من خمس سنوات ، ودور النشر التجارية — كما تعلم — لا ترحب بنشر الدراسات النقدية مالم تكن مقررة على طلاب الكليات والمعاهد .. ولدى فضلا عن ذلك اكثر من عشرة كتب تنتظر فرصة النشر ..

على أنى سأفترض انك لم تبدأ القراءة لى الا منذ عام واحد ، وانك لاتقرأ سوى مجلات دار الهلال التى تعمل بها وتشارك فى تحريرها ، فهل تعتبر كاتبا ينتظم فى الكتابة الاسبوعية لمجلة « الكواكب » ، وأحيانا يكتب أكثر من مقال فى النقد المسرحى ، مقلا ؟

اذا أصررت مع ذلك على هذا الوصف فانى احيلك الى دراساتى العديدة بمجلات المجلة ، الكاتب ، الهلال ، الأدب ، العربى ، الدوحة ، عالم الفكر ، فصول ، الكويت ، صباح الخير .. وغيرها ..

علما بانى طوال الربع قرن الذى مارست فيه النقد الادبى والمسرحى لم أتفرغ له ، بل كنت دائما أؤدى ما اسميه « بالخدمة الثقافية » من خلال عملى :

١ — مديرا لتحرير « المجلة » فى سنوات ازدهارها .

٢ — مديرا للمطبوعات بدار الكتب .

٣ — التدريس بالمعهد العالى للسينما ، ثم بالمعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت

٤ — ادارة مركز الثقافة ومركز اعداد الرواد الثقافيين بالثقافة الجماهيرية .

فهل يكفى ذلك لتبرئتى من وصف « المقل » ؟.. ولك خالص تحياتى وشكرى مرة أخرى .

●● « الصورة البنوية فى شعر شفيق الكمالى » كتاب صدر مؤخرا عن دار الحرية للطباعة والنشر فى بغداد . الكتاب من تأليف الناقد العراقى قيس كاظم الجنابى . وهو يقع فى ١٦٦ صفحة .

والكتاب يهتم بالصورة الشعرية عند شفيق الكمالى :

ومن الابيات التى يتوقف امامها الدارس ابيات شفيق الكمالى التى يقول فيها :

غدا نلتقى
فلا نلتقى
فلى صمتك الرمرى
وخام طرى
وكوزا نبيذ
وتلا زهور من الزنبق
يحن لها خافقى
فلا نلتقى
[illegible]

جغرافيا المسلمين بالفرنسية

●● « أهل الاسلام » . كتاب الفه لويس غارديه ، وترجمة . الدكتور صلاح الدين برمدا .

والكتاب ليس بحثا عن اعلام المسلمين . بقدر ماهو محاولة للاجابة عن سؤال : كيف عاش المسلمون قيمهم الروحية خلال تاريخهم الطويل . او كيف جسدوها فى الواقع الحى المتطور بتطور الطرق الاجتماعية والاقتصادية

الكتاب يبحث فى الطبقات والفئات الاجتماعية فى العقليات المتنوعة . بتنوع الشعوب التى اعتنقت الاسلام .

●● « ضوء من الوراء يشوه وجهاته » هذا هو عنوان ديوان الشاعر اللبنانى جلال الاسود . والذى تصدره دار الباحث . الديوان فيه محاولة للبحث عن لغة



شعرية جديدة . والشاعر يحاول ان يقول الكثير من المعاني في اقل عدد من الكلمات. فالكلمة عنده مؤشر الى نص مفتوح .

●● يشهد الشهر القادم . تقـديم قداسة البابا ككاتب مسرحي لاول مرة . تجرى حاليا الاتصالات الرسمية مع بعض كبار الممثلين والممثلات وذلك من اجل القيام بالدورين الرئيسيين في مسرحية : مخزن تاجر المجوهرات ، وهي واحـدة من اربع مسرحيات كان قد كتبها الحبر الاعظم من قبل .

●● القاص السوداني : عثمـــان الحورى . يصدر له المجلس القــومى للثقافة والفنون في الخرطوم مجموعة من القصص القصيرة .

الكاتب يعد من مؤسسى حركة تطــور القصة القصيرة في السودان .

المجموعة عنوانها : بداية التمساح .

●● يقام في الثقافة بالبحرين . هذه الايام معرض للكتاب العربي . تشـترك في المعرض ٤٩ دار نشر عربية و ١٦ دارا عالمية .

الخصم على اسعار الكتب يبدأ من ٢٠ الى ٢٥٪ هذا المعرض سيضم جناحا كاملا للعب الاطفال . واشرطة الفيديو واجهزة الكمبيوتر .

وكذلك ستعرض الافلام على الاطفــال طوال ايام المعرض .

أدب وأدباء

●● الناقدة والكاتبة فريدة النقاش صدر لها كتاب جديد . هو الاول من نوعه بالنسبة لها : الكتاب اســمه : « السجن الوطنى »

الكتاب عبارة عن مذكراتها . حــول فترات السجن . التى تعرضت لهـا . خلال العامين الاخيرين من حكم السادات.

الكتاب اقرب الى المذكرات الشخصية.

●● يكتب فتحي غانم . في هـــذه الايام . قصة جديدة . هي عبارة عن قصة قصيرة طويلة .. عن الحب في هـــذا الزمان . من المتوقع ان تصدر هـــذه القصة الجديدة في الخريف القادم ..

●● رواية الكاتب الـكولومبى : جارسـيا ماركيز مائة عام العزلة ، والتى صدرت من قبل مترجمة من بيروت . انتهى الدكتور سليمان العطار . اســتاذ اللغات الشرقية في جامعة القاهرة . من ترجمتها ترجمة جديدة الى العربية .

من المتوقع ان تصدر هذه الترجمة . عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ..

ترجمة بيروت صدرت منها أكثر مــن طبعة . في الفترة الاخيرة .

●● مثلث الخطر كتاب جديد للزميل مصطفى نبيل . حيث يدرس منــاطق مضيق هرمز ، وباب المندب ، وجبــل طارق .

وقد قدم الكتاب الاستاذ احمـــد بهاء الدين . وقال في مقدمتــه : ان مصطفى نبيل كاتب ميــدانى . وهو لا يتحمس للكتابة الا اذا ذهب الى موقع الحدث ومكان الدراسة .

ومصطفى نبيل في هذا الكتاب. يذهب الى اماكن استراتيجية هامة تتجه اليها انظار العالم ، ويقول عن مضيق هرمز انه ربما كان بداية الحرب العالمية الثالثة. ان قدر لها أن تندلع .

ان الكاتب يحيط بهموم ومناطق الخطر في عالم اليوم . وهو يقدم هذا كله . في اسلوب سهل . وجملة بسيطة ولغة تخلو من التعقيدات ، والكاتب لا يقــدم دراسة مكتبية بقدر ما هي دراسة للواقع وحضوره نفسه ، والكتاب ـ رغم بساطته الفريدة ـ يدق ناقوس الخطر . لمناطق تعاني من ذلك الخطر في الوطن العربى .

في هذه الايام .

●● الدكتور اندريه ميكل استاذ كرسي الادب العربي في الكوليدج دي فرانس . تصدر له قريبا في باريس اضخم دراسة اعدها في حياته عنوانها : « الجغرافيا الانسانية للعالم الاسلامي »

الباحث الفرنسي عمل في مصر مستشارا ثقافيا في سفارة بلاده .. في مصر في الخمسينات ، وله العديد من الكتب والدراسات عن الادب العربي المعاصر بالفرنسية . كما انه ترجم مجموعات شعرية لبدر شاكر السياب الى الفرنسية

●● « المنعطف » هي الرواية الرابعة للروائي الاردني عطية عبد الله . وقد صدرت في عمان عن رابطة الكتاب الاردنيين . والمؤلف من الروائيين الاوائل في الاردن . صدر له من قبل : متى تورق الاشجار ، وجوه لاتراها الشموس ، النسيان .

●● في الجزائر حصل الباحث عمار زعموش على الماجستير في الاداب . من معهد الاداب العربية والثقافة . جامعة القسطنطينية . كان موضوع الرسالة : نظرية الشعر عند الدكتور محمد مندور . اشرف على الرسالة الدكتور شكري محمد عياد .

في الرسالة استعرض الباحث دور الدكتور مندور وحياته وحالة النقد الأدبي قبل مندور . كما تعرض لارائه في التجربة الشعرية .

●● تقدم الباحث بوزيد كحول . برسالة ماجستير الى معهد الاداب والثقافة العربية في القسطنطينية .

اشرف على الرسالة الدكتور شكري عياد . والرسالة تناولت الشكلين الفنائي والدرامي في شعر الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان .

●● الدكتور اسعد عبد الرحمن صدرت له ضمن مجموعة ابحاث الشرق الاوسط . كاليفورنيا والكويت . دراسة عن الانماء السياسي في التجربتين الناصرية والبورقيبية .

أسعد عبد الرحمن فلسطيني يعيش في الكويت .

●● مؤسسة الابحاث العربية . ورغم ان اسمها يوحي بانها مؤسسة معنية بالدراسات والابحاث فقط . الا انها تصدر . اعمالا فنية رفيعة المستوى . ويكثر الحديث عنها ..

اخر ما أصدرته دار الحداثة في بيروت الاعمال الكاملة للشهيد غسان كنفاني .

من الاعمال التي صدرت : ام سعد ، العاشق ، عن الرجال والبنادق ، الباب ، الادب الفلسطيني القادم تحت الاحتلال .

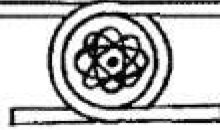
●● مجلتان جديدتان للشعر صدرتا في الوطن العربي مؤخرا الاولى هي : الاوديسة ، والثانية : شعر . الاولى صدرت في بيروت والثانية في تونس .

الاولى تنوي نشر نصوص شعرية ، لم تنشر من قبل . وفي عددها الاول شعر ليوسف الخال .

الثانية تهدف الى خلق تيار شعري جديد وأصيل . وهي لكل شعراء العربية .

●● يتم الاستعداد حاليا لاخراج فيلم عن حياة الروائي الامريكي ايرنست هيمنجواي . تتولى انتاج الفيلم حفيدة هيمنجواي ــ الممثلة مارجو هيمنجواي ــ ويخرج الفيلم زوجها المخرج الفرنسي برنارد فوشر وسيتم تصويره في البلدان . التي تجول فيها هيمنجواي . خلال حياته وهي : فرنسا ، اسبانيا ، كينيا ، الكسيك . وكوبا بالاضافة الى الولايات المتحدة الامريكية .

تقول مارجو ان هذا الفيلم سيكون وثائقيا . اكثر من كونه فيلما روائيا . سيرصد حياة هيمنجواي . واضطرابات عمره الاخيرة . التي ادت به الى الانتحار ●



مع العلم الحديث

طاقة كهربائية من أمواج البحر



١٤٨

● من قبل ، كانت موجة البحر التي ترتمي على رمال الشاطيء ، ثم تنحسر عنها ، تاركة صفحة الرمال مستويه ومبللة من اثر مابها من ماء .. وكانت هذه الصوره مادة وحي للشاعر والمصور . اما اليوم فقد تحولت تلك الرؤية الشاعرية الى فكرة عملية ، تبشر بالوصول الى حل نظيف ورخيص لمشكلة الطاقة التي تشغل بال البشرية .

ففي معظم بلاد العالم المطلة على البحار والمحيطات ينشغل العلماء بتصميم المولدات التي تستغل حركة الموج في توليد الكهرباء .. وحديثا ، توصل المهندس جون مايلز ، من جامعة ميسوري بولاية كولومبيا ، الى تصميم مولد كهربائي يعتمد على الامواج ، مستثمرا مايوجد حاليا من منشآت بحرية لاستخراج البترول من قاع البحر .

الفكرة الجديدة تعتمد على استخدام حركة الموج في ضغط الهواء الذي يقوم بادارة مولد كهربائي . وهي فكرة بسيطة للغاية ، اداتها الاساسية انبوبة قطرها حوالى عشرة امتار ، مزروعة في قاع البحر ، وترتفع الى مافوق سطح البحر بحوالى ٢٠ مترا . عند قمة هذه الانبوبة يوجد توربين ومولد كهربائي . عندما تندفع الموجة العالية ، تدفع الماء عاليا في الانبوبة ، إما من فتحة في اسفلها ، او من الفتحات جانبية بها ، واندفاع الماء داخل الانبوبة يحولها الى مكبس ضخم ، والهواء المضغط يعمل على تحريك ريش التوربين ، ثم تتحول حركة التوربين الى طاقة كهربائية . عندما تنحسر الموجة ، ينخفض الماء في الانبوبة ، شافطا الهواء داخل الانبوبة . هذا الهواء المشفوط يقوم بتشغيل ريش توربين اخر يعمل في اتجاه معاكس . وهكذا تتولد الطاقة الكهربائية بصفة دائمة مع ارتفاع الموجة وهبوطها .

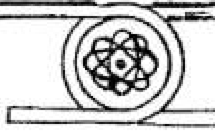
مثل هذه الانابيب يمكن ان تقام على بعد يتراوح بين ١٠ ، و ٢٠ كيلومتر من الشاطيء ، وبهذا لن تكون مرئية لمن يقف عند الشاطيء . والكهرباء التي يولدها هذا البرج ، يتم نقلها الى البحر بواسطة كابلات ممتده فوق قاع البحر . وعلى البر يمكن الاستفاده من الكهرباء مباشره ، او استغلالها في تحويل الماء الى وقود هيدروجيني ، يحفظها الى حين استخراجها فيما بعد .

يقول جون مايلز انه اعتمد في تحقيق فكرته هذه على ابراج ضخ البترول البحريه التابعة لاحدى شركات البترول . وانه بالمثل يمكن توفير نفقات اقامة الابراج ، وذلك بالاعتماد على ماهو مقام فعلا من انابيب في منشئات ضخ البترول من اعماق البحار .

بعد أن تأكد العلماء من ان الفكرة عملية وناجحة ، تضاعف حماسهم لتوليد الكهرباء من حركة امواج البحر . وفي اليابان وبريطانيا ، وفي غيرهما من الدول التي تستورد معظم طاقتها ، ينهمك العلماء في ابحاث شبيهة ، لوضع تصميم المولدات التي تحول حركة الموج الى كهرباء . ومن الواضح انهم قد توصلوا الى اكثر من شكل لتحقيق ذلك الهدف .

يقول مايلز « تفيد التقديرات المبدئية ان محولات الامواج الى طاقة يمكن ان تسد ربع احتياجات بريطانيا من الكهرباء » . كما يقول أن جهود الولايات المتحدة الامريكية في هذا المجال تعتبر محدودة ، اذا قيست بجهود اليابان او بريطانيا . فرغم ان الانشاءات البحرية قد اقيمت فعلا في امريكا ، الا أن خفض الميزانية الفيدرالية قد جعل المضي في البحث متعثرا .

واستنباط الكهرباء من امواج البحر لا يخلو من المشاكل . فالطاقة الكهربائية المتولدة عن هذا الطريق ستباع بحوالى ٢٤ سنتا لكل كيلووات ساعة ، اي مايبلغ خمسة اضعاف تكلفة الطاقة الكهربائية المستخدمة حاليا . لكن مع التطوير التكنولوجي لهذه الوسيلة ، ستنخفض



كلفات الانتاج ومع انخفاض نفقات الانتاج ، سيتضاعف انتاج مولدات الكهرباء من حركة الامواج ، وهذا سيخفض بدوره نفقات الطاقة الكهربائية المنتجة ، خاصة فى الاماكن التى تحتاج الى استخدامها مباشرة .

نافذة على المخ البشرى

هل سيتمكن العلماء ذات يوم من متابعة مســالك الادراك فى المخ البشرى ؟ . لقد وضعت بين ايديهم ادارة جديدة تساعدهم على رصد عمليات النشــاط العقلى ، التى تتصل بكل من حالات المرض العقلى ، وحالات التفكير والاحساس الطبيعية .

الجهاز يطلق عليه اختصــارا اسم « بيت » ، وهو عبارة عن جهاز فاحص قادر على رصد وتجسيد كيمياء المخ خلال نشاطه ، عن طريق تحديد معدل استهلاك الجلوكوز ، وهو الادارة الفعالة فى دراسة آلية العمليات العصبية البيولوجية التى تتضمنها عملية التفكير البشرى العجيبة .

مجموعة البحث العلمى التى يرأســها دكتور ميشيل فيلبس من الكلية الطبية بجامعة لوكلا ، استخدمت جهاز « بيت » لتحديد اى موضع من المخ يشتغل بعملية الادراك البشرى وعملية التعلم ، وعملية التذكر . وفى واحدة من التجــارب ، طلب من الشخص الذى تجرى عليه التجربة ان يتأمل سلسلة من الصور المركبة ، والتى تقتضى اعمال الفكر . وقد استطاع الباحثون بالاعتماد على الجهاز ان يحددوا مناطق المخ التى ترتبط بعمليات الحكم والتحليل .

وفى دراسة اخرى جرى بحث الوظائف المختلفة لنصفى المخ فى عمليــة الادراك . يقول فيلبس ، عند دراسة النشــــاط الموسيقى ، درسنا ان الموســيقى المدرب يســتخدم النصف الايسر من المخ ، وهو النصف المختص بالعمليات التحليلية عند الاستماع الى الموسيقى ، اما الذين يستمعون الى الموسيقى من غير المدربين فانهم يستخدمون النصف الايمن من المخ ، وهو النصف الذى يقال انه مختص بالعمليات الحســية . لكن الدراســـة التى تمت بالاعتماد على « بيت » اثبتت ان استجابة المخ لاتعتمد على مضمون الرسالة الحسية ، بل على طبيعة الشخص نفسه .. اى على طبيعة التدريب الموسيقى للمستمع » .

ورغم ان اســتخدامات جهاز « بيت » مازالت فى اطوارها الاولى ، الا ان العلماء قد اعتمدوا عليه فى تشخيص حالات الصرع التى تحتاج الى اجراء جراحة ، وهى الحالات التى لايجدى معها اســتخدام العقاقير . فمعظم نوبات الصرع تبدا من نقطة معينة فى المخ ، ثم تنتشر فى اماكن اخرى من الجسم ، وجهاز « بيت » قادر على تحديد النقطة المعينة التى تبدا منها نوبة الصرع ، وبهذا يعرف الجراح بالتحديد اى جانب من نسيج المخ يحتاج الى استئصال .

كما قامت مجمــوعة اخرى من اطباء وعلماء جامعة نيويورك باستخدام « بيت » فى دراسة حالات الخلل العقلى التى تتميز بفترة هياج تليهــا فترة حزن واكتئاب ، وحالات انفصام الشخصية ، وحالات الضعف العقلى النــاتج عن الشــيخوخة . وقد تبين الباحثون صلة وثيقة بين اســتهلاك الجلوكوز فى المخ والمرض . فكلما تطرق الوهن الى العمليات العقلية للشخص ، كلما قل استهلاك مخه للجلوكوز .

وحاليا ، يدرس الباحثون باســتخدام « بيت » الخصائص الباثولوجية للعديد من الامراض ، مثل مرض باركنسون ، والسكتة ، واورام المخ ، بالاضافة الى دراسة التأثير الفعلى لبعض العقــاقير فى علاج حالات الخلل العقلى .

الرادار .. لمطاردة الآفات الزراعيــة

تحت جنح الظلام ، تنطلق حشود الآفات الزراعية طائرة ، تبحث عن مناطق جديدة



تنزوها ، لايمنعها شيء . اما الآن ، وبعد ان كشفت اجهزة الرادار اسرار تحركاتها ، فلن تنجح في ممارسة هجرتها الليلية .

لقد استفاد الباحثون الامريكيون من النتائج المبشرة التي تمت على أيدى العلماء البريطانيين في اواخر الستينات ، والتي اعتمدت على نفس الاسلوب ، فبداوا يدرسون السلوك الليلي للحشرات . واين ووالف ، المهندس بالادارة الامريكية الزراعية ، توصل اخيرا الى بناء وحدة رادار ، تستخدم عادة في الدبابات ، لملاحظة ورصد حركة الحشرات الزراعية . وقد تم ذلك بالمقالة موالي ، يطلق شعاعا في سمك القلم الرصاص من الموجات اللاسلكية ذات التذبذب المرتفع . وقد نجح في مضاعفة حساسية هذه الوحدة الرادارية . الى حد انها اصبحت قادرة على رصد حشرة واحدة على بعد ميل من الجهاز . فمع تحرك الشعاع الى الامام والى الخلف في الظلام ، يقوم برصد الحشرات ، التي تظهر على شاشة الجهاز ككتلة صغيرة .

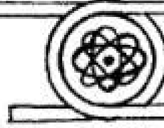
اثناء اجراء تجاربه في المحطة الزراعية بجامعة جورجيا ، استخدم وواف الرادار في قياس عدة متغيرات تتصل بجحافل آفة المحلية : اعدادها ، علاقة حركتها باتجاه الرياح ، ارتفاع طيرانها ، سرعتها ، اوقات طيرانها ، والمسافات التي تقطعها في طيرانها . وقد ساعد ماتوصل اليه وواف على كشف جوانب من حياة الحشرة الليلية . فبعد الغروب مباشرة ، لايظهر على الساحة سوى بعض حشرات العثة . بعد ذلك بنصف ساعة ، تظهر جحافل العثة في اعداد ضخمة وهذه الجحافل تصل الى ذروتها بعد ذلك بساعة او ساعتين . وقد اكتشف ان الحشرات يتباين سلوكها وفقا لاحتلاف انواعها ، وللوقت من السنة ، وللظروف البيئية .

يقول وواف ان محاولة استنباط وسيلة او تقنية للتحكم في هذه الحشرات بدون معرفة اسرار طيرانها وهجرتها ، يشبه دخول الحرب دون الحصول على اية معلومات عن سلاح طيران العدو . وهو يعتقد ان المعلومات التي يحصل عليها باستخدام وحدة الرادار ستساعد العلماء في معركتهم ضد الآفات الزراعية . فبعد تطوير وحدة الرادار التي صممها ، يمكنها ان تساعد في تحذير الفلاحين من هجمات الحشرات والآفات الزراعية قبل وصولها الى حقولهم بوقت كاف . وهكذا يصبح في استطاعة الفلاحين ان يتخذوا احتياطاتهم اللازمة لحماية محصولاتهم من خطر الآفات .

اصوات الركبة كبديل للجراحة

يقول العالم الفسيولوجي ريتشارد موستكرش ، من جامعة آكرون ، انه بالامكان الآن الاعتماد على اجهزة الكترونية معلقة في التنصت على الركبة في محاولة لتشخيص امراض الركبة دون الالتجاء الى الجراحة .

لقد اخترع موستكرش مع مجموعة من الاطباء والمهندسين لمدة سبع سنوات ، لاختراع جهاز يرى انه بالامكان الاعتماد



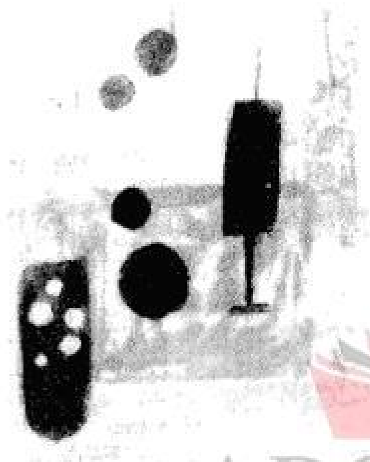
عليه في تفسير لغة مفصل الركبة . فوسائل التشخيص الجراحية المستخدمة حاليا تكون مؤلمة ، وتتضمن بعض المخاطر بالنسبة للمريض ، بينما تتميز وسيلة التشخيص الصوتية هذه بانها بسيطة وآمنة ولا تسبب الما .

خلال الفحص بالعيادة ، يجلس المريض على مقعد مرتفع ، ويشغل مفصل الركبة بتحريك قدمة لتتارجح الى الامام والخلف بمعدل معين . الميكرفون شديد الحساسية المثبت الى الركبة يلتقط الاصوات الصادرة منها اثناء هذه الحركة . وفي نفس الوقت يقوم جهاز آخر مثبت الى رسغ القدم بقياس دائم للزاوية بين الساق السفلى والساق العليا ، اثناء حركة القدم .

هذا الجهاز الحساس ينقل اشاراته الكهربائية الى عقل الكتروني ، يقوم بتحويل ما يتلقاه من معلومات الى رسوم مجسمة ذات ثلاثة ابعاد ، تشبه سلسلة من الجبال والوديان . هذه الرسوم تصور درجة ارتفاع ومدى تمدد الاصوات الصادرة من الركبة في مختلف الزوايا بين عظام الساق . ويستطيع الباحث الربط بين كل زاوية وبين منطقة خاصة من مفصل الركبة ، ومن ثم يستطيع تحديد المكان المصاب الذي تصدر منه الاصوات .

وهو يقول أن الركبة السليمة تكون « صامتة » ، ويعني بذلك انها تصدر اصواتا ضعيفة . والركبة المصابة تصدر اصواتا متميزة ، ولهذا يمكن للباحث ان يكشف طبيعة الخلل ، بمقارنة رسوم الركبة المصابة برسوم الركبة السليمة .

ولتسهيل عملية التشخيص ، يحاول العلماء الربط بين الاصابات المختلفة للركبة ، والاصوات المتباينة التي تصدرها . ويرون أن هذا النوع من التشخيص الصوتي سيفيد في الكشف المبكر عن بعض امراض الركبة الشائعة ، كالروماتيزم .



مصل من اللدائن

بعد أن توصل العلماء الى صناعة البلاستيك ثم النايلون ، يسعون اليوم الى صناعة المصل المعتاد للامراض من اللدائن .

فرغم الفائدة الكبرى التي جنتها البشرية من استخدام الامصال المضادة للامراض ، فان استخدام الامصال يسبب المشاكل في بعض الاحيان . فمن اجل استنفار وتنشيط مقاومة الجسم ، تعطى الامصال التي تصنع من الفيروس أو البكتيريا بعد قتلها أو اضعافها . لكن نظرا لان المصل يصنع من فيروس حقيقي أو من بكتيريا حقيقية ، تسبب الامصال في بعض الاحيان الامراض التي كان المفروض أن تحمي الجسم منها .

لتحقيق مناعة ، دون الدخول في هذه المخاطرة ، قام العلماء بصناعة نسخ من بروتينات الفيروس ، واختبار اثرها كمصل وهذه الامصال لا يمكن أن تسبب المرض ، لانها تصنع من شظايا الفيروسات . وحتى الآن لم يجزم الاطبـاء بانها تحقق المناعة الكاملة المطلوبة .

الا ان بعض مجموعات البحث اعلنت مؤخرا ، انه بعد البحث الدقيق في بروتينات الفيروس المسبب لالتهاب الكبد ، استطاع العلماء صناعة نسختين مختلفتين من بروتينات ذلك الفيروس . وقد نجحت النسختان في حماية الفئران من هذا المرض ويأمل العلماء ان يستكملوا ابحاثهم في صناعة هذا النوع من المصل حتى يمكن استخدامه بنجاح مع الثدييات ، ثم مع الانسان .

قذائف من الطيور الصناعية

وكالة الفضـاء الامريكية « ناسا » ، بالاشتراك مع سلاح الطيران الامريكي ، يقومان ببرنامج عمل يتضمن قذف الطائرات بالطيور ميتة ، وذلك لتامين سلامة الطيران التجاري والحربي .

هدف هذه التجارب هو قياس مدى تحمل اجزاء الطائرة ، الارتطام بالطيور اثناء طيرانها . لهذا الغرض يجري قذف الطيور المسكينة من مدفع هواء مضغوط الى النافذة الامامية والى محرك الطائرة وهي رابضة على الارض . وبعد دراسة التلف الذي يحدثه هذا الاصطدام ، يجري اعادة تصميم الاجزاء الحساسة التي يلحق بها الضرر .

يقول جيمس ويلبك ، كبير مهندسي معهد الابحاث في سانت انتونيو « يعتبر اصطدام الطيور بالطائرات من اكبر المشاكل التي تواجه سلامة الطيران » . وهو ينكر فكرة الاستخفاف التي ينظر بها البعض الى مخاطر اصطدام الطائرات بالطيور ، حتى لو كانت من الطيور الصغيرة . ويقول ويلبك انه خلال السنوات القليلة الماضية تسبب الاصطدام بالطيور في تحطيم الحاجز الزجاجي الامامي لست طائرات . كذلك تحطمت طائرة استرالية خاصة بعد ارتطامها بسرب من طيور النورس ، ومات قائدا الطائرة . ومن المعروف ان الطائرات التجارية غالبا ما تصطدم بالطيور عند اقلاعها او هبوطها . كذلك عندما تشفط الطيور الى داخل محرك الطائرة ، يسبب اضرارا طفيفة في بعض الاحيان ، وتتسبب في تعطيل المحرك نهائيا في احيان اخرى .

لهذا ، اصبح من الضروري ان تمر كل طائرة حربية او تجارية باختبار «الدجاج» ، قبل أن يسمح باستخدامها . وقد اصبح من الضروري أن يصمم محرك طائرة الركاب بحيث يهضم اربعة ارطال من الطيور دون أن يؤثر ذلك على عمله .

هذا الاختبار مع اهميته ، يثير بعض المشاكل . فالاخصائيون الذين يتولون اجراء هذا الاختبار لا يحبون الدجاج المستخدم في التجارب ، لرائحته ، ثم لانه يؤدي الى اتساخ مكان التجارب . كما انهم يقولون ان التباين في وزن وحجم الدجاج المستخدم ، يؤثر على دقة التجربة . لمواجهة هذا توصل العلماء الى بديل صناعي للدجاج المستخدم ، عبارة عن اسطوانات شبه هلامية تماثل في بنائها وتماسكها وتوازنها وسيولتها الطيور الحقيقية .

اطالة العمر .. بخدعة

على مدى التاريخ البشري ، انشغل العديد من العلماء في البحث عن ترياق او حجر او تالورة ، تجدد الشباب وتبعد شبح الشيخوخة عن الانسان ، لكنهم ماتوا جميعا قبل ان يصلوا الى مايبحثون عنه . لكن يبدو ان العلماء قد وصلوا اخيرا الى مفتاح المشكلة ... المفتاح المنشود عبارة عن مجموعة من الجينات ، او حاملات

مع العلم الحديث



الخصائص الوراثية تفرز انزيما يحمل اسما صعبا طويلا ، يرمز اليه بكلمة « سود » .

« سود » عبارة عن انزيم يعمل على تحطيم مايسمى الاشتقاق الحرة « راديكالز » . الاشتقاق الحرة هي النتاج الكيميائي لعمليات التمثيل الخلوي الطبيعية . وهي مفاعلات تكون قوية وغير مستقرة ، واذا تركت لحالها تعمل على تخريب الكثير من مكونات الخليـة ، بما في ذلك مابها من مادة « د . ن . ا » التي تتضمن الشفرة الوراثية داخل الخلية الحية . وعندما تتلف نسبة كبيرة من مادة « د . ن . ا » تبدأ الخلايا في الموت ، مما يؤدي الى الشيخوخة .

المعروف انه ليس في مقدور احد ان يمنع العمليات المؤدية الى الشيخوخة ، لكن يعتقد العلماء ان « سود » يمكنه تأخيرها فقط ، وهذا ماتكشفت عنه الابحاث التي اجراها استاذ البيولوجيا الجزيئية ماتكرز ، بمساعدة معاونيه في جامعة ويسكونسن ، بولاية ماديسون .

التساؤل المطروح هو التالي : اذا كان من الممكن التحكم كيميائيا في مادة « سود » ، الا يعني هـذا امكان اطالة مدى عمر الانسان ؟ . استاذ دينهام هارمان من المركز الطبي بجامعة نبراسكا يجيب قائلا « لا شك في امكان التوصل الى نتائج ايجابية في هذا المجال بالاعتماد على « سود » ، او غيره من الانزيمات الشبيهة » .

ويتفق هومان مع غيره في ان الطريق الى اطالة العمر لابد أن يمر بالجينات . لقد اكتشف ماتكرز في خلايا الفطر ، بناء اطلق عليه اسم العنقود الفوق جيني ، عبارة عن عائلة من ست جينات يبدو انها مسئولة عن انتاج انزيم «سود» وغيره من الانزيمات .. وعندما تهاجم الاشتقاق الحرة بناء الخلية ، يعمل أحد هـذه الجينات كمنظم للخلية ، فيفرز الانزيمات المضادة للاشتقاق الحرة .

مايفعله حاليا ماتكرز بمساعدة عالم الطبيعة الحيوية ريتشارد كاسكر ، هو البحث عن طريقة لتنبيه وتنشيط هـذه المنظمات الموجودة بالخلية ، وبشكل صناعي فيقول « قد نتوصل يوما ما الى مادة نخدع بها الخلية ، فنجعلها تظن ان عددا اكبر من الاشتقاق الحرة تهاجمها » . وهذا يعني ان تطلق الخلية كما اضافيا من انزيم «سود» وبهذا تطيل حياتها دون ان تعرف ذلك .

يقول هارمان « من الممكن ان نعتمد على هذه الطريقة في اطالة مدى عمر الانسان ٥ سنوات او ١٠ سنوات او ١٥ سنة ... وستكون هذه السنوات عامرة بالصحة والعافية .. » ●

الرجال ..

سأل اعرابي الخليل بن احمد : ماانواع الرجال .. فقال الخليل : الرجال اربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فاسألوه ..ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ينسى فذكروه .. ورجل لا يدري ويدري انه لايدري فذلك يسترشد فعلموه .. ورجـل لا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه



نشرة طبية

تقديم: د. السيد الجميلى

الالتهاب

● آنسة عمرها تسعة عشر عاما تشكو لليوم الرابع على التوالى من خمول وكسل وارتفاع فى درجة حرارة الجسم ، وعرق غزير ، ألم وضعف فى الكتف اليسرى والذراع اليسرى

ولم يسبق لها أن شكت قبل ذلك مرضا يذكر غير ألم خفيف أسفل البطن استمر عندها قرابة اسبوعين فى الغالب انتهى قبل ثلاثة أيام ، وكان هذا الالم مصحوبا ببعض الافرازات المهبلية حيث وصف لها الممارس العام عقار « امبيسللين » . وبعرضها على قسم الامراض السرية والتناسلية لم يلاحظ اى مرض سرى او تناسلي اطلاقا .

وبالفحص كانت حرارتها ٣٩ درجة م وباديا عليها الاعياء والانهاك الشديدين ، مع قصور ظاهر فى حركة الكتف او فى تحريك الكتف اليسرى والذراع اليسرى ، وكان الجلد ساخنا ومحمرا للغاية

واجريت لها بعض التحاليل فكانت نتائجها كالآتى : ـ

نسبة الهيموجلوبين ١٢ ج ٪ ، عدد الكرات الدموية البيضاء ١٤٠٠٠ / مم٣ وسرعة الترسيب ٧٠ فى الساعة الاولى ، ١٢٠ فى الساعة الثانية وباجراء اشعة على الصدر وعلى الذراع والكتف اليسرى لم يظهر اى تلف او مرض فى اى منها.

التشخيص

فى هذه الفتاة نرى ارتفاع درجة الحرارة فضلا عن التهاب الكتف اليسرى والذراع اليسرى ، وازدياد نسبة الكرات الدموية البيضاء فى الدم على المعدل الطبيعى وهذا يشير الى الالتهابات الحادة كمصدر لهذه الاعراض . وفى هذه الحالة بهذه الصورة المرضية نرى احتمال وجود التهاب حاد فى قنوات فالوب وهذا احتمال شديد الاهمية لا يقل عن ٨٠٪ ولا يستبعد أن يكون معه خراج ميكروبى كبير فى الحوض وهو أيضا احتمال قائم يتمشى مع الصورة الاكلينيكية المعروضة علينا .

وقد تكون هذه الحالة لدرجة من البساطة حتى انها لا تخرج عن كونها التهابا متعددا فى العضلات الجسدية ولا تحتاج لاكثر من جرعة بسيطة من الكورتيزون لعلاجها .

ونحن ـ لتوثيق التشخيص والتأكد منه ـ محتاجون لعمل مزرعة على الدم واخذ عينة من الجزء المصاب وتحليلها ، وعينة من العضلات الثائرة واخذ مسحة من المهبل لتحليلها مجهريا حتى نقف على السبب الحقيقى بكل جلاء وبيان .

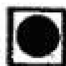


من ذخائر الكتب العربية

بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجي

السيرة النبوية.. لابن هشام

● النسب النبوى وما يتصل به من تاريخ العرب
● الواقدى المؤرخ وأثره فى ابن هشام
● أسلوب ابن هشام قريب من لغتنا المعاصرة



ما اجل كتب التراث العربى فى السيرة النبوية ، وما اعظم عناية المسلمين بتكوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وعناية العرب بالسيرة باب من ابواب عنايتهم بالتاريخ فضلا عن الجانب الدينى الذى حفز صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تكوين السيرة العطرة ، وتلاهم فى هذه العناية التابعون ومن بعدهم من اعلام المسلمين ..

وبعد ان انتهى المسلمون من جمع القرآن الكريم وكتابة المصاحف وتوزيعها على الامصار فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عادوا الى جمع احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عنى الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز بذلك عناية كبيرة ، وفى احاديث رسول الله الكثير مما يتصل بالسيرة النبوية الشريفة ، وبالمغازى .. وكان احد ابواب الكتب التى جمع بأمر عمر بن عبد العزيز من احاديث رسول الله : « باب المغازى والسير » .

وبعد ذلك بذل العلماء الجهود الضخمة فى تكوين سيرة رسول الله ، ومغازيه ، وتراجم صحابته ، عليهم رضوان الله ، وتتبعوا اخبار السيرة الشريفة وجمعوها من اوثق المصادر ، وكانت الكتابة فيها وفى الغزوات والفتوحات الاسلامية اهم واقدم الكتابات التاريخية عند العلماء المسلمين ، وخاصة بعد بدء عصر التكوين فى النصف الثانى من العصر الاموى .

وقد وزع المؤرخون جهودهم فى تكوين كل ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب بعضهم فى السيرة ، وكتب



البعض الاخر فى المغازى والملاحم والفتوحات وظهر علم سمى « الطبقات وتراجم الرجال » لشدة عنايتهم بتاريخ صحابة رسول الله وسيرتهم وسيرة التابعين وتابعى التابعين .

وكان من اوائل من كتب فى السيرة النبوية عروة بن الزبير « ٢٣ ـ ٩٤ هـ » ، ثم أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م ، ثم وهب ابن منبه « ١١٠ هـ : ٧٢٨ م » ، وشرحبيل ابن سعد ، الذى يقول عنه ابن حجر : لم يكن هناك احد اعلم بالمغازى والبدريين منه وتوفى عام ١٢٣ هـ : ٧٤٠ م ، وعاصم بن قتادة الظفرى الانصارى « ـ ١٢٠ هـ » ، ومحمد بن الانصارى « ـ ١٣٠ هـ » ، ومحمد ابن اسحاق شيخ كتاب السيرة « ٨٥ ـ ١٥١ هـ » ، وسيرته أصل لكتاب السيرة النبوية لابن هشام ، المتوفى عام ٢١٨ هـ .

ولا شك ان عروة بن الزبير بن العوام هو رائد المدرسة الاولى من مدارس تكوين السيرة ، وابن اسحاق هو رائد المدرسة الثانية ، وابن هشام هو رائد المدرسة الثالثة .

وعروة امه هى اسماء بنت ابى بكر الصديق ، وخالته هى السيدة ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، واخوه هو عبدالله ابن الزبير ، وفى عروة قال الخليفة عمر ابن عبد العزيز : ما احد اعلم من عروة ، ومدونات عروة فى السيرة مصدر لجميع مؤرخى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وعلى نهجه سار الزهرى الذى كان لا يترك شابا ولا كهلا الا سألهما ، ولا يترك

عجوزا الا سالها ، ولا يترك رجلا ولا امرأة الا أخذ عنهما ما يعلمانه من أخبار سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل ذلك كان يتردد على المجالس وعلى الرواة الثقات في منازلهم ، آخذا عنهم ، متحريا منهم عن الروايات الصادقة .

ويقول فيه الطبرى « ـ ٣١٠ هـ » : كان الزهرى مقدما في السيرة وفي العلم بمغازي رسول الله واخبار قريش والانصار ، راوية لاخبار رسول الله واصحابه .

وكان منهج عروة والزهرى ورجالهما هو الحديث عن حياة رسول الله قبل البعثة وبعدها حتى الهجرة ، ثم عن حياته في مكة بعد البعثة حتى الهجرة ، وحياته في المدينة المنورة بعد الهجرة .

أما ابن اسحاق فكان جوابة آفاق يأخذ من افواه التابعين والعلماء كل ما يتصل بالسيرة والمغازى ، حتى لنراه حينا في مدينة رسول الله ، وحينا في العراق ، وحينا في مدينة رسول الله ، وحينا في الشام ومصر وقال عنه الشافعي : من اراد أن يتبحر في المغازى فهو عيال على ابن اسحاق ، ويقول عنه السهيل في كتابه « الروض الأنف » : اما في المغازى والسير فلا تجهل امامته فيهما ، وقال فيه ابن شهاب الزهرى : من اراد المغازى فعليه بابن اسحاق .

واما ابن هشام فهو رائد المدرسة الثالثةمن مدارس مؤرخي السيرة النبوية الشريفة ، ومكانه بينهم معروف ، وقد توفى عام ٢١٨ هـ / ٨١٣ م ، وهو الذى اكمل ما بداه ابن اسحاق ، حيث اعتمد على سيرته ، وهذبها ، وحذف منها الروايات التى اخذها ابن اسحاق عن القصاص وغيرهم . وقد كان ابن هشام من العلماء والمؤرخين وكتاب السيرة الاجلاء . وهو مصري عاش على ارض وادى النيل ، وتفقه في العلوم وفي التاريخ والسيرة على ايدى العلماء في حلقات جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ، وكان متقدما واماما في علم النسب وله كتاب «انساب حمير وملوكها»، وكتاب « شرح ما وقع في اشعار السير من الغريب » . وعنايته بانساب حمير وتاريخهم راجع الى انه هو حميرى معافرى من مصر ، واصله من البصرة وتوفى بمصر ـ الفسطاط ـ

وهكذا وصل الاهتمام بالسيرة والمغازى والانساب الى ابن هشام ، وهى علوم اسلامية لها مقام كبير في العلوم العربية . وتشتمل السيرة من بينها على تاريخ حياة رسول الله من مولده الى بعثته ، ثم من مبعثه الى هجرته ، ثم حياته في المدينة ، ومغازيه صلى الله عليه وسلم ، وكل مايتصل بقيامه بالدعوة ،و تبليغه الرسالة للناس .

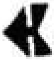
ـ ٢ ـ

وكتاب السيرة لابن هشام كتاب حافل بكل ما يتصل بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يتحدث فيه ابن هشام عن النسب النبوي الشريف وما يتصل بهذا النسب من التاريخ العربي عامة وتاريخ الحجاز ومكة والمدينة خاصة ، كتاريخ ابرهة الحبشي ، وقصة اصحاب الفيل ، وهزيمة الاحباش على ابواب مكة ، ومن ملك الحبشة بعد ابرهة ، وظهور سيف بن ذى يزن واستنجاده بكسرى لاخراج الاحباش من بلاده اليمن ، وسوى ذلك .

وهذا هو الباب الاول من ابواب كتاب ابن هشام الخالد العظيم .

والباب الثاني الذى يليه هو مولد النبى صلى الله عليه وسلم وما يليه ، ومايتصل به من اخبار وتاريخ ومرويات : كتغلب قصى على امر مكة ، وانتقال ولاية البيت اليه ، باختلاف قريش بعد قصى ، وحلف الفضول ، وحفر زمزم ، ونذر عبد المطلب ان ينحر ابنه وقصة فدائه ، وحديث الرضاع وكفالة ابى طالب عم رسول الله له ، وموت آمنة أم الرسول بالابواء ، ووفاة عبد المطلب ، وقصة سفر ابى طالب بالرسول الى الشام ولقاء بحيرا الراهب بالرسول ، وزواج رسول الله بأم المؤمنين



خديجة ، وبنيان الكعبة وغير ذلك .

ويلي ذلك الباب الثالث وهو عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجعله ابن هشام كتابا ، ويذكر فيه كل احداث التاريخ الاسلامى منذ البعثة النبوية حتى الهجرة الخالدة .

والقسم الرابع من الكتاب هو عن حياة رسول الله منذ الهجرة وعن غزواته صلى الله عليه ، وعن وفاته صلوات الله عليه

وبذلك ينتهي الكتاب ، وينتهي بانتهائه تاريخ السيرة العطرة الخـــالدة .. التي دونها ابن هشام ومن قبله ابن اسحاق ، والتي شرحها السهيلي شرحا رائعا لا يصل الى مستواه احد ..

ولقد هاجر ابن هشام من البصرة الى مصر بعد ان اكتمل علمه .. وفى الفسطاط نشر ما يعرف من اخبار التاريخ والسيرة ، ولقى في الفسطاط الامام الشافعي وسواه من العلماء ، واخـــذ عنهم ، وكان ابن هشام يقول عن الشافعي : ما ظننت ان الله عز وجل خلق مثل هذا! .. وكان ميل ابن هشام الى الاخبار شديدا ، وقاده ذلك الى حبه الشديد للمغازى والسير ..



واصل سيرة ابن هشام هو سيرة ابن اسحاق ، وكان زياد بن عبدالله البكائى اثبت الناس في سيرة ابن اسحاق يرويها ويحفظها ، ويأخذها عنه العديد من الرواة والمعنيون بالسيرة العطـــرة ، وقد توفى البكائى عام ١٨٣ هـ ..

وقد اخذ ابن هشام عن البكائى سيرة ابن اسحاق ، واعجبته اعجابا شـــديدا ، ولكنه راى فيها اشـــياء أنكرها فازمع تهذيبها وكتابتها فى ثوب جديد ..

وكان تهذيب ابن هشـــام لسيرة ابن اسحاق عملا رائعا

وكان هذا التهذيب بزيادات زادها ابن هشام على الاصل ، وبتفسير ما ورد فيها من اشعار وغيرها ، وبتصويبات كثيرة صوبها ابن هشام ، ونفى بها اخطاء ابن اسحاق او تقصيره ، ومن مثل ذلك :

١ ـ ما ذكره ابن اسحاق فيمن قتـــل ببدر من المشركين ، ومن بينهم كما ذكره : السائب بن ابى السائب فيستدرك ابن هشام على ذلك ، ويقول : السائب بن ابى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه : « نعم الشريك السائب ، لا يشارى ولا يمارى » . وكان أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا

٢ ـ وفى ابن اسحاق ما نصه : والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء ، فيقول ابن هشام : المراضع ، وفى كتـــاب الله عز وجل فى قصة موسى عليه السلام : « وحرمنا عليه المراضع » والمراضع جمـــع مرضع او مرضعة ، والرضعاء جمع رضيع وهو الطفل الذى يحتاج الى الرضاع ..

٣ ـ ويذكر ابن اسحاق قصيدة فى مدح سيف بن ذى يزن لابى الصلت الثقفى ، ويقول ابن هشام : وتروى لامية بن أبى الصلت ، ويذكر ابن اسحاق فى آخـــر القصيدة البيت :

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعــد أبوالا

فيقول ابن هشام : هذا ما صح له مما

روى ابن اسحاق منها ، الا البيت الاخير ، وهو « تلك المكارم .. » فانه للنابغـــة الجعدى ..

٤ ـ ويذكر ابن اسحاق عن ابن المسيب ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة جمع بناته الست ، وقال لهن : ابكين علي حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت ، فقالت كل بنت من بناته ترثيه بقصـــيدة ، ويذكر ابن هشام هذه القصائد ويقول بعد ذكره لهـا كما رواها ابن اسحاق : ولم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، الا انه لما رواه عن ابن المسيب كتبناه هنا ..

٥ ـ ويذكر ابن اسحاق شعرا ينسبه لابي بكر في غزوة عبيـــدة بن الحارث ، واوله « امن طيف سلمى » ، فيقـــول ابن هشام : واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابي بكـــر رضي الله عنه ، ويقول السهيلي في « الروض الانف » ٢/ ٥٦ : ويشهد لصحة كلام من انكر ان تكون له ما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عائشة ، قالت : كذب من اخبركم ان ابا بكر قال بيت شعر في الاسلام ..

وينسب ابن اسحاق للامام علي ابياتا في اجلاء بني النضير وقتل كعب بن الاشرف فيقول ابن هشام : قالها ـ اي هـــذه الابيات ـ رجل من المسلمين غير علي بن ابي طالب ، فيما ذكر لي اهل العلم بالشعر .

٦ ـ وهذا الى تصويبات واستدراكات كثيرة لا حصر لها ، اشار اليها ابن هشام استدراكا على ابن اسحاق

وكان ابن اسحاق في كتابه المغازي قد جعله ثلاثة ابواب كبرى :

ـ المبتدا اي تاريخ ما قبل الاسلام

ـ المبعث اي تاريخ الرسول الاعظم منذ البعثة حتى الهجرة

ـ المغازى وهو يشمل تاريخ رسول الله في المدينة وغزواته وسراياه . وفي سيرة ابن اسحاق استقصى اخبار السيرة من كل الافواه ، حتى من القصاص ومن اهـــل الذمة ، وبسبب ذلك تعرض لنقد فقهـــاء المدينة ، وفي مقدمتهم الامام مالك ، ممـــا دفع بابن اسحاق الى الرحلة الى بغداد ، حيث لقي هناك التقـــدير والرعاية ولقيت سيرته الذيوع والانتشار ..

ومن اجل ذلك نقى ابن هشام من السيرة كل ما اخذ على ابن اسحاق من مؤاخذات من هذا القبيل وغيره

ولا ننسى اثر الواقدى « ١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ : ٧٤٨ ـ ٨٢٣ م » في سيرة ابن هشام ، وكان الواقدى من اهل المدينة ، ولد وعاش فيها ، واخذ عن علمائها ، وكان اعلم الناس بالسيرة وبالمغازى ، وطبقت شهرته الافاق ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازى والسير والطبقات واخبار رســول الله صلوات الله عليه ، والاحداث التي كانت في حياته الشريفـــة وبعـــد وفاته صلوات الله عليه ، كما يقول البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » .

وكان الواقـــدى يقـــول : « ما ادركت رجلا من ابناء الصحابة وابناء الشهداء ، ولا مولى لهم ، الا سألته : هل سمعت احدا من اهلك يخبرك عن مشهده ، فاذا اعلمني مضيت معه الى الموضع فاعاينه » . ولما قدم الرشيد المدينة في الحج عام ١٨٠هـ سأل وزيره يحيى خالد البرمكي ان يطلب له رجلا عارفا بالمدينة ومشاهدها فاخبره بالواقـــدى وجاء الواقدى الى يحيى ، فقـــال له يحيى : ياشيخ ، ان امير المؤمنين اعزه الله يريد ان تصلي عشية الاخرة في المسجد النبوى ، وتمضي معنا الى هذه المشاهد ، فتوقفنـــا عليها ، فصنع الواقدى ذلك ، فمنحه الخليفة هبة سنية ، وكان الواقدى تاجر حنطة ، فخسر في تجارته مائة الف ، وركبتــــه الديون من كل جانب ، فقالت له امراته ام عبدالله : ياابا عبدالله ، ما قعودك ؟ وهذا وزير امير المؤمنين قد عرفك وسألك ان تصير اليه حيث استقرت به الدار ، فرحل من المدينة الى بغداد ، ولقي يحيى البرمكي الوزير ، كما لقي الخليفة الرشيد وولاه الرشيد القضاء الشرقي ببغداد . وفي نكبة البرامكة عام ١٨٧ هـ عاد الواقدى الى المدينة ..

وكان كتاب الواقدى في المغازي ، وكتابه في الطبقات مصدرين وثيقين لكل الكتاب

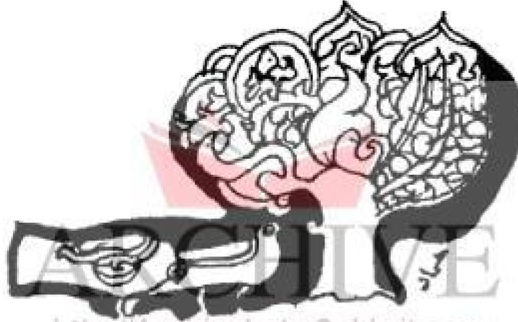
والمؤرخين لسيرة رسول الله ، ولابن هشام بصفة خاصة ، اذ رجع اليه وروى عنه ، وافاد منه .. مما ظهر اثره فى كتاب ابن هشام فى السيرة النبوية ..

وقد طبعت سيرة ابن هشام طبعات كثيرة ، وشرحها كثير من العلماء ، ومن بينهم السهيل « ـ ٥٨١ هـ » ، واختصرها ابن المرحل ، وزاد عليها زيادات كثيرة ، ورتبها على ثمانية عشر مجلسا ، وسماها « الذخيرة فى مختصر السيرة » .

وكانت سيرة ابن هشام من اجل كتب التاريخ والادب والسيرة ، وصارت موضع الاهتمام من كل الطبقات والافراد فى جميع العصور حتى يومنا هذا ..

ويمتاز اسلوب ابن هشام فى السيرة النبوية بالجمال والبلاغة والامتاع وشدة التاثير ، واقرب من لغتنا المعاصرة ، واساليبنا الراهنة اليوم ، واللهجة المصرية المعاصرة تكاد تكون جزءا من اسلوب ابن هشام .

رحم الله ابن اسحاق ، ورحم ابن هشام ، ونفع بهما وبآثارهما العلم والعالم والتعلمين ●



جمال الطبيعة

ليست الطبيعة جميلة فى أعين الجميع.. فالازاهير الناضرة والورود الباسمة ـ فى نظر الواجم المتشائم ـ تبكي وتنوح . اما المرح الطروب ، فانه يرى ـ حتى فى الماء الآسن الراكد ـ لونا من الجمال ومنبعا للمتعة والغبطة .. ان الطبيعة لا تفتح صدرها ولا تزيح الستار عما تنطوي عليه من روعة وابداع ، الا لمن تطهرت قلوبهم من الغرور والضعف والهم والقلق .. فطيران الفراشة ، وتحول الشرنقة ، واخضرار الشجر وتفتح الزهر ، وتغريد الطير .. هذه كلها لا يتذوقها ولا يستمتع بها الا من عمرت أفئدتهم بالثقة والايمان والبشر .

من خواطر الزعيم الياباني كاجاوا

تأملات الصفحة الأخيرة

● اعجابك بشعر شوقي او غناء ام كلثوم ، لايحتاج الى استئذان نقاد الشعر او الموسيقى ، فضلا عن ادعياء الموسيقى والشعر ..

● أمير الشعراء توفي في ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ لا في ١٣ اكتوبر .. وشاعر النيل في ٢١ يوليو لا في ٢٦ يونيو .. واسرائيل وعملاؤها ذبحوا اكثر من ستة آلاف عربي في صابرا وشاتيلا ، طبقا لتصريحات عرفات ، .. لا ثلاثة آلاف فقط .

نستدرك بهذا « التصويب » ما ورد في عددنا الماضي من خطأ في هذه الارقام الثلاثة المتعلقة برحيل الشاعرين الكبيرين ، ورحيل الآلاف الستة من العرب الابرياء !..

● كتاب « الخديو يبيع مصر » للزميل الكاتب الغزير المتدفق محسن محمد ، جاء بعد مائة سنة تقريبا من وفاة الخديو المذكور ، المطلوب القبض عليه بتهمة بيع مصر للمرابين الاوربيين !..

وقائع التاريخ لاتسقط بالتقادم ، والكتابة عنها دائما جديدة .. وسيظل الخديو الخديو اسماعيل باشا ، مطاردا من التاريخ ، مطلوبا كل يوم للمثول امام عدالته بتهمة « بيع مصر » .. على حد تعبير محسن محمد ! .. ولكن من عادة التاريخ ان يقيم الدعوى الجنائية فقط ، ولا يقيم المشانق ، فالميت يحتمي بكفنه ، والتاريخ يعف عن نبش الاكفان : .. حاكان حيا عدالته ورحمته ! ..

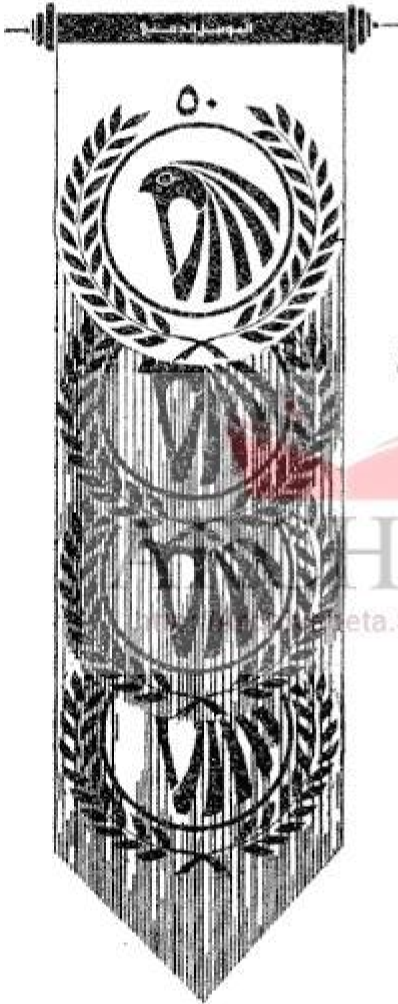
● قال لي فنان المسرح المصري يوسف وهبي ـ رحمه الله ـ في رسالة بعثها منذ عشر سنوات انه هو ملحن اغنية « أنا الى استأهل » التي غنتها المرحومة منيرة المهدية .. القصبجي وغنتها المرحومة اسمهان في فيلم « غرام وانتقام » .. قلت ليوسف وهبي : اسلوب القصبجي في بناء الجملة الغنائية واللازمة الموسيقية واضح جدا في هذه الاغنية !.. اصر يوسف وهبي على انه هو الملحن لا القصبجي ، ولم اسأل القصبجي ولا اسمهان عن الحقيقة لانهما رحلا عن الدنيا قبل ان اتلقى رسالة يوسف وهبي ! ..

هل عند احد من العالمين ببواطن الامور كلمة عن حقيقة « أنا الى استأهل » .. لعلها تكشف جانبا من فن يوسف وهبي الذي خسرنا بوفاته في الشهر الماضي فنانا كبيرا متعدد الجوانب ؟! ..

« الأهرام . . . »

مصر للطيران

علم مصر في كل مكان



مصر للطيران

٥٠

عاماً من الخبرة

اليوبيل الذهبي

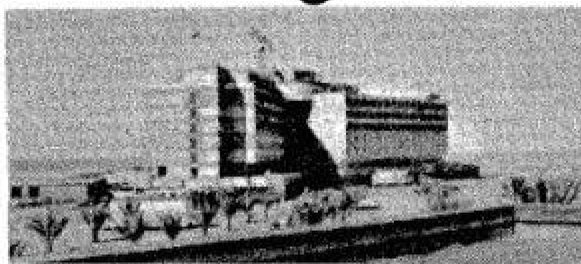
١٩٣٢ - ١٩٨٢

مدينة المقطم

تعلن الشركة عن فتح باب البيع

مرافق كاملة

مياه - مجاري - كهرباء
شوارع مرصوفه



أراضي للعمارات

مساحة القطعة ٨٠٠ متر
سعر المتر ٥٥ جنيهاً
والنواصي ٦٨ جنيهاً



أراضي للفيلات

مساحة القطعة ١٠٠٠ متر
بأسعار تبدأ من ٧٧ جنيهاً
إلى ١٠٣ جنيهات

يدفع المشترى ٥٠ ٪
عند توقيع العقد الابتدائى
ثم ٢٥٪ بعد ٣ أشهر
والباقى ٢٥٪ بعد ٦ أشهر

المعاينة والحجز والبيع
يومياً حتى الواحدة
بعد الظهر بمقر الشركة
بمدينة المقطم
ميدان النافوره

للاستعلام : تليفون ٩٢١٩٥٩/٩٣٩٩٢٥/٩٢٠٢٥١

الهلال

ديسمبر
سنة ١٩٨٢

الثمن
٢٥ قرشاً

• شبهة الحرب الدينية

• موسم الجوائز الأدبية العالمية

الثقافة العربية



• إسلاميات مطران

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ .. السنة التسعون ـ أول ديسمبر ١٩٨٢ ـ ١٥ من صفر ١٤٠٢



الأثمان

سوريا	٣٥٠	ق.س	غزة	٨٠	ليرة	اثينا	٥٠	دراخمة
لبنان	٣٠٠	ق.ل	الصومال	٥٠	بنى	فيينا	٢٥	شلنا
الأردن	٣٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	ف٣	مارك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بنى	كوبنهاجن	١٠	كرونات
العراق	٤٥٠	فلسا	اسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤	كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥٠	بنى	كندا	٢٥٠	سنتا
السودان	٣٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا	البرازيل	٢٥٠	كروزيرو
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	٨	فرنكات	نيويورك	٢٥٠	سنتا
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	٨٠	بنى	لوس انجلوس	٢٠٠	سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتيما	ايطاليا	١٢٠٠	ليرة	استراليا	٢٠٠	سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	فر٣	فرانك	هولندا	٤	فلورين

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية جنيهان ونصف جنيه مصرى بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى وباكستان أربعة جنيهات مصرية او ما يعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى او عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج.م.ع بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة - تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



في هذا العدد

شبهة الحرب الدينية

بقلم : د. محمد عمارة

للاسلام موقف واضح وحاسم فى رفضه «العنف والقتال» سبيلا لتحصيل الايمان بالله .. فمبدؤه الاول فى هذه القضية تكشفه الاية الكريمة :
« لا اكراه فى الدين .»

ومع ذلك ، فان جمهورا من العامة يظنون ان المسلمين مطالبون ، دينيا ، بمقاتلة مخالفيهم فى الدين حتى يؤمنوا بالاسلام ، ويكون الدين كله لله .. ومع جمهور العامة هؤلاء يقف نفر من مثقفى الاسلام .. ومفكريه ! .. الامر الذى يجعلنا امام «شبهة» للحرب الدينية ، عالقة ، بسماء الفكر فى عالم الاسلام ، لابد من تبديد سحابتها ، طلبا لصفاء تلك السماء من الغيوم ووصولا الى تبرئة فكرنا الاسلامى من مثل تلك « الشبهات »!..



● حقا .. يأمر الله ، سبحانه وتعالى ، المؤمنين بالقتال حتى يكون الدين لله ، فيقول : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .. لكن لننظر الى السياق الذي جاءت هذه الاية الكريمة في ختامه ، ولنبحث عن سبب نزولها .. وعن « الفعل » و « التطبيق الذي نهض به الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، والمؤمنون تنفيذا لهذا الامر الالهي بالقتال حتى يكون الدين لله .. لننظر في ذلك ونبحث حتى يستبين لنا الحق في هذا الموضوع ..

● ان سياق هذه الاية القرآنية يقول : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لايحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين • فان انتهوا فان الله غفور رحيم .. وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

فالمطلوب هنا ليس قتال « المخالفين » لنا في الدين ، وانما قتال « الذين يقاتلوننا » من بين هؤلاء « المخالفين » .. فحكمة القتال وسببه هو « قتال » هؤلاء المخالفين لنا ، و « عدوانهم » علينا ، وليس مجرد « الخلاف لنا في الدين » ! .. ذلك ان الاسلام لاينهى قطعا ، عن مقاتلة المخالفين لمجرد الاختلاف الديني معهم ، بل انه يدعو الى مودتهم والقسط اليهم طالما هم لم يقاتلونا في الدين ! .. فان هم قاتلونا ، واعتدوا علينا ، وانتهكوا الحرمات ، وجب علينا قتالهم ، واستحلال الحرمات التي استحلوا ، حتى ولو كانت الاشهر الحرم والمسجد الحرام .. فذلك جزاء من يصنع ذلك من الكافرين !

● ثم .. ان هذه الايات قد نزلت في السنة السابعة من الهجرة ، عندما هم المسلمون ان يدخلوا مكة معتمرين « عمرة القضاء » ، تلك التي اتفقوا في العام الماضي — عام الحديبية — مع مشركي مكة .. وكان الاتفاق ان يدخل المسلمون مكة معتمرين ، لايحملون من السلاح الا مايحمله المسافر « السيوف في القرب » — (الامجاد) — !

شبهة الحرب الدينية

.. ويومها خشي المسلمون غدر المشركين ، وتوجسوا خيفة من ان يأخذهم المشركون على غرة ، وهم بسلاح المسافر ، الذى لايغنى في القتال ، وهم في الشهر الحرام – ذى القعدة – والبيت الحرام ، حيث لا تحل الحرب ولا يجوز ان تسفك الدماء ! ..

وأمام مخاوف المسلمين هذه احتاط الرسول صلى الله عليه وسلم فجهز السلاح والدروع والرماح ، واعد مائة فرس ، جعل عليها محمد بن مسلمة ، وجعل على السلاح بشير بن سعد ، رضي الله عنهما ، فاقاموا بعدة القتال هذه على مقربة من الحرم .. وقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « يكون قريبا منا ، فان هاجنا هيج – « دهمتنا حرب » – من القوم كان السلاح قريبا منا ! »

وامام تحرج المسلمين من ان يضطروا الى مقارفة المحظور : القتال فى الشهر الحرام بالمسجد الحرام .. نزلت الايات الكريمة تامرهم بالقتال فى الشهر الحرام والمسجد الحرام ، اذا بداهم المشركون بالقتال وحدث منهم العدوان .. ذلك ان مراد المشركين هو « فتنة » المؤمنين عن دينهم وهى اشد من القتل واعظم ! فالقتال هنا لرد العدوان ، وحتى ينتهى المشركون عن عدوانهم ، وتمتنع فتنتهم – فيكون الدين والتدين لله ، لا للقهر والقسر الذى يفرضه المشركون ، فالفتنوا العذاب ، على المستضعفين من المؤمنين ! .. وبعد ان نزلت هذه الايات ، دخل المسلمون مكة ، معتمرين ، ولم يقع من المشركين عدوان ، ومن ثم لم يحدث من المسلمين قتال !؟

ذلك هو سياق الايات .. وهذه هى اسباب نزولها .. وعموم حكمها مرتبط بمواجهة العدوان ، وعدوان « المشركين » خاصة .. الامر الذى يمنع ان تكون تلك الايات دليلا على مشروعية الحرب الدينية فى الاسلام !

اما الحديث الذى يرويه ابو هريرة ، رضي الله عنه ، عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، والذى يقول فيه : « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها ، وحسابهم على الله تعالى .. »

أما هذا الحديث ، والذى يبدو ، للعامة وانصاف المثقفين ثقافة اسلامية ، من ظاهر الفاظه ، انه يدعو الى مقاتلة المخالفين في الدين حتى يثوبوا الى عقيدة التوحيد .. فان الفقه الحق لمعناه يتطلب ماهو اكثر من النظر العابر لظاهر الالفاظ ! ..

● فالمراد « بالنــاس » الذين امر الرسول بقتالهم : « المشركون » من العرب ، أولئك الذين كانوا يمنعون ، بالفتنــة والعدوان ، دعوة الاســلام من ان تتخذ لنفسها القاعدة الآمنة التى ينطلق منهـا الدعاة ، فلابد لكل دين من دار تعرف تعاليمه فيها طريقها الى الممارسة والتطبيق ، ويتخذ منها دعاته وطنا يضمن لهم الامن في ممارسة شعائره والحرية بعقائده .. وعندما سلك « الناس » – (العرب المشركون) – طريق الفتنة والعدوان للحيلولة بين الاسلام وبين ان تكون له قاعدته هذه ووطنه هذا ، امر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بقتالهم حتى لايكون بارض العرب دينان .. فلما خلصت ارض العرب للاسلام ، فتح الاسلام صدره ، خارج تلك الارض ، ضامنا الحرية الدينية لغير المسلمين ! ..

ويشهد لأن المراد « بالناس » ، فى هذا الحديث ، هم « مشركو العرب » خاصة ، ان لفظ الحديث قد ورد فى بعض الروايات واضعــا لفظ « المشركين » بدلا من لفظ « الناس » تارة ، وواضعا لفظ « العرب » بدلا من لفظ « الناس » تارة اخرى ! ..

● بل ان احدى الصور التي روى عليها هذا الحديث تشير الى ان المقام لم يكن ابدا مقام اكراه في الدين ، ولا جبر – بالقتال – على ان يقول الناس : « لا اله الا الله » .. اذ تشير تلك الرواية الى ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد ختم هذا الحديث بان « قرا : « فذكر انما انت



مذكر لست عليهم بمسيطر » ؟! فمنطوق الاية ، التي ختم الرسول بها الحديث ، ومفهومها يقطع ببراءة الاسلام من اتخاذ القتال اداة للايمان بالتوحيد ! ..

● .. لم .. الا يقطع موقف الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من مشركي قريش يوم فتح مكة اي شك باليقين ؟

.. لقد قال لهم : اذهبوا فانتم الطلقاء .. ولم يتعقب بالقتل اولئك الذين كانوا يبكون لزوال الاصنام وتحطيمها .. وانما ترك قلوبهم لتقتنع بالتوحيد بواسطة الاقناع والاقتناع .. فهو مذكر .. وليس بالمسيطر .. ولااكراه في الدين ! ..



ومع كل هذا الوضوح ... ورغم تهافت الشبهات في هذا المقام ... فان بعضا من مثقفي الاسلام ومفكريه يزعمون ان « النهج الانقلابي» للاسلام يطلب من حزبه انلايكتفي بالحرب الدفاعية التي تقف عند حماية الدعوة وتامين الدعاة ، فيقولون ان حرب الاسلام هجومية ايضا ، لا ضد المخالفين في الدين حتى يعتنقوا عقائده ، وانما ضد كل حكومات المعمورة وجيوشها ، التي تزيد على المائة والخمسين ، وذلك حتى يرتفع سلطان هذه الحكومات عن شعوبها ، فتتحقق لهذه الشعوب الحرية في التدين بالاسلام او عدم التدين به . فلابد من محاربة حكومات المعمورة ، وهزيمة جيوشها ، واخذ الجزية من شعوبها ، ضمانا لفتح الطريق امام دعوة الاسلام ودعاته ببلاد تلك الحكومات ؟ ..

اما نصوص هؤلاء المثقفين والمفكرين الاسلاميين ، حول هذه الدعوى ، فانها تقول :

« .. ان الاسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي يريد ان يهدم نظام العالم الاجتماعي باسره ... ويؤسس بنيانه من جديد ... والاسلام يتطلب الارض ، ولا يقنع بقطعة او بجزء منها ، وانما يتطلب ويستدعي المعمورة الارضية كلها .. والجهاد الاسلامي هجومي ودفاعي معا .. والحزب الاسلامي لايتحرج في استخدام القوى الحربية لتحقيق غايته هذه ... ان المعسكرات المعادية للاسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه الا تهاجم الاسلام ، اذا تركها الاسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الاقليمية ورضي ان يدعها وشأنها ولم يعد اليها دعوته واعلانه التحريري العام ! . ولكن الاسلام لايهادنها ، الا ان تعلن استسلامها لسلطانه في صورة اداء الجزية ، ضمانا لفتح ابوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها .. »

ونحن نقول :

ان كون الاسلام فكرة انقلابية ، اي منهجا ثوريا ، يعني عداءه للظلم ورفضه للواقع الظالم ، ودعوته اهله لاقامة العدل حيثما ارتفعت شهادة ان لا اله الا الله ، محمد رسول الله .. لكن ذلك لايعني القول بان الاسلام يطلب ارض المعمورة كلها ، لان هذه الدعوى لاتتسق الا اذا جاز تصور انفراد الاسلام ، كدين ، بهذه المعمورة كلها .. والذي جاء به القرآن الكريم ، واتفق عليه مفسروه هو ان حكمة الله ومشيئته قد اقتضت التعدد في الشرائع الدينية ، الناشئ عن تعدد امم الرسالات السماوية التوحيدية .. ففي القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون».. والمفسرون لهذه الاية القرآنية المحكمة يقولون : ان « الشرعة والشريعة : هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها الى النجاة .. ومعنى الاية : ان الله سبحانه قد جعل التوراة لأهلها ، والانجيل لاهله ، وهذا في الشرائع والعبادات . والاصل : التوحيد ، لا خلاف فيه . « ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة »

شبهة الحرب الدينية

اى لجعل شريعتكم واحدة .. « ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » .. اى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم ، والابتلاء : الاختبار ! »

وفى آية اخرى يقول الله ، سبحانه : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » .

وائمة تفسير القرآن الكريم يرون هذه الاية على ان اختـــلاف البشر فى الشرائع الدينية هو الحكمة التى خلقهم الله لها ! .. فهى ارادته ، ومن ثم فلا معنى لتصور وحـــدة فى الشريعة تعم البشرية وتضم اهلها ، ومن ثم فلا معنى لاتخاذ السـبل لتحقيق هذه الوحدة فى الشريعة .. وذلك فضلا عن ان تكون تلك السبل عنفا وقتالا وجهادا !؟ ..

« فسعيد بن جبير « ٤٠ ـ ٩٥ هـ ٦٦٥ ـ ٧١٤ م » يرى أن المراد بالامة الواحـــدة : « ملة الاسلام وحدها ، اى شريعة الاسلام » .. فكون الدين لله ، اذن ، لا يعنى امكانية تحقق سيادة الشريعة الاســـلامية والملة الاسلامية ابناء البشرية جميعا ! ..

« ومجاهد بن جبير المكى « ٢١ ـ ١٠٤ هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٢ م » وقتادة بن دعامة السدوسى « ٦١ ـ ١١٨ هـ ٦٨٠ ـ ٧٣٦ م » يفسران قول الله فى الاية : « ولايزالون مختلفين » بحتمية بقاء الناس على اديان ـ اى شرائع ـ شتى . والحسن البصرى « ٢١ ـ ١١٠ هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٨ م » وعطاء بن دينار « ١٣٦ ـ ٧٤٤ م » يفسرون قوله سبحانه : « ولذلك خلقهم » فيرون ان «الاشارة للاختلاف ، اى وللاختلاف خلقهم ! »

فاذا كان انفراد الشريعة الاسلامية باهل المعمورة هو مما احاله القرآن ، فهـل من الفكر الاسلامى فى شىء ان نقول انالاسلام يطلب المعمورة كلها ، ولايقنع بقطعة او بجزء منها !؟ ..

واذا سالم غير المسلمين عالم الاسـلام واهله ، واطلقوا الحرية امام الدعوة اليه والتبشير بعقائده ، فهل من الفكر الاسلامى فى شىء الحديث عن ضرورة الحرب الهجومية على حكومات المعمورة جميعها !؟ ..

والا يكون الاوفق والاجـــدى ان نتامل كلمات الامام محمد عبده :

« لقد كان قتال النبى ، صلى الله عليه وســـلم ، كله مدافعة عن الحق واهله ، وحماية لدعوة الحق .. »

وكلمات الشيخ حسن البنا « ١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م » :
« لقد فرض الله الجهاد على المسلمين ، لا اداة للعـدوان ، ولا وســيلة للمطامع الشخصية ، ولكن حماية للدعوة وضمانا للسلم واداء للرسالة الكبرى التى حمـل عبئها المسلمون .. وان الاسلام كما فرض القتال شاد بالسلام ، فقال تبارك وتعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .. »

● واذا جاز لنا ان نشبه « المجتمـــع الدولى » ، الملتزم بمواثيق المنظمات الدولية التى ارتضتها حـكوماته ، بمجتمع واحـد متعاهد ومتعاقد ، شأنه شأن جماعة المسلمين مع غير المسلمين فى دار الاسلام ، من حيث الالتزام بعقـد « الذمة » واماناتها .. فهل يصبح ، امام الفكر الاسلامى ، مجال لدعوى الحرب الهجومية على حـــكومات المعمـورة وجيوشها جميعـا ، بزعم لزوم هزيمة كل تلك الحـكومات وجميع هـــذه الجيوش ، وصـــولا لرفع الضغط المادى عن ضــمائر شـــعوب المعمورة حتى تنظر ، بحرية ، فى



عقائد الاسلام ؟! ..

● ثم .. الا يدعونا العقل ان نسأل انفسنا : هل حربنا لتلك الحكومات وجيوشها هي مما يقربنا ويقرب اسلامنا من قلوب وعقول شعوب تلك الحكومات ؟! .. ام ان العكس هو الوارد والاكيد ؟ .. وان تلك الشعوب ستهب مع حكوماتها وجيوشها - التي هي بعض منها - لتقف ، لا ضد المسلمين فحسب ، بل ضد الاسلام الذي ترتفع راياته فوق ميادين تلك الحرب الدينية ؟! .. ان تخيل مثل تلك الحرب امر يدعو الى الرثاء .. نفس الرثاء الذي يدعو اليه فكر دعاتها من مثقفي الاسلام ومفكريه ؟! ..

● وحتى اذا حكمنا على دول كثيرة في الاسرة الدولية « بالنفاق » ، لما بين اعلانها الالتزام بالمواثيق الدولية وبين ممارساتها العدوانية من فروق ومفارقات .. فان السلوك الاسلامي تجاه « المنافقين » لايصل في العنف ، الى حد الحرب والقتال .. « فالمنافقون » الذين يعتزلون قتالنا ليس لنا عليهم من سبيل ، فضلا عن سبيل العنف والحرب والقتال ! .. يقول الله ، سبحانه وتعالى في شأن المنافقين : « فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا ؟! اتريدون ان تهدوا من اضل الله ؟! ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا .. الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ، فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها ، فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » .

فالذين يكفون الايدي عن قتالنا ، ويلقون حبال السلام الى عالم الاسلام واهله ، لا سبيل لنا عليهم ، اما « المنافقون » الذين لايكفون ايديهم عن قتال المسلمين فان « السلطان » الذي قرر الله لنا عليهم يدعونا الى قتالهم ، ردا للعدوان ، وتأمينا لعالم الاسلام وحريات المسلمين .. فالعدوان » او « المسالمة » هو المعيار ، وليس « النفاق » ولا « الخلاف في الدين » !

● ثم ليسأل كل مخلص للاسلام نفسه ، وليتوجه كل غيور على المسلمين الى ضميره بهذا السؤال:

اي الاسلحة امضى في نصرة الاسلام ، وتزيينه في عقول المخالفين ، وتقريبه من قلوبهم .. سلاح الحرب والقتال ضد حكومات البلاد وجيوشها - وهي التي ستكون بالقطع ضد شعوبها - ؟! .. ام سلاح النهضة الاسلامية ، المؤسسة على الوعي الناضج بحقيقة الاسلام الدين والاسلام الحضارة ، تلك التي ستحول عالم الاسلام وبلاد المسلمين الى شاهد صدق على عظمة الاسلام وتقدميته وجدارته بان يكون الدين الذي تدين به الانسانية الراشدة ، دون سواه ؟!

ان حال المسلمين هو اكبر مطعن يوجهه الخصوم الى هذا الدين الحنيف .. وان تغيير هذه الحال ، وتبديل ذلك الواقع ، واقامة النهضة الاسلامية الحقيقية هي « الحرب » التي لابد لكل داعية ومفكر اسلامي من ان يستنفر المسلمين الى خوضها .. ذلك ان تجسيد « النموذج الاسلامي »

شبهة الحرب الدينية

على أرض عالم الاسلام هو « الجيش » الاسلامي المؤهل « لغزو » قلوب الانسانية المتحضرة وعقول الاحرار في أقطار المعمورة جميعها ...

أما الحديث عن أن الاسلام يوجب على أهله قتال كل حكومات المعمورة وجيوشها فانه أقرب الى « هذيان الضعفاء » ينفسون به عن العجز ازاء القهر الذي يمارسه الطغاة - الداخليون منهم والخارجيون - ازاء عالم الاسلام وشعوبه .. وهو « هذيان » يسخر منه الواقع الاسلامي بامكانياته الحالية والمحتملة ، ومن ثم فلا أثر له الا جلب العداء للمسلمين والنفور من الاسلام ! .. وذلك فضلا عن منافاة فكر دعاة هذه الحرب الدينية لفكر الاسلام الحق في هذا الموضوع ! ..

فليس في الاسلام حرب دينية ... لأن القتال لايمكن أن يكون سبيلا لتحصيل التصديق القلبي واليقين الباطني ، الذي هو « الايمان » ...

والقتال في الاسلام سبيل يلجأ اليه المسلمون عند الضرورة .. ضرورة حماية الدعوة ، وتأمين الحرية للدعاة ، وضمان الأمن لدار الاسلام وأوطان المسلمين .. سيان كان ذلك القتال « دفاعيا تماما » ، أو « مبادأة » يجهض بها المسلمون عدوانا أكيدا أو محتملا ... فهو في كل الحالات ضد العدوان ..

أما اذا جنح المخالفون الى السلم ، وانفتحت السبل أمام دعوة الاسلام ودعاته ، وتحقق الأمن لدار الاسلام ، فلا ضرورة للحرب عندئذ ، ولا مجال لحديث عن القتال ، باسم « الدنيا » كان ذلك الحديث أو باسم « الدين » ! ..

وصدق الله العظيم عندما حدد في كتابه الكريم أن الحرب والقتال انما هي « للأعداء » الذين يقاتلوننا في الدين ، أو يخرجوننا من الديار ، أو يظاهرون على هذا الاخراج ... وان المودة والقسط واجبان علينا لمن لايقترفون في حقنا جرما من تلك الجرائم ، حتى وان خالفونا في الدين :

« يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول فان الله هو الغني الحميد . عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم .. لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ●

كتاب الهلال

يصدر ٥ ديسمبر

العرب والتحدى

تأليف الدكتور محمد عمارة



روايات الهلال

تصدر ١٥ ديسمبر

ذات القبعة البيضاء

تأليف جورج سيمنون

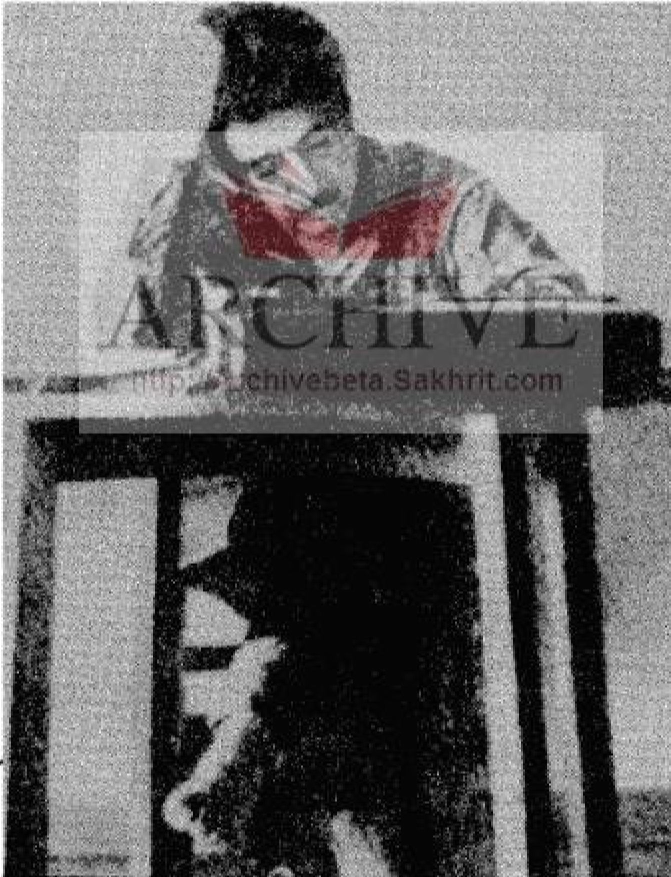
ترجمة محمد عبد المنعم جلال

موسم الجوائز الأدبية في العالم

جارسيا ماركيز

يفوز بجائزة نوبل لعام ١٩٨٢

بقلم: محمود قاسم





● في العدد الماضي قلنا من خلال مقال حول الاديب البيروني ماريو فارجاس للوز أن الادب في أمريكا اللاتينية يعيش الان في قمة ازدهاره وأن بلاد هذه القارة تشهد حركة ازدهار أدبية رائعة في السنوات الاخيرة ·· وضمن من أشرنا اليهم الاديب جابرييل جارسيا ماركيز المولود في كولومبيا والذى يعيش في المكسيك منذ سبعة عشر عاما الذى سوف يستلم جائزة نوبل في العاشر من هذا الشهر (ديسمبر) من الاكاديمية السويدية ·

نحن الآن في موسم الجوائز الادبية في العالم ·· فبعد اعلان الفائز بجائزة نوبل ·· فان الاكاديميات الادبية في فرنسا قد أعلنت في السابع عشر من نوفمبر الفائزين بجوائز جونكور ورينودو وفيينا ·· وسوف نتناول الفائزين بهذه الجوائز في الشهر القادم ·

ماركيز هو رابع كاتب من أمريكا اللاتينية يفوز بجائزة نوبل ·· فقد فاز بها من قبل كل من ج · ميسترال عام ١٩٤٥ و بابلو نيرودا عام ١٩٧١ وكلاهما من شيلي · و م · م اوستر ياس عام ١٩٧٦ من جواتيمالا ·· الطريف ان أكثر الكتاب في هذه البلاد قد تركوا أوطانهم باحثين عن أماكن أكثر امنا وحرية كي يكتبوا في ظلها لكنهم لا ينسون بلادهم قط · فهم لا يكتبون الا لها ·· ولا يصفون سوى بيوتها وشوارعها ·· ولا يتغنون الا باثارها ومعالمها ·· ولعل الدراسة التي أجرتها مجلة « لونوفيل اوبزرفاتور » في ١٩ مايو ١٩٨١ حول علاقة النظم السياسية بالادب في أمريكا اللاتينية تعطينا مؤشرا عما يحدث في هذه البلاد ·· والتي جاء فيها انه منذ عدة أعوام طويلة والديكتاتورية في أمريكا اللاتينية تكرس من أجل متعتها الشخصية ·

جارسيا ماركيز

جزيرة صغيرة قريبة من المحيط.هناك استراحات وأماكن للهو واستقبال الاصدقاء . فى نهاية كل أسبوع وبادعاء حجج ما تذهب السلطات الحكومية الى هناك ومعهم الشامبانيا والنساء القادمات خصيصا من شواطىء ميامى على طائرات خاصة . وان السلطات العسكرية قد وصلت فى محاربتها للشيوعية أن منعت كتبا مثل « ذات الرداء الاحمر » و « الاحمر والاسود » لستندال و « فرسان المنزل الاحمر » لالكسندر ديماس . و «الزنبقة الحمراء» لاناتول فرانس .. مما يبين مدى جهل هذه السلطات بامهات الكتب الادبية التى لا علاقة لها بالايديولوجيات.

فى مثل هذه الاجواء نشأ جابرييل جارسيا ماركيز الذى ولد فى مدينة أركاتا بكولومبيا عام ١٩٢٨ من أبوين تحابا وتزوجا رغما عن أبويهما .. وبالرغم من ذلك فان الطفل قد نشأ فى أحضان جده الذى أحبه أكثر من أبويه . عاش فى مدينته الصغيرة يقرأ تاريخها ويرسم معالمها فوق صفحات كراسات الرسم . وفى عام ١٩٤٦ التحق بكلية الحقوق بمدينة بوجوتا التى تخرج فيها عام ١٩٥١ حيث تزوج من حبيبته مرسيدس .

كتب ماركيز اولى أقاصيصه فى عام ١٩٤٦ ولكنه لم يكتب الرواية الا فى عام ١٩٥١ بعنوان « غرباء الموز » والتى نشرت فى ايطاليا بعنوان « أوراق ميتة » .. ثم توالت رواياته التى من أهمها : « يوميات موت معلن » و « خريف البطريرك » , و « مائة عام من العزلة » و «ليس للكولونيل من يكاتبه » .. وقد انتهى أخيرا من أحدث رواياته بعنوان : « آثار دماء فوق الثلوج » .

وماركيز يكتب الرواية والمقال والقصة السينمائية والمسلسل التليفزيونى . وقد بدأ حياته الادبية عام ١٩٥١ كصحفى فى مجلة « اسبكتادهور » التى ارسلته فى مهمة صحفية عام ١٩٥٦ زار فيها باريس وروما وجنيف والتقى ببابا روما .. وعندما عاد من هذه المهمة



أغلقت الصحيفة أبوابها فعمل فى صحف أخرى .. وعن العلاقة بين الادب والصحافة يقول : « لا توجد أية اختلافات بينهما . فالمعلومات يبثها كل من الصحافى والكاتب . نفس العقبات التى يواجهها كل منهما واحدة»

« يقدم الكاتب في الخلق كل حريته . أما فى عالم الصحافة فالنشاط الذهنى يقل الى حد ما . هناك فى الادب والصحافة قانون اسمه الوشايات والفضيحة ومن يمكنه أن يمارس الكتابة في الصحافة يبقى محددا . ربما لاننى لم أنل حريتى كاملة عندما كنت صحفيا ».

ويستكمل الكاتب حديثه حول نفس الموضوع فى مجلة لوبوان (١٦ نوفمبر ١٩٨١) : « لم أكتب قط قصة قصيرة أو رواية الا وكان لها علاقة بالواقع . لكن الخلاف بين الصحافة والادب لا ينبع من هنا . فالتحقيق الصحفي يمكن أن يكون عملا أدبيا .. انه القارىء الذى ينظر الى الاختلاف فيما يقرأ . حين يفكر في واقعة غير حقيقية وكم يمكنها أن تفسر مقالا .أما الرواية فانها تعطى الاحساس أن ما فوق الصفحات شيء موثوق به » .

واذا كان البعض قد تناول ماركيز قائلين انه عاش عزلة منذ سنوات عديدة ، فان هذا الرأى فيه شيء من عدم الدقة .. فالكاتب يعيش فعلا خارج بلاده منذ سبعة عشر عاما .. لكنه يقوم بزيارة العديد من دول العالم وتربطه صداقات قوية بأدباء وزعماء من كل مكان . وقد نشرت المجلات والصحف الفرنسية وحدها العشرات من الاحاديث الصحفية كان آخرها تلك السهرة التى أجرتها محطة « فرانس انتير » فى سبتمبر الماضى .. وقد التقى اكثر من مرة بالرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران ..

واذا كان الكاتب قد كتب « مائة عام من العزلة » . فان العزلة التى يقصدها هى تلك التى عاشتها مدينته التى تربى بها وعاش فيها طفولته . .فهو يتناول حياة مدينة فى هذه الرواية من خلال اسرة بونديا كما تناول جانبا آخر من نفس المدينة من خلال كولونيل سابق

جارسيا ماركيز

عاش أكثر من تسعين عاما فى رواية « لايوجدلكولونيل من يكـاتبه » .. فى الرواية الاولى يروى كيف بدأت الطلائع فى بناء هذه المدينة الواقعة بين أحضان الجبل . كان خوسيه أركاديو بونديا وزوجته أرسـولا من أبرز هؤلاء الطلائع .. يعمل خوسيه بجدية . أنجب سـتة أجيال من الابناء قاموا بتعمير المدينة الاشبه بيوتوبيا . فالموت والجريمة والقضاء لا مكان لها هنـاك . ولـكن الحرب الاهلية يمكنها أن تأتى بالعديد من الكـوارث . كما قال الكاتب فى احدى رواياته انه للمرة الاولى منذ سنوات طويلة أن يموت أحد أبناء المدينة ميتة طبيعية . فالحرب والنظم السياسية الديكتاتورية تقتل من تشاء، وتفعل ما عليها فى أن تذهب بمن تشـاء الى المقبرة فى الوقت الذى تريده .

والمدينة تؤمها قبائل الغجر ذوى الانـوف المثقـوبة والعادات الغريبة . يعيشون فى عزلة أشبه بعزلة المدينة ثم يرحلون كى يعودوا فى أوقات أخرى . تنتهى هـذه العزلة التى تعيشها المدينة يوم أن تمتد السكك الحديدية من الولايات المتحدة كى تتحول البلاد الى شـبه مزرعة أمريكية .

والجدير بالذكر أن فكرة تتبع مجموعة من الاجيـال المتلاحقة من احدى العائلات خلال مائة عام قد شغفت بها السينما فى السبعينات . فقدمها بيرتو لوتشى فى «القرن العشرين » وجاك ريفيت فى « شعائر الحفل » وكارلوس ساروا فى « العيد المئوى للام » .

وحول رواية « مائة عام من العزلة » تقول مجلة تايم فى عددها الصادر فى ١٦ مارس ١٩٧٠ : « يصـنع المؤلف خيالا فكريا رائعا حول تاريخ أمـريكا اللاتينيـة وليس لكولومبيا وحدها . فهو شـغوف أكثر بالروح القومية اكثر من الاديب الشهير اوسكار لوثيس » .

كتب ماركيز هذه الرواية بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٧ فى فترة لم يكن يمتلك شرورى فقير .. وكانت الحاجة الماسة الى المال هى الباعث فى انجاز هذه الرواية « ظللت محبوسا ثمانية عشر شهرا لم أخرج سوى مرة واحـدة



قالت مرسيدس أننا قد أصبحنا في منتهى الجفاف . ركبت سيارتي وذهبت الى الناشر وأخذت منه نقودا تكفينا ثلاثة أشهر » .

وقد استوحى الكاتب هذه الرواية ـ مثلما فعل في كل رواياته ـ من شخصيات حقيقية ، عرفها أو سمع منها .

« حاولت أن اروى قصة ريميدوس لابللا الذى صعد الى السماء بجسده وروحه .. ويقول : « في القرن الماضى عندما كان هناك صراع وحرب مدنية . كان على الرجل أن يحمل بندقيته ويقول : « سوف أقتل نفسى » . ولم نكن نعرف شيئا عن حرية الانسان . هذه الحرية لم تكن تناقش أيضا بالنسبة لربات البيوت . قلت لزوجتي يوم أن كتبت « مائة عام من العزلة » : « ستهتمين أنت بالمنزل » . وعندما وصلت الى نصف روايتى كنت قد بلغت الحد الذى تحدث فيه ارسولا أثناء الحرب الاهلية فجأة أحسست بأن روايتى تنهار . وكي اتفادى هذه الكارثة فقد قررت أن أعيد اليها الحياة وأن تقف الرواية فقط عند لحظة موتها . فان اختفاء أرسولا كفيل أن يحطم كل شيء .

وأكثر روايات ماركيز ترجمت الى اللغة العربية في بيروت وبغداد . لذا فالقارىء العربي يعرف ماركيز وان كنا نحن في مصر نعرفه في أضيق الحدود .. بينما هو معروف في بلاد الغرب وتوزع رواياته الملايين من النسخ فرواياته المكتوبة فقط باللغة الأسبانية توزع أكثر من مليونى نسخة .. وهذه الروايات ترجمت الى عشرين لغة .. وقد جلبت له هذه الروايات ثروة ضخمة .

وفى الاحاديث الصحفية التى يدلى بها الى الصحف الفرنسية يذكر الكاتب أن كل رواياته لها جذور من الواقع فهو يقول أن رواية « يوميات موت معلن » قد كتبها بعد حادث قتل شاهده في شوارع مدينة اركاتا . « أطلقت الرصاصات على الضحية وهو عائد الى منزله . اغلقت أمه الباب . ذلك شيء يفوق التصور : رجل ثرى له أهميته يضرب من جهتين . طلبت منى أمى فى ذلك الحين الا أكتب شيئا . لان هذا سوف يقاضى أم الضحية

بتهمة اغلاق البـــاب على نفسها • وعلمت أمى ألا أكتب شيئا طيلة حياة هذه المرأة وقد سمعت انهـا ماتت منـذ خمس سنوات • وبدأت أفكر فى كتابة الرواية » •

وقد بيعت من هذه الرواية مائتى ألف نســـخة فى اسبانيا ، ومليون ونصف فى كل من كولومبيـا وبيرو وفنزويللا والمكسيك •وهذه الرواية التى نشرت ترجمتها الفرنسية فى أوائل هذا العام جلبت مجدا جديدا للكاتب وقد أجرت معه مجلة لونوفيل اوبزرفاتور حديثـــا فى ٢٣ ينـــاير ١٩٨٢ قال فيه انه قد تحادث مع المخــرج الفرنسى لوى (بونويل الاسبانى الاصـــل) حول هذه الرواية التى تتمتع بخيال خصـب وأنهما اتفقـا على أن يصور بونويل هذه الرواية للسينما : « أعلم منـذ زمن طويل أننى لم أمتلك خيالا خصبا وأننى أروى الاشـياء جيدا •• ومع ذلك فانا لا أختار القصـة •• لكنهـا هى التى تختارنى • أعنى أننى أجدها تتعلق بى بصـورة أو بأخرى • عرفت ــ قديما ــ شابا يعشق فتاة لا تحبه • وقد وصلا الى حالة أصبح فيها من العسير أن يسـتمرا لانها لا تود الاقتراب منه • ظل ليلا ونهـــارا على باب منزلها • ولم ينجح أحد فى أن يبعده • كانوا يلقون عليه كيسا بالبول فيعود الى منزله يغتســـل ويعود ثانيـا يجلس فى نفس المكان • يلقون عليه القاذورات فينظف نفسه منها •• وظل الصبر يلازمه • انها اليـوم زوجته •• وهما زوجان سعيدان » •

اما رواية « خريف البطريرك» فقد كتبهـــا تكريمـا للشاعر الكولومبى روبن داريو الذى كتب اشعاره ضد النظم الديكتاتورية فى البلاد • أما « لا يوجد للكولونيل من يكاتبه » فهى تتناول قصة تســـعين عاما من حيـاة كولونيل سابق يعيش يجتر ذكرياته ويستعد للدخول فى مباراة للديوك بالديك الذى يدربه على الانتصـار فى

المباراة • ولكن ينهزم ويعـود مع صـاحبه محملين بالهموم •

وقد نشرت لماركيز مجموعة أقاصيص في الولايات الولايات المتحدة بعنوان « ايراندورا البريئة وقصص أخرى » ضم فيها مجموعة من الاقاصيص التى كتبها فى مطلع حياته الادبية • لعل من أبرز هذه الاقاصيص تلك الاقصوصة حول الفتاة ايراندورا التى أصبحت عاهرة بعد أن اغتصبها أحد شباب القرية • وعندما يقابلها الامير ويعجب بجمالها فانه لا يتزوجها مثلما يحدث في الحكايات الخيالية • بل يمنحها بضعة قروش وليلة حب هادئة كي تعود ثانيا الى الشـارع تبحث عن رجل آخر •• لا يهم أن يكون أميرا أو فقيرا ••

واذا كان النقاد يقفون بشموخ أمام كتابات ماركيز ويقولون انه قد أعاد للرواية سنوات مجدها التي عرفتها في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين فان ماركيز لا يكن نفس المشاعر تجاه النقاد •• فهو لا يكن لهم اية مشاعر طيبة •• وحول هذا الامر يتحدث الى جان فرانسوا فوجيل فى مجلة لوبوان :

« يسيء النقاد كثيرا الى الادب ويلصقون به العديد من الامور السيئة • يزعمون انهم يساعدون الناس وانهم يفسرون لهم الكتب • عليك أن تري أو تقـرأ « دون كيشوت » وسوف تتمتع بها دون أن تقرأ عنها شيئا • لكن علينا أن نتحدث عن السمات السهلة التى علينا أن نقول اننا أمام أديب عظيم • لقد كتبت روايتي « خريف البطريرك » لان كتابتها تسبب لى متعة خاصة • ولم أكن اعتقد انها تستحق كل هذه الكتابات التى كتبت عنها • أما « مائة عام من العزلة » فلم أحسن بمتعة حين كتبتها ومع هذا فقد وزعت فى كل انحاء امريكا اللاتينية • ومع ذلك فلا أعرف ما هي علاقات المبيعات بالنجاح الادبى ●

الاتحاد السوفيتي من لينين إلى أندروبوف

بقلم : عبد الستار الطويلة



لينين — اندروبوف

في فلسطينه طوى اللاجئون ... تاريخهم او فاشيهم
عيد الشعوب وعيد الامم ..
عيد ستالين ..

هكذا كان يلقم الشعراء العرب اليساريين ستالين لليسار العربي والشعوب العربية في عيد ميلادهم .

في تلك السنوات المبكرة اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى عام ١٩٥٦ .

كان ستالين ملء السمع والبصر .. هو القيادة الملهمة والاسطورة .. هو قاهر هتلر وفاتح برلين عاصمة اقوى قوة عسكرية طاغية في تلك الفترة التى هزمت كل اوربا وشقت جيوش النازى بلادها بنفس السهولة التى تشق بها السكين الزبد .

هو بانى الاشتراكية والقاضى على كل المنحرفين والانتهازيين وكل من يخرج عليه او حتى يخالفه فهو خائن مرتد اليم .. ووغد زنيم .

وقد جرب ذلك تيتو زعيم يوغوسلافيا .. فصدرت عشرات الكتب تتهمه بانه خائن وعميل للمخابرات الانجليزية والامريكية ومخابرات نيام نيام وبلاد تركب الافيال .. وباء تيتو بخسران مبين داخل الحركة الشيوعية العالمية

وود كل عضو فيها ان يرجمه بحجر لو استطاع !.

وعندما اخرجت السينما السوفيتية فيلم « سقوط برلين » قدمت ستالين كأنه اله أو على الاقل رسول يوحى اليه ..

وكان كل الشيوعيين فى العالم .. سواء فى الدول الاشتراكية بما فيهم الشيوعيين الصينيين .. او فى اى بلد فى العالم حينما كانوا يقاتلون فى المدن او فى الغابات والاحراش ضد المحتلين الاجانب .. مقتنعين تماما باسطورة ستالين والهام ستالين وانه لا ينطق قط عن الهوى !

وذكر انى كنت فى معتقل الطور سنة ١٩٥٣ عندما اعتقلت ثورة يوليو كل خصومها السياسيين من وفديين وديمقراطيين وشيوعيين وعملاء القصر واخوان الحرية .. اذكر انه عندما جاءنا الخبر بوفاة ستالين .. اصابنا الوجوم .. وبكى البعض بكاء حارا لاننا جميعا شعرنا « باليتم » .. وسار اغلبنا على وجهه هائما فى صحراء شاعرا باللوعة والضياع .. وبدا ان الكرة الارضية قد انشقت وتفتت او ان البناء الاشتراكى العالمى الهائل قد تهاوى وتصدع !

واذكر ايضا انا ونحن فى معتقل ابى زعبل عام ١٩٥٦ .. وكان المعتقل من ذلك النوع « الديمقراطى » كما تواضعنا على تسميته اى معتقل يسمح فيه للمعتقلين بقراءة الكتب والصحف والورق والاستماع للاذاعة ..

اقول اذكر انه عندما جاء فى نشيرة الاخبار ذات يوم ان الرفيق خروشوف كشف فى مؤتمر الحزب العشرين عن عبادة الفرد لشخص ستالين .. ان اغلب المعتقلين لم يصدقوا آذانهم .. ورموا الاذاعة ووكالات الانباء بالكذب والتلفيق .. فقد كان ستالين فى نظرنا غير قابل للنقد وبالتالى لا يمكن ان يجرؤ الرفيق خروشوف او اى رفيق فى اى حزب شيوعى فى العالم على نقده .

ورغم تكرر اذاعة الخبر فان اغلب المعتقلين لم يصدقوه .. بل ان زعيما شيوعيا معروفا كان يصرخ فى ارجاء العنبر قائلا اقفلوا المضروب ده ! .. يقصد الراديو ..

واذكر ايضا انني كنت من القلائل اللذين صدقوا الخبر حينذاك وتعرضت لحملة شديدة من غير المصدقين .. ولا ازعم انه كان لدى تفسير علمى لتقبلى تصديق الخبر .. ولكنها على اى حال كانت بداية طريقى فى التحرر من الجمود العقائدى والتصديق المطلق لكل ما يقدمه الحزب الشيوعى السوفيتى من تحليلات وتفسيرات للسياسة العالمية ..

وقد كان هذا التقديس بل والايمان طابعا عاما لكل الشيوعيين فى العالم .. وفى مصر ايضا .. حتى ان هذا التقديس امتد الى تغليب كل راى او فتوى تصدر من اى حزب شيوعى اجنبى على اى راى تهتدى اليه الحركة الشيوعية المصرية.

اى ان الشيوعيين المصريين كانوا مصابين « بعقدة الخواجه » فيما يتعلق بنظرتهم الى الافكار والتحليلات التى تصدر من اى حزب اجنبى ولو كان الحزب الشيوعى فى كوستاريكا او لبنان والاردن !

ويمتلىء تاريخ الصراع الفكرى فى الحركة الشيوعية المصرية فى تلك الحقبة « ٤٥ – ١٩٥٦ » بمفارقات ومواقف تثير الاسى والضحك معا ! .

وارتبط بعبادة شخص ستالين نظرة مثالية مطلقة الى النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى .. فرغم مناقضة ذلك للفلسفة الجدلية وما تحدث به ماركس وانجلز ولينين وستالين نفسه من تناقضات وصعوبات البناء الاشتراكى .. فقد كان الشيوعيون فى العالم يؤمنون ايمانا جازما بان الاتحاد السوفيتى هو جنة الله فى ارضه التى وعد بها عباده .. ويصمون آذانهم ويغلقون عن اى مقالات أو كتب تنشر نقد للنظام السوفييتى .. مريحين انفسهم بترديد عبارة : هذا كلام عملاء الاستعمار

من لينين
إلى أندروبوف

هذا كلام تردده تشيكين خونة او تيتويين مرتدين مراجعين !

عبادة الفرد هذه اذن كانت اهم سمة من سمات ستالين واكبر خطايه السياسية ..

وانسحب عليها اضطهاد بل ارهاب مروع لكل خصومه السياسيين .. لا ممثلى الراسمالية وكبار الملاك الذين يريدون الارتداد بالنظام الاشتراكى الى النظام الراسمالى الاقطاعى .. بل خصومه ومعارضيه داخل الحزب الشيوعى السوفيتى نفسه .. واعدم ستالين الالوف وسعداء الحظ هم الذين زج بهم فى السجون والمنافى عشرات الاعوام ..

انه ضرب الديمقراطية داخل حزبه .. وجعل من نفسه ديكتاتورا ملهما وابا للشعب والشيوعيين جميعا ومنظرا جديدا بعد لينين ..

وكانت كل نظرية يدعو اليها تجد على الفور جوقة من المطبلين والزمارين من الشراح والمفسرين .. والاهم من ذلك التصديق على الفور كقضية مسلمة .. الم تصدر عن ستالين ؟ ..

ومن اشهر نظرياته الخاطئة تلك النظرية التى طلع بها على الحركة الشيوعية العالمية فى المؤتمر التاسع عشر للحزب « قبل وفاته بقليل » والتى يرجح فيها قيام الحرب بين الدول الاستعمارية بعضها البعض اكثر من احتمال قيامها بين تلك الدول والمعسكر الاشتراكى ! ..

وضرب مثلا باحتمال قيام حرب بين اليابان وامريكا او بين المانيا الغربية وسائر بلدان اوربا الغربية وهكذا ..

هذا فى الوقت الذى كانت الحرب الباردة على اشدها يذكى وقودها والاسى ضد المعسكر الاشتراكى ويحشد الاحلاف والسلاح .. وفى الوقت الذى كانت حرب كوريا مستعرة الاوار وماك آرثر يدعو الى استخدام القنبلة الذرية ضد جحافل المتطوعين الصينيين عند نهر « يالو » ..

وهذا الارهاب وانتهاك الديمقراطية الاشتراكية فى عصر ستالين قد خنق مبادرات الالوف بل الملايين من السوفيت .. وشوه سمعة الاشتراكية وساعد على خلق البيروقراطية والطبقة الجديدة .. وانعكس على الحركة الشيوعية العالمية بالجمود والتحجر فى احيان كثيرة .. ولو ان ماوتسى تونج زعيم ثورة الحزب الشيوعى الصينى استمع الى نصائح ستالين فى الاربعينات لما انتصرت الثورة الصينية المظفرة عام ١٩٤٩ !! ..

ومع هذه الاخطاء او الخطايا الفاحشة فى عصر ستالين .. فان التاريخ سيذكر له دائما اربعة امور اساسية فاصلة فى حياة الشعب السوفيتى وشعوب العالم ..

اولا : انه بنى النظام الاشتراكى فى اول دولة كبيرة فى العالم .. فى وجه حصار عنيد دائم من جانب الغرب الذى صنع ما يسمى بالستار الحديدى حول الاتحاد السوفيتى .

ثانيا : انه هزم العدو النازى الغازى لبلاده فى الحرب الوطنية الكبرى بل يمكن القول دون مبالغة انه قاد شعوب العالم كلها فى الحرب ضد الفاشستية والنازية ولعب الاتحاد السوفيتى الدور الحاسم فى هزيمتها . وحرر نصف اوربا تقريبا من الاحتلال النازى .

ثالثا : انه منذ رفع ونستون تشرشل شعار اتجاه راس حربة الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية ضد الخطر الشيوعى المتمثل فى الاتحاد السوفيتى استطاع ستالين ان يفشل هذا المخطط بالدعوة الى السلام والتقدم بمقترحات جديدة من اجل تحقيقه فى نفس الوقت الذى اسرع ببناء الجيش السوفيتى وصنع القنبلة الذرية لتقضى على احتكار الولايات المتحدة لهذا السلاح المخيف

● خروشوف لم يكن محبوبا في روسيا

الذى كان يشجع العسكريين الغربيين والانتقاميين الالمان على شن حرب جديدة لدفن المعسكر الاشتراكى كله واستعادة سيطرة الاستعمار على العالم .

رابعا : ان ستالين وجه سياسة الاتحاد السوفيتى لتاييد حركات التحرر الوطنى التى تفجرت بعد الحرب الثانية دون اى تردد ولو ان ذلك التاييد لم يتخذ صفة مادية فى اغلب الاحيان

لان الاتحاد السوفيتى كان مثخنا بجراح العدوان النازى الذى دمر ثلث طاقته الانتاجية وتسبب فى قتل ٢٢ مليون نسمة ! .. وكان ستالين يريد العودة الى الحال التى كانت عليها بلاده قبل نشوب الحرب فى يونيه ١٩٤١ .

وفى مصر سمعنا لاول مرة عن تاييد الاتحاد السوفيتى لقضيتنا الوطنية عام ١٩٤٧ واستخدام جروميكو لحق الفيتو فى مجلس الامن فى صالحنا .

ثم تاييده لنا فى قتالنا المسلح فى القناة عام ١٩٥١ حتى لان الجماهير سارت فى الشوارع تهتف لاول مرة بضرورة عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى واعلن عبد الفتاح حسن الوزير الوفدى من شرفة مجلس الوزراء يوم ٢٤ يناير للجماهير المحتشدة ان المجلس سيقرر عقد تلك المعاهدة .. ثم حدث حريق القاهرة بعد يومين من هذا الوعد فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

على ان القيادة السوفيتية بزعامة ستالين بعد ذلك اخطات فى تشخيص ثورة ٢٣ يوليو اذ اعتبرتها مجرد انقلاب عسكرى لحساب الولايات المتحدة .. وهو نفس نظرة أغلب الشيوعيين المصريين للثورة حينذاك .. وكانت هذه هى المرة الاولى التى لا ينقل الشيوعيون المصريون رايا عن احد بل تتبعهم الحركة الشيوعية العالمية فى نظرتهم !

وعندما مات ستالين ذهب محمد نجيب رئيس مصر حينذاك الى السفارة السوفيتية فى القاهرة وقدم العزاء .. وادلى بتصريحات حارة فى تقدير شخصية الزعيم السوفيتى الراحل .

ونشرت الصحف المصرية خبر وفاة ستالين وردود الفعل الدولية على صفحاتها الاولى ونشرت تعليقات حماسية من ابرزها كان تعليق الاستاذ خالد محمد خالد « طبت حيا وميتا يارفيق » .. هذا التعليق الذى اثار ضجة كبيرة ايامها خصوصا فى الدوائر الدينية ..

مالنكوف .. كالشهاب :

مات ستالين والتوتر الدولى على اشده .. والدول الاشتراكية فى اوربا ترسم خطاه وتعاليمه الى درجة التطبيق الجامد والتقليد .. وسنرى اثر ذلك فيما بعد وخلف ستالين سكرتيره مالنكوف حيث شغل منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى .. وظهر الى جانبه قادة آخرون لاول مرة مثل خروشوف وبولجانين وبودجورنى وميكويان ..

وبدا الحديث لاول مرة فى الاتحاد السوفيتى عن تطبيق القيادة الجماعية باعتبار انه لا يمكن لزعيم واحد ان يحل محل القائد الاسطورى ستالين ..

ولكن مالنكوف لم يلمع طويلا اذ سرعان ما نحى عن القيادة .. وتولى مكانه خروشوف كسكرتير عام للحزب الشيوعى .

وعين مالنكوف ناظرا او مديرا لمحطة كهرباء .

وفى هذه الفترة حدث حادث هز العالم كله .. هو اعتقال بيريا وزير داخلية الاتحاد السوفيتى وعضو المكتب السياسى والساعد الايمن لستالين فى كل عمليات القمع لمعارضيه .. وكان اسم بيريا يثير القشعريرة والخوف وروجت عنه الاساطير عن قدراته الخارقة ..

وفى ساعات قليلة كان بيريا قد قدم للمحاكمة واعدم رميا بالرصاص وصدر عن الكريملين بلاغ قصير مقتضب يقول انه

من لينين
إلى أندروبوف

ثبت ان بيريا كان عميلا للمخابرات الغربية ـ دون تحديد ـ منذ عام ١٩١٧ !؟

وما زالت قصة بيريا هذه غامضة حتى يومنا هذا كغموض حكاية مصرع الرئيس الامريكي كنيدى بل اشد غموضا منها !

خروشوف .. النجم العالمى

اذا كان ستالين قد عاش حياته كلها محبوبا ومقدسا من شعبه وكل الشيوعيين فى العالم .. الا ان خروشوف عاش طوال حكمه للاتحاد السوفييتى محبوبا من اغلب شعوب العالم .. ولكن ليس محبوبا من كل الشيوعيين .. كما انه لم يظفر بحب الشعب السوفييتى نفسه ..

كان العالم يحب خروشوف .. لانه لاول مرة يقدم شخصية مرحة خفيفة الدم سريعة البديهة مرنة ولكن حادة وقت اللـــزوم مستعدة للمساومة والتنازلات المتبادلة .

فتصور الانسان فى العالم الراسمالى ان الشيوعى بشكل عام خصوصا هذا الذى يتحدر من اصلاب البلاشفة القدامى .. شخص جامد الفكر والوجه متجهم مبهدل الشياب يتحدث بالشعارات متزمت .. الخ .

لكن خروشوف كان شخصية مختلفــة تماما ..

فى اثناء زيارته للولايات المتحدة قدموا له رقصة الكلن كان المشهورة التى تستدير فيها الفتيات بارادفهن للناظرين : فقهقه ضاحكا من قلبه قائلا بصوت عال :

ـ نحن فى بلادنا نفضل ان « نأتى » النساء من الامام !

واثناء حضوره اجتماعات هيئــة الامم المتحدة عام ١٩٦٠ سمع مندوب هندوراس يهاجم الاتحاد السوفييتى وينعتـه باقذع الصفات .. فصاح خروشوف غاضبـا فى الاجتماع الذى ضم معظم رؤساء العالم :

هذا الكلام لا يستـــحق الا الضرب بالحذاء ! ..

وخلع حذاءه ووضعه امامه على المنصة بين دهشة وذهول الحاضرين .. بينما صفق ممثلو الكتلة الشرقية ومعظم دول عـــدم الانحياز له بحماسة شديدة !

وعندما قيل له مرة ان امريكا لديهـا قنابل ذرية وهيدروجينية تستطيـع تدمير العالم سبع مرات ضحك وقال :

ـ انه يكفى جدا العدد اللازم لتدميره مرة واحدة .. ونحن نملك هذا على ما اظن!

ورد مرة الدعوى القائلة بان الشيوعيين فى العالم عملاء للاتحاد السوفييتى قائلا فى سخرية :

ـ حسنا .. ونحن الشيوعيين الروس كنا عملاء لمن !؟ اذا قلتم عملاء لكارل ماركس وانجلز .. فهم لم يكونوا موجودين عندما قمنا بالثورة .. لم هما كانا عميلين لمن ؟

وكان مرح خروشوف وخفة دمه يجتذبان اليه شعوب العالم فى زياراته عـلاوة على الارتياح الذى يغمر زعماء العـــالم الذين يقابلهم .. فى اول اجتماع له باديناور اول مستشار لالمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية وكان خصمـا عنيدا للاتحـــاد السوفييتى .. وكان المستشار عجوزا فى الثامنة والسبعين ويدخن بشراهة ..

قاطعه خروشوف اثناء اجتمـــاعهما .. وتناول علبة السجاير والكبريت من امامه وقال له فى ود شديد ..

صحتك يارجل .. اسمع لى انك لن تدخن بعد اليوم ! ..

وتاثر اديناور واعلن اقلاعه عن التدخين منذ تلك الساعة ..

مع ذلك فى المؤتمر الصحفى الذى عقده خروشوف بعد اجتماعاته باديناور ..

سأله احد الصحفيين فى خبث :

ـ مستر خروشوف .. هل تؤمن بالله؟

قال خروشوف بسرعة وهو يضـــحك وبجواره اديناور ..

ـ انى واثق ان الهك ســيبعث بى الى الجنة بينما سيقذف بهذا الرجل (اديناور) الى الجحيم .. لماذا ؟ .. لانى اناضل من اجل السلام وتجنب البشرية ان تتبخــر بالقنابل النووية .. بينما هو « اديناور » يعمل من اجل الحرب !

ولم يغضب اديناور وضحك قائلا :



ستالين



خروشوف

- ستري بعد الموت ..

اكثر خروشوف من زيارة بلاد العالم.. فزار الهند عام ١٩٥٥ .. حيث استقبل استقبالا حارا .. وزار الولايات المتحدة .. وزار مصر عام ١٩٦٤ حيث اعد له استقبال لم تشهده مصر لاى زائر اجنبي في تاريخها .. وزار النمسا وبلاد اخرى ..

وكرس نشاطه في السياسة الخارجية لكسر حدة الحرب الباردة واجبار الغرب على اتباع مبدأ المفاوضة لحل المشاكل الدولية بدلا من الحرب ..

واعتمد على ثلاث وسائل :

- اظهار المرونة في المفاوضات الدولية
- بناء القوة العسكرية السوفييتية والتضخيم من دور المعسكر الاشتراكي في السياسة الدولية حتى انه ابتكر نظرية جديدة هي ان ذلك المعسكر يلعب الدور الحاسم وليس دورا حاسما في تشكيل الاحداث الدولية . اي ان الاشتراكية قد جاوزت مرحلة التثبيت واصبحت في مرحلة التفوق على النظام الراسمالي .

ووعد خروشوف الشعب السوفييتي ان الاتحاد السوفييتي ستلحق بالولايات المتحدة من حيث كم الانتاج عام ١٩٧٠ .

واكد خروشوف ان الحرب العالمية يمكن الا تقع . وان حسم قضية الاشتراكية في العالم كله سياتي عن طريق المباراة السلمية والتنافس بين النظامين الراسمالي والاشتراكي

- واتخذ خروشوف سياسة واضحة في تأييد سياسة الحياد التي كان قد تبناها كل من سوكارنو ونهرو وجمال عبد الناصر وتطور بهذا التأييد لسياسة الحياد الى تأييد شامل وكل للدول المحايدة التي سماها « بالبلاد الفتية المستقلة » . وقدم لها العون المادي لتصنيعها والعون المعنوي .. ودعا الى تشكيل ماسماه بالجبهة العالمية المتحدة ضد الامبريالية والحرب .. تضم المعسكر الاشتراكي وتلك الدول الفتية وحركات التحرر الوطني والقوى التقدمية في الدول الامبريالية .

اما عن الوسيلة الاولى فقد بدات مرونته في الاتفاق مع الغرب على حل مشكلة النمسا بجلاء القوات الاجنبية عنها مقابل حيادها .

وشفع ذلك بحل الكومنفورم وهو الهيئة التي كانت تجمع الاحزاب الشيوعية الغربية والشرقية في العالم .

وعندما تازمت مشكلة برلين الغربية وتوقع العالم تشددا سوفييتيا قد يؤدي الى صدام اكتفى بالاتفاق مع جمهورية المانيا الديمقراطية على بناء سور برلين وتجنب بذلك تقسيم المدينة الى امد غير معلوم .

ولكن اروع انجازات خروشوف في حل المشاكل الدولية بالمرونة وتقديم التنازلات المتبادلة تجلى في ازمة كوبا عندما اعلنت الولايات المتحدة في عهد كنيدى عن عزمها على غزو كوبا اذا لم تسحب الصواريخ السوفييتية الذرية منها ..

عرض خروشوف على كنيدى في رسالة تاريخية ان يسحب تلك الصواريخ في مقابل ان تتعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا على الاطلاق .

وافق كنيدى .. وسحب الاتحاد السوفييتي صواريخه وبقيت كوبا دولة اشتراكية حتى اليوم على بعد تسعين ميلا من شاطئ ميامي في الولايات المتحدة .

وبالنسبة للوسيلة الثانية ففي عهد خروشوف كان الاتحاد السوفييتي اول دولة غزت الفضاء وبنيت ترسانة الصواريخ النووية عابرة القارات واظهر العين الحمراء للغرب عندما حدث العدوان الثلاثي على مصر بالانذار الشهير .. كما ضرب قوى الثورة المضادة بعنف وقسوة في المجر عندما خيل للغرب انه يمكن ان ينتهك اتفاقات يالتا

من لينين
إلى أندروبوف

منتهزا فرصة التذمر من أخطاء الحزب الشيوعي المجري الستالينية .

وطرح الاتحاد السوفييتي في عهد خروشوف عشرات الاقتراحات في الامم المتحدة من اجل نزع السلاح وتحقيق السلام ..

وربما كان تأييد اغلبية الدول الاعضاء في المنظمة الدولية لتلك الاقتراحات هو الذي اغرى خروشوف بابتكار نظريته عن ان المعسكر الاشتراكي يلعب الدور الحاسم في صنع الاحداث في العالم ..

اما عن الوسيلة الثالثة فان النجاح الذي حققه خروشوف في تدعيم علاقة الصداقة بين الاتحاد السوفييتي والدول « المستقلة الفتية » كما كان يسميها علما بان الستينيات كانت عصر تحرر كثير من الدول الافريقية والاسيوية من الاستعمار كما ان انتصار مصر على العدوان الثلاثي ونجاح ثورتي كوبا والجزائر قد ابرز دور تلك الدول ودعم كتلتها « عدم الانحياز » ..

اضف الى ذلك ان بعض تلك الدول قد اتجهت الى تطوير ثورتها الوطنية الى ثورة اجتماعية كما حدث في مصر والجزائر وغينيا ومالي . عندما اتجه قادة تلك البلاد لا الى تمكين البرجوازيات الوطنية فيها من تملك السوق الوطني والاستئثار به بعد طرد المستعمرين .. انما اتجهوا الى نوع من الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ولو جردوا البرجوازية الوطنية من ملكيتها فيما عرف بالتاميمات .

واتجه هؤلاء القادة الى تطوير اقتصاد بلادهم في اتجاه استقلاله عن التبعية للسوق الراسمالية ولم يجدوا امامهم سوى الاتحاد السوفييتي الذي بادر بمد يد العون لتحقيق التصنيع لبلادهم بحكم ان مصالحه لا تتضارب من هذا فليس فيه ملاك فرديون يهمهم احتكار السوق العالمي لهم على اشلاء الصناعة الوطنية .

هذا كله خلق « شهر عسل » بين الاتحاد السوفييتي والدول المستقلة . هنا ارتكب خروشوف اكبر خطأ نظري في حياته ..

تصور خروشوف ان قادة تلك البلاد يمكن ان يتطوروا في وعيهم السياسي الى اعتناق الاشتراكية العلمية « الماركسية » .. وكان كاسترو الزعيم الوطني في البداية قد ضرب مثلا باعلانه اعتناقه للماركسية واصبح سكرتيرا للحزب الشيوعي الكوبي الناتج من عملية الدماج بين حزب كاسترو الوطني والحزب الشيوعي الكوبي الذي ساهم بفعالية كبيرة في النضال المسلح لتحرير كوبا .

وقال خروشوف انه طالما ان المعسكر الاشتراكي يلعب الدور الحاسم في تغيير مسار التاريخ فانه يمكنه التأثير بمساعدته لحكام تلك البلاد المتطورة ليتجهوا من الطريق الراسمالي للتطور الى الطريق الاشتراكي . واستحدث مرحلة انتقالية هي الطريق اللاراسمالي ..

وطور خروشوف تلك الفكرة الى خلوصه بان الاحزاب الشيوعية في مثل تلك البلاد لم يعد لها ضرورة اجتماعية وانها يجب ان تحل نفسها وتندمج في احزاب او هيئات هؤلاء القادة الذين سماهم بالمثقفين الديمقراطيين لمساعدتهم على التطور نحو تطبيق النظام الاشتراكي الحقيقي .

وقد عارض الشيوعيون الصينيون هذه النظرية وكانت اساسا من اسس الخلاف العميق بينهم وبين القادة السوفييت .

ورتبوا عليها معارضتهم لهذا السخاء الذي تصرف به اولئك القادة في تقديم العون والسلاح لتلك البلاد ودعوا الى نوع من الكوميونة بين كل الدول الاشتراكية فهي اولى بتلك المساعدات والمعونات ! ..

ولعل هذا الخطأ النظري في فكر خروشوف هو الذي قاده الى الصدام مع مصر عام ١٩٥٩ .. عندما قامت ثورة العراق في يوليو ١٩٥٨ ..

فقد انحاز خروشوف الى جانب زعيم الثورة حينذاك عبد الكريم قاسم بعد مابدا انه يقترب كثيرا في تحالف وثيق مع الحزب الشيوعي العراقي الذي شارك في صنع الثورة ..

ولم يفطن خروشوف الى ان هذا النوع من القادة الوطنيين انما هم برجوازيون

صغار في الاصل معادون للشيوعية او لا يتفقون معها .. وان كانوا يتحالفون مع الشيوعيين من اجل مصالحهم ومصالح طبقتهم الى حين .

واخل وقوف خروشوف الى جانب قاسم الى صدام مع جمال عبد الناصر كاد يؤدى الى قطيعة سياسية لولا ان تدارك خروشوف نفسه الموقف بعد ان تبين الحقيقة وقدم للثورة المصرية كل ما ارادته بما فيها بناء السد العالى رغم ان الشيوعيين المصريين كانوا معتقلين ويسامون خسف العذاب في معتقلات عبد الناصر الذى كانت تصفه وسائل الاعلام السوفييتية « بابن مصر البار » ..

وتوج خروشوف علاقته بمصر بزيارتها عام ١٩٦٤ حيث منح جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر لقب بطل الاتحاد السوفييتي .. دون ان يستشير القيادة السوفييتية . وكان ذلك من بين ما اخذته عليه تلك القيادة عندما قررت عزله فى ١٤ اكتوبر ١٩٦٤ .

ونسبت اليه تلك القيادة اتجاهه الى الانفراد باصدار القرارات متجاوز سلطاته كعضو فى المكتب السياسي يعبر عن ارادته مجتمعا واستخدامه للاسلوب « البرجوازى الشخصى » فى ادارة العمل كتقديم زوج ابنته الرفيق ادجوبى كممثل له مع رؤساء الدول هو وزوجته مع انه غير مفوض من المكتب السياسى .

ولكن اخطر ما قدم ضد خروشوف هو فشله فى المجال الداخلى فى حل مشكلة الزراعة .. وتصعيد الخلافات مع الصين .. والخروج على اسس الماركسية اللينينية بالتساهل فى تحديد الاشتراكية وتطبيقاتها مع دول العالم الثالث واستغلاله هذه فى

الوقت الذى لم يتقدم مستوى معيشة الشعب .

والغريب ان خروشوف الذى كان ملء السمع والبصر فى العالم الخارجى ومحبوبا من الناس عموما لم يفز بمثل تلك الشعبية فى الاتحاد السوفييتى بل كانوا يعتبرونه « هوائيا » .. فاشلا فى تطوير حياتهم المعيشية . ومن ناحية اخرى ان خروشوف قد اغضب الكثيرين من العسكريين السوفييت عندما عزل المارشال زوكوف فاتح برلين فى الحرب العالمية الثانية عندما اراد زوكوف استبعاد المسئولين السياسيين من الوحدات العسكرية بالجيش .

وعزل خروشوف باسلوب يؤكد وجود « دولة المؤسسات » فى الاتحاد السوفييتى .. اذ اجتمع المكتب السياسى وقدم له كشف الحساب واعلنه بالعزل ، ولكن خروشوف رفض القرار وقال انه قد انتخب سكرتيرا عاما بواسطة اللجنة المركزية فجمعوها له بالطائرات .. وظل يدافع عن نفسه ست ساعات ولكن صدر القرار .. بخروجه من الكريملين .

عصر بريجنيف : الاستقرار :

فى اكتوبر ١٩٦٤ خلف ليونيد بريجنيف خروشوف فى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى بينما اختير كوسيجين رئيسا للوزراء وبودجورنى رئيسا لمجلس السوفييت الاعلى « اى رئاسة الدولة » .. وبعد سنوات اصبح بريجنيف يجمع بين المنصبين : السكرتارية ورئاسة الدولة . ولما كان منصب السكرتير العام للحزب هو اهم منصب فى الاتحاد السوفييتى فانه يمكن القول ان الثمانية عشر عاما التى ظل بريجنيف يشغل فيها ذلك المنصب بعصر بريجنيف .

وقد ولد بريجنيف فى عائلة عمالية واشتغل عاملا ودرس حتى اصبح مهندسا وشغل مواقع عديدة فى الجيش وشارك فى الحرب ضد النازية حتى وصل الى المكتب السياسى .

ووضع بريجنيف شعارا له : « الامن للوطن والطعام الجيد للشعب » .

وقد انصرف للاهتمام بالداخل تلافيا لاخطاء خروشوف ..

وعلاقيلا تحققت فى عهده الامور التالية

● ارتفع مستوى معيشة الشعب

● عصر بريجنيف كان استقرارًا فماذا يكون عصر أندروبوف؟

من لينين إلى أندروبوف

السوفييتي بعد ان اهتم بالصناعات الاستهلاكية التي طال اهمالها .

● اختفت في عهده بقايا عبادة الفرد وتدعمت الديمقراطية الاشتراكية بصدور دستور ١٩٧٧ الذى وسع الحقوق المدنية للمواطن السوفييتي .

● تأكدت تماما دولة المؤسسات في الاتحاد السوفييتي .

● وضع حد نهائي للتصفية البدنية للمعارضين واطلقت لما سمى بالمنشقين بعض حرية العمل فعقدوا المؤتمرات الصحفية واتصلوا بالمراسلين الاجانب واصبحت محاكماتهم علنية . وان كان سلاح الابعاد ما زال قائما .

● فتح المجال للفنانين في المسرح والسينما والكتاب ان ينتقدوا الاوضاع في الحياة السوفييتية . وفتح باب السياحة بشكل واسع حتى خارج الدول الاشتراكية .

● ازيلت آخر آثار التناقض بين رجال الدين والدولة وتدعم نفوذ وسلطة المؤسسات الدينية المسيحية والاسلامية بينما فشلت جهود الدولة مع اليهود المتعصبين الا ان تأثير الصهيونية وتداعياتها اقوى .

اما خارج الاتحاد السوفييتي ففي عهد بريجنيف تم زوال خطر الحرب الباردة وانحسر وتم الاتفاق مع الغرب على اسس وقواعد للانفراج الدولي او « الوفاق الدولي » وبدا يتحقق حلم خروشوف عن المنافسة بين النظامين في مجال الانجازات السلمية الانسانية فشهد العالم لاول مرة رائدى فضاء امريكي وسوفييتي يلتحمان في الفضاء في سفينة واحدة . كما تم الاتفاق بين العلماء السوفييت والامريكيين على تبادل المعرفة في الفضاء على امراض القلب والسرطان ..

وحلت مشكلة برلين وتم الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية .. وتم التوصل الى تسوية للمشكلة الفيتنامية .

وحقق السلام خطوة كبيرة باتفاقيات هلسنكي التي وقعت عليها اوربا بشرقها وغربها ..

في نفس الوقت مضى الاتحاد السوفييتي يؤيد حركات التحرر الوطني والدول المستقلة مع تشجيع اكثر للدول التي تتجه نحو الاشتراكية .

وعقد الاتحاد السوفييتي لاول مرة معاهدات صداقة وتعاون مع دول عربية وافريقية وآسيوية .

واصبح له حلفاء من دول اشتراكية او يدين قادتها بالنظرية الماركسية صراحة في افريقيا وامريكا اللاتينية وآسيا .

وازدادت قوة الاتحاد السوفييتي العسكرية زيادة كبيرة ..

واتجهت السياسة السوفييتية الى استغلال التناقض بين اوربا الغربية وامريكا ونجحت في ذلك نجاحا كبيرا وليس ادل على ذلك من موقف تلك الدول من مشكلة افغانستان ومشكلة بولنده حيث لم تستخدم العصا الغليظة كما انها رفضت باصرار محاولة الولايات المتحدة افشال مشروع خط انابيب الغاز من سيبيريا عبر اوربا الغربية .

وثمة حركة قوية الان في اوربا الغربية ضد غرس مزيد من صواريخ برشنج الامريكية في اراضيها .

واعظم انجاز لبريجنيف هو اتفاقيات سولت واحد التي وفر منها اربعين بليون دولار نفقات عسكرية . ثم اتفاقية سولت اثنين التي لم يقرها الكونجرس الامريكي حتى الان .

ولم يكف بريجنيف عن محاولة التصالح او تطبيع العلاقات مع الصين بعد ان تأزمت الامور بينهما الى حد الصدام المسلح عند الحدود والى حد مهاجمة الجيش الصيني لجمهورية فيتنام .

وحقق بريجنيف بعض النجاح قبل وفاته .

وعلى نطاق الحركة الشيوعية الدولية انتهى نهائيا الفكر الذى كان يعتقد ان الحزب الشيوعي السوفييتي هو قائد المسيرة للاحزاب الشيوعية الاخرى .. ولم يعد للحركة الشيوعية مركزها .. بل فتح باب الاجتهاد تماما واصبح كل حزب شيوعي مستقلا تماما في فكره وسياسته . باختصار لم يعد لها " كبيرا " ..

وان كان بريجنيف قد تعهد علنا بتحمل الاتحاد السوفييتي مسئولية الامية في انقاذ الاشتراكية في اي بلد اشتراكي من

قوى الثورة المضادة اذا عجز عن ذلك . وهذا ما سمي بمبدأ بريجنيف .

وطبق ذلك المبدأ في ازمة تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .. ثم في افغانستان عام ١٩٨٠ . وحزن الغرب حزنا شديدا انه لم يطبقه في بولندا وترك تلك المسئولية للحكومة والجيش البولنديين كمشكلة داخلية !

ونحن في الشرق الاوسط هنا عاصرنا تأييد بريجنيف وزملائه للعرب في صراعهم ضد اسرائيل فلقد سلحوا مصر وسوريا ولكن هزمنا في حرب ١٩٦٧ فاعادوا تسليحنا من جديد .. وانتصرنا في حرب ١٩٧٣ .

وأيد السوفييت حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ومنحوا ممثل منظمة التحرير الفلسطينية درجة سفارة في موسكو .

ولكن توتر الجو بين مصر والاتحاد السوفييتي لاسباب كثيرة ليس هنا محل ذكرها حتى وصل الحال الى شبه قطيعة ولم تتوقف تلك القطيعة الا في الشهور الاخيرة من عهد حسني مبارك .

وتوتر الجو ايضا بين السودان والاتحاد السوفييتي منذ الانقلاب اليساري هناك الذي حطمته كل من مصر وليبيا وانصار الرئيس النميري عام ١٩٧١ .

ومات بريجنيف والانزعاج الدولي مصاب بعدة ضربات بعد تولى المستر ريجان السلطة عام ١٩٨١ الذي وضع هدفا له مقاومة ماسماه بالنفوذ السوفييتي في ارجاء العالم ، ولو اضطر لتأييد حكومات رجعية تهدر حقوق الانسان » .

اندروبوف : البداية ؟

ولكن الرئيس ريجان اتخذ لاول مرة موقف مبادرة من اجل تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفييتي اذ استقبل اختيار الرفيق يوري اندروبوف سكرتيرا عاما جديدا للحزب الشيوعي خلفا للرفيق الراحل بريجنيف استقبالا حارا .. اذ اعلن ان الولايات المتحدة تسعى الى اقامة علاقات حسنة وبناءة مع الاتحاد السوفييتي .

بل مشى الى ابعد من ذلك فاعلن عقب زيارته للسفارة السوفييتية في واشنطن لتقديم واجب العزاء انه قرر الغاء قراره السابق بمعاقبة الشركات الاوربية التي تورد اجهزة مد خط الغاز من سيبيريا الى كل انحاء اوربا الغربية تقريبا ..

وبذلك لوح ريجان بغصن الزيتون للقيادة السوفييتية الجديدة ويلاحظ انه في نفس الوقت كانت تعقد الاجتماعات الضخمة وتجرى الاستفتاءات العامة في انحاء الولايات المتحدة للمطالبة بوقف التسلح النووي وضرورة التوصل الى اتفاقيات سلام ..

وفي خطابه استقبل اندروبوف رسالة ريجان استقبالا حسنا فاكد ان الاتحاد السوفييتي مستعد للتعاون من اجل السلام مع اية دولة تريد هذا التعاون باخلاص على قدم المساواة ..

ولكنه اكد ان السلام لا يتسول من الامبرياليين ، وان الامبريالية تثير القلق في الموقف الدولي عن طريق بذر بذور الحقد والدعوة للمواجهة العسكرية ..

وقال ان الاتحاد السوفييتي سيرد ردا ساحقا على اية محاولة عدوانية .

وطمأن اندروبوف الشعب السوفييتي على انه سيسير على نهج سلفه بريجنيف في العمل على زيادة الرفاهية للشعب وتدعيم القيادة الجماعية .

وقد ولد اندروبوف « يوري فلاديميروفتش » في ١٥ يولية ١٩١٤ في اسرة عامل بالسكة الحديد وهو نفسه اشتغل عاملا عندما كان في السادسة عشرة من عمره والتحق بمنظمة الشبيبة الشيوعية ثم ساهم في الحرب العالمية الثانية في حركة الانصار في الاراضي المحتلة بكاريليا .. وظل يصعد في مناصبه بالحزب حتى اصبح عضوا بالمكتب السياسي عام ١٩٧٣ . وشغل منصب رئيس المخابرات « لجنة امن الدولة » منذ عام ١٩٦٧ لمدة سنوات ..

وليس من المتوقع حدوث تغييرات جذرية دراماتيكية في السياسة السوفييتية حاليا .. كما ان الطابع الشخصي للقائد الجديد لم تتحدد معالمه بعد وسيحتاج لبعض الوقت لتأكيد هذا الطابع واثره على تطبيق السياسة السوفييتية التي يضعها المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب .

ولكن من المؤكد ان يوري اندروبوف سيظل حريصا على تدعيم السلام العالمي وتجنيب شعوب العالم ويلات الحرب كما قال بحق الرئيس حسني مبارك في برقية التهنئة له .. اذ ان في اطار هذا السلام يمكن للشعب السوفييتي وكل شعوب العالم بناء حياة أفضل وأكثر رفاهية ! ●

بمناسبة العيد الفضى لعصر الفضاء

السباق المحموم فى الفضاء.. والثورة الاجتماعية

بقلم: د. محمد على اللقانى

● منذ ربع قرن ، انطلق اول قمر صناعى عرفته البشرية ، وكان هذا ايذانا ببدء عصر جديد ، هو عصر الفضاء .

ففى الرابع من اكتوبر عام ١٩٥٧ على وجه التحديد ، اطلق الاتحاد السوفييتى القمر « سبوتنيك - ١ » من قاعدة بايكونور فى جمهورية كازخستان السوفييتية ، وكان يزن حوالى ٨٤ كيلوجراما . وظل يدور حول الارض مرة كل ٩٦ دقيقة الى ان تلاشى فى ٤ يناير ١٩٥٨ .

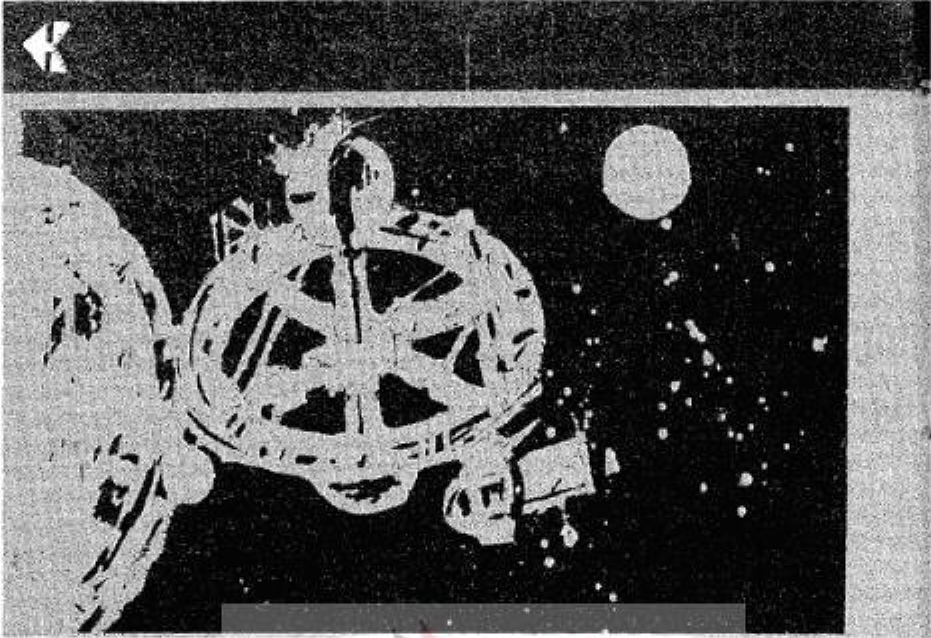
وبعد شهر واحد اطلق الاتحاد السوفييتى ايضا القمر الثانى « سبوتنيك - ٢ » الذى حمل الكلبة الشهيرة « لايكا » وكان يزن اكثر من نصف طن . وظل يدور حول الارض حتى تلاشى فى ٤ أبريل ١٩٥٨ .

وبعد اربعة اشهر من اطلاق القمر السوفييتى الاول ، نجحت الولايات المتحدة فى اطلاق قمرها الاول « اكسبلورار - ١ » ، وكان يزن ١٤ كيلوجراما ويحمل بعض الاجهزة التى اكتشفت ما يسمى باحزمة فان الان الاشعاعية التى تحيط بالارض .

وبدات بعد ذلك مظاهر السباق بين الدولتين الكبيرتين تاخذ شكلا محموما ، فتتابع اطلاق الاقمار الصناعية والمركبات الفضائية من هنا ومن هناك بشكل مكثف .

ولم تستطع دول اخرى ان تدخل الحلبة الا بعد اكثر من اربعة اعوام ، وكانت اولها فرنسا ، ثم جاءت بعدها اليابان والصين وانجلترا وايطاليا ..

وظهرت بعد ذلك مشروعات مشتركة بين الولايات المتحدة وبعض دول اوروبا الغربية ، ومشروعات بين دول اوروبية فقط ، ونوع آخر من المشروعات المشتركة بين دول الكتلة



الشرقية . ثم مشروعات مشتركة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، حتى بلغ عدد ما اطلق من اقمار ومركبات فضائية حوالي الالفين منها خلال ربع القرن الفضائي - ان جاز التعبير - الكثير منها اطلق في مدارات حول الارض ، والبعض منها دار حول القمر او هبط على سطحه ، والقليل راح يدور بعيدا حول الشمس او حام حول الزهرة والمريخ او هبط عليهما .

لقد حملت هذه الاقمار والمركبات اجهزة علمية للاستقصاء ولاجراء التجارب ، كما حملت الانسان والحيوان والنبات وكائنات دقيقة ، وجمعت حجما هائلا من المعلومات.

ان مجالات واسعة من الابحاث والتجارب والصناعات الجديدة والبرامج التعليمية المتطورة قد ظهرت لخدمة الميدان الجديد .. الفضاء .

اما حجم الانفاق خلال ربع القرن الفضائي فهو يقدر بحوالي ثلاثمائة مليار دولار على الاقل ، نصفه انفق في الولايات المتحدة ، والنصف الاخر انفق في الاتحاد السوفييتي. اما انفاق الدول الاخرى فهو شيء محدود لا يغير كثيرا من ضخامة هذا الرقم .

ومن الطبيعي ان يكون للامم المتحدة دور تنظيمي كبير لهذه النشاطات الجديدة الواسعة التي تاثرت بها كل دول العالم تقريبا ، اشتغلت اللجان المتخصصة واصدرت التوصيات والمبادىء ووضعت من التنظيمات والمعاهدات الدولية الشيء الذي يوضح على الاقل مدى اهمية هذه المنظمة الدولية .

وبعد مرور ربع قرن على عصر الفضاء ، لعل من حق كل انسان على وجه هذا الكوكب - سواء كان مشاركا في عمليات الفضاء او مجرد مراقب من بعيد - ان

يتساءل عن آثار هذا العصر الجديد على حياته ..

لماذا كل هذا السباق المحموم ؟؟ وهذا الانفاق المجنون ؟؟

ماذا افدنا من بحوث وتجارب الفضاء ؟ وماذا حققناه من انجازات ؟

كيف كانت آثار هذا العصر الفضائى على الانسان ؟ فى الجانب الايجابى والجانب السلبى ؟

اننى اعتقد ان كل جانب من جوانب حياتنا اليومية قد تأثر بشكل ملحوظ .. .. وهو سوف يتأثر بشكل اعمق واعمق مع الاستمرار فى نشاطات استكشاف الفضاء وارتياده . بل اننى قد اصل الى حد القول بأن عصر الفضاء سيحدث ـ آن آجلا او عاجلا ـ ثورة فى حياة البشر الاجتماعية لعلها تكون اعظم الثورات فى كل التاريخ .

ونظرة الى تاريخ البشرية منذ بدايته سوف توضح لنا ان هناك اكتشافات واختراعات معينة كان لها الاثر العميق على حياة الانسان ، بل يمكن القول بانها كانت سببا مباشرا فى ثورات اجتماعية دفعت بالمجتمع البشرى كله الى الامام ..

والامثلة كثيرة .. فاكتشاف النار ، واختراع العجلة والبارود وآلة الطباعة ، ونظريات كوبرنيكوس وكبلر وجاليليو ونيوتن ، واكتشاف قوة البخار وتوليد الكهرباء ، وظهور نظرية اينشتين فى النسبية ومعادلته بين الكتلة والطاقة ، ونظرية الكم ومعادلة بلانك للاشعاع ، وانشطار النواة والتحامها واكتشاف القوى الهائلة التى تنتج عنهما .. كل هذا وغيره ـ امثلة لانجازات علمية رائدة واصيلة خلفت من ورائها ثورات اجتماعية .

والمقصود بالثورة الاجتماعية .. كل تغيير واضح فى شكل حياتنا ومستوى معيشتنا وفى القيم والعلاقات السائدة بين الافراد بعضهم البعض فى المجتمع الواحد ، او بين المجتمعات المختلفة فى المجتمع البشرى كله ..

وسأحاول ان اوضح المعالم الرئيسية لآثار عصر الفضاء على حياة البشر ..

فى المجال الاقتصادى

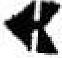
عندما نقول ان التقديرات لحجم الانفاق العالمى بميدان الفضاء فى الربع قرن الماضى تصل الى حوالى ٣٠٠ مليار دولار ، فالمتوقع ان يكون السؤال المباشر الذى يطرح نفسه هو .. من اين توفر الدول هذه الاموال ؟.

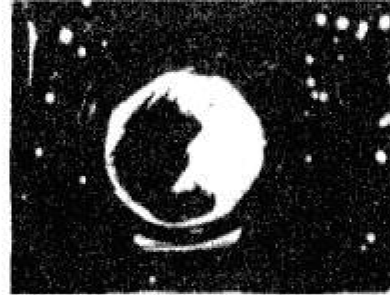
والجواب المباشر ايضا هو انها تجبيها من كل فرد من افراد الشعوب متضمنة فى شكل ضرائب واستقطاعات مباشرة او غير مباشرة ، كان من المفروض ان تنفق فى مجال التنمية والخدمات .

واذن فان ما انفق وينفق فى مجال الفضاء ، هو تخفيض لمتوسط دخل الفرد ، كما انه من ناحية اخرى يعتبر تخفيضا لحجم الاستثمارات المباشرة والممكنة فى ميدان التنمية . ولكى يسهل علينا تصور مدى ذلك الاثر الاقتصادى على حياة الافراد ، فاننى اضع مثالا صغيرا واحدا بين يدى القارىء ..

ذلك المثال هو مشروع امريكى صغير « نسبيا » جاء فى بداية برامج الفضاء الامريكية وهو مشروع اطلاق القمر الصناعى « فانجارد » الذى بلغت تكاليف التحضير له واطلاقه حوالى مائة مليون دولار ..

هذه المائة مليون تعادل ـ وانا هنا انقل من تقرير امريكى رسمى ـ كل ما انفقته الولايات المتحدة خلال عام اطلاق « فانجارد » فى صناعة المطاط ، او فى انتاج الورق . وهى تعادل كل المصروفات الدراسية





والمعيشية التي يحتاجها مائة الف طالب جامعي في ذلك الوقت في السنة . على اعتبار أن تكاليف الطالب الواحد حوالى ألف دولار » . وهي تعادل ايضا تكاليف انتاج خمسمائة الف وحدة من اجهزة التكييف ، باعتبار ان تكاليف انتاج الوحدة الواحدة حوالى مائتي دولار .. وهكذا .

ولعل من السهل على القارىء ـ بعد هذه الامثلة البسيطة ـ أن يدرك مدى اثر ثلاثمائة مليار دولار في الجانب السلبي من الموضوع .

أما في الجانب الايجابي منه فلعلنا نرى عديدا من الآثار .. أهمها :

١ ـ فتحت برامج الفضاء مجالات جديدة من العمل لملايين العمال ومئات الآلاف من الفنيين والعلماء في العالم ، بالبلاد المتقدمة والنامية والمتخلفة على حد سواء . الا ان الكثير من البلاد النامية والمتخلفة قد انشئت بها محطات ارضية لتتبع الاقمار الصناعية تعمل في الغالب لحساب بعض الدول الكبرى في شكل مشروعات مشتركة ، مثل محطات جنوب افريقيا واستراليا ، كما انشئت محطات للاستقبال والارسال التليفوني والتليفزيوني تكاد تكون شاملة لكل الدول

٢ ـ عملت برامج الفضاء بشكل مباشر وغير مباشر على رفع مستوى البرامج التعليمية في كل مراحل التعليم خاصة في الدول المتقدمة وبعض الدول النامية ، حتى يلاحق الخريجون ذلك المستوى الرفيع الذى يتطلبه ميدان ابحاث الفضاء وصناعاته ، وهو المستوى الذى يرتفع يوما بعد يوم نتيجة لازدياد حجم المعرفة العلمية بسرعة متزايدة .

٣ ـ ينتشر استخدام المواد التى اخترعت من اجل برامج الفضاء في الحياة اليومية ، ويزداد هذا الانتشار يوما بعد يوم .. مثل المواد المقاومة للحرارة والعازلة لها والتي تتحمل التغيرات المفاجئة فيها والمقاومة للكسر .. كادوات المطبخ المصنوعة من الحراريات الزجاجية والخزفية الحديثة . ومثل اجهزة القياس الالكترونية الدقيقة ذات الاحجام بالغة الصغر ، كاجهزة قياس وتسجيل رسوم القلب والمخ .. وساعات اليد والحاسبات الوسيقية التى توضع في الجيب ، واجهزة التحكم عن بعد التى تفتح وتغلق الابواب والنوافذ ، والات وعدسات التصوير الدقيقة ، واجهزة الراديو والتليفزيون بالغة الصغر . ولقد اطلعني احد علماء الدول الكبرى خلال احد المؤتمرات العلمية على جهاز دقيق للراديو لا يزيد حجمه على قطعة من العشرة قروش الفضية ، وكان ذلك منذ حوالى عشر سنوات ، فماذا يمكن ان يكون حجمه اليوم ؟

٤ ـ ان الاقمار الصناعية الخاصة بالارصاد الجوية تصور بشكل دائم غطاء السحب المحيطة بالارض وتستكشف الاحوال الجوية غير العادية والخطرة على مساحات واسعة ، الامر الذى ساعد على تحسين مستوى التنبؤات الجوية التى تعتمد عليها الملاحة الجوية والبحرية في عملياتها والتى يعتمد عليها الزراع في كثير من اعمال الحقل ، كما ساعدت في التحذير المبكر من الحالات الخطرة مثل الاعاصير والانواء .

٥ ـ أصبح للاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات اللاسلكية فائدة مباشرة وعاجلة ثم آجلة للانسان . فقد رأينا كيف نقلت اقمار تلستار وسينكوم وغيرهما تليفزيونيا احداث واخبار الدورات الاولمبية منذ عام

١٩٦٤ فى طوكيو ثم ما تلاها من دورات .

وبعد انشاء شركات المواصلات اللاسلكية العالمية التى تستخدم الاقمار الصناعية ، اصبح فى مقدور الانسان ان يتحدث تليفونيا من اى مكان على وجه الارض الى صديقه فى اى مكان آخر فى سهولة ويسر ، كما اصبح من الممكن ان يصل خطابك من اعماق افريقيا مثلا الى اى بلد فى شمال اوربا او كندا عن طريق الاقمار الصناعية . فالخطاب يصور فى مدينتك ثم ترسل الصورة فى شكل اشارات مثل الارسال التليفزيونى الى القمر الصناعى ، الذى يسجلها ثم يعيد اذاعتها وهو فوق البلد المرسل اليه لتلتقطه محطات الاستقبال الارضية على ورق خاص ليعود خطابا كما كان بنفس خطك ، ويصل فى نفس اليوم الى صديقك المرسل اليه .. وهى نفس الطريقة التى تطبع بها الصحف والمجلات العالمية اخيرا فى عدة مدن فى نفس الوقت ويتم توزيعها ايضا فى نفس الوقت فى كل انحاء العالم . فالصفحات بعد اعدادها فى البلد الام ترسل الى الاقمار الصناعية بنفس الطريقة التى ذكرتها للخطابات ، ثم تلتقط فى المدن التى تطبعها وتوزعها فى نفس اليوم .

ثورة فى العلاقات العالمية

ان ما تحققه هذه الاتصالات الواسعة والسريعة وما يمكن ان نسميه بالتليفزيون العالمى فى الجانب الاعلامى والتثقيفى والترفيهى ـ الذى يحدث لاول مرة فى عصر الفضاء ـ قد يكون واضحا ومباشرا لكل انسان .. ولكن هناك جانبا آخر وهو ان هذه الاتصالات الواسعة والسريعة قد ازالت الحواجز الجغرافية والسياسية بين الدول ، الامر الذى يعمل على ازالة الجفوة والتعصب الاعمى بين الشعوب والاجناس المختلفة ، ويساعد على توسيع المدركات وعلى نمو التعاون الدولى وعلى الاقتراب من مرحلة التعايش والسلام على كوكبنا .

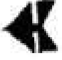
ان المشروعات المشتركة التى قامت وتقوم بين الولايات المتحدة ودول اوربا الغربية او بين دول اوربا بعضها البعض ، او بين الاتحاد السوفييتى ودول اوربا الشرقية ، ثم بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .. سواء فى الابحاث المشتركة او فى اطلاق رواد فضاء من هؤلاء واولئك معا فى مركبة واحدة او فى مركبات مختلفة تلحق ببعضها البعض فى الفضاء الخارجى ، ثم تلتحم وينتقل فيها الرواد ما بين المركبتين ويتبادلون الانخاب والمعلومات والتجارب والمهمات ، لا شك انها تلعب دورا رائدا وهائلا فى عملية التقارب التى اشرت اليها .

قديما كان المسافر على ظهر دابة من بلدة الى اخرى داخل الاقليم الواحد ، يقول خلال رحلته :

لقد تركت اهلى فى بلدة كذا فى اليوم الفلانى ، او تركت بلدة اهلى يوم كذا . او فى دولة كذا او تركت اهلى او دولة اهلى .

فى كل حالة كانت نظرة المسافر الى اهله او بلدة اهله تتسع لتشمل نطاقا اوسع واوسع . وعندما سافر الانسان الى الفضاء ، اصبح يقول : « لقد تركت اهلى على الارض او لقد تركت ارض اهلى وآبائى » .

ان هذا التحول فى نظرة الانسان ـ على الاقل رواد الفضاء وهم رواد للبشرية كلها ـ الى اهله من الدائرة الضيقة .. القرية او المدينة .. الى اهل كل الارض او الى الكوكب كله كارض اهله ، هو لاشك انتقال من النظرة القبلية او العشائرية المتحيزة الى النظرة العالمية الانسانية . وهو تحول جذرى فى علاقة الانسان بالاخرين



وبالارض ، يأخذ بنا نحو وحدة الانسان على هذه الارض ، أو وحدة أرض الانسان .

في المجال السياسي والعسكري

مع بداية عصر الفضاء وعندما انطلق اول قمر صناعي في اكتوبر ١٩٥٧ ، لاح من بعيد شبح الخطر الذي يمكن ان تتعرض له البشرية اذا استخدم الفضاء في اغراض عسكرية . ونظر العالم الى الميدان الجديد بنظرة يمتزج فيها الانبهار بالقلق . وبدأ اهتمام الامم المتحدة بشئون الفضاء واستخداماته . فبادرت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الثانية عشرة الى اصدار قرار يقضي بدراسة الوسائل الكفيلة بضمان قصر استخدام الفضاء الخارجي على الاغراض السلمية والعلمية . وكان ذلك في ١٤ نوفمبر ١٩٥٧ ، اى بعد اربعين يوما فقط من اطلاق اول قمر صناعي .

وبعد حوالى عام واحد في ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ على وجه التحديد ، قررت الجمعية العامة للامم المتحدة تكوين لجنة خاصة مؤقتة لشئون الفضاء ، لتقوم بدراسة تنظيم استخدامات الفضاء الخارجي ، ووضع تقرير بمقترحاتها في هذا الموضوع . وكانت مصر من بين الدول التي اختيرت لعضوية اللجنة . وقد تقدمت هذه اللجنة بتقريرها خلال



عام ١٩٥٩ ، فوافقت عليه اللجنة السياسية للامم المتحدة ، واعتمدته الجمعية العامة ، واصدرت في ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ قرارا بتشكيل لجنة دائمة للاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي لتقوم بتنظيم هذه الاستخدامات وتعميم الفائدة منها ، ودراسة مشاكلها القانونية .

وبعد حوالى عامين ، اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها عن المبادىء الاساسية للتعاون الدولي في الاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي ويتضمن خمس فقرات .

وكان هذا القرار بفقراته الخمس بداية للاسس التنظيمية القانونية وللاسس التعاون الدولي . وتشكلت بناء على ذلك ـ من داخل اللجنة الدائمة ـ لجنتان فرعيتان في مارس ١٩٦٢ .. الاولى للموضوعات العلمية والفنية ، والثانية مختصة بالموضوعات القانونية .

ونتيجة لهذا الاهتمام وهذه التنظيمات من جانب الامم المتحدة ، اصدرت الجمعية العامة في ٧ اكتوبر ١٩٦٣ قرارها الذي يقضي بتحريم وضع اسلحة نووية او اى اسلحة اخرى من اسلحة الدمار الشامل في مدار حول الارض او على احد الاجرام السماوية .

وكان هذا القرار خطوة هامة لها اثرها في تخفيف حدة القلق والتوتر الدولي ، اذ انه يجعل الفضاء والاجرام السماوية منطقة منزوعة السلاح النووي ، اذا اخذت بتوصيته الدول .

وفي ١٣ ديسمبر اصدرت الجمعية العامة ـ بدورتها الثامنة عشرة ايضا ـ قرارها رقم ١٩٦٢ تحت عنوان : « اعلان المبادىء القانونية التي تحكم نشاطات الدول في مجال استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي » ، وهو يتضمن النقاط التي تحدد الاسس التي يجب على الدول الاهتداء

بها عند استكشافها واستخدامها للفضاء .

معاهدة دولية ملزمة

لقد كانت جهود الامم المتحدة فى تنظيم استكشاف واستخدام الفضاء الخارجى منذ بداية عصر الفضاء تعتبر محاولات لارساء مبادىء وقواعد النشاط الفضائى والتعاون الدول فى ميدانه . وقد جاء ذلك فى شكل قرارات للجمعية العامة . ولكن هذه القواعد والمبادىء التى تضمنتها قرارات الامم المتحدة هى - من وجهة النظر الرسمية - مجرد توصيات غير ملزمة .

ولهذا كان من الضرورى ان تتجه جهود الامم المتحدة ولجنة الاستخدامات السلمية للفضاء الخارجى الى التوصل لمشروع معاهدة توقعها كل الدول الاعضاء ، وتكون ملزمة لها . وتم ذلك فعلا فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ .

وفى اعتقادى ان اهم ما جاء فى معاهدة الفضاء - من وجهة نظر انسان هذه الارض - هو المادة التى تقول : « تتعهد الدول المشتركة فى هذه المعاهدة بالا تضع فى مدار حول الارض ، اى جسم يحمل اسلحة نووية او اى انواع اخرى من اسلحة التدمير الشامل ، والا تنزل مثل هذه الاسلحة على الاجرام السماوية ، والا تضع مثل هذه الاسلحة فى محطات بالفضاء الخارجى باى شكل من الاشكال . ولاتستعمل الدول المشتركة فى هذه المعاهدة القمر والاجرام السماوية الاخرى الا للاغراض السلمية فقط . كما يحرم عليها اقامة قواعد او اية انشاءات او استحكامات حربية ، او اجراء تجربة لاى نوع من الاسلحة ، او اجراء اية مناورات عسكرية على الاجرام السماوية » .

ومن الواضح اذن انه تبعا لما جاء فى هذه المادة ، ونظرا لان التفجيرات النووية على سطح الارض وفى الجو قد سبق تحريمها فى معاهدة موسكو للحظر الجزئى على التجارب النووية ، فان هذا يعنى ان الفضاء الخارجى قد اصبح - هو الاخر - منطقة خالية من النشاط النووى بالنسبة للدول المشتركة فى المعاهدتين .

وجاء بعد ذلك العديد من القرارات والاتفاقيات ومهما كانت الايجابيات او السلبيات فى هذه القرارات والمعاهدات .. ففى اعتقادى ان الامر كله يتوقف على الرغبة الصادقة وحسن النوايا من جانب كل الدول المشتركة فيها ، وعلى مدى التعاون بينها فى حل كل المشكلات المتعلقة بالفضاء .

وعلى كل حال فان اقل ما يمكن ان يقال فى جانب هذه المعاهدات ، هو انها خطوات تقدمية من اجل تقليل احتمالات الصدام ومن اجل مزيد من التعاون والتعايش . وتعتبر نماذج جيدة للمعاهدات الاخرى التى لا يزال النشاط الفضائى فى حاجة اليها .

وفيما عدا ذلك فمن الواضح تماما ان المؤسسات العسكرية فى كل من الشرق والغرب قد استفادت من الامكانيات الهائلة التى تملكها الاقمار الصناعية فى الحصول على المعلومات ونقلها ، اعمال التجسس .. كما اصبح فى الامكان ان تحمل اى بلد اقمارها او صواريخها العابرة للقارات من اسلحة الدمار الشامل ما تهدد به سلام بلد اخر ، وربما ما يهدد سلام العالم كله .. خصوصا اذا كان هذا البلد لا يلتزم بالمعاهدات والمواثيق او بقرارات الامم المتحدة مثل اسرائيل .

وما من شك فى ان بناء الصواريخ بعيدة المدى ومتوسطة المدى واطلاق الاقمار الصناعية قد غير تماما من الاساليب العسكرية القديمة قبل عصر الفضاء ، وفرض استراتيجية عسكرية جديدة ، خصوصا وان النجاحات والانتصارات التى

تحتلها دولة من الدول في ميدان الفضاء، تضيف قدرا كبيرا من الهيبة لهذه الدولة وتزيد من مكانتها وسمعتها السياسية. كما ان هذه الانتصارات قد جعلت المواطنين الحقيقيين لبرامج الفضاء، وهم دافعو الضرائب، يشعرون بالسعادة والفخار الوطني، الامر الذى يساعد حكومتهم على توطيد سياستها الداخلية والخارجية، وعلى انفاق المزيد من المال والجهد في ذلك السباق المحموم، سواء في الجانب السلمي او العسكري منه، من اجل مزيد من الهيبة والكرامة والفخار على الصعيد الدولي.

شيء من فلسفة العلم

واخيرا ... ومهما تكن الاثار الاجتماعية لعصر الفضاء متغلبة في جانبها السلبي، او متغلبة في الجانب الايجابي منها، فسيظل السؤال التالي حائرا على شفاه البشر..

● لماذا غزو الفضاء؟

● الم يكن من الاجدى ان تنفق هذه المليارات العديدة وهذه الجهود المضنية في استثمارات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والخدمية على وجه الارض؟

وسواء كان الناس متحمسين مع غزو الفضاء، او متحمسين ضده، بوعي منهم او بدون وعي.. فالرأى عندى ان الانسان مدفوع لغزو الفضاء بغريزته الطبيعية، ويكاد يكون في هذا الشأن مرغما لا خيار له، غريزة البقاء والنمو والانتشار، وهذا هو الخط العام لحركة الانسان وحركة العقل البشري. فالانسان منذ نشأته وهو في صراع دائم مع الطبيعة ومع البيئة والظروف المحيطة به، يحاول ان يكتشفها ليعرف صفاتها وخط سيرها والقوانين التى تسير وفقا لها، ليستطيع بعد ذلك ان يستأنسها ويطوعها.. من أجل ضمان بقائه ونموه والمزيد من انتشاره.

الانسان منذ البداية وهو يسير في نفس الاتجاه وفي نفس الخط.. خط الكشف عن المجهول وارتياده والصراع من اجل البقاء والامان والتقدم، مستخدما في ذلك حواسه وعقله وتجاربه وحصيلة معارفه التى تتراكم مع الايام عنده والالة التى يخترعها. فمن السكين الحجري الى المحراث، والة البخار والكهرباء، ثم صواريخ الفضاء، مستكشفا ومستخدما بها كل مجهول، منتقلا من دائرة الى اخرى أرحب وابعد، متنقلا في الصحارى والفيافي والقفار، والغابات والجبال والبحار، ثم اخيرا.. الفضاء.

وهل الفضاء الا امتداد جغرافى لما سبقه من مجهول؟

وللذين يعترضون قائلين: لماذا نذهب بعيدا للفضاء ونحن لم ننته بعد من أستكشاف واستغلال ارضنا؟ اقول... ومتى كان الانسان ينتهي تماما من استكشاف واستخدام دائرة، لينتقل الى الدائرة الاوسع؟

ان فهم البعيد يساعدنا على فهم القريب..

وقد يكون في القريب امور لا نفهمها جيدا الا اذا ذهبنا بعيدا.

وتساؤل ننهي به حوارنا..

لو ان الحياة انتهت على وجه كوكب الارض لأى سبب من الاسباب.. تلوث مركز للبيئة.. او حرب نووية شاملة مثلا..

وكانت مجموعة من البشر قد وصلت بمركبات الفضاء الى كوكب اخر، وبدات عليه مجتمعا بشريا جديدا.. وسيكون - كما نتوقع - افضل..

قصة نوح اخرى..

الا يساوى ذلك كل ما انفق على عصر الفضاء من اموال؟

لو حدث ذلك - واحتماله قائم.. وفي التاريخ سابقة - فسيكون ما انفقه الانسان من اموال على ابحاث وتجارب الفضاء هو اعظم استثمار في تاريخ البشرية التى عاشت على كوكب الارض ●

لثقافة لعربية



رسالة طوكيو

بقلم : محمد سعيد

● اثناء رحلتى التى استمرت نحو الشهر فى اليابان اثار اهتمامى ومنذ اول ايام وصولى الى العاصمة طوكيو اكبر مدن العالم سكانا « ١٢ مليون نسمة » وجود خبر صغير فى صفحة الأدب فى العدد الاسبوعى من الصحيفة اليومية « ميتشى » ٨ مليون نسخة وفى طبعتها الانجليزية وهى غير الطبعات اليابانية المتعددة كل نهار .

الخبر يقول ان البروفيسور الدكتور نوبا اكى نوتاهارا استاذ الادب العربى بجامعة الدراسات الاجنبية فى طوكيو اوشك على الانتهاء من ترجمة رواية الاديب العربى يحيى حقى « دماء وطين » .

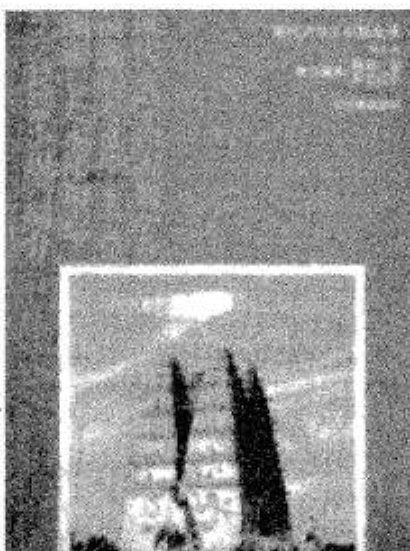
وفى اليوم التالى لقراءة هذا الخبر اذاع التليفزيون اليابانى فى القناه التى تنتمى الى هيئة التليفزيون « ان .. اتش .. كيه » فيلما عربيا ماخوذا من رواية « شىء من الخوف » التى كتبها ثروت اباظة واخرجها للسينما حسين كمال من سيناريو وحوار صبرى عزت ويوسف فرنسيس وعبد الرحمن الابنودى وهو الفيلم الذى مثلت فيه شادية شخصية الفلاحة « فؤاده » التى تقود قرية « الدهاشنه » فى مواجهة جبروت زوجها الاقطاعى « عتريس » الذى مثل شخصيته محمود مرسى .

كان الفيلم ناطقا باللغة اليابانية الامر الذى يعطيك مؤشرا على مدى الالمام والاهتمام الحديث باللغة العربية خاصة فى خلال الفترة الاخيرة التى تقترب من العشرين عاما والتى كان من ثمارها ترجمة عدد كبير من الاعمال الادبية العربية والتى تشهد طرحها فى الاسواق اليابانية ظهور عدد من الكتاب والنقاد والمترجمين المهتمين بحركة نقل الفكر العربى الحديث الى اللغة العربية .

وخلال السنوات العشر الاخيرة تمت ترجمة الاعمال العربية التالية الى اللغة اليابانية :

١ ــ من اعمال الدكتور طه حسين « شجرة البؤس » وقد ترجمها البروفيسور ايكيدا .

٢ ــ عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم



غلاف رواية « الحرام » عند طبعها باللغة اليابانية

وحركة لترجمة من العربية إلى اليابانية ؟

● كيف يقرأ إنسان الشرق البعيد شجرة البؤس والحرام ؟!

وقد ترجمها البروفيسور هيرويشى .

٣ ـ الارض لعبد الرحمن الشرقاوى وقد ترجمها نوبا آكى توتاهارا .

٤ ـ بين القصرين لنجيب محفوظ وقد ترجمها البروفيسور هناوا .

٥ ـ خائر البحر قصة حليم بركات وقد ترجمها البروفيسور تاكى .

٦ ـ قصة الكاتب الفلسطينى الشهيد غسان كنفانى « رجال فى الشمس » وقد ترجمها د. توتاهارا .

٧ ـ قصة الاديب السودانى الطيب صالح « موسم الهجرة الى الشمال » التى صدرت لاول مرة عن روايات الهلال وقد ترجمها البروفيسور كرودا .

٨ ـ قصة الأديب الليبى احمد رفيق « الجراد » وقد ترجمها البروفيسور سوشى كاتو .

٩ ـ قصة الكاتب الجزائرى محمد اديب « سيف الافريقى » وقد ترجمها البروفيسور شنودا .

١٠ ـ قصة الكاتب العربى محمودى الجزائرى « سوق الافيون » وقد ترجمها البروفيسور كى كتشى .

١١ ـ قصة د. يوسف ادريس «الحرام» وقد ترجمها د. نوبا آكى .

وترجم قصة يوسف ادريس الدكتور نوتاهارا نوبا آكى « ٤٢ سنة » هو اكثر المترجمين اليابانيين نشاطا فى مجال



قصاصة لما نشرته احدى الدوريات الثقافية اليابانية « المجلة » عن د . طه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ، ونجيب محفوظ

رسالة طوكيو

الترجمة الى اللغة العربية وهو يجيد اللغة العربية الفصحى ويجيد الحوار بالعامية المصرية والعامية السورية ايضا وفى لقائى معه ومع عدد من تلامذته فى قسم اللغة العربية بجامعة طوكيو عرفت انه درس اللغة العربية فى جامعة طوكيو للدراسات الاجنبية ثم زار مصر عند تحضيره لرسالة الدكتوراه وعاش فترة فى ريف الوجه البحرى فى محافظة البحيرة وعاش فترة أخرى فى ريف الوجه القبلى فى ريف مدينة قوص بمحافظة قنا وبجانب دراساته ومعايشاته للقرية المصرية اتيح له الانتظام كمستمع فى كلية الاداب بجامعة القاهرة فكلية الاداب بجامعة الاسكندرية .

والاعمال التى ترجمها د. نوتاهارا نوبا آكى هى الارض لعبد الرحمن الشرقاوى والحرام ليوسف ادريس ويعمل الان فى ترجمة دماء وطين ليحيى حقى وفى خطته بالتعاون مع الدارسين فى قسم اللغة العربية ترجمة عدد من الاعمال العربية الاخرى أولها الجبل الصغير لقصة الياس فوزى وذلك من خلال الاهتمام اليابانى بالقضية الفلسطينية وهناك مشروع لترجمة بعض اعمال الكاتب السورى حنا مينا .

ولى مشروعات الترجمة من اللغة العربية الى اللغة اليابانية هناك نية لترجمة بعض اعمال الشباب مثل بعض القصص القصيرة لجمال الغيطانى ورواية « يحدث الان فى مصر » ليوسف القعيد ورواية « نجمة اغسطس » لصنع الله ابراهيم .

والنقاش مع من يترجمون الادب العربى الى اللغة اليابانية يوضح مدى اهتمامهم بالقرية المصرية وانعكاس ذلك على نوعية الاعمال التى يهتمون بترجمتها وهو نفس الموقف من الادب العربى عموما فهم يبتعدون عن ترجمة الادب الذى يناقش مشاكل المدينة برغم معرفتهم بعراقة المدن المصرية واصالتها على النحو الذى ظهر فى تقديم احد نقاد الادب للفيلم العربى « اسكندرية .. ليه » اخراج يوسف شاهين عندما عرض فى قاعة جمعية الصداقة العربية اليابانية .

لكن الاهتمام بالفلاح والقرية المصرية مرجعه كما يقول المستشار الثقافى المصرى فى طوكيو الدكتور صلاح هنداوى ان اليابانى يحس بتغيير كبير فى المفاهيم والقيم والسلوكيات عندما يقرأ عن العيب والحرام والحلال وغيرها من الاخلاقيات القروية الموروثة والمستمدة من القيم الدينية والتى تاخذ شكلا متميزا فى الاعمال الادبية المعبرة عن واقع القرية المصرية.. وهذا الانطباع لا يحركه القارىء اليابانى اذا قرأ رواية حديثة يدور مضمونها فى مدينة مثل القاهرة او الاسكندرية لانه يعايش نفس التطورات الحضارية ولكن من خلال ايقاع اسرع .. كما ان بعض اليابانيين من حملة لواء الترجمة من العربية الى اليابانية يقولون ان الاعمال الادبية التى تناقش واقع المدينة يدور معظمها على الهامش ولا يتعمق فى مشاكل الانسان فى المدينة باستثناء قلة من الاعمال اهمها روايات نجيب محفوظ عن القاهرة الاسلامية

المفكر اليابانى د . تاكيدا .





بعض الدارسين فى كلية اللغات الاجنبية بطوكيو يظهرون فرحتهم عند النجاح



وروايات الكاتب الايرلندى لورانس داريل « رباعية الاسكندرية » عن الاسكندرية فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية عندما كان يعيش فى عروس البحر المتوسط ويعايش الحياة فيها .

ان من الممكن ان نقول بازدياد الاهتمام بالادب والدراسات الثقافية العربية من خلال زيادة اعداد الدارسين فى اقسام اللغة العربية بجامعات طوكيو واوزاكا وغيرها وحيث يعمل عدد من اساتذة الادب العربى فى الجامعات اليابانية ومنهم الدكتور فوزى عبد العظيم فى جامعة طوكيو والدكتور عبد المنعم تليمة فى جامعة اوزاكا .

وفى كلية الدراسات الاجنبية بطوكيو يدرس حوالى ٢٠٠ طالب اللغة العربية على مدى سنوات الدراسة الخمس وبمعدل ٣٥ طالب فى الصف الواحد وهو رقم كبير اذا قارناه باللغات الاجنبية الاخرى وباستثناء اللغة الانجليزية حيث تؤثر العلاقات الامريكية اليابانية على اهتمام المجتمع بدراسة اللغة الانجليزية وآدابها ومتونها .

الادب اليابانى والثقافات العالمية

لم يعطلنى اهتمامى بالوجود العربى فى حركة الترجمة الى اللغة اليابانية انسى الادب اليابانى وتاثير الاداب العالمية عليه وتاثيره فى الاداب الاخرى وفى لقاء مع المفكر اليابانى البروفيسور ك. تاكدا فى جامعة واسيدا عرفت منه ان مؤرخى الادب يضعون بعض اعمال الادب اليابانى فى الدرجة الثالثة فى ترتيب اطول الاعمال الادبية فى العالم لان اطول عمل ادبى جنسيته فرنسى والثانى جنسيته يابانية اما الثالث فان جنسيته روسية وهى لعبة تولستوى « الحرب والسلام » .

والمؤرخ الادبى البروفيسور تاكدا يتصور ان الادب اليابانى المعاصر يستمد صلابته من عدة مصادر اهمها التاثير الكلاسيكى لحضارة الصين القديمة ثم من الخصائص العريقة للتقاليد اليابانية ومن بعض الاتجاهات والافكار الغربية مثل الادب الفرنسى والادب الايرلندى خاصة اعمال دى موباسان واميل زولا واوسكار وايلد

رسالة طوكيو

وبرنارد شو الى جانب التأثير الذى لا ينكره احد للاصول اليونانية الاغريقية خاصة فى استخدام الدراما اليابانية للاقنعة مثلما نعرف عن المسرح الاغريقى.

ايضا هناك علاقة بين الادب اليابانى والادب المجرى والادب فى فنلندا بحكم الاصول العائلية الواحدة للغات اليابانية والمجرية والفنلندية .

أما الادب المصرى فلم يتح للمثقف اليابانى ان يتعرف عليه الا فى السنوات القليلة الاخيرة ورغم الانتماء الشرقى للادب العربى وهو نفس الانتماء الذى تبدو عليه الاداب اليابانية برغم ازدياد حركة الميل الى الغرب مع الاخذ باسباب التحديث والتكنولوجيا وكان ذلك من خلال الاهتمام بترجمة الادب الالمانى والانجليزى والفرنسى والايطالى والامريكى خلال القرن العشرين .

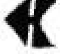
ويؤكد البروفيسور تاكدا على ان الادب تأثر تأثرا عميقا باثنين من اقدم المؤلفات الادبية فى اليابان واولهما يعرف باسم « كوجيكى » اى التاريخ القديم وهو شعر منثور يعتقد انه كتب فى عام ٧١٢ ميلادية والثانى « مانيوشو » وهو ديوان شعر نظم عام ٧٧٠ ميلادية .

واول قصة يابانية طويلة هى «تاكيتورى مونوجاتارى » وكتبت حوالى عام ٨١١ ميلادية ثم قصة « جنجى » عام ١٠١٠

قصاصة من مجلة ادبية يابانيـة نشرت تعليقا عن الفلاح المصرى فى الاعمـال الادبية العربية عندما عرض تليفزيون طوكيو فيلم « شىء من الخوف » . .

本全集の特色
★アラブ現代文学の古典と新しい作品を精選
★アラブ諸国の代表的作家の代表作を収録
★日本のアラブ文学者による原典からの直訳
★本邦初訳を原則とした（「ハイファに戻って」のみ既訳）
★巻末に日本の作家による作品論を付した





وهى مكونة من ٥٤ جزءاً وهى ثانى اطول عمل ادبى فى التاريخ الانسانى ..
وفى عصور المحاربين « الساموراى » ظهر البطل التاريخى فى قصص الحب مثل قصة « هايكى » عام ١٢٣٣ .
على ان البعث الادبى اليابانى بدأ فى الجزء الاخير من القرن السابع عشر حيث اشتهرت قصص سايكاكو ايهارا حتى عام ١٦٩٣ بواقعيتها الحية ومسرحيات تشيكاماتسو حتى عام ١٧٢٤ بتكوينهما الدرامى واستمرت هذه التطورات فى القصة والمسرحية والشعر حتى القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر بينما اليابان مغلقة عن بقية العالم .

قصاصة صحفية يابانية عن الاديب الفلسطيني غسان كنفاني . .



وبفتح النوافذ على العالم اجتاحت اليابان خلال القرن التاسع عشر موجة من الادب الغربى وقد تاثر ادب اليابان بالتيارات المتعددة للفكر الغربى مثل المذهب الليبرالى والمثالية والرومانسية وانتج كتاب الرواية اليابانية امثال اوجايه مورى وسوسيكى ناتسومى اعمالا هامة فى أواخر القرن الماضى ومع ازدياد حركة الترجمة من اللغات الاوربية ظهر عدد كبير من شعراء اليابان الكبار وضعوا معروفة فى الصياغات الشعرية تعرف باسم تانكا وهايكو لا تزال هى مدرسة الشعر فى المجلات الثقافية اليابانية حتى اليوم .
وبعد الحرب العالمية الثانية وبعد ماساة هيروشيما ونجازاكى التى فرضت على اليابان واقعاً سياسياً جديداً ترك اثاره على الوجدان اليابانى ظهرت الترجمات العديدة للاعمال الادبية اليابانية الحديثة خاصة باللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية ومن هذه الاعمال قصة « العودة للوطن » للكاتب جيرو اوساراجى وقصة « معبد المقصورة الذهبية » ليوكيو ميشيما وقصة «البعض يفضل الشوك» للكاتب جونشرو تانيزاكى.
وفى عام ١٩٦٨ منح الكاتب اليابانى ياسونوبى كاوابانا جائزة نوبل للادب وكان اول اديب يابانى يحصل على هذه الجائزة وكاواجات الذى توفى عام ١٩٧٢ عن ٧٣ عاما معروف فى الخارج من خلال اعماله المترجمة وبعضها استعارته السينما العالمية فى افلام شهيرة مثل قصصه « كيوتو » عن عاصمة اليابان القديمة وقصته « بلاد الجليد » وقصته « سبتازورو » وقصته « الالف رافعة ».
تقول الارقام ان عدد الكتب الادبية التى نشرت فى اليابان فى العام الماضى ٥٥٧١ كتابا نسبتها ٢٠٪ من اجمالى الكتب المنشورة فى اليابان وباستثناء كتب الاطفال والكتب المدرسية .. اما عدد

المجلات الادبية المتخصصة فتصل الى ٩٥ مجلة شهرية وربع سنوية .. واكبر الجوائز المعروفة فى الحياة الثقافية فى اليابان جائزة « اكوتاجاوا » وهى خاصة بالانتاج الراقى لادب الشباب والكتاب الجدد اما الجائزة الثانية فهى جائزة « بونجى شونجو » وهى خاصة بالاعمال الادبية الناجحة جماهيريا .. وهناك جائزة ثالثة حديثة باسم الكاتب اليابانى الراحل كاوابانا الحاصل على جائزة نوبل فى الادب وتمنح هذه الجائزة لاشهر عمل اجنبى مترجم الى اللغة اليابانية .

ومن يدرى فقد تحقق اى من اعمالنا الادبية العربية هذا النجاح عند القارىء اليابانى الذى لم يشعر بعد بان هناك حركة ترجمة من اللغة العربية الى اللغة اليابانية بسبب بعض الميول الغربية لدى نقاد الصفحات الادبية فى الصحف والمجلات اليابانية التى توزع يوميا اعدادا ضخمة تصل الى ١٢ مليون نسخة فى صحيفة « اساهى » والى ١٠ مليون نسخة فى صحيفة « ميورى » والى ٨ مليون نسخة فى صحيفة « ميتشى » وهى اكثر الصحف اليابانية تعاطفا مع الفكر العربى من خلال كتابات المفكر اليابانى استاذ العلوم السياسية البروفيسور د. يوزو ايتاجاكى الذى يجيد اللغة العربية قراءة وكتابة لكنه يخجل من الحديث بها حتى لا يقع فى الخطأ .. وهذا السلوك جزء من الشخصية اليابانية التى تحرص على الدقة وعدم التهاون فى اى عمل يسند اليها .

لكن ما يدعو الى التفاؤل ما عرفته من بعض اساتذة الادب العربى من اليابانيين من ازدياد الطلب فى هذه الفترة على بعض الاعمال الادبية المترجمة الى اللغة اليابانية ومنها على سبيل المثال رواية عبد الرحمن الشرقاوى « الارض » ورواية د. يوسف ادريس « الحرام » ورواية غسان كنفانى « رجال تحت الشمس » ورواية نجيب محفوظ « بين القصرين » .

تلك هى البداية فى طوكيو التى ما ان تعرف نقطة البداية حتى يكون الاصرار على قطع الطريق الى نهايته وهذا الاصرار ايضا جزء من تكوين الشخصية اليابانية التى تاثرت كثيرا بالكلاسيكيات الصينية التى تقول فى مأثوراتها ان مشوار الالف ميل يبدأ بخطوة واحدة !! ●

الامبراطورية العظيمة ؟

قالت امبراطورة روسيا ، كاترين العظمى « ١٧٢٩ ــ ١٧٩٦ » وهى تستعرض اسباب نجاحها كامرأة ، فى ادارة دفة الحكم فى بلادها : « لقد تعلمت كيف اضع ثقتى فى هؤلاء الذين كانوا من الشجاعة بحيث لم يترددوا فى ان يقفوا فى وجهى ويعارضوا حكمى » ! ..

اما الامير بسمارك السياسى الروسى الشهير مؤسس الامبراطورية الالمانية فقد كتب يصف هذه المرأة العظيمة ، قال : « ان سر نجاح الامبراطورة كاترين يكمن فى انوثتها وابتسامتها الساحرة ، فهى لم تنس ابدا انها امرأة وهى تجلس فوق عرش القياصرة .. لقد تعلمت كيف تستغل الرجل دون ان تستسلم له .. ولكن سر عظمتها الحقيقى انها عاشت وماتت من اجل بؤساء روسيا .. هؤلاء الذين عانوا من الفقر والظلم والاضطهاد » ! ..

ابتسامات

من الوضيع ؟

كان احد كبار القواد اليونان ابنا لاسكافي .. وحدث ان عيره رجل بحال ابيه ، وكان هذا الرجل سليل بيت كبير فقال للقائد في هدوء :

ــ انك على حق .. ان كرامة عائلتي تبدأ بمولدي .. واما كرامة عائلتك فيبدو ــ ياسيدي ــ انها انتهت بمولدك !

علاج ناجع !

شكا مريض الى احد الاطباء من انه حين يستيقظ من النوم كل صباح يحس « بدوخة » لمدة نصف ساعة ، ثم يصبح على ما يرام .. فقال له الطبيب مازحا :

ــ المسألة في غاية البساطة .. لا تستيقظ الا بعد ان يمضي نصف الساعة !!



يتشممون الاماني !

اشترى ابن ابي عتيق دارا جديدة ، وجلس مع زوجته يتحدثان .. فقال لزوجته : تمنيت ان يهدي الينا شاة نسلخ جلدها فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا .. فسمعتهما جارة لهما فظنت ان ابن ابي عتيق امر بعمل ما سمعت ، فانتظرت الى ان حان وقت الطعام ، ثم جاءت فقرعت الباب . وقالت : شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها . فقال ابن ابي عتيق لامرأته : انت طالق ان اقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الاماني !!

سخرية !

ضاقت مرة « لادي استور » وهي اول سيدة اشتركت في مجلس العموم البريطاني ، بالاعضاء الذين كانوا كثيرا ما يتجمعون عليها ويتكتلون ضدها ، فتقف وحدها تنافسهم بالحجة حينا وبالسخرية حينا ــ ضاقت بهم فقالت في تهكم لاذع : « انني اعرف شئون الاطفال معرفة تامة » فقال بعضهم : « طبعا لان لك اطفالا » فقالت : « لا .. بل لاني اقابل ستمائة طفل كل يوم في البرلمان ! » ●

٦٥ عامًا بعد وعد بلفور

اليهود الروس

من الحل الاشتراكي إلى الحل الصّهيوني

بقلم : عبد الرحمن شاكر

● في زحام الاحداث الدامية التي شهدتها منطقتنا العربية خلال الصيف المنصرم ، بدءا من الغزو الاسرائيلي للبنان ، وانتهاء بالمذبحة الاجرامية التي وقعت بالفلسطينيين في غرب بيروت . ضاع تقرير شديد الخطر نشرته « الاوبزرفر » البريطانية ، ونقلته عنها « الاهـــرام » القاهرية في ٨ سبتمبر الماضي ، مؤداه ان حركة فاشية جديدة قد ولدت في الاتحـــاد السوفييتي ! وفي روســـيا بالذات كبرى جمهورياته ، يجتمع الثلاث من افراد هــــذه الجماعة في الحانات على طريقة انصار هتلر ويرتدون قمصانا بيضاء واربطة عنق سوداء ويعلقون شارات معدنية للصليب المعقوف ويرسمونها احيانا على جدران المبـــاني والانفاق ، ويطالبون « بالنقـــاء » الجنس الابيض في روسيا ، وهو في رأيهم يضم الروس الاوربيين والاوكرانيين وابنـــاء بيلوروسيا ودويلات البلطيق دون بقيـــة شعوب الاتحاد السوفييتي ، ويطالبـــون بتحويل الجمهوريات الاسيوية السوفييتية الى مجرد مستعمرات ، وليست شركاء في الاتحاد على قدم المساواة مع البيض ، اما بالنسبة لليهود السوفييت فيطالبون بابعادهم الى ... اسرائيل !!

واذا كانت مجموعة من العـــــوامل الاقتصادية والاجتماعية ، تسمح ، وقد تكون عللا لنشوء هذا اللون من التفكير ، مثـــل نقص المواد الغذائية ، حيث ينادي الفاشيست الروس الصغار بشعار « اعطونا لحما » ، وحيث يسود التخوف من فقدان التـــوازن « الديموغرافي » بين الجنس الابيض في الاتحاد السوفييتي ، والشعوب الاسيوية فيه ، حيث تميل نسبة المواليد الى النقصان بين البيض ، حتى اصبح معدلها طفلا واحدا لكل اسرة صغيرة ، في مقابل ثمانية اطفال



هتلر



لينين



تشرشل



بلفور

للاسرة الاسيوية المائلة ، وخاصـــة في الجمهوريات الاسلامية ، حيث البيئة اكثر دفئا واوفر غـــذاء ، واقل اندفاعا وراء العادات الغربية في التدخين واحتســـاء الخمور وقضاء الامسيات في الحـــانات والمراقص .. اقول اذا كانت امثـــال تلك الظواهر قد تكو نظروفا مواتية لنشـــوء مثل هذا اللون من التفكير ، فان المطلب الاخير لتلك الجماعة ، وهو طرد اليهـــود السوفييت الى اسرائيل ، قد يكون هـــو بيت القصيد في النهاية ، والمطلب الرئيسي الذي يمكن تحقيقه عمليا ، مع جنوح الدولة الصهيونية في منطقتنا الى التوسع في بناء المستعمرات وتوطين مزيد من النازحين اليهود اليها ، من « الخزر » من جنوب روســـيا اساسا » . انظر عدد اكتوبر الماضي من مجلة الهلال » ، وقد تكون وراء نشـــوء تلك الجماعة اصلا اصابع الصهيونية العالمية « الطويلة » على غرار ذراع اسرائيـــل العسكرية الطويلة !

وليس من الغريب ان تتحالف الصهيونية مع الفاشية من اجل تنفيذ ماربهـــا . فالصهيونية لا مبدأ لها الا اغراضها ، ومن اجله تتلون كما تشاء . وقد قيل وكتب الكثير عن تحالفها مع هتلر ومخابراته في بعض عمليات ابادة اليهود في شرق اوربا لتقنع العالم بضرورة انشاء دولة لليهود يحتمون فيها من امثال تلك العمليات ، ولتقنع اليهود انفسهم ممن قرروا الاندماج في مجتمعاتهم في عصر التنوير والمساواة انه لا امان لهم الا في دولة خاصة بهم ، ولقد كان هتلر نفسه صهيونيا بهذا المعنى ، حيث كان ينادي بضرورة انشاء دولة يهودية ، تكون بمثابة « مزبلة » يلقي فيهـــا هذا الجنس البغيض الى قلبه ، والمنحط من وجهة نظره النازية !

٦٥ عامـــا
بعد وعـــد بلفـــور

ولكن الغريب حقا هو ان تنشأ حركة فاشية فى الاتحاد السوفييتى الذى قتلت النازية اكثر من عشرين مليونا من ابنائه والاشد غرابة هو ان يكون من مطالب تلك الحركة ابعاد اليهود السوفييت الى اسرائيل! بينما كان الاتحاد السوفييتى قد خصص جمهورية ذات حكم ذاتى لليهود من ابنائه كانت تدعى «بيروبيدجان» ، فاين ذهبت تلك الجمهورية وما هو مصيرها ؟

يروى لنا قصة انشاء هذه الجمهورية ، ويتحدث عنها بحماسة شديدة ، كاتب يهودى يدعى آى . ريناب ، فى كتاب له بعنوان «معاداة السامية والمسالة اليهودية» .

«ولنا تحفظ على هذا العنوان حيث ان معظم اليهود وخاصة فى روسيا وشرق اوروبا ليسوا ساميين ، وانظر مرة اخرى عدد اكتوبر من الهلال» .

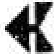
يقول الكاتب ان مرسوما صدر عن مجلس الرئاسة السوفييتى فى ٢٨ مارس عام ١٩٢٨ قبل انشاء دولة اسرائيل بحوالى عشرين عاما باعطاء المستوطنات اليهودية كل اراضى منطقة بيروبيدجان ، وطبقا لنص المرسوم : «اذا ما استمرت عملية تعمير المنطقة بنجاح فان تطويرها الى ادارة يهودية وطنية ينبغى ان يكون هو الهدف» ، وهذا يعنى كما يقول الكاتب - «اقامة جمهورية يهودية سوفييتية حينما يتم تطوير المنطقة وتوفر عدد كاف من السكان بها» .

ويصف الكاتب منطقة بيروبيدجان ، بانها ارض واسعة ، تزيد قليلا على نصف مساحة بريطانيا ، وتقع فى اقصى شرق سيبيريا ، تغطى ارضها الغابات والمراعى ، وتتوفر بها المياه وبها مناجم ومحاجر تنتج الجير ، وحجر البناء ، والجرانيت والرخام الملون ، والبازلت والكوارتز والجرافيت والمنجنيز وحديدا من صنف ممتاز قدر انتاجه باكثر من ثلاثة ملايين طن ، كما اكتشفت بها مناجم غنية بالفحم ، وارض المنطقة صالحة جدا للزراعة وتعطى محصولا وفيرا من القمح والشوفان ، والارز وفول الصويا والحبوب الاخرى ، وكانت المساحة المزروعة بالفعل عند تاليف الكتاب المذكور عام ١٩٤٠ ، حوالى ٢٠٠ الف اكر . ويقول الكاتب «انه يتضح من تلك الحقائق ان افقا عريضا من التطور الزراعى والصناعى ينتظر تلك المنطقة ، وبالتالى الاستيطان الواسع بها» .

ولكن بالرغم من تلك الاغراءات كلها لم يزد عدد المستوطنين اليهود بها حتى عام ١٩٤٠ عن ٣٠ الف نسمة ! ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى دائرة معارفه عن الصهيونية ، ان اليهود الروس طالبوا باقامة جمهوريتهم فى اوكرانيا او احدى جمهوريات آسيا الوسطى ، ولكن السلطات السوفييتية رفضت ذلك ، فاعرضوا بدورهم عن مشروعها فى بيروبيدجان .

وكان من المستحيل بطبيعة الحال ان تفرغ السلطات السوفييتية اوكرانيا من سكانها المسيحيين ، او القرم او اذربيجان من سكانها المسلمين من اجل الجمهورية اليهودية ، وكان يكفى ان الدولة السوفييتية بعد عشرة اعوام من الثورة الروسية قد اعترفت بحاجة يهودها الى «وطن قومى» ، بعد ان كان لينين يرفض هذا المبدا رفضا باتا ، ليس من وقت الثورة فحسب ، بل منذ انشاء الحزب الاشتراكى الديموقراطى الروسى فى بداية القرن ، حيث اعترض على قيام جماعة البند ، اى العمال الاشتراكيين اليهود الروس ، كمنظمة مستقلة داخل الحزب ، واصر على اندماجهم فى صفوف الاخرين تعبيرا عن اندماج اليهود فى المجتمع الروسى ، فما بالك فى طليعة المجتمع الاشتراكى الذى يزمع انشاءه ؟

وكان من نتائج هذا الموقف الصارم من جانب لينين ، ان تحول فريق كبير من البند



الى الصهيونية ، واختاروا الحل الصهيونى لمشكلة اليهود الروس على الحل الاشتراكى، الذى يضمن مساواتهم بالاجناس الاخرى فى روسيا وفى الاتحاد السوفييتى ككل . ومن بين الاشتراكيين اليهود الروس «البند» الذين اختاروا الصهيونية أم موشى ديان ، وزير الدفاع والخارجية الاسرائيلى الاسبق، هاجرت الى فلسطين بعد هزيمة الثورة الروسية الاولى عام ١٩٠٥ ، وهناك تزوجت وضعته . لذلك يقول موشى ديان فى مذكراته ، ان اليهودية بالنسبة له تعنى الدولة ! وطبيعى ان يصدر هذا الكلام عن رجل لا يؤمن بدين ، وامه ايضا لم تكن مؤمنة بدين ، وهى ، مثل كل الخزر من يهود روسيا ، ليسوا من بنى اسرائيل ، وانما هم قوم متهودون فحسب ، فما الذى بقى يربطهم باليهود واليهودية والصهيونية الا فكرة ان تكون لهم دولة .. اى دولة ، وذلك كان تفكير هرتزل ايضا ، قبل ان يستقر على اختيار فلسطين لاستخدام « الاسطورة » ، على حد تعبير هرتزل ذاته ، فى تجميع الرأى العام اليهودى حول فكرة الدولة اليهودية ، ويعنى بالاسطورة قصة خروج بنى اسرائيل من مصر واستيطانهم فلسطين التى تدور



موشى ديان

حولها اساطير اليهود .

ومن الغريب ان تكون نشأة احدث دولة تقوم على الدين فى العالم ، وهى دولة اسرائيل ، على ايدى رجال ونساء معظمهم « علمانيون » حتى النخاع من حيث عدم ايمانهم باية عقيدة دينية ! فلقد خرجت الحركة الصهيونية فى روسيا من أيدى الجيل القديم من قراء التوراة ، ممن شكلوا جمعيات « احبة صهيون » خلال العسف القيصرى بدءا من عام ١٨٨١ ،وبدأوا حركة الهجرة الاولى الى فلسطين ، وانتقلت الى ايدى جيل جديد ، من اولئك « البند » اى العمال الاشتراكيين الديموقراطيين الروس ، الذين كانوا يوصفون فى تاريخ الحركة الثورية فى روسيا ، بانهم انشط عناصرها من اجل الاطاحة بالقيصرية واقامة النظام الاشتراكى ، ليصبح فريق منهم هم انشط عناصر الحركة الصهيونية المتعارضة على خط مستقيم مع الفكر الاشتراكى وتصوره عن المساواة بين الاجناس ووحدة صفوف الطبقة العاملة العالمية ..الخ وفريق من هؤلاء قد اجاد فى الواقع لعبة خلط الاوراق بين الاشتراكية ذات النزعة الدولية ، والصهيونية ذات الطبيعة المغرقة فى العنصرية ، ولم يتورع ، عند بدء تنفيذ المشروع الصهيونى فى فلسطين من وضع يده فى يد اعتى قوى الراسمالية فى العالم التى يتحكم فيها اليهود ايضا ، على نحو تمويل المليونير اليهودى الفرنسى المشهور روتشيلد لحركة انشاء المزارع الجماعية « على الطريقة الاشتراكية » فى فلسطين !

وكان الهستدروت ، اى اتحاد العمال اليهود فى فلسطين هو الوريث الطبيعى للبند فى روسيا ، وينعى عليهم مؤلف الكتاب المشار اليه فى اول هذا المقال خياناتهم للاشتراكية ليس فى توجيه يهود روسيا الى فلسطين فحسب ، بدلا من البقاء

٦٥ عامًا
بعد وعد بلفور

فى الاتحاد السوفييتى والمساهمة فى بناء المجتمع الاشتراكى هناك ، بل ايضا فى حرصهم على تفرقة صفوف الطبقة العاملة فى المجتمع الذى نزحوا اليه ، وهو فلسطين ، حيث كان اتحادهم مقصورا على العمال اليهود فقط ، ولا يقبل فى صفوفه من لا ينتمى الى الطائفة اليهودية ، من العمال العرب سكان فلسطين واصحابها الحقيقيين . وكان ذلك الحديث بالطبع قبل اعلان الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، ونشوب الحروب المتوالية ، على نحو يجعل مثل هذا التصور مرفوضا من جانب العمال العرب انفسهم .

ولم يكن من قبيل المصادفة ، ان يتزامن وعد بلفور ، فى نوفمبر عام ١٩١٧ ، مع قيام الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا ، فى اكتوبر من العام ذاته ، ويروى انها كانت فى نوفمبر ايضا ، ثم عدل التقويم الروسى بعد ذلك . فبالاضافة الى الاغراض الاستعمارية القديمة ، التى دعت الامبراطورية البريطانية الى احتضان الصهيونية ، بحيث قررت اقطاعها فلسطين المحتلة بالجيوش البريطانية ، لتكون موطنا قائما ذاتها لهيمنة فى المنطقة ، ولتحول دون اتحادها عربيا ، بعد انحسار اتحادها اسلاميا ، بسقوط الدولة العثمانية ، نقول بالاضافة الى ذلك الهدف فيما يتعلق بالمنطقة العربية كان هنالك هدف آخر يتعلق ، بالمادة البشرية ، للحركة الصهيونية ، وهم اليهود الخزر فى روسيا وشرق اوربا . وقد عبر عن ذلك تشرشل فى دفاعه عن الصهيونية ، ووعد بلفور ، بقوله : ان الصهيونية تقدم طريقا ثالثا لليهود ، بدلا من الاستبداد القيصرى ، او الشيوعية . فالثورة البلشفية كانت على الابواب ، وقامت ثورات شيوعية مماثلة لها فى شرق اوربا ، واحدة منها ادت الى قيام حكومة شيوعية فى المجر بقيادة ، بيلا كان ، اليهودى ، نجحت الدول الراسمالية فى اسقاطها بعد ذلك . وهكذا كان وعد بلفور دعوة لليهود الخزر ان ينفضوا ايديهم من الحل الاشتراكى والشيوعى لكى يتوجهوا الى حلم ، قومى ، قائم على الدعوة الصهيونية وقد تحول كثير منهم بالفعل الى الصهيونية وتخلوا عن الشيوعية ، خصوصا فى حال يأسهم من نجاح ثورتها ، او فى حالة يأسهم من ان تكون لهم الكلمة العليا فيها !

وقد بنى هتلر حركته النازية ، على اساس الاوراق المختلطة لليهود الخزر بين الصهيونية والشيوعية ، فكان معادا تمزدوجة للشيوعية وللجنس اليهودى على السواء ، وقد ساعدت حملته على اليهود وعمليات الابادة التى نظمها لهم سواء فى المانيا او البلاد التى غزاها فى شرق اوربا وخاصة فى بولندا ، على تغذية النزعة الصهيونية لديهم واكثر من ذلك ، الى انتشار التعاطف معها حتى بين الشيوعيين انفسهم سواء كانوا يهودا او غير يهود فى شرق اوربا ، رغم التعارض التام بين النظريتين الشيوعية والصهيونية والتنافس بينهما على المستوى العمل فى الاستحواذ على تفكير الخزر من يهود روسيا وشرق اوربا ، حتى سقط الاتحاد السوفييتى ذاته فى المصيدة بتاييده قرار تقسيم فلسطين وانشاء الدولة اليهودية بعد الحرب العالمية الثانية . وذلك بعد ان تم للصهاينة اسقاط مشروعه فى ايجاد بديل نصف قومى نصف اشتراكى ليهوده من الخزر ، ولسواهم لمن اراد من يهود العالم وشرق اوربا ، وهو جمهورية بيروبدجان التى عرضنا لامرها فيما سلف .

ولكن الاتحاد السوفييتى ، كان عليه ان يدفع ثمنا فادحا لذلك التحول فى موقفه من قيام الدولة اليهودية فى فلسطين ، مدفوعا بضغوط من داخله ومن حلفائه فى شرق

أوربا ، ومن عوامل التهلزية ساعد عليها خلط الاوراق المشار اليه ، حيثما توهم ساسته ان اليهود النازحين الى فلسطين ، من ابنائه او ابناء شرق اوربا ، سوف يكونون بمثابة طلائع للفكر الاشتراكي او التقدمي ، في المنطقة العربية ، التي يسودها الفكر الاقطاعي المتخلف ! فكانت النتيجة ان صار هؤلاء طلائع حقا ، ولكن للعودة الى ملابح القرون الوسطى او ما قبلها تحت رايات المنازعات الدينية والعصبية بها — رغم كونهم علمانيين في الاصل كما قدمنا . وكل ما تشهده منطقتنا حاليا من تمزق طائفي ومن تشنجات دينية ، سواء بظهور الجماعات الدينية المتطرفة ، او حتى نظم مثل نظام الخومينى في ايران ، يمكن اعتباره جزءا من رد فعل الوجود الصهيوني في فلسطين وممارساته الطائفية العنصرية الرهيبة !

واذا كان هذا التطور لا يصدم الاتحاد السوفييتى الا في مبادئه الاشتراكية والدولية .. الخ فلان عقابه الاكبر كان في تحول الدولة الصهيونية ، بعد ان نقلت ولاءها من الامبراطورية الغاربة بريطانيا العظمى ، الى الامبراطورية الصاعدة الولايات المتحدة الامريكية — الى كبرى القواعد العسكرية لهذه الاخيرة في العالم ، حاملة طائراتها التى لا تغرق ، وحليفها الاستراتيجي الاكبر وفي واقع الامر يمكن اعتبار الدولة الصهيونية ، وقد اصبحت هي القوة العسكرية المتفوقة في منطقة « الشرق الاوسط » حسب تعبيرهم البغيض ، هي جيش الاحتلال الامريكي الدائم للمنطقة بأسرها ، رغم ما يبدو في ظاهر الامر احيانا من ملامح « استقلال » لكل من الدولتين عن الاخرى . وقد اصبح للدولة الصهيونية بتحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية ، اصابعها الطويلة كما قدمنا داخل الاتحاد السوفييتى ذاته ، وتكفى الضجة الكبرى ، التى يثيرونها بين الحين والاخر ، حول حقوق الانسان في الاتحاد السوفييتى وهي لا تعنى عند الحليفين غير حق هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، وحق الدعاية الصهيونية بين صفوفهم ، وها هي تلك الاصابع تعمل على انشاء حركة نازية او فاشية بين صفوف الروس او البيض من غير اليهود في الاتحاد السوفييتى ، حركة تقوم على تمجيد العدو الاكبر للاتحاد السوفييتى ، الذى سعى الى تدميره خلال الحرب العالمية الثانية ، وهو هتلر ، كما قدمنا في أول المقال !

على ان المسئولية اولا واخيرا في التصدى للغزوة الصهيونية وآثارها البشعة ، سوف تبقى مسئوليتنا نحن العرب المكوبين بها منذ قامت ، ومنذ تآمر العالم بطرفيه او اطرافه على اقتطاعها جزءا من بلادنا تمهيدا للسيطرة عليها جميعا ، بمختلف وسائل الفتك والقتل والتدمير ، الى جانب وسائل الاحتيال والخديعة ، بما في ذلك — بل وفي مقدمة ذلك — الحرص على بقاء الامة العربية مبعثرة القوى ، مشلولة الارادة ، عاجزة ان يكونوا لها في اى موقف مهما تكن خطورته .. موقف واحد . وقد آن ان نتعلم شيئا من العدو الماكر الذى نواجهه ، وبدلا من ان نجعل من هذه الرابطة او تلك ، مع قوة من قوى العالم ، او معسكر من معسكراته ، اداة لتمزيق صفوفنا ، بما يوهننا جميعا ، علينا ان نتعلم كيف نوظف جميع روابطنا الدولية ، وعلاقاتنا مع مختلف القوى فيه من اجل قضيتنا ، وذلك بالطبع لن يتأتى لنا الا اذا توصلنا الى صيغة تجمعنا ، تكون بمثابة المركز العصبي ، للجسد العربي المترامى الاطراف ، الذى تهدد القوى المعادية له بالتراسه من كل جانب ●

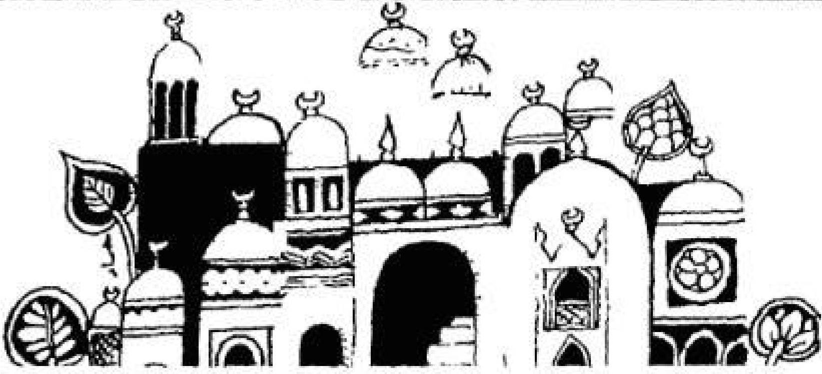
شوقي
قيثارة الخلود

شعر: ادوار حنا سعد

تمضي السنون وأنت حيٌ بعطائك الباقي الثري
سار بقيثار الخلود، على الأصائل والعشي
قيثارة، أنطقتها بالمعجز، السهل، القوي
شعرا يرفُ طلاوة عذبَ المقاطع و الرويّ
يسري كأنفاس الربيع بنفحة السحَر النديّ
أو ذوبِ ترتيل البلابل، في الرحيق البابلي
أهدى أبوللو للأمير قلادة الأدب السريّ
تحدّد العرائس ركبه ويخفّ شيطان حفي
يستقطرون لك السلاف، من السحاب اللؤلؤي
تلك البحور قطعتها سبْحاً إلى الأفق القصي
تطفو بكل يتيمة وتغوص للدر الخفي
ترفّ الجمال معطرا بعذوبة النغم الشجيّ
ألفاظك الدرر الفرائد في سطور من حلي
ومعينك المعنى المجنح، والخيال العبقري
ويراعة إن صوّرت لم يخف فوق الطرس شي
وثقافة شتى المنابع عمرها الزمن الملي



تشتارها ، وتمججها كالنحل ، والعسل الشهى
بينَ القديم من الروائع .. والجديد المسرحى
يا شاعر العرب الكبير وساحر الكلم الرضى
إنى رضعتُ بحجر شعرك ، كل محسود لدى
وملئت زهواً بالذى أدنيتَ من صور إلى
أمجاد مصر وفنها وشموخ ماضيها العلى
والكون ، خلفَ حدودها فى الكهف مصفود عمى
أمجاد مصر ، رفعتها شعلا إلى الجيل الفتى
شوقى حنانك .. هذه ناظمة الجفاف ، وأنت رى
مامات من خاضَ المنية تاركا هذا الدوى



مصر عربية بإرادة أهلها

بقلم : فتحي رضوان

متى تصبح مصر عربية ؟ قد يقع هذا السؤال من نفس القارئ، في مصر ، او في أي قطر عربي موقع الدهشة بل موقع الصدمة ، فاننا قد تواصينا في الحقب الاخيرة على ان مصر ليست عربية فحسب ، بل هي في موضع الزعامة من الامة العربية، لا بحكم مكانها الجغرافي ، او كثرة عدد سكانها ، بل لاسهامها الطويل والعريض معا ، في بناء الثقافة العربية ، واقامة صرح الامة العربية ، التي تترامى ، آفاقها من الخليج الى المحيط ، بالمعاهد الكبرى التي اسستها ، وحافظت عليها ، وفتحت ابوابها ، لابناء العروبة أيا كان موضعهم ، ولابناء المسلمين ، مهما نأت اوطانهم ، او بعدت عن العربية لغتهم او تقاليدهم ، او أحداث تاريخهم . وبالمواقف السياسية ، والمواقع الجريئة ، التي حملت مصر اعباءها على توالي السنين والقرون ، دفاعا عن حياض العروبة ، او تدعيما لوجودها ، او نشرا لرسالتها ، فكيف تكون سمة مصر بعد ذلك



الملك حسين بن علي



الاحداث منذ الفتح العربي او الاسلامي لمصر بعبارة ادق ، في سنة ٢١ هجرية ، حتى اليوم ·

والذين عاشوا في مصر ، بعد الحرب العالمية الاولى ، التي جرت وقائعها في الفترة ما بين سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨، يذكرون كيف عاني المصريون مما يشبه الحيرة في شان حقيقة هويتهم ، والاصل الذي ينحدرون منه ، والجنس الذي ينتمون اليه ·

ولم تكن هذه الحيرة الا ثمرة الاحداث السياسية الكبرى التي مرت بمصر ، خلال قرن من الزمان ، سابق على فترة ما بعد الحرب · ففي هذا القرن وقع حدثان خطيران الى اقصى حد · وهو انسلاخ مصر الى حد الاستقلال التام من الامبراطورية العثمانية التي كانت تتهاوى ، او تلفظ انفاسها الاخيرة ابتداء من نهاية القرن الثامن عشر ، وطوال القرن التاسع عشر ، بعد ان كانت هذه الامبراطورية ملكا باذخا استمر يتسع ، ويقوى ، وتترامى املاكه ، ويدخل في نطاقه البحار والجزر ، والدول ، ويخضع لسلطانه الملوك والامراء والشيوخ ، اخذ الضعف يدب في اوصاله ، والشيخوخة تزحف على قلبه وراسه واطرافه · وكان من آثار هذا الضعف ان نشات في مصر دولة على بك الكبير التي حولت البحر الاحمر الى بحيرة مصرية ، والتي بسطت سلطانها على مصر والشام واليمن والحجاز ، والتي وقفت ندا لدولة بني عثمان في الجانب الشرقي الجنوبي من البحر الاحمر ·

وكان ميلاد مصر المستقلة في عهد دولة « على بك الكبير » ، تمهيدا لميلاد مصر المستقلة الكبيرة في عهد محمد على · ولما ضاقت تركيا باستقلال مصر ، الذي ادى الى نشوء دولة عسكرية برية وبحرية على شاطىء وادى النيل ، استطاعت ان تتاجز الاتراك ، وان تهزم دولتهم ، حتى كادت جيوش مصر ، تتدفق على الاستانة عاصمة الدولة



محمد على باشا

كله ، محلا للتساؤل ، وكيف يرد التساؤل بالصيغة التي توحي بان عروبة مصر ، ليست واقعا قائما ، معترفا به انما هى رجاء قد ياتي به المستقبل او لا ياتي ·

وعلى الرغم من ان الاعتراض وجيه ، وقائم على اسس لا يمكن ان يجحدها عالم بتاريخ الامة العربية ، وبتاريخ الدور المصرى ، في بناء هذه الامة ، وتاكيد سماتها ، وابراز طابعها ، والاستقلال بثقافتها ، والانتساب الى لغتها ، والتاثر بعقليتها ، على الرغم من ذلك ، فان التساؤل عن « متى تكون مصر عربية ؟ » هو تساؤل له ما يبرره · وشرحه بصراحة وشجاعة واجب يقتضى ان نبدا به نحن المصريين من جهة ، ونحن العرب من جهة اخرى ·

والتاريخ الحديث لمصر ، يؤكد ان هذا التساؤل ، يعبر عما جرى ولا يزال يجرى في اعماق النفس المصرية ، فقد اصطلحت

مصر عربية

العلية ، لولا ان الغرب خشي من نشوء دولة اسلامية على الشاطيء الجنوبي الشرقي للبحر الابيض تقابل دولة اسلامية عظمى على الشاطيء الشمال الشرقي لنفس البحر .

وقد تشأ شيء قريب من هذا الاتجاه ، حينما حاول محمد علي ان يستقل عن حكم الاستانة عاصمة العثمانيين ، وقد قال شفيق غربال في تاريخ محمد علي ، عندما بسط محمد علي سلطان مصر على الولايات الشامية فقال :

« الولايات الشامية الاربع ، حلب وطرابلس ودمشق وصيدا وبعض المناطق الساحلية في الجزيرة العربية على البحر الاحمر والخليج الفارسي ، والعراق ، والمناطق فيما بين الشام والاناضول ، هذا مما يترك للظروف ـ والاقطار ـ كما ترى ـ هي في الجملة مما يكون «على حد تعبير محمد علي» عربستان او ما نسميه دار العروبة . فهل تصور لها كيانا سياسيا «او ما نسميه وحدة عربية» ؟ سؤال كبير ، ان اجبنا عنه سلبا عدونا الصواب ونسبنا اليه قلة ادراك لعناصر وروابط بارزة : لغة واحدة وثقافة واحدة ودين واحد ومصالح مشتركة ، وبالنسبة لحياة العالم الاقتصادية كتلة واحدة . وان اجبنا عنه ايجابا عدونا الصواب ايضا بعض الشيء ، ونسبنا لعصر سابق ما هو ـ على وجه التحقيق ـ من خلق العصور اللواحق واخفينا اخفاء لا يبرره الواقع عناصر وعوامل تدفع نحو التفرقة : اختلافات جغرافية واجتماعية ، اختلافات في طرق التفكير وفي مستوى المعيشة . اختلافات مذهبية طائفية ، صعوبات المواصلات ، ضعف وسائل الاتصال العقلي والحسي . وهكذا .. ولا نعدو الصواب ان قلنا ان محمد علي ادرك الفكرة في عمومها ، وانها مما يمكن التشبيه عليه في حالة الانفصال عن السلطنة وهذا ما لم يقرره بعد ، بل ترك تقريره تبعا للظروف الحالة ، ان حتمت تلك الظروف تقسيم العالم العثماني امكنه نقض ما تم في القرن السادس عشر وبناء العالم العربي من جديد ، ولكنه لم يكن قد يئس بعد من مستقبل السلطنة » .

وهذا الكلام الذي نقلناه عن شفيق غربال ، وهو لب البحث الذي نحاول ان نتمه الان باذنه تعالى .

ونبدأ بهذه الامور التي اوردها شفيق غربال ، في مفتتح حديثه ـ والتي جرى العرف على اعتبارها من المسلمات التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . قال المؤرخ المصري ان محمد علي لم يكن ينفصل عن ادراك عناصر وروابط بارزة في المنطقة التي سماها محمد علي « عربستان » ، والتي تعني على بناء « دار العروبة » او على اقامة « الوحدة العربية » . وهذه العناصر هي لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، ودين واحد ومصالح مشتركة . فهل هذه المقولة صحيحة ، أم هي خطأ شائع ؟

هل صحيح ان الامم تتكون من هذه العناصر لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، ودين

الخلاف بين المشرق العربي ومصر حول الخلافة العثمانية



واحد ، ومصالح مشتركة ؟

وانا ازعم ان هذه العناصر التى يخيل الينا انها تكون الامم ، هى عناصر ظاهرية، توهمنا انها تكون الامم، هىعناصر ظاهرية، الامم ، فى حين ان الامم التى يعـرفها التاريخ ، حينما تكونت فى الماضى البعيد ، او الماضى الحديث ، لم تتكون بفضل هذه العناصر ، وان اكثر الدول ولـدت ، فى الوقت الذى تعوزها فيه هذه العناصر كلها ، او على الاقل واحد او اثنان منها : كاللغة مثلا ، ووحدتها ، او الدين او الثقافة المشتركة .

ونحن نعرف فى العصر الحـديث ، امما تتكلم لغة واحدة ، ويضمها جوار واحد ، وربما مصالح مشـتركة ومع ذلك ، لم تشملها وحدة ، ولم يضمها سلطان دولة. فبلجيكا ، فيها على الاقل نصفها يتـكلم الفرنسية ، والى جوارها اللاصق ، فرنسا، ومع ذلك لم تندمج بلجيكا او القسم الذى يتكلم الفرنسية مع فرنسا . وسـويسرا تتـكون من ثلاث مناطق ، تتـكلم ثلاث لغات هى الفرنسية والالمانيـة والايطالية، ، لا تشكو مع ذلك تفككا ومع ذلك تقطع هذا الكيان ، فهو يتماسـك ، ويتاصل وينمى .

ولم تكن بريطـانيا العظمى قط ، وحدة لغوية ، ولا وحدة جنسية ، ولا ساداها شعور بقيام المصلحة المشتركة . وقد قامت حروب شديدة بين اجزاء منها : اسكتلندا من جانب ، وانجلترا من جانب . ولقـد خضعت اجزاؤها لتاثيرات خارجية قوية غاية القوة متباينة فخضعت اجزاء للقبـائل الاسكندنافية الشمالية وحكم الدانمارك ، فخضعت اجزاء للنورمانديين ، واجـزاء للرومان ، ولا تزال اسـماء مدنها التى ينتهى بعضها بالمقطع « هام » البرمنجهـام و « نوت نجهام » ، والتى ينتهى اسمها بالمقطع « شير » تيورشير » و «هامبشاير»

وقد تكون شعب « الولايات المتحـدة » الامريكية من اقوام ينحدرون من اجنـاس مختلفة ، ويتكلمون لغات متباينة ، وقـد مرت بهم تجارب متعددة ، بحيث لا يـكاد يجمعهم سوى عيشهم على ارض واحـدة ، وهى بدورها ارض مترامية الاطـراف ، مختلفة الاجواء ، والطبيعة ولكن نتاج هذا الخليط المتنافر من البشر انتهى الى وحدة سياسية ، خلقت أمة متجانسة ، تعيش فى وئام ، وتزداد على الايام ، اندماجا واتساقا، بل انها أصبحت قادرة على هضم كل مـن ينضم اليها من مئات الالوف من المهاجرين الجدد ، وتحويلهم الى امريكان ، يحملون سمات متقاربة ، ويعيشون فى ظل تقاليـد موحدة ، وقد انشاوا لانفسهم تراثا محببا اليهم جميعا يدافعون عنه ويتحمسون له .

وما يمكن ان نستخلصه من كل ما تقدم ، ان العنصر الذى تتـكون منه الامم والذى يؤدى الى توثيق عرى الوحدة بين ابنـاء الامة ، هو « ارادة العيش المشترك » ، ولو اختلفت اللغات ، وتكاثرت اللهجـات ، واختلفت الوان البشرة ، والسـوابق التاريخية ، فالهند مثلا هى قارة بكل معنى هذا اللفظ ، فقد انتمى اهلوها الى مئـات اللغات واللهجـات ، وآلاف الاديان والمذاهب والطوائف ، واختلف جوها مـن حر خط الاستواء الى مناطق لا يغيب عن قمم جبالها الثلج ، ومن صحارى ، لاتنبت زرعا ، الى اودية هى الغاية من الخصوبة والثراء ، ولكنها تكونت مع ذلك وحـدة سياسية ، خضعت لحكومة مركزية واحدة ، واستظلت بعلم واحد ، وازدادت على الايام توحدا واندماجا .

فهل اراد المصريون ان تكـون امتهم « عربية » .. واذا كان المصريون ارادوا ان يكونوا عربا ، ففى اى العهـود ، ساورتهم هذه الرغبة وهل استطاعوا ان ينالوها ؟

وارجو الا يثير هذا السؤال سخرية او

مصر عربية

اعتراض القارىء باعتبار ان جنسيات الامم ليست مجرد رغبة هذه الامم ، كانها مجرد قرار سياسى ، شبيه مثلا باعلان الحرب او اقرار الصلح ، او الانضمام الى دولة اخرى فى اندماج او اتحاد فدرالى او كونفدرالى .

والواقع ان سمة الامة ، هى قرار سياسى شبيه بهذه القرارات ، ويكاد يكون من طبيعتها ، وقد ياتى هذا القرار ، من قوى اجنبية كما قرر هتلر ضم النمسا الى المانيا وادماجها فيها . وكان ممكنا ان يتم هذا الادماج ويبقى الى الابد ، لو ارتضى النمساويون أن يذوبوا فى جيرانهم الذين يتكلمون نفس اللغة والذين يشبهونهم فيما يشبه التطابق فى التاريخ والثقافة ، ولكن النمساويين رفضوا هذا الاندماج لاختلافهم فى المزاج عن الالمان ، وهو سبب كاف لهذا الرفض ، ولكن القرار الذى يصدر من امة ما ، باتخاذ سمة او طبيعة ، لا يصدر بعد مناقشة وجدال ، فى مؤتمر او مجلس او من سلطة ذات اختصاص ملزم ، انما يصدر ضمنا وخلال فترة او فترات طويلة مليئة بالتطورات والاحداث السياسية . وفى آخر الامر يجد الشعب نفسه امام قرار لا يدرى من الذى اصدره ، اشبه شيء بالاغنية الشعبية والمثل الشعبى ، لا يدرى أحد من صاغ هذه الاغنية او هذا المثل ، ومن وضع للاغنية اللحن ، ومتى وقياسا على هذا كله نقول انه لم يكن ممكنا قبل الفتح الاسلامى لمصر سنة ٢١ هجرية بقيادة عمرو ابن العاص قائد الجيش العربى الذى حقق هذا الفتح ، لم يكن ممكنا قبل هذا الفتح ان تطرح عروبة مصر على بساط البحث . ففى مصر الفرعونية أو مصر فى ظل الحكم الفارسى او اليونانى او الرومانى . لم يكن هذا الامر واردا ، فالامة العربية لم يتم وجودها ، الا بعد قيام الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة فى اوائل القرن السابع الميلادى بعد بعثة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

ولم يكن هذا الامر كذلك مطروحا للبحث ، بعد الفتح الاسلامى ، لان العرب الذين تم الفتح على ايديهم ، والقبائل التى جاءت تباعا الى مصر ، واستوطنت اقاليمها فى الوجهين البحرى والقبلى ، وفى الصحارى الشرقية والغربية ، لم تكن تصف نفسها بانها عربية ، بل كانت تحس وتؤمن وتضمر وتعلن ، انها من المسلمين الذين جاءوا لينشروا الاسلام ، الدين الجديد ، وليبشروا برسالته ، ويثبتوا ملكه وحكمه ..

ولما ضعف الوازع الدينى ، واصبح المهاجرون من العرب ، شاعرين بتميزهم عن شعوب الامم التى فتحوها ، فقد كانوا لا يستسيغون ان تصبح هذه الشعوب عربية ، كما انهم عرب . ولم يكن حكم هؤلاء الوافدين من الخارج كحكم اسلافهم الذين جاءوا يحملون الدين الجديد ، ويتادبون بادبه ، ويلتزمون احكامه ، واول هذه الاحكام جميعا الايمان بان الله خلق الناس ليتعارفوا ، وان اكرمهم عند الله اتقاهم . هذا كله الى جانب حقيقة ان الوحدات القومية لم تكن من خصائص هذا العهد ، فالشعور بالقومية لم يظهر ويتاكد

لماذا لم تنفتح ثورة ١٩١٩ على البلاد العربية المحتلة؟



الا في اخريات القرن الثامن عشر ، واوائل القرن التاسع عشر .

ولما دالت دولة العرب المسلمين في مصر ، وتتابعت دول يؤسسها قواد اتراك مثل احمد بن طولون ، ثم بعد ذلك مماليك مجلوبون اصلا من اقاليم القوقاز ، كان من المستحيل ان يتنفس في جو تلك الدول قصيرة العمر ، شعور بالقومية ، وعلى الاخص بالقومية التى تنتسب الى العرب ، او تفخر بالانتماء اليهم ، ثم جاء الحكم التركى الطويل سنة ١٥١٧ .

كان من المستحيل ان تدب الى النزعة العربية فى مصر ، الروح ، فقد كان الحكم العثماني يضيق بكل نزعة قومية ، تخالف الطابع الاسلامي العثماني تعصبا صحيحا للدين فى بداية الامر ورفضا للشعوبية بالخلاص ، ثم تاكيد السلطة وهيمنة السلطان العثماني التركي ، تغليبا لكل ما هو تركي ، ومطاردة لكل ما عدا ذلك .

ثم حدث ما اشرنا اليه فى بداية هذا البحث فى اخريات الحكم العثماني فى عهدى على بك الكبير ومحمد على والذى انتهى الى قيام دولة مصرية .

ولكن طرات مضاعفة فى كل من مصر والبلاد العربية المجاورة فى الشرق والغرب . واعنى بها الاحتلال البريطاني فى مصر ، والاحتلال الفرنسى فى المغرب ، وبقاء الحكم العثماني يترنح ، ويتدهور ، ويرفضه العرب فى العراق ، وسوريا ولبنان وفلسطين ، ويضيقون به ، ويتهياون للتمرد عليه .

وفى ظل هذا الوضع الجديد ، كانت مصر تعاني من الاحتلال البريطاني وتثور ضده ، وكان الانجليز يبدون المودة ، ويعدون بالمساعدة للحركات التحررية ، والاصلاحية فى العراق والشام وفلسطين . فبعدت الشقة بين عرب المغرب والمشرق . فما كان يتمناه العرب فى الشرق ، كان يرفضه المصريون رفضا تاما لان اهل الشام والعراق كانوا يتمنون انتهاء الحكم العثماني وسقوط دولة الاتراك ، ولو بمساعدة انجلترا وفرنسا وكانت تركيا فى مصر دولة الخلافة الاسلامية ، وكان سقوطها يؤذى الشعور الدينى عند المصريين ، ويحملهم على اتهام عرب الشام والعراق . ولما قامت ماسمى بالثورة العربية سنة ١٩١٦ بقيادة شريف مكه الشريف حسين بن على ، جد الملك حسين بن طلال ، ضد الاتراك العثمانيين وهم يحاربون الانجليز فى الحرب العالمية الاولى ، ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، اعتبرت هذه الثورة خيانة صرفة ، واعتبر زعماء هذه الثورة عملاء للاستعمار لايستحقون الا الاحتقار والكراهية . فلما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، وحنثت دول الغرب «بريطانيا ـ وفرنسا» بوعودها للعرب ، واحتلت بلادهم واساءت معاملتهم ، وضنت عليهم بالحريات العامة ، وفد زعماء العرب من من الشام والعراق وفلسطين الى مصر ، ملتمسين من الحركة الوطنية المصرية العون ، وكانت ثورة سنة ١٩١٩ قد اندلعت نيرانها ورفض الوطنيون المصريون ان يضعوا ايديهم فى ايدى قادة الشام والعراق ، واداروا لهم ظهورهم ، لسوء ظنهم فيهم ، فلما تحدث هؤلاء الزعماء السوريون والعراقيون والفلسطينيون عن الوحدة العربية والحركة العربية اصم المصريون اذانهم ، ولم يطيقوا حتى النظر فى وجوه دعاة العروبة .

وانتهز دعاة الاستعمار الغربى ، هذه الفرقة بين المصريين ، واخوانهم فى شرق القناة ، فروجوا للنزعات الاقليمية واوحوا للمصريين انهم ورثة الحضارة الفرعونية اعظم الحضارات ، وانهم اولى بان يتشبثوا بنسبتهم الى المصريين القدماء الذين هم اعلى الشعوب القديمة المتحضرة كعبا واقدمها علوا . ومن هنا نشات الدعوة الى الفرعونية وتاخرت الدعوة الى العروبة . واستمر

مصر عربية

فسعف الشعور العربي في مصر حقبة طويلة فلم يكن ممكنا آنذاك أن يقال ان مصر عربية .

ولكن بدا التغيير يطرأ على الشعور المصري ، حينما وقعت ثورة سوريا سنة ١٩٢٥ بقيادة سلطان باشا الاطرش ، وبدت امجاد الثوار السوريين ، وحسن بلائهم في منازلة الفرنسيين وانزال الخسائر بهم ، وتورطت فرنسا في جرائم اثارت الغضب المصري ، ومن الاعجاب بالثوار ، والاحتقار للمستعمرين ، تقارب المصريون والسوريون ثم جاءت قضية فلسطين ، وثورة الفلسطينيين سنة ١٩٣٦ ، واستبسلوا في الدفاع عن ارضهم وعرضهم واحسوا ان البلاء واحد ، والمصاب مشترك ، والاعداء هم الاعداء ، ففهموا معنى العروبة ، على ضوء هذه المعارك المصيرية ، والنضال العربي ، وتغيرت نظرة المصريين الى اخوانهم في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، وتجح العراقيون في الدعاية لجيشهم في عهد الملك فيصل ، حتى أصبح يتردد على السنة المصريين ان ضد الانجليز وابدوا من البطولة وصور العراق هي بروسيا العرب ، وثار العراقيون الاستشهاد ، ما أنهى الصورة القبيحة لعرب الشرق عند المصريين .

وازدهرت فكرة الوحدة العربية ، وخلقت الدعوة الى الفرعونية او الى المصرية ، واشتد ساعد الحركة العربية ، فلما تبنت ثورة سنة ١٩٥٢ الفكرة العربية ، بدا ان مصر قد اختارت ان تكون عربية ، وان هذا الاختيار ابدى ولا رجعة فيه ، حتى تمت الوحدة المصرية والسورية فبدت تتويجا لهذا الاتجاه وتكريسا له .

ولكن توالت النكسات ، فحدث الانفصال بين سوريا ومصر ، ثم طالت الحرب اليمنية حتى وقعت حرب سنة ١٩٦٧ وهزمت مصر هزيمة منكرة وكره المصريون الكثير من لفظ العروبة والعرب ، وكل ما ينصل بهذين اللفظين ، ونشط دعاة الاستعمار يؤيدون هذا الانقلاب ، ويؤكدونه ، واعتبروا ان مصر لم تجن من ميولها العربية الا الخسران المادي والادبي .

واستمرت الدعوة المضادة لعروبة مصر ، وتزايدت وتصاعدت الا أن مصر ثابت لنفسها شيئا فشيئا فادركت ان عروبتها هي قبل كل شيء مصلحة ادبية ومادية ، مباشرة وحقيقية . لا لان مصر تربطها بالعالم العربي وشائج عديدة اولها التاريخ القديم الموغل في القدم ، الذي كانت فيه منطقة الشرق العربي ، او الشرق الاوسط بالتعبير الغربي وحدة متصلة ، جغرافيا ، ومتسقة سياسيا ، تتشابه فيها الظروف ، وتخضع في الاغلب الاعم ، لحكم واحد ، وتسودها سياسة واحدة . ولم تتحطم هذه الوحدة ، الا بفعل دخيل غير طبيعي من قوى اجنبية تزول ، وتبقى هذه المنطقة تتبادل التأثير والتأثر ، كما تتبادل سلع التجار ومنتجات الصناعة . كان كذلك الحال في عهد الفراعنة ، وفي عهد اليونان والرومان والعرب والمماليك والعثمانيين والاستعمار الغربي ، ولايزال الحال هو هو حتى اليوم وعلى مر الايام اصبحت مصر ، قائدة هذه المنطقة ، وقلبها . تعلم وتثقف وتهذب وتقود ، وتجني مصر من ذلك مالا ، ومكانة وقوة ، وتأثيرا متجددا في العالم كله .

ثورة سوريا سنة ١٩٢٥ كانت بداية لشعور عربي قومي

ثم ان العالم الان اصبح عالم تكتلات ، والكتلة العربية ، كتلة سياسية وثقافية ، واقتصادية طبيعية ، ولا انفصال فيها . وهي تمنح كل أعضائها قوة ولاسيما بعد تدفق البترول في نواح عديدة منها ، وتكدس الارصدة البترولية في خزائنها كثير من هؤلاء الاعضاء .

وقد جاءت ازمة فلسطين ، ومحاولة الغرب وضع اليد على ارضها نهائيا ، وابعاد اهلها منها ، لتكون هذه الارض فاصلا بين العرب بعضهم البعض واسفينا يفرق بينهم ، وقاعدة عسكرية ابدية ، وحاملة طائرات دائمة ، وعلى المحاولة الآثمة تركت رد فعل مختلفين اولهما بث الفرقة بين العرب ، وهو رد الفعل الاول ، ثم الاحساس بالحاجة الى الاتحاد ، وخلق الوحدة ، والشعور بالخطر ثم الشعور بالاهمية والمكانة والرسالة الانسانية . وهذا الشعور الاخير ، لانه اكثر طبيعية ، فانه الشعور الذي سيبقى ، وسيحس المصريون ، من خلال الاحداث والمصائب والهزائم ، ان الوحدة العربية هي ميزة لبلادهم ، وواجب ملقى عليهم وفرصة للعمل العظيم ، وللتأثير العالمي ، وانهم لايملكون التفريط في هذا كله ، او التخلي عنه .

وكما قلت صفات الامم وهويتها لاتكون



سلطان باشا الاطرش

من اللغة او الدين او التاريخ فقط ، فهذه عوامل ممهدة ومساعدة ، اما العامل الرئيسي والحاسم فهو ارادة الشعب .

ومصر عربية بارادة اهلها ، يدعم هذه الارادة التاريخ الطويل الحافل ، والجغرافيا الظاهرة الناطقة ، والدين المبين الصالح ●

الشعور بالامتنان

كتب جورج كليمنصو السياسي الفرنسي المعروف ١٩٤١ - ١٩٢٩ . يقول : « الشعور بالامتنان لايكون في منح حبنا وتقديرنا للمرء الذي ادى لنا خدمة او اسدى معروفا ، كما لايكون في رد هذا المعروف له . وانما يكون في الافادة من هذه الخدمات التي قدمت لنا ، بحيث نستطيع ان نفعل كل ما في وسعنا من اجل اسعاد البشرية من حولنا .

خيمة الأسمنت

شعر
محمد الأشعري



— ١ —

كطائر الرخ حطت
مخلب في البحر ومخلب في المقبرة
وبين المخلبين طارت قبره
دارت دورتين وانطفأت
واشتعلت مصابيح الحراس
يا وجهها المنسي في أعتاب العتمة
يا ظلها المنشور كالأشجار فوق الاكمة
كم مر من عشاق هذى الارض في احشائك المعتمى
وكم من نجمة كسرت ، كم من محبرة

— ٢ —

شارتان للخوف
ومدخل يفضي الى خوف
يصر الباب تلو الباب
ويكبر الظل هندسة للصل خامر
وخريطة لتوغل خلف انسحاب الصيف
دائرة وينفلت الشعاع الى امتداد مبهم .
يتداخل الاسمنت عبر دوائر الدخان
ينمو الدرج كالثعبان
دائرة ويشتبك الجدار بلونه
تتناسل اللحظات كالحة .
وتفتح منفذا لتبرعم الاشياء :
انصهار في ثنايا الشهوة الرعناء
انفلات من ضراوتها
لان مسافة كاليتم تفصل بينها والشمس
توق للذى يأبى ولو شط المزار

وانكفاء فوق هندسة العلاقات
تكسير انحناءات الفضاء وتقاطع الاحزان
والتفكر بالشجر الخرافى
بالاعشاب ياتمة
وبالاحجار جرداء كالغيم البعيد
بتوالد الكلمات ، بالاشكال والاصوات والالوان
بالصمت والانهار
تلفت الاشياء
حتى أروع اللحظات ، أصدق اللحظات فى الماضى ..
يداهمها ارتجاج كالصدى
يا وجهها المنحوت من صخر الصباحات الطويلة
يا وجهها المغروس فى سفر القوافل
فى اغتصاب الياسمين
كم بين أنهر غيبت فى أحشائك العطشى
وكم من فسحة فى الفجر اغلق لونك المنهوك من تعب السنين

ـ ٣ ـ

للبحر رائحة انشطار اللوز
وللسمك الراوغ ظله لون الزوارق
للزائرات مقابر الشهداء اشتهاءات مضرجة
اذ ينحنين على الرخام ويشتعلن على امتداد الموت ..
هذه فسحة حمراء تسكنني
امارس فى لظاها رقصة التدمير
اقضم من حواسي الخمس
ثم الوذ ـ ساعة انتشي ـ بحرائق الذكرى
من هنا مروا
كما تتكرر الامواج
وكما تشمخ على امتداد البحر اجنحة النوارس
شامخين وعاشقين ومشرقين
تفيض اعينهم برائحة التحول
وترتعش القصائد كالحمام مواكبا ومواكبا
عند انخراط الخطو فى جمر الطريق
للبحر رائحة انتشارى خارج الجسد المهان
وللكلمات لون الغبطة الاولى
وافتح لاشتعالى فجوة عبر مخالب الطائر الوحشى
أدمن فرجة كتهاطل الامطار
ليس ابتهاجا بالتمزق
لا مجال للتمويه
ان السجن لغم دائم وتكسر كالموت
لكن انشطارى فجأة
واكتشافى للتعدد والتفرد والتوحد والتجزؤ
وامتلائى بالشموس المشرعات لغبطة الاشراق
يغمرنى بشيء مطلق كالحب
او كاللحظة الاولى لاشراق الولادة

إسلاميات

مطران وصحافته

بقلم: حافظ محمود

● كانوا ثلاثة لا تفترق أسماؤهم بعضها عن بعض في أي محفل من محافل الأدب . وكنا ونحن طلبة إذا سمعنا بأن حافظا سيلقى قصيدة في ندوة لا نسأل عمن سنسمعه غير حافظ من الشعراء .. فقد كان معروفا أن الفرسان الثلاثة . شوقي وحافظ ومطران . هم النجوم في كل المحافل التي تقال فيها القصائد .. ولقد جمع الله بين هؤلاء الثلاثة في مواقيت ميلادهم التي تقاربت من بداية السبعينات في القرن الماضي . لكن تفاوت الأعمار فرق بين أسمائهم ، اذ انتقل شوقي وحافظ الى رحمة الله سنة ١٩٣٢ فاحتفلنا بذكراهما الخمسينية منذ أسابيع ، ومد الله في عمر مطران الى منتصف سنة ١٩٤٩ فتخلف ركبه عن ركبهما لأول مرة بعد أن كان ثلاثتهم يذكرون معا في كل مناسبة ، وأحسب أن التوقيت وحده لا ينبغي أن يكون سببا في عزل اسم خليل مطران عن صاحبيه .

من أجل هذا المعنى آثرت أن يكون مقالى اليوم عن مطران . وربما كنت في هذا الموقف متأثرا بدَيني لهذا الرجل .. فانني لن أنسى له وأنا في مرحلة التحصيل أن الخلانى من يدى وقدمنى الى رئيس تحرير جريدة الأهرام لينشر لى خبرا عن مشروع أقمته في أوليات الثلاثينات باسم « تعاون الشباب » وكان من أثر تزكية مطران لى أن نشر هذا الخبر على الصفحة الأولى بحجم كبير .. ولما تولى خليل مطران ادارة الأوبرا بعد هذا بسنتين كان يتخير المسرحيات التي ينصحنى بمشاهدتها ويحجز لى ولمن معى مقصورة من مقصورات الأوبرا في أيام عروض هذه المسرحيات تمكينا لى من بعض الدراسات الأدبية .

ونحن حينما نحيى ذكرى مطران بمناسبة الاحتفال الذى أقمناه لذكرى حافظ وشوقى



من كل وثاب على رمحه
كأنه البقت اذ يثبرى

الشاعر الصحفى الوصاف

ولد خليل مطران فى يوليو سنة ١٨٧٢ بمدينة بعلبك ، وتخرج فى الكلية البطريركية ببيروت سنة ١٨٩٠ ، وهاجر فى تلك السنة الى باريس لدراسة الاداب ، وبعد عامين قرر ان يزور الاهل فى لبنان ، وفى الطريق من مرسيليا الى بيروت رست الباخرة باسكندرية ليمضى بها الركاب يوما وفى هذا اليوم علم مطران ان سليم تقلا احد صاحبى جريدة الاهرام التى كانت تصدر باسكندرية قد توفى وان جنازا سيقام على روحه . وكان سليم تقلا استاذا لمطران فى الكلية البطريركية ببيروت فراى من واجبه ان يرثيه ، وفى نفس اليوم نظم هذا الرثاء والقاه ، وفى نفس اليوم عرض عليه بشارة تقلا المالك الثانى للاهرام ان يعمل معه .. وفى نفس اليوم تغير مسار حياته ، فلم يذهب الى بيروت ولم يعد الى باريس . بل ذهب الى القاهرة بعد فترة قصيرة ليراس مكتب جريدة الاهرام بها ، وظل يشغل هذه الوظيفة الى ان انتقلت جريدة الاهرام الى القاهرة ، فصار احد كتابها ، وهى ناحية فى حياة مطران طغت عليها شهرته فى الشعر . مع انه كان كاتبا ممتازا ، وكان فى نثره كما كان فى شعره وصافا مبدعا .. او كما قال عنه حافظ ابراهيم فى تقريظ ديوانه الاول الذى ظهر سنة ١٩٠٨ : « ما رايت فى شعراء الزمان اوصف من المطران . فهو واصف القطرين » ولعل حافظا يشير فى ذلك الى تلقيب خليل مطران بلقب « شاعر القطرين » .

وهاانذا اقدم لك مثلين من وصفه ، قال احدهما نثرا وقال الاخر شعرا .. فهو فى الاول يصف « اصلاحية الاحداث » فى مقال منشور بالمجلة المصرية بعدد سبتمبر سنة ١٩٠٠ قائلا :

« نحن يوما جلوس على شرفة ناد ، واذا جمهور من صبية كبار وصغار طوال وقصار،



خليل مطران

انها تضع الشيء فى موضعه . فلقد نشرت هذه المجلة ـ مجلة الهلال ـ بعدد يونيو سنة ١٩٢٨ حديثا لحافظ ابراهيم سأله فيه محرر المجلة : هل تفضل احدا من شعراء العصر على نفسك ؟ فاجاب : اجل افضل شوقيا ومطران .. الاول لوثبات ذهنه فى شعره . فقد نظم بيتين عن اللورد كارنارفون مكتشف مقبرة توت عنخ آمون ووددت لو كانا لى ، وهما :

افضى الى ختم الزمان ففضه
وحبا الى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى اتى
فرعون بين طعامه وشرابه

والفضل مطران على نفسى لدقة وصفه ، فحين يصف مصر يقول :

بلدة من حيائها دعة الوا
دى ومن كبريائها الاهرام

او حين يصف الجندى الباسل فيقول :

إسلاميّات مطران وصحافته

يعرون في الطريق ، وينقلون اقدامهم على نغم موسيقى يعزف بها امامهم ، ويتقدم الموسيقى غلام يحمل صولجانا طويلا ثقيلا ، يقلبه في قبضته شمالا ويمينا ، كأنه يشير الى المارة ان اخلوا السبيل جانبا ، وقفوا منا موقف اتقاء السيل جارفا ، وتتلو صاحب الصولجان الفلمة العازفة الضاربة الجادة اللاعبة ، ثم نحو المائة من الاحداث تمشي وراءها صفوفا متحدة الملبس ، مختلفة الوجوه صنوفا ، كل هذا السواد كاسون ابيض مسطرا بسواد ، قويمة قاماتهم ، مرفوعة هاماتهم ، غضة ابدانهم ، بادية من السرور اسنانهم ، فقلنا من الجيش بلا سلاح ؟ .. فقيل المساجين في مدرسة الاصلاح »

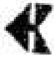
وقد حفز هذا المشهد المطران ، وهو يمارس مهنة الصحافة ، ان يقوم بزيارة لاصلاحية الاحداث ، ليصلها لمجلته جزءا جزءا الى ان يقول في خاتمة المقال :

« ثم انتقلنا عن يسار المشى الى غرف الصنائع ، وهي اربع لا يدخلها من الطلبة الا من ختم دروسه الابتدائية ، والغرف هذه مشرفة على حديقة لم يتم زرعها وغرسها ، ولكنها تقر الانظار برؤية خضرتها ومائها ، ويدرب الاحداث في احداها على صناعة الجلود من احذية وغيرها ، وفي الثانية على التجارة بانواعها ، وفي الثالثة على صناعة الصفيح ، وفي الرابعة على صناعة الحديد .. ورأينا من اعمال التلامذة بين مبتدىء ومنته ما سرنا كثيرا ، حتى اذا فرغنا من هذه المشاهدات سرنا الى باب فناء واسع ممهد ، يلعب فيه الاولاد أوقات العطلة وفي جانب منه نصبت ادوات للرياضة البدنية ، واتفق وصولنا اليه في عطلة ، فرأينا الصبية ، هذا ممسك بحبل ، وهذا صاعد وهذا هابط ، وهذا ينطوي على نفسه بين خشبتين ، وهذا يمسك بيديه حلقتي حديد معلقتين فيترجح بينهما واقفا على ذراعيه ، مطلقة رجلاه في الهواء .. الخ » .

احسب انني في غير حاجة الى ان ادلل هنا على بلاغة الوصف عند مطران ، لكن تاريخ الصحافة العربية هو الذي بحاجة الى ان يتخذ من هذا المقال المطراني اساسا لدراسة نشأة « التحقيق الصحفي » في الصحافة المصرية ، فقد يكون هذا المقال هو اول تحقيق صحفي قدمته الصحافة المصرية منذ اثنين وثمانين عاما .

اما بلاغة وصفه بالشعر فانك ملتق فيها ببلاغة اللفظ العربي مع بلاغة المعنى العصري في وصفه لغروب الشمس في ريف مصر ، وهو شيء قل ان تجده عند شعراء العربية في الجيل الاسبق ، وفي هذا الوصف يقول :

وللشمس في المنتهى مغرب
رأينـــا به آية من عجب
رأينا من الغيم طودا رسا
على افقها وسما واشرأب
بجســـم ظلام وقمة تبر
وسفح تعاريجه من لهب
كأن الاشـــــعة الناء
مغاور في منجم من ذهب
وراء نواظــــرنا أيل
مضى قرنه صعدا والشعب
تلفت يرنو بيـــالوتتين
وسال دما صلبه والذنب
وكم من جنان وكم من قرى
وكم من صروح وكم من قبب
تصاوير يصنعهـــا ماهر
من الغيب يبدعها ما احب



هكذا كان مطران سباقا الى المعانى الجديدة فى شعره . بل لقد كان فى تجديده يمارس قول الشعر المرسل وهو فى عز شبابه ، فقد وقفنا له فى « المجلة المصرية » عدد يناير سنة ١٩٠٩ على هذه الكلمات فى وصف « القبلة » :

« القبلة اقاضة حس ، من نفس الى نفس .
هى هزة فى اوتار الوجدان ، يحسدها بنقمها المرشفان المتدان .
هى تلامس قلبين بالشفاه ، وتلامس معنيين : الغرام والحياة .
هى تعاطى قطرة من الكوثر ، بكاسين من المرجان والجوهر .
وربما كانت طابعا لتثبيت وعد ، او خاتما لابرام عهد » .

هذا الشاعر الذى يتناهى فى رقته تجده يشتد فى ثورته عندما اضيرت الصحافة بقانون المطبوعات سنة ١٩٠٩ فيقول :

شردوا اخيارها بحرا وبرا
واقتلوا احرارها حرا فحرا
كسروا الاقلام هل تكسيرها
يمنع الايدى ان تنقش صخرا
قطعوا الايدى هل تقطيعها
يمنع الاعين ان تنظر شزرا
اطفئوا الاعين هل اطفاؤها
يمنع الانفاس ان تصعد زفرا

هكذا نرى خليل مطران موصول الاحساس بالفترة التى عمل بها صحفيا فكتب فى ذلك الوقت مقالا عن حرية الصحافة قال فيه :

« ان اخص معنى واشرف معنى من معانى الحرية انما هو حرية الصحافة على ما فى الصحافة من العلات والآفات ، لانه اذا كان لكل دولة جنود يحمون ثمارها ويكافحون اعداءها ، فان لامتها جنود سلم يولفلونها



حافظ ابراهيم

ليفتنات اعداء الخارج ، ويشهرونها الى موبقات اعداء الداخل وهم : الظلمة او الجهلة او سيئو المقاصد من الحكام - اولئك هم الخدمة الامناء .. اولئك هم الحرس الساهرون ليلا . والعاملون نهارا .. اولئك هم الجنود السلميون الذين لا يلتاون يناضلون ويقاتلون بلا هدنة ، ولا قرار .. اولئك هم الصحافيون الاحرار » .

اننا اذا تجاوزنا عن اسلوب الجيل الذى كان يكتب به مطران مثلا ثلاثة ارباع قرن، اى منذ ثلاثة اجيال ، فاننا نجد فى مقاله ذات المعانى التى نرددها نحن الصحفيين الى اليوم والى الغد . بل انها المعانى التى تسن منها قوانيننا الصحفية .

مطران والاتجاه الانسانى

هذا كله وتبقى قمة امجاد مطران فى عطائه الشعرى وهو يتحدث عن الاسلام رغم مسيحيته المخلصة . فيقول :

رسالة الله لو حلت على جبل
لاندك منها واضحى بطن اخدود

إسلاميّات مطران وصحافته



شوقي

ولو تحملها بحر لشب لظى
وجف وانهال فيه كل جلمود

فليس بدعا اذا ناء الصفي بها
وبات في الم منها وتسهيد

ينوى الترحل عن اهل وعن وطن
وفي جوانحه احزان مكبود

يكاد يمكث لولا ان تداركه
امر الاله لامر منه موعود

فاذا غلا القوم في ايذائه خطلا
وشردوا تابعيه كل تشريد

دعا الموالين ازماعا لهجرته
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد

مضى هو البدء والصديق يصحبه
يغامر الحزن في تيهاء صيخود

موليا وجهه شطر المدينة في
ليل اغر على الادهار مشهود

حتى اذا اتخذ الغار الامين حمى
ونام بين صقله نوم مجهود

حماه وشى بباب الغار منسدل
من الاولى هددوه شر تهديد

يا للعقيدة والصديق في سهر
تؤذيه افعى ويبكي غير متجود

ان العقيدة ان صحت وزلزلها
مغنى القرى فهي حصن غير مهدود

اننى اترك لك وزن هذه المعانى فى وصف الهجرة وما تخللها من ايمان لاقدم لك ما كان يقوله هذا الشاعر المسيحي الجليل لشباب المسلمين فى الجيل الاسبق :

من يبرىء الاسلام من تهم العدا
ويرد نقد الناقدين مزيفا

يبدى لاعين جاهليه فضله
ويزيل ما يلد التناكر من جفا

ويثير من غضب الغضاب لمجده
هيما تعيد له المقام الاشرفا

ولعل خير ما اختتم به هذا المقال هو ما اختتم به خليل مطران عطاءه الشعرى.. كان ذلك فى الاحتفال بيوبيله الماسى سنة ١٩٤٨ . وهو الاحتفال الكبير الذى قال فيه آخر ما عنده وانتقل بعده باشهر الى جوار ربه . فيومئذ قال مطران فى الاخاء بين الشعراء :

لا يضيق صدر شاعر باخيه
يكرم الفضل ان تضيق الصدور

والسماوات لو تاملت فيها
ليس تحصى شموسها والبدور

كل جرم يعلو ويصبح نجما
فله حيز وفيه يدور

والنجوم التى تلوح وتخفى
دبوات وما يضيق الاثير

***

هذا هو الشاعر الذى كان ثالث عظيمى الشعر فى عصره . شوقي وحافظ . وكان حريا بنا ان نعيد اسمه الى مكانه منهما فى الاحتفال بذكراهما ليظل هذا الثالوث ثالوثا فى تاريخ الادب كما كان هكذا فى حياتهم ●

صلوات فى التيه

شعر : أحمد عبد الحفيظ سلام



يا ساقى الفرسة والشجرة   بستانك يضحك بالخضره
أوراق الوردة مشرقة   والغصن تدلى بالثمره
والدوحة فى بحر الأضواء   خيال يستوحى فجره
والظل يوسوس للأعشاب   ويهمس فى صمت سره
والنسمة حول كئوس الزهر   تهيم وترتشف القطره
ويتيه النحل بخضرته   والجنة تبدو مزدهرة
والصبح بدا فى موكبه   ملكا يتلفع بالنضره
ضحكت عيناه وقد ألقت   أزهار ناعمة نضره
لغز الأجواء وقد نفحت   أنفاس من فمه عطره
وسرى كالطيف تصاحبه   أضواء ترقص فى سكره
يا ساقى الفرسة قد نضجت   لثمرات الدوحة والشجره
صارت زادا للطير وللا   من خلد يحمى وكسره
قد يقطف منها بغيته   وقطوف النعمة منتشره
وتغنت أحلام كانت   فى مكمنها ترجو وتره
قد جاء الطير يداعبها   بلحون كانت منتظره
فالكل يتيه بمغنمه   قد نال على وعد وطره
وأنا يا ساقى الفرسة قد   ظلت لمسراتى مستترة
ناديت وبابك لم يفتح   وتعالى يلهث فى حسره
صليت وضاعت صلواتى   فى واد لا أدرى الثمره
ومددت يمينى هل قطفت   يوما من بستانى زهره !
وكريم أنت وإن نضبت   من جودك أنهار لره
أغدقت على قوم وأنا   باتت دعواتى مستعره
مهما أغمضت العين ولم   تتقد فى أعماقى نظره
فأنا باق حتى أحظى   بنصيبى من يسداك الغره

هل مضى زمن الشعر ؟

بقلم : محمد فهمى عبد اللطيف

● الحديث عن مستقبل الشعر يتردد فى هذه الايام بين الادباء والمفكرين والذين يعنون باستطلاع الاتجاهات لمستقبل الاداب والفنون ، وهم فى استطلاعهم يتصورون ان العهد الزاهر للشعر قد مضى وانتهى ، وان اتجاهات الحياة الانسانية تدل على ان الشعر لا مستقبل له ، او هو مستقبل ضئيل القدر ، وانه لن يكون له من الشان ما كان له فى الزمن القديم

وقضية الشعر ومستقبله قديمة ترجع الى نصف قرن من الزمان ، ولعل اول من اثار هذه القضية الشاعر الفيلسوف « طاغور » فى بحث كتبه عن الشعر ، وكان من رايه ان طبيعة الحياة التى يحياها الانسان فى هذا العصر لا تتجاوب مع طبيعة الشعر فى بواعثه ودواعيه الفنية ، فالحياة اصبحت آلية لا روح فيها ، ثم هى مندفعة فى سيرها بسرعة مذهلة فاقت معدلها . والانسان مندفع معها بهذه السرعة وهو يلهث ، فلا يكاد يشعر براحة ، او يجد نهزة من الاطمئنان، او سانحة من التامل ، او خاطرة من وحى الالهام ، وهكذا يعيش الانسان حياة مضادة فى سرعتها واندفاعها لطبيعة الشعر ، والتذوق للشعر .

ومن راى « طاغور » ان سرعة الحياة افقدت الانسان الاحساس بلذة الحياة ومتعتها ، وما مثل الانسان فى هذا الا مثل الرجل الذى يزدرد طعامه او يبلعه بلعا فلا يتذوق طعمه ، والتذوق مثار الاحساس ومحركه ، فاذا ما فقد الانسان لذة التذوق للحياة والاحساس بمشاهدها، فاى شىء هنالك يمكن ان يعطيه للشعر او يثير بواعثه فى نفسه .

وقصارى الراى عند « طاغور » ان الشعر لا يجد عطاء عند الانسان يمكن ان تسمح به تلك الحياة السريعة المندفعة بكل قوة ، فلم يعد هنالك وقت للتامل والتخيل ، ولا مجال للتفكير الشعرى والصياغة الشعرية ، ومن هنا نستطيع ان نقول ان عهد الملاحم الشعرية قد انتهى ، وان الشاعر الذى كان يسهر





طاغور



العقاد

الليل فى شكوى الحب ومناجاة الحبيب اصبح لا مكان له ، ولا الذين يستمعون اليه ، وبهذا القدر الضئيل يتحدد مستقبل الشعر .

وانا مع « طاغور » فيما ذكره من آلية الحياة وسرعتها ، وتأثير هذه السرعة على طبيعة الانسان وموقفه من الشعر ، وانا اعتقد ان ظاهرة الشعر الجديد الذى يسمونه بالشعر الحر ويسميه العقاد بالشعر السايب ، ليس الا اثرا من آثار هذه السرعة ، فالسرعة فى انطلاقها تحطم القيود والضوابط ، او هى لا تقبل ولا تحتمل وجود القيود والضوابط ، وهذا هو السر الذى هيأ لاصحاب ذلك الشعر التحلل من قيود الوزن وضوابط القافية ، والانطلاق بذلك الشعر الحر مع سرعة الحياة فى اندفاعها الرهيب .

والذى لاشك فيه أن سرعة الحياة قد اخلت بتوازن الانسان ، فهو فى وضع مضطرب ، يستفزه القلق الرهيب ، فلا نراه الا مشدود الاعصاب ، متوتر الاحساس ، ساخطا على كل شىء ، اذا اهتز فلا تهزه الا الموسيقى الصاخبة ، واذا تحرك احساسه فلا تحركه الا الصور العارية ، واذا تمشت فى مفاصله النشوة فلا تكفى فى ذلك كاس او كاسان ، بل لابد ان يريق الزجاجة حتى الثمالة ، فمن سوء الفهم ان نقول ان هذا الانسان هو انسان الشعر ، وان الحياة النفسية التى يحياها هى الحياة التى يزدهر فيها الشعر .

ولكن هل معنى هذا أن الانسان سيبقى على هذه الحال فى موقفه من الحياة ، وانه سيظل غائبا عن نفسه فى حومة تلك السرعة المذهلة التى تندفع بها الحياة ؟

ان هذا هو ما افترضه « طاغور » حين تنبأ للشعر بمستقبل ضئيل القدر ، وفى الحق ان « طاغور » مسرف فى التشاؤم ، وان الانسان الذى افقدته سرعة الحياة توازنه لن يستمر مع هذه الحياة ، ولن تطيق نفسه اوضاعها القاسية التى اوشكت أن تدمر كيانه الانسانى ، بل لابد

هل مضى زمن الشعر ؟

له أن يعود ليلائم نفسه مع هذه الحياة ، وليستقر على حال يجد فيها نفسه وانسانيته ، واحساسه الانساني بالشعر، وبالحياة التي يعيش فيها الشعراء ويزدهر فيها الشعر ، وهذه العودة الى الانسانية تحتمها طبيعة الوجود الانساني في الحياة، قد تكون قريبة أو بعيدة ولكنها ضرورة محتومة ، ولابد ان يبلغها الانسان .

ان الشعر يمثل الجانب الانساني في الانسان ، وهو الذي يفجر في الانسان الاحساس بالحياة ، وينمي عواطفه ومشاعره والتذوق لمعنى الحب والخير ، وكل ماهو جميل وجليل في العلاقات الانسانية ، وصلة الانسان بالانسان ، والشعر بهذا المعنى أصل ثابت في طبيعة الانسان ، سواء في ذلك الانسان الجاهل والمتعلم ، والانسان في ادغال افريقية ومحافل أوربا ، وانما الاختلاف بين انسان وانسان في القدر ، فهناك الانسان الذي يقف شعوره أو شعره عند حدود ذاته ، والانسان الذي يستوعب العالم كله بشعوره وشعره حتى يستطيع أن يتمثل بقول الشاعر

واحتمل الدنيا كأني خلقتها
وأن جميع الخلق علق في رأسي

والانسان قد اهتدى الى الشعر بالفطرة ، وقاله انسياقا مع طبيعته ، وأبدع فيه ألوانا وفنونا تمشيا مع نمو شعوره الانساني ، وهذه الالوان والفنون هي مانسميها بالتراث الشعبي ، وكل هذا دليل على أن الشعر كما قلنا أصل ثابت في طبيعة الانسان ، فلا يمكن ان ينفك عنه ، أو أن يعيش الانسان بدونه ، الا اذا تحولت انسانية الانسان الى حيوانية مطلقة هي حيوانية الغاب .

هذا هو الشعر في وجوده ، وهو أيضا في بواعثه ودوافعه ، فما أجدبت العواطف ، ولا تحجرت القلوب ، ولا تجمدت الدموع في العيون ، ولا استغلقت آفاق الحياة على التأمل ، ولا ضاقت عن ان تكون مجالا للتخيل . ولا انتكست انسانية الانسان الى حيوانية سائمة ، وهذا يؤكد بقاء الشعر في حياة الانسان، وان ارتباط الانسان بالشعر ارتباطا شعوريا ونفسيا لايمكن أن يزول . فالذين يزعمون أن الشعر قد انسحب من حياة الانسان ، وأن وجود الشعر في الحياة الانسانية قد تضاءل ، هم في زعمهم مخطئون .

صحيح ان الشعر لم يعد له ازدهاره الذي كان في الزمن القديم ، وانه لم يعد يعطي الاعمال الخالدة ، والآثار الابداعية الباهرة التي كان يعطيها من قبل ، وانه لاشك يعاني ضعفا في صياغته وفي تلمس موضوعاته وفي تبليغ رسالته، وهذه لاشك حال عارضة ، وما كانت حياة الشعر كلها ازدهار وابداع ، ولكنها كانت تأخذ أوضاع الحياة العامة للناس ، تؤثر فيها عوارض تلك الحياة ، فمرة تخبو ومرة تزدهر ، ويوم أن تزول العوارض التي طرأت على حياة الناس ، وغيرت من مظاهرها وأوضاعها سيأخذ الشعر مكانته ويبلغ مبلغه من الازدهار والابداع .

فمن الخطأ أن نحسب أن زمن الشعر قدمضى وانقضى ، وأنه لامستقبل له ، وأنه كائن قد تخلت عنه الحياة ، وسيبقى الشعر دليل الانسانية وعنوانها ، لن يزول الا اذا زال الوجود الانساني من الحياة .. وهيهات ●

الجواد المكسور

شعر: حسين علي محمد



فلكَتْ لي في حُبّكِ مائدةٌ

ملأى بالأطباقْ

لكنكِ إذْ تأتينَ الليلةَ

ينبتُ في وادينا الأخضرِ شجرُ اللهبِ

وتحترقُ الأوراقْ .

يَسقط قلبي مكتئبا ،

ويجفُّ النبضُ الدفّاقْ .

السّحنة كابيةٌ ، والقلبُ كسيرٌ ، والعمرُ ضَيَاعٌ

كيفَ أواجهُ هذا العالمَ وحْدي

كيفَ سأقطعُ طرقا ومفاوزَ

وجَوادي الإخفاقْ ؟

مجتمع مكة القديم

بقلم : د. السيد فهمى الشناوى





● لم يحفل المستشرقون أو يهتموا بموضوع كاهتمامهم بدراسة مجتمع مكة قبل الاسلام . وهى فترة نكاد نهملها رغم أهميتها .

كانت مكة قبل القرن الخامس المسيحى قرية صغيرة لا تزيد على أن تكون محطة للقوافل القادمة من الجنوب حاملة بضائع الهند واليمن قاصدة مصر والشام وغيرها ..

وفى أواخر القرن السادس تحولت الى مدينة تجارية مزدهرة تأتيها بضائع محلية ومستوردة . وكانت هذه البضائع المستوردة يعاد تصديرها الى أطراف الجزيرة والعراق والشام ومصر . وكانت شوارعها تعج بتجار من الهند واليمن والجزيرة والعراق والشام وافريقيا .

أما السبب فى نشر هذه الحركة التجارية العالمية المزدهرة فى مكة بالذات فهى ظهور الماء فيها دون بقية الجزيرة العربية . ووجود الكعبة التى يحج اليها كل عام مئات الالوف (ليس عشرات بدليل أن أول حجة فى الاسلام كانت ١٠٠ الف) وكانت مدة الحج القديم ثلاثة أشهر كاملة .

وكانت فى مكة سوق عالمية اسمها سوق عكاظ ، يحضر اليها تجار العجم والروم والحبش .. وكان مجتمع تجارى غنى نشأ فى أطراف هذه السوق حلبات لسباق الخيل والجمال . ودور للهو والطرب والتمثيل ولكن انجح هذه المنشآت كان مكان أو (مسرح) مناظرة الشعراء .. وكانت متعة العرب التى تحل محل كرة القدم عند جماهير اليوم وتحل محل الالعاب الاوليمبية وتحل محل السيرك والسينما والتليفزيون والمسرح هو الشعر ، فى أبيات ذات ايقاع حافلة بالافكار رغم جدب الطبيعة .

هذه السوق المزدهرة فى مكة وصلت الى حد التشبع فظهرت أسواق ثانوية وفرعية فى المجنة وذى المجاز ومنى .

وكان هناك من أهل مكة طبقة معينة هى طبقة سدنة الكعبة وأهل الندوة المعروفون بالملأ . والواقع أن سدنة الكعبة هؤلاء هم اقدم طبقة نبلاء فى العالم يعود تاريخهم الى أيام سيدنا ابراهيم أى قبل ظهور الاديان الثلاثة . وهم من بنى شيبة . وهذه الطبقة تجمع الى اليسر المادى (من الحج) الدماثة الخلقية والوازع الدينى . وتسميتهم الحالية بالاشراف ليست على غير أساس . وفى وقت من

مجتمع مكة القديم

الاوقات وعندما كان سلطان تركيا قد غطى كل اوربا الشرقية حتى حدود فيينا وكان يخيف بقية أوربا كان يحاول السلطان أن يزوج ابنه من بنت أحد هؤلاء السدنة فكان يقابل بالرفض المطلق وينظر اليه كأنما السلطان قد جن عقله ٠

عرف باقى أهل مكة أن مصدر ثروتهم وقوتهم هى التجارة الدولية فأكبوا عليها حتى الهتهم عن غيرها من الاعمال ٠ وأصبحت مكة مدينة تجارية محضة لا يفكر فيها طفل ولا رجل ولا امرأة الا فى التجارة وجمع المال واستثمار المال ٠

وكان عدد الرجال الذين لم تكن تلهيهم تجارة ولا بيع قلة نادرة يسجلها القرآن ٠

ولا عجب فى ذلك ٠ فان مكة فى واد غير ذى زرع ٠ فلا تصح فيها زراعة ولا صناعة وأهلها مضطرون الى التجارة أو الافلاس ٠ ولكنهم لم يتوقفوا عند حدود التجارة بل صارت فى اغلبها مضاربة على ارتفاع الاسعار والبعض يضارب على هبوطها ، والاولون يشترون بضاعة لم تصل بعد باعتبار انها سوف ترتفع ٠ وآخرون يبيعون بضاعة لم تصل الى ايديهم بعد باعتبار أن السعر العالى مجز ٠

التجارة الشريفة

ولكن التجارة الشريفة كانت موجودة ٠٠ كانت أقل اغراء من المضاربة ٠ فحينما يرد حجاج ورواد لاسواق عكاظ ومنى وغيرها وحينما يرد رواد لحلقات الشعر وسباق الخيل وسائر الملاهى المنصوبة طوال ثلاثة أشهر لابد أن تنشأ تجارة وأسواق رائجة ، من مصلحة تجار مكة أن يهتموا بهؤلاء الوافدين ويقدموا لهم كل ما يحتاجونه من طعام وشراب وايواء فندقى وفوق ذلك كله ٠٠ بضائع وهم يهيئون أنفسهم سلفا قبل شهور الحج الثلاثة وقبل افتتاح الاسواق والمعارض وحلبات السباق يفعلون ذلك برحلتين رحلة شتاء الى اليمن لجلب بضائع الهند وافريقيا ورحلة الصيف الى الشام لجلب بضائع الشام ومصر وتركيا والبحر الابيض ٠ ولم يكن عندهم



بضائع وطنية الا الجلود والتمر والزبيب •

كان رأس مال التاجر منهم لا يقل عن مئات الالوف ولم تكن هذه الاموال تخص شخصا محددا ولكنها كانت شركة مساهمة تجمع من اشخاص متعددين من سكان مكة والطائف على شروط معلومة •

وكان هؤلاء التجار الذين جمعوا أموال المساهمين يأخذونها الى أصحاب القوافل ويدفعونها اليهم ليستوردوا لهم من أركان الارض • فلا عجب اذن أن يهتم سكان مكة بأخبار القوافل السنوية • لان القافلة لن تمر الا مرة فى السنة • وعند مرورها انما تحمل اليهم خبر العام كله : ثروة خرافية تهبط على المساهمين او افلاس ، ولا عجب اذن أن يسألوا الرائح والغادى



حتى وهم حول الكعبة عن اخبار القوافل • ولا عجب أيضا ان يختاروا لحراستها ومرافقتها الى الحدود أحسن الخفراء وأشهر رجالهم وأقوى محاربيهم وان ينسق هذا كله أكثر رجالهم حنكة ودربة ومعرفة بالرجال مثل أبى سفيان وغيره من الملأ •

وطبيعى انهم كلما زاد رأسمالهم المستثمر فى القوافل زاد قلقهم عليها واهتمامهم بها وارسالهم المراقبين يتسقطون أخبارها • واذا علمت أن طرق القوافل هذه لم تكن مأمونة أبدا وكانت عرضة لغزو القبائل وسطو قطاع الطرق وان الصحراء كانت مأهولة بأشرار يقطعون الطريق على كل قافلة ويعيشون فقط من النهب والسلب وأن القافلة التى تصل الى حدود سوريا أو فلسطين تعتبر قد ولدت من جديد واذا أدركت أن هنالك جمارك عند الحدود وطمعا فى أموال هؤلاء التجار العالميين باعتبارهم أصحاب ملايين ادركت كم كانت الاخبار المتعلقة بالقوافل مثيرة وهامة •

وكانت تجارتهم هذه رابحة ، لان بعضهم كان يملك مئات الالوف وكان لهم بنوك ملأى بالدنانير • وكان اقتصادهم قائما على اعادة

مجتمع مكة القديم

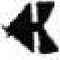
التصدير ٠والعثور على نقود عربية في أواسط روسيا وفي شمالها حتى سيبريا وبين القبائل الهمجية وسط الصين تقطع بأن التصدير من كل أطراف اسيا ومن سواحل أفريقيا (لان داخل افريقيا كان ما زال مجاهل) كان يصل الى تجار مكة ٠ كان يصلهم فراء سيبريا مثلا وهم لا يستعملونه ويعيدون تصديره وكان يصلهم انواع من الخشب الهندى والاوربى ويعيدون تصديره ٠

فالمال اذن كان موفورا لدى أهل مكة والطائف وكانت هناك بنوك كثيرة وغنية فى القرن السابع الميلادى ٠ وتشبع السوق بالمال المكدس لدى بنوكهم هو الذى أدى الى الربا لان البنوك تسلف تجارا أموالها بالربا ٠ وبتكدس الاموال لدى كل تاجر تقريبا أصبح التاجر نفسه بنكا ويسلف أيضا بالربا لمن هو اصغر منه وانصرف أكثر سكان مكة الى الربا حتى صار مصدرا رئيسيا للثروة بل وأيضا فى خلق النفوذ السياسى والاجتماعى ووصل الربا فى مكة الى ٤٠٪ و ١٠٠٪ ٠ ولا ترى فرقا بين التجارة والربا ٠ بل ادخلت على طبقة التجار كثيرا من مفهومهم للحياة ٠ بحيث جعلوا

التاجر يعامل المشترى بغرض الاثراء فقط فاذا ، اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، وكان التاجر يزيد فى وزن الدنانير أو ينقصها أو يخفيها من السوق كلية تبعا للمصلحة الشخصية وجريا وراء الجشع الذى عداهم به المرابون ٠ وصار التجار يتلاعبون بالديون بأن يؤخروا اجالها أو يقدموها أو يضيفوا اليها حتى يؤدى ذلك الى خراب المتعامل وثراء التاجر

« يا أيها الذين آمنوا اذاتداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا





فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل ..»

هذا كله يقطع بأنهم كانوا يرفضون كتابة الدين .. بل ويرفض الكاتب أن يحضر اذا دعى ويأبى كتابة العقد ليساعد التاجر على ثراء غير مشروع . وكانوا اذا كتبوا لا يتقون الله فيزورون المبلغ ويبخسون الشيء الذى سيدفعه الضحية الى التاجر . والخلاصة كان المشترى دائما ضعيفا والتاجر قويا . والشروط مفروضة والخراب هو النتيجة النهائية .

ولم يقتصر الخراب على الناحية المالية ولكنه امتد للاخلاق أيضا . كان الدائن يحمل امرأة المستدين أو بنته على البغاء حتى توفى بالدين وربا الدين عن ابيها أو زوجها وسجل القرآن هذا (سورة النور ٣٣) وازداد البغاء وصار وباء ولم يمكن ايقافه . كان يزداد يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة بما يضاف من ربا مع كل ساعة وبطبيعة الشر التى هى أقرب الى النار فى سريانها . فهل يمكن التخلص من مثل هذا الوضع بالطرق السلمية ؟ .. وبدون شنق وذبح .

أكثر المدينين كانوا مضطرين الى الهرب فى الصحراء هربا من الدين وهربا أيضا بعرض بناتهم وزوجاتهم وهو عرض غال . هربوا الى الصحراء ليلتحقوا بطبقة المتشردين وقطاع الطرق والارقاء بل انهم قطعا اعتبروا مثل هذه الطبقات انظف واشرف من طبقة التجار والمرابين وهم أنفسهم كهاربين كانوا يعتبرون ارقاء لاصحاب الدين ويطلب من يتعرف عليهم أن يدل عنهم .

طبقات متطاحنة

وأدى الوضع السابق الى ظهور طبقات غير متناسبة : طبقة سدنة الكعبة واصحاب السلطة وطبقة الارستقراطية أو الملأ أو الاعزاء وطبقة الصعاليك والارقاء والاراذل وصف الملأ اطلقه القرآن فى (المنافقون ٨) ولفظ الاراذل اطلقه فى (الشعراء ١١١) .

كان عدد طبقة الصعاليك فى مكة عظيما جدا بالقياس الى الطبقات الاخرى . ولم تكن العلاقات بين هذه الطبقة وغيرها بأحسن مما هى عليه اليوم بين البروليتاريا والراسمالية المعاصرة كان الصعاليك

لا يملكون فى مكة شيئا حتى انفسهم .وكانت الهيئة التشريعية كلها من الطبقة الاخرى فكانت التشريعات كلهاطبعاضد الصعاليك واذا كان « الملأ » طبقة وقتئذ .. طبقة بلا ضمير ولا وازع ، فقد كانت حياة الصعاليك بينهم سلسلة يأس وعذاب ولا تقارن بها أبدا طبقة البروليتاريا الحالية ، بل ربما كانت حال طبقة الارقاء احسن كثيرا من هؤلاء الصعاليك



لان الرقيق بحكم وجوده فى البيت وامتزاجه بأهله يصيبه شيء من الخير الذى يعم البيت ويحتمى بعطف طفل أو حنان ذى قلب بينهم

اذن كان هناك رق اجتماعي بل موت اجتماعي تعانى منه طبقة الصعاليك ألعن كثيرا من الرق المعتاد . وكان امثالهم يعيشون فى شعاب وجحور وكهوف مكة لا فى بيوت . عيشة ضنكة وجوع قاتل بينما يعيش « الملأ » بقرب الكعبة وفى دار الندوة وفى نادى مكة الارستقراطى . ولابد أن ثورات قامت من وقت لآخر من الصعاليك ضد « الملأ » .

فالشعر يسجل لبشر بن المغيرة قوله :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه
وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

ويقول الاعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولكن قطعا لم يحدث حل جذرى بل ولا حتى ملموس وظل الوضع على ما هو عليه .. الى أن حانت ساعة الثورة الاجتماعية الحقيقية .

الشاب الفقير

قامت قافلة لاحدى السيدات وكان على القافلة وكيلها التجارى شاب في العشرين من العمر فقط لم يسبق له ممارسة التجارة • فهذه أول رحلة له • لم تكن الرسالة السماوية قد هبطت على هذا الشاب ولم يسبق له أن تعلم فى مدرسة أو على يد معلم • ولكنه بفطرته السليمة لم يمارس الاعيب التجار السابقة من ربا أو تقديم وتأخير اجل كمبيالات أو احتكار اصناف أو غير ذلك • ومع ذلك حقق عائدا وربحا أكثر مما حققه غيره بالاثم والتدليس والربا •

السيدة التى اختارته وكيلا تجاريا لها ـ وهى السيدة خديجة ـ كانت تعلم انه يتيم الابوين وانه يعيش فى بيت عمه أبى طالب وانه سليل أعرق الاسر المتفرعة من قريش •

ورغم فقر الصبى وضيق حال عمه كفيله هذا الا أن فى الاسرة عما غنيا جدا هو أبو لهب أدرى الناس بوسائل الغش التجارى وامتصاص دماء العملاء (سجل القرآن غناه وان كان لم يغن عنه ماله وما كسب) وكان له عم آخر لا يقل ثراء هو العباس •

ومنذ هذا اليوم وقف الصف الفقير فى العائله مع الشاب ووقف الجانب الغنى ضد الصبى •

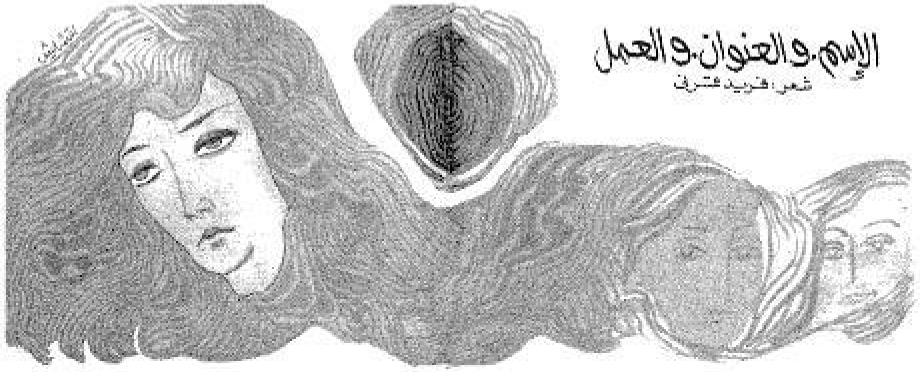
وكانت رحلة هذا الشاب هى كشف وتعرية لوسائل التجار المكيين من كذب وغش تجارى وافلاس كاذب واكل أموال اليتامى والضعفاء من المساهمين فى رأسمال القوافل والتلاعب فى الوزن والمكيال والكمبيالات والبذخ الكاذب •

وظل التجار يراقبون أقوال هذا الشاب وحركاته وغالبا هم الذين منعوا خروجه مرة أخرى فى قافلة أخرى وحاول بعضهم اثراءه للدفاع عنهم فترفع عنهم وحاولوا كل وسائل المضايقة فلم يعبأ بهم •

كان بعيدو النظر منهم يحسون ان البلاد على وشك حرب أهلية بسبب هذا الشاب وأسلوبه المستقيم •

وكان فلاسفتهم والمطلعون على كتب الاولين يسألون أنفسهم : هل نحن ازاء رجل يكون نبيا ؟!

ونزل الوحى على النبى ، وبدأ فى مكة ثم فى العالم كله عهد جديد ●



الإسم والعنوان والعمل

شعر: فريد شرف

أمسي ويومي أنتَ والأمل ... والإسمُ والعنوان والعملُ
وهمومي وهواجسي ومنى ... قلب بحلو هواكَ مشتغل
وحديثي أزهو بها وعلى ... كل الصحاب كأنني بطل
يشدو عليَّ الوجد يفضحني ... رغم التكتم إن همُو سألوا
وغدي المرجى دائما وبه ... عمري بكل الشوق يحتفل
والبلسم الشافي يضمدني ... يأسو جراحاتي فتندمل
والفرحة الكبرى يعانقها ... وجداني المخضوضر الثمل
ومنابع الأحلام منبعها ... بحلى خيالي البكر تكتحل
وعرائس الإلهام ينشدها ... في صبوة .. قيثاريَ الغزل
والرقة المعطاء يلقفني ... نورا .. إذا ما غمت السبل
والمنهل الريان كوثره ... يشفقنا به فنشفى ونكتحل
والدفء إنْ رانَ الصقيعُ على ... دنياي يوما وقمة الجبل
والأمن إن قدري تنكر لي ... وانتابَ قلبي اليأس والملل
والأنس إن أقصى يساحقني ... التوحشان : الهمُّ والوجل
والكلمة الفيحاء شاطئها ... الشهد يقطر منه والعسل
وحبيبي المحبوب لي أبدا ... أسلوه .. لو يتحرك الجبل



الزعيم الاقتصادى

طلعت حرب: كاتب ومفكر

بقلم
علاء الدين
وحيد



غطت شهرة طلعت حرب « ١٨٦٧ – ١٩٤١ » الاقتصادية الواسعة ، على كل جانب آخر في صاحبها . ولولا ذلك لعد طلعت حرب .. من المفكرين اصحاب الاقلام . فهو من القلة من رجال الاقتصاد العرب وغير العرب ، الذي يملك فلسفة واضحة ومنهجا متكاملا .. وبيانا ناصعا وحجة قوية .. تتناول مختلف القضايا ، والتي كانت معالجته لها .. احدى سمات حياته العامة . فقد اصدر ، بجانب مقالاته الكثيرة التي لم تجمع بعد حتى اليوم .. عددا من الكتب ، هي : « تربية المرأة والحجاب » – عام ١٨٥٩ . و (تاريخ دول العرب والاسلام) الجزء الاول سنة ١٩٠٥ . و « قناة السويس » سنة ١٩١٠ .. و « علاج مصر الاقتصادي او مشروع بنك المصريين او بنك الامة » سنة ١٩١١ . و « مجموعة خطب محمد طلعت حرب » عام ١٩٢٧ .

لقد تفرد طلعت حرب بين العظماء .. كما يقول دكتور ابراهيم عبده وعلى عبد العظيم « بتعدد جوانبه وتنوع آفاق التفكير عنده . وتلك ظاهرة تلمسها عنده وهو بعد في صدر جهاده وفي ايامه الاولى وشبابه ، ولازمته هذه الظاهرة حتى تم له تاسيس بنك مصر وعاونته اصدق المعاونة في تدبير أمر هذه المشروعات الكثيرة التي تفرعت عن البنك ومكنت له ان يحيط بدقائقها جميعا على ما فيها من اختلاف وجوه النشاط وتباين عناصره » .

ويكفي ان نشير الى بصماته ، في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، من خلال ما انشا في السنوات :

بنك مصر « ١٩٢٠ » ، شركة مطبعة مصر (١٩٢٢) ، شركة مصر لحليج الاقطان « ١٩٢٤ » ، شركة مصر للنقل والملاحة (١٩٢٥) شركة مصر للتمثيل والسينما في نفس السنة ، ومصر الشركة العقارية المصرية لتنمية زراعة قصب السكر « ١٩٢٦ » . واسس اربع شركات في عام ١٩٢٧ ، وهي : مصر لنسيج الحرير ، مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، مصر لمصايد الاسماك ، مصر للكتان ! ثم شركة مصر لتصدير الاقطان « ١٩٣٠ » . وشركة مصر للطيران (١٩٣٢) . وفي ذات السنة ايضا : شركة بيع المصنوعات المصرية . وفي عام ١٩٣٤ ، انشا اربع شركات جديدة اخرى هي : مصر للتامين ، مصر للملاحة البحرية ، مصر للسياحة ، والشركة المصرية لدباغة وصناعة الجلود . اما في سنة ١٩٣٨ ، فقد اسس ثلاث شركات هي : مصر للغزل والنسيج الرفيع بكفر الدوار ، ومصر للمناجم والمحاجر ، ومصر لصناعة وتجارة الزيوت

هذا الاقتصادي العظيم ، هو الذي نلم ببعض ملامح فكره .. في هذه الجوانب .

جاء القرن العشرون ، وكل البلدان العربية .. واقعة تحت سيطرة الاستعمار التركي والغربي . ومع ذلك فان روح الاخوة ، التي كانت سائدة منذ ظهور الاسلام ، ظلت هي هي ، مع القيود الاستعمارية المفروضة ، وضرورة حمل جواز سفر ، للمرور بين بلد عربي وآخر . ولم يكن يسود روح الاخوة هذه ، شعارات مرفوعة او خلافات مصطنعة .. كما نرى اليوم . بل كان التعايش مع الهموم والآمال العربية بالنسبة الى كل بلد عربي .. حقيقيا .

● في يد كل أمة شرقية أن تصل إلى ما تريد

● ارتقاء الإنسانية على أساس الاتفاق والعدل

طلعت حرب

والتعاطف صادقا .. تستشعره وتعبر عنه الجماهير ، قبل ان تعلنه الحكومات .

ولذا لم يكن غريبا ، أن يحمل زعيم الاقتصاد المصرى محمد طلعت حرب مع الهموم التى يحملها لبلده ، هموم الاقطار العربية أيضا . ويناقشها مناقشة المواطن فى هذه الاقطار .

عندما سافر الى بيروت لاول مرة ، فى يولية سنة ١٩٢٥ .. لم يكن همه الاول التمتع بالسياحة أو دراسة انشاء بنك جديد ، يتبع بنك مصر .. البنك العربى الوطنى الوحيد .. فى الارض العربية كلها ، الذى كان قد انشىء وقتها منذ خمس سنوات .. وسط غابة من البنوك الاجنبية القديمة .. او الاستمتاع بحفلات التكريم التى اقيمت له . بل كان همه الاول ، يقظة لبنان.. الذى كان واقعا اذ ذاك ، تحت الانتداب الفرنسى . وحث اللبنانيين على مقاومة عوامل الاستسلام ، لما يخطط اعداء الامة العربية ولبنان ، فى تثبيط الهمم .. والاقتناع بحتمية تاخر الانسان العربى فى حاضره ومستقبله !

وهكذا خرجت كلمات طلعت حرب ، من مجرد كلمات تعبر عن الاسى والعطف ، الى مشاركة فى المصير .. تبحث عن الحلول للخلاص . مشاركة واعية دارسة بعمق ، الاسباب والمسببات . ولذا كان الحديث من القلب للقلب . اطلع زعيمنا الاقتصادى على تاريخ لبنان ، فعرف ان اهله بلغ عددهم يوما فى القديم .. خمسة عشر مليونا .. بينما هم وقتها ثلاثة ملايين . وكانت ارضهم الخصبة تنبت الكثير ، حتى انها عدت أكبر مستودع غلال فى الامبراطورية الرومانية .. ثم اصبح اهلها يستوردون اكثر ماياكلون من القمح . وكان يستخرج أيضا من ارضهم ، فى عهد الفينيقيين .. الكثير من المعادن ، بينما تجاهل الخلف مافى جوف الارض .

ولما كان طلعت حرب ، يؤمن أن الشعب العريق لايموت .. بل هو حى على الدوام .. لو عرفنا جوهر أعماقه التى تبدع ، وانصتنا الى دروسه وعبر ماضيه .. لنتمكن من استعادة حياته الحرة الكريمة وبعث مازدا مرة اخرى . ولهذا فمفكرنا يقول للبنانيين فى عقر دارهم :

« انكم لا تجهلون انه متى عزمت امة على اصلاح فانه يكفى ان تريد هذا الاصلاح وان تعمل له باخلاص حتى يتم وفق ماتريد . فالارادة القوية التى هى اساس التربية الغربية قد جعلت الغرب صاحب السيادة وذللت أمام شعوبه كل الصعاب ــ وبقوة الارادة، وصدق العزم ، والاخلاص فى العمل ، والايمان بالحق . وبشىء بعد هذا من الكفاءة تستطيع الامم الشرقية ان تنال مكانها الحق الذى ينبغى ان تتبوأه فى الحياة .

« وان فى يد كل امة شرقية ــ مهما كانت الظروف التى تحيط بها ــ ان تصل بقوة ارادتها واستمرار جدها وقوة ايمانها الى المكان الذى تريد أن يكون لها فى الحياة » .

وشارك طلعت حرب متطوعا ، فى وضع الحلول . غير مكتف بالاسهام فى تفجير الصحوة العربية العامة . وهى فى رأيه ، العمل على زيادة السكان ، تخفيف تيار الهاجرة من لبنان ، انشاء بنك قومى لبنانى ، اتساع نطاق التبادل التجارى بين لبنان والبلاد

العربية الاخرى .. خاصة مصر . وكذلك تعميق الصلات الثقافية . استخراج المعادن . تأسيس الشركات التجارية لمختلف نواحى النشاط اللبنانى .

« ونحن المصريين بالذات نعلن انه كما تهمكم شئوننا تهمنا شئونكم . وانه يهمنا ويهمكم على السواء ان تكون الثقافة العربية التى تربطنا بكم اقصى ماتكون من الرقى . وانه يهمنا ويهمكم على السواء أن يكون الاستقلال الاقتصادى امرا واقعا فى بلادنا كما يكون الرخاء ميسورا قائما على قواعد ثابتة فى بلادكم .

وانه يهمنا ويهمكم على السواء أن تكون حركة المبادلة التجارية بيننا وبينكم على أشد ماتكون .

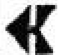
« وما ارتقاء الانسانية العام وتحقيق التضامن الاجتماعي بين اجزائها على أساس الاتفاق والعدل الا نتيجة لازمة لارتقاء كل شعب من شعوب الارض » .

كانت المدرسة ، وبمعنى ادق المناهج الدراسية .. مثار المعارك الطاحنة ، بين الدول الاستعمارية والبلاد المستعمرة . لان هذه المناهج ، سلاح بتار .. يمكنه ان يفسد ويصلح . فهو فى يد الاولى ، اداة تحطم به من الداخل . ارادة الشعوب التى تحتلها .. بتحويل التعليم الى مصنع ، لاخراج الموظفين البيروقراطيين .. بمناهج تستلب من التلاميذ ، الوعى بالوطن والقدرة على تحدى اعدائه .. واليقظة القومية ، والتمسك بالدين . واستنكار الجمود والبلادة والايمان بالخزعبلات . كما تعمل على اقناعهم ، بعظمة الغرب والرجل الابيض والاستعمار . وانحطاط الانسان الاسود والاسمر والاصفر .. وعدم امكانه التوصل لروح الحضارة الاوربية .

بينما يكون نفس السلاح ، اى المناهج التعليمية .. فى موقع مختلف تماما ، فى مفهوم او تخطيط الوطنيين .. فهو وسيلتهم الى الحرية والاستقلال وارتقاء الشعب ، ووقوف الند للند للغرب ، والقضاء على الجهل والاوهام والضعف والاستخذاء .. وكل مايلصق الشعب بالتراب . وطلعت حرب الاقتصادى الوطنى الحر ، كان يدرك جيدا ان معركته فى المجال الاقتصادى .. هى فرع من اصل وجزء من كل . وانه يجب ان يحارب معركته الكبرى والصغرى معا ، والا فانه لن يصل الى شيء . ولذا كان فكره المالى او المصرفى او الاقتصادى ، متصلا أشد اتصال ، بشكل معارك الشعب الاخرى .. من سياسية وثقافية وتعليمية وغيرها .

● طلعت حرب واهتمامه بالتربية والتعليم

يقول فى مأساة التعليم المصرى : ان التعليم لدينا قد سار زمنا طويلا على قاعدة اعداد رجال موظفين خاضعين للرؤساء البريطانيين لا على قاعدة تخريج رجال قادرين على ان يتحملوا مسئولية الاعمال ويزاولوها بقدم راسخة وعزيمة صادقة . فنشأ عن ذلك ان جاءت برامج التعليم صماء جافة تتجه الى العقل دون ان يكون لها منفذ الى القلب او الى اثارة الهمة فى النفوس وتحريكها الى الاخلاق التى هى عماد الرجل فى حياته وركن الامة فى حياتها . وبهذا كان النقص ظاهرا فى دور تعليمنا الثانوى والعالى على السواء . وكان الرجال النابهون الذين خرجوا من هذه الدور نوابغ تفخر بهم البلاد انما خرجوا منها كذلك لاستعداد



طلعت حرب

خارق فى ذكائهم جعلهم يقاومون الفاسد من طرق التعليم » !

كان طلعت حرب كغيره من الوطنيين المصريين ، يرنو وسط الظلام السائد .. من استعمار مستبد وحكم جائر واقطاع ظالم .. ان يقوم التعليم بدوره الحقيقى ، فى خدمة الشعب . وكان الانسان المثقف ، فى الزعيم الاقتصادى .. يدرك بوضوح ، أن المادة وحدها ، لا يمكن أن تقوم عليها عظمة الامم . وأن دول العالم القوية ، اعتمدت على العلم والتربية اولا .. قبل أن يكون لهما موقعها القيادى . ولذا كان مفكرنا ، كثير الدراسة للشعوب الاجنبية المختلفة .. للاستفادة من تجاربها . ويذكر لطلعت حرب فى هذا المجال ، ما كتبه خاصة عن التجربتين الامريكية والالمانية .

يقول طلعت حرب بالنسبة للاولى ، والحقيقة التى يعرفها الواقفون على تاريخ الولايات المتحدة وعلى مختلف نظاماتها الادبية والاجتماعية هى أن الامة الامريكية لا تقل فى عظمتها الفكرية والعلمية عن عظمتها فى الثروة وجلائل الاعمال . فان لها فى تاريخ العلم اثرا مشهودا وفى تقدم الفكرة البشرية جهادا محمودا . ولا عجب فانك لا تجد ولاية من الولايات لا تعنى بالعلم ولا تشجع عليه .

ويتوقف اقتصادينا كثيرا عند مناهج التعليم ، ليقارن المتلقى بين الاتجاه الصحيح فى الخارج والاتجاه الخاطىء عندنا .. « فالامريكيون لا يعلمون ابناءهم ليملاوا ادمغتهم بالعلم ويخرجوهم من المدارس والجامعات ادوات اعمال كما يخرجون الاجزاءالمتشابهة للالة الواحدة من مصانع الفولاذ والحديد . كلا . انما هم يعلمونهم ليفتقوا اذهانهم وليتخذوا التعليم ومعاهد التعليم فرصة لتربية الاخلاق وتعويد المتعلمين على النظام وعلى ضبط النفس بالنفس من غير خشية العقاب وعلى الابتكار والاستقلال الشخصى مع احترام حرية الغير . وبالجملة على اخراج رجال قادرين ان يقودوا انفسهم ويقودوا الغير ويعملوا لانفسهم ويعملوا للخير العام » .

ولان العلم اكبر قيمة فى حياة العقول العظمى ، فهى لاسباب كثيرة .. تلفخر بهذه القيمة فى داخلها وخارجها ، خاصة فى البلاد الاقل علما .. فتقيم فيها مدارسها وجامعاتها ، بينما تهبط هذه القيمة الى الدرك الاسفل ، عند الشعوب المتاخرة .. التى يسود فيها الجهل والتنطع والاوهام . ويقاسى فيها المتعلم والمثقف شظف العيش ! ولا يشجع حتى الغنى فيهم ، العلم أو التعليم .. بعكس مايحدث فى بقية انحاء العالم !

ولقد كان افضل مايجد طلعت حرب فى اسلوب التعليم الامريكى .. « طريقة التربية الاخلاقية التى تبث فى الطالب روح الابتكار وتعوده على الاستقلال وتحبب اليه القيام بالواجب للواجب لاخشية العقاب وتروضه على مبدأ التعاون بين التلاميذ والاساتذة حتى يشعروا انهم افراد عائلة واحدة وكل هذا وسط طلق الهواء تغذى فيه العقول بالعلوم والاجسام بالالعاب الرياضية والاخلاق بالفضيلة الشخصية والفضيلة الاجتماعية . وسط لا ظلام فيه فتنشأ النفوس صريحة . ولا قيود من التعسف تحوطه فتربى النفوس على الحرية الصحيحة » .

واذا كان طلعت حرب ، قد كتب هذا الراى عن التعليم الامريكى

فى عام ١٩٢٤ . فقد نشر قبله فى سنة ١٩١٦ ، رايه من التجربة الالمانية .. التى لم تكن بالنسبة الى التعليم العام او الجامعى ، بل بالنسبة الى التعليم التجارى . وقد جاء ذلك ضمنا ، فى التقرير الذى كتبه ورفعه الى لجنة الصناعة والتجارة المصرية ، كعضو فيها .. بناء على طلبها ، لتشجيع الصناعة والتجارة فى مصر .

ويدخل فى اهتمام طلعت حرب بالتربية والتعليم .. الالتقاء بالطلبة المصريين فى الخارج .. اثناء زياراته لاوربا ، للعمل او للسياحة . فقد كان يستشعر مسئوليته الابوية ، فى ضرورة الاطمئنان على ابناء مصر .. الذين يدرسون فى جامعات بلاد بره . وكانت لقاءات الاقتصادى المصرى الكبير هذه .. تعد من امتع الاوقات لدى هؤلاء الطلبة . لان طلعت حرب كان من اقرب ابناء جيله للشباب .. وفهماً لهم . وتبعد كلماته لهم ، عن الرسميات او النصائح التقليدية .. التى لا جدوى منها . او الالفاظ المحفوظة ، التى لا تقول شيئا حقيقياً ..

ولذا كان لقاؤه بهم جميعا ، يعرض نواحى الضعف والقوة فى سلوكهم .. وجدهم ولهوهم . ثم يتجاوز الخاص الى العام ،متجرا من القضايا ، مالا يزال يناقش حتى اليوم . ومن هذه القضايا ، حديثه يوما الى الطلبة المصريين فى باريس .. حامدا موقفهم من اختيار فرنسا . تنويعا لمصادر التعليم ! فقد كان المستعمر الانجليزى ، الذى يحكم مصر مباشرة او عن طريق عملائه .. بيد من حديد . يخطط بدهاء ، ليكون احتلاله لمصر ابديا . خاصة باصطناع الاصدقاء من المتعلمين ، وذلك عن طريق ارسال بعثات الطلبة ، الى انجلترا .. وليس الى بلد آخر .. حتى يكون من تعاطفهم مع الحياة البريطانية والتعليم البريطاني .. مخففا لكثير من كراهية المصريين التقليدية لحتليهم . ان لم يكن يدفعهم دفعا ، الى اتخاذ القيم الانجليزية نفسها .. قدوة .. فى حياتهم الخاصة والعامة معا . وبذلك يكونون اليد اليمنى للمستعمر ، بعد تخرجهم .

الذ كانت دعوة الوطنيين المصريين ، الى تنوع مصادر البعثات التعليمية .. تهدف بالدرجة الاولى ، فضرب المخطط الاستعمارى ، لصالح حركة اليقظة .. الرانية الى الحرية والاستقلال .

يقول طلعت حرب ، فى سبتمبر سنة ١٩٢٥ .. متحدثا الى الطلبة المصريين فى الخارج : « أن تعدد الجهات والامم والدول الاجنبية التي يقصد اليها الطلبة المصريون مرغوب فيه اكثر من توجيه ابنائنا المصريين الى جهة امة او دولة واحدة . وذلك لان توحيد الجهة التى يقصدون اليها من شانه ان يجعل العقلية المصرية المتعلمة فى الخارج تتاثر بطابع الدولة التى تم التعليم فيها الا لمن استطاع ان يخرج بعقلية مستقلة وهو مالا يكون الا عند جبابرة الذكاء . ولا يخفى ما يترتب على التاثر بطابع التهذيبات فى دولة واحدة من الاثر الذى قد يكون غير محمود فى حياتنا القومية بخلاف تنويع البلدان والدول التى يقصد اليها الطلبة المصريون فان من شانه ان يجعل عدة جماعات من المصريين المتعلمين تعليما عاليا

طلعت حرب

موسومين بسمة التهذيبات المختلفة التى اثرت فى تكوينهم العقلى فيحدث من احتكاكهم فى العمل بعد عودتهم الى مصر اتصال فكرى وعقلى يجعلهم يتقربون بعضهم الى بعض تقريبا يساعد على ايجاد عقلية مصرية ممتازة بذاتها مستقلة فى مجموعها عن اثر الدولة التى استكمل فيها المصرى علومه العالية .

لقد عرف طلعت حرب بتشجيع المواهب ، فى كل موقع ... بمختلف وسائل التشجيع ، حتىبارسال البعثاتالى الخارج ، كما فعل مثلا بالنسبة الى مانحتاج مصر وستوديو مصر ، من عاملين فى السينما .. خاصة فى الاخراج . وكانت صلاته الوثيقة المبكرة بكثير من قطاعات الحياة المصرية .. تتيح له أن يتعرف علىأصحاب المواهب . فلا يكتفى بكلمة تقال بينه وبين الشاب ، بين اربعة جدران .. بل هو يشيد بالموهبة الشابة فى كل مكان . ويعمل على تزكيتها ومعاونتها قدر مايستطيع . وما أكثر الاسماء التى كانت صغيرة ، وكبرت بفضل طلعت حرب . تدين له بالظهور والسطوع فى الحياة المصرية .

● اللغة العربية يجب أن تكون لسان العلم فى مدارسنا

● وحدة اللغة جزء من معنى الأمة

العربية لغة حضارية

اذا كنا حتى اليوم ، اى فى ثمانينات القرن العشرين .. لانزال فى بعض كلياتنا العملية ، نعتمد على اللغة الاجنبية فى دراسة الوان من العلوم .. فالحال بلا شك اسوأ عشرات المرات ، قبل ذلك فى بداية القرن العشرين .. والاستسلام شبه تام ، عند الكثيرين ، للتعريس باللغة الاجنبية .. الذى لم يكن فحسب فى المدارس العليا ـ التى تحولت بعد ذلك الى كليات ـ بل فى المدارس الابتدائية والثانوية ايضا ! وكان هذا الاتجاه الاثيم ، يعكس فى المقام الاول .. سيطرة المستعمر الانجليزى ، على مقاليد البلاد .. وتغلغل الاجانب فى كل كبيرة وصغيرة ، من امور الشعب المصرى . مما جعل لغة الخواجات ، تسود على اللغة القومية .. حتى فى الطريق !

وبرغم ذلك ، كان الوطنيون المصريون .. يدعون الى ان تكون العربية ، اللغة الحضارية العريقة .. هى لغة التعليم .. وتحل محل لغة المستعمر ، او اللغة الفرنسية . وشكلت هذه الدعوة ، احدى المعارك الحاسمة ضد التخلص من الاحتلال . ومجابهة المؤامرة الدنيئة ، التى تستغل العلم .. لقطع الاواصر بين الشعب ولغته القومية ، لتحطيم احد مقوماته الهامة ، التى تربطه بدينه وارضه . وكانت حجة الخصوم من الاستعماريين الانجليز ومن يجرى فى فلكهم ، أن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب العلوم العصرية ! وهى نفس الحجة ، التى لايزال البعض يرددها اليوم !

« استقلال اللغة مظهر استقلال الذات ، ووحدة اللسان جزء من معنى الامة ، واتحاد البيان سبيل الى توحيد الراى والهوى والثقافة . فاذا سمعت امرأ يتكلم غير لغته من غير ضرورة ، او يلهج غير لغته من غير مناسبة ، فلا يخامرك شك انه كذلك فىخليقته وعقيدته ونمط تفكيره واسلوب عمله . واذا رايت امة تدير فى افواهها السنة الامم ، وتستعير فى اعمالها دلالات الناس ، فلا تتردد فى الحكم عليها بالتبعة الدنية والعبودية الادبية والوجود الملفق .

« نريد العربية ان تكون لسان العلم في المدارس الاجنبية ، وفي كليات الجامعة المصرية ، فان التعليم باللغة الاوربية ينقل بعض الافراد الى العلم » ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العلم الى الامة » . « احمد حسن الزيات ـ « الرسالة » ـ عدد ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ » .

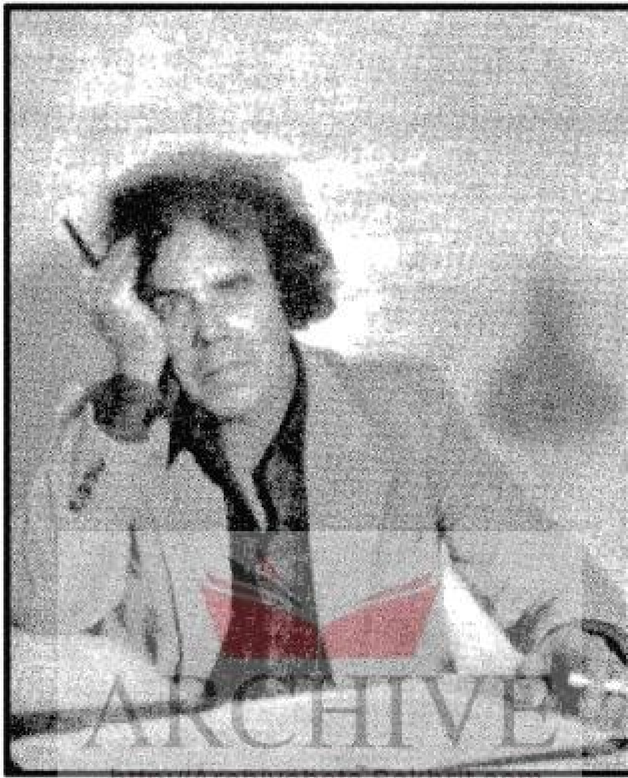
ويكون طلعت حرب من الوطنيين ، الذين يرفضون منذ وقت مبكر .. اكذوبة قصور العربية ، عن أن تكون لغة حية متطورة .. صالحة لاحتواء العلوم والفنون والاداب الحديثة ، كما كانت يوما في تاريخها المجيد ، واصحابها يشيدون حضارة عالمية .. استمرت قرونا . كان اقتصادينا يؤمن بذلك حتى قبل عام ١٩١٠ .. عندما فكر لاول مرة في انشاء بنك مصر ، ودعا اليه ولم يوفق لان الظروف لم تكن مناسبة . ولمازالت هذه الظروف ، واستطاع ان يفعل ذلك .. بعد عشر سنوات .. قرر أن يحقق دعوته في مجال اللغة البنكية ، وكان التعامل يجري باللغات الاجنبية خاصة الفرنسية .. ويجعلها بالعربية ، لاول مرة في المعاملات المصرفية .. على الارض المصرية ! وقد كان .

يكتب طلعت حرب ، عن هذه التجربة .. « ثم نهضت البلاد لتاسيس « بنك مصر » الذي هو أول بنك قومي مصري تاسس باموال مصرية بحتة .. وبادارة مصرية محضة . وقررنا أن تكون المراسلات فيه وبينه وبين عملائه باللغة العربية . وأن تكون حساباته باللغة العربية . فهزأ بنا الهازئون وقالوا : « ان المحاسبة من واردات الغرب . وانها فن من فنونه غير قابل للانتقال الى الشرق بغير لغة من لغات الغرب » . ولكنا اهملنا استهزاءهم واجرينا مراسلاتنا وكتبنا تقاريرنا باللغة العربية واني أؤكد لحضراتكم ـ ولي صلة متينة ببنك مصر وبادارته منذ اليوم الاول من انشائه ـ اننا ماوجدنا اية صعوبة في تعريب معنى من معاني هذا الفن او في تعريب اصطلاح من اصطلاحه » !

ولم يكن هذا الموقف ، هو وحده الذي يعكس .. اخلاص الزعيم الاقتصادي ، في الاستمساك بالعربية ، وجعلها لغة حضارة واستخدام حضاري . بل هناك العديد من المواقف ، لعل اهمها دعوته .. الى انشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ! ولا ننسى له ايضا جهوده في الدعوة الى انشاء الجامعة المصرية في مواجهة المخطط الاستعماري لغمر مصر بالكتاتيب !

يقول مفكرنا في احدى خطبه ، وكانت في حفل التكريم .. الذي اقامه له تجار سوريا ، في دمشق في ٧ يوليه سنة ١٩٢٧ : نعم ان المجمع العلمي العربي في دمشق قد خطا خطوة خليقة بالثناء في هذا الباب . غير ان هذه الخطوة يجب ان تعقبها خطوة أخرى ـ نرجو ان تاتي في هذه الدفعة من جانب مصر ـ وهي تاسيس معهد علمي عام للغة العربية ينضم اليه كل ذي فضل في اصول اللغة ومندوبين اخصائيين في مختلف الفنون والعلوم قادرين على الباسها في ثوب من العربية قشيب » .

ينادي طلعت حرب بذلك ، ايمانا بقدرة اللغة العربية .. على التصدي لكل جديد في العلوم والاداب والفنون ●



چـــان أدرنـــ هـــاالليـــه

أديب يختطف نفسه



● في السنوات الأخيرة تعددت أسباب الاختطاف .. وتعددت أساليبه ودوافعه ... كل يوم تسمع عن حدث اختطاف يتم هنا وهناك اختطاف طائرة فوق السحاب . اختطاف طائرة فوق الارض .. اختطاف فتاة او رجل .. شخصية مرموقة .. او طفل صغير .. قد تكون الاسباب سياسية او لابتزاز المال .. خطفوا ألدو مورو ثم قتلوه .. خطفوا البارون امبان في فرنسا كي يدفع ذووه مبلغا كبيرا من المال .. حدث نفس الشيء مع والد المطرب الاسباني خوليو اجلسياس في الشهور الاخيرة .. لكن ان يقوم كاتب مشهور بتدبير خطة متقنة يتم بها اختطافه هو كي ينتبه اليه وسائل الاعلام فهذا شيء لم يحدث من قبل .. الا للكاتب الفرنسي جان ادرن هاليه ..

« في الساعة العاشرة مساء . وعندما خرجت من مطعم كاوزي دي ليلا . كنت اتناول قدحا من القهوة مع اشخاص مجهولين . لم اجلس هناك سوى بضع دقائق . خرجت الى السينما لرؤية فيلم « المفتش تستود بورما » . لا استطيع ان اروي قصة الفيلم لانني نمت اثناء العرض .. في حوالى منتصف الليل عندما عدت الى سيارتي القى ثلاثة رجال بانفسهم على ودثروني بالغطية .. كنت أعرف أنهم مسلحون . لكنني لم أر أسلحتهم ..

يستكمل هالليه حديثه في محضر الشرطة : « طرحوني أرضا . خلف سيارة مظلمة ربما سوداء وربما هي سيارة فولفو تحركت بنا السيارة حوالى ساعات خمس . ثم دخلنا نفقا .. انه ربما النفق الذي يقع في اول مدينة ليون . هناك قام المختطفون بالنزهة لفترة ليست قصيرة وأنا متدثر بالغطاء حتى لا استطيع ان أحدد موقعي .. ثم قادوني الى منزل مغلق . هناك رجال يرتدون السراويل والبسة بحر تحت سقيفة كبيرة . وضعوني في غرفة بها تليفزيون ومحطة اذاعة اسمع بها محطة « فرنسا انتير » عاملوني معاملة طيبة . ذات يوم قدموا لي سرطان البحر كي آكله .

« لم أر سوى شخص واحد من مختطفي . كان طويلا وذا جلد برونزي . يخفي وجهه خلف نظارة سوداء كبيرة كانت تبدو عليه ملامح اهل كورسيكا او مارسيليا . قال لي انه قد تم اختطافي لانني حليف وصديق للحكومة الاشتراكية او الشيوعية – وانه يدافع عن قضية افغانستان وانه يأمل ان افعل اشياء كثيرة من اجل نضال الافغان .

« وبفضل اسلوبي اللطيف . نجحت في اقناعهم باطلاق سراحي . وضعوني في سيارة وانا منبطح على بطني في العلبة الخلفية . وبعد سفر طويل تركوني في الساعة الواحدة صباحا في نويللي . اشرت لاحدى السيارات العابرة وركبتها » .

ومن ملفات التحقيقات التي اجرتها الشرطة ثبت ان هالليه كان في مكان بعيد جدا من باريس .. وانه اثار حوله هذه الحالة من الاحداث كي يثير مجموعة من الأقاويل حوله . لكن لماذا يفعل ذلك ؟ هل هو كاتب اشتراكي يريد الدفاع عن قضية الشعب الافغاني الذي تحتله القوات الروسية منذ عدة سنوات ؟ أم انه يريد ان يقفز فوق صفحات الصحف والمجلات مثلما حدث بعد اختطافه ؟

أديب يختطف نفسه

جان اورن هاليه كاتب متعدد المواهب فهو كاتب سياسى وروائى . وصاحب دار نشر . وصحافى يكتب فى العديد من الصحف والمجلات الباريسية الكبرى. اذن فهو ليس فى حاجة الى هذه الضجة .. فقد ازدادت شعبيته فى الاشهر الاخيرة من خلال كتبه ومقالاته .. قام بتاسيس مجلة . « مثل كل » مع الاديب المعروف فيليب سللورس . و « كراسات الفتن » مع دومنيك دور عام ١٩٧٤ . ثم اصدر صحيفة « الحدث » « لاكسيون » و « الغبى العالى » .

وقد استطاع هاليه أن يلمع الحياة الادبية والسياسية الفرنسية منذ ستة اعوام من خلال انشطته المكثفة .. ويبدو انه قد لجا الى مثل هذا الحدث كى يزيد من نفوذه وشهرته كى يعطى للقضايا التى يدافع عنها المزيد من الاصالة .. فقد اشترك هاليه فى الدفاع عن حقوق الانسان . كما اشترك فى الوقوف بجانب الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران

واذا كانت شهرته تاتى من كتاباته السياسية فقد نشر سته روايات هى « مغامرات فتاة » ١٩٦٣ و « الكاتب الكبير » ١٩٦٧ ثم « قضية الشعب » ١٩٧٢ . ثم « احـزان حب » ١٩٧٤ و « اول من ينام يوقظ الاخر » ١٩٧٧ . واخيرا فى العام الماضى « نهاية القرن » كما نشر مجموعة من الدراسات السياسية مثل « كل صباح يشرق بعد درس شجاعة» عام ١٩٧٨ و « رسالة مفتوحة الى التل البارد » ١٩٧٩ . و « هجمى فى جنوب شرق آسيا » عام ١٩٨٠ . اما احدث كتبه التى نشرها فى مايو ١٩٨٢ فهو « صلوات من اجل شباب لا جذور له » يتحدث هاليه حول نفسه قائلا : اعرف فى نفسى الشجاعة والفكر والارادة القوية .. احب ان ارتبط بالاشياء وبقوة ولن اطلق آخر ما بقى لى من زخائرى على عدو عشرات المرات » انه رجل يعيش عصره ، لم يكف من الحلم فى تحرير بودابست من القوات الروسية عام ١٩٥٦ . قيل عنه انه كاتب يدافع عن وجهة النظر الروسية . فهو كاتب سريع الانتقال من الفكر اليمينى الى اليسارى وبالعكس . انه يدافع عن الظلم اينما كان ، سواء مارسه هؤلاء ام ذلكم .. فكما دافع عن الروس ناضل ضدهم .. وكما ساند اليمينيين هاجمهم ولعن سلوكهم .. يقول « افضل مافى حياتى هو الكتب » ..

يقول هاليه الذى تخطى الاربعين عن نفسه : « لم اقدم بعد افضل ماعندى . اعرف اننى يمكننى أن افعل الكثير من الاشياء على افضل مايكون . فى سن العشرين كنت شاعرا . وفى الثلاثين كاتب مقال . اما فى الاربعين فيجب أن اكتب رواية . لا اجهل اننى فقدت عشر سنوات من حياتى ظهرت فيها على الشاشات الصغيرة . لكن التليفزيون لم يفقد هذه السنوات من اجلى . مثل الميدان العام اليونانى الذى يلتقى فيه الفلاسفة الكبار » .

فى روايته « نهاية قرن » يتتبع طائرة كانت تنقل ادوية بصورة عاجله فى الثالث عشر من اغسطس — عام ١٩٧٩ من احدى المناطق بايرلندا الى بانجوله بنيبال . هنا الخبر حول للالمانة فيتنامى يلجاون الى اوربا .. تنقل الطائرة المتجهة نحو شرق اسيا نماذج عديدة من البشر ، فمنهم بيير للاشو الباحث الاثرى القادم الى اسيا باحثا عن الماضى . ولكنه

بدلا من التنقيب عن آثار خلفها الاجداد فانه ينغمس فى معرفة ومعايشة فظائع الحاضر .. وهناك تولهر مدير منظمة اليونيسيف العالمية . ورجل دين بوذى يدعى شاوبايا يعلن للركاب أن الحضارات الحديثة . مرت بثلاث مراحل . البدائية والمسيحية . ومرحلة المدنية . انها مرحلة التنوير والوطنية . ونحن اليوم ندخل المرحلة الرابعة وهى مرحلة الصيدليات .

« الكاتب يعني بالمرحلة الرابعة . انها تلك المرحلة من الحضارة التى يسود فيها عنصر الكويون . لقد اصبح العالم يتحكم فى مصائر بعض البعض . دول فقيرة الدماء واخرى يصاب اهلها بالتخمة .. ياكل البشر بعضهم البعض ويتحاربون فى افغانستان والارجنتين واوغندا وكمبوديا .

انها حرب لا هوادة فيها . وكل من فى الطائرة يمثل نموذجا لما يحدث من عبودية الانسان لاخيه الانسان .. كولهر الذى ياكل البيض النيىء .. مارك المسوس مثل ابطال دستويفسكى . وليزا التى تحس بالمهانة كامراة . انها اشبه بالام تيريز التى نالت جائزة نوبل للسلام منذ عامين . فيحاول الجميع ويتناقشون عندما تصاب الطائرة فجاة بعطب . لكنهم ينسون كل شىء عندما حطت الطائرة فوق ارض المطار وذهب كل منهم الى حاله ..

اما أحدث كتاب نشره هالليه بعنوان « صلوات من اجل شباب لا جذور له » فيقول عنه جورج سوفير فى مجلة لوبوان « ١٠ مايو ١٩٨٢ » انه افضل كتب هالليه . ويؤكد الناقد ان هالليه انسان لا يغتسل ابدا . والكاتب فيه يحاول ان يدخل الى نفسه اكثر ... يحاول ان يرد على كتاب الفلسفة الحديثة الذين ظهروا فى السنوات الاخيرة فى فرنسا مثل لوسيان بودرو اندريه جلوكسمان وبرنار هنرى ليفى .. يقول ان الفلسفة الحقيقية هى فى النفس ، فى شدو بلبل او فى بساطة تنشدها يتحدث الكاتب حول أبيه الذى تعدى الستين من عمره . وعن هؤلاء الجوعى فى ايرلندا .. انهم يموتون بارادتهم وهم يضربون عن الطعام احتجاجا ضد رئيسة وزراء انجلترا .. ثم عن الشعب البولندى الذى اغتالته السلطة العسكرية فى الثالث عشر من ديسمبر الماضى .. ان حقيقة اوربا الان تتمثل فى هذه الاحداث التى تمر ببولندا او لبنان « لقد اجتثت الانسان من راسه فى جلوس السماء . انها شجرة تسير وتفكر . تلك التى تأتى من اعلى هى رائعة وهى تطبع علامة ها .. بعيدا من الواجبات السماوية والبشرية . نحن المجتثون الجدد فوق سطح الارض . هذه التفاحة العطبة التى تنخر فيها الدود » .

يبقى السؤال الذى طرحناه فى اول المقال .. فبعد ان اعلنت جهات الامن المختصة ان حكايات هالليه حول اختطافه متضاربة ولا أساس لها من الصحة ثم اتهمته بازعاج سلطات الامن لماذا يفعل كاتب مشهور هذا الامر . ولماذا يختلق حوادث حول نفسه ..؟ لقد طلب عقد مؤتمر صحفى بمجرد وصوله الى منزله ولاحظ الموجودون انه لا توجد ثنية واحدة بملابسه بالرغم انه قد اطلق لحيته . لماذا يفعل هذا ؟ انها احدث وسيلة للمفكر يتحدث حول نفسه فى اعماله .. ويحاول ان يجعل الاخرين يتحدثون عنه فى وسائل الاعلام او داخل بيوتهم او مكاتبهم .. وغدا سوف تسمع اشياء اخرى اكثر عجبا ●

محمود قاسم

جولة المعارض

بقلم: محمود بقشيش

معـــرض الفنـــانين الـــراحـــلين !!

● بادر المركز القومي للفنون بتنظيم معـــرض لاكثر من عشرين فنانا راحلا ، وقد ضم المعرض اسماء الفنانين الرئيسيين في الحركة التشـكيلية المصرية منذ ميلادها . وهذه هي المرة الاولى التي تحتشد فيه هذه الاسماء دفعة واحدة ، وفي قاعة عرض واحدة .

هذه المحاولة نرجو لها طول العمر ، اى تصبح اتجاها يســتحق التاييد الكامل ، فاتاحة الفرصة لعيون جديدة للتــلاقي مع ابداعات اعظم فنانينا عمــل يجب الترحيب به ، ومن هنا يتعين تســجيل ملاحظتين اساسيتين مع تقديم بعض الاقتراحات .

● الملاحظة الاولى حول اسم المعــرض « معرض الراحلين » ، فالعنوان يوحي باننا مقبلون على حفل تابين وليس لقاء حيــا مستمدا من الحيــاة الدائمة لابداعاتهم ، وبالمقارنة فان الدول المتقدمة تقيم لعظمائها من الفنانين المتــاحف ، ولو تعاملوا مع فنانيهم بنفس منطقنا لاطلقوا على متحــف اللوفر والارميتاج وغيرهما من المتــاحف ، بمتاحف الراحلين !!

● الملاحظة الثانية هي ان المعــرض لم ينظم بصورة جيدة ، وبمعنى ادق لم ينتخب من بين اعمال الفنانين الا اشدها ســوءا ، ولو كلف الموظفون انفسهم ببعض الجهــد لكانت النتيجة مختلفة ، خاصــة ان من بين العارضين من توجد اعمــاله في متحف ، وبعضهم اقيم لهم معارض منذ شهور آخرها معرض الفنان عبد العزيز درويش الذى اقيم منذ شهر بمتحف محمد محمود خليل ولكنهم اختــاروا من بين اعماله لوحة كان قد رسمها ايام كان طالبا بالكلية .

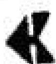
● هل كان عسيرا على المســئولين ان يختاروا اختيارا جيدا ؟! هل كان المعرض موضوعا في الخطة ام انه تبت فجــاة في الاذهان فتقرر هذا التجمع العشوائي ؟!

لماذا لا ترتبط النيه الطيبة بالعمل الجاد ، والتخطيط الصحيح ؟

● كان من الممكن ان يخرج المعرض من اطار التابين الى اطار الحدث الثقافي الهام ، لو صوحب بالعروض السينمائية التسجيلية التى اخذت لبعض الفنانين العارضين ، وعرض شرائح ملونه لابداعاتهم واقيمت النــدوات والمحاضرات ، وبدلا من الكتــالوج الهزيل الذى يضم لوحات لم تعرض ، كان يجب تقديم دراسات عن ادوار هؤلاء الفنانين ... كان من الممكن ايضا ان يصبح هذا الاهتمام اهتماما شعبيا عن طريق وســائل الاعلام المختلفة ..

"الكلمات .. الحروف" في معـرض حجـازى

اقيم في قاعة عرض المركز المصرى للتعاون الثقافي الدولى معرض للفنــــان « محمد رضوان حجازى » ، وينضم الفنــان الى عدد من الفنــانين المصريين والعــرب المهتمين باستخدام الــكلمات المقروءة أو احرف الكتابة في صياغات تشكيلية . وقد



لوحة للفنان حجازى

جولة المعارض

ازداد عدد فنانى الكلمات والحروف خلال السنوات العشر الاخيرة ، وقد ظهرت معارض استعار فيها اصحابها آيات كاملة من القرآن الكريم او اسماء الله الحسنى ، واقاموا منها صياغات تشكيلية وقد اختلفت دوافع هؤلاء الفنانين ، فمنهم من لجأ الى استخدام الكلمة والحرف رفضا للشخص ولجوءا للمجرد ، ومنهم من توقف عند المعطيات الجمالية لاشكال الخطوط الكلاسيكية ، ومنهم من كان مدفوعا الى ما يرى انه تاكيد للطابع القومى . وعلى كل ، وايا كانت الدوافع فالنتيجة هى الالتفاف داخل دائرة الشكل ، فقد اقتلع هؤلاء الفنانين الكلمات والحروف من ملابساتها التاريخية ، ووقفوا عند حدود معطياتها الشكلية .

ويدخل الفنان حجازى سوق الكلمات والحروف محملا بطموحات الصالة الجديد عارضا حصاد تجربته فى معرض ، بعد عودته من الكويت حيث استقر هناك ست سنوات . قدم الفنان نحو ثلاثين لوحة بخامات مختلفة تكاد ، للوهلة الاولى ، توحى بانها لاكثر من فنان . قد يكون الدافع لهذا هو ان « سوق » الكلمات والحروف صعب، ففنانوه يتزايدون كل يوم ، وعلى الفنان الجديد ان يقدم جديدا .

تارجح موقف الفنان حجازى من شكل الحرف بين التقليد والابتكار ، كما تارجح التصميم بين التراكيب الهندسية الواضحة كشكل الدائرة الكاملة ، داخل المربع الكامل ، وبين التداعيات التى لا يحكمها نظام ، مستعينا بالاساليب المعاصرة فى التصوير .

وافضل لوحات المعرض ، فى تقديرى ، هى تلك التى ابتعد فيها عن الالوان المذهبة او المفضضة واستخدم فيها خامة الزيت ، حيث تخلف من الحس الزخرفى ، وبلغ درجة عالية فى الاداء التصويرى ، ففى لوحة من اللوحات يفتت الكلمة الى احرف متداخله فى مستويات مختلفة ، ودرجات لونيه متداخله ، والاحرف فى مجملها تاخذ شكل مربع داخل مربع ، او ايقاعات لحرف (ا) ، (لا) فى لوحة تذكر بالتراكيب المعاصرة للفن (الاوب) ، وكلمة اخرى تبدو كما لو كانت حركة فى حلقة ذكر متداخله فى استدارات الا نهائية ، تشاركها خلفية شفافة تلتحم الكلمة ، وتبرز الوان الارضية فى مواضع مختلفة من الكلمة .

اقترح على الفنان ان يطور هذا الانجاز ، ويركز عليه ، املا فى الوصول الى شيء جديد ومتميز فى تلك الساحة المركبة ، ساحة الكلمات والحروف !

حوار المائيات والمعادن

شهدت قاعة عرض اليلية القاهرة للفنانين والكتاب معرضا مشتركا للفنانين عدلى رزق الله ، وسوزان المصرى . قدم عدلى « مائياته » التى عرف بها ، وقدمت سوزان المصرى عرضا للحلى من الفضة والمنيا .. وقد تساءلت ، لماذا تم اللقاء بين مائيات عدلى ومعادن سوزان ؟ ، وكانت اجابتان ، اجابة من الفنان عدلى ، واجابة اخرى من الاعمال المعروضة نفسها .

قال عدلى ، ان المعرض المشترك يعطى الفرصة للفنان لاقامة اكثر من معرض فى الموسم الواحد ، ثانيا ، لقد قرر التفرغ للفن ، بجهده الخاص ، وهذا يتعين – على حد قوله – ان يراهن الفنان على نفسه ، ان يثق بها ثقة كاملة ، وان يطرحها للجمهور، ولا شك انه يستطيع بعد ذلك ان يكسب عيشه من الفن ! ، وبذلك يكون الفنان عدلى قد انضم الى العدد القليل جدا من الفنانين



المصريين الذين نجحوا فى تكوين مشترين لاعمالهم الفنية ، وان يتفرغوا بعيدا عن ادارة التفرغ .

« مائيات عدلى »

يواصـــــل الفنان « عدلى رزق الله » باصرار تقديم احلامه الساحرة فى لوحات مائيه ، تتميز بالذاب الشديد ، والاحتفال بالجـــو اللونى الشفاف ، مهتمـا بعنصر النبات الذى يبدو فى لوحاته متجاوزا حدود المألوف ، الى حدود الرمز ، فالاشـــكال النباتيه تتوحد مع اشـــكال رحم المرأة ، وتظهر فى اشكال جديدة ، موحية بالخصوبة، ذائبة فى خلفية اللوحة ، او متخللة منها ، متحررة من الجاذبية الارضية ، متخففة من الصلابة ، سابحة فى الوان ورديه . اللون هو البطل فى لوحات عدلى ، يتحرك ناعما فوق سطح اللوحة ، منفذا بدرجة عالية من البراعة ، عاكسا استماتة من اجل خلق العالم الذى يريده ، واجمالا ، فان المتلقى ، المتابع لمعارض « عدلى » يلتقى بمستوى يتزايد فى الاداء بصورة مستمرة .

« حلى سوزان »

ثمة صلة بين الانتاجين رغم الاختلاف الخامة، فالمثير الجمالى واحد : هو النبات . استعارت الفنانة اشـــكالا نباتية ، نفذتها بمعدن الفضة كما استخدمت المنيا ببراعة . ابتدات الفنانة تجربتها مع الحلى باستخدام الوحدات الزخرفية الشعبية ، فى أشكال مسطحة ، مليئة بالفراغات الزخرفية ، ثم تخلصت من هذا واتجهت الى الاشكال المجسمة ، ولجات الى الطبيعة مـباشرة ، وعلى الرغم من ان الفنانة قد وضعت فى اعتبارها الغـــرض النفعى من تلك الاشـــكال ، الا ان هذه الاشكال يمكن ان تشـــاهد كاعمال فنية مستقلة .

ان المعرض فى مجمله يتسم بالاناقة ، وارتفاع مستوى الاداء ، والفائز فى النهاية بطبيعة الحال : الجمهور !

جاذبيه ســـرى ونـــبض المدينـة



جاذبية سرى

اقامت الفنانة جاذبية سرى معرضها الثالث والاربعين بقاعة جوته بالقاهرة ، فى التصوير والحفر . والفنانة جاذبية سرى من اكثر فنانات مصر نشـــاطا ، وغزارة فى الانتاج ، لايكاد يمر عام حتى تكون قـــد حملت لوحاتها ، وما يستجد منها اثنـاء السفر ، الى اوروبا وامريـــكا وكندا .. تعرض احلامها الملونه .

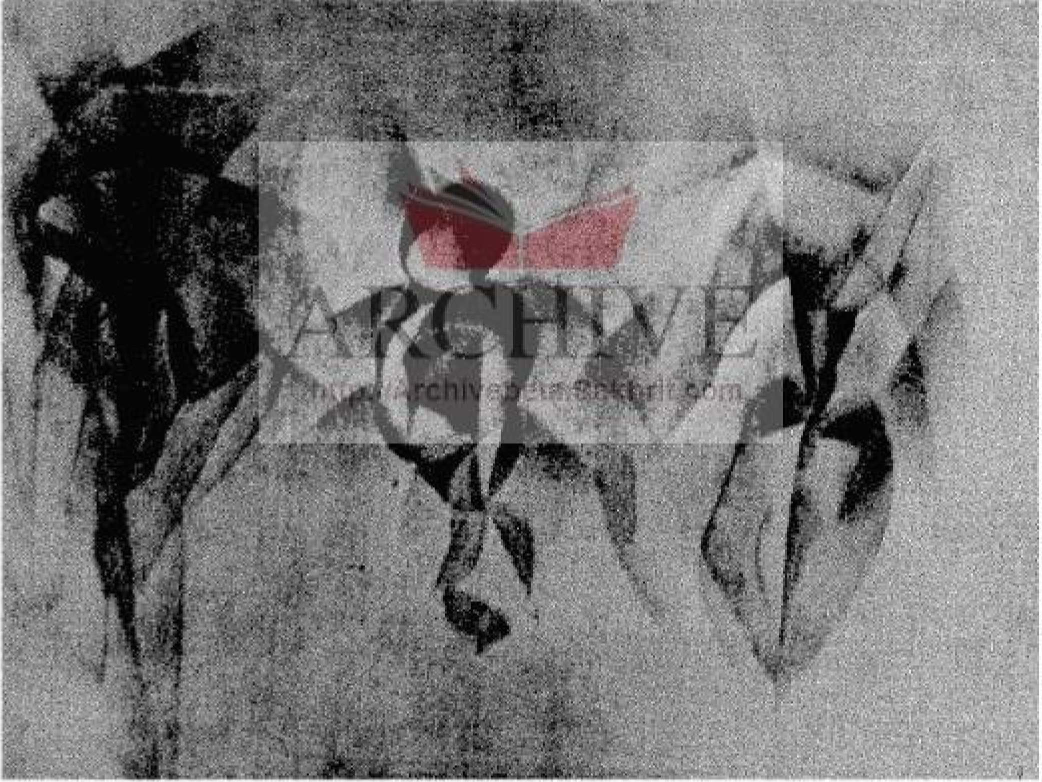
يحمل معرضها الاخير بقاعة جوته عنوان « نبض المدينة » والمدينة هنا هى مدينـة القاهرة بزحامها المرعب ، وتوترها الدائم ، ونفورها من الراحة والهدوء ، وتحـــرص الفنانة على الاحتفاظ ، عبر رحلتها الطويلة ، بعنصرى : البيت والانسان ، وان ظهر عنصر ثالث فى فترة سابقة هو عنصر الصحراء ، الا ان البيت والانسان يظـــلان عنصرين اســاسيين . ويتغير موقع كل عنصر من الاخر .. فتارة يكون الانســـان مرئيا ،

واضحا ، محدد المعالم ، يتواجد فى العالم الداخلى للبيت ، الى جوار السرير ، خلف النافذة ، أو يخرج عن البيت .. الى الحارة ممثلا فى لهو الأطفال ، ثم يتوحد بعد ذلك مع البيت بصورة يستحيل فصلهما الواحد عن الآخر ، فترى النوافذ والابواب ترسم ملامح الانسان ، فاذا ما تهدم البيت او اهتز انعكس ذلك بشكل حاسم على الانسان

وفى معرضها الاخير تقف امام تداخلات لونية ، وخربشات على مسطح اللوحة وحركة للفرشاة والسكين .. لاتكاد تنتهي ، ويملأ هذا الصخب اللوني كل مسطح اللوحة بحيث لا يترك ثغرة واحدة هادئة . اننا أمام معجنة لونية تلتهم البيوت والبشر ، ولا تترك فى الساحة الا الآثار المعركة . ان الانسان فى معرضها الاخير ملتهم ، منسحق ، ومع ذلك ، او رغم كل ذلك لا تملك ونحن نتأمل الألوان الصريحة ، البهيجة الا ان نبتهج رغم المأساة .

الخنساء

من اعمال عدلى رزق الله





لوحة من اعمال جاذبية سرى

معرض فتحى أحمد وثراء اللون الأسود

● شهدت قاعة عرض اخناتون بمجمع الفنون افضل معارض الفنان فتحى احمد ، واراني قد بادرت باصدار حكم على المعرض منذ السطر الاول لانني فوجئت به ، كما فوجيء به عدد من النقاد ، وكنت قد شاهدت بعض لوحات المعرض متفرقة فى معارض جماعية فلم تثر ما اثارته عند لقائها محتشدة فى قاعة عرض واسعة مثل قاعة اخناتون . وقد قدم الفنان فى مقدمة الكتالوج تصحيحا للخطا الشائع لكلمة حفر لانها تقدمته مرحلة من مراحل العمل الفنى ، بينما الاسم اللاتينى « جرافيك » يعنى فن طباعة الاسطح المعدنية او الخشبية او الحجر أو غير ذلك من الوسائط . الا اننى مع ذلك سوف استخدم كلمة « حفر » ،لان معناها الشائع قد تجاوز حدود دوريات مجمع اللغة العربية ، واصبحت تعنى كل مراحل العملية الفنية .

قدم الفنان فى معرضه مرحلتين : مرحلة تقترب من الطابع الاكاديمى الوصفى وهى امتداد طبيعى لدراسته فى كلية الفنون الجميلة قسم الحفر . ويصور فيها الفنان حركة البناء والتصنيع ، وبناء السد العالى ، وغير ذلك من المواضيع التى كانت تعكس اهتمام الفنان بالواقع المباشر .

اما المرحلة الثانية فهى المرحله التى برزت ، فى الحقيقة ، اقامة معرض ، وان عكست المرحلتين معا اهتمام الفنان بقضايا المجتمع المصرى ، وحرصه على التعبير عن همومه فى لوحات تعبيرية رمزية اتسمت بالحرارة فى الاداء ، والعفوية ، والجراة ، وقد اختار الفنان اللون الاسود فقط ، ويرى فيه حسب تعبيره: « غنى وثراء لا اجده فى الالوان مجتمعة » ، كما اختار الحفر على الخشب الطولى المقطع للاثار التى يتركها على الورق سواء فى الاشكال المحورة او الفراغات المحيطة ، او داخل الشكل ، فهى تبدو حادة ، تشارك الاشكال الاساسية توترها ، والفنان يستخدم اسلوب « القناع » ـ شأن المسرح ، فهو يستلهم التراث الفرعونى بالذات ، ويحاول أن يسقطه على لحظة الحاضر ، كما يستفيد من الصياغات التشكيلية فى الرسوم الجدارية ، او يضعنا امام مقابلات مفجعة ، مثل لوحة طفل وسيدات محميات ، او لوحة الصعود والهبوط .

والفنان « فتحى احمد » شأن الفنانين التعبيريين فى استلهامهم الفنون الكلمة ، فيصور للشاعر صلاح عبد الصبور الصائد ، وقد عمل الفنان لفترة فى رسم دواوين الشعر والقصة .

أننا نحيى هذا المعرض ، ونتوقع ان نلتقى بمفاجات جديدة هذا الموسم الذى ابتدأ بداية جيدة من حيث المستوى .

سينما..

أولاد النجوم ** نجوم

ظاهرة تجتاح السينما العالمية

بقلم: عبد النور خليل

● روت لي فناتنا العربية فاتن حمامه ـ سيدة الشاشة ـ أن من بين أحلامها الدائمة منذ طفولتها هو أن تمشي في الطريق، وتتجول مثل سائر الخلق، وتقف أمام فاترينات المحلات، وتدخل أي محل عام دون أن يتجمع حولها الناس ويضيقون عليها الخناق ويرغمونها على الفرار هاربة .. لقد كانت فاتن منذ السادسة من عمرها .. ومنذ ظهرت أمام عبد الوهاب في فيلم « يوم سعيد » في دور الطفلة أنيسة، طفلة مشهورة غير عادية، يطاردها الناس في الطريق ويتجمعون حولها في اعجاب، فضلا عن زميلاتها في المدرسة فهي لم تكن تلميذة عادية، لقد ظلمتها الشهرة وأفسدت عليها طفولتها .. تلك هي ضريبة الشهرة الباهظة، ونفس الضريبة دفعتها ناديه ذو الفقار، بنت فاتن حمامه .. فمنذ ولدت لاحقتها عدسات المصورين وتقصى الصحفيون اخبارها، ولم تعش طفولة عادية أبدا، خاصة عندما شبت عن الطوق وظهرت في فيلم « موعد مع السعادة » مع أمها سيدة الشاشة العربية فاتن حمامه وعماد حمدي، وكانت ناديه تشكو ما شكته فاتن من انها لا يمكن ككل الخلق تتجول في طريق عام او تقف أمام فاترينة كما تفعل كل البنات في سنها ..

اعتقد أن هذه المقدمة ضرورية جدا لايضاح تلك الظاهرة التي نراها الآن في السينما العالمية بوضوح .. وهي ما يمكن أن نسميه « سينما أولاد النجوم » .. او « النجوم أولاد وبنات النجوم » .. فلقد مثلت ناديه ذو الفقار « بنت فاتن حمامه » كما قلت الى جوار أمها وهي طفلة .. ثم كبرت وعادت تمثل فيلما كبطلة أمام « محمود ياسين »، ثم شاركت أمها فاتن في تمثيل مسلسل تليفزيوني، لكنها لم تحب التمثيل ولم تشغله رغم الفرصة الضخمة التي كانت متاحة لها، ولم تلبث أن هجرته واختارت لحياتها طريقا آخر .. ونفس الشيء حدث بالنسبة لهويدا بنت صباح .. فلم تظهر في غير فيلم واحد هو فيلم « نار الشوق » مع صباح ورشدي اباظه وحسين فهمي والامثلة كثيرة في واقع حياتنا الفنية ..



الاب والابن والابنة فى قائمـــة النجــوم

على ان الحال يختلف تماما في السينما الاوروبية والسينما الامريكية .. فظاهرة اولاد النجوم الذين يقفــون امام كاميرا السينما ليصبحوا بدورهم نجوما ، لها خطورتها ولها تأثيرها ، جذورها العميقة ومبرراتها الفنية منذ نشأة السينمــا ، فاذا نظرنا الى الاسماء التى صــاحبت السينما كفن جماهيرى فى الايام الاولــى فى عمر هوليود نجـــد أسمـاء دوجلاس فيربانكس وجون باريمور وشارلى شابلن ولا تكاد تجىء الثلاثينات والاربعينيـــات حتى تتكرر هذه الاسماء فى دوجـــلاس فيربانكس الصغير وجون الابن ثم سيدنى شابلن وجيرالدين شابلن .. بل انـنـــا نستطيع ان نكتشف بعـــد هــذا ان « الظاهرة » لم تكن بدعة ، وان منتجـا مثل مايك دوجلاس يستطيع أن ينتــج فيلما يلعب فيه ابيه كيرك دوجـــلاس دور البطولة دون حرج ، وان روبــرت ميتشوم هو نجم الحلقات التليفزيونية الحية التى ينتجها ابنه بوب ميتشــوم فى كونى ايلاند .. بل ان آخــر افلام الراحل هنرى فوند « البحيرة الذهبية» انتجته وشاركت فى تمثيله ابنته جــين فوندا .. وابنه الممثل المخرج المنتـج الذى يبشر بعبقرية سينمائية خـــلاقه بيتر فوندا كما كان ابنا لممثل كبــير فتحت له شهرته الباب على مصراعيــه للفرصة كاملة فى التفوق .. هــذا الابن بيتـــر فوندا لا يحجب الفرصة ولا الشهرة من ابنتـــه الشـابة بريدجيت فوندا .

ليس الامر ناعما كالحرير دائما

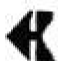
لكن الطريق الى النجومية والشهرة ليس دائما مفروشا بالورود ، ولا ناعما كالحرير امام هؤلاء الابناء الذين اصطلح على تسميتهم بلقب « الوحوش الصغيرة المقدسة » .. ففى لقاء لى منذ سنوات مع جين فوندا فى مهرجان كان السينمائى الدولى وكانت تحضر عرض فيلمهـــا « العودة الى الوطن » روت لى انهـــا كانت تجد طفولتها تافهة كابنة مشهورة مدللة لنجم كبير مشهور كهنرى فـونـدا كانت تتسكع فى بيفرلى هيلز ضـــائعة محطمة نفسيا ، وقد تقبلت الظهــور فى دور صغير فى فيلم من الافلام ، لكنها لا تجد ما يغريها بالحياة فى ضــاحية النجوم .. لهذا اتخذت ذات يوم قرارا بالرحيل الى باريس كى تعيش حياتهـا وتحاول احتراف الرسم ودراســـة الموسيقى ، واغضبت أبوها المشهــور بتمردها ، خاصة وحياة التســـكع والصعلكة التى تحياها فى باريس وصله انباءها اولا باول فى تعجبـه .. ثم التقت بعد ذلك بالمخرج روجيه فاديم الــذى كان زوجا لبريجيت باردو وكان مشهورا كمخرج فتزوجته ودخلت مجال السينما من جديد باختيارها هذه المرة .

وهناك ايضا ليزا منيللى .. ابنــة جودى جارلند والمخرج فنسنت منيـلى .. لقد عاشت طفولة شقية فقدانفصلت امها جودى من والدها وهى فى الرابعة، وارتحل منيللى للاقامة الدائمة فى اوربا حيث استأنف اخراج افلام اوروبيــة امريكية لها طابع خاص مثل « نافــورة الاحلام » و « اسبوعان فى مدينة اخرى» و « فرسان القدر » وغيرها، بينما ادمنت جودى جارلند الشراب واهملت ابنتهـا

أولاد النجوم .. نجوم

برناديت لامون واليزابيت لافون









جان لوى ترينتنتان ومارى ترنتينتان





جون واين وجون

اليـــان واين





جون بول بولموندو وبول بولموندو


ليليان بريسالى


ليزا مارشال

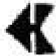
ليزا التى شقيت بهذه الام المشهورة، لكن السنون تمضى ، وتكبر ليزا وتثوب جودى الى رشدها . فتغف رواء ابنتها الموهوبة وتحلم بان تستعيد فى شخصها مجدها القديم فى المسرح الغنائى والفيلم الاستعراضى وتذهب بها الى لنــدن ثم باريس ، وتصبح ليزا مينللى نجمــة الاستعراض الغنائى الشهير « كباريه » وتتجع ذلك النجاح الكبير الذى يثلج قلب الام الشهيرة جـودى جارلنــد ويعوضها عن ايامها الاخيـرة الشقية خاصة عندما تستعيد هوليود ابنتهــا التى ترعرعت فى ضاحية النجوم بيفرلى هيلز ، لتجعل منها بطلة الفيلم «الكباريه» الذى بنت به شهرتها فى دنيا الاستعراض والغناء .

لكن « ابن الوز عوام » فى الغالب

على أن ذلك ليس قاعدة .. فامامى عشرات النماذج الاخرى من أولاد النجوم الذين تربوا على الشهرة وكان آباؤهم وامهاتهــم من المشاهير غاية فى الحرص على أن يحققوا المثل القائل « ابن الوز عوام » ويبذلون ما فى طاقتهم لـــكى يضعونهم على أول الطريق الى النجومية .. يتيحون لهم الفرص للوقوف أمام الكاميرا فى أدوار يختارونها لهم بعناية ويحيطونهم بكل الرعاية ويقودون خطاهم ويشجعونهم دائما على اقتحام السينما حتى وهم فى سن المراهقة .
فلى هوليود لطول القائمة :

● بنج كروسبى . اشهر مطـــربى السينما الامريكية وابنته مارى كروسبى

● جون واين . الذى حمـــل لقب « الدوق » وكان اشهر وابرع من مثـــل



دور « الكاوبوى » وابنه جون اتيسان واين .

● هارى بلايفونت . المطرب الاسمر الساحر الصوت الذى لازالت اغنيته « جزيرة في الشمس » اروع اغنيات الافلام وابنته شارى بلايفونت .

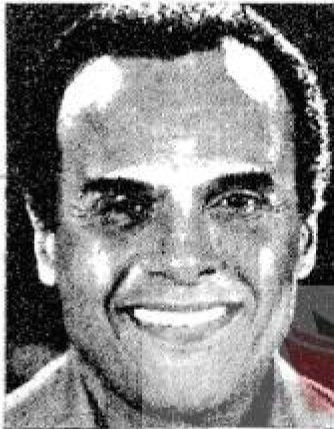
● كيرك دوجلاس . الغنى عن التعريف .. وابنه مايكل دوجلاس .

● روبرت متيشوم . وابنه روبرت متيشوم الابن .

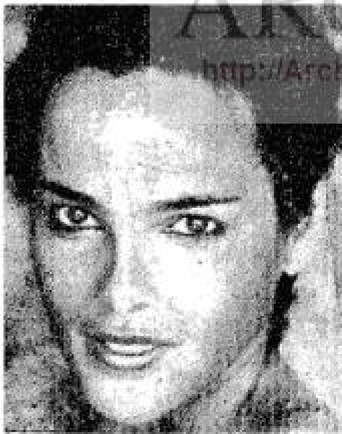
ديلون وبلموندو .. الاب والابن

على ان ظاهرة « النجوم اولاد النجوم » تتحقق اكثر في السينما الاوروبية ، وتاخذ طابعا اكثر لمعانا وقوة وانتشارا . ففى الاعوام الخمس الاخيرة ظهرت الفتاة المراهقة ستاسيا كينسكى ابنة الممثل الالمانى كلاوس كينسكى ، اختارها رومان بولانسكى بطلة لفيلم « تيس » واخذت طريقها الى الشهرة الى الدرجة التى استطاعت هوليود نجمة لاكثر من فيلم وتبناها جون فرنسيس كبولا ودفعها الى ان تصقل موهبتها على يد استاذ التمثيل المعروف في هوليود لى ستراسبورج صاحب « ستوديو الممثل » الذى تخرج فيه مونتجمرى كليفت ومارلون براندو وجيمس دين .

وتلمع على الشاشة الفرنسية الان نجمتان شابتان : برناديت لافون واليزابيث لافون امهما معا هى الممثلة بولين لافون ، نجمة الاغراء ، التى سلكت ابنتيها في نفس الطريق .. اما جان بول بولموندو فيجره ابنه بول محققا للممثل " ذلك الشبل من هذا الاسد » فقد اتاح له فرصة الظهور المناسبة كممثل واخذ بيده لكى يعطيه الثقة في النفس .. والنجمة الفرنسية جوليت جريكو ، الوجودية الملهب التى اشتهرت



هارى بلا يفونت



شارى بلا يفونت

أولاد النجوم .. نجوم

منذ عشرين عاما بصداقتها لجان بول سارتر وسيمون دى بوفوار ، وبلغ من اعجاب المنتج الامريكى وتعلله بهـا ان انتج لها فيلما باسم « المغـامرة الكبرى » فقد كانت حريصة على ان تجعل من ابنتها الشابة لورنس ليمي صورة منها .. ولقد كان الممثل جان لوى ترنتينان ذات يوم سببا فى انفصال بريجيت باردو عن زوجها ومكتشفها روجيه فاديم ، لكنه لم يكن عقبة فى ان تضع زوجته المخرجة السينمائية نادين ابنتها مارى ترنتينان امـام الكاميرا لتجعل منها نجمة وهى بعـد فتاة مراهقة • فى الوقت الذى اختار فيه الان ديلان ابنه أنتونى ديلون لكى يمثل امامه دوره الطبيعى فى احـد افلامه .. فقد ظهر أنتونى مراهقـا يرتكب جريمة قتل ويوضع فى السـجن رهن المحاكمة لكن اباه الان ديلون – فى الطبيعة وفى الفيلم – وهو رجـل عصابات قديم ترى اتجه الى المـال والتجارة يدبر خطة لاخراج ابنـه من السجن وينجح فيها •

وفى هولـود الان نموذج صارخ • . فمثلما كانت نجمة الاغـراء الراحلة جين مانسفيلد حديث العالم ، تصبح ابنتها ماريسكا هارجيتاى ، وبعد خمسـة عشر عاما من رحيل امها حديث العـالم ايضا ، فقد انتخبت ماريسكا فى العام الماضى ملكة لجمال بيفرلى هيلز ، وكان هذا سببا فى ان تحتفى بها هـوليـود احتفاء غير عادى وتبدأ فى اعدادها لتكون مثل امها نجمة الاغراء فى السـينما الامريكية . ●

بيتر فوندا وبريدجت فوندا



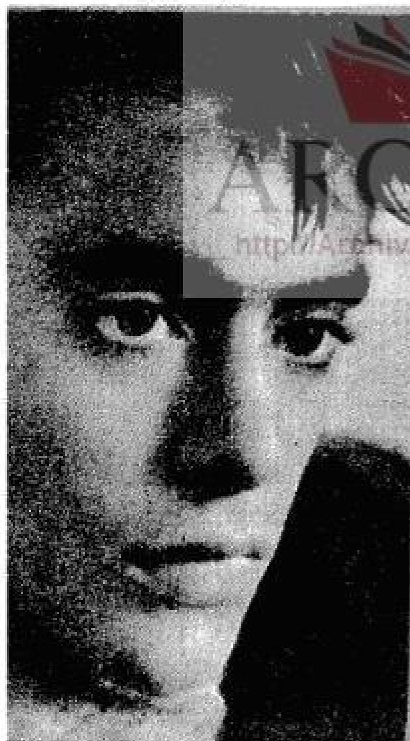
الان ديلون



جين مانسفيلد



انتوني ديلون



مارسيكاها رجيتناي



مسرح

المسرح الفرنسى

بداية ساخنة لموسم الشتاء



كريزا بودجانزا

● مرة اخرى .. يلقى بى الحظ السعيد الى باريس .. وموسمها الفنى والثقافى يبدأ فى نوفمبر ساخنا على الرغم من امطار الخريف وصقيع الشتاء القادم ليلف مدينة النور بغلالة من ريح سريعة محملة بقطرات المطر وحبات الثلوج .. ومع هذا فمتعة التجوال بين احياء باريس ، وارتياد اكبر عدد ممكن من مسرحياتها فى حى « سان دنى » او « سان جرمان » او التوقف بميدان شاتليه بمسرحيه الشهيرين المتقابلين ، او التسكع والجلوس على الدرج امام مبنى اوبرا باريس الشهير كما يفعل كل السياح القادمين من اطراف العالم ومحاولة الحصول اليائسة على مقعد للانتقال من الجلوس على الدرج الى البهو الاسطورى لاوبرا باريس ثم الجلوس داخلها فى تبتل يشبه صلاة فى معبد بوذى على سقف العالم فى التبت هذه المتعة تكسر حدة الشتاء وتذهب برودة الصقيع ، ولم يزل صدى « الفياك ٨٢ » اكبر معارض الفن التشكيلى فى العالم ، ويقام سنويا فى هذه الفترة فى « الجراند باليه » ، وتتجمع فيه كل معارض الفن العالمية ، ويجيء العارضون من كل مكان فى العالم

باشهر واغلى اللوحات العالميـة التى جلبت احدث ما رسم فنانو العالم ..

على مسرح جـيـرار فيليب فى حى « سان دنى » تمثل كل ليلة مسرحيـة « قلق وحب » كتبها فريدريش شيللر ويلعب شخصياتها الرئيسية جان مارك بورى وفيليب كليفنو .• وهى تتناول الحب الطبيعى العادى فى مواجهـة المعوقات الغبية التى تحـاول ايقـاف نموه وازدهاره .. والمثل البرجوازية التى تتوارثها الطبقة المتوسطة ضـد فجور الارستقراطية .. ان شللر يكتب خلال ربع قرن – هى زمن المسرحية تراجيديا ساخرة عن الرغبات الحـارقة التى تستعبد النفس البشرية فى اغلب الاحيان .. وافضل ما فى المسرحيـة ، الاداء السـاحر لجان مارك بورى ، والديكور الذى تختلط فيه شـطحات الخيال من خلال السيلويت والتجسيد الواقعى للاشخاص .

وعلى مسرح « لادوفر » تقدم كل ليلة مسرحية جون موريل « سـاره ودمـوع التماسيح » التى يمثل شـخصياتها الرئيسـية جـورج ويلسـون ودولفين سايرج .. والمتعة التى تتحقق فى هذه المسرحية الهزلية الساخكة ، وفى اداء هذا الثنائى جورج ودولفين ، تجعـل المرء يشعر انه امام معجزة فنيـة لـم يسبق ان استمتع بها فى عرض مسرحى .. ان دولفين سايرج وجورج ويلسـون « سـارة برنار وكاتم سرها » يؤديان دوريهما على راحتهما تماما ، كطفلـين صغيرين سعيدين يلهوان بعيدا عن العالم .• يتحاوران ويدوران حول بعضهما ، ويهزلان كانهما فى سرك ، ويبكيان كانما خلت الدنيا الا من البكاء ، الا ان جورج ويلسون يملك موهبة طبيعية متدفقة للاضحاك .. وتبدو دولفين سـايرج كمعجزة وهى عروس حائرة ومتشـككة فى جو من اللفائف الضاحكة •

ولم يزل هناك كالسعادة .. الـكثير الذى يجب ان يرى ويشـاهد فى تلك البداية الساخنة للمسرح الباريسى مثل مسرح « القهوة » الذى يقدم الممثـل « جان فرانسوا شاتياون » فى مسرحية « جيرار سافوسون » ومسرحية «روميو وجولييت » لجونو بدار اوبرا نانسى . الى جانب لريزا بورجانزا التى تتـالق فى « كارمن » وتعيـد تالق انا ماتيانى فى نفس الدور . ●

باريس : عبد النور خليل

جورج ويلسون




من أجل أسرة قوية سعيدة ...
من أجل مجتمع قوي يتمتع بالرخاء
مع تحيات
مركز الإعلام والتعليم والاتصال
الهيئة العامة للاستعلامات

تنظيم الأسرة من أجل حياة أفضل

فى العصر الحديث لم يعد هناك شىء يترك للصدفة ، ولم تعد الأمور تترك لتمشى فى أعنتها .. بل أصبح كل شىء يخضع للحساب الدقيق لمعرفة الأسباب والنتائج ، ثم بعد ذلك تسير الأمور سيرها المحسوب وتترك النتائج لله تعالى .. وهذا النظام هو ما أوصى به الدين وما جاءت به التشريعات السماوية ..

ومصر هى احدى الدول التى تحاول أن تأخذ بالاسباب حتى تصل الى مشارف العصر الحديث .. وعندما أثبتت الابحاث ان الزيادة السكانية تلتهم زيادة الدخل اخذت بأسلوب تنظيم الاسرة حتى تكون هناك موازنة بين الزيادة السكانية والموارد المتاحة من خطط التنمية ومحاولة دفع عجلة التنمية حتى تحقق فائضا تستطيع به ان ترفع من مستوى الدخول ..

وبدأ مشروع تنظيم الأسرة يجمع المتخصصين فى الشئون الصحية والتنمية وعلماء الاجتماع ورجال الدين وبدأ التخطيط لأسرة تتوفر لها الأسباب الصحية والتربوية والترفيهية بما يحقق السعادة لافرادها ولا يتعارض مع القيم والتقاليد التى تحكم مجتمعنا وأصول الشريعة السمحاء .

وبدأ جهاز تنظيم الأسرة حملة توعية شارك فيها الاعلام والاطباء ورجال الدين .

● الاسلوب العلمى ●

وأخذا بالمنهج العلمى والاسلوب العصرى فقد بدأ الجهاز بنفسه فراح يتابع الجهود المبذولة حتى يقيم التجربة ، ويقوم نواحى القصور فيها ، فقام بالبحوث لمعرفة مدى استجابة الجماهير للتوعية التى يقوم بها .. ثم اجرى بحثا قام به الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بمشاركة مركز التنمية الاجتماعية بشيكاغو حتى تكون خطوات جهاز تنظيم الاسرة فى مسارها الصحيح آخذة

بالاسلوب العلمى بما يحقق النتائج المرجوة من وراء حملات التوعية التى يقوم بها .

● نتائج مبشرة ●

وقد اثبتت نتائج البحوث ان حملات التوعية اخذت تؤتى ثمارها ، وان الجماهير قد بدأت فى الاقتناع بان اسرة صغيرة تساوى حياة سعيدة .. فقد اثبت البحث مثلا ان نسبة النساء اللواتى يستعملن وسائل منع الحمل قد ارتفعت من حوالى ٢٠٪ عام ١٩٧٩ الى ٢٤٪ فى اوائل عام ١٩٨٢ .

كما اثبت البحث ان نسبة المعرفة بوسائل تنظيم الاسرة قد ارتفعت الى حد كبير . اذ بلغت ٩٤٪ وكانت حبوب منع الحمل فى مقدمة الوسائل التى تعرفها الجماهير .

وهذه الارقام تشير بما لا يدع مجالا للشك الى مدى اقتناع الجماهير وايمانهم بأن تنظيم الاسرة اصبح شيئا ضروريا من اجل الوصول الى حياة افضل .

● وهذه هى الاسباب ●

واذا كانت الارقام السابقة تعطى دلالة على مدى وعى الجماهير وايمانهم بقضية تنظيم الاسرة وسيلة الى حياة كريمة ، فان مزيدا من الارقام يعطى دلالة على مدى وعى الجماهير بالاسباب التى تدعو الى تنظيم النسل .

تقول الارقام .. ان ٩٥٪ قالوا ان مصر تعانى من زيادة السكان ، وقال ٩٩٪ ان السكان فى مصر يزدادون باستمرار ، وقال ٨٣٪ ان زيادة السكان فى مصر تتم فى سرعة كبيرة ، اى انها زيادة غير طبيعية .

هل هناك احساس بالخطر من الزيادة السكانية التى تلتهم عائد خطط التنمية . بل لقد اثبت البحث ان الاطفال لم يعودوا « عزوة » كما كانوا فى الماضى ، بل اصبحوا شيئا يهدد المستقبل . هكذا تقول نتائج البحث وهكذا تقول الارقام .

● وعى الجماهير ●

ان البحث يقول ان الوعى الجماهيرى قد بدأ يتنامى ويأخذ شكل رأى عام جارف فقد ابدى ٨٠٪ من عينة البحث انجاب الاطفال على فترات متباعدة ، كذلك فانهم يعتقدون ان تنظيم الاسرة امر طيب وانه لا يتعارض مع الدين .

كما اشار البحث الى ان ٦٣٪ من افراد العينة لا يريدون المزيد من الاطفال ، وان نسبة الذين يربطون بين كثرة الاطفال وتدهور صحة الأم يبلغون ٩٦٪ .

هذه هى الدلائل التى اشار اليها البحث الذى قام به الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بمشاركة مركز التنمية الاجتماعية بشيكاغو ، وهى ارقام ان دلت على شىء فانما تدل على مدى وعى الجماهير باهمية تنظيم الأسرة وصولا الى مجتمع يسوده الرخاء وتعمه الرفاهية ، مجتمع يشعر الفرد فيه انه انسان يحيا حياة سعيدة تتوفر له فيها فرصة العمل المناسبة والسكن الذى يليق به ويحتل مكانا يتمم فيه تحت الشمس .

● تنظيم الاسرة لعبة الامم المتقدمة ●

وليس هذا بدعا ، كما انه ليس وقفا علينا او على الدول الفقيرة ، بل ان اسلوب تنظيم الاسرة يتم بين الدول المتقدمة ، وليس بالضرورة ان الدول هى التى تطالب بالتنظيم ، فبعض الدول الاوربية ، تشجع على الاسرة كبيرة العدد ، الا ان الافراد هناك هم الذين يقومون بتنظيم الاسرة حفاظا على سعادة الاسرة وحتى يمكن للوالدين توفير الحياة الكريمة لابنائهما ففى بلد مثل بلجيكا بلغت نسبة السيدات اللواتى يتعاطين حبوب منع الحمل وهن فى سن الخصوبة ٨٧٪ وفى تشيكوسلوفاكيا ٩٥٪ وفى انجلترا بلغت نسبتهن ٨٦٪ اما فى امريكا فقد بلغت النسبة ٧٠٪ .

اليس ذلك دليلا على ان التخطيط هو الطريق الى منبع الحياة الافضل ●

فكرى عبد المهيمن

ماريوت العملاق يطل على النيل الخالد

ماريوت العملاق

الوليد الجديد لا يجوث

في حضن النيل وفي جزيرة الزمالك انشأ الفرعون المصرى فندق « ماريوت » العملاق حول القصر الاثرى الذى تنبعث منه رائحة التاريخ حيث اجتمع منذ قرن ونيف من الزمان ملوك أوروبا وعلى رأسهم الامبراطورة اوجينى امبراطورة فرنسا .

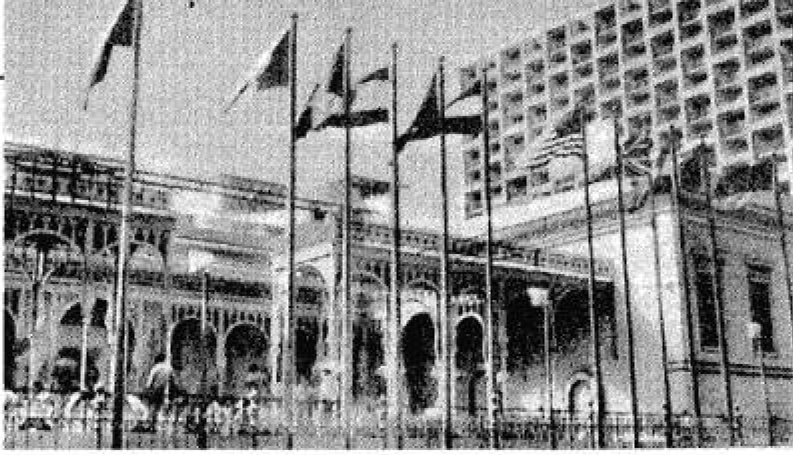
فى احتفال افتتاح قناة السويس التى كانت شاهدا على عظمة الانسان المصرى فى كل الازمان وعلى مستوى عظمة وعالمية قناة السويس كان لابد « لماريوت » ان يكون خليقا بأن يسايرها وجديرا بأن يكون فى مستواها لانه يمثل شموخا مصريا عريقا ونسجا طبيعيا فى نسيج قصة « قناة السويس » فامتزج الفكر بالفن والطموح بالثقة وكد المخلصين وانصهر الشرفاء فى بوتقة المخلصين « ايجوث »

وسهر الرجال ليصبح علامة بارزة فى حياة « ايجوث » وعملا خارقا لابنائها الاوفياء ، وشعلة مضيئة وضاءة على جبين كل مصرى شارك فى بنائه واسهم فى خلقه ، وجوهرة كريمة لا ينطفىء نورها ولا يخبو لمعانها واشعاعها على جبين امنا الحبيبة مصر

والفندق العملاق قامت بانشائه الشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق «ايجوث» وهى شركة قطاع عام مملوكة للدولة ، أى ان شركة « ايجوث » شركة مصرية ١٠٠٪ وتقوم على ادارته شركة « ماريوت » الامريكية .

يمتاز قصر سراى الجزيرة « فندق عمر الخيام ١٩٦٣ ـ ١٩٧٥ » بطابع معمارى مميز وتاريخ حافل بالمناسبات الهامة وكذلك بموقع ممتاز على نيل القاهرة عند مدخل كوبرى ابو العلا من الجهة الغربية

ونظرا لتاريخ القصر وموقعه الممتاز ، تم التفكير فى الحفاظ على طابعه الاثرى وادماجه فى المشروع بعد تقويته انشائيا وترميم جميع عناصره المعمارية والتحف الفنية التى يحتويها ، ولما كان القصر فى المشروع يحوى جميع المناطق العامة للفندق كان من الحتم تغيير وظيفة محتويات القصر بدون المساس بالقيم المعمارية والفنية لهذه العناصر حتى تتناسب مسطحات المناطق العامة المستجدة مع حجم الفندق الجديد وعدد النزلاء الذين



سيستعملون هذه المناطق وقد روعى في الفكرة المعمارية للمشروع النقاط الهامة الآتية :

١ ـ اعتبار القصر نقطة الجذب الرئيسية للمشروع .

٢ ـ الالتزام بالخط الكلاسيكى العام بالمباني حول القصر نظرا لطبيعة تصميم القصر ، ولذا فقد تم عمل تماثل في وضع البرجين شمال وجنوب القصر ، وكذلك في الخط الكلاسيكى للمبنى الدائرى لغرف النزلاء غرب القصر

٣ ـ البعد الكافى للابراج وغرف النزلاء بالجزء الدائرى عن القصر بواسطة عمل فواصل معمارية بينها ويتحقق ذلك بوضع الكازينو والبازار وحمامات السباحة بين القصر وهذه المباني

٤ ـ التركيز في الاضاءة الخارجية على القصر والقاء اضاءة اقل على المباني الاخرى حتى يتم تحقيق الجذب الاساسى للقصر

٥ ـ الالتزام بعدم عمل تشكيلات معمارية ملفتة للنظر في الابراج والجزء الدائرى حتى لا يصرف ذلك الانتباه عن القصر ، وكذلك الالتزام بالبساطة التامة في معالجة الكازينو والبازار من الخارج كعناصر انتقال بين الطابع المعمارى المميز للقصر والابراج العالية

٦ ـ الحفاظ على معظم الاشجار والنباتات القيمة بالحديقة حول القصر وكذلك التحف الفنية والتماثيل التي كانت منتشرة في الحديقة .

٧ ـ وضع جهد هندسى وفنى مكثف في المعالجات الانشائية والمعمارية وفي مشروع الديكور الداخلى لارجاع القصر الى صورته الفاخرة عند انشائه ليكون بحق أجمل قصر في منطقة الشرق الاوسط .

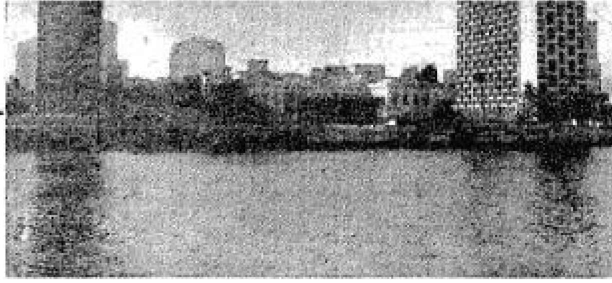
تم تشكيل لجنة فنية متخصصة من اساتذة كلية الفنون الجميلة وكلية الفنون التطبيقية لفحص المحتويات وتقييم حالة كل منها وما يمكن عمله من ترميمات عليها والاشراف على عمليات الترميم أثناء القيام بها واستلام هذه التحف من الفنيين الذين يقومون بعمليات الترميم المختلفة ، وقد تم اختيار عدد كبير من الفنيين والحرفيين المصريين من افضل العناصر ومن ذوى الخبرة والتجربة الكبيرة في فروع تخصصهم .

وقد تمت اعادة جميع المحتويات الفنية بعد اصلاحها الى القصر في الاماكن المخصصة لها والتي اختيرت بعناية فائقة في مشروع التنسيق الداخلى للقصر

جميع المؤسسات والورش والاساتذة والفنيين والحرفيين الذين تولوا عمليات الترميم من المصريين الذين وصل عددهم الى ١٧ من اساتذة الفن التشكيلى .

البرج الجنوبى ٢٠ طابقا ـ البرج الشمالى ٢٠ طابقا

المبنى المنخفض ٣ طوابق ـ قصر الجزيرة



النادي الصحي ـ الحدائق والنافورات
ـ المحلات التجارية

المرحلة الاولى

قام بافتتاحها فى ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ السيد الدكتور فـؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء وهى تضم ٧٤٦ غرفة على النحو التالى :

البرج الجنوبى : ٥٤٩ غرفة موزعة على اجنحة رئيسية ، أجنحة عادية ، اجنحة لرجال الاعمال مختلفة الاحجام او غرف مزدوجة .

المبنى الدائرى : ١٩٧ غرفة موزعة على جناح للعرائس ، اجنحة كبيرة ، غرف مزدوجة .

القصر : ويحتوى على : الفناء الذهبى ـ مكاتب الادارة ـ البهو العام ـ ممر يوصل الى البرج الشمالى ـ الاستقبال والحجز والاستعلامات والخزينة ـ مجموعة من المحلات التجارية .

وتقع جميعها فى دور مستحدث بين الدور الارضى والدور الاول .

ـ الكافتيريا « قهوة عمر » تشمل ٣٠٦ كرسيا يمكنها استيعاب ٣٠٠٠ وجبة يوميا كطاقة قصوى

ـ المطعم الرئيسى « شواية الجزيرة » ويستوعب ٣٢٢ كرسيا

ـ الملهى الليلى الشتوى .. « ملهى الامبراطورة » ويستوعبه ٢٩٦ كرسيا

ـ صالة الكوكتيل ... « قاعة أوجينى » وتستوعب ١٣٥ كرسيا

وتقع جميعها فى الدور الأرضة

ـ الملهى الليلى الصيفى « فوق سطح القصر » « المظ » ويستوعب ٣١٧ كرسيا

صالة البازار « قاعة البازار » وتستوعب ٢٨ كرسيا

صالة الاستقبال وتستوعب ٦٤ كرسيا وتقعان فى البهو الرئيسى للفندق

ـ صالة الاحتفالات « قاعة عايدة » تستوعب من ٨٠٠ شخص الى ١٣٠٠ شخص وتقع فى الدور الاول ويمكن تقسيمها آليا الى اربعة أجزاء

ـ قاعة الاجتماعات وتقع فى الدور الاول

ـ المطبخ الرئيسى ويستوعب طاقة ١٠٠٠٠ وجبة يوميا وجميع معداته مستوردة من الولايات المتحدة وهى على أعلى مستوى خدمة فندقية .

ـ كازينو اللعب « عمر الخيام »

وبخلاف حمامات السباحة توجد حدائق من الطراز الاندلسى بها مجموعة نادرة من النباتات والصوبات .. وقد احتفظ بها كما هى منذ عهد الفندق القديم كما توجد نافورة الاسود الاثرية والنافورة البرونزية الاثرية والنافورات الاسلامية .

ـ المحلات التجارية وعددها ٢٥ محلا

اما المرحلة الثانية فينتظر افتتاحها فى يونية ١٩٨٣ ومجموعها ٥٣٧ غرفة موزعة على اجنحة مختلفة الاحجام

هذا هو « ماريوت » الصرح الضخم تقدمه « ايجوث » بكل الفخر والفرحه والاعزاز الى مصر الحبيبة وشعب مصر الصامد البطل والى قائدها وملهمها ورئيسها خيرا وبركة رمزا لعظمة الانسان المصرى المعطاء ونموذجا للاخلاص والوفاء والتضحية والفداء ●

محمد بلوى

الرجل الكبير فى العاصمة

بقلم : ســناء البيسى

● بالطبع أرسل خطابا واثنين لخال امـراته .. الرجـل الكبير في العاصمة ينبئه فيه بموعد قدومهما . الاستئذان انه يعرف الاصول فوظيفته معلم بل وصـــل الى مرتبة ناظر مدرسة القرية . الافندى الوحيد الذى يمكث من صلاة الفجر الى ما بعد اذان العشاء بالبذلة وتصل اليه الصحف الصادرة يوميا بنسخها الثلاث وهو الموكل من قبل الاهالى دائما للذهاب الى النقطة لمقابلة حضرة الضابط . بل لقد رأس وفد المشـــيعين من أهالى المنطقة فى جنازة المرحومة حماة سيادة المحافظ ، ويعتبر المرجـع فى قضايا الزواج والطلاق والنفقة والمعاشـــات والتأمينات وبنـك التسليف . فى منزله طاقم قطيفة وورد صناعى محكـم التقليـد ونجفة بدلايات كريستال فى حجرة المسافرين .. وحديثه بالفصحى تتخلله فى كل مقام أبيات شعر للتأكيد وصحة البيـــان . كثرة التكرار علمت زوجته فك الخط وقراءة عناوين الجـرنال وبدورها أصبحت تبهر دائرة الحريم ، ونسيت زوجة مفتش الصحة فمها مفتوحا فى دهشة عندما ذكرت أمامها معلوماتها عن بلد بعيد اسمه .. دانمارك .. نهاره ليل وليله نهار ..

الاستاذ انتقى زوجته بعين خبير . النسبة والتناسب . التماثل والاضداد . الذراعان كوزين عسل والحاجبان هلالين فى تمـام الاستدارة مع الصدر العريض على الخصر النحيـل . لكنهـا بعـد الخامسة والثلاثين بدأت تزداد بدانة وارتباكا فى النسب وأخذت تشكو من المغص الكلوى . استمعت فى الترانسستور فى برنامج ربات المنازل الى طريقة عمل المربى فى البيت . بعدها تيقظ فيهـا ولع المربى . تصنعها فى كافة فصول السنة . من كل أنواع الفاكهة والخضار . وحتى من البطيخ .. عندما قررا السفر الى الخال فى



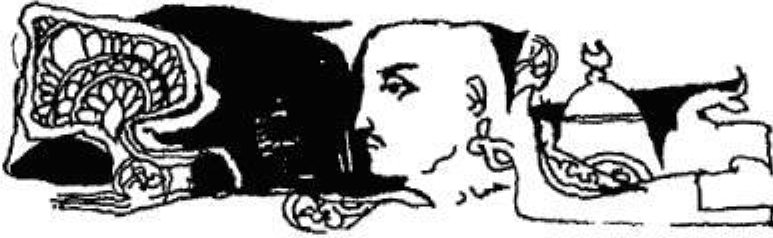


الرجل الكبير في العاصمة

العاصمة حشرت فى سبت الزيارة برطمان مربة جزر أحمر .

لم يتسلم الاستاذ ردا على الخطابين . ربما من طبع الناس الكبار ان يقولوا أهلا وسهلا شفهيا . نوبات الكلى تقاربت عند الزوجة وهو انسان مستنير رأى ضرورة عرضها على طبيب مشهور فى العاصمة بعد أن فشل دواء طبيب المركز فى العلاج . لا يجد حرجا فى أن ينزلا ضيفين على الخال يوما أو يومين فهو ذات نفسه بكل جلالة قدره بات عندهم أيام الانتخابات فوق الجمعتين وذبحا له ولضيوفه كل ما كان يصوصو ويهدل ويصفر ويكاكى ويماما وانكسر فى المعمعة فوق دستة كبايات مصنفرة وتسع فناجين مذهبة وسلطانية الشوربة الصينى وطبق الغرف الواسع ولم تبق من ملاعق المهلبية الصغيرة سوى واحدة يتيمة . ويذكر الاستاذ اليفط القماش الثلاثين التى سهر طوال ليلة التصويت يكتب عليها بالبوية اسم الخال المرشح باللون الاخضر بالخط الكوفى وتحته لقب المحسن الكبير وابن الدائرة البار بالخط النسخ وفى الوسط تماما رمز الفيل علامة الحال . الرجل المتواضع الذى طاف معه الكفور والنجوع وكان يربت باعتزاز على أكتاف مندأة بالعرق ويقبل طفلا وجنتاه بيض ذباب ويمسح على شعر صغيرة جففه الطين شوك أسلاك ويضاحك عجوزا تعجن للافران وقودها من روث البهائم ويصر على أن يرتدى المحروس ابنه تلميذ المدارس الفرنساوى الجلباب والمركوب .

فى صباح باكر تجمع المودعون على رصيف محطة القطار .. أضاف الاستاذ لمظهره منشة بيد عاجية وولاعة ذهبية يطرقع بها فى الهواء قبل أن يضغطها جيدا لاشعال السيجارة وارتدى صديرى البذلة الذى ضاق وذلك لزوم مقابلة الحكام والاطباء الكبار . بعد حركة ضمة انفعالية احتضن فيها مفتش التموين مودعا تغز الزرار



الثالث للسديرى مهتكا التصاق خيوطه فى وجه فراش المدرسة الذى كان ينتظر فى المواجهة ليسلم بدوره على حضرة الناظر ٠٠ كان يحيى ويتشكر ويمتن لكل فرد وداوم على تسجيل جميع الطلبات والتوصيات التى كان عليه ان يقوم بها نيابة عنهم عند وصوله للعاصمة فى نوته بالية ، واقسم أكثر من مرة لمهندس الرى أن يكون أول طلب له من الخال هو اتمام مسألة النقل ٠

دق الجرس واخذت العجلات تجلجل بانتظام يتسارع ولم يعد فى الافق سوى هيكل التوتة الكبيرة ، واخذ لمعان النهر يبدو من خلال تجمعات اشجار الصفصاف العتيقة ورءوس الاطفال والبهائم السابحة بجوار جسوره ، وظهرت امامهما وسط رتابة مسطحات الخضرة قرى صغيرة بمآذنها وأبراج حمامها وجباناتها واخذت ذبابة طنانة الفم تطير فى مرح متنقلة من أنف الاستاذ الى أنف زوجته ولم تكن لاحدهما أدنى رغبة فى رفع يده ليدفع بها بعيدا ٠٠ كل ما فعلاه أن قطبا جبينيهما وتبادلا الغطيط ٠

العنوان قادهما الى منطقة كجنة الله ٠٠ الخال يسكن قصرا أسماه البواب الفيللا ٠٠ مكثا طويلا على الدكة الخارجية ٠ فى شرفة علوية تجلس واحدة ببنطلون وأطلت عليهما واحدة أصغر أكتافها عارية بحمالات ومن دوائر الحديد نبح عليهما كلب صغير أبيض ٠٠ عاد البواب وأشار لهما بالدخول ٠ حمل الاستاذ السبت وبقجة ملابسهما ودخل حجرة صغيرة فى المقدمة ٠٠ ضحكات وأصوات تصلهما من أعلى ٠٠ وقفا ثم جلسا عندما لم يجدا أحدا يدعوهما للجلوس ٠ على الحائط مجموعة من تذكارات الصيد ٠ سيوف محدبة وخناجر وحراب طويلة مثبتة على هيئة المروحة ورءوس حيوانات بقرون ٠

الرجل الكبير في العاصمة

تعجب الاستاذ فمنذ متى كان الخال صيادا ؟! .

جدع نظيف جاء بصينية فضية عليها فنجان قهوة وكوب واحد ماء مثلج .. أراد حضرة الناظر أن يعاود السؤال عن صحة اسم صاحب البيت فخرج صوته مدغوما كمن يحاول أن يبتلع شوكه سمك التصقت بحلقه . زوجته تزغر له وتحرك أصبعها على ركبتها خفية فى أحد الاتجاهات . تتبع المسار فلمح صورة الخال من الباب الموارب ، معلقة على الحائط الخارجي .. شربا القهوة والماء ومسحا بعيونهما كل جزء فى الغرفة عشرات المرات .. فجأة انفتح الباب ليواجههما أسفله الكلب الصغير الابيض ينبح فى وجهيهما ثم اندفع المحروس تلميذ المدارس الفرنساوى ليمسك بمقوده متجاهلا أى وجود آخر فى الغرفة واستسلم الكلب بعد أن رفع ساقه الى الحائط وحمد الاستاذ ربه انه لم تصبه النجاسة . أتى صوت الخال يقترب يحادث أحدهم فى الخارج . اعتدلا واقفين . كان سلامه محايدا مقتضبا وعندما مدت قريبته بوزها لتقبيله كعادتها أشاح قليلا بوجهه فانزلقت قبلتها تطرقع فى الهواء .. وربت على كتفها مبتسما كمن استمع الى تكرار نكتة . سألاه عن الهانم والاولاد فقال بخير ومسافرين ، سألهما بدوره عن أحوال القرية فانبرى كل منهما يروى له أحداثا منها أن حائط المستشفى الاميرى الجديد وقع وانه قد أصبح هناك فرع للمستورد فى محل القطاع العام بالمركز ، وجامع القرية يحتاج لحصير وخالته ماتت ، وجوزها حاله ضنك والبركة لم تردم والشغالة التى أرسل فى طلبها خطبوها ووابور الطحين سيره انقطع والمستاجرين طامعين فى الارض وأهل البلد يستحلفونك بمقام سيدي المتولي يا خال تستعجل لهم رصف الزراعية لاجل التلاميذ يركبوا الاتوبيس للمركز بدل الركايب ..

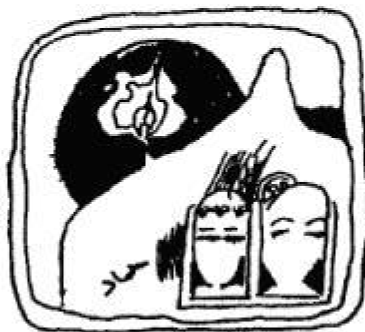


فجأة استاذن الكبير ، غاب ثم عاد يشخلل بسلسلة مفاتيح .. وقفا سالهما اذا ما كانا قد تناولا الغداء فأجابا بالفورية المعتادة المتادبة أن الحمد لله فقال على الفور اذن تفضلا معى ، ونادى على الجدع النظيف ليحمل السبت مع البقجة الى العربية .. أقسمت القريبة أن ما فى السبت زيارة متواضعة للاولاد فأمر بعودة السبت وحده الى الداخل .. قاد العربة بنفسه وجلس الناظر الى جواره منتفخا فى سعادة يتادى على أهل البلد فى سره .. ليتهم يرونه فى هذا الوضع أشار العظيم ضاحكا الى مبنى مستدير وقال لقريبته فى المقعد الخلفى بصى يا حاجة من هنا بنبعت لكم نشرة الاخبار وأغانى أم كلثوم فى راديو بلدكم .. اعتدل حضرة الناظر فى جلسته ودخل مضمار خفة الدم بقوله مستعرضا معلوماته : وهنا كمان قناتين واحدة على خمسة وواحدة على تسعة حزرى بتوع ايه ؟! .. المجمع اللغوى أسماه التلفاز .. توقفت العربية .. سكت الكلام .. والى جوار رصيف لفظت العربية الزوجين وانطلقت بألف سلام ..

القريب .. الامير . العظيم . الكريم المتواضع جلس اليهما . أستمع لهما ، عمل لهما سائقا . هزر معهما . فسحهما . أوصلهما الى أين !! فى قلب الدوامة .. العاصمة غابة والدنيا اتغيرت والزحام وحوش والسكك تتوه الجن والاستاذ يرفع عينيه زائغا بين اللافتات .. فيه حاجة غلط .. الدم مخلوط بالماء . الوجوه باردة .. كاوتش .

شىء ما تمت سرقته .. هان الود . الكتابة بحروف عربى ومعناها بالانجليزى .. جود لاك وهابى ود كان اسمه لولو وسويت هوم وهولى داى وأب سفتين . وبيبسى . وشك الاستاذ انه فى مصر .

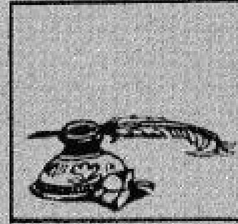
الرجل الكبير في العاصمة



فى بلد يتكلم عربى .. وقعت عيناه على لافتة محل اسمه فايف . أخيرا . واحد فخور بجذوره لا يركب الزفة .. قال لزوجته انتظرى وارعى لروحك .. دخل وقال السلام عليكم . أسرع اليه واحد قال له أفندم ؟! الاستاذ قال أولا أنا أعبر عن امتنانى وغبطتى وشكرى وشعورى بالراحة لانكم هنا قاومتم التيار وتمسكتم بلغتنا الجميلة وأسمائنا العربية وكتبتم اسم فايق على واجهة المحل .. نظر الرجل من فوق لتحت بدهشة ازدراء وقال له سيادتك كثير فلطان لكن عموما شكرا لانك لفت نظرنا للنقطة الممسوحة . المحل يا سيد اسمه فايف يعنى خمسة بالانجليزى وأبدا غير مكتوب فايق ! ..

ساراً فى الشوارع المكتظة يحتويهما زحام وتلفظهما اشارة مرور .. أخيرا أطلا على الحارة الضيقة .. أحاط بهما صغار فى ضجة صاخبة . أقبلت زوجة بلدياتهما مهللة مرحبة تاخذ الضيفة فى أحضانها وتقسم أن زارها النبى وخطوة عزيزة وبيتكم ومطرحكم وعلى الطلاق لازم تمد ايدك صحن الطبيخ . فضلة خيركم . قسما عظما السرير للضيوف .. النهار له عينين وبكره آخذ أجازة من الورشة ونروح للحكيم معاكم وسليمة باذن الله .

فى الحجرة المكتظة أشاعت سحابة الانفاس استقرار دفء وفى الخارج كانت المدينة تقبع فى ظلام وعاليا فوق أسقف المبانى الشامخة والمنازل المهترئة لمع ثم انطفأ نجم بديل ؟ ●



جائزة نوبل تطرق باب صديق الفقراء



من حق مجلة « الهلال » ان تزهو بشكل خاص . لفوز الروائي الكولومبي جابريل جارثيا ماركيز بجائزة نوبل لهذا العام . فهي المجلة الثقافية الوحيدة في مصر التي كتبت عن ماركيز اكثر من خمس مرات خلال العام الذي انتهى بفوز ماركيز بهذه الجائزة.

وفي الشهر السابق مباشرة على حصوله بها ، خرجت الهلال وهي تتكلم عن الدرس الذي يجب أن نتعلمه جميعا من ماركيز، وكان في العدد بالمصادفة البحتة . ثبت بكل الاعمال الادبية التي ترجمت له الى اللغة العربية حتى الآن . نعرف أن الحديث عن ماركيز سيصبح موضة ما يسمى بالصحافة الادبية في مصر. والهلال يعد ذلك انتصارا من نوع خاص لقضيته. حيث الثقافة هي الاساس والنتاج الادبي الجيد يفرض نفسه في النهاية . برغم كل محاولات التلوين والتشويه .

وفي مهرجان شوقي وحافظ . طلب مني الشاعر العراقي الكبير عبد الوهاب البياتي كل ما كتبه الهلال عن ماركيز . لكي يوصله اليه فهما اصدقاء . ويفكران الآن في اصدار مجلة ادبية لادباء العالم الثالث ، تركز على التعاون بين الادباء العرب وادباء امريكا اللاتينية بصورة خاصة .

وعندما شاهد البياتي آخر ما نشرته الهلال عن ماركيز قال ضاحكا : لقد ساهمتم في ترشيحه للجائزة بصورة او بأخرى .

ما علينا من كل هذا . نحن امام حدث له دلالات هامة . جائزة نوبل تذهب لكاتب هو في الاساس «صديق للفقراء». كم استخدمت هذه الجائزة من قبل كسلاح في مواجهة كل الكتاب الصادقين مع أنفسهم ومع واقعهم ومع ضميرهم . لم يحصل عليها كاتب تقدمي من قبل . الا وكانت ثمنا لتراجعه ، ولوقوفه ضد الفكر الذي يمثله .

لست حالما بطبعي ولا أحب الوصول الى القول ان الجائزة عرفت طريقها الى الشكل السليم . وانتهى زمن استخدامها كسلاح سياسي بالدرجة الاولى . فهذا وارد في السنوات القادمة . ولكننا هذا العام امام مناسبة للفرح في زمن عزت فيه حتى الابتسامة .. امام لحظة طارئة يصل فيها التاريخ الادبي الى مجرد حالة من التداول . ذهبت جائزة نوبل لكاتب صداقة لفقراء العالم . وموقفه الصلب



جبريال جارسيا ماركيز

كان جواز مروره اليها .. لم يتراجع ولم يحد ولم يقل انه آسف على ما قدمه ، عاش خمسة وعشرين عاما من عمره في المنفى . ورفض الاف ما قبل. وعرف ان الثبات على الموقف والثبات على المبدا ابقى الف مرة من تقبيل الجلد بصورة يومية .

ذهبت جائزة نوبل لكاتب رفض الغرب الراسمالى . ورفض كل ما تمثله هذه الحضارة . وتغنى بالفقراء من بلاده . وحول تجواله عبر عواصم اوربا الى اغنية من البسطاء في بلاده . وتحمل النفى والديون والارهاق اليومى المستمر والذى بدون حد .

ويبقى السؤال : ولماذا لا يحصل عليها كاتب عربى ؟! .. لان ماساة الكتاب العرب أنهم يتصورون ان الطريق الى نوبل يمر عبر بوابة واحدة هى الصهيونية ، ولهذا بدا البعض منهم يقدم فروض الولاء والتاييد والطاعة لمندوبى الصهيونية العالمية فى المنطقة العربية ، باعتبار ان ذلك هو الطريق الوحيد الى نوبل .

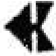
مع ان نوبل التى تاتى عن طريق الصهيونية ـ ان اتت ـ ستكون ملطخة بدماء ضحايا العدو من سنة ١٩٤٨ وحتى الالاف التى ذبحت فى صابرا وشاتيلا ، وحتى البطون التى بترت ، والفتيات اللاتي انتهكن واغتصبن ، والحوامل اللاتى اخرجت الاطفال من بطونهن قبل القتل مباشرة .

باب نوبل من تقفون عليه من نافذة الصهيونية معروف . ان يترجم الادب العربى الى لغات العالم . وان يصل اليه . الماساة اننا فى الزمن العربى الذى نعيشه ، فتحنا العالم العربى لكافة انواع البضائع . واغلقناه امام الفكر والثقافة . واصبح للضابط المكلف بالبحث من الصحف والكتب والمجلات فى مطاراتنا اولوية على الضابط الذى يبحث عن المخدرات . واصبح ان يطارد الفكر اهمية ، على من يتصدى للجواسيس. الماساة ان علاقة الاخذ والعطاء مع العالم توقفت . اغلقنا الابواب على انفسنا . نوبل لها مدخل وحيد ان يكون على الساحة الثقافية العالمية ، ما يمكن ان يسمى بالثقافة العربية . لها ملامحها وتميزها واصالتها .ان الكل يعرف الان ان فى العالم ما يمكن القول عنه انه ثقافة امريكا اللاتينية . مميزة ومحددة ولها طابعها الخاص . ولكن اين هى الثقافة العربية ؟. سيقول البعض ان امريكا اللاتينية مرت بتجربة ثورية جيدة .

ماذا جرى ؟

ذهب الصحفيون من كافة انحاء العالم الى ماركيز في بيتــه فى ضاحيــة مكسيكوستين الانيقة . الضاحية اسمها: « بيدريغا » . ايقظوه من النوم الذى كان مستغرقا فيه . قال ماركيز للصحفيين :

ـ لا أشعر انني عجوز بالقدر الذى استحق معه نوبل . فالوحيد الاصغر مني سنا الذى نال هذه الجائزة هو البير كامى .



لم توقف وسأل :

– من منكم مندوب الـ « س . آ . آيا » هنا . انني ارغب في معرفة راي وكالة المخابرات الامريكية في فوزي بالجائزة .

قال ماركيز انه لم يقرأ افضل اعماله. مائة عام من العزلة منذ وقت طويل . وهو الان ليس متأكدا انه بقادر على قراءة هذه الرواية الان . ان آخر مرة قرأت فيها الصفحات الاولى من هذه الرواية لم اكن شجاعا بما فيه الكفاية لمتابعة الرواية .

اشاد ماركيز بالكاتب الارمني خورخي لويس الذى كان مرشحا لنيل الجائزة. وقال انه يتمنى ان تمنح له ذات عام .

قال ماركيز ان الصحفيين ايقظوه من نومه قبل اربع سنوات من الان لاعتقادهم انه حصل على نوبل . وفى هذه المرة ايضا كان يعتقد ان فى الامر مداعبة ما. وكان يتصور انه سيبقى واحدا من المدرجين على قائمة هذه الجائزة لفترة اخرى من الوقت .

قال ماركيز انه يفضل روايته : ليس لدى الكولونيل من يكاتبه على كافة رواياته الاخرى .

قالت الاكاديمية السويدية فى اسباب منحه هذه الجائزة انه سيحصل عليها تقديرا لاعماله الادبية التى يمتزج فيها الخيال بالواقع فى ظل تركيبة فنية لعالم شاعري .

وقالت :

– لقد حقق ماركيز مكانته الادبية كروائى نادر بالتدريج . وكان يعتمد على عناصر من التجربة والمخيلة بنت شديدة الخصوصية معه . كان يقف بحزم مع الفقراء . وقد اكمل تقليدا فى ادب امريكا اللاتينية يقوم على نقل التجارب الحياتية والاجتماعية الى الادب .

يقول التقرير ايضا . انهم منحوا هذه الجائزة لقدرته على خلق عوالم صغيرة ذات دلالات فى رواياته وقصصه .

ان ماركيز يكتب اساسا عن الموت ولكن حسه التراجيدى بالحياة مطبوع بقدرته العبقرية وغير المحدودة الحيوية.

الجائزة قدرها ١٥٧ الف دولار . وماركيز فى الرابعة والخمسين من العمر الان . وقد انتهى ماركيز من كتابة روايته مائة عام من الغربة سنة ١٩٦٧ . وكان قد بدأ فى كتابتها سنة ١٩٤٧ . وظل يكتبها طوال هذه السنوات العشرين. وقد حققت له هذه الرواية شهرة عالية وبيع منها حوالى عشرة ملايين نسخة موزعة على ٣٢ لغة .

وكان ماركيز قد ذهب فى سنة ١٩٥٤ الى روما . حيث عاش فى منفى الزامى. وتنقل طوال هذه الفترة بين روما ، باريس ، برشلونة ، نيويورك . مكسيكوسيتى .

وكان قد ولد فى مقاطعة اركاتاكا على الخليج الكولومبى . وكانت تربطه صلة وثيقة بالقائد الكوبى فيدل كاسترو .

وفى ١٩٧٤ أصدر عمله الكبير الثانى: خريف البطريرك تقرير لجنة الجائزة يقول بالحرف الواحد : لم يكن هنالك خلاف بين اعضاء اللجنة على اختيار ماركيز لجائزة هذا العام . لقد تم اجراء فرز وتصنيف دقيقين حول المبادىء التى يجب اعتمادها لاختيار الفائز .

ليست هذه الجائزة ان توجد بطلا للعالم فى الادب . بل ان تجد كاتبا جيدا يستحق الجائزة .

●● عندما ناداني الشاعر العربى الكبير عبد الوهاب البياتى . لكى يقدمنى الى احد الشعراء الحاضرين . وقال لى انه محمد على شمس الدين . سعدت بذلك . فرغم ان من كتبوا عن مهرجان حافظ وشوقى تجاهلوا وجوده . الا انه من الشعراء العرب القلائل الذين برزوا فى الفترة الاخيرة . واهم ما يميز عالمه. تلك التجربة الفنية شديدة الخصوصية.



وهي تجربة الجنوب اللبناني . في السنوات الاخيرة .

يعمل محمد علي شمس الدين مفتش بوزارة العمل اللبنانية ولم يفارق الجنوب ابدا . وكانت هذه هي المرة الاولى التي يحضر فيها الى مصر . والمرة الاولى التي يخرج فيها من لبنان بعد ما جرى في الجنوب اللبناني .

نشر محمد علي شمس الدين . من دواوين الشعر :

● « قصائد مهربة الى حبيبتي آسيا، ونشره عن دار الاداب سنة ١٩٧٥ .

● غيم الاحلام الملك المخلوع . وصدر عن دار ابن خلدون سنة ١٩٧٧ .

● اناديك يا ملكي وحبيبي وصدر عن دار الاداب سنة ١٩٧٩ .

● الشوكة البنفسجية صدر سنة ١٩٨١

● رياح مهجرية صدر هذا العام وقد نفد فور صدوره .

كتب محمد علي شمس ملاحظات عن مصر اولا . وعن المهرجان ثانيا . وفيها وجهة النظر الاخرى الى هذا المهرجان .. والآن نسمع ما يقوله :

عبد الوهاب البياتي   جمال الغيطاني



مصر اولا !

●● في جزيرة فيله ، على النيل المخترق منطقة اسوان . كعنق طويل وغامض لحصان هكسوسي عظيم . هنالك آثار معابد فرعونية . هي معابد فيله . التي لا تبين . هزيله ومرقشة . كباقي الوشم في ظاهر اليد . بل تظهر مهيبة ومشرئبة كالثالوث الالهي الفرعوني «ايزيس واوزوريس وحوريس» .

يتكرر على مداخل الابنية وجدران المعابد التي انقذت اخيرا من الغرق « بعمل باهر » . يتكرر نقش الثالوث المقدس جالسا على العرش . وقد تقدمت منه وفود الرعايا حاملة القرابين . وحاملة مع هذه القرابين دلالات خضوعها وولائها للعائلة الفرعونية المقدسة .

على رأس الفرعون تاج مزدوج : الشمس والحمامة . وهما رمزا لتاجي الشمال والجنوب دلالة على امساك « الفرعون – الاله » بزمام هذين الاتجاهين في مصر القديمة .

ثم تلك العائلة المقدسة ، وحدة هي وحدة الولاء « لرع » اله الشمس . الواحد . وهكذا ينتهي التثليث بالتوحيد ويمسك الملك الواحد المقدس . تاجي الشمال والجنوب على رأسه . كما يمسك النيل المخترق لجسد مصر كخنجر مغمض من الماء . اطراف الضفتين الخالدتين لمجراه .

مصر ليست هشة كسقيفة ولكنها عتيقة وغامضة كمعبد تحس ان رمالها مثقوبة بالحجر ولكنها راسخة بالحجر . مصر هرم لا خيمة .

وتظن ان قلبها مطعوم بالماء ولكنه مغسول بالنطفة النيلية .

مصر اول قران للشمس والاتربة والماء .

مصر اول فاتحة للنار السماوية .



هذه الشاسعة السمراء الممتدة الاطراف .. يلملمها النهر ، ضابط ايقاعات المسافات الطويلة . الطويل . مخل المياه الطويل . منتضى الحقول والاودية والبلاد والاتربة وراويها كلحل قوى . عاشق الطمى الدافىء وعاشق الطحلب الرخو . خالب العذارى وسيد المغنين . النيل ، امير الشعراء .

فرسان القصة القصيرة

●● كتبت لى صديقتي الدكتورة فاليريا كيبرشنكو . المستشرقة السوفييتية المعروفة . تقول عن مجلة فصول انها الدرة اليتيمة التى اعرف منها ما اريد معرفته عن الادب العربى المعاصر .

والمشكلة ان الكتابة عن فصول لابد وان تبدأ من مرة سابقة كتبت فيها عن عدد الرواية الذى صدر من قبل.. ولابد وان اعترف اننى لم اتصور للحظة واحدة . ان ما قلته سيصبح جزءاً من معزوفة الكتاب عديمى الموهبة . الذين امتلكوا مساحة النشر قبل ان يمتلكوا القلم . ورغم اننى قدمت كلامى يومها وقلت ان فصول ليست مجلة ثقافية . بقدر ماهى محاولة دائمة للدفاع عن شرف العقل فى مصر . بعد ان تراجع من حياتنا فترة طويلة . رغم اننى ابديت بعض الملاحظات عن فصول . من واقع الحب لها والارتباط بها . الا اننى فى الوقت الذى كنت اكتب فيه . كانت التعليمات تصدر لكورس كتبه ديوان الانسان بالهجوم عليها . عموما ما حمل الاطمئنان الى نفسى انهم يرددون كلاما فى غير زمانه . ففى تصورى ان ازمنة الكتبة تولى . وان زمن الكتاب يهل على مصر اخيرا . وان مهمة كل الاطراف العاقلة على الساحة المصرية ان تخمد اصوات الماضى . وان تمنع هذا الماضى من محاولة خنق الحاضر . ومنع المستقبل من الخروج الى الوجود .

صدر العدد الجديد من فصول وموضوعية القصة القصيرة واتجاهاتها . ولن ادخل من البداية فى عملية مقارنة بين هذا العدد وعدد الرواية . فالمشكلة ان فى بعض مسئولي التحرير من فصول من يضعون الذات قبل الموضوع . ومن يعتبرون ان كلمة واحدة منهم هى آخر هذا العالم . وان الكتابة عن شخص فرضت عليه الظروف الغياب عن مصر . تعنى الانتقاص منهم . عموما وقاهم الله شر تضخيم الذات على حساب العالم . فاول خطوات الاغتراب عن الذات وعن العالم ان تفقد الاشياء حجمها الفعلى فى نظر الانسان .

عدد فصول الاخير فرصة للفرح الانساني ، فيه قدر كبير من التخطيط . وفيه تركيز على الاتجاهات بدلاً من الاشخاص . وتغطية شاملة وجيدة لفن القصة ..

سعدت بشكل خاص بدراسة ادوار الخراط « مشاهد من ساحة القصة القصيرة فى السبعينات » ولعلها من افضل دراسات العدد كله . وفى تصورى ان الادب العربى يخسر كثيرا . لان ادوار الخراط يرتب الاولويات لديه فانه يبدأ من الابداع ولا يعتبر النقد الادبى سوى نشاط ثان بالنسبة له . انا لا اقلل من قيمة جهده الابداعى والريادى سواء فى قصصه القصيرة او روايته . ولكن ادوار الخراط اعاننى كثيرا من قبل على فهم عالم ابراهيم اصلان . فى دراسة له عنه « فى جاليرى ٦٨ » واعاننى ايضا على الدخول الى عالم يحيى الطاهر عبد الله . من خلال مقدمته . لمجموعة يحيى الدف والصندوق والتى صدرت طبعتها الاولى فى بغداد والثانية اصدرها سعيد البحراوى فى القاهرة ضمن مطبوعات خطوة ..





البير كامى

فى هذا العدد يقدم ادوار الخراط دراسة عن اسماء جديدة . لم يكتب احد عنها من قبل . مع انها تحتل الكثير من العطاء مثل محسن يونس وابراهيم عبد المجيد . وجار النبى الحلو وعبده جبر . والدكتور محمد المخزنجى ومحمود عوض عبد العال . ويوسف ابو رية . وقد درس ادوار الخراط حتى مخطوطاتهم غير المنشورة من قبل .

ان هذا الدأب والمثابرة . لا يملك الانسان سوى ان ينحنى امامه حقا . والتمنى ـ صادقا ومن كل قلبى ـ لو ان ادوار الخراط اعطى النقد اهتماما ومساحة اكبر . الذن لكسبنا ناقدا جيدا ومتميزا ومتابعا ومخلصا للكلمة . يتعامل معها مثل رهبان الزمان الذى مضى ..

عدد القصة اسعدنى . وان كان ينقصه ثلاثة أمور :

الاول : ان مايخص القصة القصيرة فى العالم . فى هذا العدد يبدو قليلا. وباستثناء مثالين . ترجمت الأولى منهما الدكتورة سيزا قاسم . والثانى : محمود عياد . لا يوجد شىء آخر .

الامر الثانى : ان القصة القصيرة فى الوطن العربى تبدو شاحبة . هناك دراسة واحدة عن القصة الفلسطينية القصيرة . ودراسة اخرى عن القصة القصيرة فى الخليج العربى . وهذا اقل مما كان متوقعا . خاصة واننا فى امس الحاجة الان . الى كل ما يعيد الخيوط التى اوشكوا ان يقطعوها .. مع وطننا العربى .

الامر الثالث : ان خلو هذا العدد من اى دراسة عن جمال الغيطانى . وخلو الشهادات من شهادات له ، يعد من الامور المعيبة فى العدد . فهو من اهم الاسماء فى سماء القصة العربية القصرة . وله انجاز فى ميدانها . كان لابد من الوقوف امامه طويلا . وفى مجموعته : اوراق شاب « عاش منذ الف عام » . ومجموعته : الحصار من « ثلاث جهات » من الاضافات الهامة . للقصة القصيرة .

تبقى اهم انجازات هذا العدد . ان الشهادات المقدمة تكشف عن قدر هائل من الصدق والبساطة والشفافية عند البعض. وتكشف فى نفس الوقت رغبة غريبة لدى البعض الاخر فى الافتعال واللعب باللغة الغريبة . واستعراض مخزون من الكلمات الغريبة نادرة الاستعمال . ان العدد وثيقة ستبقى للزمان . ستقف فى وجه كل محاولات النسيان وستقول لكل الأجيال . هاهم فعلا وحقا فرسان .. القصة فى ذلك الزمان ..

● أصدقائى

من تبقى منكم يكفى لكى احيا سنة .. سنة اخرى فقط ..

محمود درويش

كشف البهلول عن آسراره
سيكون الصدق موتا
ويكون الموت خبز الشعراء
ذلك الميت الذى عريته
قطه
وليكن الشعر الغطاء

والذى سمى أو صار الوطن
ليس الا نعقا يزداد النور
والا زمنا يطفو على وجه الزمن ..
ادونيس من قصيدته الجديدة
« الوقت »

من ظلل المخيم
ياتون
من خنادق التحدى
فى شارع تهدم
ياتون
من كهف ومن خرابه
برايه الصمود والتصدى
ويبصقون دمهم فى جبهة الدبابة
ياتون بالارز وبالزيتون
ياتون بالبيارق
ياتون فى الخرائق
ياتون
من عكازه الشيخ
ومن شهية الجنين
ياتون بالحب والحنين
بالموت وباليقين
ما عدد الذرع الدمار
يا ايها التنين
كل ذراع
فوقها
خضر وسيف ونار
سميح القاسم
من قصيدته : تقرير من الجبهة ●

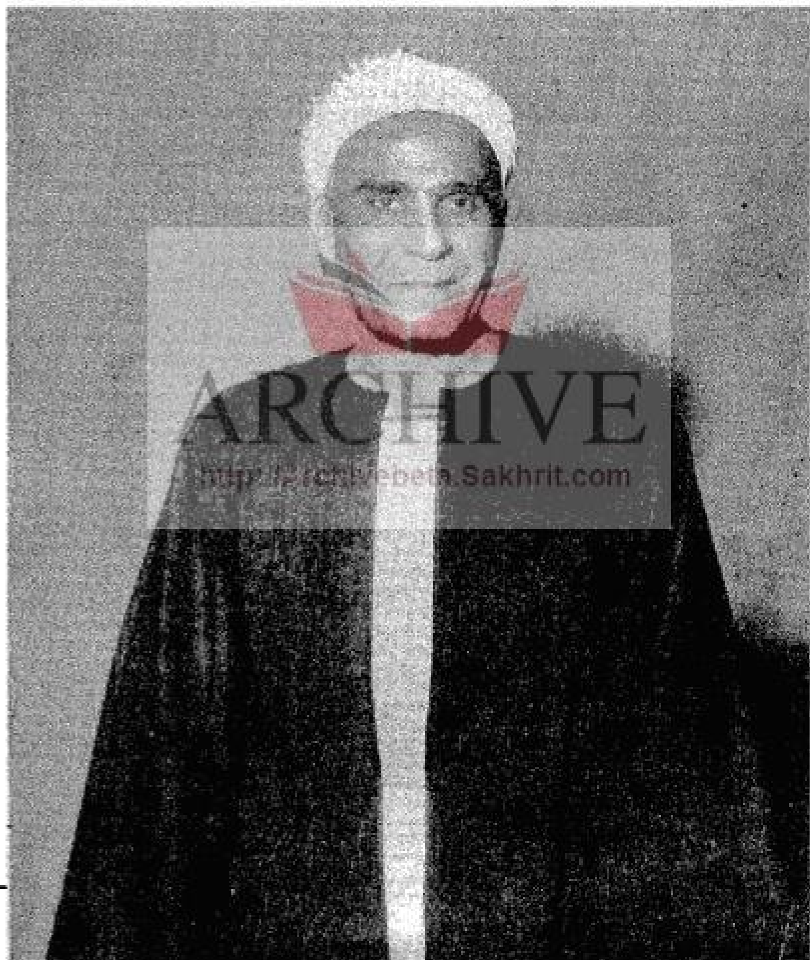
موزارت .. وصيغة الجمع

يروون عن الموسيقار العالمى موزارت انه كان يستخدم دائما صيغة الجمع عندما يتحدث عن نفسه ، حتى ان البعض فسروا ذلك بانه محاولة لتفخيم نفسه وتعظيمها ، الا ان طالبا يوذيا استطاع ان يكشف سر ذلك ، فقد التقى به الطالب اثناء احدى رحلات الموسيقار فى اوربا ونقل اليه ماسمعه عنه ، فابتسم موزارت فى هدوء وقال : « ليس هناك من عمل يستطيع المرء ان يؤديه وحده ، وخاصة اذا كان هذا العمل ناجحا .. ونحن عندما نعمل ونستغرق فى عملنا ، نشعر بان هناك كثيرين غيرنا شاركوا بطريق مباشر او غير مباشر فى هذا العمل .. خذ عملى انا على سبيل المثال .. حقيقة انا الذى اصنع موسيقاى ولكن هناك من قدم لى الورق لاكتب عليه والقلم لكى اكتب به ، ثم هناك صانع البيانو الذى اعزف عليه وبقية العازفين والاتهم .. حتى الصوت والهواء من حولنا ليس من صنعنا .. فكيف اتحدث عن نفسى وعملى بضمير الفرد .. انه نتاج لمجهود مشترك كما ترى .. وانا اتحدث بلسان كل الذين ساهموا فيه » ..

مصطفى عبد الرازق

الباشا الذى اختار أن يكون "الشيخ"

بقلم: أحمد زكى عبد الحليم



هناك شيء فوق العلم وفوق الفن .. هذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم.. "الأخـــلاق"...

اذا اردنا ان نتعرف على بعض جوانب شخصية الشيخ الامام مصطفى عبد الرازق ، فانه يكون علينا فى بداية هذه الوقفة مع شخصية الرجل وتاريخه ، ان نتوقف عند راى الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، فقد كتب ذات يوم يقول : قال بعض الجامعيين يقارن بين ثلاثة من اساتذة الجامعة هم طه حسين واحمد امين ومصطفى عبد الرازق .. ان طه حسين يتقدم ويترك النصوص وراءه ، وان احمد امين يتقدم مع النصوص فى صف واحد وان مصطفى عبد الرازق يتوارى ويقدم النصوص .. وهذا صحيح فى كل ما يتعلق باعمال الشيخ مصطفى رحمه الله ، فان حياءه يغلبه فى جميع هذه الاعمال ، فيعمل ويبدو لك انه لا يعمل ، ويقول ويخيل اليك انه لا يقول.. وليس بالصحيح انه لا يبدى رايا ، فانك لتلمس رايه حتى فى عرض الاراء والاكتفاء بتنسيقها . ولا تقرا له بحثا الا عرفت جملة ما يقال فيه ، وعرفت منه موضع الترجيح والتحقيق .

وقد تكون سطور العقاد كفيلة بتوضيح صورة الشيخ مصطفى عبد الرازق ، بحيث نراها فى ابعادها الحقيقية ، فهذا الرجل قد اسدى كثيرا من الايادى الطيبة للحياة الثقافية فى مصر ، بل وامتد تاثيره الى مختلف انحاء الوطن العربى عن طريق تلاميذه ومريديه من ابناء هذه الاقطار الذين كانوا يدرسون فى مصر فى بداية عصر التنوير العربى .

واذا كان حياء الشيخ مصطفى عبد الرازق كان يغلب عليه فى اعماله واقواله فيبدو انه لا يعمل ولا يقول .. فانه على الجانب الاخر كان شقيقه الشيخ على عبد الرازق قد استطاع ان يترك بصمة واضحة وممتدة على الحياة الثقافية والسياسية فى مصر ، عندما الف كتاب « الاسلام واصول الحكم » وهو الكتاب الذى اقام الدنيا كلها فى ذلك الوقت . وكان له ماله وما بعده .

لقد استطاع على عبد الرازق ان يخطف الاسم والشهرة ، وان كان هذا لا ينفى ان الشيخ مصطفى عبد الرازق كان رجلا له مواقف ، وله تاريخ ، وله مؤلفات ادبية وثقافية ، ومن اشهر المؤلفات التى قدمها للمكتبة العربية كتبه : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية .. وفيلسوف العرب والمعلم الثانى .. والامام الشافعى .. والدين والوحى والاسلام .. والبهاء زهير .. ومحمد عبده . ثم هو بعد ذلك يكتب فى الصحف « مذكرات مسافر » ، ويكتب ايضا « مذكرات مقيم » .. واذا كان هو فى المذكرات الاولى قد حاول ان يلتمس العيون والاذان عما رآه من مظاهر الحياة العصرية فى اوربا ، وبخاصة فى فرنسا ، فانه قد حاول فى المذكرات الثانية ان ينتقد بعض المظاهر الاجتماعية البالية ، وان يدفع الى نمط من الحياة افضل واصلح .

ومن المؤكد ان تراث الشيخ مصطفى عبد الرازق لم ينل حتى الان ما هو جدير به من الاهتمام ، فضلا عن جمع بعض كتاباته ومؤلفاته وضمها فى كتب لتكون زادا يتزود منه وبه رواد الثقافة العميقة والاصيلة والانسانية . وقد

مصطفى عبد الرازق



الشيخ على محمود

تكون هذه مناسبة لان نطالب بذلك . وان تتخذ خطوات ايجابية لتحقيق ذلك، بعيدا عن الوعود وعن النوايا الطيبة ، فانها وحدها لا تكفى .

رحلة حياة

ولقد عاش الشيخ الجليل اثنين وستين عاما ، حيث ولد فى ابى جرج بمحافظة المنيا عام ١٨٨٥ وتوفى فى ١٥ فبراير ١٩٤٧ .

وهو الابن الاكبر لاسرة حسن عبد الرازق باشا الذى كان واحدا من اعيان صعيد مصر والريادة . ولقد اختار والده له ولاخيه الاصغر على ان يدرسا فى الازهر ، فى وقت كان اغلب الذين يدرسون فى الازهر يعيشون حياة الكفاف ، بينما كان مصطفى وعلى يعيشان اثناء الدراسة فى قصر والدهما حسن عبد الرازق باشا فى عابدين .وكان والدهما هو عميد اسرة عبد الرازق التى تملك الاف الافدنة فى محافظة المنيا .

يقول الشاعر الراحل كامل الشناوى عن الشيخ مصطفى عبد الرازق : «كانت حياته ظاهرة اجتماعية فكرية اثارت حوله غبارا كثيرا ، ولكن هذا الغبار لم يعلق بثيابه الرشيقة النظيفة .ولقد كانت افكاره ، ومشاعره ، وعقيدته ، واخلاقه مثل ثيابه رشيقة نظيفة »

ولقد كتب كامل الشناوى هذه الكلمات وهو فى مجال الحديث عن العلاقة التى كانت تربط بين الشيخ وبين الامام محمد عبده ، ففى ذلك الوقت الذى سبق هذه العلاقة ، كانت النيران مصوبة الى تاريخ الامام والى افكاره . وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق واحدا من شباب الازهر الذين كانوا يهربون من مجالس الامام ومن احاديثه وافكاره ، رغم انه كان صديق والده . ولكن الايام لم تلبث ان جمعت بينهما ، فكان منالق الفكر الذى اتصل معه حبل الود والتقدير المتبادلين .

يتحدث الشيخ مصطفى عبد الرازق عن نظرته الى الامام محمد عبده فى البداية فيقول : كنت افر بدينى من ان القى الاستاذ او استمع لدروسه مع انه صديق والدى . وحضرت درسه مرة لاشهد كيف تشبه وجوه الملحدين وتشبه معها عقولهم وقلوبهم . فلما رايت الرجل بالرواق العباسى ، وسمعته يفسر كتاب الله ، قلت فى ذلك اليوم : اللهم ان كان هذا الحادا ، فانا اول الملحدين » .

وعلى الجانب الاخر ، فاننا نجد الامام محمد عبده يثبت رايه فى تلميذه الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وهو مازال على بداية الطريق ، ولم يكن قد افصح



عباس العقاد



عثمان أمين

بعد عن ابعاد شخصيته وعلمه . يقول الامام له : « لقد عرفت منى — على حداثة سنك — ما لم يعرفه الكبار من قومك فلله انت ولله أبوك ، ولو اذن لوالد ان يقابل وجه ولده بالمدح لسقت اليك من الثناء مايملا عليك الفضاء ، ولكنى اكتفى بالاخلاص فى الدعاء أن يمتعنى الله من نهايتك بما تفراستك فى بدايتك ، وان يخلص للحق سرك . ويقدرك على الهداية اليه ، وينشط نفسك لجمع قومك عليه » .

ولقد كان من الطبيعى ، بعد ان التقى الشيخ مصطفى عبد الرازق بالامام محمد عبده ، أن تختلف مسيرة حياته فلا تظل محصورة فى نطاق الدراسة الازهرية ، وانما هو يستزيد من العلم والمعرفة ، فيذهب فى بعثة الى فرنسا ، ويجيد اللغة الفرنسية ، ويلتحق بجامعة ليون عام ١٩١٢ ويظل هناك حتى عام ١٩١٦ .

وكان وراء اختياره لفرنسا بريق ذلك اللهب الذى اشعلته الثورة الفرنسية ، وبخاصة فى المجال الفكرى . ولذلك فانه لم يكد ينتهى من دراسته الازهرية ويحصل على شهادة العالمية ، حتى شد الرحال الى ارض الفكر المصرى المتفتح .

وبعد ان عاد الى مصر ، عين سكرتيرا عاما لمجلس الازهر . ثم مفتشا بالمحاكم الشرعية . واصبح بعد ذلك استاذا للفلسفة الاسلامية بكلية الاداب بالجامعة المصريه .

وقد حصل الشيخ مصطفى عبدالرازق على رتبة الباشوية ، واصبح وزيرا لاكثر من مرة . وكانت اول مرة أسندت اليه فيها مسئولية وزارة الاوقاف عام ١٩٣٨ .

لكن الرجل ابقى كل هذا خلف ظهره ، عندما تولى مشيخة الجامع الازهر عام ١٩٤٦ ، وكان قبل ذلك قد اصبح عضوا فى هيئة كبار العلماء . فقد تخلى عن رتبة الباشوية ، وفضل عليها لقب الشيخ . وفى الوقت الذى كانت الاحاديث تدور فيه حول هذا الحدث التاريخى العظيم ، الذى أصبح معه الشيخ مصطفى عبد الرازق أول باشا واول جامع بين الثقافتين العربية والغربية يتولى مشيخة الازهر .. فى ذلك الوقت طلب الشيخ مصطفى عبد الرازق من الناس أن ينسوا انه « مصطفى باشا » ، والا يتذكروا الا انه « الشيخ مصطفى عبد الرازق » باعتبار ان هذا اللقب الدينى له فى نفسه مكانة لا تطاولها مكانة اخرى .

مصطفى عبد الرازق

ولقد كان الشيخ صادقا كل الصدق مع نفسه ومع الآخرين • فانه لم يكن من الباحثين عن المظاهر أو الوجاهة الاجتماعية فى اى وقت من الاوقات ، وانما هو كما قيل عنه بحق .. الروح السمح ، والخلق الرضى ، والقلب الطهور . لا يكره ابدا ، ويحب دائما ، ولا يحقد ابدا ، ويتسامح دائما • ولا يضن ابدا ، ويبذل دائما ، حتى شبهه الملتصقون به بالندى الذى يهطل ولا يختار عند هطوله مكانا دون مكان ، ولا جماعة دون جماعة ..

ولعل تلك الواقعة التي يرويها الاستاذ حافظ محمود تكون كافية للكشف عن جوهر هذه الشخصية . يقول : مما يذكر أن عبد الرحمن بدوى حين كان يعد رسالته للدكتوراه عن الوجودية باشراف استاذه مصطفى عبد الرازق أن عين الاستاذ وزيرا • فلم يمنعه منصب الوزارة من اتمام مهمته كاستاذ مشرف على رسالة عبد الرحمن بدوى . فكان مصطفى عبد الرازق اول وزير يواصل عمله الجامعى وهو فى منصب الوزارة ..

كرام النفوس

ولقد حرص الشيخ مصطفى عبد الرازق ، عندما ذهب الى باريس ، على أن يتزود من مناهل العلم . وكان ياخذ نفسه بالشدة والصرامة فى هذه الفترة من حياته ليحقق اهدافه كاملة . ولذلك فانه حصل على الدكتوراه فى الفلسفة فى نفس الوقت الذى كان يحاضر فيه فى الشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة ليون، ويحاضر فى الادب العربى فى كلية الآداب بنفس الجامعة .

وعندما اصبح استاذا للفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية ، اعتنق فلسفة اخلاقية رقيقة ومعبرة .



كامل الشناوى

يقول الدكتور عثمان امين استاذ الفلسفة المعروف : كان استاذنا ـ رحمه الله ـ يعتقدان هناك شيئا هوفوق العلم وفوق الفن • وهذا الشىء هو ما يطلق عليه اسم ((الاخلاق)) . وقد كان الفلاسفة الرواقيون يسمونه ((فن الحياة)) ، وهو اعلى الفنون لان موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح اى جمال الروح •

وكان الاستاذ يرى ان الاخلاق ينبغى ان تكون فنا للحياة ، اى أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه وبازاء الله والناس ، بمعنى ان يكون للانسان فى حياته موقف مقرر وخطة مرسومة حتى لاتتجاذبه الاهواء والانفعالات.

وكثيرا ما كان الاستاذ يحدثنا فيقول: ان هناك فلسفة جميلة بزغت منذ فجر الفكر الانسانى ، ولبثت على احداث التاريخ ، وهى فلسفة كرام النفوس، اولئك الذين عاشوا للعالم كله لا لانفسهم

.. وظلوا على وفاق مع قانون المحبة والسخاء .

وكان يرى أن علاج أمراضنا الاجتماعية يقوم على اصلاح اخلاقى يبث بين الطبقات انسجاما ما ، وبوجه النفوس الى الخير المركوز فيها ، والى تقوية أواصر الرحمة ، وتزكية عواطف الاريحية ، وتخليص القلوب من ادران الحقد ورق الانانية .

صالون عبد الرازق

فى أوائل هذا القرن والى وقت قريب ، كانت ظاهرة الصالونات الادبية منتشرة فى الحياة العامة المصرية . ومن بين هذه الصالونات كان صالون آل عبد الرازق بحى عابدين . وكان قطب هذا الصالون هو الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وفى صالون آل عبد الرازق ، تألف أول فرع عربى لنادى القلم الدولى . وكانت مؤتمرات هذا النادى الدولية تنعقد فى بيت عبد الرازق .

وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق متصلا بالحياة الادبية وبالحركة الثقافية فى مصر اتصالا وثيقا . وكان يتردد على الصالونات الأدبية الاخرى ويشارك فيها . وقد جرى فى وقت من الاوقات حديث عن علاقة عاطفية ناعمة تربط بين الشيخ وبين الكاتبة « مى زيادة » . وقد كان هناك همس عن علاقات اخرى لهذه الاديبة مع رجال كبار وبخاصة فى مجال الفكر امثال لطفى السيد وغيره .. ولكن فى كل الحالات ، ظلت صورة الشيخ فى اطارها العفيف والوقور .

ومن هذا الجانب من حياته ، كتب الشاعر كامل الشناوى فقال : كان اذا ذهب الى اوروبا يواجه الفتنة ويقاومها . يشاهد الرقص ويولع به ، ويصفه بريشة رسام فنان . قالت لى حرم استاذى الدكتور محمود عزمى ، وهى سيدة روسية مثقفة : ان الشيخ مصطفى كان يفتن عذارى باريس ، ويهرب بلباقة . وذكرت أن احدى الفتيات ذهبت تبحث عنه فى الفندق ، فوجدت حرم الدكتور عزمى ، فقالت لها وهى تبكى :

ـ ما كنت اظن ان هذا الانسان المهذب يحتل قلبى هكذا بوقاحة !! .

على أن هذا الانسان المهذب الذى كان أول استاذ للفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة ، والذى كان أول من أدخل اللغات الاجنبية فى الازهر ، والذى كان أول من بعث البعثات العلمية من الازهريين الى الخارج لدراسة اللغتين الانجليزية والفرنسية ، والذى كان اول من أهتم بارسال الدعاة الى افريقيا وخرجت فى زمانه اول بعثة اسلامية الى أوغندا ..

هذا الانسان كله ، وهذا العمل كله ، وهذا الانجاز كله ، لم يلبث ان وجد نفسه فى مواجهة حملة ظالمة من ابنائه طلبة الازهر لان هناك من يتولون تدريس اللغة العربية فى المدارس من غير ابناء الازهر ، فتناهى الى اذنيه صوت ابنائه الذين احتضنهم وحقق لهم كثيرا وكثيرا وهم يهتفون بسقوطه . واستمع الرجل صامتا من وراء النافذة ، ورأى ما جعله يهرع الى فراشه ، حيث فاضت روحه الطاهرة فى ١٥ فبراير ١٩٤٧ .

ولكل اجل كتاب ، ولقد مضى الشيخ الجليل ، ولكن بقى منه تراث انسانى يجب ان نعلمه للاجيال . وتراث فكرى يجب ان نهتم بان نضعه على مائدة الثقافة المصرية . وتراث صحفى يحتاج الى من يجمعه من صفحات الجرائد والمجلات ، تكريما لذكرى الراحل الذى رفض ان يكون « باشا » واختار ان يكون « الشيخ » .. ●

أقصوصة

وحيدة في الزحام

بقلم: عـــزة الدمــرداش



احست «وحيدة» وهي تغلق باب الشقة خلفها انها لاول مرة تسير وحدها . ناهد زميلتها لم تذهب اليوم معها . مشت وحيدة في الطريق. الطريق المزدحم من البيت الى المدرسة .. من شارع الفجالة الى مدرســـة الظاهر الثانوية للبنات . اخر سنة يا مدرستى العزيزة . احتضنت الحقيبة كأنما تتمسك بشيء عزيز عليها . العلم طريق المستقبل . جندى يلبس طاقيـــة خضراء يصطدم بها :

ـ اسف يا حلو يا اسمر .

تفادته وهى تنظر الى شريط الترامواى. الشريط يلتوى والشارع يزدحم . كان الهواء يعبث بخصلات شعرها الاسود . طلبت من امها كثيرا ان تقص شعرها مثل فتيات اليوم لكنها رفضت .

ـ الدنيا تغيرت يا امى .

ـ مهما تغيرت يا وحيدة المرأة لابد ان تحافظ على مظاهر جمالها ، وزينة البنت شعرها .

ـ لن اكون امرأة تقليدية مثلك .

نظرت الى امها فى حب وحنان . ان امها هى الام والاب . الأب مات منـــذ زمن طويل ، والام واصـــلت الرحلة بشجاعة يعجز عنها بعض الرجال . تركت عملها وانقطعت تربى اربعة أطفـــال . وحيدة هى البنت الاولى .. البكرية ، لذلك فقد اتخذتها الام صديقة منـــذ وقت مبكر .. منذ ان خطف الموت الاب. هزت وحيدة راسها كأنما تطرد سحابة سوداء .



ترامواي .. اتوبيس . عربة كارو .. سيارة ملاكي .. كل هذه الانواع المختلفة من المواصلات تملأ شارع الفجالة . . الشارع ضيق ومزدحم ، حين يتقابل اتوبيس وترامواي لابد ان يتوقف واحد حتى يمر الاخر .. الشارع ضيق والزحام شديد ، لكن الحياة تسير .. تسير بالطول وبالعرض ، وخليها على الله .

ظهر بائع ليمون يدفع امامه عربة ، اخذ يدفعها فى ثقة حين ابصر وحيده صاح مغنيا :

* اه يا لامونى فى هواك ظلمونى *

حتى انت يابتاع الليمون . ابتسمت وحيدة فى داخلها . ام وحيدة تحذرها من الحب .. وهى غير متعجلة .

ناهد صديقتها تحب معيد ابن الجيران قريب منها فى السن .. لكن وحيدة لا تريد .. لا تريد ماذا ؟ لا تدرى .. لكنها تريد شيئا ليس مثل اى فتاة .. وحيدة تعيش مع نفسها كثيرا ، القراءة اثرت فى حياتها كلها ، صارت فيلسوفة فى الثامنة عشرة . تحلم .. وتحلم .. تحلم باشياء كثيرة ، وتؤمن بنصيحة امها :

ـ فى التانى السلامة يا حبيبتى .

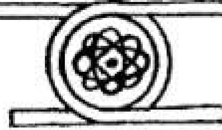
بدون ناهد احست ان الشارع صار اطول ، عندما لا تجد الرفيق تحس ان شيئا ما قد تغير فى الحياة . كعب الحذاء يؤلمها ، لكن الحذاء بدون كعب لا يساعد الفتاة على ان تهتز وتختال .. وان تهز رقبتها .. رقبة الغزال وخلفها الشعر الاسود الطويل ، تلمه فى ضفيرة سميكة حتى لا يعبث به الهواء .

ـ اخضر يا نعناع اخضر .

التفتت وحيدة على صوت بائع عجوز يجلس على الرصيف . نظرت اليه فى سرعة ، كان يدخن سيجارة ويغسل النعناع فى خفة وسرعة . بائع النعناع يجلس امام مكتبة . شد انتباهها مجموعة من الكتب المختلفة خلف الزجاج ، لم تدر كيف وصلت اليها . اخذت تنظر فى مودة وشوق الى كل كتاب . خاطر غريب مر فى عقلها الباطن ، تمنت ان تصير . . تصير كتابا . الكتاب ليس مجموعة اوراق !. الكتاب يمكن ان يهز الدنيا . تذكرت امها .. ام وحيدة . ثم مضت فى الطريق .. مازال الطريق يبدو طويلا ، والزحام فى كل مكان من الشارع القديم .. شارع الفجالة

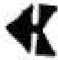
كل يوم .. يمر سهلا فى سرعة ، حتى الزحام لم تكتشف انه بهذه الصورة الفظيعة الا بعد ان مشت وحدها . بدون ناهد ، اصرت على ان تسرع الخطى . نظر اليها عجوز متصاب كاد يصطدم بها عامدا ، لكنها بعدت عنه فى خفة ، وهربت من نظراته الفاحصة فى سرعة .

بدات المدرسة تظهر من بعيد .. كانت تتابع فى ثقة بعض زميلات لها يسرن فى طريق المدرسة . الباب الحديدى يبتلع كل الداخلين فيه ، حين دخلت الى فناء المدرسة كانت تتوقع ان يخف الزحام .. ولكن فناء المدرسة ـ مدرسة الظاهر الثانوية للبنات ـ بدا مثل سوق الفجالة .. ولو .. ولو .. زحام .. زحام ، نادت عليها زميلة ، لكنها لم تشا ان ترد عليها .. كانت تفكر فى امها المسكينة .. وبائع النعناع العجوز .. والمكتبة .. وزحام الفجالة .. وناهد التى غابت . مشت رغم الزحام ، كانت تعرف الطريق الى مكانها ، مكانها المفضل ان تنتظر تحت الجرس فى انتظار ان يدق .. وان تتحول الفوضى الى نظام . نظرت الى السماء ، اشعة الشمس بدات تظهر من بعيد ، تمنت ان تدق الاجراس فى كل مكان ●



الرسائل الخفيّة المؤثرة هل هي عمل غير أخلاقي؟





□ خلال صيف عام ١٩٥٧ ، وعلى مدى ستة اسابيع ، عمد صاحب احدى دور العرض السينمائى فى مدينة فورت لى بولاية نيوجيرسى ، الى عرض رسائل خاطفة على الشاشة كل خمس ثوان ، اثناء عرض الفيلم . كانت الرسائل تردد شعارين « فلنأكل الفشار » ، و « فلنشرب كوكا كولا » . وكانت هذه الرسائل تعرض بشكل خاطف جدا ، بحيث يستحيل على الادراك الطبيعى للمتفرج ان يلتقطها او يلحظها كانت نتيجة هذه التجربة ان ارتفعت مبيعات الفشار بنسبة ٥٧٫٥ فى المائة ، ومبيعات الكوكا كولا بنسبة ١٨ فى المائة!

هذه التجربة تعتمد على ظاهرة يطلق عليها « التنبيه خارج حيز الشعور » او « التنبيه تحت عتبة الشعور » . وهذه التسمية تطلق على كل صورة او كلمة او صوت يستقبله الانسان خارج النطاق الشعورى الطبيعى ، ولكن برغم ذلك يحدث تأثيرا على المخ ، ويبقى فى ذاكرة الانسان .

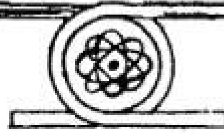
خلال نفس الفترة التى جرت فيها تجربة دار العرض السينمائى ، قام دكتور هال بيكر ، الباحث فى قسم الاجهزة الطبية الالكترونية بولاية لويزيانا ، باختراع جهاز يرسل شعارات خاطفة جدا خلال العرض التليفزيونى ، تحض على بعض التوجيهات المفيدة اجتماعيا ، مثل « الزم القيادة الآمنة » للحض على قيادة السيارة بحرص . وفى السنوات الاخيرة ابتكر بيكر صندوقا اسود اللون يمكنه اطلاق الشعارات الصوتية فى انحاء المتاجر العامة كخلفية للموسيقى التى تذيعها هذه المتاجر ، لكنها تذاع بطريقة تجعلها خارج حدود السمع العادية للانسان . والرسائل التى يذيعها ذلك الصندوق الاسود تكرر شعارات مثل « انا امين ولن اسرق شيئا » ، او « من الخطأ ان نسرق » ، او « اذا سرقت فسأقع فى يد العدالة»

يقول بيكر ان هذه الرسائل تنشط الرغبات والدوافع السيكلوجية الاستاتيكية فى لا شعور اللص ، او الشخص الذى يفكر فى السرقة ، وتخلق لديه صراعا بين رغبته الشعورية فى السرقة ، وقناعته اللاشعورية بعدم ارتكاب السرقة .

الا ان بعض العلماء يبدون تحفظا حول وجهة نظر دكتور بيكر . تشارلز ان يكون العالم النفسى بجامعة الينوى يقول « ليس لدينا اى دليل على ان الانسان يستجيب لما ينتبه له ويدركه شعوريا بطريقة اقل من استجابته لما لا ينتبه له شعوريا » . اما هيوارد شفرين العالم النفسى بجامعة ميتشيجان ، والذى يتخصص فى ظاهرة التنبيه خارج حيز الشعور ، فيعترض على تجارب دكتور بيكر على اساس اخلاقى ، ويقول « ان عمله عبارة عن تطبيق غير اخلاقى فى البحث عن حل للمشاكل الاجتماعية .. فليس من الاخلاق ان تؤثر على سلوك الافراد دون علمهم » .

الا ان الكثير من العلماء يؤمنون بظاهرة التنبيه خارج حيز الشعور ، ويحاولون الاستفادة منه فى غير مجال الدعاية التجارية .

ولعل احدث التجارب فى هذا المجال ، هو ما يقوم به حاليا فى جامعة نيويورك العالم النفسى لويد سيلفرمان ، مؤلف كتاب « البحث عن التوحد » . وهو يستخدم جهازه فى التنبيه خارج حيز الشعور لطرح عبارة « انا وامى شىء واحد » . والجهاز يطرح العبارة على الاشخاص بسرعة خاطفة بحيث لا يمكن للعقل الواعى ان يسجلها . وهو يفترض ان هذا النوع من « حلم التوحد » ،



يساعد الانسان على النجاح في كفاحه الدائم للتوحد مع نموذج الام كما عرفه في طفولته . وان تحقق هذا يساعد الانسان على فهم حقيقة دوافعه الشعورية .

خلال السنوات العشر الماضية ، نجح اسلوب سيلفرمان بشكل واضح في الاشخاص الذين يخضعون لبرنامج خاص لتخفيض الوزن ، او للتوقف عن شرب الخمر ، او للامتناع عن التدخين .

وفي دراسة جرت عام ١٩٧٥ على ٣٠ امراة يعانين من الشراهة والسمنة ، ومع استخدام الاساليب التقليدية لتخفيض الوزن ، استخدمت طريقة التنبيه خارج حيز الشعور مع جميع النساء في جلسات اسبوعية . فطرح على نصف هذا العدد من النساء شعار «انا وامي شيء واحد» اما النصف الاخر فقد طرح عليه شعار آخر لا معنى له مثل « الناس يسيرون » . وفي نهاية الاسابيع الثمانية ، تبين ان النساء من افراد المجموعة الاولى فقدن في المتوسط ٨ ارطال ، بينما فقدت نساء المجموعة الثانية ٥ ارطال فقط . والغريب انه بعد توقف برنامج تخفيض الوزن ، فقدت نساء المجموعة الاولى في المتوسط ٣ ارطال اخرى خلال الاربعة اسابيع التالية ، بينما زاد وزن نساء المجموعة الثانية رطلا .

وبنفس النجاح جرت تجارب اخرى عام ١٩٧٩ ، على يدي استاذين لعلم النفس في جامعة مونتانا ، وبهدف مساعدة بعض مدمني التدخين في جهدهم للاقلاع عنه . وقد اعتمدت هذه التجارب ايضا على ترديد شعار « انا وامي شيء واحد » .

يقول سيلفرمان ان هذه الدراسات لم تفد فقط في حل كثير من مشاكل البشر ، لكنها جاءت كدليل معملي على الفرض القديم الذي نادى به علماء التحليل النفسي ، تعني بذلك الاهمية النفسية لاحساس الطفل في خبراته الاولى انه غير معرض لاحتمال انفصاله عن امه . وهو يقول « نتائج هذه الدراسات تضع تحديا امام هؤلاء الذين يعتقدون ان دوافع اللاشعور هي مجرد اختراع ابتدعه فرويد ، وليس اكتشافا هاما تم على يديه » .

عندما تصبح المراة الجنس الاقوى

المساواة مع الرجل التي تنادي بها المراة لم تتحقق في الطبيعة ، فالنساء يتمتعن بقدر مضاعف من القدرة على مقاومة الاصابة بالامراض الناتجة عن الفيروس والبكتيريا . لذا يقول احد علماء الامراض انه بالنسبة للمناعة ضد الامراض ، تعتبر المراة الجنس الارقى.

فمن المعروف ان النساء يضعن ١٢٠ طفلا ذكرا مقابل كل ١٠٠ طفل انثى ، لكن عندما يصل الاطفال الى سن ١٦ سنة ، يتساوى عدد الاناث والذكور ، ثم يبدأ بعد ذلك عدد الذكور في التناقص عن عدد النساء بشكل نسبي . ورغم ان الاعباء الوظيفية واسلوب الحياة يؤثران سلبيا على طول عمر الرجل ، الا ان ضعف مناعته ضد الامراض هو الذي يفسر سبب طول عمر المراة عن الرجل بمتوسط يصل الى ثمانية اعوام .

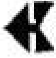
دكتور دافيد باركيلو من المركز الطبي لجامعة نبراسكا يشير الى دراسة تفيد ان الرجال اكثر تعرضا لمجموعة من الامراض ، من بينها اصابات الجهاز العصبي المركزي « شلل الاطفال مثلا » وبعض اشكال السرطان .



ويقول بارتيلو ان من بين اسباب ضعف مناعة الرجل ، ان خلية الرجل بها كروموزوم « س » واحد ، بينما تحظى خلية المرأة باثنين من كروموزومات «س». والدراسات الحديثة في علم الجينات تفيد ان كروموزوم «س» يحمل بعض الجينات التى تنظم مناعة الجسم ضد الامراض . ولذا فالنساء لديهن مجال مضاعف لمقاومة الامراض ، اذا ما تطرق الخلل الى كروموزوم «س» ، يمكن للآخر ان يقوم بالعمل .

ولعل الحكمة في وجود هذه المناعة المضاعفة عند المرأة انها توفر لها ضمانا اضافيا في فترة الحمل حفظا للنوع . فنظام المناعة الطبيعي لدى المرأة يضعف الى حد ما خلال فترة الحمل حتى لا يرفض جسدها الجنين ، الذى يعتبر بشكل ما اشبه بجسم غريب يزرع في جسدها. ولعل الجينات الاضافية هى التى تزود المرأة بالوقاية الضرورية في الفترة التى يتم فيها كبت مناعتها .

الا ان المناعة المضاعفة لدى المرأة تعمل في بعض الاحيان ضد صالحها. يقول بارتيلو « استجابات المرأة المتميزة لا تكون فقط ضد الفيروس والميكروب القادم من الجسم ، بل هى تعمل ايضا في نفس الوقت ضد انسجة جسمها » . لهذا السبب تكون المرأة اكثر تعرضا من الرجل للالتهابات الروماتزمية ، والتهابات الانسجة الضامة ، بالاضافة الى بعض الاضطرابات العضلية .



وكالة الفضاء الامريكية تحدث ثقبا فى السماء

بعد قليل من اطلاق المكوك الفضائى في اواخر عام ١٩٨٤ ، سيفتح المكوك ثغرة محسوبة في طبقة الايونوسفير . وطبقة الايونوسفير هى احدى طبقات الغلاف الجوى ، والتى تقوم بعكس موجات الراديو لتبسطها على مساحات واسعة.

احداث هذه الثغرة يعتبر جانبا من تجربة يقوم بها ميشيل ميندبللو استاذ الفلك في جامعة بوستون ، وبول بيرهارت من المعمل القومى فى لوس الاموس .

« امل ميندبا بالوفى ان تعطى هذه الثغرة بشكل محكوم ، وعلى نطاق مصغر ، صورة للتشويش الذى يحدث في طبقة الايونوسفير نتيجة للاشعاعات الشمسية والعواصف المغناطيسية . فهذا التشويش يؤثر بشكل جاد على استقبال البرامج الاذاعية ، ويؤدى الى هرب الموجات من هذه الثغرات بدلا من ان تنعكس وتعود الى الارض حيث اجهزة الاستقبال اللاسلكى . والثغرة التى سيحدثها مكوك الفضاء ، من المفترض ان تحقق لرجال الفلك فرصة هامة لدراسة هذه الظاهرة

ولان مكوك الفضاء يطير على ارتفاع يتراوح بين ١٨٦ ، ٢٤٨ ميل ، بالضبط وسط طبقة الايونوسفير ، فان كل طيران لمكوك الفضاء يحدث ثقوبا في الايونوسفير عندما تعمل محركات المكوك . وقد لوحظت هذه الظاهرة لاول مرة بعد اطلاق المعمل الفضائى « سكاى لاب » عام ١٩٧٣ ، فقد احدث ثقبا فوق الولايات المتحدة الامريكية قطره ٦٢١ ميلا ، واستمر وجود الثقب على مدى ثلاث ساعات . وقد اكتشف علماء الفلك ان الثقب يحدث نتيجة لانطلاق جزيئات العادم الطبيعى « الذى تكون من الماء وثانى اكسيد



الكربون والايدروجين » ، وهي عند تفاعلها مع جسيمات الايونوسفير المشحونة ، تعمل على معادلة شحنتها .

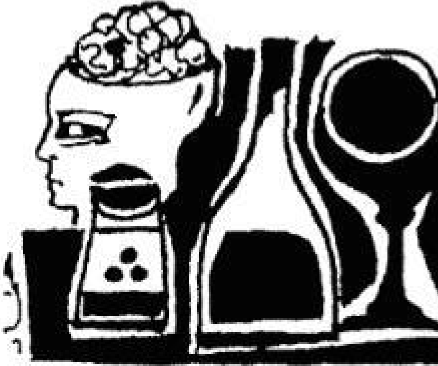
الثقب الكبير الذي سيحدثه المكوك عام ١٩٨٤ ، سيختلف عن الثقوب السابقة في انه سيحدث عمدا لصالح الدراسة الفلكية . في عمليات اطلاق المكوك السابقة ، كانت المحركات تعمل لمدة دقيقتين ، حتى يتخذ المكوك مداره حول الارض ، وكان هذا يحدث في ممر محدد فوق المحيط الهندي . يقول ميندبللو « لقد اقنعنا وكالة الفضاء الامريكية ان تغير ترتيب رحلة المكوك ، حتى يتم تشغيل المحركات فوق ولاية ماساشوسيتس » .

عملية تشغيل المحركات التي ستجرى عام ١٩٨٤ ، تستمر دقيقتين ، ينطلق خلالهما حوالي ٠٠٤٤ رطل من ابخرة العادم . وسيجرى عمدا تشغيل محرك المكوك لفترات محدودة فوق كندا ، وبورتوريكو ، وجزيرة كواجالين بالمحيط الباسفيكي ، وتسامانيا . واثناء حدوث الثقوب ، سيقوم العلماء بدراسة مكثفة للظاهرة .

يقول ميندبللو « في الماضي كان علماء الفضاء يلتزمون موقفا سلبيا . فكان علينا ان نرقب حدوث تشويش حتى نسرع بدراسته . اما الان فسيصبح بامكاننا ان نرقب حدوث التشويش مقدما حتى نتمكن من دراسة الظاهرة بشكل ادق وافضل ... ان الامر اشبه باقامة معمل خاص في الفضاء .. » .

ادمان الكحول وتقلب خلايا المخ

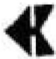
الرجل الذي يتناول اربعة كؤوس من الكوكتيل مع وجبة الغداء ، ثم يعود الى مكتبه وينجز قدرا كبيرا من العمل بكفاءة في فترة ما بعد الظهيرة ، يعتبر بالضرورة ظاهرة شاذة ، او صاحب قدرة فريدة .. ففي التجارب التي تجرى على الفئران



ـ التي تشبه في استجاباتها للكحول استجابات الانسان ـ وجد الباحثون ان الغشاء الذي يغلف خلايا المخ ، عندما يتعرض لقدر كبير من الكحول على مدى الايام ، يصبح يابسا ، ومن ثم يمتص قدرا اقل من الخمر . فالفار المدمن للكحول ، لا يسكره القدر من الخمر الذي يسكر الفئران الاخرى ..

لقد اثبت عالم الكيمياء الحيوية هاجاي روتنبرج ، بالاشتراك مع زملائه في مركز هانمان الطبي بفيلادلفيا ، اثبت ان الفئران التي اعطيت كميات كبيرة من الكحول ، تحتمل ارتفاعا في نسبة الكحول في الدم يصل الى ثلاثة او اربعة اضعاف ما يحتمله الفار العادي .

يقول روتنبرج « من المهم ان نفهم الاساس البيولوجي لادمان الخمور ، حتى يمكن ان نتوصل الى اساليب في العلاج ، وخطط طويلة المدى تساعد بها المدمنين .
فمن المعروف منذ مائة سنة ان تاثير العقار يتحدد بقدر ما يمكن ان يرتبط منه بغشاء الخلية » . وهو يقول ان احتمال مدمن الخمر من البشر للكحول ، يشبه احتمال الفار ، في ان الغشاء لا يرتبط كيميائيا بما يشربه المدمن من كؤوس الكوكتيل .



وثمن هذه القدرة على الاحتمال يكون غاليا . فان الاغشية بحرمانها من الكحول لن تؤدى وظيفتها بالشكل الامثل ، واعراض هذه السلبية قد تكون قاتلة . وبهذا لا يمارس غشاء الخلية عمله الطبيعى الا فى وجود الكحول .

ويعمد روتنبرج فى تجاربه الى تقديم الكحول للحيوانات فى طعام سائل حتى يتم امتصاص الكحول من خلال المعدة كما يحدث مع الانسان ، وليس من خلال حقن الحيوانات بالكحول او استنشاقها له .

هذا بالاضافة الى ان الغشاء المتصلب لخلية مخ مدمن الخمر لايستجيب للعقاقير المخدرة ، واحتمالات هذا خطيرة للغاية . ففى حالات الجراحة العاجلة مثلا ، يمكن ان يعطى طبيب التخدير للمدمن القدر الطبيعى من البنج ، ثم يكتشف — ربما بعد فوات الوقت — ان الجرعة الاكبر كان من الممكن ان تكون آمنة ، واكثر فائدة للمريض .

واليوم ، يعمل روتنبرج مع فريق الزملاء ، للبحث عن طريقة يمكن بها اختبار الحالة ، لمعرفة ما اذا كان الشخص مصابا بتسمم كحولى نتيجة لكثرة ما شرب من الخمر ، أم انه مدمن خمر قديم . وفى هذا يقول « يمكننا الآن ان نجزم بان الشخص مصاب بتسمم كحولى ، لكننا لا نستطيع ان نجزم بانه مدمن خمر ، فحتى الآن لا يوجد اختبار طبى يمكن الاعتماد عليه فى هذا .. » .

الصقور فى سماء المدن

الشاهين ، طائر من فصيلة الصقريات ، يعيش عادة عند قمم الجبال ، وفوق الصخور الوعرة . هذا الصقر سينتقل ليعيش فوق أسطح ناطحات السحب وسط المدن المزدحمة بالسكان .

ففى السنوات الاخيرة ، تناقص عدد صقور الشاهين بدرجة شديدة نتيجة الصيد غير المشروع ، وافتراس الحيوانات المتوحشة لها ، وتأثير المبيدات الحشرية عليها ..

فى مواجهة احتمال انقراض هذا النوع من الجوارح ، بدأ البعض يفكر فى تربية الصقور والعناية بنسلها فى اقفاص ، حتى تتكاثر الى العدد الذى يحمى سلالتها . ولكن ، نشأ هنا سؤال : ما الذى نفعله بالصقور البالغة بعد ان يكثر عددها ؟ .. فكرة اعادتها الى مواطنها الاصلية لم تلق تأييدا ، لانها ستتعرض هناك لنفس المخاطر التى هددت بانقراضها .. وكانت الاجابة الغريبة .. المدن ! .

فخلال السبعينات ، قام عالم الطيور توم كيد من جامعة كورنيل ، باطلاق ٥٢ صقرا فى المناطق السكنية من المدينة . وفى السنوات القليلة الماضية قام عالم الطيور دافيد بيرد من جامعة ماكجيل ، بالاشتراك مع هيئة خدمة الحيوانات البرية بكندا ، قام باطلاق ٣٠ صقرا فى مونتريال وحولها . وهو يقول ان المناطق المأهولة تناسب صقور الشاهين لعدة اسباب ، من بينها ميل الصقور الى بناء اعشاشها على اسطح البنايات العالية ، حيث يبدو المشهد بالنسبة لها قريبا فى معالمه من مشهد سلسلة الجبال التى اعتادت العيش عند قممها . هذا بالاضافة الى ان الصقور تعثر فى المدينة على فرائسها من العصافير والحمام وبعض طيور النورس التى تعتاد التحليق فوق المدن كذلك لان البومة المقرنة — اعدى اعداء صقر الشاهين — يندر وجودها فى المناطق المزدحمة بالسكان وسط المدن .

وبالرغم من تكاثر الصقور التى تطلق فى المدن ، الا انها تواجه مجموعة من الاخطار لا تواجهها فى المناطق المهجورة . اولها موت الصقور عند اصطدامها بالمبانى ذات



مع العلم الحديث

الواجهات الزجاجية الشبيهة بالمرايا . والغالب ان الصقور ترى صورتها في ذلك الزجاج ، فتظن انها فريسة يمكن ان تنقض عليها ، فتهجم على الزجاج مرتطمة به ، وتموت . كما ان بعض المبيدات الحشرية غير القانونية التي يستخدمها البعض لقتل الحمام والعصافير ، تؤدى الى موت الصقور فالصقر عندما يلتهم طائرا منها يكون قد تسمم بالمبيد ولم يمت بعد ، يموت هو في أعقاب ذلك .

وأكبر خطر يواجه صقور المدينة هو ما ينتظر أفراخها التي تفقس في المدينة . فهذه الافراخ تمضي متقافزة على اسطح المباني قبل ان تتعلم الطيران ، مما يعرضها للسقوط الى الطريق ، الامر الذى لا تواجهه في بيئتها الاصلية ، حيث يتدرج سفح الجبل في انحداره .

واذا وصلت هذه الافراخ الى الطريق حية ، فستواجه مطاردة الناس لها ، او التهام الكلاب لها .

على كل حال ، لقد اصبحت صقور الشاهين تحلق اليوم في سماء نيويورك وبلتيمور وتورنتو . وقد انفقت جامعة كورنيل وحدها ٢ر٥ مليون دولار ، لتطلق ٦٠٠ صقر في سماء المدن والقرى .

جيتار جديد .. يحول الضوء الى موسيقى

تحت اوتار الجيتار الكهربائي المعروف ، توجد قطعة من المغناطيس يحيط بها ملف من الاسلاك . اوتار الجيتار تمر خلال المجال المغناطيسي لذلك المغناطيس ، وعندما يهتز احد هذه الاوتار ، يتذبذب مؤثرا على المجال المغناطيسي ، ويقوم ملف الاسلاك بترجمة هذا التأثير الى تيار كهربائي ، يمكن تضخيمه وتحويله الى صوت موسيقي . هكذا يعمل الجيتار الكهربائي الذى تراه بين أيدى العازفين هذه الايام .

الا ان العازفين يعرفون منذ البداية انهم يعزفون في محيط زاخر بالمجالات المغناطيسية التي يلتقطها الجيتار ويحولها الى خلفية من الضوضاء تفسد نقاء الالحان الموسيقية . ويكفي لاحداث هذه الضوضاء ، شبكة الاسلاك الكهربائية التي تمتد داخل الحوائط ، او وجود اجهزة ارسال او استقبال لا سلكية بالقرب من الجيتار .

ولما كان من الصعب تجنب شبكات اسلاك التيار الكهربائي التي تمتد داخل الجدران، لقد قام المهندس جورج باولي بتعديل الجيتار المعروف ، فتخلص من المغناطيس والملف ، وصمم بدلا من ذلك جيتار الاوتار الضوئية.

الجيتار الجديد أوتاره من الياف الزجاج او البلاستيك .. عند بداية الاوتار يوجد جهاز يصدر ضوءا يسري خلال الاوتار وعندما يقوم العازف بالضرب على الوتر ، يتحرك الوتر فتتفرق بعض أشعة الضوء من مساقها الاصلي داخل نسيج الوتر . وطول موجة كل وتر تحدد قدر الضوء الذى يتفرق اما ما بقى من ضوء ، فهو ينتقل خلال نسيج الوتر الى ان يصل الى جهاز قياس ضوئي في جسم الجيتار . هناك ، تتحول الذبذبات الضوئية السريعة التغير الى تيار كهربائي ، يصل الى الامبلفاير ليتحول الى صوت مسموع .

يقول باولي عن آلة الجيتار التي اخترعها « انها تعطي نفس الاصوات التي يعطيها اي جيتار آخر ، لكن مع فارق نقاء الصوت. انها تعتمد في عملها على البلاستك والزجاج والضوء ، فلا سبيل لحدوث ضوضاء او تشويش » . ونظرا لارتفاع ثمن الجيتار الضوئي ، فان من رأى باولي ان سعر هذا الجيتار يمكن ان ينخفض بشكل ملموس جدا ، عند انخفاض تكاليف صناعة الالياف الضوئية ●



تذكرة طبّية

تقديم:
د. السيد الجميلى

السبب هو القلب

رجل في الرابعة والخمسين من العمر ، ادخل المستشفى منذ خمس سنوات لعلاج حالة قصور بالعضلة القلبية Cordfacfu forction واخيرا وصل ضغط الدم عنده ١١٥/١٨٠ مم زئبق ، ولم يكتشف سبب واضح نتجت عنه هذه الحالة من القصور القلبي .

ومنذ قرابة الحولين الكاملين كان هذا المريض يشكو من آلام في مفصل ركبته اليمنى ، ومفصل القدم اليمنى ايضا ، وبين الحين والحين كانت مفاصل الرسغ تؤلمه ايضا حيث كان يتعاطى بعض العقاقير لعلاج هذه الالام المفصلية لكنه لم يوصف له الكورتيزون في أي من هذه الحالات ، وبفحصه وجد لونه شاحبا اصفر وفي تكوينه شيء من السمنة ، ضغط الدم ١٢٠/١٩٠ مم زئبق ، والنبض منتظم بمعدل ١٠٠ / دقيقة مع ارتفاع طفيف في ضغط الوريد الودجي بالرقبة ، وقليل من الاديما في القدمين ، ووجد تضخم ملحوظ في القلب .

التشخيص والتحليل :

في هذه الحالة المرضية القلبية نرى المريض يعاني من ارتفاع معدل ضغط الدم الشرياني ، وكذلك ارتفاع الضغط في الوريد الودجي بالرقبة وباجتماع هذه العلامات مع احتقان الكبد وتورم القدمين نرى صورة اكلينيكية واضحة للفشل القلبي وعدم مقدرة القلب على اداء دوره الفسيولوجي الطبيعي ، لاسيما ومعدل النبض ١٠٠ خفقة في الدقيقة الواحدة .

وربما يكون العلاج بالادوية المضادة لروماتيزم المفاصل اثر اى اثر في الاسراع بالنزول الى الهاوية السحيقة التي انحدر اليها هذ المريض لان كثيرا من ادوية المفاصل تسبب احتجاز كميات من الصوديوم والماء داخل الجسم ، مما يؤدي الى هبوط وفشل حجرات القلب .

ولا يستبعد ان تكون هناك اسباب اخرى غير ظاهرة تراكمت وتآزرت في انهاك قوى المريض ، واقربها وايسرها ملاحظة ايضا ان هذه الادوية المضادة للروماتيزم ومنها الاسبرين تسبب نزيفا داخل القناة الهضمية مما قد يكون سببا في الوهن العضلي والخور والضعف وحالة الهزال وامتقاع اللون الذي يعاني منه هذا المريض المسكين ●

طعم الكلمات

للشاعر العراقى : رشـدى العـامل

انزه فى معنى كلمات الحب الاولى
اجلس خلف المنضدة الخضراء .
وارحل وحدى بين جدار الغرفة والضوء القادم من شق الباب
ابحث فى معنى كلمات الحب الاولى
انزه بين خيوط الفجر وبين الظلمة
اغلق كفى لا امسك شيئا
يتيبس فى حنجرتى نهر الكلمات
انتظر السيدة الاولى مغمضة العينين
تعود الى غرفتنا تسرق طعم الاحزان
وتشعل موقد غرفتنا اوراق النسيان .. ودفئا ..

***

ادرى ان الاوراق
لا تثمر شيئا عدى الليلة فى الاحداق
ادرى أن المطر الناعم
لا يمطر شيئا
ادرى ان الشجرة
لا تنتظـر الثمرة
ادرى نسغ الشجرة
لا يرفد غصنا مات

***

قلت اعبدينى فى عذق النخلة . قلت .. « اجل »
قلت خلينى عندك بين القرطين
وبين الكفين وبين الزندين وبين الشفتين ووجهك . قلت :
« أجـــل » ..
قلت جبينك يدنو الان وينادى الان بعيدا .. قلت :
« اجـــل » ..
قلت عينى لونك ، صحوك غفوة عينيك



ضحكت وقالت « الغصن الذابل مات »
المطر الناعم والاصوات
هل تعلم عمق الليلة بالاصوات

●●●

تدرين احببتك
تدرين اريدك
يعرف صوتى لون الكلمات
يهجس فى شفتيك الملح وطعم المطر الناعم والآهات
تدرين بأنى لا املك غير الكلمات



« مجنون هذه الليلة
مجنون هـذه الليلة »
ـ انت مجنـونة
انت امرأة مفتونة
ما اقسى ان ينسى رجل فى نصف العمر عيونه . .



من ذخائر
الكتب العربية

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

كتاب الصناعتين
لأبي هلال العسكري



— ١ —

كتاب الصناعتين من اشهر مؤلفات ابى هلال ، واكثرها ذيوعا وشهرة وهو من اهم مصادر كتب الادب والنقد والبلاغة ، ويجمع العلماء والنقاد على فضله ، وعظيم اثره على الثقافة الادبية ، منذ الف الكتاب حتى اليوم .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات ، فى الجوائب ، وفى القاهرة ، حيث نشرته مكتبة صبيح ، واخيرا مكتبة دار احياء الكتب العربية ..

ويقول ابو هلال فى صدر الكتاب : ان احق العلوم بالتعلم علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذى به يعرف اعجاز كتاب الله.

ثم يسترسل فى بيان اهمية علم البلاغة الى ان يقول : وقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدت الحاجة اليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ، واشهرها " البيان والتبيين " لابى عثمان الجاحظ فهو كثير الفوائد لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والاخبار الرائعة ، وما حواه من اسماء الخطباء والبلغاء الا ان الابانة عن حدود البلاغة ، واقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه، فرايت ان اعمل كتابى هذا مشتملا على جميع ما يحتاج اليه فى صنعة الكلام ، نثره ونظمه ، واجعله عشرة ابواب ، مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا .

فالباب الاول : فى الابانة عن موضوع البلاغة

والثانى : فى تمييز الكلام جيده من رديئه .

والثالث : فى معرفة صناعة الكلام .

والرابع : فى حسن السبك

والخامس : فى الايجاز والاطناب

والسادس : فى جودة الاخذ ورداءته

والسابع : فى التشبيه

والثامن : فى السجع والازدواج

والتاسع : فى البديع

والعاشر : فى مقاطع الكلام ومباديه

والبلاغة عند ابى هلال : هى كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه فى نفسه ، لتمكنه فى نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن .

ويؤكد ابو هلال فى الكتاب ان مذهبه فى البلاغة والادب مذهب الادباء من شعراء وكتاب ، لا مذهب المتكلمين — ص ١١ الصناعتين — طبعة صبيح —

ومما ذكره ابو هلال يتضح لنا ان كتاب الصناعتين يبحث عن موازين النقد والبلاغة ، التى يحكمها النقاد والبلاغيون فى الاسلوب ، ليمكنهم الحكم على كلام البلغاء واساليب الادباء ، بالجودة او الرداءة ..

— ٢ —

ولد نشا ابو هلال فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وهو عصر نضج الثقافة الادبية فى الشرق الاسلامى (٣٢٠ — ٣٩٥ هـ)

وتتلمذ على كثير من رجال الفكر والادب فى عصره ، وكان اشهر اساتذته خاله ابو احمد العسكرى (المتوفى عام ٣٨٢ هـ) ، وينقل عنه كثيرا من شتى الروايات فى الادب والبيان .

واتصل ابو هلال برجال الفكر والادب فى عصره ، وفى مقدمة من اتصل بهم : الصاحب بن عباد الوزير (المتوفى عام ٣٨٥ هـ) وبتاثيره ساء رأى ابى هلال فى المتنبى ، حيث عاب شعره وذمه فى مواضع كثيرة من الكتاب

وابو هلال كثير الاشادة بالصاحب بن عباد فى كتابه ، وهو يستجيد ادبه ، وله قصائد فى مدحه ، وكان مجلس الصاحب يجمع ادباء العصر من شعراء وكتاب ، ولياليه كانت ندوات ادبية رائعة ازدان بها العصر البويهى

وكان من معاصريه القاضى الجرجانى

صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .. وقد اتصل ابو هلال بالقاضي الجرجاني في مجلس الصاحب ابن عباد .. وعاشا اصدقاء ، ومع ذلك اختلف موقفهما الادبي اختلافا شديداً ..

ابو هلال ساخط على المتنبي ، ناقد له، مبغض لشعره.. والقاضي الجرجاني يجعل كتابه « الوساطة » حكومة أدبية حول شعر المتنبي وروح كتابه الدفاع عن المتنبي ، والانتصار له ..

الصناعتين الفت عام ٣٩٤ هـ كما ذكر ابو هلال في كتابه — ص ٤٤٥ طبعة صبيح — اما « الوساطة » فارجح ان تكون قد الفت بعد وفاة الصاحب الوزير اى بعد عام ٣٨٥ هـ ، كما ارجح أن تكون وفاة القاضي الجرجاني عام ٣٩٢ هـ ، لا عام ٣٦٦ هـ الذى يذكره كثير من المؤرخين له

ابو هلال متاثر بقدامة وابن العميد والصاحب تاثرا شديدا ، ومذهبه الادبي هو مذهبهم ، من حيث العناية باللفظ ..والقاضي الجرجاني يرجع الى الاسلوب العربي البليغ ، ويحكم عمود الشعر ، ويختار البلاغة القديمة أساسا للحكم على الشعراء ويجعلها ميزانا للكلام

ولكن المنافسة بين الرجلين كان لها اثرها عليهما ، حتى أن أبا هلال لم يشر في كتابه « الصناعتين » اية اشارة الى كتاب الوساطة مع اهميته في البحث حول النقد والبلاغة اللذين هما محور كتاب « الصناعتين » . بل أن أبا هلال سخر في كتابه بالوساطة ويحولها على سبيل الرمز والتلميح ، لا النص و التصريح ،مع ان ابا هلال استجاد كثيرا من شعر القاضي الجرجاني ونوه به في كتابه «ديوان المعاني »

ومع ذلك فنحن نجد في الصناعتين هذا النص الذى يجب أن نقف عنده ..

يقول ابوهلال وهو يعدد انواع البديع: هذه انواع البديع ، التى ادعى من لا رواية له ، ولا دراية عنده ، ان المحدثين ابتكروها ، وان القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يفخم امر المحدثين ..

فهذه النظرية التي يشير اليها ابوهلال هي نظرية القاضي الجرجاني في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » :

فالجرجاني هو الذى نوه في وساطته بالمحدثين ، واشاد بهم ، وذهب الى ان وقوعهم في الخطأ لا يحط من منزلتهم.. وهو الذى يرى ان المحدثين فطنوا لجمال الوان البديع ، وهم الذين مهدوا سبيلها

ولكن ابا هلال تحامل في كلمته هذه على القاضي الجرجاني بعد وفاته تحاملا شديداً ، فاسرف في رميه اياه بانه لا رواية له ولا دراية عنده ، وفهم من اعجاب الجرجاني بالمحدثين ان ذلك تعصب لهم ، كما فهم من كلام الجرجاني عن البديع وفضل المحدثين في الفطنة اليه انه يرى ان القدماء لم يعرفوه .

وابو هلال اذن كان يتتبع حياة القاضي الجرجاني واتجاهه ، وينظر اليه بعين المنافسة ، وقد قرا « الوساطة » ، ولكنه لم يعول عليها ، ولم يتخذها احد المصادر في كتابه « الصناعتين » ولذلك لانجد لها اثرا ولا ذكرا في الكتاب ، حتى البحوث المشتركة في الكتابين نجد فوارق كبيرة في طريقة تناولها ؛ فميزان النقد عند ابي هلال مخالف له عند الجرجاني، وآراء ابي هلال في الاستعارة والتشبيه ليس فيها اى اثر للوساطة ، وكذلك بحوثه في السرقات الادبية ليس فيها اثر خاص لآراء الجرجاني

— ٢ —

ان كتاب « الصناعتين » يدل على عقلية صاحبه الادبية الكبيرة ، وعلى علمه الغزير وفقهه الواسع باللغة والادب وهو كتاب تطبيقي على قواعد البيان ، يمتاز بكثرة شواهده مع الحرص على



جودة الاختيار ، وسلامة الطبع ، مما يرشد الى لون من ثقافة أبي هلال، حتى لتتحار الكثير من الادباء في كتابه : هل هو كتاب ادب أو كتاب نقد ، او كتاب بلاغة وبيان

ان الاراء التي جمعت في الكتاب حول النقد هي خلاصة لثقافات علماء الأدب والشعر حتى وسط القرن الرابع ومادة الكتاب مادة غزيرة ينتفع بها كل باحث ودارس للادب والنقد والبيان .

وقد نحا فيه ابو هلال منحى جديدا، فتكلم على البلاغة ، ورسم المذاهب الادبية والبيانية في عصره ، مما تأثر فيه بالجاحظ ومذهبه الادبي في العناية بالاسلوب ونظمه وبلاغته عناية شديدة

على أن علماء الادب في القرن الرابع كانوا يكتبون في مطلع هذا القرن في الادب والبيان ، كما فعل قدامة في نقد الشعر، .. والصولي في كتاب «اخبار ابي تمام»، ثم مزجوا بحوث النقد والادب بالبيان ، كما فعل الآمدي في «الموازنة» والجرجاني في كتاب « الوساطة » ثم افادوا من ذلك كله في بحوث البيان واصول البلاغة، فظهر اول كتاب كامل في موضوع البيان ، ووافٍ في بحوث البلاغة ، مع الإيجاز وقرب الفكرة ووضوح الرؤية النقدية وهو « الصناعتين » .

ــ ٢ ــ

ومصادر « الصناعتين » كثيرة ، وفي مقدمتها كتب الجاحظ : « البيان والتبيين » ، والحيوان، كتاب «البديع» لابن المعتز، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، .. الى كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، وكتب اخرى كثيرة ..

ومن مصادر ابي هلال نعرف ان ما وصل اليه البيان حتى عصر ابي هلال هو بحوث موجزة ، تتصل بمشكلات البيان اتصالا وثيقا وكذلك كان النقد في هذا العصر ..

والبديع عند أبي هلال الوان طريفة مستحسنة تزيد الكلام حسنا ، وقد ابتكر ابو هلال منها ثمانية عشر لونا ذكرها في كتابه ، الى الالوان الاخرى التي ذكرها النقاد كقدامة ، ومن قبله .

ــ ٥ ــ

وغلو ابي هلال في المتنبي معروف ومما قاله فيه في كتابه « الصناعتين » :

« ولا اعرف احدا كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث ، الا المتنبي ، فانه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ، ما اعدم شيئا منها ، حتى تخطى الى هذا النوع فقال :

ويسعدني في غمرة بعد غمرة
سبوح لها منها عليها شواهد

فأتى من الاستكراه بما لا يطاق غرابة ـ ص ١٥٣ الصناعتين ـ صبيح

وهكذا يذكر ابو هلال أبا الطيب في كتابه ، ذكر اسمه في اربعة مواضع فقط منها هذا الموضع ، وذكر شعرا للمتنبي عابه وازرى عليه في خمسة مواضع دون أن يصرح باسمه ، وكل ذلك كان من الهام الصاحب بن عباد لابي هلال ، رحمهم الله

ويعد كتاب الصناعتين ، يمثل تيارات الأدب في عصر أبي هلال ، ويمثل اختلاف الكتاب حول الاسلوب ، وبلاغته ، وهل ترجع البلاغة الى اللفظ أم المعنى ، وأيهما أولى بالعناية ، وتمثل كذلك الاختلاف حول قضايا الأدب الكبرى وآراء النقاد في تلك القضايا .. الى غير ذلك كله من مشكلات الأدب والنقد والبيان

ومن ثم فالحرص على قراءة الكتاب ، والعناية بفهمه وتدبره، ضروريان لمن يريد فقها في النقد ، وفهما لاصول الادب ، ولمن يريد ان ينمي ملكة الادب في نفسه وبحسبنا انه من امهات كتب الادب ومصادره وانه ركن من اركان الثقافة الادبية اللازمة لاجيال الشباب ومن هم وراء الشباب ●

قلعة الاقتصاد الوطنى فى مدينة الأبطال

شركة مصر إيران للغزل والنسيج


ميراتكس



عملية شرح ماكيت توضيحى للشركة

فى الرابع والعشرين من أكتوبر وضمن احتفالات السويس بعيدها القومى توجه السيد الدكتور فؤاد محيى الدين لافتتاح مصانع شركة مصر / إيران للغزل والنسيج « ميراتكس » وليضع حجر الاساس للمدينة السكنية للعاملين بالشركة تقديرا من ادارة الشركة لابناء السويس من العاملين بها الذين شاركوا بجهودهم المخلصة فى تأسيس وبناء مصانعها وذلك بهدف ضمان استقرار العاملين واسرهم وتحقيق الرعاية لهم ، وكذلك الرعاية الصحية المجانية ، وتوفير وسائل الانتقال لهم بسيارات الشركة .

● البداية .. كيف ؟ ●

وقبل أن نبدأ الحديث عن شركة مصر / ايران للغزل والنسيج « ميراتكس » بمناسبة افتتاح مصانعها علينا أن نعود قليلا الى الوراء لنعرف البداية .

فى عام ١٩٧٦ بدأت التجربة ، وكانت التجربة جديدة بالفعل على مجتمع السويس، فمجتمع السويس يقوم على الاعمال البحرية وليست له علاقة بالزراعة والقطن والغزل والنسيج ، كما ان القاعدة العمالية المدربة على الغزل والنسيج غير متوافرة بالمرة .. لكل هذا تعلقت العيون بتلك التجربة الجديدة التى تقوم بها شركة « ميراتكس » تجسيدا لفلسفة الانفتاح الانتاجى ، والتعاون المثمر فى مجال الاستثمار . لقد كانت شركة « ميراتكس » من أول ثمار سياسة الانفتاح الاقتصادى التى اقرتها الدولة بهدف تطوير الاقتصاد المصرى ومسايرة لركب التقدم الصناعى فى العالم .

ولذا فقد كان الترحيب كبيرا بنجاح تلك التجربة ، ولم يكن ذلك غريبا او مستبعدا على شعب السويس ، خصوصا وان الهدف الرئيسى من اقامة شركة « ميراتكس » كان فى الحقيقة هو المساهمة فى تعمير المنطقة ، وخلق فرص عمل جديدة للعائدين من أبنائها بعد التهجير ، وتعويضا لهم عما عانوه خلال فترة التعمير المريرة ،





جولة داخل المصنع

وكذلك توفير جو من الاستقرار والأمان لهم ولاسرهم بما يضمن لهم أملا مشرقا في غد أفضل .

وايمانا من العاملين بشركة « ميراتكس » بدورهم الطليعي فى انجاح سياسة الانفتاح الانتاجي ، وأسهاما منهم فى دفع عجلة الاقتصاد الوطنى وعملا على تمييز المنطقة ورفع المعاناة عن أهلها فقد بذلوا الجهد رخيصا من أجل تحقيق هذه الاهداف فكانت شركة « ميراتكس » عند حسن الظن بهـا وقدمت للاقتصاد القومى جهدا مثمرا خلاقا على أرض السويس مدينة الابطال .

● جولة داخل المصانع ●

وفى جولة داخل مصانع الشركة حاولنا خلالها التعرف على هـذا الصرح الصناعى الكبير الذى يحق لنا أن نفخر به ونعتز بالانسان المصرى الذى فكر وخطط وصمم ونفذ وأقام هذا الصرح الشامخ فحول بذلك الصحراء القاحلة الى ارض مثمرة تجود بالخير على شعب مصر كله .

وقبل أن نبدأ رحلتنا داخل المصانع التى تمتد على مساحة ١٧٠ فدانا ، تعال نتعرف أولا على طبيعة الانتاج الذى تنتجه المصانع الثلاثة التى يتكون منها هـذا الصرح الصناعى الشامخ .. وهى :

● مصنع الغزل الرفيع ويحتوى على ٦٠٠٠٠ مغزل ، طاقته الانتاجية ٢٧٠٠ طن سنويا .

● مصنع الغزل المتوسط ويحتوى على ٤٢٠٠٠ مغزل ، طاقته الانتاجية ٤٥٠٠ طن سنويا .

● مصنع الغزل السميك ويحتوى على ٣٦٠٠ روتر وطاقته الانتاجية ٤٨٠٠ طن سنويا .

أما جملة الاستثمارات التى تكلفها المشروع فهى ١٠٠ مليون جنيه لانتاج ١٢ الف طن غزل من القطن والقطن المخلوط بالالياف الصناعية .. وقيمتها البيعية ٤٠ مليون جنيه .

أما حجم العمالة التى يوفرها المصنع فهى ثلاثة الاف عامل وعاملة .

● المساهمة فى دعم الاقتصاد الوطنى ●

وشركة « ميراتكس » تساهم بجهودها فى دعم الاقتصاد القومى ورفع المعاناة عن الجماهير بالدور الكبير الذى تقوم به ، سواء بانتاجها من الخيوط السميكة والمتوسطة التى تدخل فى صناعة الاقمشة الشعبية والضرورية وذلك بالاسعار الجبرية على المستوى المحلى ، أو بما تقوم به أيضا فى

اطار سياسة ورقابة الاجهزة المختصة بتصدير الخيوط المتوسطة والرفيعة الى الاسواق الخارجية تدعيما للاقتصاد المصرى .

لقاء مع رئيس مجلس الادارة

وحتى نتعرف من قريب على « ميراتكس » ومشروعاتها كان لنا لقاء مع المهندس صفى الدين الخرادل رئيس مجلس ادارة الشركة والعضو المنتدب الذى يقود بخبرته وحنكته مجموعة العاملين بالشركة فيقدمون لمصر العرق والجهد من اجل صنع غد افضل لمصر .. قال رئيس مجلس الادارة :

بانتهاء هذه المرحلة من المشروع سنبدأ بعون الله المرحلة التالية باضافة النسيج والتجهيز والملابس الجاهزة ، ولا يلزمنا فى ذلك الا استمرار مساهمة الحكومة المصرية ومساندتها .

ويضيف السيد رئيس مجلس الادارة :

ونظرا لاهمية التدريب ولحداثة صناعة الغزل والنسيج فى منطقة السويس فقد اهتمت الشركة بايفاد الفنيين فى بعثات للخارج ، وقد قام هؤلاء الفنيون بتركيب آلات ومعدات الشركة مما اكسبهم خبرة عالية انعكس اثرها على تشغيل هذه الآلات والمعدات وصيانتها بكفاءة ممتازة ، هذا فضلا عن تدريب العمال اللازمين للشركة فى بدء تشغيلها فى الشركات الشقيقة .. وقد تم تكوين جهاز تدريب داخل الشركة لتدريب العمال الجدد ورفع مهارة العمال القدامى حتى تصل بالانتاج الى اعلى درجات الجودة ، وبالمهارة العمالية اقصى طاقات المهارة وذلك حتى تتمكن الشركة دائما من المنافسة فى الاسواق العالمية ..

خدمات للعاملين

ان شركة مصر / ايران للغزل والنسيج « ميراتكس » قد توفرت لها القيادة الواعية التى حرصت ان توفر للعاملين حياة هادئة مستقرة تنعكس بدورها داخل دولاب العمل فلا يبخل العاملون ببذل اقصى الجهد والعمل على التطور الدائم للانتاج مما يمكن الشركة من الوفاء بالتزاماتها فى السوق المحلية والمنافسة العالمية .. لذلك حرصت الادارة على توفير الخدمات المختلفة للعاملين بالشركة مثل :

● الرعاية الطبية المجانية ووسائل الانتقال والخدمات الاجتماعية والرياضية كما اقامت لهم جمعية تعاونية استهلاكية وجمعية تعاونية للاسكان ، ثم توجت الشركة هذا كله باقامة المدينة السكنية التى تفضل السيد الدكتور فؤاد محيى الدين بوضع حجر الاساس لها على مساحة ٥٠ فدانا فى الجانب المقابل للمصنع لتوفير المسكن المناسب لالف من العاملين واسرهم . مع تزويد المدينة بجميع المرافق من مستشفى ومسجد ومجمعات استهلاكية ودور حضانة ونواد اجتماعية ورياضية .

شكر للحكومة المصرية

واخيرا .. وفى نهاية لقائنا مع السيد رئيس مجلس الادارة المهندس صفى الدين الخرادل قال لنا :

« انى انتهز هذه الفرصة لاتقدم بالشكر والعرفان للتعاون الصادق الذى لاقته الشركة من جميع المسئولين بالدولة بالنسبة لتذليل الكثير من العقبات التى واجهت الشركة فى مراحل انشائها ، كما اتقدم بالشكر لجهود جميع الشركات والهيئات واجهزة محافظة السويس التى تعاونت فى اقامة هذا الصرح حتى وفقنا الله فى اتمامه على هذا الوجه وبدأنا نجنى ثمار عملنا ، الامر الذى شجع الحكومة الايرانية هذا العام على المساهمة فى زيادة راس مال الشركة ، مع الحفاظ على الغلبية الجانب المصرى فى ادارة الشركة بما يمكنها من اتخاذ القرار الذى يتمشى مع مصلحتها ومصلحة الاقتصاد المصرى » ..

فكرى عبد المهيمن

بداية الحرب العالمية الثانية

● يقول الدكتور السيد فهمي الشناوى في مقاله بهلال نوفمبر الماضي ان الحرب العالمية الثانية بدات باحتلال هتلر لبولندا في خريف ١٩٣٩ ولكن هتلر احتل النمسا سنة ١٩٣٧ بالقوة ، فهل يعتبر احتلاله لبولندا احتلالا غير شرعى ، واحتلاله للنمسا ضما لجزء من الوطن الالمانى ؟

على مؤمن ـ السودان

ـ احتلال هتلر للنمسا لم تتسبب بسببه حرب ، بل استخذى له اعداؤه خوفا من الحرب وليس اقرارا بشرعية احتلاله ، ولكن احتلاله لبولندا لم يترك لاعدائه طريقا اخر غير الحرب ، فكان غزو هتلر لبولندا هو بداية الحرب العالمية التى حطمت الهتلرية!

عبادة بن الصامت

● يقول المرحوم حفني ناصف في مقالته التي نشرت في هلال يوليو الماضى ان بعض اهل قرية « حفن » يعتقدون ان الصحابى عبادة بن الصامت رضى الله عنه مدفون في ضريح ببلدتهم .. بينما قال المرحوم احمد امين في كتابه « فجر الاسلام » ان عبادة بن الصامت لم يمكث في مصر بل سافر الى الحجاز والشام

عوض عبد الله عبد الرب
تعز ـ اليمن

ـ حفنى ناصف لم يأخذ باقوال اهل القرية بل ذكرها عرضا في مقاله لمجرد التسجيل ..

المثابرة والنجاح

● « كل القطارات مرت بى ، طموحى القاتل جعلنى ارضخ للرصيف .. خوفى من الرحلة جعلنى امنى النفس بقطار خرافى يختصر مشقة الدرب ، يتمخض عنه رحم المستحيل ، وتغيم عن وجهى المحطة ، تسقط في الضباب » ..

د . محمد عوض امان
الخرطوم بحرى

ـ اذا كنتم تقصدون بهذا ان تكتبوا شعرا منثورا فهو يستحق التأمل ، اما اذا كان المقصود شعرا تفعيليا ، فأين الاوزان التفعيلية البسيطة !!.

هل يستمر ؟!

● ها انذا اكتب اليكم قصة وانتظر رايكم ، هل استمر في الكتابة ام ماذا ؟! ..

سيد مسعود
ارمنت الحيط

أنت والهلال

ـ الاستمرار فى الكتابة والاطلاع ينضج الموهبة .. وانضاج الموهبة على مهل افضل من التعجل الى نشر النتاج بزتقب النضج

شعر مترجم

● هذه احدى ترجماتى للشعر الانجليزى :

نادیتك سليتى قلبى النداء
وهلمى ترشف لذات الهوى كيف نشاء
ما ضمنا الايام ملكا لنا فقد
عهدناها تنصب للمحبين العداء
فهيا الى اقتناص لذاتها هيا
لا سدى نضيعها او هباء

يوسف محمد الكنانى
بيلا ـ شارع ابن حنبل

ـ ترجمة الشعر الاجنبى الى شعر عربى موزون مقفى من اشق الاعمال الادبية .. وقد اكتفينا من قصيدتكم بهذه الابيات التى تحتاج الى اعادة نظر فى الاوزان .. وهذا يثبت مشقة ترجمة الشعر .

ادب المقامة

● ارسل اليكم مقامة فكاهية من تاليفى تشتمل على حادثة وتعتمد على السجع والفكاهة والعظة ..

ابراهيم بيومى
شبرا ـ مصر

ـ يؤسفنا ان يضيق المجال من نشر المقامات ، ولكنا نعتقد ان فنون الادب العربى يمكن معالجتها بطريقة جديدة ومن بينها فن المقامة ..

المواهب الشابة

● انى سعيد بالهلال ، وارجو ان يفتح نوافذه للاقلام الشابة وارسل اليكم قصيدة ..

د . صابر عبد الكريم يونس

ـ شكرا لكم ، ونرحب دائما بالاقلام الشابة الموهوبة الناضجة ، وتجد فى كل عدد مقالات وقصصا وقصائد للشبان والشابات . ومن اسف ان قصيدتكم قد مضت مناسبتها ، فهل لكم ان ترسلوا الينا غيرها !!

إلى أصدقائنا

● **احمد محمود احمد ـ معهد الاسكندرية الازهرى :**

ـ شكرا لك ، ولم تكن الفترة التى تتحدثون عنها عائقة من الانتاج الادبى ولكنك ـ فيما يبدو ـ لم تتبع ذلك .. نكرر الشكر ..

● **احمد حسين الطماوى :**

ـ نشكرك على ملاحظاتك .. اما قصيدة « الله » لشوقى فسميت مجهولة برغم نشرها فى الهلال سنة ١٩٢٤ لانها لم تدخل فى ديوان شوقى المطبوع . وقد نقلها الدكتور السربونى ـ رحمه الله ـ من الهلال فى كتابه « الشوقيات المجهولة » وستبقى مسماة مجهولة حتى تدخل فى ديوان شوقى كما نرجو .. اما رأى الاستاذ فاروق شوشة فى مقدمة شوقى للطبعة القديمة من ديوانه ، فهذا رأيه .. وقد نشرت بالهلال هذه المقدمة فى عدده الخاص عن شوقى فى الستينات ، ونقلها عنه ـ لا من ديوان شوقى القديم ـ النقاد والكتاب الذين ذكرتموهم ..

● **ابراهيم عبد الوهاب شرف المحامى ـ المنصورة :**

ـ نرجو مراجعة مقالات عدد اكتوبر من الهلال ، فان فيه المعلومات التى ذكرتموها عن امير الشعراء شوقى . وشكرا لكم ..

● **محمد الخضرى عبد الحميد ـ بيت الثقافة بملوى :**

ـ لم تصلنا مجموعة القصص التى اشرتم اليها . ونرجو ان يكون حظ قصتكم الاخيرة احسن

● **شوقى بدر يوسف ـ الاسكندرية :**

ـ نرجو ارسال صورة الشاعرة منيرة لنتمكن من نشر مقالكم

● **محمد على معروف ـ لندن :**

ـ نشكرك جدا ، ولايمكن الحصول على الاعداد القديمة جدا من الهلال لان مجلتنا صدرت منذ تسعين عاما وهى المجلة الوحيدة التى استطاعت مواصلة الصدور هذا العمر المديد فى البلاد العربية .

● يقدم « الهلال » شكره وامتنانه الى الاصدقاء : عبد الباسط سعيد ابوعطايا بكلية اللغة العربية جامعة الازهر .. صبرى قنديل بكفر الزيات .. عمرو عبد المنعم حمودة بطنطا .. عبد الجواد محمد الخضرى .. سعيد كامل معوض .. حامد سعيد الجمال .. اسامة على عبد الحليم ـ الخرطوم بحرى .. ياسر محمد ايوب بكلية طب الزقازيق .. يوسف احمد سلطان مدرس اول الفلسفة بابن خلدون الثانوية .. احمد على محمد على ـ الاقصر .. احمد محمد الذيب ـ مدرس اول بحلوان التجارية .. ربيع محمد عبد اللاه ـ المنيا .. ابو المجد عليوه بكلية التربية بشبين الكوم .. د .. احمد قناوى ـ البدارى

● **الى الاصدقاء : على احمد حسابو ـ مديرية النيل الازرق بالسودان .. ابراهيم جبرالدار احمد بمعهد البيطرة بالخرطوم .. على مخزوم بالحديدة ـ اليمن .. احمد محمد سعيد .. الموسكى القاهرة .. نادر هاشم محمد عوض ـ الخرطوم ..**

نرجو ان تكتبوا خطاباتكم تفصيلا وبوضوح فى الاسم والعنوان الى قسم الاشتراكات فى دار الهلال بالقاهرة .

تأملات الصفحة الأخيرة

● يبدو أن هناك خطأ وقعت فيه لجنة جائزة نوبل ولم تستطع أن تتداركه ، وإلا فكيف نفسر منح جائزة الأدب هذا العام للكاتب الأمريكي اللاتيني جبريال جارسيا ماركيز ، مع أنه ليس يهوديا مثل باسترناك وسولجنستين وكانيتي والأدباء السعداء الآخرين ؟! ..

● مأساة الأندلس كانت أهون من مأساة فلسطين ، فقد بقيت لنا - على الأقل - بضع قصائد جيدة في رثاء الأندلس نقرؤها الآن للعظة والعبرة ومراجعة الماضي بلا تفكير في الرجوع إليه ! .. أما فلسطين فلم يبق لنا إلا نسيانها ، لأن عجزنا من المحيط إلى الخليج ، أضاع حتى الموهبة الأولى والأخيرة لنا ، وهي الشعر ! ..

● أنيس منصور هو أكثر الأدباء والصحفيين المصريين أوراقا وكلمات كتابه الجديد : « في السياسة » أكثر من ستمائة صفحة .. صدر معه كتاب صغير « ٢٥٠ صفحة » اسمه : « نحن أولاد الغجر » .. كلاهما من اللمحات الدقيقة لحياتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية ..

أزمة أنيس منصور انبثقت من إدمانه الأوراق والكلمات في عزلة شبابه ، واحتدام أشواقه إلى معرفة ما لا سبيل إلى معرفته من تعقيدات الحياة والكون ..

الكتابة في السياسة عنده ، تفكير فلسفي متواصل وتعبير أدبي بارع ، لهذا تلتقي كتابته في السياسة وكتابته عن أولاد الغجر في البراءة والعزلة ..

فكرة الإخفاق والمصير الواحد للعمل في نهايتيه العظمى والصغرى ، مازالت تصحبه كلما مرت أيام الوجودية التي أطلت من حياته ، وبعثت ندوبها الفكرية في سوانحه ونظراته ! ..

الإنسان في الوجود مخلوق مهجور ، سعيدا كان أو تعيسا ! .. لا شيء خارج ذاته يعنيه ، محكوم عليه بالعزلة والتوحد في صحراء الحياة أو كهفها أو ديرها أو غابتها ، وتدخل المسئولية والالتزام قيدا على حريته هذه البائسة ! ..

كتاباته في الماضي ، كانت ذلك كله جملة وتفصيلا ، لكن هذه المقولات احترقت في رأس جان بول سارتر وغيره ، فقفا أنيس منصور من شدة احتراقها ! ..

وقديما سقط « الحائط الرابع » الذي كان أنيس يصرخ من ورائه في أسماع مؤيدي كلماته ومعارضيها ، فهو صديق كل قرائه ؛ ينثرون عليه وردا وريحانا وهو صديقهم الحميم .. ويقذفونه بالزجاجات الفارغة المكسورة الرءوس ، وهم أصدقاؤه الأعزاء ! ..

كتاباه الجديدان : « في السياسة » .. و« نحن أولاد الغجر » تأكيد لسقوط ذلك الحائط الرابع ، لكن سقوط الحائط الرابع لا يمنع قيام حائط خامس .. وسادس ! ..

« ك ... »

